

الوجيز في تفسير الكتاب العزيز

تأليف

أبي الحسن علي بن أحمد الواحديّ

أستاذ عصره في علم التّفسير

(المتوفّى سنة ٤٦٨هـ)

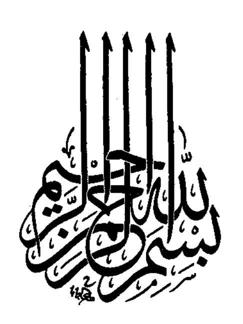
تحقيق

صفوان عدنان داوودي

المجلد الأول

دار القلم
دمشق

الدّار الشّاميّة
بيروت



الوَجيزُ
في
تفسيرِ الكتابِ العزيزِ

الطَّبْعَة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٥م

دار القلم
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق - حلبوني - ص.ب : ٤٥٢٣ - هاتف : ٢٢٩١٧٧

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - ص . ب : ١١٣/٦٥٠١ - هاتف : ٣١٦٠٩٣

الإهداء

إلى الذي أمضى حياته في الدعوة إلى الله،

وهداية عباد الله.

إلى الذي يهتم بهم المسلمين، ويفرح لفرحهم.

إلى الذي بذل جهده لقضاء حاجات المؤمنين.

إلى فضيلة الشيخ "محمد عوض" حفظه الله ورعاه.

نقدم هذا الكتاب هدية

وإلى جميع طلاب العلم الشرعي أجمعين

هـذا الكِتَابُ

* قـال الغـزالي:

(مَنْ أراد أن يسمعَ كتابه تعالىٰ من فم رسول الله ﷺ، فعليه بتفسير الواحدي).

* ولـبـعـضـهـم:

إذا شئـتَ أَنْ تلقـىٰ كتـابـاً مُلخَّصـاً ... مصـونـاً عـن التَّطـويـل ملبـي...

فبـادرْ إلـىٰ هـذا الكتـاب؛ فـإنَّـه ... كتـابٌ وجيـزُ اللفـظ جـمُّ الفـوائـدِ

بحـارُ المعـاني تحتَـه قـد تـلاطمَـتْ ... فمَـنْ ينغمـسْ فيهـا يَفُـزْ بـالفـرائـدِ

وإنَّ «وجيـزَ» الـواحـديِّ هـو الـذي ... قـراءتُـه فـرضٌ علـىٰ كـلِّ واحـدِ

❑ ❑ ❑

مُقَدِّمَةُ ٱلْمُحَقِّق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسَّلام على إمام المرسلين، وخاتم النبيين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد؛

فإنَّ علم التفسير من أشرف العلوم، ومعرفته من أهم الأمور، والمؤلَّفات فيه أكثر من أن تحصىٰ، ما بين مختصر ومطوَّل.

ومن أفضلها كتاب «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» لشيخ عصره الإمام أبي الحسن الواحديِّ، وهو تفسيرٌ مختصرٌ جامعٌ لأنواع متعدِّدةٍ من ألوان التفسير. وقد عملنا على تحقيقه وضبطه، وتخريج أحاديثه، وقدَّمنا لذلك بمقدِّمة تشمل ترجمة المؤلف وشيوخه وتلامذته، ومؤلفاته.

وأفردنا فصلاً خاصاً ذكرنا فيه انتشار مؤلفات الواحدي في التفسير، وذكرنا بعض مَنْ كان يحفظها عن ظهر قلبٍ.

وذكرنا منهج المؤلف في تفسيره، وما عليه من ملاحظات في كتابه.

ونسأل الله تعالىٰ أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يتقبَّل منا ما عملناه، ويثيبنا عليه أحسن الجزاء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

المحقِّق

المدينة المنورة ١٤١١هـ

دِرَاسَةٌ عَنِ ٱلْمُؤَلِّفِ

اِسْمُهُ وَنَسَبُهُ (*)

تُجمع المصادر التي ترجمت للواحديِّ علىٰ أنَّ اسمه عليُّ بنُ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ عليٍّ بن متَّويه، الإمام أبو الحسن الواحديّ النيسابوريّ.

وشذَّ صاحب «إنباه الرُّواة» فكنَّاه أبا الحسين، ولا أدري هل هو تصحيفٌ منه، أم هو خطأٌ طباعيٌّ.

وكان أبوه أحمد بن محمد من التُّجَّار، وأصلُهم من ساوة، وهي مدينة بين الرَّي وهمذان في واسط، وفيها بُحيرةٌ مشهورةٌ قديماً، وقد غاضت يوم ميلاد النبيِّ ﷺ، وبالقرب منها مدينة يقال لها: آوة، فَسَاوَةُ سُنيَّةٌ شافعيةٌ، وآوة أهلها شيعةٌ إماميةٌ، وبينهما نحو فرسخين، وما زالتا معمورتين إلىٰ سنة ٦١٧هـ، حتىٰ جاءهما التتر فخربوهما، وكان في ساوة دار كُتُبٍ لم يكن في الدُّنيا أعظم منها، فأحرقها التتر، وهم قومٌ هَمَجٌ خربوا البلاد الإسلامية، وأحرقوا المكتبات العظيمة، وخاصَّةً في بغداد، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، وهذه من أعظم المصائب علىٰ الأمة الإسلامية.

وخلَّف أبوه ثلاثة أولادٍ، وهم:

ـ أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد الواحديُّ، وهو أكبرهم.

ـ وعلي بن أحمد الواحديُّ، صاحب الترجمة، وهو أوسطهم.

(*) انظر ترجمته في: المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص ٣٨٧؛ ووفيات الأعيان ٢/ ٤٦٤؛ ومعجم الأدباء ١٢/ ٢٥٧؛ وإنباه الرواة ٢/ ٢٢٣؛ وطبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٢٤٠؛ وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٣٩٤؛ وطبقات المفسرين للسيوطي ص ٦٦؛ وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٦؛ وبغية الوعاة ٢/ ١٤٥؛ وغاية النهاية ١/ ٥٢٣؛ والمختصر في أخبار البشر ١/ ٢٦٩؛ ودمية القصر ٢/ ٢٥٥.

ـ وأبو بكر سعيد بن أحمد الواحديُّ، وهو أصغرهم.

فأمَّا عبد الرحمن فقد كان صالحاً مستوراً، سمع من الزِّيادي، وابن يوسف ومَنْ بعدهم من أصحاب الأصمِّ، وعُقد له مجلس الإملاء في الجامع المنيعي قبل الصلاة يوم الجمعة، وأملىٰ سنين، وقُرىء عليه أكثر مسموعاته.

توفي يوم الأربعاء غرَّة شهر ربيع الآخر سنة ٤٨٧هـ. وقد جاوز التسعين.

روىٰ عنه أخوه أبو الحسن صاحب الترجمة[١]، وأبو الفتح مسعود بن أحمد المسعودي[٢].

وأمَّا سعيد[٣] بن أحمد الواحديّ فكان يحترف بالسَّمسرة، وكان شيخاً، ثقةً، مستوراً، صائناً، عفيفاً، سمع من أصحاب الأصمِّ، وروىٰ عنه أبو الحسن الحافظ[٤].

وأمَّا ثالثهما فهو إمامنا أبو الحسن الواحديُّ، كان واحد عصره في التفسير،

وأمَّا نسبته الواحديّ فهي إلىٰ الواحد بن الدِّيل بن مهرة.

وجاء في مختصر أبـي الفداء[٥]: والواحديُّ نسبةٌ إلى الواحد بن مهرة[٦].

قلتُ: ومهرة هو ابن حيدان بن عمرو بن الحَافِ بن قضاعة. ذكر نسبَه الكلبـيُّ في نسب معدٍّ ٢/ ٧١٣ وقال: وولدَ مهرةُ بن حيدان: الآمريَّ، والدِّيل، وأشموساً، ونعميّاً، وندغِياً، ثم قال: وولَدَ الدِّيل بن مهرة: بُغية، وعبدان، والواحد.

ـ وقد صحَّف محقق كتاب «نسب معدّ» الدكتور ناجي حسن اسم الدِّيل إلىٰ الدَّيَنْ في الموضعين.

ونبدأ أوّلاً بذكر شيوخه، ثمَّ تلامذته، ثمَّ نذكر مُصنَّفاته، وقول العلماء فيه، ثم نذكر دراسة مختصرةً عن كتابه الوجيز.

● ● ●

---

(١) المنتخب من السياق ص ٣١٤؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٢.

(٢) الأنساب ٥/ ٢٩٢.

(٣) صحَّفه السيد أحمد صقر في أسباب النزول ص ٥ إلى سعد.

(٤) المنتخب من السياق ص ٢٣٧.

(٥) المختصر في أخبار البشر ١/ ٥٦٩.

(٦) في المطبوعة: بن ميسرة، وهو تحريف.

شُيُوخُه

قضىٰ الإمام أبو الحسن الواحديُّ أيَّام شبابه في تحصيل العلم، والاغتراف منه، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف علىٰ أعلام الأمَّة، وقرأ على كثير من المشايخ، ونذكر منهم:

١ ــ **أبو الفضل العُروضي**[1]، **واسمه أحمد بن محمد بن عبد الله النَّهشليّ الشافعيّ المعروف بالصَّفَّار**: شيخ أهل الأدب في عصره، حدَّث عن الأصمّ والكارزي، وأبي منصور الأزهري صاحب «تهذيب اللُّغة»، ورواه عنه. لازمه الواحديُّ سنين عدَّة، يدخل عليه عند طلوع الشَّمس، ويخرج لغروبها، وقرأ عليه اللُّغة، وأكثر دواوين الشعراء، وتوفي الشيخ أبو الفضل في حدود سنة ٤٢٥هـ وقد جاوز التسعين، وكان معاصراً للثعالبيّ صاحب «يتيمة الدهر»، وأسنَّ منه.

٢ ــ **أبو الحسن القُهُنْدُزي**[2]، **واسمه علي بن محمد بن إبراهيم**: كان ضريراً، وكان أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه، قرأ عليه الواحديُّ جوامع النحو والتصريف والمعاني، قال الواحديُّ في مقدمة البسيط: علَّقتُ عنه قريباً من مائة جزء من المسائل المشكلة، وسمعتُ منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل، وخصَّني بكتابه الكبير في علل القراءة المرتَّبة علىٰ كتاب الغاية لابن مهران.

---

(١) ترجمته في: المنتخب ص ٨٥؛ وبغية الوعاة ١/ ٣٦٩؛ وتتمة يتيمة الدهر ص ٢٠٥.

(٢) ترجمته في: بغية الوعاة ٢/ ١٨٦؛ ونكت الهميان ص ٢١٥؛ وهداية العارفين ١/ ٦٨٧؛ والبسيط للواحدي ورقة ٢.

٣ ـ **أبو عمران المغربي المالكي**[١]، **واسمه موسىٰ بن عيسىٰ**: كان شيخ المالكية بالقيروان، وقدم بغداد.

قال عنه الواحديُّ في «البسيط»: كان واحد دهره، وباقعة عصره في علم النحو، لم يلحق أحدٌ ــ ممَّن سمعنا ــ شأوه في معرفة الإعراب، ولقد صحبته مدَّةً في مقامه عندنا حتىٰ استنزفت غرر ما عنده. توفي أبو عمران سنة ٤٣٠هـ.

٤ ـ **أبو القاسم علي بن أحمد البستي**[٢]: قال الواحديُّ في «البسيط»: وأمَّا القرآن وقراءات أهل الأمصار، واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله، وقرأتُ عليه القرآن ختماتٍ كثيرةً لا تحصىٰ، حتىٰ قرأتُ عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران.

٥ ـ **أبو الحسن عليّ بن محمد الفارسي**[٣]: كان إماماً مقرئاً حاذقاً، أخذ القراءات عرضاً وسماعاً عن ابن مهران، وسمع من الزيادي، وأبي الحسن بن عبدان، وأصحاب الأصمّ، روىٰ عنه القراءات الواحديُّ، وأحمد بن أبي عمر صاحب كتاب «الإيضاح»، وتوفي سنة ٤٣١هـ.

٦ ـ **أبو إسحاق الثعلبي**[٤] **أحمد بن محمد بن إبراهيم**: كان أوحد زمانه في علم القرآن، روىٰ عن أبي طاهر محمد بن الفضل بن خزيمة، وأبي محمد المخلدي، وأبي بكر بن مهران، وأبي الحسن الهمذاني. وكان كثير الحديث كثير الشيوخ، أثنىٰ عليه الواحدي كثيراً في مقدمة البسيط، وقرأ عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزء، منها تفسيره الكبير، وتوفي سنة ٤٢٧هـ وهو الذي وجَّهه للاشتغال بعلم التفسير.

---

(١) انظر: معجم الأدباء ١٢/ ٢٦٦؛ وشذرات الذهب ٣/ ٢٤٧.
(٢) معجم الأدباء ١٢/ ٢٦٦.
(٣) ترجمته في: المنتخب من السياق ص ٣٧٩؛ وغاية النهاية ١/ ٥٧٢.
(٤) ويقال له: الثعالبي. ترجمته في: المنتخب ص ٩١؛ ومعجم الأدباء ٥/ ٣٦؛ وطبقات السبكي ٣/ ٢٣؛ والوافي ٧/ ١٤٨؛ وطبقات المفسرين للداوودي ١/ ٦٦.

٧ ــ **ابن مَحْمِش الزِّيادي**[(١)]، **واسمه محمد بن محمد**: يكنىٰ أبا طاهر، إمام المحدِّثين والفقهاء بنيسابور في زمانه، عقد مجالس لإملاء الحديث في نيسابور، وروىٰ عنه الواحدي أوَّل حديثٍ في كتابه «الوجيز»، توفي سنة ٤١٠هـ.

٨ ــ **أبو سعد النصرويي**[(٢)]، **واسمه عبد الرحمن بن حمدان**: كان محدِّث عصره، عُقد له مجلس الإملاء في الجامع القديم بنيسابور، توفي سنة ٤٣٣هـ، ذكره في أسباب النزول ص ٢٤٣.

٩ ــ **أبو حسان المزكي**[(٣)]، **واسمه محمد بن أحمد بن إبراهيم**: كانت إليه التَّزكية بنيسابور والحشمة، والتَّقدُّم في مجالس القضاة، توفي سنة ٤٣٢هـ. ذكره في أسباب النزول ص ٤٥٥.

١٠ ــ **محمد بن إبراهيم المُزكِّي**[(٤)]: المحدِّث ابن المحدِّث، كان صحيح السماع حسن الأصول توفي سنة ٤٢٧هـ.

١١ ــ **أحمد بن إبراهيم بن موسىٰ**[(٥)]، **أبو سعيد المقرىء النيسابوري**: سمع كتاب «الغاية» لابن مهران من مؤلفه، توفي سنة ٤٥٠هـ.

١٢ ــ **أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم بن محمد الواعظ**[(٦)]: المحدّث ابن المحدِّث، أبوه شيخ خراسان أبو القاسم النصرآباذي، توفي في المحرم سنة ٤٢٨هـ.

١٣ ــ **أبو حفص ابن مسرور**[(٧)]، **واسمه عمر بن أحمد بن عمر بن محمد بن مسرور الفامي**: نيَّف على التسعين، وهو آخر مَنْ حدَّث عن أبي عمرو بن نجيد السُّلمي، توفي سنة ٤٤٨هـ.

---

(١) ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ٤/١٩٨؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/٢٧٦؛ والمنتخب ص ١٨؛ والوافي ١/٢٧١.

(٢) ترجمته في: المنتخب ص ٣٠٧؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٥٣.

(٣) المنتخب ص ٣٤.

(٤) المنتخب ص ٣٢؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/٥٥١.

(٥) المنتخب ص ٩٦؛ وغاية النهاية ١/٣٦.

(٦) المنتخب ص ١٢٩.

(٧) المنتخب ص ٣٦٨؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/١٠.

١٤ ــ **أبو سعد الكنجروذيّ**[1]**، واسمه محمد بن عبد الرحمن**: كان أديباً فاضلاً حسن السيرة حدَّث عنه خلق كثير. توفي سنة ٤٥٣هـ.

١٥ ــ **عبد الغافر الفارسي ابن محمد، أبو الحسين**[2]: جدُّ صاحب «السياق في تاريخ نيسابور» توفي سنة ٤٤٨هـ.

١٦ ــ **شيخ الإسلام الصابوني إسماعيل بن عبد الرحمن**[3]: الخطيب المفسِّر المحدِّث الواعظ سمع بالشَّام والحجاز، وحدَّث بنيسابور وخراسان إلى غزنة وبلاد الهند، توفي سنة ٤٤٩هـ.

وسمع الواحديُّ من أصحاب أبـي العباس الأصم، والسادة العلوية وغيرهم:

١٧ ــ **كأبـي بكر أحمد بن محمد الأصفهاني**[4]: ذكره في أسباب النزول ص ٨٩، وتوفي سنة ٤٣٠هـ.

١٨ ــ **ومن شيوخه: أبو نصر أحمد بن عبيد الله المخلدي**[5]: ذكره في «الأسباب» ص ٨٩، وتوفي سنة ٤٢٧هـ، وكانت وفاته في شعبان سنة ٤٢٧هـ.

١٩ ــ **الشريف إسماعيل بن الحسن بن محمد الطبري**[6]: ذكره في «الأسباب» ص ٤٦، توفي سنة ٤٤٨هـ.

٢٠ ــ **عبد القاهر بن الطاهر**[7]**، أبو منصور البغدادي**: صاحب «الفَرْق بين الفِرَق»، ذكره في «الأسباب» ص ١٦٦، وكانت وفاته سنة ٤٢٧هـ.

---

(١) الأنساب ٤/ ١٠٠؛ والمنتخب ص ٤٤؛ وإنباه الرواة ٣/ ١٦٥.
(٢) المنتخب ص ٣٦١؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٩.
(٣) له ترجمة حافلة في: المنتخب ص ١٣١؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٤٠.
(٤) المنتخب ص ٨٩.
(٥) المنتخب ص ٩٠.
(٦) ترجمته في: المنتخب ص ١٣٦.
(٧) المنتخب ص ٣٦٠؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٧٢؛ وطبقات السبكي ٥/ ١٣٦؛ ووفيات الأعيان ٢/ ٣٧٢.

٢١ ــ **أبو منصور محمد بن محمد المنصوري**[١] **النوقاني**: حدَّث عن الدارقطني بالسُّنن، ذكره في «الأسباب» ص ١٧٧، وتوفي سنة ٤٤٨هـ.

٢٢ ــ **أبو عبد الله بن أبي إسحاق**: ذكره في «الأسباب» ص ٢٠٠، و «المنتخب» ص ٣٨٧.

٢٣ ــ **القاضي أبو بكر الحيري**[٢]: واسمه أحمد بن الحسن، ذكره في «الأسباب» ص ٢١٤، وانظر «طبقات السبكي» ٤/ ٢٤٠.

٢٤ ــ **الحاكم أبو عبد الرحمن الشَّاذياخي**: تلميذ الحاكم صاحب المستدرك، ذكره في «الأسباب» ص ٢٤٢، روىٰ عنه عبد الواحد بن عبد الكريم القشيري[٣].

٢٥ ــ **عبد الرحمن بن أحمد العطار**[٤] **الكمال أبو القاسم**: سمع من الحاكم أبي عبد الله، وذكره في «الأسباب» ص ٣١٠، وتوفي سنة ٤٥٠هـ.

٢٦ ــ **محمد بن موسىٰ بن الفضل الصيرفي**[٥]، **أبو سعيد النيسابوري**: المشهور بالصدق والإسناد العالي، ذكره في «الأسباب» ص ١٢٥، وتوفي سنة ٤٢١هـ. وسمع عن الأصم.

٢٧ ــ **أحمد بن عبد الله بن أحمد الشيباني**[٦]، **أبو نصر الفقيه البخاري**: نزيل بغداد ذكره في «الأسباب» ص ٥٠٠، توفي سنة ٤٤٧هـ.

٢٨ ــ **منصور بن عبد الوهاب بن أحمد الشَّالنجي**[٧]: كان ثقة كثير الحديث، ذكره في «الأسباب» ص ٥٠١، وتوفي سنة ٤٨٢هـ.

٢٩ ــ **أبو عثمان البحيري الثقفي الزَّعفرانيّ**[٨]، **واسمه سعيد بن محمد**: عالِم

---

(١) له ترجمة في: المنتخب ص ٤١؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٦؛ وتبصير المنتبه ١/ ١٤٣.

(٢) المنتخب ص ٨٠؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٦.

(٣) ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار ١/ ٢٤٩.

(٤) المنتخب ص ٣١٠.

(٥) المنتخب ص ٢٤؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٠.

(٦) المنتخب ص ٩٨.

(٧) المنتخب ص ٤٤٠.

(٨) المنتخب ص ٢٣٢؛ ولسان الميزان ٣/ ٤٣؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ١٠٣.

بالقراءات كثير السماع، وكثير الشيوخ. قرأ عليه مصنفات ابن مهران، وروىٰ عنه مصنفات أبي علي الفارسي ذكره في «الأسباب» ص ٥٧، وفي «الوسيط» في تفسير سورة المائدة ورقة ١٩٥، وتوفي سنة ٤٢٧هـ وذكره في مقدمة «البسيط».

٣٠ ــ **ابن دوست، واسمه عبد الرحمن بن محمد أبو سعيد**(١): أَحَدُ أئمة العربية بخراسان أخذ عنه الواحديُّ اللغة، توفي سنة ٤٣١هـ.

٣١ ــ **سعيد بن العباس القرشي الهروي**(٢): مُزكِّي هراة، وراوية الحديث بها. ذكره في «الأسباب» ص ٦٨ توفي ٤٣٣هـ.

٣٢ ــ **الحافظ أبو نُعيم**(٣)، **أحمد بن عبد الله بن إسحاق**: ذكره في «الأسباب» ص ٥٩، توفي سنة ٤٣٠هـ.

٣٣ ــ **أخوه أبو القاسم عبد الرحمن بن أحمد**(٤): المتوفىٰ سنة ٤٨٧هـ.

٣٤ ــ **أبو إسحاق الإسفراييني، واسمه إبراهيم بن محمد**(٥): أحد من بلغ حدَّ الاجتهاد لتبحره في العلوم، ذكره الواحديُّ في «الوسيط» في تفسير سورة المائدة قال: أخبرنا الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الإسفراييني إملاءً في مسجد عقيل سنة ٤١٦هـ، كما ذكره في «البسيط» في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾ [الشورىٰ: الآية ٥٢].

قال في «المنتخب»: عقد له مجلس الإملاء بنيسابور في مسجد عقيل بعد أبي طاهر الزيادي سنة ٤١٠هـ، وأملىٰ سنين.

٣٥ ــ **أبو عمر سعيد بن هبة الله البسطامي النيسابوري**(٦): كان له كُتَّابٌ، التحق به الواحدي فحفظ القرآن وتعلم الخط، وهو أول شيخٍ له.

---

(١) ترجمته في: فوات الوفيات ٢/ ٢٩٧؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٥٠٩.
(٢) المنتخب ص ٢٣١.
(٣) المنتخب ص ٩١؛ وطبقات الحفاظ ٣/ ١٠٩١؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٤٥٣.
(٤) ترجمته في: المنتخب ص ٣١٤؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٢.
(٥) ترجمته في: المنتخب ص ١٢٠؛ وسير أعلام النبلاء ١٧/ ٣٥٣.
(٦) المنتخب ص ٢٣٩؛ والواحدي ومنهجه في التفسير ص ٦٣.

تَلامِذَتُهُ

عكف الواحديُّ علىٰ طلب العلم، فتتلمذ على كثيرٍ من العلماء كما أسلفنا، وجمع كثيراً من العلوم الفوائد، ثم عكف على تعليم النَّاس العلم، فأخذ عنه كثيرٌ من العلماء، ونذكر منهم ما يلي:

١ ـ الخُواري، واسمه أبو محمد عبد الجبار بن محمد[١]: أخذ عن الواحديِّ وأبـي بكر البيهقيِّ وإمام الحرمين وأبـي القاسم القشيري، وحدَّث عنه السمعاني وابن عساكر، والمؤيد بن محمد بن علي الطوسي المسند، كما ذكره المنذري في «التكملة» ٣/ ٢٦. توفي سنة ٥٣٦هـ.

٢ ـ أحمد بن عمر الأرغياني[٢]، وأرغيان ناحية من نواحي نيسابور.

٣ ـ أبو نصر محمد بن عبد الله الأرغياني الراونيري[٣]: مفتي نيسابور في عصره، تفقه على الجويني، وسمع الحديث عن الواحديِّ، توفي سنة ٥١٩هـ وقيل: سنة ٥٢٨. وروىٰ كتاب «أسباب النزول» للواحديِّ، وأخذ عنه عطاء الله بن علي[٤]، وأبو سَعْدٍ بن السمعاني بالإجازة.

---

(١) ترجمته في: سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٧١؛ والمنتخب من السياق ص ٣٤٣؛ وطبقات السبكي ٧/ ١٤٤؛ والجواهر المضيَّة ٢/ ٢٨.

(٢) ذكره الذهبـي في السير ١٨/ ٣٤٠؛ والسبكي في طبقات الشافعية ٥/ ٢٤١.

(٣) ترجمته في: الأنساب ٣/ ٣٢ و ٨٧؛ وطبقات السبكي ٦/ ١٠٨؛ ووفيات الأعيان ٣/ ٣٥٩.

(٤) انظر: تاريخ قزوين ١/ ٢٣٦.

٤ ــ **أبو القاسم الهذليّ**[١]، **واسمه يوسف بن علي**: شيخ الإقراء، الرَّحالة في هذا الفنِّ، توفي سنة ٤٦٥هـ. روىٰ القراءة عن الواحديِّ[٢].

٥ ــ **الحسين بن محمد بن الحسين الفرغاني السمناني**: سمع كتاب «الوسيط» علىٰ الواحديِّ، كما جاء في نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٧٢ تفسير.

٦ ــ **أبو الفضل الميداني**: صاحب «مجمع الأمثال»[٣]، واسمه أحمد بن محمد، وتوفي سنة ٥١٨هـ. وروىٰ عنه «تفسير الوسيط» كما ذكره الرافعي في «تاريخ قزوين» ١/ ٣٣٩. قال الصفدي: اختصَّ بصحبة أبي الحسن الواحدي صاحب التفسير.

٧ ــ **عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي**: صاحب «السياق في تاريخ نيسابور»، فإنَّه قال: وأجاز لي جميع مسموعاته[٤] ومصنفاته. وتوفي سنة ٥٢٩هـ.

٨ ــ **علي بن سهل بن العباس، أبو الحسن النيسابوري المفسر**[٥]: جمع كتاباً في التفسير اسمه: «زاد الحاضر والبادي»، وسمع عليه الحفصي، وأبو الفتح الطوسي، وقال الفارسي: كان من تلامذة الواحديّ. توفي سنة ٤٩١هـ.

٩ ــ **أبو إسحاق المروروذي**[٦]: الإمام الشهيد، واسمه إبراهيم بن أحمد، قرأ «الوسيط» على الواحدي، وقتل في فتنة خوارزم شاة سنة ٥٣٦هـ.

١٠ ــ **محمد بن الفضل الفُراوي**[٧]: شيخ الحرم، قرأ «الوجيز» على الواحديّ، كما هو مذكور في نسخة عارف حكمت، وتوفي سنة ٥٣٠هـ؛ وقرأ على إمام الحرمين وكثير من العلماء، وقيل في حقه: للفُراوي ألفُ راوي.

---

(١) ترجمته في: غاية النهاية ٢/ ٣٩٧؛ والمنتخب ص ٤٩٠.

(٢) انظر: غاية النهاية ١/ ٥٢٣.

(٣) ترجمته في: معجم الأدباء ٥/ ٤٥؛ وبغية الوعاة ١/ ٣٥٦؛ ووفيات الأعيان ١/ ١٣٠؛ والوافي ٧/ ٣٢٦.

(٤) انظر: المنتخب من السياق ص ٣٨٧؛ ومعجم الأدباء ١٢/ ٢٦٠.

(٥) ترجمته في: طبقات الشافعية ٥/ ٢٥٨؛ والسياق ص ٣٩٤.

(٦) ترجمته في: الأنساب ٣/ ٤٧٩؛ وطبقات الشافعية الكبرىٰ ٧/ ٣١.

(٧) ترجمته في: طبقات الشافعية ٦/ ١٦٦؛ وتبيين كذب المفتري ص ٣٢٢؛ وطبقات الشافعية للأسنوي ٢/ ١٣٣.

١١ ــ أبو سعد المؤذن، واسمه إسماعيل بن أحمد بن عبد الملك[١]: قرأ «الوجيز» على الواحديّ وقرَّأه هو سنة ٥٣٢هـ، وهي السنة التي توفي فيها. كما جاء على نسخة الوجيز مخطوطة كوبريلي المكتوبة سنة ٥٧٣هـ.

١٢ ــ أبو العباس الأرغياني عمر بن عبد الله[٢]: أخو أبو نصر المتقدِّم، وهو أكبر منه ببضع عشرة سنة، سمع منه أبو سعد بن السمعاني كتاب «أسباب النزول» وغيره، توفي سنة ٥٣٤هـ.

١٣ ــ محمد بن أحمد أبو الفضل الماهياني[٣]: قرأ على إمام الحرمين والواحدي وأبـي سعد المتولي، وتوفي سنة ٥٢٥هـ.

● ● ●

---

(١) المنتخب ص ١٥٢؛ وفهارس مخطوطات كوبريلي ١/ ٨٩.

(٢) الأنساب ٣/ ٣٢؛ ومعجم البلدان ٣/ ٢٠.

(٣) طبقات الشافعية، للسبكي ٦/ ٦٩.

مَذْهَبُهُ الفِقْهِيُّ

كان الواحديُّ من المتفقهين في المذهب الشَّافعيِّ، فقد ذُكر في فقهاء الشافعية في عدد كبيرٍ من كتب الطبقات، كطبقات ابن السبكيِّ، والأسنوي وغيرها، ونقل ابن قاضي شهبة في «طبقات الشافعية» ١/ ٢٥٧ أنَّ النَّوويّ نقل عنه في «الروضة» من كتاب السير في الكلام علىٰ السلام.

قلتُ: والنقل المذكور هو ما يلي:

قال المتولي: عليكم السَّلام ليس بتسليم.

قلتُ = القائل النووي: الصحيحُ أنّهُ تسليمٌ يجبُ منه الرَّدُّ، كما قال الإمام، وممَّنْ قال أيضاً: إنَّه تسليمٌ أبو الحسن الواحديّ من أصحابنا، لكن يُكره الابتداء به[1].

ـ وذكره في موضعٍ آخر فقال:

وأمَّا المشتغل بقراءة القرآن فقال أبو الحسن الواحديّ المُفسِّر من أصحابنا: الأولىٰ ترك السَّلام عليه. قال: فإن سلَّم كفاه الرَّدُّ بالإشارة، وفيما قاله نظرٌ، والظاهر أنَّه يُسلَّم عليه، ويجب الردُّ عليه باللفظ[2].

هذا مما يؤكد أنَّه شافعيُّ المذهب، رحمه الله، وأكرم مثواه.

• • •

---

(١) الروضة ١٠/ ٢٢٧.

(٢) الروضة ١٠/ ٢٣٢.

ثَنَاءُ الأَئِمَّةِ عَلَيْهِ، وَمَكَانَتُهُ

لقي الواحديُّ ثناءاً عطراً، وذكراً حسناً من العلماء، فقد وصفوه بالعلم والتقدُّم والمكانة، فها هو ابن السُّبكي يقول[1]:

كان الأستاذ أبو الحسن واحد عصره في التفسير.

وهذا ابن قاضي شهبة يقول عنه[2]:

كان فقيهاً، إماماً في النحو واللغة وغيرهما، شاعراً. أمَّا التفسير فهو إمام عصره فيه.

وهذا الذَّهبـيُّ يصفه قائلاً[3]:

الإمام العلاَّمة، الأستاذ أبو الحسن، صاحب التفسير، وإمام علماء التأويل، كان طويل الباع في العربية، واللُّغات.

وهذا صاحب «المنتخب من السياق» يقول عنه[4]:

الإمام، المُصنِّف، المفسر، النحوي، أستاذ عصره، أدرك الإسناد العالي.

وهذا السيوطي يقول عنه[5]:

كان واحد عصره في التفسير، ودأب في العلوم.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ ٥/ ٢٤٠.

(٢) طبقات الشافعية ١/ ٢٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠.

(٤) المنتخب ص ٣٨٧.

(٥) طبقات المفسرين ص ٦٦.

وهذا القفطي يقول[1]:

الإمام، المُصنِّف، المفسِّر، النحوي، أستاذ عصره، وسار الناس إلى علمه، واستفادوا من فوائده، وصنَّف التفسير الكبير، وسماه «البسيط»، وأكثر فيه من الإعراب والشواهد واللغة، ومَنْ رآه علم مقدار ما عنده من علم العربية.

وقال عنه الباخرزي[2]:

مشتغلٌ بما يعنيه، خَبطَ ما عندَ أئمة الأدب، من أصول كلام العرب، خَبْطَ عصا الراعي فُرُوْعَ الغَرب، وألقىٰ الدلاء في بحارهم حتىٰ نزفها، ومدَّ البنان إلىٰ ثمارهم إلىٰ أن قطفها، وله في علم القرآن، وشرح غوامض الأشعار تصنيفات، بيده لأَعِنَّتِها تصريفات.

ومن رفيع مكانته أنَّ الوزير نِظام الملك صاحب المدرسة النظامية كان يكرمه ويُعظِّمه.

وقال عبد الغافر الفارسي[3]: فأمَّا أبو الحسن فهو الإمام المصنِّف، المفسِّر النحوي، أستاذ عصره، وواحد دهره، أنفق صباه وأيام شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاف على أعلام الأمَّة، وسافر في طلب الفوائد، وقعد للإفادة والتدريس سنين.

ثم قال: وعاش سنين ملحوظاً من النِّظَام وأخيه بعين الإعزاز والإكرام.

وبعد هذا لنسمع كلام الواحديِّ في وصف نفسه حيث قال في مقدمة تفسيره «البسيط»: وأظنني لم آلُ جهداً في إحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمننا هذا، وتَسَعُه سنو عمري علىٰ قلَّة أعدادها، فقد وفَّق الله وله الحمد، حتىٰ اقتبستُ كلَّ ما احتجتُ إليه في هذا الباب من مَظَانِّه، وأخذته من معادنه.

• • •

---

(١) إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣.

(٢) دمية القصر ٢/ ٢٥٥.

(٣) معجم الأدباء ١٢/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

الانتقادات التي وجهت إليه

يبقىٰ الإنسانُ مهما وصل في العلم والعمل إنساناً، لا يرقىٰ إلى درجة الكمال، وكما قال الإمام مالك رحمه الله: ما منا من أحدٍ إلَّا رَدَّ، أو رُدَّ عليه إلَّا صاحب هذا القبر، وأشار إلى النبيِّ ﷺ.

والذي أُخذ على الواحديِّ أنَّه أطلق لسانه في العلماء السابقين، فقد ذكر أبو سعدٍ ابن السمعاني في كتاب «التذكرة»[1]: كان الواحديُّ حقيقاً بكلِّ احترامٍ وإعظام، لكن كان فيه بسط اللسان في الأئمة المتقدِّمين، حتىٰ سمعت أبا بكر أحمد بن محمد بن بشار بنيسابور مذاكرةً يقول:

كان عليُّ بن أحمد الواحديّ يقول: صنَّف أبو عبد الرحمن السلمي كتاب «حقائق التفسير» ولو قال: إنَّ ذلك تفسيرٌ للقرآن لكفر به. اهـ.

قلتُ: ولم أجد ــ فيما اطَّلعت عليه من المصادر ــ بسط الكلام في المتقدِّمين سوىٰ أبـي عبد الرحمن السلمي، وليس من المتقدمين فقد توفي سنة **٤١٢هـ**، فهو قريبٌ عصره من الواحديِّ، ولعلَّ ابن السمعانيِّ أراد السُّلميَّ فقط.

وأمَّا كتابه «حقائق التفسير» فقد قال عنه الذهبـي بعد أن وصفه بالجلالة[2]:

ليته لم يُصنِّفه؛ فإنَّه تحريفٌ وقرمطة، فدونك الكتاب فسترىٰ العجب.

وقال السبكيُّ: لا ينبغي له أن يصف بالجلالة مَنْ يدَّعي فيه التحريف والقرمطة، وكتاب «حقائق التفسير» المشار إليه قد كَثُر الكلام فيه، من قِبَلِ أنَّه اقتصر فيه علىٰ ذكرِ تأويلات ومحالَّ للصوفية ينبو عنها ظاهر اللفظ.

---

(١) طبقات الشافعية الكبرىٰ ٥/ ٢٤١.

(٢) طبقات الشافعية الكبرىٰ ٤/ ١٤٧.

ـ وقال السيوطي[1]: وإنما أوردته ـ أيْ: أبا عبد الرحمن السلمي ـ في هذا القسم؛ لأنَّ تفسيره غير محمود.

وقال ابن تيمية: وقد ذكر أبو عبد الرحمن في «حقائق التفسير» عن جعفر بن محمد وأمثاله من الأقوال المأثورة ما يعلمُ أهل المعرفةِ أنَّه كذبٌ على جعفر بن محمد، فإنَّ جعفراً كُذِبَ عليه ما لم يُكذَب على أحد؛ لأنَّه كان فيه من العلم والدين ما ميَّزه الله به[2].

وقال عنه أيضاً:

وكان الشيخ أبو عبد الرحمن رحمه الله فيه من الخير والزُّهد والدِّين والتَّصوف ما يحمله علىٰ أن يجمع من كلام الشيوخ، والآثار التي توافق مقصوده كلَّ ما يجده، فلهذا يوجد في كتبه من الآثار الصحيحة، والكلام المنقول ما يُنتفع به في الدِّين، ويوجد فيها من الآثار السقيمة، والكلام المردود ما يضرُّ مَنْ لا خبرة له[3].

ثم قال الذهبي[4] معقِّباً على كلام السمعاني:

الواحديُّ معذورٌ مأجورٌ.

وقال ابن تيمية[5]: وتفسير الثعلبي، وتفاسير الواحدي: البسيط والوسيط والوجيز فيها فوائد جليلة، وفيها غثٌّ كثيرٌ من المنقولات الباطلة وغيرها.

وقال الكتاني[6]: ولم يكن له ـ أي: للواحديِّ ـ ولا لشيخه الثعلبيّ كبيرُ بضاعة في الحديث؛ بل في تفسيرهما ـ وخصوصاً الثعلبيّ ـ أحاديث موضوعة وقصص باطلة.

وقال ابن تيمية[7]: وأمَّا ما ينقله من تفسير الثعلبي، فقد أجمع أهل العلم بالحديث أنَّ الثعلبيَّ روىٰ طائفة من الأحاديث الموضوعات، كالحديث الذي يرويه

---

(١) طبقات المفسرين ص ٨٥.

(٢) انظر: فتاوىٰ ابن تيمية ١١/ ٥٨١.

(٣) الفتاوىٰ ٨/ ٥٧٨.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٢.

(٥) مقدمة في أصول التفسير ص ٧٦.

(٦) الرسالة المستطرفة ص ٥٩.

(٧) منهاج السنة ٤/ ٤.

في أول كلِّ سورة عن أبـي أمامة في فضل السورة، وكأمثال ذلك، ولهذا يقولون: هو كحـاطـب ليـلٍ، وهكـذا الـواحـديُّ تلميـذه وأمثـالهمـا مـن المفسريـن ينقلـون الصحيح والضعيف، ولهذا لما كان البَغَوِيُّ عالماً بالحديث أعلم به من الثعلبـيِّ والواحديِّ، وكـان تفسيره مختصـرَ تفسيرِ الثعلبـيِّ لـم يـذكـر فـي تفسيـره شيئـاً مـن هـذه الأحـاديث الموضوعة التي يرويها الثعلبـيّ، ولا ذكر تفاسير أهل البدع التي ذكرها الثعلبـي، مع أنَّ الثعلبـيَّ فيه خيرٌ ودين، لكنه لا خبرة له بالصحيح والسقيم من الأحاديث.

• • •

شِعْــرُهُ

كان الواحديُّ من أهل اللُّغة والأدب، ذا شاعريةٍ حسنةٍ، وقد وصلنا القليل من شعره، فمن ذلك ما ذكره ياقوت[1] نقلاً عن عبد الغافر الفارسي حيث قال: ومن غُرَر شعره:

أيـا قـادمـاً مـن طـوسَ أهـلاً ومـرحبـا ... بقيــتَ علـىٰ الأيـامِ مـا هبَّـتِ الصَّبـا

لعمــري لئــن أحيـا قـدومـك مُـدْنَفـا ... بحبِّــك صبّـاً فــي هــواكَ معــذَّبـا

يظــلُّ أسيــر الــوجـدِ نَهْــبَ صبـابـةٍ ... ويمســي علــى جمــر الغضـا مُتقلِّبـا

فكــم زفـرةٍ قـد هجتَهـا، لـو زفـرتُهـا ... علـى سـدّ ذي القـرنيـن أمسىٰ مـذوَّبـا

وكــم لــوعـةٍ قـاسيـتُ يـوم تـركتنـي ... أُلاحــظُ منــك البــدر حيــن تغيَّبـا

وعــاد النَّهــارُ الطَّلــقُ أسـودَ مظلمـا ... وعــاد سنــا الإصبــاحِ بعــدك غيهبـا

وأصبــحَ حســنُ الظــنّ عنـي ظـاعنـا ... وحــدَّد نحــوي البيــن نـابـاً وَمِخْلَبـا

فـأقسـمُ لـو أبصـرتَ طـرفـي بـاكيـاً ... لشــاهــدتَ دمعـاً بـالــدمـاءِ مُخضَّبـا

مسـالـكُ لهـوٍ سـدَّهـا الـوجـدُ والجوىٰ ... وروضُ ســرورٍ عــاد بعــدك مُجْــدِبـا

فـداؤك روحــي يـا ابـنَ أكـرم والـدٍ ... ويـا مَـنْ فـؤادي غيـر حُبِّيْـه قـد أبـىٰ

ــ وأنشد له أيضاً:

تشــوَّهــتِ الــدُّنيـا وأبــدت عــوارهـا ... وضاقت عليَّ الأرضُ بالرحب والسَّعَهْ

---

(١) معجم الأدباء ١٢/ ٢٦٠.

وأَظلَمَ في عيني ضياءُ نهارها لتوديع مَنْ قد بانَ عني بأربعه
فؤادي وعيشي والمسرَّةِ والكرىٰ فإنْ عاد عادَ الكلُّ والأنسُ والدَّعه

وأورد صاحب دمية القصر[1] شيئاً من شعره، ومن ذلك أنَّ عبد الكريم الجيلي سأله أبياتاً يصف فيها خطَّه، فقال مُجيباً له:

لعبد الكريم خطوطٌ أنيقه يجيز لهنَّ بحذق ونيقهْ
يطرِّز بالخط قرطاسه كما طرَّز السُّحبَ لمع العقيقهْ
سطوراً إذا ما تأمَّلتها تخيَّلت منها غصوناً وريقهْ
وغارسها مرهف ناحلٌ يَمُجُّ عليها بسنِّيه ريقهْ

قلتُ: وعبد الكريم الجيلي المذكور، كان خطَّاطاً مشهوراً، متفرِّداً بحسن الخطِّ، سمع ببغداد ونيسابور، وتوفي سنة ٤٨٦هـ[2].

• • •

---

(١) الدمية ٢/٢٥٦.
(٢) ترجمته في: المنتخب من السياق ص ٣٣٦.

وَفَاتُهُ

مضىٰ قطار العمر سريعاً، وذهبت نضارة الشباب، فإذا بإمامنا الواحديِّ قد غدا شيخاً كبيراً، ضَعُفت حركته، وأصابه مرضٌ لازمه طويلاً بنيسابور، بعدها آن للرُّوح أن تعرج إلىٰ باريها، مشتاقةً لجنَّة ربِّها، فخرجت روحه الطاهرة، وفارقت الجسد الضعيف، بعد حياةٍ عامرةٍ بالإيمان والقرآن، لتلقىٰ أجر ما عملته في هذه الدنيا من خير، وما علَّمته الناس من علم.

وكانت وفاته في شهر جمادىٰ الآخرة سنة ثمانٍ وستين وأربعمائة، رحمه الله، آنسه الله، عوَّضه الله الجنَّة.

وفيه يقول القائل[1]:

قد جُمع العالمُ في واحدِ ... عالمنا المعروفِ بالواحديْ

ـ قال الذهبي: قد شاخ، وقال ابن العماد: توفي وكان من أبناء السبعين.

وقال ابن خلكان[2] ونقله عنه الأسنوي في طبقات الشافعية ٢/ ٣٠٤، ومات بنيسابور بعد مرضٍ طويلٍ في جمادىٰ الآخرة سنة ثمان وستين وأربعمائة.

• • •

(١) معجم الأدباء ١٢/ ٢٦٠.

(٢) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٤.

مُؤَلَّفَاتُهُ

تركَ الواحديُّ تراثاً ضخماً من المُؤلَّفات، وهذا التُّراث ما هو إلاَّ دليلٌ حيٌّ ينطق بفضل صاحبه، ويدلُّ علىٰ مكانته العلمية، ورحم اللَّهُ القائل:

تلك آثارنا تدلُّ علينا فانظروا بعدنا إلىٰ الآثار

ومؤلَّفاته كانت في فنون متعدّدة، والغالب منها كان في علوم القرآن والتفسير، ونذكر منها ما وصل إلينا عِلْمُه، ثمَّ نُتبع ذلك ببيان حال كلِّ كتاب، أهو مطبوعٌ أَمْ مخطوطٌ أم مفقود، فنقول: هي:

١ ــ **أسباب النزول**، وهو من مشاهير كتبه، وعمدة هذا الفنِّ.

وقد طُبع هذا الكتاب عدَّة طبعاتٍ سقيمةٍ باستثناء الطبعة التي هي بتحقيق السيد أحمد صقر ــ طبع دار القبلة للثقافة الإِسلامية ــ جدة، ومع ذلك ففيها بعض التصحيفات القليلة، وتوجد من الكتاب نسخة خطيّة نفيسة في مكتبة جستربيتي، تاريخ نسخها سنة ٤٨٣هـ، ومنها صورة في جامعة الإِمام محمد بن سعود[١] في الرياض، ولم يطَّلع المحقق عليها.

٢ ــ **الوجيز في التفسير**، وسنعقد له فصلاً مستقلاً.

٣ ــ **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، طبع منه الجزء الأوّل في القاهرة، ويشمل تفسير سورتي الفاتحة والبقرة فقط، بتحقيق محمد حسن أبو العزم الزفيني ــ بالمجلس الأعلىٰ للشؤون الإِسلامية، ويحتمل الجزء الصادر منه جهداً أكثر ممَّا بذله

---

(١) فهارس التفسير وعلوم القرآن في جامعة الإِمام ٢/١٦.

المحقق. ومخطوطاته في المكتبة المحمودية في المدينة المنورة، والظاهرية في دمشق.

٤ ــ **البسيط في التفسير**، وهو تفسيره الكبير، ومخطوطاته موزَّعة الأجزاء في مكتبات العالم فيوجد منه الجزء الخامس في مكتبة الجامع الكبير ــ في صنعاء ــ، ويبدأ من تفسير سورة براءة، ويقع في ٢١٩ ورقة، مقاس ٢٦ × ١٨، وخطه نسخ قديم.

وقسم منه في مكتبة باتنه في الهند، ومكتبة كايتاني في روما[١].

ــ وقسم آخر في ٦٥ ورقة مصورة في مكتبة الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة برقم ٤٨٢٣.

ــ ويوجد في دار الكتب المصرية ست مجلدات ضخمة برقم ٥٣ تفسير، وتحتوي على أكثر التفسير، وينقص منها تفسير النصف الثاني من سورة النساء إلىٰ آخر التوبة.

ونقل منه تقي الدين السبكي في فتاواه ١/ ٢٢ و ٧١.

ــ وقد ألَّف أبو الفضائل أحمد بن عبد اللطيف التبريزي كتاباً سمَّاه «مجمع الألطاف في الجمع بين لطائف البسيط والكشاف»[٢] فجمع فيه من بسيط الواحدي، وكشاف الزمخشري.

٥ ــ **معاني التفسير**:

ذكره الواحديُّ في مقدمة الوسيط ١/ ٦ من المطبوعة، والورقة ٢ من مخطوطة المحمودية ــ في المدينة المنورة.

ــ ويوجد منه الجزء الثاني في مكتبة إسكيليب في تركيا، برقم ١٠٣٠، ويبتدىء من قوله تعالىٰ في سورة البقرة: ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت﴾ وينتهي بآخر السورة.

---

(١) الواحدي ومنهجه في التفسير ص ٨٧.

(٢) كشف الظنون ٢/ ١٥٩٧.

ويقع في ٢٢٦ ورقة، وتاريخ نسخه سنة ٦١٧هـ.

انظر: نوادر المخطوطات العربية في تركيا ٣/ ٢٧.

٦ ــ مسند التفسير:

ذكره الواحديُّ في مقدمة الوسيط ١/ ٦ من المطبوعة، والورقة ٢ من المحمودية، وهو من المفقودات.

٧ ــ مختصر التفسير:

والظاهر أنَّه مختصر التفسير الذي قبله، ذكره المؤلف في الوسيط ١/ ٦، وهو من المفقودات. وهذه الكتب الثلاثة السابقة ألَّفها الواحديُّ قبل كتاب «الوسيط» كما ذكره في مقدمة الوسيط.

٨ ــ نفي التحريف عن القرآن الشريف:

ذكره صاحب معجم الأدباء ١٢/ ٢٥٩؛ وطبقات ابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٧؛ وشذرات الذهب ٣/ ٣٣٠؛ وطبقات الشافعية الكبرىٰ ٥/ ٢٤١؛ وسير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤١؛ وطبقات المفسرين ١/ ٣٩٥، وهو مفقود.

٩ ــ فضائل القرآن:

ذكره صاحب كشف الظنون ٢/ ١٢٧٧، وهو كتابٌ مختصر، اختصره شمس الدين محمد بن طولون فاختار منه أربعين حديثاً.

ولم نعثر على هذا الكتاب، ولعلَّه يوجد في زوايا إحدىٰ المكتبات؛ لأنَّ ابن طولون أخذ منه، وهو متأخرٌ، وكانت وفاته سنة ٩٥٣هـ.

١٠ ــ مقاتل القرآن:

ذكره الواحديُّ في أسباب النزول ص ٢١، ونقل منه ابن رجب الحنبلي في كتابه لطائف المعارف ص ٣٥٨، وهو مفقود.

١١ ــ رسالة في البسملة:

ومنها نسخة خطية في مكتبة الخالدية في القدس.

انظر: فهرس مخطوطات علوم القرآن الشاملة ــ طبع مؤسسة آل البيت ــ عمَّان ص ٢٠٧.

١٢ ــ حاشية على شرح البسملة، للواحديّ للمؤلف نفسه:
ومنها نسخة خطية في مكتبة الخالدية في القدس.

١٣ ــ جامع البيان في تفسير القرآن:
ومنه نسخة خطية في مكتبة محمد مراد (مراد ملا) بإستانبول.

انظر: فهارس مخطوطات علوم القرآن ص ٢٠٧.

١٤ ــ الحاوي في تفسير القرآن، أو الحاوي لجميع المعاني:
ومنه نسخة خطية في المكتبة الآصفية في الهند ــ وخزانة قاسم الرجب ــ بغداد فيها الجزء الثاني.

فهارس مخطوطات علوم القرآن ص ٢٠٦.

وذكره في كشف الظنون ١/ ٦٢٩ وقال: وهو اسم البسيط والوسيط والوجيز للواحدي.

والحقُّ أنَّه ليس كذلك، فقد جاء في فهرس علوم القرآن بالظاهرية: الوسيط: وهو تفسير القرآن المعروف بالتفسير الوسيط للواحدي، وهو وسط بين كتابيه «البسيط» و «الوجيز» في التفسير أيضاً، وجمعهما كتابه «الحاوي لجميع المعاني في التفسير» فهو كتابٌ آخر جمع فيه معلومات كتبه.

١٥ ــ التحبير في شرح الأسماء الحسنى:
ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤٠؛ والسبكي في طبقات الشافعية، وصاحب كشف الظنون ١/ ٣٥٥؛ والداوودي في طبقات المفسرين ٢/ ٣٩٥.

وهو مفقود.

١٦ ــ كتاب الدعوات:
ذُكر في سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٤١؛ وطبقات الشافعية ٥/ ٢٤١؛ والشذرات ٣/ ٣٣٠؛ وكشف الظنون ٢/ ١٤١٧.

وهو مفقود.

١٧ ــ **كتاب تفسير أسماء النبيّ ﷺ:**

ذُكر في كشف الظنون ٢/ ١٤٦٠؛ ومعجم الأدباء ١٢/ ٢٥٩؛ وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ١/ ٢٥٧؛ وسمَّاه الذهبي وابن السبكي: كتاب تفسير النبيّ ﷺ.

وهو مفقود.

١٨ ــ **شرح ديوان المتنبي:**

انتهىٰ من تأليفه سنة ٤٦٢هـ كما جاء في نسخة مكتبة الأوقاف العامة في الموصل[١].

وهو كتاب كثير الفوائد، طبع ببرلين سنة ١٨٥٨.

١٩ ــ **الإغراب في علم الإعراب:**

ذكره الذهبي في السير ١٨/ ٣٤١؛ والسبكي في طبقاته ٥/ ٢٤١؛ وابن العماد في شذرات الذهب ٣/ ٣٣٠؛ وياقوت في معجم الأدباء ١٢/ ٢٥٩.

وقد نقل منه أبو حيَّان الأندلسي في كتابه «ارتشاف الضَّرَب» ٢/ ٤٣.

ولم نعثر علىٰ هذا الكتاب.

٢٠ ــ **شرح قصيدة بانت سعاد:**

ذكرها محقق كتاب الوسيط في الأمثال ص ١٤، وقال: منها نسخة في مكتبة جستربيتي بإيرلندا، كتبت في القرن التاسع الهجري.

٢١ ــ **كتاب المغازي:**

ويسمَّىٰ «طراز المغازي» كما ذكره السمعاني في الأنساب ٣/ ٤٧٩؛ والذهبي في السير ١٨/ ٣٤١؛ والسبكي في طبقاته ٤/ ٢٤١؛ وصاحب كشف الظنون ٢/ ١٤٦٠.

ــ وتوجد منه نسخةٌ خطيَّةٌ في مكتبة شكيم أوغلي ــ بتركيا ــ رقم ٨٠٤ تقع في ٣٥١ ورقة، كتبت في القرن الثالث عشر الهجري.

انظر: نوادر المخطوطات في تركيا ٣/ ٧٥.

---

(١) فهارس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل ١/ ١٢٤.

٢٢ ـ المحصـول:

ذكره ياقوت في معجم الأدباء ١٢/ ٢٥٩، وهو مفقود.

٢٣ ـ الناسخ والمنسوخ:

نقل منه الزركشي في البرهان ٢/ ٤١.

٢٤ ـ رسالة في شرف علم التفسير:

ومنها نسخة خطية بدار الكتب المصرية رقم **٢٢٠** مجاميع.

فهذا ما وصل إلينا خبره من مؤلفات الواحدي، رحمه الله، وأجزل مثوبته.

● ● ●

كُتُبٌ نُسِبَتْ إِلَيْهِ خَطَأً

نَسب الدكتور عفيف محمد عبد الرحمن كتاباً اسمه «الوسيط في الأمثال» لإمامنا الواحديّ، ومستنده في ذلك ما جاء على صفحة الكتاب «كتاب الوسيط في الأمثال للواحدي» ولم يستطع المحقق أن يقدِّم أيَّ دليلٍ يثبت هذه النسبة، على أنَّه اعترف أنه عاش في دوامة من الشكِّ بالنسبة لصحة نسبته إلى الواحدي.

والذي نقوله: إنَّ هذا الكتاب ليس للواحديِّ؛ بل إنَّ مؤلّفه متأخرٌ في الزمن عن الواحدي، ويؤيِّد هذا كلامه على المَثَل: أحسنُ مَنْ دبَّ ودَرَج. في صفحة **٣٤ ــ ٣٥** حيث يستشهد ببيتٍ للأخطل، ثم يقول المؤلف: هكذا رواه الشيخ الخطيب أبو زكريا يحيىٰ بن علي التبريزي، وقرأتُ ديوانه على الفصيحي في سنة إحدىٰ وتسعين.

ومعلومٌ أنَّ الخطيب التبريزي توفي سنة **٥٠٢هـ**، والواحديُّ توفي سنة **٤٦٨هـ** فكيف ينقل عمَّن بعده، والأعجب من ذلك أنَّ المؤلف قرأ ديوان الأخطل على الفصيحي، والفصيحي لقبٌ لعلي بن محمد، أحد أعلام اللغة والنحو، ولُقِّب الفصيحي لكثرة اهتمامه واشتغاله بكتاب «الفصيح» لثعلب، وكانت قراءته سنة **٤٩١هـ** أَي: إنَّ الواحديَّ على قول المحقق قرأ ديوان الأخطل وهو متوفىٰ، بل قرأه بعد وفاته بـ **٢٣** سنة!؟ علماً بأنَّ الفصيحي توفي سنة **٥١٦هـ**، أَيْ: بعد وفاة تلميذه المُفترض بـ **٤٨** عاماً.

فهذا يُبطل نسبة كتاب «الوسيط في الأمثال» للواحدي، وبه يبطل نسبة جميع ما ذُكر من الكتب في كتاب الوسيط في الأمثال لمؤلفنا، وهي:

ــ **البسيط في الأمثال**: ذكره في الوسيط في الأمثال ص **٣١ ــ ٤١**.

ـ **الوجيز في الأمثال**: ذكره في الوسيط ص ٣١ ـ ٩٤.

ـ **المنيح في شرح كتاب الفصيح**: ذكره في الوسيط ص ٤١ ـ ٤٨.

ـ **نزهة الأنفس**: ذكره في الوسيط ص ٤٢ ـ ٦٤.

ـ **إيضاح الناسخ والمنسوخ في القرآن**: ذكره في الوسيط ص ٧٧.

ـ **شرح مقصورة ابن دريد**: ذكره في الوسيط ص ١٢ ـ ٢٠٣.

ـ **الإيضاح والبيان لأسباب نزول آي القرآن**: ذكره في الوسيط ص ٦٩.

كما يبعد نسبة بعض هذه الكتب للواحديّ أن يكون له أسماء مشتركة لكتب مختلفة الموضوع ممَّا يؤدي إلى اللبس.

• • •

انتشار مؤلَّفاته وقراءتها

وقد لاقت مصنفاته قبولاً عند العلماء وانتشاراً، فعكفوا على قراءتها وتدريسها ولا سيما تفاسيره الثلاثة؛ الوجيز والوسيط والبسيط، ونذكر هٰهنا بعض العلماء الذين قرؤوا هذه الكتب:

١ ــ كتاب الوسيط:

ــ قال الرافعي في تاريخ قزوين ١/ ٢٥٦ في ترجمة محمد بن الحسن الأرغندي: سمع الوسيط في التفسير للواحدي من عبد الجبار بن محمد البيهقي سنة ٥٢٨هـ بسماعه من المصنف.

ــ وفيه أيضاً ١/ ٢٨١ في ترجمة محمد بن خليفة، أبي بكر الصائغي القزويني الفقيه:

سمع الوسيط في التفسير للواحدي عن عبد الجبار البيهقي عن المصنف.

ــ وفيه أيضاً ١/ ٣٣٩ في ترجمة محمد بن الحسن، أبي المحاسن القشيري قال:

سمع الوسيط في التفسير لأبي الحسن الواحدي، بروايته عن أبي الفضل الميداني عنه.

ــ وفيه أيضاً ١/ ١٤٠ في ترجمة محمد بن إبراهيم المقرىء الخياط قال:

سمع الوسيط لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي أو بعضه من القاضي عطاء الله بن علي مع جماعة كثيفة في الجامع بقزوين سنة ٥٦٨هـ.

ــ وفي سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٢/ ١٠٥ في ترجمة رضي الدين الطوسي مُسند خراسان قال:

سمع أكثر الوسيط للواحدي من عبد الجبار الخُواري.

ـ وفي وفيات الأعيان ٧/ ٨٤ في ترجمة قاضي القضاة بهاء الدين بن شدَّاد يقول عن نفسه:

ومن شيوخي سراج الدين الجياني، قرأتُ عليه صحيح مسلم كله، و «الوسيط» للواحدي سنة تسع وخمسين بالموصل.

ـ ومن العجب علينا لا علىٰ العلماء الأقدمين أنَّ بعضهم كان يحفظ كتاب الوسيط للواحدي على كبر حجمه.

فقد ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٠/ ٤٧٨، وكذا ابن السبكي في طبقات الشافعية الكبرىٰ ٧/ ١٧٥ في ترجمة أبي النجيب السهروردي أنه قال: وحفظتُ وسيط الواحدي في التفسير، وسمعتُ كتب الحديث المشهورة.

ـ وفي كتاب الأنساب للسمعاني ٣/ ٤٧٩ في ترجمة أبي إسحاق المرورذي، قال:

سمع بحضرته كتاب الوسيط للواحدي حمزةُ بن إبراهيم الخداباذي البخاري في مدرسة التميمية بمرو سلخ جمادىٰ الآخرة سنة ٥٢١هـ، وأيضاً سمع كتاب «طراز المغازي» عن الواحدي.

ـ وفي تاريخ قزوين للرافعي ١/ ٣٤٦ في ترجمة عبد الصمد بن عبد الله العراقي، قال:

سمع منه ـ أي: من والد الرافعي ـ الوسيط في التفسير لأبي الحسن الواحدي بروايته عن أبي الفضل الميداني عنه.

ـ وفي الأنساب ٥/ ١٨٣ في ترجمة أبي الفضل محمد بن أحمد الماهياني قال: سمع الحديث من أبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، وسمعت منه جميع التفسير المعروف بـ «الوسيط» للواحدي.

ـ وفي طبقات الشافعية الكبرىٰ ٦/ ٤٩ في ترجمة أحمد بن محمد السري الدوري قال: ذكره ابن باطيش في الفيصل وقال: سمعتُ بقراءته على ابن سكينة «تفسير الواحدي» و «غريب الحديث» لابن قتيبة.

ـ وفي نسخة الوسيط الخطية الموجودة في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد إجازة لفخر الدين أحمد بن الحسن الجاربردي الشافعي المتوفىٰ سنة ٧٤٦هـ أجاز بها نجم الملَّة والدين ضياء الإسلام سعيد بن الشيخ الزاهد صفي الدين عبد المؤمن بن سعد الدين بن مسعود الأخلاطي في قراءته «التفسير الوسيط» وغيره من الكتب[١].

٢ ـ كتاب البسيط في التفسير:

ـ ذكر ابن المستوفي في تاريخ إربل ٤٥٦/١ في ترجمة أبي القاسم الأنصاري الأندلسي: أخذ في قراءة كتاب «البسيط» للواحدي علىٰ أبي الخير بدلِ بن أبي المعمر.

٣ ـ أسباب النزول:

ـ ذكر الرافعي في تاريخ قزوين ٢٣٦/١ في ترجمة محمد بن بجير الصوفي القصبري قال:

سمع أكثر «أسباب النزول» للواحدي سنة إحدىٰ وسبعين وخمسمائة، من عطاء الله بن علي، بروايته عن أبي نصر الأرغياني عن المصنِّف.

ـ وفيه أيضاً ١/ ٢٧٤ في ترجمة محمد بن حمزة قال:
سمع عطاء الله بن علي سنة إحدىٰ وسبعين وخمسمائة بقزوين «أسباب النزول» لعليٍّ الواحدي بسماعه عن أبي نصر الأرغياني عنه.

وفيه أيضاً ٢/ ٣١ في ترجمة محمد بن المهلب الهمداني قال:

سمع «أسباب النزول» لعليّ بن أحمد الواحدي من القاضي عطاء الله بن علي سنة إحدىٰ وسبعين وخمسمائة.

٤ ـ الوجيز:

ذكر الرافعي في تاريخ قزوين ٢/ ٣١ في ترجمة محمد بن موسىٰ القزويني المعروف بالعمروآبادي أنه سمع «التفسير الوجيز» لأبي الحسن الواحديِّ من يوسف بن عبد الله الدمشقي سنة ٥٦٢هـ.

---

(١) فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الأوقاف العامة في بغداد ١/ ٨٠.

وسمعه أيضاً من علي بن الحسين النيسابوري.

ـ وفيه أيضاً ٢/ ١٤٤ في ترجمة أبي الخير الطالقاني أحمد بن إسماعيل أنه سمع «الوجيز» للواحديّ بقراءة الحافظ عبد الرزاق الطبسي في ستة مجالس، ووقعت في شعبان ورمضان سنة ثلاثين وخمسمائة.

ـ وفيه أيضاً ٢/ ٣٧١ في ترجمة ثابت بن أحمد قال: ومن مسموعه من الإمام أحمد بن إسماعيل صدر «الوجيز، في التفسير» لعليّ الواحديّ، إلى قوله تعالىٰ: ﴿وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض﴾.

ـ وذكر الحافظ أبو شامة في ذيل الروضتين ص ١٥٣ في سنة ٦٢٥هـ ما نصه:

وفي مستهل ذي القعدة توفي القابسي عبد الرحيم، الذي كان يحفظ الوجيز، ودفن بالجبل.

وذكر السبكي في طبقات الشافعية ٦/ ٤٩ في ترجمة أبي العباس بن عون ما نصُّه:

قال ابن باطيش: قرأتُ عليه أصول الفقه، وسمعت بقراءته على ابن سكِّينة تفسير الواحدي، وغريب الحديث لابن قتيبة.

وقد أثنىٰ الإمام الغزالي على تفاسير الواحدي كثيراً، فقد ذكر اليافعي[1] ما نصه:

ومثل هذا ما حكي من أنَّ الإمام حجة الإسلام أبا حامدٍ الغزالي قيل له:

لِمَ لا تصنف في التفسير؟ فقال: يكفي ما صنَّف فيه شيخنا الإمام أبو الحسن الواحدي.

وذكر ابن قاضي شهبة في طبقات النحاة في ترجمة الواحدي:

قال الغزالي: مَنْ أراد أن يسمع كتابه تعالىٰ من فم رسول الله ﷺ فعليه بتفسير الواحدي[2].

• • •

(١) مرآة الجنان ٢/ ٢٠٨.

(٢) الواحدي ومنهجه في التفسير ص ٤٠٣.

دِرَاسَةٌ عَنِ ٱلْكِتَابْ

كتاب الوجيز ومنهج المؤلِّف فيه

هذا الكتاب من أصول الكتب المؤلَّفة في التفسير مع اختصاره، وقد ألَّفه المُصنِّف استجابةً لرغبات بعض طلَّاب العلم في الحصول على تفسيرٍ كاملٍ للقرآن الكريم موجزٍ، وكان قد بدأ أوَّلاً بتأليف كتابه «البسيط في التفسير» ثمَّ طال الأمر في ذلك، فصنَّف هذا الكتاب تعجيلاً للمنفعة حيث قال[1]:

«كنتُ قد ابتدأتُ بإبداعِ كتابٍ في التفسير، لم أُسبق إلى مثله، وطال عليَّ الأمر في ذلك لشرائط تقلَّدتها، ومواجبَ من حقِّ النصيحة لكتاب الله تحمَّلتها، ثمَّ استعجلني قبل إتمامه، والتَّقصي عمَّا لزمني من عهدة أحكامه نفرٌ متقاصرو الرَّغبات، منخفضو الدَّرجات، أولو البضائع المزجاة، إلى إيجاز كتابٍ في التفسير، يقرب علىٰ مَنْ تناوله، ويسهل علىٰ مَنْ تأمَّله، من أوجز ما عُمل في بابه، وأعظمه فائدةً على متحفِّظيه وأصحابه». فقد وصف المؤلِّف كتابه وصفاً يتلاءم مع الكتاب، ولم يُبالغ فيه، وكتابه هذا من أفضل ما أُلِّف في تفسير القرآن باختصار، وجاء العلماء من بعده فجعلوه مصدراً أساسياً لمؤلفاتهم في التفسير، ومعرفةُ هذا الكتاب وفهمه تعطي القدر الكافي لمن أراد الاكتفاء به في علم التفسير، فقد قال الغزالي[2]: «ما مِنْ علمٍ إلَّا وله اقتصارٌ، واقتصادٌ، واستقصاء، ونحن نشير إليها في التفسير والحديث والفقه والكلام؛ لنقيس بها غيرها.

فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضعف القرآن، أَيْ: مثله في المقدار، كالوجيز

---

(١) الوجيز، ورقة ١/أ.

(٢) إحياء علوم الدين ١/ ٤٠؛ وترتيب العلوم ص ٢١١.

للواحديِّ، والاقتصاد ثلاثة أضعاف القرآن، كالوسيط للواحديِّ، وما وراء ذلك استقصاء. . . ».

وقال القفطي[1]: وصنَّف الوجيز، وهو عجيبٌ.

أمَّا طريقة المؤلف التي سلكها في كتابه هذا فهي في الغالب أن يذكر في تفسير الآية قولاً واحداً معتمداً لابن عباس، أو مَنْ هو في مثل درجته من الصحابة، أو تلامذته من التابعين، كما نصَّ على بعض هذا في مقدمة كتابه، وفُهم الباقي من دراسة الكتاب وتخريجه.

ـ وأحياناً يذكر في الآية قولين أو أكثر، خلافاً لما اشترطه من ذكر قول واحدٍ، وذلك مثلاً عند تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إلَّا ما شاء ربك﴾ [هود: الآية ١٠٧].

وقوله تعالىٰ: ﴿ثلاثة قروء﴾ [البقرة: الآية ٢٢٨].

وقوله تعالىٰ: ﴿والخيل المسوَّمة﴾ [آل عمران: الآية ١٤].

وقوله تعالىٰ: ﴿بهيمة الأنعام﴾ [المائدة: الآية ١].

وقوله تعالىٰ: ﴿ولأُمنينَّهم﴾ [النساء: الآية ١١٩].

وأحياناً يُرجِّح بين الأقوال كما فعل عند تفسير: ﴿ولنذيقنَّهم من العذاب الأدنىٰ﴾ [السجدة: الآية ٢١]. ذكر أقوالاً، واختار الراجح. وغيرها من الأمثلة.

ـ ومن منهجه أيضاً في الكتاب أن يُفسِّر الكلمة الغريبة بأسهل منها.

ـ واعتمد المؤلف على طريقة تفسير القرآن بالقرآن، وهذه أفضل طريقة للتفسير، وقد أكثر المؤلف من ذلك، ونذكر ها هنا بعض الأمثلة.

ـ قوله تعالىٰ: ﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾ [الفاتحة: الآية ٧]. قال: قيل: هم الذين ذكرهم الله عزَّ وجلَّ في قوله تعالىٰ: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ [النساء: الآية ٦٩].

---

(١) إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣.

ـ قوله تعالىٰ: ﴿سلامٌ عليك﴾ [مريم: الآية ٤٧]. قال: وهذا جواب الجاهل، كقوله: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا: سلاماً﴾ [الفرقان: الآية ٦٣].

ـ قوله تعالىٰ: ﴿وأضلَّ فرعون قومه وما هدىٰ﴾ [طه: الآية ٧٩]. قال: ردَّ عليه حيث قال: ﴿وما أهديكم إلاَّ سبيل الرشاد﴾ [غافر: الآية ٢٩].

قوله تعالىٰ: ﴿وجعلنا من الماء كلَّ شيء حيّ﴾ [الأنبياء: الآية ٣٠]. قال: يعني: إنَّ جميع الحيوانات مخلوقةٌ من الماء، كقوله تعالىٰ: ﴿والله خلق كلَّ دابّة من ماء﴾ [النور: الآية ٤٥].

قوله تعالىٰ: ﴿ولما رأىٰ المؤمنون الأحزاب قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله﴾ [الأحزاب: الآية ٢٢]. قال: ووعدُ الله تعالىٰ إيَّاهم في قوله: ﴿أَمْ حسبتم أَنْ تدخلوا الجنَّة ولمَّا يأتكم مَثَلُ الذين خلوا من قبلكم...﴾ [البقرة: الآية ٢١٤]، فعلموا بهذه الآية أنَّهم يبتلون، فلمَّا ابتلوا بالأحزاب علموا أنَّ الجنَّة والنصر قد وجبا لهم إن سلموا وصبروا.

ـ قوله تعالىٰ: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنَّهم لهم المنصورون * وإنَّ جندنا لهم الغالبون﴾ [الصافات: الآية ١٧١ ـ ١٧٣]. قال: تقدَّم الوعد بنصرتهم، وهو قوله: ﴿كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي﴾ [المجادلة: الآية ٢١].

ـ قوله تعالىٰ: ﴿بل يريد كلُّ امرىءٍ منهم أن يؤتىٰ صحفاً منشَّرة﴾ [المدثر: الآية ٥٢]. قال: وذلك أنَّهم قالوا: إنْ سرَّكَ أن نتبعك فأتِ كلَّ واحدٍ منَّا بكتابٍ من ربِّ العالمين، نُؤمر فيه باتباعك، كما قالوا: ﴿لن نؤمنَ لرقيِّك حتىٰ تُنزِّل علينا كتاباً نقرؤه﴾ [الإسراء: الآية ٩٣].

وهذا كثير، وقد اقتصرنا بهذه الأمثلة، ونذكر ها هنا أنَّ الإمام أبا نصر الحداديَّ عقد في كتابه القيِّم «المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالىٰ» باباً لهذا النَّوع من التفسير، انظره بتحقيقنا ص ٤١٧.

ـ ويهتمُّ المؤلف كثيراً ببيان الناسخ والمنسوخ في تفسيره، فلا يدعُ آيةً قيل فيها إنَّها منسوخةٌ إلاَّ ويذكرها، وهذا علمٌ مهمٌ جداً لمن يتعاطىٰ التفسير.

ـ ومن طريقته التي اتبعها أيضاً تخريج تفسير الآيات القرآنية على قواعد أصول الفقه، حيث يعالج بدقَّةٍ أنواع الأمر في القرآن، فيذكر عند كلِّ آيةٍ فيها أمرٌ نوعَ هذا الأمر، وكذا يبيِّن نوع الاستفهام في الآيات التي وردت فيها صيغة الاستفهام، كما يُطبِّق بعض القواعد الأصولية على الآيات، كقاعدة: المُطلق يحمل على المقيد، والعام المراد به الخصوص، ونذكر أمثلة على ذلك:

ـ ففي قوله تعالىٰ: ﴿أنبئوني بأسماء هؤلاء﴾ [البقرة: الآية ٣١]، يذكر نوع الأمر فيقول: وهذا أمر تعجيز، أراد الله تعالىٰ أن يبيِّن عجزهم عن علم ما يرون ويعاينون.

ـ وفي قوله تعالىٰ: ﴿قل استهزؤوا إنَّ الله مخرجٌ ما تحذرون﴾ [التوبة: الآية ٦٤]، يبيِّن نوع الأمر فيقول: أمرُ وعيدٍ.

ـ وفي قوله تعالىٰ: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض﴾ [الجُمُعَة: الآية ١٠]، يقول: أمر إباحة.

ـ وفي بيانه لأنواع الاستفهام نذكر:

ـ قوله تعالىٰ: ﴿هل ينظرون إلاَّ أن يأتيهم الله﴾ [البقرة: الآية ٢١٠]، يقول: «هل» استفهامٌ معناه النفي، أَيْ: ما ينتظر هؤلاء.

ـ وقوله تعالىٰ: ﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين: أأسلمتم﴾ [آل عمران: الآية ٢٠]، يقول: استفهامٌ معناه الأمر، أَيْ: أسلموا.

ـ وقوله تعالىٰ: ﴿فكيف إذا جئنا من كلِّ أمةٍ بشهيد﴾ [النساء: الآية ٤١]، يقول: وهذا استفهامٌ ومعناه التوبيخ.

ـ ويذكر بعض أنواع الخبر، فيقول رحمه الله:

في قوله تعالىٰ: ﴿والذين يُتوفَّون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهنّ أربعة أشهرٍ وعشراً﴾ [البقرة: الآية ٢٣٤]: خبرٌ في معنىٰ الأمر: ومراده: ليتربصن.

وفي قوله تعالىٰ: ﴿وما تنفقون إلاَّ ابتغاء وجه الله﴾ [البقرة: الآية ٢٧٢]، يقول: خبرٌ، والمراد به الأمر.

ــ وفي تطبيق بعض القواعد الأصولية يذكر عند قوله تعالىٰ: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣] ما نصه: في الدُّنيا؛ لأنَّه وعد في القيامة الرُّؤية بقوله: ﴿وجوهٌ يومئذ ناضرةٌ * إلى ربِّها ناظرة﴾ [القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣]، والمطلق يُحمل على المقيد.

يريد: إن الأبصار لا تدركه؛ مطلقٌ، ثم قُيِّد بأنَّ هذا في الدنيا، لأنَّ الآية الأخرىٰ نصَّت على الرؤيا في الآخرة، وقيَّدتها بها.

ــ ويذكر كذلك عند قوله تعالىٰ: ﴿ولله يسجد مَنْ في السموات والأرض طوعاً﴾ [الرعد: الآية ١٥]، فيقول: يعني: الملائكة والمؤمنين، ﴿وكرهاً﴾ وهم مَنْ أكرهوا على السجود، فسجدوا لله سبحانه من خوف السَّيف، واللفظ عامٌّ والمراد به الخصوص.

ــ ومن منهج المؤلف في هذا التفسير أنَّه يبدأ أوَّلاً بذكر سبب نزول الآية إنْ كان لها سبب، ثمَّ ما ورد من أحاديث وآثار دون نسبتها في الغالب، وأحياناً يذكر بعض الأسباب التي وردت في نزول الآية لم يكن ذكرها في كتابه «أسباب النزول» كما فعل في تفسير سورة المنافقون [الآية ٥]، وسورة الشورىٰ [الآية ٣٦].

ــ ويتعرَّض قليلاً لذكر الخلاف الفقهي في الآية، كما فعل عند قوله تعالىٰ: ﴿حتىٰ يبلغ الهدي محلَّه﴾ [البقرة: الآية ١٩٦]، حيث ذكر مذهب أهل العراق، ومذهب الشافعي.

ــ ويتعرَّض في تفسيره لذكر مسائل في العربية والنحو..

فيذكر عند قوله تعالىٰ: ﴿يا مريم اقْنُتي لربِّك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣]، فيقول: والواو لا تقتضي الترتيب.

ــ وعند قوله تعالىٰ: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب﴾ [آل عمران: الآية ٨١]. يُعرب «ما» فيقول: «ما» ها هنا للشرط.

ــ وعند قوله تعالىٰ: ﴿يُنزِّل الملائكة بالرُّوح من أمره علىٰ مَنْ يشاء من عباده أَنْ أنذروا أنَّه لا إلَه إلَّا أنا فاتقون﴾ [النحل: الآية ٢]، يُعرب قوله تعالىٰ: ﴿أَنْ أنذروا﴾ بدلاً من الرُّوح.

ـ وعند قوله تعالىٰ: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إنْ أردن تحصُّناً﴾ [النور: الآية ٣٣]، يقول: ﴿إنْ أردن تحصُّناً﴾، قيل: إنَّ هذا راجعٌ إلى قوله: ﴿وأنكحوا الأيامىٰ منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم، إنْ أردن تحصناً﴾. فيجعل: وأنكحوا جواباً للشرط. وقيل: «إنْ» بمعنىٰ «إذ»... وغيرها من مسائل النحو والإعراب.

ـ كما يذكر بعض المسائل البلاغية..

فقد ذكر من مسائل البلاغة الالتفات، وهو الانتقال من أسلوب إلى أسلوب، فعند قوله تعالىٰ: ﴿والذي تولَّىٰ كبره منهم له عذاب عظيم * لولا إذ سمعتموه ظنَّ المؤمنون والمؤمنات﴾، يقول: رجع من الخطاب إلى الخبر.

ـ كما يذكر في تفسيره ارتباط آيات القرآن الكريم بما قبلها، وهذا نوعٌ مهمٌّ من التفسير، وقد أفرده البرهان البقاعي في كتابه الحافل: «نظم الدرر».

فمما ذكره مؤلفنا في هذا عند قوله تعالىٰ: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلَّا إبليس﴾ [الكهف: الآية ٥٠]، فيذكر وجه ارتباطها بما قبلها، فيقول: ثمَّ أمر نبيَّه عليه السلام أن يذكر لهؤلاء المتكبرين عن مجالسة الفقراء قصَّة إبليس وما أورثه الكبر، فقال: «وإذ قلنا». ووجه الربط واضحٌ.

وغير ذلك من ألوان التفسير، يجدها مَنْ يُطالع هذا الكتاب بهدوء ودقَّة.

وينقل المؤلف عن أعلام المفسرين كابن عباس، وقتادة، والسدي، وأبو روق، والفراء.

فرحم الله المؤلِّف على ما بذل من جهدٍ، وجزاه خير الجزاء.

وجاء على مخطوطة الوجيز نسخة الظاهرية ما يلي:

إذا شئتَ أن تلقىٰ كتاباً مُلخَّصا ... مصوناً عن التطويل....
فبادرْ إلىٰ هذا الكتاب فإنَّه ... كتابٌ وجيزُ اللفظ جمُّ الفوائدِ
بحار المعاني تحته قد تلاطمت ... فمَنْ يَنْغَمِسْ فيها يَفُزْ بالفرائدِ
وإنَّ وجيزَ الواحديِّ هو الذي ... قراءته فرضٌ علىٰ كلِّ واحدِ

● ● ●

مُلاحَظاتٌ على كتابِ الوجيز

يقول العماد الأصفهاني:

«إني رأيتُ أنَّه لا يكتبُ إنسانٌ في يومه، إلاَّ قال في غده: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زِيدَ كذا لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر».

فالكمال لله وحده، ولا يخلو عمل أيِّ إنسانٍ ـ مهما أتقنه ـ من ثغراتٍ وملاحظات، وهذا طبيعيٌّ بالنسبة للإنسان، ومؤلفنا في كتابه القيِّم كان عليه بعض الانتقادات، ونذكر أهمها:

* **أخطاءٌ في الآيات الكريمة**، والظَّاهر أنَّ المؤلف أملىٰ كتابه إملاءً، فعرض له بعض الأخطاء من الآيات المتشابهة، وكنَّا نظنُّ أنَّ هذه الأخطاء من النُّسَّاخ، وحاولنا إبعاد المؤلف عنها، إلاَّ أنَّ النُّسخ الخطيَّة المختلفة قد اشتركت في هذه الأخطاء على اختلاف ناسخيها، مما يؤكد أنَّها حاصلةٌ من المؤلف، ونذكرها كلَّها، اكتفاءً بذكرها هٰهنا عن محالها التي وردت فيها.

١ ــ في سورة الأنفال ذكر المؤلف الآية كما يلي: «ليحقَّ الحقَّ ويُبطل الباطلَ ولو كره المشركون» [الآية ٨]، والصَّواب: ﴿ولو كره المجرمون﴾.

٢ ــ في سورة الأعراف ذكر الآية كما يلي: «فما كان جواب قومه إلاَّ أن قالوا أخرجوهم من قريتكم» [الآية ٨٢]، والصواب: ﴿وما كان جواب﴾.

٣ ــ في سورة يونس ذكر الآية كما يلي: «وكفىٰ بالله شهيداً» [الآية ٢٩]، والصواب: ﴿فكفىٰ بالله﴾.

٤ ــ في سورة يونس أيضاً ذكر الآية كما يلي: «قل أرأيتم ما أنزل من رزق فجعلتم منه حلالاً وحراماً» [الآية ٥٩]، والصواب: ﴿فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾.

٥ ــ في سورة الحجر ذكر الآية كما يلي: «قال: فبما أغويتني» [الآية ٣٩]، والصواب: ﴿قال: ربِّ بما أغويتني﴾.

٦ ــ في سورة النحل ذكر الآية كما يلي: «إنَّما أمرنا لشيءٍ» [الآية ٤٠]، والصواب: ﴿إنما قولنا لشيءٍ﴾.

٧ ــ وفي سورة الإسراء ذكر الآية كما يلي: «ولقد صرَّفنا في هذا القرآن للنَّاس» [الآية ٨٩]، والصَّواب: ﴿ولقد صرَّفنا للناس في هذا القرآن﴾.

٨ ــ وفي سورة الإسراء أيضاً ذكر الآية كما يلي: «ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وصمَّاً وبكماً» [الآية ٩٧]، والصَّواب: ﴿عمياً وبكماً وصمَّاً﴾.

٩ ــ وفي سورة الأنبياء ذكر الآية كما يلي: «فنجيناه ولوطاً» [الآية ٧١]، والصَّواب: ﴿ونجيناه ولوطاً﴾.

١٠ ــ وفي سورة يس ذكر الآية كما يلي: «وجاء رجلٌ من أقصىٰ المدينة يسعىٰ» [الآية ٢٠]، والصَّواب: ﴿وجاء من أقصىٰ المدينة رجل يسعىٰ﴾.

فهذه الأخطاء في الآيات التي وردت عنه، وقد أصلحناها في محالها، وهذا لا يعدُّ تصرُّفاً في المتن، كما أجمع على ذلك أهل هذا الفن، واكتفينا بإيرادها ها هنا عن الإشارة إليها في أمكنتها.

وهناك بعض الأخطاء في الآيات لكنها في بعض النُّسَخ لا كلِّها، فاعتبرناها من النَّاسخ.

* ومن الملاحظات عليه أنَّه يذكر أوجهاً ضعيفةً في التفسير مع أنَّه جاء أصحَّ منها، وأحياناً أقوالاً ضعيفة، وأحاديث موضوعة. وغالباً ينقلها عن الكلبيِّ، واسمه محمد بن السائب يُكَنَّىٰ أبا النضر، وقد روىٰ الكلبيُّ عن أبي صالح كاتب الليث عن ابن عباس، وأكثر رواياته في التفسير من هذا الطريق.

وذكر ابن عدي في الكامل ٦/٢١٢٧ عن سفيان الثوري عن الكلبيِّ قال: قال

لي أبو صالح: انظر كلَّ شيءٍ رويتَ عني عن ابن عباسٍ فلا تروه.

وذكر أيضاً عن سفيان الثوري قال: قال لي الكلبيّ: قال لي أبو صالحٍ: كلُّ ما حدَّثْتُكَ فهو كذب.

ـ والكلبيُّ متَّهم في رواياته، وضعَّفه العلماء كثيراً وكذَّبوه، فقد ذكر ابن عديٍّ في الكامل ٢١٢٨/٦ قال: سمعتُ ابن حمَّاد يقول: قال السَّعدي: محمد بن السَّائب كذَّابٌ ساقط.

ـ وقال النسائي: محمد بن السَّائب، أبو النَّضر الكلبيّ متروك الحديث.

وذكر العقيلي في الضعفاء الكبير ٧٧/٤ عن أبي عوانة قال: سمعتُ الكلبيَّ يتكلَّم بشيءٍ مَنْ تكلَّم به كفر، وقال مرَّة: لو تكلَّم به ثانيةً كفر، فسألته عنه فجحده.

وقال البخاري في التاريخ الكبير ١٠١/١: محمد بن السائب الكلبيّ كوفيّ، تركه يحيىٰ بن سعيد، وابن مهدي.

وقال ابن حبان في المجروحين ٢٥٣/٢: مذهبه في الدِّين ووضوح الكذب فيه أظهر مِنْ أن يُحتاج إلىٰ الإغراق في وصفه، فالكلبيُّ يروي عن أبي صالح عن ابن عباسٍ التفسير، وأبو صالح لم ير ابن عباس، ولا سمع منه شيئاً، ولا سمع الكلبيُّ من أبي صالح إلاَّ الحرف بعد الحرف، فما رواه الكلبيُّ لا يحلُّ ذكره في الكتب، فكيف الاحتجاج به؟! والله جلَّ وعلا ولَّىٰ رسوله تفسير كلامه، وبيان ما أنزل إليه لخلقه فقال: ﴿وأنزلنا إليك الذِّكر لتبين للناس ما نزِّل إليهم﴾، ومن أمحل المحال أن يأمر الله جلَّ وعلا النبيَّ المصطفىٰ أن يبيِّن لخلقه مراد الله عزَّ وجلَّ من الآي التي أنزلها الله عليه، ثمَّ لا يفعل ذلك رسول ربِّ العالمين وسيد المرسلين؛ بل أبان عن مراد الله تعالىٰ في الآي، وفسَّر لأمته ما دعت الحاجة إليه، وهو سُنَّته، فمن تتبع السُّنن وحفظها وأحكمها، فقد عرف تفسير كلام الله تعالىٰ، وأغناه الله عن الكلبي وذويه.

ـ ومع هذا الكلام في الكلبيِّ نرىٰ كثيراً من المفسرين ينقلون كلامه، ويستشهدون بالرواية عنه، ومنهم مؤلفنا الواحديُّ، وخاصَّة في كتابه «أسباب النزول» أمَّا في «التفسير الوجيز» فذكر أقواله بقلَّةٍ، ولعلَّ سبب نقل المفسرين عن الكلبيِّ وأمثاله ما ذكره البيهقيُّ في دلائل النبوة ٣٣/١ عن يحيىٰ بن سعيد القطَّان قال:

تساهلوا في التفسير عن قومٍ لا يُوثِّقونهم في الحديث، ثمَّ ذكر ليث بن أبـي سليم، وجُويبر بن سعيد، والضَّحَّاك، ومحمد بن السَّائب ـ يعني: الكلبـيّ ـ وقال: هؤلاء لا يُحمد حديثهم، ويُكتب التفسير عنهم.

قال الشيخ ـ أي: البيهقي ـ: وإنَّما تساهلوا في أخذ التفسير عنهم؛ لأنَّ ما فسَّروا به ألفاظه تشهد لهم به لغاتُ العرب، وإنَّما عملهم في ذلك الجمع والتَّقريب فقط. اهـ.

قلتُ: هذا يُسلَّم له فيما نُقل عن أمثال هؤلاء من تفسير ألفاظ الغريب في القرآن، لكن نُقل عنهم ومن طريقهم أحاديثُ كثيرةٌ مرفوعةٌ يفسِّرون فيها الآيات الكريمة، وهم متَّهمون أو ضعفاء جداً، فهذا لا يُسلَّم لهم؛ خاصَّة للكلبـيّ الذي أكثر الرواية عن أبـي صالح عن ابن عباس، والأَوْلىٰ عدم ذكره في كتب التفسير إلَّا لتبيينه والتحذير منه.

ونذكر هٰهنا بعض الأمثلة عن ذلك.

ـ في سورة البقرة عند قوله تعالىٰ: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ [الآية ١٩٠]، قال: الآية نزلت في صلح الحديبية، وهذا منقولٌ عن ابن عباس من طريق الكلبـيّ كما بيَّناه في موضعه، وهذه الآية من أوَّل الآيات التي نزلت في القتال بالمدينة، فيكون أوَّلُ الإذن بالقتال في الحديبية، وقد قُوتل قبلها كثيراً؟!

ـ وفي سورة طٰه عند قوله تعالىٰ: ﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً﴾ ذكر أنَّ الآية وما قبلها نزلت لمَّا استسلف رسول الله من يهوديٍّ، وأبىٰ أن يعطيه إلَّا برهنٍ، وهذا مرويٌّ عن أبـي رافع مولىٰ رسول الله ﷺ من طريق موسىٰ بن عبيدة الرَّبذي، وهو منكر الحديث، كما بيَّناه.

ـ وفي سورة البقرة عند قوله تعالىٰ: ﴿الذين ينفقون باللَّيل والنَّهار﴾ [الآية ٢٧٤] ذكر أنَّها نزلت في عليّ بن أبـي طالب، كان عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها، فتصدَّق بدرهمٍ سرَّاً، ودرهمٍ علانيةً، ودرهمٍ ليلاً، ودرهمٍ نهاراً.

وقد ورد هذا في حديثٍ ضعيف جداً، وقال ابن تيمية: موضوعٌ، كما بيَّناه.

ـ وفي تفسيره سورة «والعصر» ذكر حديثاً رفعه في تفسير: ﴿إن الإنسان لفي خسرٍ﴾ يعني: أبا جهلٍ. ﴿إلاَّ الذين آمنوا﴾ يعني: أبا بكرٍ. ﴿وعملوا الصالحات﴾ يعني: عمر بن الخطاب. ﴿وتواصوا بالحق﴾ يعني: عثمان. ﴿وتواصوا بالصبر﴾ يعني: علياً.

وهو حديثٌ موضوعٌ كما بيَّناه في محله.

إلى غير ذلك من الأمثلة التي تراها موزَّعة في الكتاب على قلَّتها، وقد بيَّنا كلَّ ذلك في تعليقنا على الكتاب.

ـ وهذه الملاحظات لا تُغطِّي على المزايا الكثيرة الحسنة للكتاب، فالمؤلف بذل جهداً طيباً في تبسيط التفسير، وتقديمه للقرَّاء بأسلوبٍ سهلٍ، وعبارةٍ واضحةٍ، وتحرِّي الصواب حسب جهده، ولا يخلو كتابٌ من ملاحظات وانتقادات، إلاَّ كتابَ الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فرحم الله المؤلف، وأكرم مثواه ونُزُله، وجزاه خيراً.

• • •

مكانة الوجيز بين كتب التفسير

يحتلُّ كتاب «الوجيز في التفسير» للواحديّ الصَّدارة بين كتب التفسير المختصرة لاحتوائه ألواناً متنوّعة في التفسير، وقد سبق في كلام الغزالي أنَّه حدُّ الاقتصار لمن أراد الاكتفاء به في التفسير[1].

كما يعتبر أُمَّاً وأصلاً من الأصول في بابه، وقد اعتمد عليه العلماء بعده، فهذا السُّيوطي يقول في ترجمة أحمد بن يوسف الكواشي[2]: وله التفسير الكبير والصغير، جوَّد فيه الإعراب، وحرَّر أنواع الوقوف، وأرسل منه نسخةً إلى مكَّة والمدينة والقدس.

قلتُ: ـ أي: السُّيوطي ـ: وعليه اعتمد الشيخ جلال الدين المحلي في تفسيره، واعتمدتُ عليه أنا في تكملته مع «الوجيز»، و «تفسير البيضاوي»، وابن كثير. اهـ.

إذن تفسير الجلالين قام على أربعة أركان، يُمثِّل الوجيز ركناً من أركانها. كما كان تفسير الواحديّ أحد مصادر المولىٰ أبـي السعود الحنفي، المُفسِّر المعروف[3] صاحب تفسير: «إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم» وهو مطبوع، فقد ذكر نجم الدين الغزي في الكواكب السائرة ٣/ ٣٥ في ترجمته: ألَّف المؤلَّفات الحافلة، منها التفسير المسمَّىٰ «بالإرشاد» جمع فيه ما في تفسير البيضاوي، وزاد فيه زيادات حسنة، من تفسير القرطبـيِّ، والثعلبـيِّ، والواحديِّ، والبغويِّ.

---

(١) انظر: ص ٤٢.
(٢) بغية الوعاة ١/ ٤٠١.
(٣) ترجمته في: الكواكب السائرة ٣/ ٢٥.

ـ واعتمد عليه الشيخ عبد العزيز الديريني المتوفىٰ سنة ٦٩٤هـ[١] في نظم كتابه: «التيسير» فقد ذكر في مقدمته[٢] ما يلي:

وقد عزمتُ واستخرتُ ربي … فهو مُعيني وحده وحسبي

في جمع تفسير غريب اللفظِ … مُرَجَّزاً مُيسَّراً للحفظِ

وما يليه من بيان المشكلِ … والكشف عن تفصيل لفظٍ مُجملِ

ممَّا روته السَّادة الأئمهْ … وحرَّرته علماء الأُمَّهْ

كالطبري والثعلبي ومكِّي … أئمة التفسير دون شكّ

والهرويِّ الحبر والقتيبي … إذ نقلوا الغريب دون ريب

والواحديِّ جامع البسيط … وواضع الوجيز والوسيط[٣]

والمهدويّ البحر ذي الفضل الجلي … والدامغاني والقشيريِّ الوليْ

ـ كما نقل منه السيوطي في كتابه الحاوي للفتاوي ١/ ٣١٠ في موضعين.

● ● ●

(١) ترجمته في: طبقات الشافعية للسبكي ٨/ ١٩٩؛ وحسن المحاضرة ١/ ٤٢١؛ وشذرات الذهب ٥/ ٤٥٠.

(٢) التيسير ص ٣.

(٣) وبها سمَّىٰ الغزالي كتبه في الفقه.

اسمُ الكِتَابِ

أجمعت كتّاب التراجم علىٰ أنَّ اسم الكتاب هو «الوجيز»، وهذا هو الاسم المختصر لهذا التفسير، واسمه الكامل «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز»، والاختصار في أسماء المؤلَّفات أمرٌ شائع جداً، ولا داعي لذكر الأمثلة، فهي أكثر من أن تحصىٰ، وجاء في نسخة الظاهرية «التفسير الوجيز».

وفي نسخة كوبريلي[1]: «الوجيز في تفسير القرآن العظيم».

وفي نسخةٍ في الأُسكوريال: «الوجيز في التفسير» فقط.

وفي نسخة دار الكتب المصرية[2]: «الوجيز في تفسير القرآن العزيز»، وكذا في نسخة ألمانيا الغربية وتاريخ نسخها ٨٦٩هـ، وكذا في نسخة في الآسكوريال تاريخ نسخها ٨١٦هـ.

فاخترنا هذه التسمية لقدم نسخة دار الكتب المُثبت عليها العنوان، ولتناسب أولها مع آخرها ولكثرة ذكرها هكذا في المخطوطات.

• • •

---

(١) فهارس مخطوطات مكتبة كوبريلي ١/ ٨٩.

(٢) فهارس مخطوطات الدار ٣/ ١٩٤.

توثيق الكتاب

هذا الكتاب من أشهر كتب التفسير المختصرة، وتصل نسبته إلى مؤلِّفه مبلغ التواتر، فقد ذكرته أكثر كتب التراجم التي ترجمت لمؤلفه، فذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٤؛ وابن الأثير في الكامل ١٠/ ١٠١؛ والذهبي في السير ١٨/ ٣٤٠؛ والسبكي في طبقات الشافعية ٥/ ٢٤١؛ وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية ١/ ٢٥٦؛ والقفطي في إنباه الرواة ٢/ ٢٢٣؛ وياقوت في معجم الأدباء ١٢/ ٢٥٨؛ والسيوطي في بغية الوعاة ٢/ ١٤٥؛ والداوودي في طبقات المفسرين ١/ ٣٩٥.

ـ ولعلَّ أوَّل مَنْ ذكر كتاب الواحديِّ هو الإمام الغزالي حيث قال: فالاقتصار في التفسير ما يبلغ ضِعْف القرآن، أَيْ: مثله في المقدار، كالوجيز للواحديِّ.

ـ كما ذكرته فهارس المؤلَّفات، فذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ١/ ٢٠٠٢؛ وصاحب مفتاح السعادة ١/ ٤٠٢؛ والمرعشي في ترتيب العلوم ص ٢١١.

ـ وذكر السيوطي أنَّ كتاب الوجيز أحد الكتب التي اعتمد عليها في تكملة تفسير الجلالين، كما تقدَّم.

ـ وفهارس مكتبات المخطوطات في العالم تحوي على نسخٍ كثيرةٍ من هذا الكتاب منسوباً لمؤلِّفه.

وتقدَّم في الكلام على انتشار كتب الواحديِّ بعض الأمثلة التي تؤيِّد نسبة الكتاب لمؤلِّفه، وبعض قراءات وإجازات للعلماء في هذا الكتاب، حيث لاقىٰ الكتاب انتشاراً كبيراً في نيسابور وقزوين، فتاريخ قزوين حافلٌ بذكره.

إلى غير ذلك من الأدلَّة التي تقطع بنسبة الكتاب لمؤلفه، وتنفي الشك عنه.

مَخْطُوطَاتُ كِتَابِ ٱلوَجِيْزِ

توزعت نسخ كثيرة من هذا الكتاب في مختلف مكتبات العالم نظراً لشهرة الكتاب، وشهرة مؤلفه، وتلقّي العلماء له بالقبول، ونذكر ما علمناه منها:

١ ـ نسخة معهد المخطوطات العربية:

عدد أوراقها: **٣٠٥**

مقاس: **١٦ × ٢٤**

عدد الأسطر: **٢١**

تاريخ النسخ: القرن السادس الهجري سنة **٥٣٢**هـ

نوع الخط: معتاد

٢ ـ نسخة مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة رقم ٢٢٨/٦١:

عدد أوراقها: **١٤٢**

عدد الأسطر: **٣٠**

مقاس: **٢٤ × ١٧**سم

نوع الخط: نسخ قديم

ولعلها ترجع إلى القرن السابع الهجري

٣ ـ نسخة أخرىٰ في مكتبة عارف حكمت رقم ٢٢٨/٦٠:

عدد أوراقها: **٢٥١**

عدد الأسطر: **٢٥**

مقاس: **٢١ × ١٤**سم

نوع الخط: نسخ معتاد

الناسخ: عبد الرحمن بن حسين أفندي بن مصطفىٰ

تاريخ النسخ: ١١٠٣هـ

٤ ــ نسخة الأُسكوريال بإسبانيا:

عدد أوراقها: ١٧٠ ورقة

عدد الأسطر: ٢٧

نوع الخط: مغربي

اسم الناسخ: أحمد بن عبد الله الجزائري

٥ ــ نسخة دار الكتب المصرية رقم ٢٣٢٥٩ب:

عدد أوراقها: ٢٩١ ورقة

مقاس: ١٧ × ٢٣سم

عدد الأسطر: ١٩ سطر

نسخة بخط قديم، ومكملة في أثنائها وآخرها بخط آخر مؤرخ في ١٥ محرم سنة ١١٩٥هـ

٦ ــ نسخة كوبريلي بتركيا:

عدد أوراقها: ٢٠٥

مقاس: ١٦ × ٢٥

عدد الأسطر: ٢٥ سطراً

نوع الخط: نسخ

تاريخ النسخ: الجمعة ٨ محرم سنة ٥٧٣هـ

٧ ــ نسخة أخرىٰ في مكتبة كوبريلي:

عدد أوراقها: ٢٠٧

عدد الأسطر: ٣٠ سطراً

مقاس: ٨ × ٢٩

نوع الخط: نسخ مشكول

اسم الناسخ: فخر بن علي بن محمد بن عمر النسفي، الملقب بالفخر المُذكِّر

تاريخ النسخ: الأحد ٢٣ شوال ٧١٢هـ

٨ ــ نسخة الظاهرية بدمشق:

عدد أوراقها: ٢٦٤

عدد الأسطر: ٢٣

مقاس: ٢٣,٥ × ١٤,٥

اسم الناسخ: يوسف بن محمد بن محمود الحافظي البخاري الواسطي

نوع الخط: نسخ معتاد

تاريخ النسخ: سنة ٧٧٦هـ

٩ ــ نسخة أخرىٰ في الظاهرية:

عدد أوراقها: ٢٦٦

مقاس: ٢٣

عدد الأسطر: ٢٥,٥ × ١٧

تاريخ النسخ: القرن الثامن الهجري

أسماء السُّور مكتوبة بالأحمر

١٠ ــ نسخة مكتبة الأوقاف العامة ببغداد:

تشمل نصف الكتاب من سورة مريم إلى الناس

عدد أوراقها: ١١٨ ورقة

تاريخ النسخ: ٥٦٠هـ

١١ ــ نسخة أخرى في الأُسكوريال:

عدد أوراقها: ١٩٦ ورقة

تاريخ النسخ: ٨١٦هـ

١٢ ــ نسخة رامفور الهند:

عدد أوراقها: ١٤٣

عدد الأسطر: ١٥

تاريخ نسخها: ٩٧٧هـ

الناسخ: صنع الله بن عطاء الله الحسيني السلامي

١٣ ــ نسخة ألمانيا الغربية ــ برلين:

عدد أوراقها: ١٨٦ ورقة

تاريخ نسخها: ٨٦٩هـ

١٤ ــ نسخة ناقصة:

تبدأ من أول الكتاب وتنتهي بسورة الرعد.

فيها من سورة الإسراء إلى الكوثر.

١٥ ــ نسخة أوركوب في تركيا رقم ١٠٢٥:

عدد أوراقها: ٢٣٠ ورقة

تاريخ نسخها: ٥٨٨هـ

اسم الناسخ: أبو اليمن سعيد بن أحمد بن محمد الكرماني

ذكرها في نوادر المخطوطات في تركيا ٣/ ٥٧

١٦ ــ نسخة جستربيتي:

عدد أوراقها: ١٤٦ ورقة

عدد الأسطر: ٢٩ سطراً

مقاس: ١٨,٧ × ٢٥,٧

نوع الخط: مغربي

تاريخ النسخ: القرن التاسع

منها مصورة في جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض

١٧ ــ نسخة أخرى في جستربيتي:

عدد أوراقها: ١٧٧ ورقة

عدد الأسطر: ٢١ سطر

نوع الخط: معتاد

تاريخ النسخ: القرن السادس الهجري ومنها صورة في مكتبة مركز البحث العلمي في جامعة الملك عبد العزيز بمكة

١٨ ــ نسخة ثالثة في جستربيتي:

عدد أوراقها: ٢٨٦ ورقة

عدد الأسطر: ١٧

مقاس: ١٩,٨ × ٢٦,٨

كتبت بقلمين مختلفين: الأوَّل يعود للقرن السابع، والثاني للمحرم سنة ١٢٧٠هـ

١٩ ـ نسخة مصورة في مكتبة جامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض:

عدد أوراقها: ٢٦٥ ورقة

عدد الأسطر: ٢٣ سطراً

مقاس: ١٢ × ٢٣

اسم الناسخ: عبد العزيز بن سليمان الحافظ السيواسي

تاريخ النسخ: سنة ٧٢٣هـ

٢٠ ـ نسخة في مكتب طلعت بالقاهرة ضمن دار الكتب المصرية:

عدد أوراقها: ٢٧٥ ورقة

مقاس: ٢٠ × ٢٥

٢١ ـ نسخة في المكتبة التيمورية بالقاهرة:

عدد أوراقها: ٢٢٠ ورقة

مقاس: ٢٦ × ٣٣

عليها تعليقات وهوامش

* * *

ثم رأيت بعد كتابة هذا النسخ كتاب «فهارس علوم القرآن والتفسير» طبع مؤسسة آل البيت في عمَّان بالأردن، فذكر من هذا الكتاب (٩٤) نسخة، وهذا أكبر إحصاءٍ عن هذا الكتاب.

• • •

كَلِمَةُ خِتَام

في ختام دراستنا هذه نقول: إنَّ كتاب «الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» قد طبع في القاهرة منذ قرنٍ من الزمن، وذلك في عام ١٣٠٥هـ، وأعيد تصويره سنة ١٣٧٤هـ ــ ١٩٥٥م، وذلك علىٰ هامش كتاب: التفسير المنير لمعالم التنزيل، المسفر عن وجوه محاسن التأويل، المسمَّىٰ طبقاً لمعناه: «مراح البيد لكشف معنىٰ قرآنٍ مجيد».

لمؤلفه الشيخ محمد نووي الجاوي، من علماء الحجاز في القرن الثالث عشر الهجري، في دار إحياء الكتب العربية ــ لعيسىٰ البابـي الحلبـي.

لكنَّ طبعة الكتاب السابقة بعيدةٌ عن التحقيق العلمي، بالإضافة إلى أنها في حاشية كتابٍ آخر، فبدا الكلام كأنَّه ممسوخ الشكل، كما أنَّه الآن في حكم المخطوط لندرة وجوده، فلا يكاد يوجد إلاَّ في المكتبات الكبيرة العامة، أو ما أشبهها.

وكذلك فإنَّ الطبعة السابقة مليئة بالأخطاء، والتصحيفات، والتحريفات والسقط التي تخفِّف من قيمة الكتاب، وتُذهب بهجته ورونقه.

ــ وإني لما أنهيت تحقيق الكتاب ومقابلته على النسخ المخطوطة، أردت أن أقارن بين عملي في الكتاب، وبين المطبوعة القديمة، فقمتُ بمراجعة صفحات قليلة من نسختي على النسخ المطبوعة، فوجدت فيها أخطاءً متنوِّعة، وأنا أقدِّم هٰهنا بعض الأمثلة علىٰ ذلك.

ففي المقدمة جاء في المطبوعة: أخبرنا به الأستاذ أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد الزيادي.

والصواب: أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي.

ـ وفيها أيضاً في الحديث الأوَّل في الكتاب عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر.

والصواب: عن عبد الله بن عمرو.

ـ وفيها أيضاً: وعليها يُحال.

والصواب: وعليها بحالٍ، وفي نسخة: من حالٍ.

وفي نهاية المقدمة: سقط من المطبوعة: [قولهِ تعالىٰ من] سورة الفاتحة [وهي سبع آيات] فما بين [ ] ساقط.

وفي تفسير سورة الفاتحة:

في تفسير التسمية: ابتدوا وافتتحوا بحمد الله،

والصواب: بتسمية الله.

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿الرحمن الرحيم﴾ سقط من المطبوعة. [أَي: الرحمة لازمةٌ له]. وكذلك ليس في المطبوعة ذكر عدد آيات كلِّ سورة.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿والذين يؤمنون بما أنزل إليك﴾ قال:

نزلت في أهل الكتاب يؤمنون بالقرآن.

والصواب: نزلت في مؤمني أهل الكتاب، يؤمنون بالقرآن.

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قالوا إنا معكم﴾ سقط من المطبوعة: [أَيْ: على دينكم].

وفي تفسير قوله تعالىٰ: ﴿أعدَّت للكافرين﴾ سقط من المطبوعة: [خُلقت وهُيِّئت].

فهذه أمثلة كثيرة خلال عدد صفحات من الكتاب، تبين الفرق بين نسختنا وبين النسخة المطبوعة القديمة.

ونودُّ أن نقول: إنَّ هناك بعض الزيادات البسيطة في المطبوعة ليست في أصولنا، ذكرناها وأشرنا إلى ذلك.

وفي الختام نسأل الله تعالىٰ أن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، ومُتَقبَّلاً بفضله العميم، وأن يجعلنا من الذين ينصحون لكتاب الله تعالىٰ، ويعملون به، ويدافعون عنه، وينتصرون به إنَّه لا يُخيِّب مَنْ دعاه، ولا يردُّ من رجاه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحقق: صفوان داوودي

المدينة المنورة ــ شعبان ١٤١١هـ

المدينة المنورة ــ شعبان ١٤١١هـ

صُوَرُ المَخْطُوطَاتِ

ورقة الغلاف من النسخة ظ



هذا ما وقفه صاحب الخيرات والمبرات الوزير المعظم المشير المفخم
جناب الحاج اسعد باشا محافظ الشام وأمير الحاج
على مدرسة والده المرحوم الوزير الحاج اسماعيل باشا
طاب ثراه واشترط الواقف
المشار إليه ألا يخرج من خزانته

مكتبة الخياطين

الورقة الأولى من نسخة ظ

الورقة الأولىٰ من نسخة ظ

من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه انسب لنا ربك فانزل الله عز
وجل قل هو الله احد اي الذي سألتم عن نسبته هو الله احد الله الصمد
السيد الذي قد انتهى اليه السودد وقيل الصمد الذي لا جوف له ولا
ياكل ولا يشرب وقيل هو المقصود اليه في الرغايب لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد لم يكن احد مثله

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الفلق
نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد بن الاعصم اليهودي رسول الله
صلى الله عليه فاشتكى شكوى شديدة فاعلمه الله بما سحر له واين هو فبعث
من اتى به وكان وترا فيه احدى عشرة عقدة فجعلوا كلما حلوا عقدة
وجد راحة حتى حلوا العقد وامره الله تعالى ان يتعوذ بهاتين السورتين
وهما احدى عشرة اية على عدد العقد قوله برب الفلق يعني الصبح
ومن شر غاسق يعني الليل اذا وقب دخل ومن شر النفاثات يعني
السواحر تنفث في العقد كانها تنفخ فيها بشيء تقراه ومن شر حاسد اذا
حسد يعني لبيدا الذي سحره

بسم الله الرحمن الرحيم قل اعوذ برب الناس
ملك الناس اله الناس من شر الوسواس يعني ذي الوسواس وهو
الشيطان الخناس الذي يخنس ويرجع اذا ذكر الله والشيطان جاثم
على قلب الانسان فاذا ذكر الله تنحى وخنس واذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه
وهو قوله الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة اي الشيطان الذي
هو من الجن والناس عطف على قوله الوسواس المعنى من شر الوسواس ومن
شر الناس كانه امران يستعيذه من شر الجن ومن شر الناس
تمت كتابة هذا الكتاب والحمد لله العزيز الوهاب والصلوة على رسوله محمد
شفيع الخلايق يوم يقوم الحساب في يوم [illegible] سنة [illegible]

الورقة الأخيرة من نسخة ظ

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

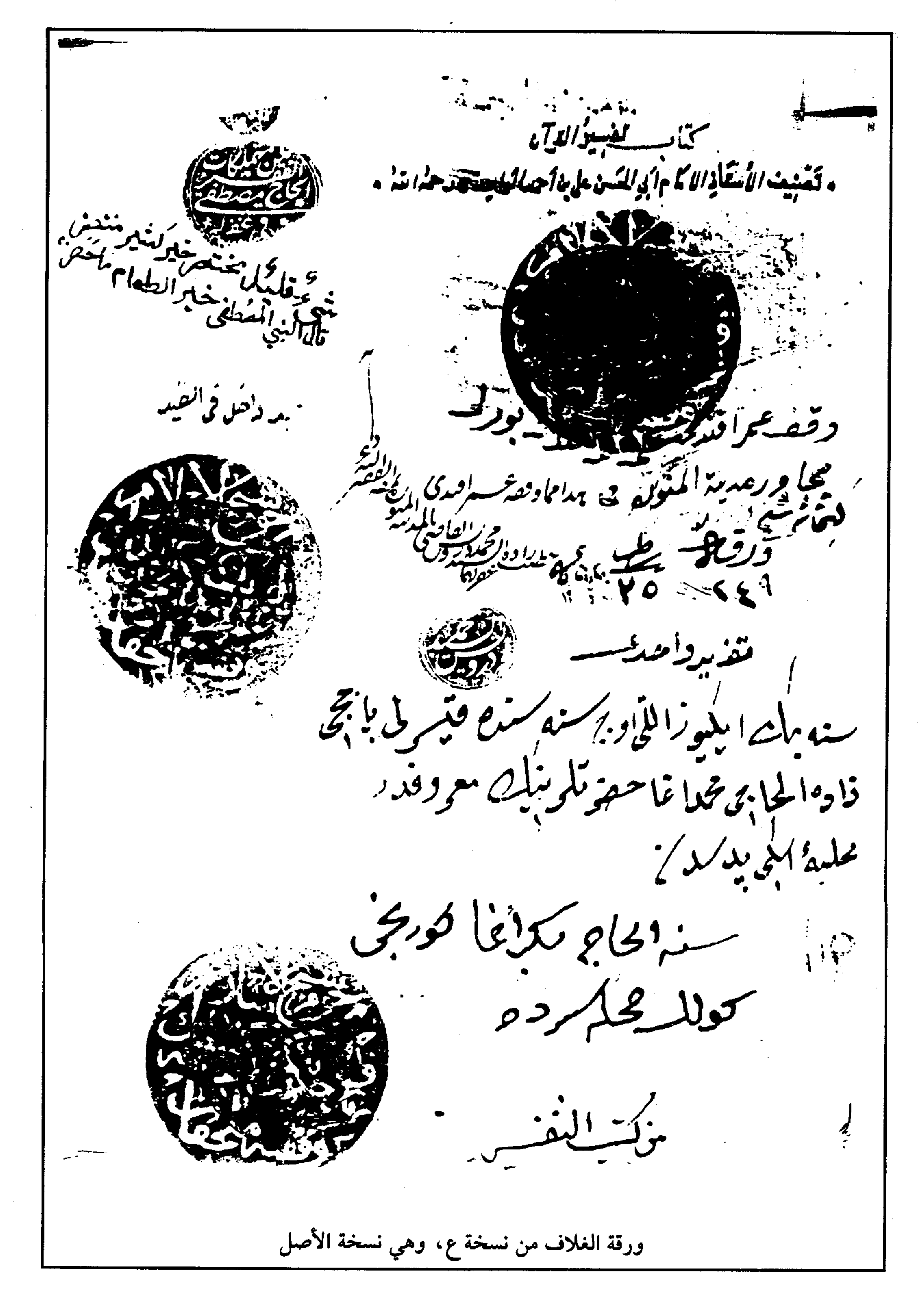
الحمد لله الكريم بآلائه العظيم بكبريائه القادر فلا يمانع والقاهر فلا ينازع والعزيز فلا يضام والمنيع فلا يرام والمليك الذي له الأقضية والأحكام وصلاته على المبعوث بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا محمد النبي خير الورى وعلى آله وأصحابه مصابيح الهدى ما انبلج الليل والصباح ونادى المنادي حي على الفلاح وسلم كثيرا فإن لكل زمان نشوا ولكل نشو علما يتعاطونه على قدر هممهم وأفهامهم وعددهم في العمر وأيامهم وفيما سلف من الأيام وخلا من الشهور والأعوام كانت الهمم إلى العلوم مصروفة والرغبات عليها موقوفة يتبوؤن عليها طلاب المراتب في الدنيا والراغبون في مثوبة العقبى ثم لم تزل تعلو الليالي تخفض الهمم وتتراجع حتى عاد وابلها قطرة ولم نشاهد مما كان عليها إلا أثره ذلك قضاء الله تعالى المبرم وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحكم بانتزاع العلم وقبضه فيما أخبرنا الأستاذ الإمام أبو طاهر محمد بن محمد بن محمش الزيادي رحمه الله قراءة عليه في شهور سنة تسع وأربعمائة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ المعروف بابن الأخرم قال أخبرنا أحمد بن عبد الوهاب قال حدثنا جعفر بن عون عن هشام بن عروة عن أبيه عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله تعالى لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم كلما ذهب عالم ذهب بما معه حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا هذا الحديث متفق على صحته رواه مسلم عن عبد بن حميد عن يزيد بن هارون عن شعبة عن هشام عن عروة فذكره وكأني سمعت هذا الحديث من مسلم لأن شيخي ساواه في إسناده وروى هذا الحديث قريب من ثمانين رجلا عن هشام بن عروة صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد قبضت الفحول وهلكت الوعول وانقرض زمان العلم وخمدت جمرته وهزمته كرة الجهل وعلت دولته ولم يبق إلا صبابة يتجرعها وأطماء يحميها ونتدرعها وعليها من حال فإني كنت قد ابتدأت بإبداع كتاب في التفسير لم أسبق إلى مثله وطال على الأمر في ذلك لشرائط

تقلدتها

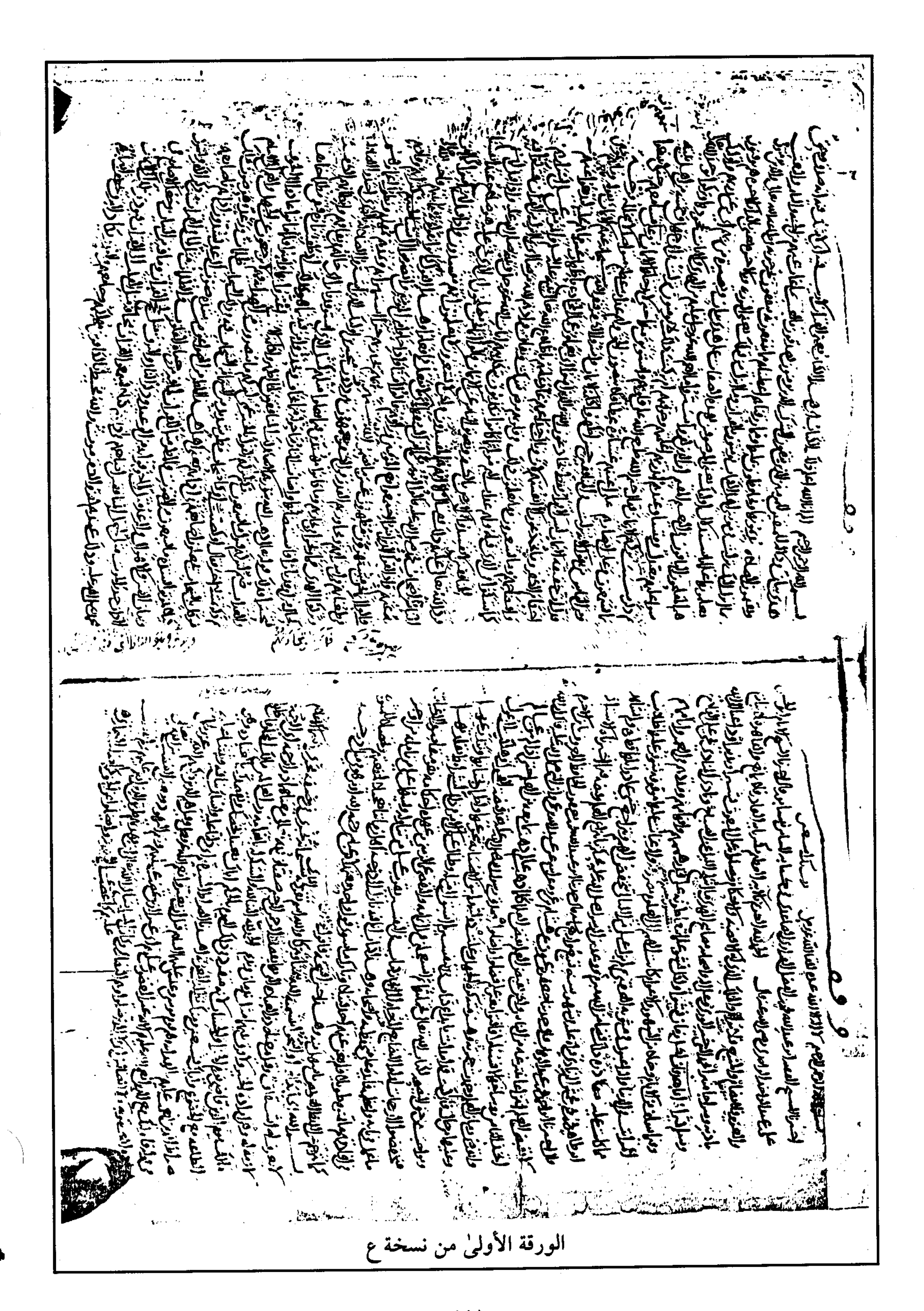
تقلدتها ومواجب في حق النصيحة تحملتها ثم استعجلني قبل إتمامه والتقصي عما لزمني من عهدة أحكامه نفر متقاصرو الرغبات متخففو الدرجات أولو البضائع المزجاة إلى إيجاز كتاب في التفسير يقرب على من تناوله ويسهل على من تأمله من أوجز ما عمل في بابه وأعظمه عائدة على متحفظه وأصحابه وهذا كتاب أنا فيه نازل إلى درجة أهل زماننا تعجيلا وتحصيلا للمثوبة في إفادتهم ما تمنوه طويلا فلم نغض علمهم فلا وتاركا ما سوى قول واحد معتمد لابن عباس رضي الله عنه أو من هو في مثل درجته يترجم عن اللفظ العويص بما يسهل منه في أكثر الآيات مع إيضاح المعاني والكشف عن سبب النزول وهذا حين أفتتح فأقول قوله من سورة الفاتحة بسم الله أي ابتدأ وأفتتح باسم الله تيمنا وتبركا والله اسم تفرد به الباري تعالى يجري في وصفه مجرى أسماء الأعلام لا يعرف له اشتقاق وقيل هو بمعناه ذو العبادة التي بها يقصد الرحمن الرحيم صفتان له معناه ذو الرحمة وهي إرادة الخير ولا فرق بينهما مثل ندمان ونديم الحمد لله الثناء والشكر له على إنعامه رب العالمين مالك المخلوقات كلها مالك يوم الدين قاضي يوم الجزاء والحساب لأنه ينفرد في ذلك اليوم بالحكم إياك نعبد أي نخصك ونقصدك بالعبادة وهي الطاعة مع الخضوع وإياك نستعين ومنك نطلب المعونة اهدنا الصراط المستقيم أي دلنا عليه واسلك بنا فيه وثبتنا عليه صراط الذين أنعمت عليهم بالهداية وهم قوم موسى قبل أن يغيروا نعم الله وقيل هم الذين ذكرهم الله في قوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم أي غير الذين غضبت عليهم وهم اليهود ومعنى الغضب من الله هو إرادة العقوبة ولا الضالين أي ولا الذين ضلوا وهو كأن المسلمين سألوا الله أن يهديهم طريق الذين أنعم الله عليهم ولم يغضب عليهم كما غضب على اليهود ولم يضلوا عن الحق كما ضلت النصارى بسم الله الرحمن الرحيم

الورقة الأولىٰ من نسخة ظا

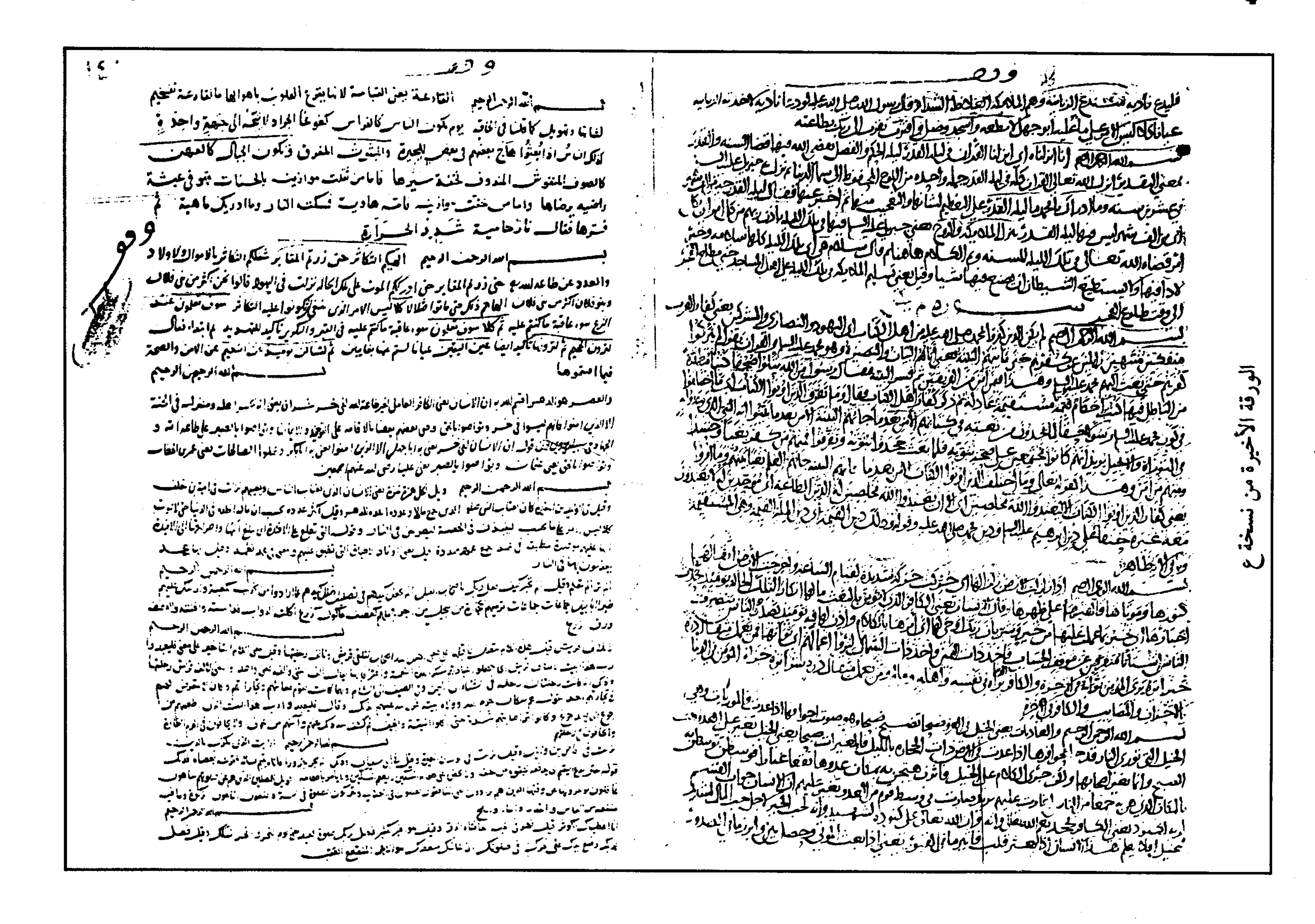
الورقة الأخيرة من نسخة ظا



ورقة الغلاف من نسخة ع، وهي نسخة الأصل



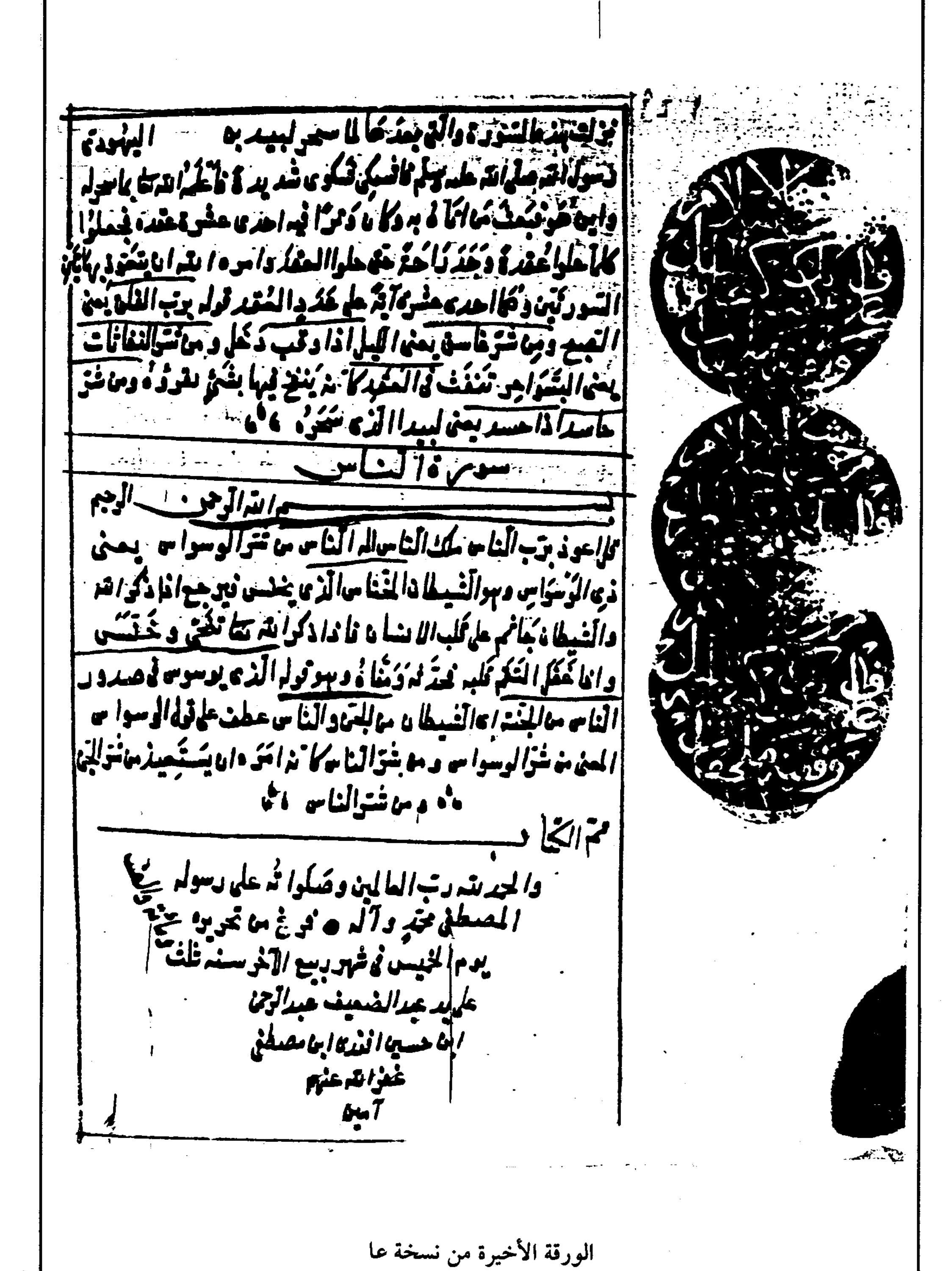
الورقة الأولىٰ من نسخة ع



الورقة الأخيرة من نسخة ع



الورقة الأولىٰ من نسخة عا



نزلت هذه السورة والتي بعدها لما سحر لبيد بن ... اليهودي
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتكى شكوى شديدة فأعلمه الله تعالى بما سحره
وأين هو فبعث من أتاه به وكان وترًا فيه إحدى عشرة عقدة فجعلوا
كلما حلوا عقدة وجد راحة حتى حلوا العقد وأمره أن يتعوذ بهاتين
السورتين وهما إحدى عشرة آية على عدد العقد قوله برب الفلق يعني
الصبح ومن شر غاسق يعني الليل إذا وقب دخل ومن شر النفاثات
يعني السواحر تنفث في العقد كأنه ينفخ فيها بشيء تقرؤه ومن شر
حاسد إذا حسد يعني لبيدًا الذي سحره

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

قل أعوذ برب الناس ملك الناس إله الناس من شر الوسواس يعني
ذي الوسواس وهو الشيطان الخناس الذي يخنس فيرجع إذا ذكر الله
والشيطان جاثم على قلب الإنسان فإذا ذكر الله تعالى تنحى وخنس
وإذا غفل التقم قلبه فحدثه ومناه وهو قوله الذي يوسوس في صدور
الناس من الجنة أي الشيطان من الجن والناس عطف على قوله الوسواس
المعنى من شر الوسواس ومن شر الناس كأنه أمر أن يستعيذ من شر الجن
ومن شر الناس

تم الكتاب

والحمد لله رب العالمين وصلواته على رسوله
المصطفى محمد وآله • فرغ من تحريره
يوم الخميس في شهر ربيع الآخر سنة ثلث
على يد عبد الضعيف عبد الرحمن
ابن حسين ... ابن مصطفى
غفر الله عنهم
آمين

الورقة الأخيرة من نسخة عا

الوجيز
في
تفسير الكتاب العزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

[لا إله إلاَّ الله، عِدَّةٌ للقاء الله عزَّ وجلَّ، ربِّ بك أستعين.

أخبرنا الشَّيخُ الفقيهُ أبو عبد الله محمدُ بن الفضل الفُراويُّ(*) الصَّاعديُّ في كتابه إلينا مِنْ نيسابور قال:

أخبرنا الشَّيخ الإمامُ أبو الحسن عليُّ بن أحمد(١) الواحديُّ رضي اللَّهُ عنه قال](٢): الحمدُ لله الكريمِ بآلائه، العظيمِ بكبريائه، القادرِ فلا يُمانع، والقاهرِ فلا يُنازع، والعزيزِ فلا يُضام، والمنيعِ فلا يُرام، والمليكِ الذي له الأقضيةُ والأحكام، وصلواتُه على المبعوثِ بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه، وسراجاً منيراً، محمَّدٍ النَّبيِّ خيرِ الورىٰ، وعلىٰ آله وأصحابه مصابيح الهُدىٰ، ما انبلج(٣) اللَّيل عن الصَّباح، ونادىٰ المُنادي بحيَّ علىٰ الفلاح، وسلَّم كثيراً.

أمَّا بعدُ، فإنَّ لكلِّ زمانٍ نشواً(٤)، ولكلِّ نشوٍ علماً، يتعاطونه علىٰ قدر هممهم وأفهامهم، ومُدَدهم في العمر وأيَّامهم، وفيما سلف من الأيَّام، وخلا من الشُّهور والأعوام، كانت الهمم إلىٰ العلوم مصروفة، والرَّغبات عليها موقوفة، يتوفَّر عليها طلَّاب المراتب في الدُّنيا، والرَّاغبون في مثوبة العُقبىٰ، ثمَّ لم تزل علىٰ مرِّ الليالي

(*) تقدَّمت ترجمته ص ٢٠.

(١) في الأصل: علي بن عبد الواحد، وهو خطأ.

(٢) ما بين [ ] زيادة من نسخة الأصل ع.

(٣) أي: أضاء وأشرق.

(٤) النَّشء: أحداث الناس. قال الفراء: العربُ تقول: هؤلاء نَشْءُ صدقٍ، ورأيتُ نَشْءَ صدق، ومررتُ بِنَشْءِ صدقٍ، فإذا طرحوا الهمز قالوا: هؤلاء نشو صدقٍ، ورأيت نشا صدقٍ، ومررت بنشي صدق. اللسان: نشأ.

تنخفض الهمم وتتراجع، حتىٰ عاد وابلُها قطرة، ولم نُشاهد ممّا كانت عليه ذرَّة، ذلك قضاء الله مُبْرَم، ووعدٌ من الرَّسول ﷺ مُحْكَم، بانتزاع العلم وقبضه فيما أخبرناه الأستاذ أبو طاهرٍ[1] محمَّد بن محمَّد بن محمش الزِّياديُّ [رضي الله عنه][2] قراءةً عليه في شهور سنة تسعٍ وأربعِ مائةٍ قال: حدَّثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الحافظ المعروف بابن الأخرم[3] قال: أخبرنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب[4] قال: حدَّثنا جعفر بن عون[5] عن هشام ابن عروة[6] عن أبيه[7] عن عبد الله بن عمرٍو أنَّ النبيَّ ﷺ قال:

---

(١) تقدَّمت ترجمته في: المقدمة ص ١٥.

(٢) زيادة من عا و ظ، وفي ظا: رحمه الله.

(٣) الحافظ الكبير، سمع علي بن الحسن الهلالي، وإبراهيم بن عبد الله السعدي ومحمد بن عبد الوهاب الفرَّاء وخلائق بعدهم، روىٰ عنه أبو عبد الله الحاكم، وأبو بكر بن إسحاق الصبغي ومحمد بن إسحاق بن منده، وغيرهم. صنف مستخرجاً على الصحيحين، والمسند الكبير. توفي سنة ٣٤٤هـ، وله كلام حسن في العلل والرجال.
انظر ترجمته في: طبقات الحفاظ ٣/ ٨٦٤؛ وسير أعلام النبلاء ١٥/ ٤٦٦؛ وشذرات الذهب ٢/ ٣٦٨.

(٤) الحافظ أبو أحمد العبدي النيسابوري، سمع حفص بن عبد الله، وجعفر بن عون والأصمعي والواقدي، وأخذ الأدب عن الأصمعي وأبي عبيد، والحديث عن ابن المديني وأحمد، وروىٰ عنه النسائي وابن خزيمة والبخاري، وثَّقه مسلم وحدَّث عنه في غير الصحيح. توفي سنة ٢٧٢هـ.
انظر ترجمته في: طبقات الحفاظ ٢/ ٥٩٩؛ وتقريب التهذيب ص ٤٩٤.

(٥) جعفر بن عون المخزومي صدوق من التاسعة، سمع من هشام بن عروة ويحيىٰ بن سعيد والأعمش، وعنه: إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد وأحمد بن الفرات. توفي سنة ٢٠٧.
قال أحمد بن حنبل: رجل صالح ليس به بأس.
انظر ترجمته في: الجرح والتعديل ٢/ ٤٨٥؛ وسير أعلام النبلاء ٩/ ٤٣٩؛ وطبقات ابن سعد ٦/ ٣٦٩؛ وتقريب التهذيب ص ١٤١.

(٦) هشام بن عروة بن الزبير الحافظ الحجة، حدَّث عن أبيه وعمه ابن الزبير، وعنه شعبة ومالك والسفيانان؛ كان ثقة ثبتاً كثير الحديث، وربما دلَّس. مات سنة ١٦٥هـ.
انظر ترجمته في: طبقات الحفاظ ١/ ١٤٤؛ وتقريب التهذيب ص ٥٧٣.

(٧) عروة بن الزبير التابعي الجليل، عالم المدينة روىٰ عن أبيه يسيراً، وعن زيد بن ثابت =

إنَّ اللَّهَ لا يقبضُ العلم انتزاعاً ينتزعه من النَّاس، ولكنْ يقبضُ العلمَ بقبض العلماء، كلَّما ذهب عالمٌ ذهب بما معه من العلم، حتىٰ إذا لم يَبقَ عالمٌ اتَّخذ النَّاس رؤوساً جهَّالاً، فَسُئلوا فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا.

صدق رسول الله ﷺ[1]، فقد قُبضت الفحول، وهلكت الوعول، وانقرض زمان العلم، وخمدت جمرته، وهزمته كرَّةُ الجهل، وعلت دولته، ولم يبق إلَّا صُبَابةٌ[2] نتجرَّعها، وأطمارٌ نجتابها[3] ونتدرَّعها، وعليها من حالٍ[4]، فإني كنتُ قد ابتدأتُ بإبداع كتابٍ في التَّفسير لم أُسْبَق إلىٰ مثله، وطالَ عليَّ الأمر في ذلك لشرائط تقلَّدتها، ومواجبَ من حقِّ النَّصيحة لكتاب الله تعالىٰ تحمَّلتها، ثمَّ استعجلني قبل إتمامه، والتَّقصِّي عمَّا لزمني من عُهدة أحكامه نفرٌ مُتقاصرو الرَّغبات، مُنخفضو الدَّرجات، أولو البضائع المُزجاة، إلىٰ إيجاز كتابٍ في التَّفسير، يقربُ علىٰ مَنْ تناوله، ويسهل علىٰ مَنْ تأمَّله، مِنْ أوجزِ ما عُمِل في بابه، وأعظمه فائدةً[5] علىٰ مُتحفِّظيه وأصحابه.

وهذا كتابٌ أنا فيه نازلٌ إلى درجة أهل زماننا، تعجيلاً لمنفعتهم، وتحصيلاً للمثوبة في إفادتهم ما تمنَّوه طويلاً، فلم يُغنِ عنهم أحدٌ فتيلاً، وتاركٌ ما سوىٰ قولٍ واحدٍ مُعتَمدٍ لابن عبَّاس رحمه الله، أو مَنْ هو في مثل درجته، كما يُتَرجمُ عن اللَّفظ العويص بأسهلَ منه، وهذا حين أفتتحه فأقول: [قوله تعالى من]:

= وأبي هريرة وعائشة، وعنه أبو الزناد وابن المنكدر. ولد في أوائل خلافة عثمان، ومات سنة ١٩٤هـ. كان عالماً بالسيرة حافظاً ثبتاً.

انظر: طبقات الحفاظ ١/ ٦٢؛ وطبقات ابن سعد ٥/ ١٧٨؛ تاريخ البخاري ٧/ ٣١؛ سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢١.

(١) الحديث أخرجه البخاري في العلم، باب كيف يقبض العلم. فتح الباري ١/ ١٩٤؛ ومسلم في العلم برقم ٢٦٧٣. والرواية: حتىٰ إذا لم يُبقِ عالماً.

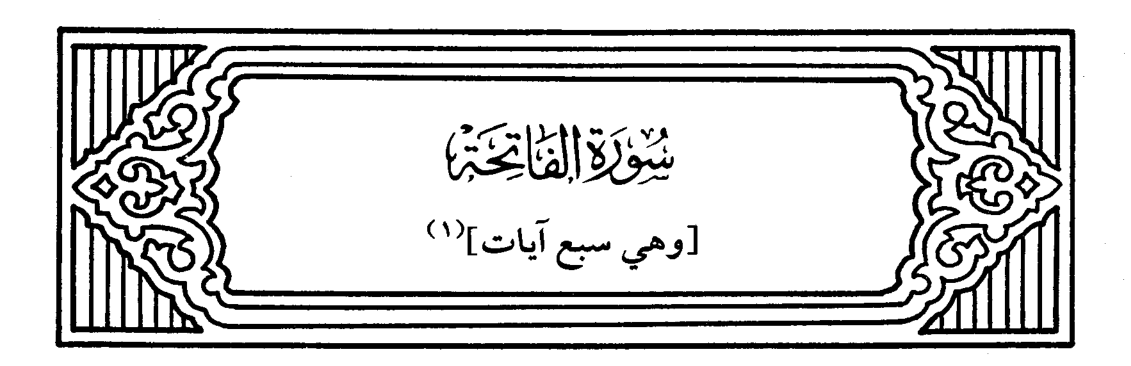
(٢) الصُّبابة: البقية من الماء واللبن. القاموس.

(٣) الأطمار: جمع طِمْر، وهو الثَّوب الخلق، أو الكساء البالي من غير الصوف.

ويقال: اجتاب القميص: لبسه ــ القاموس.

(٤) في ظ: عليها وعلى الأحوال كلِّها.

(٥) في النسخ كلِّها عدا الأصل: عائدة.



سورة الفاتحة

[وهي سبع آيات][1]

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝٤﴾

---

(١) ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾؛ أَيْ: ابدؤوا أوِ افتتحوا بتسمية الله تيمُّناً وتبرُّكاً، و «الله»: اسمٌ تفرَّد الباري به سبحانه، يجري في وصفه مجرىٰ أسماء الأعلام، لا يُعرف له اشتقاق. وقيل: معناه: ذو العبادة التي بها يُقصد. ﴿الرَّحمن الرَّحيم﴾: صفتان لله تعالى معناهما: ذو الرَّحمة، [أَي: الرَّحمة لازمةٌ له][2]، وهي إرادة الخير، ولا فرق بينهما، مثل: ندمانٍ ونديم.

(٢) ﴿الحمدُ لله﴾ هو الثَّناء لله، والشُّكرُ له بإنعامه. ﴿ربِّ العالمين﴾: مالك المخلوقات كلِّها.

(٤) ﴿مالك يوم الدِّين﴾ [مأخوذٌ من المِلْك، والمِلْك مأخوذٌ من المُلْك، أَيْ][3]: قاضي يوم الجزاء والحساب؛ لأنَّه متفرِّدٌ[3] في ذلك اليوم بالحكم.

---

(١) ما بين [ ] زيادة من عا و ظ.
(٢) ما بين [ ] زيادة من الأصل وليست هي في سائر المخطوطات.
(٣) ما بين [ ] زيادة من المطبوعة، وانظر: الحجة للفارسي ١/ ١٢. وفي عا و ظا: ينفرد.

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾

﴿٥﴾ ﴿**إيَّاك نعبدُ**﴾ أَيْ: نخصُّك ونقصدك بالعبادة، وهي الطَّاعة مع الخضوع. ﴿**وإيَّاك نستعين**﴾: ومنك نطلب المعونة.

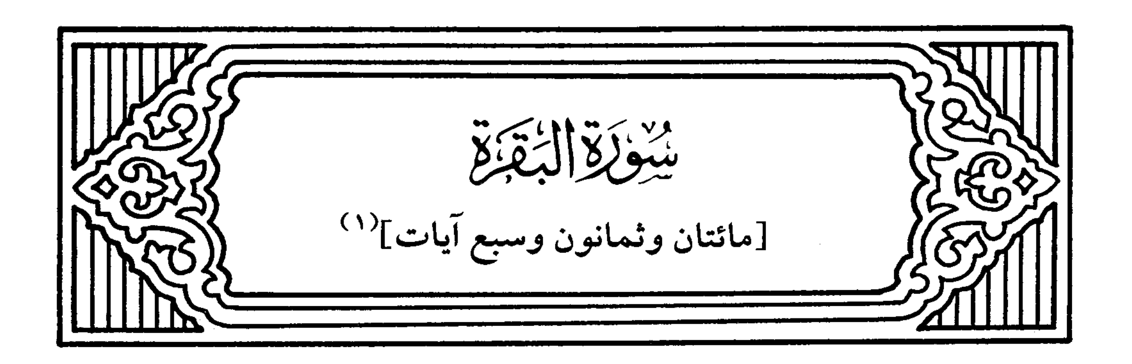
﴿٦﴾ ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾، أَيْ: دُلَّنا عليه، واسلكْ بنا فيه، وثبِّتنا عليه.

﴿٧﴾ ﴿**صراط الذين أنعمتَ عليهم**﴾ بالهداية، وهم قومُ موسىٰ وعيسىٰ عليهما السَّلام قبل أن يُغيِّروا نعمَ الله عزَّ وجلَّ. وقيل: هم الذين ذكرهم الله عزَّ وجلَّ في قوله تعالى: ﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم...﴾(1) الآية. ﴿**غير المغضوب عليهم**﴾، أَيْ: غير الذين غضبتَ عليهم، وهم اليهود، ومعنىٰ الغضب من الله تعالىٰ: إرادةُ العقوبة. ﴿**ولا الضَّالين**﴾، أَيْ: ولا الذين ضلُّوا، وهم النَّصارىٰ، فكأنَّ المسلمين سألوا الله تعالىٰ أن يهديهم طريق الذين أنعم عليهم ولم يغضب عليهم، كما غضب علىٰ اليهود، ولم يضلُّوا عن الحقِّ كما ضلَّت النَّصارىٰ.

● ● ●

---

(١) وتمامها: ﴿من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ [النساء: الآية ٦٩].



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ

﴿بسم الله الرَّحمن الرَّحيم﴾،

(١) ﴿الٓم﴾ أنا الله أعلم[٢].

(٢) ﴿ذلك الكتاب﴾ أَيْ: هذا الكتاب، يعني: القرآن. ﴿لا ريبَ فيه﴾ أَيْ: لا شكَّ فيه، [أَيْ]: إنَّه صدقٌ وحقٌّ. [وقيل: لفظه لفظ خبرٍ، ويُراد به النهي عن الارتياب. قال: ﴿فلا رفث ولا فسوق﴾ ولا ريب فيه أنَّه][٣] ﴿هدىً﴾: بيانٌ ودلالةٌ ﴿للمتقين﴾: للمؤمنين الذي يتَّقون الشِّرْك. [في تخصيصه كتابه بالهدىٰ للمتقين دلالةٌ على أنَّه ليس بهدىً لغيرهم، وقد قال: ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر. . .﴾ الآية][٤].

(٣) ﴿الذين يؤمنون﴾: يُصدِّقون ﴿بالغيب﴾: بما غاب عنهم من الجنَّة والنَّار والبعث.

---

(١) زيادة من ظ و عا، وهذا عدَّها على العدِّ البصري، وهي في المصحف ٢٨٦ آية.

(٢) وهذا قول ابن عباس أخرجه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره ١/٢٧؛ وابن جرير ١/٨٨؛ وفي سنده عطاء بن السائب، وشريك، وقد اختلطا وساء حفظهما.

(٣) زيادة من المطبوعة.

(٤) زيادة من المطبوعة.
والآية: ﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر﴾ رقمها ٤٤، من سورة فصلت.

وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾

﴿**ويقيمون الصَّلاة**﴾: يُديمونها ويحافظون عليها، ﴿**وممَّا رزقناهم**﴾: أعطيناهم ممَّا ينتفعون به. ﴿**ينفقون**﴾: يُخرجونه في طاعة الله تعالىٰ.

﴿٤﴾ ﴿**والذين يؤمنون بما أُنزل إليك**﴾ نزلت في [مؤمني] أهل الكتاب يؤمنون بالقرآن، ﴿**وما أنزل من قبلك**﴾ يعني: التَّوراة، ﴿**وبالآخرة**﴾ يعني: وبالدَّار الآخرة ﴿**هم يوقنون**﴾: يعلمونها علماً باستدلالٍ.

﴿٥﴾ ﴿**أولئك**﴾ يعني: الموصوفين بهذه الصِّفات. ﴿**علىٰ هدىً**﴾: بيانٍ وبصيرةٍ ﴿**من ربِّهم**﴾ أيْ: من عند ربِّهم، ﴿**وأولئك هم المفلحون**﴾: الباقون في النَّعيم المقيم.

﴿٦﴾ ﴿**إنَّ الذين كفروا**﴾: ستروا ما أنعم الله عزَّ وجلَّ به عليهم من الهدىٰ والآيات فجحدوها، وتركوا توحيد الله تعالىٰ ﴿**سواء عليهم**﴾: معتدلٌ ومتساوٍ عندهم ﴿**أأنذرتهم**﴾: أعلمتهم وخوَّفتهم [﴿**أم لم تنذرهم**﴾] أم تركت ذلك ﴿**لا يؤمنون**﴾ نزلت في أبي جهلٍ وخمسةٍ من أهل بيته[١]، ثمَّ ذكر سبب تركهم الإيمان، فقال:

﴿٧﴾ ﴿**ختم اللَّهُ علىٰ قلوبهم**﴾ [أيْ: طبع الله على قلوبهم][٢] واستوثق منها حتىٰ لا يدخلها الإيمان، ﴿**وعلىٰ سمعهم**﴾: [أيْ: مسامعهم حتىٰ لا ينتفعوا بما يسمعون، ﴿**وعلىٰ أبصارهم**﴾:] علىٰ أعينهم ﴿**غشاوة**﴾ غطاءٌ فلا يبصرون الحقَّ، ﴿**ولهم عذابٌ عظيمٌ**﴾ مُتواصلٌ لا تتخلَّله فُرجةٌ.

---

(١) وهذا قول الضحاك. أسباب النزول ص ٥٧.

(٢) زيادة من المطبوعة.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾

﴿٨﴾ ﴿**ومنْ الناس مَن يقولُ آمنا بالله وباليوم الآخر...**﴾ الآية. نزلت في المنافقين حين أظهرواَ كلمة الإيمان، وأسرُّوا الكفر، فنفىٰ الله سبحانه عنهم الإيمان بقوله: ﴿**وما هم بمؤمنين**﴾ فدلَّ أنَّ حقيقة الإيمان ليس الإقرار فقط.

﴿٩﴾ ﴿**يخادعون الله والذين آمنوا**﴾ أَيْ: يعملون عمل المخادع بإظهار غير ما هم عليه؛ ليدفعوا عنهم أحكام الكفر، ﴿**وما يخدعون إلَّا أنفسهم**﴾ لأنَّ وبال خداعهم عاد عليهم بإطلاعِ الله تعالىٰ نبيَّه [عليه السَّلام والمؤمنين] علىٰ أسرارهم وافتضاحهم، ﴿**وما يشعرون**﴾: وما يعلمون ذلك.

﴿١٠﴾ ﴿**في قلوبهم مرضٌ**﴾ شكٌّ ونفاقٌ، ﴿**فزادهم الله مرضاً**﴾ أَيْ: بما أنزل من القرآن فشكُّوا فيه كما شكُّوا في الذي قبله، ﴿**ولهم عذابٌ أليم**﴾: مؤلمٌ ﴿**بما كانوا يكذبون**﴾ بتكذيبهم آيات الله عزَّ وجلَّ ونبيَّه ﷺ. [ومَنْ قرأ: «يُكذِّبون»(١) فمعناه: بكذبهم في ادّعائهم الإيمان](٢).

﴿١١﴾ ﴿**وإذا قيل لهم**﴾ [لهؤلاء] المنافقين: ﴿**لا تفسدوا في الأرض**﴾ بالكفر وتعويق النَّاس عن الإيمان ﴿**قالوا إنما نحن مصلحون**﴾ أَي: الذي نحن عليه هو صلاحٌ عند أنفسنا، فردَّ الله تعالىٰ عليهم ذلك، فقال:

﴿١٢﴾ ﴿**ألا إنَّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون**﴾: لا يعلمون أنَّهم مُفسدون.

---

(١) قرأ: «يُكذِّبون» بتشديد الذال، وضم الياء نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر. الإتحاف ص ١٢٩.

(٢) ما بين [ ] زيادة من المطبوعة.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾

﴿١٣﴾ **﴿وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن النَّاس﴾** هم أصحاب محمَّدٍ ﷺ **﴿قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء﴾** أَيْ: لا نفعل كما فعلوا، وهذا القول كانوا يقولونه فيما بينهم، فأخبر الله تعالىٰ به عنهم.

﴿١٤﴾ **﴿وإذا لقوا الذين آمنوا﴾** إذا اجتمعوا مع المؤمنين ورأوهم **﴿قالوا آمنَّا﴾** **﴿وإذا خلوا﴾** من المؤمنين وانصرفوا **﴿إلى شياطينهم﴾**: كبرائِهم وقادتهم **﴿قالوا إنَّا معكم﴾** [أَيْ: على دينكم][1] **﴿إنَّما نحن مستهزئون﴾**: مُظهرون غير ما نضمره.

﴿١٥﴾ **﴿اللَّهُ يستهزئُ بهم﴾**: يجازيهم جزاء استهزائهم **﴿ويمدُّهم﴾**: يُمهلهم ويطوِّل أعمارهم **﴿في طغيانهم﴾**: في إسرافهم ومجاوزتهم القدر في الكفر **﴿يعمهون﴾** يتردَّدون مُتحيِّرين.

﴿١٦﴾ **﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدىٰ﴾**: أخذوا الضَّلالة وتركوا الهدىٰ **﴿فما ربحت تجارتُهم﴾** فما ربحوا في تجارتهم، [وإضافة الرِّبح إلى التجارة على طريق الاتساع، كإضافة الإيضاء إلى النار][2]. **﴿وما كانوا مهتدين﴾** فيما فعلوا.

﴿١٧﴾ **﴿مثلُهم كمثل الذي استوقد ناراً﴾** أَيْ: حالهم في نفاقهم وإبطانهم الكفر كحالِ مَنْ أَوقد ناراً فاستضاء بها، وأضاءت النَّار ما حوله ممَّا يخاف ويحذر وأمن، فبينما هو كذلك إذ طُفئت ناره فبقي مُظلماً خائفاً مُتحيِّراً، فذلك قوله تعالىٰ: **﴿ذهب الله بنورهم...﴾** الآية. كذلك المنافقون لمَّا أظهروا كلمة الإيمان اغترُّوا بها وأَمِنُوا، فلمَّا ماتوا عادوا إلى الخوف والعذاب.

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) زيادة من المطبوعة.

صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ

﴿١٨﴾ ﴿صمٌّ﴾ لتركهم قبول ما يسمعون ﴿بُكْمٌ﴾ لتركهم القول بالخير ﴿عُمْيٌ﴾ لتركهم ما يُبصرون من الهداية ﴿فهم لا يرجعون﴾ عن الجهل والعمىٰ إلى الإسلام، ثمَّ ذكر تمثيلاً آخر فقال:

﴿١٩﴾ ﴿أو كصيِّبٍ﴾ أو كأصحاب مطرٍ شديدٍ ﴿من السَّماء﴾: من السَّحاب ﴿فيه﴾: في ذلك السَّحاب ﴿ظلماتٌ ورعدٌ﴾ وهو صوت مَلَكٍ مُوكَّلٍ بالسَّحاب[١] ﴿وبرق﴾ وهي النَّار التي تخرج منه[٢]. ﴿يجعلون أصابعهم في آذانهم﴾ يعني: أهل هذا المطر ﴿من الصواعق﴾ من شدَّة صوت الرَّعد يسدُّون آذانهم بأصابعهم كيلا يموتوا بشدَّة ما يسمعون من الصَّوت، فالمطر مَثَلٌ للقرآن لما فيه من حياة القلوب، والظُّلماتُ مَثَلٌ لما في القرآن من ذكر الكفر والشِّرك، وبيان الفتن والأهوال، والرَّعدُ مَثَلٌ لما خُوِّفوا به من الوعيد وذكر النَّار، والبرقُ مثلٌ لحجج القرآن وما فيه من البيان، وجعل الأصابع في الآذان حذر الموت مثلٌ لجعل المنافقين أصابعهم في آذانهم كيلا يسمعوا القرآن مخافةَ ميل القلب إلى القرآن، فيؤدِّي ذلك إلى الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ، وذلك عندهم كفرٌ، والكفر موتٌ. ﴿واللَّهُ محيطٌ بالكافرين﴾ مُهلكهم وجامعهم في النَّار.

﴿٢٠﴾ ﴿يكاد البرقُ يخطف أبصارهم﴾ هذا تمثيلٌ آخر، يقول: يكاد ما في القرآن من

---

(١) ورد هذا في حديثٍ عن ابن عباس عن رسول الله ﷺ، وقد أخرجه الترمذي وقال: حسنٌ غريب.
انظر: عارضة الأحوذي ١١/ ٢٨٤؛ وابن أبي حاتم في تفسيره ١/ ٦٨؛ وأحمد في المسند ١/ ٢٧٣؛ وابن جرير ١/ ١٥٠.

(٢) في ظ: ﴿وبرقٌ﴾ هو مصعُ ملكٍ يسوق السحاب.
وفي حاشيتها: المصع: الضرب بالسيف، ومَصَعَ البرقُ: أومض.

كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَـٰرِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا

الحجج يخطف قلوبهم من شدَّة إزعاجها إلى النَّظر في أمر دينهم **﴿كلما أضاءَ لهم مشوا فيه﴾**: كُلَّما سمعوا شيئاً ممَّا يُحبّون صدَّقوا، وإذا سمعوا ما يكرهون وقفوا، وذلك قولُه عزَّ وجلَّ: **﴿وإذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم﴾** أَيْ: بأسماعهم الظَّاهرة، وأبصارهم الظَّاهرة، كما ذهب بأسماعهم وأبصارهم الباطنة حتىٰ صاروا صُمّاً عُمياً، فليحذروا عاجل عقوبة الله سبحانه وآجلها، فـ **﴿إنَّ الله علىٰ كلِّ شيء قديرٌ﴾** من ذلك.

﴿٢١﴾ **﴿يا أيُّها النَّاس﴾** يعني: أهل مكَّة **﴿اعبدوا ربّكم﴾**: اخضعوا له بالطَّاعة **﴿الذي خلقكم﴾**: ابتدأكم ولم تكونوا شيئاً **﴿والذين من قبلكم﴾** [آباءكم][1] [وخلق الذين من قبلكم][2]. أيْ: إنَّ عبادة الخالق أولىٰ من عبادة المخلوق وهو الصَّنم **﴿لعلَّكم تتقون﴾** لكي تتقوا بعبادته عقوبته أن تحلَّ بكم.

﴿٢٢﴾ **﴿الذي جعل لكم الأرض فراشاً﴾** بساطاً، لم يجعلها حَزْنَةً غليظةً لا يمكن الاستقرار عليها **﴿والسماء بناءً﴾** سقفاً **﴿وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات﴾** يعني: حمل الأشجار وجميع ما ينتفع به ممَّا يخرج من الأرض **﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾**: أمثالاً من الأصنام التي تعبدونها **﴿وأنتم تعلمون﴾** أنَّهم لا يخلقون، والله هو الخالق، وهذا احتجاجٌ عليهم في إثبات التَّوحيد، ثمَّ احتجَّ عليهم في إثبات نبوَّة محمَّدٍ ﷺ بما قطع عذرهم به، فقال:

﴿٢٣﴾ **﴿وإنْ كنتم في ريب مما نزلنا﴾** [أي: وإن كنتم][3] في شكٍّ من صدق هذا الكتاب

(١) زيادة من ظ.
(٢) زيادة من ظا.
(٣) زيادة من ظا.

عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾

الذي أنزلناه على محمَّدٍ ﷺ، وقلتم: لا ندري هل هو من عند الله أم لا **﴿فأتوا بسورة﴾** من مثل هذا القرآن في الإعجاز، وحسن النَّظم، والإخبار عمَّا كان وما يكون، **﴿وادعوا شهداءكم﴾** واستعينوا بآلهتكم التي تدعونها **﴿من دون الله إن كنتم صادقين﴾** أنَّ محمداً تقوَّله من نفسه.

﴿٢٤﴾ **﴿فإنْ لم تفعلوا﴾** هذا فيما مضىٰ، **﴿ولن تفعلوا﴾**ه أيضاً فيما يُستقبل أبداً **﴿فاتقوا﴾**: فاحذروا أن تصلوا **﴿النَّار التي وقودها﴾** ما يُوقد به **﴿النَّاسُ والحجارة﴾** يعني حجارة الكبريت، وهي أشدُّ لاتِّقادها **﴿أعدَّت﴾** [خُلقت وهُيِّئت][1] جزاءً **﴿للكافرين﴾** بتكذيبهم. ثمَّ ذكر جزاء المؤمنين فقال:

﴿٢٥﴾ **﴿وبشِّر الذين آمنوا﴾** أَيْ: أخبرهم خبراً يظهر به أثر السُّرور علىٰ بشرتهم **﴿وعملوا الصالحات﴾** أَي: الأعمال الصَّالحات، يعني الطَّاعات فيما بينهم وبين ربِّهم **﴿أنَّ لهم﴾**: بأنَّ لهم **﴿جناتٍ﴾**: حدائق ذات الشَّجر **﴿تجري من تحتها﴾** من تحت أشجارها ومساكنها **﴿الأنهار﴾** **﴿كلما رزقوا﴾**: أُطعموا من تلك الجنَّات ثمرةً **﴿قالوا هذا الذي رزقنا من قبل﴾** لتشابه ما يُؤتون به، وأرادوا: هذا من نوع ما رُزقنا من قبل **﴿وأتوا به متشابهاً﴾** في اللَّون والصُّورة، مختلفاً في الطَّعم، وذلك أبلغ في باب الإعجاب **﴿ولهم فيها أزواجٌ﴾**: من الحور العين والآدميات **﴿مطهرةٌ﴾** عن كلِّ أذىً وقذرٍ ممَّا في نساء الدُّنيا، ومن مساوىء الأخلاق، وآفات الشَّيب والهرم **﴿وهم فيها خالدون﴾** لأنَّ تمام النِّعمة بالخلود.

---

(١) زيادة من عا و ظ و ظا. وليس في الأخيرتين: خُلقت.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ

(٢٦) ﴿إنَّ الله لا يَسْتَحْيِ...﴾ الآية. لمَّا ضرب الله سبحانه المَثل للمشركين بالذُّباب والعنكبوت في كتابه ضحكت اليهود، وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله سبحانه، فأنزل الله تعالىٰ[١]: ﴿إنَّ الله لا يَسْتَحْيِ﴾ لا يترك ولا يخشىٰ ﴿أن يضرب مثلاً﴾ أَنْ يُبيِّنَ شبهاً ﴿ما بعوضةً﴾ «ما» زائدةٌ مؤكِّدة، والبعوض: صغار البق، الواحدة: بعوضة. ﴿فما فوقها﴾ يعني: فما هو أكبر منها، والمعنىٰ: إنَّ الله تعالىٰ لا يترك ضرب المثل ببعوضةٍ فما فوقها إذا علم أنَّ فيه عبرةً لمن اعتبر، وحجَّةً علىٰ مَنْ جحد [واستكبر][٢] ﴿فأمَّا الذين آمنوا فيعلمون﴾ أنَّ المثل وقع في حقِّه، ﴿وأمَّا الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً﴾ أَيْ: أَيُّ شيءٍ أراد الله بهذا من الأمثال؟ والمعنىٰ أنَّهم يقولون: أَيُّ فائدةٍ في ضرب الله المثل بهذا؟ فأجابهم الله سبحانه فقال: ﴿يضلُّ به كثيراً﴾ أَيْ: أراد الله بهذا المثل أن يضلَّ به كثيراً من الكافرين، وذلك أنَّهم يُنكرونه ويُكذِّبونه ﴿ويهدي به كثيراً﴾ من المؤمنين؛ لأنَّهم يعرفونه ويصدِّقونه ﴿وما يضلُّ به إلاَّ الفاسقين﴾ الكافرين الخارجين عن طاعته.

(٢٧) ﴿الذين ينقضون﴾ يهدمون ويفسدون ﴿عهدَ الله﴾: وصيته وأمره في الكتب المتقدِّمة بالإيمان بمحمدٍ ﷺ ﴿من بعد ميثاقه﴾ من بعد توكيده عليهم بإيجابه ذلك ﴿ويقطعون ما أمرَ الله به أَنْ يوصل﴾ يعني: الرَّحم، وذلك أنَّ قريشاً قطعوا رحم النَّبيِّ ﷺ بالمعاداة معه ﴿ويفسدون في الأرض﴾ بالمعاصي وتعويق النَّاس عن

(١) أسباب النزول ص ٥٩؛ ولباب النقول ص ١٨.
(٢) زيادة من ظا.

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ

الإيمان بمحمدٍ ﷺ ﴿أولئك هم الخاسرون﴾ [مغبونون][١] بفوت المثوبة، والمصيرِ إلى العقوبة.

﴿٢٨﴾ ﴿كيف تكفرون بالله﴾ معنىٰ «كيف» ها هنا استفهامٌ في معنىٰ التَّعجُّب للخلق، أَي: اعجبوا من هؤلاء كيف يكفرون بالله وحالُهم أنَّهم كانوا تراباً فأحياهم، بأَنْ خلق فيهم الحياة، فالخطاب للكفَّار، والتَّعجب للمؤمنين، وقوله تعالىٰ: ﴿ثم يميتكم﴾ أَيْ: في الدُّنيا ﴿ثمَّ يُحييكم﴾ [في الآخرة] للبعث ﴿ثمَّ إليه ترجعون﴾ تردُّون فيفعل بكم ما يشاء، فاستعظم المشركون أمر البعث والإِعادة، فاحتجَّ الله سبحانه عليهم بخلق السَّموات والأرض، فقال:

﴿٢٩﴾ ﴿هو الذي خلق لكم﴾ لأجلكم ﴿ما في الأرض جميعاً﴾ بعضها للانتفاع، وبعضها للاعتبار، ﴿ثمَّ استوىٰ إلى السَّماء﴾: أقبل علىٰ خلقها، وقصد إليها ﴿فسوَّاهنَّ سبع سموات﴾ فجعلهنَّ سبع سمواتٍ مُستوياتٍ لا شقوق فيها ولا فطور ولا تفاوت ﴿وهو بكلِّ شيءٍ عليم﴾ إذ بالعلم يصحُّ الفعل المحكم.

﴿٣٠﴾ ﴿وإذ قال ربك﴾ واذكر لهم يا محمَّدُ إذ قال ربُّك ﴿للملائكة إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾ يعني: آدم، جعله خليفةً عن الملائكة الذين كانوا سكَّان الأرض بعد الجنِّ، والمراد بذكر هذه القصَّة ذكرُ بدءِ خلق النَّاس. ﴿قالوا أتجعل فيها مَنْ يفسد فيها﴾ كما فعل بنو الجانِّ، قاسوا [الشَّاهد][٢] علىٰ الغائب ﴿ونحن نسبح بحمدك﴾ نُبرِّئُك من كلِّ سوءٍ، ونقول: سبحان الله وبحمده، ﴿ونقدِّسُ لك﴾

---

(١) زيادة من ظ.
(٢) زيادة من ظ.

قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ

ونُنزِّهك عمَّا لا يليق بك ﴿**قال إني أعلم ما لا تعلمون**﴾ من إضمار إبليس العزم على المعصية، فلمَّا قال الله تعالى هذا للملائكة قالوا فيما بينهم: لن يخلق ربُّنا خلقاً هو أعلمُ منَّا، ففضَّل الله تعالىٰ عليهم آدم بالعلم، وعلَّمه اسم كلِّ شيء حتىٰ القصعة [والقصيعة][1] والمِغْرفة، وذلك قوله تعالى:

﴿٣١﴾ ﴿**وعلَّم آدم الأسماءَ كلَّها**﴾ أَيْ: خلق في قلبه علماً بالأسماء على سبيل الابتداء، ﴿**ثمَّ عرَضهم**﴾ أَيْ: عرض المسمَّيات بالأسماء من الحيوان والجماد وغير ذلك ﴿**علىٰ الملائكة فقال أنبئوني**﴾ أخبروني ﴿**بأسماء هؤلاء**﴾ وهذا أمرُ تعجيزٍ، أراد الله تعالىٰ أن يُبيِّن عجزهم عن علم ما يرون ويُعاينون ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ أنِّي لا أخلق خلقاً أعلمَ منكم، فقالت الملائكة إقراراً بالعجز واعتذاراً:

﴿٣٢﴾ ﴿**سبحانك**﴾ تنزيهاً لك عن الاعتراض عليك في حكمك ﴿**لا علم لنا إلاَّ ما علمتنا**﴾ اعترفوا بالعجز عن علم ما لم يُعلِّموه ﴿**إنَّك أنت العليم**﴾ العالم ﴿**الحكيم**﴾ الحاكم تحكم بالحقِّ وتقضي به، فلمَّا ظهر عجز الملائكة قال الله تعالىٰ لآدم:

﴿٣٣﴾ ﴿**يا آدم أنبئهم بأسمائهم**﴾ أخبرهم بتسمياتهم، فسمَّىٰ كلَّ شيءٍ باسمه، وألحق كلَّ شيءٍ بجنسه ﴿**فلما أنبأهم بأسمائهم**﴾: أخبرهم بمسمَّياتهم ﴿**قال**﴾ الله تعالى للملائكة: ﴿**ألم أقل لكم**﴾ وهذا استفهامٌ يتضمَّن التَّوبيخ لهم على قولهم: ﴿**أتجعل فيها مَنْ يفسد فيها**﴾. ﴿**إني أعلم غيب السموات والأرض**﴾ أَيْ: ما غاب

(١) زيادة من الأصل ع.

وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ

فيهما عنكم ﴿**وأعلم ما تبدون**﴾: علانيتكم ﴿**وما كنتم تكتمون**﴾: سرَّكم، لا يخفىٰ عليَّ شيءٌ من أموركم.

﴿٣٤﴾ ﴿**وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم**﴾ سجود تعظيمٍ وتسليمٍ وتحيَّةٍ، وكان ذلك انحناءاً يدلُّ علىٰ التَّواضع، ولم يكن وضعَ الوجه على الأرض، ﴿**فسجدوا إلَّا إبليس أبىٰ**﴾ امتنع ﴿**واستكبر وكان من الكافرين**﴾ في سابق علم الله عزَّ وجلَّ.

﴿٣٥﴾ ﴿**وقلنا يا آدم اسكنْ أنت وزوجك الجنَّة**﴾ اتَّخذاها مأوىً ومنزلاً ﴿**وكلا منها رغداً**﴾ واسعاً ﴿**حيث شئتما**﴾ ما شئتما إذا شئتما [كيف شئتما][1] ﴿**ولا تقربا هذه الشجرة**﴾ لا تحوما حولها بالأكل منها، يعني السُّنبلة ﴿**فتكونا**﴾ فتصيرا ﴿**من الظالمين**﴾: العاصين الذين وضعوا أمر الله عزَّ وجلَّ غير موضعه.

﴿٣٦﴾ ﴿**فأزلَّهما الشيطان**﴾ نحَّاهما وبعَّدهما ﴿**عنها فأخرجهما ممَّا كانا فيه**﴾ من الرُّتبة ولين العيش ﴿**وقلنا**﴾ لآدم وحواء وإبليس والحيَّة: ﴿**اهبطوا**﴾ أي: انزلوا إلىٰ الأرض ﴿**بعضكم لبعض عدو**﴾ يعني: العداوة التي بين آدم وحواء والحيَّة[2]، وبين ذرية آدم عليه السَّلام من المؤمنين وبين إبليس لعنه الله، ﴿**ولكم في الأرض مستقر**﴾ موضع قرارٍ ﴿**ومتاع إلىٰ حين**﴾ ما تتمتَّعون به ممَّا تُنبته الأرض إلى حين الموت.

﴿٣٧﴾ ﴿**فتلقىٰ آدم من ربه**﴾ أخذ وتلقَّن ﴿**كلماتٍ**﴾ وهو أنَّ الله تعالىٰ ألهم آدم عليه

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) قصة الحية من الإسرائيليات التي لا تثبت.

فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ

السَّلام حين اعترف بذنبه وقال: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا﴾[1] الآية ﴿فتاب عليه﴾ فعاد عليه بالمغفرة حين اعترف بالذَّنب واعتذر ﴿إنَّه هو التواب﴾ يتوب على عبده بفضله إذا تاب إليه من ذنبه.

﴿٣٨﴾ ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً﴾ كرَّر الأمر بالهبوط للتَّأكيد ﴿فإمَّا يأتينَّكم مني هدىً﴾ أَيْ: فإنْ يأتكم مني شريعةٌ ورسولٌ وبيانٌ ودعوةٌ ﴿فمن تبع هداي﴾ أَيْ: قَبِل أمري، واتَّبع ما آمره به ﴿فلا خوف عليهم﴾ في الآخرة ولا حزن، والخطاب لآدم وحوَّاء وذرِّيتهما، أعلمهم الله تعالىٰ أنَّه يبتليهم بالطَّاعة، ويجازيهم بالجنَّة عليها، ويعاقبهم بالنَّار على تركها، وهو قوله تعالىٰ:

﴿٣٩﴾ ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾ أَيْ: بأدلتنا وكتبنا ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿يا بني إسرائيل﴾ أولاد يعقوب عليه السَّلام ﴿اذكروا﴾ اشكروا، وذكر النِّعمة هو شكرها ﴿نعمتي﴾ يعني: نعمي ﴿التي أنعمت عليكم﴾ يعني: فلق البحر، والإنجاء من فرعون، وتظليل الغمام، إلىٰ سائر ما أنعم الله تعالىٰ به عليهم، والمراد بقوله تعالىٰ: ﴿عليكم﴾ أَيْ: علىٰ آبائكم، والنِّعمة على آبائهم نعمةٌ عليهم، وشكر هذه النِّعم طاعتُه في الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ، ثمَّ صرَّح بذلك، فقال: ﴿وأوفوا بعهدي﴾

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٣. وتمامها: ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين﴾.
وهذا قول مجاهد، وسعيد بن جبير، والحسن، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، وخالد بن معدان، وعطاء الخراساني، والربيع بن أنس في الآية.
انظر: تفسير ابن أبـي حاتم ١/١٣٦؛ وابن جرير ١/٢٤٣.

أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰيَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُوا بِـَٔايَٰتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْبِسُوا ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ

أَيْ: في محمَّدٍ ﷺ ﴿**أُوف بعهدكم**﴾ أدخلكم الجنَّة ﴿**وإيَّاي فارهبون**﴾ فخافوني في نقض العهد.

﴿٤١﴾ ﴿**وآمنوا بما أنزلت**﴾ يعني: القرآن ﴿**مصدقاً لما معكم**﴾ موافقاً للتَّوراة في التَّوحيد والنُّبوَّة ﴿**ولا تكونوا أوَّل كافر به**﴾ أَيْ: أوَّل مَنْ يكفر به من أهل الكتاب؛ لأنَّكم إذا كفرتم كفر أتباعكم، فتكونوا أئمةً في الضَّلالة، والخطابُ لعلماء اليهود. ﴿**ولا تشتروا**﴾ ولا تستبدلوا ﴿**بآياتي**﴾ ببيان صفة محمَّدٍ ﷺ ونعته ﴿**ثمناً قليلاً**﴾ عوضاً يسيراً من الدُّنيا. يعني: ما كانوا يُصيبونه من سفلتهم، فخافوا إنْ هم بيَّنوا صفة محمَّدٍ ﷺ أَنْ تفوتهم تلك المآكل والرِّياسة، ﴿**وإيايَّ فاتقون**﴾ فاخشوني في أمر محمَّدٍ ﷺ لا ما يفوتكم من الرِّياسة.

﴿٤٢﴾ ﴿**ولا تلبسوا الحق بالباطل**﴾ أَيْ: لا تخلطوا الحقَّ الذي أنزلتُ عليكم من صفة محمَّدٍ عليه السَّلام بالباطل الذي تكتبونه بأيديكم من تغيير صفته، وتبديل نعته، ﴿**وتكتموا الحق**﴾ أَيْ: ولا تكتموا الحقَّ، فهو جزمٌ عُطِفَ على النَّهي، ﴿**وأنتم تعلمون**﴾ أنَّه نبيٌّ مرسلٌ قد أُنزل عليكم ذكره في كتابكم، فجحدتم نبوَّته مع العلم به.

﴿٤٣﴾ ﴿**وأقيموا الصلاة**﴾ المفروضة ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ الواجبة في المال ﴿**واركعوا مع الراكعين**﴾ وصلُّوا مع المصلِّين محمَّدٍ ﷺ وأصحابه في جماعةٍ.

﴿٤٤﴾ ﴿**أتأمرون الناس بالبرِّ**﴾ كانت اليهود تقول لأقربائهم من المسلمين: اثبتوا علىٰ ما أنتم عليه، ولا يؤمنون به، فأنزل الله تعالىٰ توبيخاً لهم[1]: ﴿**أتأمرون الناس**

(١) أخرجه الثعلبي في تفسيره ورقة ٦٠ أ؛ والواحدي في أسباب النزول ص ٦٠ عن ابن عباس من طريق الكلبي عن أبي صالح. وهما ضعيفان.

بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾

بالبر﴾ بالإيمان بمحمد ﷺ **﴿وتنسون﴾** وتتركون **﴿أنفسكم﴾** فلا تأمرونها بذلك **﴿وأنتم تتلون الكتاب﴾** تقرؤون التَّوراة وفيها صفة محمَّدٍ ﷺ ونعته **﴿أفلا تعقلون﴾** أنّه حقٌّ فتتَّبعونه؟! ثمَّ أمرهم الله تعالىٰ بالصَّوم والصَّلاة؛ لأنَّهم إنَّما كان يمنعهم عن الإسلام الشَّره، وخوف ذَهاب مأكلتهم، وحب الرِّياسة، فأُمروا بالصَّوم الذي يُذهب الشَّرَه، وبالصَّلاة التي تُورث الخشوع، وتَنفي الكبر، وأُريدَ بالصَّلاةِ الصَّلاةُ التي معها الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ، فقال:

﴿٤٥﴾ **﴿واستعينوا بالصبر﴾** يعني بالصَّوم، **﴿والصلاة﴾** لأنَّها تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، **﴿وإنها لكبيرةٌ﴾** لثقيلةٌ [يعني: وإنَّ الاستعانةَ بالصبر والصلاة لثقيلةٌ][١] **﴿إلَّا علىٰ الخاشعين﴾** السَّاكنين إلى الطَّاعة. وقال بعضهم: رجع بهذا القول إلىٰ خطاب المسلمين، فأمرهم أَنْ يستعينوا علىٰ ما يطلبونه من رضاءِ الله تعالىٰ ونيل جنَّتِهِ بالصَّبر على أداء فرائضه [وهو الصَّوم][٢] والصَّلاة.

﴿٤٦﴾ **﴿الذين يظنون﴾** يستيقنون **﴿أنهم ملاقو ربِّهم﴾** أنَّهم مبعوثون وأنَّهم محاسبون وأنَّهم راجعون إلى الله تعالىٰ، أَيْ: يُصدِّقون بالبعث والحساب.

﴿٤٧﴾ **﴿يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم﴾** مضىٰ تفسيره[٣]، **﴿وأني فضلتكم﴾** أعطيتكم الزِّيادة **﴿على العالمين﴾**: علىٰ عالمي زمانكم، وهو ما ذكره في قوله تعالىٰ: ﴿إذ جعل فيكم أنبياء. . .﴾[٤] الآية، والمراد بهذا التَّفضيل سلفهم، ولكن تفضيل الآباء شرف الأبناء.

---

(١) زيادة من ظ وظا.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) انظر: ص ١٠١ آية ٤٠.

(٤) الآية: ﴿وإذ قال موسىٰ لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾ [سورة المائدة: الآية ٢٠].

وَاتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِذْ نَجَّيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾

﴿٤٨﴾ ﴿واتقوا يوماً﴾ واحذروا واجتنبوا عقاب يوم ﴿لا تجزي﴾ لا تقضي ولا تُغني ﴿نفسٌ عن نفسٍ شيئاً ولا يقبل منها شفاعة﴾ أَيْ: لا يكون شفاعةٌ فيكون لها قبول، وذلك أنَّ اليهود كانوا يقولون: يشفع لنا آباؤنا الأنبياء، فآيسهم الله تعالى عن ذلك ﴿ولا يؤخذ منها عدل﴾ فِداءٌ ﴿ولا هم ينصرون﴾ يُمنعون من عذاب الله تعالىٰ.

﴿٤٩﴾ ﴿وإذ نجيناكم﴾ واذكروا ذلك ﴿من آل فرعون﴾ أتباعه ومَنْ كان على دينه ﴿يسومونكم﴾: يُكلِّفونكم ﴿سوء العذاب﴾ شديد العذاب، وهو قوله تعالىٰ: ﴿يذبحون﴾: يُقتِّلون ﴿أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ يستبقونهنَّ أحياءً [لقول بعض الكهنة له: إنَّ مولوداً يُولد في بني إسرائيل يكون سبباً له ذهابُ ملكك](١). ﴿وفي ذلكم﴾ الذي كانوا يفعلونه بكم(٢) ﴿بلاءٌ﴾: ابتلاءٌ واختبارٌ وامتحانٌ ﴿من ربكم عظيم﴾ وقيل: وفي تنجيتكم من هذه المحن نعمةٌ عظيمة، والبلاء: النِّعمة، والبلاء: الشِّدَّة.

﴿٥٠﴾ ﴿وإذ فرقنا بكم البحر﴾(٣) فجعلناه اثني عشر طريقاً حتىٰ خاض فيه بنو إسرائيل. ﴿فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ إلى انطباق البحر عليهم وإنجائكم منهم.

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) في ظ: ﴿وفي ذلكم﴾ العذاب أو الإنجاء ﴿بلاء﴾: ابتلاء أو إنعام ﴿من ربكم عظيم﴾.

(٣) في ظ: ﴿وإذ فرقنا﴾ قطعنا ﴿بكم﴾ بسببكم البحر حتىٰ دخلتموه هاربين من عدوكم. ﴿فأنجيناكم﴾ من الغرق ﴿وأغرقنا آل فرعون﴾ قومه معه ﴿وأنتم تنظرون﴾ إلى انطباق البحر عليهم.

وَإِذْ وَٰعَدْنَا مُوسَىٰٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوْنَا عَنكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ

﴿٥١﴾ ﴿وإذ واعدنا موسىٰ أربعين ليلة﴾[١] أي: انقضاءَها وتمامَها للتَّكلُّم معه ﴿ثمَّ اتخذتم العجل﴾ معبوداً وإلَهاً ﴿من بعده﴾ من بعد خروجه عنكم للميقات ﴿وأنتم ظالمون﴾[٢] واضعون العبادةَ في غير موضعها، وهذا تنبيه على أنَّ كفرهم بمحمَّدٍ ﷺ ليس بأعجب من كفرهم وعبادتهم العجل في زمن موسىٰ عليه السَّلام.

﴿٥٢﴾ ﴿ثمَّ عفونا﴾ محونا ذنوبكم ﴿عنكم من بعد ذلك﴾ من بعد عبادة العجل ﴿لعلكم تشكرون﴾ لكي تشكروا نعمتي بالعفو.

﴿٥٣﴾ ﴿وإذ آتينا موسىٰ الكتاب والفرقان﴾ [عطف تفسيري][٣] يعني: التَّوراة الفارق بين [الحق والباطل][٤] والحلال والحرام ﴿لعلكم تهتدون﴾ لكي تهتدوا بذلك الكتاب [من الضلال][٥].

﴿٥٤﴾ ﴿وإذ قال موسىٰ لقومه﴾ الذين عبدوا العجل ﴿يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل﴾ إلَهاً ﴿فتوبوا إلىٰ بارئكم﴾ يعني: خالقكم[٦]. قالوا: كيف نتوب؟ قال: ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾ أَيْ: ليقتلِ البريءُ منكم المجرمَ ﴿ذلكم﴾ أي:

(١) في ظ: ﴿وإذ واعدنا﴾ بألفٍ ودونها، ﴿موسىٰ أربعين ليلة﴾ نعطيه عند انقضائها التوراة لتعملوا بها ﴿ثم اتخذتم العجل﴾ الذي صاغه لكم السامري إلَهاً ﴿من بعده﴾ أيْ: بعد ذهابه إلى ميعادنا ﴿وأنتم ظالمون﴾ باتخاذه؛ لوضعكم العبادة في غير محلها.
ويُلاحظ أنَّ الفروق كثيرة بين نسخة ظ، والنسخ الثلاثة في هذه الآيات.
(٢) في ظ: ﴿وأنتم ظالمون﴾ باتخاذه لوضعكم العبادة في غير محلها.
(٣) زيادة من ظ.
(٤) زيادة من ظ.
(٥) زيادة من ظ.
(٦) في ظ: ﴿فتوبوا إلى بارئكم﴾ خالقكم، من عبادته. ﴿فاقتلوا أنفسكم﴾.

خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾

التَّوبة **﴿خيرٌ لكم عند بارئكم﴾**[(١)] من إقامتكم علىٰ عبادة العجل، ثم فعلتم ما أُمرتم به **﴿فتاب عليكم﴾** [: قبل توبتكم. **﴿إنَّه هو التواب الرحيم﴾**][(٢)].

﴿٥٥﴾ **﴿وإذ قلتم يا موسىٰ لن نؤمن لك﴾**[(٣)] يعني: الذين اختارهم موسىٰ عليه السَّلام ليعتذروا إلى الله سبحانه من عبادة العجل، فلمَّا سمعوا كلام الله تعالىٰ، وفرغ موسىٰ من مناجاة الله عزَّ وجلَّ قالوا له: [**﴿لن نؤمن لك﴾**][(٤)] لن نصدِّقك **﴿حتىٰ نرىٰ الله جهرةً﴾** أَيْ: عِياناً لا يستره عنا شيءٌ **﴿فأخذتكم الصاعقة﴾** وهي نارٌ جاءت من السَّماء فأحرقتهم جميعاً **﴿وأنتم تنظرون﴾** إليها حين نزلت، وإنَّما أخذتهم الصَّاعقة؛ لأنَّهم امتنعوا من الإيمان بموسىٰ عليه السَّلام بعد ظهور معجزته حتىٰ يُريهم ربَّهم جهرةً، والإيمانُ بالأنبياء واجبٌ بعد ظهور معجزتهم، ولا يجوز اقتراح المعجزات عليه، فلهذا عاقبهم الله تعالىٰ، وهذه الآية توبيخٌ لهم على مخالفة الرَّسول ﷺ مع قيام معجزته، كما خالف أسلافهم موسىٰ مع ما أَتى به من الآيات الباهرة.

﴿٥٦﴾ **﴿ثم بعثناكم﴾** نشرناكم وأَعدْناكم أَحياءً[(٥)] **﴿من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾** نعمة البعث.

---

(١) في ظ: ﴿ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾ فَرَفقكم بفعل ذلك، وأرسل عليكم سحابة سوداء لئلا يبصر بعضكم بعضاً، فيرحمه، حتىٰ قتل منكم نحو سبعين ألفاً.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) في ظ: ﴿وإذ قلتم﴾ وقد خرجتم مع موسىٰ لتعتذروا إلى الله تعالىٰ من عبادة العجل، وسمعتم كلامه: ﴿يا موسىٰ لن نؤمن لك حتىٰ نرىٰ الله جهرة﴾ عياناً ﴿فأخذتكم الصاعقة﴾: الصيحة ﴿وأنتم تنظرون﴾ ما حلَّ بكم ﴿ثم بعثناكم﴾.

(٤) زيادة من عا.

(٥) في ظ: ﴿ثم بعثناكم﴾ أحييناكم ﴿من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ نعمتنا بذلك. ﴿وظللنا =

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾

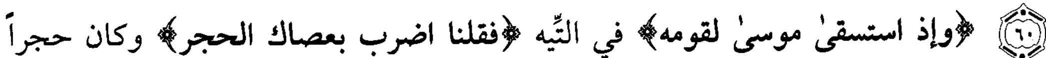
﴿٥٧﴾ ﴿**وظللنا عليكم الغمام**﴾ سترناكم عن الشَّمس في التِّيه بالسَّحاب الرَّقيق ﴿**وأنزلنا عليكم المنَّ**﴾ الطُّرَنْجبين كان يقع على أشجارهم بالأسحار ﴿**والسَّلوىٰ**﴾ وهي طير أمثال السُّمانىٰ، وقلنا لهم: ﴿**كلوا من طيبات**﴾ من حلالات ﴿**ما رزقناكم وما ظلمونا**﴾ بإبائهم على موسىٰ عليه السَّلام دخول قرية الجبَّارين، ولكنَّهم ظلموا أنفسهم حين تركوا أمرنا فحبسناهم في التِّيه، فلمَّا انقضت مدَّة حبسهم وخرجوا من التِّيه قال الله تعالىٰ لهم:

﴿٥٨﴾ ﴿**ادخلوا هذه القرية**﴾ وهي أريحا ﴿**وادخلوا الباب**﴾ يعني: باباً من أبوابها ﴿**سجداً**﴾ منحنين متواضعين ﴿**وقولوا حطة**﴾ وذلك أنَّهم أصابوا خطيئةً بإبائهم على موسىٰ عليه السَّلام دخول القرية، فأراد الله تعالىٰ أَنْ يغفرها لهم فقال لهم: قولوا حطَّةٌ، أَيْ: مسألتنا حطَّةٌ، وهو أن تحط عنا ذنوبنا، ﴿**وسنزيد المحسنين**﴾ الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة إحساناً وثواباً.

= عليكم الغمام﴾ من حرِّ الشمس في التيه، سترناكم بالسحاب الرقيق ﴿وأنزلنا عليكم﴾ فيه ﴿المنَّ والسلوىٰ﴾ وهما الترنجبين والطير السُّمانىٰ، بتخفيف الميم، وقلنا: ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ ولا تدخروا، فكفروا النعمة وادَّخروا، فقطع عنهم. ﴿وما ظلمونا﴾ بذلك ﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ لأنَّ وباله عليهم. ﴿وإذ قلنا لهم﴾ بعد خروجهم من التيه: ﴿ادخلوا هذه القرية﴾ بيت المقدس أو أريحا ﴿وكلوا منها حيث شئتم رغداً﴾ واسعاً لا حجر فيه. ﴿وادخلوا الباب﴾ أي: بابها ﴿سجداً﴾ منحنين ﴿وقولوا﴾: مسألتنا ﴿حطة﴾ أي: أن تحطَّ عنا خطايا ﴿نغفر﴾ وفي قراءة بالياء والتاء مبنياً للمفعول ﴿لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين﴾.

فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ

(٥٩) ﴿فبدَّل الذين ظلموا قولاً﴾ منهم ﴿غير الذي قيل لهم﴾[1] أيْ: غيَّروا تلك الكلمة التي أُمروا بها، وقالوا: حنطةٌ ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا رجزاً﴾: ظلمةً وطاعوناً، فهلك منهم في ساعة واحدة سبعون ألفاً جزاءً لفسقهم بتبديل ما أُمروا به من الكلمة.



(٦٠) ﴿وإذ استسقىٰ موسىٰ لقومه﴾ في التِّيه ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ وكان حجراً

(١) في ظ: ﴿وسنزيد المحسنين﴾ بالطاعة ثواباً. ﴿فبدَّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ فقالوا: حبَّة من شعيرة، ودخلوا يزحفون على أستاههم ﴿فأنزلنا على الذين ظلموا﴾ فيه وضع الظاهر موضع المضمر مبالغة في تقبيح شأنهم. ﴿رجزاً﴾ عذاباً طاعوناً ﴿من السماء﴾ ﴿بما كانوا يفسقون﴾ بسبب فسقهم، أي: خروجهم عن الطاعة، فهلك منهم في ساعة سبعون ألفاً أو أقل.

واذكر ﴿إذ استسقىٰ موسىٰ﴾ أي: طلب السقيا ﴿لقومه﴾ وقد عطشوا في التيه، ﴿فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ وهو الذي فرَّ بثوبه، خفيف مربَّع كرأس الرجل، رخام أو كدان، فضربه ﴿فانفجرت﴾ انشقت وسالت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ بعدد الأسباط. ﴿قد علم كلُّ أناس﴾ سبط منهم ﴿مشربهم﴾ موضع شربهم، فلا يشركهم فيه غيرهم، وقلنا: ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ حال مؤكِّدة لعاملها، مِنْ: عَثِي، بكسر المثلَّثة: أفسد.

﴿وإذ قلتم يا موسىٰ لن نصبر على طعام﴾ أي: نوع منه ﴿واحد﴾ وهو المنُّ والسلوىٰ ﴿فادع لنا ربك يخرج لنا﴾ شيئاً ﴿مما تنبت الأرض من﴾ النبات ﴿بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها قال﴾ لهم موسىٰ: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنىٰ بالذي هو خير﴾ أشرف، أَيْ: تأخذون بدله، والهمزة للإنكار، فأبوا أن يرجعوا فدعا الله تعالىٰ، فقال تعالىٰ: ﴿اهبطوا﴾: انزلوا ﴿مصراً﴾ من الأمصار ﴿فإن لكم﴾ فيه ﴿ما سألتم﴾ من النبات. ﴿وضربت﴾: جعلت ﴿عليهم الذلة﴾ الذل والهوان ﴿والمسكنة﴾ أي: أثر الفقر، من السكون والخزي، فهي لازمة لهم وإن كانوا أغنياء لزوم الدرهم المضروب لسكَّته، و ﴿باؤوا﴾ رجعوا ﴿بغضب من الله ذلك﴾ أي: الضرب والغضب ﴿بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾.

فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ

خفيفاً مربَّعاً مثل رأس الرَّجل ﴿فانفجرت﴾ أيْ: فضربَ، فانفجرت، يعني: فانشقَّت ﴿منه اثنتا عشرة عيناً﴾ فكان يأتي كلُّ سبط عينَهم التي كانوا يشربون منها، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿قد علم كلُّ أناس مشربهم﴾ وقلنا لهم: ﴿كلوا﴾ من المنِّ والسَّلوى ﴿واشربوا﴾ من الماء، فهذا كلُّه ﴿من رزق الله﴾ ﴿ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ أَيْ: لا تسعوا فيها بالفساد، فَمَلُّوا ذلك العيش، وذكروا عيشاً كان لهم بمصر، فقالوا:

﴿٦١﴾ ﴿يا موسىٰ لن نصبر على طعام واحد﴾ يعني: المنَّ الذي كانوا يأكلونه والسَّلوىٰ، فكانا طعاماً واحداً ﴿فادع لنا ربك﴾ سله وقل له: أَخرِجْ ﴿يُخرجْ لنا مما تنبت الأرض من بقلها﴾ وهو كلُّ نباتٍ لا يبقىٰ له ساقٌ ﴿وقثائها﴾ وهو نوعٌ من الخضروات ﴿وفومها﴾ وهو الحنطة، فقال لهم موسىٰ عليه السَّلام: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنىٰ﴾ أَيْ: أخسُّ وأوضع ﴿بالذي هو خيرٌ﴾ أَيْ: أرفع وأجلُّ؟ فدعا موسىٰ عليه السَّلام فاستجبنا له وقلنا لهم: ﴿اهبطوا مصراً﴾: انزلوا بلدةً من البلدان ﴿فإنَّ [لكم ما سألتم﴾ أَيْ: فإنَّ][1] الذي سألتم لا يكون إلَّا في القرىٰ والأمصار ﴿وضُربت عليهم﴾ أَيْ: علىٰ اليهود الذين كانوا في عصر النبي ﷺ

---

(١) زيادة من ظا.
وعبارة ظ: ﴿اهبطوا﴾: انزلوا ﴿مصراً﴾ من الأمصار ﴿فإنَّ لكم﴾ فيه ﴿ما سألتم﴾ من النبات، ﴿وضُربت﴾: جُعلت ﴿عليهم الذلة﴾ الذّلُّ والهوان ﴿والمسكنة﴾ أي: أثر الفقر من السكون والخزي فهي لازمةٌ لهم وإن كانوا أغنياءَ لزوم الدرهم المضروب لسكَّته. ﴿وباؤوا﴾ رجعوا ﴿بغضب من الله﴾.

ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ

﴿الذلَّة﴾ يعني: الجزيةَ وزيَّ اليهوديَّة ومعنىٰ ضرب الذِّلة: إلزامهم إيَّاها إلزاماً لا يبرح **﴿والمسكنة﴾** زي الفقر وأثر البؤس **﴿وباؤوا﴾** احتملوا وانصرفوا **﴿بغضب من الله ذلك﴾** أَيْ: ذلك الضَّرب والغضب **﴿بأنَّهم كانوا يكفرون بآيات الله﴾** التي أُنزلت علىٰ محمَّدٍ ﷺ **﴿ويقتلون النَّبيين﴾** أَيْ: يتولَّون أولئك الذين فعلوا ذلك **﴿بغير حق﴾** أَيْ: قتلاً بغير حقٍّ، يعني: بالظُّلم **﴿ذلك﴾** الكفر والقتل بشؤم ركوبهم المعاصي وتجاوزهم أمر الله تعالىٰ.

﴿٦٢﴾ **﴿إنَّ الذين آمنوا﴾** أَيْ: بالأنبياء الماضين ولم يؤمنوا بك **﴿والذين هادوا﴾** دخلوا في دين اليهوديَّة **﴿والنصارىٰ والصابئين﴾** الخارجين من دينٍ إلىٰ دين، وهم قومٌ يعبدون النُّجوم **﴿مَنْ آمن﴾** من هؤلاء **﴿بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً﴾** بالإِيمان بمحمَّدٍ عليه السَّلام؛ لأنَّ الدليل قد قام أنَّ مَنْ لم يؤمن به لا يكون عمله صالحاً **﴿فلهم أجرهم عند ربِّهم ولا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون﴾**.

﴿٦٣﴾ **﴿وإذ أخذنا ميثاقكم﴾** بالطَّاعة لله تعالىٰ والإِيمان بمحمَّدٍ عليه السَّلام في حال رفع الطُّور فوقكم. يعني: الجبل، وذلك لأنَّهم أبوا قبول شريعة التَّوراة، فأمر الله سبحانه جبلاً فانقلع من أصله حتىٰ قام علىٰ رؤوسهم، فقبلوا خوفاً من أن يُرضخوا علىٰ رؤوسهم بالجبل، وقلنا لكم: **﴿خذوا ما آتيناكم﴾** اعملوا بما أُمرتم به **﴿بقوَّةٍ﴾** بجدٍّ ومواظبةٍ علىٰ طاعة الله عزَّ وجلَّ **﴿واذكروا ما فيه﴾** من الثَّواب والعقاب **﴿لعلكم تتقون﴾**.

﴿٦٤﴾ **﴿ثمَّ توليتم من بعد ذلك﴾** أعرضتم عن أمر الله تعالىٰ وطاعته من بعد أخذ الميثاق

فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾

﴿**فلولا فضل الله عليكم ورحمته**﴾ بتأخير العذاب عنكم ﴿**لكنتم من الخاسرين**﴾ الهالكين في العذاب.

(٦٥) ﴿**ولقد علمتم**﴾ عرفتم حال ﴿**الذين اعتدوا**﴾ جاوزوا ما حُدَّ لهم من ترك الصَّيد في السَّبت ﴿**فقلنا لهم كونوا**﴾ بتكويننا إيَّاكم ﴿**قردةً خاسئين**﴾ مطرودين مبعدين.

(٦٦) ﴿**فجعلناها**﴾ أَيْ: تلك العقوبة والمسخة ﴿**نكالاً**﴾ عبرةً ﴿**لما بين يديها**﴾ للأمم التي ترىٰ الفرقة الممسوخة ﴿**وما خلفها**﴾ من الأمم التي تأتي بعدها ﴿**وموعظة**﴾ عبرةً ﴿**للمتقين**﴾ للمؤمنين [الذين يتقون](1) من هذه الأمَّة.

(٦٧) ﴿**وإذ قال موسىٰ لقومه إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة**﴾ وذلك أنَّه وُجد قتيلٌ في بني إسرائيل ولم يدروا قاتله، فسألوا موسىٰ عليه السَّلام أن يدعو الله تعالىٰ ليبيِّن لهم ذلك، فسأل موسىٰ ربَّه فأمرهم بذبح بقرةٍ، فقال لهم موسىٰ عليه السَّلام: إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرة ﴿**قالوا أتتخذنا هزواً**﴾ أتستهزىء بنا حين نسألك عن القتيل فتأمرنا بذبح البقرة؟! ﴿**قال أعوذ بالله**﴾ أمتنع به أن أكون من المستهزئين بالمؤمنين، فلمَّا علموا أنَّ ذلك عزمٌ من الله عزَّ وجلَّ سألوه الوصف، فقالوا:

(٦٨) ﴿**ادع لنا ربك**﴾ أَيْ: سله بدعائك إيَّاه ﴿**يبين ما هي**﴾ ما تلك البقرة، وكيف هي، وكم سنُّها؟ وهذا تشديدٌ منهم على أنفسهم ﴿**قال إنَّه يقولُ: إنها بقرةٌ لا فارضٌ**﴾ مُسِنَّةٌ كبيرةٌ ﴿**ولا بكرٌ**﴾ فتيةٌ صغيرةٌ ﴿**عوانٌ**﴾ نَصَفٌ بين السِّنَّينِ ﴿**فافعلوا ما تؤمرون**﴾ [فيه تنبيهٌ على منعهم](2). وقوله تعالىٰ:

(١) زيادة من ع. (٢) زيادة من ظ.

قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَءْتُمْ فِيهَا وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

﴿٦٩﴾ ﴿**فاقعٌ لونها**﴾ أَيْ: شديد الصُّفرة ﴿**تسرُّ الناظرين**﴾ تعجبهم بحسنها.

﴿٧٠﴾ ﴿**قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي**﴾ أَسائمةٌ أم عاملةٌ؟ ﴿**إنَّ البقر**﴾ جنس البقر ﴿**تشابه**﴾ اشتبه وأشكل ﴿**علينا وإنَّا إنْ شاء الله لمهتدون**﴾ إلىٰ وصفها. قال رسول الله ﷺ[(١)]: وايمُ اللَّهِ، لو لم يستثنوا لما بُيِّنت لهم آخر الأبد.

﴿٧١﴾ ﴿**قال إنَّه يقول إنها بقرةٌ لا ذلولٌ**﴾ مُذلَّلةٌ بالعمل ﴿**تثير الأرض**﴾ تُقلبها للزراعة، أَيْ: ليست تقلِّب؛ لأنَّها ليست ذلولاً ﴿**ولا تسقي الحرث**﴾ الأرض المهيَّأة للزِّراعة ﴿**مسلَّمة**﴾ من العيوب وآثار العمل ﴿**لا شية فيها**﴾ لا لون فيها يُفارق سائر لونها ﴿**قالوا الآن جئت بالحقّ**﴾ بالوصف التَّام الذي تتميَّز به من أجناسها، فطلبوها فوجدوها ﴿**فذبحوها وما كادوا يفعلون**﴾ لغلاء ثمنها.

﴿٧٢﴾ ﴿**وإذ قتلتم نفساً**﴾ هذا أوَّل القصَّة، ولكنَّه مؤخَّر في الكلام ﴿**فادَّارأتم**﴾ فاختلفتم وتدافعتم ﴿**والله مخرجٌ**﴾ مُظهرٌ ﴿**ما كنتم تكتمون**﴾ من أمر القتيل.

﴿٧٣﴾ ﴿**فقلنا اضربوه ببعضها**﴾ بلسانها فيحيىٰ، فَضُرب فحييَ ﴿**كذلك يُحْيِ الله الموتىٰ**﴾ أَيْ: كما أحيا هذا القتيل ﴿**ويريكم آياته**﴾ آيات قدرته في خلق الحياة في الأموات، [كما خلق في عاميل][(٢)].

---

(١) أخرجه ابن حاتم في تفسيره ١/ ٢٢٣؛ وابن جرير ١/ ٣٤٨.
قال ابن كثير في تفسيره ١/ ١٠٠: وهذا حديث غريبٌ من هذا الوجه، وأحسن أحواله أن يكون من كلام أبي هريرة.

(٢) هو اسم القتيل، وما بين [ ] ليست في ظ.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾

---

(٧٤) ﴿**ثم قست قلوبكم**﴾ يا معشر اليهود، أَي: اشتدَّت وصلبت ﴿**من بعد ذلك**﴾ من بعد هذه الآيات التي تقدَّمت من المسخ ورفع الجبل فوقهم، وانبجاس الماء من الحجرِ، وإحياء الميت بضرب عضوٍ، وهذه الآيات ممَّا يصدِّقون بها ﴿**فهي كالحجارة**﴾ في القسوة وعدم المنفعة؛ بل ﴿**أشد قسوة**﴾ وإنَّما عنىٰ بهذه القسوة تركهم الإِيمان بمحمَّدٍ ﷺ بعد ما عرفوا صدقه، وقدرةَ الله تعالىٰ على عقابهم بتكذيبهم إيَّاه، ثمَّ عذر الحجارة وفضَّلها على قلوبهم فقال: ﴿**وإنَّ من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإنَّ منها لما يشقَّق فيخرج منه الماء وإنَّ منها لما يهبط**﴾ ينزل من علوٍ إلى سفلٍ ﴿**من خشية الله**﴾. قال مجاهدٌ[1]: كلُّ حجرٍ تفجَّر منه الماء، أو تشقَّق عن ماءٍ، أو تردَّىٰ من رأس جبلٍ فهو من خشية الله تعالى، نزل به القرآن. ثمَّ أوعدهم فقال: ﴿**وما الله بغافلٍ عمَّا تعملون**﴾ ثمَّ خاطب النَّبيَّ ﷺ والمؤمنين، فقطع طمعهم عن إيمانهم، فقال:

(٧٥) ﴿**أفتطمعون أن يؤمنوا لكم**﴾ وحالهم أنَّ طائفةً منهم كانوا ﴿**يسمعون كلام الله**﴾ يعني التَّوراة ﴿**ثم يحرفونه**﴾ يُغيِّرونه عن وجهه. يعني: الذين غيَّروا أحكام التَّوراة، وغيَّروا آية الرَّجم، وصفة محمَّدٍ ﷺ ﴿**من بعد ما عقلوه**﴾ أَيْ: لم يفعلوا ذلك عن نسيانٍ وخطأٍ، بل فعلوه عن تعمُّدٍ ﴿**وهم يعلمون**﴾ أنَّ ذلك مَكْسَبَةٌ للأوزار.

(٧٦) ﴿**وإذا لقوا الذين آمنوا**﴾ يعني: منافقي اليهود ﴿**قالوا آمنا**﴾ بمحمَّدٍ، وهو نبيٌّ

---

(١) تفسير مجاهد ص ٨٠.

وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾

صادقٌ نجده في كتبنا ﴿وإذا خلا بعضهم إلى بعض﴾ يعني: إذا رجع هؤلاء المنافقون إلى رؤسائهم لاموهم فقالوا: ﴿أتحدثونهم﴾ أتخبرون أصحاب محمَّدٍ ـ ﷺ ـ ﴿بما فتح الله عليكم﴾ من صفة النَّبيِّ المُبشَّر به ﴿ليحاجُّوكم﴾ ليجادلوكم ويخاصموكم ﴿به﴾ بما قلتم لهم ﴿عند ربكم﴾ في الآخرة. يقولون: كفرتم به بعد أن وقفتم على صدقه ﴿أفلا تعقلون﴾ أفليس لكم ذهن الإنسانيّة؟ فقال الله تعالىٰ:

﴿٧٧﴾ ﴿أولا يعلمون أنَّ الله يعلم ما يسرون﴾ من التَّكذيب، يعني: هؤلاء المنافقين ﴿وما يعلنون﴾ من التَّصديق.

﴿٧٨﴾ ﴿ومنهم﴾ ومن اليهود ﴿أميُّون﴾ لا يكتبون ولا يقرؤون ﴿لا يعلمون الكتاب إلاَّ أمانيّ﴾ إلاَّ أكاذيب وأحاديث مُفتعلةً يسمعونها من كبرائهم ﴿وإن هم إلاَّ يظنون﴾ أَيْ: إلاَّ ظانِّين ظنّاً وتوهُّماً، فيجحدون نُبُوَّتَكَ بالظَّنِّ.

﴿٧٩﴾ ﴿فويلٌ﴾ فشدَّةُ عذابٍ ﴿للذين يكتبون الكتاب بأيديهم﴾ أَيْ: من قِبَلِ أنفسهم من غير أن يكون قد أُنزل ﴿ثم يقولون هذا من عند الله﴾ الآية. يعني اليهود، عمدوا إلى صفة محمَّدٍ ﷺ وكتبوا صفته على غير ما كانت في التَّوراة، وأخذوا عليه الأموال فذلك قوله تعالى: ﴿وويلٌ لهم ممَّا يكسبون﴾ [من حُطَام الدُّنيا][1] فلمَّا أوعدهم رسول الله ﷺ بالنَّار عند تكذيبهم إيَّاه قالوا:

---

(١) زيادة من ع و ظ.

وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٨٠﴾ ﴿لن تمسنا النَّارُ إلاَّ أياماً معدودةً﴾ قليلةً، ويعنون الأيَّام التي عبد آباؤهم فيها العجل، فكذَّبهم الله سبحانه فقال: قل لهم يا محمَّدُ: ﴿أَتَّخَذْتُمْ عند الله عهداً﴾ أخذتم بما تقولون من الله ميثاقاً؟ [﴿فلن يخلف الله عهده﴾][1] والله لا ينقض ميثاقه ﴿أم تقولون على الله﴾ الباطلَ جهلاً منكم، ثمَّ ردَّ على اليهود قولهم: لن تمسَّنا النَّار، فقال: ﴿بلىٰ﴾ أُعذِّب.

﴿٨١﴾ ﴿مَنْ كسب سيئة﴾ وهي الشِّرك ﴿وأحاطت به خطيئته﴾: سدَّت عليه مسالك النَّجاة، وهو أَنْ يموت على الشِّرك ﴿فأولئك [أصحاب النار هم فيها خالدون] ﴾ الذين يُخلَّدون في النَّار. ثمَّ أخبر عن أخذ الميثاق عليهم بتبيين نعت محمَّدٍ ﷺ فقال:

﴿٨٣﴾ ﴿وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل﴾ أَيْ: في التَّوراة ﴿لا تعبدون﴾ أَيْ: بأن لا تعبدوا ﴿إلَّا الله وبالوالدين إحساناً﴾ أَيْ: ووصَّيناهم بالوالدين إحساناً ﴿وذي القربىٰ﴾ أَي: القرابة في الرَّحم [﴿واليتامىٰ﴾ يعني: الذين مات أبوهم قبل البلوغ][2] ﴿وقولوا للناس حسناً﴾ أَيْ: صدقاً وحقّاً في شأن محمَّدٍ عليه السَّلام، وهو خطابٌ لليهود، ﴿ثم توليتهم﴾ أعرضتم عن العهد والميثاق، يعني: أوائلهم ﴿إلاَّ قليلاً منكم﴾ يعني: مَنْ كان ثابتاً على دينه، ثمَّ آمن بمحمَّدٍ ﷺ ﴿وأنتم معرضون﴾ عمَّا عُهد إليكم كأوائلكم.

---

(١) زيادة من عا.
(٢) زيادة من ظ.

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾

﴿٨٤﴾ ﴿**وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم**﴾ بأن لا يقتل بعضكم بعضاً، ولا يُخرج بعضكم بعضاً من داره ولا يغلبه عليها، ﴿**ثم أقررتم**﴾ أَيْ: قبلتم ذلك ﴿**وأنتم**﴾ اليوم ﴿**تشهدون**﴾ علىٰ إقرار أوائلكم، ثمَّ أخبر أنَّهم نقضوا هذا الميثاق فقال:

﴿٨٥﴾ ﴿**ثم أنتم هؤلاء**﴾ [أراد: يا هؤلاء][1] ﴿**تقتلون أنفسكم**﴾ يقتل بعضكم بعضاً. ﴿**وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم**﴾ تتعاونون على أهل ملَّتكم [﴿**بالإثم والعدوان**﴾][2]: بالمعصية والظُّلم ﴿**وإن يأتوكم أسارىٰ**﴾ مأسورين يطلبون الفداء فديتموهم ﴿**وهو محرَّم عليكم إخراجهم**﴾ أَيْ: وإخراجهم عن ديارهم محرَّمٌ عليكم ﴿**أفتؤمنون ببعض الكتاب**﴾ يعني: فداء الأسير ﴿**وتكفرون ببعض**﴾ يعني: القتل والإخراج والمظاهرة على وجه الإباحة؟ قال السُّدِّيُّ: أخذ الله تعالىٰ عليهم أربعة عهودٍ: تركَ القتل، وترك الإخراج، وترك المظاهرة، وفداء أُسرائهم، فأعرضوا عن كلِّ ما أُمروا به إلاَّ الفداء. ﴿**فما جزاء مَنْ يفعل ذلك منكم إلا خزيٌ**﴾ فضيحةٌ وهوانٌ ﴿**في الحياة الدنيا**﴾، وقوله:

﴿٨٦﴾ ﴿**فلا يخفف عنهم العذاب**﴾ معناه: في الدُّنيا والآخرة، وقيل: هذه الحالة مختصَّةٌ بالآخرة.

---

(١) زيادة من ع و ظا.
(٢) زيادة من عا.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ

﴿٨٧﴾ ﴿**ولقد آتينا موسىٰ الكتاب وقفَّينا من بعده بالرسل**﴾ أَيْ: وأرسلنا رسولاً بعد رسول ﴿**وآتينا عيسى ابن مريم البينات**﴾ يعني: ما أُوتي من المعجزة ﴿**وأيدناه**﴾ وقوَّيناه ﴿**بِرُوحِ القدس**﴾ بجبريل عليه السَّلام، وذلك أنَّه كان قرينه يسير معه حيث سار، يقول: فعلنا بكم كلَّ هذا فما استقمتم؛ لأنَّكم ﴿**كلما جاءكم رسول بما لا تهوىٰ أنفسكم استكبرتم**﴾ ثمَّ تعظَّمتم عن الإِيمان به ﴿**ففريقاً كذَّبتم**﴾ مثل عيسىٰ ومحمَّدٍ عليهما السَّلام ﴿**وفريقاً تقتلون**﴾ مثل يحيىٰ وزكريا عليهما السَّلام.

﴿٨٨﴾ ﴿**وقالوا قلوبنا غلفٌ**﴾ هو أنَّ اليهود قالوا استهزاءً وإنكاراً لما أتىٰ به محمد عليه السَّلام: قلوبنا غلفٌ عليها غشاوةٌ، فهي لا تعي ولا تفقه ما تقول، وكلُّ شيءٍ في غلافٍ فهو أغلف، وجمعه: غُلْف، ثمَّ أكذبهم الله تعالى فقال: ﴿**بل لعنهم الله**﴾ أَيْ: أبعدهم من رحمته فطردهم ﴿**فقليلاً ما يؤمنون**﴾ أَيْ: فبقليلٍ يؤمنون بما في أيديهم. وقال قتادة: «فقليلاً ما يؤمنون»، أَيْ: ما يؤمن منهم إلاَّ قليلٌ، كعبد الله بن سلام.

﴿٨٩﴾ ﴿**ولما جاءهم كتاب**﴾ يعني: القرآن ﴿**مصدِّق**﴾ موافقٌ ﴿**لما معهم**﴾ ﴿**وكانوا**﴾ يعني: اليهود ﴿**من قبل**﴾ نزول الكتاب ﴿**يستفتحون**﴾ يستنصرون ﴿**على الذين كفروا**﴾ بمحمد عليه السَّلام وكتابه، ويقولون: اللَّهم انصرنا بالنَّبيِّ المبعوث في آخر الزَّمان ﴿**فلما جاءهم ما عرفوا**﴾ يعني: الكتاب وبعثة النبيّ ﴿**كفروا**﴾ ثمَّ ذمَّ صنيعهم فقال:

﴿٩٠﴾ ﴿**بئس ما اشتروا به أنفسهم**﴾ أَيْ: بئس ما باعوا به حظَّ أنفسهم من الثَّواب بالكفر

أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُواْۖ

بالقرآن ﴿بغياً﴾ أَيْ: حسداً ﴿أن ينزل الله﴾ أَيْ: إنزال الله ﴿من فضله علىٰ من يشاء من عباده﴾ وذلك أنَّ كفر اليهود لم يكن من شكٍّ ولا اشتباهٍ، وإنَّما كان حسداً حيث صارت النُّبوَّة في ولد إسماعيل عليه السَّلام ﴿فباؤوا﴾ فانصرفوا واحتملوا ﴿بغضب﴾ من الله عليهم لأجل تضييعهم التَّوراة ﴿على غضب﴾ لكفرهم بالنَّبي محمَّد ﷺ والقرآن.

﴿٩١﴾ ﴿وإذا قيل﴾ لليهود ﴿آمنوا بما أنزل الله﴾ بالقرآن ﴿قالوا نؤمن بما أنزل علينا﴾ يعني: التَّوراة ﴿ويكفرون بما وراءه﴾ بما سواه ﴿وهو الحقُّ﴾ يعني: القرآن ﴿مصدِّقاً لما معهم﴾ موافقاً للتَّوراة، ثمَّ كذَّبهم الله تعالىٰ في قولهم: نؤمن بما أنزل علينا بقوله: ﴿فلمَ تقتلون أنبياء الله﴾ أَيْ: أيُّ كتابٍ جُوِّز فيه قتلُ نبيٍّ؟! [﴿إن كنتم مؤمنين﴾ شرطٌ، وجوابه ما قبله][1]، ثمَّ ذكر أنَّهم كفروا بالله تعالىٰ مع وضوح الآيات في زمن موسىٰ عليه السَّلام فقال:

﴿٩٢﴾ ﴿ولقد جاءكم موسىٰ بالبينات﴾ يعني: العصا واليد وفلق البحر ﴿ثمَّ اتخذتم العجل من بعده﴾ إلَهاً ﴿وأنتم ظالمون﴾.

﴿٩٣﴾ ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوَّة واسمعوا﴾ مضىٰ تفسيره، ومعنىٰ: واسمعوا، أَيْ: [اقبلوا[2]] ما فيه من حلاله وحرامه وأطيعوا

---

(١) زيادة من ظا. (٢) زيادة من عا.

قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ

﴿قالوا: سمعنا﴾ ما فيه **﴿وعصينا﴾** ما أُمرنا به **﴿وأُشربوا في قلوبهم العجل﴾** وسُقوا حبَّ العجل وخُلطوا بحبِّ العجل حتىٰ اختلط بهم، والمعنىٰ: حُبِّب إليهم العجل **﴿بكفرهم﴾** باعتقادهم التَّشبيه؛ لأنَّهم طلبوا ما يُتَصَوَّرُ في نفوسهم **﴿قل بئس ما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين﴾** هذا تكذيبٌ لهم في قولهم: نؤمن بما أنزل علينا، وذلك أنَّ آباءَهم ادَّعوا الإيمان، ثمَّ عبدوا العجل، فقيل لهم: بئس الإيمان إيمانٌ يأمركم بالكفر، والمعنىٰ: لو كنتم مؤمنين ما عبدتم العجل، يعني: آباءهم، كذلك أنتم لو كنتم مؤمنين بما أُنزل عليكم ما كذَّبتم محمَّداً.

﴿٩٤﴾ **﴿قل إنْ كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إنْ كنتم صادقين﴾** كانت اليهود تقول: لن يدخل الجنَّة إلاَّ مَنْ كان هوداً، فقيل لهم: إن كنتم صادقين فتمنَّوا الموت، فإنَّ مَنْ كان لا يشكُّ في أنَّه صائر إلىٰ الجنَّةِ، فالجنَّةُ آثرُ عنده.

﴿٩٥﴾ **﴿ولن يتمنوه أبداً﴾** لأنَّهم عرفوا أنَّهم كفرةٌ، ولا نصيب لهم في الجنَّة، وهو قوله تعالىٰ: **﴿بما قدَّمت أيديهم﴾** أيْ: بما عملوا من كتمان أمر محمَّدٍ ﷺ، وتغيير نعته **﴿واللَّهُ عليم بالظالمين﴾** فيه معنىٰ التَّهديد.

﴿٩٦﴾ **﴿ولتجدنهم﴾** يا محمَّدُ، يعني: علماءَ اليهود **﴿أحرص الناس على حياةٍ﴾** لأنَّهم علموا أنَّهم صائرون إلى النَّار إذا ماتوا؛ لما أتوا به في أمر محمَّدٍ ﷺ **﴿ومن الذين أشركوا﴾** أيْ: وأحرص من منكري البعث، ومَنْ أنكر البعث أحبَّ طول العمر؛ لأنَّه لا يرجو بعثاً، فاليهود أحرص منهم؛ لأنَّهم علموا ما جنوا فهم يخافون النَّار **﴿يودُّ أحدهم﴾** أيْ: أحد اليهود **﴿لو يعمَّرُ ألف سنة﴾** لأنَّه يعلم أنَّ آخرته قد

وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ

فَسَدَتْ عليه ﴿وما هو﴾ أَيْ: وما أحدهم ﴿بمزحزحه﴾ بِمُبْعِدِهِ من ﴿العذاب أن يعمَّر﴾ تعميره.

﴿٩٧﴾ ﴿قل مَنْ كان عدواً لجبريل﴾ سألت اليهود نبيَّ الله ﷺ عن مَنْ يأتيه من الملائكة؟ فقال: جبريل، فقالوا: هو عدوُّنا، ولو أتاك ميكائيل آمنَّا بك، فأنزل الله هذه الآية[1]، والمعنىٰ: قل مَنْ كان عدوّاً لجبريل فليمت غيظاً ﴿فإنه نزله﴾ أَيْ: نزَّل القرآن ﴿علىٰ قلبك بإذن الله﴾ بأمر الله ﴿مصدقاً﴾ موافقاً لما قبله من الكتب ﴿وهدىً وبشرىٰ للمؤمنين﴾ ردٌّ على اليهود حين قالوا: إنَّ جبريل ينزل بالحرب والشِّدَّة، فقيل: إنَّه ــ وإنْ كان ينزل بالحرب والشدَّة علىٰ الكافرين ــ فإنه ينزل بالهدىٰ والبشرىٰ للمؤمنين.

﴿٩٨﴾ ﴿مَنْ كان عدوّاً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإنَّ الله عدو للكافرين﴾ أَيْ: مَنْ كان عدوّاً لأحد هؤلاء فإن اللَّهَ عدوٌّ له؛ لأن عدوَّ الواحدِ عدوُّ الجميع، وعدوُّ محمَّدٍ عدوُّ الله، والواو هاهنا بمعنى «أو» كقوله: ﴿ومَن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ الآية[2]. لأنَّ الكافر بالواحد كافرٌ بالكلِّ، وقوله: ﴿فإنَّ الله عدوٌّ للكافرين﴾ أَيْ: إنَّه تولَّىٰ تلك العداوة بنفسه، وكفىٰ ملائكته ورسله أمر مَنْ عاداهم.

﴿٩٩﴾ ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بيّنات﴾ دلالاتٍ واضحاتٍ، وهذا جوابٌ لابن صوريا حين

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي وحسنه. انظر: العارضة ١١/ ٢٨٤؛ وأحمد ١/ ٢٧٤؛ وابن أبي حاتم ١/ ٢٨٨. وانظر أسباب النزول ص ٦٦؛ ولباب النقول ص ٢٢.

(٢) سورة النساء: الآية ١٣٦.

وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ

قال: يا محمد، ما أُنزل عليك من آيةٍ بيّنةٍ فنتَّبعكَ بها ﴿**وما يكفر بها إلَّا الفاسقون**﴾ الخارجون عن أديانهم، واليهود خرجت بالكفر بمحمَّد ﷺ عن شريعة موسىٰ عليه السَّلام، ولمَّا ذكر محمدٌ ﷺ لهم ما أخذ الله تعالىٰ عليهم من العهد فيه قال مالك بن الصَّيف: والله ما عُهد إلينا في محمدٍ عهدٌ ولا ميثاق، فأنزل الله تعالىٰ[1]:

﴿١٠٠﴾ ﴿**أَوَكُلَّما عاهدوا عهداً**﴾ الآية، وقوله: ﴿**نبذه فريق منهم**﴾ يعني: الذين نقضوه من علمائهم ﴿**بل أكثرهم لا يؤمنون**﴾ لأنهم من بين ناقضٍ للعهد، وجاحدٍ لنبوَّته معاندٍ له، وقوله:

﴿١٠١﴾ ﴿**نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب**﴾ يعني: علماء اليهود ﴿**كتاب الله**﴾ يعني التَّوراة ﴿**وراء ظهورهم**﴾ أيْ: تركوا العمل به حين كفروا بمحمَّدٍ ﷺ والقرآن ﴿**كأنهم لا يعلمون**﴾ أنَّه حقٌّ، وأنَّ ما أتىٰ به صدقٌ، وهذا إخبارٌ عن عنادهم، ثمَّ أخبر أنَّهم رفضوا كتابه واتَّبعوا السِّحر فقال: ﴿**واتبعوا**﴾ يعني: علماء اليهود.

﴿١٠٢﴾ ﴿**ما تتلو الشياطين**﴾ أيْ: ما كانت الشَّياطين تُحدِّث وتقصُّ من السِّحر ﴿**علىٰ ملك سليمان**﴾ في عهده وزمان مُلْكه، وذلك أنَّ سليمان عليه السَّلام لما نُزع ملكه دفنت الشَّياطين في خزانته سحراً ونيرنجات، فلمَّا مات سليمان دلَّت الشياطين عليها النَّاس حتى استخرجوها، وقالوا للنَّاس: إنَّما مَلَكَكُم سليمان بهذا فتعلَّموه، فأقبل بنو إسرائيل علىٰ تعلُّمها، ورفضوا كتب أنبيائهم[2]، فبرَّأ الله سليمان عليه

---

(١) أخرجه ابن أبـي حاتم في تفسيره ١/ ٢٩٥ بسندٍ صحيح عن ابن عباس.

(٢) أخرجه ابن أبـي حاتم ١/ ٣٠٠، ونحوه في المستدرك ٢/ ٢٦٥ وصححه الذهبـي، وذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٦٧ عن الكلبـي، وهو ضعيف.

وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ

السَّلام فقال: ﴿وما كفر سليمان﴾ أَيْ: لم يكن كافراً ساحراً يسحر ﴿ولكنَّ الشياطين كفروا﴾ بالله ﴿يعلمون الناس السحر﴾ يريد: ما كتب لهم الشَّياطين من كُتب السِّحر ﴿وما أنزل علىٰ الملكين﴾ أَيْ: ويُعلِّمونهم ما أُنزل عليهما، أَيْ: ما عُلِّما وأُلْهِمَا، وقُذِف في قلوبهما من علم التَّفرقة، وهو رقيةٌ وليس بسحرٍ، وقوله: ﴿وما يعلِّمان﴾ يعني: المَلَكَيْن السِّحر ﴿من أحدٍ﴾ أحداً ﴿حتىٰ يقولا إنما نحن فتنة﴾ ابتلاءٌ واختبارٌ ﴿فلا تكفر﴾ وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ امتحن النَّاس بالملكين في ذلك الوقت، وجعل المحنة في الكفر والإيمان أن يقبل القابلُ تعلُّم السِّحر، فيكفر بتعلُّمه ويؤمن بتركه، ولله تعالىٰ أن يمتحن عباده بما شاء، وهذا معنىٰ قوله: ﴿إنما نحن فتنة فلا تكفر﴾ أَيْ: محنةٌ من الله نخبرك أنَّ عمل السِّحر كفرٌ بالله، وننهاك عنه، فإنْ أطعتنا نجوت وإن عصيتنا هلكت، وقوله تعالىٰ ﴿فيتعلمون﴾ أَيْ: فيأتون فيتعلَّمون من الملكين ﴿ما يفرّقون به بين المرء وزوجه﴾ وهو أن يؤخذ كلُّ واحدٍ منهما عن صاحبه ويُبغَّض كلُّ واحدٍ منهما إلى الآخر ﴿وما هم﴾ أَيْ: السَّحَرة الذين يتعلَّمون السِّحر ﴿بضارين به﴾ بالسِّحر ﴿من أحدٍ﴾ أحداً ﴿إلَّا بإذن الله﴾ بإرادته كون ذلك، أَيْ: لا يضرُّون بالسِّحر إلَّا مَنْ أراد الله أن يلحقه ذلك الضَّرر ﴿ويتعلمون ما يضرُّهم﴾ في الآخرة ﴿ولا ينفعهم﴾ [في الدُّنيا][1] ﴿ولقد علموا﴾ يعني: اليهود ﴿لمن اشتراه﴾ من اختار السِّحر ﴿ما له في الآخرة من خلاقٍ﴾ من نصيب [في الجنة][2]، ثمَّ ذمَّ صنيعهم فقال: ﴿ولبئس

(١) زيادة من ظا. (٢) زيادة من ظا.

مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقُولُوا۟ رَٰعِنَا وَقُولُوا۟ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُوا۟ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا

ما شروا به أنفسهم﴾ أَيْ: بئس شيءٌ باعوا به حظَّ أنفسهم حيث اختاروا السِّحر ونبذوا كتاب الله **﴿لو كانوا يعلمون﴾** كُنه ما يصير إليه مَنْ يخسر الآخرة من العقاب.

﴿١٠٣﴾ **﴿ولو أنَّهم آمنوا﴾** بمحمَّدٍ عليه السَّلام والقرآن **﴿واتقوا﴾** اليهوديَّة والسِّحر، لأثيبوا ما هو خيرٌ لهم من الكسب بالسِّحر، وهو قوله تعالىٰ: **﴿لمثوبةٌ من عند الله خيرٌ لو كانوا يعلمون﴾**.

﴿١٠٤﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا﴾** كان المسلمون يقولون للنَّبيِّ ﷺ: راعنا سمعك، وكان هذا بلسان اليهوديَّة سبّاً قبيحاً، فلمَّا سمعوا هذه الكلمة يقولونها لرسول الله ﷺ أعجبتهم، فكانوا يأتونه ويقولون ذلك ويضحكون فيما بينهم، فنهىٰ الله تعالىٰ المؤمنين عن ذلك[1]، وأنزل هذه الآية، وأمرهم أن يقولوا بدل راعنا **﴿انظرنا﴾** أَيْ: انظر إلينا حتىٰ نُفهمك ما نقول **﴿واسمعوا﴾** أَيْ: أطيعوا واتركوا هذه الكلمة؛ لأنَّ الطَّاعة تجب بالسَّمع. **﴿ما يودُّ الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خيرٍ من ربكم﴾** أَيْ: خيرٌ من عند ربكم.

﴿١٠٥﴾ **﴿والله يختص برحمته﴾** يخصُّ بنبوَّته **﴿مَنْ يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾**.

﴿١٠٦﴾ **﴿ما نَنْسَخْ من آية أو نُنْسِها﴾** أَيْ: ما نرفع آيةً من جهة النَّسخ بأن نُبطل حكمها،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وهي سلسلة الكذب. وانظر لباب النقول ص ٢٤.
وأخرجه ابن أبي حاتم عن عطاء مختصراً بسند جيد في تفسيره ١/٣١٨.

نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾

أو بالإنساءِ لها بأنْ نمحوها عن القلوب ﴿**نأت بخير منها**﴾ أَيْ: أصلح لمن تُعبِّد بها، وأنفع لهم وأسهل عليهم، وأكثر لأجرهم ﴿**أو مثلها**﴾ في المنفعة والمثوبة ﴿**ألم تعلم أنَّ الله على كلِّ شيءٍ**﴾ من النَّسخ والتَّبديل وغيرهما ﴿**قدير**﴾. نزلت[١] هذه الآية حين قال المشركون: إنَّ محمداً يأمر أصحابه بأمرٍ، ثمَّ ينهاهم عنه، ويأمرهم بخلافه، ويقول اليوم قولاً ويرجع عنه غداً. ما هذا القرآن إلَّا كلام محمد، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية، وقولَهُ[٢]: ﴿وإذا بدَّلنا آية مكان آيةٍ...﴾ الآية.

﴿١٠٧﴾ ﴿**ألم تعلم أنَّ الله له ملك السموات والأرض**﴾ يعمل فيهما ما يشاء، وهو أعلم بوجه الصَّلاح فيما يتعبَّدهم به من ناسخٍ ومنسوخٍ ﴿**ومالكم من دون الله من ولي**﴾ أَيْ: والٍ يلي أمركم ويقوم به ﴿**ولا نصير**﴾ ينصركم، وفي هذا تحذيرٌ من عذابه إذ لا مانع منه.

﴿١٠٨﴾ ﴿**أم تريدون**﴾ أَيْ: بل أتريدون ﴿**أن تسألوا رسولكم**﴾ محمداً ﷺ ﴿**كما سئل موسىٰ من قبل**﴾ وذلك أنَّ قريشاً[٣] قالوا: يا محمَّدُ، اجعل لنا الصَّفا ذهباً، ووسِّعْ لنا أرض مكَّة، فنُهوا أن يقترحوا عليه الآيات كما اقترح قوم موسىٰ عليه السَّلام حين قالوا: ﴿**أرنا الله جهرة**﴾[٤] وذلك أنَّ السُّؤال بعد قيام البراهين كفرٌ، ولذلك قال: ﴿**ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضلَّ سواء السبيل**﴾ قصده ووسطه.

---

(١) أسباب النزول ص ٧٠.

(٢) الآية: ﴿وإذا بدَّلنا آيةً مكان آيةٍ والله أعلم بما ينزِّل قالوا إنما أنت مفترٍ بل أكثرهم لا يعلمون﴾ سورة النحل: الآية ١٠١.

(٣) وهذا قول مجاهد في تفسيره ص ٨٥، وذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٧٠ عن ابن عباس.

(٤) سورة النساء: الآية ١٥٣.

وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ

﴿١٠٩﴾ **﴿ودَّ كثيرٌ من أهل الكتاب...﴾** الآية. نزلت[1] حين قالت اليهود للمسلمين بعد وقعة أُحدٍ: ألم تروا إلىٰ ما أصابكم، ولو كنتم على الحقِّ ما هُزمتهم فارجعوا إلىٰ ديننا، فذلك قوله تعالىٰ: **﴿لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم﴾** أَيْ: في حكمهم وتديّنهم ما لم يؤمروا به **﴿من بعد ما تبين لهم الحق﴾** في التَّوراة أنَّ قول محمَّدٍ صدقٌ ودينه حقٌّ **﴿فاعفوا واصفحوا﴾** وأعرضوا عن مساوىء أخلاقهم وكلامهم وغلِّ قلوبهم **﴿حتى يأتي الله بأمره﴾** بالقتال.

﴿١١١﴾ **﴿وقالوا لن يدخل الجنة...﴾** الآية. أَيْ: قالت اليهود: لن يدخل الجنَّة **﴿إلَّا مَنْ كان هوداً﴾** وقالت النَّصارىٰ: لن يدخلها إلَّا النَّصارىٰ، **﴿تلك أمانيهم﴾** التي تمنَّوها على الله سبحانه باطلاً **﴿قل هاتوا برهانكم﴾** قرِّبوا حجَّتكم علىٰ ما تقولون، ثمَّ بيَّن مَنْ يدخلها فقال:

﴿١١٢﴾ **﴿بلىٰ﴾** يدخلها **﴿مَنْ أسلم وجهه لله﴾** انقاد لأمره وبذل له وجهه في السُّجود **﴿وهو محسن﴾** مؤمنٌ مصدقٌ بالقرآن.

﴿١١٣﴾ **﴿وقالت اليهود ليست النصارىٰ على شيء﴾** لمَّا قدم وفد نجران فتنازعوا مع

---

(١) ذكره في أسباب النزول ص ٧٠ عن ابن عباس.

وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ (١١٣) وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ (١١٤) وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ

اليهود، وكفَّر كلُّ واحدٍ من الفريقين الآخر[(١)]، وقوله تعالىٰ: ﴿**وهم يتلون الكتاب**﴾ يعني: إنَّ الفريقين يتلون التَّوراة وقد وقع بينهما هذا الاختلاف وكتابهم واحد، فدلَّ بهذا على ضلالتهم ﴿**كذلك قال الذين لا يعلمون**﴾ يعني: كفَّار الأمم الماضية، وكفَّار هذه الأمَّة ﴿**مثل قولهم**﴾ في تكذيب الأنبياء والاختلاف عليهم، فسبيل هؤلاء الذين يتلون الكتاب كسبيل مَنْ لا يعلم الكتاب [أنَّه من الله تعالىٰ][(٢)] من المشركين في الإنكار لدين الله سبحانه ﴿**فالله يحكم بينهم...**﴾ الآية. أَيْ: يُريهم عياناً مَنْ يدخل الجنَّة ومَنْ يدخل النَّار.

(١١٤) ﴿**ومن أظلم ممن منع مساجد الله**﴾ يعني: بيت المقدس ومحاريبه. نزلت[(٣)] في أهل الرُّوم حين خرَّبوا بيت المقدس ﴿**أولئك**﴾ يعني: أهل الرُّوم ﴿**ما كان لهم أن يدخلوها إلاَّ خائفين**﴾ لم يدخل بيت المقدس بعد أن عمره المسلمون روميٌّ إلاَّ خائفاً لو عُلم به قُتل ﴿**لهم في الدنيا خزيٌ**﴾ يعني: القتل للحربيِّ، والجزية للذميِّ.

(١١٥) ﴿**ولله المشرقُ والمغرب**﴾ أَيْ: إنَّه خالقهما. نزلت[(٤)] في قوم من الصَّحابة سافروا فأصابهم الضَّباب فتحرَّوا القِبلة وصلَّوا إلىٰ أنحاءٍ مختلفةٍ، فلمَّا ذهب الضَّباب

---

(١) أسباب النزول ص ٧١؛ وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيرة ١/ ٣٣٨؛ وابن جرير ١/ ٤٩٥.

(٢) زيادة من عا.

(٣) هذا قول ابن عباس في رواية الكلبي. تفسير ابن أبي حاتم ١/ ٣٤٢؛ وأسباب النزول ص ٧١.

(٤) أخرجه الترمذي في التفسير ٨/ ١٥٥، وقال: ليس إسناده بذاك، والبيهقي ٢/ ١١؛ والدارقطني ١/ ٢٧٢.
وانظر: أسباب النزول ص ٧٣.

﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

استبان أنَّهم لم يصيبوا، فلمَّا قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك. وقوله تعالىٰ: ﴿فأينما تولوا﴾ أَيْ: تصرفوا وجوهكم ﴿فثمَّ وجه الله﴾ أَيْ: فهناك قِبلة الله وجهته التي تعبَّدكم الله بالتوجُّه إليها ﴿إنَّ الله واسعٌ عليم﴾ أَيْ: واسع الشَّريعة يُوسِّع على عباده في دينهم. [اختلف العلماء في حكم هذه الآية، فمنهم مَنْ قال: هي منسوخة الحكم(١) بقوله: ﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾(٢)؛ ومنهم مَنْ قال: حكمها ثابت غير أنها مخصوصة بالنَّوافل في السَّفر(٣). وقيل(٤): إنها نزلت في شأن النجاشي حين صلَّىٰ عليه النَّبيُّ ﷺ مع أصحابه وقولهم له: كيف تُصلِّي علىٰ رجلٍ صلَّىٰ إلى غير قبلتنا، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية. وبيَّن أنَّ النجاشي وإنْ صلَّىٰ إلىٰ المشرق أو المغرب فإنَّما قصد بذلك وجه الله وعبادته، ومعنىٰ ﴿فثمَّ وجه الله﴾ أَيْ: فثَمَّ رضا الله وأمره، كما قال: ﴿إنَّما نُطعمكم لوجه الله﴾(٥). والوجهُ والجِهةُ والوِجهةُ: القِبلةُ](٦).

---

(١) قال مكيّ القيسي: وهو منسوخ عند مالك وأصحابه بقوله: ﴿فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام﴾، وهو قول قتادة وابن زيد، وهو مرويٌّ عن ابن عباس والحسن ـ الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ١٣١.
وانظر: الناسخ والمنسوخ للزهري ص ١٨، وللنحاس ص ١٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٤٤.

(٣) قال أبو جعفر النحاس: وهذا القول عليه فقهاء الأمصار، ويدلك على صحته عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ كان يصلي وهو مقبلٌ من مكة إلى المدينة على دابته، وفي ذلك أنزل الله: ﴿فأينما تولوا فثمَّ وجه الله﴾. الناسخ والمنسوخ ص ١٧ مع حذف السند.
قلت: وهذا الحديث أخرجه مسلم في الصلاة برقم ٣٣؛ وأحمد ٦/ ٣٢٣؛ والترمذي ٨/ ١٥٦؛ والنسائي ١/ ٢٤٤.

(٤) أخرجه ابن جرير ١/ ٥٠٤ عن قتادة؛ وانظر الإيضاح ص ١٣٢؛ والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٧.

(٥) سورة الإنسان: الآية ٩.

(٦) ما بين [ ] ساقط من عا وظا وظ، وهو في نسخة الأصل فقط.

وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ

﴿١١٦﴾ **﴿وقالوا اتخذ الله ولداً﴾** يعني: اليهود في قولهم: ﴿عزير ابنُ الله﴾[(١)] والنصارىٰ في قولهم: ﴿المسيح ابنُ الله﴾[(٢)] والمشركين في قولهم: الملائكة بناتُ الله، ثمَّ نزَّه نفسه عن الولد فقال: **﴿سبحانه بل﴾** ليس الأمر كذلك **﴿له ما في السموات والأرض﴾** عبيداً وملكاً. **﴿كلٌّ له قانتون﴾** مطيعون: يعني: أهل طاعته دون النَّاس أجمعين.

﴿١١٧﴾ **﴿بديع السموات والأرض﴾** خالقهما وموجدهما لا علىٰ مثالٍ سبق. **﴿وإذا قضىٰ أمراً﴾** قدَّره وأراد خلقه **﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾** أَيْ: إنما يُكوِّنه فيكون، وشرطه أن يتعلَّق به أمره. [وقال الأستاذ أبو الحسن: يُكوِّنه بقدرته فيكون علىٰ ما أراد][(٣)].

﴿١١٨﴾ **﴿وقال الذين لا يعلمون﴾** يعني: مشركي العرب قالوا لمحمَّدٍ: لن نؤمن لك حتىٰ **﴿يكلّمنا الله﴾** أنَّك رسوله **﴿أو تأتينا آية﴾** يعني: ما سألوا من الآيات الأربع في قوله تعالىٰ: ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتىٰ تفجر لنا...﴾ الآيات[(٤)]. ومعنىٰ **﴿لولا يكلِّمنا الله﴾** أَيْ: هلاَّ يُكلِّمنا الله أنَّك رسوله. **﴿كذلك قال الذين من قبلهم﴾** يعني: كفَّار الأمم الماضية كفروا بالتَّعنُّتِ بطلب الآيات كهؤلاء **﴿تشابهت**

---

(١) و (٢) قال تعالىٰ: ﴿وقالت اليهود عزيرٌ ابن الله وقالت النصارىٰ المسيح ابن الله﴾ [سورة التوبة: الآية ٣٠].

(٣) زيادة من ع.

(٤) الآيات هي: ﴿وقالوا: لن نؤمنَ لك حتىٰ تفجر لنا من الأرض ينبوعاً * أو تكونَ لك جنةٌ من نخيلٍ وعنبٍ فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً * أو تُسقطَ السَّماء كما زعمتَ علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً * أو يكون لك بيتٌ من زخرفٍ أو ترقىٰ في السَّماء ولن نؤمن لرقيّك حتىٰ تنزِّل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنتُ إلاَّ بشراً رسولاً﴾ [سورة الإسراء: الآيات ٩٠ ـ ٩٣].

قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًاۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ

قلوبهم﴾ أشبه بعضها بعضاً في الكفر والقسوة ومسألة المحال **﴿قد بيّنا الآيات لقوم يوقنون﴾** أَيْ: مَنْ أيقن وطلب الحقَّ فقد أتته الآيات؛ لأنَّ القرآن برهانٌ شافٍ.

﴿١١٩﴾ **﴿إنا أرسلناك بالحق﴾** بالقرآن والإِسلام، أَيْ: مع الحقِّ **﴿بشيراً﴾** مُبشِّراً للمؤمنين **﴿ونذيراً﴾** مُخوِّفاً ومُحذِّراً للكافرين **﴿ولا تُسأل عن أصحاب الجحيم﴾** أَيْ: لست بمسؤولٍ عنهم، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ قال: لو أنَّ الله عزَّ وجلَّ أنزل بأسه باليهود لآمنوا، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[1]، أَيْ: ليس عليك من شأنهم عُهدةٌ ولا تبعة.

﴿١٢٠﴾ **﴿ولن ترضىٰ عنك اليهود...﴾** الآية نزلت في تحويل القبلة[2]، وذلك أنَّ اليهود والنَّصارىٰ كانوا يرجون أنَّ محمداً ﷺ يرجع إلى دينهم، فلمَّا صرف الله تعالىٰ القِبلة إلى الكعبة شقَّ عليهم، وأيسوا منه أن يوافقهم على دينهم، فأنزل الله تعالى: **﴿ولن ترضىٰ عنك اليهود ولا النصارىٰ حتىٰ تتبع ملتهم﴾** يعني: دينهم وتصلِّي إلى قبلتهم **﴿قل إنَّ هدىٰ الله هو الهدىٰ﴾** أَي: الصِّراط الذي دعا إليه، وهدىٰ إليه هو طريق الحقِّ **﴿ولَئِن اتبعت أهواءهم﴾** يعني: ما كانوا يدعونه إليه من المهادنة والإِمهال **﴿بعد الذي جاءك من العلم﴾** أَي: البيان بأنَّ دين الله عزَّ وجلَّ هو الإِسلام وأنَّهم على الضَّلالة **﴿مالك من الله من وليٍّ ولا نصير﴾**.

﴿١٢١﴾ **﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾** يعني: مؤمني اليهود **﴿يتلونه حق تلاوته﴾** يقرؤونه كما أُنزل ولا يُحرِّفونه، ويتّبعونه حقَّ اتِّباعه.

---

(١) ذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٧٥ عن مقاتل.

(٢) أسباب النزول ص ٧٥.

أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِۦمَ

﴿١٢٤﴾ ﴿**وإذ ابتلىٰ إبراهيم ربُّه**﴾ اختبره، أَيْ: عامله معاملة المُختبِر ﴿**بكلماتٍ**﴾ هي عشر خصالٍ: خمسٌ في الرأس، وهي: الفرق، والمضمضة، والاستنشاق، والسِّواك، وقصُّ الشَّارب، وخمسٌ في الجسد، وهي: تقليم الأظفار، وحلق العانة، والختان، والاستنجاء، ونتف الرُّفغين[1] ﴿**فأتمهنَّ**﴾ أدَّاهنَّ تامَّاتٍ غير ناقصات ﴿**قال**﴾ الله تعالىٰ: ﴿**إني جاعلك للناس إماماً**﴾ يقتدي بك الصَّالحون. فقال إبراهيم: ﴿**ومِنْ ذريتي**﴾ أَيْ: ومن أولادي أيضاً فاجعل أئمةً يُقتدىٰ بهم، فقال الله عزَّ وجلَّ ﴿**لا ينال عهدي الظالمين**﴾ يريد: مَنْ كان من ولدك ظالماً لا يكون إماماً، ومعنىٰ: ﴿**عهدي**﴾ أَيْ: نُبوَّتي.

﴿١٢٥﴾ ﴿**وإذ جعلنا البيت**﴾ يعني: الكعبة ﴿**مثابةً للناس**﴾ معاداً يعودون إليه لا يقضون منه وطراً، كلَّما انصرفوا اشتاقوا إليه ﴿**وأَمْناً**﴾ أَيْ: مؤمناً، وكانت العرب يرىٰ الرَّجل منهم قاتل أبيه في الحرم فلا يتعرَّض له، وأمَّا اليوم فلا يُهاج الجاني إذا التجأ إليه عند أهل العراق، وعند الشافعيِّ: الأولىٰ أن لا يُهاج، فإنْ أُخيف بإقامة الحدِّ عليه جاز. وقد قال كثيرٌ من المفسرين: مَنْ شاء آمن، ومَنْ شاء لم يُؤمن، كما أنَّه لمَّا جعله مثابةً، مَنْ شاء ثاب، ومَنْ شاء لم يثب. ﴿**واتَّخذوا**﴾ أَيْ: النَّاس ﴿**من مقام إبراهيم**﴾ وهو الحجر الذي يُعرف بمقام إبراهيم، وهو موضع

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١/٥٢٤؛ وابن أبي حاتم ١/٣٥٩؛ والبيهقي ١/١٤٩ وورد في الحديث مرفوعاً: عشرٌ من الفطرة، وذكرها. أخرجه مسلم في الإيمان رقم ٢٦١.
وفي ظ: [ونتف الإبطين]. والرَّفغ: أصل الفخذ.

مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً

قدميه ﴿مصلًّىٰ﴾ وهو أنَّه تُسنُّ الصَّلاة خلف المقام، قُرِىء على هذا الوجه على الخبر، وقرىء بالكسر(١) على الأمر. ﴿وعهدنا إلىٰ إبراهيم وإسماعيل﴾ أمرناهما وأوصينا إليهما ﴿أنْ طهِّرا بيتي﴾ من الأوثان والرِّيَب [﴿للطائفين﴾ حوله، وهم النزائع إليه من آفاق الأرض ﴿والعاكفين﴾ أي: المقيمين فيه، وهم سكان الحرم ﴿والركع﴾ جمع راكع و ﴿السجود﴾ جمع ساجد؛ مثله: قاعد وقعود](٢).

﴿١٢٦﴾ ﴿وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا﴾ أَيْ: هذا المكان وهذا الموضع ﴿بلداً﴾ مسكناً ﴿آمناً﴾ أَيْ: ذا أمنٍ لا يُصاد طيره، ولا يُقطع شجره ولا يُقتل فيه أهله. ﴿وارزق أهله من الثمرات﴾ أنواع حمل الشَّجر ﴿مَنْ آمن منهم بالله واليوم الآخر﴾ خَصَّ إبراهيم عليه السلام بطلب الرزق المؤمنين. قال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ كفر فأمتعه قليلاً﴾ فسأرزقه إلىٰ منتهىٰ أجله ﴿ثمَّ أضطره﴾ أُلجئه في الآخرة ﴿إلىٰ عذاب النار وبئس المصير﴾ هي.

﴿١٢٧﴾ ﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد﴾ أصول الأساس ﴿من البيت وإسماعيل﴾ ويقولان: ﴿ربنا تقبلْ منَّا﴾ تقرُّبنا إليك ببناء هذا البيت ﴿إنك أنت السميع﴾ لدعائنا ﴿العليمُ﴾ بما في قلوبنا.

﴿١٢٨﴾ ﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك﴾ مُطيعين مُنقادين لحكمك ﴿ومن ذريتنا أمة﴾ جماعةً

---

(١) قرأ نافعٌ وابن كثير بفتح الخاء على الخبر، والباقون بكسرها علىٰ الأمر.
الإتحاف ص ١٤٧؛ والإقناع لابن الباذش ٢/ ٦٠٢.

(٢) ما بين [ ] زيادة من ظ وظا.

مُسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿مسلمة لك﴾ وهم المهاجرون والأنصار والتَّابعون بإحسان **﴿وأرنا مناسكنا﴾** عرّفنا مُتَعبَّداتنا.

﴿١٢٩﴾ **﴿ربنا وابعث فيهم﴾** في الأمَّة المسلمة **﴿رسولاً منهم﴾** يريد: محمَّداً ﷺ **﴿يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة﴾** أَي: القرآن **﴿ويزكيهم﴾** ويُطهِّرهم من الشِّرك **﴿إنك أنت العزيز﴾** الغالب القويُّ الذي لا يعجزه شيءٌ، ومضىٰ تفسير الحكيم(١).

﴿١٣٠﴾ **﴿ومَنْ يرغب عن ملة إبراهيم﴾** أَيْ: وما يرغب عنها ولا يتركها **﴿إلاَّ مَنْ سفه نفسه﴾** أَيْ: جهلها بأَنْ لم يعلم أنَّها مخلوقةٌ لله تعالى يجب عليها عبادة خالقها **﴿ولقد اصطفيناه في الدُّنيا﴾** اخترناه للرِّسالة **﴿وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾** أَيْ: من الأنبياء.

﴿١٣١﴾ **﴿إذ قال له ربه أسلم﴾** أخلص دينك لله سبحانه بالتَّوحيد، وقيل: أسلم نفسك إلى الله **﴿قال أسلمت﴾** بقلبي ولساني وجوارحي **﴿لرب العالمين﴾**.

﴿١٣٢﴾ **﴿ووصَّىٰ بها﴾** أَيْ: أمر بالملَّة، وقيل: بكلمة الإخلاص **﴿إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيَّ﴾** أراد: أَنْ يا بنيَّ **﴿إنَّ الله اصطفىٰ لكم الدين﴾** أَي: الإسلام دين الحَنيفِيَّة **﴿فلا تموتن إلاَّ وأنتم مسلمون﴾** أَي: الزموا الإسلام حتىٰ إذا أدرككم الموت صادفكم عليه.

---

(١) انظر ص ٩٩ عند آية ٣٢.

أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ

﴿١٣٣﴾ ﴿**أم كنتم شهداء**﴾ ترك الكلام الأوَّل، وعاد إلى مُخاطبة اليهود. المعنىٰ: بل أكنتم شهداء، أَيْ: حضوراً ﴿**إذ حضر يعقوب الموت**﴾ وذلك أنَّ اليهود قالت للنبيِّ ﷺ: ألستَ تعلم أنَّ يعقوب يوم مات أوصىٰ بنيه باليهوديَّة؟ فأكذبهم الله تعالى(١)، وقال: أكنتم حاضرين وصيته ﴿**إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي**﴾.

﴿١٣٤﴾ ﴿**تلك أمة**﴾ يعني: إبراهيم وبنيه، ويعقوب وبنيه ﴿**قد خلت**﴾ قد مضت ﴿**لها ما كسبت**﴾ من العمل ﴿**ولكم**﴾ يا معشر اليهود ﴿**ما كسبتم**﴾ أَيْ: حسابهم عليهم، وإنَّما تُسألون عن أعمالكم.

﴿١٣٥﴾ ﴿**وقالوا كونوا هوداً أو نصارىٰ**﴾ نزلت في يهود المدينة ونصارىٰ نجران. قال كلُّ واحدٍ من الفريقين للمؤمنين: كونوا علىٰ ديننا فلا دين إلاَّ ذلك[٢]، فقال الله تعالىٰ: ﴿**قل بل ملَّة إبراهيم حنيفاً**﴾ يعني: بل نتبع ملَّة إبراهيم حنيفاً مائلاً عن الأديان كلِّها إلى دين الإسلام، ثمَّ أمر المؤمنين أن يقولوا:

﴿١٣٦﴾ ﴿**آمنا بالله وما أنزل إلينا**﴾ يعني: القرآن ﴿**وما أنزل إلىٰ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط**﴾ وهم أولاد يعقوب، وكان فيهم أنبياء لذلك قال: وما أنزل

---

(١) أسباب النزول ص ٥٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٣٩٦/١؛ وابن جرير ٥٦٤/١؛ وفيه محمد بن أبي محمد الأنصاري، مولىٰ زيد بن ثابت، مدني، مجهول، تفرَّد عنه ابن إسحاق.
وانظر: أسباب النزول ص ٧٥.

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ

إليهم. وقوله تعالىٰ: ﴿لا نفرِّق بين أحدٍ منهم﴾ أَيْ: لا نكفر ببعضٍ ونؤمن ببعضٍ، كما فعلت اليهود والنَّصارى.

﴿١٣٧﴾ ﴿فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به﴾ أَيْ: إنْ أتوا بتصديقٍ مثلِ تصديقكم، وكان إيمانُهم كإيمانكم ﴿فقد اهتدوا﴾ فقد صاروا مسلمين ﴿وإن تولوا﴾ أعرضوا ﴿فإنما هم في شقاق﴾ في خلافٍ وعداوةٍ ﴿فَسَيَكْفِيْكَهُمُ الله﴾ ثمَّ فعل ذلك، فكفاه أمر اليهود بالقتل والسَّبي في قريظة، والجلاء والنَّفي في بني النَّضير، والجِزية والذِّلَّة في نصارىٰ نجران.

﴿١٣٨﴾ ﴿صبغة الله﴾ أَي: الزموا دين الله ﴿ومَنْ أحسن من الله صبغة﴾ أي: ومَنْ أحسنُ من الله ديناً؟.

﴿١٣٩﴾ ﴿قل﴾ يا محمَّدُ لليهود والنَّصارى: ﴿أتحاجوننا في الله﴾ أَتُخاصمونا في دين الله؟ وذلك أنَّهم قالوا: إنَّ ديننا هو الأقدم، وكتابنا هو الأسبق، ولو كنتَ نبيّاً لكنتَ منَّا ﴿ولنا أعمالنا﴾ نُجازىٰ بحسنها وسيِّئها، وأنتم في أعمالكم علىٰ مثل سبيلنا ﴿ونحن له مخلصون﴾ مُوحِّدون.

﴿١٤٠﴾ ﴿أم تقولون﴾ إنَّ الأنبياء من قبل أن تنزَّل التَّوراة والإنجيل ﴿كانوا هوداً أو نصارىٰ﴾ ﴿قل أأنتم أعلم أم الله﴾ أَيْ: قد أخبرنا الله سبحانه أنَّ الأنبياء كان دينهم الإسلام، ولا أحدٌ أعلم منه ﴿ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله﴾ هذا توبيخٌ لهم، وهو أنَّ الله تعالىٰ أشهدهم في التَّوراة والإنجيل أنَّه باعثٌ فيهم

وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤١﴾ ۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ

محمداً ﷺ من ذريَّة إبراهيم عليه السَّلام، وأخذ مواثيقهم أَنْ يُبيِّنوه ولا يكتموه، ثمَّ ذكر قصَّة تحويل القبلة، فقال:

الجزء الثاني:

﴿١٤٢﴾ **﴿سيقول السفهاء من الناس﴾** يعني: مشركي مكَّة ويهود المدينة **﴿ما ولاَّهم﴾** ما صرفهم؟ يعنون النبيَّ ﷺ والمؤمنين **﴿عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾** وهي الصَّخرة **﴿قل لله المشرق والمغرب﴾** يأمر بالتَّوجُّه إلىٰ أيِّ جهةٍ شاء **﴿يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾** دينٍ مستقيمٍ. يريد: إنِّي رضيتُ هذه القِبلة لمحمَّدٍ ﷺ، ثمَّ مدح أمَّته فقال:

﴿١٤٣﴾ **﴿وكذلك﴾** أي: وكما هديناكم صراطاً مستقيماً **﴿جعلناكم أمة وسطاً﴾** عدولاً خياراً **﴿لتكونوا شهداء على الناس﴾** لتشهدوا على الأمم بتبليغ الأنبياء **﴿ويكون الرسول عليكم﴾** علىٰ صدقكم **﴿شهيداً﴾** وذلك أنَّ الله تعالىٰ يسأل الأمم يوم القيامة، فيقول: هل بلَّغكم الرُّسل الرِّسالة؟ فيقولون: ما بلَّغنا أحدٌ عنك شيئاً، فيسأل الرُّسل فيقولون: بلَّغناهم رسالتك فعصوا، فيقول: هل لكم شهيدٌ؟ فيقولون: نعم، أُمَّة محمَّدٍ ﷺ، فيشهدون لهم بالتَّبليغ وتكذيب قومهم إيَّاهم، فتقول الأمم: يا ربِّ، بمَ عرفوا ذلك، وكانوا بعدنا؟ فيقولون: أخبرنا بذلك نبيُّنا في كتابه، ثمَّ يُزكِّيهم محمّدٌ ﷺ[1]. **﴿وما جعلنا القبلة التي كنت عليها﴾** أي:

---

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام، باب ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً﴾. فتح الباري ١٣/١١٦؛ وأحمد ٣/٩؛ والطبري ٢/٨؛ والنسائي في تفسيره ١/١٩٦.

إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ

التي أنتَ عليها اليوم، وهي الكعبةُ، قِبلةً ﴿**إلاَّ لنعلم**﴾ لنرىٰ [وقيل: معناه: لنميّز][1] ﴿**مَنْ يتبع الرسول**﴾ في تصديقه بنسخ القِبلة ﴿**ممن ينقلب على عقبيه**﴾ يرتدُّ ويرجع إلى الكفر، وذلك أنَّ الله تعالىٰ جعل نسخ القِبلة عن الصَّخرة إلى الكعبة ابتلاءً لعباده المؤمنين، فمَنْ عصمه صدَّق الرَّسول في ذلك، ومَنْ لم يعصمه شكَّ في دينه وتردَّد عليه أمره، وظنَّ أنَّ محمداً عليه السَّلام في حيرةٍ من أمره، فارتدَّ عن الإسلام، وهذا معنىٰ قوله: ﴿**وإن كانت لكبيرة**﴾ أَيْ: وقد كانت التَّولية إلى الكعبة لثقيلةً إلاَّ ﴿**علىٰ الذين هدىٰ الله**﴾ عصمهم الله بالهداية، فلمَّا حوِّلت القبلة قالت اليهود: فكيف بمَنْ مات منكم وهو يصلِّي على القبلة الأولىٰ؟ لقد مات علىٰ الضَّلالة، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾ أَيْ: [صلاتكم التي صلَّيتم و][2] تصديقكم بالقِبلة الأولىٰ ﴿**إنَّ الله بالناس**﴾ يعني: بالمؤمنين ﴿**لرؤوف رحيم**﴾ والرَّأفة أشدُّ الرَّحمة.

﴿١٤٤﴾ ﴿**قد نرىٰ تقلُّب وجهك...**﴾ الآية. كانت الكعبة أحبَّ القبلتين إلى رسول الله ﷺ، ورأىٰ أنَّ الصَّلاة إليها أدعىٰ لقومه إلىٰ الإسلام، فقال لجبريل عليه السَّلام: وددتُ أنَّ الله صرفني عن قِبلة اليهود إلى غيرها، فقال جبريل عليه السَّلام: إنَّما أنا عبدٌ مثلك، وأنت كريم على ربِّك فسله، ثمَّ ارتفع جبريل عليه السَّلام وجعل رسول الله ﷺ يُديم النَّظر إلى السَّماء رجاء أَنْ يأتيه جبريل عليه السَّلام بالذي سأل، فأنزل الله تعالىٰ[3]: ﴿**قد نرىٰ تقلب وجهك في السماء**﴾ أَيْ: في النَّظر إلى السَّماء ﴿**فَلَنُوَلِّيَنَّكَ**﴾ فلنُصَيِّرَنَّك تستقبل ﴿**قبلة ترضاها**﴾ تحبُّها وتهواها ﴿**فَوَلِّ وجهك**﴾ أَيْ: أَقبل بوجهك ﴿**شطر المسجد الحرام**﴾ نحوه وتلقاءه

---

(١) زيادة من ظ. (٢) زيادة من ظ.

(٣) الحديث ذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٧٧؛ وفي الوسيط ١/ ٢١١. وأخرجه ابن جرير =

وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾

﴿وحيثما كنتم﴾ في برٍّ أو بحرٍ وأردتم الصَّلاة **﴿فولوا وجوهكم شطره﴾** فلمَّا تحوَّلت القِبلة إلى الكعبة قالت اليهود: يا محمد، ما أُمرتَ بهذا، وإنَّما هو شيءٌ تبتدعه من تلقاء نفسك، فأنزل الله تعالىٰ: **﴿وإنَّ الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق﴾** أنَّ المسجد الحرام قِبلة إبراهيم وأنَّه لحقٌّ **﴿وما اللَّهُ بغافل عما تعملون﴾** يا معشر المؤمنين مِنْ طلب مرضاتي.

﴿١٤٥﴾ **﴿ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب﴾** يعني: اليهود والنَّصارى **﴿بكلِّ آية﴾** [دلالةٍ ومعجزةٍ][1] **﴿ما تبعوا قبلتك﴾** لأنَّهم مُعاندون جاحدون نبوَّتك مع العلم بها **﴿وما أنت بتابعٍ قبلتهم﴾** حسمَ بهذا أطماع اليهود في رجوع النَّبـي ﷺ إلى قبلتهم؛ لأنَّهم كانوا يطمعون في ذلك **﴿وما بعضهم بتابعٍ قبلة بعض﴾** أخبر أنَّهم ـ وإنِ اتَّفقوا في التَّظاهر علىٰ النَّبـيِّ ﷺ ـ مُختلفون فيما بينهم، فلا اليهود تتبع قِبلة النَّصارى، ولا النَّصارىٰ تتبع قِبلة اليهود **﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾** أَيْ: صلَّيت إلى قِبلتهم **﴿بعد ما جاءك من العلم﴾** أنَّ قِبلة الله الكعبة **﴿إنك إذاً لمن الظالمين﴾** أيْ: إنَّك إذاً مثلُهم، والخطابُ للنبـيِّ ﷺ في الظَّاهر، وهو في المعنىٰ لأُمَّته.

﴿١٤٦﴾ **﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه﴾** يعرفون محمَّداً ﷺ بنعته وصفته **﴿كما يعرفون أبناءَهم وإنَّ فريقاً منهم ليكتمون الحق﴾** من صفته في التَّوراة **﴿وهم يعلمون﴾** لأنَّ الله بيَّن ذلك في كتابهم.

= ٢/١٩ عن قتادة والربيع بن أنس.

(١) زيادة من ظ.

ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ

﴿١٤٧﴾ **﴿الحق من ربك﴾** أَيْ: هذا الحقُّ من ربِّك **﴿فلا تكوننَّ من الممترين﴾** الشَّاكِّين في الجملة التي أخبرتك بها من أمر القِبلة، وعناد اليهود وامتناعهم عن الإِيمان بك.

﴿١٤٨﴾ **﴿ولكلٍّ﴾** أَيْ: ولكلِّ أهل دينٍ **﴿وجهةٌ﴾** قِبلةٌ ومُتوجَّهٌ إليها في الصَّلاة **﴿هو مُوَلِّيها﴾** وجهَه، أَيْ: مستقبلها **﴿فاستبقوا الخيرات﴾** فبادروا إلىٰ القبول من الله عزَّ وجل، ووَلُّوا وجوهكم حيث أمركم الله تعالىٰ **﴿أينما تكونوا يأت بكم الله جميعاً﴾** يجمعكم الله تعالىٰ للحساب، فيجزيكم بأعمالكم، ثم أَكَّد استقبال القبلة أينما كان بآيتين، وهما قوله تعالىٰ:

﴿١٥٠﴾ **﴿ومن حيث خرجت...﴾** الآية، وقوله: **﴿ومن حيث خرجت فولِّ وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجَّةٌ﴾** يعني: اليهود، وذلك أنَّ اليهود كانوا يقولون: ما درىٰ محمَّدٌ أين قِبلته حتىٰ هديناه، ويقولون: يخالفنا محمَّدٌ في ديننا ويتَّبع قِبلتنا، فهذا كان حجَّتهم التي كانوا يحتجُّون بها تمويهاً على الجُهَّال، فلمَّا صُرفت القِبلة إلى الكعبة بطلت هذه الحجَّة، ثمَّ قال تعالىٰ: **﴿إلاَّ الذين ظلموا منهم﴾** من النَّاس، وهم المشركون فإنَّهم قالوا: توجَّه محمدٌ إلىٰ قِبلتنا، وعلم أنَّا أهدىٰ سبيلاً منه، فهؤلاء يحتجُّون بالباطل، ثمَّ قال: **﴿فلا تخشوهم﴾** يعني: المشركين في تظاهرهم عليكم في المُحاجَّة والمحاربة **﴿واخشوني﴾** في ترك القِبلة ومخالفتها، **﴿ولأُتمَّ نعمتي عليكم﴾** أَيْ: ولكي أُتمَّ ـ عطفٌ علىٰ **﴿لئلا يكون﴾** ـ نعمتي عليكم بهدايتي

وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ

إيَّاكم إلىٰ قِبلة إبراهيم، فَتَتِمُّ لكم الملَّة الحنيفيَّة ﴿**ولعلكم تهتدون**﴾ ولكي تهتدوا إلى قِبلة إبراهيم.

﴿١٥١﴾ ﴿**كما أرسلنا فيكم**﴾ المعنىٰ: ولأتمَّ نعمتي عليكم كإرسالي إليكم رسولاً، أَيْ: أتمُّ هذه كما أتممت تلك بإرسالي ﴿**رسولاً منكم**﴾ تعرفون صدقه ونسبه ﴿**يتلو عليكم آياتنا**﴾ يعني: القرآن، وهذا احتجاجٌ عليهم؛ لأنَّهم عرفوا أنَّه أُميٌّ لا يقرأ ولا يكتب، فلمَّا قرأ عليهم القرآن تبيَّن لهم صدقه في النُّبوَّة ﴿**ويزكيكم**﴾ أَيْ: يُعرِّضكم لما تكونوا به أزكياء من الأمر بطاعة الله تعالىٰ.

﴿١٥٢﴾ ﴿**فاذكروني**﴾ بالطَّاعة ﴿**أذكركم**﴾ بالمغفرة ﴿**واشكروا لي**﴾ نعمتي ﴿**ولا تكفرون**﴾ أَيْ: لا تكفروا نعمتي.

﴿١٥٣﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا استعينوا**﴾ على طلب الآخرة ﴿**بالصبر**﴾ على الفرائض، ﴿**والصلاة**﴾ وبالصَّلوات الخمس علىٰ تمحيص الذُّنوب ﴿**إنَّ الله مع الصابرين**﴾ أَيْ: إنِّي معكم أنصركم ولا أخذلكم.

﴿١٥٤﴾ ﴿**ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات**﴾ نزلت في قتلىٰ بدر من المسلمين[1]، وذلك أنَّهم كانوا يقولون لمَنْ يُقتل في سبيل الله: مات فلانٌ وذهب عنه نعيم الدُّنيا، فقال الله تعالىٰ: ولا تقولوا للمقتولين في سبيلي هم أمواتٌ ﴿**بل**﴾ هم

(١) وهذا قول الكلبي، كما ذكره أبو الليث السمرقندي في تفسيره بحر العلوم ١/ ٥١١؛ وذكره المؤلف في الأسباب ص ٧٨، ولم ينسبه.

أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا

﴿أحياء﴾ لأنَّ أرواح الشُّهداء في أجواف طيرٍ خضرٍ تسرح في الجنَّة[١]. ﴿ولكن لا تشعرون﴾ بما هم فيه من النَّعيم والكرامة.

﴿١٥٥﴾ ﴿ولنبلونكم﴾ ولنعاملنَّكم مُعاملة المبتلي ﴿بشيء من الخوف﴾ يعني: خوف العدوِّ ﴿والجوع﴾ يعني: القحط ﴿ونقص من الأموال﴾ يعني: الخسران والنُّقصان في المال وهلاك المواشي ﴿والأنفس﴾ يعني: الموت والقتل في الجهاد والمرض والشَّيب ﴿والثمرات﴾ يعني: الجوائح وموت الأولاد، فمَنْ صبر على هذه الأشياء استحقَّ الثَّواب، ومَنْ لم يصبر لم يستحق. يدلُّ على هذا قوله تعالىٰ: ﴿وبشر الصابرين﴾.

﴿١٥٦﴾ ﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة﴾ ممَّا ذُكر ﴿قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾ أَيْ: أموالنا لله، ونحن عبيده يصنع بنا ما يشاء، ثمَّ وعدهم على هذا القول المغفرة

﴿١٥٧﴾ ﴿أولئك عليهم صلوات من ربهم﴾ أَيْ: مغفرةٌ ﴿ورحمة﴾ ونعمةٌ ﴿وأولئك هم المهتدون﴾ إلى الجنَّة والثَّواب، والحقِّ والصَّواب. وقيل: زيادة الهدىٰ، وقيل: هم المنتفعون بالهداية.

﴿١٥٨﴾ ﴿إنَّ الصفا والمروة﴾ [وهما جبلان معروفان بمكَّة][٢] ﴿من شعائر الله﴾ أَيْ: مُتعبَّداته ﴿فمن حجَّ البيت﴾ زاره معظِّماً له ﴿أو اعتمر﴾ قصد البيت للزِّيارة ﴿فلا

(١) الحديث عن كعب بن مالك، أنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ أرواح الشُّهداء في حواصلِ طيرٍ خضرٍ تعلق في الجنة. أي: تصيب من ورقها. أخرجه أحمد ٦/١٨٦؛ والترمذي، وقال: حسن صحيح. عارضة الأحوذي ٧/ ١٤٠.

(٢) زيادة من ظ.

جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

جناح عليه﴾ فلا إثم عليه **﴿أن يطوّف بهما﴾** بالجبلين، وذلك أنَّ أهل الجاهليّة كانوا يطوفون بينهما وعليهما صنمان يمسحونهما، فكره المسلمون الطَّواف بينهما، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[1]. **﴿ومن تطوّع خيراً﴾** فعل غير المفترض عليه من طوافٍ، وصلاةٍ، وزكاةٍ، وطاعةٍ **﴿فإنَّ الله شاكر﴾** مجازٍ له بعمله **﴿عليم﴾** بنيَّته.

﴿١٥٩﴾ **﴿إنَّ الذين يكتمون ما أنزلنا﴾** يعني: علماء اليهود **﴿من البينات﴾** من الرَّجم والحدود والأحكام **﴿والهدىٰ﴾** أمر محمَّدٍ ﷺ ونعته **﴿من بعد ما بيناه للناس﴾** لبني إسرائيل **﴿في الكتاب﴾** في التَّوراة **﴿أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾** كلُّ شيءٍ إلَّا الجنَّ والإنس.

﴿١٦٠﴾ **﴿إلَّا الذين تابوا﴾** رجعوا من بعد الكتمان **﴿وأصلحوا﴾** السَّريرة **﴿وبيَّنوا﴾** صفة محمَّدٍ ﷺ **﴿فأولئك أتوب عليهم﴾** أعود عليهم بالمغفرة.

﴿١٦١﴾ **﴿إنَّ الذين كفروا وماتوا وهم كفَّار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين﴾** يعني: المؤمنين.

﴿١٦٢﴾ **﴿خالدين فيها لا يخففُ عنهم العذاب ولا هم ينظرون﴾** أَيْ: ولا هم يُمهلون للرَّجعة والتَّوبة والمعذرة، إذ قد زال التَّكليف.

---

(١) أخرج ذلك البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/ ١٧٦؛ ومسلم برقم ١٢٧٧؛ ومالك في الموطأ ١/ ٣٧٣؛ والنسائي في التفسير ١/ ١٩٩؛ والبيهقي في السنن ٥/ ٩٦.

وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

﴿١٦٣﴾ ﴿**وإلٰهكم إلٰه واحدٌ**﴾ كان للمشركين ثلثمائةٍ وستون صنماً يعبدونها من دون الله سبحانه وتعالىٰ، فبيَّن الله سبحانه أنَّه إِلٰههم، وأنَّه واحدٌ، فقال: ﴿**وإلٰهكم إلٰه واحدٌ**﴾ أَيْ: ليس له في الإلٰهيَّة شريكٌ، ولا له في ذاته نظيرٌ ﴿**لا إلٰه إلاَّ هو الرحمن الرحيم**﴾ كذَّبهم الله عزَّ وجلَّ في إشراكهم معه آلهةً، فعجب المشركون من ذلك، وقالوا: إنَّ محمداً يقول: ﴿**وإلٰهكم إلٰه واحد**﴾ فليأتنا بآيةٍ إن كان من الصَّادقين، فأنزل الله تعالىٰ[1]:

﴿١٦٤﴾ ﴿**إنَّ في خلق السموات والأرض**﴾ مع عظمهما وكثرة أجزائهما ﴿**واختلاف الليل والنهار**﴾ ذهابهما ومجيئهما ﴿**والفلك**﴾ السُّفن ﴿**التي تجري في البحر بما ينفع الناس**﴾ من التِّجارات ﴿**وما أنزل الله من السماء من ماء**﴾ من مطرٍ ﴿**فأحيا به الأرض**﴾ أخصبها بعد جدوبتها ﴿**وبثَّ**﴾ وفرَّق ﴿**فيها من كلِّ دابة وتصريف الرياح**﴾ تقليبها مرَّة جنوباً ومرَّة شمالاً، وباردةً وحارَّةً ﴿**والسحاب المسخَّر**﴾ المُذلَّل لأمر الله ﴿**بين السماء والأرض لآياتٍ**﴾ لدلالاتٍ على وحدانية الله ﴿**لقوم يعقلون**﴾ فعلَّمهم الله عزَّ وجلَّ بهذه الآية كيفية الاستدلال على الصَّانع وعلى توحيده، وردَّهم إلى التَّفكُّر في آياته والنَّظر في مصنوعاته، ثمَّ أعلم أنَّ قوماً بعد هذه الآيات والبيِّنات يتَّخذون الأنداد مع علمهم أنَّهم لا يأتون بشيءٍ ممَّا ذكر، فقال:

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه؛ والفريابي في سننه؛ والبيهقي في شعب الإيمان؛ والواحدي في الأسباب ص ٨٩ عن أبي الضحىٰ.
قال السيوطي في لباب النقول ص ٣١: هذا مُعضَلٌ، لكن له شاهد.
قلتُ: وأبو الضحىٰ اسمه: مسلم بن صُبيح الهمداني، مشهورٌ بكنيته، ثقةٌ فاضل، من الرابعة، مات سنة مائة. انظر: تقريب التهذيب ص ٥٣٠.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا

﴿١٦٥﴾ ﴿**ومن النَّاس مَنْ يتخذ من دون الله أنداداً**﴾ يعني: الأصنام التي هي أندادٌ بعضها لبعضٍ، أَيْ: أمثال ﴿**يحبونهم كحب الله**﴾ أي: كحبِّ المؤمنين الله ﴿**والذين آمنوا أشد حباً لله**﴾ لأنَّ الكافر يُعرِضُ عن معبوده في وقت البلاء، والمؤمن لا يُعرض عن الله في السَّراء والضَّراء، والشِّدَّة والرَّخاء، ﴿**ولو يرىٰ الذين ظلموا**﴾ كفروا ﴿**إذ يرون العذاب**﴾ شدَّة عذاب الله تعالىٰ وقوَّته لعلموا مضرَّة اتِّخاذ الأنداد، وجواب «لو» محذوفٌ، وهو ما ذكرنا.

﴿١٦٦﴾ ﴿**إذ تبرَّأ الذين اتُّبعوا**﴾ هذه الآية تتصل بما قبلها؛ لأنَّ المعنىٰ: وإنَّ الله شديد العذاب حين تبرَّأ المُتَّبَعُون في الشِّرك من أتباعهم عند رؤية العذاب، يقولون: لم ندعُكم إلىٰ الضَّلالة وإلىٰ ما كنتم عليه ﴿**وتقطعت بهم**﴾ عنهم ﴿**الأسباب**﴾ الوصلات التي كانت بينهم في الدُّنيا من الأرحام والمودَّة، وصارت مُخالَّتهم عداوةً.

﴿١٦٧﴾ ﴿**وقال الذين اتبعوا**﴾ وهم الأتباع ﴿**لو أنَّ لنا كرَّةً**﴾ رجعةً إلى الدُّنيا تبرَّأنا منهم ﴿**كما تبرَّؤوا منا كذلك**﴾ أَيْ: كتبرُّىء بعضهم من بعضٍ ﴿**يريهم الله أعمالهم حسراتٍ عليهم**﴾ يعني: عبادتهم الأوثان رجاء أن تُقرِّبهم إلى الله تعالىٰ، فلمَّا عُذِّبوا على ما كانوا يرجون ثوابه تحسَّروا.

﴿١٦٨﴾ ﴿**يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً**﴾ نزلت هذه الآية[1] في الذين

---

(١) وهذا قول الكلبي عن أبي صالح، وهما من سلسلة الكذب.
انظر: أسباب النزول ص ٨١؛ وبحر العلوم ١/ ٥٣٠.

وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

حرَّموا على أنفسهم السَّوائب والوصائل والبحائر، فأَعلمَ الله سبحانه أنَّها يَحلُّ أكْلُها، وأنَّ تحريمها من عمل الشَّيطان، فقال: ﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾ أَيْ: سُبله وطرقه، ثمَّ بيَّن عداوة الشَّيطان، فقال:

﴿١٦٩﴾ ﴿**إنما يأمركم بالسوء**﴾ بالمعاصي ﴿**والفحشاء**﴾ البخل، وقيل: كلُّ ذنبٍ فيه حدٌّ ﴿**وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون**﴾ من تحريم الأنعام والحرث.

﴿١٧٠﴾ ﴿**وإذا قيل لهم**﴾ أي: لهؤلاء الذين حرَّموا من الحرث والأنعام أشياء: ﴿**اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا**﴾ ما وجدنا ﴿**عليه آباءنا**﴾ فقال الله تعالىٰ مُنكراً عليهم: ﴿**أَوَلَوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون**﴾ يتَّبعونهم؟ والمعنىٰ: أيتَّبعون آباءهم وإنْ كانوا جهَّالاً؟! ثمَّ ضرب للكفَّار مثلاً، فقال:

﴿١٧١﴾ ﴿**ومثل الذين كفروا**﴾ في وعظهم ودعائهم إلى الله عزَّ وجلَّ ﴿**كمثل**﴾ الرَّاعي ﴿**الذي ينعق**﴾ يصيح بالغنم وهي لا تعقل شيئاً، ومعنىٰ يَنْعِق: يصيح، وأراد ﴿**بما لا يسمع إلاَّ دعاءً ونداءً**﴾ البهائم التي لا تعقل ولا تفهم ما يقول الرَّاعي، إنَّما تسمع صوتاً لا تدري ما تحته، كذلك الذين كفروا يسمعون كلام النَّبيِّ ﷺ وهم كالغنم؛ إذ كانوا لا يستعملون ما أمرهم به، ومضى[1] تفسير قوله: ﴿**صم بكم عمي**﴾، ثمَّ ذكر أنَّ ما حرَّمه المشركون حلالٌ، فقال:

﴿١٧٢﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم**﴾ أَيْ: حلالات ما رزقناكم من الحرث والنَّعم وما حرَّمه المشركون على أنفسهم منهما ﴿**واشكروا لله إنْ كنتم إياه**

(١) انظر ص ٩٤ عند آية ١٨.

تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ

تعبدون﴾ أَيْ: إنْ كانت العبادة لله واجبةً عليكم بأنَّه إلٰهكم فالشُّكر له واجبٌ؛ بأنه منعمٌ عليكم، ثمَّ بيَّن المُحرَّم ما هو فقال:

﴿١٧٣﴾ **﴿إنما حرَّم عليكم الميتة﴾** وهي كلُّ ما فارقه الرُّوح من غير ذكاةٍ ممَّا يذبح **﴿والدم﴾** يعني: الدَّم السَّائل لقوله في موضع آخر: **﴿أو دماً مسفوحاً﴾**[١] وقد دخل هذين الجنسين الخصوصُ بالسُّنَّةِ، وهو قوله ﷺ: [أُحلَّت لنا ميتتان ودمان] الحديث[٢]. وقوله تعالىٰ: **﴿ولحم الخنزير﴾** يعني: الخنزير بجميع أجزائه، وخصَّ اللَّحم لأنَّه المقصود بالأكل **﴿وما أُهِلَّ به لغير الله﴾** يعني: ما ذُبح للأصنام، فذكر عليه غير اسم الله تعالىٰ **﴿فمن اضطر﴾** أَيْ: أُحوج وأُلْجِىءَ في حال الضَّرورة. [وقيل: مَنْ أكره علىٰ تناوله، وأُجبر على تناوله كما يُجبر على التَّلفُّظ بالباطل][٣] **﴿غير باغٍ﴾** أَيْ: غير قاطعٍ للطَّريق مفارقٍ للأئمة مُشاقٍّ للأمَّة **﴿ولا عادٍ﴾** ولا ظالمٍ متعدٍّ، فأكلَ **﴿فلا إثم عليه﴾** وهذا يدلُّ على أنَّ العاصي بسفره لا يستبيح أكلَ الميتة عند الضَّرورة **﴿إنَّ الله غفور﴾** للمعصية فلا يأخذ بما جعل فيه الرُّخصة **﴿رحيمٌ﴾** حيث رخَّص للمضطر.

﴿١٧٤﴾ **﴿إنَّ الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب﴾** يعني: رؤساء اليهود **﴿ويشترون به﴾**

---

(١) الآية: ﴿قل: لا أجد فيما أوحي إليَّ محرَّماً على طاعمٍ يطعمه إلَّا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً﴾ [سورة الأنعام: الآية ١٤٥].

(٢) أخرجه الشافعي في الأم ٢/ ٤٢٥؛ وأحمد ٢/ ٩٧؛ وابن ماجه برقم ٣٣١٤، وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهو ضعيف، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرىٰ ١/ ٢٥٤ من طريق آخر عن ابن عمر موقوفاً، ثم قال: وهذا إسناد صحيح.

(٣) ما بين [ ] من نسخة الأصل، وليس هو في باقي النسخ.

ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾ ۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ

بما أنزل الله من نعت محمَّدٍ ﷺ في كتابهم ﴿ثمناً قليلاً﴾ يعني: ما يأخذون من الرُّشىٰ على كتمان نعته ﴿أولئك ما يأكلون في بطونهم إلاَّ النار﴾ إلاَّ ما هو عاقبته النَّار ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ أَيْ: كلاماً يسرُّهم ﴿ولا يزكيهم﴾ ولا يُطهِّرهم من دنس ذنوبهم.

﴿١٧٥﴾ ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة﴾ استبدلوها ﴿بالهدىٰ والعذاب بالمغفرة﴾ حين جحدوا أمر محمَّدٍ ﷺ وكتموا نعته ﴿فما أصبرهم﴾ أَيْ: فأيُّ شيءٍ صبَّرهم علىٰ النَّار، ودعاهم إليها حين تركوا الحقَّ واتبعوا الباطل؟! وهذا استفهامٌ معناه التَّوبيخ لهم. [وقيل: ما أجرأهم على النار!][1].

﴿١٧٦﴾ ﴿ذلك﴾ أَيْ: ذلك العذاب لهم ﴿بأنَّ الله نزل الكتاب بالحق﴾ يعني: القرآن فاختلفوا فيه ﴿وإنَّ الذين اختلفوا في الكتاب﴾ فقالوا: إنَّه رَجَزٌ، وشِعرٌ، وكهانةٌ، وسحرٌ ﴿لفي شقاق بعيد﴾ لفي خلافٍ للحقِّ طويلٍ.

﴿١٧٧﴾ ﴿ليس البر...﴾ الآية. كان الرَّجل في ابتداء الإسلام إذا شهد الشَّهادتين، وصلَّىٰ إلى أيِّ ناحيةٍ كانت ثمَّ مات على ذلك وجبت له الجنَّة، فلمَّا هاجر رسول الله ﷺ ونزلت الفرائض وصُرفت القِبلة إلى الكعبة أنزل الله تعالىٰ هذه الآية[2]، فقال: ﴿ليس البر﴾ كلَّه أن تُصلُّوا ولا تعملوا غير ذلك ﴿ولكنَّ البرَّ﴾ أَيْ: ذا البرِّ ﴿مَنْ

(١) ما بين [ ] من نسخة الأصل، وليس هو في باقي النسخ.
(٢) أخرجه ابن جرير ٢/ ٩٤ عن قتادة. وانظر: أسباب النزول ص ٨٢؛ ولباب النقول ص ٣٢.

ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ

آمن بالله واليومِ الآخر والملائكة والكتاب والنَّبيين وآتىٰ المال على حبه﴾ أَيْ: علىٰ حبِّ المال. [وقيل: الضميرُ راجعٌ إلىٰ الإيتاء] ﴿ذوي القربىٰ﴾ قيل: عنىٰ به قرابة النبيِّ ﷺ. وقيل: أراد به قرابة الميت][1] ﴿وابن السبيل﴾ هو المنقطع يمرُّ بك، والضَّيف ينزل بك ﴿وفي الرِّقاب﴾ أَيْ: وفي ثمنها. يعني: المكاتبين ﴿والموفون بعهدهم إذا عاهدوا﴾ اللَّهَ أو النَّاسَ ﴿والصابرين في البأساء﴾ الفقر ﴿والضراء﴾ المرض ﴿وحين البأس﴾ وقت القتال في سبيل الله ﴿أولئك﴾ أهل هذه الصفة هم ﴿الذين صدقوا﴾ في إيمانهم.

﴿١٧٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلىٰ﴾ نزلت[2] في حَيَّينِ من العرب أحدهما أشرف من الآخر، فقتل الأوضع من الأشرف قتلىٰ، فقال الأشرف: لنقتلنَّ الحرَّ بالعبد، والذَّكر بالأنثىٰ، ولَنُضاعِفَنَّ الجراح، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية. وقوله: ﴿كُتب﴾: أُوجب وفُرض ﴿عليكم القصاص﴾ اعتبار المماثلة والتَّساوي بين القتلىٰ، حتىٰ لا يجوز أن يقتل حرٌّ بعبدٍ، أو مسلمٌ بكافرٍ، فاعتبارُ المماثلةِ واجبٌ، وهو قوله: ﴿الحرُّ بالحرِّ والعبدُ بالعبد والأنثىٰ بالأنثىٰ﴾ ودلَّ قوله في سورة المائدة[3]: ﴿أنَّ النَّفس بالنَّفس﴾ علىٰ أنَّ الذَّكر يُقتل بالأنثىٰ فيقتل الحرُّ بالحرَّة ﴿فمن عفي له﴾ أَيْ: تُرك له ﴿من﴾ دم ﴿أخيه﴾ المقتول

---

(١) ما بين [ ] زيادة من ع.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢/١٠٣ عن الشَّعبي. وانظر: أسباب النزول ص ٨٢.

(٣) الآية: ﴿وكتبنا عليهم فيها أنَّ النَّفس بالنَّفسِ والعينَ بالعين﴾ [سورة المائدة: الآية ٤٥].

شَيْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ

﴿**شيءٌ**﴾ وهو أن يعفو بعض الأولياء فيسقط القود ﴿**فاتباع بالمعروف**﴾ أَيْ: فعلىٰ العافي الذي هو ولي الدَّم أن يتبع القاتل بالمعروف، وهو أن يطالبه بالمال من غير تشدُّد وأذىً، وعلىٰ المطلوب منه المال ﴿**أداءٌ**﴾ تأدية المال إلى العافي ﴿**بإحسانٍ**﴾ وهو ترك المطل والتَّسويف. ﴿**ذلك تخفيفٌ من ربكم ورحمة**﴾ هو أنَّ الله تعالىٰ خَيَّرَ هذه الأمَّة بين القصاص والدية والعفو، ولم يكن **ذلك** إلَّا لهذه الأُمَّة[(١)] ﴿**فمن اعتدىٰ**﴾ أَيْ: ظلم بقتل القاتل بعد أخذ الدية ﴿**فله عذابٌ أليم**﴾.

﴿١٧٩﴾ ﴿**ولكم في القصاص حياة**﴾ أَيْ: في إثباته حياةٌ، وذلك أنَّ القاتل إذا قُتل ارتدع عن القتل كلُّ مَنْ يهمُّ بالقتل، فكان القصاص سبباً لحياة الذي يُهَمُّ بقتله، ولحياة الهامِّ أيضاً؛ لأنه إنْ قَتلَ قُتل. ﴿**يا أولي الألباب**﴾ يا ذوي العقول ﴿**لعلكم تتقون**﴾ [إراقة][(٢)] الدِّماء مخافة القصاص.

﴿١٨٠﴾ ﴿**كتب عليكم...**﴾ الآية. كان أهل الجاهليَّة يُوصون بمالهم للبعداء رياءً وسُمعةً، ويتركون أقاربهم [فقراء][(٣)]، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية. ﴿**كتب عليكم**﴾ فُرض عليكم وأُوجب ﴿**إذا حضر أحدكم الموت**﴾ أَيْ: أسبابه ومُقدِّماته ﴿**إنْ ترك خيراً**﴾ مالاً ﴿**الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف**﴾ يعني: لا يزيد على الثلث

---

(١) عن ابن عباس قال: كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدية، فقال الله تعالىٰ لهذه الأمة: ﴿كتب عليكم القصاص في القتلىٰ الحرُّ بالحرِّ، والعبد بالعبد، والأنثى بالأنثىٰ، فمن عفي له من أخيه شيء﴾ فالعفو أن يقبل الدية في العمد. الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٨/١٧٦؛ والنسائي في تفسيره ١/٣١٣؛ والبيهقي في السنن ٨/٥١.

(٢) ما بين [ ] من ظ وظا.

(٣) زيادة من ظا.

حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعْدَمَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثْمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾ فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ

﴿حقاً﴾ أي: حقَّ ذلك حقّاً ﴿على المتقين﴾ الذين يتَّقون الشِّرك، وهذه الآية منسوخةٌ بآية المواريث[1]، ولا تجب الوصية على أحدٍ، [ولا تجوز الوصية للوارث][2].

﴿١٨١﴾ ﴿فَمَنْ بدَّله بعد ما سمعه﴾ أَيْ: بدَّل الإِيصاء وغيَّره من وصيٍّ ووليٍّ وشاهدٍ بعد ما سمعه عن الميت ﴿فإنما إثمه﴾ إثم التَّبديل ﴿على الذين يبدلونه﴾ وبَرِىءَ الميِّت ﴿إنَّ الله سميع﴾ سمع ما قاله المُوصي ﴿عليم﴾ بنيَّته وما أراد، فكانت الأولياء والأوصياء يمضون وصية الميت بعد نزول هذه الآية وإن استغرقت المال، فأنزل الله تعالىٰ:

﴿١٨٢﴾ ﴿فمن خاف﴾ أَيْ: علم ﴿من موصٍ جنفاً﴾ خطأً في الوصية من غير عمدٍ، وهو أن يُوصي لبعض ورثته، أو يوصي بماله كلِّه خطأً ﴿أو إثماً﴾ أَيْ: قصداً للميل، فَخافَ في الوصية وفعل ما لا يجوز مُتعمِّداً ﴿فأصلح﴾ بعد موته بين ورثته وبين المُوصىٰ لهم ﴿فلا إثم عليه﴾ أَيْ: إنَّه ليس بمبدلٍ يأثم، بل هو متوسطٌ للإصلاح، وليس عليه إثمٌ.

﴿١٨٣﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ يعني صيام شهر رمضان ﴿كما كتب﴾

---

(١) قال مكيّ القيسي: واختلف في الناسخ لها ما هو؟ فمن أجاز أن تنسخ السُّنةُ المتواترةُ القرآن قال: نسخ فرضَ الوصية للوالدين ما تواتر نقله من قول النَّبيِّ ﷺ: «لا وصية لوارث»، ونسخت آيةُ المواريث فرض الوصية للأقربين.
ومَنْ منع نسخ القرآن بالسُّنة قال: نُسخت الوصية للوالدين بقوله: ﴿ولأبويه لكلِّ واحدٍ منهما السدس﴾. ونسخت الوصية للأقربين بالمواريث.
الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه باختصار ص ١٤١؛ والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٢٣؛ والناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ص ١٦؛ وناسخ القرآن العزيز لابن البارزي ص ٢٥.

(٢) زيادة من ظ.

عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ

يعني: كما أُوجب ﴿**علىٰ الذين من قبلكم**﴾ أَيْ: أنتم مُتَعَبِّدون بالصِّيام كما تُعبِّد مَنْ قبلكم ﴿**لعلكم تتقون**﴾ لكي تتقوا الأكل والشُّرب والجماع في وقت وجوب الصَّوم.

﴿١٨٤﴾ ﴿**أياماً معدودات**﴾ يعني: شهر رمضان ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو علىٰ سفرٍ**﴾ فأفطر ﴿**فعدَّةٌ**﴾ أَيْ: فعليه عدَّةٌ، أَيْ: صوم عدَّةٍ. يعني: بعدد ما أفطر ﴿**من أيام أُخر**﴾ سوىٰ أيَّام مرضه وسفره ﴿**وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين**﴾ هذا كان في ابتداء الإِسلام؛ مَنْ أطاق الصوم جاز له أن يُفطر، ويُطعم لكلِّ يومٍ مسكيناً مُدّاً من طعام، فَنُسِخ[1] بقوله: ﴿فمن شهد منكم الشهر فليصمه﴾. ﴿**فمن تطوع خيراً**﴾ زاد في الفدية على مُدٍّ واحدٍ ﴿**فهو خيرٌ له وأن تصوموا خيرٌ لكم**﴾ أَيْ: والصَّوم خيرٌ لكم من الإِفطار والفدية، وهذا [إنَّما] كان قبل النَّسخ.

﴿١٨٥﴾ ﴿**شهر رمضان**﴾ أَيْ: هي شهر رمضان. يعني: تلك الأيام المعدودات شهر رمضان ﴿**الذي أُنزل فيه القرآن**﴾ أُنزل جملةً واحدةً من اللَّوح المحفوظ في ليلة القدر من شهر رمضان، فوضع في بيت العزَّة في سماء الدُّنيا، ثمَّ نزل به جبريل عليه السَّلام على محمد ﷺ نجوماً نجوماً عشرين سنةً[2] ﴿**هدىً للناس**﴾ هادياً للنَّاس ﴿**وبينات من الهدىٰ**﴾ وآياتٍ واضحاتٍ من الحلال والحرام، والحدود

---

(١) ويؤيده ما أخرج البخاري عن سلمة بن الأكوع قال: لمَّا نزلت: ﴿وعلىٰ الذين يطيقونه فدية طعام مسكين﴾، كان مَنْ أراد أن يفطر ويفتديَ، حتىٰ نزلت الآية التي بعدها فنسختها. فتح الباري ٨/ ١٨١. وأخرجه مسلم أيضاً برقم ١١٤٥؛ وأبو داود برقم ٢٣١٥؛ والنسائي في تفسيره ١/ ٢١٧؛ والنحاس في الناسخ ص ٢٦.

(٢) الخبر أخرجه ابن جرير ٢/ ١٤٤ عن ابن عباس، وسعيد بن جبير.

وَٱلْفُرْقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى

والأحكام ﴿والفرقان﴾ الفرق بين الحقِّ والباطل ﴿فمن شهد منكم الشهر﴾ فمَنْ حضر منكم بلده في الشَّهر ﴿فليصمه﴾ ﴿ومَنْ كان مريضاً أو علىٰ سفرٍ فعدَّةٌ من أيام أخر﴾ أعاد هاهنا تخيير المريض والمسافر؛ لأنَّ الآية الأولىٰ وردت في التَّخيير للمريض والمسافر والمقيم، وفي هذه الآية نُسخ تخيير المقيم[1]، فأُعيد ذكر تخيير المريض والمسافر ليعلم أنَّه باقٍ علىٰ ما كان ﴿يريد الله بكم اليسر﴾ بالرُّخصة للمسافر والمريض ﴿ولا يريد بكم العسر﴾ لأنَّه لم يشدِّد ولم يُضيِّق عليكم ﴿ولتكملوا﴾ [عطف على محذوف] والمعنىٰ: يريد الله بكم اليسر، ولا يريد بكم العسر لِيَسْهُلَ عليكم ﴿ولتكملوا العدَّة﴾ أَيْ: ولتكملوا عدَّة ما أفطرتم بالقضاء إذا أقمتم وبرأتم ﴿ولتكبروا الله﴾ يعني التَّكبير ليلة الفطر إذا رُئي هلال شوال ﴿علىٰ ما هداكم﴾ أرشدكم من شرائع الدِّين.

﴿١٨٦﴾ ﴿وإذا سألك عبادي عني...﴾ الآية. سأل بعض الصَّحابة النبيَّ ﷺ: أقريبٌ ربُّنا فنناجيَه، أم بعيدٌ فنناديَه؟ فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[2]، وقوله تعالىٰ: ﴿فإني

---

(١) وهذا قول معاذ بن جبل، وابن عمر، وعكرمة، والحسن، وعطاء، وإليه ذهب الشافعي.
انظر: الإيضاح ص ١٥٠؛ وأحكام القرآن للهراسي ١/ ٦٤.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢/١٥٨، عن معاوية بن حيدة الصحابي قال: جاء أعرابي إلى النبيّ، وذكره. وانظر: لباب النقول ص ٣٣. وأخرج ابن أبي شيبة في المصنف ١/١٠٨ عن كعبٍ قال: قال موسىٰ عليه السَّلام: أَيْ ربِّ، أقريبٌ أنت فأُناجيك أم بعيدٌ فأناديك؟ قال: يا موسىٰ، أنا جليس مَنْ ذكرني، قال: يا ربِّ، فإنا نكون من الحال على حالٍ نعظِّمك أو نجلُّك أن نذكرك عليها، قال: وما هي؟ قال: الجنابة والغائط. قال: يا موسىٰ، اذكرني على كلِّ حالٍ.

قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِۖ ثُمَّ أَتِمُّوا۟

قريبٌ﴾ يعني: قربه بالعلم ﴿**أجيب**﴾ أسمع ﴿**دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي**﴾ أَيْ: فليجيبوني بالطَّاعة وتصديق الرُّسل ﴿**وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون**﴾ ليكونوا علىٰ رجاءٍ من إصابة الرُّشد.

﴿١٨٧﴾ ﴿**أحلَّ لكم ليلة الصيام...**﴾ الآية. كان في ابتداء الإسلام لا تحلُّ المجامعة في ليالي الصَّوم، ولا الأكل ولا الشُّرب بعد العشاء الآخرة، فأحلَّ الله تعالىٰ ذلك كلَّه إلى طلوع الفجر، وقوله: ﴿**الرفث إلى نسائكم**﴾ يعني: الإفضاء إليهنَّ بالجماع ﴿**هنَّ لباسٌ لكم**﴾ أَيْ: فراشٌ ﴿**وأنتم لباس**﴾ لحافٌ ﴿**لهنَّ**﴾ عند الجماع ﴿**علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم**﴾ تخونون أنفسكم بالجماع ليالي رمضان، وذلك أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه وغيره فعلوا[1] ذلك، ثمَّ أتوا رسول الله ﷺ يسألونه، فنزلت الرُّخصة ﴿**فتاب عليكم**﴾ فعاد عليكم بالترخيص ﴿**وعفا عنكم**﴾ ما فعلتم قبل الرُّخصة ﴿**فالآن باشروهنَّ**﴾ جامعوهنَّ ﴿**وابتغوا**﴾ واطلبوا ﴿**ما كتب الله لكم**﴾ ما قضىٰ الله سبحانه لكم من الولد ﴿**وكلوا واشربوا**﴾ اللَّيل كلَّه ﴿**حتىٰ يتبين لكم الخيط الأبيض**﴾ يعني: بياض الصُّبح ﴿**من الخيط الأسود**﴾ من سواد اللَّيل ﴿**من الفجر**﴾ بيانُ أنَّ هذا الخيط الأبيض من الفجر لا من غيره ﴿**ثمَّ أتموا**

---

(١) ومنهم غير عمرَ بن الخطاب: كعبُ بن مالك، وأبو صرمة الأنصاري وفي أسباب النزول ص ٨٣: قيس بن صرمة، وقد اختلف في اسمه، وذكره النحاس في الناسخ ص ٣٠ أبو قيس بن عمرو، قال ابن حجر في الفتح ٨/ ١٨٢: ولم يزد واحدٌ منهم في القصة على تسمية عمر إلاَّ في حديث كعب بن مالك. اهـ.
وحديث عمر أخرجه ابن جرير ٢/ ١٦٤. وذكر البخاري سبب نزول الآية عن البراء، ولم يسمِّ أحداً. فتح الباري ٨/ ١٨١.

ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ

الصيام إلىٰ الليل﴾ بالامتناع من هذه الأشياء **﴿ولا تباشروهنَّ وأنتم عاكفون في المساجد﴾** نهيٌ للمعتكف عن الجماع؛ لأنه يُفسده، **﴿تلك﴾** أَيْ: هذه الأحكام التي ذكرها **﴿حدود الله﴾** ممنوعاته **﴿فلا تقربوها﴾** فلا تأتوها **﴿كذلك﴾** أَيْ: مثل هذا البيان **﴿يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون﴾** المحارم.

﴿١٨٨﴾ **﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾** أَيْ: لا يأكل بعضكم مال بعضٍ بما لا يحلُّ في الشَّرع، من الخيانة والغصب، والسَّرقة والقمار، وغير ذلك **﴿وتُدْلُوا بها إلى الحكام﴾** ولا تصانعوا [أَيْ: لا ترشوا][1] بأموالكم الحكَّام لِتقتطعوا حقّاً لغيركم **﴿لتأكلوا فريقاً﴾** طائفةً **﴿من أموال الناس بالإثم﴾** بأن ترشوا الحاكم ليقضي لكم **﴿وأنتم تعلمون﴾** أنّكم مُبطلون، وأنَّه لا يحلُّ لكم، والأصل في الإِدلاء: الإرسال، من قولهم: أدليتُ الدَّلو.

﴿١٨٩﴾ **﴿يسألونك عن الأهلَّة﴾** سأل معاذ بن جبلٍ رسولَ الله ﷺ عن زيادة القمر ونقصانه، فأنزل الله تعالىٰ[2]: **﴿يسألونك عن الأهلة﴾** وهي جمع هلال **﴿قل هي مواقيت للناس والحج﴾** أخبر الله عنه أنَّ الحكمة في زيادته ونقصانه زوال الالتباس عن أوقات النَّاس في حجِّهم ومَحِلِّ دُيونِهم، وعِدَدِ نسائهم، وأجور أُجرائهم،

(١) زيادة من ظ.

(٢) أخرجه أبو نعيم وابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق السدي الصغير عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ولا يخفىٰ ضعف هذا الطريق.
انظر: لباب النقول ص ٣٥؛ وأسباب النزول ص ٨٥.

وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٨٩﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ

ومُدَد حواملهم، وغير ذلك. ﴿وليس البرُّ بأن تأتوا البيوت من ظهورها﴾ كان الرَّجل في الجاهليَّة إذا أحرم نقب من بيته نقباً من مؤخره يدخل فيه ويخرج، فأمرهم الله بترك سنَّة الجاهليَّة[1]، وأعلمهم أنَّ ذلك ليس ببرٍّ ﴿ولكن البرَّ﴾ برُّ ﴿من اتقىٰ﴾ مخالفةَ الله ﴿وأتوا البيوت من أبوابها. . .﴾ الآية.

﴿١٩٠﴾ ﴿وقاتلوا في سبيل الله. . .﴾ الآية. نزلت هذه الآية في صلح الحديبية[2]، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ لمَّا انصرف من الحديبية إلى المدينة المنورة حين صدَّه المشركون عن البيت، صالحهم علىٰ أن يرجع عامه القابل ويُخَلُّوا له مكَّة ثلاثة أيَّام، فلمَّا كان العام القابل تجهَّز رسول الله ﷺ وأصحابه لعمرة القضاء، وخافوا أن لا تفي لهم قريشٌ وأن يصدُّوهم عن البيت ويقاتلوهم، وكره أصحاب رسول الله ﷺ قتالهم في الشَّهر الحرام في الحرم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ أيْ: في دين الله وطاعته ﴿الذين يقاتلونكم﴾ يعني: قريشاً ﴿ولا تعتدوا﴾ ولا تظلموا فتبدؤوا في الحرم بالقتال.

﴿١٩١﴾ ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾ وجدتموهم وأخذتموهم ﴿وأخرجوهم من حيث

---

(١) انظر: ابن جرير ٢/ ١٨٧، وأسباب النزول ص ٨٦؛ ولباب النقول ص ٣٦.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٤٨٣، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبي.

(٢) وهذا قول ابن عباس من طريق الكلبي. انظر: أسباب النزول ص ٨٧؛ ولباب النقول ص ٣٦، وبحر العلوم ١/ ٥٧٩.
وقيل: هذه أوَّل آية نزلت في القتال بالمدينة، فلما نزلت كان رسول الله ﷺ يقاتل مَنْ قاتله، ويكف عمَّن كفَّ عنه حتى نزلت: ﴿قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة﴾.
انظر: تفسير ابن جرير ٢/ ١٨٩؛ وأحكام القرآن للهراسي ١/ ٧٩؛ والإيضاح ص ١٥٦؛ والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٣٣.

أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾

أخرجوكم﴾ يعني: من مكَّة **﴿والفتنة أشدّ من القتل﴾** يعني: وشركُهم بالله تعالىٰ أعظمُ من قتلكم إيَّاهم في الحرم **﴿ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتىٰ يقاتلوكم فيه﴾** نُهوا عن ابتدائهم بقتلٍ أو قتالٍ حتىٰ يبتدىء المشركون **﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾** أَيْ: إن ابتدؤوا بقتالكم عند المسجد الحرام فلكم القتال على سبيل المكافأة، ثم بيَّن أنهم إن انتهوا، أَيْ: كفُّوا عن الشِّرك والكفر والقتال وأسلموا **﴿فإنَّ الله غفور رحيم﴾** أَيْ: يغفر لهم كفرهم وقتالهم من قبل، وهو منعمٌ عليهم بقبول توبتهم وإيمانهم بعد كفرهم وقتالهم.

﴿١٩٣﴾ **﴿وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة﴾** أَيْ: شركٌ. يعني: قاتلوهم حتىٰ يُسلموا، وليس يُقبل من المشرك الوثنيِّ جزيةٌ **﴿ويكون الدين﴾** أَيْ: الطَّاعة والعبادة **﴿لله﴾** وحده فلا يُعبد دونه شيءٌ **﴿فإن انتهوا﴾** عن الكفر **﴿فلا عدوان﴾** أَيْ: فلا قتل ولا نهب **﴿إلَّا على الظالمين﴾** والكافرين.

﴿١٩٤﴾ **﴿الشهر الحرام بالشهر الحرام﴾** أَيْ: إن قاتلوكم في الشَّهر الحرام فقاتلوهم في مثله **﴿والحرمات قصاص﴾** أَي: إن انتهكوا لكم حرمةً فانتهكوا منهم مثل ذلك، أَعلمَ الله سبحانه أنَّه لا يكون للمسلمين أنْ ينتهكوها على سبيل الابتداء، ولكن على سبيل القصاص، وهو معنى قوله: **﴿فمن اعتدى عليكم...﴾** الآية.

﴿١٩٥﴾ **﴿وأنفقوا في سبيل الله﴾** في طاعة الله تعالىٰ من الجهاد وغيره **﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾** ولا تُمسكوا عن الإنفاق في الجهاد **﴿وأحسنوا﴾** أَيْ: الظنَّ بالله تعالى في الثَّواب والإخلاف عليكم.

وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

﴿١٩٦﴾ ﴿**وأتموا الحج والعمرة لله**﴾ بمناسكهما وحدودهما وسننهما، وتأدية كلِّ ما فيهما ﴿**فإن أحصرتم**﴾ حُبستم ومُنعتم دون تمامهما ﴿**فما استيسر**﴾ فواجبٌ عليكم ما تيسَّر ﴿**من الهدي**﴾ وهو ما يُهدىٰ إلىٰ بيت الله سبحانه، أعلاه بدنةٌ، وأوسطه بقرة، وأدناه شاةٌ، فعليه ما تيسَّر من هذه الأجناس ﴿**ولا تحلقوا رؤوسكم**﴾ أيْ: لا تَحِلُّوا من إحرامكم ﴿**حتىٰ يبلغ الهدي محلَّه**﴾ حتىٰ يُنحر الهدي بمكَّة في بعض الأقوال، وهو مذهب أهل العراق، وفي قول غيرهم: مَحِلُّه حيث يَحِلُّ ذبحه ونحره، وهو حيث أُحصر، وهو مذهب الشَّافعي ﴿**فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه**﴾ [يعني الهوام تقع في الشَّعر وتكثر][1] فحلق ﴿**ففديةٌ من صيام**﴾ وهو صيام ثلاثة أيَّام ﴿**أو صدقة**﴾ وهي إطعام ستة مساكين. لكلِّ مسكينٍ مُدَّان ﴿**أو نسك**﴾ ذبيحةٍ ﴿**فإذا أمنتم**﴾ أيْ: من العدوِّ، أو كان حجٌّ ليس فيه خوفٌ من عدوٍّ ﴿**فمن تمتع بالعمرة إلى الحج**﴾ أيْ: قدم مكَّة مُحرماً واعتمر في أشهر الحجِّ، وأقام حلالاً بمكَّة حتى يُنشىء منها الحجَّ عامَه ذلك، واستمتع بمحظورات الإِحرام؛ لأنَّه حلَّ بالعمرة، فمن فعل هذا ﴿**فـ**﴾ عليه ﴿**ما استيسر من الهدي فمن لم يجد**﴾ ثمن الهدي ﴿**فصيام ثلاثة أيام في**﴾ أشهر ﴿**الحج وسبعة إذا رجعتم**﴾ أَيْ: بعد الفراغ من الحجِّ ﴿**تلك عشرة كاملة ذلك**﴾ أَيْ: ذلك الفرض الذي أُمرنا به من الهدي أو الصِّيام ﴿**لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام**﴾ أَيْ: لمَنْ لم يكن من أهل مكَّة.

---

(١) زيادة من عا و ظ.

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ

﴿١٩٧﴾ **﴿الحج أشهر﴾** أَيْ: أشهرُ الحجِّ أشهرٌ **﴿معلوماتٌ﴾** مُوقَّتةٌ معيَّنةٌ، وهي شوال وذو القعدة وتسعٌ من ذي الحجَّة **﴿فمن فرض﴾** أوجب على نفسه **﴿فيهنَّ الحجَّ﴾** بالإِحرام والتَّلبية **﴿فلا رفث﴾** فلا جِماعَ **﴿ولا فسوق﴾** ولا معاصي **﴿ولا جدال﴾** وهو أَنْ يُجادلَ صاحبه حتىٰ يُغضبه، والمعنىٰ: لا ترفثوا ولا تفسقوا ولا تجادلوا **﴿في الحج وما تفعلوا من خير يعلمه الله﴾** أَيْ: يُجازيكم به الله العالم **﴿وتزوَّدوا﴾** نزلت في قومٍ كانوا يحجُّون بلا زادٍ، ويقولون: نحن متوكِّلون، ثمَّ كانوا يسألون النَّاس وربَّما ظلموهم وغصبوهم، فأمرهم الله أَنْ يتزوَّدوا[1] فقال: **﴿وتزوَّدوا﴾** ما تتبلَّغون به **﴿فإن خير الزاد التقوىٰ﴾** يعني: ما تكفُّون به وجوهكم عن السُّؤال وأنفسكم عن الظُّلم.

﴿١٩٨﴾ **﴿ليس عليكم جناح. . .﴾** الآية. كان قومٌ يزعمون أنَّه لا حَجَّ لتاجرٍ ولا جَمَّالٍ، فأعلمَ اللَّهُ تعالىٰ أنه لا حرج في ابتغاء الرِّزق بقوله: **﴿ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم﴾** أَيْ: رزقاً بالتِّجارة في الحجِّ **﴿فإذا أفضتم﴾** أَيْ: دفعتم وانصرفتم من **﴿من عرفات فاذكروا الله﴾** بالدُّعاء والتَّلبية **﴿عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم﴾** أَيْ: ذكراً مثلَ هدايته إيَّاكم، أَيْ: يكون جزاءً لهدايته إيَّاكم **﴿وإن كنتم من قبله﴾** أَيْ: وما كنتم من قبل هُدَاه إلاَّ ضالِّين.

﴿١٩٩﴾ **﴿ثمَّ أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾** يعني: العرب وعامَّة النَّاس إلَّا قريشاً، وذلك أنَّهم كانوا لا يقفون بعرفات وإنَّما يقفون بالمزدلفة ويقولون: نحن أهل حرم الله،

---

(١) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن جرير ٢/ ٢٧٩؛ والمؤلف في الأسباب ص ٩٣.

وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾ ۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ

فلا نخرج منه، فأمرهم الله أن يقفوا بعرفاتٍ، كما يقف سائر النَّاس حتىٰ تكون الإفاضة معهم منها[1]. ﴿فإذا قضيتم مناسككم﴾ أَيْ: فرغتم من عباداتكم التي أمرتم بها في الحجِّ ﴿فاذكروا الله كذكركم آباءَكم﴾ كانت العرب إذا فرغوا من حجِّهم ذكروا مفاخر آبائهم، فأمرهم الله عزَّ وجلَّ بذكره ﴿أو أشدَّ ذكراً﴾ يعني: وأشدَّ ذكراً ﴿فمن الناس...﴾ الآية، وهم المشركون كانوا يسألون المال والإبل والغنم، ولا يسألون حظّاً في الآخرة؛ لأنَّهم لم يكونوا مؤمنين بها، والمسلمون يسألون الحظَّ في الدُّنيا والآخرة، وهو قوله:

﴿٢٠١﴾ ﴿ومنهم مَنْ يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة...﴾ الآية. [ومعنىٰ: ﴿في الدنيا حسنة﴾: العمل بما يرضي الله، ﴿وفي الآخرة حسنة﴾: الجنة][2].

﴿٢٠٢﴾ ﴿أولئك لهم نصيبٌ مما كسبوا﴾ أَيْ: ثوابُ ما عملوا ﴿والله سريعُ الحساب﴾ مع هؤلاء؛ لأنَّه يغفر سيئاتهم ويضاعف حسناتهم.

﴿٢٠٣﴾ ﴿واذكروا الله في أيام معدودات﴾ يعني: التَّكبير أدبار الصَّلوات في أيام التَّشريق

---

(١) أخرج البخاري وغيره عن عائشة: كانت قريش ومَنْ دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يُسمَّون الحمس، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر اللَّهُ نبيَّه ﷺ أن يأتي عرفاتٍ ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس﴾.
فتح الباري ٨/١٨٦؛ ومسلم برقم ١٢١٩؛ وأبو داود برقم ١٩١٠؛ والنسائي في التفسير ١/٢٤٧؛ والبيهقي ٥/١١٣.

(٢) ما بين [ ] زيادة من ظ.

فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ ٱتَّقَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾

﴿**فمن تعجَّل في يومين**﴾ من أيام التَّشريق فنفر في اليوم الثَّاني من مِنىً ﴿**فلا إثم عليه**﴾ في تعجُّله، ﴿**ومن تأخر**﴾ عن النَّفر إلى اليوم الثالث ﴿**فلا إثم عليه**﴾ في تأخُّره ﴿**لمن اتقىٰ**﴾ أَيْ: طرحُ المأثم يكون لمن اتَّقىٰ في حجِّه تضييعَ شيءٍ ممَّا حدَّه الله تعالىٰ.

﴿٢٠٤﴾ ﴿**ومن الناس مَن يعجبك قوله...**﴾ الآية. يعني: الأخنس بن شريق[1]، وكان منافقاً حلو الكلام، حسن العلانيَة سيِّىء السَّريرة، وقوله: ﴿**في الحياة الدنيا**﴾ لأنَّ قوله إنَّما يعجب النَّاس في الحياة الدُّنيا، ولا ثواب له عليه في الآخرة ﴿**ويشهد الله علىٰ ما في قلبه**﴾ لأنَّه كان يقول للنَّبيِّ ﷺ: واللَّهِ، إنِّي بك لمؤمنٌ، ولك محبٌّ ﴿**وهو ألدُّ الخصام**﴾ أَيْ: شديد الخصومة، وكان جَدِلاً بالباطل.

﴿٢٠٥﴾ ﴿**وإذا تولىٰ سعىٰ في الأرض...**﴾ الآية، وذلك أنَّه رجع إلى مكَّة، فمرَّ بزرعٍ وحُمُرٍ للمسلمين، فأحرق الزَّرع وعقر الحُمُر، فهو قوله: ﴿**ويهلك الحرث والنسل**﴾ أَيْ: نسل الدَّوابِّ.

﴿٢٠٦﴾ ﴿**وإذا قيل له اتق الله**﴾ وإذا قيل له: مهلاً مهلاً ﴿**أخذته العزَّةُ بالإثم**﴾ حملته الأنفة وحميَّة الجاهليَّة على الفعل بالإثم ﴿**فحسبه جهنم**﴾ كافيه الجحيم جزاءً له ﴿**ولبئس المهاد**﴾ ولبئس المقرُّ جهنَّم.

---

(١) أخرجه ابن جرير عن السدي ٢/ ٣١٢. وانظر: الأسباب ص ٩٦؛ وغرر التبيان ص ٦٧؛ ولباب النقول ص ٤٠.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

﴿٢٠٧﴾ **﴿ومن الناس مَنْ يشري﴾** أَيْ: يبيع **﴿نفسه﴾** يعني: يبذلها لأوامر الله تعالىٰ **﴿ابتغاء مرضاة الله﴾** لطلب رضا الله. نزلت في صهيب الرُّوميِّ[1].

﴿٢٠٨﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السِّلْمِ﴾** أَيْ: في الإِسلام **﴿كافة﴾** أَيْ: جميعاً، أَيْ: في جميع شرائعه. نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه[2]، وذلك أنَّهم بعدما دخلوا في الإِسلام عظَّموا السَّبت، وكرهوا لُحمان الإبل فأُمروا بترك ذلك، وإنَّه ليس من شرائع الإِسلام تحريم السَّبت وكراهة لحوم الإِبل **﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾** أَيْ: آثاره ونزغاته **﴿إنه لكم عدوٌّ مبين﴾**.

﴿٢٠٩﴾ **﴿فإن زللتم﴾** تنحَّيتم عن القصد بتحريم السَّبْت ولحوم الإبل **﴿من بعد ما جاءتكم البينات﴾** أَيْ: القرآن **﴿فاعلموا أنَّ الله عزيز﴾** في نقمته لا تعجزونه ولا يُعجزه شيءٌ **﴿حكيم﴾** فيما شرع لكم من دينه.

﴿٢١٠﴾ **﴿هل ينظرون﴾** أَيْ: هل ينتظرون. يعني: التَّاركين الدُّخول في الإِسلام، و«هل» استفهامٌ معناه النَّفي، أَيْ: ما ينتظر هؤلاء في الآخرة **﴿إلاَّ أن يأتيهم﴾** عذاب **﴿اللَّهُ في ظلل من الغمام﴾** والظُّلَل جمع: ظُلَّة، وهي كلُّ ما أظلَّك، والمعنىٰ: إنَّ العذاب يأتي فيها، ويكون أهول **﴿والملائكة﴾** أَيْ: الملائكةُ الذين وُكِّلوا بتعذيبهم

---

(١) أخرج ابن جرير ٢/٣٢١ عن عكرمة في الآية قال: نزلت في صهيب الرومي وأبي ذر الغِفاري؛ والحاكم ٢/٤٠٠.
وانظر: أسباب النزول ص ٩٦؛ وغرر التبيان ص ٦٧؛ ولباب النقول ص ٤٠.

(٢) أخرجه الواحدي في الأسباب ص ٩٧ عن ابن عباس، وقال الطبري ٢/٣٢٥: والصَّواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنَّ الله جلَّ ثناؤه أمر الذين آمنوا بالدخول في العمل بشرائع الإسلام كلها.

وَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ

﴿وقضي الأمر﴾ فُرغ لهم ممَّا يوعدون بأنْ قُدِّر ذلك عليهم **﴿وإلىٰ الله تُرجع الأمور﴾** يعني: في الجزاء من الثَّواب والعقاب.

﴿٢١١﴾ **﴿سل بني إسرائيل﴾** سؤال توبيخٍ وتبكيتٍ وتقريعٍ [كما يُقال: سله كم وعظته فلم يقبل][1] **﴿كم آتيناهم من آية بينة﴾** من فلق البحر، وإنجائهم من عدوِّهم، وإنزال المنِّ والسَّلوى، وغير ذلك **﴿ومَنْ يُبدِّل نعمة الله من بعد ما جاءته﴾** يعني: ما أنعم الله به عليهم من العلم بشأن محمَّدٍ عليه السَّلام، فبدَّلوه وغيَّروه.

﴿٢١٢﴾ **﴿زين للذين كفروا﴾** أيْ: رؤساء اليهود **﴿الحياة الدُّنيا﴾** فهي هِمَّتهم وطِلبتهم، فهم لا يريدون غيرها. **﴿ويسخرون من الذين آمنوا﴾** أيْ: فقراء المهاجرين **﴿والذين اتقوا﴾** الشِّرك وهم هؤلاء الفقراء **﴿فوقهم يوم القيامة﴾** لأنَّهم في الجنَّة، وهي عاليةٌ، والكافرين في النَّار، وهي هاويةٌ **﴿والله يرزق مَنْ يشاء بغير حساب﴾** يريد: إنَّ أموال قريظة والنَّضير تصيرُ إليهم بلا حسابٍ ولا قتالٍ، بل بأسهل شيءٍ وأيسره.

﴿٢١٣﴾ **﴿كان الناس﴾** علىٰ عهد إبراهيم عليه السَّلام **﴿أمة واحدة﴾** كفاراً كلُّهم **﴿فبعث الله النبيين﴾** إبراهيم وغيره **﴿وأنزل معهم الكتاب﴾** والكتابُ اسم الجنس **﴿بالحق﴾** بالعدل والصِّدق **﴿ليحكم بين الناس﴾** أيْ: الكتابُ **﴿فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلاَّ الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً﴾** أيْ: وما اختلفَ في أمر

---

(١) زيادة من ظ.

فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

محمَّدٍ بعد وضوح الدّلالات لهم بغياً وحسداً إلاَّ اليهودُ الذين أوتوا الكتاب؛ لأنَّ المشركين ـ وإن اختلفوا في أمر محمَّد عليه السَّلام ـ فإنَّهم لم يفعلوا ذلك للبغي والحسد، ولم تأتهم البيِّنات في شأن محمَّد عليه السَّلام، كما أتت اليهود، فاليهود مخصوصون من هذا الوجه ﴿**فهدىٰ الله الذين آمنوا**﴾ ﴿**لـ**﴾ معرفة ﴿**ما اختلفوا فيه من الحق بإذنه**﴾ بعلمه وإرادته فيهم.

﴿٢١٤﴾ ﴿**أم حسبتم أن تدخلوا الجنة...**﴾ الآية. نزلت[1] في فقراء المهاجرين حين اشتدَّ الضُّرُّ عليهم؛ لأنَّهم خرجوا بلا مالٍ، فقال الله لهم [أَيْ لهؤلاء المهاجرين]: أم حسبتم أن تدخلوا الجنَّة من غير بلاءٍ ولا مكروهٍ ﴿**ولما يأتكم**﴾ أَيْ: ولم يأتكم ﴿**مثل الذين خلوا**﴾ أَيْ: مثل محنة الذين مضوا ﴿**من قبلكم**﴾ أَيْ: ولم يُصبكم مثل الذي أصابهم، فتصبروا كما صبروا ﴿**مَسَّتْهُمُ البأساء**﴾ الشدَّة ﴿**والضرَّاء**﴾ المرض والجوع ﴿**وزلزلوا**﴾ أَيْ: حُرِّكوا بأنواع البلاء ﴿**حتىٰ يقول الرسول والذين آمنوا معه متىٰ نصر الله**﴾ أَيْ: حين استبطؤوا النَّصر، فقال الله: ﴿**ألا إنَّ نصر الله قريب**﴾ أَيْ: أنا ناصر أوليائي لا محالة.

﴿٢١٥﴾ ﴿**يسألونك ماذا ينفقون**﴾ نزلت في عمرو بن الجموح[2]، وكان شيخاً كبيراً وعنده

---

(١) وهذا قول عطاء، ذكره في الأسباب ص ٩٨، وغالب المفسرين علىٰ أنَّ الآية نزلت في غزوة الخندق. انظر: ابن جرير ٢/٣٤١؛ وبحر العلوم ١/٦١٩؛ وأسباب النزول ص ٩٨؛ ولباب النقول ص ٤١؛ وتفسير القرطبي ٣/٣٣.

(٢) انظر: أسباب النزول ص ٩٨؛ وغرر التبيان ص ٦٨؛ ولباب النقول ص ٤١.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ

مالٌ عظيمٌ، فسأل رسول الله ﷺ: ماذا ننفق من أموالنا؟ وأين نضعُها؟ فنزلت هذه الآية. قال كثيرٌ من المفسرين: هذا كان قبل فرض الزكاة، فلمَّا فُرضت الزَّكاة نسخت الزَّكاة هذه الآية[1].

﴿٢١٦﴾ ﴿كتب عليكم القتال﴾ فُرض وأوجب عليكم الجهاد ﴿وهو كرهٌ لكم﴾ أَيْ: مشقَّةٌ عليكم لما يدخل منه على النَّفس والمال ﴿وعسىٰ أن تكرهوا شيئاً وهو خيرٌ لكم﴾ لأنَّ في الغزوِ إحدىٰ الحسنيين؛ إمَّا الظفر والغنيمة؛ وإمَّا الشَّهادة والجنَّة ﴿وعسىٰ أن تحبُّوا شيئاً﴾ أَيْ: القعود عن الغزو ﴿وهو شرٌّ لكم﴾ لما فيه من الذُّل والفقر، وحرمان الغنيمة والأجر ﴿والله يعلم﴾ ما فيه مصالحكم، فبادروا إلىٰ ما يأمركم به وإنْ شقَّ عليكم.

﴿٢١٧﴾ ﴿يسألونك عن الشهر الحرام﴾ نزلت في سريةٍ[2] بعثها رسول الله ﷺ، فقاتلوا المشركين وقد أهلَّ هلال رجب وهم لا يعلمون ذلك، فاستعظم المشركون سفك الدِّماء في رجب، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يسألونك﴾ يعني: المشركين. وقيل: هم المسلمون ﴿عن الشهر الحرام قتالٍ فيه﴾ أَيْ: وعن قتالٍ فيه ﴿قل قتالٌ فيه كبير﴾ ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿وصد﴾ ومنعٌ ﴿عن سبيل الله﴾ أَيْ: طاعته. يعني: صدَّ

(١) انظر: ناسخ القرآن العزيز ص ٢٦ قال: وناسخها في براءة: ﴿إنما الصدقة للفقراء والمساكين﴾ الآية ٦٠.
وانظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة ص ٢٠.

(٢) وهي سرية عبد الله بن جحش، وقتلوا عمرو بن الحضرمي. انظر: ابن جرير ٢/٣٤٧؛ ودلائل النبوة للبيهقي ٢/٣٠٨؛ وأسباب النزول ص ٩٩؛ ولباب النقول ص ٤١.

وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ

المشركين رسولَ الله ﷺ وأصحابه عن البيت الحرام عام الحديبية ﴿وكفر به﴾ بالله ﴿والمسجد الحرام﴾ أَيْ: وصدٌّ عن المسجد الحرام ﴿وإخراج أهله﴾ أَيْ: أهل المسجد. يعني: رسول الله ﷺ وأصحابه حين أُخرجوا من مكَّة ﴿منه أكبرُ﴾ وأعظم وِزْراً ﴿عند الله والفتنة﴾ أَيْ: والشِّرك ﴿أكبر من القتل﴾ يعني: قتل السَّرية المشركين في رجب ﴿ولا يزالون﴾ يعني: المشركين ﴿يقاتلونكم حتىٰ يردوكم عن دينكم﴾ إلى الكفر ﴿إن استطاعوا ومن يَرْتَدِدْ منكم عن دينه﴾ الإسلام، أَيْ: يرجع فيموت على الكفر ﴿فأولئك حبطت أعمالهم...﴾ الآية. [بطلت أعمالهم][1]. فقال هؤلاء السَّرية لرسول الله ﷺ: أصبنا القوم في رجب، أنرجو أن يكون لنا أجر المجاهدين في سبيل الله؟ فأنزل الله تعالىٰ:

﴿٢١٨﴾ ﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هاجروا﴾ فارقوا عشائرهم وأوطانهم ﴿وجاهدوا﴾ المشركين ﴿في سبيل الله﴾ في نصرة دين الله ﴿أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم﴾ غفر لهؤلاء السَّرية ما لم يعلموا ورحمهم، والإجماعُ اليوم منعقدٌ علىٰ أنَّ قتال المشركين يجوز في جميع الأشهر حلالها وحرامها.

﴿٢١٩﴾ ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾ نزلت[2] في عُمَر، ومعاذٍ، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر؛ فإنَّهما مَذْهَبةٌ

---

(١) زيادة من عا.

(٢) أسباب النزول ص ٢٠٣؛ وغرر التبيان ص ٦٩؛ ومفحمات الأقران ص ٥٣.

فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾

للعقل، مَسْلَبَةٌ للمال، فنزل قوله عزَّ وجلَّ ﴿**يسألونك عن الخمر**﴾ وهو كلُّ مسكرٍ مخالطٍ للعقل مُغطٍّ عليه ﴿**والميسر**﴾: القمار ﴿**قل فيهما إثم كبير**﴾ يعني: الإثم بسببهما لما فيهما من المخاصمة والمشاتمة وقول الفحش والزُّور وغير ذلك. ﴿**ومنافع للناس**﴾ ما كانوا يصيبونه من المال في بيع الخمر والتِّجارة فيها، واللَّذَّة عند شربها، ومنفعةُ الميسر ما يُصاب من القمار، ويرتفق به الفقراء، ثمَّ بيَّن أنَّ ما يحصل بسببهما من الإثم أكبر من نفعهما، فقال: ﴿**وإثمهما أكبر من نفعهما**﴾، وليست هذه الآيةُ المُحرِّمةَ للخمر والميسر، إنَّما المُحرِّمةُ التي في سورة المائدة[1]، وهذه الآية نزلت قبل تحريمها. ﴿**ويسألونك ماذا ينفقون**﴾ نزلت في سؤال عمرو بن الجموح لمَّا نزل قوله[2]: ﴿فللوالدين والأقربين﴾ في سؤاله أعاد السّؤال، وسأل عن مقدار ما ينفق؟ فنزل قوله: ﴿**قل العفو**﴾ أَيْ: ما فضل من المال عن العيال، وكان الرَّجل بعد نزول هذه الآية يأخذ من كسبه ما يكفيه، وينفق باقيه إلى أن فُرضت الزَّكاة، فنسخت آية الزَّكاة التي في براءة هذه الآية وكلَّ صدقةٍ أُمروا بها قبل الزَّكاة[3] ﴿**كذلك**﴾ أَيْ: كبيانه في الخمر والميسر، أو في الإنفاق ﴿**يبين الله لكم الآيات**﴾ لتتفكَّروا في أمر الدُّنيا والآخرة، فتعرفوا فضل الآخرة على الدُّنيا.

---

(١) وهي قوله تعالىٰ: ﴿إنما الخمرُ والميسرُ والأنصابُ والأزلامُ رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [الآية ٩٠].

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٥، وقد تقدَّم سببها قريباً.

(٣) وهذا قول ابن عباس والضحاك. وقال أبو جعفر النحاس: والقول أنَّها منسوخةٌ بعيدٌ، لأنَّهم إنما سألوا عن شيءٍ فأجيبوا عنه بأنَّهم سبيلهم أن ينفقوا ما سهل عليهم. الناسخ والمنسوخ ص ٦٧. وآية التوبة التي قصدها المؤلف هي قوله تعالىٰ: ﴿إنَّما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها﴾ [الآية ٦٠].

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ (٢٢٠) وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ

(٢٢٠) ﴿ويسألونك عن اليتامىٰ﴾ كانت العرب في الجاهليَّة يُشدِّدون في أمر اليتيم ولا يُؤاكلونه، وكانوا يتشاءمون بملابسة أموالهم، فلمَّا جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك؟ فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[1]، وقوله: ﴿قل إصلاح لهم خير﴾ يعني: الإصلاح لأموالهم من غير أجرةٍ خيرٌ وأعظم أجراً ﴿وإن تخالطوهم﴾ تشاركوهم في أموالهم وتخلطوها بأموالكم فتصيبوا من أموالهم عوضاً عن قيامكم بأمورهم ﴿فإخوانكم﴾ أَيْ: فهم إخوانكم، والإخوانُ يُعين بعضهم بعضاً، ويُصيب بعضهم من مال بعضٍ، ﴿والله يعلم المفسد﴾ لأموالهم ﴿من المصلح﴾ لها، فاتَّقوا الله في مال اليتيم، ولا تجعلوا مخالطتكم إيَّاهم ذريعةً إلىٰ إفساد أموالهم وأكلها بغير حقٍّ ﴿ولو شاء الله لأعنتكم﴾ لضيَّق عليكم وآثمكم في مخالطتكم. ومعناه: التَّذكير بالنِّعمة في التَّوسعة ﴿إنَّ الله عزيزٌ﴾ في ملكه ﴿حكيم﴾ فيما أمر به.

(٢٢١) ﴿ولا تنكحوا المشركات حتىٰ يؤمنَّ﴾ نزلت في أبي مرثد الغنويِّ، كانت له خليلةٌ مشركةٌ، فلمَّا أسلم سأل رسول الله ﷺ: أيحلُّ له أن يتزوَّج بها؟ فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[2]، والمشركات ها هنا عامَّة في كلِّ مَنْ كفرت بالنَّبيِّ ﷺ. حرَّم الله تعالىٰ بهذه الآية نكاحهنَّ، ثمَّ استثنىٰ الحرائر الكتابيات بالآية التي في المائدة[3]، فبقي نكاح الأَمَة الكتابية على التَّحريم ﴿ولأمةٌ مؤمنةٌ﴾ نزلت في عبد الله بن

---

(١) ابن جرير ٢/ ٣٧٠؛ وأسباب النزول ص ١٠٣؛ ولباب النقول ص ٤٢؛ والمستدرك ٢/ ٢٧٨؛ وصححه الحاكم وأقرَّه الذهبي؛ وأبو داود برقم ٢٨٧١.

(٢) وهذا قول مقاتل أخرجه الواحدي في الأسباب ص ١٠٤؛ وانظر لباب النقول ص ٤٢.

(٣) يريد قوله تعالىٰ: ﴿والمحصناتُ من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهنَّ أجورهن﴾ [الآية ٥].

خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ

رواحة[1] كانت له أَمَةٌ مؤمنةٌ فأعتقها وتزوَّجها، فطعن عليه ناسٌ، وعرضوا عليه حُرَّةً مشركةً، فنزلت هذه الآية، وقوله: ﴿**ولو أعجبتكم**﴾ المشركة بمالها وجمالها ﴿**ولا تنكحوا المشركين حتىٰ يؤمنوا**﴾ لا يجوز تزويج المسلمة من المشرك بحالٍ ﴿**أولئك**﴾ أَي: المشركون ﴿**يدعون إلى النَّار**﴾ أَي: الأعمال الموجبة للنَّار ﴿**والله يدعو إلى الجنة والمغفرة**﴾ أَيْ: العمل الموجب للجنَّة والمغفرة ﴿**بإذنه**﴾ بأمره. يعني: إنَّه بأوامره يدعوكم.

﴿٢٢٢﴾ ﴿**ويسألونك عن المحيض**﴾ [ذكر المفسرون أنَّ العرب كانت إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها، ولم يَسَّاكَنُوا معها في بيت، كفعل المجوس][2]، فسأل أبو الدَّحداح[3] رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف نصنع بالنِّساء إذا حضن؟ فنزلت هذه الآية، والمحيض: الحيض ﴿**قل هو أذىً**﴾ أَيْ: قذرٌ ودمٌ ﴿**فاعتزلوا النساء في المحيض**﴾ أَيْ: مجامعتهنَّ إذا حضن ﴿**ولا تقربوهنَّ**﴾ أَيْ: ولا تجامعوهنَّ ﴿**حتىٰ يَطَّهَّرْنَ**﴾ أي: يغتسلن، ومَنْ قرأ: ﴿**يَطْهُرْنَ**﴾[4] بالتَّخفيف، أَيْ: ينقطع عنهنَّ الدَّم، أَيْ: توجد الطَّهارة وهي الغسل ﴿**فإذا تطهَّرن**﴾ اغتسلن

(١) أخرجه ابن جرير ٢/ ٣٧٨؛ الواحدي في الأسباب ص ١٠٤ عن السُّدي.

(٢) زيادة من ظ. وهذا الذي ذكره عن المفسرين أخرجه أحمد ٣/ ١٣٢؛ ومسلم برقم ٣٠٢؛ وأبو داود برقم ١٢٦٥؛ والنسائي في السنن ١/ ١٥٢.

(٣) الأسباب ص ١٠٦؛ والدر المنثور ١/ ٦١٩.

(٤) قرأ يَطْهُرْنَ نافع وابن كثير وابن عامر، وحفص، وأبو عمرو، وأبو جعفر ويعقوب وقرأ الباقون يطَّهَّرْن. انظر: إتحاف فضلاء البشر ص ١٥٧؛ والإقناع ٢/ ٦٠٨.

فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا

﴿فأتوهنَّ﴾ أَيْ: جامعوهنَّ ﴿من حيث أمركم الله﴾ بتجنُّبه في الحيض ـ وهو الفرج ـ ﴿إنَّ الله يحب التوابين﴾ من الذُّنوب و ﴿المتطهرين﴾ بالماء من الأحداث والجنابات.

﴿٢٢٣﴾ ﴿نساؤكم حرثٌ لكم﴾ أَيْ: مزرعٌ ومنبتٌ للولد ﴿فأتوا حرثكم أنىٰ شئتم﴾ أَيْ: كيف شئتم ومن أين شئتم بعد أن يكون في صِمام واحدٍ، فنزلت هذه الآية[١] تكذيباً لليهود، وذلك أنَّ المسلمين قالوا: إنَّا نأتي النِّساء باركاتٍ وقائماتٍ ومستلقياتٍ، ومن بين أيديهنَّ، ومن خلفهنَّ بعد أن يكون المأتي واحداً، فقالت اليهود: ما أنتم إلاَّ أمثال البهائم، لكنَّا نأتيهنَّ على هيئةٍ واحدةٍ، وإنَّا لنجد في التَّوراة أنَّ كلَّ إتيانٍ يؤتىٰ النِّساء غير الاستلقاء دنسٌ عند الله، فأكذب الله تعالىٰ اليهود. ﴿وقدموا لأنفسكم﴾ أَي: العمل لله بما يحبُّ ويرضىٰ ﴿واتقوا الله﴾ فيما حدَّ لكم من الجماع وأمرِ الحائض ﴿واعلموا أنكم ملاقوه﴾ أَيْ: راجعون إليه ﴿وبشر المؤمنين﴾ الذين خافوه وحذروا معصيته.

﴿٢٢٤﴾ ﴿ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم﴾ أَيْ: لا تجعلوا اليمين بالله سبحانه علَّةً مانعةً من البرِّ والتَّقوىٰ من حيث تتعمَّدون اليمين لتعتلُّوا بها. نزلت في عبد الله بن رواحة[٢] حلف أن لا يُكلِّم ختنه، ولا يدخل بينه وبين خصمٍ له، وجعل يقول: قد حلفتُ أَنْ لا أفعل فلا يحلُّ لي، وقوله: ﴿أن تبروا﴾ أَيْ: في أَنْ لا تبرُّوا، أو لدفع أن تبرُّوا، ويجوز أن يكون قوله: ﴿أن تبروا﴾ ابتداءً، وخبره محذوف

---

(١) ابن جرير ٢/٣٩٣؛ والأسباب ص ١٠٩.

(٢) وهذا قول الكلبي. انظر: أسباب النزول ص ١١٠؛ وتفسير القرطبي ٣/٩٧.
وذكر ابن جرير ٢/٤٠٢ من طريق ابن جريج قال: حُدِّثت أنَّ قوله تعالىٰ: ﴿ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم﴾، نزلت في أبي بكر في شأن مسطح.

وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِن فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ

علىٰ تقدير: أن تبرُّوا وتتقوا وتصلحوا بين النَّاس أولىٰ، أَي: البرُّ والتُّقىٰ أولىٰ. **﴿والله سميعٌ عليمٌ﴾** يسمع أيمانكم، ويعلم ما تقصدون بها.

﴿٢٢٥﴾ **﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم﴾** أَيْ: ما يسبق به اللِّسان من غير عقدٍ ولا قصدٍ، ويكون كالصِّلة للكلام، وهو مِثلُ قول القائل: لا والله، وبلىٰ واللَّهِ. وقيل: لغو اليمين: اليمينُ المكفَّرة، سمِّيت لغواً لأنَّ الكفَّارة تُسقط الإثم منه **﴿ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم﴾** أَيْ: عزمتم وقصدتم، وعلىٰ القول الثاني في لغو اليمين معناه: ولكن يؤاخذكم بعزمكم على ألا تبرُّوا وتعتلُّوا في ذلك بأيمانكم بأنَّكم حلفتم **﴿والله غفورٌ حليم﴾** يؤخِّر العقوبة عن الكفَّار والعُصاة.

﴿٢٢٦﴾ **﴿للذين يؤلون من نسائهم﴾** أَيْ: يحلفون أن لا يطؤوهنَّ **﴿تربص أربعة أشهر﴾** جعل الله تعالىٰ الأجل في ذلك أربعة أشهر، فإذا مضت هذه المدَّة فإمَّا أن يُطلِّق أو يطأ، فإن أباهما جميعاً طلَّق عليه الحاكم **﴿فإن فاؤوا﴾** رجعوا عمَّا حلفوا عليه، أَيْ: بالجماع **﴿فإنَّ الله غفورٌ رحيم﴾** يغفر له ما قد فعل، [ولزمته كفَّارة اليمين][1].

﴿٢٢٧﴾ **﴿وإن عزموا الطلاق﴾** أَيْ: طلَّقوا ولم يفيؤوا بالوطء **﴿فإنَّ الله سميع﴾** لما يقوله **﴿عليمٌ﴾** بما يفعله.

﴿٢٢٨﴾ **﴿والمطلقات﴾** أَيْ: المُخلَّيات من حبال الأزواج. يعني: البالغات المدخول بهنَّ غير الحوامل؛ لأنَّ في الآية بيان عدتهنَّ **﴿يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾** أَيْ: ثلاثة

---

(١) زيادة من ظ.

وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَـٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَـٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا

أطهار، يعني: ينتظرن انقضاء مدة ثلاثة أطهارٍ حتىٰ تمرَّ عليهن ثلاثة أطهارٍ. وقيل: ثلاث حيضٍ. ﴿**ولا يحلُّ لهنَّ أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهنَّ**﴾ يعني: الولد؛ ليبطلن حقَّ الزوج من الرَّجعة ﴿**إن كنَّ يؤمنَّ بالله واليوم الآخر**﴾ وهذا تغليظٌ عليهنَّ في إظهار ذلك ﴿**وبعولتهن**﴾ أيْ: أزواجهنَّ ﴿**أحقُّ بردهنَّ**﴾ بمراجعتهنَّ ﴿**في ذلك**﴾ في الأجل الذي أُمرْنَ أن يتربصن فيه ﴿**إن أرادوا إصلاحاً**﴾ لا إضراراً ﴿**ولهنَّ مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾ أَيْ: للنِّساء على الرِّجال مثلُ الذي للرِّجال عليهنَّ من الحقِّ بالمعروف، أَيْ: بما أمر الله من حقِّ الرَّجل على المرأة ﴿**وللرجال عليهن درجة**﴾ يعني: بما ساقوا من المهر، وأنفقوا من المال ﴿**والله عزيز حكيم**﴾ يأمر كما أراد ويمتحن كما أحبَّ.

﴿٢٢٩﴾ ﴿**الطلاق مرتان**﴾ كان طلاقُ الجاهلية غير محصورٍ بعددٍ، فحصر الله الطلاق بثلاثٍ، فذكر في هذه الآية طلقتين، وذكر الثَّالثة في الآية الأخرىٰ، وهي قوله: ﴿**فإن طلقها فلا تحلُّ له من بعد...**﴾ الآية. وقيل: المعنىٰ في الآية: الطَّلاق الذي يُملك فيه الرَّجعة مرَّتان.

﴿**فإمساك بمعروف**﴾ يعني: إذا راجعها بعد الطَّلقتين فعليه إمساكٌ بما أمر الله تعالى ﴿**أو تسريحٌ بإحسان**﴾ وهو أَنْ يتركها حتىٰ تَبِينَ بانقضاء العِدَّة، ولا يراجعها ضراراً ﴿**ولا يحلُّ لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً**﴾ لا يجوز للزَّوج أن يأخذ من امرأته شيئاً ممَّا أعطاها من المهر ليطلِّقها إلاَّ في الخُلع، وهو قوله: ﴿**إلاَّ أن يخافا**﴾ أَيْ: يعلما ﴿**ألا يُقيما حدود الله**﴾ والمعنىٰ: إنَّ المرأة إذا خافت أن تعصي الله في أمر زوجها بُغضاً له، وخاف الزَّوج إذا لم تطعه امرأته أن يعتدي عليها حلَّ له أن يأخذ الفدية منها إذا دعت إلىٰ ذلك ﴿**فإنْ خفتم**﴾ أيُّها الولاة والحكَّام ﴿**ألا يقيما**

حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا۟ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ

حدود الله﴾ يعني: الزَّوجين ﴿**فلا جناح عليهما فيما افتدت به**﴾ المرأة، لا جُناح عليها فيما أعطته، ولا علىٰ الرَّجل فيما أخذ ﴿**تلك حدود الله**﴾ يعني: ما حدَّه من شرائع الدِّين.

﴿٢٣٠﴾ ﴿**فإن طلقها**﴾ يعني: الزوج المُطلِّق اثنتين ﴿**فلا تحلُّ له**﴾ المطلَّقة ثلاثاً ﴿**من بعد**﴾ أَيْ: من بعد التَّطليقة الثَّالثة ﴿**حتىٰ تنكح زوجاً غيره**﴾ غير المُطلِّق [ويجامعها][1] ﴿**فإن طلقها**﴾ أي: الزَّوج الثَّاني ﴿**فلا جناح عليهما أن يتراجعا**﴾ بنكاحٍ جديدٍ ﴿**إن ظنا**﴾ أَيْ: علما وأيقنا ﴿**أن يقيما حدود الله**﴾ ما بيَّن الله من حقِّ أحدهما علىٰ الآخر.

﴿٢٣١﴾ ﴿**وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنَّ**﴾ أَيْ: قاربن انقضاء عدتهنَّ ﴿**فأمسكوهنَّ بمعروف**﴾ أَيْ: راجعوهنَّ بإشهادٍ على الرَّجعة وعقد لها لا بالوَطْء كما يقول أبو حنيفة ﴿**أو سرحوهنَّ بمعروف**﴾ أَي: اتركوهنَّ حتىٰ تنقضي عدتهنَّ ويكنَّ أملك بأنفسهنَّ ﴿**ولا تمسكوهنَّ ضراراً**﴾ أَيْ: لا تُراجعوهنَّ مضارَّةً وأنتم لا حاجة بكم إليهنَّ ﴿**لتعتدوا**﴾ عليهنَّ بتطويل العِدَّة ﴿**ومن يفعل ذلك**﴾ الاعتداء ﴿**فقد ظلم نفسه**﴾ ضرَّها وأثم فيما بينه وبين الله عزَّ وجلَّ ﴿**ولا تتخذوا آيات الله هزواً**﴾ كان الرَّجل يُطلِّق في الجاهليَّة ويقول: إنَّما طلَّقت وأنا لاعبٌ، فيرجع فيها، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[1]. ﴿**واذكروا نعمة الله عليكم**﴾ بالإسلام ﴿**وما أنزل عليكم من**

(١) زيادة من ظ.

(٢) أخرجه ابن جرير ٢/ ٤٨٢ عن الربيع.

ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ

الكتاب﴾ يعني: القرآن **﴿والحكمة﴾** مواعظ القرآن.

(٢٣٢) **﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهنَّ﴾** انقضت عدتهنَّ **﴿فلا تعضلوهنَّ﴾** لا تمنعوهنَّ **﴿أن ينكحن أزواجهنَّ﴾** بنكاحٍ جديدٍ، أَي: الذين كانوا أزواجاً لهنَّ. نزلت[1] في أخت معقل بن يسار طلَّقها زوجها، فلمَّا انقضت عدَّتها جاء يخطبها، فأبىٰ معقلٌ أن يُزوِّجها ومنعها بحقِّ الولاية **﴿إذا تراضوا بينهم بالمعروف﴾** بعقدٍ حلالٍ ومهرٍ جائزٍ **﴿ذلك﴾** أَيْ: أَمرُ اللَّهِ بتَرْكِ العضل **﴿يوعظ به مَنْ كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم أزكىٰ﴾** أَيْ: ترك العضل خير **﴿لكم﴾** وأفضلُ **﴿وأطهر﴾** لقلوبكم من الرِّيبة، وذلك أنَّهما إذا كان في قلب كلِّ واحدٍ منهما علاقةُ حبٍّ لم يُؤمن عليهما **﴿والله يعلم﴾** ما لكم فيه من الصَّلاح.

(٢٣٣) **﴿والوالداتُ يرضعن أولادهن﴾** لفظه لفظ الخبر ومعناه الأمر، وهو أمر استحبابٍ لا أمر إيجابٍ. يريد: إنهنَّ أحقُّ بالإرضاع من غيرهنَّ إذا أردن ذلك **﴿حولين﴾** سنتين **﴿كاملين﴾** تامين، وهذا تحديدٌ لقطع التَّنازع بين الزَّوجين إذا اشتجرا في مدَّة الرَّضاع. يدلُّ على هذا قوله: **﴿لمن أراد﴾** أَيْ: هذا التَّقدير والبيان **﴿لمن أراد أن يتمَّ الرضاعة﴾**، **﴿وعلى المولود له﴾** أَي: الأب **﴿رزقهن وكسوتهنَّ﴾** رزق الوالدات ولباسهنَّ. قال المفسرون: وعلى الزَّوج رزق المرأة المُطلَّقة وكسوتها إذا أرضعت الولد **﴿بالمعروف﴾** بما يعرفون أنَّه عدلٌ على قدر الإمكان، وهو معنىٰ

---

(١) أخرجه البخاري عن الحسن. فتح الباري ٨/ ١٩٢؛ وأبو داود برقم ٢٠٧٨؛ والترمذي في التفسير؛ عارضة الأحوذي ١١/ ١٠٣؛ والحاكم ٢/ ١٧٤؛ والنسائي في تفسيره ١/ ٢٥٨.

لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُضَآرَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

قوله: ﴿**لا تكلف نفس إلَّا وسعها**﴾ لا تلزم نفسٌ إلَّا ما يسعها ﴿**لا تضار والدة بولدها**﴾ لا ينزع الولد منها إلىٰ غيرها بعد أَنْ رضيت بإرضاعه، وألفها الصَّبيُّ، ولا تُلقيه هي إلىٰ أبيه بعدما عرفها تُضَارُّه بذلك، وهو قوله: ﴿**ولا مولودٌ له بولده**﴾، ﴿**وعلى الوارث مثل ذلك**﴾ هذا نسقٌ على قوله: ﴿**وعلىٰ المولود له رزقهن وكسوتهنَّ**﴾ بمعنىٰ: على وارث الصبيِّ ـ الذي لو مات الصبيُّ وله مالٌ ورثه ـ مثل الذي كان على أبيه في حياته، وأراد بالوارث مَنْ كان من عصبته كائناً من كان من الرِّجال ﴿**فإن أرادا**﴾ يعني: الأبوين ﴿**فصالاً**﴾ فطاماً للولد ﴿**عن تراضٍ منهما**﴾ قبل الحولين ﴿**وتشاور**﴾ بينهما ﴿**فلا جناح عليهما وإن أردتم أن تسترضعوا أولادكم**﴾ مراضع غير الوالدة ﴿**فلا جناح عليكم**﴾ فلا إثم عليكم ﴿**إذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف**﴾ أَيْ: إذا سلَّمتم إلى الأُمِّ أجرتها بمقدار ما أرضعت.

﴿٢٣٤﴾ ﴿**والذين يتوفون منكم**﴾ أَيْ: يموتون ﴿**ويذرون**﴾ ويتركون [ويُخَلِّفُون][1] ﴿**أزواجاً**﴾ نساءً ﴿**يتربصن بأنفسهنَّ**﴾ خبرٌ في معنىٰ الأمر ﴿**أربعة أشهر وعشراً**﴾ هذه المدَّة عدَّة المُتوفَّىٰ عنها زوجها إلَّا أن تكون حاملاً ﴿**فإذا بلغن أجلهنَّ**﴾ انقضت عدَّتهنَّ ﴿**فلا جناح عليكم**﴾ أيُّها الأولياء ﴿**فيما فعلن في أنفسهنَّ بالمعروف**﴾ أَيْ: مِنْ تزوُّج الأكفاء بإذن الأولياء. هذا تفسير المعروف ها هنا،

---

(١) زيادة من ظ وظا.

﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِۦ مِنْ خِطْبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَـٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُوا۟ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا۟ عُقْدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٣٥﴾﴾

لأنَّ التي تُزَوِّج نفسها سمَّاها النَّبيُّ ﷺ زانية[1]، وهذه الآية ناسخةٌ لقوله تعالىٰ: ﴿متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾[2] الآية.

(٢٣٥) ﴿ولا جناح عليكم فيما عرَّضتم به﴾ أَيْ: تكلَّمتم به من غير تصريح، وهو أن يُضمِّن الكلام دلالةً على ما يريد ﴿من خطبة النساء﴾ أَي: التماس نكاحهنَّ في العدَّة. يعني: المتوفَّىٰ عنها الزَّوج يجوز التعريض بخطبتها في العدَّة، وهو أن يقول لها وهي في العدَّة: إنَّك لجميلةٌ، وإنَّك لنافقةٌ، وإنَّك لصالحةٌ، وإنَّ من عزمي أَنْ أتزوَّج، وما أشبه ذلك ﴿أو أَكْنَنْتُمْ﴾ أسررتم وأضمرتم ﴿في أنفسكم﴾ من خطبتهنَّ ونكاحهنَّ ﴿علم الله أنكم ستذكرونهنَّ﴾ يعني: الخطبة ﴿ولكن لا تواعدوهن سراً﴾ أَيْ: لا تأخذوا ميثاقهنَّ أن لا ينكحن غيركم ﴿إلاَّ أن تقولوا قولاً معروفاً﴾ أي: التَّعريض بالخطبة كما ذكرنا ﴿ولا تعزموا عقدة النكاح﴾ أَيْ: لا تصححوا عقدة النِّكاح ﴿حتىٰ يبلغ الكتاب أجله﴾ حتىٰ تنقضي العدَّة المفروضة ﴿واعلموا أنَّ الله يعلم ما في أنفسكم﴾ أَيْ: مُطَّلعٌ على ما في ضمائركم. ﴿فاحذروه﴾ فخافوه.

---

(١) الحديث عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: لا تُزوِّج المرأةُ المرأةَ، ولا تُزوِّج المرأةُ نفسَها، فإنَّ الزَّانية هي التي تزوج نفسها. أخرجه الدارقطني في السنن ٣/ ٢٢٧؛ وفيه جميل بن الحسن الأزدي وثقه ابن حبان وتكلّم فيه غيره. قال ابن عدي: لا أعلم له حديثاً منكراً، وطعن فيه عبدان، وباقي رجاله ثقات وأخرجه ابن ماجه ١/ ٦٠٦، بنفس السند.

(٢) الآية: ﴿والذين يُتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصيةً لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾ [سورة البقرة: الآية ٢٤٠]. والقول بأنَّ هذه الآية منسوخة هو قول أكثر العلماء. انظر: الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٨٧.

لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟

---

(٢٣٦) ﴿**لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهنَّ**﴾ نزلت في رجلٍ من الأنصار(١) تزوَّج امرأة ولم يسمِّ لها مهراً، ثمَّ طلَّقها قبل أن يمسَّها، فأعلم الله تعالىٰ أنَّ عقد التَّزويج بغير مهرٍ جائز، ومعناه: لا سبيل للنِّساء عليكم إنْ طلقتموهنَّ من قبل المسيس والفرض بصداقٍ ولا نفقة. وقوله: ﴿**أو تفرضوا لهنَّ فريضة**﴾ أيْ: تُوجبوا لهنَّ صداقاً ﴿**ومتعوهنَّ**﴾ أيْ: زوِّدوهنَّ وأعطوهنَّ من ما لكم ما يتمتَّعْنَ به، فالمرأة إذا طُلِّقت قبل تسمية المهر وقبل المسيس فإنَّها تستحق المتعة بإجماع العلماء، ولا مهرَ لها و ﴿**علىٰ الموسع**﴾ أي: الغنيِّ الذي يكون في سعةٍ من غناه ﴿**قدره**﴾ أَيْ: قدر إمكانه ﴿**وعلىٰ المقتر**﴾ الذي في ضيق من فقره قدر إمكانه. أعلاها خادم، وأوسطها ثوب، وأقلُّها أقلُّ ماله ثمن. قال الشافعيُّ: وحسنٌ ثلاثون درهماً. ﴿**متاعاً**﴾ أَيْ: متعوهنَّ متاعاً ﴿**بالمعروف**﴾ بما تعرفون أنَّه القصد وقدر الإمكان ﴿**حقاً**﴾ واجباً ﴿**على المحسنين**﴾.

(٢٣٧) ﴿**وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهنَّ**﴾ هذا في المُطلَّقة بعد التَّسمية وقبل الدُّخول، حكم الله تعالىٰ لها بنصف المهر، وهو قوله: ﴿**فنصف ما فرضتم**﴾ أَيْ: فالواجبُ نصف ما فرضتم ﴿**إلاَّ أن يعفون**﴾ أي: النِّساء، أَيْ: إلاَّ أَنْ يتركن ذلك النِّصف، فلا يُطالبن الأزواج به ﴿**أو يعفو الذي بيده عقده النكاح**﴾ أي: الزَّوج لا يرجع في شيءٍ من المهر، فيدع لها المهر الذي وفَّاه عملاً ﴿**وأن تعفو**﴾ خطابٌ للرِّجال والنِّساء ﴿**أقرب للتقوىٰ**﴾ أَيْ: أدعىٰ إلى اتِّقاء معاصي الله؛ لأنَّ هذا العفو ندبٌ، فإذا انتدب المرء له عُلم أنَّه ــ لما كان فرضاً ــ أشدُّ استعمالاً ﴿**ولا تنسوا**

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢/ ٥٣٠، ٥٣١ عن الربيع بن أنس وقتادة.

ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾ حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ

الفضل بينكم﴾ لا تتركوا أن يتفضَّل بعضكم على بعض. هذا أمرٌ للزَّوج والمرأة بالفضل والإحسان.

﴿٢٣٨﴾ **﴿حافظوا على الصلوات﴾** بأدائها في أوقاتها **﴿والصلاة الوسطىٰ﴾** أَيْ: صلاة الفجر، [لأنَّها بين صلاتي ليلٍ وصلاتي نهارٍ][1]. أفردها بالذِّكر تخصيصاً **﴿وقوموا لله قانتين﴾** مُطيعين.

﴿٢٣٩﴾ **﴿فإن خفتم فرجالاً﴾** أَيْ: إن لم يمكنكم أن تصلُّوا موفِّين للصَّلاة حقَّها فصلُّوا مُشاةً علىٰ أرجلكم **﴿أو ركباناً﴾** على ظهور دوابكم، وهذا في المطاردة والمسايفة **﴿فإذا أمنتم فاذكروا الله﴾** أَيْ: فصلُّوا الصَّلوات الخمس تامَّةً بحقوقها **﴿كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾** كما افترض عليكم في مواقيتها.

﴿٢٤٠﴾ **﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية﴾** فعليهم وصيةٌ **﴿لأزواجهم﴾** لنسائهم، وهذا كان في ابتداء الإسلام لم يكن للمرأة ميراثٌ من زوجها، وكان على الزَّوج أن يُوصي لها بنفقة حولٍ، فكان الورثة ينفقون عليها حولاً، وكان الحول عزيمةً عليها في الصَّبر عن التَّزوُّج، وكانت مُخيَّرة في أن تعتدَّ إن شاءت في بيت الزَّوج، وإن شاءت خرجت قبل الحول وتسقط نفقتها، فذلك قوله: **﴿متاعاً إلى الحول﴾** أَيْ: متعوهنَّ متاعاً. يعني: النَّفقة **﴿غير إخراجٍ﴾** أَيْ: من غير إخراج الورثة إيَّاها **﴿فإن خرجن فلا جناح عليكم﴾** يا أولياء الميِّت في قطع النَّفقة عنهنَّ، وترك منعها عن التَّشوف للنِّكاح والتَّصنُّع للأزواج، وذلك قوله:

---

(١) زيادة من ظ.

﴿فِي مَا فَعَلْنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٢٤٠ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٤١ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢٤٢ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْۚ﴾

﴿**فيما فعلن في أنفسهنَّ من معروف**﴾ وهذا كلُّه منسوخٌ بآية المواريث وعدَّةِ المتوفىٰ عنها زوجها[1].

(٢٤١) ﴿**وللمطلقات متاعٌ بالمعروف حقاً على المتقين**﴾ لمَّا ذكر الله تعالىٰ متعة المُطلَّقة في قوله: ﴿حقاً على المحسنين﴾[2] قال رجلٌ من المسلمين: إنْ أحسنتُ فعلتُ، وإن لم أُرد ذلك لم أفعل، فأوجبها الله تعالىٰ على المتقين. الذين يتَّقون الشِّرك[3].

(٢٤٢) ﴿**كذلك يبين الله لكم آياته**﴾ شبّه اللَّهُ البيانَ الذي يأتي بالبيان الذي مضىٰ في الأحكام التي ذكرها.

(٢٤٣) ﴿**ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم**﴾ ألم تعلم، ألم ينته علمك إلى هؤلاء، وهم قومٌ من بني إسرائيل خرجوا من بلدتهم هاربين من الطَّاعون، حتىٰ نزلوا وادياً فأماتهم الله جميعاً، فذلك قوله: ﴿**حذر الموت**﴾ أيْ: لحذر الموت ﴿**فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم**﴾ مقتهم الله على فرارهم من الموت، فأماتهم عقوبةً لهم

(١) قال مكيّ القيسيّ: قوله تعالىٰ: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربصن بأنفسهنَّ أربعة أشهرٍ وعشراً﴾. أكثر العلماء على أنَّ الآية ناسخةٌ للآية التي بعدها، وهي قوله: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية لأزواجهم متاعاً إلى الحول غير إخراج﴾. فأوجبت هذه الآية للمتوفىٰ عنها زوجها أن ينفق عليها سنة من مال المُتوفَّىٰ، وتسكن سنةً ما لم تخرج وتتزوج، ثم نسخت بآية المواريث في النساء، وبقوله ﷺ: «لا وصية لوارث» ونُسخ الحول بأربعة أشهرٍ وعشر.
قلتُ: وآية المواريث هي: ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم...﴾ الآية ١٢ من سورة النساء.
انظر: الإيضاح ص ١٨٢؛ والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ٨٨.

(٢) الآية ٢٣٦ من هذه السورة.

(٣) أخرجه ابن جرير ٢/ ٥٨٤ عن ابن زيد.

إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ

ثمَّ بعثهم ليستوفوا بقيَّة آجالهم **﴿إنَّ الله لذو فضل على الناس﴾** أَيْ: تفضُّلٍ عليهم بأَنْ أحياهم بعد موتهم.

﴿٢٤٤﴾ **﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾** يحرِّض المؤمنين على القتال **﴿واعلموا أنَّ الله سميعٌ﴾** لما يقوله المُتعلِّل **﴿عليمٌ﴾** بما يضمره، فإيَّاكم والتَّعلُّلَ.

﴿٢٤٥﴾ **﴿مَنْ ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾** أَيْ: مَنْ ذا الذي يعمل عمل المُقرض، بأن يقدِّم من ماله فيأخذ أضعاف ما قدَّم، وهذا استدعاءٌ من الله تعالى إلى أعمال البرِّ **﴿والله يقبض﴾** أَيْ: يُمسك الرِّزق علىٰ مَنْ يشاء **﴿ويبسط﴾** أي: ويوسِّع علىٰ من يشاء.

﴿٢٤٦﴾ **﴿ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل﴾** أَي: إلىٰ الجماعة **﴿إذ قالوا لنبيٍّ لهم ابعث لنا ملكاً﴾** سألوا نبيَّهم أشمويل عليه السَّلام ملكاً تنتظم به كلمتهم، ويستقيم حالهم في جهاد عدوِّهم، وهو قوله: **﴿نقاتل في سبيل الله﴾** **﴿فقال﴾** لهم ذلك النَّبيُّ: **﴿هل عسيتم إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا﴾** أَيْ: لعلَّكم أَنْ تجبنوا عن القتال **﴿قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله﴾** أَيْ: وما يمنعنا عن ذلك؟ **﴿وقد أخرجنا من ديارنا﴾** **﴿و﴾** أُفردنا من **﴿أبنائنا﴾** بالسَّبي والقتل. يعنون: إذا بلغ الأمر منَّا هذا فلا بدَّ من الجهاد. قال الله تعالىٰ: **﴿فلما كتب عليهم القتال تولوا إلاَّ قليلاً منهم﴾** وهم الذين عبروا النَّهر، ويأتي ذكرهم[1].

---

(١) انظر ص ١٨٠.

وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ

﴿٢٤٧﴾ **﴿وقال لهم نبيُّهم إنَّ الله قد بعث لكم طالوت ملكاً﴾** أَيْ: قد أجابكم إلىٰ ما سألتم من بعث الملك **﴿قالوا﴾**: كيف يملك علينا؟ وكان من أدنىٰ بيوت بني إسرائيل، ولم يكن من سبط المملكة، فأنكروا ملكه وقالوا: **﴿ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال﴾** أَيْ: لم يُؤت ما يتملَّك به الملوك **﴿قال﴾** النبيُّ: **﴿إنَّ الله اصطفاه عليكم﴾** [اختاره][1] بالملك **﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾** كان طالوت يومئذٍ أعلم رجلٍ في بني إسرائيل وأجمله وأتمَّه. والبسطة: الزِّيادة في كلِّ شيء **﴿والله يؤتي ملكه من يشاء﴾** ليس بالوراثة **﴿والله واسع﴾** أَيْ: واسع الفضل والرِّزق والرَّحمة، فسألوا نبيَّهم على تمليك طالوت آيةً فـ :

﴿٢٤٨﴾ **﴿قال لهم نبيُّهم إنَّ آية ملكه أن يأتيكم التابوت﴾** وكان تابوتاً أنزله الله تعالىٰ علىٰ آدم عليه السَّلام فيه صور الأنبياء عليهم السَّلام. كانت بنو إسرائيل يستفتحون به على عدوِّهم، فغلبتهم العمالقة على التَّابوت، فلمَّا سألوا نبيَّهم البيِّنة على ملك طالوت قال: إنَّ آية ملكه أن يردَّ الله تعالىٰ التَّابوت عليكم، فحملت الملائكة التَّابوت حتىٰ وضعته في دار طالوت، وقوله: **﴿فيه سكينة من ربكم﴾** أَيْ: طمأنينةٌ. كانت قلوبهم تطمئنُّ بذلك، ففي أيِّ مكانٍ كان التَّابوت سكنوا هناك، وكان ذلك من أمر الله تعالىٰ **﴿وبقيةٌ ممَّا ترك آل موسىٰ وآل هارون﴾** أَيْ: تركاه هما، وكانت البقيَّة نعلي موسىٰ وعصاه وعمامة هارون، وقفيزاً من المنِّ الذي كان

---

(١) زيادة من ظ.

تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ

ينزل عليهم[1] ﴿تحمله الملائكة﴾ أي: التَّابوت. ﴿إنَّ في ذلك لآية﴾ أيْ: في رجوع التَّابوت إليكم علامة أنَّ الله قد ملَّك طالوت عليكم ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أَيْ: مصدِّقين.

﴿٢٤٩﴾ ﴿فلما فصل طالوت بالجنود﴾ أَيْ: خرج بهم من الموضع الذي كانوا فيه إلى جهاد العدوِّ ﴿قال﴾ لهم طالوت: ﴿إنَّ الله مبتليكم﴾ أَيْ: مُختبركم ومُعاملكم مُعاملة المختبر ﴿بنهرٍ﴾ أَيْ: بنهر فلسطين ليتميَّز المحقِّق ومَنْ له نيَّةٌ في الجهاد من المُعذِّر ﴿فمن شرب منه﴾ أَيْ: من مائه ﴿فليس مني﴾ أَيْ: من أهل ديني ﴿ومن لم يطعمه﴾ لم يذقه ﴿فإنَّه مني إلاَّ مَن اغترف غرفة بيده﴾ أَيْ: مرَّةً واحدةً، أَيْ: أخذ منه بجرَّةٍ أو قِربةٍ وما أشبه ذلك مرَّةً واحدةً. قال لهم طالوت: مَنْ شرب من النَّهر وأكثر فقد عصىٰ الله، ومن اغترف غرفة بيده أقنعته، فهجموا على النَّهر بعد عطشٍ شديدٍ، فوقع أكثرهم في النَّهر وأكثروا الشُّرب، فهؤلاء جَبُنوا عن لقاء العدو، وأطاع قومٌ قليلٌ عددهم فلم يزيدوا على الاغتراف، فقويت قلوبهم وعبروا النَّهر، فذلك قوله: ﴿فشربوا منه إلاَّ قليلاً منه﴾ وكانوا ثلٰثمائة وبضعة عشر رجلاً ﴿فلما جاوزه﴾ أي: النَّهر ﴿هو والذين آمنوا معه قالوا﴾ يعني: الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالىٰ: ﴿لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال﴾ يعني: القليل الذين اغترفوا وهم ﴿الذين يظنون﴾ أَيْ: يعلمون ﴿أنهم ملاقو الله﴾ أَيْ: راجعون

(١) وهذا قول أبـي صالح، كما أخرجه ابن جرير ٢/ ٦١٤.

كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

إليه: ﴿كم مِنْ فئة قليلة﴾ أَيْ: جماعةٍ قليلةٍ ﴿غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين﴾ بالمعونة والنَّصر.

﴿٢٥٠﴾ ﴿ولما برزوا﴾ أَيْ: خرجوا ﴿لجالوت وجنوده﴾ أَيْ: لقتالهم ﴿قالوا ربنا أفرغ﴾ اصببْ ﴿علينا صبراً وثبت أقدامنا﴾ بتقوية قلوبنا.

﴿٢٥١﴾ ﴿فهزموهم﴾ فردُّوهم وكسروهم ﴿بإذن الله﴾ بقضائه وقدره ﴿وقتل داود﴾ النَّبيُّ، وكان في عسكر بني إسرائيل ﴿جالوت﴾ الكافر ﴿وآتاه الله الملك﴾ [أعطى الله داود ملك بني إسرائيل][1] ﴿والحكمة﴾ أَيْ: جمع له الملك والنُّبوَّة ﴿وعلَّمه مما يشاء﴾ صنعة الدُّروع[2] ومنطق الطَّير[3] ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ لولا دفع الله بجنود المسلمين لغلب المشركون على الأرض، فقتلوا المؤمنين وخرَّبوا البلاد والمساجد.

﴿٢٥٢﴾ ﴿تلك آيات الله﴾ أَيْ: هذه الآيات التي أخبرتك بها آيات الله، أَيْ: علامات توحيده. ﴿وإنك لمن المرسلين﴾ أَيْ: أنت من هؤلاء الذين قصصتُ عليك آياتهم.

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) كما قال تعالىٰ: ﴿وسخرنا مع داود الجبال يُسَبِّحْنَ والطير وكنا فاعلين * وعلمناه صنعة لبوسٍ لكم﴾ [سورة الأنبياء: الآية ٧٩ ــ ٨٠].

(٣) عِلمُ منطقِ الطير كان لسليمان عليه السَّلام، كما قال تعالىٰ: ﴿وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس عُلِّمنا منطق الطير﴾ [سورة النمل: الآية ١٦]، أمَّا داود فكانت الطير والجبالُ تُسبِّح معه.

﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ

الجزء الثالث:

(٢٥٣) ﴿**تلك الرسل**﴾ أَيْ: جماعة الرُّسل ﴿**فضلنا بعضهم على بعض**﴾ أَيْ: لم نجعلهم سواءً في الفضيلة وإن استووا في القيام بالرِّسالة ﴿**منهم مَنْ كلَّم الله**﴾ وهو موسىٰ عليه السَّلام ﴿**ورفع بعضهم درجات**﴾ يعني محمداً ﷺ أُرسل إلىٰ النَّاس كافَّةً ﴿**وآتينا عيسىٰ ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس**﴾ مضىٰ تفسيره[١]، ﴿**ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم**﴾ أَيْ: من بعد الرُّسل ﴿**من بعد ما جاءتهم البينات**﴾ من بعد ما وضحت لهم البراهين ﴿**ولكن اختلفوا فمنهم مَنْ آمن**﴾ ثبت علىٰ إيمانه ﴿**ومنهم مَنْ كفر**﴾ كالنَّصارىٰ بعد المسيح اختلفوا فصاروا فِرقاً، ثمَّ تحاربوا ﴿**ولو شاء الله ما اقتتلوا**﴾ كرَّر ذكر المشيئة باقتتالهم تكذيباً لمن زعم أنَّهم فعلوا ذلك من عند أنفسهم، لم يجرِ به قضاءٌ من الله ﴿**ولكنَّ الله يفعل ما يريد**﴾ فيوفِّقُ مَنْ يشاء فضلاً، ويخذل من يشاء عدلاً.

(٢٥٤) ﴿**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا ممَّا رزقناكم**﴾ أَي: الزَّكاة المفروضة، وقيل: أراد النَّفقة في الجهاد ﴿**من قبل أن يأتي يومٌ لا بيع فيه**﴾ يعني: يوم القيامة. يعني: لا يؤخذ في ذلك اليوم بدَلٌ ولا فداءٌ ﴿**ولا خلة**﴾ ولا صداقةٌ ﴿**ولا شفاعة**﴾ عمَّ نفي الشَّفاعة لأنَّه عنىٰ الكافرين بأنَّ هذه الأشياء لا تنفعهم، ألا ترىٰ أنَّه قال: ﴿**والكافرون هم الظالمون**﴾ أَيْ: هم الذين وضعوا أمر الله في غير موضعه.

(٢٥٥) ﴿**الله لا إلّه إلاَّ هو الحي**﴾ الدَّائم البقاء ﴿**القيوم**﴾ القائم بتدبير أمر الخلق في

(١) انظر ص ١١٧ عند آية ٨٧..

لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ

إنشائهم وأرزاقهم ﴿**لا تأخذه سنة**﴾ وهي أوّل[١] النُّعاس ﴿**ولا نوم**﴾ وهو الغشية الثَّقيلة ﴿**له ما في السموات وما في الأرض**﴾ مِلكاً وخلقاً ﴿**مَنْ ذا الذي يشفع عنده إلَّا بإذنه**﴾ أَيْ: لا يشفع عنده أحدٌ إلَّا بأمره، إبطالاً لزعم الكفَّار أنَّ الأصنام تشفع لهم ﴿**يعلم ما بين أيديهم**﴾ من أمر الدُّنيا ﴿**وما خلفهم**﴾ من أمر الآخرة. ﴿**ولا يحيطون بشيء من علمه**﴾ أَيْ: لا يعلمون شيئاً من معلوم الله تعالىٰ: ﴿**إلَّا بما شاء**﴾ إلَّا بما أنبأ الله به الأنبياء وأطلعهم عليه ﴿**وسع كرسيه السموات والأرض**﴾ أي: احتملهما وأطاقهما. يعني: ملكه وسلطانه. وقيل: هو الكرسيُّ بعينه، وهو مشتمل بعظمته على السَّموات والأرض. وروي عن ابن عباس أنَّ كرسيه علمه[٢]. ﴿**ولا يَؤُودُهُ**﴾ أَيْ: لا يُجهده ولا يُثقله ﴿**حفظهما**﴾ أَيْ: حفظ السَّموات والأرض ﴿**وهو العليُّ**﴾ بالقدرة ونفوذ السُّلطان عن الأشباه والأمثال ﴿**العظيم**﴾ عظيم الشَّأن.

﴿٢٥٦﴾ ﴿**لا إكراه في الدِّين**﴾ بعد إسلام العرب؛ لأنهم أُكرهوا على الإسلام فلم يُقبل منهم الجزية؛ لأنَّهم كانوا مشركين، فلمَّا أسلموا أنزل الله تعالى هذه الآية[٣].

---

(١) هكذا عبارة الأصل، وفي الباقي: وهي ثقل النُّعاس.

(٢) أخرجه ابن جرير ٣/ ٩؛ والبيهقي في الأسماء والصفات ص ٤٩٧.

(٣) أخرجه ابن جرير عن قتادة ٣/ ١٦.

وأصحُّ ما ذكره المؤلف في سبب نزولها ما جاء عن ابن عباس قال: كانت المرأة من الأنصار لا يكون لها ولدٌ تجعل على نفسها لئن كان لها ولدٌ لتهودنَّه، فلما أسلمت الأنصار قالوا: كيف نصنع بأبنائنا؟ فنزلت هذه الآية.

أخرجه أبو داود برقم ٢٦٨٢؛ والنسائي في تفسيره ١/ ٢٧٣، والبيهقي في السنن ٩/ ١٨٦.

قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى

﴿**قد تبين الرشد من الغي**﴾ ظهر الإِيمان من الكفر، والهدىٰ من الضَّلالة بكثرة الحجج ﴿**فمن يكفر بالطاغوت**﴾ بالشَّيطان والأصنام ﴿**ويؤمن بالله**﴾ واليوم الآخر ﴿**فقد استمسك**﴾ أَيْ: تمسَّك ﴿**بالعروة الوثقىٰ**﴾ عقد لنفسه عقداً وثيقاً، وهو الإِيمان وكلمة الشَّهادتين ﴿**لا انفصام لها**﴾ أي: لا انقطاع لها ﴿**والله سميع**﴾ لدعائك يا محمَّدُ إيَّايَ بإسلام أهل الكتاب، وكان رسول الله ﷺ يحبُّ إسلام أهل الكتاب الذين حول المدينة، ويسأل الله ذلك ﴿**عليم**﴾ بحرصك واجتهادك.

﴿٢٥٧﴾ ﴿**الله وليُّ الذين آمنوا**﴾ أَيْ: ناصرهم ومتولِّي أمورهم ﴿**يخرجهم من الظلمات**﴾ من الكفر والضَّلالة إلىٰ الإِيمان والهداية ﴿**والذين كفروا**﴾ أي: اليهود ﴿**أولياؤهم الطاغوت**﴾ يعني: رؤساءهم كعب بن الأشرف وحُيي بن أخطب ﴿**يخرجونهم من النور**﴾ يعني: ممَّا كانوا عليه من الإِيمان بمحمدٍ عليه السَّلام قبل بعثه ﴿**إلى الظلمات**﴾ إلى الكفر به بعد بعثه.

﴿٢٥٨﴾ ﴿**ألم تر إلى الذي حاجَّ**﴾ جادل وخاصم ﴿**إبراهيم في ربه**﴾ حين قال له: مَنْ ربُّك؟ ﴿**أن آتاه الله الملك**﴾ أي: الملك الذي آتاه الله. يريد: بطرُ الملك حمله علىٰ ذلك، وهو نمروذ بن كنعان ﴿**إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت**﴾ فقال عدو الله: ﴿**أنا أحيي وأميت**﴾ فعارضه بالاشتراك في العبارة من غير فعل حياةٍ ولا موتٍ، فلما لبَّس في الحجَّة بأنْ قال: أنا أفعل ذلك احتجَّ إبراهيم عليه بحجَّةٍ لا يمكنه فيها أن يقول: أنا أفعل ذلك، وهو قوله: ﴿**قال إبراهيم فإنَّ الله يأتي**

بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِي هَٰذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ

بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر﴾ أي: انقطع وسكت.

﴿٢٥٩﴾ **﴿أو كالذي مرَّ على قرية﴾** [عطفٌ على المعنىٰ لا علىٰ اللفظ، كأنه قال: أرأيت الذي حاجَّ، أو كالذي مرَّ][1] وهو عزيرٌ **﴿علىٰ قرية﴾** وهي إيليا **﴿وهي خاوية﴾** ساقطةٌ مُتهدِّمةٌ **﴿على عروشها﴾** أي: سقوفها **﴿قال: أنىٰ يحيـي هذه الله﴾** أيْ: من أين يُحيـي هذه الله **﴿بعد موتها﴾** يعمرها بعد خرابها؟! استبعد أَنْ يفعل الله ذلك، فأحبَّ الله أن يُريه آيةً في نفسه في إحياء القرية **﴿فأماته الله مائة عام﴾** وذلك أنه مرَّ بهذه القرية على حمارٍ ومعه ركوة[2] عصيرٍ، وسلةُ تينٍ، فربط حماره، وألقىٰ الله عزَّ وجلَّ عليه النَّوم، فلمَّا نام نزع الله عزَّ وجلَّ روحه مائة سنةٍ، فلمَّا مضت مائة سنةٍ أحياه الله تعالى، وذلك قوله: **﴿ثمَّ بعثه﴾ ﴿قال كم لبثت﴾** كم أقمت ومكثت ها هنا؟ **﴿قال: لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك﴾** أي: التِّين **﴿و﴾** إلىٰ **﴿شرابك﴾** أي: العصير **﴿لم يتسنَّه﴾** أيْ: لم يتغيَّر ولم ينتن بعد مائة سنةٍ، وأراه علامة مكثه مائة سنةٍ. ببلىٰ عظام حماره، فقال: **﴿وانظر إلى حمارك﴾** فرأىٰ حماره ميتاً، عظامه بيضٌ تلوح **﴿ولنجعلك آية للناس﴾** الواو زائدة، والمعنىٰ: لبثتَ مائة عامٍ لنجعلك آيةً للنَّاس، وكونه آيةً أَنْ بعثه شاباً أسود الرَّأس واللِّحية، وبنو بنيه شِيبٌ **﴿وانظر إلى العظام﴾** أيْ: عظام

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) الرِّكوة بتثليث الراء: إناءٌ صغير من جلدٍ يُشرب فيه الماء. اللسان.
وفي ظ وظا: زكرة، وهي بمعناها.

كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾

حماره ﴿كيف نُنْشِرُها﴾[1] أَيْ: نحييها. يقال: أَنشرَ اللَّهُ الموتىٰ، وقرىء: ﴿ننشزها﴾ أَيْ: نرفعها من الأرض، ونشوز كلِّ شيءٍ: ارتفاعه ﴿**ثم نكسوها لحماً فلما تبيَّن له**﴾ شاهدَ ذلك ﴿**قال: أعلم أنَّ الله على كلِّ شيء قدير**﴾ أَيْ: أعلم العلم الذي لا يعترض عليه الإشكال، وتأويله: إنِّي قد علمت مُشاهدةً ما كنت أعلمه غيباً.

﴿٢٦٠﴾ ﴿**وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتىٰ**﴾ وذلك أنَّه رأىٰ جيفةً بساحل البحر يتناولها سباع الطير والوحش ودوابُّ البحر، ففكَّر كيف يجتمع ما قد تفرَّق منها، وأحبَّ أن يرىٰ ذلك، فسأل الله تعالىٰ أن يُريه إحياء الموتىٰ، فقال الله تعالىٰ: ﴿**أو لم تؤمن**﴾ ألست آمنت بذلك؟ ﴿**قال بلىٰ ولكن ليطمئن قلبي**﴾ بالمُعاينة بعد الإيمان بالغيب ﴿**قال: فخذ أربعة من الطير**﴾ طاوُساً ونسراً وغراباً وديكاً ﴿**فصرهنَّ إليك**﴾ أَيْ: قطِّعهنَّ، كأنَّه قال: خذ إليك أربعة من الطَّير فقطعهنَّ ﴿**ثمَّ اجعل على كلِّ جبلٍ منهنَّ جزءاً**﴾ ثمَّ أُمر أن يخلط ريشها ولحومها، ثمَّ يفرِّق أجزاءها بأن يجعلها على أربعة أجبلٍ ففعل ذلك إبراهيم، وأمسك رؤوسهنَّ عنده، ثمَّ دعاهنَّ فقال: تعالين بإذن الله، فجعلت أجزاء الطُّيور يطير بعضها إلى بعض حتىٰ تكاملت أجزاؤها، ثمَّ أقبلن علىٰ رؤوسهنّ فذلك قوله: ﴿**ثم ادعهنَّ يأتينك سعياً واعلم أنّ الله عزيز**﴾ لا يمتنع عليه ما يريد ﴿**حكيم**﴾ فيما يدبِّر، فلمَّا ذكر الدَّلالة على توحيده بما أتىٰ الرُّسل من البيِّنات حثَّ علىٰ الجهاد والإنفاق فيه فقال:

(١) قرأ «ننشرها» بالرَّاء نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر، والباقون بالزَّاي. الإتحاف ص ١٦٢.

مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًاۖ لَّا

﴿٢٦١﴾ ﴿**مثلُ الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله...**﴾ الآية، أَيْ: مَثَلُ صدقاتهم وإنفاقهم ﴿**كمثل حبَّةٍ أنبتت سبع سنابل...**﴾ الآية، يريد أنَّه يضاعف الواحد بسبع مائةٍ، وجعله كالحبَّة تنبت سبع مائة حبَّةٍ، ولا يشترط وجود هذا؛ لأنَّ هذا على ضرب المثل.

﴿٢٦٢﴾ ﴿**الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منّاً...**﴾ الآية، وهو أن يقول: أحسنتُ إلى فلانٍ ونعشته، وجبرت خلله، يمنُّ بما فعل ﴿**ولا أذىً**﴾ وهو أن يذكر إحسانه لمن لا يحبُّ الذي أُحسن إليه وقوفه عليه.

﴿٢٦٣﴾ ﴿**قول معروفٌ**﴾ كلامٌ حسنٌ وردٌّ على السَّائل جميل ﴿**ومغفرة**﴾ أَيْ: تجاوزٌ عن السَّائل إذا استطال عليه عند ردِّه ﴿**خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذى**﴾ أَيْ: مَنٌّ وتعييرٌ للسَّائل بالسُّؤال، ﴿**والله غنيٌّ**﴾ عن صدقة العباد ﴿**حليم**﴾ إذ لم يعجِّل بالعقوبة علىٰ مَنْ يمنُّ.

﴿٢٦٤﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم**﴾ أَيْ: ثوابها ﴿**بالمنِّ**﴾ وهو أنْ يمنَّ بما أعطىٰ ﴿**والأذى**﴾ وهو أن يوبِّخ المُعطي المُعطىٰ له ﴿**كالذي ينفق**﴾ أَيْ: كإبطاله رياء النَّاس، وهو المُنافق يعطي ليوهم أنَّه مؤمنٌ ﴿**فمثله**﴾ أَيْ: مَثَلُ هذا المنافق ﴿**كمثل صفوانٍ**﴾ وهو الحجر الأملس ﴿**عليه ترابٌ فأصابه وابل**﴾ مطرٌ شديدٌ ﴿**فتركه صلداً**﴾ برَّاقاً أملس. وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالىٰ للمانِّ والمنافق، يعني: إنَّ النَّاس يرون في الظَّاهر أنَّ لهؤلاء أعمالاً كما يُرىٰ التُّراب على هذا الحجر، فإذا

لَا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ

كان يوم القيامة اضمحلَّ كلُّه وبطل، كما أذهب الوابل ما كان على الصفوان، فلا يقدر أحدٌ من الخلق على ذلك التُّراب، كذلك هؤلاء إذا قدموا علىٰ ربِّهم لم يجدوا شيئاً، وهو قوله جلَّ وعزَّ: ﴿**لا يقدرون على شيء**﴾ أَيْ: على ثواب شيءٍ ﴿**مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين**﴾ لا يجعل جزاءهم على كفرهم أن يهديهم، [ثمَّ ضرب مثلاً لمن ينفق يريد ما عند الله ولا يمنُّ ولا يؤذي فقال][1]:

﴿٢٦٥﴾ ﴿**ومَثَل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتاً**﴾ أَيْ: يقيناً وتصديقاً ﴿**من أنفسهم**﴾ بالثَّواب لا كالمنافق الذي لا يؤمن بالثَّواب ﴿**كمثل جنة بربوةٍ**﴾ وهي ما ارتفع من الأرض، وهي أكثر ريعاً من المستفل ﴿**أصابها وابلٌ**﴾ وهو أشدُّ المطر ﴿**فآتت**﴾ أعطت ﴿**أكلها**﴾ ما يؤكل منها ﴿**ضِعْفَيْن**﴾ أَيْ: حملت في سنة من الرَّيع ما يحمل غيرها في سنتين ﴿**فإن لم يصبها وابلٌ**﴾ وهو أشدُّ المطر، وأصابها طلٌّ وهو المطر الضعيف، فتلك حالها في البركة، يقول: كما أنَّ هذه الجنَّة تُثمر في كلِّ حالٍ ولا يخيب صاحبها قلَّ المطر أو كثُر، كذلك يضعف الله ثواب صدقة المؤمن قلَّت نفقته أم كثرت، ثمَّ قرَّر مَثَل المُرائي في النَّفقة والمُفرِّط في الطَّاعة إلى أَنْ يموت بقوله:

﴿٢٦٦﴾ ﴿**أيودُّ أحدكم...**﴾ الآية، يقول: مثلُهم كمثل رجلٍ كانت له جنَّةٌ فيها من كلِّ الثمرات ﴿**وأصابه الكبر**﴾ فضعف عن الكسب، وله أطفال لا يجدون عليه

---

(١) ما بين [ ] ليس في الأصل، وهو في الباقي.

وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُوا۟ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾

ولا ينفعونه ﴿**فأصابها إعصار**﴾ وهي ريحٌ شديدةٌ ﴿**فيه نارٌ فاحترقت**﴾ ففقدها أحوج ما كان إليها عند كبر السِّنِّ وكثرة العيال وطفولة الولد، فبقي هو وأولاده عجزةً مُتحيِّرين ﴿**لا يقدرون علىٰ**﴾ حيلةٍ، كذلك يُبطل الله عمل المنافق والمرائي حتىٰ لا توبة لهما ولا إقالة من ذنوبهما ﴿**كذلك يبين الله**﴾ كمثل بيان هذه الأقاصيص ﴿**يبين الله لكم الآيات**﴾ في أمر توحيده.

﴿٢٦٧﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم**﴾ نزلت في قومٍ كانوا يتصدَّقون بشرار ثمارهم ورذالة أموالهم، والمراد بالطَّيِّبات هاهنا الجياد الخيار ممَّا كسبتم، أَيْ: التِّجارة ﴿**وممَّا أخرجنا لكم من الأرض**﴾ يعني: الحبوب التي يجب فيها الزَّكاة ﴿**ولا تيمموا**﴾ أَيْ: لا تقصدوا ﴿**الخبيث منه تنفقون**﴾ أَيْ: تنفقونه ﴿**ولستم بآخذيه إلَّا أن تغمضوا**﴾ أَيْ: بآخذي ذلك الخبيث لو أُعطيتم في حقٍّ لكم إلَّا بالإغماض والتَّساهل، وفي هذا بيانُ أنَّ الفقراء شركاء ربِّ المال، والشَّريك لا يأخذ الرَّديء من الجيِّد إلَّا بالتَّساهل.

﴿٢٦٨﴾ ﴿**الشيطانُ يعدكم الفقر**﴾ أَيْ: يُخوِّفكم به. يقول: أَمسكْ مالك؛ فإنَّك إنْ تصدَّقت افتقرت ﴿**ويأمركم بالفحشاء**﴾ بالبخل ومنع الزَّكاة ﴿**والله يعدكم**﴾ أَنْ يجازيكم على صدقتكم ﴿**مغفرة**﴾ لذنوبكم وأَنْ يُخلف عليكم.

﴿٢٦٩﴾ ﴿**يؤتي الحكمة**﴾ علم القرآن والفهم فيه. وقيل: هي النُّبوَّة ﴿**من يشاء**﴾. ﴿**وما يذكر إلَّا أولوا الألباب**﴾ أَيْ: وما يتَّعظ إلَّا ذوو العقول.

وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾

﴿٢٧٠﴾ **﴿وما أنفقتم من نفقة﴾** أدّيتم من زكاة **﴿أو نذرتم من نذر﴾** في صدقة التَّطوُّع، أَيْ: نويتم أن تصَدَّقوا بصدقة **﴿فإن الله يعلمه﴾** يجازي عليه **﴿وما للظالمين من أنصار﴾** وعيدٌ لمَنْ أنفق في غير الوجه الذي يجوز له من رياءٍ أو معصيةٍ، أو من مالٍ مغصوبٍ.

﴿٢٧١﴾ **﴿إنْ تبدوا الصدقات...﴾** الآية. سألوا رسول الله ﷺ فقالوا: صدقة السرِّ أفضلُ أم صدقة العلانيَة؟ فنزلت هذه الآية(١)، والمفسرون على أنَّ هذه الآية في التَّطوُّع لا في الفرض، فإنَّ الفرضَ إظهاره أفضل، وعند بعضهم الآية عامَّةٌ في كلِّ صدقةٍ، وقوله: **﴿ويكفر عنكم من سيئاتكم﴾** أَيْ: يغفرها لكم، و «مِنْ» للصلة والتأكيد.

﴿٢٧٢﴾ **﴿ليس عليك هداهم﴾** نزلت حين سألت قُتيلة أمُّ أسماء بنت أبي بكر ابنتها أن تعطيها شيئاً وهي مشركةٌ، فأبت وقالت: حتىٰ أستأمر رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية(٢). والمعنىٰ: ليس عليك هُدىٰ مَن خالفك فمنعهم الصَّدقة ليدخلوا في الإسلام **﴿وما تنفقوا من خيرٍ﴾** أَيْ: مالٍ **﴿فلأنفسكم﴾** ثوابه **﴿وما تنفقون إلَّا ابتغاء وجه الله﴾** خبرٌ والمراد به الأمر. وقيل: هو خاصٌّ في المؤمنين، أَيْ: قد علم الله ذلك منكم **﴿وما تنفقوا من خيرٍ﴾** [من مالٍ على فقراء أصحاب الصُّفَّة](٣). **﴿يوفَّ لكم﴾** أَيْ: يوفَّر لكم جزاؤه **﴿وأنتم لا تظلمون﴾** أَيْ: لا تنقصون من ثواب أعمالكم شيئاً.

(١) ذكره في الأسباب ص ١٢٠ عن الكلبيِّ.
(٢) ذكره في الأسباب ص ١٢١ عن الكلبي؛ والسمرقندي في بحر العلوم ١/ ٢٢١.
(٣) زيادة من ظ.

لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ

﴿٢٧٣﴾ ﴿**للفقراء**﴾ أَيْ: هذه الصَّدقات والإنفاق التي تقدَّم ذكرها ﴿**للفقراء الذين أحصروا**﴾ أَيْ: حُبسوا، أَيْ: هم فعلوا ذلك. حبسوا أنفسهم ﴿**في سبيل الله**﴾ في الجهاد. يعني: فقراء المهاجرين ﴿**لا يستطيعون ضرباً**﴾ أَيْ: سيراً ﴿**في الأرض**﴾ لا يتفرَّغون إلى طلب المعاش؛ لأنهم قد ألزموا أنفسهم أمر الجهاد، فمنعهم ذلك من التَّصرُّف، حثَّ الله تعالىٰ المؤمنين على الإنفاق عليهم ﴿**يحسبهم الجاهل**﴾ يخالهم ﴿**أغنياء من التعفف**﴾ عن السُّؤال ﴿**تعرفهم بسيماهم**﴾ بعلامتهم، التَّخشُّع والتَّواضع وأثر الجهد ﴿**لا يسألون الناس إلحافاً**﴾ أَيْ: إلحاحاً. إذا كان عندهم غداءٌ لم يسألوا عشاءً، وإذا كان عندهم عَشاءٌ لم يسألوا غداءً.

﴿٢٧٤﴾ ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار...**﴾ الآية. نزلت في عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه كان عنده أربعة دراهم لا يملك غيرها، فَتَصدَّق بدرهمٍ سرّاً، ودرهمٍ علانيةً، ودرهمٍ ليلاً، ودرهمٍ نهاراً[1].

---

(١) الخبر ذكره المؤلف في أسباب النزول بسنده إلى ابن عباس، وقبله ذكره شيخه الثعالبي في تفسيره ج ٢ ورقة ١٩٣ أ من مخطوطة المحمودية.
وفي طريق الواحدي: عبد الوهاب بن مجاهد، قال ابن حجر: متروك، وقد كذَّبه الثوري.
قال ابن تيمية في منهاج السنة ٤/٦٢: وهو من طريق أبي نعيم بإسناده إلىٰ ابن عباس.
والجواب من وجوه:
أحدها: المطالبة بصحة النقل، ورواية أبي نعيم والثعلبي لا تدلُّ على الصحة.
الثاني: أنَّ هذا كذب ليس بثابت.
الثالث: أنَّ الآية عامَّةٌ في كلِّ مَنْ ينفق بالليل والنهار، سراً وعلانية، فمَنْ عمل بها دخل، سواء كان علياً أو غيره، ويمتنع أن يراد به واحدٌ معيَّن.
وقال السيوطي في لباب النقول ص ٥٠؛ وأخرجه ابن أبي حاتم والطبراني بسندٍ ضعيف.

عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾

---

(٢٧٥) **﴿الذين يأكلون الربا﴾** أَيْ: يُعاملون به، فنَبَّه بالأكل على غيره **﴿لا يقومون﴾** من قبورهم يوم القيامة **﴿إلاَّ كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان﴾** يصيبه بجنونٍ **﴿من المس﴾** من الجنون، وذلك أنَّ آكل الرِّبا يُبعث يوم القيامة مجنوناً[١] **﴿ذلك﴾** أَيْ: ذلك الذي نزل بهم **﴿بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا﴾** وهو أنَّ المشركين قالوا: الزِّيادة على رأس المال بعد مَحِلِّ الدَّين كالزِّيادة بالرِّبح في أوَّل البيع، فكذَّبهم الله تعالى فقال: **﴿وأحلَّ الله البيع وحرَّم الربا فمن جاءه موعظة من ربه﴾** أَيْ: وُعظ **﴿فانتهىٰ﴾** عن أكل الرِّبا **﴿فله ما سلف﴾** أَيْ: ما أكل من الرِّبا، ليس عليه ردُّ ما أخذ قبل النَّهي **﴿وأمره إلىٰ الله﴾** والله وليُّ أمره **﴿ومَنْ عاد﴾** إلىٰ استحلال الرِّبا **﴿فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**.

(٢٧٦) **﴿يمحق الله الربا﴾** أَيْ: ينقصه ويذهب بركته وإن كان كثيراً، كما يمحق القمر **﴿ويربي الصدقات﴾** يربيها لصاحبها كما يُربي أحدكم فصيله **﴿والله لا يحبُّ كل كفار﴾** بتحريم الرِّبا مستحلٍّ له **﴿أثيم﴾** فاجر بأكله [مُصِرٍّ عليه][٢].

---

(١) الحديث عن عوف بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: إيَّاك والذُّنوب التي لا تغفر، فمَنْ غلَّ شيئاً أتىٰ به يوم القيامة، وأَكْلَ الرِّبا، فمَنْ أكل الرِّبا بُعث يوم القيامة مجنوناً يتخبَّط، ثم قرأ: ﴿الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاَّ كما يقوم الذي يتخبَّطه الشيطان من المسِّ﴾. أخرجه الطبراني. انظر الدر المنثور ٢/١٠٣. وأخرجه ابن جرير ٢/١٠٢ عن سعيد بن جُبَير ولم يرفعه.

(٢) زيادة من ظ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

(٢٧٨) **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾** نزلت في العباس[1] وعثمان رضي الله عنهما طلبا رباً لهما كانا قد أسلفا قبل نزول التَّحريم، فلمَّا نزلت هذه الآية سمعا وأطاعا، وأخذا رؤوس أموالهما، ومعنىٰ الآية: تحريم ما بقي ديناً من الرِّبا، وإيجاب أخذ رأس المال دون الزِّيادة على جهة الرِّبا، وقوله: **﴿إن كنتم مؤمنين﴾** أَيْ: إنَّ مَنْ كان مؤمناً فهذا حكمه.

(٢٧٩) **﴿فإن لم تفعلوا﴾** فإن لم تذروا ما بقي من الرِّبا **﴿فأذنوا﴾** فاعلموا **﴿بحرب من الله ورسوله﴾** أَيْ: فأيقنوا أنَّكم في امتناعكم من وضع ذلك حربٌ لله ورسوله **﴿وإن تبتم﴾** عن الرِّبا **﴿فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون﴾** بطلب الزِّيادة **﴿ولا تُظلمون﴾** بالنُّقصان عن رأس المال.

(٢٨٠) **﴿وإنْ كان ذو عسرة﴾** أَيْ: وإن وقع غريم ذو عسرةٍ **﴿فنظرةٌ﴾** أَيْ: فعليكم نظرةٌ، أَيْ: تأخيرٌ **﴿إلىٰ ميسرة﴾** إلى غنىً ووجود المال **﴿وأن تصدقوا﴾** علىٰ المعسرين برأس المال **﴿خيرٌ لكم﴾**.

(٢٨١) **﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾** يعني: يوم القيامة تُردُّون فيه إلى الله **﴿ثمَّ توفىٰ كلُّ نفسٍ ما كسبت﴾** أَيْ: جزاء ما كسبت من الأعمال **﴿وهم لا يظلمون﴾** لا ينقصونَ شيئاً، فلمَّا حرَّم الله تعالىٰ الرِّبا أباح السَّلَم فقال:

(٢٨٢) **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مُسمَّىً﴾** أَيْ: تبايعتم بدين

(١) ابن جرير ٢/١٠٦؛ وأسباب النزول ص ١٢٥.

فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن

﴿فاكتبوه﴾ أمرَ الله تعالى في الحقوق المؤجَّلة بالكتابة والإشهاد في قوله: ﴿وأشهدوا إذا تبايعتم﴾ حفظاً منه للأموال ثمَّ نسخ ذلك بقوله[١]: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً...﴾ الآية. ﴿وليكتب بينكم﴾ بين المُستدين والمدين ﴿كاتب بالعدل﴾ بالحقِّ والإنصاف، ولا يزيد في المال والأجل ولا ينقص منهما: ﴿ولا يَأْبَ كاتبٌ أن يكتب﴾ أي: لا يمتنع من ذلك إذا أُمر، وكانت هذه عزيمةً من الله واجبة على الكاتب والشَّاهد، فنسخها قوله[٢]: ﴿ولا يضارَّ كاتب ولا شهيدٌ﴾ ثمَّ قال: ﴿كما علَّمه الله فليكتبْ﴾ أَيْ: كما فضَّله الله بالكتابة ﴿وليملل الذي عليه الحق﴾ أَيْ: الذي عليه الدَّين يملي؛ لأنَّه المشهود عليه فيقرُّ على نفسه بلسانه ليعلم ما عليه ﴿ولا يَبْخَسْ منه شيئاً﴾ أُمِرَ أَنْ يُقِرَّ بمبلغ المال من غير نقصان ﴿فإن كان الذي عليه الحقُّ﴾ [أي: الدَّين][٣] ﴿سفيهاً﴾ طفلاً ﴿أو ضعيفاً﴾ عاجزاً أحمق ﴿أو لا يستطيع أن يملَّ هو﴾ لخرسٍ أو لعيٍّ ﴿فليملل وليه﴾ وارثه أو مَنْ يقوم مقامه ﴿بالعدل﴾ بالصدق والحقِّ ﴿واستشهدوا﴾ وأشهدوا ﴿شهيدين من

(١) وممن قال هذا من الصحابة أبو سعيد الخدري، فقد أخرج النحاس عنه في ناسخه ص ١٠١ أنّه تلا: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدينٍ إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾ إلىٰ: ﴿فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤدِّ الذي أؤتمن أمانته﴾ قال: نسخت هذه الآية ما قبلها.
وهذا قول الحسن والحكم وعبد الرحمن بن زيد. وقال بعضهم: هذا الأمر للندب والاستحباب.

(٢) والقول بأنها منسوخة هو قول الضحاك. وقال ابن العربي: والصحيح أنّه أمر إرشاد، فلا يكتب حتى يأخذ حقه، أحكام القرآن ١/٢٤٨.

(٣) زيادة من ظ.

رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٢٨٢) ۞ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ

﴿رجالكم﴾ أَيْ: من أهل ملَّتكم من الأحرار البالغين، وقوله: **﴿ممن ترضون من الشهداء﴾** أَيْ: من أهل الفضل والدِّين **﴿أن تضلّ إحداهما﴾** تنسىٰ إحداهما **﴿فتذكر إحداهما الأخرىٰ﴾** الشَّهادة **﴿ولا يأب الشهداء إذا ما دعوا﴾** لتحمُّل الشَّهادة وأدائها **﴿ولا تسأموا أن تكتبوه﴾** لا يمنعكم الضَّجر والملالة أن تكتبوا ما أشهدتم عليه من الحقِّ **﴿صغيراً أو كبيراً إلى أجله﴾** إلى أجل الحقِّ **﴿ذلكم﴾** أَيْ: الكتابة **﴿أقسط﴾** أعدل **﴿عند الله﴾** في حكمه **﴿وأقوم﴾** أبلغ في الاستقامة **﴿للشهادة﴾** لأنَّ الكتاب يُذكِّر الشُّهود، فتكون شهادتهم أقوم **﴿وأدنىٰ ألا ترتابوا﴾** أَيْ: أقرب إلىٰ أن لا تشكُّوا في مبلغ الحقِّ والأجل **﴿إلاَّ أن تكون﴾** تقع **﴿تجارة حاضرة﴾** أَيْ: متجرٌ فيه حاضر من العروض وغيرها ممَّا يتقابض، وهو معنىٰ قوله: **﴿تديرونها بينكم﴾** وذلك أنَّ ما يُخاف في النَّساء والتأجيل يؤمن في البيع يداً بيدٍ، وذلك قوله: **﴿فليس عليكم جناحٌ ألاَّ تكتبوها وأَشْهِدوا إذا تبايعتم﴾** قد ذكرنا أنَّ هذا منسوخ الحكم فلا يجب ذلك **﴿ولا يضارَّ كاتب ولا شهيد﴾** نهىٰ الله تعالىٰ الكاتب والشَّاهد عن الضِّرار، وهو أن يزيد الكاتب أو ينقص أو يحرِّف، وأن يشهد الشَّاهد بما لم يُستشهد عليه، أو يمتنع من إقامة الشَّهادة **﴿وإنْ تفعلوا﴾** شيئاً من هذا **﴿فإنه فسوق بكم﴾**.

(٢٨٣) **﴿وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً. . .﴾** الآية، أمر الله تعالىٰ عند عدم الكاتب بأخذ الرَّهن ليكون وثيقةً بالأموال، وذلك قوله: **﴿فرِهَانٌ مقبوضة﴾** أَيْ: فالوثيقةُ

فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ۗ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ

رهنٌ مقبوضةٌ ﴿فإن أَمن بعضكم بعضاً﴾ أَيْ: لم يخف خيانته وجحوده الحقَّ ﴿فليؤدّ الذي اؤتمن﴾ أَيْ: أُمن عليه ﴿أمانته وليتق الله ربه﴾ بأداء الأمانة ﴿ولا تكتموا الشهادة﴾ إذا دُعيتم لإقامتها ﴿ومن يكتمها فإنه آثمٌ﴾ فاجرٌ ﴿قلبه﴾.

﴿٢٨٤﴾ ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ ملكاً، فهو مالك أعيانه ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾ لمَّا نزل هذا جاء ناس من الصَّحابة إلى النَّبيِّ ﷺ فقالوا: كُلِّفنا من العمل ما لا نطيق، إن أحدنا ليحدِّث نفسه بما لا يحبُّ أن يثبت في قلبه، فنحن نحاسب بذلك[1]؟ فقال النبيُّ: فلعلَّكم تقولون كما قالت بنو إسرائيل: سمعنا وعصينا، وقولوا: سمعنا وأطعنا فقالوا: سمعنا وأطعنا، فأنزل الله تعالىٰ الفرج بقوله: ﴿لا يكلِّف الله نفساً إلاَّ وسعها﴾ فنسخت هذه الآية ما قبلها[2]، وقيل: إنَّ هذا في كتمان الشَّهادة وإقامتها، ومعنىٰ قوله: ﴿يحاسبكم به الله﴾ يخبركم به ويُعرِّفكم إيَّاه.

﴿٢٨٥﴾ ﴿آمن الرسول...﴾ الآية، لمَّا ذكر الله تعالىٰ في هذه السُّورة الأحكام والحدود، وقصص الأنبياء وآيات قدرته، ختم السورة بذكر تصديق نبيِّه عليه السَّلام

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإيمان برقم ١٢٦؛ وأحمد ١/٢٣٣؛ والترمذي في التفسير؛ عارضة الأحوذي ١١/١١٣؛ والطبري ٣/٩٥.

(٢) أخرج البخاري عن ابن عمر قال في الآية: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه﴾ قال: نسختها الآية التي بعدها. فتح الباري ٨/٢٠٧؛ والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٠٤.

لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

والمؤمنين بجميع ذلك، ﴿لا نفرق بين أحد﴾ أَيْ: يقولون: لا نفرِّق بين أحد من رسله كما فعل أهل الكتاب، آمنوا ببعض الرُّسل وكفروا ببعض، بل نجمع بينهم في الإيمان بهم ﴿وقالوا سمعنا﴾ قوله ﴿وأطعنا﴾ أمره ﴿غفرانك﴾ أَيْ: اغفر غفرانك.

﴿٢٨٦﴾ ﴿لا يكلف الله نفساً إلاَّ وسعها﴾ ذكرنا أنَّ هذه الآية نسخت ما شكاه المؤمنون من المحاسبة بالوسوسة وحديث النَّفس ﴿لها ما كسبت﴾ [من العمل بالطاعة][1] ﴿وعليها ما اكتسب﴾ [من العمل بالإثم][2] أَيْ: لا يُؤَاخَذ أحدٌ بذنب غيره ﴿ربنا لا تؤاخذنا﴾ أَيْ: قولوا ذلك على التَّعليم للدُّعاء، ومعناه: لا تعاقبنا إن نسينا. كانت بنو إسرائيل إذا نسوا شيئاً ممَّا شرع لهم عُجِّلت لهم العقوبة بذلك، فأمر الله نبيَّه والمؤمنين أن يسألوه ترك مؤاخذتهم بذلك ﴿أو أَخْطَأْنا﴾ تركنا الصَّواب: ﴿ربنا ولا تحمل علينا إصراً﴾ أَيْ: ثقلاً، والمعنىٰ: لا تحمل علينا أمراً يثقل ﴿كما حملته على الذين من قبلنا﴾ نحو ما أُمر به بنو إسرائيل من الأثقال التي كانت عليهم ﴿ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾ أَيْ: لا تعذِّبنا بالنَّار ﴿وأنت مولانا﴾ [ناصرنا][3] والذي تلي علينا أمورنا ﴿فانصرنا على القوم الكافرين﴾ في إقامة حجَّتنا وغلبتنا إيَّاهم في حربه، وسائر أمورهم حتىٰ يظهر ديننا على الدِّين كلِّه كما وعدتنا.

[والله أعلم][4]

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) زيادة من ظ، و ظا.

(٤) زيادة من ظ.



سورة آل عمران

[مدنية، وهي مائتا آية لا اختلاف في جملتها][(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبۡلُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلۡفُرۡقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَوِّرُكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿الٓم﴾.

(٢) ﴿الله لا إلٰه إلَّا هو الحيُّ القيوم﴾.

(٣) ﴿نزل عليك الكتابَ﴾ أي: القرآن ﴿بالحق﴾ بالصِّدق في إخباره ﴿مصدقاً لما بين يديه﴾ مُوافقاً لما تقدَّم الخبر به في سائر الكتب ﴿وأنزل التوراة والإِنجيل﴾.

(٤) ﴿من قبل هدىً للناس وأنزل الفرقان﴾ ما فرق به بين الحقِّ والباطل. يعني: جميع الكتب التي أنزلها. ﴿إنَّ الذين كفروا بآيات الله لهم عذابٌ شديدٌ والله عزيز ذو انتقام﴾ ذو عقوبة.

(٦) ﴿هو الذي يصوركم﴾ يجعلكم على صورٍ في أرحام الأُمَّهات ﴿كيف يشاء﴾ ذكراً وأنثىٰ، قصيراً وطويلاً، وأسود وأبيض.

---

(١) زيادة من ظ وظا.

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾

(٧) ﴿هو الذي أنزل عليك الكتابَ منه آيات محكماتٌ﴾ وهنَّ الثَّلاث الآيات في آخر سورة الأنعام: ﴿قل تعالوا أتل﴾ إلى آخر الآيات الثَّلاث[1]. ﴿هنَّ أمُّ الكتاب﴾ هنَّ أمُّ كلِّ كتاب أنزله الله تعالىٰ على كلِّ نبيٍّ، فيهنَّ كلُّ ما أحلَّ وحرَّم، ومعناه: أنهنَّ أصل الكتاب الذي يُعمل عليه ﴿وأخر﴾ أَيْ: آياتٌ أُخر ﴿متشابهات﴾ يريد: التي تشابهت على اليهود، وهي حروف التَّهجِّي في أوائل السُّور، وذلك أنَّهم أوَّلوها على حساب الجُمَّل، وطلبوا أن يستخرجوا منها مدَّة بقاء هذه الأُمَّة، فاختلط عليهم واشتبه. ﴿فأمَّا الذين في قلوبهم زيغٌ﴾ وهم اليهود الذين طلبوا علمَ أجل هذه الأمَّة من الحروف المقطَّعة ﴿فيتبعون ما تشابه منه﴾ من الكتاب. يعني: حروف التَّهجِّي ﴿ابتغاء الفتنة﴾ طلب اللَّبس ليضلُّوا به جُهَّالهم ﴿وابتغاء تأويله﴾ طلب أجل أمَّة محمّدٍ ﷺ. ﴿وما يعلم تأويله إلاَّ الله﴾ يريد: ما يعلم انقضاء ملك أُمَّة محمَّدٍ ﷺ إلاَّ الله؛ لأنَّ انقضاء ملكهم مع قيام السَّاعة، ولا يعلم ذلك أحد إلاَّ الله، ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿والراسخون في العلم﴾ أي: الثَّابتون فيه. يعني: علماء مؤمني أهل الكتاب ﴿يقولون آمنا به﴾ أَيْ: بالمتشابه ﴿كلٌّ من عند ربنا﴾ المحكم

(١) الآيات: ﴿قل تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم، ألا تُشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً، ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإيَّاهم، ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحقّ ذلكم وصَّاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن حتىٰ يبلغ أشدّه، وأوفوا الكيل والميزان بالقسط، لا نُكلِّف نفساً إلاَّ وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربىٰ، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصَّاكم به لعلكم تذكرون * وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السُّبل فتفرَّق بكم عن سبيله، ذلكم وصَّاكم به لعلكم تتقون﴾ [الآيات ١٥١ ـ ١٥٣].

وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ

والمتشابه، وما علمناه، وما لم نعلمه ﴿وما يذكر إلَّا أولوا الألباب﴾ ما يتَّعظ بالقرآن إلَّا ذوو العقول.

﴿٨﴾ ﴿ربنا﴾ أي: ويقول الرَّاسخون في العلم ﴿ربنا لا تزغ قلوبنا﴾ لا تُملها عن الهدىٰ والقصد كما أزغت قلوب الذين في قلوبهم زيغ ﴿بعد إذ هديتنا﴾ للإيمان بالمحكم والمتشابه من كتابك.

﴿٩﴾ ﴿ربنا إنك جامع الناس﴾ حاشرهم ﴿ليوم﴾ الجزاء في يومٍ ﴿لا ريب فيه إنَّ الله لا يخلف الميعاد﴾ للبعث والجزاء.

﴿١٠﴾ ﴿إنَّ الذين كفروا﴾ يعني: يهود قريظة والنَّضير ﴿لن تغني عنهم﴾ [أي: لن تنفع و][1] لن تدفع عنهم ﴿أموالهم﴾ ﴿ولا أولادهم﴾ يعني: التي يتفاخرون بها ﴿من الله﴾ من عذاب الله ﴿شيئاً وأولئك هم وقود النار﴾ هم الذين تُوقد بهم النَّار.

﴿١١﴾ ﴿كدأب آل فرعون﴾ كصنيع آل فرعون وفعلهم في الكفر والتَّكذيب كفرت اليهود بمحمد ﷺ.

﴿١٢﴾ ﴿قل للذين كفروا﴾ يعني: يهود المدينة ومشركي مكَّة ﴿ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد﴾ بئس ما مُهِّد لكم.

﴿١٣﴾ ﴿قد كان لكم آية﴾ علامة تدلُّ على صدق محمَّدٍ عليه السَّلام ﴿في فئتين﴾ يعني:

(١) زيادة من ظ وظا.

ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ۞ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي

المسلمين والمشركين ﴿التقتا﴾ اجتمعتا يوم بدرٍ للقتال ﴿فئةٌ تقاتل في سبيل الله﴾ وهم المسلمون ﴿وأخرىٰ كافرة يرونهم مثليهم﴾ وهم كانوا ثلاثة أمثالهم، ولكنَّ الله تعالىٰ قلَّلهم في أعينهم، وأراهم علىٰ قدر ما أعلمهم أنَّهم يغلبونهم لتقوىٰ قلوبهم، وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ كان قد أعلم المسلمين أنَّ المائة منهم تغلب المائتين من الكفَّار[1] ﴿رأي العين﴾ أيْ: من حيث يقع عليهم البصر ﴿والله يؤيد﴾ يقوّي ﴿بنصره﴾ بالغلبة والحجَّة مَنْ يشاء ﴿إنَّ في ذلك لعبرة﴾ وهي الآية التي يُعبر بها من منزلة الجهل إلى العلم ﴿لأولي الأبصار﴾ لذوي العقول.

﴿١٤﴾ ﴿زُيِّن للناس حبُّ الشهوات﴾ جمع الشَّهوة، وهي تَوَقَانُ النَّفس إلىٰ الشَّيء ﴿والقناطير المقنطرة﴾ الأموال الكثيرة المجموعة ﴿والخيل المسوَّمة﴾ الرَّاعية، وقيل: المُعلَّمة كالبلق وذوات الشِّياتِ، وقيل: الحسان. والخيل: الأفراس ﴿والأنعام﴾ الإبل والبقر والغنم [﴿والحرث﴾ وهو ما يُزرع ويغرس][2]، ثمَّ بيَّن أنَّ هذه الأشياء متاع الدُّنيا، وهي فانيةٌ زائلةٌ ﴿واللَّهُ عنده حسن المآب﴾ المرجع، ثمَّ أعلم أنَّ خيراً من ذلك كلِّه ما أعدَّه لأوليائه فقال:

﴿١٥﴾ ﴿قل أؤنبئكم بخير من ذلكم﴾ الذي ذكرت ﴿للذين اتقوا﴾ الشِّرك ﴿جنات تجري

---

(١) وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿الآن خفَّف الله عنكم وعلم أنَّ فيكم ضعفاً، فإن يكن منكم مائةٌ صابرةٌ يغلبوا مائتين﴾ [سورة الأنفال: الآية ٦٦].

(٢) زيادة من ظا.

مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّـرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلصَّـٰبِرِينَ وَٱلصَّـٰدِقِينَ وَٱلْقَـٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾

من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾.

﴿١٧﴾ **﴿الصابرين﴾** علىٰ دينهم وعلىٰ ما أصابهم **﴿والصادقين﴾** في نيَّاتهم **﴿والقانتين﴾** المطيعين لله **﴿والمنفقين﴾** من الحلال في طاعة الله **﴿والمستغفرين بالأسحار﴾** المُصلِّين صلاة الصُّبح. قيل: نزلت في المهاجرين والأنصار.

﴿١٨﴾ **﴿شهد الله﴾** بيَّن وأظهر بما نصب من الأدلَّة على توحيده **﴿أنَّه لا إلَه إلاَّ هو والملائكة﴾** أيْ: وشهدت الملائكة، بمعنىٰ: أقرَّت بتوحيد الله **﴿وأولوا العلم﴾** هم الأنبياء والعلماء من مؤمني أهل الكتاب والمسلمين **﴿قائماً بالقسط﴾** أيْ: قائماً بالعدل، يُجري التَّدبير علىٰ الاستقامة في جميع الأمور.

﴿١٩﴾ **﴿إنَّ الدين عند الله الإسلام﴾** افتخر المشركون بأديانهم، فقال كلُّ فريقٍ: لا دين إلاَّ ديننا، وهو دين الله، فنزلت هذه الآية وكذَّبهم الله تعالىٰ فقال: **﴿إنَّ الدين عند الله الإسلام﴾** الذي جاء به محمَّدٌ عليه السَّلام **﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب﴾** أي: اليهود، لم يختلفوا في صدق نبوَّة محمَّدٍ ﷺ لما كانوا يجدونه في كتابهم **﴿إلاَّ من بعد ما جاءهم العلم﴾** يعني: النبيَّ ﷺ، سمِّي علماً لأنَّه كان معلوماً عندهم بنعته وصفته قبل بعثه، فلمَّا جاءهم اختلفوا فيه؛ فآمن به بعضهم وكفر الآخرون **﴿بغياً بينهم﴾** طلباً للرِّياسة وحسداً له على النُّبوَّة **﴿ومن يكفر بآيات الله فإنَّ الله سريع الحساب﴾** أي: المجازاة له على كفره.

فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِۗ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّۦنَ ءَأَسْلَمْتُمْۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ

﴿٢٠﴾ **﴿فإن حاجوك﴾** أَيْ: جادلوك **﴿فقل أسلمتُ وجهي لله﴾** أَيْ: أخلصت عملي لله وانقدت له **﴿ومن اتبعني﴾** يعني: المهاجرين والأنصار **﴿وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين﴾** يعني: العرب **﴿أأسلمتم﴾** استفهامٌ معناه الأمر، أَيْ: أسلموا، وقوله: **﴿عليك البلاغ﴾** أَي: التَّبليغ وليس عليك هداهم **﴿والله بصيرٌ بالعباد﴾** أَيْ: بمَنْ آمن بك وصدَّقك، ومَنْ كفر بك وكذَّبك، وكان هذا قبل أَنْ أُمر بالقتال.

﴿٢١﴾ **﴿إنَّ الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق﴾** قد مضىٰ تفسيره في سورة البقرة[1]، وقوله: **﴿ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس﴾** قال رسول الله ﷺ: [قتلت بنو إسرائيل ثلاثةً وأربعين نبياً من أوَّل النَّهار في ساعةٍ واحدةٍ، فقام مائةٌ واثنا عشر رجلاً من عبَّاد بني إسرائيل، فأمروا مَنْ قتلهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر، فَقُتلوا جميعاً من آخر النَّهار في ذلك اليوم، فهم الذين ذكرهم الله في هذه الآية][2]. وهؤلاء الذين كانوا في عصر النبيِّ ﷺ كانوا يتولَّونهم، فهم داخلون في جملتهم.

﴿٢٢﴾ **﴿أولئك الذين حبطت أعمالهم﴾** بطلت أعمالهم التي يدَّعونها من التَّمسُّك بالتَّوراة، وإقامة شرع موسىٰ عليه السَّلام **﴿في الدنيا﴾** لأنَّها لم تحقن دماءَهم وأموالهم **﴿و﴾** في **﴿الآخرة﴾** لأنَّهم لم يستحقوا بها ثواباً.

---

(١) انظر ص ١١٠ عند آية ٦١ من سورة البقرة.

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير ٣/٢١٦؛ وابن أبـي حاتم في تفسير سورة آل عمران ص ١٦١؛ وهو ضعيف فيه أبو الحسن مولىٰ بني أسد، قال في الجرح والتعديل ٩/٣٥٧: مجهول.

وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ

﴿٢٣﴾ **﴿ألم تر إلىٰ الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾** يعني: اليهود **﴿يدعون إلىٰ كتاب الله ليحكم بينهم﴾** وذلك أنَّهم أنكروا آية الرَّجم من التَّوراة، وسألوا رسول الله ﷺ عن حدِّ المحصنين إذا زنيا، فحكم بالرَّجم فقالوا: جُرْتَ يا محمد، فقال: بيني وبينكم التَّوراة، ثمَّ أتوا بابن صوريا الأعور فقرأ التَّوراة، فلمَّا أتىٰ على آية الرَّجم سترها بكفِّه، فقام ابن سلاَّم فرفع كفَّه عنها، وقرأها على رسول الله ﷺ وعلىٰ اليهود، فغضبت اليهود لذلك غضباً شديداً وانصرفوا، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[1]. **﴿ثمَّ يتولىٰ فريق منهم﴾** يعني: العلماء والرؤساء **﴿وهم معرضون﴾**.

﴿٢٤﴾ **﴿ذلك﴾** أَيْ: ذلك الإعراض عن حكمك بسبب اغترارهم حيث قالوا: **﴿لن تمسنا النار إلاَّ أياماً معدودات وغرَّهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾** افتراؤهم، وهو قوله: **﴿لن تمسنا النار﴾** وقد مضىٰ هذا في سورة البقرة[2].

﴿٢٥﴾ **﴿فكيف إذا جمعناهم﴾** أَيْ: فكيف يكون حالهم إذا جمعناهم **﴿لـ﴾** جزاء **﴿يوم**

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الحدود. فتح الباري ١٢/١٦٦؛ ومسلم برقم ٤٤٤٧.
قال ابن حجر: ونزلت فيه: ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾.
وكذا ذكرها ابن جرير عند هذه الآية في المائدة. ٦/٢٣٢.
أبو داود في الحدود برقم ٤٤٤٦ ــ ٤٤٤٨.
وذكر أنَّ هذه القصة نزل بسببها قوله تعالىٰ:
﴿يا أيها الرَّسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم، ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرّفون الكلم من بعد مواضعه﴾ [سورة المائدة: الآية ٤١].
(٢) انظر ص ١١٥.

لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ

لا ريبَ فيه ووفيت كلُّ نفس جزاء ﴿**ما كسبت وهم لا يظلمون**﴾ بنقصان حسناتهم أو زيادة سيئاتهم.

﴿٢٦﴾ ﴿**قل اللهم مالك الملك...**﴾ الآية. لمَّا فتح رسول الله ﷺ مكَّة، ووعد أُمَّته ملك فارس والروم قالت المنافقون واليهود: هيهات هيهات، [الفارس والروم أعزُّ وأمنع من أن يُغلَّب على بلادهم][1]، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[2]، وقوله: ﴿**تؤتي الملك مَنْ تشاء**﴾ محمداً وأصحابه ﴿**وتنزع الملك ممن تشاء**﴾ أبي جهلٍ وصناديد قريشٍ ﴿**وتعزُّ من تشاء**﴾ المهاجرين والأنصار ﴿**وتذلُّ مَنْ تشاء**﴾ أبا جهلٍ وأصحابه حتىٰ حُزَّت رؤوسهم وأُلْقُوا في القليب ﴿**بيدك الخير**﴾ أَيْ: عزُّ الدُّنيا والآخرة، وأراد: الخير والشَّرَّ، فاكتفىٰ بذكر الخير، لأنَّ الرغبة إليه في فعل الخير بالعبد دون الشَّر.

﴿٢٧﴾ ﴿**تولج الليل في النهار**﴾ تُدخل اللَّيل في النَّهار، أَيْ: تجعل ما نقص من أحدهما زيادةً في الآخر ﴿**وتخرج الحيَّ من الميت وتخرج الميت من الحيِّ**﴾ تخرج الحيوان من النُّطفة، وتخرج النُّطفة من الحيوان، وتخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن ﴿**وترزق من تشاء بغير حساب**﴾ بغير تقتيرٍ وتضييقٍ.

﴿٢٨﴾ ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين**﴾ أَيْ: أنصاراً وأعواناً من

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) أخرجه ابن جرير ٣/ ٢٢٢ عن قتادة مرسلاً، وابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ١٧١؛ والمؤلف في الأسباب ص ١٣٢.

وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

غير المؤمنين وسواهم. نزلت في قوم من المؤمنين كانوا يُباطنون اليهود(١)، [أي: يألفونهم](٢) ويوالونهم. ﴿ومَنْ يفعلْ ذلك﴾ الاتِّخاذ ﴿فليس من الله في شيء﴾ أَيْ: من دين الله، أَيْ: قد بريء من الله وفارق دينه، ثمَّ استثنىٰ فقال: ﴿إلاَّ أن تتقوا منهم تقاة﴾ [أَيْ: تقيَّة](٣) هذا في المؤمن إذا كان في قوم كفَّارٍ، وخافهم علىٰ ماله ونفسه، فله أن يُخالفهم ويُداريهم باللِّسان، وقلبُه مطمئنٌّ بالإِيمان دفعاً عن نفسه. قال ابنُ عبَّاسٍ: يريد مدارةً ظاهرةً ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أَيْ: يُخَوِّفكم الله على موالاة الكفار عذاب نفسه، [يريد: عذابه، وخصَّصه بنفسه تعظيماً له](٤). فلمَّا نهىٰ عن ذلك خوَّف وحذَّر عن إبطان موالاتهم، فقال:

﴿٢٩﴾ ﴿قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه﴾ من ضمائركم في موالاتهم وتركها ﴿يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض﴾ إتمامٌ للتَّحذير؛ لأنَّه إذا كان لا يخفىٰ عليه شيء فيهما، فكيف يخفىٰ عليه الضَّمير؟ ﴿واللَّهُ على كلِّ شيءٍ قدير﴾ تحذيرٌ من عقاب مَنْ لا يعجزه شيء.

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢٢٨/٣ بسند حسنٍ عن ابن عباس قال: كان الحجَّاج بن عمرو حليف كعب بن الأشرف وابن أبي الحقيق، وقيس بن زيد، قد بطنوا بنفرٍ من الأنصار ليفتنوهم عن دينهم، فقال رفاعة بن المنذر، وعبد الله بن جبير، وسعد بن خيثمة لأولئك النفر: اجتنبوا هؤلاء اليهود، واحذروا لزومهم ومباطنتهم لا يفتنوكم عن دينكم، فأبىٰ أولئك النفر إلاَّ مباطنتهم ولزومهم، فأنزل الله: ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾.
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ١٨٨ بسندٍ منقطعٍ، وانظر: أسباب النزول ص ١٣٤؛ ولباب النقول ص ٥٢.

(٢) زيادة من ظا.

(٣) زيادة من ظ.

(٤) زيادة من ظ.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾

﴿٣٠﴾ **﴿يوم تجد كلُّ نفس﴾** أَيْ: ويحذّركم الله عذاب نفسه يوم تجد، أَيْ: في ذلك اليوم، وقوله: **﴿ما عملت من خير محضراً﴾** أَيْ: جزاء ما عملت بما ترىٰ من الثَّواب **﴿وما عملت من سوء تودُّ لو أنَّ بينها وبينه أمداً بعيداً﴾** غاية بعيدةً كما بين المشرق والمغرب.

﴿٣١﴾ **﴿قل﴾** [أي: للكفَّار][1] **﴿إن كنتم تحبون الله﴾**. وقف النَّبيُّ ﷺ علىٰ قريشٍ وهم يسجدون للأصنام، فقال: يا معشر قريش، واللَّهِ لقد خالفتم ملَّة أبيكم إبراهيم، فقالت قريش: إنَّما نعبد هذه حبّاً لله ليقرِّبونا إلى الله، فأنزل الله تعالى[2]: **﴿قل﴾** يا محمد **﴿إن كنتم تحبون الله﴾** وتعبدون الأصنام لتقرِّبكم إليه **﴿فاتبعوني يحببكم الله﴾** فأنا رسوله إليكم، وحجَّته عليكم، ومعنىٰ محبَّة العبد لله سبحانه إرادته طاعته وإيثاره أمره، ومعنىٰ محبَّة الله العبد إرادته لثوابه وعفوه عنه وإنعامه عليه.

﴿٣٢﴾ **﴿قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا﴾** عن الطَّاعة **﴿فإنَّ الله لا يحب الكافرين﴾** لا يغفر لهم ولا يثني عليهم.

﴿٣٣﴾ **﴿إنَّ الله اصطفىٰ آدم﴾** بالنُّبوَّة والرِّسالة **﴿ونوحاً وآل إبراهيم﴾** يعني: إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط **﴿وآل عمران﴾** موسىٰ وهارون **﴿علىٰ العالمين﴾** علىٰ عالمي زمانهم.

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) رواه جويبر عن الضحاك عن ابن عباس. أسباب النزول ص ١٣٥.

قلت: وجويبر، هو أبو القاسم البلخي، راوي التفسير، ضعيف جداً. الضعفاء الكبير ١/ ٢٠٥؛ وتقريب التهذيب ص ١٤٣.

﴿ذُرِّيَّةَۢ بَعۡضُهَا مِنۢ بَعۡضٖۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٣٤ إِذۡ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٥ فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٣٦ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ٣٧﴾

---

(٣٤) ﴿**ذريةً**﴾ أي: اصطفىٰ ذريَّةً ﴿**بعضها من بعض**﴾ أيْ: من ولد بعض؛ لأنَّ الجميع ذريَّة آدم، ثمَّ ذريَّة نوح ﴿**والله سميع**﴾ لما تقوله الذُّريَّة المصطفاة ﴿**عليمٌ**﴾ بما تضمره، فلذلك فضَّلها على غيرها.

(٣٥) ﴿**إذ قالت امرأة عمران**﴾ وهي حنَّة أمُّ مريم: ﴿**إني نذرت لك ما في بطني**﴾ أيْ: أوجبتُ على نفسي أن أجعل ما في بطني ﴿**محرَّراً**﴾ عتيقاً خالصاً لله، خادماً للكنيسة، مفرَّغاً للعبادة ولخدمة الكنيسة، وكان علىٰ أولادهم فرضاً أن يُطيعوهم في نذرهم، فتصدَّقت بولدها علىٰ بيت المقدس.

(٣٦) ﴿**فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثىٰ**﴾ اعتذرت ممَّا فعلت من النَّذر لمَّا ولدت أنثىٰ ﴿**وليس الذكر كالأنثىٰ**﴾ في خدمة الكنيسة لما يلحقها من الحيض والنِّفاس ﴿**وإني أعيذها بك**﴾ أيْ: أمنعها وأجيرها ﴿**من الشيطان الرجيم**﴾ الملعون المطرود.

(٣٧) ﴿**فتقبلها ربُّها بقبول حسن**﴾ أيْ: رضيها مكان المحرَّر الذي نذرته ﴿**وأنبتها نباتاً حسناً**﴾ في صلاحٍ وعفَّةٍ ومعرفةٍ بالله وطاعةٍ له ﴿**وكفلها زكريا**﴾ ضمن القيام بأمرها، فبنىٰ لها محراباً في المسجد لا يرتقىٰ إليه إلاَّ بسلَّم، والمحراب: الغرفة، وهو قوله: ﴿**كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً**﴾ أيْ: فاكهة الشِّتاء في الصَّيف، وفاكهة الصَّيف في الشِّتاء تأتيها به الملائكة من الجنَّة، فلمَّا رأىٰ زكريا ما أُوتيت مريم من [فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف]

هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا

علىٰ خلاف مجرىٰ العادة طمع في رزق الولد من العاقر علىٰ خلاف العادة، وذلك قوله:

﴿٣٨﴾ **﴿هنالك﴾** أَيْ: عند ذلك **﴿دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك﴾** أَيْ: من عندك **﴿ذريةً طيبةً﴾** أَيْ: نسلاً مباركاً تقياً، فأجاب الله دعوته وبعث إليه الملائكة مبشرين، وهو قوله:

﴿٣٩﴾ **﴿فنادته الملائكة وهو قائمٌ يصلي في المحراب أنَّ الله يبشرك بيحيىٰ مصدقاً بكلمة من الله﴾** أَيْ: مُصدِّقاً بعيسىٰ أنَّه روح الله وكلمته، وسُمِّي عيسىٰ كلمة الله؛ لأنَّه حدث عند قوله: **﴿كُنْ﴾** فوقع عليه اسم الكلمة؛ لأنَّه بها كان **﴿وسيداً﴾** وكريماً علىٰ ربِّه **﴿وحصوراً﴾** وهو الذي لا يأتي النِّساء ولا أرب له فيهنَّ.

﴿٤٠﴾ **﴿قال﴾** زكريا لمَّا بُشِّر بالولد: **﴿ربِّ أنىٰ يكون لي غلامٌ﴾** أَيْ: علىٰ أيِّ حالٍ يكون ذلك؟ أَتردُّني إلىٰ حال الشَّباب وامرأتي أَمْ مع حال الكبر؟ **﴿وقد بلغني الكبر﴾** أَيْ: بَلَغْتُه؛ لأنَّه كان ذلك اليوم ابن عشرين ومائة سنةٍ **﴿وامرأتي عاقر﴾** لا تلد، وكانت بنتَ ثمانٍ وتسعين سنةً. قيل له: **﴿كذلك﴾** أَيْ: مثل ذلك من الأمر، وهو هبة الولد على الكبر يفعل الله ما يشاء، فسبحان مَنْ لا يعجزه شيء، فلمَّا بُشِّر بالولد سأل الله علامةً يعرف بها وقت حمل امرأته، وذلك قوله:

﴿٤١﴾ **﴿قال رب اجعل لي آية﴾** فقال الله تعالىٰ: **﴿آيتك ألاَّ تكلم الناس ثلاثة أيام﴾** جعل الله تعالىٰ علامة حمل امرأته أَنْ يُمسك لسانه فلا يقدر أَنْ يُكلِّم النَّاس ثلاثة أيَّامٍ **﴿إلاَّ رمزاً﴾** أَيْ: إيماءً بالشَّفتين والحاجبين والعينين، وكان مع ذلك يقدر علىٰ

وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۚ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ

التَّسبيح وذكر الله، وهو قوله: ﴿**واذكر ربك كثيراً وسبِّح**﴾ أَيْ: وصَلِّ ﴿**بالعشي**﴾ وهو آخر النَّهار ﴿**والإبكار**﴾ ما بين طلوع الفجر إلىٰ الضُّحىٰ.

﴿٤٢﴾ ﴿**وإذ قالت الملائكة**﴾ أَيْ: جبريل عليه السَّلام وحده: ﴿**يا مريم إنَّ الله اصطفاك**﴾ أَيْ: بما لطف لك حتىٰ انقطعت إلى طاعته ﴿**وطهرك**﴾ من ملامسة الرِّجال والحيض ﴿**واصطفاك على نساء العالمين**﴾ علىٰ عالمي زمانك.

﴿٤٣﴾ ﴿**يا مريم اقنتي لربك**﴾ قومي للصَّلاة بين يدي ربِّك، فقامت حتىٰ سالت قدماها قيحاً ﴿**واسجدي واركعي**﴾ أَي: ائتي بالرُّكوع والسُّجود، والواو لا تقتضي الترتيب ﴿**مع الراكعين**﴾ أَي: افعلي كفعلهم، وقال: ﴿مع الراكعين﴾ ولم يقل: مع الرَّاكعات؛ لأنَّه أعمُّ.

﴿٤٤﴾ ﴿**ذلك**﴾ أَيْ: ما قصصنا عليك من حديث زكريا ومريم ﴿**من أنباء الغيب**﴾ أَيْ: من أخباره ﴿**نوحيه إليك**﴾ أَيْ: نلقيه ﴿**وما كنت لديهم**﴾ فتعرف ذلك ﴿**إذ يلقون أقلامهم**﴾ وذلك أنَّ حنَّة لمَّا ولدت مريم أتت بها سدنة بيت المقدس، وقالت لهم: دونكم هذه النَّذيرة، فتنافس فيها الأحبار حتىٰ اقترعوا عليها، فخرجت القرعة لزكريا، فذلك قوله: ﴿إذ يلقون أقلامهم﴾ أَيْ: قداحهم التي كانوا يقترعون بها لينظروا أيُّهم تجب له كفالة مريم.

﴿٤٥﴾ ﴿**إذ قالت الملائكة**﴾ يعني: جبريل عليه السَّلام: ﴿**يا مريم إنَّ الله يبشرك بكلمة منه**﴾ يعني: عيسىٰ عليه السَّلام؛ لأنَّه في ابتداء أمره كان كلمة من الله، وكُوِّن بكلمة منه، أَيْ: من الله ﴿**اسمه المسيح**﴾ وهو معرَّب من مشيحا بالسِّريانية، لقبٌ

عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ وَجِيهٗا فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَيُعَلِّمُهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأۡكُلُونَ وَمَا

لعيسىٰ ثمَّ فَسَّر وبيَّن من هو فقال: ﴿عيسى ابن مريم وجيهاً﴾ أَيْ: ذا جاهٍ وشرفٍ وقدرٍ ﴿في الدنيا والآخرة ومن المقربين﴾ إلىٰ ثواب الله وكرامته.

﴿٤٦﴾ ﴿ويكلم الناس في المهد﴾ صغيراً ﴿وكهلاً﴾ أَيْ: يتكلَّم بالنُّبوَّة كهلاً. وقيل: بعد نزوله من السَّماء ﴿ومن الصالحين﴾ يريد: مثل موسىٰ ويعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السَّلام.

﴿٤٧﴾ ﴿قالت﴾ مريم مُتعجِّبةً: ﴿أنىٰ يكون لي ولد﴾ من غير مسيس بشرٍ؟ ﴿قال كذلك الله يخلق ما يشاء﴾ مثل ذلك من الأمر، وهو خلق الولد من غير مسيس بشرٍ، أَي: الأمر كما تقولين، ولكنَّ الله ﴿إذا قضىٰ أمراً﴾ ذُكر في سورة البقرة(١) [إلىٰ آخرها](٢).

﴿٤٨﴾ ﴿ويعلمه الكتاب﴾ أراد: الكتابة والخطَّ.

﴿٤٩﴾ وقوله: ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل﴾ أَيْ: ويجعله رسولاً إلى بني إسرائيل ﴿أني﴾ أَيْ: بأنِّي ﴿قد جئتكم بآية من ربكم﴾ وهي ﴿أني أخلق﴾ أَيْ: أُقدِّر وأُصوِّر ﴿كهيئة الطير﴾ كصورته ﴿وأبرىء الأكمه﴾ وهو الذي وُلد أعمىٰ ﴿والأبرص﴾ أَيْ: الذي به وَضَحٌ [أي: بياضٌ](٣) ﴿وأنبئكم بما تأكلون﴾ في غدوكم ﴿وما﴾

---

(١) انظر ص ١٢٨.
(٢) زيادة من عا.
(٣) زيادة من ظا.

تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ

كم ﴿تدخرون﴾ لباقي يومكم.

﴿٥٠﴾ ﴿ومصدِّقاً﴾ أيْ: وجئتكم مُصدِّقاً ﴿لما بين يدي﴾ أي: الكتاب الذي أنزل من قبلي ﴿ولأُحلَّ لكم بعض الذي حرّم عليكم﴾ أحلَّ لهم على لسان المسيح لحوم الإبل، والثُّروب[1]، وأشياء من الطَّير، والحيتان ممَّا كان محرَّماً في شريعة موسىٰ عليه السَّلام ﴿وجئتكم بآية من ربكم﴾ أيْ: ما كان معه من المعجزات الدَّالَّة على رسالته، ووحَّدَ لأنَّها كلَّها جنسٌ واحدٌ في الدَّلالة.

﴿٥٢﴾ ﴿فلما أَحسَّ عيسىٰ﴾ علم ورأىٰ ﴿منهم الكفر﴾ وذلك أنَّهم أرادوا قتله حين دعاهم إلى الله تعالى، فاستنصر عليهم و ﴿قال مَنْ أنصاري إلى الله﴾ أيْ: مع الله، وفي ذات الله ﴿قال الحواريون﴾ وكانوا قصَّارين يحوّرون الثِّياب، أَيْ: يُبيِّضونها، آمَنوا بعيسىٰ واتَّبعوه: ﴿نحن أنصار الله﴾ أنصار دينه ﴿آمنا بالله واشهد﴾ يا عيسى ﴿بأنا مسلمون﴾. وقوله:

﴿٥٣﴾ ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ مع الذين شهدوا للأنبياء بالصِّدق، والمعنىٰ: أَثْبِتْ أسماءنا مع أسمائهم؛ لنفوز بمثل ما فازوا.

﴿٥٤﴾ ﴿ومكروا﴾ سعوا في قتله بالمكر ﴿ومكر اللَّهُ﴾ جازاهم علىٰ مكرهم بإلقاء شبه

---

(١) الثُّروب: جمع ثَرْب، وهو شحمٌ رقيقٌ يغشىٰ الكرش والأمعاء. تهذيب اللغة ١٥/٧٩.

وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْءَايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ

عيسىٰ علىٰ مَنْ دلَّ عليه حتىٰ أُخذ وصُلب ﴿**والله خير الماكرين**﴾ أفضل المجازين بالسَّيئةِ العقوبةَ، لأنَّه لا أحد أقدر على ذلك منه.

﴿٥٥﴾ ﴿**إذ قال الله يا عيسىٰ**﴾ والمعنىٰ: ومكر الله إذ قال الله يا عيسىٰ: ﴿**إني متوفيك**﴾ أَيْ: قابضك من غير موتٍ وافياً تاماً، أَيْ: لم ينالوا منك شيئاً ﴿**ورافعك إليَّ**﴾ أَيْ: إلىٰ سمائي ومحل كرامتي، فجعل ذلك رفعاً إليه للتَّفخيم والتَّعظيم، كقوله: ﴿إني ذاهبٌ إلىٰ ربي﴾[1] وإنَّما ذهب إلىٰ الشَّام، والمعنىٰ: إلى أمر ربِّي ﴿**ومطهِّرك** من **الذين كفروا**﴾ أَيْ: مُخرجك من بينهم ﴿**وجاعل الذين اتبعوك**﴾ وهم أهل الإسلام من هذه الأمَّة. اتَّبعوا دين المسيح وصدَّقوه بأنَّه رسول الله، فواللّهِ ما اتَّبعه مَنْ دعاه ربّاً ﴿**فوق الذين كفروا**﴾ بالبرهان والحُجَّة والعزِّ والغلبة.

﴿٥٨﴾ ﴿**ذلك**﴾ أَيْ: ما تقدَّم من النَّبأ عن عيسىٰ ومريم عليهما السَّلام ﴿**نتلوه عليك**﴾ نخبرك به ﴿**من الآيات**﴾ أَي: العلامات الدَّالَّة على رسالتك؛ لأنَّها أخبارٌ عن أمورٍ لم يشاهدها ولم يقرأها من كتاب ﴿**والذكر الحكيم**﴾ أَي: القرآن المحكم من الباطل. وقيل: الحكيم: الحاكم، بمعنىٰ المانع من الكفر والفساد.

﴿٥٩﴾ ﴿**إنَّ مثل عيسى...**﴾ الآية. نزلت في وفد نجران حين قالوا للنبيِّ ﷺ: هل

---

(١) سورة الصافات: الآية ٩٩.

عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا

رأيت ولداً من غير ذَكَرٍ؟ فاحتجَّ الله تعالىٰ عليهم بآدم عليه السَّلام[1]، أَيْ: إنَّ قياس خلق عيسىٰ عليه السَّلام من غير ذَكَرٍ كقياس خلق آدم عليه السَّلام، بل الشَّأنُ فيه أعجب؛ لأنَّه خُلق من غير ذكر ولا أنثى، وقوله: ﴿عند الله﴾ أَيْ: في الإِنشاء والخلق، وتَمَّ الكلام عند قوله: ﴿كمثل آدم﴾ ثمَّ استأنف خبراً آخر من قصَّة آدم عليه السَّلام، فقال: ﴿خلقه من تراب﴾ أَيْ: قالباً من تراب ﴿ثم قال له كن﴾ بشراً ﴿فيكون﴾ بمعنىٰ فكان.

﴿٦٠﴾ ﴿الحقُّ من ربِّك﴾ أَي: الذي أَنْبَأْتُكَ من خبر عيسى الحقُّ من ربِّك ﴿فلا تكن من الممترين﴾ أَيْ: من الشَّاكِّين. الخطاب للنبيِّ عليه السَّلام، والمرادُ به نهيُ غيره عن الشَّكِّ.

﴿٦١﴾ ﴿فمن حاجَّك﴾ خاصمك ﴿فيه﴾ في عيسىٰ ﴿من بعد ما جاءَك من العلم﴾ بأنَّ عيسىٰ عبد الله ورسوله ﴿فقل تعالوا﴾ هلمُّوا ﴿ندع أبناءَنا وأبناءَكم﴾ لمَّا احتجَّ الله تعالىٰ علىٰ النَّصارى من طريق القياس بقوله: ﴿إنَّ مثل عيسى عند الله...﴾ الآية أمر النبيَّ ﷺ أن يحتجَّ عليهم من طريق الإِعجاز، فلمَّا نزلت هذه الآية دعا رسولُ الله ﷺ وفد نجران إلى المباهلة، وهي الدُّعاء على الظَّالم من الفريقين، وخرج رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين وعليٌّ وفاطمة عليهم السَّلام وهو يقول لهم: إذا أنا دعوتُ فأمِّنوا، فذلك قوله: ﴿ندع أبناءَنا...﴾ الآية[2].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٣٠٧ عن ابن عباسٍ، وابن جرير ٣/ ٢٩٥ بسندٍ ضعيفٍ. كلاهما من طريق محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي عن أبيه، عن عمه، عن أبيه، عن جده. ومحمد بن سعيد ليِّن الحديث. لسان الميزان ٥/ ١٧٤؛ وأبوه سعد ضعيف الحديث. الجرح والتعديل ٣/ ٤٨.

(٢) حديث المباهلة هذا أخرجه أحمد في فضائل الصحابة ٢/ ٧٧٦ بسندٍ صحيح مرسلٍ عن الحسن، والحاكم مرفوعاً وصححه، ووافقه الذهبي. المستدرك ٣/ ١٥٠؛ وابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٣١١؛ وابن جرير ٣/ ٣٠٠.

وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَـٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾

وقوله: ﴿**وأنفسنا وأنفسكم**﴾ يعني: بني العمِّ ﴿**ثمَّ نبتهل**﴾ نتضرع في الدُّعاء. وقيل: ندعو بالبَهلة، وهي اللَّعنة، فندعو الله باللَّعنةِ على الكاذبين، فلم تُجبه النَّصارىٰ إلىٰ المباهلة خوفاً من اللَّعنة، وقَبِلوا الجزية.

﴿٦٢﴾ ﴿**إنَّ هذا**﴾ الذي أوحيناه إليك ﴿**لهو القصص الحق**﴾ الخبر الصِّدق.

﴿٦٣﴾ ﴿**فإن تولوا**﴾ أعرضوا عمَّا أتيت به من البيان ﴿**فإنَّ الله**﴾ يعلمُ مَنْ يفسد من خلقه فيجازيه على ذلك.

﴿٦٤﴾ ﴿**قل يا أهل الكتاب**﴾ يعني: يهود المدينة، ونصارىٰ نجران ﴿**تعالوا إلى كلمة سواءٍ**﴾ معنىٰ الكلمة: كلامٌ فيه شرحُ قصَّةٍ ﴿**سواءٍ**﴾ عدلٍ ﴿**بيننا وبينكم**﴾ ثمَّ فسَّر الكلمة فقال: ﴿**ألَّا نعبدَ إلَّا الله ولا نشرك به شيئاً**﴾ أَيْ: لا نعبد معه غيره ﴿**ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله**﴾ كما اتَّخذت النَّصارىٰ عيسىٰ، وبنو إسرائيل عُزيراً. وقيل: لا نطيع أحداً في معصية الله، كما قال الله في صفتهم لمَّا أطاعوا في معصيته علماءهم: ﴿اتخذوا أحبارهم...﴾ الآية[1]. ﴿**فإن تولوا**﴾ أعرضوا عن الإجابة ﴿**فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون**﴾ مُقِرُّون بالتَّوحيد.

---

(١) الآية: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللَّهِ والمسيحَ ابن مريم، وما أمروا إلَّا ليعبدوا إلّهاً واحداً﴾ [سورة التوبة: الآية ٣١].

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾

---

(٦٥) **﴿يا أهل الكتاب لمَ تحاجون في إبراهيم﴾**. نزلت[١] لمَّا تنازعت اليهود والنَّصارىٰ مع رسول الله ﷺ في إبراهيم عليه السَّلام، فقالت اليهود: ما كان إبراهيم إلَّا يهوديَّاً، وقالت النَّصارىٰ: ما كان إلَّا نصرانيَّاً، وقوله: **﴿وما أنزلت التوراة والإنجيل إلَّا من بعده﴾** أَيْ: إنَّ اليهوديَّة والنَّصرانيَّة حدثتا بعد نزول الكتابين، وإنَّما نزلا بعد موته بزمانٍ طويلٍ. **﴿أفلا تعقلون﴾** فساد هذه الدَّعوىٰ.

(٦٦) **﴿ها أنتم﴾** أَيْ: أنتم **﴿هؤلاء﴾** أَيْ: يا هؤلاء **﴿حاججتم﴾** جادلتم وخاصمتم **﴿فيما لكم به علم﴾** يعني: ما وجدوه في كتبهم وأُنزل عليهم بيانه وقصَّته **﴿فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم﴾** من شأن إبراهيم عليه السَّلام، وليس في كتابكم أنَّه كان يهوديَّاً أو نصرانيَّاً **﴿والله يعلمُ﴾** شأن إبراهيم **﴿وأنتم لا تعلمون﴾** ثمَّ بيَّن حاله فقال:

(٦٧) **﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً...﴾** الآية، ثمَّ جعل المسلمين أحقَّ النَّاس به، فقال:

(٦٨) **﴿إنَّ أولىٰ الناس بإبراهيم﴾** أَيْ: أقربهم إليه وأحقَّهم به **﴿للذين اتبعوه﴾** علىٰ دينه وملَّته **﴿وهذا النبيُّ﴾** محمَّدٌ ﷺ **﴿والذين آمنوا﴾** أَيْ: فهم الذين ينبغي أن يقولوا: إنَّا على دين إبراهيم عليه السَّلام.

---

(١) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن جرير ٣/ ٣٠٥، وفيه محمد بن أبي محمد مولىٰ زيد بن ثابت مجهول. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٣١٩ عن مجاهد بسندٍ حسنٍ، وكذا ابن جرير ٣/ ٣٠٥ عن مجاهد.

وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ

﴿٦٩﴾ **﴿ودَّت طائفةٌ من أهل الكتاب لو يضلونكم﴾** أراد اليهود أن يستزلُّوا المسلمين عن دينهم ويردُّوهم إلى الكفر، فنزلت هذه الآية. **﴿وما يضلون إلَّا أنفسهم﴾** لأنَّ المؤمنين لا يقبلون قولهم، فيحصل الإثم عليهم بتمنِّيهم إضلال المؤمنين **﴿وما يشعرون﴾** أنَّ هذا يضرُّهم ولا يضرُّ المؤمنين.

﴿٧٠﴾ **﴿يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله﴾** أيْ: بالقرآن **﴿وأنتم تشهدون﴾** بما يدلُّ علىٰ صحَّته من كتابكم؛ لأنَّ فيه نعتَ محمَّدٍ عليه السَّلام وذكره.

﴿٧١﴾ **﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون﴾** ذُكر في سورة البقرة[١].

﴿٧٢﴾ **﴿وقالت طائفة من أهل الكتاب...﴾** الآية. وذلك أنَّ جماعةً من اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمَّدٍ والقرآنِ في أوَّل النَّهار، وارجعوا عنه في آخر النهار؛ فإنَّه أحرىٰ أن ينقلب أصحابه عن دينه ويشكُّوا إذا قلتم: نظرنا في كتابكم فوجدنا محمَّداً ليس بذاك، فأطلع الله نبيَّه عليه السَّلام علىٰ سرِّ اليهود ومكرهم بهذه الآية[٢].

﴿٧٣﴾ **﴿ولا تؤمنوا﴾** هذا حكايةٌ من كلام اليهود بعضهم لبعض. قالوا: لا تُصدِّقوا ولا تُقِرّوا بـ **﴿أنْ يؤتىٰ أحدٌ مثل ما أوتيتم﴾** من العلم والحكمة، والكتاب، والحجَّة، والمنِّ والسَّلوىٰ، والفضائل والكرامات **﴿إلَّا لمن تبع دينكم﴾** اليهوديَّة وقام

---

(١) انظر ص ١٠٢.

(٢) وهذا قول السدي. انظر: ابن جرير ٣/ ٣١١؛ وتفسير ابن أبي حاتم لسورة آل عمران ص ٣٣٧؛ وأسباب النزول ص ١٤٢.

قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

بشرائعه، وقوله: ﴿قل إنَّ الهدىٰ هدى الله﴾ اعتراضٌ بين المفعول وفعله، وهو من كلام الله تعالىٰ، وليس من كلام اليهود، ومعناه: إنَّ الدِّين دين الله، وقوله: ﴿أو يحاجُّوكم﴾ عطف على قوله: ﴿أن يؤتىٰ﴾ والمعنىٰ: ولا تؤمنوا بأن يحاجُّوكم عند ربكم؛ لأنَّكم أصحُّ ديناً منهم، فلا يكون لهم الحجَّة عليكم، فقال الله تعالىٰ: ﴿قل إنَّ الفضل بيد الله﴾ أَيْ: ما تفضَّل الله به عليك وعلىٰ أُمَّتك.

﴿٧٤﴾ ﴿يختصُّ برحمته﴾ بدينه الإسلام ﴿مَنْ يشاء والله ذو الفضل﴾ علىٰ أوليائه ﴿العظيم﴾ لأنَّه لا شيءَ أعظمُ عند الله من الإسلام، ثمَّ أخبر عن اختلاف أحوالهم في الأمانة والخيانة بقوله:

﴿٧٥﴾ ﴿ومِنْ أهل الكتاب مَنْ إنْ تأمنه بقنطارٍ يؤدِّه إليك﴾ يعني: عبد الله بن سلام، أُودع ألفاً ومائتي أوقية من ذهب، فأدَّىٰ الأمانة فيه إلىٰ مَنْ ائتمنه ﴿ومنهم من إنْ تأمنه بدينار لا يؤدِّه إليك﴾ يعني: فنحاص بن عازوراء، أودع ديناراً فخانه ﴿إلَّا ما دمت عليه قائماً﴾ على رأسه بالاجتماع معه، فإن أنظرته وأخَّرته أنكر. ﴿ذلك﴾ أَي: الاستحلال والخيانة ﴿بأنَّهم﴾ يقولون: ﴿ليس علينا﴾ فيما أصبنا من أموال العرب شيءٌ؛ لأنَّهم مشركون، فالأميُّون في هذه الآية العرب كلُّهم، ثمَّ كذَّبهم الله تعالىٰ في هذا، فقال: ﴿ويقولون على الله الكذب﴾ لأنَّهم ادَّعوا أنَّ ذلك في كتابهم وكذبوا، فإنَّ الأمانة مؤدَّاة في كلِّ شريعة ﴿وهم يعلمون﴾ أنَّهم يكذبون، ثمَّ ردَّ عليهم قولهم: ﴿ليس علينا في الأُميِّين سبيل﴾ بقوله:

بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَـٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ

---

(٧٦) ﴿**بلىٰ**﴾ أَيْ: بلىٰ عليهم سبيل [في ذلك][(١)]، ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿**مَنْ أوفىٰ بعهده**﴾ أَيْ: بعهد الله الذي عهد إليه في التَّوراة من الإيمان بمحمدٍ عليه السَّلام والقرآن، وأَدَّىٰ الأمانة، واتَّقىٰ الكفر والخيانة، ونَقْضَ العهد ﴿**فإنَّ الله يحب المتقين**﴾ أَيْ: مَنْ كان بهذه الصفة.

(٧٧) ﴿**إنَّ الذين يشترون بعهد الله**﴾ نزلت في رجلين[(٢)] اختصما إلىٰ النبيِّ ﷺ في ضَيعةٍ، فهمَّ المدَّعَىٰ عليه أن يحلف، فنزلت هذه الآية فنكل [المُدَّعىٰ عليه][(٣)] عن اليمين وأقرَّ بالحقِّ، ومعنىٰ ﴿**يشترون**﴾ يستبدلون، ﴿**بعهد الله**﴾ بوصيته للمؤمنين أن لا يحلفوا كاذبين باسمه ﴿**وأيمانهم**﴾ جميع اليمين، وهو الحلف ﴿**ثمناً قليلاً**﴾ من الدُّنيا ﴿**أولئك لا خلاق لهم في الآخرة**﴾ أَيْ: لا نصيب لهم فيها ﴿**ولا يكلِّمهم الله**﴾ بكلامٍ يسرُّهم ﴿**ولا ينظر إليهم**﴾ بالرَّحمة. وأكثر المفسرين على أنَّ الآية نزلت في اليهود، وكتمانهم أمر محمد ﷺ وإيمانهم الذي بدَّلوه من صفة محمد عليه السَّلام هو الحقُّ في التَّوراة، والدَّليل على صحَّة هذا قوله:

(٧٨) ﴿**وإنَّ منهم**﴾ أَيْ: من اليهود ﴿**لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب**﴾ يحرِّفونه بالتَّغيير والتَّبديل، والمعنىٰ: يلوون ألسنتهم عن سنن الصَّواب بما يأتونه به من عند أنفسهم ﴿**لتحسبوه**﴾ أَيْ: لتحسبوا ما لووا ألسنتهم به ﴿**من الكتاب**﴾.

---

(١) زيادة من المخطوطات كلها عدا ع.

(٢) هما الأشعث بن قيس وصاحبه، والحديث أخرجه البخاري في التفسير ٨/٢١٣؛ ومسلم برقم ٢٢٠؛ وأبو داود برقم ٣٢٤٣؛ والنسائي في تفسيره ١/٣٠٠؛ وأحمد ١/٣٧٧.

(٣) زيادة من ظ وظا.

وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ

﴿٧٩﴾ ﴿ما كان لبشرٍ...﴾ الآية. لمَّا ادَّعت اليهود أنَّهم على دين إبراهيم عليه السَّلام، وكذَّبهم الله تعالىٰ غضبوا وقالوا: ما يرضيك منَّا يا محمد إلاَّ أَنْ نتَّخذك ربّاً، فقال رسول الله ﷺ: معاذَ الله أَنْ نأمر بعبادة غير الله، ونزلت هذه الآية(1). ﴿ما كان لبشر﴾ أن يجمع بين هذين: بين النبوَّة وبين دُعاء الخلق إلى عبادة غير الله ﴿ولكن﴾ يقول: ﴿كونوا ربانيين...﴾ الآية. أَيْ: يقول: كونوا معلِّمي الناس بعلمكم ودرسكم، علِّموا النَّاس وبيِّنوا لهم، وكذا كان يقول النَّبيُّ ﷺ لليهود؛ لأنَّهم كانوا أهل كتاب يعلمون ما لا تعلمه العرب.

﴿٨٠﴾ ﴿ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أرباباً﴾ كما فعلت النَّصارىٰ والصَّابئون ﴿أيأمركم بالكفر﴾ استفهامٌ معناه الإِنكار، أَيْ: لا يفعل ذلك ﴿بعد إذ أنتم مسلمون﴾ بعد إسلامكم.

﴿٨١﴾ ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب﴾ «ما» ها هنا للشرط، والمعنىٰ: لئن آتيتكم شيئاً من كتاب وحكمة، ومهما آتيتكم ﴿ثمَّ جاءكم رسولٌ مصدِّق لما معكم لتؤمننَّ به﴾ ويريد بميثاق النَّبيِّين عهدهم ليشهدوا لمحمد عليه السَّلام أنَّه رسول الله ﷺ، وهو قوله: ﴿ثمَّ جاءكم رسولٌ مصدقٌ لما معكم﴾ يريد محمداً ﴿لتؤمننَّ به ولتنصرنَّه﴾ أَيْ: إن أدركتموه ولم يبعث الله نبيّاً إلاَّ أخذ عليه العهد في

---

(1) أخرجه ابن جرير ٣/٣٢٥ عن ابن عباس، عن أبي رافع القرظي. وفيه محمد بن أبي محمد مجهول. وانظر: أسباب النزول ص ١٤٦؛ ولباب النقول ص ٥٤.

قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾

محمَّدٍ عليه السَّلام، وأمره بأنْ يأخذ العهد على قومه لَيُؤمننَّ به، ولئنْ بُعث وهم أحياءٌ لينصرنَّه، وهذا احتجاجٌ على اليهود، وقوله: ﴿أأقررتم﴾ أَيْ: قال الله للنَّبيِّين: أقررتم بالإِيمان به والنُّصرة له ﴿وأخذتم على ذلكم إصري﴾ أَيْ: قبلتم عهدي؟ ﴿قالوا أقررنا قال فاشهدوا﴾ أَي: علىٰ أنفسكم وعلىٰ أتباعكم ﴿وأنا معكم من الشاهدين﴾ عليكم وعليهم.

﴿٨٢﴾ ﴿فَمَن تولىٰ﴾ أعرض من ﴿بعد ذلك﴾ بعد أخذ الميثاق وظهور آيات النبيِّ ﷺ ﴿فأولئك هم الفاسقون﴾ الخارجون عن الإِيمان.

﴿٨٣﴾ ﴿أفغير دين الله يبغون﴾ بعد أخذ الميثاق عليهم بالتَّصديق بمحمَّد عليه السَّلام ﴿وله أسلم مَنْ في السموات والأرض طوعاً﴾ الملائكة والمسلمون ﴿وكرهاً﴾ الكفَّار في وقت البأس ﴿وإليه يُرجعون﴾ وعيدٌ لهم، أَيْ: أيبغون غير دين الله مع أنَّ مرجعهم إليه؟

﴿٨٤﴾ ﴿قل آمنا بالله﴾ أُمِرَ النَّبيُّ ﷺ أن يقول: آمنَّا بالله وبجميع الرُّسل من غير تفريقٍ بينهم في الإِيمان كما فعلت اليهود والنَّصارى، ونظير هذه الآية قد مضىٰ في سورة البقرة[1].

---

(١) انظر ص ١٣٣.

كَيْفَ يَهْدِي ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾

---

(٨٦) ﴿**كيف يهدي الله**﴾ هذا استفهامٌ معناه الإنكار، أَيْ: لا يهدي الله ﴿**قوماً كفروا بعد إيمانهم**﴾ أَي: اليهود كانوا مؤمنين بمحمَّدٍ عليه السَّلام قبل مبعثه، فلمَّا بُعث كفروا به، وقوله: ﴿**وشهدوا**﴾ أَيْ: وبعد أنْ شهدوا ﴿**أنَّ الرسول حقٌّ وجاءهم البينات**﴾ ما بيِّن في التَّوراة ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ أَيْ: لا يرشد مَنْ نقض عهود الله بظلم نفسه.

(٨٧) ﴿**أولئك جزاؤهم أنَّ عليهم لعنة الله**﴾ مثل هذه الآية ذُكر في سورة البقرة[1].

(٨٩) ﴿**إلَّا الذين تابوا من بعد ذلك**﴾ أَيْ: راجعوا الإيمان بالله وتصديق نبيِّه ﴿**وأصلحوا**﴾ أعمالهم.

(٩٠) ﴿**إنَّ الذين كفروا بعد إيمانهم**﴾ وهم اليهود ﴿**ثم ازدادوا كفراً**﴾ بالإقامة علىٰ كفرهم ﴿**لن تقبل توبتهم**﴾ لأنّهم لا يتوبون إلَّا عند حضور الموت، وتلك التَّوبة لا تُقبل.

(٩١) ﴿**إنَّ الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً**﴾ وهو القدر الذي يملؤها. يقول: لو افتدىٰ من العذاب بملء الأرض ذهباً لم يُقبل منه.

---

(١) انظر ص ١٤١.

لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ۞ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُواْ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩٤﴾

الجزء الرابع:

﴿٩٢﴾ **﴿لن تنالوا البر﴾** [التقوىٰ. وقيل:][1] أي: الجنَّة **﴿حتىٰ تنفقوا مما تحبون﴾** أيْ: تُخرجوا زكاة أموالكم.

﴿٩٣﴾ **﴿كلُّ الطعام كان حلاًّ لبني إسرائيل﴾** أيْ: حلالاً **﴿إلاَّ ما حرَّم إسرائيل علىٰ نفسه من قبل أن تنزل التوراة﴾** وذلك أنَّ يعقوب عليه السَّلام مرض مرضاً شديداً، فنذر لئن عافاه الله تعالى لَيُحرِّمنَّ أحبَّ الطَّعام والشَّراب إليه، وكان أحبَّ الطَّعام والشَّراب إليه لحمانُ الإبل وألبانها، فلمَّا ادَّعىٰ النَّبيُّ ﷺ أنَّه علم دين إبراهيم عليه السَّلام قالت اليهود: كيف وأنت تأكل لحوم الإبل وألبانها؟ فقال النَّبيُّ عليه السَّلام: كان ذلك حلالاً لإبراهيم عليه السَّلام، فادَّعت اليهود أنَّ ذلك كان حراماً عليه، فأنزل الله تعالى تكذيباً لهم[2]، وبيَّن أنَّ ابتداء هذا التَّحريم لم يكن في التَّوراة، إنَّما كان قبل نزولها، وهو قوله: **﴿من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتَّوراة. . .﴾** الآية.

﴿٩٤﴾ **﴿فمن افترىٰ على الله الكذب﴾** أَيْ: بإضافة هذا التَّحريم إلى الله عزَّ وجلَّ على إبراهيم في التَّوراة **﴿من بعد ذلك﴾** من بعد ظهور الحجَّة بأنَّ التَّحريم إنَّما كان من جهة يعقوب عليه السَّلام **﴿فأولئك هم الظالمون﴾** أنفسهم.

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) أخرجه أحمد ١/٢٤٧؛ والطبراني في المعجم الكبير ٢/٢٤٦؛ وابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٣٩٦؛ وابن جرير ٤/٢ عن ابن عباس.
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/٢٤٢: ورجاله ثقات.

قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ فَرِيقًا

﴿٩٥﴾ ﴿قل صدق الله﴾ في هذا وفي جميع ما أخبر به.

﴿٩٦﴾ ﴿إنَّ أوَّل بيتٍ وُضع للناس﴾ يُحَجُّ إليه ﴿للذي ببكة﴾ مكَّة ﴿مباركاً﴾ كثير الخير، بأن جُعل فيه وعنده البركة ﴿وهدىً﴾ وذا هدىً ﴿للعالمين﴾ لأنَّه قِبلة صلاتهم، ودلالةٌ على الله بما جعل عنده من الآيات.

﴿٩٧﴾ ﴿فيه آياتٌ بيناتٌ﴾ أَي: المشاعر والمناسك كلُّها، ثمَّ ذكر بعضها فقال: ﴿مقام إبراهيم﴾ أَيْ: منها مقام إبراهيم ﴿ومَنْ دخله كان آمناً﴾ أَيْ: مَنْ حجَّه فدخله كان آمناً من الذُّنوب التي اكتسبها قبل ذلك. وقيل: من النَّار ﴿ولله على الناس حج البيت﴾ عمَّم الإيجاب ثمَّ خصَّ، وأبدل من النَّاس فقال: ﴿من استطاع إليه سبيلاً﴾ يعني: مَنْ قوي في نفسه، فلا تلحقه المشقَّة في الكون على الرَّاحلة، فمَنْ كان بهذه الصِّفة وملك الزَّاد والرَّاحلة وجب عليه الحج ﴿ومَنْ كفر﴾ جحد فرض الحجِّ ﴿فإنَّ الله غنيٌّ عن العالمين﴾.

﴿٩٩﴾ ﴿قل يا أهل الكتاب لم تصدُّون عن سبيل الله مَنْ آمن﴾ كان صدُّهم عن سبيل الله بالتَّكذيب بالنَّبيِّ ﷺ، وأنَّ صفته ليست في كتابهم ﴿تبغونها عوجاً﴾ تطلبون لها عوجاً بالشُّبَه التي تلبسونها على سفلتكم ﴿وأنتم شهداء﴾ بما في التَّوراة أنَّ دين الله الإسلام.

﴿١٠٠﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنْ تطيعوا فريقاً...﴾ الآية. نزلت في الأوس والخزرج حين

مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً

أغرىٰ قومٌ من اليهود بينهم ليفتنوهم عن دينهم[١]، ثمَّ خاطبهم فقال:

﴿١٠١﴾ **﴿وكيف تكفرون﴾** أَيْ: علىٰ أيِّ حالٍ يقع منكم الكفر وآياتُ الله التي تدلُّ على توحيده تُتلىٰ عليكم **﴿وفيكم رسوله ومَنْ يعتصم بالله﴾** يؤمن بالله.

﴿١٠٢﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقَّ تقاته﴾** وهو أَنْ يُطاع فلا يُعصىٰ، ويُذكر فلا يُنسىٰ، ويُشكر فلا يُكفر[٢]، فلما نزل هذا قال أصحابُ النبيِّ ﷺ: ومَنْ يقوىٰ علىٰ هذا؟ وشقَّ عليهم، فأنزل الله تعالى: **﴿فاتَّقوا الله ما استطعتم﴾**[٣] فنسخت الأولىٰ[٤] **﴿ولا تموتنَّ إلَّا وأنتم مسلمون﴾** أَيْ: كونوا علىٰ الإسلام حتىٰ إذا أتاكم الموت صادفكم عليه، وهو في الحقيقةِ نهيٌ عن ترك الإسلام.

﴿١٠٣﴾ **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً﴾** أَيْ: تمسَّكوا بدين الله، والخطاب للأوس والخزرج **﴿ولا تفرقوا﴾** كما كنتم في الجاهليَّة مُقتتلين على غير دين الله **﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾** بالإسلام **﴿إذ كنتم أعداءً﴾** يعني: ما كان بين الأوس والخزرج من

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٤٣٨؛ وابن جرير ٤/ ٢٥ عن مجاهد؛ وانظر الأسباب ص ١٤٩.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ص ٤٤٦ عن عبد الله بن مسعود؛ والحاكم ٢/ ٢٩٤ وصححه ووافقه الذهبي؛ والطبراني في الكبير ٩/ ٨٣؛ وابن المبارك في الزهد ص ٨؛ وابن جرير ٤/ ٢٨.

(٣) سورة التغابن: الآية ١٦.

(٤) وهذا قول قتادة، والربيع بن أنس، والسدي، وابن زيد. قال مكي القيسي: وأكثر العلماء علىٰ أنَّه محكمٌ لا نسخ فيه، لأنَّ الأمر بتقوىٰ الله لا ينسخ، والآيتان ترجعان إلى معنىً واحد. انظر: تفسير ابن أبي حاتم لسورة آل عمران ص ٤٤٩؛ والناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٠٧؛ والإيضاح ص ٢٠٣؛ والناسخ والمنسوخ لهبة الله ص ٣٠.

فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾

الحرب إلىٰ أن أَلَّفَ الله بين قلوبهم بالإسلام، فزالت تلك الأحقاد، وصاروا إخواناً مُتوادِّين، فذلك قوله: ﴿**فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار**﴾ أَيْ: طرف حفرةٍ من النَّار لو متم علىٰ ما كنتم عليه ﴿**فأنقذكم**﴾ فنجَّاكم ﴿**منها**﴾ بالإسلام وبمحمد عليه السَّلام ﴿**كذلك**﴾ أَيْ: مثل هذا البيان الذي تُلي عليكم ﴿**يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون**﴾.

﴿١٠٤﴾ ﴿**ولتكن منكم أمة...**﴾ الآية. أَيْ: وليكن كلُّكم كذلك، ودخلت «مِنْ» لتخصيص المخاطبين من غيرهم.

﴿١٠٥﴾ ﴿**ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا**﴾ أَي: اليهود والنَّصارىٰ ﴿**واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات**﴾ أَيْ: إنَّ اليهود اختلفوا بعد موسىٰ، فصاروا فرقاً، وكذلك النَّصارىٰ.

﴿١٠٦﴾ ﴿**يومَ تبيض وجوه**﴾ أَيْ: وجوه المهاجرين والأنصار ومَنْ آمنَ بمحمدٍ عليه السَّلام، ﴿**وتسودّ وجوه**﴾ اليهود والنَّصارى ومَنْ كفر به. ﴿**فأمَّا الذين اسودَّت وجوههم**﴾ فيقال لهم: ﴿**أكفرتم بعد إيمانكم**﴾ لأنَّهم شهدوا لمحمدٍ عليه السَّلام بالنُّبوَّة، فلمَّا قدم عليهم كذَّبوه وكفروا به.

﴿١٠٧﴾ ﴿**وأمَّا الذين ابيضَّت وجوههم ففي رحمة الله**﴾ أَيْ: جنَّته.

﴿١٠٨﴾ ﴿**تلك آيات الله**﴾ أَي: القرآن ﴿**نتلوها عليك**﴾ نُبيِّنها ﴿**بالحقِّ**﴾ بالصِّدق ﴿**وما الله يريد ظلماً للعالمين**﴾ فيعاقبهم بلا جرمٍ.

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ۞ لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾

---

(١١٠) ﴿**كنتم خير أمة**﴾ عند الله في اللَّوح المحفوظ. يعني: أمَّة محمَّدٍ ﷺ ﴿**أُخرجت للناس**﴾ أُظهرت لهم، وما أَخرج الله تعالىٰ للنَّاس أُمَّة خيراً من أُمَّة محمَّد عليه السَّلام، ثمَّ مدحهم بما فيهم من الخصال فقال: ﴿**تأمرون بالمعروف...**﴾ الآية.

(١١١) ﴿**لن يضرُّوكم**﴾ أَي: اليهود ﴿**إلاَّ أذىً**﴾ إلاَّ ضرراً يسيراً باللِّسان، مثل الوعيد والبهت ﴿**وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار**﴾ منهزمين. وعد الله نبيَّه والمؤمنين النُّصرة على اليهود، فصدق وعده فلم يقاتل يهود المدينة رسول الله ﷺ إلاَّ انهزموا.

(١١٢) ﴿**ضربت عليهم الذلة**﴾ ذكرناه[١] ﴿**أينما ثقفوا**﴾ وُجدوا وصُودفوا ﴿**إلاَّ بحبل من الله**﴾ أَيْ: لكن قد يعتصمون بالعهد [إذا أعطوه، والمعنىٰ: أنَّهم أذلاء في كلِّ مكان إلاَّ أنَّهم يعتصمون بالعهد][٢]، والمراد: ﴿**بحبلٍ من الله وحبلٍ من الناس**﴾ العهد والذِّمَّة والأمان الذي يأخذونه من المؤمنين بإذن الله، وباقي الآية ذُكر في سورة البقرة[٣]، ثمَّ أخبر أنَّهم غير متساوين في دينهم فقال:

(١١٣) ﴿**ليسوا سواء**﴾ وأخبر أنَّ منهم المؤمنين فقال: ﴿**من أهل الكتاب أمة قائمة**﴾ أَيْ: على الحقِّ ﴿**يتلون**﴾ يقرؤون ﴿**آيات الله**﴾ كتاب الله ﴿**آناء الليل**﴾ ساعاته. يعني: عبد الله بن سلام ومَنْ آمن معه من أهل الكتاب ﴿**وهم يسجدون**﴾ أَيْ: يُصلُّون.

---

(١) انظر ص ١٠٩.

(٢) زيادة من ظ، وظا.

(٣) انظر ص ١١٠.

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَٰئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ

﴿١١٥﴾ ﴿**وما تفعلوا من خيرٍ فلن تكفروه**﴾[١] لن تُجحدوا جزاءه.

﴿١١٦﴾ ﴿**إنَّ الذين كفروا...**﴾ الآية. سبقت في أوَّل هذه السورة[٢].

﴿١١٧﴾ ﴿**مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا**﴾ يعني: نفقة سفلة اليهود على علمائهم ﴿**كمثل ريح فيها صرٌّ**﴾ بردٌ شديدٌ ﴿**أصابت حرث قومٍ ظلموا أنفسهم**﴾ بالكفر والمعصية. أعلم الله تعالىٰ أنَّ ضرر نفقتهم عليهم كضرر هذه الرِّيح على هذا الزَّرع ﴿**وما ظلمهم الله**﴾ لأنَّ كلَّ ما فعله بخلقه فهو عدلٌ منه ﴿**ولكن أنفسهم يظلمون**﴾ بالكفر والعصيان، ثمَّ نهىٰ المؤمنين عن مباطنتهم فقال:

﴿١١٨﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة**﴾ أَيْ: دخلاً وخواصَّ ﴿**من دونكم**﴾ من غير أهل ملَّتكم ﴿**لا يألونكم خبالاً**﴾ أَيْ: لا يدعون جهدهم في مضرَّتكم وفسادكم ﴿**ودُّوا ما عنتم**﴾ تمنَّوا ضلالكم عن دينكم ﴿**قد بدت البغضاء**﴾ أَيْ: ظهرت العداوة ﴿**من أفواههم**﴾ بالشَّتيمة والوقيعة في المسلمين ﴿**وما تخفي صدورهم**﴾ من العداوة والخيانة ﴿**أكبر قد بيَّنا لكم الآيات**﴾ أَيْ: علامات اليهود في عداوتهم

---

(١) قرأ بالتاء في ﴿تفعلوا﴾ و ﴿تكفروه﴾: نافع وابن كثير وابن عامر، وأبو عمرو، وشعبة عن عاصم، وأبو جعفر ويعقوب. راجع الإتحاف ١/٤٨٦.

(٢) انظر ص ٢٠٠.

إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا

﴿إن كنتم تعقلون﴾ موقع نفع البيان.

﴿١١٩﴾ ﴿ها أنتم﴾ «ها» تنبيهٌ دخل على «أنتم» ﴿أولاء﴾ بمعنىٰ: الذين. كأنَّه قيل: الذين ﴿تحبُّونهم ولا يحبُّونكم﴾ أَيْ: تريدون لهم الإسلام، وهم يريدونكم على الكفر ﴿وتؤمنون بالكتاب كلِّه﴾ أَيْ: بالكتب، وهو اسم جنسٍ ﴿وإذا خلوا عضُّوا عليكم الأنامل﴾ أَيْ: أطراف الأصابع ﴿من الغيظ﴾ التَّقدير: عضُّوا الأنامل من الغيظ عليكم، وذلك لما يرون من ائتلاف المؤمنين واجتماع كلمتهم ﴿قل موتوا بغيظكم﴾ أمر الله تعالىٰ نبيَّه أن يدعو عليهم بدوام غيظهم إلىٰ أن يموتوا ﴿إنَّ الله عليمٌ بذات الصدور﴾ بما فيها من خيرٍ وشرٍّ.

﴿١٢٠﴾ ﴿إن تمسسكم حسنةٌ﴾ نصرٌ وغنيمةٌ ﴿تسؤهم﴾ تحزنهم ﴿وإنْ تصبكم سيئة﴾ ضد ذلك، وهو كسرٌ وهزيمةٌ ﴿يفرحوا بها وإن تصبروا﴾ علىٰ ما تسمعون من آذاهم ﴿وتتقوا﴾ مقاربتهم ومخالطتهم ﴿لا يضرُّكم كيدهم﴾ عداوتهم ﴿شيئاً إنَّ الله بما يعملون محيط﴾ عالمٌ به فلن تعدموا جزاءه.

﴿١٢١﴾ ﴿وإذ غدوت﴾ يعني: يوم أُحدٍ ﴿من أهلك﴾ من منزل عائشة رضي الله عنها ﴿تبوِّىء﴾ تُهيِّىءُ للمؤمنين ﴿مقاعد﴾ مراكز ومثابت ﴿للقتال والله سميع﴾ لقولكم ﴿عليم﴾ بما في قلوبكم.

﴿١٢٢﴾ ﴿إذ همَّت طائفتان منكم﴾ بنو سَلِمة وبنو حارثة[1] ﴿أن تفشلا﴾ أَنْ تجبنا، وذلك

(١) عن جابر بن عبد الله قال: فينا نزلت: ﴿إذ همَّت طائفتان منكم أن تفشلا والله وليهما﴾، قال:

وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ

أنَّ هؤلاء همُّوا بالانصراف عن الحرب، فعصمهم الله ﴿والله وليُّهما﴾ ناصرهما ومُوالٍ لهما ﴿وعلىٰ الله فليتوكل﴾ فليعتمد في الكفاية ﴿المؤمنون﴾.

﴿١٢٣﴾ ﴿ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلَّةٌ﴾ بقلَّة العدد وقلَّة السِّلاح ﴿فاتقوا الله لعلكم تشكرون﴾ أَيْ: فاتقونِ فإنه شكر نعمتي.

﴿١٢٤﴾ ﴿إذ تقول للمؤمنين﴾ يوم بدرٍ: ﴿ألن يكفيكم أنْ يمدَّكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين﴾.

﴿١٢٥﴾ ﴿بلىٰ﴾ تصديقٌ لوعد الله ﴿إن تصبروا﴾ على لقاء العدوِّ ﴿وتتقوا﴾ معصية الله ومخالفة النبيِّ عليه السَّلام [﴿ويأتوكم من فورهم﴾ قيل: من وجههم. وقيل: من غيظهم][1] ﴿يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسوِّمين﴾ مُعلَّمين، وكانت الملائكة قد سوَّمت يوم بدر بالصُّوف الأبيض في نواصي الخيل وأذنابها[2]، ثمَّ صبر المؤمنون يوم بدر فأُمدّوا بخمسة آلاف من الملائكة.

﴿١٢٦﴾ ﴿وما جعله الله﴾ أَيْ: ذلك الإمداد ﴿إلَّا بشرىٰ﴾ أَيْ: بشارةً لكم ﴿ولتطمئن

= نحن الطائفتان، بنو حارثة وبنو سَلِمة، وما يسرُّني أنَّها لم تنزل لقول الله: ﴿والله وليهما﴾. أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/ ٣٢٥ ومسلم في فضائل الأنصار برقم ٢٥٠٥؛ وابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٥١١، وابن جرير ٤/ ٧٣.

(١) زيادة من ظ.

(٢) وهذا قول عليّ بن أبي طالب. أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٥٢٥؛ وأخرجه ابن جرير ٤/ ٨٣ عن ابن عباس.

قُلُوبُكُم بِهِۦ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا۟ خَآئِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ

قلوبكم به﴾ فلا تجزع من كثرة العدو **﴿وما النصر إلاَّ مِنْ عند الله﴾** لأنَّ مَنْ لم ينصره الله فهو مخذولٌ وإنْ كثرت أنصاره.

(١٢٧) **﴿ليقطع طرفاً﴾** أَيْ: نصركم ببدرٍ [ليقطع طرفاً، أي:][1] ليهدم ركناً من أركان الشِّرك بالقتل والأسر **﴿أو يكبتهم﴾** أَيْ: يخزيهم ويُذلَّهم. يعني: الذين انهزموا. قوله:

(١٢٨) **﴿ليس لك من الأمر شيءٌ...﴾** الآية. لمَّا كان يوم أُحدٍ من المشركين ما كان من كسر رباعيَّة النبيِّ ﷺ وشجِّه، فقال: كيف يفلح قومٌ خضبوا وجه نبيِّهم وهو يدعوهم إلى ربِّهم؟! فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[2] يُعلمه أنَّ كثيراً منهم سيؤمنون، والمعنىٰ: ليس لك من الأمر في عذابهم أو استصلاحهم شيءٌ، حتىٰ يقع إنابتهم أو تعذيبهم، وهو قوله: **﴿أو يتوب عليهم أو يعذبهم﴾** فلمَّا نفىٰ الأمر عن نبيِّه عليه السَّلام ذكر أنَّ جميع الأمر له، فمَنْ شاء عذَّبه، ومن شاء غفر له، وهو قوله:

(١٢٩) **﴿ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء﴾** أي: الذَّنب العظيم للموحِّدين **﴿ويعذّب من يشاء﴾** يريد: المشركين على الذَّنب الصَّغير **﴿والله غفورٌ﴾** لأوليائه **﴿رحيمٌ﴾** بهم.

(١٣٠) **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا...﴾** الآية. هو أنَّهم كانوا يزيدون على المال

---

(١) زيادة من عا وظا.

(٢) الحديث أخرجه أحمد ٣/٢٥٣؛ والبخاري في المغازي. فتح الباري ٧/٣٦٥؛ ومسلم برقم ١٧٩١؛ والنسائي في تفسيره ١/٣٢٩؛ والترمذي في التفسير. عارضة الأحوذي ١١/ ١٣٠.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ

ويؤخِّرون الأجل، كلَّما أُخِّر أجلٌ إلى غيره زِيد في المال زيادةٌ **﴿لعلكم تفلحون﴾** لكي تسعدوا وتبقوا في الجنَّة.

﴿١٣١﴾ **﴿واتقوا النَّار﴾** بتحريم الرِّبا وترك الاستحلال له **﴿التي أعدَّت للكافرين﴾** دون المؤمنين.

﴿١٣٣﴾ **﴿وسارعوا إلىٰ مغفرةٍ من ربكم﴾** أَي: الإِسلامِ الذي يوجب المغفرة. وقيل: إلى التَّوبة. وقيل: إلى أداء الفرائض **﴿وجنَّة عرضها السموات والأرض أُعدّت﴾** لكلِّ واحدٍ من أولياء الله.

﴿١٣٤﴾ **﴿الذين ينفقون في السراء والضرَّاء﴾** في اليسر والعسر، وكثرة المال وقلَّته **﴿والكاظمين الغيظ﴾** الكافِّين غضبهم عن إمضائه **﴿والعافين عن الناس﴾** أي: المماليك وعمَّنْ ظلمهم وأساء إليهم **﴿والله يحبُّ المحسنين﴾** الموحِّدين الذين فيهم هذه الخصال.

﴿١٣٥﴾ **﴿والذين إذا فعلوا فاحشة﴾** أَي: الزِّنا. نزلت في نبهان التَّمَّار أتته امرأةٌ حسناء تبتاع منه التمر، فضمَّها إلى نفسه وقبَّلها، ثمَّ ندم علىٰ ذلك فأتىٰ النبيَّ ﷺ وذكر ذلك له، فنزلت[1] هذه الآية، وقوله: **﴿أو ظلموا أنفسهم﴾** يعني: ما دون الزِّنا

---

(١) ذكره المؤلف في الأسباب ص ١٥٦، عن ابن عباس.
وقال ابن حجر: ذكره مقاتل بن سليمان في تفسيره عن الضحاك عن ابن عباس، وأخرجه عبد الغني بن سعيد الثقفي في تفسيره عن موسىٰ بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس مطولاً. ومقاتل متروك، والضحاك لم يسمع من ابن عباس، وعبد الغني وموسىٰ هالكان. الإصابة ١/ ٥٠٥.

=

ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟

من قُبلةٍ، أو لمسةٍ، أو نظرٍ ﴿ذكروا الله﴾ أَيْ: ذكروا عقاب الله ﴿ولم يُصرُّوا﴾ أَيْ: لم يقيموا ولم يدوموا ﴿علىٰ ما فعلوا﴾ بل أقرُّوا واستغفروا ﴿وهم يعلمون﴾ أنَّ الذي أتوه حرامٌ ومعصية.

﴿١٣٧﴾ ﴿قد خلت من قبلكم سننٌ﴾ قد مضت مني فيمن كان قبلكم من الأمم الكافرة سننٌ بإمهالي إيَّاهم، حتىٰ يبلغوا الأجل الذي أجَّلته في إهلاكهم، وبقيت لهم آثارٌ في الدُّنيا فيها أعظم الاعتبار. ﴿فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة﴾ آخرُ أمرِ ﴿المُكذِّبين﴾ منهم. نزلت في قصَّة يوم أُحدٍ. يقول الله: فأنا أُمهلهم حتَّىٰ يبلغ أجلي الذي أجَّلْتُ في نصرة النبيِّ عليه السَّلام وأوليائه، وإهلاك أعدائه.

﴿١٣٨﴾ ﴿هـذا بيـانٌ للنـاس﴾ أَي: القرآن بيانٌ للنَّاس عامَّة ﴿وهـدىً وموعظـة للمتقيـن﴾ خاصَّة وهم الذين هداهم الله بفضله.

﴿١٣٩﴾ ﴿ولا تهنوا﴾ ولا تضعفوا عن جهاد عدوِّكم بما نالكم من الهزيمة ﴿ولا تحزنوا﴾

= قلت: وقد جاء عن عليٍّ رضي الله عنه قال: إني كنتُ رجلاً إذا سمعتُ من رسول الله ﷺ حديثاً ينفعني الله منه بما شاء أن ينفعني، فإذا حدَّثني رجلٌ من أصحابه استحلفته، فإذا حلف لي صدَّقته، حدَّثني أبو بكرٍ وصدق أبو بكر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: [ما من رجلٍ يذنب ذنباً، ثمَّ يقوم فيتطهر، فيحسن الطهور، ثمَّ يستغفر الله تبارك وتعالىٰ إلاَّ غفر له، ثم قرأ هذه الآية: ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله...﴾ الآية]. أخرجه أحمد ١/ ٢، والنسائي في تفسيره ١/ ٣٣٠؛ وأبو داود بسندٍ حسنٍ برقم ١٥٢١؛ والترمذي في التفسير؛ العارضة ١١/ ١٣٤.

وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ

أَيْ: علىٰ ما فاتكم من الغنيمة ﴿**وأنتم الأعلون**﴾ أَيْ: لكم تكون العاقبة بالنَّصر والظَّفر ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ أَيْ: إنَّ الإِيمان يُوجب ما ذكر من ترك الوهن والحزن.

﴿١٤٠﴾ ﴿**إن يمسسكم**﴾ يصبكم ﴿**قرحٌ**﴾ جراحٌ وألمها يوم أُحدٍ ﴿**فقد مسَّ القوم**﴾ المشركين ﴿**قرحٌ مثله**﴾ يوم بدرٍ ﴿**وتلك الأيام**﴾ أَيْ: أيَّام الدُّنيا ﴿**نداولها**﴾ نُصرِّفها ﴿**بين الناس**﴾ مرَّةً لفرقةٍ ومرَّةً عليها ﴿**وليعلم الله الذين آمنوا**﴾ مُميَّزين بالإِيمان عن غيرهم. أَيْ: إنَّما نجعل الدَّولة للكفَّار على المؤمنين ليميِّز المؤمن المخلص ممَّن يرتدُّ عن الدِّين إذا أصابته نكبة، والمعنىٰ: ليعلمهم مشاهدةً كما علمهم غيباً ﴿**ويتخذ منكم شهداء**﴾ أَيْ: ليكرم قوماً بالشَّهادة ﴿**والله لا يحبُّ الظالمين**﴾ أَي: المشركين، أَيْ: إنَّه إنما يُديل المشركين على المؤمنين لما ذُكر؛ لا لأنَّه يحبُّهم.

﴿١٤١﴾ ﴿**وليمحص الله الذين آمنوا**﴾ أَيْ: ليخلِّصهم من ذنوبهم بما يقع عليهم من قتلٍ وجرحٍ وذهاب مال ﴿**ويمحق الكافرين**﴾ يستأصلهم إذا أدال عليهم. يعني: أنه يُديل علىٰ المؤمنين لما ذُكر، ويُديل على الكافرين لإِهلاكهم بذنوبهم.

﴿١٤٢﴾ ﴿**أم حسبتم**﴾ بل أحسبتم، أَي: لا تحسبوا ﴿**أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله...**﴾ الآية. أَيْ: ولمَّا يقع العلم بالجهاد مع العلم بصبر الصَّابرين، والآية خطابٌ للذين انهزموا يوم أُحدٍ. قيل لهم: أحسبتم أن تدخلوا الجنَّة كما دخل الذين قُتلوا وثبتوا على ألم الجرح والضَّرب من غير أن تسلكوا طريقهم وتصبروا صبرهم؟!

﴿١٤٣﴾ ﴿**ولقد كنتم تمنون الموت**﴾ كانوا يتمنَّون يوماً مع النبيِّ ﷺ ويقولون: لنفعلنَّ

مِن قَبۡلِ أَن تَلۡقَوۡهُ فَقَدۡ رَأَيۡتُمُوهُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا

ولنفعلنَّ، ثمَّ انهزموا يوم أُحدٍ، فاستحقُّوا العقاب[١]، وقوله: ﴿من قبل أن تلقوه﴾ أَيْ: من قبل يوم أحدٍ ﴿فقد رأيتموه﴾ رأيتم ما كنتم تتمنَّون من الموت، أَيْ: رأيتم أسبابه [ولم تثبتوا مع نبيِّكم. نزلت في معاتبة الرسول إياهم، فقالوا: بلغنا أنَّك قد قُتلْتَ لذلك انهزمنا. ﴿وأنتم تنظرون﴾[٢]] وأنتم بُصراءُ تتأمَّلون الحال في ذلك كيف هي، فَلِمَ انهزمتم؟

﴿١٤٤﴾ ﴿وما محمدٌ إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ أَيْ: يموت كما ماتت الرُّسل قبله ﴿أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ ارتددتم كفَّاراً بعد إيمانكم، وذلك لمَّا نُعي رسول الله ﷺ يوم أُحدٍ وأُشيع أنَّه قد قُتل قال ناس من أهل النِّفاق للمؤمنين: إن كان محمد قد قُتل فالحقوا بدينكم الأوَّل، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[٣]. ﴿ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً﴾ أَيْ: فإنما يضرُّ نفسه باستحقاق العذاب ﴿وسيجزي الله﴾ بما يستحقون من الثَّواب ﴿الشاكرين﴾ الطَّائعين لله من المهاجرين والأنصار، ثمَّ عاتب المنهزمين بقوله:

﴿١٤٥﴾ ﴿وما كان لنفس أن تموت﴾ أَيْ: ما كانت نفسٌ لتموت ﴿إلاَّ بإذن الله﴾ بقضائه وقدره، كتب الله ذلك ﴿كتاباً مؤجلاً﴾ إلى أجله الذي قدِّر له، فلمَ انهزمتم؟ والهزيمة لا تزيد في الحياة. ﴿ومَنْ يرد﴾ بعمله وطاعته ﴿ثواب الدنيا﴾ زينتها

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم عن ابن عباس في تفسير آل عمران ص ٥٧٧؛ من طريق العوفي، وهو ضعيف، وأخرجه ابن جرير ٤/١١١ عن الحسن، ورجاله ثقات.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٥٨٢؛ وابن جرير ٤/١١٣ عن ابن إسحاق بسندٍ حسنٍ.

نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾

وزخرفها ﴿نؤته منها﴾ نُعْطه منها ما قدَّرناه له، [أَيْ: لهؤلاء المنهزمين طلباً للغنيمة][1]، ﴿ومن يرد ثواب الآخرة﴾ يعني: الذين ثبتوا حتىٰ قُتلوا ﴿نؤته منها﴾ ثمَّ احتجَّ علىٰ المنهزمين بقوله:

﴿١٤٦﴾ ﴿وكأين﴾ أَيْ: وكم ﴿من نبيٍّ قتل﴾[2] في معركةٍ ﴿معه ربيون كثير﴾ جماعاتٌ كثيرةٌ ﴿فما وهنوا لما أصابهم﴾ أَيْ: ما ضعفوا بعد قتل نبيِّهم. . . الآية.

﴿١٤٧﴾ ﴿وما كان قولهم﴾ أَيْ: قول أصحاب ذلك النبيِّ المقتول عند الحرب بعد قتل نبيِّهم ﴿إلاَّ أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا﴾ تجاوزنا ما حُدَّ لنا ﴿في أمرنا وثبِّتْ أقدامَنا﴾ بالقوَّة من عندك والنُّصرة.

﴿١٤٨﴾ ﴿فآتاهم الله ثواب الدنيا﴾ النَّصر والظَّفر ﴿وحسن ثواب الآخرة﴾ الأجر والمغفرة.

﴿١٤٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنْ تطيعوا الذين كفروا﴾ أَيْ: اليهود والمشركين حيث قالوا لكم يوم أُحدٍ: ارجعوا إلى دين آبائكم، وهو قوله: ﴿يردوكم على أعقابكم﴾ يرجعوكم إلىٰ أوَّل أمركم من الشِّرك بالله.

﴿١٥٠﴾ ﴿بل الله مولاكم﴾ أَيْ: فاستغنوا عن موالاة الكفَّار، فأنا ناصركم فلا تستنصروهم،

---

(١) ما بين [ ] هو عبارة الأصل، وفي البواقي: يعني بهذا المنهزمين طلباً للغنيمة.

(٢) قرأ ﴿قُتِل﴾ نافعٌ وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب، والباقون ﴿قاتل﴾. الإتحاف ص ١٨٠.

سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ بِمَآ أَشْرَكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا ۖ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۚ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَـٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾

ولمَّا انصرف المشركون من أحدٍ همُّوا بالرُّجوع لاستئصال المسلمين، وخاف المسلمون ذلك فوعدهم الله تعالىٰ خذلان أعدائهم بقوله:

﴿١٥١﴾ **﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرُّعب﴾** الخوف حتىٰ لا يرجعوا إليكم **﴿بما أشركوا﴾** أَيْ: بإشراكهم بالله **﴿ما لم ينزل به سلطاناً﴾** حجَّةً وبرهاناً، أَيْ: الأصنام التي يَعبدونها مع الله بغير حجَّة **﴿ومأواهم النار﴾** أَيْ: مرجعهم النَّار **﴿وبئس مثوىٰ الظالمين﴾** مقامهم.

﴿١٥٢﴾ **﴿ولقد صدقكم الله وعده﴾** بالنَّصر والظَّفر **﴿ إذْ تحسُّونهم﴾** تقتلون المشركين يوم أُحدٍ في أوَّل الأمر **﴿بإذنه﴾** بعلم الله وإرادته **﴿حتىٰ إذا فشلتم﴾** جَبُنْتُم عن عدوِّكم **﴿وتنازعتم﴾** اختلفتم في الأمر. يعني: قول بعضهم: ما مقامنا وقد انهزم القوم الكافرون، وقول بعضهم: لا نجاوز أمر رسول الله ﷺ، وهذا الاختلاف كان بين الرُّماة الذين كانوا عند المركز **﴿وعصيتم﴾** الرَّسول بترك المركز **﴿من بعد ما أراكم ما تحبُّون﴾** من الظَّفر والنَّصر على أعدائكم **﴿منكم مَنْ يريد الدنيا﴾** وهم الذين تركوا المركز، وأقبلوا إلى الذَّهب **﴿ومنكم مَن يريد الآخرة﴾** أَيْ: الذين ثبتوا في المركز **﴿ثمَّ صرفكم﴾** ردَّكم بالهزيمة **﴿عنهم﴾** عن الكفَّار **﴿ليبتليكم﴾** ليختبركم بما جعل عليكم من الدَّبرة، فيتبيَّن الصَّابر من الجازع، والمخلص من المنافق **﴿ولقد عفا عنكم﴾** ذنبكم بعصيان النبيِّ ﷺ والهزيمة **﴿والله ذو فضلٍ على المؤمنين﴾** بالمغفرة.

۞ إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ

﴿١٥٣﴾ ﴿ **إذْ تصعدون**﴾ تَبعدون في الهزيمة ﴿**ولا تلوون**﴾ لا تقيمون ﴿**على أحد والرسول يدعوكم في أخراكم**﴾ من خلفكم يقول: إليَّ عبادَ الله [إليَّ عباد الله، إليَّ عباد الله][1]، وأنتم لا تلتفتون إليه ﴿**فأثابكم**﴾ أَيْ: جعل مكان ما ترجعون من الثَّواب ﴿**غمّاً**﴾ وهو غمُّ الهزيمة وظفر المشركين ﴿**بغمٍّ**﴾ أَيْ: بغمِّكم رسول الله ﷺ إذْ عصيتموه ﴿**لكيلا تحزنوا**﴾ أَيْ: عفا عنكم لكيلا تحزنوا ﴿**على ما فاتكم**﴾ من الغنيمة ﴿**ولا ما أصابكم**﴾ من القتل والجراح.

﴿١٥٤﴾ ﴿**ثمَّ أنزل عليكم من بعد الغمِّ أمنةً نعاساً**﴾ وذلك أنَّهم خافوا كرَّة المشركين عليهم، وكانوا تحت الحَجَف[2] مُتأهِّبين للقتال، فأمَّنهم الله تعالىٰ أمناً ينامون معه، وكان ذلك خاصّاً للمؤمنين، وهو قوله ﴿**يغشىٰ طائفة منكم وطائفة قد أهمَّتهم**﴾ وهم المنافقون. كان همَّهم خلاص أنفسهم ﴿**يظنون بالله غير الحق**﴾ أَيْ: يظنون أن أمر محمد عليه السَّلام مضمحلٌّ، وأنه لا ينصر ﴿**ظنّ الجاهلية**﴾ أَيْ: كظنِّ أهل الجاهليَّة، وهم الكفَّار ﴿**يقولون: هل لنا من الأمر من شيء**﴾ ليس لنا من النصر والظَّفَر شيء كما وُعدنا. يقولون ذلك على جهة التكذيب. فقال الله تعالىٰ: ﴿**إنَّ الأمر كلّه لله**﴾ أَيْ: النصر والشهادة، والقدر والقضاء ﴿**يخفون في أنفسهم**﴾ من الشك والنفاق ﴿**ما لا يُبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر شيء**﴾ أَيْ: لو كان

---

(١) ما بين [ ] في الأصل، وهو في البواقي. والحديث أخرجه ابن جرير ٤/ ١٣٣ عن قتادة بسندٍ حسنٍ، وابن أبـي حاتم في تفسير آل عمران ص ٦١٠ عن الحسن.

(٢) الحجف جمع حَجَفة. قال الصاغاني في العباب: حجف: يقال للتُّرس إذا كان من جلودٍ ليس فيه خَشَبٌ ولا عَقَبٌ: حَجَفَةٌ ودَرَقَة.

مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا ۖ وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾

الاختيار إلينا ﴿**ما قتلنا هَٰهُنَا**﴾ يعنون: أنَّهم أخرجوا كُرهاً، ولو كان الأمر بيدهم ما خرجوا، وهذا تكذيبٌ منهم بالقدر، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿**قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم**﴾ مصارعهم، ولم يكن لِيُنجيهم قعودُهم ﴿**وليبتلي الله ما في صدوركم**﴾ أيُّها المنافقون، فعلَ الله ما فعلَ يوم أُحدٍ ﴿**وليمحِّص**﴾ ليظهر ويكشف ﴿**ما في قلوبكم**﴾ أيُّها المؤمنون من الرِّضا بقضاء الله ﴿**والله عليمٌ بذات الصدور**﴾ بضمائرها.

﴿١٥٥﴾ ﴿**إنَّ الذين تولَّوا منكم**﴾ أيُّها المؤمنون ﴿**يوم التقىٰ الجمعان**﴾ أَيْ: الذين انهزموا يوم أحد ﴿**إنما استزلَّهم الشيطان**﴾ حملهم على الزَّلَّة ﴿**ببعض ما كسبوا**﴾ يعني: معصيتهم للنبيِّ ﷺ بترك المركز ﴿**ولقد عفا الله عنهم**﴾ تلك الخطيئة.

﴿١٥٦﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا**﴾ أَيْ: المنافقين ﴿**وقالوا لإخوانهم**﴾ أَيْ: في شأن إخوانهم في النَّسب ﴿**إذا ضربوا في الأرض**﴾ أَيْ: سافروا فماتوا وهلكوا ﴿**أو كانوا غُزَّىً**﴾ جمع غازٍ، فقتلوا ﴿**لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا**﴾ تكذيباً منهم بالقضاء والقدر ﴿**ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم**﴾ أَيْ: ليجعل ظنَّهم أنَّهم لو لم يحضروا الحرب لانـدفع عنهم القتل ﴿**حسرة في قلوبهم**﴾ ينهىٰ المؤمنين أن يكونوا كهؤلاءِ الكفَّار في هذا القول منهم، ليجعل اللَّهُ ذلك حسرةً في قلوبهم دون قلوب المؤمنين ﴿**واللَّهُ يحيي ويميت**﴾ فليس يمنع الإنسان تحرُّزه من إتيان أجله.

وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى ٱللَّهِ تُحْشَرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ

﴿١٥٧﴾ ﴿ولئن قتلتم﴾ [أي: والله لئن قتلتم][١]. ﴿في سبيل الله﴾ في الجهاد أيُّها المؤمنون ﴿أو متم﴾ في سبيل الله ليغفرنَّ لكم وهو ﴿خيرٌ مما يَجمعون﴾ من أعراض الدُّنيا.

﴿١٥٨﴾ ﴿ولئن متم﴾ مُقيمين على الجهاد ﴿أو قتلْتُم﴾ مجاهدين ﴿لإلىٰ الله تحشرون﴾ في الحالين.

﴿١٥٩﴾ ﴿فبما رحمة من الله﴾ أَيْ: فَبِرَحْمةٍ، أَيْ: فبنعمةٍ من الله وإحسانٍ منه إليك ﴿لِنت لهم﴾ يا محمد. أَيْ: سهلت أخلاقك لهم، وكثر احتمالك ﴿ولوكنت فظاً﴾ غليظاً في القول ﴿غليظ القلب﴾ في الفعل ﴿لانفضُّوا﴾ لتفرَّقوا ﴿من حولك فاعف عنهم﴾ فيما فعلوا يومَ أُحدٍ ﴿واستغفر لهم﴾ حتىٰ أُشفِّعك فيهم ﴿وشاورهم في الأمر﴾ تطييباً لنفوسهم، ورفعاً من أقدارهم، ولتصير سنَّةً ﴿فإذا عزمت﴾ علىٰ ما تريد إمضاءه ﴿فتوكل على الله﴾ لا علىٰ المشاورة.

﴿١٦٠﴾ ﴿إنْ ينصركم الله فلا غالب لكم﴾ من النَّاس ﴿وإن يخذلكم﴾ [يوم أُحد][١] لا ينصركم أحدٌ من بعده، والمعنىٰ: لا تتركوا أمري للنَّاس، وارفضوا النَّاس لأمري.

﴿١٦١﴾ ﴿وما كان لنبيٍّ أن يغلَّ﴾ أَيْ: يخون بكتمان شيءٍ من الغنيمة عن أصحابه. نزلت في قطيفة حمراء فُقدت يوم بدرٍ[٢]، فقال النَّاس: لعلَّ النَّبيَّ أخذها، فنفىٰ الله

(١) زيادة من عا. (٢) زيادة من ظ.

(٣) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم في تفسير آل عمران ص ٦٣٧، وفيه خصيف، وهو سيِّىء الحفظ، وابن جرير ٤/ ١٥٥.

وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَن بَاءَ بِسَخَطٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾ هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا

تعالىٰ عنه الغلول، وبيَّن أنَّه ما غلَّ نبيٌّ، والمعنىٰ: ما كان لنبيٍّ غلولٌ ﴿ومن يَغْلُلْ يأت بما غلَّ﴾ حاملاً له على ظهره ﴿يوم القيامة ثمَّ توفىٰ كل نفس ما كسبت﴾ أَيْ: تُجازىٰ ثواب عملها ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا ينقصون من ثواب أعمالهم شيئاً.

﴿١٦٢﴾ ﴿أفمن اتَّبع رضوان الله﴾ بالإيمان به والعمل بطاعته. يعني: المؤمنين ﴿كمَنْ باء بسخطٍ من الله﴾ احتمله بالكفر به، والعمل بمعصيته، يعني: المنافقين.

﴿١٦٣﴾ ﴿هم درجاتٌ عند الله﴾ أَيْ: أهل درجات عند الله. يريد أنَّهم مختلفو المنازل، فلِمَن اتَّبع رضوان الله الكرامة والثَّواب، ولِمَنْ باء بسخطٍ من الله المهانةُ والعذاب ﴿والله بصيرٌ بما يعملون﴾ فيه حثٌّ على الطَّاعة، وتحذيرٌ عن المعصية.

﴿١٦٤﴾ ﴿لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم﴾ أَيْ: واحداً منهم عُرِف أمره، وخبرُ صدقه وأمانته، ليس بمَلَك ولا أحدٍ من غير بني آدم، وباقي الآية ذُكر في سورة البقرة[1]. ﴿وإن كانوا من قبْلُ﴾ [وقد كانوا][2] من قبل بعثه ﴿لفي ضلالٍ مبين﴾.

﴿١٦٥﴾ ﴿أَوَ لمّا أصابتكم﴾ أَوَ حين أصابتكم مصيبة. يعني: ما أصابهم يوم أُحدٍ ﴿وقد أصبتم﴾ أنتم ﴿مثليها﴾ يوم بدر، وذلك أنَّهم قتلوا سبعين وأسروا سبعين، وقُتل

(١) انظر ص ١٣٩.
(٢) ما بين [ ] ليس في الأصل، وهو في البواقي.

قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا ۚ وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا ۖ قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ ۗ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ۚ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا ۗ قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٦٨﴾

منهم يوم أحد سبعون ﴿**قلتم أنَّىٰ هذا**﴾ من أين أصابنا هذا القتل والهزيمة ونحن مسلمون، ورسول الله ﷺ فينـا؟! ﴿**قل هو من عند أنفسكم**﴾ أَيْ: إنَّكم تركتم المركز وطلبتم الغنيمة، فَمِنْ قِبَلِكُمْ جاءكم الشَّرُّ ﴿**إنَّ الله على كل شيء قدير**﴾ من النَّصر مع طاعتكم نبيِّكم، وترك النَّصر مع مخالفتكم إيَّاه.

﴿١٦٦﴾ ﴿**وما أصابكم يوم التقىٰ الجمعان**﴾ يوم أُحدٍ ﴿**فبإذن الله**﴾ بقضائه وقدره، يُسلِّيهم بذلك ﴿**وليعلم المؤمنين**﴾ ثابتين صابرين، وليعلمَ المنافقين جازعين ممَّا نزل بهم.

﴿١٦٧﴾ ﴿**وقيل لهم**﴾ لعبد الله بن أُبيٍّ وأصحابه لمَّا انصرفوا ذلك اليوم عن المؤمنين ﴿**تَعالَوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا**﴾ عنَّا القوم بتكثيركم سوادنا إنْ لم تقاتلوا ﴿**قالوا لو نعلم قتالاً لاتبعناكم**﴾ أَيْ: لو نعلم أنَّكم تقاتلون اليوم لاتَّبعناكم، ولكن لا يكون اليوم قتال، ونافقوا بهذا لأنَّهم لو علموا ذلك ما اتَّبعوهم. قال الله تعالىٰ: ﴿**هم للكفر يومئذٍ**﴾ بما أظهروا من خذلان المؤمنين ﴿**أقربُ منهم للإيمان**﴾ لأنهم كانوا قبل ذلك أقربَ إلىٰ الإيمان بظاهر حالهم، فلمَّا خذلوا المؤمنين صاروا أقرب إلى الكفر من حيث الظَّاهر.

﴿١٦٨﴾ ﴿**الذين قالوا**﴾ يعني: المنافقين ﴿**لإخوانهم**﴾ لأمثالهم من أهل النِّفاق ﴿**وقعدوا**﴾ عن الجهاد، الواو للحال ﴿**لـو أطاعونا**﴾ يعنون: شهداء أُحدٍ في الانصراف عن النبيِّ ﷺ والقعود ﴿**ما قُتلوا**﴾ فردَّ الله تعالىٰ عليهم وقال: ﴿**قل**﴾ لهم يا محمَّدُ ﴿**فادْرَؤُوا**﴾ فادفعوا ﴿**عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين**﴾ إنْ صدقتم أَنَّ الحذر ينفع من القدر.

وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ

﴿١٦٩﴾ **﴿ولا تحسبنَّ الذين قتلوا في سبيل الله﴾** يعني: شهداء أُحدٍ **﴿أمواتاً بل أحياء﴾** بل هم أحياءٌ **﴿عند ربهم﴾** في دار كرامته؛ لأنَّ أرواحهم في أجواف طيرٍ خضرٍ. **﴿يرزقون﴾** يأكلون.

﴿١٧٠﴾ **﴿فرحين﴾** مسرورين **﴿بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾** ويفرحون بإخوانهم الذين فارقوهم يرجون لهم الشَّهادة، فينالون مثلَ ما نالوا **﴿ألَّا خوفٌ عليهم﴾** أَيْ: بأن لا خوفٌ عليهم. يعني: علىٰ إخوانهم المؤمنين إذا لحقوا بهم.

﴿١٧٢﴾ **﴿الذين استجابوا لله والرسول﴾** أجابوهما **﴿من بعد ما أصابهم القرح﴾** أَيْ: الجراحات **﴿للذين أحسنوا منهم﴾** بطاعة الرَّسول واتَّقوا مخالفته **﴿أجر عظيم﴾** نزلت في الذين أطاعوا الرَّسول حين ندبهم للخروج في طلب أبي سفيان يوم أُحدٍ، لمَّا همَّ أبو سفيان بالانصراف إلى محمَّدٍ عليه السَّلام وأصحابه ليستأصلوهم.

﴿١٧٣﴾ **﴿الذين قال لهم الناس...﴾** الآية. كان أبو سفيان واعد رسول الله ﷺ أَنْ يوافيه العام المقبل من يوم أُحدٍ بِبَدْرٍ الصُّغرىٰ، فلمَّا كان العام المقبل بعث نعيم بن مسعود الأشجعيَّ ليجبِّن المؤمنين عن لقائه[1]، وهو قوله: **﴿الذين﴾** يعني:

---

(١) أخرجه ابن جرير ٤/ ١٨٠ عن السدي، والمؤلف في الأسباب ص ١٦٤ عن قتادة. وانظر فتح الباري ٨/ ٢٢٩.

قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾

المؤمنين ﴿**قال لهم الناس**﴾ يعني: نعيم بن مسعود ﴿**إنَّ الناس**﴾ يعني: أبا سفيان وأصحابه ﴿**قد جمعوا**﴾ [باللطيمة سوق مكة][1] ﴿**لكم فاخشوهم**﴾ ولا تأتوهم ﴿**فزادهم**﴾ ذلك القول ﴿**إيماناً**﴾ أَيْ: ثبوتاً في دينهم، وإقامةً علىٰ نصرة نبيِّهم ﴿**وقالوا حسبنا الله**﴾ أَيْ: الذي يكفينا أمرهم هو الله ﴿**ونِعْمَ الوكيل**﴾ أَيْ: الموكول إليه الأمر.

﴿١٧٤﴾ ﴿**فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضل**﴾ [ربح][2] وذلك أنَّ رسول الله ﷺ خرج لذلك الموعد، فلم يلق أحداً من المشركين، ووافقوا السُّوق، وذلك أنَّه كان موضع سوقٍ لهم، فاتَّجروا وربحوا، وانصرفوا إلى المدينة سالمين غانمين، وهو قوله: ﴿**لم يمسسهم سوءٌ**﴾ أَيْ: قتل ولا جراح ﴿**واتبعوا رضوان الله**﴾ [إلى بدر الصغرى في طاعته و][3] في طاعة رسوله. قوله:

﴿١٧٥﴾ ﴿**إنما ذلكم الشيطان يُخوِّف أولياءَه**﴾ أَيْ: يُخوِّفكم بأوليائه. يعني: الكفَّار ﴿**فلا تخافوهم وخافون**﴾ في ترك أمري ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ مُصدِّقين لوعدي.

﴿١٧٦﴾ ﴿**ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر**﴾ أَيْ: في نصرته، وهم المنافقون واليهود والمشركون ﴿**إنَّهم لن يضرُّوا الله**﴾ أَيْ: أولياءَه ودينه ﴿**شيئاً**﴾ وإنَّما يعود وبال ذلك عليهم، ﴿**يريد الله ألا يجعل لهم حظَّاً**﴾ نصيباً ﴿**في الآخرة**﴾ في الجنَّة.

---

(١) زيادة من ظ.
(٢) زيادة من ظ.
(٣) زيادة من ظ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَٰنِ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٧٨﴾ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَلَكُمۡ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿١٧٩﴾ وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ هُوَ خَيۡرٗا لَّهُمۖ بَلۡ هُوَ شَرّٞ لَّهُمۡۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ

﴿١٧٧﴾ [**﴿إِنَّ الذين اشتروا الكفر بالإِيمان﴾** أَيْ: استبدلوا. كرَّر **﴿لن يضروا الله شيئاً﴾** لأنَّه ذكره في الأول على طريق العلة لما يجب من التَّسلية عن المسارعة إلى الضَّلالة، وذكره في الثاني على طريق العلة لاختصاص المضرة بالعاصي دون المعصي][1].

﴿١٧٨﴾ **﴿ولا يحسبنَّ الذين كفروا أنَّما نُملي لهم﴾** أَيْ: أنَّ إملاءنا ــ وهو الإِمهال والتأخير ــ **﴿خيرٌ لأنفسهم إنما نملي لهم﴾** أَيْ: نُطوِّل أعمارهم ليزدادوا إثماً لمعاندتهم الحق، وخلافهم الرَّسول. نزلت الآية في قومٍ من الكفَّار علم الله تعالىٰ أنَّهم لا يؤمنون أبداً، وأنَّ بقاءهم يزيدهم كفراً.

﴿١٧٩﴾ **﴿ما كانَ الله ليذر المؤمنين علىٰ ما أنتم عليه﴾** أيُّها المؤمنون من التباس المنافق بالمؤمن **﴿حتىٰ يميز الخبيث من الطيب﴾** أَيْ: المنافق من المؤمن، ففعل ذلك يوم أُحدٍ؛ لأنَّ المنافقين أظهروا النِّفاق بتخلُّفهم **﴿وما كان الله ليطلعكم على الغيب﴾** فتعرفوا المنافق من المؤمن قبل التَّمييز **﴿ولكنَّ الله﴾** يختار لمعرفة ذلك مَنْ يشاء من الرُّسل، وكان محمَّد ممَّن اصطفاه الله بهذا العلم.

﴿١٨٠﴾ **﴿ولا يحسبنَّ الذين يبخلون﴾** أَيْ: بخل الذين يبخلون **﴿بما آتاهم الله منْ فضله﴾** بما يجب فيه من الزَّكاة. نزلت في مانعي الزَّكاة **﴿هو خيراً لهم﴾** أَيْ: البخلَ خيراً لهم **﴿بل هو شرٌّ لهم﴾** لأنَّهم يستحقُّون بذلك عذاب الله **﴿سيطوقون ما بخلوا**

---

(١) زيادة من ظا.

بِهِۦ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١٨٠﴾ لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّامٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَهِدَ إِلَيۡنَآ أَلَّا نُؤۡمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأۡتِيَنَا بِقُرۡبَانٖ تَأۡكُلُهُ ٱلنَّارُۗ قُلۡ قَدۡ جَآءَكُمۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِي بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلَّذِي قُلۡتُمۡ فَلِمَ قَتَلۡتُمُوهُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ جَآءُو بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ

به يوم القيامة﴾ وهو أنَّه يُجعل ما بَخِل به من المال حيَّةً يُطوَّقها في عنقه تنهشه من قرنه إلى قدمه ﴿ولله ميراث السموات والأرض﴾ أَيْ: إنَّه يُغني أهلهما، وتبقىٰ الأملاك والأموال لله، ولا مالك لها إلَّا الله تعالىٰ.

﴿١٨١﴾ ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا إنَّ الله فقير ونحن أغنياء﴾ نزلت في اليهود حين قالوا ـ لمَّا نزل قوله: ﴿مَنْ ذا الذي يقرض الله قرضاً...﴾ الآية ـ: إنَّ الله فقيرٌ يستقرضنا، ونحن أغنياء، ولو كان غنيّاً ما استقرضنا أموالنا ﴿سنكتب ما قالوا﴾ أَيْ: نأمر الحفظة بإثبات ذلك في صحائف أعمالهم... الآية.

﴿١٨٢﴾ ﴿ذلك﴾ أَيْ: ذلك العذاب ﴿بما قدَّمت أيديكم﴾ بما سلف من إجرامكم ﴿وأنَّ الله﴾ وبأن الله ﴿ليس بظلام للعبيد﴾ فيعاقبهم بغير جرمٍ.

﴿١٨٣﴾ ﴿الذين قالوا إنَّ الله عهد إلينا...﴾ أَيْ: اليهود، وذلك أنَّ الله أمر بني إسرائيل في التَّوراة ألا يُصدقوا رسولاً جاءهم حتىٰ يأتيهم بقربانٍ تأكله النَّار إلَّا المسيحَ ومحمداً عليهما السَّلام، فكانوا يقولون لمحمَّد عليه السَّلام: لا نُصدِّقك حتىٰ تأتينا بقربان تأكله النَّار؛ لأنَّ الله عهد إلينا ذلك، فقال الله تعالىٰ لمحمد عليه السَّلام إقامةً للحجَّة عليهم: ﴿قل قد جاءكم رسلٌ من قبلي...﴾ الآية، ثمَّ عزَّىٰ النبيَّ ﷺ عن تكذيبهم بقوله:

﴿١٨٤﴾ ﴿فإن كذَّبوك فقد كُذِّبَ رسل من قبلك جاؤوا بالبينات والزبر﴾ أَيْ: الكتب

وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا

﴿**والكتاب المنير**﴾ أيْ: الهادي إلى الحقِّ.

﴿١٨٥﴾ ﴿**كلُّ نفسٍ ذائقة الموت وإنما تُوَفَّونَ أجورَكم يومَ القيامة فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**﴾ أَيْ: ظفر بالخير، ونجا من الشَّرِّ ﴿**وما الحياة الدنيا**﴾ أَيْ: العيش في هذه الدَّار الفانية ﴿**إلَّا متاع الغرور**﴾ لأنَّه يغرُّ الإنسان بما يُمنِّيه من طول البقاء، وهو ينقطع عن قريب.

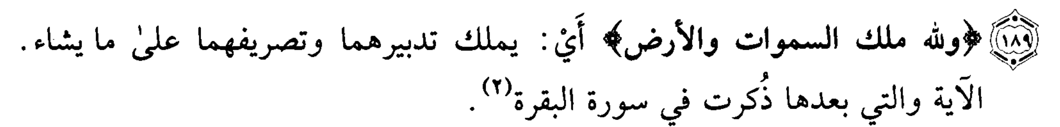
﴿١٨٦﴾ ﴿**لتبلونَّ**﴾ لتختبرُنَّ أيُّها المؤمنون ﴿**في أموالكم**﴾ بالفرائض فيها ﴿**وأنفسكم**﴾ بالصَّلاة والصَّوم والحجِّ والجهاد ﴿**ولتسمعنَّ من الذين أوتوا الكتاب**﴾ وهم اليهود ﴿**ومنَ الذين أشركوا**﴾ وهم المشركون ﴿**أذىً كثيراً**﴾ بالشَّتم والتَّعيير ﴿**وإن تصبروا**﴾ على ذلك الأذى بترك المعارضة ﴿**فإنَّ ذلك من عزم الأمور**﴾ من حقيقة الإيمان.

﴿١٨٧﴾ ﴿**وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب...**﴾ الآية. أخذ الله ميثاق اليهود في التَّوراة ليبيننَّ شأن محمَّد ونعته ومبعثه، ولا يخفونه، فنبذوا الميثاق ولم يعملوا به، وذلك قوله: ﴿**فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً**﴾ أَيْ: ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برئاستهم في العلم ﴿**فبئس ما يشترون**﴾ قُبِّح شراؤهم وخسروا.

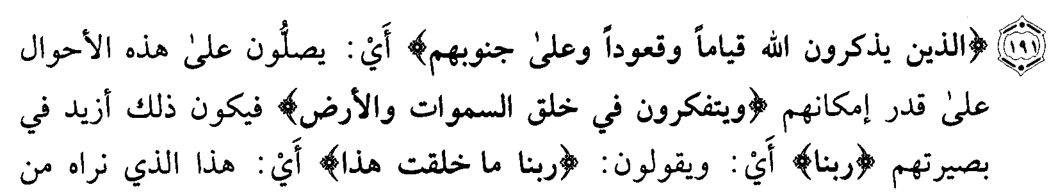
﴿١٨٨﴾ ﴿**لا تحسبنَّ الذين يفرحون...**﴾ الآية. هم اليهود فرحوا بإضلال النَّاس، وبنسبة النَّاس إيَّاهم إلى العلم، وليسوا كذلك، وأَحبُّوا أن يحمدوا بالتَّمسُّك بالحقِّ،

فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا

وقالوا: نحن أصحاب التَّوراة وأولو العلم القديم[1] ﴿فلا تحسبنَّهم بمفازة﴾ بمنجاةٍ ﴿من العذاب﴾.



﴿١٨٩﴾ ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ أَيْ: يملك تدبيرهما وتصريفهما علىٰ ما يشاء. الآية والتي بعدها ذُكرت في سورة البقرة[2].



﴿١٩١﴾ ﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلىٰ جنوبهم﴾ أَيْ: يصلُّون علىٰ هذه الأحوال علىٰ قدر إمكانهم ﴿ويتفكرون في خلق السموات والأرض﴾ فيكون ذلك أزيد في بصيرتهم ﴿ربنا﴾ أَيْ: ويقولون: ﴿ربنا ما خلقت هذا﴾ أَيْ: هذا الذي نراه من

---

(١) وأصحُّ من هذا ما أخرجه البخاري عن أبي سعيد الخدري: إنَّ رجالاً من المنافقين علىٰ عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلَّفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه، وحلفوا، وأحبُّوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون...﴾ الآية. فتح الباري ٨/ ٢٣٣.
وأخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: ما لكم ولهذه الآية؟ إنَّما نزلت هذه في أهل الكتاب، ثمَّ تلا ابن عباس: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لَتُبَيِّنُنَّهُ للناس﴾، وتلا ابن عباس: ﴿لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحْمَدوا بما لم يفعلوا﴾.
قال: سألهم النَّبيُّ عن شيءٍ فكتموه، وأخبروه بغيره، فخرجوا وفرحوا أنَّهم أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم إيَّاه ما سألهم عنه. أخرجه أحمد ١/ ٢٩٨، والبخاري فتح الباري ٩/ ٢٣٣، ومسلم برقم ٢٧٧٨، والنسائي في تفسيره ١/ ٣٥٣، والحاكم ٢/ ٢٩٩، والطبراني في الكبير برقم ١٠٧٣٠.

(٢) راجع ص ١٢٤.

بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾ فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ وَقُتِلُواْ لَأُكَفِّرَنَّ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَلَأُدۡخِلَنَّهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ ثَوَابٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿١٩٦﴾

خلق السَّموات والأرض ﴿باطلاً﴾ أَيْ: خلقاً باطلاً. يعني: خلقته دليلاً على حكمتك وكمال قدرتك.

﴿١٩٢﴾ ﴿ربَّنا إنَّك مَنْ تدخل النار﴾ للخلود فيها ﴿فقد أخزيته﴾: أهلكته وأهنته ﴿وما للظالمين﴾ أَيْ: الكفَّار ﴿من أنصار﴾ يمنعونهم من عذاب الله.

﴿١٩٣﴾ ﴿ربنا إننا سمعنا منادياً﴾ أَيْ: محمَّداً عليه السَّلام والقرآن ﴿ينادي للإيمان﴾ أَيْ: إلى الإيمان ﴿أَنْ آمنوا بربكم فآمنّا، ربَّنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفِّرْ عنّا سيئاتنا﴾ أَيْ: غطِّ واستر عنا ذنوبنا بقبول الطَّاعات حتىٰ تكون كفَّارةً لها ﴿وتوفنا مع الأبرار﴾ يعني: الأنبياء، أَيْ: في جملتهم حتىٰ نصير معهم.

﴿١٩٤﴾ ﴿ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك﴾ أَيْ: علىٰ ألسنتهم من النَّصر لنا، والخذلان لعدوِّنا ﴿ولا تُخْزِنَا يوم القيامة﴾ أَيْ: لا تهلكنا بالعذاب. وقوله:

﴿١٩٥﴾ ﴿بعضكم من بعض﴾ أَيْ: حكمُ جميعكم حكمُ واحدٍ منكم فيما أفعل بكم من مجازاتكم على أعمالكم، وترك تضييعها لكم.

﴿١٩٦﴾ ﴿لا يغرنَّك تقلُّب الذين كفروا في البلاد﴾ تصرُّفهم للتِّجارات في البلاد، وذلك أنَّهم كانوا يتَّجرون ويتنعَّمون في البلاد، فقال بعض المؤمنين: إنَّ أعداء الله فيما نرىٰ من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد، فنزلت هذه الآية. وقوله:

مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٩٧﴾ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

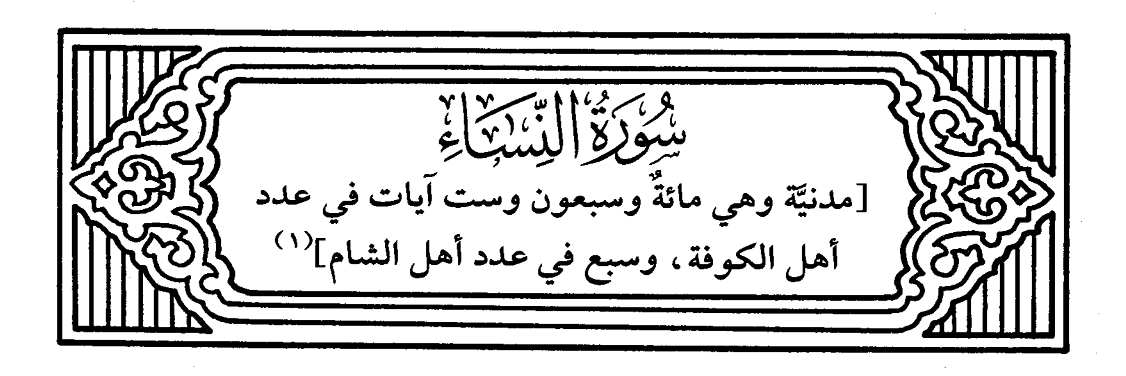
﴿١٩٧﴾ **﴿متاعٌ قليل﴾** أَيْ: ذلك الكسب والرِّبح متاعٌ قليل؛ لأنَّه فانٍ منقطعٌ وقوله:

﴿١٩٨﴾ **﴿نزلاً﴾** النُّزُل: ما يُهيَّأ للضَّيف، ومعناه هاهنا الجزاء والثَّواب **﴿وما عند الله خيرٌ للأبرار﴾** ممَّا يتقلَّب فيه الكفَّار، ثمَّ ذكر مؤمني أهل الكتاب فقال:

﴿١٩٩﴾ **﴿وإنَّ من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله . . .﴾** الآية.

﴿٢٠٠﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا﴾** أَيْ: اصبروا على دينكم فلا تَدعوه لشدَّةٍ نزلت بكم. وقيل: على الجهاد **﴿وصابروا﴾** عدوَّكم فلا يكوننَّ أصبر منكم **﴿ورابطوا﴾** أَيْ: أقيموا على جهاد عدوِّكم بالحرب والحجَّة.

● ● ●



سورة النساء

[مدنيّة وهي مائةٌ وسبعون وست آيات في عدد أهل الكوفة، وسبع في عدد أهل الشام][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴿١﴾ وءاتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم إنه كان حوبا كبيرا ﴿٢﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿يا أيها الناس﴾ يا أهل مكّة ﴿اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفسٍ واحدة﴾ آدم ﴿وخلق منها زوجها﴾ حوّاء. خُلقت من ضلع من أضلاعه. ﴿وبثّ﴾ أيْ: فرّق ونشر ﴿منهما﴾، ﴿واتقوا الله﴾ أيْ: خافوه وأطيعوه ﴿الذي تساءلون به﴾ أيْ: تتساءلون فيما بينكم حوائجكم وحقوقكم به، وتقولون: أسألك بالله، وأنشدك الله، وقوله: ﴿والأرحام﴾ أيْ: واتّقوا الأرحام أن تقطعوها ﴿إنَّ الله كان عليكم رقيباً﴾ أيْ: حافظاً يرقب عليكم أعمالكم، فاتّقوه فيما أمركم به ونهاكم عنه.

﴿٢﴾ ﴿وآتوا اليتامىٰ أموالهم﴾ الخطاب للأولياء والأوصياء، أيْ: أعطوهم أموالهم إذا بلغوا ﴿ولا تتبدلوا الخبيث﴾ من أموالهم الحرام [عليكم] ﴿بالطيب﴾ الحلال من مالكم، وهو أنَّه كان وليُّ اليتيم يأخذ الجيد من ماله، ويجعل مكانه الرَّديء ﴿ولا تأكلوا أموالهم إلى أموالكم﴾ لا تضيفوها في الأكل إلى أموالكم إذا احتجتم إليها ﴿إنَّه﴾ أيْ: إنَّ أكل أموالهم ﴿كان حوباً كبيراً﴾ أيْ: إثماً كبيراً.

وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴿٣﴾ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴿٤﴾ وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَابْتَلُوا الْيَتَامَىٰ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ

﴿٣﴾ **﴿وإن خفتم ألا تُقسطوا﴾**: ألا تعدلوا **﴿في اليتامىٰ﴾** [أي: في نكاح اليتامىٰ][(١)] وهمَّكم ذلك **﴿فانكحوا ما طاب﴾** أي: الطَّيِّب **﴿لكم من النساء﴾** يعني: من اللاتي تحلُّ دون المحرَّمات، والمعنىٰ: أنَّ الله سبحانه قال لنا: فكما تخافون ألا تعدلوا بين اليتامىٰ إذا كفلتموهم، فخافوا أيضاً ألا تعدلوا بين النِّساء إذا نكحتموهنَّ، فانكحوا من النِّساء **﴿مثنىٰ﴾** أي: اثنتين اثنتين **﴿وثلاث﴾** ثلاثاً ثلاثاً **﴿ورباع﴾** أربعاً أربعاً **﴿فإن خفتم ألا تعدلوا﴾** أيْ: في الأربع **﴿فواحدة﴾** أيْ: فلينكح كلُّ واحدٍ منكم واحدةً و **﴿ذلك﴾** أنَّ نكاح هؤلاء النِّسوة علىٰ قلَّة عددهنَّ **﴿أدنىٰ﴾** أيْ: أقربُ إلى العدل، وهو قوله: **﴿ألا تعولوا﴾** أيْ: تميلوا وتجوروا.

﴿٤﴾ **﴿وآتوا النساء﴾** أيُّها الأزواج **﴿صدقاتهنَّ﴾** مهورهنَّ **﴿نحلة﴾** فريضةً وتديُّناً **﴿فإنْ طبن لكم﴾** أيْ: إنْ طابت لكم أنفسهنَّ **﴿عن شيء﴾** من الصَّداق **﴿فكلوه هنيئاً﴾** في الدُّنيا لا يقضي به عليكم سلطانٌ **﴿مريئاً﴾** في الآخرة لا يؤاخذكم الله به.

﴿٥﴾ **﴿ولا تؤتوا السفهاء﴾** أي: النِّساء والصِّبيان **﴿أموالكم التي جعل الله لكم قياماً﴾** لمعايشكم وصلاح دنياكم. يقول: لا تعمدْ إلىٰ مالك الذي خوَّلك الله، وجعله لك معيشةً فتعطيه امرأتك وبنيك، فيكونوا هم الذين يقومون عليك، ثمَّ تنظر إلىٰ ما في أيديهم، ولكن أمسك مالك وأصلحه، وكن أنت الذي تنفق عليهم في كسوتهم ورزقهم، وهو قوله: **﴿وارزقوهم فيها﴾** [أي: اجعلوا لهم فيها رزقاً][(٢)]، **﴿واكسوهم وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾** أيْ: عدةً جميلةً من البرِّ والصِّلة.

﴿٦﴾ **﴿وابتلوا اليتامىٰ﴾** أيْ: اختبروهم في عقولهم وأديانهم **﴿حتىٰ إذا بلغوا النكاح﴾**

---

(١) زيادة من ظا. (٢) زيادة من ظ.

فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُواْ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُواْ عَلَيْهِمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَٰلِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿٧﴾ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَٰمَىٰ وَالْمَسَٰكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ

أَيْ: حال النِّكاح من الاحتلام ﴿فإن آنستم﴾ أبصرتم ﴿منهم رشداً﴾ صلاحاً للعقل وحفظاً للمال. ﴿ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا﴾ أَيْ: لا تبادروا بأكل مالهم كبرَهم ورشدهم حذر أن يبلغوا، فيلزمكم تسليم المال إليهم ﴿ومن كان غنيّاً﴾ من الأوصياء ﴿فليستعفف﴾ عن مال اليتيم ولا يأكل منه شيئاً ﴿ومَنْ كان فقيراً فليأكل بالمعروف﴾ يقدِّر أجرة عمله ﴿فإذا دفعتم﴾ أيُّها الأولياء ﴿إليهم﴾ إلىٰ اليتامىٰ ﴿أموالهم فأشهدوا عليهم﴾ لكي إنْ وقع اختلافٌ أمكن الوليَّ أن يقيم البيِّنة على ردِّ المال إليه ﴿وكفىٰ بالله حسيباً﴾ محاسباً ومجازياً للمحسن والمسيء.

﴿٧﴾ ﴿للرجال نصيب...﴾ الآية. كانت العرب في الجاهليَّة لا تورث النِّساء ولا الصِّغار شيئاً، فأبطل الله ذلك، وأعلم أنَّ حقَّ الميراث علىٰ ما ذكر في هذه الآية من الفرض.

﴿٨﴾ ﴿وإذا حضر القسمة﴾ أَيْ: قسمة المال بين الورثة ﴿أولو القربىٰ﴾ أي: الذين يُحجبون ولا يرثون ﴿واليتامىٰ والمساكين فارزقوهم منه﴾ وهذا علىٰ النَّدب والاستحباب. يستحبُّ للوارث أن يرضخ لهؤلاء إذا حضروا القسمة من الذَّهب والفضَّة، وأن يقولوا لهم قولاً معروفاً إذا كان الميراث ممَّا لا يمكن أن يرضخ منه كالأرضين والرَّقيق.

﴿٩﴾ ﴿وليخش الذين لو تركوا...﴾ الآية. أَيْ: وليخش مَنْ كان له وُلدٌ صغارٌ، خاف عليهم من بعده الضَّيعة أن يأمر الموصي بالإسراف فيما يعطيه اليتامىٰ والمساكين

فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ ۖ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۖ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ ۚ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ ۚ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ ۚ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ۗ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا ۚ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ ۗ

وأقاربه الذين لا يرثون، فيكون قد أمره بما لم يكن يفعله لو كان هو الميِّت، وهذا قبل أن تكون الوصية في الثُّلث، وقوله: ﴿**ذرية ضعافاً**﴾ أَيْ: صغاراً ﴿**خافوا عليهم**﴾ أي: الفقر ﴿**فليتقوا الله**﴾ فيما يقولون لمن حضره الموت ﴿**وليقولوا قولاً سديداً**﴾ عدلاً، وهو أن يأمره أن يخلِّف ماله لولده، ويتصدَّق بما دون الثُّلث أو الثُّلث، ثمَّ ذكر الوعيد على أكل مال اليتيم ظلماً، فقال:

﴿١٠﴾ ﴿**إنَّ الذين يأكلون أموال اليتامىٰ ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً. . .**﴾ الآية. تؤول عاقبته إلى النَّار ﴿**وسيصلون سعيراً**﴾ ناراً ذات تلهُّب، أَيْ: يُقاسون حرَّها وشدَّتها.

﴿١١﴾ ﴿**يوصيكم الله**﴾ أَيْ: يفرض عليكم؛ لأنَّ الوصية من الله فرضٌ ﴿**في أولادكم**﴾ الذُّكور والإِناث ﴿**للذكر مثل حظ الأنثيين فإنْ كُنَّ**﴾ أي: الأولاد ﴿**نساءً فوق اثنتين**﴾ «فوق» ها هنا صلةٌ؛ لأنَّ الثِّنتين يرثان الثُّلثين بإجماعِ اليوم، وهو قوله: ﴿**فلهن ثلثا ما ترك**﴾ ويجوز تسمية الاثنين بالجمع، ﴿**وإن كانت**﴾ المتروكة المُخلَّفة ﴿**واحدة فلها النصف**﴾ وتمَّ بيان ميراث الأولاد، ثمَّ قال: ﴿**ولأبويه**﴾ أَيْ: ولأبوي الميِّت ﴿**لكلِّ واحدٍ منهما السدس ممَّا ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولدٌ وورثه أبواه فلأمّه الثلث، فإن كان له**﴾ أَيْ: للميِّت ﴿**إخوة**﴾ يعني أخوين؛ لأنَّ الأُمَّة أجمعت أنَّ الأخوين يحجبان الأمَّ من الثُّلث إلى السُّدس، وقوله: ﴿**من بعد وصية**﴾ أَيْ: هذه الأنصباء إنما تُقسم بعد قضاء الدَّين، وإنفاذ وصية الميت ﴿**آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقربُ لكم نفعاً**﴾ في الدُّنيا فتعطونه

إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ

من الميراث ما يستحقُّ، ولكنَّ الله قد فرض الفرائض على ما هو عنده حكمة، ولو وكل ذلك إليكم لم تعلموا أيُّهم أنفع لكم، فأفسدتم وضيَّعتم ﴿**إنَّ الله كان عليماً**﴾ بالأشياء قبل خلقها ﴿**حكيماً**﴾ فيما دبَّر من الفرائض، وقوله:

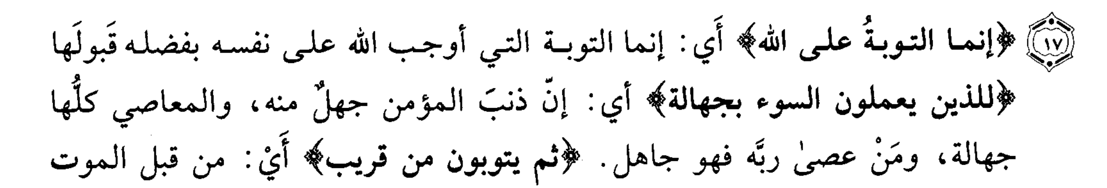
﴿١٢﴾ ﴿**وإن كان رجل يورث كلالة**﴾ الكلالة: مَنْ لا ولد له ولا والد، وكلُّ وارثٍ ليس بوالدٍ ولا ولد للميِّت فهو كلالة أيضاً، والكلالة في هذه الآية الميِّت، أَيْ: وإن مات رجلٌ ولا ولدَ له ولا والد ﴿**وله أخٌ أو أخت**﴾ يريد: من الأمِّ بإجماعٍ من الأُمَّة ﴿**فلكلٍّ واحدٍ منهما السدس**﴾ وهو فرضُ الواحد من ولد الأمِّ ﴿**فإن كانوا أكثر من**﴾ واحدٍ اشتركوا في الثُّلث. الذَّكر والأنثىٰ فيه سواءٌ، وقوله: ﴿**غير مضارٍّ**﴾ أَيْ: مُدخلِ الضَّرر على الورثة، وهو أَنْ يُوصي بدينٍ ليس عليه، يريد بذلك ضرر الورثة ﴿**والله عليمٌ**﴾ فيما دبَّر من هذه الفرائض ﴿**حليمٌ**﴾ عمَّن عصاه بتأخير عقوبته.

﴿١٥﴾ ﴿**واللاتي يأتين الفاحشة**﴾ يفعلن الزِّنا ﴿**فاستشهدوا عليهنَّ أربعة منكم**﴾ أَيْ: من

فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَـٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ

المسلمين ﴿**فإن شهدوا**﴾ عليهنَّ بالزِّنا ﴿**فأمسكوهنَّ**﴾ فاحبسوهنَّ ﴿**في البيوت**﴾ في السُّجون، وهذا كان في أوَّل الإسلام، إذا كان الزَّانيان ثيِّبين حُبسا ومُنعا من مخالطة النَّاس، ثمَّ نُسخ ذلك بالرَّجم(١)، وهو قوله: ﴿**أو يجعل الله لهنَّ سبيلاً**﴾ وهو سبيلهنَّ الذي جعله الله لهنَّ.

﴿١٦﴾ ﴿**واللذان يأتيانها**﴾ أَي: البكرين يزنيان ويأتيان الفاحشة ﴿**فآذوهما**﴾ بالتَّعنيف والتَّوبيخ، وهو أنْ يقال لهما: انتهكتما حرمات الله، وعصيتماه واستوجبتما عقابه. ﴿**فإن تابا**﴾ من الفاحشة ﴿**وأصلحا**﴾ العمل فيما بعد فاتركوا أذاهما، وهذا كان في ابتداء الإسلام، ثمَّ نسخه قوله: ﴿الزَّانية والزَّاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ...﴾(٢) الآية.



﴿١٧﴾ ﴿**إنما التوبةُ على الله**﴾ أَي: إنما التوبة التي أوجب الله على نفسه بفضله قَبولَها ﴿**للذين يعملون السوء بجهالة**﴾ أي: إنّ ذنبَ المؤمن جهلٌ منه، والمعاصي كلُّها جهالة، ومَنْ عصىٰ ربَّه فهو جاهل. ﴿**ثم يتوبون من قريب**﴾ أَيْ: من قبل الموت

---

(١) ليس في الأصل.

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١١٧؛ والإيضاح ص ٢١٣؛ وناسخ القرآن لابن البارزي ص ٢٩؛ والناسخ والمنسوخ لهبة الله ص ٣٣.
قيل: ناسخها السُّنَّة، وهو قوله ﷺ: «خذوا عني قد جعل الله لهنَّ سبيلاً، البكر بالبكر مائة جلدة وتغريب عام، والثَّيِّب بالثَّيِّب الرجم». أخرجه أحمد ٥/٣١٨؛ ومسلم في الحدود برقم ١٦٩٠؛ والنحاس في ناسخه ص ١١٨.
وقيل: نسختها آية النور: ﴿الزَّانية والزَّاني فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدة﴾ [الآية ٢].

(٣) سورة النور: الآية ٢.

فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرْهًاۖ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍۚ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

ولو بِفُواقِ ناقة ﴿**فأولئك يتوب الله عليهم**﴾ يعود عليهم بالرحمة ﴿**وكان اللَّهُ عليماً حكيماً**﴾ علم ما في قلوب المؤمنين من التصديق، فحكم لهم بالتوبة قبل الموت بقدر فُواق ناقة.

﴿١٨﴾ ﴿**وليست التوبة للذين يعملون السيئات**﴾ أي: المشركين والمنافقين ﴿**ولا الذين يموتون وهم كفار**﴾ يعني: ولا توبة لهؤلاء إذا ماتوا على كفرهم؛ لأنَّ التَّوبة لا تُقبل في الآخرة. ﴿**أولئك أعتدنا**﴾ أَيْ: هيَّأنا وأعددنا.

﴿١٩﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا يحلُّ لكم...**﴾ الآية. كان الرَّجل إذا ماتَ ورث قريبُه من عصبته امرأتَه، وصار أحقَّ بها من غيره، فأبطل الله ذلك، وأعلم أنَّ الرَّجل لا يرث المرأة من الميت، وقوله: ﴿**أن ترثوا النساء كرهاً**﴾ يريد: عين النِّساء كرهاً، أَيْ: [نكاح النساء][1] وهنَّ كارهاتٌ ﴿**ولا تعضلوهنَّ لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن**﴾ كان الرَّجل يمسك المرأة وليس له فيها حاجةٌ إضراراً بها حتىٰ تفتدي بمهرها، فنُهوا عن ذلك، ثمَّ استثنىٰ فقال: ﴿**إلاَّ أن يأتين بفاحشة مبينة**﴾ أَي: الزِّنا، فإذا رأىٰ الرَّجل من امرأته فاحشةً فلا بأس أن يضارَّها حتىٰ تختلع منه ﴿**وعاشروهنَّ بالمعروف**﴾ أَيْ: بما يجب لهنَّ من الحقوق، وهذا قبل أن يأتين الفاحشة ﴿**فإن كرهتموهن...**﴾ الآية. أَيْ: فيما كرهتم ممَّا هو لله رضى خيرٌ كثيرٌ وثوابٌ عظيمٌ، والخير الكثير في المرأة المكروهة أن يرزقه الله منها ولداً صالحاً.

---

(١) زيادة من ظ.

وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُۥ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ النِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّـٰتُكُمْ وَخَـٰلَـٰتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَـٰتُكُمُ الَّـٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ الرَّضَـٰعَةِ وَأُمَّهَـٰتُ نِسَآئِكُمْ

﴿٢٠﴾ ﴿وإن أردتم...﴾ الآية. أي: إذا أراد الرَّجل طلاق امرأته، وتزوَّج غيرها لم يكن له أن يرجع فيما آتاها من المهر، وهو قوله: ﴿**وآتيتم إحداهنَّ قنطاراً**﴾ أيْ: مالاً كثيراً ﴿**فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً**﴾ ظلماً ﴿**وإثماً مبيناً**﴾ وفي هذا نَهْيٌ عن الضِّرار في غير حال الفاحشة، وهو أَنْ يضارَّها لتفتدي منه من غير أَنْ أتت بفاحشة.

﴿٢١﴾ ﴿**وكيف تأخذونه**﴾ أَي: المهر أو شيئاً منه ﴿**وقد أفضىٰ بعضكم إلى بعض**﴾ أَيْ: وصل إليه بالمجامعة، ولا يجوز الرُّجوع في شيءٍ من المهر بعد الجماع ﴿**وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً**﴾ وهو ما أخذه الله على الرِّجال للنِّساء من إمساكٍ بمعروفٍ، أو تسريحٍ بإحسانٍ.

﴿٢٢﴾ ﴿**ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم...**﴾ الآية. كان الرَّجل من العرب يتزوَّج امرأة أبيه من بعده، وكان ذلك نكاحاً جائزاً في العرب، فحرَّمه الله تعالىٰ ونهىٰ عنه، وقوله: ﴿**إلاَّ ما قد سلف**﴾ يعني: لكن ما قد سلف فإنَّ الله تجاوز عنه ﴿**إنَّه**﴾ أَيْ: إنَّ ذلك النِّكاح ﴿**كان فاحشة**﴾ زنا عند الله ﴿**ومقتاً**﴾ بغضاً شديداً ﴿**وساء سبيلاً**﴾ وقَبُحَ ذلك الفعل طريقاً، ثمَّ ذكر المحرَّمات من النِّساء فقال:

﴿٢٣﴾ ﴿**حرِّمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم**

وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُواْ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾ ۞ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۖ كِتَٰبَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأَمْوَٰلِكُم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ ۚ فَمَا ٱسْتَمْتَعْتُم بِهِۦ مِنْهُنَّ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَٰضَيْتُم بِهِۦ مِنۢ بَعْدِ ٱلْفَرِيضَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ

وربائبكم﴾ جمع الرَّبيبة، وهي بنت امرأة الرَّجل من غيره ﴿اللاتي في حجوركم﴾ أَيْ: في ضمانكم وتربيتكم. ﴿وحلائل﴾ وأزواج ﴿أبنائكم الذين من أصلابكم﴾ لا مَنْ تبنَّيتموه ﴿وأن تجمعوا﴾ أَيْ: الجمع ﴿بين الأختين إلاَّ ما قد سلف﴾ مضىٰ منكم في الجاهلية، فلا تُؤاخذون به بعد الإِسلام.

الجـزء الخـامس:

﴿٢٤﴾ ﴿والمحصنات﴾ وذوات الأزواج ﴿من النساء﴾ وهنَّ مُحرَّمات على كلِّ أحدٍ غير أزواجهنَّ إلاَّ ما ملكتموهنَّ بالسَّبي من دار الحرب؛ فإنَّها تحلُّ لمالكها بعد الاستبراء بحيضة ﴿كتاب الله عليكم﴾ كتب تحريم ما ذكر من النِّساء عليكم ﴿وأحلَّ لكم ما وراء ذلك﴾ أَيْ: ما سوىٰ ذلكم من النِّساء ﴿أن تبتغوا﴾ أَيْ: تطلبوا بأموالكم؛ إمَّا بنكاحٍ وصداقٍ؛ أو بملكِ يمينٍ ﴿محصنين﴾ ناكحين ﴿غير مسافحين﴾ زانين ﴿فما استمتعتم﴾ فما انتفعتم وتلذَّذتم ﴿به منهنَّ﴾ أي: من النساء بالنِّكاح الصَّحيح ﴿فآتوهنَّ أجورهنَّ﴾ أَيْ: مهورهنَّ ﴿فريضة﴾، فإن استمتع بالدُّخول بها آتىٰ المهر تامّاً، وإن استمتع بعقد النِّكاح آتىٰ نصف المهر، ﴿ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة﴾ من حطِّ المهر أو إبراءٍ من بعض الصَّداق أو كلِّه ﴿إنَّ الله كان عليماً﴾ بما يصلح أمر العباد ﴿حكيماً﴾ فيما بيَّن لهم من عقد النِّكاح.

﴿٢٥﴾ ﴿ومَنْ لم يستطع منكم طولاً﴾ أَيْ: قدرةً وغنىً ﴿أن ينكح المحصنات﴾ الحرائر

ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُم مِّن فَتَيَـٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِكُم بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَـٰتٍ غَيْرَ مُسَـٰفِحَـٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَـٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَـٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ

﴿المؤمنات فممّا ملكت أيمانكم﴾ أيْ: فليتزوّج ممّا ملكت أيمانكم. يعني: جارية غيره **﴿من فتياتكم﴾** أيْ: مملوكاتكم **﴿المؤمنات والله أعلم بإيمانكم﴾** أي: اعملوا علىٰ الظّاهر في الإيمان؛ فإنّكم مُتعبَّدون بما ظهر، والله يتولّىٰ السّرائر **﴿بعضكم من بعض﴾** أيْ: دينكم واحدٌ، فأنتم متساوون من هذه الجهة، فمتىٰ وقع لأحدكم الضّرورة جاز له تزوُّج الأَمَة **﴿فانكحوهنَّ بإذن أهلهن﴾** أي: اخطبوهنَّ إلىٰ ساداتهنَّ **﴿وآتوهنَّ أجورهنَّ﴾** مهورهنَّ **﴿بالمعروف﴾** من غير مطلٍ وضرارٍ **﴿محصنات﴾** عفائفَ **﴿غير مسافحات﴾** غير زوانٍ علانيةً **﴿ولا متخذات أخدان﴾** زوانٍ سرّاً **﴿فإذا أُحصن﴾** تزوّجن **﴿فإن أتين بفاحشة﴾** بزنا **﴿فعليهنَّ نصف ما علىٰ المحصنات﴾** الأبكار الحرائر **﴿من العذاب﴾** أي: الحدِّ. **﴿ذلك﴾** أيْ: ذلك النِّكاح نكاح الأَمَة **﴿لمن خشي العنت منكم﴾** أيْ: خاف أن تحمله شدَّة الغِلمة على الزِّنا، فيلقىٰ العنت، أي: الحدَّ في الدُّنيا، والعذاب في الآخرة. أَباحَ الله نكاح الأَمَة بشرطين: أحدهما: عدم الطَّول، الثاني: خوف العَنَت. ثمَّ قال: **﴿وأن تصبروا﴾** أيْ: عن نكاح الإماء **﴿خيرٌ لكم﴾** لئلا يصير الولد عبداً.

﴿٢٦﴾ **﴿يريدُ الله ليبيِّن لكم﴾** شرائع دينكم، ومصالح أمركم **﴿ويهديكم سنن الذين من قبلكم﴾** دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السَّلام، وهو دين الحنيفيَّة **﴿ويتوب عليكم﴾** يرجع بكم عن معصيته التي كنتم عليها إلىٰ طاعته.

﴿٢٧﴾ **﴿واللّهُ يريد أن يتوب عليكم﴾** أيْ: يُخرجكم من كلِّ ما يكره إلىٰ ما يحبُّ

وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمۡۚ وَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗا ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٖ مِّنكُمۡۚ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمۡ رَحِيمٗا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ عُدۡوَٰنٗا وَظُلۡمٗا فَسَوۡفَ نُصۡلِيهِ نَارٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَمَنَّوۡاْ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ

ويرضىٰ، ﴿**ويريد الذين يتبعون الشهوات**﴾ وهم الزُّناة وأهل الباطل في دينهم ﴿**أن تميلوا**﴾ عن الحقِّ وقصد السَّبيل بالمعصية ﴿**ميلاً عظيماً**﴾ فتكونوا مثلَهم.

﴿٢٨﴾ ﴿**يريد الله أن يخفف عنكم**﴾ في كلِّ أحكام الشَّرع ﴿**وخلق الإنسان ضعيفاً**﴾ يضعف من الصَّبر عن النِّساء.

﴿٢٩﴾ ﴿**يا أيُّها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل**﴾ وهو كلُّ ما لا يحلُّ في الشَّرْع، كالرِّبا، والغصب، والقمار، والسَّرقة، والخيانة ﴿**إلَّا أن تكون تجارةً**﴾ لكن إن كانت تجارة ﴿**عن تراضٍ منكم**﴾ برضىٰ البيِّعَيْن فهو حلال ﴿**ولا تقتلوا أنفسكم**﴾ لا يقتل بعضكم بعضاً.

﴿٣٠﴾ ﴿**ومَنْ يفعل ذلك**﴾ أَيْ: أكل المال بالباطل وقتل النَّفس ﴿**عدواناً**﴾ وهو أن يعدوَ ما أُمر به ﴿**وظُلماً فسوف نصليه**﴾ أَيْ: نُدخله ناراً ﴿**وكان ذلك على الله يسيراً**﴾ أَيْ: هو قادر علىٰ ذلك، ولا يتعذَّر عليه.

﴿٣١﴾ ﴿**إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه**﴾ وهي كلُّ ذنبٍ ختمه اللَّهُ بنارٍ، أو غضبٍ، أو لعنةٍ، أو عذابٍ، أو وعيدٍ في القرآن ﴿**نكفر عنكم سيئاتكم**﴾ التي هي دون الكبائر بالصَّلوات الخمس ﴿**وندخلكم مدخلاً كريماً**﴾ أي: الجنَّة.

﴿٣٢﴾ ﴿**ولا تتمنوا ما فضَّل الله به بعضكم على بعض...**﴾ الآية. قالت أمُّ سلمة: يا رسول الله، ليتنا كنَّا رجالاً، فجاهدنا وغزونا، وكان لنا مثل أجر الرِّجال،

لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾ وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِىَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ

فنزلت هذه الآية(١). ﴿**للرجال نصيب**﴾ ثواب ﴿**مما اكتسبوا**﴾ من الجهاد ﴿**وللنساء نصيبٌ**﴾ [ثوابٌ](٢) ﴿**ممَّا اكتسبن**﴾ من حفظ فروجهنَّ وطاعة أزواجهنَّ ﴿**واسألوا الله من فضله**﴾ إن احتجتم إلىٰ مَا لِغَيركم فيعطيكم من فضله.

﴿٣٣﴾ ﴿**ولكلٍّ**﴾ أَيْ: ولكلِّ شخصٍ من الرِّجال والنِّساء ﴿**جعلنا موالي**﴾ عصبة وورثة ﴿**ممَّا ترك الوالدان والأقربون**﴾ أَيْ: ممَّن تركهم والداه وأقربوه، أَيْ: تشعَّبت العصبة والورثة عن الوالدين والأقربين، ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿**والذين عاقدت أيمانكم**﴾(٣) وهم الحلفاء، أَيْ: عاقدت حلفَهم أيمانكم، وهي جمع يمين من القَسَم، وكان الرَّجل في الجاهليَّة يعاقد الرَّجل، ويقول له: دمي دمُك، وحربي حربُك، وسلمي سلمُك، فلمَّا قام الإسلام جعل للحليف السُّدس، وهو قوله: ﴿**فآتوهم نصيبهم**﴾ ثمَّ نسخ ذلك بقوله: ﴿وأولوا الأرحام بعضُهم أولىٰ ببعضٍ في كتاب الله﴾(٤). ﴿**إنَّ الله كان على كلّ شيء شهيداً**﴾ أَيْ: لم يغب عنه علم ما خلق.

﴿٣٤﴾ ﴿**الرجال قوَّامون على النساء**﴾ علىٰ تأديبهنَّ والأخذ فوق أيديهنَّ ﴿**بما فضَّل الله**﴾

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٣٠٥؛ وصححه وأقرَّه الذهبي، وابن جرير ٥/٤٦؛ والمؤلف في الأسباب ص ١٨١.

(٢) زيادة من عا وظا.

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف: ﴿عقدت﴾، والباقون: ﴿عاقدت﴾ الإتحاف ١/٥١٠.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٧٥.

وأخرج هذا عن ابن عباس النحاس في ناسخه ص ١٢٩؛ وابن جرير ٥/٥٢؛ وانظر: الإيضاح ص ٢٢٨؛ والناسخ والمنسوخ للزهري ص ٢٣.

بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُواْ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًاۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾

الرِّجال على النِّساء بالعلم، والعقل، والقوَّة في التَّصرف، والجهاد، والشَّهادة، والميراث ﴿وبما أنفقوا﴾ عليهنَّ ﴿من أموالهم﴾ أي: المهر، والإنفاق عليهنَّ ﴿فالصالحات﴾ من النِّساء اللواتي هنَّ مطيعاتٌ لأزواجهنَّ، وهو قوله: ﴿قانتات حافظاتٌ للغيب﴾ يحفظن فروجهنَّ في غيبة أزواجهنَّ ﴿بما حفظ الله﴾ بما حفظهنَّ الله في إيجاب المهر والنَّفقة لهنَّ، وإيصاء الزَّوج بهنَّ ﴿واللاتي تخافون﴾ تعلمون ﴿نشوزهنَّ﴾ عصيانهنَّ ﴿فعظوهنَّ﴾ بكتاب الله، وذكِّروهنَّ الله وما أمرهنَّ به ﴿واهجروهن في المضاجع﴾ فرِّقوا بينكم وبينهم في المضاجع [في الفرش][1] ﴿واضربوهنَّ﴾ ضرباً غير مبرِّح شديد، وللزَّوج أن يتلافىٰ نشوز امرأته بما أذن الله تعالىٰ فيه، يعظها بلسانه، فإنْ لم تنتهِ هجر مضجعها، فإنْ أبت ضربها، فإن أبت أن تتَّعظ بالضرب بُعثَ الحكمان ﴿فإن أطعنكم﴾ فيما يُلتمس منهنَّ ﴿فلا تبغوا عليهنَّ سبيلاً﴾ لا تتجنَّوا عليهنَّ من العلل.

﴿٣٥﴾ ﴿وإنْ خفتم﴾ [علمتم][2] ﴿شقاق بينهما﴾ علمتم خلافاً بين الزَّوجين ﴿فابعثوا حكماً﴾ أَيْ: حاكماً وهو المانع من الظُّلم من أقاربه ﴿وحَكَماً من أهلها﴾ حتىٰ يجتهدا وينظرا الظَّالم منهما، فيأمراه بالرُّجوع إلىٰ أمر الله، أو يُفرِّقا إنْ رأيا ذلك ﴿إن يريدا﴾ أي: الحكمان ﴿إصلاحاً يوفق الله بينهما﴾ مِن الزَّوج والمرأة بالصَّلاح ﴿إنَّ الله كان عليماً خبيراً﴾ بما في قلوب الزَّوجين والحكمين. قوله:

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) زيادة من عا.

۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴿٣٨﴾ وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ

﴿٣٦﴾ **﴿وبالوالدين إحساناً﴾** أَيْ: أحسنوا بهما إحساناً، وهو البرُّ مع لين الجانب **﴿وبذي القربىٰ﴾** وهو ذو القرابة يصله ويتعطَّف عليه **﴿واليتامىٰ﴾** يرفق بهم ويُدنيهم **﴿والمساكين﴾** ببذلٍ يسيرٍ، أو ردٍّ جميلٍ **﴿والجار ذي القربىٰ﴾** وهو الذي له مع حقِّ الجوار حقُّ القرابة **﴿والجار الجنب﴾** البعيد عنك في النَّسب **﴿والصاحب بالجنب﴾** هو الرَّفيق في السَّفر **﴿وابن السبيل﴾** عابر الطَّريق. [وقيل: الضيف][1] يؤويه ويطعمه حتىٰ يرحل **﴿وما ملكت أيمانهم﴾** أَيْ: المماليك **﴿إنَّ الله لا يحبُّ مَنْ كان مختالاً﴾** عظيماً في نفسه لا يقوم بحقوق الله **﴿فخوراً﴾** على عباده بما خوَّله الله من نعمته.

﴿٣٧﴾ **﴿الذين يبخلون﴾** أي: اليهود. بخلوا بأموالهم أن ينفقوها في طاعة الله تعالىٰ **﴿ويأمرون الناس بالبخل﴾** أمروا الأنصار ألا ينفقوا أموالهم على رسول الله ﷺ، وقالوا: إنَّا نخشىٰ عليكم الفقر **﴿ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾** أَيْ: ما في التَّوراة من أمر محمَّدٍ ﷺ ونعته.

﴿٣٨﴾ **﴿والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس﴾** أَيْ: المنافقين **﴿ومَنْ يكن الشيطانُ له قريناً﴾** يسوِّل له ويعمل بأمره **﴿فساء قريناً﴾** بئس الصَّاحب الشَّيطان.

﴿٣٩﴾ **﴿وماذا عليهم﴾** أَيْ: علىٰ اليهود والمنافقين، أَيْ: ما كان يضرُّهم **﴿لو آمنوا بالله**

(١) زيادة من ظ.

وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ

والیوم الآخر وأنفقوا ممَّا رزقهم الله وكان الله بهم عليماً﴾ لا يُثيبهم بما ينفقون رئاء النَّاس.

﴿٤٠﴾ **﴿إنَّ الله لا يظلم﴾** لا ينقص أحداً **﴿مثقال﴾** [مقدار][1] **﴿ذرة﴾** إن كان مؤمناً أثابه عليها الرِّزق في الدُّنيا، والأجر في الآخرة، وإنْ كان كافراً أطعمه بها في الدُّنيا **﴿وإن تك حسنة﴾** من مؤمنٍ **﴿يضاعفها﴾** بعشرة أضعافها **﴿ويؤتِ مِنْ لدنه﴾** من عنده **﴿أجراً عظيماً﴾** وهو الجنَّة.

﴿٤١﴾ **﴿فكيف﴾** أَيْ: فكيف يكون حال هؤلاء اليهود والمنافقين [يوم القيامة]؟، وهذا استفهامٌ ومعناه التَّوبيخ **﴿إذا جئنا من كلِّ أُمَّة بشهيدٍ﴾** أَيْ: بِنبيِّ كلِّ أُمَّةٍ يشهد عليها ولها **﴿وجئنا بك﴾** يا محمَّد **﴿علىٰ هؤلاء شهيداً﴾** على هؤلاء المنافقين والمشركين شهيداً تشهد عليهم بما فعلوا.

﴿٤٢﴾ **﴿يومئذٍ﴾** أَيْ: في ذلك اليوم **﴿يودُّ الذين كفروا وعصوا الرسول﴾** وقد عصوه في الدُّنيا **﴿لو تسوَّىٰ بهم الأرض﴾** أَيْ: يكونون تراباً، فيستوون مع الأرض حتىٰ يصيروا وهي شيئاً واحداً **﴿ولا يكتمون الله حديثاً﴾** لأنَّ ما عملوه ظاهرٌ عند الله لا يقدرون علىٰ كتمانه.

﴿٤٣﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة﴾** أَيْ: مواضع الصَّلاة، أَيْ: المساجد **﴿وأنتم سكارىٰ﴾** نُهوا عن الصَّلاة وعن دخول المسجد في حال السُّكْر، وكان هذا

---

(١) زيادة من عا.

حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يَشۡتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّواْ ٱلسَّبِيلَ ﴿٤٤﴾

قبل نزول تحريم الخمر[1]، وكان المسلمون بعد نزول هذه الآية يجتنبون السُّكْر والمُسكر أوقات الصَّلاة، والسَّكران: المُختلط العقل الذي يهذي، ولا يستمرُّ كلامه، ألا ترىٰ أنَّ الله تعالىٰ قال: ﴿**حتىٰ تعلموا ما تقولون**﴾ فإذا علم ما يقول لم يكن سكران، ويجوز له الصَّلاة ودخول المسجد ﴿**ولا جُنباً**﴾ أَيْ: ولا تقربوها وأنتم جنبٌ ﴿**إلاَّ عابري سبيل**﴾ إلاَّ إذا عبرتم المسجد فدخلتموه من غير إقامةٍ فيه ﴿**حتىٰ تغتسلوا**﴾ من الجنابة ﴿**وإنْ كنتم مرضىٰ**﴾ أَيْ: مرضاً يضرُّه الماء كالقروح، والجُدَري، والجراحات ﴿**أو علىٰ سفر**﴾ أَيْ: مسافرين ﴿**أو جاء أحدٌ منكم من الغائط**﴾ أو الحدث ﴿**أو لامستم النساء**﴾ أَيْ: لمستموهنَّ بأيديكم ﴿**فلم تجدوا ماءً فتيَمَّمُوا صعيداً طيباً**﴾ تمسَّحوا بترابٍ طيِّبٍ مُنبتٍ.

﴿٤٤﴾ ﴿**ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب**﴾ وهم اليهود ﴿**يشترون الضلالة**﴾ أَيْ: يختارونها على الهدىٰ بتكذيب محمَّدٍ عليه السَّلام ﴿**ويريدون أن تضلوا السبيل**﴾ أن تضلُّوا أيُّها المؤمنون طريق الهدىٰ.

(١) قال النحاس: وأكثر العلماء على أنَّها منسوخة. وقال الزهري: قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارىٰ حتىٰ تعلموا ما تقولون﴾. وقوله تعالىٰ: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثمٌ كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ [سورة البقرة: الآية ٢١٩]. فنسخهما الله عزَّ وجل بقوله سبحانه: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجسٌ من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾ [سوة المائدة: الآية ٩٠].

انظر الناسخ والمنسوخ للنحاس ص ١٣٠، والناسخ والمنسوخ للزهري ص ٢٤، والناسخ والمنسوخ لهبة الله ص ٣٧ والإيضاح ص ٢٢٩.

وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِأَعۡدَآئِكُمۡۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيّٗا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرٗا ﴿٤٥﴾ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٤٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾

﴿٤٥﴾ **﴿والله أعلم بأعدائكم﴾** فهو يُعْلِمكم ما هم عليه **﴿وكفىٰ بالله ولياً وكفىٰ بالله نصيراً﴾** أَيْ: إنَّ ولايته ونصرته إيَّاكم تُغنيكم عن غيره من اليهود، ومَنْ جرىٰ مجراهم.

﴿٤٦﴾ **﴿من الذين هادوا﴾** أَيْ: قومٌ **﴿يحرِّفون الكلم عن مواضعه﴾** أَيْ: يُغيِّرون صفة محمَّد ﷺ وزمانه، ونبوَّته في كتابهم **﴿ويقولون سمعنا﴾** قولك **﴿وعصينا﴾** أمرك **﴿واسمع غير مسمع﴾** كانوا يقولون للنبيِّ ﷺ: اسمع، ويقولون في أنفسهم: لا سمعت **﴿وراعنا ليّاً بألسنتهم﴾** أَيْ: ويقولون راعنا، ويوجِّهونها إلى شتم محمَّد عليه السَّلام بالرُّعونة، وذكرنا أنَّ هذا كان سبّاً بلُغتهم(١) **﴿ولو أنَّهم قالوا سمعنا وأطعنا﴾** مكان قولهم: سمعنا وعصينا وقالوا **﴿واسمع وانظرنا﴾** أَيْ: انظر إلينا؛ بدل قولهم: راعنا **﴿لكان خيراً لهم﴾** عند الله **﴿ولكن لَعَنَهُمُ الله بكفرهم﴾** فلذلك لا يقولون ما هو خيرٌ لهم **﴿فلا يؤمنون إلاَّ قليلاً﴾** أَيْ: إيماناً قليلاً، وهو قولهم: اللَّـهُ ربُّنا، والجنَّةُ حقٌّ، والنَّارُ حقٌّ، وهذا القليل ليس بشيءٍ مع كفرهم بمحمَّدٍ ﷺ، وليس بمدحٍ لهم.

﴿٤٧﴾ **﴿يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً﴾** أَيْ: نمحو ما فيها من عينٍ، وفم، وأنفٍ [ومارن](٢)، وحاجب، فنجعلها كخفِّ البعير، أو كَحَافِرِ الدَّابة **﴿فنردها على أدبارها﴾** نُحوِّلها قبل ظهورهم **﴿أو نلعنهم﴾** أو نجعلهم قردة وخنازير كما فعلنا بأوائلهم **﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾** لا رادَّ لحكمه ولا ناقض لأمره.

---

(١) انظر ص ١٠٤.
(٢) زيادة من ظ. والمارن: طرف الأنف.

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟

﴿٤٨﴾ **﴿إنَّ الله لا يغفر أن يشرك به...﴾** الآية. وعد الله تعالىٰ في هذه الآية مغفرة ما دون الشِّرك، فيعفو عن مَنْ يشاء، ويغفر لِمنْ يشاء إلَّا الشِّرك؛ تكذيباً للقدريَّة، وهو قوله: **﴿ويغفر ما دون ذلك﴾** أَيْ: الشِّرك **﴿لمن يشاء ومَنْ يشرك بالله فقد افترى إثماً عظيماً﴾** أَيْ: اختلق ذنباً غير مغفور.

﴿٤٩﴾ **﴿ألم تر إلىٰ الذين يزكون أنفسهم﴾** أَيْ: اليهود قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، وما عملناه باللَّيل كُفِّر عنَّا بالنَّهار، وما عملناه بالنَّهار كُفِّر عنَّا باللَّيل[1] **﴿بل الله يزكِّي من يشاء﴾** أَيْ: يجعل مَنْ يشاء زاكياً طاهراً نامياً في الصَّلاح. يعني: أهل التَّوحيد **﴿ولا يُظلمون فتيلاً﴾** لا ينقصون من الثواب قدر الفتيل، وهو القشرة الرَّقيقة التي حول النَّواة، ثمَّ عجَّب نبيَّه عليه السَّلام من كذبهم، فقال:

﴿٥٠﴾ **﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾** يعني: قولهم: يكفِّر عنَّا ذنوبنا **﴿وكفىٰ به﴾** بافترائهم **﴿إثماً مبيناً﴾** أَيْ: كفىٰ ذلك في التَّعظيم.

﴿٥١﴾ **﴿ألم تر إلىٰ الذين أوتوا نصيباً من الكتاب﴾** يعني: علماء اليهود **﴿يؤمنون بالجبت﴾** أَيْ: الأصنام **﴿والطاغوت﴾** سدنتها وتراجمتها[2]، وذلك أنَّهم حالفوا قريشاً على حرب رسول الله ﷺ، وسجدوا لأصنام قريش، وقالوا لهم: أنتم أهدىٰ من محمَّدٍ عليه السَّلام، وأقوم طريقةً وديناً، وهو قوله: **﴿ويقولون للذين كفروا﴾**

---

(١) أخرجه ابن جرير ٥/ ١٢٧ عن السدي.

(٢) وهم الذين يكونون بين أيدي الأصنام يعبرون عنها الكذب، ليضلوا الناس، وهذا تفسير ابن عباس. تفسير الطبري ٥/ ١٣١.

هَٰٓؤُلَآءِ أَهۡدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُۖ وَمَن يَلۡعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُلۡكِ فَإِذٗا لَّا يُؤۡتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ فَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ ءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَءَاتَيۡنَٰهُم مُّلۡكًا عَظِيمٗا ﴿٥٤﴾ فَمِنۡهُم مَّنۡ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنۡهُم مَّن صَدَّ عَنۡهُۚ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ

يعني: قريشاً ﴿**هؤلاء أهدىٰ من الذين آمنوا سبيلاً**﴾، وقوله:

﴿٥٣﴾ ﴿**أم لهم نصيبٌ**﴾ أيْ: بل أَلهم نصيب من الملك؟ يعني: ليس لليهود ملك، ولو كان إذاً لهم لم يُؤتوا أحداً شيئاً، وهو قوله: ﴿**فإذاً لا يؤتون الناس نقيراً**﴾ أيْ: لضنُّوا بالقليل. وصفهم الله بالبخل في هذه الآية، والنَّقير يُضرب مثلاً للشَّيء القليل، وهو نقرةٌ في ظهر النَّواة [منها] تنبت النَّخلة.

﴿٥٤﴾ ﴿**أم يحسدون الناس**﴾ يعني: محمَّداً عليه السَّلام ﴿**علىٰ ما آتاهم الله من فضله**﴾ حسدت اليهود محمَّداً عليه السَّلام علىٰ ما آتاه الله من النُّبوَّة، وما أباح له من النِّساء، وقالوا: لو كان نبيّاً لشغله أمر بالنُّبوَّة عن النِّساء، فقال الله تعالىٰ: ﴿**فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة**﴾ يعني: النُّبوَّة ﴿**وآتيناهم ملكاً عظيماً**﴾ يعني: ملك داود وسليمان عليهما السَّلام، وما أُوتوا من النِّساء، فكان لداود تسعٌ وتسعون، ولسليمان ألفٌ من بين حُرَّةٍ ومملوكةٍ، والمعنىٰ: أيحسدون النَّبيَّ عليه السَّلام على النُّبوَّة وكثرة النِّساء وقد كان ذلك في آله؛ لأنَّه من آل إبراهيم عليه السَّلام.

﴿٥٥﴾ ﴿**فمنهم**﴾ من أهل الكتاب ﴿**من آمن به**﴾ بمحمَّدٍ عليه السَّلام ﴿**ومنهم مَن صدَّ عنه**﴾ أعرض عنه فلم يؤمن ﴿**وكفىٰ بجهنَّم سعيراً**﴾ عذاباً لمَنْ لا يؤمن. وقوله:

﴿٥٦﴾ ﴿**كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها**﴾ يعني: أنَّ جلودهم إذا نضجت واحترقت جُدِّدت، بأن تُردَّ إلىٰ الحال التي كانت عليها غير محترقة ﴿**ليذوقوا**

ٱلْعَذَابَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾

العذاب﴾ ليقاسوه وينالوه **﴿إنَّ الله كان عزيزاً﴾** قوياً لا يغلبه شيء **﴿حكيماً﴾** فيما دبَّر، وقوله:

﴿٥٧﴾ **﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾** يعني: ظلَّ هواء الجنَّة، وهو ظليلٌ، أَيْ: دائمٌ لا تنسخه الشَّمس.

﴿٥٨﴾ **﴿إنَّ الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها﴾** نزلت في ردِّ مفتاح الكعبة علىٰ عثمان بن طلحة الحجبيِّ حين أُخذ منه قسراً يوم فتح مكة، فأمره الله تعالىٰ بردِّه عليه[1]، ثمَّ هذه الآية عامَّةٌ في ردِّ الأمانات إلىٰ أصحابها كيف ما كانوا. **﴿إنَّ الله نِعِمَّا يعظكم به﴾** أَيْ: نِعمَ شيئاً يعظكم به، وهو القرآن **﴿إنَّ الله كان سميعاً﴾** لمقالتكم في الأمانة والحكم **﴿بصيراً﴾** بما تعملون فيها، قال أبو روق[2]: قال النبيُّ ﷺ لعثمان: أعطني المفتاح، فقال: هاكَ بأمانة الله، ودفعه إليه، فأراد عليه السَّلام أن يدفعه إلى العباس، فنزلت هذه الآية[3]، فقال النَّبيُّ ﷺ لعثمان: هاك [بأمانة الله][4]، خالدةً تالدةً، لا ينزعها عنكم إلاَّ ظالم، ثمَّ إنَّ عثمان هاجر ودفع إلىٰ أخيه شيبة، فهو في ولده إلىٰ اليوم.

---

(١) أخرجه ابن جرير ٥/ ١٤٥ عن ابن جريج، وانظر أسباب النزول ص ١٨٨.

(٢) هو عطية بن الحارث الهمداني، صاحب التفسير، صدوق. تقريب التهذيب ص ٣٩٣.

(٣) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس من طريق الكلبي. لباب النقول ص ٧١، والدر المنثور ٢/ ٥٧٠ وأسباب النزول ص ١٨٩ بسنده إلى شيبة بن عثمان بن طلحة، وهو صحابي من مسلمة الفتح.

(٤) زيادة من ظ.

فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيۡتَ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودٗا ﴿٦١﴾ فَكَيۡفَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ

---

(٥٩) **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾** وهم العلماء والفقهاء. وقيل: الأمراء والسَّلاطين، وتجب طاعتهم فيما وافق الحقَّ. **﴿فإن تنازعتم﴾** اختلفتم وتجادلتم وقال كلُّ فريق: القولُ قولي، فَرُدُّوا الأمر في ذلك إلى كتاب الله وسنَّة رسوله **﴿ذلك خيرٌ﴾** أَيْ: ردُّكُم ما اختلفتم فيه إلى الكتاب والسنة، وردُّك التجادل **﴿وأحسن تأويلاً﴾** وأحمدُ عاقبةً.

(٦٠) **﴿ألم تر إلىٰ الذين يزعمون...﴾** الآية. وقع نزاعٌ بين يهوديٍّ ومنافق، فقال اليهوديُّ: بيننا أبو القاسم، وقال المنافق: لا بل نُحكِّم بيننا كعب بن الأشرف، فنزلت هذه الآية. وهو قوله: **﴿يريدون أنْ يتحاكموا إلى الطاغوت﴾** ومعناه: ذو الطُّغيان **﴿وقد أمروا أن يكفروا به﴾** أَيْ: أُمروا أن لا يوالوا غير أهل دينهم **﴿ويريد الشيطان أن يضلَّهم ضلالاً بعيداً﴾** لا يرجعون عنه إلىٰ دين الله أبداً، وهذا تعجيبٌ للنبيِّ ﷺ من جهل مَنْ يعدل عن حكم الله إلىٰ حكم الطَّاغوت مع زعمه بأنَّه يؤمن بالله ورسوله.

(٦١) **﴿وإذا قيل لهم﴾** أَيْ: للمنافقين **﴿تعالوا إلىٰ ما أنزل الله﴾** أَيْ: في القرآن من الحكم **﴿وإلىٰ الرسول﴾** وإلى حكم الرَّسول **﴿رأيت المنافقين يَصُدُّون عنك صدوداً﴾** يُعرضون عنك إعراضاً إلى غيرك عداوةً للدِّين.

(٦٢) **﴿فكيف﴾** أَيْ: فكيف يصنعون ويحتالون **﴿إذا أصابتهم مصيبة﴾** مجازاةً لهم علىٰ ما صنعوا، وهو قوله: **﴿بما قدَّمت أيديهم﴾** وتمَّ الكلام هٰهنا، ثمَّ عطف على معنىً ما سبق فقال: **﴿ثم جاؤوك يحلفون بالله﴾** أَيْ: تحاكموا إلى الطَّاغوت،

إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُ ٱللَّهُ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُل لَّهُمْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ قَوْلًۢا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُوا۟ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ

وصدُّوا عنك، ثمَّ جاؤوك يحلفون، وذلك أنَّ المنافقين أتوا النبيَّ ﷺ، وحلفوا أنَّهم ما أرادوا بالعدول عنه في المحاكمة إلَّا توفيقاً بين الخصوم، أَيْ: جمعاً وتأليفاً، وإحساناً بالتَّقريب في الحكم دون الحمل علىٰ مُرِّ الحقِّ، وكلُّ ذلك كذبٌ منهم؛ لأنَّ الله تعالىٰ قال:

﴿٦٣﴾ **﴿أولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم﴾** أَيْ: من الشِّرك والنِّفاق **﴿فأعرض عنهم﴾** أَيْ: اصفح عنهم **﴿وعظهم﴾** بلسانك **﴿وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً﴾** أَيْ: خوِّفهم بالله، وازجرهم عمَّا هم عليه بأبلغ الزَّجر كيلا يستسِرُّوا الكفر.

﴿٦٤﴾ **﴿وما أرسلنا من رسولٍ إلَّا ليطاع﴾** فيما يأمرُ به ويحكم، لا ليُعصىٰ ويُطلب الحكم من غيره، وقوله: **﴿بإذن الله﴾** أَيْ: لأنَّ الله أذن في ذلك، وأمر بطاعته **﴿ولو أنهم﴾** أَيْ: المنافقين **﴿إذ ظلموا أنفسهم﴾** بالتَّحاكم إلىٰ الكفَّار **﴿جاؤوك فاستغفروا الله﴾** فزعوا وتابوا إلىٰ الله، وقوله:

﴿٦٥﴾ **﴿فلا﴾** أَيْ: ليس الأمر كما يزعمون أنَّهم آمنوا وهم يخالفون حكمك **﴿وربك لا يؤمنون﴾** حقيقة الإيمان **﴿حتَّى يحكموك فيما شجر﴾** اختلف واختلط **﴿بينهم ثمَّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً﴾** ضيقاً وشكّاً **﴿ممَّا قضيت﴾** أَيْ: أوجبتَ **﴿ويسلموا﴾** الأمر إلى الله وإلى رسوله من غير معارضةٍ بشيءٍ.

﴿٦٦﴾ **﴿ولو أنَّا كتبنا عليهم﴾** أَيْ: علىٰ هؤلاء المنافقين [من اليهود][1] **﴿أن اقتلوا**

(١) زيادة من ظا.

أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴿٦٦﴾ وَإِذًا لَّءَاتَيْنَٰهُم مِّن لَّدُنَّآ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ

أنفسكم﴾ كما كتبنا ذلك على بني إسرائيل **﴿أو اخرجوا من دياركم﴾** كما كتبنا علىٰ المهاجرين **﴿ما فعلوه إلاَّ قليلٌ منهم﴾** للمشقَّة فيه مع أنَّه كان ينبغي أن يفعلوه **﴿ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به﴾** ما يُؤمرون به من أحكام القرآن **﴿لكان خيراً لهم﴾** في معاشهم وفي ثوابهم **﴿وأشدَّ تثبيتاً﴾** منهم لأنفسهم في الدِّين، وتصديقاً بأمر الله.

﴿٦٧﴾ **﴿وإذاً لآتيناهم من لدنَّا﴾** أَيْ: ممَّا لا يقدر عليه غيرنا **﴿أجراً عظيماً﴾** أَيْ: الجنَّة.

﴿٦٨﴾ **﴿ولهديناهم﴾** أرشدناهم **﴿صراطاً مستقيماً﴾** [إلىٰ دينٍ مستقيمٍ][1] وهو دين الحنيفيَّة لا دين اليهوديَّة.

﴿٦٩﴾ **﴿ومَن يطع الله...﴾** الآية. قال المسلمون للنبيِّ ﷺ: ما لنا منك إلاَّ الدُّنيا، فإذا كانت الآخرة رُفِعْتَ في الأعلىٰ، فحزن وحزنوا، فنزلت[2] **﴿ومَنْ يطع الله﴾** في الفرائض **﴿والرسول﴾** في السُّنن **﴿فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيين﴾** أَيْ: إنَّه يستمتع برؤيتهم وزيارتهم، فلا يتوهمنَّ أنَّه لا يراهم **﴿والصديقين﴾** أفاضل أصحاب الأنبياء **﴿والشهداء﴾** القتلىٰ في سبيل الله **﴿والصالحين﴾** أَيْ: أهل الجنَّة من سائر المسلمين **﴿وحسن أولئك﴾** الأنبياء وهؤلاء **﴿رفيقاً﴾** أَيْ: أصحاباً ورفقاء.

﴿٧٠﴾ **﴿ذلك﴾** أَيْ: ذلك الثَّواب، وهو الكون مع النَّبيِّين **﴿الفضل من الله﴾** تفضَّل به

---

(١) زيادة من عا.

(٢) أخرجه ابن جرير عن مسروق وقتادة والسدي. تفسير الطبري ٥/١٦٣ ــ ١٦٤، وأسباب النزول ص ١٩٦ ولباب النقول ص ٧٤.

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ خُذُوا۟ حِذْرَكُمْ فَٱنفِرُوا۟ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُوا۟ جَمِيعًا ﴿٧١﴾ وَإِنَّ مِنكُمْ لَمَن لَّيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَىَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴿٧٢﴾ وَلَئِنْ أَصَـٰبَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ ٱللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنۢ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُۥ مَوَدَّةٌ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧٣﴾ ۞ فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ

علىٰ مَنْ أطاعه ﴿وكفىٰ بالله عليماً﴾ بخلقه، أَيْ: إنَّه عالمٌ لا يخفىٰ عليه شيء، ولا يضيع عنده عمل، ثمَّ حثَّ عباده المؤمنين على الجهاد، فقال:

﴿٧١﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم﴾ سلاحكم عند لقاء العدوِّ ﴿فانفروا﴾ أَيْ: فانهضوا إلى لقاء العدوِّ ﴿ثباتٍ﴾ جماعاتٍ مُتفرِّقين إذا لم يكن معكم الرَّسول ﴿أو انفروا جميعاً﴾ إذا خرج الرَّسول إلى الجهاد.

﴿٧٢﴾ ﴿وإنَّ منكم لَمَنْ ليُبطئنَّ﴾ أَيْ: ليتخلفنَّ ويتثاقلنَّ عن الجهاد، وهم المنافقون، وجعلهم من المؤمنين من حيث إنَّهم أظهروا كلمة الإسلام، فدخلوا تحت حكمهم في الظَّاهر ﴿فإن أصابتكم مصيبةٌ﴾ من العدوِّ، وجهدٌ من العيش ﴿قال قد أنعم الله عليَّ﴾ بالقعود حيث لم أحضر فيصيبني ما أصابكم.

﴿٧٣﴾ ﴿ولئن أصابكم فضلٌ من الله﴾ فتحٌ وغنيمة ﴿ليقولنَّ﴾ هذا المنافق قولَ نادمٍ حاسدٍ: ﴿يا ليتني كنتُ معهم فأفوز فوزاً عظيماً﴾ أَيْ: لأسعدَ بمثل ما سعدوا به من الغنيمة، وقوله: ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مودَّة﴾ متصلٌ في المعنى بقوله: ﴿قد أنعم الله عليَّ إذ لم أكن معهم﴾، ﴿كأن لم تكن بينكم وبينه مودَّة﴾. أَيْ: كأنْ لم يعاقدكم علىٰ الإسلام ويعاضدكم علىٰ قتال عدوِّكم، ولم يكن بينكم وبينه مودة في الظَّاهر، ثمَّ أمر المؤمنين بالقتال فقال:

﴿٧٤﴾ ﴿فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون﴾ أَيْ: يبيعون ﴿الحياة الدُّنيا بالآخرة﴾ أَيْ: بالجنَّة، أَيْ: يختارون الجنَّة على البقاء في الدُّنيا ﴿ومَنْ يُقاتل في سبيل الله فيقتل﴾ فيستشهد ﴿أو يغلب﴾ فيظفر، فكلاهما سواءٌ، وهو معنىٰ قوله: ﴿فسوف

نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٧٤﴾ وَمَا لَكُمۡ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمۡ كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ

نؤتيه أجراً عظيماً﴾ ثواباً لا صفة له، ثمَّ حضَّ المؤمنين علىٰ الجهاد في سبيله لاستنقاذ ضعفة المؤمنين من أيدي المشركين، فقال:

﴿٧٥﴾ **﴿ومالكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والوِلدان﴾** وهم قومٌ بمكَّة استُضعفوا فَحُبسوا وعُذِّبوا **﴿الذين يقولون ربنا أخرجنا﴾** إلىٰ دار الهجرة **﴿من هذه القرية﴾** مكَّة **﴿الظالم أهلها﴾** أَيْ: جعلوا لله شركاء **﴿واجعل لنا من لَدُنْكَ ولياً﴾** أَيْ: ولِّ علينا رجلاً من المؤمنين يوالينا **﴿واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾** ينصرنا على عدوِّك، فاستجاب الله دعاءَهم، وولَّىٰ عليهم رسولُ الله ﷺ عتَّابَ بن أسيد[1]، وأعانهم [الله] به، فكانوا أعزَّ بها من الظَّلمة قبل ذلك.

﴿٧٦﴾ **﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله﴾** في طاعة الله **﴿والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت﴾** أَيْ: في طاعة الشَّيطان **﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾** عبدة الأصنام **﴿إنَّ كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾** يعني: خذلانه إيَّاهم يوم قُتلوا ببدرٍ.

﴿٧٧﴾ **﴿ألم تر إلىٰ الذين قيل لهم كفوا أيديكم﴾** عن قتال المشركين، وأدُّوا ما فُرض عليكم من الصَّلاة والزَّكاة. نزلت في قوم من المؤمنين استأذنوا النبـيَّ ﷺ وهم

---

(١) وهذا قول ابن عباس أخرجه عنه العقيلي في الضعفاء الكبير ٤/ ٣٣٩ من طريق الكلبي، قال العقيلي: لا يُتابع عليه. اهـ. وعتاب بن أسيد أسلم يوم الفتح، واستعمله النبيُّ على مكَّة لما سار إلى حنين واستمر. وقيل: إنما استعمله بعد أن رجع من الطائف، وحجَّ بالناس سنة الفتح. الإصابة ٢/ ٤٥١.

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ

بمكَّة في قتال المشركين، فلم يأذن لهم[١] ﴿**فلما كتب عليهم القتال**﴾ بالمدينة ﴿**إذا فريقٌ منهم يخشون الناس**﴾ أَيْ: عذاب النَّاس بالقتل ﴿**كخشية الله**﴾ كما يخشىٰ عذاب الله ﴿**أو أشدَّ**﴾ أكبَر ﴿**خشية**﴾ وهذه الخشية إنَّما كانت لهم من حيث طبع البشريَّة، لا علىٰ كراهية أمر الله بالقتال ﴿**وقالوا**﴾ جزعاً من الموت، وحرصاً على الحياة: ﴿**ربنا لمَ كتبت**﴾ فرضتَ ﴿**علينا القتال لولا**﴾ هلاَّ ﴿**أخرتنا إلى أجل قريب**﴾ وهو الموت، أَيْ: هلاَّ تركتنا حتىٰ نموت بآجالنا، وعافيتنا من القتل ﴿**قل**﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿**متاع الدنيا قليل**﴾ أجل الدُّنيا قريبٌ، وعيشها قليلٌ ﴿**والآخرة**﴾ الجنَّةُ ﴿**خيرٌ لمن اتقىٰ**﴾ ولم يُشرك به شيئاً ﴿**ولا تظلمون فتيلاً**﴾ أَيْ: لا تُنقصون من ثواب أعمالكم مثل فتيل النَّواة، ثمَّ أعلمهم أنَّ آجالهم لا تخطئهم ولو تمنَّعوا بأمنع الحصون، فقال:

﴿٧٨﴾ ﴿**أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج**﴾ حصونٍ وقصور ﴿**مشيدة**﴾ مُطوَّلة مرفوعة. [وقيل: بروج السَّماء][٢]. ﴿**وإن تصبهم**﴾ يعني: المنافقين [واليهود][٣] ﴿**حسنة**﴾ خصب ورخص سعر ﴿**يقولوا هذه من عند الله وإن تصبهم سيئة**﴾ جدبٌ وغلاءٌ ﴿**يقولوا هذه من عندك**﴾ من شؤم محمد، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا قدم المدينة وكفرت اليهود أمسك الله عنهم ما كان قد بسط عليهم،

(١) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن جرير ٥/ ١٧٠؛ وذكر أنَّهم عبد الرحمن بن عوف وأصحابه، والحاكم في المستدرك ٢/ ٦٦؛ وصححه وأقرَّه الذهبي، والنسائي في تفسيره ١/ ١٩٤، والبيهقي في السنن ٩/ ١١.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) زيادة من ظ.

﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ ۖ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ ۖ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٨١﴾﴾

فقالوا: ما رأينا أعظم شؤماً من هذا، نقصت ثمارنا، وغلت أسعارنا منذ قدم علينا، فقال الله تعالىٰ: ﴿قل كلٌّ﴾ أي: الخصب والجدب ﴿من عند الله﴾ من قِبَل الله ﴿فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً﴾ لا يفهمون القرآن.

(٧٩) ﴿ما أصابك﴾ يا ابن آدم ﴿من حسنة﴾ فتح وغنيمةٍ وخِصبٍ فمن تفضُّل الله ﴿وما أصابك من سيئة﴾ من جدبٍ وهزيمةٍ وأمرٍ تكرهه ﴿فمن نفسك﴾ فبذنبك يا ابن آدم ﴿وأرسلناك﴾ يا محمدُ ﴿للناس رسولاً وكفىٰ بالله شهيداً﴾ علىٰ رسالتك.

(٨٠) ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ يعني: إنَّ طاعتكم لمحمد طاعةٌ لله ﴿ومَنْ تولىٰ﴾ أعرض عن طاعته ﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾ أيْ: حافظاً لهم من المعاصي حتىٰ لا تقع، أَيْ: ليس عليك بأسٌ لتولِّيه؛ لأنَّك لم ترسل عليهم حفيظاً من المعاصي.

(٨١) ﴿ويقولون﴾ أي: المنافقون ﴿طاعةٌ﴾ أَيْ: طاعةٌ لأمرك ﴿فإذا برزوا﴾ خرجوا ﴿من عندك بيَّت﴾ قدَّر وأضمر ﴿طائفة منهم غير الذي تقول﴾ لك من الطَّاعة أَيْ: أضمروا خلاف ما أظهروا، وقدَّروا ليلاً خلاف ما أعطوك نهاراً ﴿واللَّهُ يكتب ما يبيِّتون﴾ أَيْ: يحفظ عليهم ليُجَازَوا به ﴿فأعرض عنهم﴾ أَيْ: فاصفح عنهم، وذلك أنه نُهي عن قتل المنافقين في ابتداء الإسلام، ثمَّ نُسخ[1] ذلك بقوله: ﴿جاهدِ الكفَّار والمنافقين﴾[2].

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله ص ٣٧.

(٢) سورة التوبة: الآية ٧٣.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ ۚ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ

﴿٨٢﴾ **﴿أفلا يتدبرون القرآن﴾** أي: المنافقون، [أفلا] يتأمَّلون ويتفكرون فيه **﴿ولو كان﴾** القرآن **﴿من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾** بالتَّناقض، والكذب، والباطل، وتفاوت الألفاظ.

﴿٨٣﴾ **﴿وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن...﴾** الآية. نزلت في أصحاب الأراجيف[1]، وهم قومٌ من المنافقين كانوا يُرجفون بسرايا رسول الله ﷺ، ويُخبرون بما وقع بها قبل أن يُخبرَ به النبيُّ ﷺ، فَيُضعفون قلوب المؤمنين بذلك، ويُؤذون النبيَّ عليه السَّلام بسبقهم إيَّاه بالإخبار، وقوله: **﴿أمرٌ من الأمن﴾** حديثٌ فيه أمنٌ **﴿أو الخوف﴾** يعني: الهزيمة **﴿أذاعوا به﴾** أيْ: أفشوه **﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلىٰ أولي الأمر منهم﴾** ولو سكتوا عنه حتىٰ يكون الرَّسول هو الذي يُفشيه، وأولو الأمر مثل أبي بكر وعمر وعليٍّ رضي الله عنهم. وقيل: أمراء السَّرايا **﴿لعلمه الذين يستنبطونه﴾** يتبعونه ويطلبون علمَ ذلك. **﴿منهم﴾** من الرسول وأولي الأمر **﴿ولولا فضلُ الله﴾** أي: الإسلام **﴿ورحمته﴾** القرآن **﴿لاتبعتم الشيطان إلاَّ قليلاً﴾** ممَّن عصم الله، كالذين اهتدوا بعقولهم لترك عبادة الأوثان بغير رسولٍ ولا كتابٍ، نحو زيد بن عمرو، وورقة بن نوفل، وطُلَّاب الدِّين، وهذا تذكيرٌ للمؤمنين بنعمة الله عليهم حتىٰ سلموا من النِّفاق، وما ذُمَّ به المنافقون.

﴿٨٤﴾ **﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلاَّ نفسك﴾** أَيْ: إلاَّ فعلَ نفسك، علىٰ معنىٰ: أنَّه لا ضرر عليك في فعل غيرك، فلا تهتمَّ بتخلُّف مَنْ يتخلَّف عن الجهاد **﴿وحرِّض المؤمنين﴾** حُضَّهم على القتال **﴿عسىٰ الله﴾** واجبٌ من الله **﴿أن يكفَّ﴾** يصرف

---

(١) أخرجه ابن جرير ٥/ ١٨١ عن ابن جريج.

بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۗ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ

ويمنع ﴿بأس الذين كفروا﴾ شدَّتهم وشوكتهم ﴿واللَّهُ أشدُّ بأساً﴾ عذاباً ﴿وأشدُّ تنكيلاً﴾ عقوبة.

﴿٨٥﴾ ﴿مَنْ يشفع شفاعة حسنةً﴾ هي كلُّ شفاعة تجوز في الدِّين ﴿يكن له نصيبٌ منها﴾ كان له فيها أجر ﴿ومَنْ يشفع شفاعة سيئة﴾ أَيْ: ما لا يجوز في الدين أن يشفع فيه ﴿يكن له كفلٌ منها﴾ أَيْ: نصيبٌ من الوِزر والإِثم ﴿وكان الله علىٰ كلِّ شيءٍ مقيتاً﴾ مقتدراً.

﴿٨٦﴾ ﴿وإذا حييتم بتحيَّةٍ﴾ أَيْ: إذا سُلِّم عليكم بسلامٍ ﴿فحيوا بأحسن منها﴾ أَيْ: أجيبوا بزيادةٍ على التحيَّة إذا كان المُسَلِّم من أهل الإِسلام ﴿أو ردُّوها﴾ إذا كان من أهل الكتاب. [فقولوا: عليكم، ولا تزيدوا على ذلك][1]. ﴿إنَّ الله كان على كلِّ شيءٍ حسيباً﴾ [حفيظاً][2] مجازياً.

﴿٨٧﴾ ﴿الله لا إلَه إلَّا هو ليجمعنَّكم﴾ أَيْ: واللَّهِ ليجمعنَّكم في القبور ﴿إلىٰ يوم القيامة لا ريبَ فيه﴾ [لا شكَّ فيه] ﴿ومَنْ أصدقُ من الله حديثاً﴾ أَيْ: قولاً وخبراً. يريد: أنَّه لا خُلفَ لوعده.

﴿٨٨﴾ ﴿فما لكم في المنافقين فئتين﴾ نزلت[3] في قومٍ قدموا علىٰ رسول الله ﷺ المدينة فأقاموا ما شاء الله، ثمَّ قالوا: إنَّا اجتوينا المدينة، فأذن رسول الله ﷺ لهم أَنْ

(١) زيادة من ظ.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) أخرج هذا البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/٢٥٦؛ ومسلم برقم ١٣٨٤؛ وأحمد ٥/١٨٤؛ والنسائي في تفسيره ١/٣٩٥.

وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءًۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْۚ

يخرجوا، فلمَّا خرجوا لم يزالوا يرحلون مرحلةً مرحلةً، حتىٰ لحقوا بالمشركين، فاختلف المؤمنون فيهم، فقال بعضهم: إنَّهم كفار مرتدُّون، وقال آخرون: هم مسلمون حتىٰ نعلم أنَّهم بدَّلوا، فبيَّن الله كفرهم في هذه الآية. والمعنىٰ: ما لكم مختلفين في هؤلاء المنافقين على فئتين، على فرقتين **﴿والله أركسهم﴾** ردَّهم إلى حكم الكفَّار من الذُّلِّ والصَّغار، والسَّبي والقتل **﴿بما كسبوا﴾** بما أظهروا من الارتداد بعدما كانوا على النِّفاق **﴿أتريدون﴾** أيُّها المؤمنون **﴿أن تهدوا﴾** أَيْ: ترشدوا **﴿مَنْ أضلَّ الله﴾** لم يرشده الله، أَيْ: يقولون: هؤلاء مهتدون، والله قد أضلَّهم **﴿ومَنْ يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾** أَيْ: ديناً وطريقاً إلىٰ الحجَّة.

﴿٨٩﴾ **﴿ودُّوا﴾** أَيْ: هؤلاء **﴿لو تكفرون كما كفروا فتكونون﴾** أنتم وهم **﴿سواءً فلا تتخذوا منهم أولياء﴾** أَيْ: لا تُوالوهم ولا تُباطنوهم **﴿حتىٰ يهاجروا في سبيل الله﴾** حتىٰ يرجعوا إلىٰ رسول الله **﴿فإن تولوا﴾** عن الهجرة وأقاموا علىٰ ما هم عليه **﴿فخذوهم﴾** بالأسر **﴿ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾** أَيْ: لا تتولوهم ولا تستنصروا بهم علىٰ عدوِّكم.

﴿٩٠﴾ **﴿إلاَّ الذين يصلون﴾** أَيْ: فاقتلوهم حيث وجدتموهم إلاَّ الذين يتصلون ويلتجئون **﴿إلىٰ قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾** فيدخلون فيهم بالحلف والجوار **﴿أو جاؤوكم حصرت صدورهم﴾** يعني: أو يتصلون بقوم جاؤوكم وقد ضاقت صدورهم بقتالكم، وهم بنو مدلجٍ كانوا صلحاً للنبيِّ ﷺ، وهذا بيان أنَّ مَن انضمَّ إلى قوم ذوي عهدٍ مع النبيِّ ﷺ فله مثلُ حكمهم في حقن الدم والمال، ثمَّ نُسخ هذا كلُّه

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟ ۚ

بآية السَّيف(١)، ثمَّ ذكر الله تعالىٰ مِنَّته بكفِّ بأس المعاهدين فقال: ﴿**ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم**﴾ يعني: إنَّ ضيق صدورهم عن قتالكم إنَّما هو لقذف الله تعالىٰ الرُّعب في قلوبهم، ولو قوَّىٰ الله تعالىٰ قلوبهم على قتالكم لقاتلوكم، ﴿**فإن اعتزلوكم**﴾ أَيْ: في الحرب ﴿**وألقوا إليكم السلم**﴾ أي: الصُّلح ﴿**فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً**﴾ في قتالهم وسفك دمائهم، ثمَّ أمره بقتال مَنْ لم يكن على مثل سبيل هؤلاء، فقال:

﴿٩١﴾ ﴿**ستجدون آخرين...**﴾ الآية. هؤلاء قومٌ كانوا يظهرون الموافقة لقومهم من الكفَّار، ويظهرون الإسلام للنبيِّ ﷺ والمؤمنين، يريدون بذلك الأمن في الفريقين، فأطلع الله نبيَّه عليه السَّلام على نفاقهم، [وهو قوله: ﴿**يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم**﴾](٢) وقوله: ﴿**كلما رُدُّوا إلىٰ الفتنة أركسوا فيها**﴾ كلَّما دُعوا إلى الشِّرك رجعوا فيه ﴿**وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطاناً مبيناً**﴾ أَيْ: حجَّة بيِّنةً في قتالهم؛ لأنَّهم غَدَرةٌ لا يُوفون لكم بعهدٍ.

﴿٩٢﴾ ﴿**وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً**﴾ أَلْبَتَّةَ ﴿**إلَّا خطأً**﴾ إلَّا أنَّه قد يخطىء المؤمن بالقتل ﴿**ومَنْ قتل مؤمناً خطأً**﴾ مثل أن يقصد بالرَّمي غيره فأصابه ﴿**فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهله**﴾ إلىٰ جميع ورثته ﴿**إلَّا أن يصدقوا**﴾ أَيْ: يعفوا

---

(١) وهي قوله تعالىٰ: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾.

(٢) زيادة من ظا.

فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ

ويتركوا الدية ﴿**فإن كان**﴾ المقتول ﴿**من قوم**﴾ حربٍ لكم وكان مؤمناً ﴿**فتحرير رقبة مؤمنة**﴾ كفارةً للقتل، ولا دية، لأنَّ عصبته وأهله كفَّار فلا يرثون ديته ﴿**وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق**﴾ كأهل الذِّمة فتجب فيه الدِّية والكفَّارة ﴿**فمن لم يجد**﴾ الرَّقبة ﴿**فصيام شهرين متتابعين توبة من الله**﴾ أَيْ: ليقبل الله توبة القاتل حيث لم يبحث عن المقتول وحاله، وحيث لم يجتهد حتىٰ لا يخطىء.

﴿٩٣﴾ ﴿**ومَنْ يقتل مؤمناً متعمداً...**﴾ الآية. غلَّظ الله وعيد قاتل المؤمن عمداً للمبالغة في الرَّدع والزَّجر.

﴿٩٤﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم**﴾ أَيْ: سرتم ﴿**في الأرض فتبيَّنوا**﴾ أَيْ: تأنَّوا وتثبَّتوا. نزلت[1] في رجلٍ كان قد انحاز بغنمٍ له إلىٰ جبلٍ، فلقي سريةً من المسلمين عليهم أسامة بن زيد، فأتاهم وقال: السَّلام عليكم، لا إلٰه إلاَّ الله، محمد رسول الله، وكان قد أسلم، فقتله أسامة واستاقوا غنمه، فنزلت نهياً عن سفك دم مَنْ هو علىٰ مثل هذه الحالة، وذلك أنَّ أسامة قال: إنَّما قالها مُتعوِّذاً، فقال الله: ﴿**ولا تقولوا لمن ألقىٰ إليكم السلام**﴾ أَيْ: حيَّاكم بهذه التَّحيَّة ﴿**لست**

---

(١) المقتول هو مرداس بن نهيك. والحديث أخرجه البخاري مختصراً. فتح الباري ٨/٣٥٨؛ ومسلم برقم ٣٠٢٥؛ وأبو داود برقم ٣٩٧٤؛ والنسائي في تفسيره ١/٣٩٨؛ وابن جرير ٥/٢٢٣.

مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ

مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا أَيْ: متاعها من الغنائم **﴿فعند الله مغانم كثيرة﴾** يعني: ثواباً كبيراً لِمَنْ ترك قتل مَنْ ألقى إليه السَّلام. **﴿كذلك كنتم من قبل﴾** كُفَّاراً ضُلالاً كما كان هذا المقتول قبل إسلامِهِ، ثمَّ منَّ الله عليكم بالإسلام كما منَّ على المقتول، أَيْ: إنَّ كلَّ مَنْ أسلم ممَّن كان كافراً فبمنزلة هذا الذي تعوَّذ بالإسلام قُبِلَ منه ظاهرُ الإسلام، ثمَّ أعاد الأمر بالتبيُّن فقال: **﴿فتبينوا إنَّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾** أَي: علم أنَّكم قتلتموه علىٰ ماله، ثمَّ حمل رسول الله ﷺ ديته إلى أهله، وردَّ عليهم غنمه، واستغفر لأسامة، وأمره بعتق رقبةٍ.

﴿٩٥﴾ **﴿لا يستوي القاعدون من المؤمنين غيرُ أولي الضرر﴾** أَي: الأصحَّاء الذين لا علَّة بهم تضرُّهم وتقطعهم عن الجهاد. لا يستوي هؤلاء **﴿والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم علىٰ القاعدين﴾** من أهل العذر **﴿درجةً﴾**؛ لأنَّ المجاهدين باشروا الطَّاعة، والقاعدين من أهل العذر قصدوها، وإن كانوا في الهمَّة والنيَّة على قصد الجهاد، فمباشرة الطَّاعة فوق قصدها بالنيَّة **﴿وكلاً﴾** من المجاهدين والقاعدين المعذورين **﴿وعد الله الحسنىٰ﴾** الجنَّة **﴿وفضَّل الله المجاهدين على القاعدين﴾** من غير عذرٍ **﴿أجراً عظيماً﴾**.

﴿٩٦﴾ **﴿درجاتٍ منه﴾** أَيْ: منازلَ بعضُها فوق بعضٍ، من منازل الكرامة.

﴿٩٧﴾ **﴿إنَّ الذين توفاهم الملائكة﴾** أَيْ: قبضت أرواحهم. نزلت في قومٍ كانوا قد أسلموا ولم يهاجروا حتىٰ خرج المشركون إلى بدر، فخرجوا معهم فقتلوا يوم

ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ

بدرٍ، فضربت الملائكة وجوههم وأدبارهم، وقوله: ﴿**ظالمي أنفسهم**﴾ بالمقام في دار الشِّرك والخروج مع المشركين لقتال المسلمين ﴿**قالوا: فيم كنتم**﴾ أَيْ: قالت الملائكة لهؤلاء سؤال توبيخٍ وتقريع: أكنتم في المشركين أم كنتم في المسلمين؟ فاعتذروا بالضَّعف عن مقاومة أهل الشِّرك في دارهم فـ ﴿**قالوا كنا مستضعفين في الأرض**﴾ أَيْ: في مكة، فحاجَّتهم الملائكة بالهجرة إلىٰ غير دارهم و ﴿**قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً**﴾ أخبر الله تعالى أنَّ هؤلاء من أهل النَّار، ثمَّ استثنىٰ من صدق في أنَّه مستضعفٌ فقال:

﴿٩٨﴾ ﴿**إلاَّ المستضعفين**﴾ أي: الذين يوجدون ضعفاء ﴿**لا يستطيعون حيلة**﴾ لا يقدرون على حيلةٍ ولا نفقةٍ ولا قوَّةٍ للخروج ﴿**ولا يهتدون سبيلاً**﴾ لا يعرفون طريقاً إلى المدينة.

﴿١٠٠﴾ ﴿**ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً**﴾ أَيْ: مهاجراً ومتحوَّلاً ﴿**كثيراً وسعة**﴾ في الرِّزق ﴿**ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله...**﴾ الآية. نزلت في حبيب[1] بن ضمرة اللَّيثي، وكان شيخاً كبيراً خرج متوجِّهاً إلى المدينة فمات في الطَّريق، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: لو وافىٰ المدينة لكان أتمَّ أجراً، فأنزل الله

(١) في ظ: جندب. وقد اختلف فيمن نزلت به الآية. وانظر: غرر التبيان ص ٩٦؛ ومفحمات الأقران ص ٧٦.

﴿وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ كَانُوا۟ لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿١٠١﴾ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓا۟ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا۟ فَلْيَكُونُوا۟ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾

تعالىٰ هذه الآية[٢]، وأخبر أنَّ مَنْ قصد طاعةً، ثمَّ أعجزه العذر عن تمامها كتب الله ثواب تمام تلك الطَّاعة، ومعنىٰ ﴿**وقع أجره على الله**﴾ وجب ذلك بإيجابه.

(١٠١) ﴿**وإذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناحٌ أن تقصروا...**﴾ الآية. نزلت في إباحة قصر الصَّلاة في السَّفر، وظاهر القرآن يدل على أنَّ القصر يستباح بالسَّفر والخوف، لقوله: ﴿**إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا**﴾ أَيْ: يقتلكم، والإجماع منعقدٌ علىٰ أنَّ القصر يجوز في السَّفر من غير خوف، وثبتت السنَّة بهذا عن النبيّ ﷺ[٢]، ولكن ذكر الخوف في الآية، على حال غالب أسفارهم في ذلك الوقت، ثمَّ ذكر صلاة الخوف فقال:

(١٠٢) ﴿**وإذا كنت فيهم**﴾ أَيْ: إذا كنت أيُّها النبيُّ مع المؤمنين في غزواتهم وخوفهم ﴿**فأقمت لهم الصلاة**﴾ أَي: ابتدأت بها إماماً لهم ﴿**فلتقم طائفة منهم معك**﴾ نصفهم يصلُّون معك ﴿**وليأخذوا**﴾ أَيْ: وليأخذ الباقون أسلحتهم ﴿**فإذا سجدوا**﴾ فإذا سجدت الطَّائفة التي قامت معك ﴿**فليكونوا من ورائكم**﴾ أَي: الذين أمروا بأخذ السِّلاح ﴿**ولتأت طائفة أخرىٰ**﴾ أَي: الذين كانوا من ورائهم يحرسونهم

---

(١) انظر: ابن جرير ٥/ ٤٢٠؛ ولباب النقول ص ٨٠؛ وأسباب النزول ص ٢٠٨.

(٢) في الحديث عن يعلىٰ بن أمية قال: قلتُ لعمر بن الخطاب: أرأيتَ إقصار الناس الصلاة، وإنَّما قال تعالىٰ: ﴿إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا﴾ فقد ذهب ذلك اليوم؟ فقال: عجبتُ ممَّا عجبتَ منه، فذكرتُ ذلك لرسول الله ﷺ فقال: صدقةٌ تصدَّقَ الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته. أخرجه مسلم برقم ٦٨٦؛ وأبو داود برقم ١١٩٩؛ والنسائي في تفسيره ١/ ٤٠٣؛ والترمذي. العارضة ١١/ ١٦٣.

لَمْ يُصَلُّوا۟ فَلْيُصَلُّوا۟ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا۟ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓا۟ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُوا۟ حِذْرَكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ۚ فَإِذَا ٱطْمَأْنَنتُمْ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟

﴿لم يصلوا﴾ [معك الركعة الأولىٰ][١] ﴿فليصلوا معك﴾ [الركعة الثانية][٢] ﴿وليأخذوا حذرهم﴾ [من عدوهم][٣] ﴿وأسلحتهم﴾ [سلاحهم معهم][٤]. يعني: الذين صلَّوا أوَّل مرَّةٍ ﴿ودّ الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم﴾ في صلاتكم ﴿فيميلون عليكم ميلة واحدة﴾ بالقتال ﴿ولا جناح عليكم إن كان بكم أذىً من مطر أو كنتم مرضىٰ أن تضعوا أسلحتكم﴾ ترخيصٌ لهم في ترك حمل السِّلاح في الصَّلاة، وحملُه فرضٌ عند بعضهم، وسنة مؤكدة عند بعضهم، فرخص الله لهم في تركه لعذر المطر والمرض؛ لأنَّ السِّلاح يثقل علىٰ المريض، ويفسد في المطر ﴿وخذوا حذركم﴾ أَيْ: كونوا على حذرٍ في الصَّلاة كيلا يتغفَّلكم العدوُّ.

﴿١٠٣﴾ ﴿فإذا قضيتُمُ الصلاة﴾ فرغتم من صلاة الخوف ﴿فاذكروا الله﴾ بتوحيده وشكره في جميع أحوالكم ﴿فإذا اطمأننتم﴾ رجعتم إلىٰ أهلكم وأقمتم ﴿فأقيموا الصلاة﴾ أتمُّوها ﴿إنَّ الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً﴾ مفروضاً موقَّتاً فرضه.

﴿١٠٤﴾ ﴿ولا تهنوا﴾ أَيْ: لا تضعفوا ﴿في ابتغاء القوم﴾ يعني: أبا سفيان ومَنْ معه حين انصرفوا من أُحدٍ. أمر الله تعالىٰ نبيَّه عليه السَّلام أن يسير في آثارهم بعد الوقعة بأيَّام، فاشتكىٰ أصحابه ما بهم من الجراحات، فقال الله تعالىٰ: ﴿إن تكونوا

(١) زيادة من ظ.
(٢) زيادة من ظ.
(٣) زيادة من ظ.
(٤) زيادة من ظ.

تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾

تألمون فإنهم يألمون كما تألمون﴾ أَيْ: إنْ ألمتم من جراحكم فهم أيضاً في مثل حالتكم من ألم الجراح **﴿وترجون من الله﴾** من نصر الله إيَّاكم، وإظهار دينكم [في الدنيا][1]، وثوابه في العقبىٰ **﴿ما لا يرجون﴾** هم **﴿وكان الله عليماً﴾** بخلقه **﴿حكيماً﴾** فيما حكم.

﴿١٠٥﴾ **﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾** هذه الآية وما بعدها نزلت في قصة طعمة بن أُبيرق؛ سرق درعاً[2]، ثمَّ رمىٰ بها يهودياً، فلما طُلبت منه الدِّرع أحال على اليهوديِّ، ورماه بالسَّرقة، فاجتمع قوم طعمة وقوم اليهوديِّ، وأتوا رسول الله ﷺ، فسأل قوم طعمة النبيَّ ﷺ أنْ يجادل عن صاحبهم، وأن يُبرِّيَه، وقالوا: إنك إنْ لم تفعل افتضح صاحبنا وبرىء اليهوديُّ، فهمَّ النبيُّ ﷺ أنْ يفعل، فنزل قوله تعالىٰ: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾ في الحكم لا بالتَّعدي فيه **﴿لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾** أَيْ: فيما علَّمك الله **﴿ولا تكن للخائنين﴾** طعمة وقومه **﴿خصيماً﴾** مخاصماً عنهم.

﴿١٠٦﴾ **﴿واستغفر الله﴾** من جدالك عن طعمة، وهمِّك بقطع اليهوديِّ.

﴿١٠٧﴾ **﴿ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم﴾** يخونونها بالمعصية؛ لأنَّ وبال خيانتهم راجعٌ عليهم. يعني: طعمة وقومه **﴿إنَّ الله لا يحبُّ مَنْ كان خوَّاناً أثيماً﴾** أَيْ:

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) القصة أخرجها الحاكم في المستدرك ٤/ ٣٨٥ في كتاب الحدود، وقال: صحيح على شرط مسلم؛ وأقرَّه الذهبي والترمذي في التفسير. العارضة ١١/ ١٦٤؛ وقال الترمذي: حديث غريب؛ وابن جرير ٥/ ٢٦٥. وانظر: أسباب النزول ص ٢١٠.

يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا

طعمة، لأنَّه خان في الدِّرع، وأَثِم في رميه اليهوديَّ.

﴿١٠٨﴾ ﴿**يستخفون**﴾ يستترون بخيانتهم ﴿**من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم**﴾ عالم بما يخفون ﴿**إذ يبيِّتون**﴾ يُهيِّئون ويُقدِّرون ليلاً ﴿**ما لا يرضىٰ من القول**﴾ وهو أنَّ طعمة قال: أرمي اليهوديَّ بأنَّه سارقُ الدِّرع، وأحلف أنِّي لم أسرق فيقبل يميني؛ لأنِّي علىٰ دينهم ﴿**وكان الله بما يعملون محيطاً**﴾ عالماً، ثمَّ خاطب قوم طعمة فقال:

﴿١٠٩﴾ ﴿**ها أنتم هؤلاء جادلتم**﴾ خاصمتم ﴿**عنهم**﴾ عن طعمة وذويه ﴿**في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة**﴾ أَيْ: لا أحد يفعل ذلك، ولا يكون في ذلك اليوم عليهم وكيلٌ يقوم بأمرهم ويخاصم عنهم، ثمَّ عرض التَّوبة على طعمة وقومه بقوله:

﴿١١٠﴾ ﴿**ومَنْ يعمل سوءاً**﴾ معصيةً كما عمل قوم طعمة ﴿**أو يظلم نفسه**﴾ بذنبٍ كفعل طعمة ﴿**ثم يستغفر الله...**﴾ الآية. ثمَّ ذكر أنَّ ضرر المعصية إنَّما يلحق العاصي، ولا يلحق الله من معصيته ضررٌ، فقال:

﴿١١١﴾ ﴿**ومَنْ يكسب إثماً فإنما يكسبه علىٰ نفسه وكان الله عليماً**﴾ بالسَّارق ﴿**حكيماً**﴾ حكم بالقطع على طعمة.

﴿١١٢﴾ ﴿**ومَنْ يكسب خطيئةً**﴾ ذنباً بينه وبين الله تعالىٰ. يعني: يمينه الكاذبة أنَّه ما سرق ﴿**أو إثماً**﴾ ذنباً بينه وبين النَّاس. يعني: سرقته ﴿**ثمَّ يرمِ به**﴾ أَيْ: بإثمه ﴿**بريئاً**﴾

فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ۞ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ

كما فعل طعمة حين رمىٰ اليهوديَّ بالسَّرقة ﴿**فقد احتمل بهتاناً**﴾ برمي البريء ﴿**وإثماً مبيناً**﴾ باليمين الكاذبة والسَّرقة.

﴿١١٣﴾ ﴿**ولولا فضلُ الله عليك ورحمته**﴾ بالنبوَّة والعصمة ﴿**لهمَّت**﴾ لقد همَّت ﴿**طائفة منهم**﴾ من قوم طعمة ﴿**أن يضلوك**﴾ أَيْ: يُخطِّئوك في الحكم، وذلك أنَّهم سألوا رسول الله ﷺ أن يجادل عنهم ويقطع اليهوديَّ ﴿**وما يضلون إلاَّ أنفسهم**﴾ بتعاونهم على الإثم والعدوان وشهادتهم الزُّور والبهتان ﴿**وما يضرونك من شيء**﴾ لأنَّ الضَّرر علىٰ مَنْ شهد بغير حقٍّ، ثمَّ منَّ الله عليه فقال: ﴿**وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة**﴾ أي: القضاء بالوحي، وبيَّن لك ما فيه الحكمة، فلمَّا بان أنَّ السَّارق طعمة تناجىٰ قومه في شأنه، فأنزل الله تعالىٰ:

﴿١١٤﴾ ﴿**لا خير في كثير من نجواهم**﴾ أَيْ: مسارَّتهم ﴿**إلاَّ مَنْ أمر**﴾ أَيْ: إلاَّ في نجوىٰ من أمر ﴿**بصدقةٍ**﴾ وقال مجاهد: هذه الآية عامَّةٌ للناس. يريد: أنَّه لا خير فيما يتناجىٰ فيه النَّاس، ويخوضون فيه من الحديث إلاَّ ما كان من أعمال البرِّ، ثمَّ بيَّن أنَّ ذلك إنَّما ينفع مَن ابتغىٰ به ما عند الله، فقال: ﴿**ومَنْ يفعل ذلك...**﴾ الآية. ثمَّ حكم رسول الله ﷺ علىٰ طعمة بالقطع، فخاف علىٰ نفسه الفضيحة، فهرب إلى مكة ولحق بالمشركين، فنزل قوله:

﴿١١٥﴾ ﴿**ومَنْ يشاقق الرسول**﴾ أَيْ: يخالفه. ﴿**من بعد ما تبيَّن له الهدىٰ**﴾ الإيمان بالله ورسوله، وذلك أنَّه ظهر له من الآية ما فيه بلاغ بما أطلع الله سبحانه على أمره، فعادىٰ النبيَّ ﷺ بعد وضوح الحجَّة وقيام الدليل ﴿**ويتبع غير سبيل المؤمنين**﴾ غير

نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ ۘ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾

دين الموحِّدين ﴿**نوله ما تولىٰ**﴾ ندعه وما اختار لنفسه ﴿**ونصله جهنم**﴾ ندخله إيَّاها ونلزمه النَّار، ثمَّ أشرك بالله طعمة فكان يعبد صنماً إلىٰ أن مات، فأنزل الله فيه:

﴿١١٦﴾ ﴿**إنَّ الله لا يغفر أن يشرك به...**﴾ الآية. ثمَّ نزل في أهل مكة:

﴿١١٧﴾ ﴿**إن يدعون من دونه**﴾ أَيْ: ما يعبدون من دون الله ﴿**إلَّا إناثاً**﴾ أَيْ: أصنامهم اللَّات والعزَّى ومناة ﴿**وإن يدعون إلَّا شيطاناً مريداً**﴾ ما يعبدون بعبادتهم لها إلَّا شيطاناً خارجاً عن طاعة الله تعالىٰ. يعني: إبليس؛ لأنَّهم أطاعوه فيما سوَّل لهم من عبادتها.

﴿١١٨﴾ ﴿**لعنه الله**﴾ دحره وأخرجه من الجنَّة ﴿**وقال**﴾ يعني إبليس: ﴿**لأتخذنَّ من عبادك**﴾ بإغوائي وإضلالي ﴿**نصيباً مفروضاً**﴾ معلوماً، أَيْ: مَن اتَّبعه وأطاعه.

﴿١١٩﴾ ﴿**ولأُضلنَّهم**﴾ عن الحقِّ ﴿**ولأمنينَّهم**﴾ أن لا جنَّة ولا نار. وقيل: ركوب الأهواء. ﴿**ولآمرنَّهم فليبتكنَّ آذان الأنعام**﴾ [أي: فليقطعنَّها] يعني: البحائر، وسيأتي بيان ذلك فيما بعد [في سورة المائدة][1]. ﴿**ولآمرنهم فليغيرن خلق الله**﴾ أَيْ: دينه. يكفرون ويحرِّمون الحلال، ويحلون الحرام ﴿**ومَنْ يتخذ الشيطان ولياً من دون الله**﴾ أَيْ: [مَنْ] يُطعه فيما يدعو إليه من الضَّلال ﴿**فقد خسر خسراناً مبيناً**﴾ خسر الجنَّة ونعيمها.

---

(١) ما بين [ ] عبارة عا. وبيانه في ص ٣٣٨. عند الآية ١٠٣.

يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴿١٢١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن

---

(١٢٠) ﴿يعدهم﴾ طول العمر في الدُّنيا ﴿ويمنيهم﴾ نيل المراد منها ﴿وما يعدهم الشيطان إلَّا غروراً﴾ أَيْ: إلَّا ما يغرُّهم من إيهام النَّفع فيما فيه الضَّرر.

(١٢١) ﴿أولئك﴾ أَي: الذين اتَّخذوا الشَّيطان وليّاً ﴿مأواهم﴾ مرجعهم ومصيرهم ﴿جهنم ولا يجدون عنها محيصاً﴾ معدلاً.

(١٢٢) ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار...﴾ الآية.

(١٢٣) ﴿ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب﴾ نزلت في كفَّار قريش واليهود. قالت قريش: لا نُبعث ولا نُحاسب، وقالت اليهود: ﴿لن تمسَّنا النَّارُ إلَّا أيَّاماً معدودةً﴾[١]، فنزلت هذه الآية[٢]. أَيْ: ليس الأمر بأمانيِّ اليهود والكفَّار. ﴿مَنْ يعمل سوءاً﴾ كفراً وشركاً ﴿يُجزَ به ولا يجد له من دون الله ولياً﴾ يمنعه ﴿ولا نصيراً﴾ ينصره، ثمَّ بيَّن فضيلة المؤمنين على غيرهم بقوله:

(١٢٤) ﴿ومن يعمل من الصالحات...﴾ الآية. وبقوله:

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٠.

(٢) أخرجه ابن جرير ٥/ ٢٩٠ عن مجاهد. وأخرج مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: لمَّا نزلت ﴿ليس بأمانيّكم ولا أمانيّ أهل الكتاب مَنْ يعمل سوءاً يُجز به﴾ شقَّ ذلك على المسلمين، فأتوا رسول الله ﷺ فسألوه، فقال: قاربوا، وسدِّدوا، ففي كلِّ ما يصاب به العبد كفارة، حتىٰ النكبة يُنكبها، والشوكة يشاكها. صحيح مسلم رقم ٢٥٧٤؛ والترمذي. العارضة ١١/ ١٦٩؛ وتفسير النسائي ١/ ٤٠٥.

ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ ۖ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي يَتَامَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ

﴿١٢٥﴾ **﴿ومَنْ أحسن ديناً ممَّن أسلم وجهه﴾** أَيْ: توجَّه بعبادته إلى الله خاضعاً له **﴿وهو محسنٌ﴾** مُوَحِّدٌ **﴿واتَّبع ملَّة إبراهيم حنيفاً﴾** ملَّةُ إبراهيم داخلةٌ في ملَّة محمد عليهما السَّلام، فمَنْ أقرَّ بملَّة محمَّدٍ فقد اتَّبع ملَّة إبراهيم عليه السَّلام **﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾** صفيَّاً بالرِّسالة والنُّبوَّة، مُحبَّاً له خالص الحبِّ.

﴿١٢٧﴾ **﴿ويستفتونك﴾** يطلبون منك الفتوىٰ **﴿في النساء﴾** في توريثهنَّ. كانت العرب لا تورث النِّساء والصِّبيان شيئاً من الميراث **﴿قل الله يفتيكم فيهنَّ وما يتلىٰ عليكم﴾** أَي: القرآن يُفتيكم أيضاً. يعني: آية المواريث في أوَّل هذه السورة[1] **﴿في﴾** ميراث **﴿يتامىٰ النساء﴾**؛ لأنَّها نزلت في قصَّة أم كجَّة[2]، وكانت لها بنات **﴿اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهنَّ﴾** أَيْ: فُرض لهن من الميراث **﴿وترغبون﴾** عن **﴿أن تنكحوهنَّ﴾** لدمامتهنَّ. قالت عائشة[3] رضي الله عنها: نزلت في اليتيمة يرغب

---

(١) وهي قوله تعالىٰ: ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين...﴾ الآية.

(٢) ذكره الواقدي عن الكلبي في تفسيره عن أبي صالح عن ابن عباس أنَّ أوس بن ثابت الأنصاري توفي وترك ثلاث بنات، وامرأةً يقال لها: أُمّ كجة، فقام رجلان من بني عمه يقال لهما سويد وعرفجة، فأخذا ماله ولم يعطيا امرأته ولا بناته شيئاً، فجاءت أُمُّ كجَّة إلىٰ رسول الله ﷺ، فذكرت ذلك له، فنزلت آية المواريث.
ولا يخفى ضعفه، وأخرجه أبو نعيم من رواية سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل.
قال ابن حجر: راويه عن سفيان هو إبراهيم بن هراسة، ضعيف. الإصابة ٤/ ٤٨٧.

(٣) أخرج قول عائشة البخاري في التفسير ٨/ ٦٥؛ ومسلم برقم ٣٠١٨؛ وأبو داود برقم ٢٠٦٨؛ والبيهقي في السنن ٧/ ١٤١.

وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ ٱلْأَنفُسُ ٱلشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٢٨﴾ وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ

وليها عن نكاحها، ولا يُنكحها فيعضلها طمعاً في ميراثها، فنُهي عن ذلك ﴿**والمستضعفين من الولدان**﴾ أيْ: يُفتيكم في الصِّغار من الغلمان والجواري أن تعطوهنَّ حقهنَّ ﴿**وأن تقوموا**﴾ أيْ: وفي أن تقوموا ﴿**لليتامىٰ بالقسط**﴾ أي: بالعدل في مهورهنَّ ومواريثهنَّ ﴿**وما تفعلوا من خير**﴾ من حسنٍ فيما أمرتكم به ﴿**فإنَّ الله كان به عليماً**﴾ يجازيكم عليه.

﴿١٢٨﴾ ﴿**وإن امرأة خافت**﴾ علمت ﴿**من بعلها**﴾ زوجها ﴿**نشوزاً**﴾ ترفُّعاً عليها لبغضها، وهو أن يترك مجامعتها ﴿**أو إعراضاً**﴾ بوجهه عنها ﴿**فلا جناح عليهما أن يصالحا**[1] **بينهما صلحاً**﴾ في القسمة والنَّفقة، وهي أن ترضىٰ هي بدون حقِّها، أو تترك من مهرها شيئاً ليسوِّي الزَّوج بينها وبين ضرَّتها في القسمة، وهذا إذا رضيت بذلك لكراهة فراق زوجها، ولا تجبر على هذا لأنَّها إنْ لم ترض بدون حقِّها كان الواجب على الزَّوج أن يوفيها حقَّها من النَّفقة والمبيت ﴿**والصلحُ خيرٌ**﴾ من النُّشوز والإعراض. أَيْ: إنْ يتصالحا على شيءٍ خيرٌ من أن يُقيما على النُّشوز والكراهة بينهما ﴿**وأحضرت الأنفس الشح**﴾ أَيْ: شحَّت المرأة بنصيبها من زوجها، وشحَّ الرَّجل على المرأة بنفسه إذا كان غيرها أحبَّ إليه منها ﴿**وإن تحسنوا**﴾ العشرة والصُّحبة ﴿**وتتقوا**﴾ الجور والميل ﴿**فإنَّ الله كان بما تعملون خبيراً**﴾ لا يضيع عنده شيء.

﴿١٢٩﴾ ﴿**ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم**﴾ لن تقدروا على التَّسوية بينهنَّ

---

(١) قرأ «يُصْلِحَا»: عاصم وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ الباقون: «يَصَّالَحَا»؛ الإتحاف ١/ ٥٢١.

فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِۚ وَإِن تُصْلِحُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ وَإِن يَتَفَرَّقَا يُغْنِ ٱللَّهُ كُلًّا مِّن سَعَتِهِۦۚ وَكَانَ ٱللَّهُ وَٰسِعًا حَكِيمًا ﴿١٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا ﴿١٣٣﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿١٣٤﴾

في المحبَّة ولو اجتهدتم ﴿فلا تميلوا كلَّ الميل﴾ إلىٰ التي تحبُّون في النَّفقة والقسمة ﴿فتذروها كالمعلقة﴾ فتدعوا الأخرىٰ كأنَّها معلَّقةٌ لا أيِّماً ولا ذات بعل ﴿وإن تصلحوا﴾ بالعدل في القسم ﴿وتتقوا﴾ الجور ﴿فإنَّ الله كان غفوراً رحيماً﴾ لما ملت إلىٰ التي تحبُّها بقلبك، ولمَّا ذكر جواز الصُّلح بينهما إنْ أحبَّا أن يجتمعا ذكر بعده الافتراق، فقال:

﴿١٣٠﴾ ﴿وإن يتفرقا﴾ أَيْ: إنْ أبت المرأة الكبيرة الصُّلح، وأبت إلاَّ التَّسوية بينها وبين الشَّابَّة فتفرَّقا بالطَّلاق، فقد وعد الله لهما أن يُغني كلَّ واحدٍ منهما عن صاحبه بعد الطَّلاق من فضله الواسع بقوله: ﴿يغن الله كُلاًّ من سعته وكان الله واسعاً﴾ لجميع خلقه في الرِّزق والفضل ﴿حكيماً﴾ فيما حكم ووعظ.

﴿١٣٣﴾ ﴿إنْ يشأ يذهبكم أيها الناس﴾ يعني: المشركين والمنافقين ﴿ويأت بآخرين﴾ أمثل وأطوع لله منكم.

﴿١٣٤﴾ ﴿مَنْ كان يريد ثواب الدنيا﴾ أَيْ: متاعها ﴿فعند الله ثواب الدنيا والآخرة﴾ أَيْ: خير الدُّنيا والآخرة عنده، فليطلب ذلك منه، وهذا تعريضٌ بالكفَّار الذين كانوا لا يؤمنون بالبعث، وكانوا يقولون: ربنا آتنا في الدنيا، وما لهم في الآخرة من خَلاق.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرٗا لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ﴿١٣٧﴾

﴿١٣٥﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط﴾** قائمين بالعدل **﴿شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين﴾** أَي: اشهدوا لله بالحقِّ، وإن كان الحقُّ على نفس الشَّاهد، أو علىٰ والديه، أو أقربيه **﴿إن يكن﴾** المشهود عليه **﴿غنياً أو فقيراً﴾** فلا تحابوا غنياً لغناه، ولا تحيفوا على الفقير لفقره **﴿فالله أولىٰ بهما﴾** أَيْ: أعلمُ بهما منكم؛ لأنَّه يتولَّىٰ علم أحوالهما **﴿فلا تتبعوا الهوىٰ﴾** في الشَّهادة، واتقوا **﴿أن تعدلوا﴾** أَيْ: تميلوا وتجوروا **﴿وإنْ تلووا﴾** أَيْ: تدّافعوا الشَّهادة **﴿أو تعرضوا﴾** تجحدوها وتكتموها **﴿فإنَّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾** فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

﴿١٣٦﴾ **﴿يا أيها الذين آمَنوا آمِنوا بالله ورسوله﴾** أَي: اثبتوا علىٰ الإيمان **﴿والكتاب الذي نزَّل على رسوله﴾** القرآن **﴿والكتاب الذي أنزل من قبل﴾** أَيْ: كلِّ كتاب أنزل علىٰ نبيٍّ قبل القرآن.

﴿١٣٧﴾ **﴿إنَّ الذين آمنوا﴾** أَي: اليهود[1] آمنوا بالتَّوراة **﴿ثمَّ كفروا﴾** بمخالفتها **﴿ثم آمنوا﴾** بالإنجيل **﴿ثمَّ كفروا﴾** بمخالفته **﴿ثم ازدادوا كفراً﴾** بمحمدٍ **﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾** ما أقاموا على ما هم عليه **﴿ولا ليهديهم سبيلاً﴾** سبيل هدىٰ، ثمَّ ألحق المنافقين بهم؛ لأنَّهم كانوا يتولَّونهم، فقال:

(١) وعبارة ظ: **﴿إنَّ الذين آمنوا﴾** أي: اليهود، آمنوا بموسىٰ **﴿ثم كفروا﴾** بعد موسىٰ **﴿ثم آمنوا﴾** بعزير **﴿ثمَّ كفروا﴾** بمخالفته **﴿ثم ازدادوا كفراً﴾** بمحمدٍ ﷺ.

بَشِّرِ ٱلْمُنَٰفِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّخِذُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ ٱلْعِزَّةَ فَإِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾ ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ

﴿١٣٨﴾ **﴿بشر المنافقين بأنَّ لهم عذاباً أليماً﴾**.

﴿١٣٩﴾ **﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾** هذه الآية من صفة المنافقين، وكانوا يُوالون اليهود مخالفةً للمسلمين يتوهَّمون أنَّ لهم القوَّة والمنعة، وهو معنىٰ قوله: **﴿أيبتغون عندهم العزَّة﴾** أي: القوَّة بالظهور على محمدٍ ﷺ **﴿فإنَّ العزة﴾** أَي: الغلبة والقوَّة **﴿لله جميعاً﴾**.

﴿١٤٠﴾ **﴿وقد نزل عليكم﴾** أيها المؤمنون **﴿في الكتاب﴾** في القرآن **﴿أَنْ إذا سمعتم﴾** الكفر بآيات الله والاستهزاء بها **﴿فلا تقعدوا معهم حتىٰ يخوضوا في حديثٍ﴾** غير الكفر والاستهزاء. يعني: قوله في سورة الأنعام: ﴿وإذا رأيتَ الذين يخوضون في آياتنا. . .﴾[1] الآية. هذه كانت مما نزل عليهم في الكتاب، وقوله: **﴿إنكم إذاً مثلهم﴾** يعني: إنْ قعدتم معهم راضين بما يأتون من الكفر بالقرآن والاستهزاء به، وذلك أنَّ المنافقين كانوا يجلسون إلى أحبار اليهود، فيسخرون من القرآن، فنهىٰ الله سبحانه المسلمين عن مجالستهم **﴿إنَّ الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾** يريد: أنَّهم كما اجتمعوا على الاستهزاء بالآيات يجتمعون في جهنَّم على العذاب.

﴿١٤١﴾ **﴿الذين يتربصون بكم﴾** يعني: المنافقين ينتظرون بكم الدَّوائر **﴿فإن كان لكم فتحٌ**

---

(١) الآية: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتىٰ يخوضوا في حديث غيره، وإمَّا ينسينَّك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرىٰ مع القوم الظالمين﴾ رقم ٦٨.

مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ﴿١٤١﴾ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ

من الله﴾ ظهورٌ على اليهود **﴿قالوا ألم نكن معكم﴾** فأعطونا من الغنيمة **﴿وإن كان للكافرين نصيبٌ﴾** من الظَّفر على المسلمين **﴿قالوا﴾** لهم: **﴿ألم نستحوذ﴾** [نغلب] **﴿عليكم﴾** نمنعكم عن الدُّخول في جملة المؤمنين **﴿ونمنعكم من المؤمنين﴾** بتخذيلهم عنكم، ومراسلتنا إيَّاكم بأخبارهم **﴿فالله يحكم بينكم﴾** يعني: بين المؤمنين والمنافقين **﴿يوم القيامة﴾** يعني: أنَّه أخَّر عقابهم إلىٰ ذلك اليوم، ورفع عنهم السَّيف [في الدُّنيا][1]، **﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾** أَيْ: حجَّةً يوم القيامة، ؛ لأنَّه يفردهم بالنَّعيم، وما لا يشاركونهم فيه من الكرامات بخلاف الدُّنيا.

﴿١٤٢﴾ **﴿إنَّ المنافقين يخادعون الله﴾** أَيْ: يعملون عمل المخادع بما يظهرونه، ويبطنون خلافه. **﴿وهو خادعهم﴾** مجازيهم جزاءَ خداعهم، وذلك أنَّهم يُعطون نوراً كما يُعطىٰ المؤمنون، فإذا مضوا قليلاً أطفىء نورهم، وبقوا في الظُّلمة **﴿وإذا قاموا إلىٰ الصلاة﴾** مع النَّاس **﴿قاموا كسالىٰ﴾** متثاقلين **﴿يراؤون الناس﴾** ليرىٰ ذلك النَّاس، لا لاتِّباع أمر الله. يعني: ليراهم النَّاس مُصلِّين لا يريدون وجه الله **﴿ولا يذكرون الله إلاَّ قليلاً﴾** لأنَّهم يعملونه رياءً وسمعةً، ولو أرادوا به وجه الله لكان كثيراً.

﴿١٤٣﴾ **﴿مذبذبين بين ذلك﴾** مُردَّدين بين الكفر والإيمان، ليسوا بمؤمنين مخلصين، ولا مشركين مصرِّحين بالشِّرك **﴿لا إلىٰ هؤلاء ولا إلىٰ هؤلاء﴾** لا من الأنصار، ولا من

(١) زيادة من ظ.

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَـٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ

اليهود **﴿ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلاً﴾** من أضلَّه الله فلن تجد له ديناً.

﴿١٤٤﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾** يعني: الأنصار. يقول: لا توالوا اليهود من قريظة والنَّضير **﴿أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾** حجَّة بيِّنة في عقابكم بموالاتكم اليهود، أيْ: إنَّكم إذا فعلتم ذلك صارت الحجَّة عليكم في العقاب.

﴿١٤٥﴾ **﴿إنَّ المنافقين في الدرك الأسفل من النار﴾** أيْ: في أسفل درج النَّار **﴿ولن تجد لهم نصيراً﴾** مانعاً يمنعهم من عذاب الله.

﴿١٤٦﴾ **﴿إلاَّ الذين تابوا﴾** من النِّفاق **﴿وأصلحوا﴾** العمل **﴿واعتصموا بالله﴾** التجأوا إليه **﴿وأخلصوا دينهم لله﴾** من شائب الرِّياء **﴿فأولئك مع المؤمنين﴾** أيْ: هم أدنىٰ منهم بعد هذا كلِّه، ثمَّ أوقع أجر المؤمنين في التَّسويف لانضمامهم إليهم فقال: **﴿وسوف يُؤتي الله المؤمنين أجراً عظيماً﴾**.

﴿١٤٧﴾ **﴿ما يفعل الله بعذابكم﴾** بعذاب خلقه **﴿إن شكرتم﴾** اعترفتم بإحسانه **﴿وآمنتم﴾** بنبيِّه **﴿وكان الله شاكراً﴾** للقليل من أعمالكم **﴿عليماً﴾** بنيَّاتكم.

الجـزء السـادس:

﴿١٤٨﴾ **﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول﴾** نزلت ترخيصاً للمظلوم أَنْ يجهر بشكوىٰ الظَّالم، وذلك أنَّ ضيفاً نزل بقوم فأساؤوا قِراه، فاشتكاهم، فنزلت[1] هذه الآية

---

(١) وهذا قول مجاهد. انظر: ابن جرير ٦/٢؛ والأسباب ص ٢١٧.

إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ

رخصةً في أن يشكوا، وقوله: ﴿إلاَّ من ظلم﴾ لكن مَنْ ظُلم فإنَّه يجهر بالسُّوء من القول، وله ذلك ﴿وكان الله سميعاً﴾ لقول المظلوم ﴿عليماً﴾ بما يضمره، أَيْ: فليقل الحقَّ، ولا يتعدَّ ما أُذن له فيه.

﴿١٤٩﴾ ﴿إن تبدوا خيراً﴾ من أعمال البرِّ ﴿أو تخفوه أو تعفوا عن سوء﴾ يأتيك من أخيك المسلم ﴿فإنَّ الله كان عفواً﴾ لمَنْ عفا ﴿قديراً﴾ علىٰ ثوابه.

﴿١٥٠﴾ ﴿إنَّ الذين يكفرون بالله ورسله﴾ هم اليهود كفروا بعيسىٰ عليه السَّلام والإنجيل، ومحمدٍ عليه السَّلام والقرآن ﴿ويريدون أن يفرِّقوا بين الله ورسله﴾ بأن يؤمنوا بالله ويكفروا بالرُّسل ﴿ويقولون نؤمن ببعض﴾ الرّسل ﴿ونكفر﴾ ببعضهم ﴿ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً﴾ بين الإيمان بالبعض، والكفر بالبعض ديناً يدينون به.

﴿١٥١﴾ ﴿أولئك هم الكافرون حقاً﴾ أَيْ: إنَّ إيمانهم ببعض الرُّسل لا يُزيل عنهم اسم الكفر، ثمَّ نزل في المؤمنين.

﴿١٥٢﴾ ﴿والذين آمنوا بالله ورسله...﴾ الآية.

﴿١٥٣﴾ ﴿يسألك أهل الكتاب...﴾ الآية. سألت اليهود رسول الله ﷺ أَنْ يأتيهم بكتابٍ جُمْلَةً من السَّماء، كما أتىٰ به موسىٰ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[1]، وقوله: ﴿فقد

---

(١) أخرجه ابن جرير ٦/٧ عن محمد بن كعب القرظي؛ وانظر: الأسباب ص ٢١٧؛ ولباب النقول ص ٨٥.

سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ ۚ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن

سألوا موسىٰ أكبر من ذلك﴾ يعني: السَّبعين الذين ذكروا في قوله: ﴿وإذ قلتم يا موسىٰ لن نؤمن لك...﴾[1] الآية. **﴿ثمّ اتخذوا العجل﴾** يعني: الذين خلَّفهم موسىٰ مع هارون **﴿من بعد ما جاءتهم البينات﴾** العصا، واليد، وفلق البحر **﴿فعفونا عن ذلك﴾** لم نستأصل عبدة العجل **﴿وآتينا موسىٰ سلطاناً مبيناً﴾** حجَّةً بيِّنةً قوي بها علىٰ مَنْ ناوأه.

﴿١٥٤﴾ **﴿ورفعنا فوقهم الطور﴾** حين امتنعوا من قبول شريعة التَّوراة **﴿بميثاقهم﴾** أَيْ: بأخذ ميثاقهم **﴿وقلنا لهم لا تعدوا في السبت﴾** لا تعتدوا باقتناص السَّمك فيه **﴿وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً﴾** عهداً مؤكَّداً في النبيِّ ﷺ.

﴿١٥٥﴾ **﴿فبما نقضهم ميثاقهم﴾** أَيْ: فبنقضهم، و «ما» زائدةٌ للتَّوكيد، وقوله: **﴿بل طبع اللَّهُ عليها بكفرهم﴾** أَيْ: ختم الله علىٰ قلوبهم فلا تعي وَعْظاً، مجازاةً لهم على كفرهم **﴿فلا يؤمنون إلاَّ قليلاً﴾** يعني: الذين آمنوا.

﴿١٥٦﴾ **﴿وبكفرهم﴾** بالمسيح **﴿وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً﴾** حين رموها بالزِّنا.

﴿١٥٧﴾ **﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسىٰ ابنَ مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن**

---

(١) الآية: ﴿وإذ قلتم يا موسىٰ لن نؤمن لك حتىٰ نرىٰ الله جهرةً، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون﴾ [البقرة: ٥٥].

شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾

شبه لهم﴾ أَيْ: أُلقي لهم شبه عيسىٰ على غيره حتىٰ ظنُّوه لمَّا رأوه أنَّه المسيح **﴿وإنَّ الذين اختلفوا فيه﴾** أَيْ: في قتله، وذلك أنَّهم لمَّا قتلوا الشَّخص المشبَّه به كان الشَّبَه أُلقي على وجهه، ولم يُلق على جسده شبهُ جسدِ عيسىٰ، فلمَّا قتلوه ونظروا إليه قالوا: الوجه وجه عيسىٰ، والجسد جسد غيره، فاختلفوا، فقال بعضهم: هذا عيسىٰ، وقال بعضهم: ليس بعيسىٰ، وهذا معنىٰ قوله: **﴿لفي شك منه﴾** أَيْ: مِنْ قتله **﴿ما لهم به﴾** بعيسىٰ **﴿من علم﴾** قُتِل أو لم يقتل **﴿إلَّا اتباع الظن﴾** لكنَّهم يتَّبعون الظَّنَّ **﴿وما قتلوه يقيناً﴾** وما قتلوا المسيح علىٰ يقين من أنَّه المسيح.

﴿١٥٨﴾ **﴿بل رفعه الله إليه﴾** أَيْ: إلى الموضع الذي لا يجري لأحدٍ سوى الله فيه حكمٌ، وكان رفعُه إلى ذلك الموضع رفعاً إليه؛ لأنَّه رُفع عن أن يجري عليه حكم أحدٍ من العباد **﴿وكان الله عزيزاً﴾** في اقتداره على نجاة مَنْ يشاء من عباده **﴿حكيماً﴾** في تدبيره في النَّجاة.

﴿١٥٩﴾ **﴿وإن من أهل الكتاب إلَّا ليؤمنن به﴾** أَيْ: ما مِنْ أهل الكتاب أحدٌ إلَّا ليؤمننَّ بعيسىٰ **﴿قبل موته﴾** إذا عاين المَلَك، ولا ينفعه حينئذٍ إيمانه، ولا يموت يهوديٌّ حتىٰ يؤمن بعيسىٰ **﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾** علىٰ أَنْ قد بلَّغ الرِّسالة، وأقرَّ بالعبوديَّة على نفسه.

﴿١٦٠﴾ **﴿فبظلم من الذين هادوا...﴾** الآية. عاقب الله اليهود على ظلمهم وبغيهم بتحريم أشياء عليهم، وهي ما ذُكر في قوله: **﴿وعلىٰ الذين هادوا حرَّمنا كلَّ ذي ظُفرٍ...﴾**[1] الآية، ثمَّ استثنىٰ مؤمنيهم فقال:

(١) سورة الأنعام: الآية ١٤٦.

وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾ لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ مِنْهُمْ وَٱلْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ۚ وَٱلْمُقِيمِينَ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَٱلْمُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أُوْلَٰٓئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٦٢﴾ ۞ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ

﴿١٦٢﴾ ﴿لكن الراسخون﴾ يعني: المبالغين في علم الكتاب منهم، كعبد الله بن سلام وأصحابه ﴿والمؤمنون﴾ من أصحاب محمدٍ ﷺ ﴿**يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً**﴾ ظاهرٌ إلىٰ قوله:

﴿١٦٥﴾ ﴿**رسلاً مبشرين**﴾ أَيْ: بالثَّواب على الطَّاعة ﴿**ومنذرين**﴾ بالعقاب على المعصية ﴿**لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل**﴾ فيقولوا: ما أرسلت إلينا رسولاً يعلّمنا دينك، فبعثنا الرُّسل قطعاً لعذرهم.

﴿١٦٦﴾ ﴿**لكن الله يشهد...**﴾ الآية. نزلت حين قالت اليهود ـ لما سُئلوا عن نبوَّة محمَّدٍ ـ: ما نشهد له بذلك[1]، فقال الله تعالىٰ: ﴿**لكن الله يشهد**﴾ أَيْ: يبيِّن نبوَّتك ﴿**بما أنزل إليك**﴾ من القرآن ودلائله ﴿**أنزله بعلمه**﴾ أَيْ: وهو يعلم أنَّك أهلٌ لإِنزاله عليك لقيامك به ﴿**والملائكة يشهدون**﴾ لك بالنُّبوَّة إنْ جحدت اليهود،

(١) أخرجه ابن جرير ٦/٣١ عن ابن عباس. وانظر: الأسباب ص ٢١٧؛ ولباب النقول ص ٨٥.

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُواْ خَيْرًا لَّكُمْۚ وَإِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ

وشهادة الملائكة إنَّما تُعرف بقيام المعجزة، فمَنْ ظهرت معجزته شهدت الملائكة بصدقه ﴿وكفىٰ بالله شهيداً﴾ أَيْ: كفىٰ الله شهيداً.

﴿١٦٨﴾ ﴿إنَّ الذين كفروا﴾ يعني اليهود ﴿وظلموا﴾ محمداً عليه السَّلام بكتمان نعته ﴿لم يكن الله ليغفر لهم﴾ هذا فيمن علم أنَّه يموت على الكفر ﴿ولا ليهديهم طريقاً﴾ ولا ليرشدهم إلى دين الإِسلام.

﴿١٦٩﴾ ﴿إلاَّ طريق جهنم﴾ يعني: طريق اليهوديَّة، وهو الطَّريق الذي يقودهم إلى جهنَّم ﴿خالدين فيها أبداً وكان ذلك﴾ أَيْ: خلودهم ﴿علىٰ الله يسيراً﴾ لأنَّه لا يتعذَّر عليه شيءٌ.

﴿١٧٠﴾ ﴿يا أيها الناس﴾ يعني: المشركين ﴿قد جاءكم الرسول بالحق﴾ بالهدىٰ والصِّدق ﴿من ربكم فآمنوا خيراً لكم﴾ أَيْ: ايتوا خيراً لكم من الكفر بالإِيمان به ﴿وإنْ تكفروا﴾ تُكذِّبوا محمداً وتكفروا نعمة الله عليكم به ﴿فإنَّ لله ما في السموات والأرض﴾ أَيْ: لا تضرُّون إلاَّ أنفسكم؛ لأنَّ الله غنيٌّ عنكم ﴿وكان الله عليماً﴾ بما تصيرون إليه من إيمان أو كفر ﴿حكيماً﴾ في تكليفه مع علمه بما يكون منكم.

﴿١٧١﴾ ﴿يا أهل الكتاب﴾ يريد: النَّصارىٰ ﴿لا تغلوا﴾ لا تتجاوزوا الحدَّ ولا تتشدَّدوا ﴿في دينكم ولا تقولوا على الله إلاَّ الحق﴾ فليس له ولدٌ، ولا زوجة، ولا شريك، وقوله: ﴿وكلمته ألقاها﴾ يعني: أنَّه قال له: كن فيكون ﴿وروحٌ منه﴾ أَيْ: روحٌ

فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ﴿١٧١﴾ لَّن يَسۡتَنكِفَ ٱلۡمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبۡدٗا لِّلَّهِ وَلَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ٱلۡمُقَرَّبُونَۚ وَمَن يَسۡتَنكِفۡ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيَسۡتَكۡبِرۡ فَسَيَحۡشُرُهُمۡ إِلَيۡهِ جَمِيعٗا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡتَنكَفُواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ فَيُعَذِّبُهُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرٗا ﴿١٧٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿١٧٥﴾ يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ

مخلوقٌ من عنده **﴿ولا تقولوا ثلاثة﴾** أَيْ: لا تقولوا: آلهتنا ثلاثة. يعني قولهم: اللّهُ، وصاحبته، وابنه [تعالىٰ الله عن ذلك][١]. **﴿انتهوا خيراً لكم﴾** أَي: ائتوا بالانتهاء عن هذا خيراً لكم مما أنتم عليه.

﴿١٧٢﴾ **﴿لن يستنكف المسيح﴾** لن يأنف الذي تزعمون أنّه إلٰهٌ **﴿أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾** من كرامة الله تعالىٰ، وهم أكثرُ من البشر.

﴿١٧٤﴾ **﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهانٌ من ربكم﴾** يعني: النبيَّ عليه السَّلام **﴿وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾** وهو القرآن.

﴿١٧٥﴾ **﴿فأمَّا الذين آمنوا بالله واعتصموا به﴾** أي: امتنعوا بطاعته من زيغ الشَّيطان **﴿فسيدخلهم في رحمة منه﴾** يعني: الجنَّة **﴿وفضل﴾** يتفضَّل عليهم بما لم يخطر علىٰ قلوبهم **﴿ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً﴾** ديناً مستقيماً.

﴿١٧٦﴾ **﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾** فيمن مات ولا ولد له، ولا والد[٢] **﴿إن امرؤٌ هلك ليس له ولد﴾** أراد: ولا والد، فاكتفىٰ بذكر أحدهما، لأنَّه الكلالة **﴿وله**

---

(١) زيادة من عا وظا.

(٢) أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/ ٢٦٧.

أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿١٧٦﴾

أختٌ﴾ يعني: من أبٍ وأمٍّ، أو أبٍ؛ لأنَّ ذكر ولد الأم قد مضىٰ في أوَّل السُّورة[١] **﴿فلها نصف ما ترك وهو يرثها﴾** الأخ يرث الأخت جميع المال **﴿إنْ لم يكن لها ولد فإن كانتا﴾** أَيْ: الأختان، [**﴿فلهما الثُّلثان ممَّا ترك وإن كانوا إخوة رجالاً ونساءً﴾** من أب وأمّ أو من أبٍ **﴿فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾**][٢].

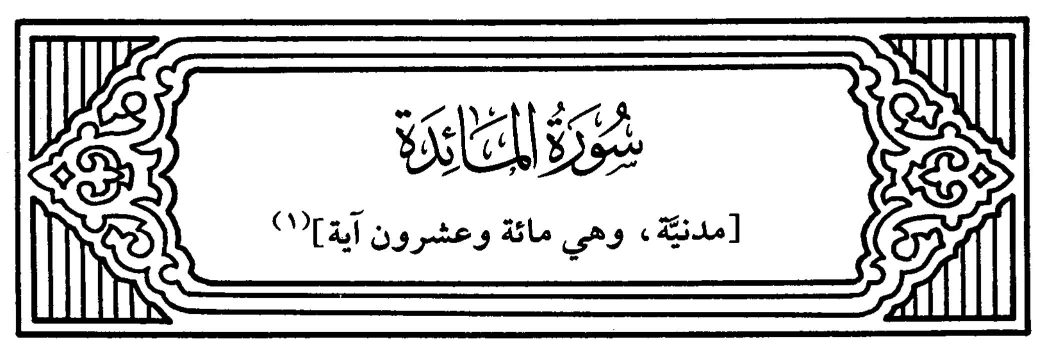
وقوله: **﴿يبيِّن الله لكم أن تضلوا﴾** أي: أن لا تضلوا، أو كراهة أن تضلوا [**﴿والله بكل شيء عليم﴾** من قسمه المواريث][٣].

• • •

(١) انظر ص ٢٥٥ عند آية ١٢.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) زيادة من ظ.



[اللهم يسِّرْ علينا كلَّ عسير](٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود﴾ يعني: بالعهود المؤكَّدة التي عاهدتموها مع الله والنَّاس، ثمَّ ابتدأ كلاماً آخر، فقال: ﴿أحلت لكم بهيمة الأنعام﴾ قيل: هي الأنعام نفسها، وهي الإبلُ والبقر والغنم. وقيل: بهيمة الأنعام: وحشِيُّها، كالظِّباء، وبقر الوحش، وحمر الوحش ﴿إلا ما يتلىٰ عليكم﴾ [أي: ما يقرأ عليكم في القرآن](٣) يعني: قوله: ﴿حرِّمت عليكم الميتة...﴾(٤) الآية. ﴿غير محلي الصيد﴾ يعني: إلَّا أن تحلُّوا الصَّيد في حال الإحرام؛ فإنَّه لا يحلُّ لكم ﴿إنَّ الله يحكم ما يريد﴾ يحلُّ ما يشاء، ويحرِّم ما يشاء.

(٢) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُحِلُّوا شعائر الله﴾ يعني: الهدايا المُعلَمة للذَّبح بمكة. نزلت هذه الآية في الحُطَم [بن ضبيعة](٥). أغار علىٰ سرح المدينة(٦)، فذهب به

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) زيادة من عا.

(٣) زيادة من ظ.

(٤) الآية ٣ من هذه السورة.

(٥) زيادة من ظ.

(٦) أخرجه ابن جرير ٦/٥٨ ـ ٥٩ عن السدي وعكرمة. وانظر الأسباب ص ٢١٩؛ ولباب النقول ص ٨٦.

وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗاۚ وَإِذَا حَلَلۡتُمۡ فَٱصۡطَادُواْۚ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ أَن صَدُّوكُمۡ عَنِ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ أَن تَعۡتَدُواْۘ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ

إلى اليمامة، فلمَّا خرج رسول الله ﷺ عام القضية سمع تلبية حجَّاج اليمامة، فقال رسول الله ﷺ: هذا الحطم فدونكم، وكان قد قلَّد ما نهب من سرح المدينة، وأهداه إلى الكعبة، فلمَّا توجَّهوا في طلبه أنزل الله تعالىٰ: ﴿**لا تحلوا شعائر الله**﴾ يريد: ما أُشعر لله، أَيْ: أُعْلِمَ ﴿**ولا الشهر الحرام**﴾ بالقتال فيه ﴿**ولا الهدي**﴾ وهي كلُّ ما أُهدي إلىٰ بيت الله من ناقةٍ، وبقرةٍ وشاةٍ، ﴿**ولا القلائد**﴾ يعني: الهدايا المقلَّدة من لحاء شجر الحرم ﴿**ولا آمِّين البيت الحرام**﴾ قاصديه من المشركين. قال المفسرون: كانت الحرب في الجاهليَّة قائمةً بين العرب إلاَّ في الأشهر الحرم، فمَنْ وُجد في غيرها أُصيب منه إلاَّ أَنْ يكونَ مُشعراً بدنه، أو سائقاً هدايا، أو مُقلِّداً نفسه أو بعيره من لحاء شجر الحرم، أو مُحرماً، فلا يُتعرَّض لهؤلاء، فأمر الله سبحانه وتعالىٰ المُسْلمين بإقرار هذه الأَمنة على ما كانت لضربٍ من المصلحة إلىٰ أَنْ نسخها بقوله تعالىٰ[1]: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾، وقوله: ﴿**يبتغون فضلاً من ربهم**﴾ أَيْ: ربحاً بالتِّجارة ﴿**ورضواناً**﴾ بالحجِّ علىٰ زعمهم ﴿**وإذا حللتم**﴾ من الإحرام ﴿**فاصطادوا**﴾ أمرُ إباحةٍ ﴿**ولا يجرمنَّكم**﴾ ولا يحملنَّكم ﴿**شنآن قوم**﴾ بُغض قومٍ، يعني: أهل مكَّة ﴿**أن صدوكم عن المسجد الحرام**﴾ يعني: عام الحديبية ﴿**أن تعتدوا**﴾ علىٰ حُجَّاج اليمامة، فتستحلُّوا منهم مُحرَّماً ﴿**وتعاونوا**﴾ لِيُعِنْ بعضكم بعضاً ﴿**علىٰ البر**﴾ وهو ما أمرتُ به ﴿**والتقوىٰ**﴾ ترك ما نهيتُ عنه ﴿**ولا تعاونوا علىٰ الإثم**﴾ يعني: معاصي الله ﴿**والعدوان**﴾ التَّعدي في حدوده، ثمَّ حذَّرهم فقال: ﴿**واتقوا الله**﴾ فلا تستحلوا محرَّماً ﴿**إنَّ الله**

---

(١) سورة التوبة: الآية ٥. وهذا قول مجاهد أخرجه ابن جرير ٦/ ٦٠؛ وأخرجه النحاس في ناسخه ص ١٤٣ عن قتادة. ونسبه مكي القيسي لابن زيد والسُّدي والشعبي. الإيضاح ص ٢٥٥.

شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢﴾ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ

شديد العقاب﴾ إذا عاقب.

﴿٣﴾ **﴿حرِّمت عليكم الميتة﴾** سبق تفسير هذه الآية في سورة البقرة[١]، إلىٰ قوله: **﴿والمنخنقة﴾** وهي التي تختنق فتموت بأيِّ وجهٍ كان **﴿والموقوذة﴾** المقتولة ضرباً **﴿والمتردية﴾** التي تقع من أعلىٰ إلىٰ أسفل فتموت **﴿والنطيحة﴾** التي قُتلت نطحاً **﴿وما أكل﴾** منه **﴿السبع﴾** فالباقي منه حرامٌ، ثمَّ استثنىٰ ما يُدرك ذكاته من جميع هذه المحرَّمات فقال: **﴿إلا ما ذكيتم﴾** أَيْ: إلاَّ ما ذبحتم **﴿وما ذبح علىٰ النصب﴾** أَيْ: على اسم الأصنام فهو حرام **﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾** تطلبوا على ما قُسم لكم من الخير والشَّرِّ من الأزلام: القداح التي كان أهل الجاهليَّة يُجيلونها إذا أرادوا أمراً **﴿ذلكم﴾** أَيْ: الاستقسامُ من الأزلام **﴿فسق﴾** خروجٌ عن الحلال إلى الحرام **﴿اليوم﴾** يعني: يوم عرفة عام حجّ رسول الله ﷺ بعد الفتح[٢]. **﴿ييئس الذين كفروا﴾** أن ترتدُّوا راجعين إلىٰ دينهم **﴿فلا تخشوهم﴾** في مظاهرة محمد، واتِّباع دينه **﴿واَخشون﴾** في عبادة الأوثان. **﴿اليوم﴾** يعني: يوم عرفة **﴿أكملتُ لكم دينكم﴾** أحكام دينكم، فلم ينزل بعد هذه الآية حلالٌ ولا حرامٌ **﴿وأتممت عليكم نعمتي﴾** يعني: بدخول مكَّة آمنين كما وعدتكم **﴿فمن اضطر﴾** إلىٰ ما حُرِّم

---

(١) انظر ص ١٤٥.

(٢) أخرج البخاري وغيره عن طارق بن شهاب: قالت اليهود لعمر: إنَّكم لتقرؤون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيداً، فقال عمر: إني لأعلمُ حيث أُنزلت، وأين أُنزلت، وأين رسول الله ﷺ حين أنزلت، يوم عرفة، وإنا واللّهِ بعرفة؛ ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾.
فتح الباري: ٨/ ٢٧٠؛ ومسلم برقم ٣٠١٧؛ والنسائي في تفسيره ١/ ٤٢٦؛ والترمذي. العارضة ١١/ ١٧١.

فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ

ممَّا ذُكر في هذه الآية ﴿في مخمصة﴾ مجاعةٍ ﴿غير متجانفٍ لإثم﴾ غير متعرِّضٍ لمعصيةٍ، وهو أن يأكل فوق الشِّبع، أو يكون عاصياً بسفره ﴿فإنَّ الله غفورٌ﴾ له ما أكل ممَّا حرَّم عليه ﴿رحيم﴾ بأوليائه حيث رخَّص لهم.

﴿٤﴾ ﴿يسألونك ماذا أحلَّ لهم﴾ سأل عديُّ بن حاتم رسول الله ﷺ فقال: إنَّا نصيد بالكلاب والبُزاة، وقد حرَّم الله الميتة، فماذا يحلُّ لنا منها؟ فنزلت هذه الآية[1].

﴿قل أحلَّ لكم الطيبات﴾ يعني: ما تستطيبه العرب، وهذا هو الأصل في التَّحليل، فكلُّ حيوانٍ استطابته العرب، كالضِّباب، واليرابيع، والأرانب فهو حلال، وما استخبثته العرب فهو حرام ﴿وما علَّمتم﴾ يعني: وصيد ما علَّمتم ﴿من الجوارح﴾ وهي الكواسب من الطَّير والكلاب والسِّباع ﴿مكلِّبين﴾ مُعلِّمين إيَّاها الصَّيد ﴿تعلمونهن مما علمكم الله﴾ تؤدبوهنَّ لطلب الصَّيد ﴿فكلوا ممَّا أمسكن عليكم﴾ هذه الجوارح وإنْ قتلن إذا لم يأكلن منه، فإذا أكلن فالظَّاهر أنَّه حرام ﴿واذكروا اسم الله عليه﴾ عند إرسال الجوارح.

﴿٥﴾ ﴿اليوم أحلَّ لكم الطيبات﴾ التي سألتم عنها ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب﴾ وهو اسمٌ لجميع ما يؤكل ﴿حلٌّ لكم وطعامكم حل لهم﴾ أَيْ: حلٌّ لكم أن تطعموهم ﴿والمحصنات﴾ العفائف ﴿من المؤمنات والمحصنات﴾ الحرائر ﴿من الذين أوتوا الكتاب﴾ من أهل الكتاب ﴿إذا آتيتموهنَّ أجورهنَّ﴾ يعني: مهورهنَّ ﴿محصنين﴾ مُتزوِّجين ﴿غير مسافحين﴾ معالنين بالزِّنا ﴿ولا متخذي أخدان﴾ مُسرِّين بالزِّنا بهنَّ

---

(١) أخرجه أحمد في المسند ٤/ ٢٥٧.

وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُوا۟ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ ۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

﴿ومَنْ يكفر بالإِيمان﴾ بالله الذي يجب الإِيمان به **﴿فقد حبط عمله﴾** إذا مات على ذلك **﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾** ممَّنْ خسر الثَّواب.

﴿٦﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة﴾** أَيْ: إذا أردتم القيام إليها **﴿فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق﴾** يعني: مع المرفقين **﴿وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾** وهما النَّاشزان من جانبي القدم **﴿وإن كنتم جنباً فاطَّهَروا﴾** فاغتسلوا **﴿وإن كنتم مرضىٰ﴾** مفسَّرٌ في سورة النِّساء[1] إلى قوله: **﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾** من ضيقٍ في الدِّين، ولكنْ جعله واسعاً بالرُّخصة في التَّيمُّم **﴿ولكن يريد ليطهركم﴾** من الأحداث والجنابات والذُّنوب؛ لأنَّ الوضوء يكفِّر الذُّنوب **﴿وليتم نعمته عليكم﴾** ببيان الشَّرائع و **﴿لعلكم تشكرون﴾** نعمتي فتطيعوا أمري.

﴿٧﴾ **﴿واذكروا نعمة الله عليكم﴾** بالإِسلام **﴿وميثاقه الذي واثقكم به﴾** يعني: حين بايعوا رسول الله ﷺ علىٰ السَّمع والطَّاعة في كلِّ ما أمر ونهىٰ، وهو قوله: **﴿إذ قلتم﴾** [حين قلتم][2] **﴿سمعنا وأطعنا واتقوا الله إنَّ الله عليم بذات الصدور﴾** بخفيَّات القلوب.

---

(١) انظر ص ٢٦٦.

(٢) زيادة من ظا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ فَكَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ

﴿٨﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوَّامين لله﴾** تقومون لله بكلِّ حقٍّ يلزمكم القيام به **﴿شهداء بالقسط﴾** تشهدون بالعدل **﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم﴾** لا يحملنَّكم بغض قوم على ترك العدل **﴿اعدلوا﴾** في الوليِّ والعدوِّ **﴿هو﴾** أيْ: العدل **﴿أقرب للتقوىٰ﴾** أيْ: لاتِّقاء النَّار.

﴿١١﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم...﴾** الآية. يعني: ما أنعم الله علىٰ نبيِّه حين أتىٰ اليهودَ هو وجماعة من أصحابه يستعينون بهم في دية، فتآمروا بينهم أن يطرحوا عليهم رحىً، فأعلمهم الله بذلك على لسان جبرائيل حتىٰ خرجوا(١)، ثمَّ أخبر عن نقض بني إسرائيل عهد الله، كما نقضت هذه الطَّبقة العهد الذي كان بينهم وبين رسول الله حين همُّوا بالاغتيال به، فقال:

﴿١٢﴾ **﴿ولقد أخذ الله ميثاق بني إسرائيل﴾** علىٰ أن يعملوا بما في التَّوراة **﴿وبعثنا﴾** وأقمنا بذلك **﴿منهم اثني عشر نقيباً﴾** كفيلاً وضميناً ضمنوا عن قومهم الوفاء بالعهد **﴿وقال الله﴾** لهم: **﴿إني معكم﴾** بالعون والنُّصرة **﴿لئن أقمتم الصلاة وآتيتم**

(١) أخرجه ابن جرير ٦/ ١٤٤ عن مجاهد؛ وانظر الأسباب ص ٢٢٤؛ ولباب النقول ص ٨٩.

ٱلزَّكَوٰةَ وَءَامَنتُم بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَّأُكَفِّرَنَّ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾

الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم﴾ أيْ: وقَّرتموهم **﴿وأقرضتم الله قرضاً حسناً﴾** يريد: الصَّدقات للفقراء والمساكين **﴿فمن كفر بعد ذلك﴾** أيْ: بعد هذا العهد والميثاق **﴿فقد ضلَّ سواء السبيل﴾** أخطأ قصد الطَّريق.

﴿١٣﴾ **﴿فبما نقضهم﴾** فبنقضهم **﴿ميثاقهم﴾** وهو أنَّهم كذَّبوا الرُّسل بعد موسىٰ فقتلوا الأنبياء، وضيَّعوا كتاب الله **﴿لعنَّاهم﴾** أخرجناهم من رحمتنا **﴿وجعلنا قلوبهم قاسية﴾** يابسة عن الإيمان **﴿يحرفون الكلم﴾** يغيِّرون كلام الله **﴿عن مواضعه﴾** من صفة محمَّدٍ ﷺ في كتابهم وآية الرَّجم **﴿ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾** وتركوا نصيباً ممَّا أمروا به في كتابهم من اتِّباع محمَّدٍ **﴿ولا تزال﴾** يا محمد **﴿تطلع على خائنة﴾** خيانة **﴿منهم﴾** مثل ما خانوك حين همُّوا بقتلك **﴿إلاَّ قليلاً منهم﴾** يعني: مَنْ أسلم **﴿فاعفُ عنهم واصفح﴾** منسوخٌ بآية السَّيف[1] **﴿إنَّ الله يحب المحسنين﴾** المتجاوزين.

﴿١٤﴾ **﴿ومن الذين قالوا إنا نصارىٰ أخذنا ميثاقهم﴾** كما أخذنا ميثاق اليهود **﴿فنسوا حظاً ممَّا ذكروا به﴾** فتركوا ما أُمروا به من الإيمان بمحمَّد ﷺ **﴿فأغرينا بينهم﴾** فألقينا بين اليهود والنَّصارىٰ **﴿العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾** وعيدٌ لهم، ثمَّ دعاهم إلى الإيمان بمحمَّدٍ عليه السَّلام، فقال:

(١) قال ابن عباس: هي منسوخة بقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ [سورة التوبة: =

يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ

﴿١٥﴾ **﴿يا أهل الكتاب﴾** يعني: اليهود والنَّصارىٰ **﴿قد جاءكم رسولنا﴾** محمَّد **﴿يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب﴾** تكتمون ممَّا في التَّوراة والإِنجيل، كآية الرَّجم، وصفة محمَّد عليه السَّلام **﴿ويعفو عن كثير﴾** يتجاوز عن كثير فلا يخبركم بكتمانه **﴿قد جاءكم من الله نور﴾** يعني: النبيَّ **﴿وكتاب مبين﴾** القرآن فيه بيانٌ لكلِّ ما تختلفون فيه.

﴿١٦﴾ **﴿يهدي به الله﴾** يعني: بالكتاب المبين **﴿مَنِ اتبع رضوانه﴾** اتَّبع ما رضيه الله من تصديق محمَّد عليه السَّلام **﴿سُبُل السلام﴾** طرق السَّلامة التي مَنْ سلكها سلم في دينه **﴿ويخرجهم من الظُّلمات﴾** الكفر **﴿إلىٰ النور﴾** الإيمان **﴿بإذنه﴾** بتوفيقه وإرادته **﴿ويهديهم إلى صراط مستقيم﴾** وهو الإِسلام.

﴿١٧﴾ **﴿لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله هو المسيح ابن مريم﴾** يعني: الذين اتَّخذوه إِلَهاً **﴿قل فمن يملك من الله شيئاً﴾** فمَنْ يقدر أن يدفع من عذاب الله شيئاً **﴿إن أراد أن يهلك المسيح﴾** أيْ: يُعذِّبه، ولو كان إِلَهاً لقدر على دفع ذلك.

= الآية ٥]. الإِيضاح ص ٢٦٩.
وقال قتادة: هي منسوخة بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾ [سورة التوبة: الآية ٢٩]. وانظر الناسخ والمنسوخ لهبة الله ص ٤١، وناسخ القرآن العزيز ص ٣١.

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُوا۟ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ ۖ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ

﴿١٨﴾ **﴿وقالت اليهود والنصارىٰ نحن أبناء الله وأحباؤه﴾** أمَّا اليهود فإنَّهم قالوا: إنَّ الله من حِنَّتِه[1] وعطفه علينا كالأب الشفيق، وأمَّا النَّصارىٰ فإنَّهم تأوَّلوا قول عيسىٰ: إذا صلَّيتم فقولوا: يا أبانا الذي في السَّماء تقدَّس اسمه، وأراد أنَّه في برِّه ورحمته بعباده الصالحين كالأب الرحيم. وقيل: أرادوا نحن أبناء رسل الله، وإنما قالوا هذا حين حذَّرهم النبيُّ ﷺ عقوبة الله، فقال الله: **﴿قل فلمَ يعذِّبكم بذنوبكم﴾** أَيْ: فلمَ عذَّب مَنْ قبلكم بذنوبهم، كأصحاب السَّبت وغيرهم **﴿بل أنتم بشرٌ ممَّن خلق﴾** كسائر بني آدم **﴿يغفر لمن يشاء﴾** لمَنْ تاب من اليهودية **﴿ويعذب من يشاء﴾** مَنْ مات عليها. وقوله:

﴿١٩﴾ **﴿علىٰ فترة من الرسل﴾** علىٰ انقطاع من الأنبياء **﴿أن تقولوا﴾** لئلا تقولوا **﴿ما جاءنا من بشير ولا نذير﴾**. وقوله:

﴿٢٠﴾ **﴿وجعلكم ملوكاً﴾** أَيْ: جعل لكم الخدم والحشم، وهم أوَّل مَن ملك الخدم والحشم من بني آدم **﴿وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين﴾** من فلق البحر لكم، وإغراق عدوِّكم، والمنِّ والسَّلوىٰ، وغير ذلك.

﴿٢١﴾ **﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدَّسة﴾** المطهَّرة. يعني: الشَّام، وذلك أنَّها طُهِّرت من

---

(١) هذه عبارة الأصل، وفي البواقي: [من حدبه]، وهي بمعناها، يقال حَدِبَ فلانٌ على فلانٍ، يَحْدَبُ حَدَباً، فهو حَدِبٌ، وتحدَّب: تعطَّف عليه. اللسان: حدب.

ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُواْ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾

الشِّرك، وجُعلت مسكناً للأنبياء ﴿**التي كتب الله لكم**﴾ أمركم الله بدخولها ﴿**ولا ترتدوا على أدباركم**﴾ لا ترجعوا إلى دينكم الشِّركِ بالله.

﴿٢٢﴾ ﴿**قالوا يا موسىٰ إنَّ فيها قوماً جبارين**﴾ طوالاً ذوي قوَّة، وكانوا من بقايا عادٍ يقال لهم العمالقة.

﴿٢٣﴾ ﴿**قال رجلان**﴾ وهما يوشع بن نون، وكالب بن يوفنا ﴿**من الذين يخافون**﴾ اللَّهَ في مخالفة أمره ﴿**أنعم الله عليهما**﴾ بالفضل واليقين: ﴿**ادخلوا عليهم الباب...**﴾ الآية، وإنَّما قالا ذلك تيقُّناً بنصر الله، وإنجاز وعده لنبيِّه، فخالفوا نبيَّهم وعصوا أمر الله، وأتوا من القول بما فسقوا به، وهو قوله:

﴿٢٤﴾ ﴿**قالوا يا موسىٰ إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون**﴾ فقال موسىٰ عند ذلك:

﴿٢٥﴾ ﴿**لا أملك إلاَّ نفسي وأخي**﴾ يقول: لم يُطعني منهم إلاَّ نفسي وأخي ﴿**فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين**﴾ فاقض بيننا وبين القوم العاصين، فحرَّم الله علىٰ الذين عصوا دخول القرية، وحبسهم في التِّيه أربعين سنةً حتىٰ ماتوا، ولم يدخلها أحدٌ من هؤلاء، وإنَّما دخلها أولادهم، وهو قوله:

﴿٢٦﴾ ﴿**فإنها محرَّمة عليهم...**﴾ الآية. وقوله: ﴿**يتيهون في الأرض**﴾ يتحيَّرون فلا يهتدون للخروج منها ﴿**فلا تأس على القوم الفاسقين**﴾ لا تحزن على عذابهم

۞ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِ قَالَ لَأَقۡتُلَنَّكَۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ قَتۡلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابٗا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ

﴿٢٧﴾ **﴿واتل عليهم﴾** يعني: علىٰ قومك **﴿نبأ﴾** خبر **﴿ابني آدم﴾** هابيل وقابيل **﴿إذ قرَّبا قرباناً﴾** تقرَّب إلىٰ الله هابيل بخيرِ كبشٍ في غنمه، فنزلت من السَّماء نارٌ فاحتملته، فهو الكبش الذي فُدي به إسماعيل[١]، وتقرَّب إلىٰ الله قابيل بأردأ ما كان عنده من القمح، وكان صاحب زرع، فلم تحمل النَّار قربانه، والقربان: اسمٌ لكلِّ ما يُتقرَّب به إلى الله، فقال الذي لم يُتقبَّلْ منه: **﴿لأقتلنك﴾** حسداً له، فقال هابيل: **﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾** للمعاصي [لا من العاصين][٢].

﴿٢٨﴾ **﴿لئن بَسَطتَ إليَّ يدك﴾** لئن بدأتني بالقتل فما أنا بالذي أبدؤك بالقتل **﴿إني أخاف الله﴾** في قتلك.

﴿٢٩﴾ **﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك﴾** أَنْ تحتمل إثم قتلي وإثم الذي كان منك قبل قتلي.

﴿٣٠﴾ **﴿فطَوَّعَتْ له نفسه قتل أخيه﴾** سهَّلته وزيَّنت له ذلك **﴿فقتله فأصبح من الخاسرين﴾** خسر دنياه بإسخاط والديه، وآخرته بسخط الله عليه، فلمَّا قتله لم يدرِ ما يصنع به؛ لأنَّه كان أوَّل ميِّت على وجه الأرض من بني آدم، فحمله في جرابٍ على ظهره.

﴿٣١﴾ **﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض﴾** يثير التُّراب من الأرض على غرابٍ ميِّتٍ

(١) وهذا مرويٌّ عن ابن عباس، أخرجه عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر الدر المنثور ٦/ ١١٣.

(٢) زيادة من الأصل.

لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِۚ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوۡءَةَ أَخِيۖ فَأَصۡبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾ مِنۡ أَجۡلِ ذَٰلِكَ كَتَبۡنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفۡسَۢا بِغَيۡرِ نَفۡسٍ أَوۡ فَسَادٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعٗا وَمَنۡ أَحۡيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحۡيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۚ وَلَقَدۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡأَرۡضِ لَمُسۡرِفُونَ ﴿٣٢﴾ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ

﴿**ليريه كيف يواري**﴾ يستر ﴿**سوءة**﴾ جيفة ﴿**أخيه**﴾ فلمَّا رأىٰ ذلك قال: ﴿**يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فَأُوارِيَ سوءة أخي فأصبح من النادمين**﴾ على حمله والتَّطوف به.

﴿٣٢﴾ ﴿**من أجل ذلك**﴾ من سبب ذلك الذي فعل قابيل ﴿**كتبنا**﴾ فرضنا ﴿**علىٰ بني إسرائيل أنَّه مَنْ قتل نفساً بغير نفسٍ**﴾ بغير قَوَدٍ ﴿**أو فسادٍ**﴾ شركٍ ﴿**في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً**﴾ يُقتل كما لو قتلهم جميعاً، ويصلىٰ النَّار كما يصلاها لو قتلهم ﴿**ومَن أحياها**﴾ حرَّمها وتورَّع عن قتلها ﴿**فكأنما أحيا الناس جميعاً**﴾ لسلامتهم منه؛ لأنَّه لا يستحلُّ دماءهم. ﴿**ولقد جاءتهم**﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿**رسلنا بالبينات**﴾ بأنَّ لهم صدق ما جاؤوهم به ﴿**ثم إنَّ كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض لمسرفون**﴾ أَيْ: مجاوزون حدَّ الحقِّ.

﴿٣٣﴾ ﴿**إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله**﴾ أَيْ: يعصونهما ولا يطيعونهما. يعني: الخارجين على الإمام وعلى الأمَّة بالسَّيف. نزلت هذه الآية في قصة العُرَنيين[1]، وهي معروفةٌ، تعليماً لرسول الله ﷺ عقوبة مَنْ فعل مثل فعلهم، وقوله: ﴿**ويسعون في الأرض فساداً**﴾ بالقتل وأخذ الأموال ﴿**أن يقتلوا أو يصلبوا أو تُقطع أيديهم**

---

(١) أخرجها البخاري في التفسير؛ فتح الباري ٨/ ٢٧٤؛ ومسلم برقم ١٦٧١؛ وأبو داود برقم ٤٣٦٤؛ والنسائي في تفسيره ١/ ٤٣٤.

وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِن قَبْلِ أَن تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهِمْ ۖ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓا۟ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُوا۟ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ

وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾ معنىٰ «أو» ها هنا الإِباحة، فللإِمام أن يفعل ما أراد من هذه الأشياء، ومعنىٰ النَّفي من الأرض الحبسُ في السِّجن؛ لأنَّ المسجون بمنزلة المُخرج من الدُّنيا ﴿ذلك لهم خزي﴾ هوانٌ وفضيحةٌ ﴿في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ وهذا للكفَّار الذين نزلت فيهم الآية؛ لأنَّ العُرنيين ارتدُّوا عن الدِّين، والمسلم إذا عوقب في الدُّنيا بجنايته صارت مكفِّرةً عنه.

﴿٣٤﴾ ﴿إلاَّ الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم﴾ آمنوا من قبل أن تعاقبوهم فالله غفورٌ رحيمٌ لهم. هذا في المشرك المحارب إذا آمن قبل القدرة عليه سقط عنه جميع الحدود، فأمَّا المسلم المحارب إذا تاب واستأمن قبل القدرة عليه سقط عنه حدود الله، ولا تسقط حقوق بني آدم.

﴿٣٥﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا﴾ عقاب ﴿الله﴾ بالطَّاعة ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ تقرَّبوا إليه بطاعته ﴿وجاهدوا﴾ العدوَّ ﴿في سبيله﴾ في طاعته ﴿لعلكم تفلحون﴾ كي تسعدوا وتبقوا في الجنَّة.

﴿٣٦﴾ ﴿إنَّ الذين كفروا...﴾ الآية. ظاهرة.

﴿٣٧﴾ ﴿يريدون﴾ يتمنَّون بقلوبهم ﴿أن يخرجوا من النار﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿والسارق والسارقةُ فاقطعوا أيديهما﴾ يمينَ هذا ويمين هذه، فجمع ﴿جزاءً بما

بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ

كسبا﴾ أَيْ: بجزاء فعلهما ﴿نكالاً﴾ عقوبةً ﴿من الله والله عزيز﴾ في انتقامه ﴿حكيم﴾ فيما أوجب من القطع.

﴿٣٩﴾ ﴿فمن تاب من بعد ظلمه﴾ النَّاس ﴿وأصلح﴾ العمل بعد السَّرقة ﴿فإنَّ الله يتوب عليه﴾ يعود عليه بالرَّحمة.

﴿٤٠﴾ ﴿ألم تعلم أنَّ الله له ملك السموات والأرض يعذب مَنْ يشاء﴾ علىٰ الذَّنب الصَّغير ﴿ويغفر لمن يشاء﴾ الذَّنب العظيم.

﴿٤١﴾ ﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ إذ كنت موعودَ النَّصر عليهم، وهم المنافقون، وبان لهم ذلك بقوله: ﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون﴾ أَيْ: فريقٌ سمَّاعون ﴿للكذب﴾ يسمعون منك ليكذبوا عليك، فيقولون: سمعنا منه كذا وكذا لما لَمْ يسمعوا ﴿سماعون لقوم آخرين لم يأتوك﴾ أَيْ: هم عيونٌ لأولئك الغُيَّب ينقلون إليهم أخبارك ﴿يحرفون الكلم من بعد مواضعه﴾ من بعد أن وضعه الله مواضعه. يعني: آية الرَّجم. ﴿يقولون: إن أوتيتم هذا فخذوه﴾ يعني: يهود خيبر بالجلد، وهم الذين ذكروا في قوله: ﴿لقوم آخرين لم يأتوك﴾ وذلك أنَّهم بعثوا إلىٰ قريظة ليستفتوا محمداً ﷺ في الزَّانيين المحصنين، وقالوا لهم: إنْ أفتىٰ بالجلد فاقبلوا، وإن أفتىٰ بالرَّجم فلا تقبلوا[1]، فذلك قوله: ﴿إن أوتيتم هذا﴾ يعني: الجلد ﴿فخذوه﴾

(١) انظر: تفسير ابن جرير ٦/ ٢٣٧؛ وصحيح مسلم رقم ١٧٠٠؛ وتفسير النسائي ١/ ٤٣٧.

وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّـٰلُونَ لِلسُّحْتِ ۚ فَإِن جَآءُوكَ فَٱحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ ۖ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْـًٔا ۖ وَإِنْ حَكَمْتَ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا

فاقبلوه. **﴿وإن لم تؤتوه فاحذروا﴾** أن تعملوا به **﴿ومن يرد الله فتنته﴾** ضلالته وكفره **﴿فلن تملك له من الله شيئاً﴾** لن تدفع عنه عذاب الله **﴿أولئك الذين﴾** أَيْ: مَنْ أراد الله فتنته فهم الذين **﴿لم يرد الله أن يطهر قلوبهم﴾** أن يُخلِّص نيَّاتهم **﴿لهم في الدنيا خزيٌ﴾** بهتك ستورهم **﴿ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾** وهو النَّار.

﴿٤٢﴾ **﴿سماعون للكذب أكالون للسحت﴾** وهو الرِّشوة في الحكم. يعني: حكَّام اليهود، يسمعون الكذب ممَّنْ يأتيهم مُبطلاً، ويأخذون الرِّشوة منه فيأكلونها **﴿فإن جاؤوك فاحكم بينهم أو أعرض عنهم﴾** خيَّر الله نبيَّه في الحكم بين أهل الكتاب إذا تحاكموا إليه، ثمَّ نسخ ذلك بقوله: **﴿وأن احكم بينهم. . .﴾** الآية.

﴿٤٣﴾ **﴿وكيف يحكمونك﴾** عجَّب الله نبيَّه عليه السَّلام من تحكيم اليهود إيَّاه بعد علمهم بما في التَّوراة من حكم الزَّاني وحدِّه، وقوله: **﴿فيها حكم الله﴾** يعني: الرَّجم **﴿ثمَّ يتولون من بعد ذلك﴾** التَّحكيم فلا يقبلون حكمك بالرَّجم **﴿وما أُولئك﴾** الذين يُعرِضون عن الرَّجم **﴿بالمؤمنين﴾**.

﴿٤٤﴾ **﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدىً﴾** بيان الحكم الذي جاؤوك يستفتونك فيه **﴿ونور﴾** بيانٌ أنَّ أمرك حَقٌّ **﴿يحكم بها النبيون﴾** من لدن موسىٰ إلىٰ عيسىٰ، وهم **﴿الذين أسلموا﴾** أَي: انقادوا لحكم التَّوراة **﴿للذين هادوا﴾** تابوا من الكفر، وهم بنو إسرائيل إلىٰ زمن عيسىٰ **﴿والربانيون﴾** العلماء **﴿والأحبار﴾** الفقهاء **﴿بما**

ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ

استحفظوا﴾ استرعوا [أَيْ: بما كُلِّفوا حفظه من كتاب الله. وقيل: العمل بما فيه، وذلك حفظه][1]. **﴿من كتاب الله وكانوا عليه شهداء﴾** أنَّه من عند الله، ثمَّ خاطب اليهود فقال: **﴿فلا تخشوا الناس﴾** في إظهار صفة محمَّد ﷺ والرَّجم **﴿واخشون﴾** في كتمان ذلك **﴿ولا تشتروا بآياتي﴾** بأحكامي وفرائضي **﴿ثمناً قليلاً﴾** يريد: متاع الدُّنيا **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾** نزلت في مَنْ غيَّر حكم الله من اليهود، وليس في أهل الإِسلام منها ومن اللتين بعدها شيءٌ.

﴿٤٥﴾ **﴿وكتبنا عليهم فيها﴾** وفرضنا عليهم في التَّوراة **﴿أنَّ النفس﴾** تُقتل **﴿بالنفس، والعين بالعين...﴾** الآية. كلُّ شخصين جرىٰ القصاص بينهما في النَّفس جرىٰ القصاص بينهما في جميع الأعضاء والأطراف إذا تماثلا في السَّلامة، وقوله: **﴿والجروح قصاص﴾** في كلِّ ما يمكن أن يُقتصَّ فيه، مثل الشَّفتين، والذَّكر، والأُنثيين، والأليتين، والقدمين، واليدين، وهذا تعميمٌ بعد التَّفصيل بقوله: ﴿والعين بالعين والأنف بالأنف﴾. **﴿فمن تصدَّق به فهو كفارة له﴾** مَنْ عفا وترك القصاص فهو مغفرةٌ له عند الله، وثواب عظيم.

﴿٤٦﴾ **﴿وقفينا على آثارهم بعيسىٰ﴾** أَيْ: جعلناه يقفو آثار النَّبيِّين. يعني: بعثناه بعدهم على آثارهم **﴿مصدقاً لما بين يديه من التوراة﴾** يُصدِّق أحكامها ويدعو إليها

---

(١) زيادة من ظ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ ۚ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾

﴿وآتيناه الإنجيل فيه هدىً ونور ومصدقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظة﴾ معناه: وهادياً وواعظاً.

﴿٤٧﴾ ﴿وليحكم أهل الإنجيل﴾ أيْ: وقلنا لهم: ليحكموا بهذا الكتاب في ذلك الوقت.

﴿٤٨﴾ ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ أيْ: شاهداً وأميناً، [وحفيظاً ورقيباً][1] على الكتب التي قبله، فما أخبر أهل الكتاب بأمرٍ؛ فإنْ كان في القرآن فصدِّقوا، وإلاَّ فكذِّبوا ﴿فاحكم بينهم﴾ بين اليهود ﴿بما أنزل الله﴾ بالقرآن والرَّجم ﴿ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ يقول: لا تتَّبعهم عمَّا عندك من الحقِّ، فتتركه وتتَّبعهم ﴿لكلٍّ جعلنا منكم﴾ من أُمَّة موسىٰ وعيسىٰ ومحمَّد صلَّى الله عليهم أجمعين ﴿شرعة ومنهاجاً﴾ سبيلاً وسنَّة، فللتَّوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة ﴿ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة﴾ على أمرٍ واحدٍ ملَّة الإسلام ﴿ولكن ليبلوكم﴾ ليختبركم ﴿فيما آتاكم﴾ أعطاكم من الكتاب والسُّنن ﴿فاستبقوا الخيرات﴾ سارعوا إلى الأعمال الصَّالحة [الزَّاكية][2] ﴿إلىٰ الله مرجعكم جميعاً﴾ أنتم وأهل الكتاب ﴿فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ من الدِّين والفرائض والسُّنن. يعني: إنَّ الأمر سيؤول إلىٰ ما يزول معه الشُّكوك بما يحصل من اليقين.

---

(١) زيادة من ع.

(٢) زيادة من ظ.

وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ

﴿٤٩﴾ **﴿واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك﴾** أَيْ: يَسْتَزِلُّوكَ عن الحقِّ إلىٰ أهوائهم. نزلت[1] حين قال رؤساء اليهود بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلىٰ محمد لعلَّنا نفتنه، فنردَّه عمَّا هو عليه، فأتوه وقالوا له: قد علمت أنَّا إن اتَّبعناك اتَّبعك النَّاس، ولنا خصومةٌ فاقض لنا على خصومنا إذا تحاكمنا إليك، ونحن نؤمن بك، فأبـىٰ ذلك رسول الله ﷺ، وأنزل الله هذه الآية: **﴿فإنْ تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم﴾** [أي: فإن أعرضوا عن الإيمان، والحكم بالقرآن فاعلم أنَّ ذلك من أجل أنَّ الله يريد أن يعجِّل لهم العقوبة في الدنيا ببعض ذنوبهم] ويجازيهم في الآخرة بجميعها، ثمَّ كان تعذيبهم في الدُّنيا الجلاء والنَّفي **﴿وإنَّ كثيراً من الناس لفاسقون﴾** يعني: اليهود.

﴿٥٠﴾ **﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾** أَيْ: أيطلب اليهود في الزَّانيين حكماً لم يأمر الله به، وهم أهل كتاب، كما فعل أهل الجاهليَّة؟! **﴿ومَنْ أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾** أَيْ: مَنْ أيقن تبيَّن عدل الله في حكمه، ثمَّ نهىٰ المؤمنين عن موالاة اليهود، وأوعد عليها بقوله:

﴿٥١﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارىٰ أولياء. . .﴾** الآية.

﴿٥٢﴾ **﴿فترى الذين في قلوبهم مرض﴾** يعني: عبد الله بن أُبـيٍّ وأصحابه **﴿يسارعون فيهم﴾** في مودَّة أهل الكتاب ومعاونتهم على المسلمين بإلقاء أخبارهم إليهم

---

(١) وهذا قول ابن عباس: أخرجه ابن جرير ٦/٢٧٣؛ وانظر: سيرة ابن هشام ٢/٢١٦؛ وأسباب النزول ص ٢٢٩؛ ولباب النقول ص ٩٢.

يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾

﴿**يقولون: نخشىٰ أن تصيبنا دائرة**﴾ أَيْ: يدور الأمر عن حاله التي يكون عليها. يعنون: الجدب فتنقطع عنا الميرة والقرض ﴿**فعسىٰ الله أن يأتي بالفتح**﴾ يعني: لمحمدٍ علىٰ جميع مَنْ خالفه ﴿**أو أمرٍ من عنده**﴾ بقتل المنافقين، وهتك سترهم ﴿**فيصبحوا علىٰ ما أسروا في أنفسهم**﴾ يعني: أهل النِّفاق علىٰ ما أضمروا من ولاية اليهود، ودسِّ الأخبار إليهم ﴿**نادمين**﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿**ويقول الذين آمنوا**﴾ المؤمنون إذا هتك الله ستر المنافقين: ﴿**أهؤلاء**﴾ يعنون: المنافقين ﴿**الذين أقسموا بالله جهد أيمانهم**﴾ حلفوا بأغلظ الأيمان ﴿**إنهم لمعكم**﴾ إنَّهم مؤمنون وأعوانكم علىٰ مَنْ خالفكم ﴿**حبطت أعمالهم**﴾ بطل كلُّ خيرٍ عملوه بكفرهم ﴿**فأصبحوا خاسرين**﴾ صاروا إلى النَّار، وورث المؤمنون منازلهم من الجنَّة.

﴿٥٤﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه**﴾ علم الله تعالىٰ أنَّ قوماً يرجعون عن الإسلام بعد موت نبيِّهم ﷺ، فأخبرهم تعالىٰ أنَّه سـ ﴿**يأتي اللَّهُ بقوم يحبهم ويحبونه**﴾ وهم أبو بكر رضي الله عنه وأصحابه الذين قاتلوا أهل الرِّدة ﴿**أذلة على المؤمنين**﴾ كالولد لوالده، والعبد لسيِّده ﴿**أعزة على الكافرين**﴾ غلاظٍ عليهم، كالسَّبع علىٰ فريسته ﴿**يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم**﴾ كالمنافقين الذين كانوا يرقبون الكافرين، ويخافون لومهم في نصرة الدِّين ﴿**ذلك فضل الله**﴾ أَيْ: محبَّتهم لله عزَّ وجلَّ، ولين جانبهم للمسلمين، وشدَّتهم على الكفَّار بفضلٍ من الله عليهم.

إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ

﴿٥٥﴾ **﴿إنما وليكم الله ورسوله﴾** نزلت لمَّا هجر اليهود مَنْ أسلم منهم، فقال عبد الله بن سلام: يا رسول الله، إنَّ قومنا قد هجرونا، وأقسموا ألا يجالسونا، فنزلت هذه الآية، فقال: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين أولياء، وقوله: **﴿وهم راكعون﴾** يعني: صلاة التَّطوع.

﴿٥٦﴾ **﴿ومن يَتَوَلَّ الله ورسوله﴾** يتولَّى القيام بطاعته ونصرة رسوله والمؤمنين **﴿فإنَّ حزب الله﴾** جند الله وأنصار دينه **﴿هم الغالبون﴾** غلبوا اليهود فأجلوهم من ديارهم، وبقي عبد الله بن سلام وأصحابه الذين تولَّوا اللَّهَ ورسوله.

﴿٥٧﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا...﴾** الآية. نزلت في رجالٍ كانوا يوادُّون منافقي اليهود[1]، ومعنىٰ قوله: **﴿اتَّخذوا دينكم هزواً ولعباً﴾** إظهارهم ذلك باللِّسان، واستبطانهم الكفر تلاعباً واستهزاءً **﴿والكفار﴾** يعني: مشركي العرب وكفَّار مكَّة **﴿واتقوا الله﴾** فلا تتَّخذوا منهم أولياء **﴿إن كنتم مؤمنين﴾** بوعده ووعيده.

﴿٥٨﴾ **﴿وإذا ناديتم إلى الصلاة﴾** دعوتم النَّاس إليها بالأذان **﴿اتخذوها هزواً ولعباً﴾** تضاحكوا فيما بينهم وتغامزوا على طريق السُّخف والمجون تجهيلاً لأهلها **﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾** ما لهم في إجابتها لو أجابوا إليها، وما عليهم في استهزائهم بها.

﴿٥٩﴾ **﴿قل يا أهل الكتاب هل تنقمون منا...﴾** الآية. [أي: هل تنكرون

---

(١) أخرجه ابن جرير ٦/ ٢٩٢ عن ابن عباس؛ وذكره المؤلف في الأسباب ص ٢٣٢؛ والسيوطي في لباب النقول ص ٩٣.

إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُواْ يَكْتُمُونَ ﴿٦١﴾

وتكرهون][١]. أتىٰ نفرٌ من اليهود رسول الله ﷺ فسألوه عمَّن يُؤمن به من الرُّسل؟ فقال: «أؤمنُ بالله وما أنزل علينا وما أنزل علىٰ إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسىٰ وعيسىٰ والنبيون من ربهم لا نفرِّق بين أحدٍ منهم ونحن له مسلمون»، فلمَّا ذكر عيسى جحدوا نبوَّته، وقالوا: ما نعلم ديناً شرّاً من دينكم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿هل تنقمون﴾ أَيْ: هل تكرهون وتنكرون منا إلاَّ إيماننا وفسقكم، أَيْ: إنَّما كرهتم إيماننا وأنتم تعلمون أننا علىٰ حقٍّ، لأنَّكم قد فسقتم، بأن أقمتم على دينكم لمحبَّتكم الرِّئاسة، وكسبكم بها الأموال، وتقدير قوله: ﴿**وأنَّ أكثركم فاسقون**﴾ ولأنَّ أكثركم، والواو زائدةٌ، والمعنىٰ: لفسقكم نقمتم علينا الإيمان. قوله:

﴿٦٠﴾ ﴿**قل هل أنبئكم**﴾ أخبركم، جوابٌ لقول اليهود: ما نعرف أهل دين شراً منكم، فقال الله: ﴿**هل أنبئكم**﴾ أخبركم ﴿**بشرٍّ من**﴾ ذلكم المسلمين الذين طعنتم عليهم ﴿**مثوبة**﴾ جزاءً وثواباً ﴿**عند الله**؟ **مَنْ لعنه الله**﴾ أَيْ: هو مَنْ لعنه الله: أبعده عن رحمته ﴿**وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير**﴾ يعني: أصحاب السَّبت ﴿**وعبد الطاغوت**﴾ [نسقٌ على ﴿لعنه الله﴾ وعبد الطاغوت:][٢] أطاع الشَّيطان فيما سوَّله له. ﴿**أولئك شر مكاناً**﴾ لأنَّ مكانهم سَقَر ﴿**وأضل عن سواء السبيل**﴾ قصد الطَّريق، وهو دين الحنيفيَّة، فلمَّا نزلت هذه الآية عيَّر المسلمون اليهود، وقالوا: يا إخوان القردة والخنازير، فسكتوا وافتضحوا.

﴿٦١﴾ ﴿**وإذا جاؤوكم قالوا آمنا**﴾ يعني: منافقي اليهود ﴿**وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به**﴾ أَيْ: دخلوا وخرجوا كافرين، والكفر معهم في كِلْتي حالهم.

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) زيادة ليست في الأصل، وهي ثابتة في الباقي.

وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ

﴿٦٢﴾ ﴿وترىٰ كثيراً منهم يسارعون في الإثم والعدوان﴾ يجترئون على الخطأ والظُّلم، ويبادرون إليه ﴿وأكلهم السُّحت﴾ ما كانوا يأخذونه من الرِّشا علىٰ كتمان الحقِّ، ثمَّ ذمَّ فعلهم بقوله: ﴿لبئس ما كانوا يعملون﴾.

﴿٦٣﴾ ﴿لولا﴾ [هلاَّ][(١)] ﴿ينهاهم﴾ عن قبح فعلهم ﴿الربانيون والأحبار﴾ علماؤهم وفقهاؤهم ﴿لبئس ما كانوا يصنعون﴾ حين تركوا النَّكير عليهم.

﴿٦٤﴾ ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ مقبوضةٌ عن العطاء وإسباغ النِّعم علينا. قالوا هذا حين كفَّ الله تعالىٰ عنهم بكفرهم بمحمَّد عليه السَّلام ما كان يسلِّط عليهم من الخِصب والنِّعمة، فقالوا ـ لعنهم الله علىٰ جهة الوصف بالبخل ـ : ﴿يد الله مغلولة﴾ وقوله: ﴿غلت أيديهم﴾ أَيْ: جعلوا بخلاء وأُلزموا البخل، فهم أبخل قوم ﴿ولعنوا بما قالوا﴾ عُذِّبوا في الدُّنيا بالجِزية [والذلَّة والصَّغار، والقحط والجلاء][(٢)]، وفي الآخرة بالنَّار ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ قيل: معناه: الوصف بالمبالغة في الجود والإنعام. وقيل: معناه: نِعمُه مبسوطةٌ، ودلَّت التَّثنية على الكثرة، كقولهم: [لبيك وسعديك][(٣)]. وقيل: نعمتاه، أَيْ: نعمة الدُّنيا، ونعمة الآخرة ﴿مبسوطتان ينفق كيف يشاء﴾ يرزق كما يريد؛ إن شاء قتَّر، وإنْ شاء وسَّع ﴿وليزيدنَّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ كلَّما أنزل عليك شيءٌ من القرآن كفروا به، فيزيد كفرهم ﴿وألقينا بينهم العداوة والبغضاء﴾ بين طوائف

---

(١) زيادة من عا وظا.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) شطر حديث أخرجه البخاري في الحج. فتح الباري ٣/ ٣٢٤؛ ومسلم برقم ١١٨٤.

إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا۟ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ

اليهود، وجعلهم الله مختلفين متباغضين، كما قال: ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتَّىٰ﴾[1]. ﴿كلما أَوْقَدُوا ناراً للحرب أطفأها الله﴾ كلَّما أرادوا محاربتك ردَّهم الله، وألزمهم الخوف ﴿ويسعون في الأرض فساداً﴾ يعني: يجتهدون في دفع الإِسلام، ومحو ذكر النبيِّ ﷺ من كتبهم.

﴿٦٥﴾ ﴿ولو أنَّ أهل الكتاب آمنوا﴾ بمحمَّدٍ ﷺ ﴿واتقوا﴾ اليهوديَّة والنصرانيَّة ﴿لكفَّرنا عنهم سيئاتهم﴾ كلَّ ما صنعوا قبل أن تأتيهم.

﴿٦٦﴾ ﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإِنجيل﴾ عملوا بما فيهما من التَّصديق بك ﴿وما أنزل إليهم﴾ من كتب أنبيائهم ﴿لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾ لأنزلتُ عليهم القطر، وأخرجتُ لهم من نبات الأرض كلَّما أرادوا. ﴿منهم أمة مقتصدة﴾ مؤمنةٌ.

﴿٦٧﴾ ﴿يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك﴾ أَيْ: لا تراقبنَّ أحداً، ولا تتركنَّ شيئاً ممَّا أُنزل إليك تخوُّفاً مِنْ أَنْ ينالك مكروهٌ. بلِّغ الجميع مجاهراً به ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ إنْ كتمت آية ممَّا أنزلتُ إليك لم تبلِّغ رسالتي. يعني: إنَّه إِنْ ترك بلاغ البعض كان كمَنْ لم يُبلِّغ ﴿والله يعصمك من الناس﴾ أن ينالوك بسوء. قال المفسرون: كان النبيُّ ﷺ يشفق على نفسه غائلة اليهود والكفَّار، وكان لا يُجاهرهم بعيب دينهم وسبِّ آلهتهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك﴾ فقال: يا ربِّ، كيف أصنع وأنا واحدٌ أخاف أن يجتمعوا عليَّ؟ فأنزل الله تعالىٰ[2]: ﴿وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٤.
(٢) أخرجه ابن جرير ٦/٣٠٧ عن مجاهد.

ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ رُسُلٗاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُهُمۡ فَرِيقٗا كَذَّبُواْ وَفَرِيقٗا يَقۡتُلُونَ ﴿٧٠﴾ وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتۡنَةٞ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ ثُمَّ تَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَۖ وَقَالَ ٱلۡمَسِيحُ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمۡۖ إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿٧٢﴾

الناس إنَّ الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ لا يرشد مَنْ كذَّبك.

﴿٦٨﴾ **﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء﴾** من الدِّين **﴿حتىٰ تُقيموا﴾** حتىٰ تعملوا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد ﷺ وبيان نعته، وباقي الآية مضىٰ تفسيره إلىٰ قوله: **﴿فلا تأس علىٰ القوم الكافرين﴾** يقول: لا تحزن على أهل الكتاب إنْ كذَّبوك.

﴿٦٩﴾ **﴿إنَّ الذين آمنوا والذين هادوا﴾** سبق تفسيره في سورة البقرة[1].

﴿٧١﴾ **﴿وحسبوا ألا تكون فتنة﴾** ظنُّوا وقدَّروا ألا تقع بهم عقوبة، وعذابٌ في الإصرار على الكفر بقتل الأنبياء، وتكذيب الرُّسل **﴿فعموا وصموا﴾** عن الهدىٰ فلم يعقلوه **﴿ثمَّ تاب الله عليهم﴾** بإرساله محمداً ﷺ داعياً إلىٰ الصِّراط المستقيم **﴿ثمَّ عموا وصموا كثيرٌ منهم﴾** بعد تبيُّن الحقِّ لهم بمحمَّد عليه السَّلام **﴿والله بصيرٌ بما يعملون﴾** من قتل الأنبياء وتكذيب الرُّسل.

---

(١) انظر ص ١١٠.

لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا

﴿٧٣﴾ **﴿لقد كفر الذين قالوا إنَّ الله ثالث ثلاثة﴾** أَيْ: ثالث ثلاثةٍ من الآلهة، والمعنىٰ: أنَّهم قالوا: اللَّهُ واحدُ ثلاثةِ آلهة: هو، والمسيح، ومريم؛ فزعموا أنَّ الإِلٰهيَّة مشتركة بين هؤلاء الثلاثة، فكفروا بذلك.

﴿٧٤﴾ **﴿ما المسيحُ ابن مريم إلاَّ رسول قد خلت من قبله الرسل﴾** أَيْ: إنَّه رسولٌ ليس بإلٰهٍ، كما أنَّ مَنْ قبله كانوا رسلاً **﴿وأمه صديقة﴾** صدَّقت بكلمات ربِّها وكتبه **﴿كانا يأكلان الطعام﴾** يريد: هما لحمٌ ودمٌ يأكلان ويشربان، ويبولان ويتغوَّطان، وهذه ليست من أوصاف الإِلٰهيَّة **﴿انظر كيف نبيِّن لهم الآيات﴾** نفسِّر لهم أمر ربوبيتي **﴿ثم انظر أنىٰ يؤفكون﴾** يُصرفون عن الحقِّ الذي يؤدِّي إليه تدبُّر الآيات.

﴿٧٦﴾ **﴿قل﴾** للنَّصارىٰ: **﴿أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً﴾** يعني: المسيح؛ لأنَّه لا يملك ذلك إلاَّ الله عزَّ وجلَّ **﴿والله هو السميع﴾** لكفركم **﴿العليم﴾** بضميركم.

﴿٧٧﴾ **﴿قل يا أهل الكتاب﴾** يعني: اليهود والنَّصارىٰ **﴿لا تغلوا في دينكم﴾** لا تخرجوا عن الحدِّ في عيسىٰ، وغُلوُّ اليهود فيه بتكذيبهم إيَّاه، ونسبته إلىٰ أنَّه لغير رِشدة، وغُلوُّ النصارىٰ فيه ادِّعاؤهم الإِلٰهيَّة له، وقوله: **﴿غير الحق﴾** أَيْ: مخالفين للحق **﴿ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل﴾** يعني: رؤساءهم الذين مضوا من

وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ

الفريقين. أَيْ: لا تتبعوا أسلافكم فيما ابتدعوه بأهوائهم ﴿**وضلوا عن سواء السبيل**﴾ عن قصد الطَّريق بإضلالهم الكثير.

(٧٨) ﴿**لعن الذين كفروا من بني إسرائيل**﴾ يعني: أصحاب السَّبت، وأصحاب المائدة ﴿**علىٰ لسان داود**﴾ لأنَّهم لمَّا اعتدوا قال داود عليه السَّلام: اللَّهم العنهم واجعلهم آيةً لخلقك، فمسخوا قردة [على لسان داود][1] ﴿**وعيسىٰ ابن مريم**﴾ عليه السَّلام؛ لأنَّه لعن مَنْ لم يؤمن من أصحاب المائدة، فقال: اللهم العنهم كما لعنتَ السَّبت، فمسخوا خنازير.

(٧٩) ﴿**كانوا لا يتناهون**﴾ لا ينتهون ﴿**عن منكر فعلوه**﴾.

(٨٠) ﴿**ترىٰ كثيراً منهم**﴾ من اليهود ﴿**يتولون الذين كفروا**﴾ كفَّار مكة ﴿**لبئس ما قدَّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم**﴾ بئسما قدَّموا من العمل لمعادهم في الآخرة سُخطَ الله عليهم.

(٨٢) ﴿**لتجدنَّ**﴾ يا محمد ﴿**أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود**﴾ وذلك أنَّهم ظاهروا المشركين على المؤمنين حسداً للنبيِّ عليه السَّلام ﴿**ولتجدنَّ أقربهم مودة للذين**

---

(١) زيادة من ظ.

ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ

آمنوا الذين قالوا إنا نصارىٰ﴾ يعني: النَّجاشي[١] ووفده الذين قدموا من الحبشة على رسول الله ﷺ وآمنوا به، ولم يرد جميع النَّصارىٰ. ﴿ذلك﴾ [يعني: قرب المودَّة][٢] ﴿بأنَّ منهم قسيسين ورهباناً﴾ أَيْ: علماء بوصاة عيسىٰ بالإِيمان بمحمَّد عليه السَّلام ﴿وأنهم لا يستكبرون﴾ عن اتِّباع الحقِّ كما يستكبر اليهود وعبدة الأوثان.

﴿٨٣﴾ ﴿وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول﴾ يعني: النجاشيَّ وأصحابه، قرأ عليهم جعفر بن أبي طالب بالحبشة ﴿كهعيص﴾ فما زالوا يبكون، وهو قوله: ﴿ترىٰ أعينهم تَفيضُ من الدمع ممَّا عرفوا من الحق﴾ يريد: الذي نزل على محمَّد وهو الحقُّ ﴿يقولون ربنا آمنا﴾ وصدَّقنا ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ مع أمَّة محمَّد ﷺ الذين يشهدون بالحقِّ.

﴿٨٤﴾ ﴿ومالنا لا نؤمن بالله﴾ أَيْ: أيُّ شيءٍ لنا إذا تركنا الإيمان بالله ﴿وما جاءنا من الحق﴾ أَيْ: القرآن ﴿و﴾ نحن ﴿نطمع أن يدخلنا ربنا﴾ الجنَّة مع أمَّة محمَّد عليه السَّلام. يعنون: أنَّهم لا شيء لهم إذا لم يؤمنوا بالقرآن، ولا يتحقق طمعهم في دخول الجنَّة.

﴿٨٥﴾ ﴿فأثابهم الله بما قالوا﴾ يعني: بما سألوا الله من قولهم: ﴿فاكتبنا مع الشاهدين﴾ وقولهم: ﴿ونطمع أن يدخلنا ربنا...﴾ الآية. ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار

---

(١) أخرجه ابن جرير ٧/١، عن ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير.
(٢) زيادة من ظ.

خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ

خالدين فيها وذلك [أي: الثَّواب][1] **﴿جزاء المحسنين﴾** الموحِّدين، ثمَّ ذكر الوعيد لمَنْ كفر من أهل الكتاب وغيرهم، فقال:

﴿٨٦﴾ **﴿والذين كفروا وكذَّبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم﴾**.

﴿٨٧﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحلَّ الله لكم﴾** هم قومٌ[2] من أصحاب النبيِّ ﷺ تعاهدوا أن يحرِّموا على أنفسهم المطاعم الطَّيِّبة، وأن يصوموا النَّهار، ويقوموا اللَّيل، ويُخْصُوا أنفسهم فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية، وسمَّىٰ الخِصاء اعتداءً، فلمَّا نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله، إنَّا كنَّا قد حلفنا على ذلك، فنزلت:

﴿٨٩﴾ **﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في إيمانكم﴾** وفسَّرْنا هذا في سورة البقرة[3] **﴿ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان﴾** وهو أن يقصد الأمر، فيحلف بالله ويعقد عليه اليمين بالقلب متعمِّداً **﴿فكفارته﴾** إذا حنثتم **﴿إطعام عشرة مساكين﴾** لكلِّ مسكين

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) وكانوا عشرة، وهم عليّ بن أبي طالب، وعثمان بن مظعون، وأبو بكر الصديق، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عمرو، وأبو ذر الغفاري، وسالم مولىٰ أبي حذيفة، والمقداد بن الأسود، وسلمان الفارسي، ومعقل بن مقرِّن. انظر: أسباب النزول ص ٢٣٧؛ وابن جرير ٧/ ٩؛ ولباب النقول ص ٩٧، وذكر سبب نزولها البخاري مختصراً. فتح الباري ٨/ ٢٧٦.

(٣) انظر ص ١٦٨.

مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَآءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾

مدٌّ، وهو [رطلٌ وثلث،][1] وهو قوله: ﴿**من أوسط ما تطعمون أهليكم**﴾ لأنَّ هذا القدر وسط في الشِّبع. وقيل: من خير ما تطعمون أهليكم، كالحنطة والتمر ﴿**أو كسوتهم**﴾ وهو أقلُّ ما يقع عليه اسم الكسوة من إزارٍ، ورداءٍ، وقميصٍ ﴿**أو تحرير رقبة**﴾ يعني: مؤمنة، والمُكفِّر في اليمين مُخيَّر بين هذه الثَّلاث ﴿**فمن لم يجد**﴾ يعني: لم يفضل من قوته وقوت عياله يومه وليلته ما يطعم عشرة مساكين ﴿**فـ**﴾ـعليه ﴿**صيام ثلاثة أيام**﴾. ﴿**واحفظوا أيمانكم**﴾ فلا تحلفوا، واحفظوها عن الحنث.

﴿٩٠﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر**﴾ يعني: الأشربة التي تخمَّر حتىٰ تشتدَّ وتُسْكِر ﴿**والميسر**﴾ القمار بجميع أنواعه ﴿**والأنصاب**﴾ الأوثان ﴿**والأزلام**﴾ قداح الاستقسام التي ذُكرت في أوَّل السُّورة[2] ﴿**رجسٌ**﴾ قذرٌ قبيحٌ ﴿**من عمل الشيطان**﴾ ممَّا يسوِّله الشَّيطان لبني آدم ﴿**فاجتنبوه**﴾ كونوا جانباً منه.

﴿٩١﴾ ﴿**إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر**﴾ وذلك لما يحصل بين أهلها من العداوة والمقابح، والإقدام علىٰ ما يمنع منه العقل ﴿**ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة**﴾ لأنَّ مَن اشتغل بهما منعاه عن ذكر الله والصَّلاة ﴿**فهل أنتم منتهون**﴾ [استفهامٌ بمعنىٰ الأمر][3]. قالوا: انتهينا، ثمَّ أمر

(١) هذه عبارة الأصل، وفي البواقي: [ثلثا مَنٍّ].
(٢) عند قوله: ﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾ انظر ص ٣٠٨.
(٣) زيادة من ظ.

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ تَنَالُهُۥٓ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ لِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَخَافُهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا

بالطَّاعة فقال:

﴿٩٢﴾ ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا﴾ المحارم والمناهي ﴿فإن توليتم﴾ عن الطَّاعة ﴿فاعلموا أنما علىٰ رسولنا البلاغ المبين﴾ فليس عليه إلَّا البلاغ، فإن أطعتم وإلَّا استحققتم العقاب، فلمَّا نزل تحريم الخمر قالوا: يا رسول الله، ما تقول في إخواننا الذين مضوا وهم يشربونها، ويأكلون الميسر؟ فنزل[1]:

﴿٩٣﴾ ﴿ليس علىٰ الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا﴾ من الخمر والميسر قبل التحريم ﴿إذا ما اتقوا﴾ المعاصي والشِّرك ﴿ثمَّ اتقوا﴾ داموا علىٰ تقواهم ﴿ثم اتقوا﴾ ظلم العباد مع ضمِّ الإحسان إليه.

﴿٩٤﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد﴾ كان هذا عام الحديبية، كانت الوحش والطَّير تغشاهم في رحالهم كثيرة، وهم مُحْرِمون ابتلاءً من الله تعالىٰ. ﴿تناله أيديكم﴾ يعني: الفراخ والصِّغار ﴿ورماحكم﴾ يعني: الكبار ﴿ليعلم الله﴾ ليرىٰ الله ﴿مَنْ يخافه بالغيب﴾ أَيْ: مَنْ يخاف الله ولم يره ﴿فمن اعتدىٰ﴾ ظلم بأخذ الصَّيد ﴿بعد ذلك﴾ بعد النَّهي ﴿فله عذابٌ أليم﴾.

﴿٩٥﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم﴾ حرَّم الله قتل الصَّيد علىٰ المُحْرِم، فليس له أن يتعرَّض للصَّيد بوجهٍ من الوجوه ما دام مُحرماً ﴿ومَنْ قتله منكم متعمداً

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/٢٧٨؛ ومسلم برقم ١٧٤٨؛ وابن جرير ٧/٣٧؛ والحاكم ٤/١٤١؛ والنسائي في تفسيره ١/٤٤٧؛ والترمذي. العارضة ١/١٧٨.

فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّٰرَةٌ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ ۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۚ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ ٱلْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ۚ

﴿فجزاء مثل ما قتل من النعم﴾ أَيْ: فعليه جزاءٌ مماثل للمقتول من النَّعم في الخِلقة، ففي النَّعامة بدنة، وفي حمار الوحش بقرة، وفي الضَّبع كبش، على هذا التَّقدير **﴿يحكم به ذوا عدل﴾** يحكم في الصَّيد بالجزاء رجلان صالحان **﴿منكم﴾** من أهل [ملَّتكم] فينظران إلىٰ أشبه الأشياء به من النَّعم، فيحكمان به **﴿هدياً بالغ الكعبة﴾** أَيْ: إذا أتىٰ مكة ذبحه، وتصدَّق به **﴿أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك﴾** أَيْ: مثل ذلك **﴿صياماً﴾** والمُحرِم إذا قتل صيداً كان مخيَّراً؛ إن شاء جزاه بمثله من النَّعم؛ وإن شاء قوَّم المثل دراهم، ثمَّ الدراهم طعاماً، ثمَّ يتصدَّق به، وإن شاء صام عن كلِّ مدٍّ يوماً **﴿ليذوق وبال أمره﴾** جزاء ما صنع **﴿عفا الله عما سلف﴾** قبل التَّحريم **﴿ومن عاد فينتقم الله منه﴾** مَنْ عاد إلى قتل الصَّيد مُحرماً حُكم عليه ثانياً، وهو بصدد الوعيد **﴿والله عزيز﴾** منيع **﴿ذو انتقام﴾** من أهل معصيته.

﴿٩٦﴾ **﴿أحلَّ لكم صيد البحر﴾** ما أُصيب من داخله، وهذا الإِحلالُ عامٌّ لكلِّ أحد مُحرِماً كان أو مُحِلاًّ **﴿وطعامه﴾** وهو ما نضب عنه الماء ولم يُصَد **﴿متاعاً لكم وللسيارة﴾** منفعة للمقيم والمسافر، يبيعون ويتزوَّدون منه، ثمَّ أعاد تحريم الصَّيد في حال الإِحرام، فقال: **﴿وحرِّم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾** خافوا الله الذي إليه تبعثون.

﴿٩٧﴾ **﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام﴾** يعني: البيت الذي حرَّم أن يصاد عنده، ويختلىٰ للحجِّ وقضاء النُّسك **﴿والشهر الحرام﴾** يعني: الأشهر الحرم، فذكر بلفظ الجنس **﴿والهدي والقلائد﴾** ذكرناه في أوَّل السورة، وهذه الجملة ذُكرت بعد ذكر البيت؛

﴿ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٨﴾ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٩٩﴾ قُل لَّا يَسْتَوِي ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسْـَٔلُواْ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْـَٔلُواْ عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلْقُرْءَانُ تُبْدَ لَكُمْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهَا وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾

لأنَّها من أسباب الحج فذكرت معه ﴿**ذلك**﴾ أيْ: ذلك الذي أنبأتكم به في هذه السُّورة من أخبار الأنبياء، وأحوال المنافقين واليهود، وغير ذلك ﴿**لتعلموا أنَّ الله يعلم ما في السموات. . .**﴾ الآية. أَيْ: يدلُّكم ذلك علىٰ أن لا يخفىٰ عليه شيء.

﴿١٠٠﴾ ﴿**قل لا يستوي الخبيث والطيب**﴾ أيْ: الحرام والحلال ﴿**ولو أعجبك كثرة الخبيث**﴾ وذلك أنَّ أهل الدُّنيا يعجبهم كثرة المال وزينة الدُّنيا.

﴿١٠١﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبدَ لكم تسؤكم**﴾ نزلت حين سُئل النبيُّ حتىٰ أحفوه بالمسألة، فقام مُغضباً خطيباً، وقال: لا تسألوني في مقامي هذا عن شيء إلَّا أخبرتكموه، فقام رجلٌ من بني سهم يُطعن في نسبه فقال: مَنْ أبي؟ فقال: أبوك حذافة، وقام آخر فقال: أين أنا[1]؟ فقال: في النَّار، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[2]، ونهاهم أن يسألوه عمَّا يُحزنهم جوابه وإبداؤه، كسؤالِ مَنْ سأل عن موضعه، فقال: في النَّار، ﴿**وإن تسألوا عنها**﴾ أَيْ: عن أشياء ﴿**حين ينزل القرآن**﴾ فيها ﴿**تُبدَ لكم**﴾ يعني: ما ينزل فيه القرآن من فرضٍ، أو نهيٍ، أو حكمٍ؛ ومسَّت الحاجة إلى بيانه، فإذا سألتم عنها حينئذٍ تبدىٰ لكم. ﴿**عفا الله عنها**﴾ أَيْ: عن مسألتكم ممَّا كرهه النبيُّ ﷺ ولا حاجة بكم إلىٰ بيانه. نهاهم أن يعودوا إلىٰ مثل ذلك، وأخبر أنَّه عفا عمَّا فعلوا ﴿**والله غفورٌ حليم**﴾ لا يعجل بالعقوبة، ثمَّ

---

(١) في ظ: أين أبـي؟.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الاعتصام. فتح الباري ١٣/ ٢٦٤؛ ومسلم برقم ٢٣٥٩؛ والترمذي في التفسير؛ عارضة الأحوذي ١١/ ١٨٠؛ وابن جرير ٧/ ٨٠.

قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَٰفِرِينَ ﴿١٠٢﴾ مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ

أخبرهم عن حال مَنْ تكلَّف سؤال ما لم يُكلَّفوا فقال:

﴿١٠٢﴾ ﴿قد سألها﴾ أي: الآيات ﴿قومٌ من قبلكم...﴾ الآية. يعني: قوم عيسىٰ سألوا المائدة ثمَّ كفروا بها، وقوم صالح سألوا النَّاقة ثمَّ عقروها.

﴿١٠٣﴾ ﴿ما جعل الله من بحيرة﴾ أيْ: ما أوجبها ولا أمر بها، والبحيرة: النَّاقة إذا نُتجت خمسة أبطن شقُّوا أُذنها، وامتنعوا من ركوبها وذبحها ﴿ولا سائبة﴾ هو ما كانوا يُسيِّبونه لآلهتهم في نذرٍ يلزمهم إنْ شفي مريض، أو قضيت لهم حاجة ﴿ولا وصيلة﴾ كانت الشَّاة إذا ولدت أنثىٰ فهي لهم، وإن ولدت ذكراً جعلوه لآلهتهم، وإن ولدت ذكراً وأنثىٰ قالوا: وصلت أخاها فلم يذبحوا الذَّكر لآلهتهم ﴿ولا حامٍ﴾ إذا نُتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا: قد حمىٰ ظهره، فلم يُركب ولم يُنتفع، وسيِّب لأصنامهم فلا يُحمل عليه ﴿ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب﴾ يتقوَّلون علىٰ الله الأباطيل في تحريم هذه الأنعام، وهم جعلوها مُحرَّمة لا الله، ﴿وأكثرهم﴾ يعني: أتباع رؤسائهم الذين سنُّوا لهم تحريم هذه الأنعام ﴿لا يعقلون﴾ أنَّ ذلك كذبٌ وافتراءٌ على الله من الرُّؤساء.

﴿١٠٤﴾ ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلىٰ ما أنزل الله﴾ في القرآن من تحليل ما حرَّمتم ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ من الدِّين ﴿أَوَلَوْ كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ مفسَّرة في سورة البقرة[١].

﴿١٠٥﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم﴾ احفظوها من ملابسة المعاصي والإصرار

(١) انظر ص ١٤٤.

لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ شَهَٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ

على الذنوب ﴿لا يضرُّكم مَنْ ضلَّ﴾ من أهل الكتاب ﴿إذا اهتديتم﴾ أنتم ﴿إلىٰ الله مرجعكم جميعاً﴾ مصيركم ومصير مَنْ خالفكم، ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ يُجازيكم بأعمالكم.

﴿١٠٦﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم﴾ نزلت هذه الآيات في قصَّة تميم وعديٍّ وبُديلٍ، خرجوا تجاراً إلى الشَّام، فمرض بُديل ودفع إليهما متاعه، وأوصىٰ إليهما أن يدفعاه إلىٰ أهله إذا رجعا، فأخذا من متاعه إناءً من فِضَّة، وردَّا الباقي إلى أهله، فعلموا بخيانتهما ورفعوهما إلىٰ رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآيات[١]، ومعنىٰ الآية: ليشهدكم ﴿إذا حضر أحدكم الموت﴾ وأردتم الوصية ﴿اثنان ذوا عدل منكم﴾ من أهل ملَّتكم تشهدونهما على الوصية ﴿أو آخران من غيركم﴾ من غير دينكم إذا ﴿ضربتم﴾ سافرتم ﴿في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت﴾ علم الله أنَّ من النَّاس مَنْ يسافر فيصحبُهُ في سفره أهل الكتاب دون المسلمين، ويحضره الموت فلا يجد مَنْ يُشهده على وصيته من المسلمين، فقال: ﴿أو آخران من غيركم﴾ فالذِّميان في السَّفر [خاصَّة][٢] إذا لم يوجد غيرهما [تُقبل شهادتهما في ذلك][٣]، وقوله: ﴿تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتُمْ لا نشتري به

---

(١) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن جرير ٧/ ١١٥؛ والترمذي عن ابن عباس عن تميم الداري، وقال: هذا حديثٌ غريب، وليس إسناده بصحيحٍ. العارضة ١١/ ١٨٢؛ والنحاس في الناسخ والمنسوخ ص ١٦٤.

قلت: وتميم هو الداري، وعدي هو ابن بداء، وبديل هو ابن أبي مريم، ويقال له: ابن أبي مارية.

(٢) زيادة من عا و ظ.

(٣) زيادة من ظ.

ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِٱلشَّهَٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓا۟ أَن تُرَدَّ أَيْمَٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَٰنِهِمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٠٨﴾

ثمناً﴾ أَيْ: أن ارتبتم في شهادتهما وشككتم، وخشيتم أن يكونا قد خانا حبستموهما على اليمين بعد صلاة العصر، فيحلفان بالله ويقولان في يمينهما: لا نبيع الله بعرضٍ من الدُّنيا، ولا نُحابي أحداً في شهادتنا **﴿ولو كان ذا قربىٰ﴾** ولو كان المشهود له ذا قربىٰ **﴿ولا نكتم شهادة الله﴾** أَيْ: الشَّهادة التي أمر الله بإقامتها **﴿إنا إذاً لمن الآثمين﴾** إنْ كتمناها، ولمَّا رفعوهما إلى رسول الله ﷺ ونزلت هذه الآية أمر رسول الله ﷺ أن يستحلفوهما، وذلك أنَّهما كانا نصرانيين، وبُديل كان مسلماً، فحلفا أنَّهما ما قبضا غير ما دفعا إلى الورثة، ولا كتما شيئاً، وخلَّىٰ سبيلهما ثمَّ اطُّلِع علىٰ الإناء في أيديهما، فقالا: اشتريناه منه، فارتفعوا إلىٰ النبيِّ ﷺ فنزل قوله:

﴿١٠٧﴾ **﴿فإن عثر﴾** أَيْ: ظهر واطلع **﴿علىٰ أنهما استحقا إثماً﴾** أَيْ: استوجباه بالخيانة والحنث في اليمين **﴿فآخران يقومان مقامهما﴾** من الورثة، وهم الذين **﴿استحق عليهم﴾** أَيْ: استحق عليهم الوصية، أو الإيصاء، وذلك أنَّ الوصية تستحق على الورثة **﴿الأوليان﴾** بالميت، أَيْ: الأقربان إليه، والمعنىٰ: قام في اليمين مقامهما رجلان من قرابة الميت، فيحلفان بالله: لقد ظهرنا على خيانة الذِّمِّيَّيْن وكذبهما وتبديلهما، وهو قوله: **﴿فيقسمان بالله لشهادتنا أحقُّ من شهادتهما﴾** أَيْ: يميننا أحقُّ من يمينهما **﴿وما اعتدينا﴾** فيما قلنا، فلمَّا نزلت هذه الآية قام اثنان من ورثة الميِّت فحلفا بالله أنَّهما خانا وكذبا، فدفع الإناء إلىٰ أولياء الميت.

﴿١٠٨﴾ **﴿ذلك﴾** أَيْ: ما حَكم به في هذه القصَّة، وبيَّنه من ردِّ اليمين **﴿أدنىٰ﴾** إلىٰ الإتيان بالشَّهادة علىٰ ما كانت **﴿أو يخافوا﴾** أَيْ: أقرب إلىٰ أن يخافوا **﴿أن ترد أيمان﴾** على أولياء الميِّت بعد أيمان الأوصياء، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم فيفتضحوا

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّۦنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ

﴿واتقوا الله﴾ أن تحلفوا أيماناً كاذبةً، أو تخونوا أمانةً ﴿واسمعوا﴾ الموعظة ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ لا يرشد مَنْ كان على معصيته.

(١٠٩) ﴿يوم يجمع الله الرسل﴾ أَيْ: اذكروا ذلك اليوم ﴿فيقول﴾ لهم: ﴿ماذا أُجِبْتُمْ﴾ ما أجابكم قومكم في التَّوحيد؟ ﴿قالوا لا علم لنا﴾ من هول ذلك اليوم يذهلون عن الجواب، ثمَّ يجيبون بعدما تثوب إليهم عقولهم، فيشهدون لمن صدَّقهم، وعلىٰ مَنْ كذَّبهم.

(١١٠) ﴿إذ قال الله يا عيسىٰ ابن مريم﴾ مضىٰ تفسير الآية[1] إلى قوله: ﴿وإذ كففت بني إسرائيل عنك﴾ أَيْ: عن قتلك.

(١١١) ﴿وإذ أوحيت إلىٰ الحواريين﴾ أَيْ: ألهمتهم.

(١١٢) ﴿إذ قال الحواريون يا عيسىٰ ابنَ مريم هل يستطيع ربك﴾ لم يشكُّوا في قدرته، ولكنْ معناه: هل يقبل ربُّك دعاءَك، وهل يسهل لك إنزال مائدة علينا من السَّماء،

(١) انظر ص ٢١٣.

اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ ۖ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾

عَلَماً لك ودلالةً على صدقك؟ فقال عيسىٰ: ﴿اتقوا الله﴾ أن تسألوه شيئاً لم تسأله الأمم من قبلكم.

﴿١١٣﴾ ﴿قالوا: نريد أن نأكل منها﴾ أيْ: نريد السُّؤال من أجل هذا ﴿وتطمئن قلوبنا﴾ نزداد يقيناً بصدقك ﴿ونكون عليها من الشاهدين﴾ لله بالتَّوحيد، ولك بالنُّبوة. وقوله:

﴿١١٤﴾ ﴿تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا﴾ أيْ: نتَّخذ اليوم الذي تنزل فيه عيداً نُعظِّمه نحن ومَنْ يأتي بعدنا ﴿وآيةً منك﴾ دلالةً على توحيدك وصدق نبيِّك ﴿وارزقنا﴾ عليها طعاماً نأكله. وقوله:

﴿١١٥﴾ ﴿فمن يكفر بعد منكم﴾ أيْ: بعد إنزال المائدة ﴿فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ أراد: جنساً من العذاب لا يُعذَّب به غيرهم من عالمي زمانهم.

﴿١١٦﴾ ﴿وإذْ قال الله يا عيسى ابن مريم﴾ واذكر يا مُحمَّدُ حين يقول الله تعالى يوم القيامة لعيسىٰ: ﴿أأنت قلت للناس اتخذوني وأمّي إلّهين من دون الله﴾ هذا استفهامٌ معناه التَّوبيخ لمن ادَّعىٰ ذلك على المسيح؛ ليكذِّبهم المسيح، فتقوم عليهم الحجَّة ﴿قال سبحانك﴾ أيْ: براءتك من السُّوء. ﴿تعلم ما في نفسي﴾ أيْ: ما في سرِّي وما أضمره ﴿ولا أعلم ما في نفسك﴾ أيْ: ما تخفيه أنت، وما عندك علمه ولم تُطلعنا عليه. وقوله:

مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾ قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌۢ ﴿١٢٠﴾

﴿١١٧﴾ **﴿وكنتُ عليهم شهيداً﴾** أَيْ: كنت أشهد علىٰ ما يفعلون ما كنتُ مقيماً فيهم **﴿فلما توفيتني﴾** [يعني: رفعتني][1] إلىٰ السَّماء **﴿كنت أنت الرقيب﴾** الحفيظ **﴿عليهم وأنت على كلِّ شيء شهيد﴾** أَيْ: شهدت مقالتي فيهم، وبعد ما رفعتني شهدتَ ما يقولون من بعدي[2].

﴿١١٨﴾ **﴿إن تعذبهم﴾** أَيْ: مَنْ كفر بك **﴿فإنهم عبادك﴾** وأنت العادل فيهم **﴿وإن تغفر لهم﴾** أَيْ: مَنْ تاب منهم وآمن فأنت عزيزٌ لا يمتنع عليك ما تريد، حكيمٌ في ذلك.

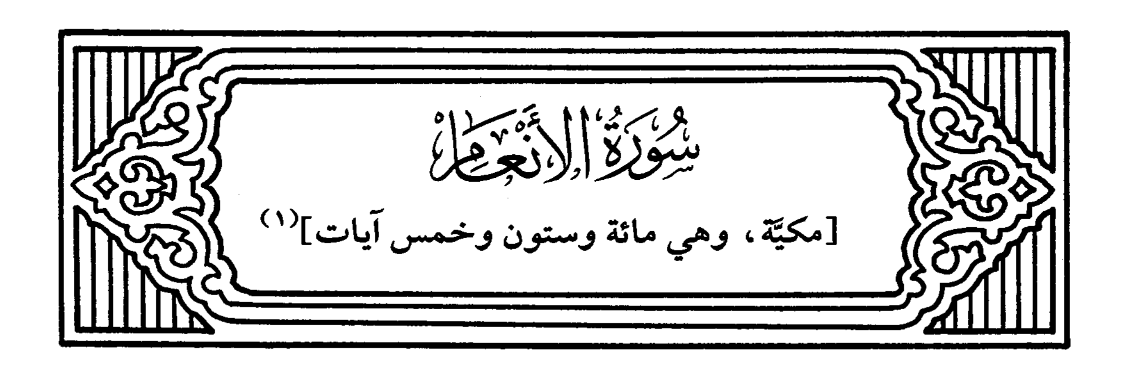
﴿١١٩﴾ **﴿قال الله: هذا يوم﴾** يعني: يوم القيامة **﴿ينفع الصادقين﴾** في الدُّنيا **﴿صدقهم﴾** لأنَّه يوم الإِثابة والجزاء. **﴿رضي الله عنهم﴾** بطاعته **﴿ورضوا عنه﴾** بثوابه **﴿ذلك الفوز العظيم﴾** لأنهم فازوا بالجنَّة.

﴿١٢٠﴾ **﴿لله ملك السموات والأرض﴾** عظَّم نفسه عمَّا قالت النصارىٰ: إنَّ معه إلٰهاً.

• • •

(١) زيادة من ظ.

(٢) ورد عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ قال: إنكم محشورون، وإنَّ ناساً يُؤخذ بهم ذات الشِّمال، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وكنتُ عليهم شهيداً ما دُمت فيهم، فلمَّا توفَّيتني كنتَ أنتَ الرَّقيبَ عليهم وأنتَ على كلِّ شيءٍ شهيدٌ * إنْ تعذِّبْهم فإنَّهم عبادك، وإنْ تغفرْ لهم فإنك أنت العزيز الحكيم﴾. أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/٣٨٦؛ ومسلم برقم ٢٨٦٠؛ والنسائي في التفسير ١/٤٦٣؛ والترمذي في التفسير. العارضة ١٢/٢٦.



سُورَةُ الأَنْعَامِ

[مكيّة، وهي مائة وستون وخمس آيات][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور﴾ وخلق اللَّيل والنَّهار ﴿ثمَّ الذين كفروا﴾ بعد قيام الدَّليل علىٰ وحدانيَّته بما ذكر من خلقه ﴿بربهم يعدلون﴾ الحجارةَ والأصنام فيعبدونها معه.

﴿٢﴾ ﴿هو الذي خلقكم من طين﴾ يعني: آدم أبا البشر ﴿ثمَّ قضىٰ أجلاً﴾ يعني: أجل الحياة إلى الموت ﴿وأجل مسمى عنده﴾ من الممات إلى البعث ﴿ثم أنتم﴾ أيُّها المشركون بعد هذا ﴿تمترون﴾ تشكُّون وتكذِّبون بالبعث. يريد: إنَّ الذي ابتدأ الخلق قادرٌ على إعادته.

﴿٣﴾ ﴿وهو الله﴾ أي: المعبود المعظَّم المتفرِّد بالتَّدبير ﴿في السموات وفي الأرض﴾.

﴿٤﴾ ﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم﴾ الدَّالَّة على وحدانيَّته، كما ذكر من خلق آدم،

---

(١) ما بين [ ] من ظ وظا.

إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَٰبًا فِى قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾

وخلق اللَّيل والنَّهار ﴿**إلَّا كانوا عنها معرضين**﴾ تاركين التَّفكُّر فيها.

﴿٥﴾ ﴿**فقد كذبوا**﴾ يعني: مشركي أهل مكة ﴿**بالحق لما جاءهم**﴾ يعني: القرآن ﴿**فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون**﴾ أَيْ: أخبار استهزائهم وجزاؤه.

﴿٦﴾ ﴿**ألم يروا**﴾ يعني: هؤلاء الكفَّار ﴿**كم أهلكنا من قبلهم من قرن**﴾ من جيلٍ وأمَّةٍ ﴿**مكنَّاهم في الأرض ما لم نمكِّن لكم**﴾ أعطيناهم من المال والعبيد والأنعام ما لم نُعطكم ﴿**وأرسلنا السماء**﴾ المطر ﴿**عليهم مدراراً**﴾ كثير الدَّرِّ، وهو إقباله ونزوله بكثرة ﴿**فأهلكناهم بذنوبهم**﴾ بكفرهم ﴿**وأنشأنا**﴾ أوجدنا ﴿**من بعدهم قرناً آخرين**﴾ وهذا احتجاجٌ علىٰ منكري البعث.

﴿٧﴾ ﴿**ولو نزلنا عليك...**﴾ الآية. قال مشركو مكَّة: لن نؤمن لك حتىٰ تأتينا بكتاب من السَّماء [جملةً واحدةً][1] مُعاينةً، فقال الله: ﴿**ولو نزلنا عليك كتاباً**﴾ أَيْ: مكتوباً ﴿**في قرطاس**﴾ يعني: الصَّحيفة ﴿**فلمسوه بأيديهم**﴾ فعاينوا ذلك مُعاينةً، ومسُّوه بأيديهم ﴿**لقال الذين كفروا إن هذا إلَّا سحر مبين**﴾. أخبر الله تعالىٰ أنَّهم يدفعون الدَّليل حتىٰ لو رأوا الكتاب ينزل من السَّماء لقالوا: سحر.

﴿٨﴾ ﴿**وقالوا: لولا أنزل عليه ملك**﴾ طلبوا ملكاً يرونه يشهد له بالرِّسالة، فقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿**ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر**﴾ لأُهلكوا بعذاب الاستئصال، كسُنَّة مَنْ قبلهم ممَّن طلبوا الآيات فلم يؤمنوا ﴿**ثم لا ينظرون**﴾ لا يُمهلون لتوبةٍ ولا لغير ذلك.

---

(١) زيادة من ظ.

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُوا۟ مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ ٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ قُل لِّمَن مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُل لِّلَّهِ ۚ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۚ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ ۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾

﴿٩﴾ **﴿ولو جعلناه ملكاً﴾** أَيْ: ولو جعلنا الرَّسول الذي ينزل عليهم ليشهدوا له بالرِّسالة مَلَكاً كما يطلبون **﴿لجعلناه رجلاً﴾** لأنَّهم لا يستطيعون أن يروا المَلَك في صورته، لأنَّ أعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة، ولذلك كان جبريل عليه السَّلام يأتي رسول الله ﷺ في صورة دحية الكلبيِّ **﴿وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾** ولخلطنا عليهم ما يخلطون علىٰ أنفسهم حتىٰ يشكُّوا فلا يدروا أَمَلَكٌ هو أم آدميٌّ، أَيْ: فإنَّما طلبوا حال لبسٍ لا حال بيانٍ، ثمَّ عزَّىٰ الله نبيَّه عليه السَّلام بقوله:

﴿١٠﴾ **﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾** وكُذِّبوا ونُسبوا إلىٰ السِّحر **﴿فحاق﴾** فحلَّ ونزل **﴿بالذين سخروا﴾** من الرُّسل **﴿ما كانوا به يستهزئون﴾** من العذاب وينكرون وقوعه.

﴿١١﴾ **﴿قل﴾** لهم يا محمَّدُ: **﴿سيروا في الأرض﴾** سافروا في الأرض **﴿ثم انظروا﴾** فاعتبروا **﴿كيف كان عاقبة﴾** مُكذِّبي الرُّسل. يعني: إذا سافروا رأوا آثار الأمم الخالية المهلكة، يحذِّرهم مثلَ ما وقع بهم.

﴿١٢﴾ **﴿قل لمن ما في السموات والأرض﴾** فإن أجابوك وإلاَّ **﴿قل لله كتب على نفسه الرحمة﴾** أوجب على نفسه الرَّحمة، وهذا تلطُّفٌ في الاستدعاء إلىٰ الإنابة **﴿ليجمعنَّكم﴾** أَيْ: والله ليجمعنَّكم **﴿إلى يوم القيامة﴾** أَيْ: ليضمنَّكم إلىٰ هذا اليوم الذي أنكرتموه، وليجمعنَّ بينكم وبينه، ثمَّ ابتدأ فقال: **﴿الذين خسروا أنفسهم﴾** أهلكوها بالشِّرك **﴿فهم لا يؤمنون﴾**.

﴿١٣﴾ **﴿وله ما سكن في الليل والنهار﴾** أَيْ: ما حلَّ فيهما، واشتملا عليه. يعني: جميع المخلوقات.

قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ قُلْ أَىُّ شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ

﴿١٤﴾ ﴿**قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض**﴾ خالقهما ابتداءً ﴿**وهو يطعم ولا يطعم**﴾ يَرزق ولا يُرزق.

﴿١٦﴾ ﴿**من يصرف عنه**﴾ أي: العذاب ﴿**يومئذ**﴾ يوم القيامة ﴿**فقد رحمه**﴾ فقد أوجب الله له الرَّحمة لا محالة.

﴿١٧﴾ ﴿**وإن يمسسك الله بضر...**﴾ الآية. أَيْ: إنْ جعل الضُّرَّ وهو المرض والفقر يمسُّك.

﴿١٨﴾ ﴿**وهو القاهر**﴾ القادر الذي لا يعجزه شيء ﴿**فوق عباده**﴾ أيْ: إنَّ قهره قد استعلىٰ عليهم، فهم تحت التَّسخير.

﴿١٩﴾ ﴿**قل أي شيء أكبر شهادة**﴾ قال أهل مكة للنبيِّ ﷺ: ائتنا بمَنْ يشهد لك بالنُّبوَّة، فإنَّ أهل الكتاب ينكرونك، فنزلت هذه الآية. أمر الله تعالىٰ محمداً عليه السَّلام أن يسألهم، ثمَّ أمر أن يخبرهم[1] فيقول: ﴿**الله شهيد بيني وبينكم**﴾ أي: الله الذي اعترفتم بأنَّه خالق السَّموات والأرض، والظُّلمات والنُّور يشهد لي بالنُّبوَّة بإقامة البراهين، وإنزال القرآن عليَّ. ﴿**وأوحي إلي هذا القرآن**﴾ المُعجز بلفظه ونظمه وأخباره، عمَّا كان ويكون ﴿**لأنذركم**﴾ لأخوِّفكم ﴿**به**﴾ عقاب الله على الكفر ﴿**ومَنْ بلغ**﴾ يعني: ومَنْ بلغه القرآن من بعدكم، فكلُّ مَنْ بلغه القرآن فكأنَّما رأىٰ

---

(١) وهذا قول مجاهد أخرجه ابن جرير ٧/ ١٦٢.

أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

محمداً عليه السَّلام. قل: ﴿**أإنكم لتشهدون أنَّ مع الله آلهة أخرىٰ**﴾ استفهام معناه الجحد والإنكار ﴿**قل لا أشهد...**﴾ الآية.

﴿٢٠﴾ ﴿**الذين آتيناهم الكتاب**﴾ مفسَّرة في سورة البقرة[1].

﴿٢١﴾ ﴿**ومن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذباً**﴾ أَيْ: لا أحد أظلم ممَّن اختلق على الله كذباً. يعني: الذين ذكرهم في قوله: ﴿وإذا فعلوا فاحشة...﴾[2] الآية. ﴿**أو كذَّب بآياته**﴾ بالقرآن وبمحمد عليه السَّلام ﴿**إنَّه لا يفلح الظالمون**﴾ لا يسعد مَنْ جحد ربوبيَّة ربِّه، وكذَّب رسله، وهم الذين ظلموا أنفسهم بإهلاكها بالعذاب.

﴿٢٢﴾ ﴿**ويوم**﴾ واذكر يوم ﴿**نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم**﴾ أصنامكم وآلهتكم ﴿**الذين كنتم تزعمون**﴾ أنَّها تشفع لكم، وهذا سؤال توبيخ.

﴿٢٣﴾ ﴿**ثم لم تكن فتنتهم**﴾ أَيْ: لم تكن عاقبة افتتانهم بالأوثان وحبِّهم لها ﴿**إلَّا أن**﴾ تبرَّؤوا منها فـ ﴿**قالوا والله ربنا ما كنا مشركين**﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿**انظر**﴾ يا محمد ﴿**كيف كذبوا على أنفسهم**﴾ بجحد شركهم في الآخرة ﴿**وضلَّ**﴾ وكيف ضلَّ ذلك: زال وبطل ﴿**عنهم ما كانوا يفترون**﴾ بعبادته من الأصنام.

﴿٢٥﴾ ﴿**ومنهم**﴾ ومن الكفَّار ﴿**من يستمع إليك**﴾ إذا قرأت القرآن ﴿**وجعلنا علىٰ قلوبهم**

---

(١) انظر ص ١٣٧.

(٢) الآية: ﴿وإذا فعلوا فاحشةً قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها﴾ [الأعراف: ٢٨].

أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ ۖ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا

﴿أكنَّة﴾ أغطيةً ﴿أن يفقهوهُ﴾ لئلا يفهموه، ولا يعلموا الحقَّ ﴿وفي آذانهم وقراً﴾ ثِقلاً وصمماً، فلا يعون منه شيئاً، ولا ينتفعون به ﴿وإن يروا كلَّ آية﴾ علامةٍ تدلُّ على صدقك ﴿لا يؤمنوا بها﴾ هذا حالهم في البعد عن الإيمان ﴿حتىٰ إذا جاؤوك يجادلونك﴾ [مخاصمين معك في الدِّين][1] ﴿يقول الذين كفروا﴾ مَنْ كفر منهم: ﴿إن هذا﴾ ما هذا ﴿إلاَّ أساطير الأوَّلين﴾ أحاديث الأمم المتقدمة التي كانوا يسطرونها في كتبهم.

﴿٢٦﴾ ﴿وهم ينهون﴾ النَّاس عن اتِّباع محمد ﴿وينأون﴾ ويتباعدون ﴿عنه﴾ فلا يؤمنون به[2] ﴿وإنْ﴾ وما ﴿يهلكون إلاَّ أنفسهم﴾ بتماديهم في معصية الله تعالىٰ ﴿وما يشعرون﴾ وما يعلمون ذلك.

﴿٢٧﴾ ﴿ولو ترىٰ﴾ يا محمد ﴿إذ وقفوا على النار﴾ أَيْ: حُبسوا على الصِّراط فوق النَّار، ﴿فقالوا يا ليتنا نرد﴾ تمنَّوا أن يردُّوا إلى الدُّنيا فيؤمنوا، وهو قوله: ﴿ولا نكذب﴾ أَيْ: ونحن لا نكذِّب ﴿بآيات ربنا﴾ بعد المعاينة ﴿ونكون من المؤمنين﴾ ضمنوا أَنْ لا يُكذِّبوا ويؤمنوا، فقال الله تعالىٰ:

﴿٢٨﴾ ﴿بل﴾ ليس الأمر على ما تمنَّوا في الردِّ ﴿بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل﴾ وهو أنَّهم أنكروا شركهم، فأنطق الله سبحانه جوارحهم حتىٰ شهدت عليهم بالكفر، والمعنىٰ: ظهرت فضيحتهم في الآخرة، وتهتكت أستارهم ﴿ولو ردوا لعادوا لما

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) قال ابن عباس: نزلت في أبي طالب، كان ينهىٰ المشركين أن يؤذوا رسول الله ﷺ، ويتباعد عما جاء به. أخرجه الحاكم ٢/ ٣١٥؛ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبي. والمؤلف في الأسباب ص ٢٤٧، وابن جرير ٧/ ١٧٣.

نُهُواْ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌۖ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾

نهوا﴾ إلىٰ ما نُهوا **﴿عنه﴾** من الشِّرك، للقضاء السَّابق فيهم بذلك، وأنَّهم خلقوا للشَّقاوة **﴿وإنهم لكاذبون﴾** في قولهم: **﴿ولا نكذِّب بآيات ربنا﴾**.

﴿٢٩﴾ **﴿وقالوا﴾** يعني: الكفار: **﴿إن هي إلاَّ حياتنا الدنيا...﴾** الآية. أنكروا البعث.

﴿٣٠﴾ **﴿ولو ترىٰ إذ وقفوا على ربهم﴾** عرفوا ربَّهم ضرورة. وقيل: وقفوا على مسألة ربِّهم وتوبيخه إيَّاهم، ويؤكِّد هذا قوله: **﴿أليس هذا بالحق﴾** أيْ: هذا البعث، فيقرُّون حين لا ينفعهم ذلك، ويقولون: **﴿بلىٰ وربنا﴾** فيقول الله تعالىٰ: **﴿فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون﴾** بكفركم.

﴿٣١﴾ **﴿قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله﴾** بالبعث والمصير إلى الله **﴿حتىٰ إذا جاءتهم الساعة بغتة﴾** فجأة **﴿قالوا يا حسرتنا علىٰ ما فرَّطنا فيها﴾** قصَّرنا وضيَّعنا عمل الآخرة في الدُّنيا **﴿وهم يحملون أوزارهم﴾** أثقالهم وآثامهم **﴿على ظهورهم﴾** وذلك أنَّ الكافر إذا خرج من قبره استقبله عمله أقبح شيءٍ صورةً، وأخبثه ريحاً، فيقول: أنا عملك السَّيِّىء طال ما ركبتني في الدُّنيا، فأنا أركبك اليوم[1]. **﴿ألا ساء ما يزرون﴾** بئس الحمل ما حملوا.

﴿٣٢﴾ **﴿وما الحياة الدنيا إلاَّ لعبٌ ولهو﴾** لأنَّها تفنىٰ وتنقضي كاللَّهو واللَّعب، تكون لذَّة فانيةً عن قريبٍ **﴿وللدار الآخرة﴾** الجنَّة **﴿خير للذين يتقون﴾** الشِّرك **﴿أفلا تعقلون﴾** أنَّها كذلك، فلا تَفْتُروا في العمل لها، ثمَّ عزَّىٰ نبيَّه ﷺ علىٰ تكذيب قريش إيَّاه، فقال:

---

(١) أخرجه ابن جرير ٧/٢٧٨ من كلام السُّدي.

﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾

﴿٣٣﴾ **﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون﴾** في العلانيَة: إنَّك كذَّابٌ ومُفترٍ **﴿فإنهم لا يكذبونك﴾** في السرِّ قد علموا صدقك **﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾** بالقرآن بعد المعرفة. نزلت في المعاندين الذين تركوا الانقياد للحقِّ، كما قال عزَّ وجلَّ: ﴿وجحدوا بها واستيقنَتْها أنفسهم...﴾ الآية[1].

﴿٣٤﴾ **﴿ولقد كذِّبت رسلٌ من قبلك فصبروا علىٰ ما كُذِّبوا﴾** رجاء ثوابي **﴿وأوذوا﴾** حتىٰ نشروا بالمناشير، وحرِّقوا بالنَّار **﴿حتىٰ أتاهم نصرنا﴾** معونتنا إيَّاهم بإهلاكِ مَنْ كذَّبهم **﴿ولا مبدل لكلمات الله﴾** لا ناقِضَ لحكمه، وقد حكم بنصر الأنبياء في قوله: ﴿كتب الله لأغلبنَّ أنا ورسلي﴾[2]. **﴿ولقد جاءك من نبأ المرسلين﴾** أَيْ: خبرهم في القرآن كيف أنجيناهم ودَمَّرنا قومهم.

﴿٣٥﴾ **﴿وإن كان كبر﴾** عَظُمَ وثَقُل **﴿عليك إعراضهم﴾** عن الإِيمان بك وبالقرآن، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ كان يحرص علىٰ إيمان قومه، فكانوا إذا سألوه آيةً أحبَّ أن يريهم ذلك طمعاً في إيمانهم، فقال الله عزَّ وجلَّ: **﴿فإن استطعت أن تبتغي﴾** تطلب **﴿نفقاً﴾** سرباً **﴿في الأرض أو سلماً﴾** مصعداً **﴿في السماء فتأتيهم بآية﴾** فافعل ذلك، والمعنىٰ: أنَّك بشرٌ لا تقدر علىٰ الإتيان بالآيات، فلا سبيل لك إلَّا الصَّبر حتىٰ يحكم الله **﴿ولو شاء الله لجمعهم على الهدىٰ﴾** أَيْ: إنَّما تركوا الإِيمان لسابق قضائي فيهم، لو شئت لاجتمعوا على الإِيمان **﴿فلا تكوننَّ من الجاهلين﴾** بأنه

---

(١) سورة النمل: الآية ١٤. (٢) سورة الممتحنة: الآية ٢١.

۞ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٧﴾ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾

يؤمن بك بعضهم دون بعض، وأنَّهم لا يجتمعون على الهدىٰ، وغلَّظ الجواب زجراً لهم عن هذه الحال.

﴿٣٦﴾ ﴿إنما يستجيب﴾ أَيْ: يُجيبك إلى الإيمان ﴿الذين يسمعون﴾ وهم المؤمنون الذين يستمعون الذِّكر، فيقبلونه وينتفعون به، والكافر الذي ختم الله علىٰ سمعه كيف يصغي إلى الحقِّ!؟ ﴿والموتىٰ﴾ يعني: كفَّار مكة ﴿يبعثهم الله ثمَّ إليه يرجعون﴾ يردُّون فيجازيهم بأعمالهم.

﴿٣٧﴾ ﴿وقالوا﴾ يعني: رؤساء قريش ﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿نُـزِّلَ عليه آية من ربه﴾ يعنون: نزول ملك يشهد له بالنُّبوَّة ﴿قل إنَّ الله قادر علىٰ أن ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ما عليهم في ذلك من البلاء، وهو ما ذكرنا في قوله: ﴿ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر﴾[1].

﴿٣٨﴾ ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه﴾ يعني: جميع الحيوانات؛ لأنَّها لا تخلو من هاتين الحالتين ﴿إلاَّ أمم أمثالكم﴾ أصناف مصنَّفة تُعرف بأسمائها، فكلُّ جنس من البهائم أُمَّةٌ، كالطَّير، والظِّباء، والذُّباب، والأُسود، وكلُّ صنفٍ من الحيوان أُمَّةٌ مثل بني آدم يعرفون بالإِنس ﴿ما فرَّطنا في الكتاب من شيء﴾ ما تركنا في الكتاب من شيءٍ بالعباد إليه حاجةٌ إلاَّ وقد بيَّناه؛ إمَّا نصّاً؛ وإمَّا دلالةً؛ وإمَّا مجملاً؛ وإمَّا مفصَّلاً كقوله: ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكلِّ شيء﴾[2] أَيْ: لكلِّ شيءٍ يُحتاج إليه من أمر الدِّين ﴿ثم إلىٰ ربهم﴾ أَيْ: هذه الأمم ﴿يحشرون﴾ للحساب والجزاء.

---

(١) الآية ٨ من هذه السورة.

(٢) سورة النحل: الآية ٨٩.

وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي ٱلظُّلُمَـٰتِۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَـٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٣٩﴾ ﴿**والذين كذَّبوا بآياتنا**﴾ بما جاء به محمَّد عليه السَّلام ﴿**صمٌّ**﴾ عن القرآن لا يسمعونه سماع انتفاع ﴿**وبكم**﴾ عن القرآن لا ينطقون به، ثمَّ أخبر أنَّهم بمشيئته صاروا كذلك، فقال: ﴿**من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراطٍ مستقيم**﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿**قل**﴾ يا محمد لهؤلاء المشركين بالله ﴿**أرأيتكم**﴾ معناه: أخبروني ﴿**إن أتاكم عذاب الله**﴾ يريد: الموت ﴿**أو أتتكم الساعة**﴾ القيامة ﴿**أغير الله تدعون**﴾ أيْ: أتدعون هذه الأصنام والأحجار التي عبدتموها من دون الله ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ جوابٌ لقوله: ﴿أرأيتكم﴾ لأنَّه بمعنى أخبروني، كأنَّه قيل: إنْ كنتم صادقين أخبروا مَنْ تدعون عند نزول البلاء بكم.

﴿٤١﴾ ﴿**بل**﴾ أَيْ: لا تدعون غيره ﴿**إياه تدعون فيكشف ما تدعون إليه**﴾ أيْ: يكشف الضُّرَّ الذي من أجله دعوتموه ﴿**إن شاء وتنسون**﴾ وتتركون ﴿**ما تشركون**﴾ به من الأصنام فلا تدعونه.

﴿٤٢﴾ ﴿**ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك**﴾ رسلاً فكفروا بهم ﴿**فأخذناهم بالبأساء**﴾ وهو شدَّة الفقر ﴿**والضرَّاء**﴾ الأوجاع والأمراض ﴿**لعلهم يتضرعون**﴾ لكي يتذلَّلوا ويتخشعوا.

﴿٤٣﴾ ﴿**فلولا**﴾ فهلاَّ ﴿**إذ جاءهم بأسنا**﴾ عذابنا ﴿**تضرعوا**﴾ تذلَّلوا، والمعنىٰ: لم يتضرعوا ﴿**ولكن قست قلوبهم**﴾ فأقاموا على كفرهم ﴿**وزيَّن لهم الشيطان**﴾ الضَّلالة التي هم عليها، فأصروا.

فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۖ فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَمَسُّهُمُ ٱلْعَذَابُ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ

﴿٤٤﴾ **﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾** تركوا ما وُعظوا به **﴿فتحنا عليهم أبواب كلِّ شيء﴾** من النِّعمة والسُّرور بعد الضُّرِّ الذي كانوا فيه **﴿حتىٰ إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم﴾** في حال فرحهم؛ ليكون أشدَّ لتحسُّرهم **﴿بغتةً فإذا هم مبلسون﴾** آيسون من كلِّ خير.

﴿٤٥﴾ **﴿فقطع دابر القوم الذين ظلموا﴾** أنفسهم أَيْ: غابرهم الذي يتخلَّف في آخر القوم، والمعنىٰ: استؤصلوا بالهلاك فلم يبق منهم باقية **﴿والحمد لله رب العالمين﴾** علىٰ نصر الرُّسل، وإهلاك الظَّالمين.

﴿٤٦﴾ **﴿قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم﴾** أَيْ: أَصمَّكم وأعماكم **﴿وختم علىٰ قلوبكم﴾** حتىٰ لا تعرفوا شيئاً. يعني: أذهب هذه الأعضاء عنكم أصلاً **﴿مَنْ إله غير الله يأتيكم به﴾** أَيْ: بما أخذ عنكم **﴿انظر كيف نصرِّف﴾** نبيِّن لهم في القرآن **﴿الآيات ثم هم يصدفون﴾** يعرضون عمَّا ظهر لهم.

﴿٤٧﴾ **﴿قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة﴾** ليلاً أو نهاراً **﴿هل يهلك إلاَّ القوم الظالمون﴾** الذين جعلوا لله شركاء.

﴿٥٠﴾ **﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله﴾** التي منها يرزق ويعطي **﴿ولا أعلم الغيب﴾** فأخبركم بعاقبة ما تصيرون إليه **﴿ولا أقول لكم إني ملك﴾** أشاهد من أمر الله ما لا يشاهده البشر **﴿إن أتبع إلاَّ ما يوحىٰ إلي﴾** أَيْ: ما أخبركم إلاَّ بما أنزل الله

قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾ وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ

عليَّ ﴿قل هل يستوي الأعمىٰ والبصير﴾ الكافر والمؤمن ﴿أفلا تتفكرون﴾ أنَّهما لا يستويان.

﴿٥١﴾ ﴿وأنذر به﴾ خوِّف بالقرآن ﴿الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم﴾ يريد: المؤمنين، يخافون يوم القيامة، وما فيها من الأهوال ﴿ليس لهم من دونه وليّ ولا شفيع﴾ يعني: إنَّ الشفاعة إنَّما تكون بإذنه، ولا شفيعٌ ولا ناصرٌ لأحدٍ في القيامة إلَّا بإذن الله ﴿لعلهم يتقون﴾ كي يخافوا في الآخرة وينتهوا عمَّا نهيتهم.

﴿٥٢﴾ ﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم...﴾ الآية. نزلت في فقراء المؤمنين[1] لمَّا قال رؤساء الكفَّار للنبيِّ ﷺ: نَحِّ هؤلاء عنك لنجالسك ونؤمن بك. ومعنىٰ: ﴿يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾ يعبدون الله بالصَّلوات المكتوبة. ﴿يريدون وجهه﴾ يطلبون ثواب الله ﴿ما عليك من حسابهم﴾ من رزقهم ﴿من شيء﴾ فَتَمَلَّهم وتطردهم ﴿وما من حسابك عليهم من شيء﴾ أيْ: ليس رزقك عليهم، ولا رزقهم عليك، وإنَّما يرزقك وإيَّاهم الله الرَّازق، فدعهم يدنوا منك ولا تطردهم ﴿فتكون من الظالمين﴾ لهم بطردهم.

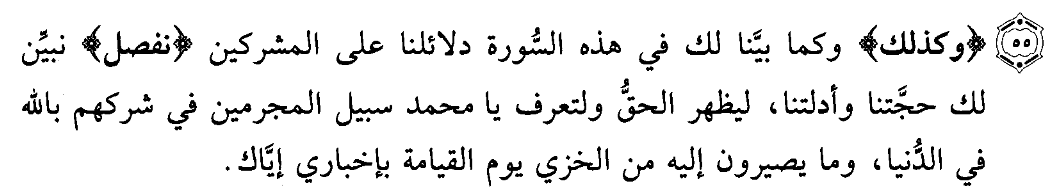
﴿٥٣﴾ ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ ابتلينا الغنيّ بالفقير، والشَّريف بالوضيع ﴿ليقولوا﴾ يعني: الرُّؤساء ﴿أهؤلاء﴾ الفقراء والضُّعفاء ﴿منَّ الله عليهم من بيننا﴾ أنكروا أن يكونوا سبقوهم بفضيلةٍ، أو خصُّوا بنعمةٍ، فقال الله تعالىٰ: ﴿أليس الله بأعلم

(١) أخرجه مسلم في فضائل الصحابة برقم ٢٤١٣؛ والنسائي في تفسيره ١/ ٤٧٠؛ والحاكم ٣/ ٣١٩؛ وابن ماجه برقم ٤١٢٨.

بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ۚ قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ۚ

بالشاكرين﴾ أَيْ: إنَّما يهدي إلىٰ دينه مَنْ يعلم أنَّه يشكر.

﴿٥٤﴾ ﴿وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا﴾ يعني: الصَّحابة وهؤلاء الفقراء ﴿فقل سلام عليكم﴾ [سلّم عليهم][1] بتحيَّة المسلمين ﴿كتب ربكم علىٰ نفسه الرحمة﴾ أوجب الله لكم الرَّحمة إيجاباً مُؤكَّداً ﴿أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة﴾ يريد: إنَّ ذنوبكم جهلٌ ليس بكفرٍ ولا جحود، لأنَّ العاصي جاهلٌ بمقدار العذاب في معصيته ﴿ثم تاب من بعده﴾ رجع عن ذنبه ﴿وأصلح﴾ عمله ﴿فأنَّه غفور رحيم﴾.



﴿٥٥﴾ ﴿وكذلك﴾ وكما بيَّنا لك في هذه السُّورة دلائلنا على المشركين ﴿نفصل﴾ نبيِّن لك حجَّتنا وأدلتنا، ليظهر الحقُّ ولتعرف يا محمد سبيل المجرمين في شركهم بالله في الدُّنيا، وما يصيرون إليه من الخزي يوم القيامة بإخباري إيَّاك.

﴿٥٦﴾ ﴿قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله﴾ الأصنام التي يعبدونها من دون الله ﴿قل لا أتبع أهواءكم﴾ أَيْ: إنَّما عبدتموها على طريق الهوىٰ لا علىٰ طريق البرهان، فلا أتَّبعكم على هواكم ﴿قد ضللت إذاً﴾ إنْ أنا فعلت ذلك ﴿وما أنا من المهتدين﴾ الذين سلكوا سبيل الهدىٰ.

﴿٥٧﴾ ﴿قل إني علىٰ بينة﴾ يقينٍ وأمرٍ بيِّنٍ ﴿من ربي﴾ لا مُتَّبع لهوىً ﴿وكذبتم به﴾ أَيْ: بربِّي ﴿ما عندي ما تستعجلون به﴾ يعني: العذاب أو الآيات التي اقترحتموها، ثمَّ

---

(١) زيادة من عا.

إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٨﴾ ۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾

أعلم أنَّ ذلك عنده، فقال: ﴿إن الحكم إلاَّ لله يقص الحق﴾ أيْ: يقول [القصص][1] الحقّ. ومَنْ قرأ[2]: ﴿يقضي الحق﴾ فمعناه: يقضي القضاء الحق ﴿وهو خير الفاصلين﴾ الذين يفصلون بين الحقِّ والباطل.

﴿٥٨﴾ ﴿قل لو أنَّ عندي ما تستعجلون به﴾ من العذاب لعجَّلت لكم، ولانفصل ما بيني وبينكم بتعجيل العقوبة، وهو معنىٰ قوله: ﴿لَقُضِيَ الأمر بيني وبينكم والله أعلم بالظالمين﴾ هو أعلم بوقت عقوبتهم، فهو يؤخِّرهم إلى وقته، وأنا لا أعلم ذلك. قوله:

﴿٥٩﴾ ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ خزائن[3] ما غاب عن بني آدم من الرِّزق، والمطر، ونزول العذاب، والثَّواب، والعقاب ﴿لا يعلمها إلاَّ هو ويعلم ما في البر﴾ القفار ﴿والبحر﴾ كلُّ قرية فيها ماءٌ؛ لا يحدث فيهما شيء إلاَّ بعلم الله ﴿وما تسقط من ورقة إلاَّ يعلمها﴾ ساقطة، وقبل أنْ سقطت ﴿ولا حبة في ظلمات الأرض﴾ في الثرىٰ تحت الأرض ﴿ولا رطب﴾ وهو ما ينبت ﴿ولا يابس﴾ وهو ما لا ينبت ﴿إلاَّ في كتاب مبين﴾ أثبت الله ذلك كلَّه في كتابٍ قبل أن يخلق الخلق.

---

(١) زيادة من عا.

(١) زيادة من ظ.

(٢) وهم ابن عامر، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب. الإتحاف ص ٢٠٩.

(٣) في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «مفاتح الغيب خمسٌ ﴿إنَّ الله عنده علم الساعة، وينزِّل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرض تموت إنَّ الله عليم خبير﴾. أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/٢٩١؛ ومسلم برقم ١٠؛ وأحمد ٢/٥٢.

وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۖ وَيُرۡسِلُ عَلَيۡكُمۡ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلۡ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ تَدۡعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفۡيَةً لَّئِنۡ أَنجَىٰنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنۡهَا وَمِن كُلِّ كَرۡبٖ ثُمَّ أَنتُمۡ تُشۡرِكُونَ ﴿٦٤﴾

﴿٦٠﴾ ﴿**وهو الذي يتوفاكم بالليل**﴾ يقبض أرواحكم في منامكم ﴿**ويعلم ما جرحتم**﴾ ما كسبتم من العمل ﴿**بالنهار ثمَّ يبعثكم فيه**﴾ يردُّ إليكم أرواحكم في النَّهار ﴿**ليقضىٰ أجل مسمى**﴾ يعني: أجل الحياة إلى الموت، أَيْ: لتستوفوا أعماركم المكتوبة.

﴿٦١﴾ ﴿**وهو القاهر فوق عباده**﴾ مضىٰ هذا[1] ﴿**ويرسل عليكم حفظة**﴾ من الملائكة يحصون أعمالكم ﴿**حتىٰ إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا**﴾ أعوان ملك الموت ﴿**وهم لا يفرطون**﴾ لا يعجزون ولا يُضيِّعون.

﴿٦٢﴾ ﴿**ثم ردوا**﴾ يعني: العباد. يُردُّون بالموت ﴿**إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم**﴾ أي: القضاء فيهم ﴿**وهو أسرع الحاسبين**﴾ أقدر المجازين.

﴿٦٣﴾ ﴿**قل من ينجيكم**﴾ سؤال توبيخٍ وتقريرٍ. أَيْ: إنَّ الله يفعل ذلك ﴿**من ظلمات البر والبحر**﴾ أهوالهما وشدائدهما ﴿**تدعونه تضرعاً وخفية**﴾ علانيَةً وسرّاً ﴿**لئن أنجانا من هذه**﴾ أَيْ: من هذه الشَّدائد ﴿**لنكوننَّ من الشاكرين**﴾ من المؤمنين الطَّائعين، وكانت قريش تسافر في البر والبحر، فإذا ضلُّوا الطَّريق وخافوا الهلاك دعوا الله مخلصين فأنجاهم، وهو قوله:

﴿٦٤﴾ ﴿**قل الله ينجيكم منها...**﴾ الآية. أعلم الله سبحانه أنَّ الله الذي دعوه هو

---

(١) انظر ص ٣٤٧.

قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ وَكَذَّبَ بِهِۦ قَوْمُكَ وَهُوَ ٱلْحَقُّ ۚ قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ

ينجِّيهم، ثمَّ هم يشركون معه الأصنام التي قد علموا أنَّها من صَنعتهم، وأنَّها لا تضرُّ ولا تنفع. والكرب أشدُّ الغمِّ، ثمَّ أخبر أنَّه قادر علىٰ تعذيبهم، فقال:

﴿٦٥﴾ ﴿قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ كالصَّيحة، والحجارة، والماء[١] ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ كالخسف والزَّلزلة ﴿أو يلبسكم شيعاً﴾ يخلطكم فرقاً بأن يبثَّ فيكم الأهواء المختلفة، فتخالفون وتقاتلون، وهو معنىٰ قوله: ﴿ويذيق بعضكم بأس بعض. انظر كيف نصرِّف﴾ نُبيِّن لهم ﴿الآيات﴾ في القرآن ﴿لعلهم يفقهون﴾ لكي يعلموا.

﴿٦٦﴾ ﴿وكذَّب به﴾ بالقرآن ﴿قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل﴾ [بمسلَّط][٢] أَيْ: إنَّما أدعوكم إلىٰ الله، ولم أُومر بحربكم، ولا آَخْذكم بالإِيمان، وهذا منسوخٌ بآية القتال[٣].

﴿٦٧﴾ ﴿لكلِّ نبأ مستقر﴾ لكلِّ خبرٍ يخبره الله وقتٌ ومكانٌ يقع فيه من غير خلف

---

(١) عن جابرٍ رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قل هو القادر علىٰ أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾، قال رسول الله ﷺ: أعوذ بوجهك. قال: ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ قال: أعوذ بوجهك. ﴿أو يلبسكم شيعاً ويذيق بعضكم بأس بعض﴾ قال رسول الله ﷺ: هذا أهون، أو هذا أيسر. أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/٢٩١؛ ومسلم في الإيمان برقم ١٢٤؛ والنسائي في تفسيره ١/ ٤٧٤؛ والترمذي في التفسير. العارضة ١١/١٨٦.

(٢) زيادة من ظ.

(٣) قال مكي القيسي: قال ابن عباسٍ: نسخ هذا آية السيف: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾. [التوبة: ٥].
وفي الرواية عنه بذلك ضعفٌ، ولا يحسن نسخ هذا؛ لأنَّه خبرٌ، إنَّما أمر الله أن يُخبر عن نفسه بذلك، لم يأمره ألا يكون عليهم وكيلاً فنسخ ذلك. الإيضاح لناسخ القرآن ص ٢٨١.

وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٦٧﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَى لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ

﴿**وسوف تعلمون**﴾ ما كان منه في الدُّنيا فستعرفونه، وما كان منه في الآخرة فسوف يبدو لكم. يعني: العذاب الذي كان يعدهم في الدُّنيا والآخرة.

﴿٦٨﴾ ﴿**وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا**﴾ بالتَّكذيب والاستهزاء ﴿**فأعرض عنهم**﴾ أمر الله تعالىٰ رسوله عليه السَّلام فقال: إذا رأيت المشركين يُكذِّبون بالقرآن، وبك، ويستهزئون فاترك مجالستهم ﴿**حتىٰ يخوضوا في حديث غيره**﴾ حتىٰ يكون خوضهم في غير القرآن ﴿**وإمَّا ينسينَّك الشيطان**﴾ إنْ نسيت فقعدت ﴿**فلا تقعد بعد الذكرىٰ**﴾ فقم إذا ذكرت، فقال المسلمون: لئن كنَّا كلَّما استهزأ المشركون بالقرآن وخاضوا فيه قمنا عنهم، لم نستطع أن نجلس في المسجد الحرام، وأن نطوف بالبيت، فرخَّص للمؤمنين في القعود معهم يُذكِّرونهم فقال:

﴿٦٩﴾ ﴿**وما علىٰ الذين يتقون**﴾ الشِّرك والكبائر ﴿**من حسابهم**﴾ آثامهم ﴿**من شيء ولكن ذكرىٰ**﴾ يقول: ذكِّروهم بالقرآن وبمحمَّد، فرخَّص لهم بالقعود بشرط التَّذكير والموعظة ﴿**لعلَّهم يتقون**﴾ لِيُرجىٰ منهم التَّقوىٰ.

﴿٧٠﴾ ﴿**وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً**﴾ يعني: الكفَّار الذين إذا سمعوا آيات الله استهزؤوا بها وتلاعبوا عند ذكرها ﴿**وذكِّر به**﴾ وعِظْ بالقرآن ﴿**أن تبسل نَفْسٌ بما كسبت**﴾ تُسلم للهلكة، وتحبس في جهنَّم فلا تقدر على التَّخلص، ومعنىٰ الآية: وذكِّرهم بالقرآن إسلام الجانين بجناياتهم لعلَّهم يخافون فيتَّقون ﴿**وإن تعدل كل عدل**﴾ يعني: النَّفس المُبسلة. تفدِ كلَّ فداء. يعني: تفدِ بالدُّنيا وما فيها ﴿**لا يؤخذ**

مِنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبْسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَاۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّقُوهُۚ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّۖ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٧٣﴾ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ

منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا﴾ أُسْلِموا للهلاك ﴿لهم شرابٌ من حميم﴾ وهو الماء الحارُّ.

﴿٧١﴾ ﴿قل أندعو من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا﴾ أنعبد ما لا يملك لنا نفعاً ولا ضرّاً؛ لأنَّه جماد؟ ﴿ونردُّ علىٰ أعقابنا بعد إذ هدانا الله﴾ نردُّ وراءنا إلى الشِّرك بالله، فيكون حالنا كحال ﴿الذي استهوته الشياطين في الأرض﴾ استغوته واستفزَّته الغِيلان في المهامه ﴿حيران﴾ متردِّداً لا يهتدي إلى المحجَّة ﴿له أصحابٌ يدعونه إلى الهدىٰ ائتنا﴾ هذا مثَلُ مَنْ ضلَّ بعد الهدىٰ، يجيب الشَّيطان الذي يستهويه في المفازة، فيصبح في مضلَّة من الأرض يهلك فيها، ويعصي مَنْ يدعوه إلى المحجَّة، كذلك مَنْ ضلَّ بعد الهدىٰ ﴿قل إنَّ هدىٰ الله هو الهدىٰ﴾ ردٌّ علىٰ مَنْ دعا إلى عبادة الأصنام، أَيْ: لا نفعل ذلك؛ لأنَّ هدىٰ الله هو الهدىٰ لا هدىٰ غيره.

﴿٧٣﴾ ﴿وهو الذي خلق السموات والأرض بالحق﴾ أَيْ: بكمال قدرته، وشمول علمه، وإتقان صنعه، وكلُّ ذلك حقٌّ ﴿ويوم يقول﴾ واذكر يا محمَّد يوم يقول للشَّيء ﴿كن فيكون﴾ يعني: يوم القيامة، يقول للخلق انتشروا فينتشرون.

﴿٧٥﴾ ﴿وكذلك نُري إبراهيم. . .﴾ الآية. أَيْ: وكما أرينا إبراهيم استقباح ما كان عليه

مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾

أبوه من عبادة الأصنام نريه **﴿ملكوت السموات والأرض﴾** يعني: ملكهما، كالشَّمس، والقمر، والنُّجوم، والجبال، والشَّجر، والبحار. أراه الله تعالىٰ هذه الأشياء حتىٰ نظر إليها مُعتبراً مُستدلاًّ بها على خالقها، وقوله: **﴿وليكون من الموقنين﴾** عطفٌ علىٰ المعنىٰ. تقديره: ليستدلَّ بها وليكون من الموقنين.

﴿٧٦﴾ **﴿فلما جنَّ﴾** أَيْ: ستر وأظلم **﴿عليه الليل رأىٰ كوكباً قال هذا ربي﴾** أَيْ: في زعمكم أيُّها القائلون بحكم النَّجم، وذلك أنَّهم كانوا أصحاب نجومٍ يرون التَّدبير في الخليقة لها **﴿فلما أفل﴾** أَيْ: غاب **﴿قال: لا أحبُّ الآفلين﴾** عرَّفهم جهلهم وخطأهم في تعظيم النُّجوم، ودلَّ علىٰ أنَّ مَنْ غاب بعد الظُّهور كان حادثاً مُسخَّراً، وليس بربٍّ.

﴿٧٧﴾ **﴿فلما رأىٰ القمر بازغاً﴾** طالعاً، فاحتجَّ عليهم في القمر والشَّمس بمثل ما احتجَّ به عليهم في الكوكب، وقوله: **﴿لئن لم يهدني ربي﴾** أَيْ: لئن لم يُثبِّتني على الهدىٰ. وقوله للشَّمس:

﴿٧٨﴾ **﴿هذا ربي﴾** ولم يقل هذه؛ لأنَّ لفظ[1] الشَّمس مذكَّرٌ، ولأنَّ الشَّمس بمعنىٰ الضياء والنُّور، فحمل الكلام على المعنىٰ **﴿هذا أكبر﴾** أي: من الكوكب والقمر، فلمَّا توجَّهت الحجَّة على قومه قال: **﴿إني بريء مما تشركون﴾**.

﴿٧٩﴾ **﴿إني وجهت وجهي﴾** أَيْ: جعلت قصدي بعبادتي وتوحيدي لله عزَّ وجلَّ، وباقي الآية مفسَّر فيما مضىٰ[2].

---

(١) في ظ: معنىٰ. ولعلَّه الأصح.

(٢) انظر ص ١٣٢.

وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ

﴿٨٠﴾ **﴿وحاجَّه قومه﴾** جادلوه وخاصموه في تركه آلهتهم، وعبادة الله، وخوَّفوه أن تصيبه آلهتهم بسوء، فقال: **﴿أتحاجوني في الله﴾** أَيْ: في عبادته وتوحيده **﴿وقد هدان﴾** بيَّن لي ما به اهتديت **﴿ولا أخاف ما تشركون به﴾** من الأصنام أن تصيبني بسوء **﴿إلَّا أن يشاء ربي شيئاً﴾** إني لا أخاف إلَّا مشيئة الله أن يعذِّبني **﴿وسع ربي كلَّ شيء علماً﴾** علمه علماً تاماً **﴿أفلا تتذكرون﴾** تتعظون وتتركون عبادة الأصنام.

﴿٨١﴾ **﴿وكيف أخاف ما أشركتم﴾** يعني: الأصنام. أنكر أن يخافها **﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطاناً﴾** ما ليس لكم في إشراكه بالله حجَّةٌ وبرهانٌ **﴿فأيُّ الفريقين أحق بالأمن﴾** بأن يأمن العذاب، الموحِّدُ أم المشرك؟

﴿٨٢﴾ **﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾** لم يخلطوا إيمانهم بشركٍ **﴿أولئك لهم الأمن﴾** من العذاب **﴿وهم مهتدون﴾** إلىٰ دين الله.

﴿٨٣﴾ **﴿وتلك حجتنا﴾** يعني: ما احتجَّ به عليهم **﴿آتيناها إبراهيم﴾** ألهمناها إبراهيم، فأرشدناه إليها **﴿نرفع درجات مَنْ نشاء﴾** مراتبهم بالعلم والفهم، ثمَّ ذكر نوحاً ومَنْ هدىٰ من الأنبياء من أولاده إلى قوله:

وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا

﴿٨٦﴾ ﴿وكلاًّ﴾ أَيْ: من المذكورين هاهنا ﴿**فضلنا على العالمين**﴾ عالمي زمانهم.

﴿٨٧﴾ ﴿**ومن آبائهم**﴾ أَيْ: وهدينا بعض آبائهم ﴿**وذرياتهم وإخوانهم**﴾ فـ «مِنْ» هاهنا للتَّبعيض.

﴿٨٨﴾ ﴿**ذلك هدىٰ الله**﴾ دين الله الذي هم عليه ﴿**يهدي به مَنْ يشاء**﴾ يريد: يرشد إليه مَنْ يشاء ﴿**من عباده ولو أشركوا**﴾ عبدوا غيري ﴿**لحبط**﴾ بطل عملهم.

﴿٨٩﴾ ﴿**أولئك الذين آتيناهم الكتاب**﴾ يعني: الكتب التي أنزلها عليهم ﴿**والحكم**﴾ العلم والفقه ﴿**فإن يكفر بها**﴾ أي: بآياتنا ﴿**هؤلاء**﴾ أهل مكَّة ﴿**فقد وكلنا بها**﴾ أَيْ: أرصدنا لها ﴿**قوماً**﴾ وفَّقناهم لها، وهم المهاجرون والأنصار.

﴿٩٠﴾ ﴿**أولئك الذين هدىٰ الله**﴾ يعني: النَّبيِّين الذين تقدَّم ذكرهم ﴿**فبهداهم اقتده**﴾ أَي: اصبر كما صبروا؛ فإنَّ قومهم كذَّبوهم فصبروا ﴿**قل لا أسألكم عليه**﴾ علىٰ القرآن وتبليغ الرِّسالة ﴿**أجراً**﴾ مالاً تعطونيه ﴿**إن هو**﴾ يعني: القرآن ﴿**إلاَّ ذكرىٰ للعالمين**﴾ موعظة للخلق أجمعين.

﴿٩١﴾ ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ **ما عظَّموا الله حقَّ عظمته**، وما وصفوه حقَّ صفته ﴿**إذ قالوا ما أنزل الله علىٰ بشر من شيء**﴾ وذلك أنَّ اليهود أنكروا إنزال الله عزَّ وجلَّ من السَّماء كتاباً إنكاراً للقرآن ﴿**قل**﴾ لهم يا محمد: ﴿**مَنْ أنزل الكتاب الذي جاء به موسىٰ**﴾ يعني: التَّوراة. ﴿**تجعلونه قراطيس**﴾ مكتوبة وتودعونه إيَّاها ﴿**تبدونها**﴾

وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ

يعني: القراطيس يبدون ما يحبُّون، ويكتمون صفة محمَّد ﷺ ﴿**وعُلِّمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم**﴾ في التَّوراة، فضيَّعتموه ولم تنتفعوا به ﴿**قل الله**﴾ أي: الله أنزله ﴿**ثم ذرهم في خوضهم**﴾ إفكهم وحديثهم الباطل ﴿**يلعبون**﴾ يعملون ما لا يُجدي عليهم.

﴿٩٢﴾ ﴿**وهذا كتاب**﴾ يعني: القرآن ﴿**أنزلناه مبارك**﴾ كثيرٌ خيره، دائمٌ نفعه، يبشِّر بالثواب، ويزجر عن القبيح، إلىٰ ما لا يحصىٰ من بركاته ﴿**مصدق الذي بين يديه**﴾ موافقٌ لما قبله من الكتب ﴿**ولتنذر أم القرىٰ**﴾ أهل مكَّة ﴿**ومَنْ حولها**﴾ يعني: أهل سائر الآفاق ﴿**والذين يؤمنون بالآخرة**﴾ إيماناً حقيقياً ﴿**يؤمنون به**﴾ بالقرآن.

﴿٩٣﴾ ﴿**ومن أظلم ممن افترىٰ على الله كذباً**﴾ نزلت في مسيلمة والأسود العنسي[1]؛ ادَّعيا النُّبوَّة، وأنَّ الله قد أوحىٰ إليهما، وهذا معنىٰ قوله: ﴿**أو قال أوحي إلي ولم يوح إليه شيء ومَنْ قال سأنزل مثل ما أنزل الله**﴾ يعني: المستهزئين الذين قالوا: ﴿لو نشاء لقلنا مثل هذا﴾[2]. ﴿**ولو ترىٰ**﴾ يا محمد ﴿**إذ الظالمون**﴾ يعني: الذين

---

(١) أخرج ابن جرير ٧/٢٧٣ عن قتادة في الآية قال: ذُكر لنا أنَّ هذه الآية نزلت في مسيلمة، ذكر لنا أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: رأيت فيما يرىٰ النَّائم كأنَّ في يدي سوارين من ذهب، فَكَبُرَا عليَّ وأهمَّاني، فأوحي إليَّ أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأوَّلتهما في منامي الكذَّابين اللذين أنا بينهما: كذَّاب اليمامة مسيلمة، وكذَّاب صنعاء، وكان يقال: الأسود.
قلت: وهو حديثٌ مرسل، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/٣٩٨ من طريق آخر مرفوعاً عن نافع بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي هريرة، وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقرَّه الذَّهبي.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣١.

فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ

ذكرهم ﴿**في غمرات الموت**﴾ شدائده وأهواله ﴿**والملائكة باسطوا أيديهم**﴾ إليهم بالضَّرب والتَّعذيب ﴿**أخرجوا أنفسكم**﴾ أيْ: يقولون ذلك ونفس الكافر تخرج بمشقةٍ وكُرهٍ، لأنَّها تصير إلىٰ أشدِّ العذاب، والملائكة يكرهونهم على نزع الرُّوح، ويقولون: ﴿أخرجوا أنفسكم﴾ كرهاً ﴿**اليوم تجزون عذاب الهون**﴾ أي: العذاب الذي يقع به الهوان الشَّديد ﴿**بما كنتم تقولون على الله غير الحق**﴾ من أنَّه أوحي إليكم ولم يوح ﴿**وكنتم عن آياته تستكبرون**﴾ عن الإيمان بها تتعظَّمون.

﴿٩٤﴾ ﴿**ولقد جئتمونا فرادىٰ**﴾ يقال للكفَّار في الآخرة: جئتمونا فرادىٰ بلا أهلٍ، ولا مالٍ، ولا شيءٍ قدَّمتموه ﴿**كما خلقناكم أوَّل مرَّة**﴾ كما خرجتم من بطون أُمَّهاتكم ﴿**وتركتم ما خوَّلناكم**﴾ ملَّكناكم وأعطيناكم من المال والعبيد والمواشي ﴿**وراء ظهوركم وما نرىٰ معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنَّهم فيكم شركاء**﴾ وذلك أنَّ المشركين كانوا يعبدون الأصنام علىٰ أنَّهم شركاء الله وشفعاؤهم عنده ﴿**لقد تقطع بينكم**﴾ وصلكم ومودتكم ﴿**وضلَّ عنكم**﴾ ذهب عنكم ﴿**ما كنتم تزعمون**﴾ تُكذِّبون في الدُّنيا.

﴿٩٥﴾ ﴿**إنَّ الله فالق الحبِّ**﴾ شاقُّه بالنَّبات ﴿**والنوىٰ**﴾ بالنَّخلة ﴿**يخرج الحي من الميت**﴾ يخرج النُّطفة بشراً حيَّاً ﴿**ومُخرج الميت**﴾ النُّطفة ﴿**من الحيّ**﴾ وقيل: يخرج المؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن ﴿**ذلكم الله**﴾ الذي فعل هذه الأشياء التي تشاهدونها ربكم ﴿**فأنىٰ تؤفكون**﴾ فمن أين تُصرفون عن الحقِّ بعد البيان!

﴿٩٦﴾ ﴿**فالق الإصباح**﴾ شاقُّ عمود الصُّبح عن ظلمة اللَّيل وسواده، على معنىً أنَّه خالقه

وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانًاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٩٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهۡتَدُواْ بِهَا فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسۡتَقَرٌّ وَمُسۡتَوۡدَعٌۗ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَفۡقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٍ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرًا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنۡ أَعۡنَابٍ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهًا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ

ومُبديه ﴿**وجاعل الليل سكناً**﴾[1] للخلق يسكنون فيه سكون الرَّاحة ﴿**والشمس والقمر حسباناً**﴾ وجعل الشَّمس والقمر بحسبانٍ لا يجاوزانه فيما يدوران في حسابٍ ﴿**ذلك تقدير العزيز**﴾ في ملكه يصنع ما أراد ﴿**العليم**﴾ بما قدَّر من خلقهما.

﴿٩٨﴾ ﴿**وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة**﴾ يعني: آدم ﴿**فمستقر**﴾ أَيْ: فلكم مستقرٌّ في الأرحام ﴿**ومستودع**﴾ في الأصلاب.

﴿٩٩﴾ ﴿**وهو الذي أنزل من السماء ماء**﴾ يعني: المطر ﴿**فأخرجنا به نبات كلِّ شيء**﴾ يَنبت ﴿**فأخرجنا**﴾ من ذلك النَّبات ﴿**خضراً**﴾ أخضر، كالقمح، والشَّعير، والذُّرة، وما كان رطباً أخضر مما ينبت من الحبوب ﴿**نخرج منه**﴾ من الخضر ﴿**حباً متراكباً**﴾ بعضه علىٰ بعض في سنبلةٍ واحدةٍ ﴿**ومن النخل من طلعها**﴾ أوَّل ما يطلع منها ﴿**قنوان**﴾ يعني: العراجين التي قد تدلَّت من الطَّلع ﴿**دانية**﴾ ممَّن يجتنيها. يعني: قصار النَّخل اللَّاحقة عذوقها بالأرض ﴿**وجنات**﴾ أَيْ: وأخرجنا بالماء جنَّات ﴿**من أعناب والزيتون**﴾ وشجر الزَّيتون ﴿**والرمان**﴾ وشجر الرُّمان ﴿**مشتبهاً**﴾ [في اللون. يعني: الرُّماني][2] ﴿**وغير متشابه**﴾ [في الطَّعم. أي: مختلفة في

---

(١) قرأ «جاعل» جميع القراء إلَّا عاصماً وحمزة والكسائي وخلف، فقرؤوا: «جعل». الإتحاف ص ٢١٤.

(٢) زيادة من ظ.

ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ ۖ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾

الطَّعم. وقيل:][1] مُشتبهاً ورقها، مُختلفاً ثمرها ﴿انظروا إلى ثمره﴾ نظر الاستدلال والعبرة أوَّل ما يعقد ﴿وينعه﴾ نضجه ﴿إنَّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ يصدِّقون أنَّ الذي أخرج هذا النَّبات قادرٌ علىٰ أن يحيي الموتىٰ.

﴿١٠٠﴾ ﴿وجعلوا لله شركاء الجن﴾ أطاعوا الشَّياطين في عبادة الأوثان، فجعلوهم شركاء لله ﴿وخَرَقوا له بنين وبنات﴾ افتعلوا ذلك كذباً وكفراً. يعني: الذين قالوا: الملائكة بنات الله، واليهود والنَّصارى حين دعوا لله ولداً ﴿بغير علم﴾ لم يذكروه عن علمٍ، إنَّما ذكروه تكذُّباً. وقوله:

﴿١٠١﴾ ﴿أنىٰ يكون له ولد ولم تكن له صاحبة﴾ أَيْ: مِنْ أين يكون له ولدٌ؟ ولا يكون الولد إلاَّ من صاحبةٍ، ولا صاحبة له ﴿وخلق كلَّ شيء﴾ أَيْ: وهو خالق كلِّ شيء.

﴿١٠٣﴾ ﴿لا تدركه الأبصار﴾ في الدُّنيا؛ لأنَّه وعد في القيامة الرُّؤية بقوله: ﴿وجوه يومئذ ناضرة * إلىٰ ربها ناظرة...﴾[2] الآية. والمُطلق يحمل على المقيد. وقيل: لا يحيط بكنهه وحقيقته الأبصار وهي تراه، فالأبصار ترىٰ الباري ولا تحيط به ﴿وهو يدرك الأبصار﴾ يراها ويحيط بها علماً، لا كالمخلوقين الذين لا يدركون حقيقة البصر، وما الشَّيء الذي صار به الإِنسان يبصر من عينيه دون أن يبصر من غيرهما ﴿وهو اللطيف﴾ الرَّفيق بأوليائه ﴿الخبير﴾ بهم.

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) سورة القيامة: الآية ٢٢، ٢٣.

قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ۗ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ

﴿١٠٤﴾ ﴿قد جاءكم بصائر من ربكم﴾ يعني: بيِّنات القرآن ﴿فمن أبصر﴾ اهتدىٰ ﴿فلنفسه﴾ عمل ﴿ومن عمي فعليها﴾ فعلىٰ نفسه جنىٰ العذاب. ﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾ برقيب على أعمالكم حتىٰ أجازيكم بها.

﴿١٠٥﴾ ﴿وكذلك﴾ وكما بيَّنا في هذه السُّورة ﴿نصرِّف﴾ نبيِّن ﴿الآيات﴾ في القرآن ندعوهم بها ونخوِّفهم ﴿وليقولوا درست﴾ عطف على المضمر في المعنىٰ، والتقدير: [نصرِّف الآيات][1] لتلزمهم الحجَّة وليقولوا درست، أَيْ: تعلَّمت مِن يسار، وجبر، واليهود. ومعنىٰ درس: قرأ على غيره، ومعنىٰ هذه اللام في قوله: ﴿وليقولوا﴾ معنىٰ لام العاقبة، أَيْ: نصرِّف الآيات ليكون عاقبة أمرهم تكذيباً للشَّقاوة التي لحقتهم ﴿ولنبينه لقوم يعلمون﴾ يعني: أولياءه الذين هداهم، والذين سعدوا بتبيين الحقِّ.

﴿١٠٧﴾ ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ أَيْ: ولو شاء الله لجعلهم مؤمنين ﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً﴾ لم تبعث لتحفظ المشركين من العذاب، إنَّما بُعثت مُبلِّغاً فلا تهتمَّ لشركهم؛ فإنَّ ذلك لمشيئة الله.

﴿١٠٨﴾ ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله﴾ يعني: أصنامهم ومعبوديهم، وذلك أنَّ المسلمين كانوا يسبُّون أصنام الكفَّار، فنهاهم الله عزَّ وجلَّ عن ذلك لئلا يسبُّوا ﴿الله عدواً بغير علم﴾ أَيْ: ظُلماً بالجهل ﴿كذلك﴾ أَيْ: كما زيَّنا لهؤلاء عبادة

(١) زيادة من عا وظا.

كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ

الأوثان وطاعة الشَّيطان بالحرمان والخذلان ﴿**زينا لكلِّ أمة عملهم**﴾ من الخير والشَّرِّ.

(١٠٩) ﴿**وأقسموا بالله جهد أيمانهم**﴾ اجتهدوا في المبالغة في اليمين ﴿**لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها**﴾ وذلك أنَّه لمَّا نزل: ﴿إن نشأ ننزل عليهم...﴾[1] الآية. أقسم المشركون بالله لئن جاءتهم آية ليؤمننَّ بها، وسأل المسلمون ذلك، وعلم الله سبحانه أنَّهم لا يؤمنون، فأنزل الله هذه الآية. ﴿**قل إنما الآيات عند الله**﴾ هو القادر على الإتيان بها ﴿**وما يشعركم**﴾ وما يدريكم إيمانهم، أَيْ: هم لا يؤمنون مع مجيء الآيات إيَّاهم، ثمَّ ابتدأ فقال: ﴿**إنها إذا جاءت لا يؤمنون**﴾ ومَنْ قرأ «أَنَّها»[2] بفتح الألف كانت بمعنىٰ «لعلَّها»، ويجوز أن تجعل «لا» زائدة مع فتح «أنَّ».

(١١٠) ﴿**ونقلب أفئدتهم وأبصارهم**﴾ نحول بينهم وبين الإيمان لو جاءتهم تلك الآية بتقليب قلوبهم وأبصارهم عن وجهها الذي يجب أن تكونَ عليه فلا يؤمنون ﴿**كما لم يؤمنوا به**﴾ بالقرآن، أو بمحمَّدٍ [عليه السَّلام] ﴿**أوَّل مرَّة**﴾ أتتهم الآيات، مثل انشقاق القمر وغيره ﴿**ونذرهم في طغيانهم يعمهون**﴾ أخذلهم وأدعهم في ضلالتهم يتمادون.

الجزء الثامن:

(١١١) ﴿**ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة**﴾ فرأوهم عياناً ﴿**وكلمهم الموتىٰ**﴾ فشهدوا لك

---

(١) الآية: ﴿إن نشأ ننزِّل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ [الشعراء: ٤].

(٢) قرأ «أَنَّها» بفتح الهمزة نافع، وابن عامر، وعاصم بخلفٍ عن شعبة، وحمزة، والكسائي. انظر: الإتحاف ص ٢١٥.

وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ۚ وَالَّذِينَ

بالصِّدق والنُّبوَّة ﴿وحشرنا عليهم﴾ وجمعنا عليهم ﴿كلَّ شيء﴾ في الدُّنيا ﴿قُبلاً﴾ و ﴿قِبَلاً﴾[1] أَيْ: مُعاينةً ومُواجهةً ﴿ما كانوا ليؤمنوا﴾ لما سبق لهم من الشَّقاء ﴿إلاَّ أَنْ يشاء الله﴾ أن يهديهم ﴿ولكنَّ أكثرهم يجهلون﴾ أنَّهم لو أُوتوا بكلِّ آيةٍ ما آمنوا.

﴿١١٢﴾ ﴿وكذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ عدوّاً﴾ كما ابتليناك بهؤلاء القوم كذلك جعلنا لكلِّ نبيٍّ قبلك أعداءً؛ ليعظم ثوابه، والعدوُّ هاهنا يُراد به الجمع، ثمَّ بيَّن مَنْ هم فقال: ﴿شياطين الإنس﴾ يعني: مردة الإنس، والشَّيطان: كلُّ متمرِّدٍ عاتٍ من الجنِّ والإنس ﴿يوحي بعضهم إلىٰ بعض زخرف القول غروراً﴾ يعني: إنَّ شياطين الجنِّ الذين هم من جند إبليس يوحون إلى كفار الإنس ومردتهم، فيغرونهم بالمؤمنين، وزخرف القول: باطله الذي زُيِّن ووُشِّي بالكذب، والمعنىٰ أنَّهم يُزيِّنون لهم الأعمال القبيحة غروراً ﴿ولو شاء ربك ما فعلوه﴾ لَمَنع الشَّياطين من الوسوسة للإنس.

﴿١١٣﴾ ﴿ولتصغىٰ إليه﴾ ولتميل إلى ذلك الزُّخرف والغرور ﴿أفئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ قلوب الذين لا يصدِّقون بالبعث ﴿وليرضوه﴾ ليحبُّوه ﴿وليقترفوا﴾ ليعملوا ما هم عاملون.

﴿١١٤﴾ ﴿أفغير الله﴾ أَيْ: قل لأهل مكَّة: أفغير الله ﴿أبتغي حكماً﴾ قاضياً بيني وبينكم ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب﴾ القرآن ﴿مفصلاً﴾ مُبيَّناً فيه أمره ونهيه ﴿والذين

(١) قرأ «قِبَلاً» نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، والباقون «قُبُلاً». الإتحاف ص ٢١٥.

ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا ذُكِرَ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا

آتيناهم الكتاب﴾ من اليهود والنَّصارىٰ **﴿يعلمون﴾** أنَّ القرآن **﴿منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين﴾** من الشَّاكين أنَّهم يعلمون ذلك.

﴿١١٥﴾ **﴿وتمت كلمات ربك﴾**[1] أقضيته وعِداته لأوليائه في أعدائه **﴿صدقاً﴾** فيما وعد **﴿وعدلاً﴾** فيما حكم. والمعنىٰ: صادقةً عادلةً **﴿لا مبدِّل لكلماته﴾** لا مُغيِّر لحكمه، ولا خلف لوعده **﴿وهو السميع﴾** لتضرُّع أوليائه، ولقول أعدائه **﴿العليم﴾** بما في قلوب الفريقين.

﴿١١٦﴾ **﴿وإن تطع أكثر من في الأرض﴾** يعني: المشركين **﴿يضلوك عن سبيل الله﴾** دين الله الذي رضيه لك، وذلك أنَّهم جادلوه، في أكل الميتة، وقالوا: أتأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل ربُّكم؟ **﴿إن يتبعون إلاَّ الظن﴾** في تحليل الميتة **﴿وإن هم إلاَّ يخرصون﴾** يكذبون في تحليل ما حرَّمه الله.

﴿١١٨﴾ **﴿فكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾** أيْ: ممَّا ذكِّي على اسم الله **﴿إن كنتم بآياته مؤمنين﴾** تأكيدٌ لاستحلال ما أباحه الشَّرع ثمَّ أبلغَ في إباحة ما ذبح على اسم الله بقوله:

﴿١١٩﴾ **﴿وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه﴾** عند الذَّبح **﴿وقد فصَّل﴾** بيَّن **﴿لكم ما حرَّم عليكم﴾** في قوله: ﴿حُرِّمت عليكم الميتة...﴾[2] الآية. **﴿إلاَّ**

---

(١) قرأ «كلمات» بالجمع نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر، والباقون «كلمة» بالإفراد. الإتحاف ص ٢١٦.

(١) انظر ص ٣٠٨

مَا ٱضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟

ما اضطررتم إليه﴾ دعتكم الضَّرورة إلىٰ أكله ممَّا لا يحلُّ عند الاختيار **﴿وإنَّ كثيراً ليضلون بأهوائهم﴾** أَيْ: الذين يُحلُّون الميتة، ويناظرونكم في إحلالها ضلُّوا باتِّباع أهوائهم **﴿بغير علم﴾** إنَّما يتَّبعون فيه الهوىٰ، ولا بصيرة عندهم ولا علم **﴿إنَّ ربك هو أعلم بالمعتدين﴾** المتجاوزين الحلال إلى الحرام.

﴿١٢٠﴾ **﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾** سرَّه وعلانيته، ثمَّ أوعد بالجزاء فقال: **﴿إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون﴾**.

﴿١٢١﴾ **﴿ولا تأكلوا ممَّا لم يذكر اسم الله عليه﴾** ممَّا لم يُذَكَّ ومات **﴿وإنه﴾** وإنَّ أكله **﴿لفسقٌ﴾** خروجٌ عن الحقِّ **﴿وإنَّ الشياطين﴾** يعني: إبليس وجنوده وسوسوا **﴿إلى أوليائهم﴾** من المشركين ليخاصموا محمداً وأصحابه في أكل الميتة **﴿وإن أطعتموهم﴾** في استحلال الميتة **﴿إنكم لمشركون﴾** لأنَّ مَنْ أحلَّ شيئاً ممَّا حرَّمه الله فهو مشركٌ.

﴿١٢٢﴾ **﴿أَوَ مَنْ كان ميتاً فأحييناه﴾** ضالاًّ كافراً فهديناه **﴿وجعلنا له نوراً﴾** ديناً وإيماناً **﴿يمشي به في الناس﴾** مع المسلمين مُستضيئاً بما قذف الله في قلبه من نور الحكمة والإيمان **﴿كمَنْ مثله﴾** كمَن هو **﴿في الظلمات﴾** في ظلمات الكفر والضَّلالة **﴿ليس بخارج منها﴾** ليس بمؤمن أبداً. نزلت في أبي جهلٍ وحمزة بن عبد المطلب[1] **﴿كذلك﴾** كما زُيِّن للمؤمنين الإيمان **﴿زين للكافرين ما كانوا**

---

(١) ذكره المؤلف في الأسباب ص ٢٥٧؛ وأخرج ابن جرير ٨/٢٢، عن الضحاك أنَّها نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام.

يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ۘ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ۗ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾

يعملون﴾ من عبادة الأصنام.

(١٢٣) **﴿وكذلك جعلنا في كلِّ قرية أكابر مجرميها﴾** يعني: كما أنَّ فسَّاق مكَّة أكابرها، كذلك جعلنا فسَّاق كلِّ قرية أكابرها. يعني: رؤساءَها ومترفيها **﴿ليمكروا فيها﴾** بصدِّ النَّاس عن الإِيمان **﴿وما يمكرون إلاَّ بأنفسهم﴾** لأنَّ وبال مكرهم يعود عليهم **﴿وما يشعرون﴾** أنَّهم يمكرون بها.

(١٢٤) **﴿وإذا جاءتهم آية﴾** ممَّا أطلع الله عليه نبيَّه عليه السَّلام ممَّا يخبرهم به **﴿قالوا: لن نؤمن حتىٰ نؤتىٰ مثل ما أوتي رسل الله﴾** حتىٰ يُوحىٰ إلينا ويأتينا جبريل فنصدِّق [به]، وذلك أنَّ كلَّ واحدٍ من القوم سأل أن يُخصَّ بالوحي، كما قال الله: **﴿بل يريد كلُّ امرىءٍ منهم أَنْ يُؤتىٰ صحفاً مُنشَّرة﴾**[(١)]، فقال الله سبحانه: **﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾** يعني: أنَّهم ليسوا بأهلٍ لها، هو أعلم بمَنْ يختصُّ بالرِّسالة **﴿سيصيب الذين أجرموا صغار﴾** مذلَّةٌ وهوانٌ **﴿عند الله﴾** أَيْ: ثابت لهم عند الله ذلك.

(١٢٥) **﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإِسلام﴾** يوسِّعْ قلبه ويفتحه ليقبل الإِسلام **﴿ومن يرد أن يضلَّه يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾** شديد الضِّيق **﴿كأنما يصَّعد في السماء﴾** إذا كُلِّف الإِيمان لشدَّته وثقله عليه **﴿كذلك﴾** مثل ما قصصنا عليك **﴿يجعل الله الرجس﴾** العذاب **﴿علىٰ الذين لا يؤمنون﴾** .

---

(١) سورة المدثر آية ٥٢.

وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰفِرِينَ ﴿١٣٠﴾

﴿١٢٦﴾ ﴿**وهذا صراط ربك**﴾ هذا الذي أنت عليه يا محمد دين ربِّك ﴿**مُستقيماً قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون**﴾ وهم المؤمنون.

﴿١٢٧﴾ ﴿**لهم دار السلام**﴾ الجنة ﴿**عند ربهم**﴾ مضمونةً لهم حتَّىٰ يُدخلهموها ﴿**وهو وليهم**﴾ يتولَّىٰ إيصال الكرامات إليهم ﴿**بما كانوا يعملون**﴾ من الطَّاعات.

﴿١٢٨﴾ ﴿**ويوم يحشرهم جميعاً**﴾ الجنّ والإنس، فيقال لهم: ﴿**يا معشر الجن قد استكثرتم من الإنس**﴾ أَيْ: من إغوائهم وإضلالهم ﴿**وقال أولياؤهم**﴾ الذين أضلَّهم الجنُّ ﴿**من الإنس ربنا استمتع بعضنا ببعض**﴾ يعني: طاعة الإنس للجنِّ وقبولهم منهم ما كانوا يغرونهم به من الضَّلالة، وتزيين الجنِّ للإنس ما كانوا يهوونه حتىٰ يسهل عليهم فعله ﴿**وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا**﴾ يعني: الموت، والظَّاهر أنَّه البعث والحشر ﴿**قال النار مثواكم**﴾ فيها مقامكم ﴿**خالدين فيها إلاَّ ما شاء الله**﴾ مَنْ شاء الله، وهم مَنْ سبق في علم الله أنَّهم يُسلمون ﴿**إنَّ ربك حكيم**﴾ حكم للذين استثنىٰ بالتَّوبة والتَّصديق ﴿**عليم**﴾ علم ما في قلوبهم من البرِّ.

﴿١٢٩﴾ ﴿**وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً**﴾ كما خذلنا عُصاة الجنِّ والإنس نَكِلُ بعض الظَّالمين إلى بعض حتىٰ يضلَّ بعضهم بعضاً.

﴿١٣٠﴾ ﴿**يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم**﴾ الرُّسل كانت من الإنس، والذين بلَّغوا الجنَّ منهم عن الرُّسل كانوا من الجنِّ، وهم النُّذر كالذين استمعوا القرآن

ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَنِىُّ ذُو ٱلرَّحْمَةِۚ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنۢ بَعْدِكُم مَّا يَشَآءُ كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَامِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا

[من محمد ﷺ][1] من الجنِّ، فأبلغوه قومهم.

﴿١٣١﴾ ﴿ذلك﴾ الذي قصصنا عليك من أمر الرُّسل لأنَّه ﴿لم يكن ربك مهلك القرىٰ بظلم﴾ أيْ: بذنوبهم ومعاصيهم من قبل أن يأتيهم الرَّسول فينهاهم، وهو معنىٰ قوله: ﴿وأهلها غافلون﴾ أيْ: لكلِّ عاملٍ بطاعة الله درجات في الثَّواب، ثمَّ أوعد المشركين، فقال: ﴿وما ربك بغافل عما يعملون﴾.

﴿١٣٣﴾ ﴿وربك الغني﴾ عن عبادة خلقه ﴿ذو الرحمة﴾ بخلقه فلا يُعَجِّل عليهم بالعقوبة ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿ويستخلف من بعدكم﴾ وينشىء من بعدكم خلقاً آخر ﴿كما أنشأكم﴾ خلقكم ابتداءً ﴿من ذرية قوم آخرين﴾ يعني: آباءَهم الماضين.

﴿١٣٤﴾ ﴿قل يا قوم اعملوا علىٰ مكانتكم﴾ علىٰ حالاتكم التي أنتم عليها ﴿إني عامل﴾ علىٰ مكانتي، وهذا أمرُ تهديدٍ. يقول: اعملوا ما أنتم عاملون، إنِّي عاملٌ ما أنا عاملٌ ﴿فسوف تعلمون مَنْ تكون له عاقبة الدار﴾ أيُّنا تكون له الجنَّة ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ لا يسعد مَنْ كفر بالله وأشرك بالله.

﴿١٣٥﴾ ﴿وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام﴾ كان المشركون يجعلون لله من حروثهم وأنعامهم وثمارهم ﴿نصيباً﴾ وللأوثان نصيباً، فما كان للصَّنم أُنْفِقَ عليه، وما كان

---

(١) زيادة من عا و ظا.

فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنْعَٰمٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَٰمٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَٰمٌ لَّا يَذْكُرُونَ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا ٱفْتِرَآءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿١٣٨﴾

لله أُطعم الضِّيفان والمساكين، فما سقط ممَّا جعلوه لله في نصيب الأوثان تركوه، وقالوا: إنَّ الله غنيٌّ عن هذا، وإن سقط ممَّا جعلوه للأوثان من نصيب الله التقطوه وردُّوه إلى نصيب الصَّنم، وقالوا: إنَّه فقير، فذلك قوله: **﴿فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم﴾** ثمَّ ذمَّ فعلهم فقال: **﴿ساء ما يحكمون﴾** أَيْ: ساء الحكم حكمهم حيث صرفوا ما جعلوه لله على جهة التَّبرُّز إلى الأوثان.

﴿١٣٧﴾ **﴿وكذلك﴾** ومثل ذلك الفعل القبيح **﴿زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم﴾** يعني: الشَّياطين أمروهم بأن يئدوا أولادهم خشية العَيْلَة **﴿ليردوهم﴾** ليهلكوهم في النَّارْ **﴿وليلبسوا عليهم دينهم﴾** ليخلطوا ويُدخلوا عليهم الشَّكَّ في دينهم، ثمَّ أخبر أنَّ جميع ما فعلوه كان بمشيئته، فقال: **﴿ولو شاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون﴾** من أنَّ لله شريكاً.

﴿١٣٨﴾ **﴿وقالوا هذه أنعام وحرث حجر﴾** حرَّموا أنعاماً وحرثاً، وجعلوها لأصنامهم، فقالوا: **﴿لا يطعمها إلاَّ مَنْ نشاء بزعمهم﴾** أعلم الله سبحانه أنَّ هذا التَّحريم كذبٌ من جهتهم **﴿وأنعام حرِّمت ظهورها﴾** كالسَّائبة والبحيرة والحامي **﴿وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها﴾** يقتلونها لآلهتهم خنقاً، أو وقذاً **﴿افتراءً عليه﴾** أَيْ: يفعلون ذلك للافتراء على الله، وهو أنَّهم زعموا أنَّ الله أمرهم بذلك.

وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ ۚ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ۞ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۚ كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ۖ وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً

﴿١٣٩﴾ ﴿وقالوا ما في بطون هذه الأنعام﴾ يعني: أَجنَّة ما حرَّموها من البحائر والسَّوائب ﴿خالصةٌ لذكورنا﴾ حلالٌ للرِّجال خاصَّة دون النِّساء. هذا إذا خرجت الأجنَّة أحياء، وإن كان ميتةً اشترك فيها الرِّجال والنِّساء ﴿سيجزيهم وصفهم﴾ سيجزيهم الله جزاء وصفهم الذي هو كذبٌ، أَيْ: سيعذِّبهم الله بما وصفوه من التَّحليل والتَّحريم الذي كلُّه كذبٌ ﴿إنه حكيم عليم﴾ أَيْ: هو أعلم وأحكم من أن يفعل ما يقولون.

﴿١٤٠﴾ ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم﴾ بالوأد ﴿سفهاً﴾ للسَّفه ﴿وحرَّموا ما رزقهم الله﴾ من الأنعام. يعني: البحيرة وما ذُكر معها.

﴿١٤١﴾ ﴿وهو الذي أنشأ﴾ أبدع وخلق ﴿جنات معروشات﴾ يعني: الكرم ﴿وغير معروشات﴾ ما قام على ساق ولم يُعرش له، كالنَّخل والشَّجر ﴿والنخل والزرع مختلفاً أكله﴾ أُكُلُ كلِّ واحدٍ منهما، وكلِّ نوعٍ من الثَّمر له طعمٌ غيرُ طعم النَّوع الآخر، وكلُّ حبٍّ من حبوب الزَّرع له طعمٌ غير طعم الآخر ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر﴾ أمر إباحة ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ يعني: العشر ونصف العشر ﴿ولا تسرفوا﴾ فتعطوا كلَّه حتىٰ لا يبقىٰ لعيالكم شيء ﴿إنه لا يحب المسرفين﴾ يعني: المجاوزين أمر الله.

﴿١٤٢﴾ ﴿ومن الأنعام﴾ وأنشأ من الأنعام ﴿حمولة﴾ وهي كلُّ ما حمل عليها ممَّا أطاق

وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٤٢﴾ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۖ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ ٱلْإِبِلِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ ٱثْنَيْنِ ۗ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلْأُنثَيَيْنِ أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۖ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ ٱللَّهُ بِهَٰذَا ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ

العمل والحمل ﴿وفرشاً﴾ وهو الصِّغار التي لا يحمل عليها، كالغنم، والبقر، والإبل الصِّغار ﴿كلوا مما رزقكم الله﴾ أَيْ: أحلَّ لكم ذبحه ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان﴾ في تحريم شيءٍ ممَّا أحله الله ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بيِّنُ العداوة أخرج أباكم من الجنَّة، وقال: لأحتنكنَّ ذريته، ثمَّ فسر الحمولة والفرش فقال:

﴿١٤٣﴾ ﴿ثمانية أزواج﴾ الذَّكر زوجٌ، والأنثىٰ زوجٌ، وهي الضَّأن والمعز، وقد ذُكرا في هذه الآية، والإبل والبقر ذُكرا فيما بعد، وجعلها ثمانيةً؛ لأنَّه أراد الذَّكر والأنثىٰ من كلِّ صنفٍ، وهو قوله: ﴿من الضَّأن اثنين ومن المعز اثنين﴾ والضَّأن: ذوات الصُّوف من المعز، والغنم: ذوات الشَّعر ﴿قل﴾ يا محمَّد للمشركين الذين يُحرِّمون على أنفسهم ما حرَّموا من النَّعم: ﴿آلذكرين﴾ من الضَّأن والمعز ﴿حرَّم﴾ الله عليكم ﴿أم الأُنثيين﴾ فإن كان حرَّم من الغنم ذكورها، فكلُّ ذكورها حرام، وإن كان حرَّم الأنثيين، فكلُّ الإناث حرام ﴿أمَّا اشتملت عليه أرحام الأُنثيين﴾ وإن كان حرَّم ما اشتملت عليه أرحام الأنثيين من الضَّأْنِ والمعز، فقد حرَّم الأولاد كلَّها، وكلُّها أولادٌ فكلُّها حرام ﴿نبئُوني بعلم﴾ أَيْ: فسِّروا ما حرَّمتم بعلمٍ إن كان لكم علمٌ في تحريمه، وهو قوله: ﴿إن كنتم صادقين﴾.

﴿١٤٤﴾ ﴿أم كنتم شهداء إذْ وصاكم الله بهذا﴾ هل شاهدتم الله قد حرَّم هذا إذْ كنتم لا تؤمنون برسول الله؟! فلمَّا لزمتهم الحجَّة بيَّن الله تعالىٰ أنَّهم فعلوا ذلك كذباً على الله، فقال: ﴿فمن أظلم ممَّن افترى على الله كذباً ليضلَّ الناس بغير علم...﴾ الآية. يعني: عمرو بن لحي، وهو الذي غيَّر دين إسماعيل، وسنَّ هذا

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾

التَّحريم. ثمَّ ذكر المحرَّمات بوحي الله، فقال:

﴿١٤٥﴾ **﴿قل لا أجد فيما أوحي إليَّ محرَّماً على طاعم يطعمه إلَّا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً﴾** يعني: سائلاً **﴿أو فسقاً أهلَّ لغير الله به﴾** يعني: ما ذُبح على النُّصب.

﴿١٤٦﴾ **﴿وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾** يعني: الإبل، والنَّعامة **﴿ومن البقر والغنم حرَّمنا عليهم شحومهما إلَّا ما حملت ظهورهما أو الحوايا﴾** وهي المباعر **﴿أو ما اختلط بعظم﴾** فإنِّي لم أحرِّمه. يعني: ما تعلَّق من الشَّحم بهذه الأشياء **﴿ذلك﴾** التَّحريم **﴿جزيناهم ببغيهم﴾** عاقبناهم بذنوبهم **﴿وإنا لصادقون﴾** في الإخبار عن التَّحريم، وعن بغيهم، فلمَّا ذكر لهم رسول الله ﷺ ما حُرِّم على المسلمين، وما حرِّم على اليهود قالوا له: ما أصبت، وكذَّبوه[1]، فأنزل الله تعالى:

﴿١٤٧﴾ **﴿فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة﴾** ولذلك لا يعجل عليكم بالعقوبة **﴿ولا يرد بأسه﴾** عذابه إذا جاء الوقت **﴿عن القوم المجرمين﴾** يعني: الذين كذَّبوك بما تقول.

---

(١) أخرج ابن جرير ٨/٧٧ عن السُّدِّي قال: كانت اليهود يقولون: إنَّما حرَّمه إسرائيل، يعني: الثَّرب وشحم الكليتين، فنحن نحرِّمه، فذلك قوله: ﴿فإنْ كذَّبوك فقل ربُّكم ذو رحمة واسعة، ولا يُردُّ بأسه عن القوم المجرمين﴾.

سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا۟ بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَآ ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ ۚ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٠﴾ ۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟

﴿١٤٨﴾ ﴿سيقول الذين أشركوا﴾ إذا لزمتهم الحجَّة وتيقَّنوا باطل ما هم عليه: ﴿لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرَّمنا من شيء كذلك كذَّب﴾ جعلوا قولهم: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾ حجَّةً لهم علىٰ إقامتهم على الشِّرك، وقالوا: إنَّ الله رضي منَّا ما نحن عليه وأراده منَّا، وأمرنا به، ولو لم يرضه لحال بيننا وبينه، ولا حجة لهم في هذا؛ لأنَّهم تركوا أمر الله وتعلَّقوا بمشيئته، وأمرُ الله بمعزلٍ عن إرادته؛ لأنَّه مريدٌ لجميع الكائنات، غير آمرٍ بجميع ما يريد، فعلىٰ العبد أن يحفظ الأمر ويتَّبعه، وليس له أن يتعلَّق بالمشيئة بعد ورود الأمر، فقال الله تعالىٰ: ﴿كذلك كذب الذين من قبلهم﴾ أَيْ: كما كذَّبك هؤلاء كذَّب كفَّار الأمم الخالية أنبياءهم، ولم يتعرَّض لقولهم: ﴿لو شاء الله﴾ بشيءٍ ﴿قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا﴾ من كتابٍ نزل في تحريم ما حرَّمتم ﴿إن تتبعون إلاَّ الظن﴾ ما تتَّبعون فيما أنتم عليه إلاَّ الظَّنَّ لا العلم واليقين، ﴿وإن أنتم إلاَّ تخرصون﴾ وما أنتم إلاَّ كاذبين.

﴿١٤٩﴾ ﴿قل فللَّه الحجة البالغة﴾ بالكتاب والرَّسول والبيان ﴿فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ إخبار عن تعلُّق مشيئة الله تعالىٰ بكفرهم، وأنَّ ذلك حصل بمشيئته، إذ لو شاء الله لهداهم.

﴿١٥٠﴾ ﴿قل هلم شهداءكم﴾ أَيْ: هاتوا شهداءكم وقرِّبوهم، وباقي الآية ظاهر.

﴿١٥١﴾ ﴿قل تعالوا أتل ما حرَّم ربكم عليكم﴾ أَقرأ عليكم الذي حرَّمه الله، ثمَّ ذكر فقال: ﴿ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً﴾ وأوصيكم بالوالدين إحساناً ﴿ولا تقتلوا

أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ

أولادكم﴾ من أولادكم من مخافة الفقر ﴿ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن﴾ يعني: سر الزِّنا وعلانيته ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق﴾ يريد: القصاص.

﴿١٥٢﴾ ﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن﴾ وهو أن يصلح ماله ويقوم فيه بما يثمره، ثمَّ يأكل بالمعروف إن احتاج إليه ﴿حتى يبلغ أشده﴾ أَيْ: احفظوه عليه حتىٰ يحتلم ﴿وأوفوا الكيل﴾ أتِمُّوه من غير نقصٍ ﴿والميزان﴾ أَيْ: وزن الميزان ﴿بالقسط﴾ بالعدل لا بخسٍ ولا شططٍ ﴿لا نُكَلِّفُ نفساً إلاَّ وسعها﴾ إلاَّ ما يسعها ولا تضيق عنه، وهو أنَّه لو كلَّف المعطي الزِّيادة لضاقت نفسه عنه، وكذلك لو كلَّف الآخذ أن يأخذ بالنُّقصان ﴿وإذا قلتم فاعدلوا﴾ إذا شهدتم أو تكلَّمتم فقولوا الحقَّ ﴿ولو﴾ كان المشهود له أو عليه ﴿ذا قربىٰ﴾.

﴿١٥٣﴾ ﴿وأنَّ هذا﴾ ولأنَّ هذا ﴿صراطي مستقيماً﴾ يريد: ديني دينُ الحنيفيَّة أقومُ الأديان ﴿فاتبعوه ولا تتبعوا السبل﴾ اليهوديَّة، والنصرانيَّة، والمجوسية، وعبادة الأوثان ﴿فتفرَّق بكم عن سبيله﴾ فتضلَّ بكم عن دينه ﴿ذلكم﴾ الذي ذكر ﴿وصَّاكم﴾ أمركم به في الكتاب ﴿لعلكم تتقون﴾ كي تتقوا السُّبل.

﴿١٥٤﴾ ﴿ثم آتينا﴾ أَيْ: ثمَّ أُخبركم أنَّا آتينا ﴿موسىٰ الكتاب تماماً على الذي أحسن﴾ أَيْ: على الذي أحسنه موسىٰ من العلم والحكمة، وكتب الله المتقدِّمة، أَيْ: علمه،

وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا

ومعنىٰ: ﴿تماماً﴾ على ذلك أَيْ: زيادةً عليه حتىٰ تمَّ له العلم بما آتيناه ﴿وتفصيلاً﴾ أَيْ: آتيناه للتَّمام والتفصيل، وهو البيان ﴿لعلهم بلقاء ربهم يؤمنون﴾ لكي يُؤمنوا بالبعث ويُصدِّقوا بالثَّواب والعقاب.

﴿١٥٥﴾ ﴿وهذا كتابٌ﴾ يعني: القرآن ﴿أنزلناه مبارك﴾ مضىٰ تفسيره في هذه السُّورة[1].

﴿١٥٦﴾ ﴿أن تقولوا﴾ لئلا تقولوا: ﴿إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا﴾ يعني: اليهود والنَّصارىٰ ﴿وإن كنَّا عن دراستهم لغافلين﴾ وما كنَّا إلاَّ غافلين عن تلاوة كتبهم، والخطابُ لأهل مكَّة، والمرادُ: إثبات الحجَّة عليهم بإنزال القرآن على محمَّد عليه السَّلام كيلا يقولوا يوم القيامة: إنَّ التَّوراة والإنجيل أُنزلا على طائفتين من قبلنا، وكنَّا غافلين عمَّا فيهما، وقوله:

﴿١٥٧﴾ ﴿وصدف عنها﴾ أَيْ: أعرض.

﴿١٥٨﴾ ﴿هل ينظرون﴾ إذا كذَّبوك ﴿إلاَّ أن تأتيهم الملائكة﴾ عند الموت لقبض أرواحهم، وذكرنا معنىٰ ﴿ينظرون﴾ في سورة البقرة[2] ﴿أو يأتي ربك﴾ أَيْ: أمره فيهم بالقتل ﴿أو يأتي بعض آيات ربك﴾ يعني: طلوع الشَّمس من مغربها، والمعنىٰ: إنَّ هؤلاء الذي كذَّبوك إمَّا أن يموتوا فيقعوا في العذاب، أو يؤمر فيهم بالسَّيف، أو يمهلون قدر مدَّة الدُّنيا فيتوالدون ويتنعَّمون فيها، فإذا ظهرت أمارات القيامة ﴿لا ينفع نفساً

---

(١) انظر ص ٣٦٥. (٢) انظر ص ١٦٠.

إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾

إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ قدَّمت طاعةً وهي مؤمنةٌ **﴿قل انتظروا﴾** أحد هذه الأشياء **﴿إنا منتظرون﴾** بكم أحدها.

﴿١٥٩﴾ **﴿إنَّ الذين فارقوا دينهم﴾**[1] يعني: اليهود والنَّصارىٰ، أخذوا ببعض ما أُمروا، وتركوا بعضه، كقوله إخباراً عنهم: **﴿نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض﴾** **﴿وكانوا شيعاً﴾** أحزاباً مختلفة. بعضهم يُكفِّر بعضاً **﴿لست منهم في شيء﴾** يقول: لم تؤمر بقتالهم، فلمَّا أُمر بقتالهم نُسخ هذا[2].

﴿١٦٠﴾ **﴿من جاء بالحسنة﴾** من عمل من المؤمنين حسنةً **﴿فله عشر أمثالها﴾** كتبت له عشر حسناتٍ **﴿ومَنْ جاء بالسيئة﴾** الخطيئة **﴿فلا يجزىٰ إلَّا مثلها﴾** أَيْ: جزاءً مثلها لا يكون أكثر منها **﴿وهم لا يظلمون﴾** لا ينقص ثواب أعمالهم.

﴿١٦١﴾ **﴿قل إنني هداني ربـي إلى صراط مستقيم ديناً﴾** أَيْ: عرَّفني ديناً **﴿قيماً﴾** مستقيماً.

﴿١٦٢﴾ **﴿قل إنَّ صلاتي ونسكي﴾** عبادتي من حجِّي وقرباني **﴿ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾** أَيْ: هو يحييني وهو يميتني، وأنا أتوجَّه بصلاتي وسائر المناسك إلىٰ

---

(١) قرأ «فارقوا» حمزة والكسائي، والباقون «فرَّقوا» الإتحاف ص ٢٢٠.

(٢) وهذا قول ابن عباس أخرجه عنه النحاس في ناسخه ص ١٧٨ وقال: ثمَّ نسختها: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾.

وقال أبو جعفر النحاس: وقال غيره: ليس في هذا نسخٌ؛ لأنَّه معروفٌ في اللغة أن يقال: لستُ من فلانٍ، ولا هو مني: إذا كنتَ مخالفاً له مُنكراً عليه ما هو فيه.

الناسخ والمنسوخ ص ١٧٨ ــ ١٧٩.

لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾

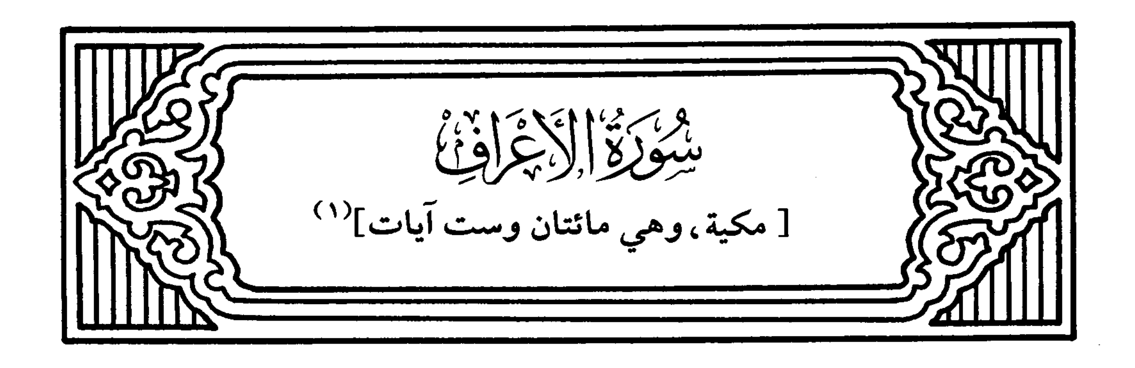
الله، لا إلىٰ غيره، وقوله:

﴿١٦٣﴾ ﴿**وبذلك أمرت**﴾ بذلك أوحي إليَّ ﴿**وأنا أول المسلمين**﴾ من هذه الأمَّة.

﴿١٦٤﴾ ﴿**قل أغير الله أبغي رباً**﴾ سيِّداً وإلَهاً ﴿**وهو ربُّ كلِّ شيء**﴾ مالكه وسيِّده ﴿**ولا تكسب كلُّ نفس إلاَّ عليها**﴾ لا تجني نفسٌ ذنباً إلَّا أُخذت به ﴿**ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ**﴾ يعني: الوليد بن المغيرة، كان يقول: اتَّبعوا سبيلي أحمل أوزاركم. [فأنزل الله]: ﴿**ولا تزر وازرةٌ وِزرَ أُخرىٰ**﴾ لا يحمل أحدٌ جناية غيره حتىٰ لا يُؤَاخذ بها الجاني.

﴿١٦٥﴾ ﴿**وهو الذي جعلكم**﴾ يا أُمَّةَ محمَّدٍ ﴿**خلائف**﴾ الأمم الماضية في ﴿**الأرض**﴾ بأنْ أهلكهم وأورثكم الأرض بعدهم ﴿**ورفع بعضكم فوق بعض درجات**﴾ بالغنىٰ والرِّزق ﴿**ليبلوكم فيما آتاكم**﴾ ليختبركم فيما رزقكم ﴿**إنَّ ربك سريع العقاب**﴾ لأعدائه ﴿**وإنه لغفور**﴾ لأوليائه ﴿**رحيم**﴾ بهم.

• • •



سورة الأعراف
[مكية، وهي مائتان وست آيات][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَكَم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَا فَجَآءَهَا بَأۡسُنَا بَيَٰتًا أَوۡ هُمۡ قَآئِلُونَ ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿الٓمٓصٓ﴾ أنا الله أعلم وأُفصِّل[2].

﴿٢﴾ ﴿كتاب﴾ أَيْ: هذا كتابٌ ﴿أنزل إليك﴾ من ربِّك ﴿فلا يكن في صدرك حرج منه﴾ فلا يضيقنَّ صدرك بإبلاغ ما أرسلت به ﴿لتنذر به﴾ أَيْ: أُنزل لتنذر به النَّاس ﴿وذكرىٰ للمؤمنين﴾ مواعظ للمصدِّقين.

﴿٣﴾ ﴿اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم﴾ يعني: القرآن ﴿ولا تتبعوا من دونه أولياء﴾ لا تتخذوا غير الله أولياء ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ قليلاً يا معشر المشركين اتِّعاظكم.

﴿٤﴾ ﴿وكم من قرية أهلكناها﴾ يعني: أهلها ﴿فجاءها بأسنا﴾ عذابنا ﴿بياتاً﴾ ليلاً ﴿أو هم قائلون﴾ نائمون نهاراً. يعني: جاءهم بأسنا وهم غير متوقِّعين له.

---

(١) ما بين [ ] من ظا وظ.

(٢) هذا قول ابن عباس. تفسير الطبري ٨/ ١١٥.

فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٥﴾ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ

﴿٥﴾ ﴿فما كان دعواهم﴾ دعاؤهم وتضرُّعهم ﴿إذ جاءهم بأسنا إلاَّ أن﴾ أقرُّوا على أنفسهم بالشِّرك و ﴿قالوا إنا كنا ظالمين﴾.

﴿٦﴾ ﴿فلنسئلنَّ الذين أرسل إليهم﴾ نسأل الأمم ماذا عملوا فيما جاءت به الرُّسل، ونسأل الرُّسل هل بلَّغوا ما أُرسلوا به.

﴿٧﴾ ﴿فلنقصنَّ عليهم بعلم﴾ لنخبرنَّهم بما عملوا بعلمٍ منَّا ﴿وما كنا غائبين﴾ عن الرُّسل والأمم ما بلَّغت وما ردَّ عليهم قومهم.

﴿٨﴾ ﴿والوزن يومئذ﴾ يعني: وزن الأعمال يوم السُّؤال الذي ذُكر في قوله: ﴿فلنسألنَّ﴾ ﴿الحق﴾ العدل، وذلك أنَّ أعمال المؤمنين تتصوَّر في صورةٍ حسنةٍ، وأعمال الكافرين في صورةٍ قبيحةٍ، فتوزن تلك الصُّورة، فذلك قوله: ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون﴾ النَّاجون الفائزون، وهم المؤمنون.

﴿٩﴾ ﴿ومَنْ خفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾ صاروا إلى العذاب ﴿بما كانوا بآياتنا يظلمون﴾ يجحدون بما جاء به محمَّد عليه السَّلام.

﴿١٠﴾ ﴿ولقد مكنَّاكم في الأرض﴾ ملَّكناكم فيما بين مكَّة إلى اليمن، وإلىٰ الشَّام. يعني: مشركي مكَّة ﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾ ما تعيشون به من الرِّزق والمال والتجارة ﴿قليلاً ما تشكرون﴾ أَيْ: إنَّكم غير شاكرين لما أنعمت عليكم.

﴿١١﴾ ﴿ولقد خلقناكم﴾ يعني: آدم ﴿ثمَّ صوَّرناكم﴾ في ظهره... الآية.

﴿١٢﴾ ﴿قال ما منعك ألا تسجد﴾ «لا» زائدة. معناها: ما منعك أن تسجد؟! وهو سؤالُ

إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا

التَّوبيخ والتَّعنيف ﴿**قال أنا خير منه...**﴾ الآية. معناه: منعني من السُّجود له أنِّي خيرٌ منه إذ كنتُ ناريَّاً، وكان طينيَّاً، فترك الأمر وقاس، فعصىٰ.

﴿١٣﴾ ﴿**قال فاهبط منها**﴾ فانزل من الجنَّة. وقيل: من السَّماء ﴿**فما يكون لك أن تتكبر فيها**﴾ عن أمري وتعصيني ﴿**فاخرج إنك من الصاغرين**﴾ الأذلاء بترك الطَّاعة.

﴿١٤﴾ ﴿**قال أنظرني**﴾ أمهلني ﴿**إلىٰ يوم يبعثون**﴾ يريد: النَّفخة الثَّانية.

﴿١٥﴾ ﴿**قال إنك من المنظرين**﴾.

﴿١٦﴾ ﴿**قال: فبما أغويتني**﴾ يريد: فبما أضللتني، أَيْ: بإغوائك إيَّاي ﴿**لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم**﴾ على الطَّريق المستقيم الذي يسلكونه إلى الجنَّة، بأن أُزيِّن لهم الباطل.

﴿١٧﴾ ﴿**ثم لآتينَّهم من بين أيديهم**﴾ يعني: آخرتهم التي يردون عليها، فأُشكِّكهم فيها ﴿**ومن خلفهم**﴾ دنياهم التي يُخلِّفونها، فأُرغِّبهم فيها ﴿**وعن أيمانهم**﴾ أُشبِّه عليهم أمر دينهم ﴿**وعن شمائلهم**﴾ أُشهِّي لهم المعاصي.

﴿١٨﴾ ﴿**قال اخرج منها**﴾ من الجنَّة ﴿**مذؤوماً**﴾ مذموماً بأبلغ الذَّمِّ ﴿**مدحوراً**﴾ مطروداً ملعوناً ﴿**لمن تبعك منهم**﴾ من أولاد آدم ﴿**لأملأنَّ جهنم منكم**﴾ يعني: من الكافرين وقرنائهم من الشَّياطين.

﴿١٩﴾ ﴿**ويا آدم اسكن**﴾ سبق تفسيره في سورة البقرة[١].

---

(١) انظر ص ١٠٠.

تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٢٤﴾

﴿٢٠﴾ ﴿**فوسوس لهما الشيطان**﴾ أَيْ: حدَّث لهما في أنفسهما ﴿**ليبدي لهما**﴾ هذه اللام لام العاقبة، وذلك أنَّ عاقبة تلك الوسوسة أدَّت إلىٰ أن بدت لهما سوآتهما، يعني: فروجهما بتهافت اللِّباس عنهما، وهو قوله: ﴿**ما ووري**﴾ أَيْ: سُتر ﴿**عنهما من سوآتهما**﴾ ﴿**وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة**﴾ أَيْ: عن أكلها ﴿**إلاَّ أن تكونا**﴾ «لا» هاهنا مضمرة، أَيْ: إلاَّ أن لا تكونا ﴿**ملكين**﴾ يبقيان ولا يموتان، كما لا تموت الملائكة. يدلُّ علىٰ هذا المعنىٰ قوله: ﴿**أو تكونا من الخالدين**﴾.

﴿٢١﴾ ﴿**وقاسمهما**﴾ حلف لهما ﴿**إني لكما لمن الناصحين**﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿**فدلاهما بغرور**﴾ غرَّهما باليمين، ومعنىٰ دلَّاهما: جرَّأَهُما على أكل الشَّجرة بما غرَّهما به من يمينه ﴿**فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما**﴾ تهافت لباسهما عنهما، فأبصر كلُّ واحدٍ منهما عورة صاحبه، فاستحييا ﴿**وطفقا يخصفان**﴾ أقبلا وجعلا يُرقِّعان الورق كهيئة الثَّوب ليستترا به ﴿**وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إنَّ الشيطان لكما عدو مبين**﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿**قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكوننَّ من الخاسرين**﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿**قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر**﴾ موضع قرار، ثمَّ فسَّر ذلك بقوله:

قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾

(٢٥) **﴿فيها تحيون...﴾** الآية. ولمَّا ذكر عُريَّ آدم وحواء منَّ علينا بما خلق لنا من اللِّباس، فقال:

(٢٦) **﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم﴾** أَيْ: خلقنا لكم **﴿لباساً يواري سوآتكم﴾** يستر عوراتكم **﴿وريشاً﴾** أَيْ: مالاً، وما تتجمَّلون به من الثِّياب الحسنة **﴿ولباس التقوىٰ﴾** أَيْ: ستر العورة لمَنْ يتَّقي الله فيواري عورته **﴿ذلك خيرٌ﴾** لصاحبه إذا أخذ به، أو خيرٌ من التَّعري، وذلك أنَّ جماعةً من المشركين كانوا يتعبَّدون بالتَّعريِّ وخلع الثِّياب في الطَّواف بالبيت[1]. **﴿ذلك من آيات الله﴾** أَيْ: من فرائضه التي أوجبها بآياته. يعني: ستر العورة **﴿لعلهم يذكرون﴾** لكي يتَّعظوا.

(٢٧) **﴿يا بني آدم لا يفتننَّكم الشيطان﴾** لا يخدعنَّكم ولا يُضلنَّكم **﴿كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما﴾** أضاف النَّزع إليه ــ وإن لم يتولَّ ذلك ــ ؛ لأنَّه كان بسببٍ منه **﴿إنَّه يراكم هو وقبيله﴾** يعني: ومَنْ كان من نسله **﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾** سلَّطناهم عليهم ليزيدوا في غيِّهم، كما قال: ﴿أنَّا أرسلنا الشَّياطين على الكافرين...﴾[2] الآية.

---

(١) وذلك ما جاء عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عريانةٌ، وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كلُّه ... وما بدا منه فلا أُحلُّه

فنزلت: ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كلِّ مسجد﴾.
أخرجه مسلم برقم ٣٠٢٨؛ والنسائي في تفسيره ١/٤٩٦.

(٢) الآية: ﴿ألم تر أنَّا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزُّهم أزًّا﴾ [سورة مريم: الآية ٨٣].

وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۗ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾

﴿٢٨﴾ **﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾** يعني: طوافهم بالبيت عارين.

﴿٢٩﴾ **﴿قل أمر ربي بالقسط﴾** ردٌّ لقولهم: ﴿والله أمرنا بها﴾ والقسط: العدل **﴿وأقيموا وجوهكم عند كلِّ مسجد﴾** وجِّهوا وجوهكم حيث ما كنتم في الصَّلاة إلى الكعبة **﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾** وحِّدوه ولا تشركوا به شيئاً. **﴿كما بدأكم﴾** في الخلق شقيّاً وسعيداً، فكذلك **﴿تعودون﴾** سعداء وأشقياء. يدلُّ علىٰ صحَّة هذا المعنىٰ قوله:

﴿٣٠﴾ **﴿فريقاً هدىٰ﴾** أرشد إلى دينه، وهم أولياؤه **﴿وفريقاً حقَّ عليهم الضلالة﴾** أَضلَّهُمْ، وهم أولياء الشَّياطين **﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون الله ويحسبون أنهم مهتدون﴾** ثمَّ أمرهم أن يلبسوا ثيابهم ولا يتعرَّوا، فقال:

﴿٣١﴾ **﴿يا بني آدم خذوا زينتكم﴾** يعني: ما وارىٰ العورة **﴿عند كلِّ مسجد﴾** لصلاةٍ أو طواف **﴿وكلوا واشربوا﴾** كان أهل الجاهليَّة لا يأكلون أيَّام حجِّهم إلاَّ قوتاً، ولا يأكلون دسماً. يُعظِّمون بذلك حجَّهم، فقال المسلمون: نحن أحقُّ أن نفعل، فأنزل الله تعالىٰ[1]: **﴿وكلوا﴾** يعني: اللَّحم والدَّسم **﴿واشربوا﴾** اللَّبن والماء وما أحلَّ لكم **﴿ولا تسرفوا﴾** بحظركم على أنفسكم ما قد أحللته لكم من اللَّحم والدَّسم **﴿إنَّه لا يحب﴾** مَنْ فعل ذلك، أَيْ: لا يُثيبه ولا يدخله الجنَّة.

---

(١) وهذا قول الكلبي ذكره في أسباب النزول ص ٢٦٠؛ وأخرج نحوه ابن جرير ٨/١٦٢ عن السدي.

قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٣٢﴾ **﴿قل من حرَّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾** مَنْ حرَّم أن تلبسوا في طوافكم ما يستركم **﴿والطيبات من الرزق﴾** يعني: ما حرَّموه علىٰ أنفسهم أيَّام حجِّهم **﴿قل هي﴾** أي: الطَّيِّبات من الرِّزق **﴿للذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾** مباحةٌ لهم مع اشتراك الكافرين معهم فيها في الدُّنيا، ثمَّ هي تخلص للمؤمنين يوم القيامة، وليس للكافرين فيها شيء، وهو معنىٰ قوله: **﴿خالصة يوم القيامة﴾** **﴿كذلك نفصل الآيات﴾** نُفسِّر ما أحللت وما حرَّمت **﴿لقومٍ يعلمون﴾** أنِّي أنا الله لا شريك لي.

﴿٣٣﴾ **﴿قل إنما حرَّم ربي الفواحش﴾** الكبائر والقبائح **﴿ما ظهر منها وما بطن﴾** سرَّها وعلانيتها **﴿والإثم﴾** يعني: المعصية التي توجب الإثم **﴿والبغي﴾** ظلم النَّاس، وهو أن يطلب ما ليس له **﴿وأن تشركوا بالله﴾** تعدلوا به في العبادة **﴿ما لم ينزل به سلطاناً﴾** لم ينزل كتاباً فيه حجَّةٌ **﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾** من أنَّه حرَّم الحرث والأنعام، وأنَّ الملائكة بنات الله.

﴿٣٤﴾ **﴿ولكلِّ أمة أجل﴾** وقتٌ مضروبٌ لعذابهم وهلاكهم **﴿فإذا جاء أجلهم﴾** بالعذاب **﴿لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾** لا يتأخَّرون ولا يتقدَّمون حتىٰ يُعذَّبوا.

﴿٣٥﴾ **﴿يا بني آدم إمَّا يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي﴾** فرائضي وأحكامي **﴿فمن اتقىٰ﴾** اتَّقاني وخافني **﴿وأصلح﴾** ما بيني وبينه **﴿فلا خوف عليهم﴾** إذا خاف الخلق في القيامة **﴿ولا هم يحزنون﴾** إذا حزنوا.

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾

﴿٣٧﴾ ﴿**فمن أظلم ممَّن افترىٰ على الله كذباً**﴾ فجعل له ولداً أو شريكاً ﴿**أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب**﴾ ما كُتب لهم من العذاب، وهو سواد الوجه، وزرقة العيون ﴿**حتىٰ إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم**﴾ يريد: الملائكة يقبضون أرواحهم ﴿**قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله**﴾؟ سؤال توبيخ وتبكيت وتقريع ﴿**قالوا ضلوا عنا**﴾ بطلوا وذهبوا ﴿**وشهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين**﴾ اعترفوا عند مُعاينة الموت، وأقروا علىٰ أنفسهم بالكفر.

﴿٣٨﴾ ﴿**قال ادخلوا**﴾ أَيْ: قال الله تعالىٰ لهم: ادخلوا النَّار [﴿**في أمم**﴾ أَيْ:] مع ﴿**أمم قد خلت من قبلكم**﴾. ﴿**كلما دخلت أمة**﴾ النَّار ﴿**لعنت أختها**﴾ يعني: الأمم التي سبقتها إلى النَّار؛ لأنَّهم ضلوا باتِّباعهم ﴿**حتىٰ إذا ادَّاركوا فيها**﴾ أَيْ: تداركوا، وتلاحقوا، واجتمعوا جميعاً في النَّار ﴿**قالت أخراهم**﴾ أَيْ: أُخراهم دخولاً إلى النَّار ﴿**لأولاهم**﴾ دخولاً. يعني: قالت الأتباع للقادة: ﴿**ربنا هؤلاء أضلونا**﴾ لأنَّهم شرعوا لنا أن نتَّخذ من دونك إلّهاً ﴿**فآتهم عذاباً ضعفاً**﴾ أَضْعِفْ عليهم العذاب بأشدَّ ممَّا تعذِّبنا به ﴿**قال**﴾ الله تعالىٰ: ﴿**لكلٍّ ضعف**﴾ للتَّابع والمتبوع عذابٌ مضاعفٌ ﴿**ولكن لا تعلمون**﴾ يا أهل الكتاب في الدُّنيا مقدار ذلك، وقوله:

﴿٣٩﴾ ﴿**فما كان لكم علينا من فضل**﴾ لأنَّكم كفرتم كما كفرنا، فنحن وأنتم في الكفر سواءٌ.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا

﴿٤٠﴾ **﴿إنَّ الذين كذبوا بآياتنا﴾** بحججنا التي تدلُّ على توحيد الله، ونبوَّة الأنبياء **﴿واستكبروا عنها﴾** ترفَّعوا عن الإيمان بها والانقياد لأحكامها **﴿لا تفتح لهم أبواب السماء﴾** لا تصعد أرواحهم، ولا أعمالهم، ولا شيء ممَّا يريدون الله به إلى السَّماء **﴿ولا يدخلون الجنة حتىٰ يلج﴾** يدخل **﴿الجمل في سم الخياط﴾** ثقب الإبرة. يعني: أبداً **﴿وكذلك﴾** وكما وصفنا **﴿نجزي المجرمين﴾** أي: المكذِّبين بآيات الله، ثمَّ أخبر عن إحاطة النَّار بهم من كلِّ جانبٍ، فقال:

﴿٤١﴾ **﴿لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش﴾** يعني: لهم منها غطاءٌ، ووطاءٌ، وفراشٌ ولحافٌ **﴿وكذلك نجزي الظالمين﴾** يعني: الذين أشركوا بالله.

﴿٤٢﴾ **﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفساً إلاَّ وسعها﴾** أَيْ: إلاَّ ما تطيقه ولا تعجز عنه، والمعنىٰ: لا نكلِّف نفساً منهم إلاَّ وسعها، ثمَّ أخبر بباقي الآية عن مآلهم.

﴿٤٣﴾ **﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل﴾** أذهبنا الأحقاد التي كانت لبعضهم على بعض في دار الدُّنيا **﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾** من تحت منازلهم وقصورهم، فإذا استقرُّوا في منازلهم **﴿قالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا﴾** أَيْ: هدانا لما صيَّرنا إلى هذا الثَّواب من العمل الذي أدَّىٰ إليه، وأقرُّوا أنَّ المهتدي مَنْ هدىٰ الله[1] بقوله:

(١) أخرج ابن جرير ٨/ ١٨٤ عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ:
«كلُّ أهل النَّار يرىٰ منزله من الجنَّة فيقولون: لو هدانا الله، فتكون عليهم حسرة، وكلُّ أهل الجنَّة يرىٰ منزله من النار، فيقولون: لولا أن هدانا الله، فهذا شكرهم».

وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ ۚ وَنَادَوْا۟ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

﴿وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ فحين رأوا ما وعدهم الرُّسل عياناً قالوا: **﴿لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكمُ الجنة﴾** قيل لهم: هذه تلكمُ الجنَّة التي وُعدتم **﴿أورثتموها﴾** أُورثتم منازل أهل النَّار فيها لو عملوا بطاعة الله **﴿بما كنتم تعملون﴾** توحِّدون الله وتطيعونه.

﴿٤٤﴾ **﴿ونادىٰ أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا﴾** في الدُّنيا من الثَّواب **﴿حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم﴾** من العذاب **﴿حقاً﴾**؟ وهذا سؤال تعييرٍ وتقريرٍ، فأجاب أهل النَّار و **﴿قالوا نعم فأذَّن مؤذنٍ بينهم﴾** نادىٰ منادٍ وسطهم نداءً يُسمع الفريقين، وهو صاحب الصُّور **﴿أن لعنة الله على الظالمين﴾**.

﴿٤٥﴾ **﴿الذين يصدون﴾** يمنعون **﴿عن سبيل الله﴾** دين الله وطاعته **﴿ويبغونها عوجاً﴾** ويطلبونها بالصَّلاة لغير الله، وتعظيم ما لم يعظِّمه الله.

﴿٤٦﴾ **﴿وبينهما﴾** بين أهل الجنَّة وبين أهل النَّار **﴿حجاب﴾** حاجزٌ، وهو سور الأعراف **﴿وعلىٰ الأعراف﴾** يريد: سور الجنَّة **﴿رجال﴾** وهم الذين استوت حسناتهم وسيئاتهم **﴿يعرفون كلًا بسيماهم﴾** يعرفون أهل الجنَّة ببياض الوجوه، وأهل النَّار بسوادها، وذلك لأنَّ موضعهم عالٍ مرتفع، فهم يرون الفريقين **﴿ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾** إذا نظروا إلى الجنَّة سلَّموا على أهلها **﴿لم يدخلوها﴾** يعني: أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنَّة **﴿وهم يطمعون﴾** في دخولها.

﴿٤٧﴾ **﴿وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار﴾** أيْ: جهة لقائهم.

وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا۟ عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا

﴿٤٨﴾ ﴿**ونادىٰ أصحاب الأعراف رجالاً**﴾ من أهل النَّار ﴿**يعرفونهم بسيماهم**﴾ من رؤساء المشركين فيقولون لهم: ﴿**ما أغنىٰ عنكم جمعكم**﴾ المال واستكثاركم منه ﴿**وما كنتم تستكبرون**﴾ عن عبادة الله، ثمَّ يقسم أصحاب النَّار أنَّ أصحاب الأعراف داخلون معهم النَّار، فتقول الملائكة الذين حبسوا أصحاب الأعراف:

﴿٤٩﴾ ﴿**أهؤلاء الذين أقسمتم**﴾ يا أصحاب النَّار ﴿**لا ينالهم الله برحمة**﴾ يقولون لأصحاب الأعراف: ﴿**ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون**﴾.

﴿٥٠﴾ ﴿**ونادىٰ أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله**﴾ يعني: الطَّعام، وهذا يدلُّ على جوعهم وعطشهم ﴿**قالوا إنَّ الله حرمهما على الكافرين**﴾ تحريم منع [لا تحريم تعبُّدٍ].

﴿٥١﴾ ﴿**الذين اتخذوا دينهم**﴾ الذي شُرع لهم ﴿**لهواً ولعباً**﴾ يعني: المستهزئين المُقتسمين ﴿**فاليوم ننساهم**﴾ نتركهم في جهنَّم ﴿**كما نسوا لقاء يومهم هذا**﴾ كما تركوا العمل لهذا اليوم ﴿**وما كانوا بآياتنا يجحدون**﴾ أَيْ: وكما جحدوا بآياتنا ولم يُصدِّقوها.

﴿٥٢﴾ ﴿**ولقد جئناهم**﴾ يعني: المشركين ﴿**بكتاب**﴾ هو القرآن ﴿**فصلناه**﴾ بيّناه ﴿**علىٰ علم**﴾ فيه. يعني: ما أُودع من العلوم وبيان الأحكام ﴿**هدىٰ**﴾ هادياً ﴿**ورحمة**﴾ وذا رحمةٍ ﴿**لقوم يؤمنون**﴾ لقومٍ أريد به هدايتهم وإيمانهم.

﴿٥٣﴾ ﴿**هل ينظرون**﴾ ينتظرون، أَيْ: كأنَّهم ينتظرون ذلك؛ لأنَّه يأتيهم لا محالة ﴿**إلاَّ**

تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾

تأويله﴾ عاقبة ما وعد الله في الكتاب من البعث والنُّشور **﴿يوم يأتي تأويله﴾** وهو يوم القيامة **﴿يقول الذين نسوه من قبل﴾** تركوا الإِيمان به والعمل له من قبل إتيانه: **﴿قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾** بالصِّدق والبيان **﴿فهل لنا من شفعاء﴾** هل يشفع لنا شافعٌ؟ **﴿أو﴾** هل **﴿نردُّ﴾** إلى الدُّنيا **﴿فنعمل غير الذي كنا نعمل﴾** نوحِّد الله ونترك الشِّرك، يقول الله: **﴿قد خسروا أنفسهم﴾** حين صاروا إلى الهلاك **﴿وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾** سقط عنهم ما كانوا يقولونه مِنْ أنَّ مع الله إلَهاً آخر.

﴿٥٤﴾ **﴿إنَّ ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام﴾** أَيْ: في مقدار ستة أيَّامٍ، من الأحد إلى السَّبت، واجتمع الخلق في الجمعة **﴿ثم استوىٰ على العرش﴾** أقبل علىٰ خلقه، وقصد إلى ذلك بعد خلق السَّموات والأرض **﴿يغشي الليل النهار﴾** يُلبسه ويُدخله عليه **﴿يطلبه حثيثاً﴾** يطلب اللَّيل دائباً لا غفلة له **﴿والشمس﴾** وخلق الشَّمس **﴿والقمر والنجوم مسخرات﴾** مُذلَّلاتٍ لما يُراد منها من طلوعٍ وأُفولٍ، وسيرٍ ورجوعٍ **﴿بأمره﴾** بإذنه **﴿ألا له الخلق﴾** يعني: إنَّ جميع ما في العالم مخلوق له **﴿و﴾** له **﴿الأمر﴾** فيهم، يأمر بما أراد **﴿تبارك الله﴾** تمجَّد وتعظَّم وارتفع وتعالىٰ.

﴿٥٥﴾ **﴿ادعوا ربكم تضرُّعاً﴾** أَيْ: تملُّقاً **﴿وخفية﴾** سرّاً **﴿إنَّه لا يحب المعتدين﴾** المجاوزين ما أُمروا به.

وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾

﴿٥٦﴾ ﴿**ولا تفسدوا في الأرض**﴾ بالشِّرك والمعاصي وسفك الدِّماء ﴿**بعد**﴾ إصلاح الله إياها ببعث الرَّسول ﴿**وادعوه خوفاً**﴾ من عقابه ﴿**وطمعاً**﴾ في ثوابه ﴿**إنَّ رحمة الله**﴾ ثوابَ الله ﴿**قريب من المحسنين**﴾ وهم الذين يطيعون الله فيما أمر.

﴿٥٧﴾ ﴿**وهو الذي يرسل الرياح نُشْراً**﴾[1] طيِّبة ليِّنة، من النَّشر وهو الرَّائحة الطَّيِّبة. وقيل: مُتفرِّقةً في كلِّ جانبٍ، بمعنىٰ المنتشرة ﴿**بين يدي رحمته**﴾ قدَّام مطره ﴿**حتىٰ إذا أقلَّت**﴾ أيْ: حملت هذه الرِّياح ﴿**سحاباً ثقالاً**﴾ بما فيها من الماء سُقنا السَّحاب ﴿**لبلد ميت**﴾ إلى مكانٍ ليس فيه نباتٌ ﴿**فأنزلنا به**﴾ بذلك البلد ﴿**الماء فأخرجنا**﴾ بذلك الماء ﴿**من كلِّ الثمرات كذلك نخرج الموتىٰ**﴾ أيْ: نحيي الموتىٰ مثل ذلك الإحياء الذي وصفناه في البلد الميت ﴿**لعلكم تذكرون**﴾ لعلَّكم بما بيَّنا تتَّعظون، فتستدلُّون على توحيد الله وقدرته على البعث، ثمَّ ضرب مثلاً للمؤمن والكافر فقال:

﴿٥٨﴾ ﴿**والبلد الطيب**﴾ يعني: العذبُ التُّراب ﴿**يخرج نباته بإذن ربه**﴾ وهذا مثل المؤمن يسمع القرآن فينتفع به، ويحسن أثره عليه ﴿**والذي خبث**﴾ ترابه وأصله ﴿**لا يخرج**﴾ نباته ﴿**إلاَّ نكداً**﴾ عسراً مُبطئاً، وهو مثل الكافر يسمع القرآن، ولا يُؤثِّر فيه أثراً محموداً، كالبلد الخبيث لا يُؤثِّر فيه المطر ﴿**كذلك نصرِّف الآيات**﴾ نبيِّنها ﴿**لقوم يشكرون**﴾ نِعَمَ الله ويطيعونه.

---

(١) قرأ «نُشراً» ابن عامر الدمشقي. الإتحاف ص ٢٢٦.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٧﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ

﴿٥٩﴾ **﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾** ظاهرٌ إلى قوله:

﴿٦٢﴾ **﴿وأنصح لكم﴾** أَيْ: أدعوكم إلى ما دعاني الله إليه **﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾** من أنَّه غفورٌ لِمَنْ رجع عن معاصيه، وأنَّ عذابه أليمٌ لمن أصرَّ عليها.

﴿٦٣﴾ **﴿أوَعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم﴾** موعظةٌ من الله **﴿علىٰ رجل﴾** على لسان رجل **﴿منكم﴾** تعرفون نسبه. وقوله:

﴿٦٤﴾ **﴿إنهم كانوا قوماً عمين﴾** عميت قلوبهم عن معرفة الله تعالىٰ وقدرته.

﴿٦٥﴾ **﴿وإلىٰ عاد أخاهم﴾** وأرسلنا إلى عادٍ أخاهم ابن أبيهم **﴿هوداً قال يا قوم اعبدوا الله﴾** وحِّدوا الله **﴿ما لكم من إلٰه غيره أفلا تتقون﴾** أفلا تخافون نقمته.

﴿٦٦﴾ **﴿قال الملأ﴾** الرُّؤساء والجماعة **﴿الذين كفروا من قومه إنَّا لنراك في سفاهة﴾** حمقٍ وجهلٍ **﴿وإنا لنظنك من الكاذبين﴾** فيما جئت به من ادِّعاء النُّبوَّة. وقوله:

﴿٦٨﴾ **﴿ناصح أمين﴾** أَيْ: علىٰ الرِّسالة لا أكذب فيها.

﴿٦٩﴾ **﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوحٍ﴾** أَيْ: استخلفكم في الأرض بعد

وَزَادَكُمْ فِي ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا

هلاكهم **﴿وزادكم في الخلق بسطة﴾** فضيلةً في الطُّول **﴿فاذكروا آلاء الله﴾** نِعَمَ الله عليكم **﴿لعلكم تفلحون﴾** كي تسعدوا وتبقوا في الجنَّة، وقوله:

﴿٧٠﴾ **﴿فأتنا بما تعدنا﴾** أَيْ: من العذاب **﴿إن كنت من الصادقين﴾** أنَّ العذاب نازلٌ بنا.

﴿٧١﴾ **﴿قال: قد وقع﴾** وجب **﴿عليكم من ربكم رجس وغضب﴾** عذابٌ وسخطٌ **﴿أتجادلونني في أسماء سَمَّيْتُموها﴾** كانت لهم أصنام سمَّوها أسماءً مختلفةً، فلمَّا دعاهم الرَّسول إلىٰ التَّوحيد استنكروا عبادة الله وحده. **﴿ما نَزَّلَ الله بها من سلطان﴾** من حجةٍ وبرهانٍ لكم في عبادتها **﴿فانتظروا﴾** العذاب **﴿إني معكم من المنتظرين﴾** ذلك في تكذيبهم إيَّاي، وقوله:

﴿٧٣﴾ **﴿فذروها تأكل في أرض الله﴾** أَيْ: سهَّل الله عليكم أمرها، فليس عليكم رزقها ولا مؤونتها، وقوله:

﴿٧٤﴾ **﴿وبوَّأكم في الأرض﴾** أَيْ: أسكنكم وجعل لكم فيها مساكن **﴿تتخذون من سهولها قصوراً﴾** تبنون القصور بكلِّ موضعٍ **﴿وتنحتون الجبال بيوتاً﴾** يريد: بيوتاً في الجبال تُشققونها، وكانوا يسكنونها شتاءً، ويسكنون القصور بالصَّيف.

فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

﴿٧٥﴾ ﴿**قال الملأ**﴾ وهم الأشراف ﴿**الذين استكبروا من قومه**﴾ عن عبادة الله ﴿**للذين استضعفوا**﴾ يريد المساكين ﴿**لمن آمن منهم**﴾ بدلٌ من قوله: ﴿**للذين استضعفوا**﴾ لأنَّهم المؤمنون.

﴿٧٧﴾ ﴿**فعقروا الناقة**﴾ نحروها ﴿**وعتوا عن أمر ربهم**﴾ عصوا الله وتركوا أمره في النَّاقة ﴿**وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا**﴾ من العذاب.

﴿٧٨﴾ ﴿**فأخذتهم الرجفة**﴾ وهي الزَّلزلة الشَّديدة ﴿**فأصبحوا في دارهم**﴾ بلدهم ﴿**جاثمين**﴾ خامدين ميِّتين.

﴿٧٩﴾ ﴿**فتولىٰ عنهم**﴾ أعرض عنهم صالحٌ بعد نزول العذاب بهم ﴿**وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم**﴾ خوَّفتكم عقاب الله، وهذا كما خاطب رسول الله ﷺ قتلىٰ بدر.

﴿٨٠﴾ ﴿**ولوطاً**﴾ وأرسلنا لوطاً، أَيْ: واذكر لوطاً ﴿**إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة**﴾ يعني: إتيان الذُّكور ﴿**ما سبقكم بها من أحد من العالمين**﴾ قالوا: ما نزا ذَكَرٌ على ذَكَرٍ حتىٰ كان قوم لوطٍ.

﴿٨١﴾ ﴿**إنكم لتأتون الرجال...**﴾ الآية.

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُواْ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾

﴿٨٢﴾ **﴿وما كان جواب قومه إلاَّ أن قالوا أخرجوهم من قريتكم﴾** يعني: لوطاً وأتباعه **﴿إنهم أناس يتطهرون﴾** عن إتيان الرِّجال في أدبارهم.

﴿٨٣﴾ **﴿فأنجيناه وأهله﴾** ابنتيه **﴿إلاَّ امرأته كانت من الغابرين﴾** الباقين في عذاب الله.

﴿٨٤﴾ **﴿وأمطرنا عليهم مطراً﴾** يعني: حجارةً.

﴿٨٥﴾ **﴿وإلىٰ مدين﴾** وهم قبيلةٌ من ولد إبراهيم عليه السَّلام **﴿قد جاءتكم بينة من ربكم﴾** موعظةٌ **﴿فأوفوا الكيل والميزان﴾** أَتِمُّوهُمَا، وكانوا أهلَ كفرٍ وبخس للمكيال والميزان **﴿ولا تفسدوا في الأرض﴾** لا تعملوا فيها بالمعاصي بعد أنْ أصلحها الله ببعثة شعيبٍ والأمر بالعدل.

﴿٨٦﴾ **﴿ولا تقعدوا بكلِّ صراط توعدون﴾** لا تقعدوا على طريق النَّاس، فتخوِّفون أهل الإِيمان بشعيبٍ بالقتل ونحو ذلك [وتأخذون ثياب من مرَّ بكم من الغرباء][1] **﴿وتصدون عن سبيل الله من آمن به﴾** وتصرفون عن الإِسلام مَنْ آمن بشعيب **﴿وتبغونها عوجاً﴾** تلتمسون لها الزَّيغ **﴿واذكروا إذْ كنتم قليلاً فكثَّركم﴾** بعد القلَّة،

---

(١) زيادة من ظ.

وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُواْ فَٱصْبِرُواْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ بَيْنَنَاۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَاۚ وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَاۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًاۚ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَاۚ رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩١﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَاۚ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٢﴾ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾

وأعزّكم بعد الذِّلة، وذلك أنّه كان مدين بن إبراهيم، وزوجه ريثا بنت لوط، فولدت حتىٰ كثر عدد أولادها.

الجزء التاسع:

﴿٨٨﴾ **﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنَّ في ملتنا﴾** معناه أنّهم قالوا لشعيب وأصحابه: ليكوننَّ أحد الأمرين؛ إمّا الإخراج من القرية؛ أو عودكم في ملّتنا، ولا نفارقكم على مخالفتنا، فقال شعيب: **﴿أو لو كنا كارهين﴾** أَيْ: تجبروننا علىٰ العود في ملّتكم، وإنْ كرهنا ذلك؟ وقوله:

﴿٨٩﴾ **﴿وما يكون لنا أن نعود فيها إلاّ أن يشاء الله ربنا﴾** أَيْ: إلاّ أن يكون قد سبق في علم الله وفي مشيئته أن نعود فيها **﴿وَسِعَ ربنا كلَّ شيء علماً﴾** علم ما يكون قبل أن يكون **﴿ربنا افتح﴾** احكم واقضِ **﴿بيننا وبين قومنا بالحق﴾**، وقوله:

﴿٩٢﴾ **﴿كأن لم يغنوا فيها﴾** أَيْ: لم يقيموا فيها، ولم ينزلوا، وقوله:

﴿٩٣﴾ **﴿فكيف آسىٰ على قوم كافرين﴾** أَيْ: كيف يشتدُّ حزني عليهم، ومعناه: الإنكار. أَيْ: لا آسىٰ.

وَمَآ أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ

﴿٩٤﴾ **﴿وما أرسلنا في قرية﴾** في مدينةٍ **﴿من نبي﴾** فكذَّبه أهلها **﴿إلاَّ أخذنا﴾** هم **﴿بالبأساء والضراء﴾** بالفقر والجوع **﴿لعلهم يضَّرَّعون﴾** كي يستكينوا ويرجعوا.

﴿٩٥﴾ **﴿ثمَّ بدلنا مكان السيئة الحسنة﴾** بدل البؤسِ والمرضِ الغنىٰ والصحَّة **﴿حتىٰ عفوا﴾** كثروا وسمنوا، وسمنت أموالهم **﴿وقالوا﴾** من غِرَّتهم وجهلهم: **﴿قد مسَّ آباءنا الضراء والسراء﴾** قد أصاب آباءنا في الدَّهر مثل ما أصابنا، وتلك عادة الدَّهر، ولم يكن ما مسَّنا عقوبةً من الله، فكونوا علىٰ ما أنتم عليه، فلمَّا فسدوا على الأمرين جميعاً أخذهم الله بغتة **﴿وهم لا يشعرون﴾** بنزول العذاب، وهذا تخويفٌ لمشركي قريش.

﴿٩٦﴾ **﴿ولو أنَّ أهل القرىٰ آمنوا﴾** وحَّدوا الله **﴿واتقوا﴾** الشِّرك **﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء﴾** بالمطر **﴿و﴾** من **﴿الأرض﴾** بالنَّبات والثِّمار **﴿ولكن كذبوا﴾** الرُّسل **﴿فأخذناهم﴾** بالجدوبة والقحط **﴿بما كانوا يكسبون﴾** من الكفر والمعصية.

﴿٩٧﴾ **﴿أفأمن أهل القرىٰ﴾** يعني: أهل مكَّة وما حولها، ومعنىٰ هذه الآية وما بعدها: أنَّه لا يجوز لهم أن يأمنوا ليلاً ولا نهاراً بعد تكذيب محمَّدٍ ﷺ، وقوله:

﴿٩٨﴾ **﴿وهم يلعبون﴾** أيْ: وهم في غير ما يُجدي عليهم.

﴿٩٩﴾ **﴿أفأمنوا مكر الله﴾** عذاب الله أن يأتيهم بغتةً.

﴿١٠٠﴾ **﴿أوَلَمْ يهد﴾** يتبيَّن **﴿للذين يرثون الأرض من بعد أهلها﴾** كفار مكَّة ومَنْ حولهم

أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ

﴿أن لو نشاء أصبناهم﴾ عذَّبناهم ﴿بذنوبهم﴾ ثمَّ ﴿نطبع على قلوبهم﴾ حتىٰ يموتوا على الكفر، فيدخلوا النَّار، والمعنىٰ: ألم يعلموا أنَّا لو نشاء فعلنا ذلك.

﴿١٠١﴾ ﴿تلك القرىٰ﴾ التي أهلكتُ أهلها ﴿نقص عليك من أنبائها﴾ نتلو عليك من أخبارها، كيف أُهلكت ﴿ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات﴾ يعني: الذين أُرسلوا إليهم ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل﴾ فما كان أولئك الكفَّار ليؤمنوا عند إرسال الرُّسل بما كذَّبوا يوم أخذ ميثاقهم، فأقرُّوا بلسانهم وأضمروا التَّكذيب ﴿كذلك﴾ أَيْ: مثل ذلك الذي طبع الله على قلوب كفَّار الأمم ﴿يطبع الله على قلوب الكافرين﴾ الذين كتب عليهم ألَّا يؤمنوا أبداً.

﴿١٠٢﴾ ﴿وما وجدنا لأكثرهم من عهد﴾ يعني: الوفاء بالعهد الذي عاهدهم يوم الميثاق.

﴿١٠٣﴾ ﴿ثم بعثنا من بعدهم﴾ الأنبياء الذين جرىٰ ذكرهم ﴿موسىٰ بآياتنا إلى فرعون ومَلَئِهِ فظلموا بها﴾ فجحدوا بها وكذَّبوا ﴿فانظر﴾ بعين قلبك ﴿كيف كان﴾ عاقبتهم، وكيف فعلنا بهم، وقوله:

﴿١٠٥﴾ ﴿حقيق علىٰ أن لا أقول﴾ أَيْ: أنا حقيقٌ بأن لا أقول ﴿على الله إلَّا﴾ ما هو ﴿الحق﴾ وهو أنَّه واحدٌ لا شريك له ﴿قد جئتكم ببينة من ربكم﴾ [أي: بأمرٍ من

فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿١١٠﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ﴿١١٥﴾

ربِّكم][1] وهو العصا ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾ أَيْ: أطلق عليهم، وخلِّهم، وكان فرعون قد استخدمهم في الأعمال الشَّاقة، وقوله:

﴿١٠٧﴾ ﴿فإذا هي﴾ أَيْ: العصا ﴿ثعبان﴾ وهو أعظم ما يكون من الحيَّات ﴿مبين﴾ بيِّنٌ أنَّه حيَّة لا لبس فيه.

﴿١٠٨﴾ ﴿ونزع يده﴾ أخرجها من جيبه.

﴿١١٠﴾ ﴿يريد أن يخرجكم من أرضكم﴾ هذا قول الأشراف من قوم فرعون، قالوا: يريد موسىٰ أن يخرجكم معشرَ القبط من أرضكم، ويزيل ملككم بتقوية عدوِّكم بني إسرائيل، فقال فرعون لهم: ﴿فماذا تأمرون﴾ أَيش تُشيرون به عليَّ؟

﴿١١١﴾ ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾ أَخِّرْ أمره وأمر أخيه ولا تعجل ﴿وأرسل في المدائن﴾ في مدائن صعيد مصر ﴿حاشرين﴾ رجالاً يحشرون إليك مَنْ في الصَّعيد من السَّحرة، فأرسل ﴿وجاء السحرة فرعون﴾ وطالبوه بالمال والجوائز إنْ غلبوه، فأجابهم فرعون إلىٰ ذلك، وهوقوله:

﴿١١٤﴾ ﴿نعم وإنكم لمن المقربين﴾ أَيْ: ولكم من الأجر المنزلة الرَّفيعة عندي.

﴿١١٥﴾ ﴿قالوا يا موسىٰ إمَّا أن تلقي﴾ عصاك ﴿وإمَّا أن نكون نحن الملقين﴾ ما معنا من الحبال والعصي.

---

(١) زيادة من ظا.

قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾

﴿١١٦﴾ **﴿قال ألقوا فلما أَلْقَوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم﴾** قلبوها عن صحَّة إدراكها حيث رأوها حيَّات **﴿وجاؤوا بسحر عظيم﴾** وذلك أنَّهم ألقوا حبالاً غلاظاً فإذا هي حيَّاتٌ قد ملأت الوادي.

﴿١١٧﴾ **﴿وأوحينا إلى موسىٰ أن ألقِ عصاك فإذا هي تلقف﴾** تبتلع **﴿ما يأفكون﴾** يكذبون فيه، وذلك أنَّهم زعموا أنَّ عصيَّهم وحبالهم حَيّاتٍ، وكذبوا في ذلك.

﴿١١٨﴾ **﴿فوقع الحق﴾** ظهر وغلب.

﴿١١٩﴾ **﴿فغلبوا هنالك وانقلبوا﴾** وانصرفوا **﴿صاغرين﴾** ذليلين.

﴿١٢٠﴾ **﴿وألقي السحرة ساجدين﴾** خرُّوا لله عابدين سامعين مطيعين.

﴿١٢٣﴾ **﴿قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم﴾** أصدَّقتم موسىٰ من قبل أمري إيَّاكم؟! **﴿إنَّ هذا لمكر مكرتموه في المدينة﴾** لصنيعٌ صنعتموه فيما بينكم وبين موسىٰ في مصر قبل خروجكم إلىٰ هذا الموضع **﴿لتخرجوا منها أهلها﴾** لتستولوا على مصر فتخرجوا منها أهلها، وتتغلبوا عليها بسحركم **﴿فسوف تعلمون﴾** ما يظهر لكم.

﴿١٢٤﴾ **﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾** على مخالفة، وهو أن يقطع من كلِّ شقٍّ طرف.

﴿١٢٥﴾ **﴿قالوا إنا إلىٰ ربنا منقلبون﴾** راجعون بالتَّوحيد والإخلاص.

وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَاۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ

﴿١٢٦﴾ **﴿وما تنقم منا﴾** وما تطعن علينا ولا تكره منَّا **﴿إلَّا أن آمنا بآيات ربنا﴾** ما أتىٰ به موسىٰ من العصا واليد **﴿ربنا أفرغ علينا صبراً﴾** اصبب علينا الصَّبر عند الصَّلب والقطع حتىٰ لا نرجع كفَّاراً **﴿وتوفنا مسلمين﴾** على دين موسىٰ، ثمَّ أغرىٰ الملأ من قوم فرعون بموسىٰ فقالوا:

﴿١٢٧﴾ **﴿أتذر موسىٰ وقومه ليفسدوا في الأرض﴾** ليدعوا النَّاس إلى مخالفتك وعبادة غيرك **﴿ويذرك وآلهتك﴾** وذلك أنَّ فرعون كان قد صنع لقومه أصناماً صغاراً، وأمرهم بعبادتها وقال: أنا ربُّكم وربُّ هذه الأصنام، فذلك قوله: **﴿أنا ربُّكم الأعلىٰ﴾**، فقال فرعون: **﴿سنقتل أَبْناءَهم﴾** وكان قد ترك قتل أبناء بني إسرائيل، فلمَّا كان من أمر موسىٰ ما كان أعاد عليهم القتل، فذلك قوله: **﴿سنقتل أبناءهم ونَسْتَحْيِـيْ نساءهم﴾** للمهنة والخدمة **﴿وإنا فوقهم قاهرون﴾** وإنَّا على ذلك قادرون، فشكا بنو إسرائيل إلى موسىٰ إعادة القتل على أبنائهم، فقال لهم موسىٰ:

﴿١٢٨﴾ **﴿استعينوا بالله واصبروا﴾** علىٰ ما يُفعل بكم **﴿إنَّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده﴾** أطمعهم موسىٰ أن يعطيهم الله ملكهم ومالهم **﴿والعاقبة للمتقين﴾** أَيْ: الجنَّة لمن اتَّقىٰ. وقيل: النَّصر والظَّفر.

﴿١٢٩﴾ **﴿قالوا أوذينا﴾** بالقتل الأوَّل **﴿من قبل أن تأتينا﴾** بالرِّسالة **﴿ومن بعد ما جئتنا﴾** بإعادة القتل علينا، والإتعاب في العمل **﴿قال: عسىٰ ربكم أن يهلك عدوكم﴾** فرعون وقومه **﴿ويستخلفكم في الأرض﴾** يُملِّككم ما كان يملك فرعون **﴿فينظر**

كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ

كيف تعملون﴾ فيرىٰ ذلك لوقوع ذلك منكم.

﴿١٣٠﴾ **﴿ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين﴾** بالجدوب لأهل البوادي **﴿ونقص من الثمرات﴾** لأهل القرى، [وصرَّفنا الآيات: بيَّناها لهم من كلِّ نوعٍ][1] **﴿لعلهم يذكرون﴾** كي يتَّعظوا.

﴿١٣١﴾ **﴿فإذا جاءتهم الحسنة﴾** الخصب وسعة الرِّزق **﴿قالوا لنا هذه﴾** أَيْ: إنَّا مستحقُّوه على العادة التي جرت لنا من النِّعمة، ولم يعلموا أنَّه من الله فيشكروا عليه **﴿وإن تصبهم سيئة﴾** قحط وجدب **﴿يطيروا﴾** يتشاءموا **﴿بموسىٰ﴾** وقومه، وقالوا: إنَّما أصابنا هذا الشرُّ بشؤمهم **﴿ألا إنَّما طائرهم عند الله﴾** شؤمهم جاءهم بكفرهم بالله **﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾** أنَّ الذي أصابهم من الله.

﴿١٣٢﴾ **﴿وقالوا﴾** لموسىٰ: **﴿مهما تأتنا به﴾** أَيْ: متىٰ ما تأتنا به **﴿من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين﴾** فدعا عليهم موسىٰ، فأرسل الله عليهم السَّماء بالماء حتىٰ امتلأت بيوت القِبْطِ ماءً، ولم يدخل بيوت بني إسرائيل من الماء قطرة، فذلك قوله:

﴿١٣٣﴾ **﴿فأرسلنا عليهم الطوفان﴾** ودام ذلك سبعة أيَّام، فقالوا: **﴿يا موسىٰ ادعُ لنا ربك﴾** يكشف عنا فنؤمن لك، فدعا ربَّه فكشف، فلم يؤمنوا فبعث الله عليهم الجراد، فأكلت عامَّة زروعهم وثمارهم، فوعدوه أن يؤمنوا إن كشف عنهم، فكشف فلم

---

(١) ما بين [ ] زيادة من الأصل ورقة ٤٥ ب، وهي زيادة لا محل لها، إذ ليس في الآية ﴿وصرفنا الآيات﴾ ولا ندري هل هذا الوهم من المؤلف أو الناسخ، ولعلَّه من الناسخ أقرب، علىٰ أن للمؤلف بعض الأخطاء في الآيات أحياناً كما بيناه سابقاً.

ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ

يؤمنوا، فبعث الله عليهم القمَّل، وهو الدّباء الصِّغار [البق] التي لا أجنحة لها، فتتبَّعَ ما بقي من حروثهم وأشجارهم، فصرخوا فكشف عنهم، فلم يؤمنوا، فعادوا بكفرهم، فأرسل الله عليهم الضَّفادع تدخل في طعامهم وشرابهم، فعاهدوا موسىٰ أن يؤمنوا، فكشف عنهم فعادوا لكفرهم، فأرسل الله عليهم الدَّم، فسال النِّيل عليهم دماً، وصارت مياههم كلُّها دماً، فذلك قوله:

﴿آيات مفصلات﴾ مبيَّنات ﴿فاستكبروا﴾ عن عبادة الله.

﴿١٣٤﴾ ﴿ولما وقع عليهم الرجز﴾ أيْ: العذاب، وهو ما كانوا فيه من الجراد وما ذكر بعده ﴿قالوا يا موسىٰ ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾ بما أوصاك به وتقدَّم إليك أن تدعوه به ﴿لئن كشفت عنا الرجز لنؤمننَّ لك ولنرسلنَّ معك بني إسرائيل﴾، وقوله:

﴿١٣٥﴾ ﴿إلىٰ أجل هم بالغوه﴾ يعني: إلى الأجل الذي غرَّقهم فيه ﴿إذا هم ينكثون﴾ ينقضون العهد ولا يوفون.

﴿١٣٦﴾ ﴿فانتقمنا منهم﴾ سلبنا نعمتهم بالعذاب ﴿فأغرقناهم في اليم﴾ في البحر ﴿بأنهم كذبوا بآياتنا﴾ جزاء تكذيبهم ﴿وكانوا عنها غافلين﴾ غير معتبرين بها.

﴿١٣٧﴾ ﴿وأورثنا القوم﴾ ملَّكناهم ﴿الذين كانوا يستضعفون﴾ بقتل أبنائهم واستخدام نسائهم ﴿مشارق الأرض ومغاربها﴾ جهات شرق أرض الشَّام، وجهات غربها، ﴿التي باركنا فيها﴾ بإخراج الزُّروع والثِّمار، والأنهار والعيون ﴿وتمت كلمة ربك

ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ ﴿١٣٧﴾ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾ ۞ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا

الحسنىٰ﴾ مواعيده التي لا خلف فيها بما كانوا يحبُّون، وذلك جزاء صبرهم على صنيع فرعون **﴿ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه﴾** أهلكنا ما عمل فرعون وقومه في أرض مصر **﴿وما كانوا يعرشون﴾** وما بنوا المنازل والبيوت.

﴿١٣٨﴾ **﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر﴾** عبرنا بهم البحر **﴿فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم﴾** يعبدونها مقيمين عليها **﴿قالوا يا موسىٰ اجعل لنا إلَهاً﴾** من دون الله **﴿كما لهم آلهة قال إنكم قومٌ تجهلون﴾** نعمة الله عليكم وما صنع بكم، حيث توهَّمتم أنَّه يجوز عبادة غيره.

﴿١٣٩﴾ **﴿إنَّ هؤلاء﴾** يعني: الذين عكفوا على أصنامهم **﴿متبَّرٌ ما هم فيه﴾** مهلَكٌ ومدَمَّرٌ **﴿وباطل ما كانوا يعملون﴾** يعني: إنَّ عملهم للشَّيطان، ليس لله فيه نصيبٌ.

﴿١٤٠﴾ **﴿قال أغير الله أبغيكم﴾** أطلب لكم **﴿إلَهاً﴾** معبوداً **﴿وهو فضلكم على العالمين﴾** علىٰ عالمي زمانكم بما أعطاكم من الكرامات.

﴿١٤٢﴾ **﴿وواعدنا موسىٰ ثلاثين ليلة﴾** يترقَّب انقضاءها للمناجاة، وهي ذو القعدة. أمره الله تعالىٰ أن يصوم فيها، فلمَّا انسلخ الشَّهر استاك لمناجاة ربِّه يريد إزالة الخلوف، فأُمر بصيام عشرةٍ من ذي الحجَّة؛ ليكلِّمه بخُلوفِ فيه، فذلك قوله[1]: **﴿وأتممناها**

---

(١) ورد هذا في حديثٍ ضعيفٍ عن ابن عباسٍ رفعه للنبيِّ ﷺ. أخرجه الديلمي. انظر الدر المنثور ٣/٥٣٥.

بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ

بعشر فتمَّ ميقات ربِّه﴾ أَيْ: الوقت الذي قدَّره الله لصوم موسىٰ **﴿أربعين ليلة﴾** فلمَّا أراد الانطلاق إلى الجبل استخلف أخاه هارون على قومه، وهو معنىٰ قوله: **﴿وقال موسىٰ لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح﴾** أَيْ: وارفق بهم **﴿ولا تتبع سبيل المفسدين﴾** لا تطع مَنْ عصىٰ الله، ولا توافقه على أمره.

﴿١٤٣﴾ **﴿ولما جاء موسىٰ لميقاتنا﴾** أَيْ: في الوقت الذي وقَّتنا له **﴿وكلمه ربُّه﴾** فلمَّا سمع كلام الله **﴿قال: ربِّ أرني﴾** نفسك **﴿أنظر إليك﴾** والمعنىٰ: إنِّي قد سمعتُ كلامك فأنا أحبُّ أن أراك **﴿قال لن تراني﴾** في الدُّنيا **﴿ولكن﴾** أجعل بيني وبينك ما هو أقوىٰ منك، وهو الجبل **﴿فإن استقر مكانه﴾** أَيْ: سكن وثبت **﴿فسوف تراني﴾** وإن لم يستقرَّ مكانه فإنَّك لا تطيق رؤيتي، كما أنَّ الجبل لا يطيق رؤيتي **﴿فلما تجلىٰ ربه﴾** أَيْ: ظهر وبان **﴿جعله دكاً﴾** أَيْ: مدقوقاً مع الأرض كِسَراً تراباً **﴿وخرَّ﴾** وسقط **﴿موسىٰ صعقاً﴾** مغشياً عليه **﴿فلما أفاق قال سبحانك﴾** تنزيهاً لك من السُّوء **﴿تبتُ إليك﴾** من مسألتي الرُّؤية في الدُّنيا **﴿وأنا أول المؤمنين﴾** أوَّل قومي إيماناً.

﴿١٤٤﴾ **﴿قال يا موسىٰ إني اصطفيتك﴾** اتَّخذتك صفوةً **﴿على الناس برسالاتي﴾** أَيْ: بوحيي إليك **﴿وبكلامي﴾** كلَّمتك من غير واسطة **﴿فخذ ما آتيتك﴾** من الشَّرف والفضيلة **﴿وكن من الشاكرين﴾** لأنعمي في الدنيا والآخرة.

﴿١٤٥﴾ **﴿وكتبنا له في الألواح﴾** يعني: ألواح التَّوراة **﴿من كل شيء﴾** يحتاج إليه في أمر

مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِن بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾

دينه ﴿**موعظة**﴾ نهياً عن الجهل ﴿**وتفصيلاً لكل شيء**﴾ من الحلال والحرام ﴿**فخذها**﴾ أَيْ: وقلنا له: فخذها ﴿**بقوة**﴾ بجدٍّ وصحَّةٍ وعزيمةٍ ﴿**وأمر قومك**﴾ أن ﴿**يأخذوا بأحسنها**﴾ أَيْ: بحسنها، وكلُّها حسن ﴿**سأريكم دار الفاسقين**﴾ يعني: جهنَّم، أَيْ: ولتكن على ذكرٍ منكم لتحذروا أن تكونوا منهم.

﴿١٤٦﴾ ﴿**سأصرف عن آياتي**﴾ يعني: السَّموات والأرض. أصرفهم عن الاعتبار بما فيها ﴿**الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق**﴾ يعني: المشركين. يقول: أعاقبهم بحرمان الهداية ﴿**وإن يروا سبيل الرشد**﴾ الهدىٰ والبيان الذي جاء من الله ﴿**لا يتخذوه سبيلاً**﴾ ديناً ﴿**وإن يروا سبيل الغي**﴾ طاعة الشَّيطان ﴿**يتخذوه سبيلاً**﴾ ديناً ﴿**ذلك**﴾ فعل الله بهم ﴿**بأنهم كذبوا بآياتنا**﴾ جحدوا الإِيمان بها ﴿**وكانوا عنها غافلين**﴾ غير ناظرين فيها، ولا معتبرين بها.

﴿١٤٧﴾ ﴿**والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة**﴾ يريد: الثَّواب والعقاب ﴿**حبطت أعمالهم**﴾ ضلَّ سعيهم ﴿**هل يجزون إلاَّ ما**﴾ أَيْ: جزاء ما ﴿**كانوا يعملون**﴾.

﴿١٤٨﴾ ﴿**واتخذ قوم موسىٰ من بعده**﴾ أَيْ: من بعد انطلاقه إلى الجبل ﴿**من حليِّهم**﴾ التي بقيت في أيديهم ممَّا استعاروه من القبط ﴿**عجلاً جسداً**﴾ لحماً ودماً ﴿**له خوار**﴾ صوتٌ ﴿**ألم يروا**﴾ يعني: قوم موسىٰ ﴿**أنه**﴾ أنَّ العجل ﴿**لا يكلِّمهم ولا يهديهم سبيلاً**﴾ لا يرشدهم إلىٰ دينٍ. ﴿**اتخذوه**﴾ أَيْ: إلَهاً ومعبوداً ﴿**وكانوا ظالمين**﴾ مشركين.

وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْاْ أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّواْ قَالُواْ لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُواْ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا

﴿١٤٩﴾ ﴿ولما سُقط في أيديهم﴾ أيْ: ندموا على عبادتهم العجل ﴿ورأوا أنهم قد ضلوا﴾ قد ابتلوا بمعصية الله، وهذا كان بعد رجوع موسىٰ إليهم.

﴿١٥٠﴾ ﴿ولما رجع موسىٰ إلى قومه غضبان﴾ عليهم ﴿أسفاً﴾ حزيناً؛ لأنَّ الله تعالى فتنهم ﴿قال بئس ما خلفتموني من بعدي﴾ بئسما عملتم من بعدي حين اتَّخذتم العجل إلٰهاً، وكفرتم بالله ﴿أعجلتم أمر ربكم﴾ أسبقتم باتِّخاذ العجل ميعاد ربِّكم؟ يعني: الأربعين ليلة، وذلك أنَّه كان قد وعدهم أن يأتيهم بعد ثلاثين ليلةً، فلمَّا لم يأتهم على رأس الثَّلاثين قالوا: إنَّه قد مات ﴿وألقىٰ الألواح﴾ التي فيها التَّوراة ﴿وأخذ برأس أخيه﴾ بذؤابته وشعره ﴿يجرُّه إليه﴾ إنكاراً عليه إذ لم يلحقه فَيُعرِّفه ما فعل بنو إسرائيل، كما قال في سورة طه: ﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا ألَّا تتبعنِ...﴾ الآية[1]. فأعلمه هارون أنَّه إنَّما أقام بين أظهرهم خوفاً علىٰ نفسه من القتل، وهو قوله: ﴿قال ابن أمَّ﴾ وكان أخاه لأبيه وأُمِّه، ولكنَّه قال: يا ابنَ أمَّ ليرقِّقه عليه ﴿إنَّ القوم استضعفوني﴾ استذلُّوني وقهروني ﴿وكادوا﴾ وهمُّوا أن ﴿يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء﴾ يعني: أصحاب العجل بضربي وإهانتي ﴿ولا تجعلني﴾ في موجدتك وعقوبتك لي ﴿مع القوم الظالمين﴾ الذين عبدوا العجل، فلمَّا عرف براءة هارون ممَّا يوجب العتب عليه، إذ بلغ من إنكاره على عبدة العجل ما خاف على نفسه القتل.

﴿١٥١﴾ ﴿قال ربِّ اغفر لي﴾ ما صنعتُ إلى أخي ﴿ولأخي﴾ إن قصَّر في الإنكار ﴿وأدخلنا

---

(١) الآية ٩٢.

فِى رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَٱلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِهَا وَءَامَنُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴿١٥٤﴾ وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا ۖ فَلَمَّآ أَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّٰىَ ۖ أَتُهْلِكُنَا

في رحمتك﴾ جنَّتك.

﴿١٥٢﴾ ﴿**إنَّ الذين اتخذوا العجل**﴾ يعني: اليهود الذين كانوا في عصر النبيِّ ﷺ، وهم أبناء الذين اتَّخذوا العجل إلٰهاً، فأضيف إليهم تعييراً لهم بفعل آبائهم ﴿**سينالهم غضب من ربهم**﴾ عذابٌ في الآخرة ﴿**وذلة في الحياة الدنيا**﴾ وهي الجزية ﴿**وكذلك نجزي المفترين**﴾ كذلك أعاقب مَن اتَّخذ إلٰهاً دوني.

﴿١٥٣﴾ ﴿**والذين عملوا السيئات**﴾ الشِّرك ﴿**ثم تابوا**﴾ رجعوا عنها ﴿**وآمنوا**﴾ صدَّقوا أنَّه لا إلٰه غيري ﴿**إنَّ ربك من بعدها**﴾ من بعد التَّوبة ﴿**لغفور رحيم**﴾.

﴿١٥٤﴾ ﴿**ولما سكت**﴾ [سكن][١] ﴿**عن موسىٰ الغضب أخذ الألواح**﴾ التي كان ألقاها ﴿**وفي نسختها**﴾ وفيما كُتب فيها: ﴿**هدىً**﴾ من الضَّلالة ﴿**ورحمة**﴾ من العذاب ﴿**للذين هم لربهم يرهبون**﴾ للخائفين من ربِّهم.

﴿١٥٥﴾ ﴿**واختار موسىٰ قومه**﴾ من قومه ﴿**سبعين رجلاً لميقاتنا**﴾ أمره الله تعالىٰ أن يأتيه في ناسٍ من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل، ووعده لذلك موعداً، فاختار موسىٰ سبعين رجلاً ليعتذروا، فلمَّا سمعوا كلام الله قالوا لموسىٰ: أرنا الله جهرةً فأخذتهم ﴿**الرَّجفة**﴾ وهي الحركة الشَّديدة، فماتوا جميعاً، فقال موسىٰ: ﴿**رب لو شئت أهلكتهم**﴾ وإيَّاي قبل خروجنا للميقات، وكان بنو إسرائيل يُعاينون ذلك ولا يتَّهمونني، وظنَّ أنَّهم أهلكوا باتِّخاذ أصحابهم العجل، فقال: ﴿**أتهلكنا**

---

(١) زيادة من ظ وظا.

بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ ۖ إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ ۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا ۖ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْغَٰفِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ۞ وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ

بما فعل السفهاء منا﴾ وإنَّما أُهلكوا لمسألتهم الرُّؤية **﴿إن هي إلاَّ فتنتك﴾** أَيْ: تلك الفتنة التي وقع فيها السُّفهاء لم تكن إلاَّ فتنتك، أي: اختبارك وابتلاؤك أضللتَ بها قوماً فافتتنوا، وعصمتَ آخرين وهذا معنىٰ قوله: **﴿تضل بها مَنْ تشاء وتهدي مَنْ تشاء﴾**.

﴿١٥٦﴾ **﴿واكتب لنا﴾** أوجب لنا **﴿في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة﴾** أَي: اقبل وفادتنا، ورُدَّنا بالمغفرة والرَّحمة **﴿إنا هُدْنا إليك﴾** تبنا ورجعنا إليك بالتَّوبة **﴿قال عذابي أصيب به من أشاء﴾** آخذ به مَنْ أشاء على الذَّنب اليسير **﴿ورحمتي وسعت كلَّ شيء﴾** يعني: إنَّ رحمته في الدُّنيا وسعت البرَّ والفاجر، وهي في الآخرة للمؤمنين خاصَّةً، وهذا معنىٰ قوله: **﴿فسأكتبها﴾** فسأوجبها في الآخرة **﴿للذين يتقون﴾** يريد: أمَّة محمد ﷺ **﴿ويؤتون الزكاة﴾** صدقات الأموال عند محلها **﴿والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾** يصدِّقون بما أنزل على محمد والنَّبيِّين.

﴿١٥٧﴾ **﴿الذين يتبعون الرسول النبيَّ الأميَّ﴾** وهو الذي لا يكتب ولا يقرأ، وكانت هذه الخلَّة مؤكِّدة لمعجزته في القرآن **﴿الذي يجدونه﴾** بنعته وصفته **﴿مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف﴾** بالتَّوحيد وشرائع الإسلام **﴿وينهاهم عن المنكر﴾** عبادة الأوثان وما لا يُعرف في شريعة **﴿ويحلُّ لهم الطيبات﴾** يعني: ما حرَّم عليهم في التَّوراة من لحوم الإبل، وشحوم الضَّأن **﴿ويحرِّم عليهم**

ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٥٩﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾

﴿الخبائث﴾ الميتة والدَّم، وما ذُكر في سورة المائدة[1]. **﴿ويضع عنهم إصرهم﴾** ويُسقط عنهم ثقل العهد الذي أُخذ عليهم **﴿والأغلال التي كانت عليهم﴾** الشَّدائد التي كانت عليهم، كقطع أَثَر البول، وقتل النَّفس في التَّوبة، [وقطع] الأعضاء الخاطئة **﴿فالذين آمنوا به﴾** من اليهود **﴿وعزَّروه﴾** ووقَّروه **﴿ونصروه﴾** على عدوه **﴿واتبعوا النور الذي أنزل معه﴾** يعني: القرآن. . الآيتين.

﴿١٥٩﴾ **﴿ومن قوم موسىٰ أمة يهدون بالحق﴾** يدعون إلى الحقِّ **﴿وبه يعدلون﴾** وبالحقِّ يحكمون، وهم قوم وراء الصِّين[2] آمنوا بالنبيِّ ﷺ لا يصل إلينا منهم أحد، ولا منَّا إليهم. وقوله:

﴿١٦٠﴾ **﴿فانبجست﴾** أَي: انفجرت، وهذه الآية مفسَّرة في سورة البقرة[3] إلىٰ قوله:

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمت عليكم الميتةُ والدمُ ولحمُ الخنزير، وما أُهلَّ لغير الله به، والمنخنقةُ والموقوذةُ والمترديةُ والنَّطيحةُ وما أكل السَّبع إلاَّ ما ذكيتم، وما ذُبح على النُّصب، وأن تستقسموا بالأزلام﴾.

(٢) ورد هذا في أثرٍ عن ابن جريج. أخرجه ابن جرير ٩/٨٨.

(٣) انظر ص ٣٠٨.

وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٦١﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾

﴿١٦٣﴾ **﴿واسألهم﴾** يعني: سؤال توبيخٍ وتقريرٍ **﴿عن القرية﴾** وهي أيلة **﴿التي كانت حاضرة البحر﴾** مُجاورته **﴿إذ يعدون في السبت﴾** يظلمون فيه بصيد السَّمك **﴿إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾** ظاهرة على الماء **﴿ويوم لا يسبتون﴾** لا يفعلون ما يفعل في السَّبت. يعني: سائر الأيام **﴿لا تأتيهم﴾** الحيتان **﴿كذلك﴾** مثل هذا الاختبار الشَّديد **﴿نبلوهم﴾** نختبرهم **﴿بما كانوا يفسقون﴾** بعصيانهم الله، أَيْ: شدَّدتُ عليهم المحنة لفسقهم، ولمَّا فعلوا ذلك صار أهل القرية ثلاث فرق: فرقةٌ صادت وأكلت، وفرقةٌ نهت وزجرت، وفرقةٌ أمسكت عن الصَّيد، وهم الذين قال الله تعالىٰ:

﴿١٦٤﴾ **﴿وإذ قالت أمة منهم﴾** قالوا للفرقة النَّاهية: **﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم﴾** لاموهم على موعظة قومٍ يعلمون أنَّهم غير مُقلعين، فقالت الفرقة النَّاهية للذين لاموهم: **﴿معذرة إلى ربكم﴾** أَي: الأمر بالمعروف واجبٌ علينا، فعلينا موعظة هؤلاء عذراً إلى الله **﴿ولعلهم يتقون﴾** فيتركون الصَّيد في السَّبت.

﴿١٦٥﴾ **﴿فلما نسوا ما ذكروا به﴾** تركوا ما وُعظوا به **﴿أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا﴾** اعتدوا في السَّبت **﴿بعذاب بئيس﴾** شديدٍ، وهو المسخ

فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ

جزاءً لفسقهم وخروجهم عن أمر الله.

﴿١٦٦﴾ ﴿**فلما عتوا**﴾ أَيْ: طغوا واستكبروا ﴿**عمَّا نهوا عنه**﴾ أَيْ: عن ترك ما نُهوا عنه من صيد الحيتان يوم السَّبت ﴿**قلنا لهم**﴾ الآية مُفسَّرة في سورة البقرة[١].

﴿١٦٧﴾ ﴿**وإذ تأذَّن ربك**﴾ قالَ وأَعلم ربُّك ﴿**ليبعثنَّ**﴾ ليرسلنَّ ﴿**عليهم**﴾ علىٰ اليهود ﴿**مَنْ يسومهم**﴾ أَيْ: يذيقهم ﴿**سوء العذاب**﴾ إلى يوم القيامة. يعني: محمداً ﷺ وأُمَّته يقاتلونهم أو يعطون الجزية ﴿**إنَّ ربك لسريع العقاب**﴾ لمن استحقَّ تعجيله.

﴿١٦٨﴾ ﴿**وقطعناهم في الأرض أمماً**﴾ فرَّقناهم في البلاد، فلم يجتمع لهم كلمة ﴿**منهم الصالحون**﴾ وهم الذين آمنوا ﴿**ومنهم دون ذلك**﴾ الذين كفروا ﴿**وبلوناهم**﴾ عاملناهم معاملة المختبر ﴿**بالحسنات**﴾ بالخِصب والعافية ﴿**والسيئات**﴾ الجدب والشَّدائد ﴿**لعلهم يرجعون**﴾ كي يتوبوا.

﴿١٦٩﴾ ﴿**فَخَلَفَ من بعدهم خلف**﴾ من بعد هؤلاء الذين قطَّعناهم خلفٌ من اليهود. يعني: أولادهم ﴿**ورثوا الكتاب**﴾ أخذوه عن آبائهم ﴿**يأخذون عرض هذا الأدنىٰ**﴾ يأخذون ما أشرف لهم من الدُّنيا حلالاً أو حراماً ﴿**ويقولون سيغفر لنا**﴾ ويتمنَّون على الله المغفرة ﴿**وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه**﴾ وإن أصابوا عرضاً، أَيْ: متاعاً من الدُّنيا مثل رشوتهم تلك التي أصابوا بالأمس[٢] قبلوه. وهذا إخبارٌ عن

---

(١) انظر ص ١١١.

(٢) في ظ: بالأميين.

أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٧٠﴾ ۞ وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ

حرصهم على الدُّنيا ﴿**ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلاَّ الحق**﴾ وأكَّد الله عليهم في التوراة ألا يقولوا على الله إلاَّ الحق فقالوا الباطل، وهو قولهم: ﴿سيغفر لنا﴾ وليس في التَّوراة ميعاد المغفرة مع الإصرار ﴿**ودرسوا ما فيه**﴾ أَيْ: فهم ذاكرون لما أخذ عليهم من الميثاق؛ لأنَّهم قد قرؤوه.

﴿١٧٠﴾ ﴿**والذين يمسكون بالكتاب**﴾ يؤمنون به ويحكمون بما فيه. يعني: مؤمني أهل الكتاب ﴿**وأقاموا الصلاة**﴾ التي شرعها محمد ﷺ ﴿**إنا لا نضيع أجر المصلحين**﴾ منهم.

﴿١٧١﴾ ﴿**وإذ نتقنا الجبل فوقهم**﴾ رفعناه باقتلاعٍ له من أصله. يعني: ما ذكرنا عند قوله: ﴿ورفعنا فوقكم الطور...﴾[1] الآية. ﴿**وظنوا**﴾ وأيقنوا ﴿**أنَّه واقع بهم**﴾ إن خالفوا، وباقي الآية مضىٰ فيما سبق[2].

﴿١٧٢﴾ ﴿**وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم**﴾[3] أخرج الله تعالىٰ ذريَّة آدم بعضهم من ظهور بعض على نحو ما يتوالد الأبناء من الآباء، وجميعُ ذلك أخرجه من صلب آدم مثل الذَّرِّ، وأخذ عليهم الميثاق أنَّه خالقهم، وأنَّهم مصنوعون، فاعترفوا بذلك وقبلوا ذلك بعد أن ركَّب فيهم عقولاً، وذلك قوله: ﴿**وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم**﴾ أي: قال: ألستُ بربكم ﴿**قالوا بلىٰ**﴾ فأقرُّوا له بالربوبيَّة، فقالت الملائكة عند ذلك ﴿**شهدنا**﴾ أَيْ: علىٰ إقراركم ﴿**أن**﴾ لا

---

(١) سورة البقرة: الآية ٦٣.

(٢) انظر ص ١١٠.

(٣) قرأ «ذرّياتهم» بالجمع: نافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب.

أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا

﴿تقولوا﴾ لئلا [تقولوا، أي: لئلا][1] يقول الكفار ﴿يوم القيامة إنا كنا عن هذا﴾ الميثاق ﴿غافلين﴾ لم نحفظه ولم نذكره، ويذكرون الميثاق ذلك اليوم فلا يمكنهم الإنكار مع شهادة الملائكة، وهذه الآية تذكيرٌ لجميع المكلَّفين ذلك الميثاق؛ لأنَّها وردت على لسان صاحب المعجزة، فقامت في النُّفوس مقام ما هو علىٰ ذكرٍ منها.

﴿١٧٣﴾ ﴿أو تقولوا﴾ أيُّها الذُّريَّة محتجِّين يوم القيامة: ﴿إنما أشرك آباؤنا من قبل﴾ أيْ: قبلنا، ونقضوا العهد ﴿وكنا ذرية من بعدهم﴾ صغاراً فاقتدينا بهم ﴿أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ أَفَتُعَذِّبنا بما فعل المشركون المكذِّبون بالتَّوحيد، وإنَّما اقتدينا بهم، وكنا في غفلةٍ عن الميثاق، وهذه الآية قطعٌ لمعذرتهم، فلا يمكنهم الاحتجاج بكون الآباء على الشِّرك بعد تذكير الله بأخذ الميثاق بالتَّوحيد علىٰ كلِّ واحدٍ من الذُّريَّة.

﴿١٧٤﴾ ﴿وكذلك﴾ وكما بيَّنا في أمر الميثاق ﴿نفصل الآيات﴾ نبيِّنها ليتدبَّرها العباد ﴿ولعلهم يرجعون﴾ ولكي يرجعوا عمَّا هم عليه من الكفر.

﴿١٧٥﴾ ﴿واتل عليهم﴾ واقرأ واقصص يا محمَّد علىٰ قومك ﴿نبأ﴾ خبر ﴿الذي آتيناه آياتنا﴾ علَّمناه حجج التَّوحيد ﴿فانسلخ﴾ خرج ﴿منها فأتبعه الشيطان﴾ أدركه ﴿فكان من الغاوين﴾ الضَّالين. يعني: بلعم بن باعوراء. أعان أعداء الله على أوليائه بدعائه، فَنُزِعَ عنه الإيمان.

﴿١٧٦﴾ ﴿ولو شئنا لرفعناه بها﴾ بالعمل بها. يعني: وفَّقناه للعمل بالآيات، وكنَّا نرفع

(١) زيادة من عا وظا.

وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ

بذلك منزلته ﴿ولكنه أخلد إلى الأرض﴾ مال إلىٰ الدُّنيا وسكن إليها، وذلك أنَّ قومه أهدوا له رشوةً ليدعوَ على قوم موسىٰ، فأخذها ﴿واتبع هواه﴾ انقاد لما دعاه إليه الهوىٰ ﴿فمثله كمثل الكلب﴾ أراد أنَّ هذا الكافر إن زجرته لم ينزجر، وإن تركته لم يهتدِ، فالحالتان عنده سواءٌ، كحالتي الكلب اللاهث، فإنَّه إنْ حُمل عليه بالطَّرد كان لاهثاً، وإن تُرك وربض كان أيضاً لاهثاً كهذا الكافر في الحالتين ضالٌّ، وذلك أنَّه زُجر في المنام عن الدُّعاء على موسىٰ فلم ينزجر، وتُرك عن الزَّجر فلم يهتد، فضرب الله له أخسَّ شيءٍ في أخسّ أحواله، وهو حال اللَّهث مثلاً، وهو إدلاع اللِّسان من الإعياء والعطش، والكلب يفعل ذلك في حال الكلال وحال الرَّاحة، ثمَّ عمَّ بهذا التَّمثيل جميع المكذِّبين بآيات الله فقال: ﴿ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ يعني: أهل مكَّة. كانوا يتمنَّون هادياً يهديهم، فلما جاءهم مَنْ لا يشكُّون في صدقه كذَّبوه، فلم يهتدوا لمَّا تُركوا، ولم يهتدوا أيضاً لمَّا دُعوا بالرَّسول، فكانوا ضالِّين عن الرُّشد في الحالتين ﴿فاقصص القصص﴾ يعني: قصص الذين كذَّبوا بآياتنا ﴿لعلهم يتفكرون﴾ فيتَّعظون، ثمَّ ذمَّ مَثَلَهم، فقال:

﴿١٧٧﴾ ﴿ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا﴾ أَيْ: بئس مثل القوم الذين كذَّبوا بآياتنا ﴿وأنفسهم كانوا يظلمون﴾ بذلك التَّكذيب. يعني: إنَّما يخسرون حظَّهم.

﴿١٧٩﴾ ﴿ولقد ذَرَأْنا﴾ [خلقنا][1] ﴿لجهنم كثيراً من الجن والإنس﴾ وهم الذين حقَّت

(١) ما بين [ ] ليس في الأصل ع.

لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾

عليهم الشَّقاوة ﴿**لهم قلوب لا يفقهون بها**﴾ لا يعقلون بها الخير والهدىٰ ﴿**ولهم أعين لا يبصرون بها**﴾ سبل الهدىٰ ﴿**ولهم آذان لا يسمعون بها**﴾ مواعظ القرآن ﴿**أولئك كالأنعام**﴾ يأكلون ويشربون ولا يلتفتون إلى الآخرة ﴿**بل هم أضلُّ**﴾ لأنَّ الأنعام مطيعةٌ لله، والكافر غير مطيع ﴿**أولئك هم الغافلون**﴾ عمَّا في الآخرة من العذاب.

﴿١٨٠﴾ ﴿**ولله الأسماء الحسنىٰ**﴾ يعني: التِّسعة والتِّسعين ﴿**فادعوه بها**﴾ كقولك: يا اللَّهُ، يا قديرُ، يا عليمُ ﴿**وذروا الذين يلحدون في أسمائه**﴾ يميلون عن القصد، وهم المشركون عدلوا بأسماء الله عمَّا هي عليه، فسمُّوا بها أوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا، واشتقوا اللاَّت من الله، والعُزَّىٰ من العزيز، ومناة من المنَّان ﴿**سيجزون ما كانوا يعملون**﴾ جزاء ما كانوا يعملون في الآخرة.

﴿١٨١﴾ ﴿**وممن خلقنا أمة...**﴾ الآية. يعني: أمَّة محمد ﷺ، كما قال في قوم موسىٰ عليه السلام: ﴿ومن قوم موسى أمةٌ...﴾ الآية[1].

﴿١٨٢﴾ ﴿**والذين كذبوا بآياتنا**﴾ محمدٍ والقرآن. يعني: أهل مكَّة ﴿**سنستدرجهم**﴾ سنمكر بهم ﴿**من حيث لا يعلمون**﴾ كلما جدَّدوا لنا معصية جدَّدنا لهم نعمةً.

﴿١٨٣﴾ ﴿**وأملي لهم**﴾ أُطيل لهم مدَّة عمرهم ليتمادوا في المعاصي ﴿**إنَّ كيدي متين**﴾ مكري شديد. نزلت في المستهزئين من قريش، قتلهم الله في ليلةٍ واحدةٍ بعد أن أمهلهم طويلاً.

---

(١) الآية: ﴿ومن قوم موسىٰ أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ الآية ١٥٩ من هذه السورة.

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٥﴾ مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

﴿١٨٤﴾ **﴿أوَلَم يتفكروا﴾** فيعلموا **﴿ما بصاحبهم﴾** محمَّدٍ **﴿من جنة﴾** من جنونٍ.

﴿١٨٥﴾ **﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾** ليستدلُّوا بها على توحيد الله، وفسَّرنا ملكوت السَّموات والأرضِ في سورة الأنعام[١] **﴿وما خلق الله من شيء﴾** وفيما خلق الله من الأشياء كلها **﴿وأن عسىٰ أن يكون قد اقترب أجلهم﴾** وفي أنْ لعلَّ آجالهم قريبة، فيهلكوا على الكفر، ويصيروا إلى النَّار **﴿فبأيِّ حديث بعده يؤمنون﴾** فبأيِّ قرآنٍ غير ما جاء به محمَّد يُصدِّقون؟ يعني: إنَّه خاتم الرُّسل، ولا وحي بعده، ثمَّ ذكر علَّة إعراضهم عن الإيمان، فقال:

﴿١٨٦﴾ **﴿ومَنْ يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾**.

﴿١٨٧﴾ **﴿يسألونك عن الساعة﴾** أي: السَّاعة التي يموت فيها الخلق. يعني: القيامة. نزلت[٢] في قريش قالت لمحمَّدٍ ﷺ: أسرَّ إلينا متىٰ السَّاعة **﴿أيَّان مرساها﴾** متى وقوعها وثبوتها؟ **﴿قل إنما علمها﴾** العلم بوقتها ووقوعها **﴿عند ربي لا يجليها لوقتها إلاَّ هو﴾** لا يظهرها في وقتها إلاَّ هو **﴿ثقلت في السموات والأرض﴾** ثقل وقوعها وكَبُر على أهل السَّموات والأرض لما فيها من الأهوال **﴿لا تأتيكم إلاَّ بغتة﴾** فجأة **﴿يسألونك كأنك حَفِيٌّ عنها﴾** عالمٌ بها مسؤول عنها **﴿قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** أنَّ علمها عند الله حين سألوا محمداً عن ذلك.

---

(١) انظر ص ٣٦٢.

(٢) أخرجه ابن جرير ٩/١٣٧ عن قتادة، وانظر: أسباب النزول ص ٢٦٢؛ ولباب النقول ص ١٠٥.

قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ۞ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَجَعَلَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا لِيَسۡكُنَ إِلَيۡهَاۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتۡ حَمۡلًا خَفِيفٗا فَمَرَّتۡ بِهِۦۖ فَلَمَّآ أَثۡقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنۡ ءَاتَيۡتَنَا صَٰلِحٗا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾

---

(١٨٨) ﴿**قل لا أملك لنفسي...**﴾ الآية. إنَّ أهل مكة قالوا: يا محمَّد، ألا يخبرك ربُّك بالسِّعر الرَّخيص، قبل أن يغلو، فنشتري من الرَّخيص لنربح عليه؟ وبالأرض التي تريد أن تجدب فنرتحل عنها؟ فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[1]، ومعنىٰ قوله: ﴿**لا أملك لنفسي نفعاً**﴾ أي: اجتلاب نفعٍ بأن أربح، ﴿**ولا ضرّاً**﴾ دفع ضرٍّ بأن أرتحل من الأرض التي تريد أن تجدب ﴿**إلاَّ ما شاء الله**﴾ أن أملكه بتمليكه ﴿**ولو كنت أعلم الغيب**﴾ ما يكون قبل أن يكون ﴿**لاستكثرت من الخير**﴾ لادَّخرت في زمانِ الخِصْبِ لزمن الجدب ﴿**وما مسني السوء**﴾ وما أصابني الضرُّ والفقر ﴿**إن أنا إلاَّ نذير**﴾ لمَنْ يصدِّق ما جئت به ﴿**وبشير**﴾ لمن اتَّبعني وآمن بي.

(١٨٩) ﴿**هو الذي خلقكم من نفس واحدة**﴾ يعني: آدم ﴿**وجعل منها زوجها**﴾ حوَّاء. خلقها من ضلعه ﴿**ليسكن إليها**﴾ ليأنس بها، فيأوي إليها ﴿**فلما تغشاها**﴾ جامعها ﴿**حملت حملاً خفيفاً**﴾ يعني: النُّطفة والمنيَّ ﴿**فمرَّت به**﴾ استمرَّت بذلك الحمل الخفيف، وقامت وقعدت، ولم يُثقِلها ﴿**فلما أثقلت**﴾ صار إلى حال الثِّقل ودنت ولادتها ﴿**دعوا الله ربهما**﴾ آدم وحواء ﴿**لئن آتيتنا صالحاً**﴾ بشراً سويَّاً مثلنا ﴿**لنكوننَّ من الشاكرين**﴾ وذلك أنَّ إبليس أتاها في غير صورته التي عرفته، وقال لها: ما الذي في بطنك؟ قالت: ما أدري. قال: إنِّي أخاف أن يكون بهيمةً، أو كلباً، أو خنزيراً، وذكرت ذلك لآدم، فلم يزالا في همٍّ من ذلك، ثمَّ أتاها وقال: إن سألتُ الله أن يجعله خلقاً سويَّاً مثلك أتُسمِّينه عبد الحارث؟ وكان إبليس في الملائكة الحارث، ولم يزل بها حتىٰ غرَّها، فلمَّا ولدت ولداً سويَّ

---

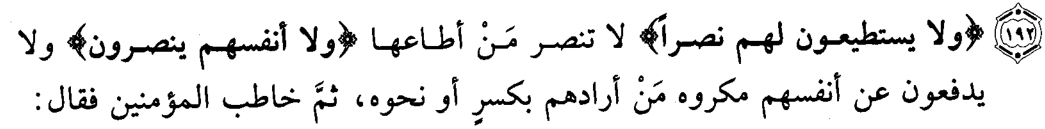
(١) وهذا قول الكلبي، ذكره المؤلف في الأسباب ص ٢٦٣.

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَاۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾

الخلق سمَّته عبد الحارث، فرضي آدم[1]، فذلك قوله:

﴿١٩٠﴾ **﴿فلما آتاهما صالحاً﴾** ولداً سويّاً **﴿جعلا له﴾** لله **﴿شركاء﴾** يعني: إبليس، فأوقع الواحد موقع الجميع. **﴿فيما آتاهما﴾** من الولد إذ سمَّياه عبد الحارث، ولا ينبغي أن يكون عبداً إلاَّ لله، ولم تعرف حوَّاء أنَّه إبليس، ولم يكن هذا شركاً بالله، لأنَّهما لم يذهبا إلىٰ أنَّ الحارث ربَّهما، لكنهما قصدا إلىٰ أنَّه كان سبب نجاته، وتمَّ الكلام عند قوله: ﴿آتاهما﴾، ثمَّ ذكر كفَّار مكة، فقال: **﴿فتعالىٰ الله عمَّا يشركون﴾**.

﴿١٩١﴾ **﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً وهم يخلقون﴾** يريد: أيعبدون ما لا يقدر أن يخلق شيئاً وهم مخلوقون! عنىٰ الأصنام.



﴿١٩٢﴾ **﴿ولا يستطيعون لهم نصراً﴾** لا تنصر مَنْ أطاعها **﴿ولا أنفسهم ينصرون﴾** ولا يدفعون عن أنفسهم مكروه مَنْ أرادهم بكسرٍ أو نحوه، ثمَّ خاطب المؤمنين فقال:

---

(١) أخرجه ابن جرير ٩/ ١٤٥ عن سعيد بن جبير، وذكره المؤلف في الأسباب ص ٢٦٣ عن مجاهد. وأخرجه الترمذي عن سمرة، عن النبيِّ ﷺ قال: لمَّا حملت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولدٌ، فقال: سمِّيه عبد الحارث، فسمَّته عبد الحارث فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان وأمره. وقال: هذا حديث حسنٌ غريب لا نعرفه مرفوعاً إلاَّ من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة.

قال ابن العربـي: وهذا كلُّه على قول مَنْ يرىٰ أنَّ الآية نزلت في آدم وحواء، ومَنْ يرىٰ أنَّها في جميع الآباء والأبناء أشار إلى ما كان ينسب العبودية في أبنائهم إلى الأصنام، وعليه انبنىٰ آخر الآية في قوله: ﴿أيشركون ما لا يخلق شيئاً...﴾ إلى آخرها. عارضة الأحوذي ١١/ ٢٠٠.

وقال بيان الحق النيسابوري: ومَنْ حمل الآية على آدم وحواء قدَّر في قوله: ﴿جعلا له شركاء﴾ حذفاً، أَيْ: جعل ذريتهما، كما تقول: فعلت تغلب، أَيْ: بنو تغلب، ولذلك قال: ﴿فتعالىٰ عما يشركون﴾. وَضَح البرهان ١/ ٣٧٤.

وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ ﴿١٩٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴿١٩٥﴾ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ

﴿١٩٣﴾ **﴿وإن تدعوهم﴾** يعني: المشركين **﴿إلىٰ الهدىٰ لا يتبعوكم...﴾** الآية.

﴿١٩٤﴾ **﴿إنَّ الذين تدعون من دون الله﴾** يعني: الأصنام **﴿عباد﴾** مملوكون مخلوقون **﴿أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم﴾** فاعبدوهم هل يثيبونكم أو يجازونكم!؟ **﴿إن كنتم صادقين﴾** أنَّ لكم عند الأصنام منفعةً، أو ثواباً، أو شفاعةً، ثمَّ بيَّن فضل الآدميِّ عليهم فقال:

﴿١٩٥﴾ **﴿ألهم أرجل يمشون بها﴾** مشيَ بني آدم **﴿أَمْ لهم أيدٍ يبطشون بها﴾** يتناولون بها مثل بطش بني آدم **﴿أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم﴾** الذين تعبدون من دون الله **﴿ثمَّ كيدون﴾** أنتم وشركاؤكم **﴿فلا تنظرون﴾** لا تُمهلون واعجلوا في كيدي.

﴿١٩٦﴾ **﴿إنَّ وليي الله﴾** الذي يتولَّىٰ حفظي ونصري **﴿الذي نزل الكتاب﴾** القرآن **﴿وهو يتولىٰ الصالحين﴾** الذين لا يعدلون بالله شيئاً. وقوله:

﴿١٩٨﴾ **﴿وتراهم ينظرون إليك﴾** تحسبهم يرونك **﴿وهم لا يبصرون﴾** وذلك لأنَّ لها أعيناً مصنوعةً مركَّبةً بالجواهر، حتىٰ يحسب الإنسان أنَّها تنظر إليه.

﴿١٩٩﴾ **﴿خذ العفو﴾** اقبل الميسور من أخلاق النَّاس[1]، ولا تستقصِ عليهم. وقيل: هو

---

(١) عن عبد الله بن الزبير في الآية قال: أمر الله نبيَّه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.
أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٣٠٥؛ والنسائي في تفسيره ١/ ٥١٢.

وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي

أن يعفو عمَّنْ ظلمه، ويصل مَنْ قطعه[1] ﴿وأمر بالعرف﴾ المعروف الذي يعرف حسنه كلُّ أحدٍ. ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ لا تقابل السَّفيه بسفهه، فلمَّا نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: كيف يا ربِّ والغضب[2]؟ فنزل:

﴿٢٠٠﴾ ﴿وإمَّا ينزغنَّك من الشيطان نزغ﴾ يعرض لك من الشيطان عارضٌ، ونالك منه أدنىٰ وسوسة ﴿فاستعذ بالله﴾ اطلب النَّجاة من تلك البليَّة بالله ﴿إنَّه سميع﴾ لدعائك ﴿عليم﴾ عالمٌ بما عرض لك.

﴿٢٠١﴾ ﴿إنَّ الذين اتقوا﴾ يعني: المؤمنين ﴿إذا مسَّهم﴾ أصابهم ﴿طيف[3]﴾ من الشيطان﴾ عارضٌ من وسوسته ﴿تذكَّروا﴾ استعاذوا بالله ﴿فإذا هم مبصرون﴾ مواقع خَطَئِهِمْ، فينزعون من مخالفة الله.

﴿٢٠٢﴾ ﴿وإخوانهم﴾ يعني: الكفَّار، وهم إخوان الشَّياطين ﴿يمدونهم﴾ أي: الشَّياطين يطوِّلون لهم الإغواء والضَّلالة ﴿ثم لا يقصرون﴾ عن الضلالة ولا يبصرونها، كما أقصر المُتَّقي عنها حين أبصرها.

﴿٢٠٣﴾ ﴿وإذا لم تأتهم﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿بآية﴾ سألوكها ﴿قالوا لولا اجتبيتها﴾ اختلقتها وأنشأتها من قبل نفسك ﴿قل إنما أتبع ما يوحىٰ إليَّ من ربـي﴾ أَيْ: لستُ آتي

---

(١) ورد هذا في حديث مُرسلٍ. أخرجه ابن جرير الطبري ٩/ ١٥٥.

(٢) وهذا قول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، كما أخرجه عنه ابن جرير ٩/ ١٥٧.
قلت: وعبد الرحمن ضعيف.

(٣) وهي قراءة: ابن كثير، وأبـي عمرو، والكسائي، ويعقوب. الإتحاف ٢/ ٧٣.

هَٰذَا بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾

بالآيات من قبل نفسي. ﴿هذا﴾ أيْ: هذا القرآن الذي أتيتُ به ﴿بصائر من ربكم﴾ حججٌ ودلائلُ تعود إلى الحقِّ.

﴿٢٠٤﴾ ﴿وإذا قرىء القرآن فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم ترحمون﴾ الآيةُ نزلت في تحريم الكلام في الصَّلاة[1]، وكانوا يتكلَّمون في الصَّلاة في بدء الأمر. وقيل: نزلت في ترك الجهر بالقراءة وراء الإمام. وقيل: نزلت في السُّكوت للخطبة، وقوله: ﴿وأنصتوا﴾ أيْ: عمَّا يحرم من الكلام في الصَّلاة، أو عن رفع الصَّوت خلف الإمام، أو اسكتوا لاستماع الخطبة.

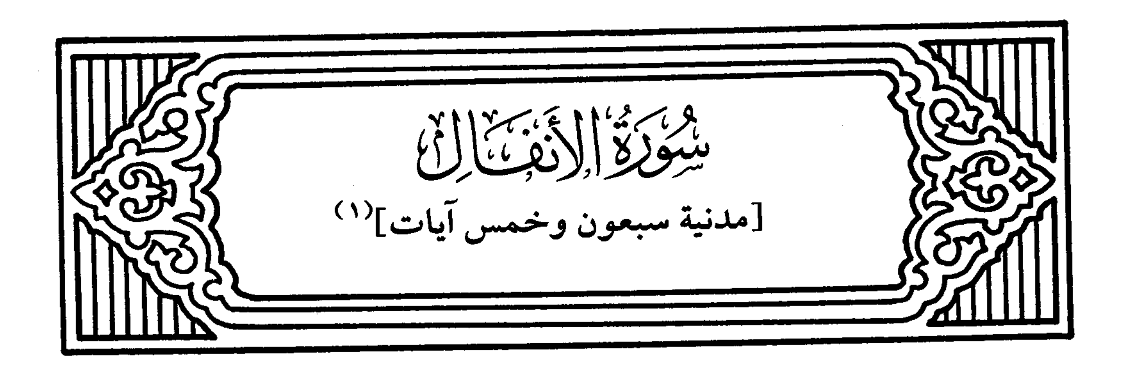
﴿٢٠٥﴾ ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ يعني: القراءة في الصَّلاة ﴿تضرُّعاً وخيفة﴾ استكانةً لي وخوفاً من عذابي ﴿ودون الجهر﴾ دون الرَّفع ﴿من القول بالغدو والآصال﴾ بالبُكَر والعشيَّات. أُمر أن يقرأ في نفسه في صلاة الإسرار، ودون الجهر فيما يرفع به الصَّوت ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ الذين لا يقرؤون في صلاتهم.

﴿٢٠٦﴾ ﴿إنَّ الذين عند ربك﴾ يعني: الملائكة، وهم بالقرب من رحمة الله ﴿لا يستكبرون عن عبادته﴾ أَيْ: هم مع منزلتهم ودرجتهم يعبدون الله. كأنَّه قيل: مَنْ هو أكبر منك أيُّها الإنسان لا يستكبر عن عبادة الله ﴿ويسبحونه﴾ يُنزِّهونه عن السُّوء ﴿وله يسجدون﴾.

● ● ●

---

(١) أخرجه ابن جرير ٩/١٦٢ عن أبي هريرة. وانظر: أسباب النزول ص ٢٦٤؛ والدر المنثور ٣/٦٣٦.



سورة الأنفال

[مدنية سبعون وخمس آيات][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿**يسألونك عن الأنفال**﴾ الغنائم، لِمَنْ هي؟ نزلت حين اختلفوا في غنائم بدر، فقال الشُّبان: هي لنا؛ لأنَّا باشرنا الحرب، وقالت الأشياخ: كنَّا ردءاً لكم؛ لأنَّا وقفنا في المصافِّ مع رسول الله ﷺ، ولو انهزمتهم لانحزتم إلينا، فلا تذهبوا بالغنائم دوننا، فأنزل الله تعالى[2]: ﴿**قل الأنفال لله والرسول**﴾ يضعها حيث يشاء من غير مشاركة فيها، فقسمها بينهم على السَّواء ﴿**فاتقوا الله**﴾ بطاعته واجتناب معاصيه ﴿**وأصلحوا ذات بينكم**﴾ حقيقة وصلكم، أيْ: لا تَخالفوا ﴿**وأطيعوا الله ورسوله**﴾ سلِّموا لهما في الأنفال؛ فإنَّهما يحكمان فيها ما أرادا ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾، ثمَّ وصف المؤمنين فقال:

(٢) ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم**﴾ أيْ: المؤمن الذي إذا خُوِّف

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) الحديث أخرجه الحاكم ٢/٣٢٦، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي؛ وأبو داود برقم ٢٧٣٧ والنسائي في تفسيره ١/٥١٥؛ وابن حبان في صحيحه برقم ١٧٤٣؛ والبيهقي في السنن ٦/٢٩١.

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ

بالله فرق قلبه، وانقاد لأمره ﴿**وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً**﴾ تصديقاً ويقيناً ﴿**وعلى ربهم يتوكلون**﴾ بالله يثقون لا يرجون غيره.

﴿٤﴾ ﴿**أولئك هم المؤمنون حقاً**﴾ صدقاً من غير شكٍّ، لا كإيمان المنافقين ﴿**لهم درجاتٌ عند ربهم**﴾ يعني: درجات الجنَّة ﴿**ومغفرة ورزق كريم**﴾ وهو رزق الجنَّة.

﴿٥﴾ ﴿**كما أخرجك**﴾ أَيْ: امض لأمر الله في الغنائم وإن كره بعضهم ذلك؛ لأنَّ الشُّبان أرادوا أن يستبدُّوا به، فقال الله تعالىٰ: أعط مَنْ شئت وإن كرهوا، كما مضيت لأمر الله في الخروج وهم له كارهون. ومعنىٰ ﴿**كما أخرجك ربُّك من بيتك**﴾ أمرك بالخروج من المدينة لعير قريش ﴿**بالحقِّ**﴾ بالوحي الذي أتاك به جبريل ﴿**وإنَّ فريقاً من المؤمنين لكارهون**﴾ الخروج معك كراهة الطَّبع لاحتمال المشقَّة؛ لأنَّهم علموا أنَّهم لا يظفرون بالعير دون القتال.

﴿٦﴾ ﴿**يجادلونك في الحق بعد ما تبيَّن**﴾ في القتال بعد ما أُمرت به، وذلك أنَّهم خرجوا للعير، ولم يأخذوا أُهبة الحرب، فلمَّا أُمروا بحرب النَّفير شقَّ عليهم ذلك، فطلبوا الرُّخصة في ترك ذلك، فهو جدالهم ﴿**كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون**﴾ أَيْ: لشدَّة كراهيتهم للقاء القوم كأنَّهم يُساقون إلى الموت عيانا.

﴿٧﴾ ﴿**وإذْ يعدكم الله إحدىٰ الطائفتين**﴾ العير أو النَّفير ﴿**أنَّها لكم وتودون أنَّ غير ذات الشوكة تكون لكم**﴾ أَيْ: العير التي لا سلاح فيها تكون لكم ﴿**ويريد الله أن يحق**

ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ

الحق﴾ يُظهره ويُعليَه **﴿بكلماته﴾** بِعِدَاتِه التي سبقت بظهور الإسلام **﴿ويقطع دابر الكافرين﴾** آخر مَنْ بقي منهم. يعني: إنَّه إنَّما أمركم بحرب قريشٍ لهذا.

﴿٨﴾ **﴿ليحقَّ الحق﴾** أَيْ: ويقطع دابر الكافرين ليُظهر الحقَّ ويُعليَه **﴿ويبطل الباطل﴾** ويُهلك الكفر ويُفنيه **﴿ولو كره المجرمون﴾**[١] ذلك.

﴿٩﴾ **﴿إذ تستغيثون ربكم﴾** تطلبون منه المعونة بالنَّصر على العدوِّ لقلَّتكم **﴿فاستجاب لكم أني ممدُّكم بألفٍ من الملائكة مردفين﴾** متتابعين، جاؤوا بعد المسلمين، ومَنْ فتح الدَّال[٢] أراد: بألفٍ أردف الله المسلمين بهم.

﴿١٠﴾ **﴿وما جعله الله﴾** أَيْ: الإرداف **﴿إلاَّ بشرىٰ﴾** الآية ماضية في سورة آل عمران[٣].

﴿١١﴾ **﴿إذ يغشيكم النعاس أمنة منه﴾** وذلك أنَّ الله تعالىٰ أَمَّنهم أمناً غشيهم النُّعاس معه، وهذا كما كان يوم أُحدٍ، وقد ذكرنا ذلك في سورة آل عمران[٤]. **﴿ويُنزِّل عليكم من السماء ماء ليطهركم به﴾** وذلك أنَّهم لمَّا بايتوا المشركين ببدرٍ أصابت جماعة منهم جنابات، وكان المشركون قد سبقوهم إلى الماء، فوسوس إليهم الشَّيطان، وقال لهم: كيف ترجون الظَّفر وقد غلبوكم على الماء؟ وأنتم تُصلُّون مُجنِبين ومُحدِثين، وتزعمون أنَّكم أولياء الله وفيكم نبيُّه[٥]؟ فأنزل الله تعالىٰ مطراً سال منه الوادي حتىٰ اغتسلوا، وزالت الوسوسة، فذلك قوله: **﴿ليطهركم به﴾** أَيْ: من

---

(١) في المخطوطات كلها: «ولو كره المشركون»، وهو خطأ.

(٢) قرأ ﴿مُرْدَفين﴾ بفتح الدال نافعٌ وأبو جعفر ويعقوب. الإتحاف ص ٢٣٦.

(٣) راجع ص ٢٣٠.

(٤) انظر ص ٢٣٨.

(٥) وهذا قول ابن عباس، أخرجه ابن جرير ٩/١٩٦.

وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴿١٥﴾ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ

الأحداث والجنابات ﴿**ويذهب عنكم رجز الشيطان**﴾ وسوسته التي تكسب عذاب الله ﴿**وليربط**﴾ به ﴿**علىٰ قلوبكم**﴾ باليقين والنَّصر ﴿**ويثبت به الأقدام**﴾ وذلك أنَّهم كانوا قد نزلوا على كثيبٍ تغوص فيه أرجلهم، فلبَّده المطر حتىٰ ثبتت عليه الأقدام.

﴿١٢﴾ ﴿**إذ يوحي ربك إلى الملائكة**﴾ الذين أمدَّ بهم المسلمين ﴿**أني معكم**﴾ بالعون والنُّصرة ﴿**فثبتوا الذين آمنوا**﴾ بالتَّبشير بالنَّصر، وكان المَلَك يسير أمام الصَّف على صورة رجلٍ ويقول: أبشروا؛ فإنَّ الله ناصركم ﴿**سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب**﴾ الخوف من أوليائي ﴿**فاضربوا فوق الأعناق**﴾ أيْ: الرُّؤوس ﴿**واضربوا منهم كلَّ بنان**﴾ أيْ: الأطراف من اليدين والرِّجلين.

﴿١٣﴾ ﴿**ذلك**﴾ الضَّرب ﴿**بأنهم شاقوا الله ورسوله**﴾ باينوهما وخالفوهما.

﴿١٤﴾ ﴿**ذلكم**﴾ القتل والضَّرب ببدرٍ ﴿**فذوقوه وأنَّ للكافرين عذاب النار**﴾ بعدما نزل بهم من ضرب الأعناق.

﴿١٥﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً**﴾ مُجتمعين مُتدانين إليكم للقتال ﴿**فلا تولوهم الأدبار**﴾ لا تجعلوا ظهوركم ممَّا يليهم.

﴿١٦﴾ ﴿**ومن يُوَلِّهِمْ يومئذٍ**﴾ أَيْ: يوم لقاء الكفَّار ﴿**دبره إلَّا متحرِّفاً لقتال**﴾ مُنعطفاً مُستَطرداً يطلب العودة ﴿**أو متحيزاً**﴾ مُنضمَّاً ﴿**إلى فئة**﴾ لجماعةٍ يريدون العود إلى

فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٦﴾ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِىَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٨﴾ إِن تَسْتَفْتِحُوا۟

القتال ﴿فقد باء بغضب من الله...﴾ الآية. وأكثر المفسرين على أنَّ هذا الوعيد، إنَّما كان لِمَنْ فرَّ يوم بدرٍ، وكان هذا خاصّاً للمنهزم يوم بدرٍ[1].

﴿١٧﴾ ﴿فلم تقتلوهم﴾ يعني: يوم بدرٍ ﴿ولكنَّ الله قتلهم﴾ بتسبيبه ذلك، من المعونة عليهم وتشجيع القلب ﴿وما رميت إذ رميت﴾ وذلك أنَّ جبريل عليه السَّلام قال للنبيِّ عليه السَّلام يوم بدرٍ: خذ قبضةً من تراب فارمهم بها، فأخذ رسول الله ﷺ قبضةً من حصىٰ الوادي، فرمىٰ بها في وجوه القوم، فلم يبقَ مشركٌ إلَّا دخل عينيه منها شيءٌ[2]، وكان ذلك سبب هزيمتهم، فقال الله تعالىٰ: ﴿وما رميت إذ رميت ولكنَّ الله رمىٰ﴾ أَيْ: إنَّ كفّاً من حصى لا يملأ عيون ذلك الجيش الكثير برمية بَشرٍ، ولكنَّ الله تعالىٰ تولَّىٰ إيصال ذلك إلى أبصارهم ﴿وليبلي المؤمنين منه بلاءً حسناً﴾ وينعم عليهم نعمةً عظيمةً بالنَّصر والغنيمة فعل ذلك. ﴿إنَّ الله سميع﴾ لدعائهم ﴿عليم﴾ بنيَّاتهم.

﴿١٨﴾ ﴿ذلكم وأنَّ الله موهن كيد الكافرين﴾ يُهنِّيء رسوله بإيهانه كيد عدوِّه، حتىٰ قُتلت جبابرتهم، وأُسِر أشرافهم.

﴿١٩﴾ ﴿إن تستفتحوا﴾ هذا خطابٌ للمشركين، وذلك أنَّ أبا جهلٍ قال يوم بدرٍ[3]: اللَّهم

---

(١) قال عبد الله بن عمر في الآية ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾: إنَّما أُنزلت هذه لأهل بدرٍ، لا لقبلها ولا لبعدها.
أخرجه النسائي في التفسير ١/٥١٧؛ وسنده حسن.

(٢) وهذا قول أكثر المفسرين. وأخرجه ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي والسدي وابن زيد وغيرهم. تفسير الطبري ٩/٢٠٥؛ وأسباب النزول ص ٢٦٨.

(٣) أخرجه أحمد في المسند ٥/٤٣١؛ والنسائي في التفسير ١/٥١٨؛ وابن جرير ٩/٢٠٧؛ عن عبد الله بن ثعلبة بن صعير وكذا الحاكم ٢/٣٢٨، ورجاله ثقاتٌ.

فَقَدْ جَآءَكُمُ ٱلْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا۟ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا۟ نَعُدْ وَلَن تُغْنِىَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا

انصر أفضل الدِّينَيْن، وأهدىٰ الفئتين، فقال الله تعالىٰ: **﴿إن تستفتحوا﴾** تستنصروا لأَهْدىٰ الفئتين **﴿فقد جاءكم الفتح﴾** النَّصر **﴿وإن تنتهوا﴾** عن الشِّرك بالله **﴿فهو خير لكم وإن تعودوا﴾** لقتال محمَّدٍ **﴿نعد﴾** عليكم بالقتل والأسر **﴿ولن تغني عنكم﴾** تدفع عنكم **﴿فئتكم﴾** جماعتكم **﴿شيئاً ولو كثرت﴾** في العدد **﴿وأنَّ الله مع المؤمنين﴾** فالنَّصر لهم.

﴿٢٠﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه﴾** لا تُعرضوا عنه بمخالفة أمره **﴿وأنتم تسمعون﴾** ما نزل من القرآن.

﴿٢١﴾ **﴿ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا﴾** سماع قابلٍ، وليسوا كذلك، يعني: المنافقين، وقيل: أراد المشركين؛ لأنَّهم سمعوا ولم يتفكَّروا فيما سمعوا، فكانوا بمنزلة مَنْ لم يسمع.

﴿٢٢﴾ **﴿إنَّ شرَّ الدواب عند الله الصمُّ البكم الذين لا يعقلون﴾** يريد نفراً من المشركين كانوا صمّاً عن الحقِّ، فلا يسمعونه، بُكماً عن التَّكلُّم به. بيَّن الله تعالىٰ أنَّ هؤلاء شرُّ ما دبَّ على الأرض من الحيوان.

﴿٢٣﴾ **﴿ولو علم الله فيهم خيراً﴾** لو علم أنَّهم يصلحون بما يُورده عليهم من حججه وآياته **﴿لأسمعهم﴾** إيَّاها سماع تفهمٍ **﴿ولو أسمعهم﴾** بعد أن علم أن لا خير فيهم ما انتفعوا بذلك و **﴿لتولوا وهم معرضون﴾**.

﴿٢٤﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول﴾** أجيبوا لهما بالطَّاعة **﴿إذا دعاكم لما**

يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٥﴾ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ

يحييكم﴾ يعني: الجهاد؛ لأنَّ به يحيا أمرهم ويقوىٰ، ولأنَّه سبب الشَّهادة، والشُّهداء أحياءٌ عند ربهم، ولأنَّه سببٌ للحياة الدَّائمة في الجنَّة **﴿واعلموا أنَّ الله يحول بين المرءِ وقبله﴾** يحول بين الإنسان وقلبه، فلا يستطيع أن يؤمن إلَّا بإذنه، ولا أن يكفر، فالقلوب بيد الله تعالىٰ يُقلِّبها كيف يشاء **﴿وأنَّه إليه تحشرون﴾** للجزاء على الأعمال.

﴿٢٥﴾ **﴿واتقوا فتنة...﴾** الآية. أمر الله تعالىٰ المؤمنين ألا يُقرّوا المنكر بين أظهرهم، فيعمَّهم الله بالعذاب، والفتنة ها هنا: إقرار المنكر، وترك التَّغيير له، وقوله: **﴿لا تصيبنَّ الذين ظلموا منكم خاصة﴾** أَيْ: تصيب الظَّالم والمظلوم، ولا تكون للظَّلمة وحدهم خاصَّة، ولكنَّها عامَّة، والتَّقدير: واتَّقوا فتنةً، إن لا تتقوها لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصَّة، أَيْ: لا تقع بالظَّالمين دون غيرهم، ولكنها تقع بالصَّالحين والطَّالحين **﴿واعلموا أنَّ الله شديد العقاب﴾** حثٌّ على لزوم الاستقامة خوفاً من الفتنة، ومن عقاب الله بالمعصية فيها.

﴿٢٦﴾ **﴿واذكروا﴾** يعني: المهاجرين **﴿إذ أنتم قليل﴾** يعني: حين كانوا بمكَّة في عنفوان الإسلام قبل أن يُكملوا أربعين **﴿مستضعفون في الأرض﴾** يعني: أرض مكَّة **﴿تخافون أن يتخطفكم الناس﴾** المشركون من العرب لو خرجتم منها **﴿فآواكم﴾** جعل لكم مأوىً ترجعون إليه، وضمَّكم إلى الأنصار **﴿وأيَّدكم بنصره﴾** يوم بدرٍ بالملائكة **﴿ورزقكم من الطيبات﴾** يعني: الغنائم أحلَّها لكم **﴿لعلكم تشكرون﴾** كي تطيعوا.

﴿٢٧﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله﴾** بترك فرائضه **﴿والرسول﴾** بترك سنَّته

وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

﴿**وتخونوا**﴾ أَيْ: ولا تخونوا ﴿**أماناتكم**﴾ وهي كلُّ ما ائتمن الله عليها العباد، وكلُّ أحدٍ مؤتمنٌ على ما افترض الله عليه ﴿**وأنتم تعلمون**﴾ أنَّها أمانةٌ من غير شبهةٍ. وقيل: نزلت هذه الآية في أبي لُبابة[1] حين بعثه رسول الله ﷺ إلى قُريظة لمَّا حاصرهم، وكان أهله وولده فيهم، فقالوا له: ما ترىٰ لنا؟ أننزل على حكم سعدٍ فينا؟ فأشار أبو لبابة إلى حلقه، أنَّه الذَّبح، فلا تفعلوا، وكانت منه خيانةً لله ورسوله.

﴿٢٨﴾ ﴿**واعلموا أنَّما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ أَيْ: محنةٌ يظهر بها ما في النَّفس من اتِّباع الهوىٰ أو تجنُّبه، ولذلك مال أبو لبابة إلى قُريظة في إطلاعهم على حكم سعد؛ لأنَّ ماله وولده كانت فيهم ﴿**وأنَّ الله عنده أجر عظيم**﴾ لمن أدىٰ الأمانة ولم يخن.

﴿٢٩﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله**﴾ باجتناب الخيانة فيما ذُكر ﴿**يجعل لكم فرقاناً**﴾ يفرق بينكم وبين ما تخافون، فتنجون ﴿**ويكفر عنكم سيئاتكم**﴾ يمحو عنكم ما سلف من ذنوبكم ﴿**والله ذو الفضل العظيم**﴾ لا يمنعكم ما وعدكم علىٰ طاعته.

﴿٣٠﴾ ﴿**وإذ يمكر بك الذين كفروا**﴾ وذلك أنَّ مشركي قريش تآمروا في دارة النَّدوة في شأن محمَّد عليه السَّلام[2]، فقال بعضهم: قيِّدوه نتربص به ريب المنون، وقال بعضهم: أخرجوه عنكم تستريحوا من أذاه، وقال أبو جهل ـ لعنه الله ـ: ما هذا برأي، ولكن اقتلوه، بأن يجتمع عليه من كلِّ بطنٍ رجلٌ، فيضربوه ضربة رجلٍ

(١) وهذا قول الزهري. أخرجه ابن جرير ٩/ ٢٢١.

(٢) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ٩/ ٢٢٧؛ والبيهقي في الدلائل ٢/ ٤٦٦؛ وأبو نعيم في دلائل النبوة ص ١٥٦ من طريق ابن إسحاق.

لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُوا۟ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾

واحدٍ، فإذا قتلوه تفرَّق دمه في القبائل، فلا يقوىٰ بنو هاشم على حرب قريش كلِّها، فأوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ نبيِّه بذلك، وأمره بالهجرة، فذلك قوله: ﴿**ليثبتوك**﴾ أَيْ: ليوثقوك ويشدُّوك ﴿**أو يقتلوك**﴾ بأجمعهم قتلةَ رجلٍ واحدٍ، كما قال اللَّعين أبو جهل، ﴿**أو يخرجوك**﴾ من مكَّة إلىٰ طرفٍ من أطراف الأرض ﴿**ويمكرون ويمكر الله**﴾ أَيْ: يجازيهم جزاء مكرهم بنصر المؤمنين عليهم ﴿**والله خير الماكرين**﴾ أفضل المجازين بالسَّيئةِ العقوبة، وذلك أنَّه أهلك هؤلاء الذين دبَّروا لنبيِّه الكيد، وخلَّصه منهم.

﴿٣١﴾ ﴿**وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا...**﴾ الآية. كان النَّضر بن الحارث خرج إلى الحيرة تاجراً، واشترىٰ أحاديث كليلة ودمنة، فكان يقعد به مع المستهزئين، فيقرأ عليهم، فلمَّا قصَّ رسول الله ﷺ شأن القرون الماضية قال النَّضرُ بن الحارث: لو شئتُ لقلتُ مثل هذا، إنْ هذا إلاّ ما سطَّر الأوَّلون في كتبهم[١]، وقال النَّضر أيضاً[٢]:

﴿٣٢﴾ ﴿**اللهم إن كان هذا**﴾ الذي يقوله محمَّدٌ حقّاً ﴿**من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء**﴾ كما أمطرتها على قوم لوط ﴿**أو ائتنا بعذابٍ أليم**﴾ أَيْ: ببعض ما عذَّبت

---

(١) أخرجه ابن جرير ٩/ ٢٣١ عن السدي.

(٢) وهذا قول مجاهد وعطاء. أخرجه ابن جرير ٩/ ٢٣٢، والمؤلف في الأسباب ص ٢٧٠.
وأصحُّ منه ما جاء عن أنس بن مالك قال: قال أبو جهلٍ: «اللهم إن كان هذا الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فنزلت: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾.
أخرجه البخاري في التفسير ٨/٣٠٨؛ ومسلم في صفات المنافقين، برقم ٢٧٩٦.

وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟

به الأمم. حمله شدَّة عداوة النبيِّ ﷺ على إظهار مثل هذا القول، ليوهم أنَّه على بصيرةٍ من أمره، وغاية الثِّقة في أمر محمَّد، أنَّه ليس على حقٍّ.

﴿٣٣﴾ ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾ وما كان الله ليعذِّب المشركين وأنت مقيمٌ بين أظهرهم؛ لأنَّه لم يعذِّب الله قريةً حتىٰ يخرج النبيُّ منها والذين آمنوا معه ﴿**وما كان الله**﴾ معذِّبَ هؤلاء الكفَّار وفيهم المؤمنون ﴿**يستغفرون**﴾ يعني: المسلمين، ثمَّ قال:

﴿٣٤﴾ ﴿**وما لهم ألا يعذِّبهم الله**﴾ أَيْ: ولمَ لا يعذِّبهم الله بالسَّيف بعد خروج مَنْ عنىٰ بقوله: ﴿وهم يستغفرون﴾ من بينِهم ﴿**وهم يصدون**﴾ يمنعون النبيَّ والمؤمنين ﴿**عن المسجد الحرام**﴾ أن يطوفوا به ﴿**وما كانوا أولياءه**﴾ وذلك أنَّهم قالوا: نحن أولياء المسجد، فردَّ الله عليهم بقوله: ﴿**إن أولياؤه إلاَّ المتقون**﴾ يعني: المهاجرين والأنصار ﴿**ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون**﴾ غيبَ علمي وما سبق في قضائي.

﴿٣٥﴾ ﴿**وما كان صلاتهم عند البيت إلاَّ مكاءً وتصديةً**﴾ أَيْ: صفيراً وتصفيقاً، وكانت قريش يطوفون بالبيت عُراةً يُصفِّرون ويُصفِّقون، جعلوا ذلك صلاةً لهم، فكان تَقرُّبُهم إلى الله بالصَّفير والصَّفيق[1] ﴿**فذوقوا العذاب**﴾ ببدرٍ ﴿**بما كنتم تكفرون**﴾ تجحدون توحيد الله تعالىٰ.

﴿٣٦﴾ ﴿**إنَّ الذين كفروا**﴾ نزلت في المُنفقين على حرب رسول الله ﷺ أيَّام بدرٍ[2]،

---

(١) انظر: أسباب النزول ص ٢٧١.

(٢) وهذا قول مقاتل والكلبي، وذكرهم المؤلف في الأسباب ص ٢٧١، وهم: أبو جهل بن هشام، وعتبة، وشيبة ابنا ربيعة، ونبيه، ومنبّه ابنا حجَّاج، وأبو البختري بن هشام، والنضر بن =

يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾

وكانوا اثني عشر رجلاً[1]. قال تعالىٰ: **﴿فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة﴾** بذهاب الأموال، وفوات المراد.

﴿٣٧﴾ **﴿ليميز الله الخبيث من الطيب﴾** أَيْ: إنما تحشرون إلى جهنَّم ليميِّز بين أهل الشَّقاوة، وأهل السَّعادة **﴿ويجعل الخبيث﴾** أي: الكافر، وهو اسم الجنس **﴿بعضه على بعض﴾** يلحق بعضهم ببعض **﴿فيركمه جميعاً﴾** أَيْ: يجمعه حتىٰ يصير كالسَّحاب المركوم ثمَّ **﴿فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون﴾** لأنَّهم اشتروا بأموالهم عذاب الله في الآخرة.

﴿٣٨﴾ **﴿قل للذين كفروا﴾** أبي سفيان وأصحابه: **﴿إن ينتهوا﴾** عن الشِّرك وقتال المؤمنين **﴿يغفر لهم ما قد سلف﴾** تقدَّم من الزِّنا والشِّرك؛ لأنَّ الحربيَّ إذا أسلم عاد كَمِثْلِهِ يوم ولدته أمه **﴿وإن يعودوا﴾** للقتال **﴿فقد مضت سنَّة الأولين﴾** بنصر اللَّهِ رسلَه ومَنْ آمن علىٰ مَنْ كفر.

﴿٣٩﴾ **﴿وقاتلوهم حتىٰ لا تكون فتنة﴾** كفرٌ **﴿ويكون الدين كله لله﴾** لا يكون مع دينكم كفرٌ في جزيرة العرب **﴿فإن انتهوا﴾** عن الشِّرك **﴿فإنَّ الله بما يعملون بصير﴾** يُجازيهم مُجازاة البصير بهم وبأعمالهم.

= الحارث، وحكيم بن حزام، وأُبيّ بن خلف، وزمعة بن الأسود، والحارث بن عامر، والعباس بن عبد المطلب. وذكرهم ابن حبيب في المحبر ص ١٦٢.

(١) المصدر السابق.

وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ۞ وَٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾ إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ ۚ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ

﴿٤٠﴾ ﴿**وإن تولوا**﴾ أبوا أن يدعوا الشِّرك وقتال محمد ﴿**فاعلموا أنَّ الله مولاكم**﴾ ناصركم يا معشر المؤمنين.

الجزء العاشر:

﴿٤١﴾ ﴿**واعلموا أنما غنمتم من شيء**﴾ أخذتموه قسراً من الكفَّار ﴿**فأنَّ لله خمسه**﴾ هذا تزيينٌ لافتتاح الكلام، ومصرف الخمس إلى حيث ذَكر، وهو قوله: ﴿**وللرسول**﴾ كان له خمس الخمس يصنع فيه ما شاء، واليوم يُصرف إلى مصالح المسلمين ﴿**ولذي القربىٰ**﴾ وهم بنو هاشم وبنو المطلب الذين حُرِّمت عليهم الصَّدقات المفروضة، لهم خمس الخمس من الغنيمة ﴿**واليتامىٰ**﴾ وهم أطفال المسلمين الذين هلك آباؤهم، يُنفق عليهم من خُمس الخمس ﴿**والمساكين**﴾ وهم أهل الحاجة والفاقة من المسلمين، لهم أيضاً خمس الخمس ﴿**وابن السبيل**﴾ المنقطع به في سفره، فخمس الغنيمة يقسم علىٰ خمسة أخماس كما ذكره الله تعالىٰ، وأربعة أخماسها تكون للغانمين، وقوله: ﴿**إن كنتم آمنتم بالله**﴾ أيْ: فافعلوا ما أُمرتم به في الغنيمة إن كنتم آمنتم بالله ﴿**وما أنزلنا على عبدنا**﴾ يعني: هذه السَّورة ﴿**يوم الفرقان**﴾ اليوم الذي فرَّقت به بين الحقِّ والباطل ﴿**يوم التقىٰ الجمعان**﴾ حزب الله، وحزب الشَّيطان ﴿**والله على كلِّ شيء قدير**﴾ إذ نصركم الله وأنتم أقلَّةٌ أذلَّةٌ.

﴿٤٢﴾ ﴿**إذ أنتم بالعدوة الدنيا**﴾ نزولٌ بشفير الوادي الأدنىٰ إلى المدينة، وعدوكم نزولٌ بشفير الوادي الأقصىٰ إلى مكَّة ﴿**والركب**﴾ أبو سفيان وأصحابه، وهم أصحاب الإبل. يعني: العير ﴿**أسفل منكم**﴾ إلى ساحل البحر ﴿**ولو تواعدتم**﴾ للقتال

لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٤﴾

﴿**لاختلفتم في الميعاد**﴾ لتأخَّرتم فنقضتم الميعاد لكثرتهم وقلَّتكم ﴿**ولكن**﴾ جمعكم الله من غير ميعاد ﴿**ليقضي الله أمراً كان مفعولاً**﴾ في علمه وحكمه من نصر النبيِّ ﷺ والمؤمنين. ﴿**ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حيَّ عن بيِّنة**﴾ أَيْ: فعل ذلك ليضلَّ ويكفر مَنْ كفر من بعد حجَّةٍ قامت عليه، وقطعت عذره، ويؤمن من آمن علىٰ مثل ذلك، وأراد بالبيِّنة نصرة المؤمنين مع قلَّتهم على ذلك الجمع الكثير مع كثرتهم وشوكتهم ﴿**وإنَّ الله لسميع**﴾ لدعائكم ﴿**عليمٌ**﴾ بنيَّاتكم.

﴿٤٣﴾ ﴿**إذ يريكهم الله في منامك**﴾ عينك، وهو موضع النَّوم ﴿**قليلاً**﴾ لتحتقروهم وتجترؤوا عليهم ﴿**ولو أراكهم كثيراً لفشلتم**﴾ لجَبُنْتُم ولَتأخَّرتم عن حربهم ﴿**ولتنازعتم في الأمر**﴾ واختلفت كلمتكم ﴿**ولكنَّ الله سلَّم**﴾ عصمكم وسلَّمكم من المخالفة فيما بينكم ﴿**إنه عليم بذات الصدور**﴾ علم ما في صدوركم من اليقين، ثمَّ خاطب المؤمنين جميعاً بهذا المعنىٰ فقال:

﴿٤٤﴾ ﴿**وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً**﴾ قال ابن مسعودٍ[1]: لقد قُلِّلوا في أعيننا يوم بدرٍ حتىٰ قلت لرجلٍ إلى جنبي: تراهم سبعين؟ قال: أراهم مائة، وأسرنا رجلاً فقلنا: كم كنتم؟ قال: ألفاً. ﴿**ويقللكم في أعينهم**﴾ ليجترئوا عليكم ولا يرجعوا عن قتالكم ﴿**ليقضي الله أمراً كان مفعولاً**﴾ في علمه بنصر الإسلام وأهله، وذلِّ الشِّرك وأهله ﴿**وإلى الله ترجع الأمور**﴾ وبعد هذا إليَّ مصيركم، فأكرم أوليائي، وأعاقب أعدائي.

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٠/ ١٣.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾

﴿٤٥﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة**﴾ جماعةً كافرةً ﴿**فاثبتوا**﴾ لقتالهم ولا تنهزموا ﴿**واذكروا الله كثيراً**﴾ ادعوه بالنَّصر عليهم ﴿**لعلكم تفلحون**﴾ كي تسعدوا وتبقوا في الجنة، فإنَّهما خصلتان؛ إمَّا الغنيمة؛ وإمَّا الشَّهادة.

﴿٤٦﴾ ﴿**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا**﴾ ولا تختلفوا ﴿**فتفشلوا**﴾ تجبنوا ﴿**وتذهب ريحكم**﴾ جَلَدكم وجرأتكم ودولتكم.

﴿٤٧﴾ ﴿**ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم**﴾ يعني: النَّفير ﴿**بطراً**﴾ طُغياناً في النِّعمة، للجميل مع إبطان القبيح ﴿**ويصدون عن سبيل الله**﴾ لمعاداة المؤمنين وقتالهم ﴿**والله بما يعملون محيط**﴾ عالم فيجازيهم به.

﴿٤٨﴾ ﴿**وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم...**﴾ الآية. وذلك أنَّ قريشاً لمَّا أجمعت المسير خافت كنانة وبني مدلج لطوائلَ كانت بينهم، فتبدّىٰ لهم إبليس [في جنده] على صورة سُراقة بن مالك بن جعشم الكنانيِّ ثمَّ المدلجيِّ، فقالوا له: نحنُ نريد قتال هذا الرَّجل، ونخاف من قومك، فقال لهم: أنا جارٌ لكم[1]، أَيْ: حافظٌ من قومي، فلا غالب لكم اليوم من النَّاس ﴿**فلما تراءت الفئتان**﴾ التقىٰ الجمعان ﴿**نكص على عقبيه**﴾ رجع مولياً، فقيل له: يا سراقة، أفراراً من غير قتال؟! فقال: ﴿**إني أرىٰ ما لا ترون**﴾ وذلك أنَّه رأىٰ جبريل مع الملائكة جاؤوا لنصر المؤمنين ﴿**إني أخاف الله**﴾ أن يهلكني فيمن يهلك ﴿**والله شديد العقاب**﴾.

(١) أخرجه ابن جرير ١٠/١٨ عن ابن عباس، والبيهقي في الدلائل ٣/٥٣.

إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ۙ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾

﴿٤٩﴾ **﴿إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾** وهم قومٌ أسلموا بمكة ولم يهاجروا، فلمَّا خرجت قريش لحرب رسول الله ﷺ خرجوا معهم، وقالوا: نكون مع أكثر الفئتين، فلمَّا رأوا قلَّة المسلمين قالوا: **﴿غرَّ هؤلاء دينهم﴾** إذ خرجوا مع قلَّتهم يقاتلون الجمع الكثير، ثمَّ قُتلوا جميعاً مع المشركين. قال الله تعالىٰ: **﴿ومَنْ يتوكل علىٰ الله﴾** يُسلم أمره إلى الله **﴿فإنَّ الله عزيز﴾** قويٌّ منيع **﴿حكيم﴾** في خلقه.

﴿٥٠﴾ **﴿ولو ترىٰ﴾** يا محمَّد **﴿إذ يتوفىٰ الذين كفروا الملائكة﴾** يأخذون أرواحهم. يعني: مَنْ قُتلوا ببدرٍ **﴿يضربون وجوههم وأدبارهم﴾** مقاديمهم إذا أقبلوا إلىٰ المسلمين، ومآخيرهم إذا ولَّوا **﴿وذوقوا﴾** أَيْ: ويقولون لهم بعد الموت: ذوقوا بعد الموت **﴿عذاب الحريق﴾**.

﴿٥١﴾ **﴿ذلك﴾** أَيْ: هذا العذاب **﴿بما قدَّمت أيديكم﴾** بما كسبتم وجنيتم **﴿وأنَّ الله ليس بظلام للعبيد﴾** لأنَّه حكم فيما يقضي.

﴿٥٢﴾ **﴿كدأب آل فرعون...﴾** الآية. يريد: عادة هؤلاء في التَّكذيب كعادة آل فرعون، فأنزل الله تعالىٰ بهم عقوبته، كما أنزل بآل فرعون **﴿إنَّ الله قويٌّ﴾** قادرٌ لا يغلبه شيء **﴿شديد العقاب﴾** لمَنْ كفر به وكذَّب رسله.

﴿٥٣﴾ **﴿ذلك بأنَّ الله...﴾** الآية. إنَّ الله تعالىٰ أطعم أهل مكَّة من جوعٍ، وآمنهم من خوف، وبعث إليهم محمداً رسولاً، وكان هذا كلُّه ممَّا أنعم عليهم، ولم يكن

كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُواْ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾

يُغيِّر عليهم لو لم يُغيِّروا هم، وتغييرهم كفرهم بها وتركهم شكرها، فلمَّا غيَّروا ذلك غيَّر الله ما بهم، فسلبهم النِّعمة وأخذهم، ثمَّ نزل في يهود قريظة:

﴿٥٥﴾ **﴿إنَّ شرَّ الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون﴾**.

﴿٥٦﴾ **﴿الذين عاهدت منهم. . .﴾** الآية. وذلك أنَّهم نقضوا عهد رسول الله ﷺ، وأعانوا عليه مشركي مكَّة بالسِّلاح، ثمَّ اعتذروا وقالوا: أخطأنا، فعاهدهم ثانيةً فنقضوا العهد يوم الخندق، وذلك قوله: **﴿ثمَّ ينقضون عهدهم في كلِّ مرَّة وهم لا يتقون﴾** عقاب الله في ذلك.

﴿٥٧﴾ **﴿فإمَّا تثقفنَّهم في الحرب﴾** فإن أدركتهم في القتال وأسرتهم **﴿فشرد بهم مَنْ خلفهم﴾** فافعل بهم فعلاً من التَّنكيل والعقوبة يفرق به جمعُ كلِّ ناقضِ عهدٍ، فيعتبروا بما فعلت بهؤلاء، فلا ينقضوا العهد، فذلك قوله تعالىٰ: **﴿لعلهم يذكرون﴾**.

﴿٥٨﴾ **﴿وإمَّا تخافنَّ من قوم﴾** تعلمنَّ من قومٍ **﴿خيانة﴾** نقضاً للعهد بدليلٍ يظهر لك **﴿فانبذ إليهم على سواء﴾** أَي: انبذ عهدهم الذي عاهدتهم عليه؛ لتكون أنت وهم سواءً في العداوة، فلا يتوهموا أنَّك نقضت العهد بنصب الحرب، أَيْ: أعلمهم أنَّك نقضت عهدهم لئلا يتوهَّموا بك الغدر **﴿إنَّ الله لا يحبُّ الخائنين﴾** الذين يخونون في العهود وغيرها.

وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا

﴿٥٩﴾ ﴿**ولا تَحسبنَّ**[١] **الذين كفروا سبقوا**﴾ وذلك أنَّ مَنْ أفلت من حرب بدرٍ من الكفَّار خافوا أن ينزل بهم هلكة في الوقت، فلمَّا لم ينزل طغوا وبغوا، فقال الله: لا تحسبنَّهم سبقونا بسلامتهم الآن فـ ﴿**إنهم لا يعجزونـ**﴾ ـنا ولا يفوتوننا فيما يستقبلون من الأوقات.

﴿٦٠﴾ ﴿**وأعدوا لهم**﴾ أَيْ: خذوا العُدَّة لعدوِّكم ﴿**ما استطعتم من قوة**﴾ ممَّا تتقوون به على حربهم، من السِّلاح والقسي وغيرهما[٢] ﴿**ومن رباط الخيل**﴾ ممَّا يرتبط من الفرس في سبيل الله ﴿**ترهبون به**﴾ تخوِّفون به بما استطعتم ﴿**عدو الله وعدوكم**﴾ مشركي مكَّة وكفَّار العرب ﴿**وآخرين من دونهم**﴾ وهم المنافقون ﴿**لا تعلمونهم الله يعلمهم**﴾ لأنَّهم معكم يقولون: لا إلّه إلاَّ الله، ويغزون معكم، والمنافق يريبه عدد المسلمين ﴿**وما تنفقوا من شيء**﴾ من آلةٍ، وسلاحٍ، وصفراء، وبيضاء ﴿**في سبيل الله**﴾ طاعة الله ﴿**يوف إليكم**﴾ يخلف لكم في العاجل، ويوفَّر لكم أجره في الآخرة ﴿**وأنتم لا تظلمون**﴾ لا تنقصون من الثَّواب.

﴿٦١﴾ ﴿**وإن جنحوا للسلم**﴾ مالوا إلى الصُّلح ﴿**فاجنح لها**﴾ فملْ إليها. يعني:

---

(١) قرأ «تَحسِبنَّ» بفتح التاء وكسر السين: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب، وخلف.

(٢) عن عقبة بن عامر قال: سمعتُ رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: ﴿وأعدُّوا لهم ما استطعتم من قوَّةٍ﴾ ألا إنَّ القوة الرَّمي، ألا إنَّ القوة الرَّمي، ألا إنَّ القوة الرمي.
أخرجه مسلم في الإمارة، باب فضل الرمي، برقم ١٩١٧؛ وأبو داود في الجهاد برقم ٢٥١٤؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٠٨٣.

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن

المشركين واليهود، ثمَّ نسخ[1] هذا بقوله: ﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله﴾[2]. ﴿**وتوكَّل على الله**﴾ ثق به ﴿**إنَّه هو السميع**﴾ لقولكم ﴿**العليم**﴾ بما في قلوبكم.

﴿٦٢﴾ ﴿**وإن يريدوا أن يخدعوك**﴾ بالصُّلح لتكفَّ عنهم ﴿**فإنَّ حسبك الله**﴾ أَيْ: فالذي يتولَّىٰ كفايتك الله ﴿**هو الذي أيدك**﴾ قوَّاك ﴿**بنصره**﴾ يوم بدرٍ ﴿**وبالمؤمنين**﴾ يعني: الأنصار.

﴿٦٣﴾ ﴿**وألف بين قلوبهم**﴾ بين قلوب الأوس والخزرج، وهم الأنصار ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألَّفت بين قلوبهم**﴾ للعداوة التي كانت بينهم، ﴿**ولكنَّ الله ألف بينهم**﴾ لأنَّ قلوبهم بيده يُؤلِّفها كيف يشاء ﴿**إنَّه عزيز**﴾ لا يمتنع عليه شيء ﴿**حكيم**﴾ عليمٌ بما يفعله.

﴿٦٤﴾ ﴿**يا أيها النبيُّ حسبك الله...**﴾ الآية. أسلم مع النبيِّ ﷺ ثلاثةٌ وثلاثون رجلاً، وستُّ نسوةٍ، ثمَّ أسلم عمر رضي الله عنه، فنزلت هذه الآية[3]، والمعنىٰ: يكفيك الله، ويكفي من اتَّبعك من المؤمنين.

﴿٦٥﴾ ﴿**يا أيها النبيُّ حرِّض المؤمنين على القتال**﴾ حُضَّهم على نصر دين الله ﴿**إن يكن**

---

(١) القول بأنها منسوخة أخرجه النحاس في ناسخه ص ١٨٨ عن ابن عباس؛ وابن جرير ١٠/ ٣٤ عن قتادة والحسن. ثم قال الطبري: فأمَّا ما قاله قتادة ومَنْ قال مثل قوله من أنَّ هذه الآية منسوخة، فقولٌ لا دلالة عليه من كتابٍ ولا سنة، ولا فطرة ولا عقل. وانظر: الإيضاح المكي ص ٣٠٠.

(٢) سورة التوبة: الآية ٢٩.

(٣) ذكره المؤلف في الأسباب ص ٢٧٣ عن ابن عباس؛ والسيوطي في لباب النقول ص ١١٣ وقال: أخرجه البزار بسندٍ ضعيف.

مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾

منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين﴾ يريد: الرَّجل منكم بعشرة منهم في الحرب، **﴿وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا بأنَّهم قومٌ لا يفقهون﴾** أَيْ: هم علىٰ جهالةٍ، فلا يثبتون إذا صدقتموهم القتال خلاف مَنْ يقاتل على بصيرةٍ يرجو ثواب الله، وكان الحكم على هذا زماناً، يُصابر الواحد من المسلمين العشرة من الكفَّار، فتضرَّعوا وشكوا إلى الله عزَّ وجلَّ ضعفهم، فنزل:

﴿٦٦﴾ **﴿الآن خفف الله عنكم﴾** هوَّن عليكم **﴿وعلم أنَّ فيكم ضعفاً فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين﴾**. فصار الرَّجل من المسلمين برجلين من الكفَّار، وقوله: **﴿بإذن الله﴾** أَيْ: بإرادته ذلك.

﴿٦٧﴾ **﴿ما كان لنبي أن يكون له أسرىٰ...﴾** الآية. نزلت في فداء أسارىٰ بدر[1]، فادوهم بأربعة آلاف ألف، فأنكر الله عزَّ وجلَّ علىٰ نبيِّه ﷺ ذلك بقوله: لم يكن لنبيٍّ أن يحبس كافراً قَدَر عليه للفداء، فلا يكون له أيضاً حتىٰ يُثخن في الأرض: يُبالغ في قتل أعدائه **﴿تريدون عرض الدنيا﴾** أي: الفِداء **﴿والله يريد الآخرة﴾** يريد لكم الجنة بقتلهم، وهذه الآية بيان عمَّا يجب أن يجتنب من اتِّخاذ الأسرىٰ للمنِّ أو الفِداء قبل الإثخان في الأرض بقتل الأعداء، وكان هذا في يوم بدر، ولم يكونوا قد أثخنوا، فلذلك أنكر الله عليهم، ثمَّ نزل بعده: **﴿فإمَّا منَّاً بعدُ وإمَّا فداءً﴾**[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد برقم ٢٦٩٠؛ والواحدي في الأسباب ص ٢٧٣.

(٢) سورة محمد: الآية ٤.

لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّمَن فِىٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُوا۟ خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ

﴿٦٨﴾ **﴿لولا كتاب من الله سبق﴾** يا محمَّد أنَّ الغنائم وفداء الأسرىٰ لك ولأمَّتك حلال **﴿لَمَسَّكُمْ فيما أخذتم﴾** من الفِداء **﴿عذاب عظيم﴾** فلمَّا نزل هذا أمسكوا أيديهم عمَّا أخذوا من الغنائم، فنزل:

﴿٦٩﴾ **﴿فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً واتقوا الله﴾** بطاعته **﴿إنَّ الله غفور﴾** غفر لكم ما أخذتم من الفِداء **﴿رحيم﴾** رحمكم لأنَّكم أولياؤه.

﴿٧٠﴾ **﴿يا أيها النبيُّ قل لمن في أيديكم من الأسرىٰ إن يعلم الله في قلوبكم خيراً﴾** إرادةَ للإِسلام **﴿يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾** من الفِداء. يعني: إنْ أسلمتم وعلم الله إسلام قلوبكم أخلف عليكم خيراً ممَّا أُخذ منكم **﴿ويغفر لكم﴾** ما كان من كفركم وقتالكم رسول الله ﷺ.

﴿٧١﴾ **﴿وإن يريدوا خيانتك﴾** وذلك أنَّهم قالوا للنبيِّ ﷺ: آمنَّا بك، ونشهد أنَّك رسول الله، فقال الله تعالىٰ: إن خانوك وكان قولهم هذا خيانة **﴿فقد خانوا الله من قبل﴾** كفروا به **﴿فأمكن منهم﴾** المؤمنين ببدرٍ، وهذا تهديدٌ لهم إن عادوا إلىٰ القتال **﴿والله عليم﴾** بخيانةٍ إن خانوها **﴿حكيم﴾** في تدبيره ومجازاته إيَّاهم.

﴿٧٢﴾ **﴿إنَّ الذين آمنوا وهاجروا...﴾** الآية. نزلت في الميراث كانوا في ابتداء الإِسلام يتوارثون بالهجرة والنُّصرة، فكان الرَّجل يُسلم ولا يهاجر، فلا يرث أخاه فذلك قوله: **﴿الذين آمنوا وهاجروا﴾** هجروا قومهم وديارهم وأموالهم. **﴿والذين آووا ونصروا﴾** يعني: الأنصار، أسكنوا المهاجرين ديارهم ونصروهم **﴿أولئك بعضهم**

أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَوا۟ وَّنَصَرُوٓا۟ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ مَعَكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ

أولياء بعض﴾ أَيْ: هؤلاء هم الذين يتوارثون بعضهم من بعض.

﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء﴾ أَيْ: ليسوا بأولياء، ولا يثبت التَّوارث بينكم وبينهم **﴿حتىٰ يهاجروا وإن استنصروكم في الدين﴾** يعني: هؤلاء الذين لم يهاجروا فلا تخذلوهم وانصروهم **﴿إلَّا﴾** أن يستنصروكم **﴿على قوم بينكم وبينهم ميثاق﴾** عهدٌ فلا تغدروا ولا تعاونوهم.

﴿٧٣﴾ **﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾** أَيْ: لا توارث بينكم وبينهم، ولا ولاية، والكافر وليُّ الكافر دون المسلم **﴿إلَّا تفعلوه﴾** إلَّا تعاونوا وتناصروا وتأخذوا في الميراث بما أمرتكم به **﴿تكن فتنة في الأرض﴾** شركٌ **﴿وفساد كبير﴾** وذلك أنَّ المسلم إذا هجر قريبه الكافر كان ذلك أدعىٰ إلى الإسلام، فإن لم يهجره وتوارثه بقي الكافر على كفره، وقوله:

﴿٧٤﴾ **﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً﴾** أيْ: هم الذين حققوا إيمانهم بما يقتضيه من الهجرة والنُّصرة خلاف من أقام بدار الشِّرك.

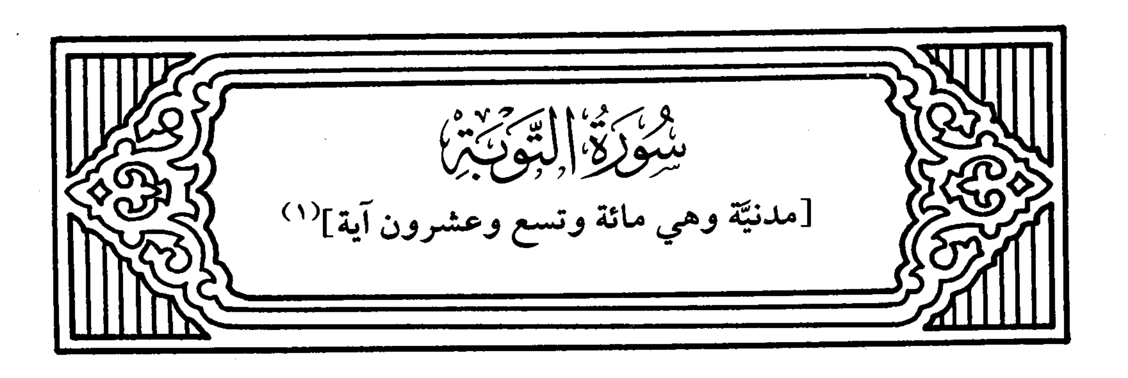
﴿٧٥﴾ **﴿والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم﴾** يعني: الذين هاجروا بعد الحديبية، وهي الهجرة الثانية **﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض﴾** نَسخ الله

فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ﴿٧٥﴾

الميراثَ بالهجرة والحِلْفِ بعد فتح مكَّة[1]. ردَّ الله المواريث إلى ذوي الأرحام: ابن الأخ والعمِّ وغيرهما **﴿في كتاب الله﴾** في حكم الله **﴿إن الله بكل شيء عليم﴾**.

● ● ●

(١) أخرج النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ١٩١ عن قتادة، قال: كان المسلمون يتوارثون بالهجرة، كان الرَّجل إذا أسلم ولم يهاجر لم يرث أخاه، ونسخ ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿وأولوا الأرحام بعضهم أولىٰ ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين﴾.



﴿بَرَاءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾ فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ﴾

---

(١) ﴿**براءة من الله ورسوله...**﴾ الآية. أخذت المشركون ينقضون عهوداً بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمره الله تعالىٰ أن ينقض عهودهم وينبذها إليهم، وأنزل هذه الآية، والمعنىٰ: قد بريء الله ورسوله من إعطائهم العهود والوفاء بها إذ نكثوا، ثمَّ خاطب المشركين فقال:

(٢) ﴿**فسيحوا في الأرض أربعة أشهر**﴾ سيروا فيها آمنين حيث شئتم. يعني: شوالاً إلى صفر، وهذا تأجيلٌ من الله سبحانه للمشركين، فإذا انقضت هذه المدَّة قُتلوا حيثما أُدركوا ﴿**واعلموا أنكم غير معجزي الله**﴾ لا تفوتونه وإنْ أُجِّلتم هذه المدَّة ﴿**وأنَّ الله مُخْزي الكافرين**﴾ مذلُّهم في الدُّنيا بالقتل، والعذاب في الآخرة.

(٣) ﴿**وأذان من الله**﴾ إعلامٌ منه ﴿**ورسوله إلى الناس**﴾ يعني: العرب ﴿**يوم الحج الأكبر**﴾ يوم عرفة. وقيل: يوم النَّحر، والحجُّ الأكبر [الحجُّ] بجميع أعماله،

---

(١) زيادة من ظ وظا.

أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾

والأصغر العمرة ﴿**أنَّ الله بريء من المشركين ورسولُهُ**﴾ أمر الله رسوله ﷺ أن يُعلم مشركي العرب في يوم الحجِّ الأكبر ببراءته من عهودهم، فبعث عليّاً رضي الله عنه حيث قرأ صدر براءة عليهم يوم النَّحر[1]، ثمَّ خاطب المشركين، فقال: ﴿**فإن تبتم**﴾ رجعتم عن الشِّرك ﴿**فهو خيرٌ لكم**﴾ من الإقامة عليه ﴿**وإن توليتم**﴾ عن الإيمان ﴿**فاعلموا أنكم غير معجزي الله**﴾ لا تفوتونه بأنفسكم عن العذاب، ثمَّ أوعدهم بعذاب الآخرة فقال: ﴿**وبشر الذين كفروا بعذاب أليم**﴾ ثمَّ استثنىٰ قوماً من براءة العهود، فقال:

﴿٤﴾ ﴿**إلاَّ الذين عاهدتم من المشركين ثمَّ لم ينقصوكم**﴾ من شروط العهد ﴿**شيئاً**﴾ وهم بنو ضمرة وبنو كنانة ﴿**ولم يظاهروا عليكم أحداً**﴾ لم يعاونوا عليكم عدوّاً ﴿**فأتموا إليهم عهدهم إلى مدَّتهم**﴾ إلىٰ انقضاء مدَّتهم، وكان قد بقي لهم من مدَّتهم تسعة أشهر، فأمر النبيُّ ﷺ بإتمامها لهم ﴿**إنَّ الله يحب المتقين**﴾ مَنِ اتَّقاه بطاعته.

---

(١) عن أبي هريرة قال: كنتُ مع عليّ بن أبي طالب حين بعثه رسول الله ﷺ إلى أهل مكة ببراءةٍ. قال: ما كنتم تنادون؟ قال: كنا ننادي أنَّه لا يدخل الجنَّة إلاَّ نفسٌ مؤمنة، ولا يطوف بالبيت عُريان، ومَنْ كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فأجلُه وأمده إلى أربعة أشهرٍ، فإذا مضت الأربعة أشهر فإنَّ الله بريءٌ من المشركين ورسوله، ولا يحج بعد العام مشركٌ، وكنت أنادي حتىٰ صحل صوتي.

أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٣٢٠، ومسلم في الحج برقم ١٣٤٧؛ وأبو داود في الحج برقم ١٩٤٦؛ والنسائي في تفسيره ١/ ٥٣٥؛ وأحمد ٢/ ٢٩٩؛ والحاكم ٢/ ٣٣١.

فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا ٱسْتَقَـٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ

﴿٥﴾ **﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم﴾** يعني: مدَّة التَّأجيل **﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾** في حلٍّ أو حرمٍ **﴿وخذوهم﴾** بالأسر **﴿واحصروهم﴾** إنْ تحصَّنوا **﴿واقعدوا لهم كلَّ مرصد﴾** على كلِّ طريقٍ تأخذون فيه **﴿فإنْ تابوا﴾** رجعوا عن الشِّرك **﴿وأقاموا الصلاة﴾** المفروضة **﴿وآتوا الزكاة﴾** من العين والثِّمار والمواشي **﴿فخلوا سبيلهم﴾** فدعوهم وما شاؤوا **﴿إنَّ الله غفور رحيم﴾** لمَنْ تاب وآمن.

﴿٦﴾ **﴿وإن أحد من المشركين﴾** الذين أمرتك بقتلهم **﴿استجارك﴾** طلب منك الأمان من القتل **﴿فأجره﴾** فاجعله في أمنٍ **﴿حتىٰ يسمع كلام الله﴾** القرآن، فتقيم عليه حجَّةَ الله، وتبيِّن له دين الله **﴿ثمَّ أبلغه مأمنه﴾** إذا لم يرجع عن الشِّرك لينظر في أمره **﴿ذلك بأنهم قومٌ لا يعلمون﴾** [يفعلونَ] كلَّ هذا لأنَّهم قومٌ جهلةٌ لا يعلمون دين الله وتوحيده.

﴿٧﴾ **﴿كيف يكون للمشركين عهدٌ عند الله وعند رسوله﴾** مع إضمارهم الغدر ونكثهم العهد **﴿إلَّا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام﴾** يعني: الذين استثناهم من البراءة **﴿فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم﴾** ما أقاموا على الوفاء بعهدهم فأقيموا أنتم.

﴿٨﴾ **﴿كيف﴾** أيْ: كيف يكون لهم عهدهم **﴿و﴾** حالُهم أنَّهم **﴿إنْ يظهروا عليكم﴾** يظفروا بكم ويقدروا عليكم **﴿لا يرقبوا فيكم﴾** لا يحفظوا فيكم **﴿إلًّا ولا ذمَّةً﴾** قرابةً ولا عهداً **﴿يرضونكم بأفواههم﴾** يقولون بألسنتهم كلاماً حلواً **﴿وتأبىٰ**

قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ
سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ
ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟
أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ ﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟
أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ

قلوبهم﴾ الوفاء به **﴿وأكثرهم فاسقون﴾** غادرون ناقضون للعهد.

(٩) **﴿اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً﴾** استبدلوا بالقرآن متاع الدُّنيا **﴿فصدوا عن سبيله﴾** فأعرضوا عن طاعته **﴿إنهم ساء﴾** بئس **﴿ما كانوا يعملون﴾** من اشترائهم الكفر بالإيمان.

(١٠) **﴿لا يرقبون﴾** يعني: هؤلاء النَّاقضين للعهد **﴿وأولئك هم المعتدون﴾** المجاوزون للحلال إلى الحرام بنقض العهد.

(١١) **﴿فإن تابوا﴾** عن الشِّرك **﴿وأقاموا الصَّلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم﴾** أيْ: فهم إخوانكم **﴿في الدين ونفصِّل الآيات﴾** نبيِّن آيات القرآن **﴿لقوم يعلمون﴾** أنَّها من عند الله.

(١٢) **﴿وإن نكثوا أيمانهم﴾** نقضوا عهودهم **﴿وطعنوا في دينكم﴾** اغتابوكم وعابوا دينكم **﴿فقاتلوا أئمة الكفر﴾** رؤساء الضَّلالة. يعني: صناديد قريش. **﴿إنهم لا أيمان لهم﴾** لا عهود لهم **﴿لعلهم ينتهون﴾** كي ينتهوا عن الشِّرك بالله، ثمَّ حرَّض المؤمنين عليهم فقال:

(١٣) **﴿ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم﴾** يعني: كفَّار مكَّة نقضوا العهد، وأعانوا بني بكر على خزاعة **﴿وهموا بإخراج الرسول﴾** من مكَّة **﴿وهم بدؤوكم﴾** بالقتال **﴿أول مرة﴾** حين قاتلوا حلفاءكم خزاعة، فبدؤوا بنقض العهد **﴿أتخشونهم﴾** أن ينالكم

فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ

من قتالهم مكروه فتتركون قتالهم ﴿**فالله أحق أن تخشوه**﴾ فمكروهُ عذابِ الله أحقُّ أن يُخشىٰ في ترك قتالهم ﴿**إن كنتم مؤمنين**﴾ مصدِّقين بعقاب الله وثوابه.

﴿١٤﴾ ﴿**قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم**﴾ يقتلهم بسيوفكم ورماحكم ﴿**ويخزهم**﴾ يُذلُّهم بالقهر والأسر ﴿**ويشف صدور قوم مؤمنين**﴾ يعني: بني خزاعة. أعانت قريشٌ بني بكر عليهم حتىٰ نكثوا فيهم، فشفىٰ الله صدورهم من بني بكر بالنبيِّ والمؤمنين.

﴿١٥﴾ ﴿**ويذهب غيظ قلوبهم**﴾ كَرْبَها ووَجْدَها بمعونة قريش بكراً عليهم ﴿**ويتوب الله علىٰ من يشاء**﴾ من المشركين، كأبي سفيان، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو. هداهم الله للإسلام.

﴿١٦﴾ ﴿**أم حسبتم**﴾ أيُّها المنافقون ﴿**أن تتركوا**﴾ علىٰ ما أنتم عليه من التَّلبيس، وكتمان النفاق ﴿**ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم**﴾ بنيَّةٍ صادقةٍ. يعني: العلم الذي يتعلَّق بهم بعد الجهاد، وذلك أنَّه لما فُرض القتال تبيَّن المنافق من غيره، ومَنْ يوالي المؤمنين ممَّن يوالي أعداءهم ﴿**ولم يتخذوا**﴾ أَيْ: ولمَّا يعلم الله الذين لم يتَّخذوا ﴿**من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة**﴾ أولياء ودُخُلاً.

﴿١٧﴾ ﴿**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله**﴾ نزلت[1] في العباس بن عبد المطلب

---

(١) وهذا قول ابن عباسٍ. أخرجه ابن جرير ١٠/٥٩؛ وذكره المؤلف في الأسباب ص ٢٧٩.

﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾﴾

حين عُيِّر بالكفر لمَّا أُسر، فقال: إنَّا لنعمر المسجد الحرام، ونحجب الكعبة، ونسقي الحاجَّ، فردَّ الله ذلك عليه بقوله: ﴿**ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله**﴾ بدخوله والتعوُّذ[١] فيه؛ لأنَّهم ممنوعون عن ذلك ﴿**شاهدين على أنفسهم بالكفر**﴾ بسجودهم للأصنام واتِّخاذها آلهة. ﴿**أولئك حبطت أعمالهم**﴾ لأنَّ كفرهم أذهب ثوابها.

(١٨) ﴿**إنما يعمر مساجد الله**﴾ بزيارتها والقعود فيها ﴿**مَنْ آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتىٰ الزكاة**﴾ والمعنىٰ: إنَّ مَنْ كان بهذه الصِّفة فهو من أهل عمارة المسجد ﴿**ولم يخش**﴾ في باب الدِّين ﴿**إلاَّ الله فعسىٰ أولئك**﴾ أَيْ: فأولئك هم المهتدون والمتمسكون بطاعة الله التي تؤدِّي إلىٰ الجنَّة.

(١٩) ﴿**أجعلتم سقاية الحاج**﴾ قال المشركون: عمارة بيت الله، وقيامٌ علىٰ السِّقاية خيرٌ من الإيمان والجهاد، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[٢]. وسقاية الحاج: سقيهم الشَّراب في الموسم، وقوله: ﴿**وعمارة المسجد الحرام**﴾ يريد: تجميره وتخليقه ﴿**كمَنْ آمن**﴾ أَيْ: كإيمان من آمن ﴿**بالله**﴾؟ ﴿**لا يستوون عند الله**﴾ في الفضل ﴿**والله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ يعني: الذين زعموا أنَّهم أهل العمارة سمَّاهم ظالمين بشركهم.

---

(١) في ظ: والقعود فيه.

(٢) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١٠/ ٥٩.

ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦۗ

﴿٢٠﴾ **﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾** أَيْ: من الذين افتخروا بعمارة البيت وسقي الحاجِّ **﴿وأولئك هم الفائزون﴾** الذين ظفروا بأمنيتهم.

﴿٢١﴾ **﴿يبشرهم ربهم برحمة منه...﴾** الآية. أَيْ: يعلمهم في الدُّنيا ما لهم في الآخرة.

﴿٢٣﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم...﴾** الآية. لمَّا أُمر رسول الله ﷺ بالهجرة إلىٰ المدينة كان من النَّاس مَنْ يتعلَّق به زوجته وولده وأقاربه، ويقولون: ننشدك بالله أن تضيِّعنا، فيرقُّ لهم ويدع الهجرة، فأنزل الله تعالىٰ[1]: **﴿لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء﴾** أصدقاء تُؤثرون المقام بين أظهرهم على الهجرة **﴿إن استحبوا﴾** اختاروا **﴿الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾** أَيْ: مشركون مثلهم، فلمَّا نزلت هذه الآية قالوا: يا نبيَّ الله، إن نحن اعتزلنا مَنْ خالفنا في الدِّين نقطع آباءنا وعشائرنا، وتذهب تجارتنا وتخرب ديارنا، فأنزل الله تعالىٰ:

﴿٢٤﴾ **﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها﴾** أَيْ: اكتسبتموها **﴿فتربصوا﴾** مقيمين بمكَّة **﴿حتىٰ يأتي الله بأمره﴾** فتح مكَّة،

---

(١) وهذا قول الكلبي، ذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٢٨٠.

وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ

فيسقط فرض الهجرة، وهذا أمر تهديد ﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ تهديدٌ لهؤلاء بحرمان الهداية.

﴿٢٥﴾ ﴿ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين﴾ وهو وادٍ بين مكَّة والطَّائف، قاتل عليه نبيُّ الله عليه السَّلام هوازن وثقيفاً ﴿إذ أعجبتكم كثرتكم﴾ وذلك أنَّهم قالوا: لن نُغلب اليوم من قلَّةٍ، وكانوا اثني عشر ألفاً[1] ﴿فلم تغن﴾ لم تدفع عنكم شيئاً ﴿وضاقت عليكم الأرض بما رحبت﴾ لشدَّة ما لحقكم من الخوف ضاقت عليكم الأرض على سعتها، فلم تجدوا فيها موضعاً يصلح لقراركم ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ انهزمتم. أعلمهم الله تعالىٰ أنَّهم ليسوا يغلبون بكثرتهم، إنَّما يَغلبون بنصر الله.

﴿٢٦﴾ ﴿ثم أنزل الله سكينته﴾ وهو ما يسكن إليه القلب من لطف الله ورحمته ﴿على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها﴾ يريد: الملائكة ﴿وعذب الذين كفروا﴾ بأسيافكم ورماحكم ﴿وذلك جزاء الكافرين﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ فيهديهم إلى الإسلام، من الكفَّار ﴿والله غفور رحيم﴾ بمَنْ آمن.

﴿٢٨﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس﴾ لا يغتسلون من جنابةٍ، ولا يتوضؤون من حدثٍ ﴿فلا يقربوا المسجد الحرام﴾ أيْ: لا يدخلوا الحرم. مُنعوا من دخول

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٥/١٢٣؛ وأحمد في المسند ١/٢٩٤.

بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ

الحرم، فالحرمُ حرامٌ على المشركين **﴿بعد عامهم هذا﴾** يعني: عام الفتح، فلمَّا مُنعوا من دخول الحرم قال المسلمون: إنَّهم كانوا يأتون بالميرة، فالآن تنقطع عنا المتاجر، فأنزل الله تعالىٰ: **﴿وإن خفتم عيلة﴾** فقراً **﴿فسوف يغنيكم الله من فضله﴾** فأسلم أهل جدَّة وصنعاء وجرش، وحملوا الطَّعام إلى مكَّة، وكفاهم الله ما كانوا يتخوَّفون **﴿إنَّ الله عليم﴾** بما يصلحكم **﴿حكيم﴾** فيما حكم في المشركين، ثمَّ نزل في جهاد أهل الكتاب من اليهود والنَّصارىٰ قوله:

﴿٢٩﴾ **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾** يعني: كإيمان الموحِّدين، وإيمانُهم غيرُ إيمانٍ إذا لم يؤمنوا بمحمد **﴿ولا يحرِّمون ما حرم الله ورسوله﴾** يعني: الخمر والميسر **﴿ولا يدينون دين الحق﴾** لا يتدينون بدين الإسلام **﴿حتىٰ يعطوا الجزية﴾** وهي ما يعطي المعاهِد على عهده **﴿عن يد﴾** يعطونها بأيديهم، يمشون بها كارهين، ولا يجيئون بها ركباناً، ولا يرسلون بها **﴿وهم صاغرون﴾** ذليلون مقهورون يُجَرُّون إلى الموضع الذي تقبض منهم فيه بالعنف، حتىٰ يؤدُّوها من يدهم.

﴿٣٠﴾ **﴿وقالت اليهود عزير ابنُ الله وقالت النصارىٰ المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم﴾** ليس فيه برهانٌ ولا بيانٌ، إنَّما هو قولٌ بالفم فقط **﴿يُضاهئون﴾** يتشبَّهون بقول المشركين حين قالوا: الملائكة بنات الله، وقد أخبر الله عنهم

قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾ يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾

بقوله: ﴿وخرقوا له بنين وبناتٍ﴾[(١)]. ﴿**قاتلهم الله**﴾ لعنهم الله ﴿**أنىٰ يؤفكون**﴾ كيف يُصرفون عن الحقِّ بعد وضوح الدَّليل حتىٰ يجعلوا لله الولد، وهذا تعجيب للنَّبيِّ ﷺ والمؤمنين.

﴿٣١﴾ ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم**﴾ علماءهم وعُبَّادهم ﴿**أرباباً**﴾ آلهةً ﴿**من دون الله**﴾ حيث أطاعوهم في تحليل ما حرَّم الله، وتحريم ما أحلَّ الله[(٢)] ﴿**والمسيح ابن مريم**﴾ اتخذوه ربّاً ﴿**وما أمروا**﴾ في التَّوراة والإنجيل ﴿**إلَّا ليعبدوا إلٰهاً واحداً**﴾ وهو الذي لا إلٰه غيره ﴿**سبحانه عمَّا يشركون**﴾ تنزيهاً له عن شركهم.

﴿٣٢﴾ ﴿**يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم**﴾ يخمدوا دين الإسلام بتكذيبهم ﴿**ويأبىٰ الله إلَّا أن يتم نوره**﴾ إلَّا أَنْ يُظهر دينه.

﴿٣٣﴾ ﴿**هو الذي أرسل رسوله**﴾ محمداً ﴿**بالهدىٰ**﴾ بالقرآن ﴿**ودين الحق**﴾ الحنيفيَّة ﴿**ليظهره على الدين كله**﴾ ليعليَه على جميع الأديان.

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٠.

(٢) عن عديِّ بن حاتم قال: أتيت النبيَّ ﷺ وفي عنقي صليبٌ من ذهبٍ، فقال: يا عديّ، اطرح عنك هذا الوثن، وسمعته يقرأ: ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾. قال: إنَّهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنَّهم كانوا إذا أحلُّوا لهم شيئاً استحلُّوه، وإذا حرَّموا عليهم شيئاً حرَّموه.
أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٠٩٤؛ وقال: حديث غريب، وابن جرير ١٠/١١٥.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ

---

(٣٤) **﴿يا أيها الذين آمنوا إنَّ كثيراً من الأحبار والرهبان﴾** من فقهاء أهل الكتاب وعلمائهم **﴿ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾** يعني: ما يأخذونه من الرُّشا في الحكم **﴿ويصدون عن سبيل الله﴾** ويصرفون النَّاس عن الإيمان بمحمَّد عليه السَّلام، ثمَّ أنزل في مانعي الزَّكاة[١] من أهل القبلة: **﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله﴾** لا يُؤدُّون زكاتها **﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾** أخبرهم أنَّ لهم عذاباً أليماً.

(٣٥) **﴿يوم يحمىٰ عليها﴾** يوم تدخل كنوزهم النَّار حتىٰ تحمىٰ وتشتدَّ حرارتها **﴿فتكوىٰ بها﴾** أيْ: فتلصق بجباههم وجنوبهم وظهورهم حتىٰ يلتقي الحرُّ في أجوافهم، ويقال لهم: هذا الذي تكوون به ما جمعتم لأنفسكم، وبخلتم به عن حقِّ الله **﴿فذوقوا﴾** العذاب بـ **﴿ما كنتم تكنزون﴾**.

(٣٦) **﴿إنَّ عدَّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً﴾** عدد شهور المسلمين التي تُعبِّدوا بأن يجعلوها لسنتهم اثنا عشر شهراً، على منازل القمر واستهلال الأهلَّة، لا كما يعدُّه أهل الرُّوم وفارس **﴿في كتاب الله﴾** في الإمام الذي عند الله كتبه يوم خلق

---

(١) عن ابن عمر أنَّ أعرابياً قال له: أخبرني عن قول الله تعالىٰ:
﴿والذين يكنزون الذَّهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذابٍ أليم﴾؟
قال ابن عمر: مَنْ كنزها فلم يؤدِّ زكاتها ويلٌ له. هذا كان قبل أن تنزل الزكاة، فلمَّا أنزلت جعلها الله طهراً للأموال.
أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٣٢٤، وفي الزكاة.

يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ

السَّموات والأرض ﴿**منها أربعة حرم**﴾ رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرَّم، يعظم انتهاك المحارم فيها بأشدَّ ممَّا يعظم في غيرها ﴿**ذلك الدين القيم**﴾ الحساب المستقيم ﴿**فلا تظلموا فيهن أنفسكم**﴾ تحفَّظوا من أنفسكم في الحرم، فإنَّ الحسنات فيهن تضعف، وكذلك السيئات ﴿**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**﴾ قاتلوهم كلَّهم، ولا تُحابوا بعضهم بترك القتال، كما إنَّهم يستحلُّون قتال جميعكم ﴿**واعلموا أنَّ الله مع المتقين**﴾ مع أوليائه الذين يخافونه.

﴿٣٧﴾ ﴿**إنما النسيء**﴾ تأخير حرمةِ شهرٍ حرَّمه الله إلى شهرٍ آخر لم يحرِّمه، وذلك أنَّ العرب في الجاهليَّة ربما كانت تستحلُّ المحرم، وتحرِّم بدله صفر، فأخبر الله تعالىٰ أنَّ ذلك كلَّه ﴿**زيادة في الكفر**﴾ حيث أحلُّوا ما حرَّم الله، وحرَّموا ما أحلَّ الله ﴿**يضل به**﴾ بذلك التَّأخير ﴿**الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً**﴾ إذا قاتلوا فيه أحلُّوه وحرَّموا مكانه صفر، وإذا لم يقاتلوا فيه حرَّموه ﴿**ليواطئوا**﴾ ليوافقوا ﴿**عدَّة ما حرم الله**﴾ وهو أنَّهم لم يُحلُّوا شهراً من الحرم إلَّا حرَّموا مكانه شهراً من الحلال، ولم يحرِّموا شهراً من الحلال إلَّا أحلُّوا مكانه شهراً من الحرم، لئلا يكون الحرم أكثر من الأربعة كما حرَّم الله، فيكون موافقة للعدد. ﴿**زين لهم سوء أعمالهم**﴾ زيَّن لهم الشَّيطان ذلك.

﴿٣٨﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا ما لكم**﴾ نزلت في حثِّ المؤمنين على غزوة تبوك(١)، وذلك

(١) وهذا قول مجاهد. أخرجه ابن جرير ١٠/١٣٣؛ والمؤلف في الأسباب ص ٢٨٣.

إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔاۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا

أنَّهم دُعوا إليها في زمان عسرةٍ من النَّاس، وجدبٍ من البلاد، وشدةٍ من الحرِّ، فشقَّ عليهم الخروج، فأنزل الله تعالىٰ: **﴿ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله﴾** اخرجوا في الجهاد لحرب العدوِّ **﴿اثاقلتم إلى الأرض﴾** أَحْبَبْتُمْ المقام **﴿أرضيتم بالحياة الدنيا﴾** بدلاً **﴿من الآخرة﴾** يعني: الجنَّة **﴿فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة﴾** يريد: الدُّنيا كلُّها **﴿إلَّا قليل﴾** عند شيءٍ من الجنَّة.

﴿٣٩﴾ **﴿إلَّا تنفروا﴾** تخرجوا مع نبيِّكم إلى الجهاد **﴿يعذبكم عذاباً أليماً﴾** بالقحط وحبس المطر **﴿ويستبدل قوماً غيركم﴾** يأت بقومٍ آخرين ينصرُ بهم رسوله **﴿ولا تضرّوه شيئاً﴾** لأنَّ الله عصمه عن النَّاس، ولا يخذله أَنْ تثاقلتم، كما لم يضرَّه قلَّة ناصريه حين كان بمكَّة وهمَّ به الكفَّار، فتولَّىٰ الله نصره، وهو قوله:

﴿٤٠﴾ **﴿إلَّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا﴾** أَيْ: اضطروه إلىٰ الخروج لمَّا همُّوا بقتله، فكانوا سبباً لخروجه من مكَّة هارباً منهم **﴿ثاني اثنين﴾** أَيْ: واحد اثنين هو ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه، والمعنىٰ: نصره الله منفرداً إلَّا من أبي بكر: **﴿إذْ هما في الغار﴾** هو غارٌ في جبل مكة يقال له: ثور **﴿إذْ يقول لصاحبه﴾** أبي بكر: **﴿لا تحزن﴾** وذلك أنَّه خاف على رسول الله ﷺ الطَّلب، فقال رسول الله ﷺ: **﴿لا تحزن إنَّ الله معنا﴾** يمنعهم منَّا، وينصرنا **﴿فأنزل الله سكينته﴾** ألقىٰ في قلب أبي بكر ما سكن به، **﴿وأيده﴾** أَيْ: رسوله **﴿بجنود لم تروها﴾** قوَّاه وأعانه بالملائكة يوم بدر. أخبر أنَّه صرف عنه كيد أعدائه، ثمَّ أظهره: نصره

وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ

بالملائكة يوم بدر **﴿وجعل كلمة الذين كفروا﴾** وهي كلمة الشِّرك **﴿السفلىٰ وكلمة الله هي العليا﴾** [يعني: كلمة التَّوحيد][1] لأنَّها علت وظهرت، وكان هذا يوم بدر.

﴿٤١﴾ **﴿انفروا خفافاً وثقالاً﴾** شباباً وشيوخاً **﴿وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم﴾** من التَّثاقل إلى الأرض **﴿إن كنتم تعلمون﴾** ما لكم من الثَّواب والجزاء، ثمَّ نزل في المنافقين الذين تخلَّفوا عن هذه الغزوة:

﴿٤٢﴾ **﴿لو كان عرضاً قريباً﴾** أَيْ: لو كان ما دُعوا إليه غنيمةً قريبةً **﴿وسفراً قاصداً﴾** قريباً هيِّناً **﴿لاتبعوك﴾** طمعاً في الغنيمة **﴿ولكن بعدت عليهم الشقة﴾** المسافة **﴿وسيحلفون بالله﴾** عندك إذا رجعت إليهم **﴿لو استطعنا لخرجنا معكم﴾** لو قدرنا وكان لنا سعةٌ من المال **﴿يهلكون أنفسهم﴾** بالكذب والنِّفاق **﴿والله يعلم إنهم لكاذبون﴾** لأنَّهم كانوا يستطيعون الخروج.

﴿٤٣﴾ **﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾** كان رسول الله ﷺ أذن لطائفةٍ في التَّخلُّف عنه، من غير مؤامرةٍ، ولم يكن له أن يمضي شيئاً إلاَّ بوحي، فعاتبه الله سبحانه وقال: لم أذنت لهم في التَّخلُّف **﴿حتىٰ يتبيَّن لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾** حتىٰ تعرف مَنْ له العذر منهم، ومَنْ لا عذر له، فيكون إذنك لمَنْ له العذر.

﴿٤٤﴾ **﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر﴾** في القعود والتَّخلُّف عن الجهاد

---

(١) زيادة من ظ.

أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسۡتَـٔۡذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱرۡتَابَتۡ قُلُوبُهُمۡ فَهُمۡ فِي رَيۡبِهِمۡ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوۡ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمۡ إِلَّا خَبَالٗا وَلَأَوۡضَعُواْ خِلَٰلَكُمۡ يَبۡغُونَكُمُ ٱلۡفِتۡنَةَ وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ وَقَلَّبُواْ لَكَ ٱلۡأُمُورَ حَتَّىٰ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَظَهَرَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَهُمۡ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾

كراهة ﴿**أن يجاهدوا**﴾ في سبيل الله ﴿**بأموالهم وأنفسهم**﴾ الآية.

﴿٤٥﴾ ﴿**إنما يستأذنك**﴾ في التَّخلُّف ﴿**الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم**﴾ شكُّوا في دينهم ﴿**فهم في ريبهم يترددون**﴾ في شكِّهم يتمادون.

﴿٤٦﴾ ﴿**ولو أرادوا الخروج لأعدُّوا له عدَّة**﴾ من الزَّاد والمركوب، لأنَّهم كانوا مياسير ﴿**ولكن كره الله انبعاثهم**﴾ لم يرد خروجهم معك ﴿**فثبطهم**﴾ فخذلهم وكسَّلهم ﴿**وقيل اقعدوا**﴾ وحياً إلى قلوبهم. يعني: إنَّ الله ألهمهم أسباب الخذلان ﴿**مع القاعدين**﴾ الزَّمنىٰ وأولي الضَّرر، ثمَّ بيَّنَ لِمَ كره خروجهم فقال:

﴿٤٧﴾ ﴿**لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلاَّ خبالاً**﴾ يقول: لو خرجوا لأفسدوا عليكم أمركم ﴿**ولأوضعوا خلالكم**﴾ لأسرعوا بالنَّميمة في إفساد ذاتِ بينكم ﴿**يبغونكم الفتنة**﴾ يُثبِّطونكم ويفرِّقون كلمتكم حتىٰ تنازعوا فتفتتنوا ﴿**وفيكم سماعون لهم**﴾ مَنْ يسمع كلامهم ويطيعهم، ولو صحبهم هؤلاء المنافقون أفسدوهم عليكم ﴿**والله عليم بالظالمين**﴾ المنافقين.

﴿٤٨﴾ ﴿**لقد ابتغوا الفتنة من قبل**﴾ طلبوا لك الشَّرَّ والعنتَ قبل تبوك، وهو أنَّ جماعةً منهم أرادوا الفتك به ليلة العقبة ﴿**وقلَّبوا لك الأمور**﴾ اجتهدوا في الحيلة عليك، والكيد بك ﴿**حتىٰ جاء الحق**﴾ الآية. أَيْ: حتىٰ أخزاهم الله بإظهار الحقِّ، وإعزاز الدِّين على كُرهٍ منهم.

وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ ۚ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ

﴿٤٩﴾ ﴿ومنهم مَنْ يقول ائذن لي﴾ نزلت في جدِّ بن قيس المنافق[1]، قال لرسول الله ﷺ: هل لك في جلاد بني الأصفر، تتخذ منهم سراري وُصفاءَ، فقال: ائذن لي يا رسول الله في القعود عنك وأُعينك بمالي ﴿ولا تفتني﴾ ببنات [بني] الأصفر، فإني مُسْتَهترٌ بالنِّساء، إني أخشىٰ إن رأيتهنَّ ألا أصبر عنهنَّ، فقال الله تعالىٰ: ﴿ألا في الفتنة سقطوا﴾ أيْ: في الشِّرك وقعوا بنفاقهم وخلافهم أمرك ﴿وإنَّ جهنم لمحيطة بالكافرين﴾ لمحدقةٌ بمَنْ كفر جامعةٌ لهم.

﴿٥٠﴾ ﴿إن تصبك حسنة﴾ نصرٌ وغنيمةٌ ﴿تسؤهم وإن تصبك مصيبة﴾ من قتلٍ وهزيمةٍ ﴿يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل﴾ قد أخذنا حذرنا، وعملنا بالحزم [حين تخلَّفنا] ﴿ويتولوا﴾ وينصرفوا ﴿وهم فرحون﴾ معجبون بذلك، وبما نالك من السُّوء.

﴿٥١﴾ ﴿قُلْ لن يصيبنا﴾ خيرٌ ولا شرٌّ ﴿إلاَّ﴾ وهو مقدَّرٌ مكتوبٌ علينا. ﴿هو مولانا﴾ ناصرنا ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ وإليه فليفوِّض المؤمنون أمورهم على الرِّضا بتدبيره.

﴿٥٢﴾ ﴿قل هل تربصون بنا﴾ هل تنتظرون أن يقع بنا ﴿إلاَّ إحدىٰ الحسنين﴾ الغنيمة أو الشَّهادة ﴿ونحن نتربص﴾ ننتظر ﴿بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده﴾ بقارعةٍ

(١) ورد هذا عن ابن عباس يرفعه. أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه يحيىٰ الحماني، وهو ضعيف. وانظر مجمع الزوائد ٧/٣٣؛ وأخرجه ابن جرير ١٠/١٤٨ عن مجاهد.

أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾

من السَّماء ﴿**أو بأيدينا**﴾ يأذن لنا في قتلكم فنقتلكم ﴿**فتربصوا إنا معكم متربصون**﴾ فانتظروا مواعيد الشَّيطان، إنَّا منتظرون مواعيد الله من إظهار دينه وهلاك مَنْ خالفه، ثمَّ ذكر في الآية الثَّانية والثَّالثة أنَّه لا يقبل منهم ما أنفقوا في الجهاد، لأنَّ منهم مَنْ قال لرسول الله ﷺ: اقعد وأُعينك بمالي، فأخبر الله تعالى أنَّه لا يقبل ذلك؛ فعلوه طائعين أو مكرهين، وبيَّن أنَّ المانع لقبول ذلك كفرهم بالله ورسوله، وكسلهم في الصَّلاة؛ لأنَّهم لا يرجون لها ثواباً، وكراهتهم الإنفاق في سبيل الله؛ لأنَّهم يعدُّونه مغرماً.

﴿٥٤﴾ ﴿**فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم**﴾ لا تستحسن ما أنعمنا عليهم من الأموال الكثيرة والأولاد ﴿**إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا**﴾ يعني: بالمصائب فيها، فهي لهم عذابٌ، وللمؤمن أجر ﴿**وتزهق أنفسهم**﴾ وتخرج أرواحهم ﴿**وهم**﴾ على الكفر.

﴿٥٥﴾ ﴿**ويحلفون بالله إنهم لمنكم**﴾ أَيْ: إنَّهم مؤمنون، وليسوا مؤمنين ﴿**ولكنهم قوم يفرقون**﴾ يخافون فيحلفون تقيَّةً لكم.

﴿٥٧﴾ ﴿**لو يجدون ملجأً**﴾ مهرباً ﴿**أو مغارات**﴾ سراديب ﴿**أو مدخلاً**﴾ وجهاً يدخلونه ﴿**لولَّوا إليه**﴾ لرجعوا إليه ﴿**وهم يجمحون**﴾ يُسرعون إسراعاً لا يردُّ وجوهَهم شيءٌ، أَيْ: لو أمكنهم الفرار من بين المسلمين بأيِّ وجهٍ كان لَفرُّوا، ولم يُقيموا بينهم.

وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ

﴿٥٨﴾ ﴿ومنهم﴾ ومن المنافقين ﴿مَن يَلْمِزُكَ﴾ يعيبك ويطعن عليك ﴿في﴾ أمر ﴿الصدقات﴾ يقول: إنَّما يعطيها محمَّد مَنْ أحبَّ، فإنْ أكثرت لهم من ذلك فرحوا، وإنْ أعطيتهم قليلاً سخطوا، ثمَّ ذكر في الآية الثَّانية أنَّهم لو رضوا بذلك وتوكَّلوا على الله لكان خيراً لهم، وهو قوله:

﴿٥٩﴾ **﴿ولو أنَّهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلىٰ الله راغبون﴾** ثمَّ بيَّن لمن الصَّدقات، فقال:

﴿٦٠﴾ **﴿إنما الصدقات للفقراء﴾** وهم المُتعفِّفون عن السُّؤال **﴿والمساكين﴾** الذين يسألون ويطوفون على النَّاس **﴿والعاملين عليها﴾** السُّعاة لجباية الصَّدَقة **﴿والمؤلفة قلوبهم﴾** كانوا قوماً من أشراف العرب استألفهم رسول الله ﷺ ليردُّوا عنه قومهم ويُعينوه على عدوِّه **﴿وفي الرقاب﴾** المكاتبين **﴿والغارمين﴾** أهل الدَّيْن **﴿وفي سبيل الله﴾** الغزاة والمرابطون **﴿وابن السبيل﴾** المنقطع في سفره **﴿فريضة من الله﴾** افترضها الله على الأغنياء في أموالهم.

﴿٦١﴾ **﴿ومنهم الذين يؤذون النبيَّ﴾** بنقل حديثه وعيبه **﴿ويقولون هو أذنٌ﴾** أنَّهم قالوا فيما بينهم: نقول ما شئنا، ثمَّ نأتيه فَنَحْلِفُ له فيصدِّقنا؛ لأنَّه أُذنٌ [والأُذن: الذي يسمع كلَّ ما يُقال له][1]، فقال الله تعالىٰ **﴿قل أذن خير لكم﴾** أيْ: مستمعُ خيرٍ

---

(١) زيادة من ظ.

يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِءُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ

وصلاح، لا مستمع شرٍّ وفسادٍ، ثمَّ أَكَّد هذا وبيَّنه فقال: ﴿**يؤمن بالله**﴾ أَيْ: يسمع ما ينزله الله عليه، فيصدِّق به ﴿**ويؤمن للمؤمنين**﴾ ويصدِّق المؤمنين فيما يخبرونه، لا الكافرين ﴿**ورحمة للذين آمنوا منكم**﴾ أَيْ: وهو رحمةٌ؛ لأنَّه كان سبب إيمانهم.

﴿٦٢﴾ ﴿**يحلفون بالله لكم ليرضوكم**﴾ يحلف هؤلاء المنافقون فيما بلغكم عنهم من أذىٰ الرَّسول والطَّعن عليه أنَّهم ما أتوا ذلك؛ ليرضوكم بيمينهم ﴿**والله ورسوله أحقُّ أن يرضوه**﴾ فيؤمنوا بهما ويصدِّقوهما إن كانوا على ما يظهرون.

﴿٦٤﴾ ﴿**يحذر المنافقون أن تنزل عليهم**﴾ على المؤمنين ﴿**سورة**﴾ تخبرهم ﴿**بما في قلوبهم**﴾ من الحسد لرسول الله ﷺ والمؤمنين، وذلك أنَّهم كانوا يفرقون من هتكهم وفضيحتهم ﴿**قل استهزئوا**﴾ أمرُ وعيدٍ ﴿**إنَّ الله مخرج**﴾ مظهرٌ ﴿**ما تحذرون**﴾ ظهوره.

﴿٦٥﴾ ﴿**ولئن سَأَلْتَهُمْ**﴾ عمَّا كانوا فيه من الاستهزاء ﴿**ليقولنَّ إنما كنا نخوض ونلعب**﴾ وذلك أنَّ رجلاً من المنافقين قال في غزوة تبوك[1]: ما رأيتُ مثل هؤلاء أرغبَ بطوناً، ولا أكذبَ أَلْسُناً، ولا أجبنَ عند اللِّقاء. يعني: رسول الله ﷺ والمؤمنين،

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٠/١٧٢ عن ابن عمر، وزيد بن أسلم، وذكره المؤلف في الأسباب ص ٢٨٨ وقائل هذه المقالة وديعة بن ثابت.

قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ

فأُخبر رسولُ الله ﷺ بذلك، فجاء هذا القائل ليعتذر، فوجد القرآن قد سبقه، فقال: يا رسول الله، إنما كنَّا نخوض ونلعب، ونتحدَّث بحديث الرَّكب نقطع به عنا الطريق، وهو معنىٰ قوله: **﴿إنَّما كنا نخوض﴾** أَيْ: في الباطل من الكلام، كما يخوض الرَّكب، فقال له رسول الله ﷺ: **﴿أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون﴾**.

﴿٦٦﴾ **﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم﴾** أَيْ: ظهر كفركم بعد إظهاركم الإيمان **﴿إنْ نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة﴾** وذلك أنَّهم كانوا ثلاثة نفر، فهزىء اثنان وضحك واحد، وهو المعفوُّ عنه، فلمَّا نزلت هذه الآية بريء من النِّفاق.

﴿٦٧﴾ **﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض﴾** علىٰ دين بعض **﴿يأمرون بالمنكر﴾** بالكفر بمحمد ﷺ **﴿وينهون عن المعروف﴾** عن اتِّباعه **﴿ويقبضون أيديهم﴾** عن النَّفقة في سبيل الله **﴿نسوا الله فنسيهم﴾** تركوا أمر الله، فتركهم من كلِّ خيرٍ وخذلهم **﴿إنَّ المنافقين هم الفاسقون﴾** الخارجون عمَّا أمر الله.

﴿٦٨﴾ **﴿وعد الله المنافقين. . .﴾** الآية ظاهرة، ثمَّ خاطبهم فقال:

﴿٦٩﴾ **﴿كالذين من قبلكم﴾** أَيْ: فعلتم كأفعال الذين من قبلكم **﴿فاستمتعوا بخلاقهم﴾** رضوا بنصيبهم من الدُّنيا، ففعلتم أنتم أيضاً مثل ما فعلوا **﴿وخضتم﴾** في الطَّعن

كَالَّذِي خَاضُوٓاْۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمۡ يَأۡتِهِمۡ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَقَوۡمِ إِبۡرَٰهِيمَ وَأَصۡحَٰبِ مَدۡيَنَ وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِۚ أَتَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾

علىٰ النبيِّ ﷺ كما خاضوا في الطَّعن على أنبيائهم **﴿أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾** لأنَّها لا تُقبل منهم ولا يُثابون عليها.

﴿٧٠﴾ **﴿ألَمْ يأتهم نبأ الذين من قبلهم﴾** ألم يأتهم خبر الذين أُهلكوا في الدُّنيا بذنوبهم، فيتَّعظوا، ثم ذكرهم **﴿قوم نوحٍ وعاد وثمود وقوم إبراهيم﴾** يعني: نمروذ **﴿وأصحاب مدين﴾** قوم شعيب **﴿والمؤتَفِكاتِ﴾** وأصحاب المؤتفكات، وهي قرىٰ قوم لوط **﴿فما كان الله ليظلمهم﴾** ليعذِّبهم قبل بعث الرَّسول **﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** بتكذيب الرُّسل.

﴿٧١﴾ **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾** في الرَّحمة والمحبَّة **﴿يأمرون بالمعروف﴾** يدعون إلى الإسلام **﴿وينهون عن المنكر﴾** الشِّرك بالله. الآية.

﴿٧٢﴾ **﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة﴾** يريد قصور الزَّبرجد والدُّرِّ والياقوت **﴿في جنات عدن﴾** هي قصبة الجنَّة، وسقفُها عرش الرَّحمن **﴿ورضوان من الله أكبر﴾** ممَّا يوصف.

﴿٧٣﴾ **﴿يا أيها النبيُّ جاهد الكفار﴾** بالسَّيف **﴿والمنافقين﴾** باللِّسان والحُجَّة **﴿واغلظ عليهم﴾** يريد شدَّة الانتهار، والنَّظر بالبغضة والمقت.

يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ

(٧٤) ﴿**يحلفون بالله ما قالوا**﴾ نزلت حين أساء المنافقون القول في رسول الله ﷺ، وطعنوا في الدِّين، وقالوا: إذا قدمنا المدينة عقدنا علىٰ رأس عبد الله ابن أُبيّ تاجاً يباهي به رسول الله ـ ﷺ ـ ، فَسُعِي بذلك إلى رسول الله ﷺ فدعاهم، فحلفوا ما قالوا ﴿**ولقد قالوا كلمة الكفر**﴾ سبّهم الرّسول وطعنهم في الدِّين ﴿**وهموا بما لم ينالوا**﴾ من عقدهم التّاج علىٰ رأس ابن أُبيّ. وقيل: من الاغتيال بالرّسول[1] ﴿**وما نقموا**﴾ كرهوا ﴿**إلاّ أن أغناهم الله ورسوله من فضله**﴾ بالغنيمة حتىٰ صارت لهم الأموال، أيْ: إنّهم عملوا بضدِّ الواجب، فجعلوا موضع شكر الغنىٰ أن نقموه، ثمَّ عرض عليهم التّوبة فقال: ﴿**فإن يتوبوا يك خيراً لهم وإنْ يتولوا**﴾ يعرضوا عن الإيمان ﴿**يعذبهم الله عذاباً أليماً في الدنيا**﴾ بالقتل ﴿**و**﴾ في ﴿**الآخرة**﴾ بالنار ﴿**وما لهم في الأرض من وليٍّ ولا نصير**﴾ لا يتولاّهم أحدٌ من المسلمين.

(٧٥) ﴿**ومنهم مَنْ عاهد الله**﴾ يعني: ثعلبة بن حاطب[2]، عاهد ربّه لئن وسَّعَ عليه أن

---

(١) عن ابن عباسٍ في قوله عزَّ وجلَّ: «همُّوا بما لم ينالوا» قال: همَّ رجلٌ يقال له الأسود بقتل رسول الله ﷺ. أخرجه الطبراني في الأوسط، وفيه عطاء بن السائب، وقد اختلط . انظر مجمع الزوائد ٧/ ٣٤.

(٢) حديث نزول هذه الآية في ثعلبة بن حاطب أخرجه ابن جرير ١٠/ ١٨٩؛ والمؤلف في الأسباب ص ٢٩٠؛ وأبو نعيم في معرفة الصحابة ٣/ ٢٧٢؛ والطبراني في الكبير.
وفيه: عليّ بن يزيد الألهاني، متروك. وثعلبة بن حاطب المذكور من أهل بدرٍ، فكيف يصحُّ فيه هذا؟! وقيل: المنافق ثعلبة بن أبـي حاطب، فهو غير البدري.

لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ

يؤتي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ففعل الله ذلك فلم يفِ بما عاهد، ومنع الزَّكاة، فهذا معنىٰ قوله: ﴿لئن آتانا من فضله لنصدقنَّ﴾ لنعطينَّ الصَّدقة، ﴿ولنكوننَّ من الصالحين﴾ ولنعملنَّ ما يعمل أهل الصَّلاح في أموالهم.

﴿٧٦﴾ ﴿فلما آتاهم من فضله بخلوا به...﴾ الآية.

﴿٧٧﴾ ﴿فأعقبهم نفاقاً﴾ صيَّر عاقبة أمرهم إلىٰ ذلك بحرمان التَّوبة، حتىٰ ماتوا على النِّفاق جزاءً لإخلافهم الوعد، وكذبهم في العهد، وهو قوله: ﴿إلى يوم يلقونه...﴾ الآية.

﴿٧٩﴾ ﴿الذين يلمزون﴾ يعيبون ويغتابون ﴿المطوعين﴾ المتطوعين المُتنفِّلين ﴿من المؤمنين في الصدقات﴾ وذلك أنَّ رسول الله ﷺ حثَّ على الصَّدقة، فجاء بعض الصحابة بالمال الكثير، وبعضهم ـ وهم الفقراء ـ بالقليل، فاغتابهم المنافقون وقالوا: مَنْ أكثرَ [أكثر] رياءً، ومَنْ أقلَّ أراد أن يذكر نفسه، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1]: ﴿والذين لا يجدون إلاَّ جهدهم﴾ وهو القليل الذي يتعيَّش به ﴿فيسخرون

---

(١) عن أبي مسعود الأنصاري قال: لمَّا أمرنا رسول الله ﷺ بالصدقة، تصدَّق أبو عقيلٍ بنصف صاعٍ، وجاء إنسانٌ بشيءٍ أكثر منه، فقال المنافقون: إنَّ الله لغنيٌّ عن صدقة هذا؛ وما فعل هذا الآخر إلاَّ رياءً، فنزلت: ﴿الذين يلمزون المطَّوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلاَّ جهدهم﴾ أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٣٣٠؛ ومسلم في الزَّكاة برقم ١٠١٨؛ والنسائي في السنن ٥/ ٥٩.

مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ ٱلْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَٰفَ رَسُولِ ٱللَّهِ وَكَرِهُوٓا۟ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾

منهم سخر الله منهم﴾ جازاهم جزاء سخريتهم حيث صاروا إلى النَّار، ثمَّ آيس الله رسوله من إيمانهم ومغفرتهم فقال:

﴿٨٠﴾ **﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾** وهذا تخييرٌ لرسول الله ﷺ، ثمَّ قال: **﴿إن تستغفر لهم سبعين مرة﴾** أَيْ: إن استكثرت من الدُّعاء بالاستغفار للمنافقين لن يغفر الله لهم.

﴿٨١﴾ **﴿فرح المخلفون﴾** يعني: الذين تخلَّفوا عن رسول الله ﷺ من المنافقين **﴿بمقعدهم﴾** بقعودهم **﴿خلاف رسول الله﴾** مخالفةً له **﴿وقالوا: لا تنفروا﴾** مع محمدٍ إلى تبوك **﴿في الحرِّ قل نار جهنم أشدُّ حراً لو كان يفقهون﴾** يعلمون أنَّ مصيرهم إليها.

﴿٨٢﴾ **﴿فليضحكوا قليلاً﴾** في الدُّنيا، لأنَّها تنقطع عنهم **﴿وليبكوا كثيراً﴾** في النار بكاءً لا ينقطع **﴿جزاءً بما كانوا يكسبون﴾** في الدُّنيا من النِّفاق.

﴿٨٣﴾ **﴿فإن رجعك الله﴾** ردَّك **﴿إلى طائفة منهم﴾** يعني: الذين تخلَّفوا بالمدينة **﴿فاستأذنوك للخروج﴾** إلىٰ الغزو معك **﴿فقل لن تخرجوا معي أبداً﴾** إلى غزاةٍ **﴿ولن تقاتلوا معي عدواً﴾** من أهل الكتاب **﴿إنكم رضيتم بالقعود أول مرة﴾** حين لم تخرجوا إلىٰ تبوك **﴿فاقعدوا مع الخالفين﴾** يعني: النِّساء والصِّبيان والزَّمنىٰ الذين يخلفون الذَّاهبين إلى السَّفر، ثمَّ نُهِيَ رسول اللَّه ﷺ عن الصَّلاة عليهم إذا

وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَٰدُهُمْۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾

ماتوا، والدُّعاء لهم عند الوقوف على القبر[1]، فقال:

﴿٨٤﴾ **﴿ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره...﴾** الآية.

﴿٨٥﴾ **﴿ولا تعجبك أموالهم﴾** مضىٰ تفسيره[2].

﴿٨٦﴾ **﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم﴾** يعني: أصحاب الغنىٰ والقدرة يستأذنونك في التَّخلُّف.

﴿٨٧﴾ **﴿رضوا بأن يكونوا مع الخوالف﴾** النِّساء اللاتي يخلفن في البيت **﴿وطبع على قلوبهم﴾** بالنِّفاق **﴿فهم لا يفقهون﴾** لا يفهمون الإيمان وشرائعه وأمر الله.

﴿٩٠﴾ **﴿وجاء المعذِّرون﴾** المعتذرون، وهم قوم **﴿من الأعراب﴾** اعتذروا إلى رسول الله ﷺ في التَّخلُّف فعذرهم، وهو قوله: **﴿ليؤذن لهم﴾** أيْ: في القعود **﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾** لم يُصدِّقوا نبيَّه، واتَّخذوا إسلامهم جُنَّة، ثمَّ ذكر

---

(١) نزلت في عبد الله بن أُبيّ، وحديث نزولها أخرجه البخاري في الجنائز. فتح الباري ٣/٢٢٨؛ ومسلم في صفات المنافقين، برقم ٢٧٧٤؛ والنسائي في التفسير ١/٥٥١؛ وابن ماجه برقم ١٥٢٣.

(٢) انظر ص ٤٦٨.

لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾ ۞ يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ

أهل العذر، فقال:

﴿٩١﴾ **﴿ليس على الضعفاء﴾** يعني: الزَّمنىٰ والمشايخ والعجزىٰ **﴿ولا على المرضىٰ ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله﴾** أخلصوا أعمالهم من الغِشِّ لهما **﴿ما علىٰ المحسنين من سبيل﴾** من طريق بالعقابِ، لأنَّه قد سُدَّ طريقه بإحسانه **﴿والله غفور رحيمٌ﴾** لمَنْ كان على هذه الخصال.

﴿٩٢﴾ **﴿ولا علىٰ الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾** نزلت في سبعة نفرٍ[1] سألوا رسول الله ﷺ أن يحملهم على الدَّوابِّ، فقال: **﴿لا أجد ما أحملكم عليه﴾** فانصرفوا باكين شوقاً إلىٰ الجهاد، وحزناً لضيق ذات اليد.

الجزء الحادي عشر:

﴿٩٤﴾ **﴿يعتذرون إليكم﴾** بالأباطيل **﴿إذا رجعتم إليهم﴾** من هذه الغزوة **﴿قل لا تعتذروا لن نؤمن لكم﴾** لن نصدِّقكم **﴿قد نبأنا الله من أخباركم﴾** قد أخبرنا الله بسرائركم وما تخفي صدوركم **﴿وسيرىٰ الله عملكم ورسوله﴾** فيما تستأنفون، تبتم من النِّفاق

---

(١) وهم عبد الله بن مُغفَّل، وعائذ بن عمرو، وعُلبة بن زيد، وأبو ليلىٰ عبد الرحمن ابن كعب، وسالم بن عمير، والعرباض بن سارية، ومعقل المزني. انظر الدرر لابن عبد البر ص ٢٣٩؛ والمحبر ص ٢٨١؛ وغرر التبيان ص ١٤٩.

ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ إِذَا ٱنقَلَبۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡ لِتُعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمۡۖ إِنَّهُمۡ رِجۡسٞۖ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحۡلِفُونَ لَكُمۡ لِتَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡۖ فَإِن تَرۡضَوۡاْ عَنۡهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرۡضَىٰ عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ٱلۡأَعۡرَابُ أَشَدُّ كُفۡرٗا وَنِفَاقٗا وَأَجۡدَرُ أَلَّا يَعۡلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغۡرَمٗا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَۚ عَلَيۡهِمۡ دَآئِرَةُ ٱلسَّوۡءِۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٩٩﴾

أم أقمتم عليه ﴿ثمَّ تردون إلى عالم الغيب والشهادة﴾ إلىٰ مَنْ يعلم ما غاب عنّا من ضمائركم ﴿فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ فيخبركم بما كنتم تكتمون وتسرون.

﴿٩٥﴾ ﴿سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم﴾ إذا رجعتم ﴿إليهم﴾ من تبوك أنَّهم ما قدروا على الخروج ﴿لتعرضوا عنهم﴾ إعراض الصَّفح ﴿فأعرضوا عنهم﴾ اتركوا كلامهم وسلامهم ﴿إنهم رجس﴾ إنَّ عملهم قبيحٌ من عمل الشَّيطان، ثمَّ نزل في أعاريب أسدٍ وغطفان:

﴿٩٧﴾ ﴿الأعراب أشدُّ كفراً ونفاقاً﴾ من أهل المدر، لأنَّهم أجفىٰ وأقسىٰ ﴿وأجدر﴾ وأولىٰ [وأحقُّ] ﴿ألا يعلموا حدود ما أنزل الله﴾ من الحلال والحرام.

﴿٩٨﴾ ﴿ومن الأعراب مَنْ يتخذ ما ينفق مغرماً﴾ لأنَّه لا يرجو له ثواباً ﴿ويتربَّص بكم الدوائر﴾ وينتظر أن ينقلب الأمر عليكم بموت الرَّسول عليه السَّلام ﴿عليهم دائرة السوء﴾ عليهم يدور البلاء والخزي، فلا يرون في محمد ودينه إلاَّ ما يسوءهم، ثمَّ نزل في مَنْ أسلم منهم:

﴿٩٩﴾ ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله﴾ يتقرَّب بذلك إلى الله عزَّ وجلَّ ﴿وصلوات الرسول﴾ يعني: دعاءه بالخير والبركة، والمعنىٰ: أنَّه يتقرَّب بصدقته ودعاء الرَّسول إلى الله ﴿ألا إنَّها قربة لهم﴾ أيْ: نورٌ

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾ وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٢﴾

ومكرمةٌ عند الله.

﴿١٠٠﴾ **﴿والسابقون الأولون﴾** يعني: الذين شهدوا بدراً **﴿من المهاجرين والأنصار﴾** يعني: الذين آمنوا منهم قبل قدوم الرَّسول عليهم، فهؤلاء السُّبَّاق من الفريقين. وقيل: أراد كلَّ مَنْ أدركه من أصحابه، فإنَّهم كلَّهم سبقوا هذه الأمَّة بصحبة النَّبي ﷺ ورؤيته **﴿والذين اتبعوهم بإحسان﴾** يعني: ومن اتَّبعهم على منهاجهم إلى يوم القيامة ممَّن يُحسن القول فيهم.

﴿١٠١﴾ **﴿وممن حولكم من الأعراب منافقون﴾** يعني: مزينة وجهينة وغفاراً **﴿ومن أهل المدينة﴾** الأوس والخزرج **﴿مردوا على النفاق﴾** لجُّوا فيه، وأبوا غيره **﴿سنعذبهم مرتين﴾** بالأمراض والمصائب في الدُّنيا، وعذاب القبر **﴿ثم يردون إلى عذاب عظيم﴾** وهو الخلود في النَّار.

﴿١٠٢﴾ **﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم﴾** في التَّخلُّف عن الغزو **﴿خلطوا عملاً صالحاً﴾** وهو جهادهم مع النبيِّ ﷺ قبل هذا **﴿وآخر سيئاً﴾** تقاعدهم عن هذه الغزوة **﴿عسىٰ الله﴾** واجبٌ من الله **﴿أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم﴾** ثمَّ تاب على هؤلاء وعذرهم، فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا التي خلَّفتنا عنك فخذها منَّا صدقةً وطهِّرنا، واستغفر لنا، فقال رسول الله ﷺ: ما أُمرت أن آخذ من أموالكم شيئاً[1]، فأنزل الله سبحانه:

---

(١) هذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١١/١٦ من طريق علي بن أبي طلحة، وهو أصح طريق عن ابن عباس لكن فيه انقطاع لأنَّ عليَّ بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس، وقد أخرج البخاري له في صحيحه.

خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ

---

(١٠٣) ﴿**خذ من أموالهم صدقة**﴾ فأخذ رسول الله ﷺ ثلث أموالهم، وكانت كفَّارةً للذُّنوب التي أصابوها، وهو قوله: ﴿**تطهرهم**﴾ يعني: هذه الصَّدقة تطهِّرهم من الذُّنوب ﴿**وتزكيهم بها**﴾ أَيْ: ترفعهم أنت يا محمَّدُ بهذه الصَّدقة من منازل المنافقين ﴿**وصل عليهم**﴾ ادع لهم ﴿**إنَّ صلاتك سكن لهم**﴾ إنَّ دعواتك ممَّا تسكن نفوسهم إليه بأن قد تاب الله عليهم ﴿**والله سميع**﴾ لقولهم ﴿**عليم**﴾ بندامتهم، فلمَّا نزلت توبة هؤلاء قال الذين لم يتوبوا من المتخلِّفين: هؤلاء كانوا بالأمس معنا لا يُكلَّمون ولا يُجالسون، فما لهم؟ وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ لمَّا رجع إلى المدينة نهىٰ المؤمنين عن مكالمة المنافقين ومجالستهم، فأنزل الله سبحانه:

(١٠٤) ﴿**ألم يعلموا أنَّ الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات**﴾ يقبلها ﴿**وأنَّ الله هو التواب الرحيم**﴾ يرجع علىٰ مَنْ يرجع إليه بالرَّحمة والمغفرة.

(١٠٥) ﴿**وقل اعملوا**﴾ يا معشر عبادي، المحسن والمسيء ﴿**فسيرىٰ الله عملكم ورسوله والمؤمنون**﴾ أَيْ: إنَّ الله يُطلعهم على ما في قلوب إخوانهم من الخير والشَّرِّ، فيحبُّون المحسن ويبغضون المسيء بإيقاع الله ذلك في قلوبهم، وباقي الآية سبق تفسيره.

(١٠٦) ﴿**وآخرون مرجون لأمر الله**﴾ مُؤخَّرون ليقضي الله فيهم ما هو قاضٍ، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، كانوا تخلَّفوا من غير عذر، ثمَّ لم يبالغوا في الاعتذار، كما فعل أولئك الذين تصدَّقوا بأموالهم، فوقف رسولُ الله ﷺ أمرهم، وهم مهجورون حتَّىٰ نزل قوله: ﴿**وعلى الثلاثة الذين**

إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠٦﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ ۖ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ

خُلِّفوا...﴾ الآيات. ﴿**إمَّا يعذبهم**﴾ بعقابه جزاءً لهم ﴿**وإمَّا يتوب عليهم**﴾ بفضله ﴿**والله عليم**﴾ بما يؤول إليه حالهم ﴿**حكيم**﴾ فيما يفعله بهم.

﴿١٠٧﴾ ﴿**والذين اتخذوا**﴾ ومنهم الذين اتَّخذوا مسجداً، وكانوا اثني عشر رجلاً[1] من المنافقين، بنوا مسجداً يضارُّون به مسجد قباء، وهو قوله: ﴿**ضراراً وكفراً**﴾ بالنبيِّ ﷺ وما جاء به ﴿**وتفريقاً بين المؤمنين**﴾ يفرِّقون به جماعتهم، لأنَّهم كانوا يصلُّون جميعاً في مسجد قباء، فبنوا مسجد الضِّرار ليصلِّي فيه بعضهم، فيختلفوا بسبب ذلك ﴿**وإرصاداً**﴾ وانتظاراً ﴿**لمن حارب الله ورسوله من قبل**﴾ يعني: أبا عامرٍ الرَّاهب، كان قد خرج إلىٰ الشَّام ليأتي بجندٍ يحارب بهم رسول الله ﷺ، وأرسل إلى المنافقين أن ابنوا لي مسجداً ﴿**وليحلفنَّ إن أردنا**﴾ ببنائه ﴿**إلاَّ**﴾ الفعلة ﴿**الحسنىٰ**﴾ وهي الرِّفق بالمسلمين، والتَّوسعة عليهم، فلمَّا بنوا ذلك المسجد سألوا النَّبيَّ ﷺ أن يأتيهم فيصلِّي بهم في ذلك المسجد، فنهاه الله عزَّ وجلَّ، وقال:

﴿١٠٨﴾ ﴿**لا تقم فيه أبداً لمسجدٌ أسس على التقوىٰ**﴾ بُنيت جُدُره، ورُفعت قواعده على طاعة الله تعالىٰ ﴿**من أول يوم**﴾ بُني وحَدث بناؤه، وهو مسجد رسول الله ﷺ،

---

(١) وهم خذام بن خالد، وبحزج، وثعلبة بن حاطب (أو ابن أبي حاطب) وهو الأصح؛ لأنَّ الأول بدري، ووديعة بن ثابت، ومعتِّب بن قشير، وعبَّاد بن حنيف، ونبتل بن الحارث، وبجاد بن عون، وأبو حبيبة بن الأزعر، وجارية بن عامر، وزيد، ومجمِّع ابنه.
انظر: التعريف والإعلام ص ١٥٠، وغرر التبيان ص ١٥٠، وأسباب النزول ص ٢٩٩.

أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْاْ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ ۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم

وقيل: هو مسجد قباء ﴿أحقُّ أن تقوم فيه﴾ للصَّلاة ﴿فيه رجال﴾ يعني: الأنصار ﴿يحبون أن يتطهروا﴾ يعني: غسل الأدبار بالماء، وكان من عادتهم في الاستنجاء استعمال الماء بعد الحجر ﴿والله يحب المطهرين﴾ من الشِّرك والنِّفاق.

﴿١٠٩﴾ ﴿أفمن أسس بنيانه﴾ أَيْ: بناءه الذي بناه ﴿على تقوىٰ من الله﴾ مخافة الله، ورجاء ثوابه، وطلب مرضاته ﴿خيرٌ أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار﴾ على حرف مهواةٍ ﴿فانهار به﴾ أُوقع بنيانه ﴿في نار جهنم﴾ وهذا مَثَل. والمعنىٰ: إنَّ بناء هذا المسجد كبناءٍ على حرفِ جهنَّم يتهوَّر بأهله فيها، لأنَّه معصيةٌ وفعلٌ لما كرهه الله من الضِّرار.

﴿١١٠﴾ ﴿لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم﴾ شكّاً في قلوبهم ﴿إلاَّ أن تقطَّع قلوبهم﴾ بالموت، والمعنىٰ: لا يزالون في شكٍّ منه إلى الموت، يحسبون أنَّهم كانوا في بنائه محسنين ﴿والله عليم﴾ بخلقه ﴿حكيم﴾ فيما جعل لكلِّ أحدٍ.

﴿١١١﴾ ﴿إنَّ الله اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم...﴾ الآية. نزلت في بيعة العقبة[1]، لمَّا بايعت الأنصار رسول الله ﷺ على أن يعبدوا الله ولا يشركوا به

---

(١) عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: قال عبد الله بن رواحة لرسول الله ﷺ: اشترط لربك ولنفسك ما شئت. قال: أشترط لربي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأشترط لنفسي أن تمنعوني ممَّا تمنعون منه أنفسكم وأموالكم. قالوا: فإذا فعلنا ذلك فماذا لنا؟ قال: الجنَّة. قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت: ﴿إنَّ الله اشترىٰ من المؤمنين...﴾ الآية.
أخرجه ابن جرير ١١/٣٦؛ والمؤلف في الأسباب ص ٣٠١.

بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾

شيئاً، وأن يمنعوه ممَّا يمنعون أنفسهم. قالوا: فإذا فعلنا ذلك يا رسول الله، فماذا لنا؟ قال: الجنَّة. قالوا: ربح البيع، لا نقيل ولا نستقيل، فنزلت هذه الآية. ومعنىٰ: ﴿اشترىٰ من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنة﴾ أنَّ المؤمن إذا قاتل في سبيل الله حتىٰ يُقتل، وأنفق ماله في سبيل الله أخذ من الله الجنَّة في الآخرة جزاءً لما فعل، وقوله: ﴿وعداً﴾ أَيْ: وعدهم اللَّهُ الجنَّة وعداً ﴿عليه حقاً﴾ لا خلف فيه ﴿في التوراة والإِنجيل والقرآن﴾ أَيْ: إنَّ الله بيَّن في الكتابين أنَّه اشترىٰ من أمة محمَّدٍ أنفسهم وأموالهم بأنَّ لهم الجنَّة، كما بيَّن في القرآن ﴿ومَنْ أوفىٰ بعهده من الله﴾ أَيْ: لا أحدٌ أوفىٰ بما وعد من الله، ثمَّ مدحهم فقال:

﴿١١٢﴾ ﴿**التائبون**﴾ أَيْ: هم التَّائبون من الشِّرك ﴿**العابدون**﴾ يرون عبادة الله واجبةً عليهم ﴿**الحامدون**﴾ الله على كلِّ حال ﴿**السائحون**﴾ الصَّائمون ﴿**الراكعون الساجدون**﴾ في الفرائض ﴿**الآمرون بالمعروف**﴾ بالإِيمان بالله وفرائضه وحدوده ﴿**والناهون عن المنكر**﴾ الشِّرك وترك فرائض الله ﴿**والحافظون لحدود الله**﴾ العاملون بما افترض الله عليهم.

﴿١١٣﴾ ﴿**ما كان للنبيِّ...**﴾ الآية. نزلت في استغفار النبيِّ عليه السَّلام لعمِّه أبي طالب، وأبيه، وأُمِّه، واستغفار المسلمين لآبائهم المشركين، نُهوا عن ذلك،

﴿وَمَا كَانَ ٱسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾﴾

وكان رسول الله ﷺ قد قال: لأستغفرنَّ لأبـي كما استغفر إبراهيم لأبيه[1]، فبيَّن الله سبحانه كيف كان ذلك، فقال:

﴿١١٤﴾ **﴿وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلَّا عن موعدة وعدها إياه﴾** وذلك أنَّه كان قد وعده أن يستغفر له رجاء إسلامه، وأن ينقله الله باستغفاره إيَّاه من الكفر إلى الإسلام، وهذا ظاهر في قوله: ﴿سأستغفر لك ربـي﴾[2]، وقوله: ﴿لأستغفرنَّ لك﴾[3]، فلمَّا مات أبوه مشركاً تبرَّأ منه وقطع الاستغفار. **﴿إنَّ إبراهيم لأوَّاه﴾** دَعَّاءٌ كثير البكاء **﴿حليم﴾** لم يعاقب أحداً إلَّا في الله، ولم ينتصر من أحدٍ إلَّا لله، فلمَّا حرَّم الاستغفار للمشركين بيَّن أنَّه لا يأخذهم بما فعلوا؛ لأنَّه لم يكن قد بيَّن لهم أنَّه لا يجوز ذلك، فقال:

﴿١١٥﴾ **﴿وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم﴾** ليوقع الضَّلالة في قلوبهم بعد الهدىٰ **﴿حتىٰ يبيِّن لهم ما يتقون﴾** فلا يتَّقوه، فعند ذلك يستحقُّون الإضلال.

---

(١) عن سعيد بن المسيَّب، عن أبيه، قال: لمَّا حضرت أبا طالب الوفاة دخل عليه النبـيُّ ﷺ، وعنده أبو جهلٍ وعبد الله بن أبـي أميَّة، فقال: أيْ عمِّ، قل: لا إلَه إلَّا الله، كلمةٌ أحاجُّ لك بها عند الله، فقال له أبو جهلٍ وعبد الله بن أبـي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملَّة عبد المطلب، فلم يزالا يكلِّمانه حتىٰ قال آخر شيء كلَّمهم به: على ملَّة عبد المطلب، فقال النبـي ﷺ: لأستغفرنَّ لك ما لم أُنهَ عنك، فنزلت: ﴿ما كان للنبـيِّ والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين﴾، ونزلت: ﴿إنك لا تهدي من أحببت﴾. أخرجه البخاري في التفسير، فتح الباري ٨/ ٣٤١؛ ومسلم في كتاب الإيمان برقم ٢٤؛ والنسائي في تفسيره ١/ ٥٦٢.

(٢) سورة مريم: الآية ٤٧.

(٣) سورة الممتحنة: الآية ٤.

إِنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۚ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ

﴿١١٧﴾ ﴿لقد تاب الله على النبيِّ﴾ مِنْ إذنه للمنافقين في التَّخلُّف عنه، وهو ما ذُكر في قوله: ﴿عفا الله عنك...﴾ الآية ﴿والمهاجرين والأنصار الذين اتَّبعوه في ساعة العسرة﴾ في زمان عسرة الظَّهر، وعسرة الماء، وعسرة الزَّاد ﴿من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم﴾ من بعد ما همَّ بعضهم بالتَّخلُّف عنه والعصيان، ثمَّ لحقوا به ﴿ثم تاب عليهم﴾ ازداد عنهم رضا.

﴿١١٨﴾ ﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا﴾ أي: عن التَّوبة عليهم. يعني: مَنْ ذكرناهم في قوله: ﴿وآخرون مرجون لأمر الله﴾[1] ﴿حتىٰ إذا ضاقت عليهم الأرض﴾ لأنَّهم كانوا مهجورين لا يُعاملون ولا يُكلَّمون ﴿وضاقت عليهم أنفسهم﴾ بالهمِّ الذي حصل فيها ﴿وظنوا﴾ أيقنوا ﴿أن لا ملجأ من الله إلاَّ إليه﴾ أن لا مُعتَصَم من عذاب الله إلاَّ به ﴿ثمَّ تاب عليهم ليتوبوا﴾ أيْ: لطف بهم في التَّوبة ووفَّقهم لها.

﴿١١٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ يعني: أهل الكتاب ﴿اتقوا الله﴾ بطاعته ﴿وكونوا مع الصادقين﴾ محمدٍ وأصحابه. يأمرهم أن يكونوا معهم في الجهاد والشِّدَّة والرَّخاء. وقوله:

﴿١٢٠﴾ ﴿ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه﴾ لا يرضوا لأنفسهم بالخفض والدَّعة،

---

(١) سورة التوبة: الآية ١٠٦.

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ

ورسولُ الله ﷺ في الحرِّ والمشقَّة. ﴿ذلك﴾ أيْ: ذلك النَّهي عن التَّخلُّف ﴿بأنهم لا يصيبهم ظمأ﴾ وهو شدَّة العطش ﴿ولا نصب﴾ إعياء من التَّعب ﴿ولا مخمصة﴾ مجاعةٌ ﴿ولا يطؤون موطئاً﴾ ولا يقفون موقفاً ﴿يغيظ الكفار﴾ يُغضبهم ﴿ولا ينالون من عدو نيلاً﴾ أسراً وقتلاً إلاَّ كان ذلك قُربةً لهم عند الله.

﴿١٢١﴾ ﴿ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة﴾ تمرةً فما فوقها ﴿ولا يقطعون وادياً﴾ يُجاوزونه في سيرهم ﴿إلاَّ كتب لهم﴾ آثارهم وخُطاهم ﴿ليجزيهم الله أحسن﴾ بأحسن ﴿ما كانوا يعملون﴾ فلمَّا عِيبَ مَنْ تخلَّف عن غزوة تبوك قال المسلمون: والله لا نتخلَّف عن غزوةٍ بعد هذا، ولا عن سرية أبداً، فلمَّا أمر رسول الله ﷺ بالسَّرايا إلى العدوِّ، نفر المسلمون جميعاً إلى الغزو، وتركوا رسول الله ﷺ وحده بالمدينة، فأنزل الله عزَّ وجلَّ:

﴿١٢٢﴾ ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة﴾ ليخرجوا جميعاً إلى الغزو ﴿فلولا نفر من كلِّ فرقة منهم طائفة﴾ فهلاَّ خرج إلى الغزو من كلِّ قبيلةٍ جماعةٌ ﴿ليتفقهوا في الدين﴾ ليتعلَّموا القرآن والسُّنن والحدود. يعني: الفرقة القاعدين ﴿ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم﴾ وليعلِّموهم ما نزل من القرآن ويخوِّفوهم به ﴿لعلهم يحذرون﴾ فلا يعملون بخلاف القرآن.

﴿١٢٣﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم﴾ يقربون منكم. أُمروا بقتال الأدنىٰ

وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾

فالأدنىٰ من عدوِّهم من المدينة ﴿**وليجدوا فيكم غلظة**﴾ شدَّةً وعُنفاً.

﴿١٢٤﴾ ﴿**وإذا ما أنزلت سورة فمنهم**﴾ من المنافقين ﴿**مَنْ يقول أيكم زادته هذه إيماناً**﴾ يقوله المنافقون بعضهم لبعض هزؤاً، فقال الله تعالىٰ: ﴿**فأمَّا الذين آمنوا فزادتهم إيماناً**﴾ تصديقاً، لأنَّهم صدَّقوا بالأولىٰ والثَّانية ﴿**وهم يستبشرون**﴾ يفرحون بنزول السُّورة.

﴿١٢٥﴾ ﴿**وأما الذين في قلوبهم مرض**﴾ شكٌّ ونفاقٌ ﴿**فزادتهم رجساً إلى رجسهم**﴾ كفراً إلى كفرهم؛ لأنَّهم كلَّما كفروا بسورةٍ ازداد كفرهم.

﴿١٢٦﴾ ﴿**أوَلَايرون أنهم يفتنون في كلِّ عام مرَّة أو مرتين**﴾ يُمتحنون بالأمراض والأوجاع، وهنَّ روائد الموت ﴿**ثمَّ لا يتوبون**﴾ من النِّفاق، ولا يتَّعظون كما يتَّعظ المؤمن بالمرض.

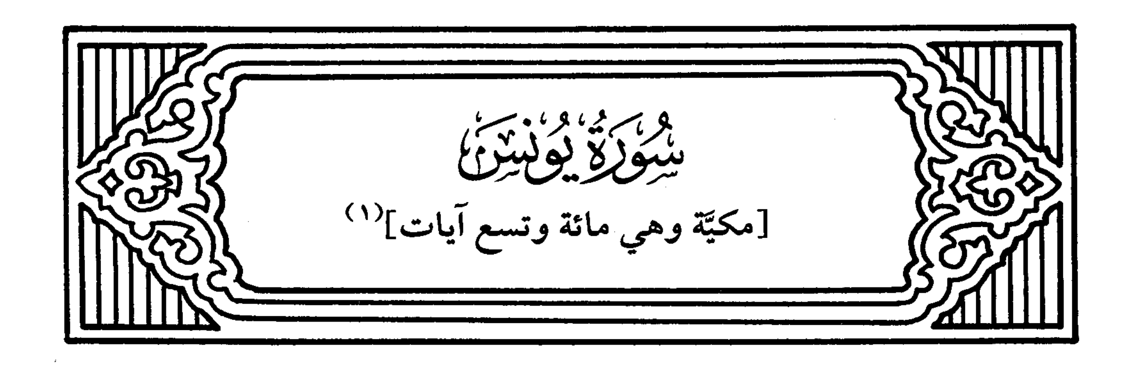
﴿١٢٧﴾ ﴿**وإذا ما أنزلت سورة**﴾ كان إذا نزلت سورةٌ فيها عيبُ المنافقين، وتلا عليهم رسول الله ﷺ شقَّ ذلك عليهم، و ﴿**نظر بعضهم إلى بعض**﴾ يريدون الهرب من عند رسول الله ﷺ، وقال بعضهم لبعض: ﴿**هل يراكم من أحد**﴾ إنْ قمتم، فإن لم يرهم أحدٌ خرجوا من المسجد، وإنْ علموا أنَّ أحداً يراهم ثبتوا مكانهم حتىٰ يفرغ من خطبته ﴿**ثم انصرفوا**﴾ على عزم الكفر والتَّكذيب ﴿**صرف الله قلوبهم**﴾ عن كلِّ رشدٍ وهدىً ﴿**بأنهم قومٌ لا يفقهون**﴾ جزاءً على فعلهم، وهو أنَّهم لا يفقهون عن الله دينه وما دعاهم الله إليه.

لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾

﴿١٢٨﴾ **﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾** من العرب من بني إسماعيل ليفهموا منه **﴿عزيز عليه ما عنتم﴾** شـديدٌ عليه مشقَّتكم وكلُّ مضرَّة تُصيبكم **﴿حريص عليكم﴾** أن تؤمنوا. وهذا خطابٌ للكفَّار ومَنْ لم يؤمن به، ثمَّ ذكر أنَّه **﴿بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾**.

﴿١٢٩﴾ **﴿فإن تولوا﴾** أعرضوا عن الإيمان. يعني: المشركين والمنافقين **﴿فقل حسبي الله﴾** أَيْ: الذي يكفيني الله **﴿لا إلّه إلاَّ هو عليه توكلت﴾** وبه وثقت **﴿وهو رب العرش العظيم﴾** خصَّ بالذِّكر لأنه أعظم ما خلق الله عزَّ وجلَّ.

• • •



سُورَةُ يُونُسَ

[مكيّة وهي مائة وتسع آيات][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿الٓر﴾ أنا الله أرى[2]. ﴿تلك آيات الكتاب﴾ هذه الآيات التي أنزلتها عليك آيات القرآن ﴿الحكيم﴾ الحاكم بين النَّاس.

﴿٢﴾ ﴿أكان للناس﴾ أهلِ مكَّةَ ﴿عجباً أن أوحينا إلى رجلٍ منهم﴾ وذلك أنَّهم قالوا: ما وجدَ الله مَنْ يُرسله إلينا إلاَّ يتيم أبـي طالب؟! ﴿أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا﴾ أيْ: بعثناه بشيراً ونذيراً ﴿أنَّ لهم قدم صدق عند ربهم﴾ يعني: الأعمال الصَّالحة. ﴿قال الكافرون إنَّ هذا﴾ القرآن ﴿لسحرٌ مبين﴾.

﴿٣﴾ ﴿إنَّ ربكم الله﴾ مفسَّرةٌ في سورة الأعراف[3]، وقوله: ﴿يدبِّر الأمر﴾ يقضيه

---

(١) ما بين [ ] زيادة من ظ وظا.

(٢) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١١/٧٩؛ وفيه شريك، وهو صدوقٌ يخطىء كثيراً، وفيه عطاء بن السائب وهو صدوق اختلط. فالحديث ضعيف.

(٣) انظر ص ٣٩٧.

مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقًّاۚ إِنَّهُۥ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءٗ وَٱلۡقَمَرَ نُورٗا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ يُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾

﴿ما من شفيع إلاَّ من بعد إذنه﴾ ردٌّ لقولهم: الأصنام شفعاؤنا عند الله.

﴿٥﴾ ﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً﴾ ذات ضياءٍ ﴿والقمر نوراً﴾ ذا نورٍ ﴿وقدَّره﴾ وقدَّر له ﴿منازل﴾ على عدد أيام الشَّهر ﴿ما خلق الله ذلك﴾ يعني: ما تقدَّم ذكره ﴿إلاَّ بالحق﴾ بالعدل، أَيْ: هو عادلٌ في خلقه، لم يخلقه ظلماً ولا باطلاً ﴿يفصِّل الآيات﴾ يُبيِّنها ﴿لقوم يعلمون﴾ يستدلُّون بها على قدرة الله.

﴿٧﴾ ﴿إنَّ الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث ﴿ورضوا بالحياة الدنيا﴾ بدلاً من الآخرة ﴿واطمأنوا بها﴾ وركنوا إليها ﴿والذين هم عن آياتنا﴾ ما أنزلتُ من الحلال والحرام والشرائع ﴿غافلون﴾. وقوله:

﴿٩﴾ ﴿يهديهم ربُّهم بإيمانهم﴾ أَيْ: إلىٰ الجنان ثواباً لهم بإيمانهم.

﴿١٠﴾ ﴿دعواهم﴾ دعاؤهم ﴿فيها سبحانك اللهم﴾ وهو أنَّهم كلَّما اشتهوا شيئاً قالوا: سبحانك اللَّهم، فجاءهم ما يشتهون، فإذا طعموا ممَّا يشتهون قالوا: الحمد لله

﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾

ربِّ العالمين[١].

﴿١١﴾ **﴿ولو يعجل الله للناس الشرَّ. . .﴾** الآية. نزلت في دعاء الرَّجل على نفسه وأهله وولده بما يكره أن يستجاب له، والمعنىٰ: لو استجبتُ لهم في الشَّرِّ كما يحبُّون أن يستجاب لهم في الخير **﴿لقضي إليهم أجلهم﴾** لماتوا، وفُرغ من هلاكهم. نزلت في النَّضر بن الحارث حين قال: **﴿اللَّهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك. . .﴾**[٢] الآية. يدلُّ على هذا قوله: **﴿فنذر الذين لا يرجون لقاءنا﴾** يعني: الكفَّار الذين لا يخافون البعث.

﴿١٢﴾ **﴿وإذا مسَّ الإنسان﴾** يعني: الكافر **﴿الضرُّ﴾** المرض والبلاء **﴿دعانا لجنبه﴾** أَيْ: مضطجعاً **﴿أو قاعداً أو قائماً فلما كشفنا عنه ضرَّه مرَّ﴾** طاغياً على ترك الشُّكر **﴿كأن لم يدعنا إلى ضرٍّ مسَّه﴾** لنسيانه ما دعا الله فيه، وما صنع الله به **﴿كذلك زين﴾** كما زُيِّن لهذا الكافر الدُّعاء عند البلاء، والإعراض عند الرَّخاء **﴿زين للمسرفين﴾** عملهم، وهم الذين أسرفوا على أنفسهم، إذ عبدوا الوثن.

﴿١٣﴾ **﴿ولقد أهلكنا القرون من قبلكم﴾** يخوِّف كفار مكَّة بمثل عذاب الأمم الخالية **﴿وما كانوا ليؤمنوا﴾** لأنَّ الله طبع على قلوبهم جزاءً لهم على كفرهم **﴿كذلك نجزي القوم المجرمين﴾** نفعل بمَنْ كذَّب بمحمَّدٍ كما فعلنا بمَنْ قبلهم جزاءً لكفرهم.

---

(١) وهذا قول ابن جريج. أخرجه ابن جرير ١١/ ٨٩.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٢.

ثُمَّ جَعَلْنَـٰكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَـٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ ۚ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآئِ نَفْسِىٓ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰٓؤُلَآءِ شُفَعَـٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ

---

(١٤) ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم﴾ يعني: أهل مكّة ﴿لننظر كيف تعملون﴾ لنختبر أعمالكم.

(١٥) ﴿وإذا تتلىٰ عليهم﴾ على هؤلاء المشركين ﴿آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث: ﴿ائت بقرآن غير هذا﴾ ليس فيه عيب آلهتنا ﴿أو بدِّله﴾ تكلَّمْ به من ذات نفسك، فبدِّلْ منه ما نكرهه ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي﴾ ما ينبغي لي أَنْ أغيِّره من قبل نفسي ﴿إن أتبع إلاَّ ما يوحىٰ إليَّ﴾ ما أُخبركم إلاَّ ما أخبرني الله به، أَي: الذي أتيتُ به من عند الله، لا من عندي نفسي فأبدِّله.

(١٦) ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم﴾ ما قرأتُ عليكم القرآن ﴿ولا أدراكم به﴾ ولا أعلمكم الله به ﴿فقد لبثت فيكم عُمراً من قبله﴾ أقمتُ فيكم أربعين سنةً لا أُحدِّثكم شيئاً ﴿أفلا تعقلون﴾ أنَّه ليس من قبلي.

(١٧) ﴿فمن أظلم ممن افترىٰ على الله كذباً﴾ لا أحد أظلم ممَّن يظلم ظلم الكفر، أَيْ: إني لم أفترِ على الله، ولم أكذب عليه، وأنتم فعلتم ذلك حيث زعمتم أنَّ معه شريكاً ﴿إنَّه لا يفلح المجرمون﴾ لا يسعد مَنْ كذَّب أنبياء الله.

(١٨) ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرُّهم﴾ إنْ لم يعبدوه ﴿ولا ينفعهم﴾ إن عبدوه ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله﴾ في إصلاح معاشهم في الدُّنيا؛ لأنَّهم لا يقرُّون

قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ

بالبعث ﴿قل أتنبؤون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض﴾ أتخبرون الله أنَّ له شريكاً، ولا يعلم الله سبحانه لنفسه شريكاً في السَّموات ولا في الأرض، ثمَّ نزَّه نفسه عمَّا افتروه فقال: ﴿سبحانه وتعالىٰ عما يشركون﴾.

﴿١٩﴾ ﴿وما كان الناس إلاَّ أمة واحدة﴾ يعني: من لدن عهد إبراهيم عليه السَّلام إلىٰ أن غيَّر الدِّين عمرو بن لُحي ﴿فاختلفوا﴾ واتَّخذوا الأصنام ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير عذاب هذه الأُمَّة إلى القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ بنزول العذاب.

﴿٢٠﴾ ﴿ويقولون﴾ يعني: أهل مكَّة: ﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿أنزل عليه آية من ربه﴾ مثلُ العصا، وما جاءت به الأنبياء ﴿فقل إنما الغيب لله﴾ أَيْ: إنَّ قولكم: هلاَّ أنزل عليه آيةٌ غيبٌ، وإنَّما الغيب لله لا يعلم أحدٌ لمَ لمْ يفعل ذلك ﴿فانتظروا﴾ نزول الآية ﴿إني معكم من المنتظرين﴾.

﴿٢١﴾ ﴿وإذا أذقنا الناس﴾ كفار مكَّة ﴿رحمة﴾ مطراً وخِصْباً ﴿من بعد ضرَّاء مستهم﴾ فقرٍ وبؤس ﴿إذا لهم مكر في آياتنا﴾ قولٌ بالتَّكذيب، أَيْ: إذا أخصبوا بطروا، فاحتالوا لدفعِ آيات الله ﴿قل الله أسرع مكراً﴾ أسرع نقمةً. يعني: إنَّ ما يأتيهم من العقاب أسرعُ في إهلاكهم ممَّا أتوه من المكر في إبطال آيات الله ﴿إنَّ رسلنا﴾ يعني: الحفظة ﴿يكتبون ما تمكرون﴾ للمجازاة به في الآخرة.

﴿٢٢﴾ ﴿هو الذي يسيِّركم في البر﴾ على المراكب والظُّهور ﴿والبحر﴾ على السُّفن ﴿حتىٰ

إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَٰلِكَ

﴿إذا كنتم في الفلك﴾ السُّفن ﴿وجرين بهم﴾ يعني: وجرت السُّفن بمَنْ ركبها في البحر ﴿بريح طيبة﴾ رُخاءٍ ليِّنةٍ ﴿وفرحوا﴾ بتلك الرِّيح للينها واستوائها ﴿جاءتها ريحٌ عاصف﴾ شديدةٌ ﴿وجاءهم الموج﴾ وهو ما ارتفع من الماء ﴿من كلِّ مكان﴾ من البحر ﴿وظنوا أنهم أحيط بهم﴾ دنوا من الهلاك ﴿دعوا الله مخلصين له الدين﴾ تركوا الشِّرك وأخلصوا لله الرُّبوبيَّة، وقالوا ﴿لئن أنجيتنا من هذه﴾ الرِّيح العاصفة ﴿لنكوننَّ من الشاكرين﴾ الموحِّدين الطَّائعين.

﴿٢٣﴾ ﴿فلما أنجاهم إذا هم يبغون في الأرض بغير الحق﴾ يعملون بالفساد والمعاصي والجرأة على الله. ﴿يا أيها الناس﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿إنما بغيكم على أنفسكم﴾ أيْ: بغي بعضكم على بعضٍ ﴿متاع الحياة الدنيا﴾ أيْ: ما ينالونه بهذا الفساد والبغي إنَّما يتمتَّعون به في الحياة الدُّنيا ﴿ثم إلينا مرجعكم﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿إنما مثل الحياة الدنيا﴾ يعني: الحياة الفانية في هذه الدَّار ﴿كماءٍ﴾ كمطرٍ ﴿أنزلناه من السماء فاختلط به﴾ بذلك المطر وبسببه ﴿نبات الأرض ممَّا يأكل الناس﴾ من البقول والحبوب والثِّمار ﴿والأنعام﴾ من المراعي والكلأ ﴿حتىٰ إذا أخذت الأرض زخرفها﴾ زينتها وحسنها ﴿وازَّينت﴾ بنباتها ﴿وظنَّ﴾ أهل تلك الأرض ﴿أنهم قادرون﴾ على حصادها والانتفاع بها ﴿أتاها أمرنا﴾ عذابنا ﴿فجعلناها حصيداً﴾ لا شيء فيها ﴿كأن لم تغن﴾ لم تكن بالأمس ﴿كذلك﴾

نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾

الحياةُ في الدُّنيا سببٌ لاجتماع المال وزهرة الدُّنيا، حتىٰ إذا كثر ذلك عند صاحبه، [وظنَّ] أنَّه ممتَّعٌ به سُلِب ذلك عنه بموته، أو بحادثةٍ تهلكه ﴿كذلك نفصل الآيات﴾ كما بيَّنا هذا المثل للحياة الدُّنيا كذلك يُبيِّن الله آيات القرآن ﴿لقوم يتفكرون﴾ في المعاد.

﴿٢٥﴾ ﴿والله يدعو إلىٰ دار السلام﴾ وهي الجنَّة[1] ببعث الرَّسول، ونصب الأدلة ﴿ويهدي من يشاء﴾ عمَّ بالدَّعوة، وخصَّ بالهداية مَنْ يشاء.

﴿٢٦﴾ ﴿للذين أحسنوا﴾ قالوا: لا إلَه إلاَّ الله ﴿الحسنىٰ﴾ الجنَّة ﴿وزيادة﴾ النَّظر إلىٰ وجه الله الكريم عزَّ وجلَّ[2] ﴿ولا يرهق﴾ يغشى ﴿وجوههم قترٌ﴾ سوادٌ من الكآبة ﴿ولا ذلة﴾ كما يصيب أهل جهنَّم، وهذا بعد نظرهم إلى ربِّهم تبارك وتعالىٰ.

---

(١) عن النواس بن سمعان قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ الله ضرب مثلاً صراطاً مستقيماً، علىٰ كتفي الصراط سوران لهما أبوابٌ مفتَّحةٌ، وعلى الأبواب سورٌ، وداعٍ يدعو على رأس الصراط، وداعٍ يدعو من فوقه ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾. فالأبواب التي على كتفي الصراط حدود الله، لا يقع أحدٌ في حدود الله حتىٰ يكشف ستر الله، والذي يدعو من فوقه واعظ الله.
أخرجه الترمذي برقم ٢٨٥٩؛ وأحمد ٤/ ١٨٣؛ وابن أبي حاتم في تفسير الفاتحة رقم ٣٣؛ والحاكم ١/ ٧٣؛ وصححه ووافقه الذهبي، وسنده حسن.

(٢) ذكره البخاري في صحيحه، في تفسير سورة يونس. وقال ابن حجر: ولعبد بن حميد عن عكرمة قال: ﴿للذين أحسنوا﴾ قالوا لا إلَه إلاَّ الله ﴿الحسنىٰ﴾ الجنة ﴿وزيادة﴾: النظر إلى وجه الله الكريم. وقد ورد ذلك في حديث مرفوع أخرجه مسلم والترمذي وذكره. فتح الباري ٨/ ٣٤٧. قلت: وحديث مسلم أخرجه في الإيمان برقم ١٨١؛ والترمذي في صفة الجنة برقم ٢٥٥٢؛ وكذا أخرجه ابن ماجه برقم ١٨٧؛ والنسائي في التفسير ١/ ٥٧٠؛ والحارث بن أبي أسامة في مسنده. انظر: المطالب العالية ٣/ ٣٤٢.

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ

﴿٢٧﴾ **﴿والذين كسبوا السيئات﴾** عملوا الشِّرك **﴿جزاء سيئة﴾** أَيْ: فلهم جزاء سيئةٍ **﴿بمثلها وترهقهم ذلة﴾** يُصيبهم ذلٌّ وخزيٌ وهوانٌ **﴿ما لهم من الله﴾** من عذاب الله **﴿من عاصم﴾** من مانعٍ يمنعهم **﴿كأنما أغشيت﴾** أُلبست **﴿وجوههم قطعاً﴾** طائفةً **﴿من الليل﴾** وهو مظلم.

﴿٢٨﴾ **﴿ويوم نحشرهم جميعاً﴾** نجمعهم جميعاً: الكفَّارَ وآلهتَهم **﴿ثمَّ نقول للذين أشركوا مكانكم﴾** قفوا والزموا مكانكم **﴿أنتم وشركاؤكم فزيلنا﴾** فرَّقنا وميَّزنا **﴿بينهم﴾** بين المشركين وبين شركائهم، وانقطع ما كان بينهم من التَّواصل في الدُّنيا **﴿وقال شركاؤهم﴾** وهي الأوثان: **﴿ما كنتم إيانا تعبدون﴾** أنكروا عبادتهم، وقالوا: ما كنَّا نشعر بأنَّكم إيَّانا تعبدون، والله يُنطقها بهذا.

﴿٢٩﴾ **﴿فكفىٰ بالله شهيداً. . .﴾** الآية. هذا من كلام الشُّركاء. قالوا: شهد الله على علمه فينا، ما **﴿كنا عن عبادتكم﴾** إلاَّ غافلين؛ لأنَّا كنَّا جماداً لم يكن فينا روحٌ.

﴿٣٠﴾ **﴿هنالك﴾** في ذلك الوقت **﴿تبلو﴾** تختبر **﴿كلُّ نفس ما أسلفت﴾** جزاء ما قدَّمَتْ من خيرٍ أو شرٍّ **﴿ورُدُّوا إلى الله مولاهم الحق﴾** أَي: الذي يملك تولِّي أمرهم ويجازيهم بالحقِّ **﴿وضلَّ عنهم﴾** زال وبطل **﴿ما كانوا يفترون﴾** في الدُّنيا من التَّكذيب.

﴿٣١﴾ **﴿قل مَنْ يرزقكم من السماء والأرض﴾** مَنْ يُنزِّل من السَّماء المطر، ويُخرج النَّبات من الأرض؟ **﴿أم مَنْ يملك السمع والأبصار﴾** مَنْ جعلها وخلقها لكم؟ علىٰ معنىٰ: مَنْ يملك خلقها **﴿ومن يخرج الحيَّ من الميت﴾** المؤمن من الكافر،

وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾

والنَّبات من الأرض، والإنسان من النُّطفة، وعلىٰ الضدِّ من ذلك ﴿**يخرج الميِّتَ من الحيِّ ومَنْ يدبر**﴾ أمر الدُّنيا والآخرة ﴿**فسيقولون الله**﴾ أي: الله الذي يفعل هذه الأشياء، فإذا أقرُّوا بعد الاحتجاج عليهم ﴿**فقل أفلا تتقون**﴾ أفلا تخافون الله، فلا تشركوا به شيئاً.

﴿٣٢﴾ ﴿**فذلكم الله ربكم الحق**﴾ أي: الذي هذا كلُّه فِعْلُه هو الحقُّ، ليس هؤلاء الذين جعلتم معه شركاء ﴿**فماذا بعد الحق**﴾ بعد عبادة الله ﴿**إلاَّ الضلال**﴾ يعني: عبادة الشَّيطان ﴿**فأنىٰ تصرفون**﴾ يريد: كيف تُصرف عقولكم إلى عبادة ما لا يرزق ولا يحيي ولا يميت.

﴿٣٣﴾ ﴿**كذلك**﴾ هكذا ﴿**حقت**﴾ صدَّقت ﴿**كلمت ربك**﴾ بالشَّقاوة والخذلان ﴿**علىٰ الذين فسقوا**﴾ تمرَّدوا في الكفر ﴿**أنَّهم لا يؤمنون**﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿**قل هل من شركائكم**﴾ يعني: آلهتكم ﴿**من يهدي**﴾ يرشد ﴿**إلىٰ الحق**﴾ إلىٰ دين الإسلام ﴿**قل الله يهدي للحق**﴾ أَيْ: إلى الحقِّ ﴿**أفمن يهدي إلى الحق أحقُّ أن يتبع أم من لا يهدي**﴾ أَي: الله الذي يهدي، ويرشد إلى الحقِّ أهلَ الحقِّ أحقُّ أن يتَّبع أمره أم الأصنام التي لا تهدي أحداً ﴿**إلاَّ أن يُهدىٰ**﴾ يُرشد، وهي ــ وإنْ هُديت ــ لم تهتد، ولكنَّ الكلام نزل على أنَّها إن هُديت اهتدت؛ لأنَّهم لمَّا اتخذوها آلهةً عُبِّر عنها كما يُعبَّر عمَّن يعلم ﴿**فما لكم**﴾ أيُّ شيءٍ لكم في عبادة الأوثان، وهذا كلامٌ تامٌّ ﴿**كيف تحكمون**﴾ يعني: كيف تقضون حين زعمتم أنَّ مع الله شريكاً.

وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَٰذَا الْقُرْآنُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ

---

(٣٦) ﴿**وما يتبع أكثرهم**﴾ يعني: الرُّؤساء؛ لأنَّ السَّفلة يتَّبعون قولهم ﴿**إلَّا ظناً**﴾ يظنون أنَّها آلهةٌ ﴿**إنَّ الظن لا يغني من الحق شيئاً**﴾ ليس الظنُّ كاليقين. يعني: إنَّ الظَّنَّ لا يقوم مقام العلم. ﴿**إنَّ الله عليم بما يفعلون**﴾ من كفرهم.

(٣٧) ﴿**وما كان هذا القرآن أن يفترىٰ من دون الله**﴾ هذا جوابٌ لقولهم: ﴿**ائت بقرآنٍ غير هذا**﴾(١) يقول: ما كان هذا القرآن افتراءً من دون الله ﴿**ولكن تصديق**﴾ [ولكن كان تصديق](٢) ﴿**الذي بين يديه**﴾ من الكتب ﴿**وتفصيل الكتاب**﴾ [يعني: تفصيل](٣) المكتوب من الوعد لمَنْ آمن، والوعيد لمَنْ عصىٰ ﴿**لا ريب فيه**﴾ لا شكَّ في نزوله من عند ربِّ العالمين.

(٣٨) ﴿**أم يقولون افتراه**﴾ بل أتقولون: افتراه محمد ﴿**قل فأتوا بسورة مثله**﴾ إن كان مفترىً ﴿**وادعوا**﴾ إلى معاونتكم علىٰ المعارضة كلَّ مَنْ تقدرون عليه ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ في أنَّ محمَّداً اختلقه من عند نفسه، ونظيرُ هذه الآية في سورة البقرة: ﴿وإنْ كنتم في ريب...﴾(٤) الآية.

(٣٩) ﴿**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه**﴾ أَيْ: بما في القرآن من الجنَّة والنَّار، والبعث والقيامة ﴿**ولما يأتهم تأويله**﴾ ولم يأتهم بعدُ حقيقة ما وُعدوا في الكتاب ﴿**كذلك كذَّب الذين من قبلهم**﴾ بالبعث والقيامة.

---

(١) سورة يونس: الآية ١٥.
(٢) ليس في الأصل.
(٣) ليس في الأصل.
(٤) الآية: ﴿وإن كنتم في ريبٍ ممَّا نزلنا على عبدنا فأتوا بسورةٍ من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ [البقرة: ٢٣].

فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٤١﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ

﴿٤٠﴾ **﴿ومنهم﴾** ومن كفَّار مكَّة **﴿مَنْ يؤمن به﴾** يعني: قوماً علم أنَّهم يؤمنون **﴿ومنهم مَنْ لا يؤمن به، وربك أعلم بالمفسدين﴾** يريد: المكذِّبين، وهذا تهديدٌ لهم.

﴿٤١﴾ **﴿وإن كذبوك فقل لي عملي...﴾** الآية. نسختها آية الجهاد.

﴿٤٢﴾ **﴿ومنهم مَنْ يستمعون إليك﴾** نزلت في المستهزئين كانوا يستمعون الاستهزاء والتَّكذيب، فقال الله تعالىٰ: **﴿أفأنت تُسمع الصمَّ﴾** يريد أنَّهم بمنزلة الصُّمِّ لشدَّة عداوتهم **﴿ولو كانوا لا يعقلون﴾** أَيْ: ولو كانوا مع كونهم صمّاً جهَّالاً! أخبر الله سبحانه أنَّهم بمنزلة الصُّمِّ الجُهَّال إذْ لم ينتفعوا بما سمعوا.

﴿٤٣﴾ **﴿ومنهم مَنْ ينظر إليك﴾** مُتعجِّباً منك غير منتفعٍ بنظره **﴿أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون﴾** يريد: إنَّ الله أعمىٰ قلوبهم فلا يبصرون شيئاً من الهدىٰ.

﴿٤٤﴾ **﴿إنَّ الله لا يظلم الناس شيئاً﴾** لمَّا ذكر أهل الشَّقاوة ذكر أنَّه لم يظلمهم بتقدير الشَّقاوة عليهم؛ لأنَّه يتصرَّف في ملكه **﴿ولكنَّ الناس أنفسهم يظلمون﴾** بكسبهم المعاصي.

﴿٤٥﴾ **﴿ويوم نحشرهم[1] كأن لم يلبثوا إلاَّ ساعةً من النهار﴾** كأن لم يلبثوا في قبورهم

---

(١) قرأ «نحشرهم» جميع القُرَّاء إلاَّ حفصاً؛ فإنَّه قرأ «يحشرهم» بالياء. الإتحاف ص ٢٥٠.

يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَلَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٤٩﴾

إلاَّ قدر ساعة من النَّهار، استقصروا تلك المدَّة من هول ما استُقبلوا من أمر البعث والقيامة ﴿يتعارفون بينهم﴾ يعرف بعضهم بعضاً تعارف توبيخٍ؛ لأنَّ كلَّ فريق يقول للآخر: أنت أضللتني وما يشبه هذا ﴿قد خسر﴾ ثواب الجنَّة ﴿الذين كذَّبوا﴾ بالبعث.

﴿٤٦﴾ ﴿وإمَّا نرينَّك بعض الذي نعدهم﴾ يريد: ما ابتُلوا به يوم بدرٍ ﴿أو نتوفينك﴾ قبل ذلك ﴿فإلينا مرجعهم﴾ أيْ: فنعذِّبهم في الآخرة ﴿ثمَّ الله شهيد علىٰ ما يفعلون﴾ من محاربتك وتكذيبك، فيجزيهم بها، ومعنىٰ الآية: إنْ لم ينتقم منهم في العاجل ينتقم منهم في الآجل.

﴿٤٧﴾ ﴿ولكلِّ أمة رسول﴾ يُرسل إليهم ﴿فإذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط﴾ وهو هلاك مَنْ كذَّبه، ونجاة من تبعه ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا يُنقص ثواب المُصدِّق، ويُجازىٰ المكذِّب بتكذيبه.

﴿٤٨﴾ ﴿ويقولون متىٰ هذا الوعد﴾ قالوا ذلك حين قيل لهم: ﴿وإمَّا نرينَّك بعض الذي نعدهم...﴾[1] الآية، فقالوا: متىٰ هذا العذاب الذي تعدنا يا محمَّد؟ ﴿إن كنتم﴾ أنت يا محمَّد وأتباعك صادقين.

﴿٤٩﴾ ﴿قل لا أملك لنفسي ضرّاً ولا نفعاً إلاَّ ما شاء الله...﴾ الآية مفسَّرةٌ في آيتين من سورة الأعراف[2]، فلمَّا استعجلوا العذاب قيل للنبيِّ ﷺ:

(١) الآية ٤٦ من هذه السورة. (٢) انظر ص ٤٢٥.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ۚ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾

﴿٥٠﴾ ﴿قل أرأيتم﴾ أعلمتم ﴿إن أتاكم عذابُهُ بياتاً﴾ ليلاً ﴿أو نهاراً ماذا يستعجل منه المجرمون﴾ أيُّ شيءٍ يستعجل المجرمون من العذاب؟ وهذا استفهامٌ معناه التَّهويل والتَّفظيع، أَيْ: ما أعظم ما يلتمسون ويستعجلون! كما تقول: أعلمت ماذا تجني على نفسك؟! فلمَّا قال لهم النبيُّ عليه السَّلام هذا، قالوا: نكذِّب بالعذاب ونستعجله، فإذا وقع آمنَّا به، فقال الله تعالى:

﴿٥١﴾ ﴿أثمَّ إذا ما وقع﴾ وحلَّ بكم ﴿آمنتم به﴾ بعد نزوله، فلا يقبل منكم الإيمان، ويقال لكم: ﴿آلآن﴾ تؤمنون به ﴿وقد كنتم به تستعجلون﴾ في الدُّنيا مستهزئين.

﴿٥٣﴾ ﴿ويستنبئونك﴾ يستخبرونك ﴿أحقٌّ﴾ ما أخبرتنا به من العذاب والبعث؟ ﴿قل: إي﴾ نعم ﴿وربي إنَّه لحقٌّ﴾ يعني: العذاب نازلٌ بكم ﴿وما أنتم بمعجزين﴾ بعد الموت، أَيْ: فتجازون بكفركم.

﴿٥٤﴾ ﴿ولو أنَّ لكلِّ نفسٍ ظلمت﴾ أشركت ﴿ما في الأرض لافتدت به﴾ لبذلته لدفعِ العذاب عنها ﴿وأسرّوا﴾ أخفوا وكتموا ﴿الندامة﴾ يعني: الرُّؤساء من السَّفلة الذين أضلُّوهم ﴿وقضي بينهم﴾ بين السَّفلة والرُّؤساء ﴿بالقسط﴾ بالعدل، فيجازىٰ كلٌّ على صنيعه.

﴿٥٥﴾ ﴿ألا إنَّ وعد الله حقٌّ﴾ ما وعد لأوليائه [وأعدائه] ﴿ولكنَّ أكثرهم لا يعلمون﴾ يعني: المشركين.

هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ ۖ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن

﴿٥٦﴾ **﴿يا أيها الناس﴾** يعني: قريشاً **﴿قد جاءتكم موعظة من ربكم﴾** القرآن **﴿وشفاءٌ لما في الصدور﴾** ودواءٌ لداء الجهل **﴿وهدىً﴾** وبيانٌ من الضَّلالة **﴿ورحمةٌ للمؤمنين﴾** ونعمةٌ من الله سبحانه لأصحاب محمَّدٍ.

﴿٥٨﴾ **﴿قل بفضل الله﴾** الإسلام **﴿وبرحمته﴾** القرآن **﴿فبذلك﴾** الفضل والرَّحمة **﴿فليفرحوا هو خيرٌ﴾** أَيْ: ما آتاهم الله من الإسلام والقرآن خيرٌ ممَّا يجمع غيرهم من الدُّنيا.

﴿٥٩﴾ **﴿قل﴾** لكفَّار مكَّة: **﴿أرأيتم ما أنزل الله﴾** خلقه وأنشأه لكم **﴿من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً﴾** يعني: ما حرَّموه ممَّا هو حلالٌ لهم من البحيرة وأمثالها، وأحلُّوه ممَّا هو حرامٌ من الميتة وأمثالها **﴿قل آلله أذن لكم﴾** في ذلك التَّحريم والتَّحليل **﴿أم﴾** بل **﴿على الله تفترون﴾**.

﴿٦٠﴾ **﴿وما ظنُّ الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة﴾** أَيْ: ما ظنُّهم ذلك اليوم بالله وقد افتروا عليه؟ **﴿إنَّ الله لذو فضلٍ على الناس﴾** أهل مكَّة حين جعلهم في أمنٍ وحرمٍ إلى سائر ما أنعم به عليهم **﴿ولكنَّ أكثرهم لا يشكرون﴾** لا يُوحِّدون ولا يُطيعون.

﴿٦١﴾ **﴿وما تكون﴾** يا محمَّد **﴿في شأن﴾** أمرٍ من أمورك **﴿وما تتلو منه﴾** من الله **﴿من قرآنٍ﴾** أنزله عليك **﴿ولا تعملون من عمل﴾** خاطبه وأمَّته **﴿إلاَّ كُنَّا عليكم شهوداً﴾** نشاهد ما تعلمون **﴿إذ تفيضون﴾** تأخذون **﴿فيه وما يعزب﴾** يغيب ويبعد **﴿عن**

رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ۚ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ

ربك من مثقال ذرة﴾ وزن ذرَّة **﴿إلاَّ في كتاب مبين﴾** يريد: اللَّوح المحفوظ الذي أثبت الله سبحانه فيه الكائنات.

﴿٦٢﴾ **﴿ألا إنَّ أولياء الله﴾** هم الذين تولَّىٰ الله سبحانه هداهم.

﴿٦٣﴾ **﴿الذين آمنوا﴾** صدَّقوا النبيَّ **﴿وكانوا يتقون﴾** خافوا مقامهم بين يدي الله سبحانه.

﴿٦٤﴾ **﴿لهم البشرىٰ في الحياة الدنيا﴾** عند الموت تأتيهم الملائكة بالبشرىٰ من الله **﴿وفي الآخرة﴾** يُبشَّرون بثواب الله وجنَّته **﴿لا تبديل لكلمات الله﴾** لا خلف لمواعيده.

﴿٦٥﴾ **﴿ولا يحزنك قولهم﴾** تكذيبهم إيَّاك **﴿إنَّ العزة لله﴾** القوَّة لله والقدرة لله **﴿جميعاً﴾** وهو ناصرك **﴿وهو السميع﴾** يسمع قولهم **﴿العليم﴾** بما في ضميرهم، فيجازيهم بما يقتضيه حالهم.

﴿٦٦﴾ **﴿ألا إنَّ لله مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض﴾** يعني: يفعل بهم وفيهم ما يشاء **﴿وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء﴾** أَيْ: ليسوا يتَّبعون شركاء على الحقيقة؛ لأنَّهم يعدُّونها شركاء شفعاء لهم، وليست على ما يظنُّون **﴿إن يتبعون إلاَّ الظنَّ﴾** ما يتَّبعون إلاَّ ظنَّهم أنَّها تشفع لهم **﴿وإن هم إلا يخرصون﴾** يقولون ما لا يكون.

﴿٦٧﴾ **﴿هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصراً﴾** مُضيئاً لتهتدوا به في

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۖ هُوَ الْغَنِيُّ ۖ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَانٍ بِهَٰذَا ۚ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾

حوائجكم ﴿إنَّ في ذلك لآيات لقومٍ يسمعون﴾ سَمعَ اعتبار.

﴿٦٨﴾ ﴿قالوا اتَّخذ الله ولداً﴾ يعني: قولهم: الملائكة بنات الله ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عمَّا قالوه ﴿هو الغنيُّ﴾ أن يكون له زوجةٌ أو ولدٌ ﴿إنْ عندكم من سلطانٍ بهذا﴾ ما عندكم من حجَّةٍ بهذا، وقوله:

﴿٧٠﴾ ﴿متاع في الدنيا﴾ أَيْ: لهم متاعٌ في الدُّنيا يتمتَّعون به أيَّاماً يسيراً، وقوله:

﴿٧١﴾ ﴿إن كان كَبُرَ عليكم مقامي﴾ أَيْ: عَظُم وشقَّ عليكم مكثي ولبثي فيكم ﴿وتذكيري بآيات الله﴾ وعظي وتخويفي إيَّاكم عقوبة الله ﴿فعلىٰ الله توكلت﴾ فافعلوا ما شئتم، وهو قوله: ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءَكم﴾ أَيْ: اعزموا على أمرٍ مُحكمٍ تجتمعون عليه ﴿وشركاءَكم﴾ مع شركائكم. وقيل: معناه: وادعوا شركاءَكم يعني: آلهتكم ﴿ثمَّ لا يكن أمركم عليكم غمة﴾ أَيْ: ليكن أمركم ظاهراً منكشفاً تتمكنون فيه ممَّا شئتم لا كمَنْ يكتم أمراً ويخفيه، فلا يقدر أن يفعل ما يريد ﴿ثمَّ اقضوا إليَّ﴾ افعلوا ما تريدون، وامضوا إليَّ بمكروهكم ﴿ولا تنظرون﴾ ولا تُؤخِّروا أمري، والمعنىٰ: ولا تألوا في الجمع والقوَّة؛ فإنَّكم لا تقدرون على مساءتي؛ لأنَّ لي إلٰهاً يمنعني، وفي هذا تقويةٌ لقلب محمَّدٍ ﷺ؛ لأنَّ سبيله مع قومه كسبيل الأنبياء من قبله.

﴿٧٢﴾ ﴿فإن توليتم﴾ أعرضتم عن الإيمان ﴿فما سألتكم من أجر﴾ مالٍ تعطونيه، وهذا

إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ ۖ أَسِحْرٌ هَٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّٰحِرُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ ﴿٧٨﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ

من قول نوح عليه السَّلام لقومه، وقوله:

﴿٧٤﴾ ﴿**فما كانوا ليؤمنوا**﴾ يعني: أمم الأنبياء والرُّسل ﴿**بما**﴾ كذَّب به قوم نوح. أيْ: هؤلاء الآخرون لم يؤمنوا بما كذَّب به أوَّلوهم، وقد علموا أنَّ الله سبحانه أغرقهم بتكذيبهم، ثم قال: ﴿**كذلك**﴾ كما طبعنا على قلوبهم ﴿**نطبع على قلوب المعتدين**﴾ المُجاوزين الحقّ إلىٰ الباطل، وقوله:

﴿٧٨﴾ ﴿**قالوا أجئتنا لتلفتنا**﴾ لتردَّنا ﴿**عمَّا وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء**﴾ الملك والعزُّ ﴿**في الأرض**﴾ في أرض مصر، وقوله:

﴿٨١﴾ ﴿**إنَّ الله سيبطله**﴾ سيهلكه ﴿**إنَّ الله لا يصلح عمل المفسدين**﴾ لا يجعله ينفعهم.

﴿٨٢﴾ ﴿**ويحق الله الحق**﴾ ويظهره بالدَّلائل الواضحة ﴿**بكلماته**﴾ بوعده.

﴿٨٣﴾ ﴿**فما آمن لموسىٰ إلاَّ ذرية من قومه**﴾ يعني: مَنْ آمن به من بني إسرائيل، وكانوا ذريَّة أولاد يعقوب ﴿**على خوفٍ من فرعون ومَلَئِهِمْ**﴾ ورؤسائهم ﴿**أن يفتنهم**﴾

وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾

يصرفهم عن دينهم بمحنةٍ وبليَّةٍ يوقعهم فيها **﴿وإنَّ فرعون لعالٍ﴾** متطاولٌ **﴿في الأرض﴾** في أرض مصر **﴿وإنه لمن المسرفين﴾** حيث كان عبداً فادَّعىٰ الرُّبوبيَّة، وقوله:

﴿٨٥﴾ **﴿لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين﴾** أَيْ: لا تُظهرهم علينا فيروا أنَّهم خيرٌ منا، فيزدادوا طغياناً ويقولوا: لو كانوا على حقٍّ ما سُلِّطنا عليهم، فيُفتنوا.

﴿٨٧﴾ **﴿وأوحينا إلى موسىٰ وأخيه...﴾** الآية. لمَّا أُرسل موسىٰ صلوات الله عليه إلى فرعون أمر فرعون بمساجد بني إسرائيل فَخُرِّبت كلُّها، ومُنعوا من الصَّلاة، فأُمروا أن يتَّخذوا مساجد في بيوتهم، ويصلُّوا فيها خوفاً من فرعون، فذلك قوله: **﴿تبوَّآ لقومكما﴾** أَيْ: اتَّخذا لهم **﴿بمصر بيوتاً﴾** في دورهم **﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾** أَيْ: صلُّوا في بيوتكم لتأمنوا من الخوف، وقوله:

﴿٨٨﴾ **﴿ربنا ليضلوا عن سبيلك﴾** أَيْ: جعلت هذه الأموال سبباً لضلالهم؛ لأنَّهم بطروا، فاستكبروا عن الإيمان **﴿ربنا اطمس على أموالهم﴾** امسخها وأذهبها عن صورتها، فصارت دراهمهم ودنانيرهم حجارةً منقوشةً صحاحاً وأنصافاً، وكذلك سائر أموالهم **﴿واشدُدْ على قلوبهم﴾** اطبع عليها حتىٰ لا تلين ولا تنشرح للإيمان **﴿فلا يؤمنوا﴾** دعاءٌ عليهم **﴿حتىٰ يروا العذاب الأليم﴾** يعني: الغرق، فاستجيب في ذلك، فلم يؤمن فرعون حتىٰ أدركه الغرق.

قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ۞ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِيٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَاْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾

﴿٨٩﴾ **﴿قال قد أجيبت دعوتكما﴾** وذلك أنَّ موسىٰ دعا، وأمَّن هارون[1] **﴿فاستقيما﴾** على الرِّسالة والدَّعوة **﴿ولا تتَّبعَانِّ سبيل الذين لا يعلمون﴾** لا تسلكا طريق الذين يجهلون حقيقة وعدي فتستعجلا قضائي، وقوله:

﴿٩٠﴾ **﴿فأتبعهم فرعون وجنوده﴾** طلبوا أن يلحقوا بهم **﴿بغياً﴾** طلباً للاستعلاء بغير حقٍّ **﴿وعدواً﴾** ظلماً **﴿حتىٰ إذا أدركه الغرق﴾** تلفَّظ بما أخبر الله عنه حين لم ينفعه ذلك[2]، لأنَّه رأىٰ اليأس وعاينه، فقيل له: **﴿آلآن وقد عصيت قبل﴾** أيْ: آلآن تؤمن أو تتوب؟ فلمَّا أغرقه الله جحد بعض بني إسرائيل غَرَقَهُ، وقالوا: هو أعظم شأناً من أن يغرق، فأخرجه الله سبحانه من الماء حتىٰ رأوه، فذلك قوله:

﴿٩٢﴾ **﴿فاليوم ننجيك﴾** نخرجك من البحر بعد الغرق **﴿ببدنك﴾** بجسدك الذي لا روح فيه **﴿لتكون لمَنْ خلفك آية﴾** نكالاً وعبرةً **﴿وإنَّ كثيراً من الناس﴾** يريد: أهل مكَّة **﴿عن آياتنا﴾** عمَّا يراد بهم **﴿لغافلون﴾**.

---

(١) وهذا قول ابن جريج وعكرمة ومحمد بن كعب، وأبي العالية، وغيرهم. تفسير ابن جرير ١١/ ١٦١.

(٢) عن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ قال: لمَّا أغرق الله فرعون قال: ﴿آمنت أنَّه لا إلَه إلاَّ الذي آمنت به بنو إسرائيل﴾ قال جبريل: يا محمد، فلو رأيتني وأنا آخذ من حال البحر فأدسُّه في فيه مخافة أن تُدركَه الرحمة. (والحال: الطين الأسود).

أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣١٠٦، وقال: حسن غريب صحيح، وأخرجه أحمد ١/ ٢٤٠، وابن جرير ١١/ ١٦٣ بسندٍ صحيح؛ والحاكم ٢/ ٣٤٠؛ وصححه، وأقرَّه الذهبي؛ والطيالسي برقم ٢٦١٨.

وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخْتَلَفُوا۟ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ

﴿٩٣﴾ **﴿ولقد بوَّأنا بني إسرائيل مبوَّأ صدق﴾** أنزلنا قريظة والنضير منزل صدقٍ، أَيْ: محموداً مختاراً، يريد: من أرض يثرب، ما بين المدينة والشَّام **﴿ورزقناهم من الطيبات﴾** من النَّخل والثِّمار، ووسَّعنا عليهم الرِّزق **﴿فما اختلفوا﴾** في تصديق النبيِّ ﷺ وأنَّه رسولٌ مبعوثٌ **﴿حتىٰ جاءهم العلم﴾** حقيقةُ ما كانوا يعلمونه، وهو محمَّد عليه السَّلام بنعته وصفته، والقرآن، وذلك أنَّهم كانوا يُخبرون عن زمانه ونبوَّته، ويؤمنون به، فلمَّا أتاهم اختلفوا، فكفر به أكثرهم.

﴿٩٤﴾ **﴿فإن كنت في شك﴾** هذا في الظَّاهر خطابٌ للنبيِّ ﷺ، والمراد به غيره من الشَّاكِّين في الدِّين، وقوله: **﴿فاسْأَلِ الذين يقرؤون الكتاب من قبلك﴾** يعني: مَنْ آمن من أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه، فيشهدون على صدق محمد، ويخبرون بنبوَّته وباقي الآية والتي تليها خطاب النبيِّ ﷺ والمراد به غيره.

﴿٩٦﴾ **﴿إنَّ الذين حقت عليهم كلمة ربك﴾** وجبت عليهم كلمة العذاب.

﴿٩٧﴾ **﴿لا يؤمنون * ولو جاءتهم كلُّ آية﴾** وذلك أنَّهم كانوا يسألون رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالآيات حتىٰ يؤمنوا، فقال الله تعالىٰ: **﴿لا يؤمنون * ولو جاءتهم كلُّ آية حتى يروا العذاب الأليم﴾** فلا ينفعهم حينئذٍ الإيمان كما لم ينفع فرعون.

﴿٩٨﴾ **﴿فلولا كانت قرية﴾** أَيْ: فما كانت قريةٌ **﴿آمنت فنفعها إيمانها﴾** عند نزول العذاب **﴿إلاَّ قوم يونس لما آمنوا﴾** عند نزول العذاب **﴿كشفنا عنهم عذاب

ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٠﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾

الخزي﴾ يعني: سخط الله سبحانه **﴿ومتعناهم إلى حين﴾** يريد: حين آجالهم، وذلك أنَّهم لمَّا رأوا الآيات التي تدلُّ على قرب العذاب أخلصوا التَّوبة، وترادُّوا المظالم، وتضرَّعوا إلى الله تعالىٰ، فكشف عنهم العذاب.

﴿٩٩﴾ **﴿ولو شاء ربك لآمن مَنْ في الأرض كلهم جميعاً﴾** الآية. كان رسول الله ﷺ حريصاً على أن يؤمن جميع النَّاس، فأخبره الله سبحانه أنَّه لا يؤمن إلَّا من سبق له من الله السَّعادة، وهو قوله:

﴿١٠٠﴾ **﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلَّا بإذن الله﴾** أَيْ: إلَّا بما سبق لها في قضاء الله وقدره **﴿ويجعل الرجس﴾** العذاب **﴿على الذين لا يعقلون﴾** عن الله تعالىٰ أمره ونهيه، وما يدعوهم إليه.

﴿١٠١﴾ **﴿قل﴾** للمشركين الذين يسألونك الآيات: **﴿انظروا ماذا﴾** [أي: الذي أعظم منها][1] **﴿في السموات والأرض﴾** من الآيات والعبر التي تدلُّ على وحدانيَّة الله سبحانه، فيعلموا أنَّ ذلك كلَّه يقتضي صانعاً لا يشبه الأشياء، ولا تشبهه، ثمَّ بيَّن أنَّ الآيات لا تُغني عمَّن سبق في علم الله سبحانه أنَّه لا يؤمن فقال: **﴿وما تغني الآيات والنذر﴾** جمع نذير **﴿عن قومٍ لا يؤمنون﴾** يقول: الإنذار غير نافعٍ لهؤلاء.

﴿١٠٢﴾ **﴿فهل ينتظرون﴾** أَيْ: يجب ألا ينتظروا بعد تكذيبك **﴿إلَّا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم﴾** إلَّا مثل وقائع الله سبحانه فيمَنْ سلف قبلهم من الكفَّار.

---

(١) زيادة من ظا.

ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ

﴿١٠٣﴾ ﴿ثمَّ ننجي رسلنا والذين آمنوا﴾ هذا إخبارٌ عن ما كان الله سبحانه يفعل في الأمم الماضية من إنجاء الرُّسل والمُصدِّقين لهم عما يعذِّب به مَنْ كفر ﴿كذلك﴾ أيْ: مثل هذا الإنجاء ﴿ننج المؤمنين﴾ بمحمَّد ﷺ من عذابي.

﴿١٠٤﴾ ﴿قل يا أيها الناس﴾ يريد: أهل مكَّة ﴿إن كنتم في شك من ديني﴾ الذي جئت به ﴿فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله﴾ أيْ: بشكِّكم في ديني لا أعبد غير الله ﴿ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم﴾ يأخذ أرواحكم، وفي هذا تهديدٌ لهم؛ لأنَّ وفاة المشركين ميعاد عذابهم. وقوله:

﴿١٠٥﴾ ﴿وأن أقم وجهك للدين حنيفاً﴾ استقم بإقبالك على ما أُمرت به بوجهك.

﴿١٠٦﴾ ﴿ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرُّك﴾ أيْ: شيئاً ما؛ لأنَّه لا يتحقق النَّفع والضَّرُّ إلاَّ من الله، فكأنَّه قال: ولا تدع من دون الله شيئاً.

﴿١٠٧﴾ ﴿وإن يمسسك الله بضرٍّ﴾ بمرضٍ وفقرٍ ﴿فلا كاشف له﴾ لا مزيل له ﴿إلاَّ هو﴾، ﴿وإن يردك بخيرٍ﴾ يرد بك الخير ﴿فلا رادَّ لفضله﴾ لا مانع لما تفضَّل به عليك من رخاءٍ ونعمةٍ ﴿يصيب به﴾ بكلِّ واحدٍ ممَّا ذُكر ﴿من يشاء من عباده﴾.

﴿١٠٨﴾ ﴿قل يا أيها الناس﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿قد جاءكم الحق﴾ القرآن ﴿من ربكم﴾ وفيه البيان والشِّفاء ﴿فمن اهتدىٰ﴾ من الضَّلالة ﴿فإنما يهتدي لنفسه﴾ يريد: مَنْ

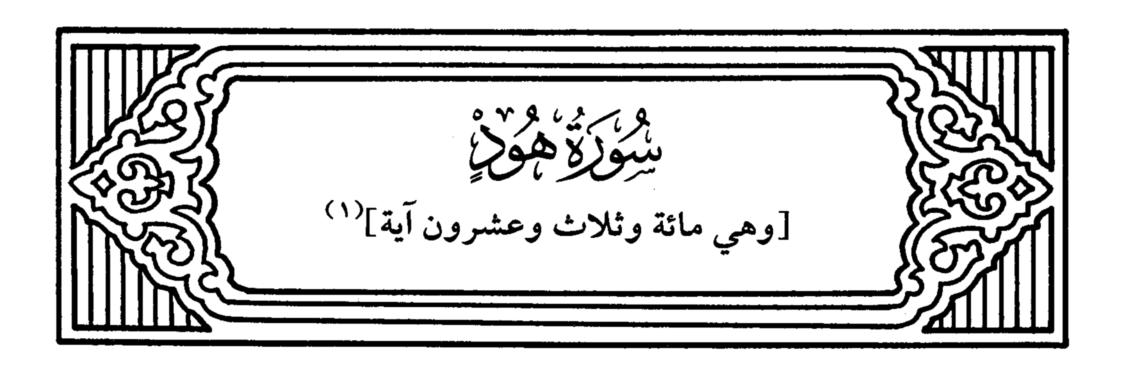
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾

صدَّق محمَّداً عليه السَّلام فإنَّما يحتاط لنفسه ﴿ومَنْ ضلَّ﴾ بتكذيبه ﴿فإنما يضلُّ عليها﴾ إنَّما يكون وبال ضلاله على نفسه ﴿وما أنا عليكم بوكيلٍ﴾ بحفيظٍ من الهلاك حتىٰ لا تهلكوا.

﴿١٠٩﴾ ﴿واتبع ما يوحىٰ إليك واصبر حتىٰ يحكم الله﴾ نسخته آية السَّيف[1]؛ لأنَّ الله سبحانه حكم بقتل المشركين، والجزية على أهل الكتاب.

● ● ●

(١) قال أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢١٠: فمذهب ابن زيد أنَّها منسوخةٌ، وإنَّما نُسخ منها الصبر عليهم، قال: أنزل الله بعد هذا الأمر بالجهاد والغلظة عليهم.
وكذا في تفسير الطبري ١٧٨/١١، والإيضاح ص ٣٢٣.



بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ﴿٢﴾ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى وَيُؤۡتِ كُلَّ ذِي فَضۡلٖ فَضۡلَهُۥۖ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ ﴿٣﴾ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿الر﴾ أنا الله الرَّحمن ﴿كتاب﴾ هذا كتابٌ ﴿أُحْكمتْ آياته﴾ بعجيب النَّظم، وبديع المعاني ورصين اللَّفظ ﴿ثمَّ فصلت﴾ بُيِّنت بالأحكام من الحلال والحرام، وجميع ما يحتاج إليه من ﴿لدن حكيم﴾ في خلقه ﴿خبير﴾ بمَنْ يُصدِّق نبيَّه وبمَنْ يُكذِّبه.

(٢) ﴿ألا تعبدوا﴾ أَيْ: بأن، والتَّقدير: هذا كتابٌ بأن لا تعبدوا ﴿إلاَّ الله﴾.

(٣) ﴿و﴾ بـ ﴿أن استغفروا ربكم﴾ أَيْ: من ذنوبكم السَّالفة ﴿ثم توبوا إليه﴾ من المستأنفة متىٰ وقعت ﴿يمتعكم متاعاً حسناً﴾ يتفضَّل عليكم بالرِّزق والسَّعة ﴿إلىٰ أجل مسمى﴾ أجل الموت ﴿ويؤت كلَّ ذي فضلٍ فضله﴾ يؤت كلَّ مَنْ فَضُلَت حسناته على سيئاته فضله؛ يعني: الجنَّة، وهي فضل الله سبحانه ﴿وإن تولوا﴾ تتولَّوا عن الإيمان ﴿فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير﴾ وهو يوم القيامة.

---

(١) زيادة من ظ وظا.

أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٥﴾ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۗ وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِنۢ بَعْدِ ٱلْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا

(٥) ﴿**ألا إنهم يثنون صدورهم**﴾ نزلت في طائفةٍ من المشركين قالوا: إذا أغلقنا أبوابنا، وأرخينا ستورنا، واستغشينا ثيابنا، وطوينا صدورنا على عداوة محمد ﷺ كيف يعلم ربُّنا؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿**ألا إنهم يثنون صدورهم**﴾ أَيْ: يعطفونها ويطوونها على عداوة محمد ﷺ ﴿**ليستخفوا منه**﴾ ليتواروا عنه ويكتموا عداوته ﴿**ألا حين يستغشون ثيابهم**﴾ يتدثَّرون بها ﴿**يعلم ما يسرون وما يعلنون**﴾ أعلم الله سبحانه أنَّ سرائرهم يعلمها كما يعلم مظهرهم ﴿**إنه عليم بذات الصدور**﴾ بما في النُّفوس من الخير والشَّرِّ.

الجزء الثاني عشر:

(٦) ﴿**وما من دابة**﴾ حيوانٍ يدبُّ ﴿**في الأرض إلَّا علىٰ الله رزقها**﴾ فضلاً لا وجوباً ﴿**ويعلم مستقرها**﴾ حيث تأوي إليه ﴿**ومستودعها**﴾ حيث تموت ﴿**كلٌّ في كتاب مبين**﴾ يريد: اللَّوح المحفوظ، والمعنىٰ: أنَّ ذلك ثابتٌ في علم الله.

(٧) ﴿**وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام**﴾ ذكرنا تفسيره في سورة الأعراف[1] ﴿**وكان عرشه على الماء**﴾ يعني: قبل خلق السَّموات والأرض ﴿**ليبلوكم**﴾ أَيْ: خلقها لكم لكي يختبركم بالمصنوعات فيها من آياته؛ ليعلم إحسان المحسن وإساءة المسيء، وهو قوله تعالىٰ: ﴿**أيكم أحسن عملاً**﴾ أَيْ: أَعملُ بطاعة الله تعالىٰ. ﴿**ولئن قلت**﴾ للكفَّار بعد خلق الله السَّموات والأرض وبيان قدرته ﴿**إنكم مبعوثون من بعد الموت**﴾ كذَّبوا بذلك وقالوا: ﴿**إن هذا إلَّا**

(١) انظر ص ٣٩٧.

سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿٧﴾ وَلَئِنۡ أَخَّرۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٖ مَّعۡدُودَةٖ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحۡبِسُهُۥٓۗ أَلَا يَوۡمَ يَأۡتِيهِمۡ لَيۡسَ مَصۡرُوفًا عَنۡهُمۡ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١١﴾ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ

سحر مبين﴾ أَيْ: باطلٌ وخداعٌ.

﴿٨﴾ **﴿ولئن أخرنا عنهم العذاب إلى أمة معدودة﴾** إلىٰ أجلٍ وحينٍ معلومٍ **﴿ليقولنَّ ما يحبسه﴾** ما يحبس العذاب عنا؟ تكذيباً واستهزاء، فقال الله سبحانه: **﴿ألا يوم يأتيهم ليس مصروفاً عنهم﴾** إذا أخذتهم سيوف المسلمين لم تغمد عنهم حتىٰ يُباد الكفر، وتعلوَ كلمة الإخلاص **﴿وحاق﴾** نزل وأحاط **﴿بهم﴾** جزاء **﴿ما كانوا به يستهزئون﴾** وهو العذاب والقتل.

﴿٩﴾ **﴿ولئن أذقنا الإنسان﴾** يعني: الوليد بن المغيرة **﴿منّا رحمة﴾** رزقاً **﴿ثمَّ نزعناها منه إنَّه ليؤسٌ﴾** مُؤْيَسٌ قانطٌ **﴿كفور﴾** كافرٌ بالنِّعمة. يريد: إنَّه لجهله بسعة رحمة الله يستشعر القنوط واليأس عند نزول الشِّدَّة.

﴿١٠﴾ **﴿ولئن أذقناه نعماء...﴾** الآية. معناه: إنَّه يبطر فينسىٰ حال الشِّدَّة، ويترك حمد الله على ما صرف عنه، وهو قوله: **﴿ليقولنَّ ذهب السيئات عني﴾** فارقني الضُّرُّ والفقر **﴿إنه لفرحٌ فخورٌ﴾** يُفاخر المؤمنين بما وسَّعَ الله عليه، ثمَّ ذكر المؤمنين فقال:

﴿١١﴾ **﴿إلاَّ الذين صبروا﴾** والمعنىٰ: لكن الذين صبروا على الشِّدَّة والمكاره **﴿وعملوا الصالحات﴾** في السَّراء والضرَّاء.

﴿١٢﴾ **﴿فلعلك تاركٌ...﴾** الآية. قال المشركون لرسول الله ﷺ: ائتنا بكتابٍ ليس فيه سبُّ آلهتنا حتىٰ نتَّبعك، وقال بعضهم: هلاَّ أُنزل عليك مَلَكٌ يشهد لك بالنُّبوَّة والصِّدق، أو تُعطى كنزاً تستغني به أنت وأتباعك، فهمَّ رسولُ الله ﷺ أن يدع سبَّ

بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٞۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا

آلهتهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿**فلعلك تارك بعض ما يوحىٰ إليك**﴾ أَيْ: لعظيم ما يَرِدُ علىٰ قلبك من تخليطهم تتوهَّم أنَّهم يُزيلونك عن بعض ما أنت عليه من أمر ربِّك ﴿**وضائق به صدرك أن يقولوا**﴾ أَيْ: ضائق صدرك بأن يقولوا ﴿**لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير**﴾ عليك أن تُنذرهم، وليس عليك أن تأتيهم بما يقترحون ﴿**والله على كلِّ شيء وكيل**﴾ حافظٌ لكلِّ شيءٍ.

﴿١٣﴾ ﴿**أم يقولون**﴾ بل أيقولون ﴿**افتراه**﴾ افترىٰ القرآن وأتىٰ به من قبل نفسه ﴿**قل فأتوا بعشر سورٍ مثله**﴾ مثل القرآن في البلاغة ﴿**مُفترياتٍ**﴾ بزعمكم ﴿**وادعوا من استطعتم من دون الله**﴾ إلى المعاونة على المعارضة ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ أنَّه افتراه.

﴿١٤﴾ ﴿**فإن لم يستجيبوا لكم**﴾ فإن لم يستجب لكم مَنْ تدعونهم إلى المعاونة، ولم يتهيَّأ لكم المعارضة فقد قامت عليكم الحجَّة ﴿**فاعلموا أنما أُنزِلَ بعلم الله**﴾ أَيْ: أُنزل والله عالمٌ بإنزاله، وعالمٌ أنَّه من عنده ﴿**فهل أنتم مسلمون**﴾ استفهامٌ معناه الأمر، كقوله: ﴿فهل أنتم منتهون﴾[1].

﴿١٥﴾ ﴿**من كان يريد الحياة الدنيا**﴾ أَيْ: مَنْ كان يريدها من الكفَّار، ولا يؤمن بالبعث ولا بالثَّواب والعقاب ﴿**نوف إليهم أعمالهم**﴾ جزاء أعمالهم في الدُّنيا. يعني: إنَّ مَنْ أتىٰ من الكافرين فِعلاً حسناً من إطعام جائعٍ، وكسوة عارٍ، ونصرة مظلومٍ من المسلمين عُجِّل له ثواب ذلك في دنياه بالزِّيادة في ماله ﴿**وهم فيها**﴾ في الدُّنيا

(١) سورة المائدة: الآية ٩١.

لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ ۚ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾

﴿**لا يُبخسون**﴾ لا يُنقصون ثواب ما يستحقُّون، فإذا وردوا الآخرة وردوا على عاجل الحسرة؛ إذ لا حسنة لهم هناك، وهو قوله تعالىٰ:

﴿١٦﴾ ﴿**أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلاَّ النار...**﴾ الآية.

﴿١٧﴾ ﴿**أفمن كان**﴾ يعني: النَّبيَّ ﷺ ﴿**علىٰ بيِّنة من ربه**﴾ بيانٍ من ربِّه، وهو القرآن ﴿**ويتلوه شاهد**﴾ وهو جبريل عليه السَّلام ﴿**منه**﴾ من الله عزَّ وجلَّ. يريد أنَّه يتَّبعه ويؤيِّده ويشهده ﴿**ومن قبله**﴾ ومن قبل القرآن ﴿**كتاب موسىٰ**﴾ التَّوراة. يتلوه أيضاً في التَّصديق، لأنّ موسىٰ عليه السلام بَشّر به في التوراة، فالتوراة تتلو النبي ﷺ في التصديق، وقوله: ﴿**إماماً ورحمة**﴾ يعني أنَّ كتاب موسىٰ كان إماماً لقومه ورحمة، وتقدير الآية: أفمَنْ كان بهذه الصِّفة كمَنْ ليس يشهد بهذه الصِّفة؟ فترك ذكر المضادِّ له. ﴿**أولئك يؤمنون به**﴾ يعني: مَنْ آمن به مِنْ [أهل] الكتاب ﴿**ومن يكفر به من الأحزاب**﴾ أصنافِ الكفَّار ﴿**فالنار موعده فلا تك في مِرْيةٍ منه**﴾ من هذا الوعد ﴿**إنَّه الحقُّ من ربك ولكنَّ أكثر النَّاس لا يؤمنون**﴾ يعني: أهل مكَّة.

﴿١٨﴾ ﴿**ومن أظلم ممن افترىٰ على الله كذباً**﴾ فزعم أنَّ له ولداً وشريكاً ﴿**أولئك يعرضون على ربهم**﴾ يوم القيامة ﴿**ويقول الأشهاد**﴾ وهم الأنبياء والملائكة والمؤمنون ﴿**هؤلاء الذين كَذَبوا على ربهم ألا لعنةُ اللَّهِ**﴾ إبعاده من رحمته ﴿**على الظالمين**﴾ المشركين.

ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يَكُونُواْ مُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَۘ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلۡعَذَابُۚ مَا كَانُواْ يَسۡتَطِيعُونَ ٱلسَّمۡعَ وَمَا كَانُواْ يُبۡصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿٢١﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخۡبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾

﴿١٩﴾ ﴿**الذين يصدون عن سبيل الله**﴾ تقدَّم تفسير هذه الآية[١].

﴿٢٠﴾ ﴿**أولئك لم يكونوا معجزين في الأرض**﴾ أَيْ: سابقين فائتين، لم يعجزونا أن نعذِّبهم في الدُّنيا، ولكن أخَّرْنا عقوبتهم ﴿**وما كان لهم من دون الله من أولياء**﴾ يمنعونهم من عذاب الله ﴿**يضاعف لهم العذاب**﴾ لإِضلالهم الأتباع ﴿**ما كانوا يستطيعون السمع**﴾ لأني حُلْتُ بينهم وبين الإِيمان، فكانوا صُمّاً عن الحقِّ فلا يسمعونه، وعمياً عنه فلا يبصرونه ولا يهتدون.

﴿٢١﴾ ﴿**أولئك الذين خسروا أنفسهم**﴾ بأن صاروا إلىٰ النَّار ﴿**وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون**﴾ بطل افتراؤهم في الدُّنيا، فلم ينفعهم شيئاً.

﴿٢٢﴾ ﴿**لا جرم**﴾ حقّاً ﴿**أنهم في الآخرة هم الأخسرون**﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿**إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأَخْبَتُوا إلى ربهم**﴾ اطمأنُّوا وسكنوا. وقيل: تابوا.

﴿٢٤﴾ ﴿**مثل الفريقين**﴾ فريق الكافرين وفريق المسلمين ﴿**كالأعمىٰ والأصم**﴾ وهو الكافر ﴿**والبصيرِ والسميع**﴾ وهو المؤمن ﴿**هل يستويان مثلاً**﴾ أَيْ: في المَثل. أَيْ: هل يتشابهان؟ ﴿**أفلا تَـذَكَّرون**﴾ أفلا تتعظون يا أهل مكَّة.

---

(١) انظر ص ٣٩٥.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍۭ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَٰرِهُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ

﴿٢٥﴾ ﴿ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ فقال [لهم]: يا قومي ﴿إني لكم نذير مبين ﴾

﴿٢٦﴾ ﴿ألا تعبدوا إلاَّ الله﴾ أَيْ: أُنذركم لِتُوحِّدوا الله وتتركوا عبادة غيره ﴿إني أخاف عليكم﴾ بكفركم ﴿عذاب يومٍ أليم﴾ مؤلِمٍ.

﴿٢٧﴾ ﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه﴾ وهم الأشراف والرُّؤساء: ﴿ما نراك إلاَّ بشراً مثلنا﴾ إنساناً مثلنا لا فضل لك علينا ﴿وما نراك اتبعك إلاَّ الذين هم أراذلنا﴾ أخسَّاؤنا. يعنون: مَنْ لا شرفَ لهم ولا مال ﴿بادي الرأي﴾ اتَّبعوك في ظاهر الرَّأي، وباطنهم علىٰ خلاف ذلك ﴿وما نرىٰ لكم﴾ يعنون لنوحٍ وقومه ﴿علينا من فضل﴾ وهذا تكذيبٌ منهم؛ لأنَّ الفضل كلَّه في النُّبوَّة ﴿بل نظنُّكم كاذبين﴾ ليس ما أتيتنا به من الله.

﴿٢٨﴾ ﴿قال يا قوم أرأيتم﴾ أَيْ: أعلمتم ﴿إنْ كنت علىٰ بينة من ربي﴾ يقينٍ وبرهانٍ ﴿وآتاني رحمة من عنده﴾ نُبوَّةً ﴿فعميت عليكم﴾ فخفيت عليكم؛ لأنَّ الله تعالىٰ سلبكم علمها، ومنعكم معرفتها لعنادكم الحقَّ ﴿أنلزمكموها﴾ أَنُلزمكم قبولها ونضطركم إلى معرفتها إذا كرهتم؟

﴿٢٩﴾ ﴿ويا قوم لا أسألكم عليه﴾ علىٰ تبليغ الرِّسالة ﴿مالاً إن أجري إلاَّ على الله وما أنا بطارد الذين آمنوا﴾ سألوه طرد المؤمنين عنه ليؤمنوا به أنفةً من أن يكونوا معهم على سواء، فقال: لا يجوز لي طردهم إذ كانوا يلقون الله فيجزيهم بإيمانهم،

إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِيٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًاۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمْۖ إِنِّيٓ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِيٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾

ويأخذ لهم ممَّن ظلمهم وصغَّر شؤونهم، وهو قوله: ﴿**إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون**﴾ أنَّ هؤلاء خيرٌ منكم؛ لإيمانهم وكفركم.

﴿٣٠﴾ ﴿**ويا قوم مَنْ ينصرني من الله**﴾ مَنْ يمنعني من عذاب الله ﴿**إن طردتهم**﴾؟

﴿٣١﴾ ﴿**ولا أقول لكم عندي خزائن الله**﴾ يعني: مفاتيح الغيب، وهذا جوابٌ لقولهم: اتَّبعوك في ظاهرِ ما نرىٰ منهم، وهم في الباطن على خلافك، فقال مجيباً لهم: ﴿**ولا أقول لكم عندي خزائن الله**﴾ غيوب الله ﴿**ولا أعلم الغيب**﴾ ما يغيب عني ممَّا يسترونه في نفوسهم، فسبيلي قبول ما ظهر منهم ﴿**ولا أقول إني مَلَك**﴾ جوابٌ لقولهم: ﴿**ما نراك إلاَّ بشراً مثلنا**﴾. ﴿**ولا أقول للذين تزدري**﴾ تستصغر وتستحقر ﴿**أعينكم**﴾ يعني: المؤمنين: ﴿**لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم**﴾ أَيْ: بضمائرهم، وليس عليَّ أن أطَّلع علىٰ ما في نفوسهم ﴿**إني إذاً لمن الظالمين**﴾ إن طردتهم تكذيباً لهم بعد ما ظهر لي منهم الإيمان، وقوله:

﴿٣٤﴾ ﴿**إن كان الله يريد أن يغويكم**﴾ أَيْ: يُضِلَّكم ويوقع الغيَّ في قلوبكم لما سبق لكم من الشَّقاء ﴿**هو ربكم**﴾ خالقكم وسيِّدكم، وله أن يتصرَّف فيكم كما شاء.

﴿٣٥﴾ ﴿**أم يقولون**﴾ بل أيقولون ﴿**افتراه**﴾ اختلف ما أتىٰ به من الوحي ﴿**قل إن افتريته فعليَّ إجرامي**﴾ عقوبة جرمي ﴿**وأنا بريء مما تجرمون**﴾ من الكفر والتَّكذيب، وقوله:

وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ وَمَنْ

﴿٣٦﴾ ﴿فلا تبتئس﴾ أَيْ: لا تحزن ولا تغتم.

﴿٣٧﴾ ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ بمرأىً منا، وتأويله: بحفظنا إيَّاك حفظ مَنْ يراك، ويملك دفع السُّوء عنك ﴿ووحينا﴾ وذلك أنَّه لم يعلم صنعة الفلك حتىٰ أوحىٰ الله إليه كيف يصنعها. ﴿ولا تخاطبني﴾ لا تراجعني ولا تحاورني ﴿في الذين ظلموا﴾ في إمهالهم وتأخير العذاب عنهم، وقوله:

﴿٣٨﴾ ﴿إن تسخروا منا﴾ أَيْ: لما يرون من صنعه الفلك ﴿فإنا نسخر منكم﴾ ونعجب من غفلتكم عمَّا قد أظلَّكم من العذاب.

﴿٣٩﴾ ﴿فسوف تعلمون مَنْ يأتيه عذابٌ يخزيه﴾ أَيْ: فسوف تعلمون مَنْ أخسر عاقبةً.

﴿٤٠﴾ ﴿حتىٰ إذا جاء أمرنا﴾ بعذابهم وهلاكهم ﴿وفار التنور﴾ بالماء، يعني: تنُّور الخابز[1]، وكان ذلك علامةً لنوح عليه السَّلام، فركب السَّفينة ﴿قلنا احمل فيها﴾ في الفلك ﴿من كلّ زوجين﴾ من كلِّ شيءٍ له زوج ﴿اثنين﴾ ذكراً وأنثىٰ ﴿وأهلك﴾ واحمل أهلك يعني: ولده وعياله ﴿إلاَّ مَنْ سبق عليه القول﴾ يعني: مَنْ كان في علم الله أنَّه يغرق بكفره، وهو امرأته واغلة، وابنه كنعان، ﴿ومَنْ

(١) وهذا التفسير الذي اختاره المؤلف قولٌ حسن، ورجَّحه الطبري حيث قال: وأولىٰ هذه الأقوال عندنا بتأويل قوله «التنور» قولُ مَنْ قال: هو التَّنُّور الذي يخبز فيه؛ لأنَّ ذلك هو المعروف من كلام العرب. ثم قال: وفار التَّنُّور الذي جعلنا فورانه بالماء آيةَ مجيء عذابنا بيننا وبينه لهلاك قومه. تفسير ابن جرير ١٢/ ٤٠.

ءَامَنَۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ ﴿٤٠﴾ ۞وَقَالَ ٱرۡكَبُواْ فِيهَا بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرٜىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٤١﴾ وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾

آمن﴾ واحمل مَنْ صدَّقك ﴿وما آمن معه إلاَّ قليل﴾ ثمانون إنساناً.

﴿٤١﴾ ﴿وقال﴾ نوحٌ لقومه الذين أُمر بحملهم: ﴿اركبوا﴾ يعني: الماء ﴿فيها﴾ في الفلك ﴿بسم الله مجريها ومرساها﴾ يريد: تجري باسم الله، وترسي باسم الله، فكان إذا أراد أن تجري السفينة قال: بسم الله، فجرت، وإذا أراد أن ترسي قال: بسم الله، فرَسَتْ، أَيْ: ثبتت ﴿إن ربي لغفور﴾ لأصحاب السَّفينة ﴿رحيم﴾ بهم.

﴿٤٢﴾ ﴿وهي تجري بهم في موج﴾ جمع موجةٍ، وهي ما يرتفع من الماء ﴿كالجبال﴾ في العِظَم ﴿ونادىٰ نوح ابنه﴾ كنعان، وكان كافراً ﴿وكان في معزل﴾ من السَّفينة، أَيْ: في ناحيةٍ بعيدة عنها.

﴿٤٣﴾ ﴿قال سآوي إلى جبل﴾ أنضمُّ إلى جبلٍ ﴿يعصمني﴾ يمنعني ﴿من الماء﴾ فلا أغرق، ﴿قال﴾ نوح: ﴿لا عاصم اليوم من أمر الله﴾ لا مانع اليوم من عذاب الله ﴿إلاَّ مَنْ رحم﴾ لكن مَنْ رحم الله فإنَّه معصوم ﴿وحال بينهما﴾ بين ابن نوحٍ وبين الجبل ﴿الموج﴾ ما ارتفع من الماء.

﴿٤٤﴾ ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك﴾ اشربي ماءك ﴿ويا سماء أقلعي﴾ أمسكي عن إنزال الماء ﴿وغيض الماء﴾ نقص ﴿وقضي الأمر﴾ أُهلك قوم نوحٍ، وفُرِغ من ذلك ﴿واستوت﴾ السَّفينة ﴿على الجودي﴾ وهو جبل بالجزيرة ﴿وقيل: بعداً﴾ من رحمة الله ﴿للقوم الظالمين﴾ المتَّخذين من دون الله إلّهاً.

وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾

﴿٤٥﴾ **﴿ونادىٰ نوح ربَّه فقال ربِّ إنَّ ابني﴾** كنعان **﴿من أهلي وإنَّ وعدك الحق﴾** وعدتني أن تنجيني وأهلي، أَيْ: فأنجه من الغرق **﴿وأنت أحكم الحاكمين﴾** أعدل العادلين.

﴿٤٦﴾ **﴿قال يا نوح إنه ليس من أهلك﴾** الذين وعدتك أن أُنجيهم **﴿إنه عمل غير صالح﴾** أَيْ: سؤالك إيَّاي أن أنجي كافراً عملٌ غير صالح، وقيل: معناه: إنَّ ابنك ذو عملٍ غير صالح **﴿فلا تسألني ما ليس لك به علم﴾** وذلك أنَّ نوحاً لم يعلم أنَّ سؤاله ربَّه نجاةَ ولدِه محظورٌ عليه مع إصراره على الكفر، حتىٰ أعلمه الله سبحانه ذلك، والمعنىٰ: فلا تسألني ما ليس لك به علمٌ بجواز مسألته. **﴿إني أعظك﴾** أنهاك **﴿أن تكون من الجاهلين﴾** من الآثمين، فاعتذر نوحٌ عليه السَّلام لمَّا أعلمه الله سبحانه أنَّه لا يجوز له أن يسأل ذلك وقال:

﴿٤٧﴾ **﴿ربِّ إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلاَّ تغفر لي﴾** جهلي **﴿وترحمني أكن من الخاسرين﴾**.

﴿٤٨﴾ **﴿قيل يا نوح اهبط﴾** من السَّفينة إلى الأرض **﴿بسلامٍ﴾** بسلامةٍ. وقيل: بتحيَّةٍ **﴿منا وبركات عليك﴾** وذلك أنَّه صار أبا البشر؛ لأنَّ جميع مَن بقي كانوا من نسله **﴿وعلى أمم ممن معك﴾** أَيْ: من أولادهم وذراريهم، وهم المؤمنون وأهل السَّعادة إلىٰ يوم القيامة **﴿وأمم سنمتعهم﴾** في الدُّنيا. يعني: الأمم الكافرة من ذريَّته إلى يوم القيامة.

تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٥١﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ يَٰهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾ إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾

﴿٤٩﴾ **﴿تلك﴾** القصَّة التي أخبرتك بها **﴿من أنباء الغيب﴾** أخبار ما غاب عنك وعن قومك **﴿فاصبر﴾** كما صبر نوح على أذىٰ قومه **﴿إنَّ العاقبة للمتقين﴾** آخر الأمر بالظَّفر لك ولقومك، كما كان [لمؤمني] قوم نوحٍ، وقوله:

﴿٥٠﴾ **﴿إن أنتم إلاَّ مفترون﴾** ما أنتم إلاَّ كاذبون في إشراككم الأوثان، وقوله:

﴿٥٢﴾ **﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾** كثير الدَّرِّ. يعني: المطر **﴿ويزدكم قوة إلى قوتكم﴾** يعني: المال والولد، وكان الله سبحانه قد حبس عنهم المطر ثلاث سنين، وأعقم أرحام نسائهم، فقال لهم هود: إن آمنتم أحيا الله سبحانه بلادكم، ورزقكم المال والولد.

﴿٥٣﴾ **﴿قالوا﴾** مُنكرين لنبوَّته: **﴿يا هود ما جئتنا ببينة﴾** بحجَّةٍ واضحةٍ، وقوله:

﴿٥٤﴾ **﴿اعتراك﴾** أصابك ومسَّك **﴿بعض آلهتنا بسوء﴾** بجنونٍ فأفسد عقلك، فالذي يظهر مِنْ عيبها لما لحق عقلك من التَّغيير **﴿قال﴾** نبيُّ الله عليه السَّلام عند ذلك: **﴿إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون﴾** أَيْ: إن كانت عندكم الأصنام أنَّها عاقبتني لطعني عليها، فإني أزيد الآن في الطَّعن عليها، وقوله:

﴿٥٥﴾ **﴿فكيدوني جميعاً﴾** احتالوا أنتم وأوثانكم في عداوتي **﴿ثم لا تنظرون﴾** لا تُؤجِّلون، وقوله:

إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦٓ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُۥ شَيْـًٔا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْاْ رُسُلَهُۥ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَأُتْبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا

﴿٥٦﴾ **﴿ما من دابة إلَّا هو آخذٌ بناصيتها﴾** أَيْ: هي في قبضته، وتنالها بما شاء قدرته **﴿إنَّ ربي على صراط مستقيم﴾** أَيْ: إنَّ الذي بعثني الله به دينٌ مستقيمٌ.

﴿٥٧﴾ **﴿فإن تولوا﴾** تتولَّوا، بمعنىٰ: تُعرضوا عمَّا دعوتكم إليه من الإيمان **﴿فقد أبلغتكم ما أرسلت به إليكم﴾** فقد ثبتت الحُجَّة عليكم بإبلاغي **﴿ويستخلف ربي قوماً غيركم﴾** أَيْ: ويخلف بعدكم مَنْ هو أطوعُ له منكم **﴿ولا تضرونه﴾** بإعراضكم **﴿شيئاً﴾** إنَّما تضرُّون أنفسكم **﴿إنَّ ربي على كل شيء﴾** من أعمال العباد **﴿حفيظ﴾** حتىٰ يجازيهم عليها.

﴿٥٨﴾ **﴿ولما جاء أمرنا﴾** بهلاك عادٍ **﴿نجينا هوداً والذين آمنوا معه برحمةٍ منا﴾** حيث هديناهم إلى الإيمان، وعصمناهم من الكفر **﴿ونجيناهم من عذاب غليظ﴾** يعني: ما عُذِّب به الذين كفروا.

﴿٥٩﴾ **﴿وتلك عاد﴾** يعني: القبيلة **﴿جحدوا بآيات ربهم﴾** كذَّبوها فلم يُقِرّوا بها **﴿وعصوا رسله﴾** يعني: هوداً عليه السَّلام؛ لأنَّ مَنْ كذَّب رسولاً واحداً فقد كفر بجميع الرُّسل. **﴿واتبعوا أمر كل جبار عنيد﴾** واتَّبع السَّفلةُ الرُّؤساءَ. والعنيد: المعارضُ لك بالخلاف.

﴿٦٠﴾ **﴿وأُتْبِعُوا في هذه الدنيا لعنةً﴾** أُردفوا لعنةً تلحقهم وتنصرف معهم **﴿ويوم القيامة﴾** أَيْ: وفي يوم القيامة، كما قال: ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة﴾[1] **﴿ألا إنَّ عاداً**

---

(١) سورة النور: الآية ٢٣.

كَفَرُواْ رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٦٢﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَءَاتَىٰنِى مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِى مِنَ ٱللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُۥ فَمَا تَزِيدُونَنِى غَيْرَ تَخْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ

كفروا ربهم﴾ قيل: بربِّهم. وقيل: كفروا نعمة ربِّهم **﴿ألا بعداً لعاد﴾** يريد: بعدوا من رحمة الله تعالىٰ، وقوله:

﴿٦١﴾ **﴿هو أنشأكم﴾** أَيْ: خلقكم **﴿من الأرض﴾** من آدم، وآدم خُلق من تراب الأرض **﴿واستعمركم فيها﴾** جعلكم عمَّاراً لها.

﴿٦٢﴾ **﴿قالوا يا صالح قد كنتَ فينا مَرْجُوّاً قبل هذا﴾** وذلك أنَّ صالحاً عليه السَّلام كان يعدل عن دينهم، ويشنأ أصنامهم، وكانوا يرجون رجوعه إلى دين عشيرته، فلمَّا أظهر دعاءهم إلى الله تعالىٰ زعموا أنَّ رجاءهم انقطع منه، وقوله **﴿مريب﴾** موقعٍ في الرِّيبة.

﴿٦٣﴾ **﴿قال يا قوم أرأيتم...﴾** الآية، يقول: أعلمتم مَنْ ينصرني من الله، أَيْ: مَنْ يمنعني من عذاب الله إن عصيته بعد بيِّنةٍ من ربِّي ونعمةٍ **﴿فما تزيدونني غير تخسير﴾** أَيْ: ما تزيدونني باحتجاجكم بعبادة آبائكم الأصنام، [وقولكم]: **﴿أتنهانا أن نعبدَ ما يعبدُ آباؤُنا﴾**[1] إلاَّ بنسبتي إيَّاكم إلىٰ الخسارة، أَيْ: كلَّما اعتذرتم بشيءٍ زادكم تخسيراً. وقيل: معنىٰ الآية: ما تزيدونني غير تخسيرٍ [لي] إن كنتم أنصاري، ومعنىٰ التَّخسير: التَّضليل والإبعاد من الخير، وقوله:

---

(١) الآية ٦٢ من هذه السورة.

تَمَتَّعُوا۟ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ۖ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْىِ يَوْمِئِذٍ ۗ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾

﴿٦٥﴾ **﴿تمتعوا في داركم﴾** أَيْ: عيشوا في بلادكم **﴿ثلاثة أيام ذلك وعدٌ﴾** للعذاب **﴿غير مكذوب﴾** [غير كذبٍ][1]، وقوله:

﴿٦٦﴾ **﴿ومن خزي يومئذٍ﴾** أَيْ: نجَّيناهم من العذاب الذي أهلك قومه، ومن الخزي الذي لزمهم، وبقي العارُ فيهم مأثوراً عنهم، فالواوُ في **﴿ومِنْ﴾** نسقٌ على محذوف، وهو العذاب.

﴿٦٧﴾ **﴿وأخذ الذين ظلموا الصيحة﴾** لمَّا أصبحوا اليوم الرَّابع أتتهم صيحةٌ من السَّماء فيها صوت كلِّ صاعقةٍ، وصوت كلِّ شيءٍ في الأرض، فتقطَّعت قلوبهم في صدورهم.

﴿٦٩﴾ **﴿ولقد جاءت رسلنا﴾** يعني: الملائكة الذين أتوا **﴿إبراهيم﴾** عليه السَّلام علىٰ صورة الأضياف **﴿بالبشرىٰ﴾** بالبشارة بالولد **﴿قالوا سلاماً﴾** أَيْ: سلِّموا سلاماً **﴿قال سلامٌ﴾** أَيْ: عليكم سلامٌ **﴿فما لبث أن جاء بعجل حنيذٍ﴾** مشويٍّ.

﴿٧٠﴾ **﴿فلما رأى أيديهم لا تصل إليه﴾** إلى العجل **﴿نكرهم﴾** أنكرهم **﴿وأوجس منهم خيفة﴾** أضمر منهم خوفاً، ولم يأمن أن يكونوا جاؤوا لبلاءٍ لمَّا لم يتحرَّموا بطعامه، فلمَّا رأوا علامة الخوف في وجهه **﴿قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط﴾** بالعذاب.

---

(١) ما بين [ ] ليس في الأصل، وهو ثابت في البواقي.

وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾

﴿٧١﴾ ﴿**وامرأته**﴾ سارة ﴿**قائمة**﴾ وراء السِّتر تتسمَّع إلى الرُّسل ﴿**فضحكت**﴾ سروراً بالأمن حيث قالوا: ﴿إنا أُرسلنا إلى قوم لوط﴾، وذلك أنَّها خافت كما خاف إبراهيم عليه السَّلام، فقيل لها: يا أيتها الضَّاحكة ستلدين غلاماً، فذلك قوله: ﴿**فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق**﴾ أَيْ: بعده ﴿**يعقوب**﴾ [عليهما السَّلام]. وذلك أنَّهم بشَّروها بأنَّها تعيش إلىٰ أن ترىٰ ولد ولدها.

﴿٧٢﴾ ﴿**قالت يا ويلتىٰ أألد وأنا عجوز**﴾ وكانت بنت تسع وتسعين سنةً ﴿**وهذا بعلي شيخاً**﴾ وكان ابن مائة سنة [واثنتي عشرة سنة][1] ﴿**إنَّ هذا**﴾ الذي [تذكرون] من ولادتي على كبر سنِّي وسنِّ بعلي ﴿**لشيء عجيب**﴾ معجب.

﴿٧٣﴾ ﴿**قالوا أتعجبين من أمر الله**﴾ قضاء الله وقدره ﴿**رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت**﴾ يعني: بيت إبراهيم عليه السَّلام، فكان من تلك البركات أنَّ الأسباط، وجميع الأنبياء كانوا من إبراهيم وسارة، وكان هذا دعاءً من الملائكة لهم، وقوله: ﴿**إنَّه حميدٌ**﴾ أَيْ: محمودٌ في أفعاله ﴿**مجيد**﴾ كريمٌ.

﴿٧٤﴾ ﴿**فلما ذهب عن إبراهيم الروع**﴾ الفزع ﴿**وجاءته البشرىٰ**﴾ بالولد ﴿**يجادلنا**﴾ أَيْ: أقبل وأخذ يجادل رسلنا ﴿**في قوم لوط**﴾ وذلك أنَّهم لما قالوا لإبراهيم عليه السَّلام: ﴿إنَّا مهلكو أهلِ هذه القرية﴾[2] قال لهم: أرأيتم إن كان فيها خمسون من المسلمين أتهلكونهم؟ قالوا: لا. قال: فأربعون؟ قالوا: لا، فما زال ينقص

---

(١) ما بين [ ] زيادة من ظ.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٣١.

إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّٰهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ﴿٧٦﴾ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾ قَالُوا۟ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ

حتىٰ قال: فواحدٌ؟ قالوا: لا[1]، فاحتجَّ عليهم بلوط، و﴿قال: إنَّ فيها لوطاً قالوا: نحن أعلم...﴾[2] الآية. فهذا معنىٰ جداله، وعند ذلك قالت الملائكة:

﴿٧٦﴾ ﴿**يا إبراهيم أعرض عن هذا**﴾ الجدال، وخرجوا من عنده فأتوا قرية قوم لوطٍ، وذلك قوله:

﴿٧٧﴾ ﴿**ولما جاءت رسلنا لوطاً سِيءَ بهم**﴾ حزن بمجيئهم؛ لأنَّه رآهم في أحسن صورةٍ، فخاف عليهم قومه، وعلم أنَّه يحتاج إلى المدافعة عنهم، وكانوا قد أتوه في صورة الأضياف ﴿**وضاق بهم ذرعاً**﴾ أَيْ: صدراً ﴿**وقال هذا يوم عصيب**﴾ شديدٌ. ولمَّا علم قومه بمجيء قومٍ حسانِ الوجوه أضيافاً للوط قصدوا داره، وذلك، قوله:

﴿٧٨﴾ ﴿**وجاءه قومه يهرعون إليه**﴾ أَيْ: يُسرعون إليه ﴿**ومن قبل**﴾ أَيْ: ومِنْ قبل مجيئهم إلى لوطٍ ﴿**كانوا يعملون السيئات**﴾ يعني: فعلهم المنكر ﴿**قال يا قومِ هؤلاء بناتي**﴾ أُزوِّجكموهنَّ فـ﴿**هنَّ أَطْهَرُ لكم**﴾ من نكاح الرِّجال. أراد أن يقي أضيافه ببناته ﴿**فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي**﴾ لا تفضحوني فيهم؛ لأنَّهم إذا هجموا إلىٰ أضيافه بالمكروه لحقته الفضيحة ﴿**أليس منكم رجل رشيد**﴾ يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر.

﴿٧٩﴾ ﴿**قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق**﴾ لَسْنَ لنا بأزواجٍ فنستحقهنَّ ﴿**وإنك**

(١) وهذا قول قتادة. أخرجه ابن جرير ١٢/٧٩.

(٢) وتتمتها: ﴿نحن أعلم بمَنْ فيها لننجينَّه وأهله إلَّا امرأته﴾ [العنكبوت: ٣٢].

وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ ﴿٧٩﴾ قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾ قَالُوا۟ يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓا۟ إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ ٱلصُّبْحُ أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨١﴾ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾

لتعلم ما نريد﴾ أَيْ: إنَّا نريد الرِّجال لا النِّساء.

﴿٨٠﴾ **﴿قال لو أنَّ لي بكم قوَّة﴾** لو أنَّ معي جماعةً أقوىٰ بها عليكم **﴿أو آوي﴾** أنضمُّ **﴿إلى ركن شديد﴾** عشيرةٍ تمنعني وتنصرني لَحُلْتُ بينكم وبين المعصية، فلمَّا رأت الملائكة ذلك،

﴿٨١﴾ **﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾** بسوءٍ فإنَّا نحولُ بينهم وبين ذلك **﴿فأسرِ بأهلك بقطع من الليل﴾** في ظلمة اللَّيل **﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾** لا ينظر أحدٌ إلىٰ ورائه إذا خرج من قريته **﴿إلَّا امرأتك﴾** فلا تسرِ بها، وخلِّفها مع قومها؛ فإنَّ هواها إليهم و **﴿إنَّه مصيبها ما أصابهم﴾** من العذاب **﴿إنَّ موعدهم الصبح﴾** للعذاب، فقال لوط: أريد أعجلَ من ذلك، بل السَّاعةَ يا جبريل، فقالوا له: **﴿أليس الصبح بقريب﴾**.

﴿٨٢﴾ **﴿فلما جاء أمرنا﴾** عذابنا **﴿جعلنا عاليها سافلها﴾** وذلك أنَّ جبريل عليه السَّلام أدخل جناحه تحتها حتىٰ قلعها، وصعد بها إلى السَّماء، ثمَّ قلبها إلىٰ الأرض **﴿وأمطرنا عليها حجارة﴾** قبلَ قلبها إلى الأرض **﴿من سجيل﴾** من طينٍ مطبوخٍ، طُبخ حتىٰ صار كالآجر، فهو سنك كل بالفارسية، فعُرِّب، **﴿منضود﴾** يتلو بعضه بعضاً.

﴿٨٣﴾ **﴿مسوَّمة﴾** مُعلَّمةً بعلامةٍ تُعرف بها أنَّها ليست من حجارة أهل الدُّنيا **﴿عند ربك﴾** في خزائنه التي لا يُتصرَّف في شيءٍ منها إلَّا بإرادته **﴿وما هي من الظالمين ببعيد﴾** يعني: كفَّار قريش، يُرهبهم بها.

۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا۟ ۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى

﴿٨٤﴾ **﴿وإلىٰ مدين﴾** ذكرنا تفسير هذه الآية في سورة الأعراف(١)، وقوله: **﴿إني أراكم بخير﴾** يعني: النِّعمة والخصب، يقول: أيُّ حاجةٍ بكم إلىٰ التَّطفيف مع ما أنعم الله سبحانه به عليكم من المال ورخص السِّعر **﴿وإني أخاف عليكم عذاب يومٍ محيط﴾** يُوعدهم بعذابٍ يُحيط بهم فلا يفلت منهم أحدٌ.

﴿٨٥﴾ **﴿ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط﴾** أَتِمّوهما بالعدل.

﴿٨٦﴾ **﴿بقية الله﴾** أَيْ: ما أبقىٰ الله لكم بعد إيفاء الكيل والوزن **﴿خير لكم﴾** من البخس، يعني: من تعجيل النَّفع به **﴿إن كنتم مؤمنين﴾** [مُصدِّقين] في نعمه. شَرَطَ الإِيمانَ لأنَّهم إنَّما يعرفون صحَّة ما يقول إذا كانوا مؤمنين **﴿وما أنا عليكم بحفيظ﴾** أَيْ: لم أُؤمر بقتالكم وإكراهكم على الإيمان.

﴿٨٧﴾ **﴿قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا﴾** يريدون: دينُك يأمرك، أَيْ: أفي دينك الأمر بذا؟ **﴿أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء﴾** من البخس والظُّلم، ونقص المكيال والميزان **﴿إنك لأنت الحليم الرشيد﴾** أَيْ: السَّفيه الجاهل، وقالوا: الحليم الرَّشيد على طريق الاستهزاء.

﴿٨٨﴾ **﴿قال يا قوم أرأيتم﴾** أعلمتم **﴿إن كنت علىٰ بينة من ربي﴾** بيانٍ وحجَّةٍ من ربي

---

(١) راجع ص ٤٠٢.

وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ ۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَا قَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾ قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ

﴿ورزقني منه رزقاً حسناً﴾ حلالاً، وذلك أنَّه كان كثير المال، وجواب «إنْ» محذوف على معنىٰ: إنْ كنت على بيِّنةٍ من ربي ورزقني المال الحلال أتَّبع الضَّلال فأبخس وأُطفف؟ يريد: إنَّ الله تعالىٰ قد أغناه بالمال الحلال، ﴿وما أريد أن أخالفكم إلىٰ ما أنهاكم عنه﴾ أَيْ: لست أنهاكم عن شيءٍ وأدخل فيه، وإنَّما أختار لكم ما أختار لنفسي ﴿إن أريد﴾ ما أريد ﴿إلاَّ الإصلاح﴾ فيما بيني وبينكم بأن تعبدوا الله وحده، وأَنْ تفعلوا ما يفعل مَنْ يخاف الله ﴿ما استطعت﴾ أَيْ: بقدر طاقتي، وطاقة الإبلاغ والإنذار، ثمَّ أخبر أنَّه لا يقدر هو ولا غيره على الطَّاعة إلاَّ بتوفيق الله سبحانه، فقال: ﴿وما توفيقي إلاَّ بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ أرجع في المعاد.

﴿٨٩﴾ ﴿ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي﴾ لا يكسبنَّكم خلافي وعداوتي ﴿أن يصيبكم﴾ عذاب العاجلة ﴿مثل ما أصاب قوم نوح﴾ من الغرق ﴿أو قوم هود﴾ من الرِّيح العقيم ﴿أو قوم صالح﴾ من الرَّجفة والصَّيحة ﴿وما قوم لوط منكم ببعيد﴾ في الزَّمان الذي بينكم وبينهم وكان إهلاكهم أقربَ الإهلاكات التي عرفوها.

﴿٩٠﴾ ﴿واستغفروا ربكم﴾ اطلبوا منه المغفرة ﴿ثمَّ توبوا إليه﴾ توصَّلوا إليه بالتَّوبة ﴿إنَّ ربي رحيم﴾ بأوليائه ﴿ودودٌ﴾ محبٌّ لهم.

﴿٩١﴾ ﴿قالوا يا شعيب ما نفقه﴾ [ما نفهم][1] ﴿كثيراً مما تقول﴾ أَيْ: صحَّته. يعنون:

(١) ما بين [ ] ليس في الأصل، وهو ثابت في البواقي.

وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِيٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّاۖ إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٩٢﴾ وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَٰمِلٌۖ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌۖ وَٱرْتَقِبُوٓاْ إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٩٤﴾ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآۗ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ ﴿٩٥﴾

ما يذكر من التَّوحيد والبعث والنُّشور ﴿وإنا لنراك فينا ضعيفاً﴾ لأنَّه كان أعمى[١] ﴿ولولا رهطك﴾ عشيرتك ﴿لرجمناك﴾ قتلناك ﴿وما أنت علينا بعزيز﴾ بمنيعٍ.

﴿٩٢﴾ ﴿قال يا قوم أرهطي أعزُّ عليكم من الله﴾ يريد: أمنع عليكم من الله، كأنَّه يقول: حفظكم إيَّاي في الله أولىٰ منه في رهطي ﴿واتَّخذتموه وراءكم ظهرياً﴾ ألقيتموه خلف ظهوركم، وامتنعتم من قتلي مخافة قومي، والله أعزُّ وأكبر من جميع خلقه ﴿إنَّ ربي بما تعملون محيط﴾ خبيرٌ بأعمال العباد حتىٰ يجازيهم بها، ثمَّ هدَّدهم فقال:

﴿٩٣﴾ ﴿ويا قوم اعملوا...﴾ الآية. يقول: اعملوا علىٰ ما أنتم عليه ﴿إني عاملٌ﴾ علىٰ ما أنا عليه من طاعة الله، وسترون منزلتكم من منزلتي، وهو قوله: ﴿سوف تعلمون مَنْ يأتيه عذاب يخزيه﴾ يفضحه ويذله ﴿ومَنْ هو كاذب﴾ منَّا ﴿وارتقبوا إني معكم رقيب﴾ ارتقبوا العذاب من الله سبحانه، إنِّي مرتقب من الله سبحانه الرَّحمة، وقوله:

﴿٩٤﴾ ﴿وأخذت الذين ظلموا الصيحة﴾ صاح بهم جبريل صيحةً فماتوا في أمكنتهم.

﴿٩٥﴾ ﴿ألا بعداً لمدين﴾ أَيْ: قد بعدوا من رحمة الله سبحانه.

---

(١) وهذا لا يصحّ؛ لأنّ الأنبياء موصوفون بصفات الكمال.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٦﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱتَّبَعُوٓاْ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ وَأُتْبِعُواْ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴿٩٩﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ

﴿٩٦﴾ ﴿**ولقد أرسلنا موسىٰ بآياتنا**﴾ يريد: التَّوراة وما أنزل الله فيها من الأحكام ﴿**وسلطان مبين**﴾ وحجَّةٍ بيِّنةٍ، وهي العصا.

﴿٩٧﴾ ﴿**وما أمر فرعون برشيد**﴾ بمرشدٍ إلىٰ خيرٍ.

﴿٩٨﴾ ﴿**يقدم قومه**﴾ يتقدَّمهم إلى النَّار، وهو قوله: ﴿**فأوردهم النار**﴾ أدخلهم النار ﴿**وبئس الورد المورود**﴾ المدخل المدخول.

﴿٩٩﴾ ﴿**وأُتبِعُوا في هذه**﴾ الدُّنيا ﴿**لعنة**﴾ يعني: الغرق ﴿**ويوم القيامة**﴾ يعني: ولعنة يوم القيامة، وهو عذاب جهنَّم ﴿**بئس الرفد المرفود**﴾ يعني: اللَّعنة بعد اللَّعنة، وقوله:

﴿١٠٠﴾ ﴿**منها قائمٌ وحصيد**﴾ أَيْ: من القرىٰ التي أُهلكت قائمٌ بقيت حيطانه، وحصيدٌ مخسوفٌ به قد مُحي أثره.

﴿١٠١﴾ ﴿**وما ظلمناهم**﴾ بالعذاب والإهلاك ﴿**ولكن ظلموا أنفسهم**﴾ بالكفر والمعصية ﴿**فما أغنت عنهم**﴾ ما نفعتهم وما دفعت عنهم ﴿**آلهتهم التي يدعون**﴾ يعبدون ﴿**من دون الله**﴾ سوىٰ الله ﴿**وما زادوهم**﴾ وما زادتهم عبادتها ﴿**غير تتبيب**﴾ بلاءٍ وهلاكٍ وخسارةٍ.

﴿١٠٢﴾ ﴿**وكذلك**﴾ وكما ذكرنا من إهلاك الأمم ﴿**أخذ ربك**﴾ بالعقوبة ﴿**إذا أخذ القرىٰ وهي ظالمة**﴾ يعني: أهلها.

﴿١٠٣﴾ ﴿**إنَّ في ذلك**﴾ يعني: ما ذكر من عذاب الأمم الخالية ﴿**لآية**﴾ لعبرةً ﴿**لمن خاف**

عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُهُم مِّن قَبْلُ وَإِنَّا لَمُوَفُّوهُمْ نَصِيبَهُمْ غَيْرَ مَنقُوصٍ ﴿١٠٩﴾

عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس﴾ لأنَّ الخلق كلهم يحشرون ويجمعون لذلك اليوم **﴿وذلك يوم مشهود﴾** يشهده البرُّ والفاجر.

﴿١٠٤﴾ **﴿وما نؤخره﴾** وما نؤخِّر ذلك اليوم فلا نُقيمه عليكم **﴿إلَّا لأجلٍ معدود﴾** لوقتٍ معلومٍ، ولا يعلمه أحدٌ غير الله سبحانه.

﴿١٠٥﴾ **﴿يوم يأتِ﴾** ذلك اليوم **﴿لا تكلم نفس إلا بإذنه، فمنهم شقيٌّ وسعيد﴾** فمن الأنفس في ذلك اليوم شقيٌّ وسعيدٌ.

﴿١٠٦﴾ **﴿فأمَّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾** وهما من أصوات المكروبين والمحزونين، والزَّفير مثل أوَّل نهيق الحمار، والشَّهيق آخره إذا ردَّده في الجوف.

﴿١٠٧﴾ **﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض﴾** أبداً، وهذا من ألفاظ التأبيد **﴿إلَّا ما شاء ربك﴾** أن يُخرجهم، ولكنَّه لا يشاء ذلك، والمعنىٰ: لو شاء أن لا يخلِّدهم لقدر. وقيل: إلَّا ما شاء ربك. يعني: إلَّا مقدار مكثهم في الدُّنيا والبرزخ والوقوف للحساب، ثمَّ يصيرون إلى النَّار أبداً، وقوله:

﴿١٠٨﴾ **﴿عطاء غير مجذوذ﴾** أَيْ: مقطوعٍ.

﴿١٠٩﴾ **﴿فلا تك﴾** يا محمَّدُ **﴿في مرية﴾** شكٍّ **﴿ممَّا يعبد هؤلاء﴾** أَيْ: مِن حال ما يعبدون في أنَّها لا تضرُّ ولا تنفع. **﴿ما يعبدون إلَّا كما يعبد آباؤهم من قبل﴾** أَيْ: كعبادة آبائهم، يريد: إنَّهم على طريق التَّقليد يعبدون الأوثان كعبادة آبائهم **﴿وإنا لموفوهم نصيبهم﴾** من العذاب **﴿غير منقوص﴾**.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١١٠﴾ وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾

﴿١١٠﴾ **﴿ولقد آتينا موسىٰ الكتاب فاختلف فيه﴾** هذه الآية تعزيةٌ للنبيِّ ﷺ، وتسليةٌ له باختلاف قوم موسىٰ في كتابه **﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾** بتأخير العذاب عن قومك **﴿لَقُضي بينهم﴾** لَعُجِّل عقابهم، وفُرِغَ من ذلك **﴿وإنهم لفي شك منه﴾** من القرآن **﴿مريب﴾** موقعٍ للرِّيبة.

﴿١١١﴾ **﴿وإنَّ كلًّا﴾** من البرِّ والفاجر، والمؤمن والكافر **﴿لما﴾** يعني: لمَنْ، في قول الفرَّاء[١]، وفي قول البصريين «ما» زائدة[٢]، والمعنىٰ: وإنَّ كلًّا **﴿ليوفينهم ربك أعمالهم﴾** أيْ: ليتمنَّ لهم جزاء أعمالهم.

﴿١١٢﴾ **﴿فاستقم﴾** على العمل بأمر ربك والدُّعاء إليه **﴿كما أمرت﴾** في القرآن **﴿ومن تاب معك﴾** يعني: أصحابه، أَيْ: وليستقيموا هم أيضاً على ما أُمروا به **﴿ولا تَطْغَوا﴾** تواضعوا لله ولا تتجبَّروا على أحدٍ **﴿إنه بما تعملون بصير﴾** لا تخفىٰ عليه أعمال بني آدم.

﴿١١٣﴾ **﴿ولا تركنوا إلىٰ الذين ظلموا﴾** لا تُداهنوهم ولا ترضوا بأعمالهم، يعني: الكفَّار **﴿فتمسكم النار﴾** فيصيبكم لفحها **﴿وما لكم من دون الله من أولياء﴾** من مانع يمنعكم من عذاب الله **﴿ثم لا تنصرون﴾** استئنافٌ.

---

(١) وعبارة الفرَّاء في معاني القرآن ٢/٢٩: وأمَّا مَنْ شدَّد ﴿لمَّا﴾ فإنَّه ــ والله أعلم ــ أراد: لَمِن ما ليوفينَّهم، فلمَّا اجتمعت ثلاث ميمات حذف واحدة، فبقيت اثنتان، فأدغمت في صاحبتها كما قال الشاعر:

وإنـي لمـمَّـا أصـدر الأمـر وجهـه ... إذا هـو أعيـا بـالسبيـل مصـادره

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣/٨١، وهذا على تخفيف «لما».

وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٥﴾ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾

﴿١١٤﴾ **﴿وأقم الصلاة طرفي النهار﴾** بالصبح والمغرب **﴿وزلفاً من الليل﴾** صلاة العشاء قرب أوَّل الليل، والزُّلف: أوَّل ساعات اللَّيل. وقيل: صلاة طرفي النَّهار: الفجر والظُّهر والعصر، وأمَّا المغرب والعشاء فإنَّهما من صلاة زلف اللَّيل. **﴿إن الحسنات يذهبن السيئات﴾** إنَّ الصَّلوات الخمس تكفِّر ما بينها من الذنوب إذا اجتنبت الكبائر **﴿ذلك ذكرىٰ﴾** أيْ: هذه موعظةٌ **﴿للذاكرين﴾**.

﴿١١٥﴾ **﴿واصبر﴾** على الصَّلاة **﴿فإنَّ الله لا يضيع أجر المحسنين﴾** يعني: المُصلِّين.

﴿١١٦﴾ **﴿فلولا كان من القرون من قبلكم﴾** أَيْ: ما كان منهم **﴿أولو بقية﴾** دينٍ وتميزٍ وفضلٍ **﴿ينهون عن الفساد في الأرض﴾** عن الشِّرك والاعتداء في حقوق الله والمعصية **﴿إلاَّ قليلاً﴾** لكن قليلاً **﴿ممن أنجينا منهم﴾** وهم أتباع الأنبياء وأهل الحقِّ، نهوا عن الفساد **﴿واتَّبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه﴾** آثروا اللَّذات على أمر الآخرة، وركنوا إلى الدُّنيا والأموال وما أُعطوا من نعيمها.

﴿١١٧﴾ **﴿وما كان ربك ليهلك القرىٰ﴾** أَيْ: أهلها **﴿بظلم﴾** بشركٍ **﴿وأهلها مصلحون﴾** فيما بينهم، أَيْ: ليس من سبيل الكفَّار إذا قصدوا الحقَّ في المعاملة أن يُنزِّل اللَّهُ بهم عذاب الاستئصال، كقوم لوطٍ عُذِّبوا باللِّواط، وقوم شعيب عُذِّبوا ببخس المكيال.

﴿١١٨﴾ **﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة﴾** مسلمين كلَّهم **﴿ولا يزالون مختلفين﴾** في الأديان.

إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَقُل لِّلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ ﴿١٢١﴾ وَانتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾

﴿١١٩﴾ ﴿**إلاَّ من رحم ربك**﴾ يعني: أهل الحقِّ ﴿**ولذلك خلقهم**﴾ أَيْ: خلق أهل الاختلاف للاختلاف، وأهل الرَّحمة للرَّحمة.

﴿١٢٠﴾ ﴿**وكلاًّ نقصُّ عليك**﴾ أَيْ: كلَّ الذي تحتاج إليه ﴿**من أنباء الرسل**﴾ نقصُّ عليك ﴿**ما نثبت به فؤادك**﴾ ليزيدك يقيناً ﴿**وجاءك في هذه**﴾ أَيْ: في هذه السُّورة ﴿**الحق**﴾ يعني: ما ذُكر من أقاصيص الأنبياء ومواعظهم، وذكر السَّعادة والشَّقاوة، وهذا تشريفٌ لهذه السُّورة؛ لأنَّ غيرها من السُّور قد جاء فيها الحقُّ ﴿**وموعظة وذكرىٰ للمؤمنين**﴾ يتَّعظون إذا سمعوا هذه السُّورة، وما نزل بالأمم لمَّا كذَّبوا أنبياءهم.

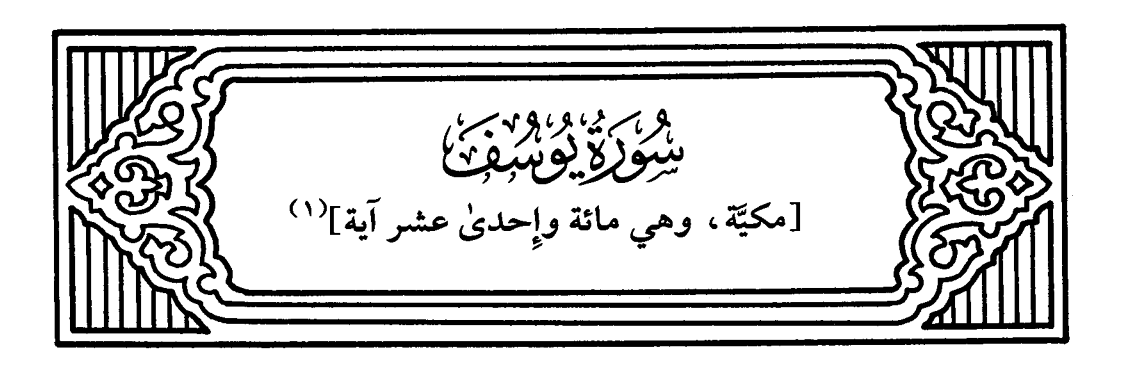
﴿١٢١﴾ ﴿**وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم**﴾ أمر تهديد، أَيْ: اعملوا ما أنتم عاملون.

﴿١٢٢﴾ ﴿**وانتظروا**﴾ ما يعدكم الشَّيطان ﴿**إنَّا منتظرون**﴾ ما يعدنا ربُّنا من النَّصر.

﴿١٢٣﴾ ﴿**ولله غيب السموات والأرض**﴾ أَيْ: علم ما غاب عن العباد فيهما ﴿**وإليه يرجع الأمر كله**﴾ في المعاد حتىٰ لا يكون لأحدٍ سواه أمرٌ ﴿**وما ربك بغافل عما يعملون**﴾[1] أَيْ: إنَّه يجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءَته.

• • •

(١) قرأ «يعملون» بالياء ابن كثير وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائي وخلف. الإتحاف ٢/١٣٧.



بسم الله الرحمن الرحيم

الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿الٓر﴾ أنا الله الرَّحمن ﴿تلك﴾ هذه ﴿آيات الكتاب المبين﴾ للحلال والحرام، والأحكام، يعني: القرآن.

﴿٢﴾ ﴿إنا أنزلناه﴾ يعني: الكتاب ﴿قرآناً عربياً﴾ بلغة العرب ﴿لعلكم تعقلون﴾ كي تفهموا.

﴿٣﴾ ﴿نحن نقصُّ عليك أحسن القصص﴾ نبيِّن لك أحسن البيان ﴿بما أوحينا﴾ بإيماننا ﴿إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ وما كنتَ من قبل أن يُوحىٰ إليك إلاَّ من الغافلين.

﴿٤﴾ ﴿إذ قال﴾ اذكر إذ قال ﴿يوسف لأبيه يا أبتِ إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس

---

(١) زيادة من ظا.

وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ ۞ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾

والقمر رأيتهم...﴾ الآية. رأىٰ يوسف عليه السَّلام هذه الرُّؤيا، فلمَّا قصَّها على أبيه أشفق عليه من حسد إخوته له، فقال:

﴿٥﴾ **﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾** يحتالوا في هلاكك؛ لأنهم لا يعلمون تأويلها.

﴿٦﴾ **﴿وكذلك﴾** ومثل ما رأيت **﴿يجتبيك ربك﴾** يصطفيك ويختارك **﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾** تعبير الأحلام **﴿ويتم نعمته عليك﴾** بالنُّبوَّة **﴿وعلى آل يعقوب﴾** يعني: المُختصِّين منهم بالنُّبوَّة **﴿على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق إنَّ ربك عليم﴾** حيث يضع النبوَّة **﴿حكيم﴾** في خلقه.

﴿٧﴾ **﴿لقد كان في يوسف وإخوته﴾** أَيْ: في خبرهم وقصصهم **﴿آيات﴾** عِبرٌ وعجائبُ **﴿للسائلين﴾** الذين سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأخبرهم بها وهو غافلٌ عنها لم يقرأ كتاباً، فكان في ذلك أوضح دلالةٍ على صدقه.

﴿٨﴾ **﴿إذ قالوا﴾** يعني: إخوة يوسف: **﴿ليوسفُ وأخوه﴾** لأبيه وأُمِّه **﴿أحبُّ إلىٰ أبينا منا ونحن عصبة﴾** جماعةٌ **﴿إنَّ أبانا لفي ضلالٍ مبين﴾** ضلَّ بإيثاره يوسف وأخاه علينا. ضلالٍ: خطأ.

﴿٩﴾ **﴿اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً﴾** في أرضٍ يبعد فيها عن أبيه **﴿يخلُ لكم وجه أبيكم﴾** يُقبل بكليته عليكم **﴿وتكونوا من بعده قوماً صالحين﴾** تُحدثوا توبةً بعد ذلك يقبلها الله سبحانه منكم.

قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۬نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِيٓ أَن تَذْهَبُواْ بِهِۦ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَٰفِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُواْ لَئِنْ أَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّآ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿١٤﴾ فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا

﴿١٠﴾ **﴿قال قائل منهم﴾** وهو يهوذا أكبر إخوته: **﴿لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابت الجب﴾** في موضعٍ مظلمٍ من البئر لا يلحقه نظر النَّاظرين **﴿يلتقطه بعض السيارة﴾** مارَّة الطَّريق **﴿إن كنتم فاعلين﴾** ما قصدتم من التَّفريق بينه وبين أبيه، فلمَّا تآمروا بينهم ذلك وعزموا على طرحه في البئر.

﴿١١﴾ **﴿قالوا﴾** لأبيهم: **﴿مالك لا تأمنا علىٰ يوسف﴾** لِمَ تخافنا عليه؟ **﴿وإنا له لناصحون﴾** في الرَّحمة والبرِّ والشَّفقة.

﴿١٢﴾ **﴿أرسله معنا غداً﴾** إلى الصَّحراء **﴿نرتعْ ونلعبْ﴾**[1] نسعى وننشط **﴿وإنا له لحافظون﴾** من كلِّ ما تخافه عليه.

﴿١٣﴾ **﴿قال إني ليحزنني أن تذهبوا به﴾** ذهابكم به يحزنني؛ لأنَّه يفارقني، فلا أراه **﴿وأخاف أن يأكله الذئب﴾** وذلك أنَّ أرضهم كانت مذأبة[2] **﴿وأنتم عنه غافلون﴾** مشتغلون برعيتكم.

﴿١٤﴾ **﴿قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة﴾** جماعةٌ بحضرته **﴿إنا إذاً لخاسرون﴾** لعاجزون.

﴿١٥﴾ **﴿فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب﴾** وعزموا على ذلك أوحينا إلىٰ يوسف في البئر تقويةً لقلبه: لتصدقنَّ رؤياك ولتُخبِرَنَّ إخوتك بصنيعهم هذا

---

(١) وهي قراءة ابن عامر. (٢) أي: كثيرة الذئاب.

وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾ وَجَاءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُواْ يَـٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَـٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئْبُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُواْ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَـٰبُشْرَىٰ هَـٰذَا غُلَـٰمٌ ۚ وَأَسَرُّوهُ بِضَـٰعَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

بعد هذا اليوم ﴿وهم لا يشعرون﴾ بأنَّك يوسف في وقت إخبارك إيَّاهم.

﴿١٧﴾ ﴿قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق﴾ نشتدُّ ونعدو ليتبيَّن أيُّنا أسرع عَدْواً ﴿وتركنا يوسف عند متاعنا﴾ ثيابنا ﴿فأكله الذئب وما أنت بمؤمنٍ لنا﴾ بمصدِّق لنا ﴿ولو كنَّا صادقين﴾ في كلِّ الأشياء لأنَّك اتَّهمتنا في هذه القصَّة.

﴿١٨﴾ ﴿وجاؤوا على قميصه بدم كذب﴾ لأنَّه لم يكن دمه، إنَّما كان دم سخلةٍ ﴿قال﴾ يعقوب عليه السَّلام: ﴿بل﴾ أيْ: ليس كما تقولون ﴿سوَّلت لكم﴾ زيَّنت لكم ﴿أنفسكم﴾ في شأنه ﴿أمْراً﴾ غير ما تصفون ﴿فصبر﴾ أيْ: فشأني صبرٌ ﴿جميل﴾ وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوىٰ[1] ﴿والله المستعان على ما تصفون﴾ أيْ: به أستعين في مكابدة هذا الأمر.

﴿١٩﴾ ﴿وجاءت سيارة﴾ رفقةٌ تسير للسَّفر ﴿فأرسلوا واردهم﴾ وهو الذي يرد الماء ليستقي للقوم ﴿فأدلىٰ دلوه﴾ أرسلها في البئر، فَتَشَبَّثَ يوسف عليه السَّلام بالرِّشاء[2] فأخرجه الوارد، فلمَّا رآه ﴿قال يا بشرىٰ﴾ أيْ: يا فرحتا ﴿هذا غلام وأسروه بضاعة﴾ أسرَّه الوارد ومَنْ كان معه من التُّجار من غيرهم، وقالوا: هذه بضاعةٌ استبضعها بعض أهل الماء ﴿والله عليم بما يعملون﴾ بيوسف، فلمَّا علم

(١) أخرج ابن جرير ١٦٦/١٢ عن حبان بن أبي جبلة أنَّ النبيَّ ﷺ سئل عن قوله: ﴿فصبرٌ جميلٌ﴾؟ قال: صبرٌ لا شكوىٰ فيه. وهذا حديث مرسل.

(٢) الرشاء: حبل الدلو.

وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا ۚ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ

إخوته ذلك أتوهم، وقالوا: هذا عبدٌ آبقٌ منَّا، فقالوا لهم: فبيعوناه، فباعوه منهم، وذلك قوله: ﴿وشروه بثمن بخسٍ﴾ حرامٍ؛ لأنَّ ثمن الحُرِّ حرامٌ ﴿دراهم معدودة﴾ باثنين وعشرين درهماً ﴿وكانوا﴾ يعني: إخوته ﴿فيه﴾ في يوسف ﴿من الزاهدين﴾ لم يعرفوا موضعه من الله سبحانه وكرامته عليه.

﴿٢١﴾ ﴿وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته﴾ وهو العزيز صاحب ملك مصر: ﴿أكرمي مثواه﴾ أحسني إليه طول مقامه عندنا ﴿عسىٰ أن ينفعنا﴾ أَيْ: يكفينا ـ إذا بلغ وفهم الأمور ـ بعض شؤوننا ﴿أو نتخذه ولداً﴾ وكان حصوراً لا يولد له. ﴿وكذلك﴾ وكما نجَّيناه من القتل والبئر ﴿مكَّنا ليوسف في الأرض﴾ يعني: أرض مصر حتىٰ بلغ ما بلغ ﴿ولنعلمه من تأويل الأحاديث﴾ فعلنا ذلك تصديقاً لقوله ﴿ويُعلِّمك من تأويل الأحاديث﴾[1]. ﴿والله غالب على أمره﴾ علىٰ ما أراد من قضائه، لا يغلبه غالبٌ على أمره، ولا يُبطل إرادته منازعٌ ﴿ولكنَّ أكثر الناس﴾ هم المشركون ومَنْ لا يؤمن بالقدر ﴿لا يعلمون﴾ أنَّ قدرة الله غالبةٌ، ومشيئته نافذةٌ.

﴿٢٢﴾ ﴿ولما بلغ أشده﴾ ثلاثين سنةً ﴿آتيناه حكماً وعلماً﴾ عقلاً وفهماً ﴿وكذلك﴾ ومثل ما وصفنا من تعليم يوسف ﴿نجزي المحسنين﴾ الصَّابرين على النَّوائب، كما صبر يوسف عليه السَّلام.

﴿٢٣﴾ ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه﴾ يعني: امرأة العزيز طلبت منه أن يُواقعها

(١) الآية ٦ من هذه السورة.

وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ ۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى

﴿**وغلقت الأبواب**﴾ أَيْ: أغلقتها ﴿**وقالت هيت لك**﴾ أَيْ: هلمَّ وتعال ﴿**قال معاذ الله**﴾ أعوذ بالله أن أفعل هذا ﴿**إنه ربي**﴾ إنَّ الذي اشتراني هو سيِّدي ﴿**أحسن مثواي**﴾ أنعم عليَّ بإكرامي، فلا أخونه في حرمته ﴿**إنه لا يفلح الظالمون**﴾ لا يسعد الزُّناة.

﴿٢٤﴾ ﴿**ولقد همت به وهمَّ بها**﴾ طمعت فيه وطمع فيها ﴿**لولا أن رأىٰ برهان ربِّه**﴾ وهو أنَّه مُثِّل له يعقوب عليه السَّلام عاضّاً على أصابعه يقول: أتعمل عمل الفجَّار، وأنت مكتوبٌ في الأنبياء، فاستحيا منه[١]، وجواب «لولا» محذوف، على معنىٰ: لولا أن رأىٰ برهان ربِّه لأمضىٰ ما همَّ به ﴿**كذلك**﴾ أَيْ: أريناه البرهان ﴿**لنصرف عنه السوءَ**﴾ وهو خيانة صاحبه ﴿**والفحشاء**﴾ ركوب الفاحشة ﴿**إنَّه من عبادنا المخلصين**﴾ الذين أخلصوا دينهم لله سبحانه.

﴿٢٥﴾ ﴿**واستبقا الباب**﴾ وذلك أنَّ يوسف عليه السَّلام لمَّا رأى البرهان قام مُبادراً إلىٰ الباب، واتَّبعته المرأة تبغي التَّشبُّث به، فلم تصل إلَّا إلىٰ دُبر قميصه، فقدَّته، ووجدا زوج المرأة عند الباب، فحضرها في الوقت كيدٌ، فأوهمت زوجها أنَّ الذي تسمع من العدو والمبادرة إلى الباب كان منها لا من يوسف فـ ﴿**قالت ما جزاء مَنْ أراد بأهلك سوءاً**﴾ تريد الزِّنا ﴿**إلَّا أن يسجن**﴾ يحبس في الحبس ﴿**أو عذاب أليم**﴾ بالضَّرب، فلمَّا قالت ذلك غضب يوسف و ﴿**قال هي راودتني**

(١) وهذا قول قتادة. أخرجه ابن جرير ١٢/ ١٨٩.

عَن نَّفۡسِيۚ وَشَهِدَ شَاهِدٞ مِّنۡ أَهۡلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٖ فَصَدَقَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ فَكَذَبَتۡ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٖ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيۡدِكُنَّۖ إِنَّ كَيۡدَكُنَّ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ وَٱسۡتَغۡفِرِي لِذَنۢبِكِۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسۡوَةٞ فِي ٱلۡمَدِينَةِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفۡسِهِۦۖ قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٠﴾ فَلَمَّا سَمِعَتۡ بِمَكۡرِهِنَّ أَرۡسَلَتۡ إِلَيۡهِنَّ

عن نفسي وشهد شاهد﴾ وحكم حاكمٌ، وبيَّن مبيِّنٌ **﴿من أهلها﴾** وهو ابنُ عمِّ المرأة، فقال: **﴿إن كان قميصه قدَّ من قبلٍ فصدقت وهو من الكاذبين ﴾**

﴿٢٧﴾ **وإن كان قميصه قُدَّ من دبرٍ فكذبت وهو من الصادقين﴾**.

﴿٢٨﴾ **﴿فلما رأىٰ قميصه قُدَّ من دبرٍ﴾** من حكم الشَّاهد وبيانِه ما يُوجب الاستدلال علىٰ تمييز الكاذب من الصَّادق، فلمَّا رأىٰ زوج المرأة قميص يوسف قدَّ من دبرٍ **﴿قال: إنَّه من كيدكنَّ﴾** أيْ: قولِك: **﴿ما جزاء مَنْ أراد بأهلك سوءاً. . .﴾** الآية.

﴿٢٩﴾ **﴿يوسف﴾** يا يوسف **﴿أعرض عن هذا﴾** اترك هذا الأمر فلا تذكره **﴿واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾** الآثمين، ثمَّ شاع ما جرىٰ بينهما في مدينة مصر حتىٰ تحدَّثت بذلك النِّساء، وخضن فيه وهو قوله:

﴿٣٠﴾ **﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها﴾** غلامها **﴿عن نفسه قد شغفها حُبّاً﴾** قد دخل حبُّه في شغاف قلبها، وهو موضع الدَّم الذي يكون داخل القلب **﴿إنا لنراها في ضلالٍ﴾** عن طريق الرُّشد بحبِّها إيَّاه.

﴿٣١﴾ **﴿فلما سمعت﴾** امرأة العزيز **﴿بمكرهنَّ﴾** مقالتهنَّ، وسمِّيت مكراً لأنهنَّ قصدْنَ بهذه المقالة أن تُريهنَّ يوسف، ليقوم لها العذر في حبِّه إذا رأين جماله، وكنَّ مشتهين ذلك؛ لأنَّ يوسف وُصف لهنَّ بالجمال **﴿أرسلت إليهن﴾** تدعوهنَّ

وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾

﴿**وأعتدت**﴾ وأعدَّت ﴿**لهنَّ مُتكأً**﴾ طعاماً يقطع بالسِّكين. قيل: هو الأترج[1] ﴿**وآتت**﴾ وناولت ﴿**كلَّ واحدةٍ منهن سكيناً وقالت**﴾ ليوسف: ﴿**اخرج عليهنَّ فلما رأينه أكبرنه**﴾ أعظمنه وهَالَهُنَّ أمره وبُهتن ﴿**وقطعن أيديهنَّ**﴾ حَززْنَها بالسَّكاكين، ولم يجدن الألم لشغل قلوبهنَّ بيوسف ﴿**وقلن حاشَ لِلَّه**﴾ بَعُدَ يوسف عن أن يكون بشراً ﴿**إنْ هذا**﴾ ما هذا ﴿**إلاَّ ملك كريم**﴾ فلمَّا رأت امرأة العزيز ذلك قالت:

﴿٣٢﴾ ﴿**فذلكنَّ الذي لُمْتُنَّنِي فيه**﴾ في حبِّه والشَّغف فيه، ثم أقرَّت عندهنَّ بما فعلت فقالت: ﴿**ولقد راودته عن نفسه فاستعصم**﴾ فامتنع وأبىٰ، وتوعَّدته بالسِّجن فقالت: ﴿**ولئن لم يفعل...**﴾ الآية؛ فأمرنه بطاعتها، وقلن له: إنَّك الظَّالم وهي المظلومة، فقال يوسف:

﴿٣٣﴾ ﴿**ربِّ السجن أحبُّ إلي ممَّا يدعونني إليه**﴾ من معصيتك ﴿**وإلاَّ تصرف عني كيدهنَّ**﴾ كيد جميع النِّساء ﴿**أصبُ إليهنَّ**﴾ أمل إليهنَّ ﴿**وأكن من الجاهلين**﴾ المذنبين.

---

(١) قال أبو عبيدة في مجاز القرآن ١/٣٠٩: وزعم قومٌ أنَّه الأُترج، وهذا أبطل باطلٍ في الأرض، ولكن عسىٰ أن يكون مع المُتَّكَأ أترجٌ يأكلونه.
وقال ابن جرير ١٢/٢٠٢: إنَّ أبا عبيدة لم يبعد من الصواب في هذا القول، بل القول كما قال.
قلت: وقد قرىء في بعض القراءات الشاذة: «مُتكًا» على فُعْلٍ، والمُتْك هو الأترج، كما قال الفراء في معاني القرآن ٢/٤٢، وانظر اللسان: متك.

فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ ۚ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٣٤﴾ **﴿فاستجاب له ربُّه فصرف عنه كيدهنَّ﴾** حتىٰ لم يقع في شيءٍ ممَّا يطالبنه به **﴿إنَّه هو السميع﴾** لدعائه **﴿العليم﴾** بما يخاف من الإِثم.

﴿٣٥﴾ **﴿ثم بدا لهم﴾** للعزيز وأصحابه **﴿من بعد ما رأوا الآيات﴾** آيات براءة يوسف **﴿ليسجننه حتىٰ حين﴾** وذلك أنَّ المرأة قالت: إنَّ هذا العبد فضحني في النَّاس يُخبرهم أنِّي راودته عن نفسه، فاحبسه حتىٰ تنقطع هذه المقالة، فذلك قوله: **﴿حتىٰ حين﴾** أَيْ: إلىٰ انقطاع اللائمة.

﴿٣٦﴾ **﴿ودخل معه السجن فتيان﴾** غلامان للملك الأكبر، رُفع إليه أنَّ صاحب طعامه يريد أن يَسُمَّه، وصاحب شرابه مَالأَهُ على ذلك، فأدخلهما السِّجن، ورأيا يوسف يُعبِّر الرُّؤيا، فقالا: لنجرِّب هذا العبد العبرانيّ، فتحالما من غير أن يكونا رأيا شيئاً، وهو قوله **﴿قال أحدهما﴾** وهو السَّاقي: **﴿إني أراني أعصر خمراً﴾** أَيْ: عنباً، وقال صاحب الطَّعام: **﴿إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً﴾** رأيتُ كأنَّ فوقَ رأسي خبزاً **﴿تأكل الطير منه﴾** فإذا سباعُ الطير يَنْهَشْنَ منه **﴿نبئنا بتأويله﴾** أَيْ: خبرنا بتفسير الرُّؤيا **﴿إنا نراك من المحسنين﴾** تُؤثر الإِحسان، وتأتي جميل الأفعال، فعدلَ يوسف عليه السَّلام عن جواب مسألتهما، ودلَّهما أولاً على أنَّه عالمٌ بتفسير الرُّؤيا فقال:

﴿٣٧﴾ **﴿لا يأتيكما طعام ترزقانه﴾** تأكلان منه في منامكما **﴿إلاَّ نبأتكما بتأويله﴾** في اليقظة **﴿قبل أن يأتيكما﴾** التَّأويل **﴿ذلكما مما علمني ربّي﴾** أَيْ: لست أخبركما على جهة التَّكهُّن والتَّنجُّم، إنَّما ذلك بوحي من الله عزَّ وجلَّ وعلمٍ، ثمَّ أخبر عن إيمانه واجتنابه الكفر بباقي الآية، وقوله:

وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ

﴿٣٨﴾ ﴿**ما كان لنا أنْ نشرك بالله من شيء**﴾ يريد: إنَّ الله سبحانه عصمنا من أن نشرك به ﴿**ذلك من فضل الله علينا**﴾ أَيْ: اتِّباعنا للإيمان بتوفيق الله تعالىٰ وتفضُّله علينا ﴿**وعلى الناس**﴾ وعلىٰ مَنْ عصمه الله من الشِّرك حتىٰ اتَّبع دينه ﴿**ولكنَّ أكثر الناس لا يشكرون**﴾ نعمة الله بتوحيده، والإيمان برسله، ثمَّ دعاهما إلى الإيمان، فقال:

﴿٣٩﴾ ﴿**يا صاحبي السجن**﴾ يعني: يا ساكنيه: ﴿**أأرباب متفرِّقون**﴾ يعني: الأصنام ﴿**خير**﴾ أعظم في صفة المدح ﴿**أم الله الواحد القهار**﴾ الذي يقهر كلَّ شيءٍ.

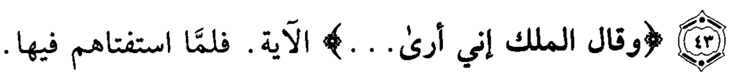
﴿٤٠﴾ ﴿**ما تعبدون من دونه**﴾ أنتما ومَنْ على مثل حالكما من دون الله ﴿**إلَّا أسماءً**﴾ لا معانيَ وراءها ﴿**سميتموها أنتم**﴾، ﴿**إن الحكم إلَّا لله**﴾ ما الفصلُ بالأمر والنَّهي إلَّا لله ﴿**ذلك الدين القيم**﴾ المستقيم ﴿**ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون**﴾ ما للمطيعين من الثَّواب، وللعاصين من العقاب، ثمَّ ذكر تأويل رؤياهما بقوله:

﴿٤١﴾ ﴿**يا صاحبي السجن أمَّا أحدكما فيسقي ربَّه خمراً، وأمَّا الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه**﴾ فقالا: ما رأينا شيئاً، فقال: ﴿**قُضِيَ الأمر الذي فيه تستفتيان**﴾ يعني: سيقع بكما ما عبَّرت لكما، صدقْتُما أم كذبتما.

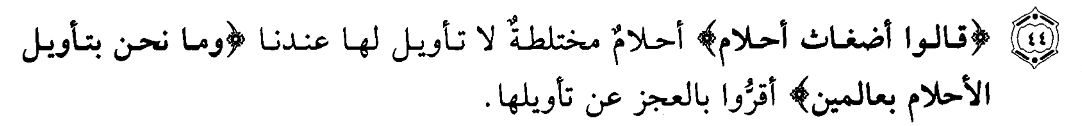
﴿٤٢﴾ ﴿**وقال**﴾ يوسف ﴿**للذي ظنَّ**﴾ علم ﴿**أنَّه ناج منهما**﴾ وهو السَّاقي: ﴿**اذكرني عند ربك**﴾ عند الملك صاحبك، وقل له: إنَّ في السِّجن غلاماً محبوساً ظلماً ﴿**فأنساه**

ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ ۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ ۖ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ ٱلْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ﴿٤٥﴾ يُوسُفُ أَيُّهَا ٱلصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا

الشيطان ذكر ربه﴾ أنسىٰ الشَّيطان يوسف الاستغاثة بربِّه، وأوقع في قلبه الاستغاثة بالملك[1]، فعوقب بأن **﴿لبث في السجن بضع سنين﴾** سبع سنين، فلمَّا دنا فرجه وأراد الله خلاصه رأى الملك رؤيا، وهو قوله:



﴿٤٣﴾ **﴿وقال الملك إني أرىٰ...﴾** الآية. فلمَّا استفتاهم فيها.



﴿٤٤﴾ **﴿قالوا أضغاث أحلام﴾** أحلامٌ مختلطةٌ لا تأويل لها عندنا **﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾** أقرُّوا بالعجز عن تأويلها.

﴿٤٥﴾ **﴿وقال الذي نجا منهما﴾** وهو السَّاقي **﴿وادَّكر بعد أمةٍ﴾** وتذكَّر أمر يوسف بعد حين من الدَّهر: **﴿أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون﴾** فأُرسل، فأتىٰ يوسف فقال:

﴿٤٦﴾ **﴿يوسفُ﴾** أيْ: يا يوسف **﴿أيها الصديق﴾** الكثير الصِّدق، وقوله **﴿لعلي أرجع إلى الناس﴾** يعني: أصحاب الملك **﴿لعلهم يعلمون﴾** تأويل رؤيا الملك من جهتك.

﴿٤٧﴾ **﴿قال تزرعون﴾** أيْ: ازرعوا **﴿سبع سنين دأباً﴾** متتابعةً، وهذه السَّبع تأويل

---

(١) أخرج ابن جرير ١٢/٢٢٣ عن الحسن قال: قال نبيُّ الله ﷺ: رحم الله يوسف، لولا كلمتُه ما لبث في السجن طول ما لبث. يعني: قوله: **﴿اذكرني عند ربِّك﴾** قال: ثمَّ يبكي الحسن فيقول: نحن إذا نزل بنا أمرٌ فزعنا إلى الناس. وهذا حديثٌ مرسل.

فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ ٱلنَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ

البقرات السِّمان ﴿فما حصدتم﴾ ممَّا زرعتم ﴿فذروه في سنبله﴾ لأنَّه أبقىٰ له وأبعد من الفساد ﴿إلاَّ قليلاً ممَّا تأكلون﴾ فإنَّكم تدوسونه.

﴿٤٨﴾ ﴿ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد﴾ مُجدباتٌ صعابٌ، وهذه تأويل البقرات العجاف ﴿يأكلن﴾ يُفنين ويُذهبن ﴿ما قدَّمتم لهن﴾ من الحَبِّ ﴿إلاَّ قليلاً ممَّا تحصنون﴾ تحرزون وتدَّخرون.

﴿٤٩﴾ ﴿ثمَّ يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون﴾ يمطرون ويخصبون حتىٰ يعصروا من السِّمسم الدُّهن، ومن العنب الخمر، ومن الزَّيتون الزَّيت، فرجع الرَّسول بتأويل الرُّؤيا إلى الملك، فعرف الملك أنَّ ذلك تأويلٌ صحيحٌ، فقال:

﴿٥٠﴾ ﴿ائتوني﴾ بالذي عبَّر رؤياي، فجاء الرَّسول يوسف، وقال: أجب الملك فقال للرسول: ﴿ارجع إلى ربك﴾ يعني: الملك ﴿فسله﴾[1] أن يسأل ﴿ما بال النسوة﴾ ما حالهنَّ وشأنهنَّ، ليعلم صحَّة براءتي ممَّا قُذفت به، وذلك أنَّ النِّسوة كنَّ قد عرفن براءته بإقرار امرأة العزيز عندهنَّ، وهو قولها: ﴿ولقد رَاودتُّه عن نفسِهِ فاستعصم﴾[2] فأحبَّ يوسف عليه السَّلام أن يُعلم الملك أنَّه حُبس [ظلماً]، وأنَّه بريءٌ ممَّا قُذف به، فسأله أن يستعلم النِّسوة عن ذلك ﴿إن ربي بكيدهنَّ﴾ ما فعلن في شأني حين رأينني وما قلن لي ﴿عليم﴾ فدعا الملك النِّسوة فقال:

﴿٥١﴾ ﴿ما خطبكنَّ﴾ ما قصتكنَّ وما شأنكنَّ ﴿إذ راودتنَّ يوسف عن نفسه﴾ جمعهنَّ في

---

(١) وهي قراءة ابن كثير والكسائي وخلف.

(٢) الآية ٣٢ من هذه السورة.

قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ ۚ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى ۖ

المُراوَدة؛ لأنَّه لم يعلم مَنْ كانت المُراوِدة ﴿قلن حاشَ لله﴾ بَعْدَ يوسف عمَّا يُتَّهم به ﴿ما علمنا عليه من سوء﴾ من زنا، فلمَّا برَّأْنَهُ أقرَّت امرأة العزيز فقالت: ﴿الآن حصحص الحق﴾ أَيْ: بان ووضح، وذلك أنَّها خافت إنْ كذَّبت شهدت عليها النِّسوة فقالت: ﴿أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ في قوله: ﴿هي راودتني عن نفسي﴾(١).

﴿٥٢﴾ ﴿ذلك﴾ أَيْ: ما فعله يوسف من ردِّ الرَّسول إلى الملك ﴿ليعلم﴾ وزير الملك ـ وهو الذي اشتراه ـ ﴿أني لم أخنه﴾ في زوجته ﴿بالغيب وأنَّ الله لا يهدي كيد الخائنين﴾ لا يرشد مَنْ خان أمانته، أَيْ: إنَّه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية من الله عزَّ وجلَّ، فلمَّا قال يوسف عليه السَّلام: ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ قال جبريل عليه السَّلام: ولا حين هممت بها يوسف(٢)، فقال:

الجزء الثالث عشر:

﴿٥٣﴾ ﴿وما أبرىء نفسي﴾ وما أُزكِّي نفسي ﴿إنَّ النفس لأمَّارة بالسوء﴾ بالقبيح وما لا يحبُّ الله ﴿إلاَّ ما﴾ مَنْ ﴿رحم ربي﴾ فعصمه.

﴿٥٤﴾ ﴿وقال الملك ائتوني به﴾ بيوسف ﴿أستخلصه لنفسي﴾ أجعله خالصاً لي

---

(١) الآية ٢٦ من هذه السورة.

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير ١٣/١، عن ابن عباس، من طريق سماك عن عكرمة.
قال ابن حجر: سماك بن حرب الكوفي، صدوقٌ، وروايته عن عكرمة خاصَّةً مضطربةٌ، وقد تغيَّر بأخرَةٍ. تقريب التهذيب ص ٢٥٥، وضعَّف هذا القول ابن كثير في تفسيره ٤٩٩/٢، وكذا ابن تيمية، وردَّه الرازي ١٥٩/١٨.

فَلَمَّا كَلَّمَهُۥ قَالَ إِنَّكَ ٱلۡيَوۡمَ لَدَيۡنَا مَكِينٌ أَمِينٞ ﴿٥٤﴾ قَالَ ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ ﴿٥٥﴾ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَتَبَوَّأُ مِنۡهَا حَيۡثُ يَشَآءُۚ نُصِيبُ بِرَحۡمَتِنَا مَن نَّشَآءُۖ وَلَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجۡرُ ٱلۡأٓخِرَةِ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ وَجَآءَ إِخۡوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَعَرَفَهُمۡ وَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٨﴾

لا يشركني فيه أحدٌ ﴿فلمَّا كلَّمه﴾ يوسف ﴿قال: إنك اليوم لدينا مكين﴾ وجيهٌ ذو مكانةٍ ﴿أمين﴾ قد عرفنا أمانتك وبراءتك، ثمَّ سأله الملك أن يُعبِّر رؤياه شفاهاً، فأجابه يوسف بذلك، فقال له: ما ترىٰ أن نصنع؟ قال: تجمع الطَّعام في السِّنين المخصبة ليأتيك الخلق فيمتارون منك بحكمك، فقال: مَنْ لي بهذا ومَنْ يجمعه؟ فقال يوسف:

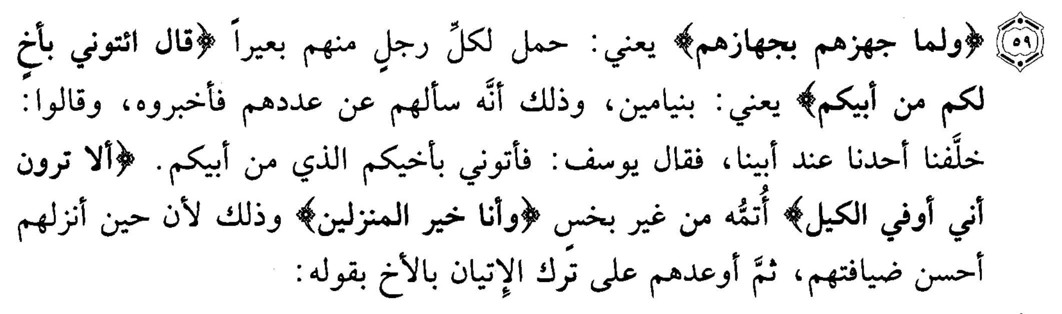
﴿٥٥﴾ ﴿اجعلني على خزائن الأرض﴾ على حفظها، وأراد بالأرض أرض مصر ﴿إني حفيظٌ عليمٌ﴾ كاتبٌ حاسبٌ.

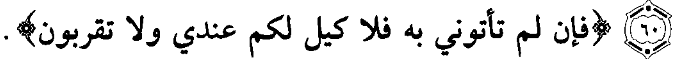
﴿٥٦﴾ ﴿وكذلك﴾ وكما أنعمنا عليه بالخلاص من السِّجن ﴿مكنَّا ليوسف﴾ أقدرناه على ما يريد ﴿في الأرض﴾ أرض مصر ﴿يتبوأ منها حيث يشاء﴾ هذا تفسير التَّمكين في الأرض ﴿نصيب برحمتنا مَنْ نشاء﴾ أتفضَّل علىٰ مَنْ أشاء برحمتي ﴿ولا نضيع أجر المحسنين﴾ ثواب المُوحِّدين.

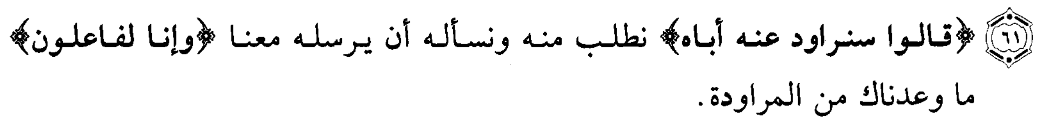
﴿٥٧﴾ ﴿ولأجر الآخرة خير...﴾ الآية. أَيْ: ما يعطي الله من ثواب الآخرة خيرٌ للمؤمنين، والمعنىٰ: إنَّ ما يعطي الله تعالىٰ يوسف في الآخرة خيرٌ ممَّا أعطاه في الدُّنيا، ثمَّ دخل أعوام القحط على النَّاس، فأصاب إخوة يوسف المجاعة، فأتوه مُمتارين، فذلك قوله:

﴿٥٨﴾ ﴿وجاء إخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون﴾ لأنَّهم رأوه علىٰ زيِّ الملوك، وكان قد تقرَّر في أنفسهم هلاك يوسف. وقيل: لأنَّهم رأوه من وراء سترٍ.

وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ سَنُرَٰوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَٰعِلُونَ ﴿٦١﴾ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾ فَلَمَّا رَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيهِمْ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مُنِعَ مِنَّا ٱلْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَآ أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٦٣﴾ قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ


(٥٩) ﴿**ولما جهزهم بجهازهم**﴾ يعني: حمل لكلِّ رجلٍ منهم بعيراً ﴿**قال ائتوني بأخٍ لكم من أبيكم**﴾ يعني: بنيامين، وذلك أنَّه سألهم عن عددهم فأخبروه، وقالوا: خلَّفنا أحدنا عند أبينا، فقال يوسف: فأتوني بأخيكم الذي من أبيكم. ﴿**ألا ترون أني أوفي الكيل**﴾ أُتمُّه من غير بخسٍ ﴿**وأنا خير المنزلين**﴾ وذلك لأن حين أنزلهم أحسن ضيافتهم، ثمَّ أوعدهم على تَرك الإتيان بالأخ بقوله:


(٦٠) ﴿**فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون**﴾.


(٦١) ﴿**قالوا سنراود عنه أباه**﴾ نطلب منه ونسأله أن يرسله معنا ﴿**وإنا لفاعلون**﴾ ما وعدناك من المراودة.

(٦٢) ﴿**وقال**﴾ يوسف ﴿**لفتيانه**﴾ لغلمانه: ﴿**اجعلوا بضاعتهم**﴾ التي أتوا بها لثمن الميرة، وكانت دراهم ﴿**في رحالهم**﴾ أوعيتهم ﴿**لعلَّهم يعرفونها**﴾ عساهم يعرفون أنَّها بضاعتهم بعينها ﴿**إذا انقلبوا إلى أهلهم**﴾ وفتحوا أوعيتهم ﴿**لعلهم يرجعون**﴾ عساهم يرجعون إذا عرفوا ذلك؛ لأنَّهم لا يستحلُّون إمساكها.

(٦٣) ﴿**فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا يا أبانا منع منّا الكيل**﴾ حُكم علينا بمنع الكيل بعد هذا إن لم نذهب بأخينا. يعنون قوله: ﴿فلا كيل لكم عندي ولا تقربون﴾. ﴿**فأرسل معنا أخانا نكتل**﴾ نأخذ كيلنا.

(٦٤) ﴿**قال هل آمنكم عليه...**﴾ الآية، يقول: لا آمنكم علىٰ بنيامين إلاَّ كأمني على يوسف، يريد: إنَّه لم ينفعه ذلك الأمن، فإنَّهم خانوه، فهو ـ وإن أَمِنَهم في

فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ ﴿٦٥﴾ قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُۥ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ لَتَأْتُنَّنِى بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يُحَاطَ بِكُمْ ۖ فَلَمَّآ ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ يَٰبَنِىَّ لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِى عَنْهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ

هذا ــ خاف خيانتهم أيضاً، ثمَّ قال: **﴿فالله خير حافظاً﴾**.

﴿٦٥﴾ **﴿ولما فتحوا متاعهم﴾** ما حملوه من مصر **﴿وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي﴾** منك شيئاً تردُّنا به وتصرفنا إلى مصر **﴿هذه بضاعتنا ردت إلينا﴾** فنتصرَّف بها **﴿ونميرُ أهلنا﴾** نجلب إليهم الطَّعام **﴿ونزداد كيل بعير﴾** نزيد حِمْل بعيرٍ من الطَّعام، لأنَّه كان يُكال لكلِّ رجلٍ وِقْر بعير **﴿ذلك كيلٌ يسير﴾** متيسِّرٌ علىٰ مَنْ يكيل لنا لسخائه.

﴿٦٦﴾ **﴿قال لن أرسله معكم حتىٰ تؤتون موثقاً من الله﴾** حتىٰ تحلفوا بالله **﴿لَتأْتُنَّني به إلاَّ أن يحاط بكم﴾** إلا أن تموتوا كلُّكم **﴿فلما آتَوْهُ موثقهم﴾** عهدهم ويمينهم **﴿قال﴾** يعقوب عليه السَّلام: **﴿الله على ما نقول وكيل﴾** شهيد، فلمَّا أرادوا الخروج من عنده قال:

﴿٦٧﴾ **﴿يا بني لا تدخلوا﴾** مصر **﴿من باب واحدٍ وادخلوا من أبواب متفرقة﴾** خاف عليهم العين، فأمرهم بالتَّفرقة **﴿وما أغني عنكم من الله من شيء﴾** يعني: إنَّ الحذر لا يُغني ولا ينفع من القدر.

﴿٦٨﴾ **﴿ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم﴾** وذلك أنَّهم دخلوا مصر متفرِّقين من أربعة أبواب **﴿ما كان يغني عنهم من الله من شيء﴾** ما كان ذلك ليردَّ قضاءً قضاه الله

إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا ۚ وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمْ كَٰذِبِينَ ﴿٧٤﴾

سبحانه **﴿إلاَّ حاجةً﴾** لكن حاجةً. يعني: إنَّ ذلك الدّخول قضىٰ حاجةً في نفس يعقوب عليه السَّلام، وهي إرادته أن يكون دخولهم من أبوابٍ متفرِّقةٍ شفقةً عليهم **﴿وإنه لذو علم لما علمناه﴾** لذو يقينٍ ومعرفةٍ بالله سبحانه **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** أنَّ يعقوب عليه السَّلام بهذه الصِّفة.

﴿٦٩﴾ **﴿ولما دخلوا على يوسف آوىٰ إليه أخاه﴾** ضمَّه إليه وأنزله عند نفسه **﴿قال إني أنا أخوك﴾** اعترف له بالنَّسب، وقال: لا تخبرهم بما ألقيت إليك **﴿فلا تبتئس﴾** فلا تحزن ولا تغتم **﴿بما كانوا يعملون﴾** من الحسد لنا، وصرف وجه أبينا عنا.

﴿٧٠﴾ **﴿فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية﴾** وهو إناءٌ من ذهبٍ مرصَّعٌ بالجواهر **﴿في رحل أخيه﴾** بنيامين **﴿ثمَّ أذَّن مؤذنٌ﴾** نادىٰ منادٍ **﴿أيتها العير﴾** الرُّفقة **﴿إنكم لسارقون﴾**.

﴿٧١﴾ **﴿قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون﴾**؟

﴿٧٢﴾ **﴿قالوا نفقد صواع الملك﴾** يعني: السِّقاية **﴿ولمن جاء به حمل بعير﴾** أيْ: من الطَّعام **﴿وأنا به زعيم﴾** كفيل.

﴿٧٣﴾ **﴿قالوا تالله لقد علمتم﴾** حلفوا على أنَّهم يعلمون صلاحهم وتجنُّبهم الفساد، وذلك أنَّهم كانوا معروفين بأنَّهم لا يظلمون أحداً، ولا يرزأون شيئاً لأحد.

﴿٧٤﴾ **﴿قالوا فما جزاؤه﴾** أيْ: ما جزاء السَّارق **﴿إن كنتم كاذبين﴾** في قولكم: ما كنا سارقين.

قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوۡعِيَتِهِمۡ قَبۡلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسۡتَخۡرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدۡنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأۡخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ ٱلۡمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ ﴿٧٦﴾ ۞ قَالُوٓاْ إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ

(٧٥) ﴿**قالوا جزاؤه مَنْ وجد في رحله**﴾ [وكانوا يستعبدون كلَّ سارقٍ بسرقته، فلذلك قالوا: جزاؤه مَنْ وجد في رحله][1] أَيْ: جزاء السَّرق، مَنْ وجد في رحله المسروق ﴿**فهو جزاؤه**﴾ أَيْ: فالسَّرق جزاء السَّارق ﴿**كذلك نجزي الظالمين**﴾ أَيْ: إذا سرق سارقٌ اسْتُرِقَّ، فلمَّا أقرُّوا بهذا الحكم صُرف بهم إلى يوسف عليه السَّلام ليفتِّش أمتعتهم.

(٧٦) ﴿**فبدأ**﴾ يوسف ﴿**بأوعيتهم**﴾ وهي كلُّ ما استودع شيئاً من جرابٍ وجوالق[2] ومِخْلاةٍ ﴿**قبل وعاء أخيه**﴾ نفياً للتُّهمة ﴿**ثمَّ استخرجها**﴾ يعني: السِّقاية ﴿**من وعاء أخيه كذلك كدنا**﴾ ألهمنا ﴿**ليوسف**﴾ أي: ألهمناه مثل ذلك الكيد، حتىٰ ضممنا أخاه إليه ﴿**ما كان ليأخذ أخاه**﴾ ويستوجب ضمَّه إليه ﴿**في دين الملك**﴾ في حكمه وسيرته وعادته ﴿**إلاَّ**﴾ بمشيئة الله تعالىٰ، وذلك أنَّ حكم الملك في السَّارق أن يضرب ويغرم ضعفي ما سرق، فلم يكن يوسف يتمكَّن من حبس أخيه في حكم الملك لولا ما كاد الله له تلطُّفاً، حتىٰ وجد السَّبيل إلى ذلك، وهو ما أجري على ألسنة إخوته أنَّ جزاء السَّارق الاسترقاق، ﴿**نرفع درجات مَنْ نشاء**﴾ بضروب الكرامات وأبواب العلم كما رفعنا درجة يوسف على إخوته في كلِّ شيء ﴿**وفوق كلِّ ذي علم عليم**﴾ يكون هذا أعلم من هذا، وهذا أعلم من هذا حتىٰ ينتهي العلم إلى الله سبحانه. فلمَّا خرج الصُّواع من رحل بنيامين.

(٧٧) ﴿**قالوا**﴾ ليوسف ﴿**إن يسرق**﴾ الصُّواع ﴿**فقد سرق أخ له من قبل**﴾ يعنون: يوسف

---

(١) ما بين [ ] زيادة من ظ و ظا.

(٢) الجِوالق: وعاء.

فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٧٨﴾ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُواْ مِنْهُ خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِي يُوسُفَۖ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِيٓ أَبِيٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِيۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨٠﴾ ٱرْجِعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ ﴿٨١﴾

عليه السَّلام، وذلك أنَّه كان يأخذ الطعام من مائدة أبيه سرّاً منهم، فيتصدَّق به في المجاعة، حتى فطن به إخوته ﴿**فأسرَّها يوسف في نفسه**﴾ أَيْ: أسرَّ الكلمة التي كانت جواب قولهم هذا ﴿**ولم يُبدها لهم**﴾ وهو أنَّه قال في نفسه: ﴿**أنتم شرٌّ مكاناً**﴾ عند الله بما صنعتم من ظلم أخيكم وعقوق أبيكم ﴿**والله أعلم بما تصفون**﴾ أَيْ: قد علم أنَّ الذي تذكرونه كذبٌ.

﴿٧٨﴾ ﴿**قالوا يا أيها العزيز إنَّ له أباً شيخاً كبيراً**﴾ في السِّنِّ ﴿**فخذ أحدنا مكانه**﴾ واحداً منَّا تستعبده بدله ﴿**إنا نراك من المحسنين**﴾ إذا فعلت ذلك فقد أحسنت إلينا.

﴿٨٠﴾ ﴿**فلما استيأسوا**﴾ يئسوا ﴿**منه خلصوا نجياً**﴾ انفردوا متناجين في ذهابهم إلىٰ أبيهم من غير أخيهم ﴿**قال كبيرهم**﴾ وهو روبيل، وكان أكبرهم سنّاً: ﴿**ألم تعلموا أنَّ أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله**﴾ في حفظ الأخ وردِّه إليه ﴿**ومن قبل ما فرطتم في يوسف**﴾ «ما» زائدة، أَيْ: قصَّرتم في أمر يوسف وختنتموه فيه ﴿**فلن أبرح الأرض**﴾ لن أخرج من أرض مصر ﴿**حتىٰ يأذن لي أبي**﴾ يبعث إليَّ أَنْ آتيه ﴿**أو يحكم الله لي**﴾ يقضي في أمري شيئاً ﴿**وهو خير الحاكمين**﴾ أعدلهم، وقال لإخوته:

﴿٨١﴾ ﴿**ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إنَّ ابنك سرق**﴾ يعنون في ظاهر الأمر ﴿**وما شهدنا إلَّا بما علمنا**﴾ لأنَّه وُجدت السَّرقة في رحله ونحن ننظر ﴿**وما كنا للغيب حافظين**﴾ ما كنا نحفظه إذا غاب عنا.

وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِي كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِيٓ أَقْبَلْنَا فِيهَاۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٨٢﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿٨٢﴾ **﴿واسأل القرية التي كنَّا فيها﴾** أَيْ: أهل مصر **﴿والعير التي أقبلنا فيها﴾** يريد: أهل الرُّفقة، فلمَّا رجعوا إلى أبيهم يعقوب عليه السَّلام قالوا له هذا، فقال:

﴿٨٣﴾ **﴿بل سوَّلت لكم أنفسكم أمراً﴾** زيَّنته لكم حتى أخرجتم بنيامين من عندي رجاء منفعة، فعاد من ذلك شرٌّ وضررٌ.

﴿٨٤﴾ **﴿وتولىٰ عنهم﴾** أعرض عن بنيه، وتجدَّد وَجْدُه بيوسف **﴿وقال: يا أسفى على يوسف﴾** يا طول حزني عليه **﴿وابيضت عيناه﴾** انقلبت إلى حال البياض، فلم يبصر بهما **﴿من الحزن﴾** من البكاء **﴿فهو كظيم﴾** مغمومٌ مكروبٌ لا يُظهر حزنه بجزعٍ أو شكوىٰ.

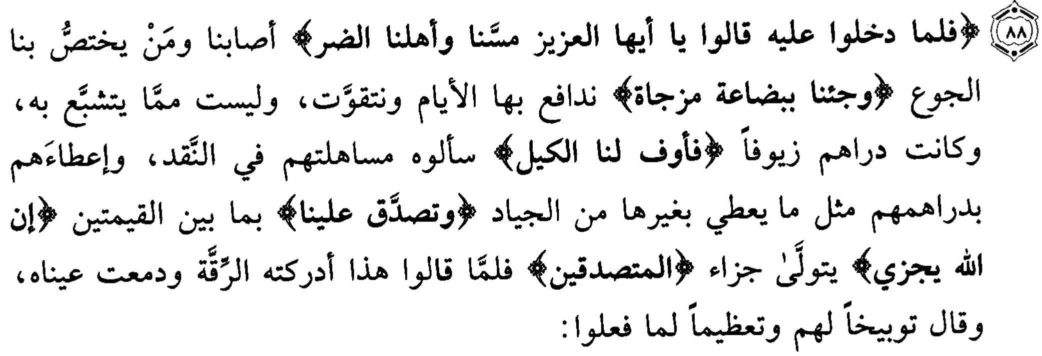
﴿٨٥﴾ **﴿قالوا تالله تفتأ﴾** لا تزال **﴿تذكر يوسف﴾** لا تَفْتُر من ذكره **﴿حتىٰ تكون حرضاً﴾** فاسداً دنفاً **﴿أو تكون من الهالكين﴾** الميِّتين. والمعنىٰ: لا تزال تذكره بالحزن والبكاء عليه حتىٰ تصير بذلك إلى مرض لا تنتفع بنفسك معه، أو تموت بغمِّه، فلمَّا أغلظوا له في القول.

﴿٨٦﴾ **﴿قال إنما أشكو بثِّي﴾** ما بي من البثِّ، وهو الهمُّ الذي تفضي به إلى صاحبك **﴿وحزني إلى الله﴾** لا إليكم **﴿وأعلم من الله ما لا تعلمون﴾** وهو أنَّه علم أنَّ يوسف

يَـٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ قَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَـٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ فَأَوْفِ لَنَا ٱلْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ﴿٨٩﴾

حيٌّ، أخبره بذلك مَلَكُ الموت[1]، وقال له: اطلبه من هاهنا، وأشار له إلى ناحية مصر، ولذلك قال:

﴿٨٧﴾ ﴿يا بنيَّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف﴾ تَبَحَّثوا عنه ﴿ولا تَيْأَسُوا من روح الله﴾ من الفرج الذي يأتي به ﴿إنه لا يَيْأَسُ من روح الله إلاَّ القوم الكافرون﴾ يريد: إنَّ المؤمن يرجو الله تعالىٰ في الشدائد، والكافر ليس كذلك، فخرجوا إلى مصر.



﴿٨٨﴾ ﴿فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسَّنا وأهلنا الضر﴾ أصابنا ومَنْ يختصُّ بنا الجوع ﴿وجئنا ببضاعة مزجاة﴾ ندافع بها الأيام ونتقوَّت، وليست ممَّا يتشبَّع به، وكانت دراهم زيوفاً ﴿فأوف لنا الكيل﴾ سألوه مساهلتهم في النَّقد، وإعطاءَهم بدراهمهم مثل ما يعطي بغيرها من الجياد ﴿وتصدَّق علينا﴾ بما بين القيمتين ﴿إن الله يجزي﴾ يتولَّىٰ جزاء ﴿المتصدقين﴾ فلمَّا قالوا هذا أدركته الرِّقَّة ودمعت عيناه، وقال توبيخاً لهم وتعظيماً لما فعلوا:

﴿٨٩﴾ ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه﴾ بإدخال الغمِّ عليه بإفراده من يوسف ﴿إذ أنتم جاهلون﴾ آثمون بيعقوب أبيكم، وقطع رحم أخيكم جهلاً منكم، ولمَّا قال لهم هذه المقالة رفع الحجاب فقالوا:

---

(١) أخرج ابن أبي حاتم عن النضر بن عربي رضي الله عنه قال: بلغني أنَّ يعقوب عليه السَّلام مكث أربعة وعشرين عاماً لا يدري أحيٌّ يوسف عليه السَّلام أم ميتٌ، حتىٰ تخلل له ملك الموت، فقال له: من أنت؟ قال: أنا ملك الموت. قال: فأنشدك بإلّه يعقوب، هل قبضتَ روح يوسف عليه السَّلام؟ قال: لا، فعند ذلك قال: ﴿يا بنيَّ اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيئسوا من روح الله﴾ فخرجوا إلى مصر، فلمَّا دخلوا عليه لم يجدوا كلاماً أرقَّ من كلام استقبلوه به قالوا: ﴿يا أيها العزيز مسَّنا وأهلنا الضُّرُّ﴾. انظر الدر المنثور ٤/ ٥٧٤. =

قَالُوٓاْ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِيۖ قَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَآۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدۡ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ٱذۡهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلۡقُوهُ عَلَىٰ وَجۡهِ أَبِي يَأۡتِ بَصِيرٗا

﴿٩٠﴾ **﴿أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف﴾** الذي فعلتم به ما فعلتم **﴿وهذا أخي﴾** المظلوم من جهتكم **﴿قد منَّ الله علينا﴾** بالجمع بيننا بعد ما فرَّقتم **﴿إنه مَن يتق﴾** الله **﴿ويصبر﴾** على المصائب **﴿فإنَّ الله لا يضيع أَجْرَ المحسنين﴾** أجر مَنْ كان هذا حاله.

﴿٩١﴾ **﴿قالوا تالله لقد آثرك الله علينا﴾** فضَّلك الله علينا بالعقل والعلم، والفضل والحسن **﴿وإنْ كنا لخاطئين﴾** آثمين في أمرك.

﴿٩٢﴾ **﴿قال لا تثريب عليكم اليوم﴾** لا تأنيب ولا تعيير عليكم بعد هذا اليوم، ثمَّ جعلهم في حلٍّ، وسأل لهم المغفرة فقال: **﴿يغفر الله لكم...﴾** الآية، ثمَّ سألهم عن أبيه فقالوا: ذهبت عيناه، فقال:

﴿٩٣﴾ **﴿اذهبوا بقميصي هذا﴾** وكان قد نزل به جبريل عليه السَّلام علىٰ إبراهيم عليه السَّلام لمَّا أُلقي في النَّار[1]، وكان فيه ريح الجنَّة لا يقع على مبتلىٰ ولا سقيم إلَّا صحَّ، فذلك قوله: **﴿فألقوه على وجه أبـي يأت بصيراً﴾** يرجعْ ويَعُدْ بصيراً.

= والنضر بن عربـي الباهلي، يكنىٰ أبا روح، الحرَّاني، مولاهم، روىٰ عن عطاء ومجاهد، وعنه الثوري. وثقه ابن معين. لسان الميزان ٧/ ٤١١. وقوله: «تخلل»: دخل بينهم.

(١) أخرج أبو الشيخ عن الحسن أنَّ رسول الله ﷺ قال في قوله: ﴿اذهبوا بقميصي هذا﴾: إنَّ نمروذ لمَّا ألقىٰ إبراهيم في النَّار، نزل إليه جبريل بقميصٍ من الجنَّة، وطنفسةٍ من الجنة، فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة، وقعد معه يتحدَّث، فأوحىٰ الله إلى النار: ﴿كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ ولولا أنَّه قال: وسلاماً، لآذاه البرد ولقتله البرد. الدر المنثور ٤/ ٥٧٩، وهذا حديثٌ مرسلٌ.

وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَن تُفَنِّدُونِ ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴿٩٥﴾ فَلَمَّا أَن جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا

﴿٩٤﴾ ﴿ولما فصلت العير﴾ خرجت من مصر مُتوجِّهةً إلى كنعان ﴿قال أبوهم﴾ لمن حضره: ﴿إني لأجد ريح يوسف﴾ وذلك أنَّه هاجت الرِّيح فحملت ريح القميص واتَّصلت بيعقوب، فوجد ريح الجنَّة، فعلم أنَّه ليس في الدُّنيا من ريح الجنَّة إلاَّ ما كان من ذلك القميص ﴿لولا أن تفندون﴾ تُسفِّهوني وتُجهِّلوني.

﴿٩٥﴾ ﴿قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم﴾ شقائك القديم ممَّا تكابد من الأحزان على يوسف وخطئك في النِّزاع إليه على بعد عهده منك، وكان عندهم أنَّه قد مات، وقوله:

﴿٩٦﴾ ﴿فارتدَّ بصيراً﴾ أَيْ: عاد ورجع بصيراً، وقوله:

﴿٩٨﴾ ﴿سوف أستغفر لكم ربي﴾ أخَّر ذلك إلى السَّحَر؛ ليكون أقرب إلى الإِجابة، وكان قد بعث يوسف عليه السَّلام مع البشير إلى يعقوب عليه السَّلام عُدَّة المسير إليه، فتهيَّأ يعقوب وخرج مع أهله إليه، فذلك قوله:

﴿٩٩﴾ ﴿فلما دخلوا على يوسف آوى إليه﴾ أَيْ: ضمَّ إليه ﴿أبويه﴾ أباه وخالته، وكانت أمُّه قد ماتت، ﴿وقال ادخلوا مصر﴾ وذلك أنَّه كان قد استقبلهم، فقال لهم قبل دخول مصر: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله، وكانوا قبل ذلك يخافون دخول مصر إلاَّ بجوازٍ من ملوكهم.

﴿١٠٠﴾ ﴿ورفع أبويه على العرش﴾ أجلسهما على السَّرير ﴿وخرُّوا له سجداً﴾ سجدوا

وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ ۞ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ۖ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا۟ أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا

ليوسف سجدة التَّحيَّة وهو الانحناء. ﴿وقد أحسن بي﴾ إليَّ ﴿إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو﴾ وهو البسيط من الأرض، وكان يعقوب وولده بأرض كنعان أهلَ مواشٍ وبريَّة ﴿من بعد أن نزغ الشيطان﴾ أفسد ﴿بيني وبين إخوتي﴾ بالحسد ﴿إنَّ ربي لطيف لما يشاء﴾ عالم بدقائق الأمور ﴿إنَّه هو العليم﴾ بخلقه ﴿الحكيم﴾ فيهم بما شاء، ثمَّ دعا ربَّه وشكره فقال:

﴿١٠١﴾ ﴿رب قد آتيتني من الملك﴾ ملك مصر ﴿وعلمتني من تأويل الأحاديث﴾ يريد: تفسير الأحلام ﴿فاطر السموات والأرض﴾ خالقهما ابتداءً ﴿توفني مسلماً﴾ اقبضني على الإسلام ﴿وألحقني بالصالحين﴾ من آبائي إبراهيم وإسماعيل وإسحاق عليهم السَّلام. يريد: ارفعني إلىٰ درجاتهم.

﴿١٠٢﴾ ﴿ذلك﴾ الذي قصصنا عليك من أمر يوسف من الأخبار التي كانت غائبة عنك، وهو قوله ﴿من أنباءِ الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم﴾ لدىٰ إخوة يوسف ﴿إذ أجمعوا أمرهم﴾ عزموا على أمرهم ﴿وهم يمكرون﴾ بيوسف.

﴿١٠٣﴾ ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ كان رسول الله ﷺ يرجو أن تؤمن به قريش واليهود لمَّا سألوه عن قصَّة يوسف، فشرحها لهم فخالفوا ظنَّه، فقال الله: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت﴾ على إيمانهم ﴿بمؤمنين﴾ لأنَّك لا تهدي مَن أحببت، لكنَّ الله يهدي مَنْ يشاء.

﴿١٠٤﴾ ﴿وما تسألهم عليه﴾ على القرآن ﴿من أجرٍ﴾ مالٍ يعطونك ﴿إن هو﴾ ما هو ﴿إلاَّ

ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾ وَكَأَيِّن مِّنۡ ءَايَةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ يَمُرُّونَ عَلَيۡهَا وَهُمۡ عَنۡهَا مُعۡرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأۡتِيَهُمۡ غَٰشِيَةٞ مِّنۡ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوۡ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ

ذكر للعالمين﴾ تذكرةٌ لهم بما هو صلاحهم. يريد: إنَّا أزحنا العلَّة في التَّكذيب حيث بعثناك مُبلِّغاً بلا أجرٍ، غير أنَّه لا يؤمن إلاَّ مَن شاء الله سبحانه وإنْ حرص النبيُّ ﷺ على ذلك.

﴿١٠٥﴾ **﴿وكأين﴾** وكم **﴿من آية﴾** دلالةٍ تدلُّ على التَّوحيد **﴿في السموات والأرض﴾** من الشَّمس والقمر والنُّجوم والجبال وغيرها **﴿يمرُّون عليها﴾** يتجاوزونها غير مُتفكِّرين ولا معتبرين، فقال المشركون: فإنَّا نؤمن بالله الذي خلق هذه الأشياء، فقال: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله﴾** في إقراره بأنَّ الله خلقه، وخلق السَّموات والأرض إلاَّ وهو مشركٌ بعبادة الوثن.

﴿١٠٦﴾ **﴿أفأمنوا﴾** يعني: المشركين **﴿أن تأتيهم غاشية من عذاب الله﴾** عقوبة تغشاهم وتنبسط عليهم.

﴿١٠٧﴾ **﴿قل﴾** لهم **﴿هذه﴾** الطَّريقة التي أنا عليها **﴿سبيلي﴾** سنَّتي ومنهاجي **﴿أدعو إلى الله﴾** وتمَّ الكلام، ثمَّ قال: **﴿على بصيرة أنا﴾** أيْ: على دينٍ ويقينٍ **﴿ومن اتبعني﴾** يعني: أصحابه، وكانوا على أحسن طريقة **﴿وسبحان الله﴾** أيْ: وقل: سبحان الله تنزيهاً لله تعالىٰ عمَّا أشركوا **﴿وما أنا من المشركين﴾** الذين اتَّخذوا مع الله ندّاً.

﴿١٠٩﴾ **﴿وما أرسلنا من قبلك إلاَّ رجالاً نوحي إليهم من أهل القرىٰ﴾** يريد: لم نبعث قبلك نبيّاً إلاَّ رجالاً غير امرأةٍ، وكانوا من أهل الأمصار، ولم نبعث نبيّاً من باديةٍ، وهذا ردٌّ لإنكارهم نبوَّته. يريد: إنَّ الرُّسل من قبلك كانوا على مثل حالك، ومَنْ قبلهم من الأمم كانوا على مثل حالهم، فأهلكناهم، فذلك قوله: **﴿أفلم يسيروا**

فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَـٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

﴿في الأرض فينظروا﴾ إلىٰ مصارع الأمم المُكذِّبة فيعتبروا بهم **﴿ولدار الآخرة﴾** يعني: الجنَّة **﴿خير للذين اتقوا﴾** الشِّرك في الدُّنيا **﴿أفلا تعقلون﴾** هذا حتىٰ تُؤمنوا؟!

﴿١١٠﴾ **﴿حتىٰ إذا استيأس الرسل﴾** يئسوا من قومهم أن يؤمنوا **﴿وظنوا أنهم قد كذبوا﴾** أيقنوا أنَّ قومهم قد كذَّبوهم **﴿جاءهم نصرنا فنجِّي مَنْ نشاء﴾** وهم المؤمنون أتباع الأنبياء[1] **﴿ولا يردُّ بأسنا﴾** عذابنا.

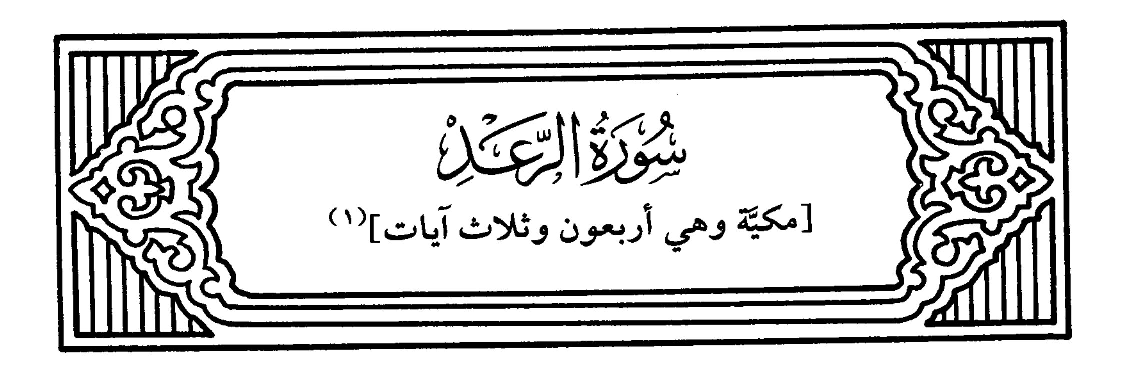
﴿١١١﴾ **﴿لقد كان في قصصهم﴾** يعني: إخوة يوسف **﴿عبرة﴾** فكرةٌ وتدبُّرٌ **﴿لأولي الألباب﴾** وذلك أنَّ مَنْ قدر علىٰ إعزاز يوسف، وتمليكه مصر بعد ما كان عبداً لبعض أهلها قادرٌ علىٰ أن يعزَّ محمداً عليه السَّلام وينصره. **﴿ما كان﴾** القرآن **﴿حديثاً يفترىٰ﴾** يتقوَّله بشر **﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾** [ولكن كان تصديق][2] ما قبله من الكتب **﴿وتفصيل كل شيء﴾** يحتاج إليه من أمور الدِّين **﴿وهدىً﴾** وبياناً **﴿ورحمةً لقوم يؤمنون﴾** يصدِّقون بما جاء به محمد ﷺ.

---

(١) أخرج البخاري في التفسير عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت له وهو يسألها عن قوله تعالىٰ: ﴿حتىٰ إذا استيأس الرُّسل﴾ قال: قلتُ: أَكُذِبُوا أم كُذِّبوا؟ قالت عائشة: كُذِّبوا، قلتُ: قد استيقنوا أن قومهم كذّبوهم، فما هو بالظن. قالت: أجل لعمري، لقد استيقنوا بذلك، فقلتُ لها: وظنُّوا أنَّهم قد كُذِبوا؟ قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظنُّ ذلك بربِّها. قلتُ: فما هذه الآية؟.

قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربِّهم وصدَّقوهم، فطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتىٰ إذا استيأس الرسل ممَّن كذَّبهم من قومهم، وظنَّت الرُّسل أنَّ أتباعهم قد كذَّبوهم جاءهم نصر الله عند ذلك. فتح الباري ٨/ ٣٦٧.

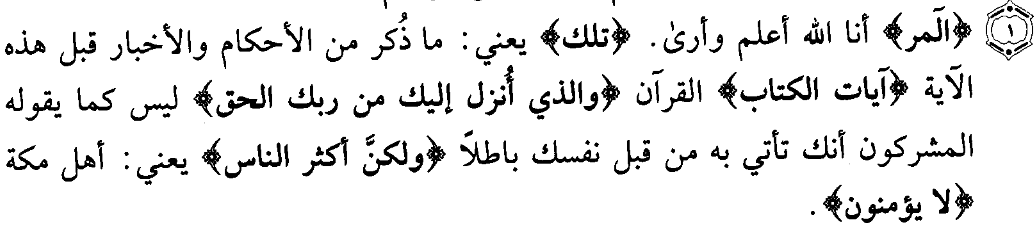
(٢) زيادة من ظ.



سُورَةُ الرَّعْدِ

[مكيّة وهي أربعون وثلاث آيات](١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



الٓمٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِۗ وَٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿الٓمر﴾ أنا الله أعلم وأرىٰ. ﴿تلك﴾ يعني: ما ذُكر من الأحكام والأخبار قبل هذه الآية ﴿آيات الكتاب﴾ القرآن ﴿والذي أُنزل إليك من ربك الحق﴾ ليس كما يقوله المشركون أنك تأتي به من قبل نفسك باطلاً ﴿ولكنَّ أكثر الناس﴾ يعني: أهل مكة ﴿لا يؤمنون﴾.

(٢) ﴿اللَّهُ الذي رفع السموات بغير عمدٍ﴾ جمع عماد، وهي الأساطين ﴿ترونها﴾ أنتم كذلك مرفوعة بغير عمادٍ ﴿ثمَّ استوىٰ على العرش﴾ بالاستيلاء والاقتدار، وأصله: استواء التَّدبير، كما أنَّ أصل القيام الانتصاب، ثمَّ يقال: قام بالتَّدبير، و «ثُمَّ» يدلُّ على حدوث العرش المستولىٰ عليه [لا على حدوث الاستيلاء بعد خلق العرش المستولىٰ عليه](٢) ﴿وسخر الشمس والقمر﴾ ذلَّلهما لما يُراد منهما ﴿كلٌّ يجري لأجلٍ مسمًّى﴾ إلى وقتٍ معلومٍ، وهو فناء الدُّنيا ﴿يُدبِّر الأمر﴾ يُصرِّفه بحكمته

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) زيادة من ظ.

يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا

﴿**يُفصِّل الآيات**﴾ يبيِّن الدلائل التي تدلُّ على التَّوحيد والبعث ﴿**لعلَّكم بلقاء ربِّكم توقنون**﴾ لكي تُوقنوا يا أهل مكَّة بالبعث.

﴿٣﴾ ﴿**وهو الذي مدَّ الأرض**﴾ بسطها ووسَّعها ﴿**وجعل فيها رواسي**﴾ أوتدها بالجبال ﴿**وأنهاراً ومن كلِّ الثمرات جعل فيها زوجين اثنين**﴾ حلواً وحامضاً، وباقي الآية مضىٰ تفسيره[١].

﴿٤﴾ ﴿**وفي الأرض قطعٌ متجاورات**﴾ قُرىً بعضُها قريبٌ من بعضٍ ﴿**وجنات**﴾ بساتين ﴿**من أعناب**﴾ وقوله: ﴿**صنوان**﴾ وهو أن يكون الأصل واحداً، ثمَّ يتفرَّع فيصير نخيلاً يحملن، وأصلهنَّ واحد ﴿**وغير صنوان**﴾ وهي المتفرِّقة واحدةً واحدةً ﴿**تسقىٰ**﴾[٢] هذه القطع والجنَّات والنَّخيل ﴿**بماء واحدٍ ونُفضِّل بعضها على بعض**﴾ يعني: اختلاف الطُّعوم ﴿**في الأكل**﴾ وهو الثَّمر فمن حلوٍ وحامضٍ، وجيِّدٍ ورديءٍ ﴿**إنَّ في ذلك لآيات**﴾ لدلالاتٍ ﴿**لقوم يعقلون**﴾ أهل الإيمان الذين عقلوا عن الله تعالىٰ.

﴿٥﴾ ﴿**وإن تعجب**﴾ يا محمد من عبادتهم ما لا يضرُّ ولا ينفع، وتكذيبك بعد البيان فتعجَّبْ أيضاً من إنكارهم البعث، وهو معنىٰ قوله: ﴿**فعجب قولهم أإذا كنا**

---

(١) انظر ص ٣٩٧.

(٢) قرأ «تسقىٰ» نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو جعفر. الإتحاف ٢/ ١٦٠.

تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ وَيَسۡتَعۡجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبۡلَ ٱلۡحَسَنَةِ وَقَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِمُ ٱلۡمَثُلَٰتُۗ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلۡمِهِمۡۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾ ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ وَمَا تَزۡدَادُۚ وَكُلُّ شَيۡءٍ عِندَهُۥ بِمِقۡدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡكَبِيرُ

ترابًا. . .﴾ الآية. ﴿**وأولئك الأغلال**﴾ جمع غُلٍّ، وهو طوقٌ تقيَّد به اليد إلىٰ العنق.

﴿٦﴾ ﴿**ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة**﴾ يعني: مشركي مكَّة حين سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب استهزاءً. يقول: ويستعجلونك بالعذاب الذي لم أُعاجلهم به، وهو قوله: ﴿قبل الحسنة﴾. يعني: إحسانه إليهم في تأخير العقوبة عنهم إلى يوم القيامة ﴿**وقد خلت من قبلهم المَثُلاتُ**﴾ وقد مضت من قبلهم العقوبات في الأمم المُكذِّبة، فلم يعتبروا بها ﴿**وإنَّ ربَّك لذو مغفرة للناس على ظلمهم**﴾ بالتَّوبة. يعني: يتجاوز عن المشركين إذا آمنوا ﴿**وإنَّ ربك لشديد العقاب**﴾ يعني: لمَنْ أصرَّ على الكفر.

﴿٧﴾ ﴿**ويقول الذين كفروا لولا أنزل عليه آيةٌ من ربِّه**﴾ هلاَّ أتانا بآيةٍ كما أتىٰ به موسىٰ من العصا واليد ﴿**إنما أنت منذر**﴾ بالنَّار لمَنْ عصىٰ، وليس إليك من الآيات شيءٌ ﴿**ولكلِّ قومٍ هاد**﴾ نبيٌّ وَدَاعٍ إلى الله عزَّ وجلَّ يدعوهم لما يُعطَىٰ من الآيات، لا بما يريدون ويتحكَّمون.

﴿٨﴾ ﴿**الله يعلم ما تحملُ كلُّ أنثى**﴾ من علقةٍ ومضغةٍ، وزائدٍ وناقصٍ، وذَكَرٍ وأنثىٰ ﴿**وما تَغِيضُ الأرحام**﴾ تنقصه من مدَّة الحمل التي هي تسعة أشهر ﴿**وما تزداد**﴾ على ذلك ﴿**وكلُّ شيءٍ عنده بمقدار**﴾ علم كلَّ شيءٍ فقدَّره تقديراً.

﴿٩﴾ ﴿**عالم الغيب**﴾ ما غاب عن جميع خلقه ﴿**والشهادة**﴾ وما شهده الخلق ﴿**الكبير**﴾

ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ

العظيم القدر ﴿**المتعال**﴾ عمّا يقوله المشركون.

﴿١٠﴾ ﴿**سواء منكم...**﴾ الآية. يقول: الجاهر بنطقه، والمُضمر في نفسه، والظَّاهر في الطُّرقات، والمستخفي في الظُّلمات، علمُ الله سبحانه فيهم جميعاً سواءٌ، والمستخفي معناه: المختفي، والسَّارب: الظَّاهر المارُّ على وجهه.

﴿١١﴾ ﴿**له**﴾ لله سبحانه ﴿**معقبات**﴾ ملائكةٌ حفظةٌ تتعاقب في التُّزول إلىٰ الأرض، بعضهم باللَّيل، وبعضهم بالنَّهار ﴿**من بين يديه**﴾ يدي الإنسان ﴿**ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾ أَيْ: بأمره سبحانه ممَّا لم يُقدَّر، فإذا جاء القدر خلَّوا بينه وبينه[1]. ﴿**إنَّ الله لا يُغيِّر ما بقومٍ حتىٰ يغيروا ما بأنفسهم**﴾ لا يسلب قوماً نعمةً حتىٰ يعملوا بمعاصيه ﴿**وإذا أراد الله بقومٍ سوءاً**﴾ عذاباً ﴿**فلا مردَّ له**﴾ فلا ردَّ له ﴿**وما لهم من دونه من والٍ**﴾ يلي أمرهم ويمنع العذاب عنهم.

﴿١٢﴾ ﴿**هو الذي يريكم البرق خوفاً**﴾ للمسافر ﴿**وطمعاً**﴾ للحاضر في المطر ﴿**وينشىء**﴾ ويخلق ﴿**السحاب الثقال**﴾ بالماء.

﴿١٣﴾ ﴿**ويسبح الرعد**﴾ وهو الملك المُوكَّل بالسَّحاب ﴿**بحمده**﴾ وهو ما يسمع من صوته، وذلك تسبيحٌ لله تعالىٰ ﴿**والملائكة من خيفته**﴾ أَيْ: وتُسبِّح الملائكة من خيفة الله تعالىٰ وخشيته ﴿**ويرسل الصواعق**﴾ وهي التي تَحْرِق من برق السَّحاب،

---

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١٣/ ١١٥، وفيه: سماك عن عكرمة، وتقدَّم الكلام عليه.

فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴿١٥﴾ قُلْ

وينتشر على الأرض ضوؤُه ﴿**فيصيب بها من يشاء**﴾ كما أصاب أربد حين جادل النبيَّ ﷺ، وهو قوله: ﴿**وهم يجادلون في الله**﴾ والواو للحال، وكان أربد جادل النبيَّ ﷺ فقال: أخبرني عن ربِّنا، أمن نحاسٍ أم حديد[1]؟ فأحرقته الصَّاعقة ﴿**وهو شديد المحال**﴾ العقوبة أَي: القوَّة.

﴿١٤﴾ ﴿**له دعوة الحق**﴾ لله من خلقه الدعوة الحقُّ، وهي كلمة التَّوحيد لا إلّه إلاَّ الله. ﴿**والذين يدعون**﴾ يعني: المشركين يدعون ﴿**من دونه**﴾ الأصنام ﴿**لا يستجيبون لهم بشيء إلاَّ كباسط**﴾ إلاَّ كما يستجاب للذي يبسط كفيه يشير إلى الماء، ويدعوه إلىٰ فيه ﴿**وما هو ببالغه**﴾ وما الماء ببالغ فاه بدعوته إيَّاه ﴿**وما دعاء الكافرين**﴾ عبادتهم الأصنام ﴿**إلاَّ في ضلال**﴾ هلاكٍ وبطلانٍ.

﴿١٥﴾ ﴿**ولله يسجد مَنْ في السموات والأرض طوعاً**﴾ يعني: الملائكة والمؤمنين ﴿**وكرهاً**﴾ وهم مَنْ أُكرهوا على السُّجود، فسجدوا لله سبحانه من خوف السَّيف، واللَّفظ عامٌّ والمراد به الخصوص ﴿**وظلالهم بالغدو والآصال**﴾ كلُّ شخصٍ مؤمنٍ أو كافرٍ فإنَّ ظلَّه يسجد لله، ونحن لا نقف على كيفية ذلك.

﴿١٦﴾ ﴿**قل**﴾ يا محمد للمشركين: ﴿**من ربُّ السموات والأرض**﴾؟ ثمَّ أخبرهم فقل:

---

(١) الحديث أخرجه ابن جرير ١٣/ ١٢٥، وفيه: علي بن أبي سارة الشيباني، وهو ضعيف، وكذا أخرجه بهذا الطريق أبو يعلىٰ في مسنده ٦/ ٨٧؛ والطبراني في الأوسط ٣/ ٢٨٦؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٦١١؛ وأخرجه أيضاً البزار من طريق آخر، ورجاله رجال الصحيح غير ديلم بن غزوان، وهو ثقة.
وانظر: مجمع الزوائد ٧/ ٤٥.

مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ۗ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ ۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ ۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ

﴿**الله**﴾ لأنَّهم لا ينكرون ذلك، ثمَّ ألزمْهم الحجَّة فقلْ: ﴿**أفاتخذتم من دونه أولياء**﴾ تولَّيتم غير ربِّ السَّماء والأرض أصناماً ﴿**لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرَّاً**﴾ ثمَّ ضرب مثلاً للذي يعبدها والذي يعبد الله سبحانه، فقال: ﴿**قل هل يستوي الأعمىٰ**﴾ المشرك ﴿**والبصير**﴾ المؤمن ﴿**أم هل تستوي الظلمات**﴾ الشِّرك ﴿**والنور**﴾ الإيمان ﴿**أم جعلوا لله شركاء...**﴾ الآية. يعني: أجعلوا لله شركاء خلقوا مثل ما خلق الله، فتشابه خلق الشُّركاء بخلق الله عندهم؟ وهذا استفهامُ إنكارٍ، أيْ: ليس الأمرُ علىٰ هذا حتىٰ يشتبه الأمر، بل الله سبحانه هو المتفرِّد بالخلق، وهو قوله: ﴿**قل الله خالق كلِّ شيء**﴾.

﴿١٧﴾ ﴿**أنزل من السماء ماءً**﴾ يعني: المطر ﴿**فسالت أودية**﴾ جمع وادٍ ﴿**بقدرها**﴾ بقدر ما يملأها. أراد بالماء القرآن، وبالأودية القلوب، والمعنىٰ: أنزل قرآناً فقبلته القلوب بأقدارها منها ما رُزق الكثير، ومنها ما رُزق القليل، ومنها ما لم يُرزق شيئاً ﴿**فاحتمل السيل زبداً**﴾ وهو ما يعلو الماء ﴿**رابياً**﴾ عالياً فوقه، والزَّبَد مَثَلُ الكفر. يريد: إنَّ الباطل ــ وإنْ ظهر علىٰ الحقِّ في بعض الأحوال ــ فإنَّ الله سيمحقه ويُبطله، ويجعل العاقبة للحقِّ وأهله، وهو معنىٰ قوله: ﴿**فأمَّا الزبد فيذهب جفاء**﴾ وهو ما رمىٰ به الوادي ﴿**وأمَّا ما ينفع الناس**﴾ ممَّا ينبت المرعىٰ ﴿**فيمكث**﴾ يبقىٰ ﴿**في الأرض**﴾ ثمَّ ضرب مثلاً آخر، وهو قوله: ﴿**وممَّا يوقدون عليه في النَّار**﴾ يعني: جواهر الأرض من الذَّهب والفضَّة والنُّحاس وغيرها ممَّا يدخل النَّار، فتوقد عليها وتتخذ منها الحُلِيُّ، وهو الذَّهب والفضَّة، والأمتعة وهي للأواني، يعني: النُّحاس والرَّصاص وغيرهما، وهذا معنىٰ قوله: ﴿**ابتغاء حلية أو متاعٍ زبدٌ مثله**﴾

كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ

أَيْ: مثل زبد الماء. يريد: إنَّ من هذه الجواهر بعضها خبث ينفيه الكير. **﴿كذلك﴾** كما ذُكر من هذه الأشياء **﴿يضرب الله﴾** مثل الحقِّ والباطل، وهذه الآية فيها تقديمٌ وتأخير في اللَّفظ، والمعنىٰ ما أخبرتك به.

﴿١٨﴾ **﴿للذين استجابوا لربهم﴾** أجابوه إلىٰ ما دعاهم إليه **﴿الحسنىٰ﴾** الجنَّة **﴿والذين لم يستجيبوا له﴾** وهم الكفَّار **﴿لو أنَّ لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه لافتدوا به﴾** جعلوه فداء أنفسهم من العذاب **﴿أولئك لهم سوء الحساب﴾** وهو أن لا تُقبل منهم حسنة، ولا يتجاوز عن سيئة.

﴿١٩﴾ **﴿أفمن يعلم أنَّ ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمىٰ﴾** نزلت في أبي جهل لعنه الله، وحمزة رضي الله عنه[1] **﴿إنما يتذكر﴾** يتَّعظ ويرتدع عن المعاصي **﴿أولوا الألباب﴾** يعني: المهاجرين والأنصار.

﴿٢٠﴾ **﴿الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق﴾** يعني: العهد الذي عاهدهم عليه وهم في صلب آدم.

﴿٢١﴾ **﴿والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل﴾** وهو الإيمان بجميع الرُّسل.

﴿٢٢﴾ **﴿والذين صبروا﴾** علىٰ دينهم وما أُمروا به **﴿ابتغاء وجه ربِّهم﴾** طلب تعظيم الله تعالىٰ **﴿ويدرؤون﴾** يدفعون **﴿بالحسنة﴾** بالتَّوبة **﴿السيئة﴾** المعصية، وهو أنَّهم

---

(١) انظر: غرر التبيان بتحقيقنا ص ١٧٦.

أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ

كلَّما أذنبوا تابوا ﴿**أولئك لهم عقبىٰ الدار**﴾ يريد: عقباهم الجنَّة.

﴿٢٣﴾ ﴿**جنات عدن يدخلونها ومَنْ صلح من آبائهم**﴾ ومَنْ صدَّق بما صدَّقوا به ـ وإن لم يعملْ مثل أعمالهم ـ يلحق بهم كرامةً لهم ﴿**والملائكة يدخلون عليهم من كلِّ باب**﴾ بالتَّحيَّة من الله سبحانه، والهدايا.

﴿٢٤﴾ ﴿**سلامٌ عليكم**﴾ يقولون: سلامٌ عليكم، والمعنىٰ: سلَّمكم الله من العذاب ﴿**بما صبرتم**﴾ بصبركم في دار الدُّنيا عمَّا لا يحلُّ ﴿**فنعم عقبىٰ الدار**﴾ فنعم العقبىٰ عقبىٰ داركم التي عملتم فيها ما أعقبكم الذي أنتم فيه.

﴿٢٥﴾ ﴿**والذين ينقضون...**﴾ الآية. مُفسَّرة في سورة البقرة[1].

﴿٢٦﴾ ﴿**الله يبسط الرزق**﴾ يُوسِّعه ﴿**لمن يشاء ويقدر**﴾ ويضيِّق ﴿**وفرحوا**﴾ يعني: مشركي مكة بما نالوا من الدُّنيا، وبطروا. ﴿**وما الحياة الدنيا في الآخرة**﴾ في حياة الآخرة أَيْ: بالقياس إليها ﴿**إلَّا متاع**﴾ قليلٌ ذاهبٌ يُتمتَّع به ثمَّ يفنىٰ.

﴿٢٧﴾ ﴿**ويقول الذين كفروا لولا**﴾ هلَّا ﴿**أنزل عليه آيةٌ من ربه**﴾ نزلت في مشركي مكَّة حين طالبوا رسول الله ﷺ بالآيات ﴿**قل إنَّ الله يضلُّ مَنْ يشاء**﴾ عن دينه، كما أضلَّكم بعدما أنزل من الآيات، وحرمكم الاستدلال بها ﴿**ويهدي إليه**﴾ يرشد إلى

---

(١) انظر ص ٩٧.

مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٠﴾ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا

دينه ﴿مَنْ أناب﴾ رجع إلى الحقِّ.

﴿٢٨﴾ ﴿الذين آمنوا﴾ بدلٌ من قوله: ﴿مَنْ أناب﴾ ﴿وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ إذا سمعوا ذكر الله سبحانه وتعالىٰ أحبُّوه واستأنسوا به ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ يريد: قلوب المؤمنين.

﴿٢٩﴾ ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبىٰ لهم﴾ وهي شجرةٌ غرسها الله سبحانه بيده[1]. وقيل: فرحٌ لهم وقُرَّة أعينٍ.

﴿٣٠﴾ ﴿كذلك﴾ كما أرسلنا الأنبياء قبلك ﴿أرسلناك في أمة﴾ في قرنٍ ﴿قد خلت﴾ قد مضت ﴿من قبلها أمم﴾ قرونٌ ﴿لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن ﴿وهم يكفرون بالرحمن﴾ وذلك أنَّهم قالوا: ما نعرف الرَّحمن إلَّا صاحب اليمامة ﴿قل هو ربي﴾ أَي: الرَّحمن الذي أنكرتم معرفته هو إلَهي وسيِّدي ﴿لا إلَه إلَّا هو﴾.

﴿٣١﴾ ﴿ولو أنَّ قرآناً...﴾ الآية. نزلت حين قالوا للنبيِّ ﷺ: إنْ كنت نبيّاً كما تقول فسيِّر عنا جبال مكة، فإنَّها ضيِّقةٌ واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً حتىٰ نزرع ونغرس،

---

(١) ورد هذا في حديث أخرجه ابن جرير ١٣/١٤٩ عن رسول الله ﷺ بسندٍ ضعيف جداً، وفيه فرات بن أبي الفرات ضعفه يحيىٰ بن معين، وابن عدي في الكامل ٦/٢٠٤٨؛ والساجي، وابن شاهين، وذكره ابن حبان في الثقات، وقال: هو حسن الاستقامة والروايات، وقال أبو حاتم: هو صدوق. انظر: لسان الميزان ٤/ ٤٣٢. وفيه أيضاً محمد بن زياد الجريري الكوفي، وهو من المبتدعة.

انظر: لسان الميزان ٥/ ١٧٢.

سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًاۗ أَفَلَمۡ يَاْيۡـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعٗاۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ

وابعث لنا آباءنا من الموتىٰ يكلِّمونا أنَّك نبيٌّ[1]، فقال الله سبحانه: **﴿ولو أنَّ قرآناً سيرت به الجبال﴾** يريد: لو قضيت علىٰ أن لا يقرأ القرآن على الجبال إلاَّ سارت، ولا علىٰ الأرض إلاَّ تخرَّقت بالعيون والأنهار، وعلىٰ الموتىٰ أن لا يُكلِّموا؛ ما آمنوا لما سبق عليهم في علمي، وهذا جواب «لو» وهو محذوف. **﴿بل﴾** دع ذلك الذي قالوا من تسيير الجبال وغيره فالأمر لله جميعاً، لو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، وإذا لم يشأ لم ينفع ما اقترحوا من الآيات، وكان المسلمون قد أرادوا أن يُظهر رسول الله ﷺ لهم آيةً ليجتمعوا على الإيمان، فقال الله: **﴿أفلم ييئس الذين آمنوا﴾** يعلم الذين آمنوا **﴿أن لو يشاء الله﴾** لهداهم من غير ظهور الآيات **﴿ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا﴾** من كفرهم وأعمالهم الخبيثة **﴿قارعة﴾** داهيةٌ تقرعهم من القتل والأسر، والحرب، والجدب **﴿أو تحلُّ﴾** يا محمد أنت **﴿قريباً من دارهم حتىٰ يأتي وعد الله﴾** يعني: القيامة. وقيل: فتح مكَّة.

﴿٣٢﴾ **﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾** أُوذي وكُذِّب **﴿فأمليت للذين كفروا﴾** أطلتُ لهم المدَّة بتأخير العقوبة ليتمادوا في المعصية **﴿ثمَّ أخذتهم﴾** بالعقوبة **﴿فكيف كان عقاب﴾** كيف رأيت ما صنعتُ بمن استهزأ برسلي، كذلك أصنع بمشركي قومك.

﴿٣٣﴾ **﴿أفمن هو قائم على كلِّ نفس بما كسبت﴾** أَيْ: بجرائه. يعني: متولٍّ لذلك، كما

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٣/١٥١ عن ابن عباس، من طريق محمد بن سعد، عن أبيه، عن عم أبيه، عن جده، وقد تقدم الكلام عليه.

وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٣٤﴾ ۞ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ

يقال: قام فلان بأمر كذا: إذا كفاه وتولَّاه، والقائم علىٰ كلِّ نفس هو الله تعالىٰ. والمعنىٰ: أفمن هو بهذه الصِّفة كمَنْ ليس بهذه الصِّفة من الأصنام التي لا تضرُّ ولا تنفع؟ وجواب هذا الاستفهام في قوله: ﴿**وجعلوا لله شركاء قل سموهم**﴾ بإضافة أفعالهم إليهم إن كانوا شركاء لله تعالىٰ، كما يضاف إلى الله أفعاله بأسمائه الحسنىٰ، نحو: الخالق والرَّازق، فإن سمَّوهم قل أتنبئونه ﴿**أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض**﴾ أَيْ: أتخبرون الله بشريكٍ له في الأرض، وهو لا يعلمه، بمعنىٰ: أنَّه ليس [له شريك]. ﴿**أم بظاهرٍ من القول**﴾ يعني: أم تقولون مجازاً من القول وباطلاً لا حقيقة له، وهو كلامٌ في الظَّاهر، ولا حقيقة له في الباطن، ثمَّ قال: ﴿**بل**﴾ أَيْ: دع ذكر ما كنَّا فيه ﴿**زين للذين كفروا مكرهم**﴾ زيَّن الشَّيطان لهم الكفر ﴿**وصدوا عن السبيل**﴾ وصدَّهم الله سبحانه عن سبيل الهدىٰ ﴿**لهم عذاب في الحياة الدنيا**﴾ بالقتل والأسر ﴿**ولعذاب الآخرة أشقُّ**﴾ أشدُّ وأغلظ ﴿**وما لهم من الله**﴾ من عذاب الله ﴿**من واق**﴾ حاجزٍ ومانعٍ.

﴿٣٥﴾ ﴿**مثل الجنة**﴾ صفة الجنَّة ﴿**التي وعد المتقون**﴾. وقوله: ﴿**أكلها دائم**﴾ يريد: إنَّ ثمارها لا تنقطع كثمار الدُّنيا ﴿**وظلها**﴾ لا يزول ولا تنسخه الشَّمس.

﴿٣٦﴾ ﴿**والذين آتيناهم الكتاب**﴾ يعني: مؤمني أهل الكتاب ﴿**يفرحون بما أنزل إليك**﴾ وذلك أنَّهم ساءهم قلَّة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التَّوراة، فلما أنزل الله تعالىٰ: ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن﴾[1] فرح بذلك مؤمنو أهل الكتاب،

---

(١) سورة الإسراء: الآية ١١٠.

وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ ۚ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَٰجًا وَذُرِّيَّةً ۚ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِىَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾

وكفر المشركون بالرَّحمن، وقالوا: ما نعرف الرَّحمن إلاَّ رحمان اليمامة، وذلك قوله: ﴿ومن الأحزاب﴾ يعني: الكفَّار الذين تحزَّبوا على رسول الله ﷺ ﴿مَنْ ينكر بعضه﴾ يعني: ذكر الرَّحمن.

﴿٣٧﴾ ﴿وكذلك﴾ وكما أنزلنا الكتاب على الأنبياء بلسانهم ﴿أنزلناه حُكْماً عربياً﴾ يعني: القرآن؛ لأنَّه به يحكم ويفصل بين الحقِّ والباطل، وهو بلغة العرب ﴿ولئن اتبعت أهواءهم﴾ وذلك أنَّ المشركين دعوه إلى ملَّة آبائه، فتوعَّده الله سبحانه على ذلك بقوله: ﴿ما لك من الله من ولي ولا واق﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً﴾ ينكحونهنَّ ﴿وذرية﴾ وأولاداً أنسلوهم، وذلك أنَّ اليهود عيَّرت رسول الله ﷺ بكثرة النِّساء، وقالوا: ما له همَّةٌ إلاَّ النِّساء والنِّكاح ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلاَّ بإذن الله﴾ أَيْ: بإطلاقه له الآية، وهذا جوابٌ للذين سألوه أن يوسِّع لهم مكَّة. ﴿لكل أجل كتاب﴾ لكلِّ أجلٍ قدَّره الله، ولكلِّ أمرٍ قضاه كتابٌ أثبت فيه، فلا تكون آيةٌ إلاَّ بأجلٍ قد قضاه الله تعالىٰ في كتابٍ.

﴿٣٩﴾ ﴿يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمُّ الكتاب﴾ اللَّوح المحفوظ، يمحو منه ما يشاء ويثبت ما يشاء، وظاهر هذه الآية على العموم. وقال قوم[1]: إلاَّ السَّعادة والشَّقاوة، والموت والرِّزق، والخَلق والخُلق.

---

(١) منهم ابن عباس ومجاهد، كما ذكره ابن جرير ١٣/١٦٦.

وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ ٱلْمَكْرُ جَمِيعًا ۖ يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾

﴿٤٠﴾ ﴿وإمَّا نرينك بعض الذي نعدهم﴾ من العذاب ﴿أو نتوفينك﴾ قبل ذلك ﴿فإنما عليك البلاغ﴾ يريد: قد بلَّغت ﴿وعلينا الحساب﴾ إليَّ مصيرهم فأجازيهم، أَيْ: ليس عليك إلَّا البلاغ كيف ما صارت حالهم.

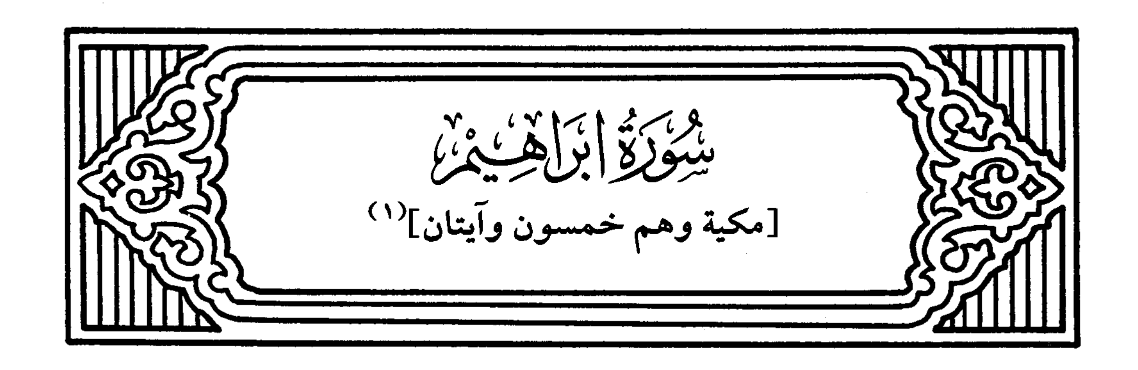
﴿٤١﴾ ﴿أوَلَمْ يروا﴾ يعني: مشركي مكَّة ﴿أنَّا نأتي الأرض﴾ نقصد أرض مكَّة ﴿ننقصها من أطرافها﴾ بالفتوح على المسلمين. يقول: أولم يرَ أهل مكَّة أنَّا نفتح لمحمد ﷺ ما حولها من القرىٰ، أفلا يخافون أن تنالهم يا محمد ﴿والله يحكم﴾ بما يشاء ﴿لا معقب لحكمه﴾ لا أحدٌ يتتبع ما حكم به فيغيِّره، والمعنىٰ: لا ناقض لحكمه ولا رادَّ له ﴿وهو سريع الحساب﴾ أَي: المجازاة.

﴿٤٢﴾ ﴿وقد مكر الذين من قبلهم﴾ يعني: كفَّار الأمم الخالية، مكروا بأنبيائهم ﴿فلله المكر جميعاً﴾ يعني: إنَّ مكر الماكرين له، أَيْ: هو من خلقه، فالمكر جميعاً مخلوق له ليس يضرُّ منه شيءٌ إلَّا بإذنه ﴿يعلم ما تكسب كلُّ نفس﴾ جميع الأكساب معلومٌ له ﴿وسيعلم الكافر﴾[1] وهو اسم الجنس ﴿لمن﴾ العاقبة بالجنَّة، وقوله تعالىٰ:

﴿٤٣﴾ ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾ هم مؤمنو أهل الكتابين، وكانت شهادتهم قاطعةً لقول أهل الخصوم.

• • •

(١) قرأ «الكافر» نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأ الباقون «الكفّار». إتحاف فضلاء البشر ص ٢٧٠.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿الر﴾ أنا الله أرىٰ. هذا ﴿كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ من الشِّرك إلى الإيمان ﴿بإذن ربهم﴾ بقضاء ربِّهم؛ لأنَّه لا يهتدي مهتدٍ إلاَّ بإذن الله سبحانه، ثمَّ بيَّن ما ذلك النُّور فقال: ﴿إلى صراط العزيز الحميد﴾.

﴿٣﴾ ﴿الذين يستحبون﴾ يُؤثرون ويختارون ﴿الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله﴾ ويمنعون النَّاس عن دين الله ﴿ويبغونها عوجاً﴾ مضىٰ تفسيره ﴿أولئك في ضلال﴾ في خطأ ﴿بعيد﴾ عن الحقِّ.

﴿٤﴾ ﴿وما أرسلنا من رسول إلاَّ بلسان قومه﴾ بلغة قومه ليفهموا عنه، وهو معنىٰ قوله:

---

(١) زيادة من ظا.

لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا۟ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٨﴾ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ

﴿ليبيِّن لهم فيضل الله من يشاء﴾ بعد التَّبيين بإيثاره الباطل ﴿ويهدي مَنْ يشاء﴾ باتباع الحقِّ.

﴿٥﴾ ﴿ولقد أرسلنا موسىٰ بآياتنا﴾ بالبراهين التي دلَّت على صحَّة نبوَّته ﴿أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور﴾ من الشِّرك إلى الإيمان ﴿وذكرهم﴾ وَعِظهم ﴿بأيام الله﴾ بنعمه، أَي: بالتَّرغيب والتَّرهيب، والوعد والوعيد ﴿إنَّ في ذلك﴾ التَّذكير بأيَّام الله ﴿لآيات﴾ لدلالاتٍ ﴿لكلِّ صبَّار﴾ على طاعة الله ﴿شكور﴾ لأنعمه، والآية الثانية مفسَّرة في سور البقرة[1]، وقوله:

﴿٧﴾ ﴿وإذ تأذَّن﴾ معطوفٌ على قوله: ﴿إذ أنجاكم﴾ والمعنىٰ: وإذ أعلم ربُّكم ﴿لئن شكرتم﴾ وحَّدتم وأطعتم ﴿لأزيدنَّكم﴾ ممَّا يجب الشُّكر عليه، وهو النِّعمة ﴿ولئن كفرتم﴾ جحدتم حقِّي وحقَّ نعمتي ﴿إنَّ عذابي لشديد﴾ تهديدٌ بالعذاب على كفران النِّعمة.

﴿٩﴾ ﴿ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم﴾ يعني:

---

(١) انظر ص ١٠٤.

لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾

من بعد هؤلاء الذين أهلكهم الله ﴿لا يعلمهم إلاَّ الله﴾ لكثرتهم، ولا يعلم عدد تلك الأمم وتعيينها إلاَّ الله ﴿جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم﴾ أيدي أنفسهم ﴿في أفواههم﴾ أيْ: ثقل عليهم مكانهم، فعضُّوا على أصابعهم من شدَّة الغيظ.

﴿١٠﴾ ﴿قالت رسلهم أفي الله شكٌّ﴾ أفي توحيد الله سبحانه شكٌّ؟ وهذا استفهامٌ معناه الإنكار، أيْ: لا شكَّ في ذلك، ثمَّ وصف نفسه بما يدلُّ على وحدانيته، وهو قوله: ﴿فاطر السموات والأرض يدعوكم﴾ إلى طاعته بالرُّسل والكتب ﴿ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمًّى﴾ لا يعاجلكم بالعقوبة، والمعنىٰ: إن لم تجيبوا عوجلتم، وباقي الآية وما بعدها إلى قوله:

﴿١٤﴾ ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾ ظاهر، ومعنىٰ: ﴿خاف مقامي﴾ معناه: خاف مقامه بين يدي، ﴿وخاف وعيدِ﴾: ما أوعدت من العذاب.

﴿١٥﴾ ﴿واستفتحوا﴾ واستنصروا الله سبحانه على قومهم، ففازوا بالنَّصر ﴿وخاب كلُّ جبَّار﴾ متكبِّرٍ عن طاعة الله سبحانه ﴿عنيدٍ﴾ مجانب للحقِّ.

مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ﴿١٦﴾ يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأۡتِيهِ ٱلۡمَوۡتُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٖۖ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٞ ﴿١٧﴾ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ لَّا يَقۡدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيۡءٖۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٨﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّۚ إِن يَشَأۡ يُذۡهِبۡكُمۡ وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعٗا فَقَالَ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ

﴿١٦﴾ ﴿من ورائه جهنم﴾ أَيْ: أمامه جهنَّم فهو يردها ﴿ويُسقىٰ من ماء صديد﴾ وهو ما يسيل من الجرح مُختلطاً بالدَّم والقيح.

﴿١٧﴾ ﴿يتجرَّعه﴾ يتحسَّاه بالجرع لا بمرَّةٍ لمرارته ﴿ولا يكاد يسيغه﴾ لا يجيزه في الحلق إلَّا بعد إبطاءٍ ﴿ويأتيه الموت﴾ أَيْ: أسباب الموت من البلايا التي تصيب الكافر في النَّار ﴿من كلِّ مكان﴾ من كلِّ شعرةٍ في جسده ﴿وما هو بميت﴾ موتاً تنقطع معه الحياة ﴿ومن ورائه﴾ ومن بعد ذلك العذاب ﴿عذاب غليظ﴾ متَّصل الآلام، ثمَّ ضرب مثلاً لأعمال الكفَّار فقال:

﴿١٨﴾ ﴿مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف﴾ أَيْ: شديد هبوب الرِّيح، ومعنىٰ الآية: إنَّ كلَّ ما تقرَّب به الكافر إلى الله تعالىٰ فَمُحْبَطٌ غيرُ منتفعٍ به لأنَّهم أشركوا فيها غير الله سبحانه وتعالىٰ، كالرَّماد الذي ذرته الرِّيح وصار هباءً لا يُنتفع به، فذلك قوله: ﴿لا يقدرون مما كسبوا على شيء﴾ أَيْ: لا يجدون ثواب ما عملوا. ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ يعني: ضلال أعمالهم وذهابها، والمعنىٰ: ذلك الخسران الكبير.

﴿١٩﴾ ﴿ألم تر﴾ يا محمد ﴿أنَّ الله خلق السموات والأرض بالحق﴾ أَيْ: بقدرته وصنعه وعلمه وإرادته، وكلُّ ذلك حقٌّ ﴿إن يشأ يذهبكم﴾ يُمتكم أيُّها الكفَّار ﴿ويأت بخلق جديد﴾ خيرٍ منكم وأطوع.

﴿٢٠﴾ ﴿وما ذلك على الله بعزيز﴾ بممتنعٍ شديدٍ.

﴿٢١﴾ ﴿وبرزوا لله جميعاً﴾ خرجوا من قبورهم إلىٰ المحشر ﴿فقال الضعفاء﴾ وهم

ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَهَدَيْنَٰكُمْ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴿٢١﴾ وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأُدْخِلَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴿٢٣﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً

الأتباع لأكابرهم الذين ﴿استكبروا﴾ عن عبادة الله: ﴿إنَّا كنَّا﴾ في الدُّنيا ﴿**لكم تبعاً فهل أنتم مغنون**﴾ دافعون ﴿**عنا من عذاب الله من شيء قالوا لو هدانا الله لهديناكم**﴾ أيْ: إنَّما دعوناكم إلىٰ الضَّلال لأنَّا كنَّا عليه، ولو أرشدنا الله لأرشدناكم.

﴿٢٢﴾ ﴿**وقال الشيطان**﴾ يعني: إبليس ﴿**لما قضي الأمر**﴾ فصار أهل الجنَّة في الجنَّة، وأهل النَّار في النَّار، وذلك أنَّ أهل النَّار حينئذٍ يجتمعون باللائمة على إبليس، فيقوم خطيباً ويقول: ﴿**إنَّ الله وعدكم وعد الحق**﴾ يعني: كون هذا اليوم، فصدقكم وعده ﴿**ووعدتكم**﴾ أنَّه غير كائنٍ ﴿**فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان**﴾ أيْ: ما أظهرت لكم حجَّةً على ما وعدتكم ﴿**إلَّا أن دعوتكم**﴾ لكن دعوتكم ﴿**فاستجبتم لي**﴾ فصدَّقتموني ﴿**فلا تلوموني ولوموا أنفسكم**﴾ حيث أجبتموني من غير برهانٍ ﴿**ما أنا بمصرخكم**﴾ بمغيثكم ﴿**وما أنتم بمصرخي إني كفرتُ بما أَشْرَكْتُمونِ من قبل**﴾ بإشراككم إيَّاي مع الله سبحانه في الطَّاعة، إنِّي جحدت أن أكون شريكاً لله فيما أشركتموني ﴿**إنَّ الظالمين**﴾ يريد: المشركين.

وقوله:

﴿٢٣﴾ ﴿**تحيتهم فيها سلام**﴾ يحييهم الله سبحانه بالسَّلام، ويحيي بعضهم بعضاً بالسَّلام.

﴿٢٤﴾ ﴿**ألم تر كيف ضرب الله مثلاً**﴾ بيَّن شبهاً، ثمَّ فسَّره فقال: ﴿**كلمة طيبة**﴾ يريد:

كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۚ

لا إلّه إلاَّ الله ﴿**كشجرة طيبة**﴾ يعني: النَّخلة ﴿**أصلها**﴾ أصل هذه الشَّجرة الطَّيِّبة ﴿**ثابت**﴾ في الأرض ﴿**وفرعها**﴾ أعلاها عالٍ ﴿**في السماء**﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿**تؤتي**﴾ هذه الشَّجرة ﴿**أكلها**﴾ ثمرها ﴿**كلَّ حين**﴾ كلَّ وقتٍ في جميع السَّنة، ستة أشهرٍ طلعٌ رخص، وستة أشهرٍ رطبٌ طيِّبٌ، فالانتفاع بالنَّخلة دائمٌ في جميع السَّنة. كذلك الإيمان ثابتٌ في قلب المؤمن، وعمله، وقوله، وتسبيحه عالٍ مرتفع إلى السَّماء ارتفاع فروع النَّخلة، وما يكتسبه من بركة الإيمان وثوابه كما ينال من ثمرة النَّخلة في أوقات السَّنة كُلِّها من الرُّطَب والبسر والتَّمر ﴿**ويضرب الله الأمثال للناس**﴾ يريد: أهل مكَّة ﴿**لعلَّهم يتذكرون**﴾ لكي يتَّعظوا.

﴿٢٦﴾ ﴿**ومثل كلمة خبيثة**﴾ يعني: الشِّرك بالله سبحانه ﴿**كـ**﴾ مثل ﴿**شجرة خبيثة**﴾ وهي الكشوث ﴿**اجتثت**﴾ انتزعت واستؤصلت، والكشوت كذلك ﴿**من فوق الأرض**﴾ لم يرسخ فيها، ولم يضرب فيها بعرق. ﴿**ما لها من قرار**﴾ مستقرٌّ في الأرض. يريد: إنَّ الشِّرك لا ينتفع به صاحبه وليس له حجَّةٌ ولا ثباتٌ كهذه الشَّجرة.

﴿٢٧﴾ ﴿**يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت**﴾ وهو قول لا إلّه إلاَّ الله ﴿**في الحياة الدنيا**﴾ على الحقِّ ﴿**وفي الآخرة**﴾ يعني: في القبر يُلقِّنهم كلمة الحقِّ عند سؤال الملكين[1] ﴿**ويضل الله الظالمين**﴾ لا يُلقِّن المشركين ذلك، حتىٰ إذا سُئلوا في

---

(١) عن البراء بن عازب أنَّ رسول الله ﷺ قال: المسلم إذا سئل في القبر يشهد أَنْ لا إلّه إلاَّ الله، وأنَّ محمداً رسول الله، فذلك قوله: ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾.
أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/٣٧٨؛ ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم ٢٧٨١؛ وأبو داود في كتاب السنة رقم ٤٧٥٠؛ والنسائي في التفسير ١/٦١٩.

وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾ قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴿٣١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّر لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

قبورهم قالوا: لا ندري ﴿**ويفعل الله ما يشاء**﴾ من تلقين المؤمنين الصَّواب، وإضلال الكافرين.

﴿٢٨﴾ ﴿**ألم تر إلى الذين بدَّلوا نعمة الله كفراً**﴾ بدَّلوا ما أنعم الله سبحانه عليهم به من الإيمان ببعث الرسول ﷺ كفراً حيث كفروا به ﴿**وأحلوا قومهم**﴾ الذين اتَّبعوهم ﴿**دار البوار**﴾ الهلاك، ثمَّ فسَّرها فقال:

﴿٢٩﴾ ﴿**جهنم يصلونها وبئس القرار**﴾ أي: المقرُّ.

﴿٣٠﴾ ﴿**وجعلوا لله أنداداً**﴾ يعني: الأصنام ﴿**ليضلوا عن سبيله**﴾ النَّاس عن دين الله ﴿**قل تمتعوا**﴾ بدنياكم ﴿**فإنَّ مصيركم إلى النار**﴾. وقوله:

﴿٣١﴾ ﴿**لا بيع فيه**﴾ لا فداء فيه ﴿**ولا خلال**﴾ مخالة. يعني: يوم القيامة، وهو يوم لا بيعٌ فيه، ولا شراءٌ، ولا مُخالَّةٌ، ولا قرابةٌ، إنَّما هي أعمالٌ يُثاب بها قومٌ، ويعاقب عليها آخرون.

﴿٣٣﴾ ﴿**وسخر لكم الشمس والقمر**﴾ ذلَّلهما لما يُراد منهما ﴿**دائبين**﴾ مقيمين على طاعة الله سبحانه وتعالىٰ في الجري ﴿**وسخر لكم الليل**﴾ لتسكنوا فيه ﴿**والنهار**﴾ لتبتغوا من فضله ومعنىٰ «لكم» في هذه الآية لأجلكم، ليس أنَّها مسخَّرة لنا، هي مسخَّرةٌ

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴿٣٧﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٣٨﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ

لله سبحانه لأجلنا [ويجوز أنَّها مسخَّرة لنا لانتفاعنا بها على الوجه الذي نريد][١]، وقوله:

﴿٣٤﴾ **﴿وإن تعدوا نعمة الله﴾** إنعام الله عليكم **﴿لا تحصوها﴾** لا تطيقوا عدَّها **﴿إن الإنسان﴾** يعني: الكافر **﴿لظلوم﴾** لنفسه **﴿كفَّار﴾** نعمة ربِّه. وقوله:

﴿٣٥﴾ **﴿واجنبني﴾** أَيْ: بعِّدني واجعلني من على جانبٍ بعيدٍ.

﴿٣٦﴾ **﴿ربِّ إنهن أضللن كثيراً من الناس﴾** أَيْ: ضلُّوا بسببها **﴿فمن تبعني﴾** على ديني **﴿فإنه مني﴾** من المتدينين بديني **﴿ومن عصاني﴾** فيما دون الشِّرك **﴿فإنك غفور رحيم﴾**.

﴿٣٧﴾ **﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي﴾** يعني: إسماعيل عليه السَّلام **﴿بوادٍ غير ذي زرعٍ﴾** مكَّة حرسها الله **﴿عند بيتك المحرَّم﴾** الذي مضىٰ في علمك أنَّه يحدث في هذا الوادي **﴿ربنا ليقيموا الصلاة﴾** ليعبدوك **﴿فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾** تريدهم وتحنُّ إليهم لزيارة بيتك **﴿وارزقهم من الثمرات﴾** ذُكر تفسيره في سورة البقرة[٢] **﴿لعلَّهم يشكرون﴾** كي يُوحِّدوك ويُعظِّموك.

﴿٣٩﴾ **﴿الحمد لله الذي وهب لي﴾** أعطاني **﴿على الكبر إسماعيل﴾** لأنَّه وُلد له وهو ابن

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) انظر ص ١٣١.

وَإِسْحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ رَبِّ ٱجْعَلْنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْۖ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾

تسع وتسعين ﴿وإسحاق﴾ وُلد له وهو ابن مائة سنة واثنتي عشرة سنة[١]. وقوله:

﴿٤٠﴾ ﴿ومن ذريتي﴾ أَيْ: واجعل منهم مَنْ يقيم الصَّلاة. وقوله:

﴿٤١﴾ ﴿ولوالدي﴾ استغفر لهما بشرط الإِيمان.

﴿٤٢﴾ ﴿ولا تحسبن الله غافلاً عمَّا يعمل الظالمون﴾ يريد: المشركين من أهل مكَّة ﴿إنما يؤخرهم﴾ فلا يعاقبهم في الدُّنيا ﴿ليوم تشخص﴾ تذهب فيه أبصار الخلائق إلى الهواء حيرةً ودهشةً.

﴿٤٣﴾ ﴿مهطعين﴾ مسرعين منطلقين إلى الداعي ﴿مقنعي﴾ رافعي ﴿رؤوسهم﴾ إلى السماء لا ينظر أحدٌ إلى أحدٍ ﴿لا يرتدُّ إليهم طرفهم﴾ لا ترجع إليهم أبصارهم من شدَّة النَّظر فهي شاخصةٌ ﴿وأفئدتهم هواء﴾ وقلوبهم خاليةٌ عن العقول بما ذهلوا من الفزع. وقوله:

﴿٤٤﴾ ﴿فيقول الذين ظلموا﴾ أَيْ: أشركوا ﴿ربنا أخرنا إلى أجل قريب﴾ استمهلوا مدَّةً يسيرةً كي يجيبوا الدَّعوة، فيقال لهم: ﴿أَوَلَمْ تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال﴾ حلفتم في الدُّنيا أنَّكم لا تُبعثون ولا تنتقلون إلى الآخرة، وهو قوله: ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت...﴾[٢] الآية.

---

(١) انظر ص ٥٢٧.

(٢) سورة النحل: الآية ٣٨.

وَسَكَنتُمْ فِي مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُواْ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ

(٤٥) ﴿**وسكنتم**﴾ في الدُّنيا ﴿**في مساكن الذين ظلموا أنفسهم**﴾ يعني: الأمم الكافرة ﴿**وتبيَّن لكم كيف فعلنا بهم**﴾ فلم تنزجروا ﴿**وضربنا لكم الأمثال**﴾ في القرآن فلم تعتبروا.

(٤٦) ﴿**وقد مكروا مكرهم**﴾ يعني: مكرهم بالنبيِّ ﷺ وما همُّوا به من قتله أو نفيه ﴿**وعند الله مكرهم**﴾ هو عالمٌ به لا يخفىٰ عليه ما فعلوا، فهو يجازيهم عليه ﴿**وإن كان**﴾ وما كان ﴿**مكرهم لتزول منه الجبال**﴾ يعني: أمر النبيِّ ﷺ، أيْ: ما كان مكرهم ليبطل أمراً هو في ثبوته وقوَّته كالجبال.

(٤٧) ﴿**فلا تحسبن الله**﴾ يا محمد ﴿**مخلف وعده رسله**﴾ ما وعدهم من الفتح والنَّصر ﴿**إنَّ الله عزيز**﴾ منيع ﴿**ذو انتقام**﴾ من الكفَّار يجازيهم بما كان من سيئاتهم.

(٤٨) ﴿**يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات**﴾ تُبدَّل الأرض بأرضٍ كالفضَّة بيضاء نقيَّة يُحشر النَّاس عليها[1]، والسَّماء من ذهبٍ ﴿**وبرزوا**﴾ وخرجوا من القبور، كقوله تعالىٰ: ﴿**وبرزوا لله جميعاً**﴾.

(٤٩) ﴿**وترىٰ المجرمين**﴾ الذين زعموا أنَّ لله شريكاً وولداً يوم القيامة ﴿**مقرنين**﴾

(١) أخرجه ابن جرير ١٣/ ٢٥٠ عن الحسن ومجاهد، لكن فيه: والسموات كذلك أيضاً كأنَّها فضة. وفي الصحيح عن عائشة قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله تعالىٰ: ﴿يوم تبدَّل الأرض غير الأرض والسموات﴾، فقلتُ: أين يكون الناس يومئذٍ يا رسول الله؟ قال: على الصراط. أخرجه مسلم في صفات المنافقين برقم ٢٧٩١؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٢٠.

فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾

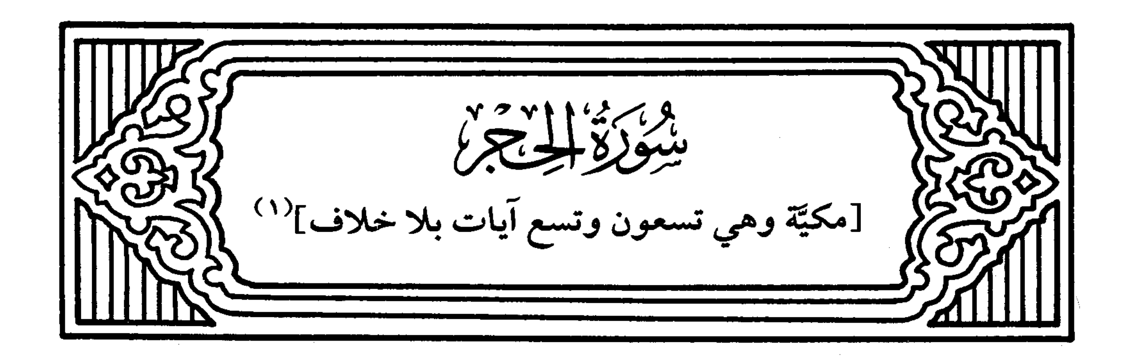
موصولين بشياطينهم. كلُّ كافرٍ مع شيطانٍ في غلٍّ، والأصفاد: سلاسل الحديد والأغلال.

﴿٥٠﴾ ﴿**سرابيلهم**﴾ قُمصهم ﴿**من قطران**﴾ وهو الهِناء الذي يُطلى به الإبل، وذلك أبلغ لاشتعال النَّار فيهم ﴿**وتغشىٰ وجوههم**﴾ وتعلو وجوههم ﴿**النار**﴾.

﴿٥١﴾ ﴿**ليجزي الله كلَّ نفس**﴾ من الكفَّار ﴿**ما كسبت**﴾ أَيْ: ليقع لهم الجزاء من الله سبحانه بما كسبوا.

﴿٥٢﴾ ﴿**هذا**﴾ القرآن ﴿**بلاغ للناس**﴾ أَيْ: أنزلناه إليك لتبلِّغهم ﴿**ولينذروا به**﴾ ولتنذرهم أنت يا محمد ﴿**وليعلموا**﴾ بما ذُكر فيه من الحجج ﴿**أنما هو إلٓه واحدٌ وليذكر**﴾ وليتَّعظ ﴿**أولوا الألباب**﴾ أهل اللُّبِّ والعقل والبصائر.

• • •



سورة الحجر

[مكيّة وهي تسعون وتسع آيات بلا خلاف][1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓرۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾

الجزء الرابع عشر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿الٓر﴾ أنا الله أرىٰ. ﴿تلك آيات﴾ هذه آيات ﴿الكتاب﴾ الذي هو قرآن مبين للأحكام.

(٢) ﴿ربما يودُّ...﴾ الآية. نزلت في تمنِّي الكفَّار الإسلام عند خروج مَنْ يخرج من النَّار.

(٣) ﴿ذرهم يأكلوا ويتمتعوا﴾ يقول: دع الكفَّار يأخذوا حظوظهم من دنياهم ﴿ويلههم الأمل﴾ يشغلهم الأمل عن الأخذ بحظِّهم من الإيمان والطَّاعة ﴿فسوف يعلمون﴾ إذا وردوا القيامة وبال ما صنعوا.

(٤) ﴿وما أهلكنا من قرية﴾ يعني: أهلها ﴿إلاَّ ولها كتابٌ معلوم﴾ أجلٌ ينتهون إليه. يعني: إنَّ لأهل كلِّ قرية أجلاً مؤقَّتاً لا يُهلكهم حتىٰ يبلغوه.

---

(١) زيادة من ظا.

مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾

﴿٥﴾ ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ أَيْ: ما تتقدَّم الوقت الذي وُقِّت لها ﴿وما يستأخرون﴾ لا يتأخَّرون عنه.

﴿٦﴾ ﴿وقالوا يا أيُّها الذي نُزِّل عليه الذكر﴾ أَيْ: القرآن. قالوا هذا استهزاءً.

﴿٧﴾ ﴿لو ما﴾ هلا ﴿تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين﴾ أنَّك نبيٌّ، فقال الله عزَّ وجلَّ:

﴿٨﴾ ﴿ما ننزل الملائكة إلاَّ بالحق﴾ أَيْ: بالعذاب ﴿وما كانوا إذاً منظرين﴾ أَيْ: لو نزلت الملائكة لم يُنظروا ولم يُمهلوا.

﴿٩﴾ ﴿إنا نحن نزلنا الذِّكر﴾ القرآن ﴿وإنا له لحافظون﴾ من أن يُزاد فيه أو يُنقص.

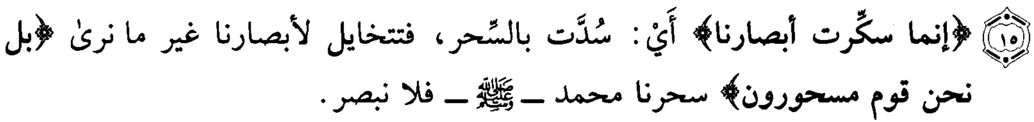
﴿١٠﴾ ﴿ولقد أرسلنا من قبلك﴾ أَيْ: رسلاً ﴿في شيع الأوَّلين﴾ أَيْ: فِرَقِهم.

﴿١١﴾ ﴿وما يأتيهم من رسول إلاَّ كانوا به يستهزئون﴾ تعزيةٌ للنبيِّ ﷺ.

﴿١٢﴾ ﴿كذلك﴾ أَيْ: كما فعلوا ﴿نسلكه﴾ ندخل الاستهزاء والشِّرك والضَّلال ﴿في قلوب المجرمين﴾ ثمَّ بيَّن أَيَّ شيء الذي أدخل في قلوبهم، فقال:

﴿١٣﴾ ﴿لا يؤمنون به﴾ أَيْ: بالرَّسول ﴿وقد خلت﴾ مضت ﴿سنَّة الأولين﴾ بتكذيب الرُّسل، فهؤلاء المشركون يقتفون آثارهم في الكفر.

﴿١٤﴾ ﴿ولو فتحنا عليهم﴾ على هؤلاء المشركين ﴿باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون﴾ فطفقوا فيه يصعدون لجحدوا ذلك وقالوا:



لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُۥ بِرَٰزِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ

﴿١٥﴾ **﴿إنما سكِّرت أبصارنا﴾** أَيْ: سُدَّت بالسِّحر، فتتخايل لأبصارنا غير ما نرىٰ **﴿بل نحن قوم مسحورون﴾** سحرنا محمد ـ ﷺ ـ فلا نبصر.

﴿١٦﴾ **﴿ولقد جعلنا في السماء بروجاً﴾** يعني: منازل الشَّمس والقمر **﴿وزيناها﴾** بالنُّجوم للمعتبرين والمستدلِّين على توحيد صانعها.

﴿١٧﴾ **﴿وحفظناها من كلّ شيطان رجيم﴾** مرميٍّ بالنُّجوم.

﴿١٨﴾ **﴿إلاَّ من استرق السمع﴾** يعني: الخطفة اليسيرة **﴿فأتبعه﴾** لحقه **﴿شهاب﴾** نارٌ **﴿مبين﴾** ظاهرٌ لأهل الأرض.

﴿١٩﴾ **﴿والأرض مددناها﴾** بسطناها على وجه الماء **﴿وألقينا فيها رواسي﴾** جبالاً ثوابت لئلا تتحرَّك بأهلها **﴿وأنبتنا فيها﴾** في الجبال **﴿من كلِّ شيء موزون﴾** كالذَّهب والفضَّة والجواهر.

﴿٢٠﴾ **﴿وجعلنا لكم فيها معايش﴾** من الثِّمار والحبوب **﴿ومَنْ لستم له برازقين﴾** العبيد والدَّوابَّ والأنعام، تقديره: وجعلنا لكم فيها معايش وعبيداً وإماءً ودوابَّ نرزقهم ولا ترزقونهم.

﴿٢١﴾ **﴿وإن من شيء﴾** يعني: من المطر **﴿إلاَّ عندنا خزائنه﴾** أَيْ: في حكمنا وأمرنا **﴿وما ننزله إلاَّ بقدر معلوم﴾** لا ننقصه ولا نزيده، غير أنَّه يصرفه إلىٰ مَنْ يشاء، حيث شاء، كما شاء.

﴿٢٢﴾ **﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾** السَّحاب تَمُجُّ الماء فيه، فهي لواقح، بمعنىٰ: ملقحاتٌ.

فَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾

وقيل: لواقح: حوامل؛ لأنَّها تحملُ الماء والتُّراب والسَّحاب **﴿فأسقيناكموه﴾** جعلناه سقياً لكم **﴿وما أنتم له﴾** لذلك الماء المنزل من السَّماء **﴿بخازنين﴾** بحافظين، أَيْ: ليست خزائنه بأيديكم.

﴿٢٣﴾ **﴿وإنا لنحن نحيي ونميت ونحن الوارثون﴾** إذا مات جميع الخلائق.

﴿٢٤﴾ **﴿ولقد علمنا المستقدمين...﴾** الآية. حضَّ رسول الله ﷺ علىٰ الصَّف الأوَّل في الصَّلاة، فازدحم النَّاس عليه، فأنزل الله سبحانه هذه الآية[1]. يقول: قد علمنا جميعهم، وإنَّما نجزيهم علىٰ نيَّاتهم.

﴿٢٦﴾ **﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾** آدم **﴿من صلصال﴾** طينٍ منتنٍ **﴿من حمأ﴾** طينٍ أسود **﴿مسنون﴾** متغيِّر الرَّائحة.

﴿٢٧﴾ **﴿والجانَّ﴾** أبا الجنِّ **﴿خلقناه من قبل﴾** خَلْقِ آدم **﴿من نار السموم﴾** وهي نارٌ لا دخان لها.

﴿٢٩﴾ **﴿فإذا سويته﴾** عدَّلت صورته **﴿ونفخت فيه﴾** وأجريت فيه **﴿من روحي﴾** المخلوقة لي **﴿فقعوا﴾** فخرُّوا **﴿له ساجدين﴾** سجود تحيَّةٍ. وقوله:

---

(١) هذا قول الربيع بن أنس، ذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٣٠٦.

وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾

﴿٣٥﴾ ﴿**وإنَّ عليك اللعنة...**﴾ الآية. يقول: يلعنك أهل السَّماء وأهل الأرض إلىٰ يوم الجزاء، فتحصل حينئذٍ من عذاب النَّار. وقوله:

﴿٣٨﴾ ﴿**إلىٰ يوم الوقت المعلوم**﴾ يعني: النَّفخة الأولىٰ حين يموت الخلائق.

﴿٣٩﴾ ﴿**قال رب بما أغويتني**﴾ أَيْ: بسبب إغوائك إيَّاي ﴿**لأُزَيِّنَنَّ لهم**﴾ لأولاد آدم الباطل حتىٰ يقعوا فيه.

﴿٤٠﴾ ﴿**إلاَّ عبادك منهم المخلصين**﴾ أَيْ: المُوحِّدين المؤمنين الذي أخلصوا دينهم عن الشِّرك.

﴿٤١﴾ ﴿**قال هذا صراط عليّ**﴾ هذا طريق عليَّ ﴿**مستقيم**﴾ مرجعه إليَّ، فأجازي كلاًّ بأعمالهم. يعني: طريق العبوديَّة.

﴿٤٢﴾ ﴿**إنَّ عبادي**﴾ يعني: الذين هداهم واجتباهم ﴿**ليس لك عليهم سلطانٌ**﴾ قوَّةٌ وحجَّةٌ في إغوائهم، ودعائهم إلىٰ الشِّرك والضَّلال.

﴿٤٣﴾ ﴿**وإنَّ جهنم لموعدهم أجمعين**﴾ يريد: إبليس ومَنْ تبعه من الغاوين.

﴿٤٤﴾ ﴿**لها**﴾ لجهنم ﴿**سبعة أبواب**﴾ سبعة أطباقٍ، طبقٌ فوق طبقٍ ﴿**لكلِّ باب منهم**﴾ من أتباع إبليس ﴿**جزء مقسوم**﴾.

﴿٤٥﴾ ﴿**إنَّ المتقين**﴾ للفواحش والكبائر ﴿**في جنات وعيون**﴾ يعني: عيون الماء والخمر. يقال لهم:

ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ۞ نَبِّئْ عِبَادِىٓ أَنِّىٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِى هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِىَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا۟ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾

---

(٤٦) ﴿ادخلوها بسلامٍ﴾ بسلامةٍ ﴿آمنين﴾ من سخط الله سبحانه وعذابه.

(٤٧) ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ﴾ ذكرناه في سورة الأعراف(١). ﴿إخواناً﴾ متآخين ﴿على سرر﴾ جمع سرير ﴿متقابلين﴾ لا يرىٰ بعضهم قفا بعض.

(٤٨) ﴿لا يمسهم﴾ لا يصيبهم ﴿فيها نصب﴾ إعياءٌ.

(٤٩) ﴿نبىء عبادي﴾ أخبر أوليائي ﴿أني أنا الغفور﴾ لأوليائي ﴿الرحيم﴾ بهم.

(٥٠) ﴿وأنَّ عذابي هو العذاب الأليم﴾ لأعدائي.

(٥١) ﴿ونبئهم عن ضيف إبراهيم﴾ يعني: الملائكة الذين أتوه في صورة الأضياف.

(٥٢) ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً﴾ سلَّموا سلاماً ف﴿قال﴾ إبراهيم: ﴿إنَّا منكم وجلون﴾ فزِعُون.

(٥٣) ﴿قالوا: لا توجل﴾: لا تفزع. وقوله:

(٥٤) ﴿علىٰ أن مسَّني الكبر﴾ أيْ: علىٰ حالة الكبر ﴿فبم تبشرون﴾ استفهامُ تعجُّبٍ كأنَّه عجب من الولد علىٰ كبره.

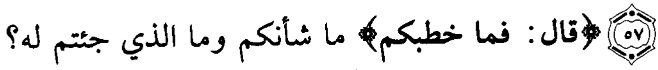
(٥٥) ﴿قالوا بشرناك بالحق﴾ بما قضاه الله أن يكون ﴿فلا تكن من القانطين﴾ الآيسين.

(٥٦) ﴿قال: ومَنْ يقنط﴾ ييئس ﴿من رحمة ربِّه إلاَّ الضالون﴾ المكذِّبون.

---

(١) انظر ص ٣٩٤.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا
لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ
الْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾
وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ
أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ



(٥٧) ﴿قال: فما خطبكم﴾ ما شأنكم وما الذي جئتم له؟

(٥٨) ﴿قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين﴾ يعني: قوم لوط.

(٥٩) ﴿إلاَّ آل لوط﴾ أتباعه الذين كانوا علىٰ دينه. وقوله:

(٦٠) ﴿قدَّرنا﴾ قضينا ودبَّرنا أنَّها تتخلَّف وتبقىٰ مع مَنْ بقي حتىٰ تهلك. وقوله:

(٦٢) ﴿منكرون﴾ أَيْ: غير معروفين.

(٦٣) ﴿قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون﴾ بالعذاب الذي كانوا يشكُّون في نزوله.

(٦٤) ﴿وأتيناك بالحق﴾ بالأمر الثَّابت الذي لا شكَّ فيه من عذاب قومك.

(٦٥) ﴿فأسر بأهلك﴾ مُفسَّرٌ في سورة هود[1]. ﴿واتبع أدبارهم﴾ امش على آثارهم بيناتك وأهلك لئلا يتخلَّف منهم أحدٌ ﴿ولا يلتفت منكم أحد﴾ لئلا يرىٰ عظيم ما ينزل بهم من العذاب ﴿وامضوا حيث تؤمرون﴾ حيث يقول لكم جبريل عليه السَّلام.

(٦٦) ﴿وقضينا إليه﴾ أوحينا إليه وأخبرناه ﴿ذلك الأمر﴾ الذي أخبرته الملائكة إبراهيم من عذاب قومه وهو ﴿أنَّ دابر هؤلاء﴾ أَيْ: أواخر مَنْ تبقَّىٰ منهم ﴿مقطوع﴾

---

(١) انظر ص ٥٢٩.

مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾

مُهلَكٌ ﴿مصبحين﴾ داخلين في وقت الصُّبح. يريد: إنَّهم مهلكون هلاك الاستئصال في ذلك الوقت.

﴿٦٧﴾ ﴿وجاء أهل المدينة﴾ مدينة قوم لوط، وهي سذوم ﴿يستبشرون﴾ يفرحون طمعاً منهم في ركوب المعاصي والفاحشة حيث أُخبروا أنَّ في بيت لوطٍ مُرداً حساناً، فقال لهم لوط:

﴿٦٨﴾ ﴿إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون﴾ عندهم بقصدكم إيَّاهم، فيعلموا أنَّه ليس لي عندكم قدرٌ.

﴿٦٩﴾ ﴿واتقوا الله ولا تخزون﴾ مذكورٌ في سورة هود[١].

﴿٧٠﴾ ﴿قالوا أَوَلَمْ ننهك عن العالمين﴾ عن ضيافتهم؛ لأنَّا نريد منهم الفاحشة، وكانوا يقصدون بفعلهم الغرباء.

﴿٧١﴾ ﴿قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ هذا الشَّأن. يعني: اللَّذة وقضاء الوطر. يقول: عليكم بتزوجهنَّ، أراد أن يقي أضيافه ببناته.

﴿٧٢﴾ ﴿لعمرك﴾ بحياتك يا محمد ﴿إنهم﴾ إنَّ قومك ﴿لفي سكرتهم يعمهون﴾ في ضلالتهم يتمادون. وقيل: يعني: قوم لوط.

﴿٧٣﴾ ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صاح بهم جبريل عليه السَّلام صيحةً أهلكتهم ﴿مشرقين﴾ داخلين في وقت شروق الشَّمس، وذلك أنَّ تمام الهلاك كان مع الإشراق. وقوله:

---

(١) انظر ص ٥٢٨.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَإِن كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ﴿٨٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿٧٥﴾ ﴿**للمتوسمين**﴾ أي: المُتفرِّسين[1] المُتثبِّتين في النَّظر حتىٰ يعرفوا حقيقة سمة الشَّيء.

﴿٧٦﴾ ﴿**وإنها**﴾ يعني: مدينة قوم لوط ﴿**لبسبيل مقيم**﴾ على طريق قومك إلى الشَّام، وهو طريقٌ لا يندرس ولا يخفىٰ.

﴿٧٧﴾ ﴿**إنَّ في ذلك لآية للمؤمنين**﴾ لعبرةً للمصدِّقين. يعني: إنَّ المؤمنين اعتبروا بها.

﴿٧٨﴾ ﴿**وإن كان أصحاب الأيكة**﴾ قوم شعيب، وكانوا أصحاب غياضٍ وأشجار.

﴿٧٩﴾ ﴿**فانتقمنا منهم**﴾ بالعذاب. أخذهم الحرُّ أيّاماً، ثمَّ اضطرم عليهم المكان ناراً فهلكوا. ﴿**وإنَّهما**﴾ يعني: الأيكة ومدينة قوم لوطٍ ﴿**لبإمامٍ مبين**﴾ لبطريقٍ واضحٍ.

﴿٨٠﴾ ﴿**ولقد كذَّب أصحاب الحجر**﴾ يعني: قوم ثمود، والحِجر اسم واديهم ﴿**المرسلين**﴾ يعني: صالحاً، وذلك أنَّ مَنْ كذَّب نبيّاً فقد كذَّب جميع الرُّسل.

﴿٨١﴾ ﴿**وآتيناهم آياتنا**﴾ يعني: ما أظهر لهم من الآيات في النَّاقة.

﴿٨٢﴾ ﴿**وكانوا ينحتون من الجبال بيوتاً**﴾ لطول عمرهم كان لا يبقىٰ معهم السُّقوف، فاتَّخذوا كهوفاً من الجبال بيوتاً ﴿**آمنين**﴾ من أن يقع عليهم.

﴿٨٣﴾ ﴿**فأخذتهم الصيحة**﴾ صيحة العذاب ﴿**مصبحين**﴾ حين دخلوا في وقت الصُّبح.

---

(١) عن أبي سعيد الخدري أنَّ رسول الله ﷺ قال: اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنَّه ينظر بنور الله، ثم قرأ: ﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ للمتوسمين﴾. أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣١٢٥، وفيه عطية العوفي، وهو ضعيف، وابن جرير ١٤/٤٦.

فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

﴿٨٤﴾ **﴿فما أغنىٰ عنهم﴾** ما دفع العذاب **﴿ما كانوا يكسبون﴾** من الأموال والأنعام.

﴿٨٥﴾ **﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلَّا بالحق﴾** أي: للثَّواب والعقاب. أُثيب مَنْ آمن بي وصدَّق رسلي، وأعاقب مَنْ كفر بي، والموعد لذلك السَّاعة، وهو قوله تعالىٰ: **﴿وإنَّ الساعة لآتية﴾** أَيْ: إنَّ القيامة تأتي، فيجازىٰ المشركون بقبيح أعمالهم **﴿فاصفح﴾** عنهم **﴿الصفح الجميل﴾** أَيْ: أعرض إعراضاً بغير فحشٍ ولا جزعٍ.

﴿٨٦﴾ **﴿إن ربك هو الخلاق العليم﴾** بما خلق.

﴿٨٧﴾ **﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني﴾** يعني: الفاتحة[1]، وهي سبع آيات، وتثنىٰ في كلِّ صلاةٍ. امتنَّ الله على رسوله ﷺ بهذه السُّورة، كما امتنَّ عليه بجميع القرآن حين قال: **﴿والقرآن العظيم﴾** أي: العظيم القدر.

﴿٨٨﴾ **﴿لا تمدنَّ عينيك إلىٰ ما متعنا به﴾** نُهي رسول الله ﷺ عن الرَّغبة في الدُّنيا، فحظر عليه أن يمدَّ عينيه إليها رغبةً فيها. وقوله: **﴿أزواجاً منهم﴾** أَيْ: أصنافاً من الكفَّار، كالمشركين، واليهود، وغيرهم. يقول: لا تنظر إلىٰ ما متَّعناهم به في الدُّنيا **﴿ولا تحزن عليهم﴾** إن لم يؤمنوا **﴿واخفض جناحَكَ للمؤمنين﴾** ليِّن جانبك وارفق بهم.

---

(١) في حديث أبي سعيد بن المعلَّى: قال رسول الله ﷺ: «الحمد لله ربِّ العالمين» هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته. أخرجه النسائي في تفسيره ١/ ٦٣٤؛ وابن جرير ١٤/ ٥٥؛ والحاكم ٢/ ٣٥٥؛ وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقرَّه الذهبي.

وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾

﴿٨٩﴾ **﴿وقل إني أنا النذير المبين﴾** أنذركم عذاب الله سبحانه، وأُبيِّن لكم ما يقرِّبكم إليه.

﴿٩٠﴾ **﴿كما أنزلنا﴾** أَيْ: عذابنا **﴿علىٰ المقتسمين﴾** وهم الذين اقتسموا طرق مكة[1] يصدُّون الناس عن الإيمان بمحمدٍ ﷺ، فأنزل الله تعالىٰ بهم خزياً، فماتوا شرَّ ميتةٍ.

﴿٩١﴾ **﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾** جزَّؤوه أجزاءً، فقالوا: سحرٌ، وقالوا: أساطير الأولين، وقالوا: مفترى.

﴿٩٢﴾ **﴿فوربك لنسألنهم أجمعين﴾**.

﴿٩٣﴾ **﴿عما كانوا يعملون﴾** أَيْ: يفترون من القول في القرآن. يريد: لنسألنَّهم سؤال توبيخٍ وتقريعٍ.

﴿٩٤﴾ **﴿فاصدع بما تؤمر﴾** يقول: أَظهِرْ ما تؤمر، واجهر بأمرك، **﴿وأعرض عن المشركين﴾** لا تُبالِ بهم، ولم يزل النبيُّ ﷺ مستخفياً حتىٰ نزلت هذه الآية.

﴿٩٥﴾ **﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾** وكانوا خمسة نفرٍ[2]: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، وعدي بن قيس، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، سلَّط الله

---

(١) وهذا قول الفرَّاء في معاني القرآن ٢/ ٩١.

(٢) انظر: السير والمغازي لابن إسحاق ص ٢٧٣؛ وغرر التبيان ص ١٨٦؛ ومفحمات الأقران ص ١٣٠.

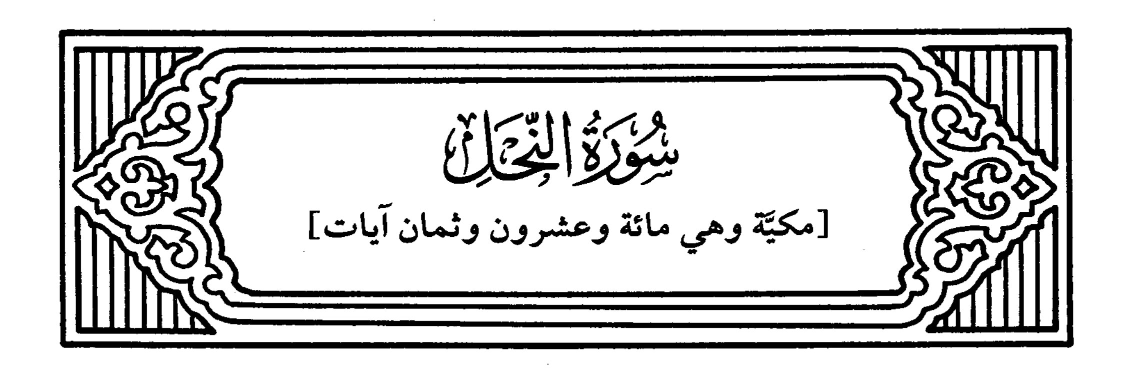
ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾

سبحانه عليهم جبريل عليه السَّلام حتىٰ قتل كلَّ واحدٍ منهم بآفةٍ، وكفىٰ نبيه عليه السَّلام شرَّهم.

﴿٩٨﴾ ﴿فسبح بحمد ربك﴾ قل: سبحان الله وبحمده ﴿وكن من الساجدين﴾ المصلِّين.

﴿٩٩﴾ ﴿واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين﴾ أَي: الموت.

• • •



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) **﴿أتىٰ أمر الله﴾** أيْ: عذابه لمَنْ أقام علىٰ الشِّرك، أيْ: قد قَرُبَ ذلك **﴿فلا تستعجلوه﴾** فإنَّه نازلٌ بكم لا محالة **﴿سبحانه﴾** براءةٌ له من السُّوء **﴿وتعالىٰ﴾** ارتفع بصفاته **﴿عما يشركون﴾** عن إشراكهم.

(٢) **﴿ينزل الملائكة﴾** يعني: جبريل عليه السَّلام وحده **﴿بالروح﴾** بالوحي **﴿من أمره﴾** والوَحْيُ من أمر الله سبحانه **﴿علىٰ مَنْ يشاء من عباده﴾** يريد: النَّبيِّين الذين يختصُّهم بالرِّسالة **﴿أن أنذروا﴾** بدلٌ من الرُّوح، أيْ: أعلموا أهل الكفر **﴿أنه لا إلٰه إلاَّ أنا﴾** مع تخويفهم إنْ لم يقرُّوا **﴿فاتقون﴾** بالتَّوحيد والطَّاعة، ثمَّ ذكر ما يدلُّ على توحيده، فقال:

(٣) **﴿خلق السموات. . .﴾** الآية.

(٤) **﴿خلق الإنسان من نطفة﴾** يعني: أُبـيَّ بن خلف **﴿فإذا هو خصيم﴾** مخاصمٌ **﴿مبين﴾** ظاهرُ الخصومة، وذلك أنَّه خاصم النبـيَّ ﷺ في إنكاره البعث. وقوله:

وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾

---

(٥) ﴿**لكم فيها دفء**﴾ يعني: ما تستدفئون به من الأكسية والأبنية من أشعارها وأصوافها وأوبارها ﴿**ومنافع**﴾ من النَّسل والدَّرِّ والرُّكوب.

(٦) ﴿**ولكم فيها جمال**﴾ زينةٌ ﴿**حين تريحون**﴾ تردُّونها إلى مَراحها بالعشايا ﴿**وحين تسرحون**﴾ تخرجونها إلى المرعىٰ بالغداة.

(٧) ﴿**وتحمل أثقالكم**﴾ أمتعتكم ﴿**إلى بلد**﴾ لو تكلَّفتم بلوغه على غير الإبل لشقَّ عليكم، والشِّقُّ: المشقَّة ﴿**إنَّ ربكم لرؤوف رحيم**﴾ حيث منَّ عليكم بهذه المرافق. وقوله:

(٨) ﴿**ويخلق ما لا تعلمون**﴾ لم يُسمِّه، فالله أعلم به.

(٩) ﴿**وعلى الله قصد السبيل**﴾ أَي: الإِسلام والطَّريق المستقيم يُؤدِّي إلى رضا الله تعالىٰ، كقوله: ﴿هذا صراط عليَّ مستقيم﴾[1]. ﴿**ومنها**﴾ ومن السَّبيل ﴿**جائر**﴾ عادلٌ مائل كاليهوديَّة والنَّصرانية ﴿**ولو شاء لهداكم**﴾ أرشدكم ﴿**أجمعين**﴾ حتىٰ لا تختلفوا في الدِّين، وقوله:

(١٠) ﴿**ومنه شجر**﴾ يعني: ما ينبت بالمطر، وكلُّ ما ينبت على الأرض فهو شجر ﴿**فيه تسيمون**﴾ ترعون مواشيكم. وقوله:

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤١.

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾

﴿١٣﴾ **﴿وما ذرأ لكم﴾** أَيْ: وسخَّر لكم ما خلق في الأرض **﴿مختلفاً ألوانه﴾** أَيْ: هيئته ومناظره. يعني: الدَّوابَّ والأشجار وغيرهما.

﴿١٤﴾ **﴿وهو الذي سخر البحر﴾** ذلَّله للرُّكوب والغوص **﴿لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾** السَّمك والحيتان **﴿وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾** الدُّرَّ والجواهرَ **﴿وترىٰ الفلك﴾** السُّفن **﴿مواخر فيه﴾** شواقّ للماء تدفعه بِجُؤْجُئِها[1] بصدرها **﴿ولتبتغوا من فضله﴾** لتركبوه للتِّجارة، فتطلبوا الرِّبح من فضل الله.

﴿١٥﴾ **﴿وألقىٰ في الأرض رواسي﴾** جبالاً ثابتةً **﴿أن تميد﴾** لئلا تميد، أَيْ: لا تتحرَّك **﴿بكم وأنهاراً﴾** وجعل فيها أنهاراً كالنِّيل والفرات ودجلة **﴿وسبلاً﴾** وطرقاً إلى كلِّ بلدةٍ **﴿لعلكم تهتدون﴾** إلىٰ مقاصدكم من البلاد، فلا تضلُّوا.

﴿١٦﴾ **﴿وعلامات﴾** يعني الجبال، وهي علاماتُ الطُّرق بالنَّهار **﴿وبالنجم﴾** يعني: جميع النُّجوم **﴿هم يهتدون﴾** إلى الطُّرق والقِبلة في البرِّ والبحر.

﴿١٧﴾ **﴿أفمن يخلق﴾** يعني: ما ذُكر في هذه السُّورة، وهو الله تعالى **﴿كمَنْ لا يخلق﴾** يعني: الأوثان. يقول: أَهما سواءٌ حتىٰ يسوَّىٰ بينهما في العبادة؟ **﴿أفلا تذكرون﴾** أفلا تتَّعظون كما اتَّعظ المؤمنون.

---

(١) جؤجؤ السَّفينة والطائر: صدرهما. اللسان: جأجأ.

وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم

﴿١٨﴾ **﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾** مرَّ تفسيره[1]. **﴿إنَّ الله لغفور﴾** لتقصيركم في شكر نعمه **﴿رحيم﴾** بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم. وقوله:

﴿٢١﴾ **﴿أموات﴾** أَيْ: هي أمواتٌ لا روح فيها. يعني: الأصنام **﴿غير أحياء﴾** تأكيد **﴿وما يشعرون أيان يبعثون﴾** وذلك أنَّ الله سبحانه يبعث الأصنام لها أرواحٌ، فيتبرَّؤون من عابديهم، وهي في الدُّنيا جماد لا تعلم متىٰ تُبعث. وقوله:

﴿٢٢﴾ **﴿إلٰهكم﴾** ذكر الله سبحانه دلائل وحدانيته، ثمَّ أخبر أنَّه واحد، ثمَّ أتبع هذا إنكار الكفَّار وحدانيَّته بقوله: **﴿فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة﴾** جاحدةٌ غير عارفة **﴿وهم مستكبرون﴾** ممتنعون عن قبول الحقِّ.

﴿٢٣﴾ **﴿لا جرم﴾** حقاً **﴿أنَّ الله يعلم ما يسرون وما يعلنون...﴾** الآية. أَيْ: يُجازيهم بذلك **﴿إنه لا يحب المستكبرين﴾** لا يمدحهم ولا يُثيبهم.

﴿٢٤﴾ **﴿وإذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾** الآية نزلت في النَّضر بن الحارث، وذكرنا قصَّته.

﴿٢٥﴾ **﴿ليحملوا أوزارهم﴾** هذه لام العاقبة؛ لأنَّ قولهم للقرآن: أساطير الأولين، أدَّاهم إلى أن حملوا أوزارهم كاملة لم يُكفَّر منها شيء بنكبةٍ أصابتهم في الدُّنيا لكفرهم. **﴿ومن أوزار الذين يضلونهم﴾** لأنَّهم كانوا دعاةَ الضَّلالة، فعليهم مثل أوزار من

---

(١) انظر ص ٥٨٤.

بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَـٰٓقُّونَ فِيهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٧﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾

اتَّبعهم، وقوله: ﴿**بغير علم**﴾ أَيْ: يضلُّونهم جهلاً منهم بما كانوا يكسبون من الإثم، ثمَّ ذمَّ صنيعهم فقال: ﴿**ألا ساء ما يزرون**﴾ أَيْ: يحملون.

﴿٢٦﴾ ﴿**قد مكر الذين من قبلهم**﴾ وهو نمروذ بنىٰ صرحاً طويلاً، ليصعد منه إلىٰ السَّماء فيقاتل أهلها ﴿**فأتىٰ الله**﴾ فأتىٰ أمر الله، وهو الرِّيح وخَلْقُ الزَّلزلة ﴿**بنيانهم**﴾ بناءهم ﴿**من القواعد**﴾ من أساطين البناء التي يعمده، وذلك أنَّ الزَّلزلة خُلقت فيها حتىٰ تحرَّكت بالبناء فهدمته، وهو قوله: ﴿**فخرَّ عليهم السقف من فوقهم**﴾ يعني: وهم تحته ﴿**وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون**﴾ من حيث ظنُّوا أنَّهم في أمانٍ منه.

﴿٢٧﴾ ﴿**ثم يوم القيامة يخزيهم**﴾ يُذلُّهم ﴿**ويقول أين شركائي**﴾ أَي: الذين في دعواكم أنَّهم شركائي، أين هم ليدفعوا العذاب عنكم ﴿**الذين كنتم تشاقون**﴾ تخالفون المؤمنين ﴿**فيهم قال الذين أوتوا العلم**﴾ وهم المؤمنون يقولون حين يرون خزي الكفَّار في القيامة: ﴿**إنَّ الخزي اليوم والسوء**﴾ عليهم لا علينا.

﴿٢٨﴾ ﴿**الذين تتوفاهم الملائكة**﴾ مرَّ تفسيره في سورة النِّساء[1]. وقوله: ﴿**فألقوا السلم**﴾ أَي: انقادوا واستسلموا عند الموت، وقالوا: ﴿**ما كنا نعمل من سوء**﴾ شرك، فقالت الملائكة: ﴿**بلىٰ إنَّ الله عليمٌ بما كنتم تعملون**﴾ من الشِّرك والتَّكذيب، ثم قيل لهم:

(١) انظر ص ٢٨٤.

فَادْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا۟ خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ

﴿٢٩﴾ **﴿فادخلوا أبواب جهنم...﴾** الآية. وقوله: **﴿فلبئس مثوىٰ﴾** مقام **﴿المتكبرين﴾** عن التَّوحيد وعبادة الله سبحانه.

﴿٣٠﴾ **﴿وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم﴾** هذا كان في أيَّام الموسم، يأتي الرَّجل مكَّة فيسأل المشركين عمَّا أنزل على محمد ﷺ؟ فيقولون: أساطير الأولين، ويسأل المؤمنين عن ذلك فيقولون: **﴿خيراً﴾** أَيْ: ثواباً لمَنْ آمن بالله، ثمَّ فسَّر ذلك الخير فقال: **﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾** قالوا: لا إلٰه إلَّا الله ثوابٌ مضاعف **﴿ولدار الآخرة﴾** وهي الجنَّة **﴿خير﴾** من الدُّنيا وما فيها.

﴿٣٢﴾ **﴿الذين تتوفاهم الملائكة طيبين﴾** طاهرين من الشِّرك.

﴿٣٣﴾ **﴿هل ينظرون إلَّا أن تأتيهم الملائكة﴾** لقبض أرواحهم **﴿أو يأتي أمر ربك﴾** بالقتل، والمعنىٰ: هل يكون مدَّة إقامتهم على الكفر إلَّا مقدار حياتهم إلىٰ أن يموتوا أو يُقتلوا **﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾** وهو التَّكذيب، يعني: كفَّار الأمم الخالية **﴿وما ظلمهم الله﴾** بتعذيبهم **﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** بإقامتهم على الشِّرك.

﴿٣٤﴾ **﴿فأصابهم﴾** هذا مؤخَّر في اللَّفظ، ومعناه التَّقديم؛ لأنَّ التَّقدير: كذلك فعل الذين من قبلهم فأصابهم، الآية، ثمَّ يقول: **﴿وما ظلمهم الله...﴾** الآية. ومعنىٰ: أصابهم **﴿سيئات ما عملوا﴾** أَيْ: جزاؤها **﴿وحاق﴾** أحاط **﴿بهم ما كانوا به

يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ

يَسْتهزئون﴾ من العذاب.

﴿٣٥﴾ **﴿وقال الذين أشركوا﴾** يعني: أهل مكَّة: **﴿لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء﴾** أَيْ: ما أشركنا، ولكنَّه شاءه لنا **﴿ولا حرَّمنا من دونه من شيء﴾** أَيْ: من السَّائبة والبحيرة، وإنَّما قالوا هذا استهزاءً. قال الله تعالىٰ: **﴿كذلك فعل الذين من قبلهم﴾** أَيْ: من تكذيب الرُّسل، وتحريم ما أحلَّ الله **﴿فهل على الرسل إلاَّ البلاغ المبين﴾** أَيْ: ليس عليهم إلاَّ التَّبليغ، وقد بلَّغتَ يا محمَّدُ، وبلَّغوا، فأمَّا الهداية فهي إلى الله سبحانه وتعالىٰ، وقد حقَّق هذا فيما بعد، وهو قوله:

﴿٣٦﴾ **﴿ولقد بعثنا في كلِّ أمة رسولاً﴾** كما بعثناك في هؤلاء **﴿أن اعبدوا الله﴾** بأن اعبدوا الله **﴿واجتنبوا الطاغوت﴾** الشيطان وكلَّ من يدعو إلى الضلاَّلة **﴿فمنهم مَنْ هدىٰ الله﴾** أرشده **﴿ومنهم مَنْ حقَّت﴾** وجبت **﴿عليه الضلالة﴾** الكفر بالقضاء السابق **﴿فسيروا في الأرض﴾** معتبرين بآثار الأمم المكذِّبة، ثمَّ أكَّد أنَّ مَنْ حقَّت عليه الضَّلالة لا يهتدي، وهو قوله:

﴿٣٧﴾ **﴿إن تحرص على هداهم﴾** أَيْ: تطلبها بجهدك **﴿فإنَّ الله لا يهدي مَنْ يضل﴾** كقوله: ﴿من يُضللِ اللَّهُ فلا هادي له﴾(١).

﴿٣٨﴾ **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾** أغلظوا في الأيمان تكذيباً منهم بقدرة الله على

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٦.

لَا يَبْعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَٰذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَأَنزَلْنَآ

البعث، فقال الله تعالىٰ: ﴿بلىٰ﴾ ليبعثنّهم ﴿وعداً عليه حقاً﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿ليبيِّن لهم﴾ بالبعث ما اختلفوا فيه من أمره، وهو أنَّهم ذهبوا إلى خلاف ما ذهب إليه المؤمنون ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ ثمَّ أعلمهم سهولة خلق الأشياء عليه بقوله:

﴿٤٠﴾ ﴿إنما قولنا لشيء...﴾ الآية.

﴿٤١﴾ ﴿والذين هاجروا﴾ نزلت في قوم[1] عذَّبهم المشركون بمكَّة إلىٰ أن هاجروا، وقوله: ﴿في الله﴾ أيْ: في رضا الله ﴿لنبوئنهم في الدنيا حسنة﴾ داراً وبلدةً حسنةً، وهي المدينة ﴿ولأجر الآخرة﴾ يعني: الجنَّة.

﴿٤٢﴾ ﴿الذين صبروا﴾ على أذىٰ المشركين وهم في ذلك واثقون بالله تعالى مُتوكِّلون عليه.

﴿٤٣﴾ ﴿وما أرسلنا من قبلك﴾ ذكرنا تفسيره في آخر سورة يوسف[2]. وقوله: ﴿فاسألوا أهل الذكر﴾ يعني: أهل التَّوراة فيخبرونكم أنَّ الأنبياء كلَّهم كانوا بشراً.

﴿٤٤﴾ ﴿بالبينات﴾ أيْ: أرسلناهم بالبيِّنات بالحجج الواضحة ﴿والزبر﴾ الكتب ﴿وأنزلنا

---

(١) وهم بلال، وصهيب، وخبَّاب، وعمَّار، وأبو جندل بن سهيل، وجبر. أسباب النزول ص ٣٢٢؛ وغرر التبيان ص ١٩٠.

(٢) انظر ص ٥٦٢.

إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَـٰلُهُۥ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَٰخِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن

إليك الذكر﴾ القرآن ﴿لتبين للناس ما نزل إليهم﴾ في هذا الكتاب من الحلال والحرام، والوعد والوعيد ﴿ولعلهم يتفكرون﴾ في ذلك فيعتبرون.

﴿٤٥﴾ ﴿أفأمن الذين مكروا السيئات﴾ عملوا بالفساد، يعني: عبادة الأوثان، وهم مشركو مكَّة ﴿أن يخسف الله بهم الأرض﴾ كما خسف بقارون ﴿أو يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ أَيْ: من حيث يأمنون، فكان كذلك؛ لأنَّهم أُهلكوا يوم بدر، وما كانوا يُقدِّرون ذلك.

﴿٤٦﴾ ﴿أو يأخذهم في تقلبهم﴾ للسَّفر والتِّجارة ﴿فما هم بمعجزين﴾ بممتنعين على الله.

﴿٤٧﴾ ﴿أو يأخذهم على تخوّف﴾ علىٰ تنقُّص، وهو أن يأخذ الأوَّل حتىٰ يأتي الأخذ على الجميع ﴿فإنَّ ربكم لرؤوف رحيم﴾ إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة.

﴿٤٨﴾ ﴿أَوَلَمْ يروا إلى ما خلق الله من شيء﴾ له ظلٌّ من جبلٍ وشجرٍ وبناءٍ ﴿يتفيّأ﴾ يتميَّل ﴿ظلاله عن اليمين والشمائل﴾ في أوَّل النَّهار عن اليمين، وفي آخره عن الشِّمال إذا كنت مُتوجِّهاً إلى القبلة ﴿سجداً لله﴾ قال المُفسِّرون: ميلانها سجودها، وهذا كقوله: ﴿وظلالهم بالغدو والآصال﴾(١) وقد مرَّ(٢). ﴿وهم داخرون﴾ صاغرون يفعلون ما يُراد منهم. يعني: هذه الأشياء التي ذكرها أنَّها تسجد لله.

﴿٤٩﴾ ﴿ولله يسجد﴾ أَيْ: يخضع وينقاد بالتَّسخير ﴿ما في السموات وما في الأرض من

---

(١) سورة الرعد: الآية ١٥.

(٢) انظر ص ٥٦٨.

دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴿٥١﴾ وَلَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلدِّينُ وَاصِبًا ۚ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَتَّقُونَ ﴿٥٢﴾ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ

دابة﴾ يريد: كلَّ ما دبَّ على الأرض ﴿والملائكة﴾ خصَّهم بالذِّكر تفضيلاً ﴿وهم لا يستكبرون﴾ عن عبادة الله تعالىٰ. يعني: الملائكة.

﴿٥٠﴾ ﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ يعني: الملائكة، هم فوق ما في الأرض من دابَّة، ومع ذلك يخافون الله، فلأَنْ يخاف مَنْ دونهم أولىٰ. ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ يعني: الملائكة. وقوله:

﴿٥٢﴾ ﴿وله الدين واصباً﴾ دائماً، أَيْ: طاعته واجبةٌ أبداً. ﴿أفغير الله﴾ الذي خلق كلَّ شيء، وأمر أن لا تتَّخذوا معه إلٰهاً ﴿تتقون﴾.

﴿٥٣﴾ ﴿وما بكم من نعمة﴾ من صحَّة جسمٍ، أو سعةِ رزقٍ، أو إمتاعٍ بمالٍ وولدٍ، فكلُّ ذلك من الله، ﴿ثمَّ إذا مسكم الضرُّ﴾ الأسقام والحاجة ﴿فإليه تجأرون﴾ ترفعون أصواتكم بالاستغاثة.

﴿٥٤﴾ ﴿ثمَّ إذا كشف الضر عنكم﴾ يعني: مَنْ كفر بالله، وأشرك بعد كشف الضُّرَّ عنه.

﴿٥٥﴾ ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾ ليجحدوا نعمة الله فيما فعل بهم ﴿فتمتعوا﴾ أمر تهديد ﴿فسوف تعلمون﴾ عاقبة أمركم.

﴿٥٦﴾ ﴿ويجعلون﴾ يعني: المشركين ﴿لما لا يعلمون﴾ أَي: الأوثان التي لا علم لها ﴿نصيباً مما رزقناهم﴾ يعني: ما ذُكر في قوله: ﴿وهذا لشركائنا﴾[1]. ﴿تالله

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٣٦.

لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ ۙ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾

لتسألنَّ﴾ سؤال توبيخٍ ﴿عمَّا كنتم تفترون﴾ على الله من أنَّه أمركم بذلك.

﴿٥٧﴾ ﴿ويجعلون لله البنات﴾ يعني: خزاعة وكنانة، زعموا أنَّ الملائكة بنات الله، ثمَّ نزَّه نفسه فقال تعالىٰ: ﴿سبحانه﴾ تنزيهاً له عمَّا زعموا ﴿ولهم ما يشتهون﴾ يعني: البنين، وهذا كقولهم: ﴿أم له البنات...﴾[1] الآية.

﴿٥٨﴾ ﴿وإذا بشر أحدهم بالأنثىٰ﴾ أُخبر بولادة ابنةٍ ﴿ظلَّ﴾ صار ﴿وجهه مسودّاً﴾ متغيِّراً تغيُّرَ مغتمٍّ ﴿وهو كظيم﴾ ممتلىءٌ غمّاً.

﴿٥٩﴾ ﴿يتوارىٰ﴾ يختفي ويتغيب مقدّراً مع نفسه ﴿أيمسكه على هون﴾ أيستحييها علىٰ هوانٍ منه لها ﴿أم يدسُّه﴾ يخفيه ﴿في التراب﴾ فعل الجاهليَّة من الوأد ﴿ألا ساء﴾ بئس ﴿ما يحكمون﴾ أَيْ: يجعلون لمن يعترفون بأنَّه خالقهم البناتِ اللاتي محلهنَّ منهم هذا المحل، ونسبوه إلىٰ اتِّخاذ الأولاد، وجعلوا لأنفسهم البنين.

﴿٦٠﴾ ﴿للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء﴾ العذاب والنَّار ﴿ولله المثل الأعلىٰ﴾ الإخلاص والتَّوحيد، وهو شهادة أن لا إلّه إلاَّ الله.

﴿٦١﴾ ﴿ولو يؤاخذ الله الناس﴾ المشركين ﴿بظلمهم﴾ بافترائهم علىٰ الله تعالىٰ ﴿ما ترك عليها من دابة﴾ يعني: أحداً من المشركين ﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى﴾ وهو انقضاء عمرهم.

---

(١) سورة الطور: الآية ٣٩.

وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ﴿٦٢﴾ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾ وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً

﴿٦٢﴾ ﴿ويجعلون لله ما يكرهون﴾ لأنفسهم، وذلك هو البنات، أَيْ: يحكمون له به، ﴿وتصف ألسنتهم الكذب﴾ ثمَّ فسَّر ذلك الكذب بقوله: ﴿أنَّ لهم الحسنىٰ﴾ أي: الجنَّة والمعنىٰ: يصفون أنَّ لهم مع قبح قولهم الجنَّة إن كان البعث حقّاً، فقال الله تعالىٰ: ﴿لا﴾ أَيْ: ليس الأمر كما وصفوه ﴿جرم﴾ كسب قولهم هذا ﴿أنَّ لهم النار وأنَّهم مُفْرَطون﴾ متروكون فيها. وقيل: مُقدَّمون إليها. وقوله:

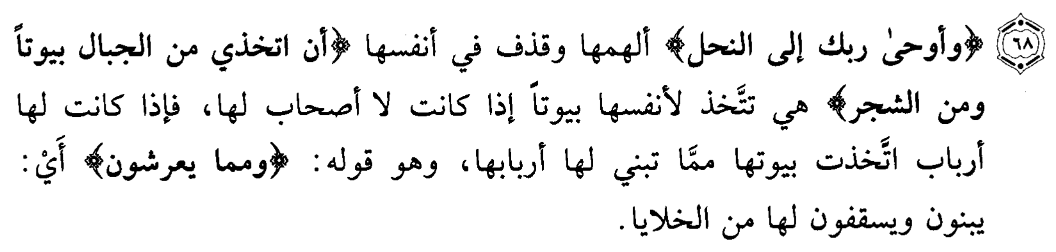
﴿٦٣﴾ ﴿فهو وليُّهم اليوم﴾ يعني: يوم القيامة، وأُطلق اسم اليوم عليه لشهرته. وقوله:

﴿٦٤﴾ ﴿لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ أَيْ: تُبيِّن للمشركين ما ذهبوا فيه إلىٰ خلاف ما يذهب إليه المسلمون، فتقوم الحجَّة عليهم ببيانك. وقوله: ﴿وهدىً﴾ أَيْ: والهداية والرَّحمة للمؤمنين. وقوله:

﴿٦٥﴾ ﴿والله أنزل﴾ ظاهرٌ إلىٰ قوله: ﴿يسمعون﴾ أَيْ: سماع اعتبار. يريد: إنَّ في ذلك دلالة على البعث.

﴿٦٦﴾ ﴿وإنَّ لكم في الأنعام لعبرة﴾ لدلالةً على قدرة الله تعالىٰ ووحدانيَّته ﴿نسقيكم مما في بطونه من بين فرث﴾ وهو سرجين الكرش ﴿ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين﴾ جائزاً في حلوقهم.

﴿٦٧﴾ ﴿ومن ثمرات﴾ أَيْ: ولكم منها ما ﴿تتخذون منه سكراً﴾ وهو الخمر. نزل هذا قبل تحريم الخمر ﴿ورزقاً حسناً﴾ وهو الخلُّ والزَّبيب والتَّمرُ ﴿إنَّ في ذلك لآية



لقومٍ يعقلون﴾ يريد: عقلوا عن الله تعالى ما فيه قدرته.

٦٨ ﴿وأوحىٰ ربك إلى النحل﴾ ألهمها وقذف في أنفسها ﴿أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر﴾ هي تتَّخذ لأنفسها بيوتاً إذا كانت لا أصحاب لها، فإذا كانت لها أرباب اتَّخذت بيوتها ممَّا تبني لها أربابها، وهو قوله: ﴿ومما يعرشون﴾ أيْ: يبنون ويسقفون لها من الخلايا.

٦٩ ﴿ثمَّ كلي من كلِّ الثمرات فاسلكي سبل ربك﴾ طرق ربِّك تطلب فيها الرَّعي ﴿ذللاً﴾ منقادة مُسخَّرة مطيعة ﴿يخرج من بطونها شراب﴾ وهو العسل ﴿مختلف ألوانه﴾ منه أحمر وأبيض وأصفر ﴿فيه﴾ في ذلك الشَّراب ﴿شفاء للناس﴾ من الأوجاع التي شفاؤها فيه.

٧٠ ﴿والله خلقكم﴾ ولم تكونوا شيئاً ﴿ثمَّ يتوفاكم﴾ عند انقضاء آجالكم ﴿ومنكم مَنْ يردُّ إلى أرذل العمر﴾ وهو أردؤه، يعني: الهرم ﴿لكيلا يعلم بعد علم شيئاً﴾ يصير كالصبيِّ الذي لا عقل له. قالوا: وهذا لا يكون للمؤمنين؛ لأنَّ المؤمن لا ينزع عنه علمه وإن كبر ﴿إنّ الله عليم﴾ بما يصنع ﴿قدير﴾ علىٰ ما يريد.

٧١ ﴿والله فضَّل بعضكم على بعض في الرزق﴾ حيث جعل بعضكم يملك العبيد، وبعضكم مملوكاً ﴿فما الذين فضلوا﴾ وهم المالكون ﴿برادي رزقهم﴾ بجاعلي رزقهم لعبيدهم، حتىٰ يكونوا عبيدهم معهم ﴿فيه سواء﴾ وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالىٰ للمشركين في تصييرهم عباد الله شركاء له، فقال: إذا لم يكن عبيدكم معكم

أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٧١﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٧٣﴾ فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾

سواء في الملك، فكيف تجعلون عبيدي معي سواء؟ ﴿**أفبنعمة الله يجحدون**﴾ حيث يتَّخذون معه شركاء.

﴿٧٢﴾ ﴿**والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً**﴾ يعني: النِّساء ﴿**وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة**﴾ يعني: ولد الولد ﴿**ورزقكم من الطيبات**﴾ من أنواع الثِّمار والحبوب والحيوان ﴿**أفبالباطل يؤمنون**﴾ يعني: الأصنام، ﴿**وبنعمة الله هم يكفرون**﴾ يعني: التَّوحيد.

﴿٧٣﴾ ﴿**ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السموات**﴾ يعني: الغيث الذي يأتي من جهتها ﴿**والأرض**﴾ يعني: النَّبات والثِّمار ﴿**شيئاً**﴾ أَيْ: قليلاً ولا كثيراً ﴿**ولا يستطيعون**﴾ لا يقدرون على شيء.

﴿٧٤﴾ ﴿**فلا تضربوا لله الأمثال**﴾ لا تشبِّهوه بخلقه، وذلك أنَّ ضرب المثل إنَّما هو تشبيه ذاتٍ بذاتٍ، أو وصفٍ بوصفٍ، والله تعالىٰ منزَّه عن ذلك ﴿**إنَّ الله يعلم**﴾ ما يكون قبل أن يكون ﴿**وأنتم لا تعلمون**﴾ قدر عظمته حيث أشركتم به.

﴿٧٥﴾ ﴿**ضرب الله مثلاً**﴾ بيَّن شبهاً فيه بيانٌ للمقصود، ثمَّ ذكر ذلك فقال: ﴿**عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء**﴾ لأنَّه عاجزٌ مملوكٌ لا يملك شيئاً، وهذا مثَلٌ ضربه الله لنفسه ولمَنْ عُبِدَ دونه. يقول: العاجز الذي لا يقدر أن ينفق، والمالك المقتدر علىٰ الإِنفاق لا يستويان، فكيف يُسوَّىٰ بين الحجارة التي لا تتحرَّك، وبين الله الذي هو علىٰ كلِّ شيء قدير، وهو رازقُ جميع خلقه، ثمَّ بيَّن أنَّه المستحقُّ للحمد دون ما يعبدون من دونه فقال: ﴿**الحمد لله**﴾ لأنَّه المنعم ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون**﴾

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ ٱلسَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ ٱلْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٧٧﴾ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ

يقول: هؤلاء المشركون لا يعلمون أنَّ الحمد لي؛ لأنَّ جميع النِّعم مني، والمراد بالأكثر ها هنا الجميع، ثمَّ ضرب مثلاً للمؤمن والكافر فقال:

(٧٦) ﴿**وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء**﴾ من الكلام، لأنَّه لا يَفْهم ولا يُفهم عنه ﴿**وهو كَلٌّ**﴾ ثِقْلٌ ووبالٌ ﴿**على مولاه**﴾ صاحبه وقريبه ﴿**أينما يوجهه**﴾ يرسله ﴿**لا يأت بخير**﴾ لأنَّه عاجزٌ لا يَفهم ما يقال له، ولا يُفهم عنه ﴿**هل يستوي هو**﴾ أَيْ: هذا الأبكم ﴿**ومَنْ يأمر بالعدل**﴾ وهو المؤمن يأمر بتوحيد الله سبحانه ﴿**وهو على صراط مستقيم**﴾ دينٍ مستقيمٍ، يعني: بالأبكم أُبيَّ بن خلف[1]، وكان كلاًّ على قومه؛ لأنَّه كان يؤذيهم، ومَن يأمر بالعدل حمزة بن عبد المطلب.

(٧٧) ﴿**ولله غيب السموات والأرض**﴾ أَيْ: علم ما غاب فيهما عن العباد ﴿**وما أمر الساعة**﴾ يعني: القيامة ﴿**إلاَّ كلمح البصر**﴾ كالنَّظر بسرعةٍ ﴿**أو هو أقرب**﴾ من ذلك إذا أردناه، يريد: إنه يأتي بها في أسرع من لمح البصر إذا أراده.

(٧٨) ﴿**والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً**﴾ أَيْ: غير عالمين ﴿**وجعل لكم السَّمْعَ والأبصار**﴾ أَيْ: خلق لكم الحواسَّ التي بها يعلمون، ويقفون على ما يجهلون.

(٧٩) ﴿**ألم يروا إلى الطير مسخرات**﴾ مذلَّلاتٍ ﴿**في جوِّ السماء**﴾ يعني: الهواء، وذلك

---

(١) انظر أسباب النزول ص ٣٢٣؛ وغرر التبيان ص ١٩١.

مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾

يدلُّ على مُسخِّرٍ سخَّرها، ومدبِّرٍ مكَّنها من التَّصرُّف ﴿**ما يُمسكهنَّ إلاَّ الله**﴾ في حال القبض والبسط والاصطفاف.

﴿٨٠﴾ ﴿**والله جعل لكم من بيوتكم سكناً**﴾ موضعاً تسكنون فيه، ويستر عوراتكم وحرمكم، وذلك أنَّه خلق الخشب والمدر والآلة التي يمكن بها تسقيف البيوت ﴿**وجعل لكم من جلود الأنعام**﴾ يعني: الأنطاع والأدم ﴿**بيوتاً**﴾ وهي القباب والخيام ﴿**تستخفونها يوم ظعنكم**﴾ يخفُّ عليكم حملها في أسفاركم ﴿**ويوم إقامتكم**﴾ لا يثقل عليكم في الحالتين ﴿**ومن أصوافها**﴾ يعني: الضَّأن ﴿**وأوبارها**﴾ يعني: الإبل ﴿**وأشعارها**﴾، وهي المعز ﴿**أثاثاً**﴾ طنافس وأكسية وبُسطاً ﴿**ومتاعاً**﴾ تتمتَّعون به ﴿**إلىٰ حين**﴾ البلىٰ.

﴿٨١﴾ ﴿**والله جعل لكم مما خلق**﴾ من البيوت والشَّجر والغمام ﴿**ظلالاً وجعل لكم من الجبال أكناناً**﴾ يعني: الغِيران والأسراب ﴿**وجعل لكم سرابيل**﴾ قمصاً ﴿**تقيكم الحر**﴾ تمنعكم الحرَّ والبرد، [فترك ذكر البرد]؛ لأنَّ ما وقىٰ الحرَّ وقىٰ البرد، فهو معلوم ﴿**وسرابيل**﴾ يعني: دروع الحديد ﴿**تقيكم**﴾ تمنعكم ﴿**بأسكم**﴾ شدَّة الطَّعن والضَّرب والرَّمي ﴿**كذلك**﴾ مثل ما خلق هذه الأشياء لكم ﴿**يتمُّ نعمته عليكم**﴾ يريد: نعمة الدُّنيا، والخطاب لأهل مكَّة ﴿**لعلَّكم تسلمون**﴾ تنقادون لربوبيته فتوحِّدونه.

﴿٨٢﴾ ﴿**فإن تولوا**﴾ أعرضوا عن الإيمان بعد البيان ﴿**فإنما عليك البلاغ المبين**﴾ وليس عليك من كفرهم وجحودهم شيء.

يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٣﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٨٧﴾

﴿٨٣﴾ **﴿يعرفون نعمة الله ثمَّ ينكرونها﴾** يعني: الكفَّار، يُقرُّون بأنَّها كلَّها من الله تعالىٰ ثمَّ يقولون بشفاعة آلهتنا، فذلك إنكارهم **﴿وأكثرهم﴾** جميعهم **﴿الكافرون﴾**.

﴿٨٤﴾ **﴿ويوم﴾** أيْ: وأنذرهم يوم **﴿نبعث﴾** وهو يوم القيامة **﴿من كلِّ أمة شهيداً﴾** يعني: الأنبياء عليهم السَّلام يشهدون على الأمم بما فعلوا، **﴿ثم لا يؤذن للذين كفروا﴾** في الكلام والاعتذار **﴿ولا هم يستعتبون﴾** ولا يُطلب منهم أن يرجعوا إلى ما يرضي الله تعالىٰ.

﴿٨٥﴾ **﴿وإذا رأىٰ الذين ظلموا﴾** أشركوا **﴿العذاب﴾** النَّار **﴿فلا يخفف عنهم﴾** العذاب **﴿ولا هم ينظرون﴾** يمهلون.

﴿٨٦﴾ **﴿وإذا رأىٰ الذين أشركوا شركاءهم﴾** أوثانهم التي عبدوها من دون الله **﴿قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا﴾** وذلك أنَّ الله يبعثها حتىٰ تُوردهم النَّار، فإذا رأوها عرفوها، فقالوا: **﴿ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعو من دونك فألقوا إليهم القول﴾** أيْ: أجابوهم فقالوا لهم: **﴿إنكم لكاذبون﴾** وذلك أنَّها كانت جماداً ما تعرف عبادة عابديها، فيظهر عند ذلك فضيحتهم حيث عبدوا مَن لم يشعر بالعبادة، وهذا كقوله تعالىٰ: **﴿سيكفرون بعبادتهم﴾**(١).

﴿٨٧﴾ **﴿وألقوا إلىٰ الله يومئذ السلم﴾** استسلموا لحكم الله تعالىٰ **﴿وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾** بطل ما كانوا يأملون من أنَّ آلهتهم تشفع لهم.

---

(١) سورة مريم: الآية ٨٢.

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا

﴿٨٩﴾ **﴿ويوم نبعث في كلِّ أمَّة شهيداً﴾** وهو يوم القيامة، يبعث الله في كلِّ أُمَّةٍ شهيداً **﴿عليهم من أنفسهم﴾** وهو نبيُّهم؛ لأنَّ كلَّ نبيٍّ بُعث من قومه، **﴿وجئنا بك شهيداً على هؤلاء﴾** على قومك، وتمَّ الكلام ها هنا، ثمَّ قال: **﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً﴾** بياناً **﴿لكلِّ شيء﴾** ممَّا أُمر به ونُهي عنه.

﴿٩٠﴾ **﴿إنَّ الله يأمر بالعدل﴾** شهادة أن لا إلّه إلاَّ الله **﴿والإحسان﴾** وأداء الفرائض، وقيل: بالعدل في الأفعال، والإحسان في الأقوال **﴿وإيتاء ذي القربىٰ﴾** صلة الرَّحم، فتؤتي ذا قرابتك من فضل ما رزقك الله. **﴿وينهىٰ عن الفحشاء﴾** الزِّنا **﴿والمنكر﴾** الشِّرك **﴿والبغي﴾** الاستطالة على النَّاس بالظُّلم **﴿يعظكم﴾** ينهاكم عن هذا كلِّه، ويأمركم بما أمركم به في هذه الآية **﴿لعلكم تذكرون﴾** لكي تتَّعظوا.

﴿٩١﴾ **﴿وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم﴾** يعني: كلَّ عهدٍ يحسن في الشريعة الوفاء به **﴿ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها﴾** لا تحنثوا فيها بعد ما وكَّدتموه بالعزم **﴿وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً﴾** بالوفاء حيث حلفتم، والواو للحال.

﴿٩٢﴾ **﴿ولا تكونوا كالتي نقضت﴾** أفسدت **﴿غزلها﴾** وهي امرأة حمقاءُ[1] كانت تغزل

---

(١) واسمها ريطة بنت عمرو. انظر غرر التبيان ص ١٩٣؛ والمحبَّر ص ٣٨١؛ ومفحمات الأقران ص ١٣٢.

مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثٗا تَتَّخِذُونَ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرۡبَىٰ مِنۡ أُمَّةٍۚ إِنَّمَا يَبۡلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ فَتَزِلَّ قَدَمُۢ بَعۡدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَلَكُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ

طول يومها، ثمَّ تنقضه وتفسده **﴿من بعد قوة﴾** الغزل بإمراره وفتله **﴿أنكاثاً﴾** قطعاً، وتمَّ الكلام هاهنا، ثمَّ قال: **﴿تتخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾** أَيْ: غشّاً وخديعةً **﴿أن تكون﴾** بأن تكون [أو لأن تكون][1] **﴿أمة هي أربىٰ من أمة﴾** أَيْ: قوم أغنىٰ وأعلىٰ من قوم، وذلك أنهم كانوا يحالفون قوماً فيجدون أكثر منهم وأعزَّ، فينقضون حلف أولئك، ويحالفون هؤلاء الذين هم أعزُّ، فنُهوا عن ذلك. **﴿إنما يبلوكم الله به﴾** أَيْ: بما أمر ونهىٰ **﴿وليبينن لكم يومَ القيامة ما كنتم فيه تختلفون﴾** في الدُّنيا، ثمَّ نهىٰ أصحاب رسول الله ﷺ الذين عاهدوه علىٰ نصرة الإِسلام عن أيمان الخديعة، فقال:

﴿٩٤﴾ **﴿ولا تتخذوا أيمانكم دخلاً بينكم فتزلَّ قدمٌ بعد ثبوتها﴾** تزلّ عن الإيمان بعد المعرفة بالله تعالىٰ، وهذا إنَّما يستحقُّ في نقض معاهدة رسول الله ﷺ على نصرة الدِّين **﴿وتذوقوا السوء﴾** العذاب **﴿بما صَدَدتُم عن سبيل الله﴾** وذلك أنَّهم إذا نقضوا العهد لم يدخل غيرهم في الإِسلام، فيصير كأنهم صدُّوا عن سبيل الله وعن دين الله.

﴿٩٥﴾ **﴿ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً﴾** لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضاً من

---

(١) زيادة من عا و ظا.

إِنَّمَا عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓا۟ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

الدُّنيا ﴿**إنَّ ما عند الله**﴾ أَيْ: ما عند الله من الثَّواب على الوفاء ﴿**خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ ذلك.

﴿٩٦﴾ ﴿**ما عندكم ينفد**﴾ يفنىٰ وينقطع، يعني: في الدنُّيا ﴿**وما عند الله**﴾ من الثَّواب والكرامة ﴿**باق**﴾ دائمٌ لا ينقطع ﴿**ولنجزين الذين صبروا**﴾ علىٰ دينهم وعمَّا نهاهم الله تعالىٰ ﴿**أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**﴾ يعني: الطَّاعات، وقوله:

﴿٩٧﴾ ﴿**فلنحيينه حياة طيبة**﴾ قيل هي القناعة، وقيل: هي حياة الجنَّة.

﴿٩٨﴾ ﴿**فإذا قرأت القرآن**﴾ أَيْ: إذا أردت أن تقرأ القرآن ﴿**فاستعذ بالله**﴾ فاسأل الله أن يعيذك ويمنعك ﴿**من الشَّيطان الرجيم**﴾.

﴿٩٩﴾ ﴿**إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا**﴾ أَيْ: حجَّةٌ في إغوائهم ودعائهم إلىٰ الضَّلالة، والمعنىٰ: ليس له عليهم سلطان الإغواء.

﴿١٠٠﴾ ﴿**إنما سلطانه على الذين يتولونه**﴾ يُطيعونه ﴿**والذين هم به**﴾ بسببه وطاعته فيما يدعوهم إليه ﴿**مشركون**﴾ بالله.

﴿١٠١﴾ ﴿**وإذا بدلنا آية**﴾ أَيْ: رفعناها وأنزلنا غيرها لنوعٍ من المصلحة ﴿**والله أعلم**﴾ بمصالح العباد في ﴿**ما ينزّل**﴾ من النَّاسخ والمنسوخ ﴿**قالوا**﴾ يعني: الكفَّار ﴿**إنما أنت مفترٍ**﴾ كذَّابٌ تقوله من عندك ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون**﴾ حقيقةَ القرآن وفائدة النَّسخ والتَّبديل.

قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَفْتَرِى ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٠٧﴾

---

(١٠٢) **﴿قل نزله روح القدس﴾** جبريل عليه السَّلام **﴿من ربك﴾** من كلام ربِّك **﴿بالحق﴾** بالأمر الحقِّ **﴿ليثبت الذين آمنوا﴾** بما فيه من الحجج والآيات **﴿وهدىً﴾** وهو هدىً.

(١٠٣) **﴿ولقد نعلم أنَّهم يقولون: إنما يُعلِّمه﴾** القرآنَ **﴿بشرٌ﴾** يعنون عبداً لبني الحضرمي كان يقرأ الكتب **﴿لسان الذي يلحدون إليه﴾** لغةُ الذي يميلون القول إليه ويزعمون أنَّه يُعلِّمك **﴿أعجميّ﴾** لا يُفصح ولا يتكلَّم بالعربية **﴿وهذا﴾** يعني القرآن **﴿لسان﴾** لغة **﴿عربيّ مبين﴾** أفصح ما يكون من العربيَّة وأبينه، ثمَّ أخبر أنَّ الكاذبين هم، فقال:

(١٠٥) **﴿إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله﴾** لأنَّهم يقولون لما لا يقدر عليه إلاَّ الله هذا من قول البشر، ثمَّ سمَّاهم كاذبين بقوله: **﴿وأولئك هم الكاذبون﴾**.

(١٠٦) **﴿مَنْ كفر بالله من بعد إيمانه﴾** هذا ابتداء كلام، وخبره في قوله: **﴿فعليهم غضب من الله﴾** ثمَّ استثنىٰ المُكره على الكفر، فقال: **﴿إلاَّ مَنْ أكره﴾** أَيْ: على التَّلفظ بكلمة الكفر **﴿وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شَرَحَ بالكفر صدراً﴾** أَيْ: فتحه ووسَّعه لقبوله.

(١٠٧) **﴿ذلك﴾** الكفر **﴿بأنهم استحبوا الحياة الدنيا﴾** اختاروها **﴿على الآخرة وأنَّ الله﴾** لا

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٠٨﴾ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾ ۞ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٖ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٖ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرْيَةٗ كَانَتْ ءَامِنَةٗ مُّطْمَئِنَّةٗ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ

يهديهم ولا يريد هدايتهم، ثمَّ وصفهم بأنَّهم مطبوعٌ على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، وأنَّهم غافلون عمَّا يُراد بهم، ثمَّ حكم عليهم بالخسار، وأكَّد ذلك بقوله:

(١٠٩) ﴿**لا جرم**﴾ أَيْ: حقّاً ﴿**أنهم في الآخرة هم الخاسرون**﴾ المغبونون.

(١١٠) ﴿**ثمَّ إنَّ ربك للذين هاجروا**﴾ يعني: المُستضعفين الذين كانوا بمكَّة ﴿**من بعد ما فتنوا**﴾ أَيْ: عُذِّبوا وأُوذوا حتىٰ يلفظوا بما يرضيهم ﴿**ثمَّ جاهدوا**﴾ مع النبيِّ ﷺ ﴿**وصبروا**﴾ علىٰ الدِّين والجهاد ﴿**إنَّ ربك من بعدها**﴾ أَيْ: من بعد تلك الفتنة التي أصابتهم ﴿**لغفور رحيم**﴾ يغفر لهم ما تلفَّظوا به من الكفر تقيَّة.

(١١١) ﴿**يوم تأتي**﴾ أَيْ: اذكر لهم ذلك اليوم وذكِّرهم، وهو يوم القيامة ﴿**كلُّ نفس**﴾ كلُّ أحدٍ لا تهمُّه إلَّا نفسه، فهو مخاصمٌ ومحتجٌ عن نفسه، حتىٰ إنَّ إبراهيم عليه السَّلام ليدلي بالخلَّة ﴿**وتوفىٰ كلُّ نفس ما عملت**﴾ أَيْ: جزاء ما عملت ﴿**وهم لا يظلمون**﴾ لا ينقصون، ثمَّ أنزل الله تعالىٰ في أهل مكَّة وما امتُحنوا به من القحط والجوع قوله تعالىٰ:

(١١٢) ﴿**وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة**﴾ ذات أمنٍ لا يُغار علىٰ أهلها ﴿**مطمئنة**﴾ قارَّةً بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها لخوفٍ أو ضيقٍ ﴿**يأتيها رزقها رغداً من كلِّ مكان**﴾ يُجلب إليها من كلِّ بلدٍ، كما قال: ﴿**يُجبىٰ إليه ثمراتُ كلِّ شيء**﴾[1].

---

(١) سورة القصص: الآية ٥٧.

فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾

﴿فكفرت بأنعم الله﴾ حين كذَّبوا رسوله **﴿فأذاقها الله لباس الجوع﴾** عذَّبهم الله بالجوع سبع سنين **﴿والخوف﴾** من سرايا النَّبيِّ ﷺ التي كان يبعثهم إليهم فيطوفون بهم **﴿بما كانوا يصنعون﴾** من تكذيب النبيِّ ﷺ وإخراجه من مكَّة.

﴿١١٣﴾ **﴿ولقد جاءهم﴾** يعني: أهل مكَّة **﴿رسول منهم﴾** من نسبهم، يعرفونه بأصله ونسبه **﴿فكذبوه فأخذهم العذاب﴾** يعني: الجوع.

﴿١١٤﴾ **﴿فكلوا﴾** يا معشر المؤمنين **﴿مما رزقكم الله﴾** من الغنائم، وهذه الآية والتي بعدها سبق تفسيرهما في سورة البقرة[١].

﴿١١٦﴾ **﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب﴾** أَيْ: لوصف ألسنتكم الكذب، والمعنىٰ: لا تقولوا لأجل الكذب وسببه لا لغيره: **﴿هذا حلال وهذا حرام﴾** يعني: ما كانوا يحلُّونه ويُحرِّمونه من الحرث والأنعام **﴿لتفتروا على الله الكذب﴾** بنسبة ذلك التَّحليل والتَّحريم إليه، ثمَّ أوعد المفترين فقال: **﴿إنَّ الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون﴾**.

﴿١١٧﴾ **﴿متاع قليل﴾** أَيْ: لهم في الدُّنيا متاعٌ قليلٌ، ثم يردُّون إلى عذابٍ أليمٍ.

---

(١) انظر ص ١٤٤ ــ ١٤٥.

وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُواْ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٩﴾ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٢١﴾ وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ

﴿١١٨﴾ **﴿وعلىٰ الذين هادوا حرَّمنا ما قصصنا عليك من قبل﴾** يعني: في سورة الأنعام: ﴿وعلىٰ الذين هادوا حرمنا كلَّ ذي ظفر...﴾[1] الآية. **﴿وما ظلمناهم﴾** بتحريم ما حرَّمنا عليهم **﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** بأنواع المعاصي.

﴿١١٩﴾ **﴿ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة﴾** أَيْ: الشِّرك **﴿ثم تابوا من بعد ذلك﴾** آمنوا وصدَّقوا **﴿وأصلحوا﴾** قاموا بفرائض الله وانتهوا عن معاصيه **﴿إن ربك من بعدها﴾** من بعد تلك الجهالة **﴿لغفور رحيم﴾**.

﴿١٢٠﴾ **﴿إنَّ إبراهيم كان أمة﴾** مؤمناً وحده، والنَّاس كلُّهم كفَّارٌ **﴿قانتاً﴾** مُطيعاً **﴿لله حنيفاً﴾** لأنَّه اختتن وقام بمناسك الحجِّ، وقوله:

﴿١٢٢﴾ **﴿وآتيناه في الدنيا حسنة﴾** يعني: الذِّكر والثَّناء الحسن في النَّاس كلِّهم **﴿وإنَّه في الآخرة لمن الصالحين﴾** هذا ترغيبٌ في الصَّلاح؛ ليصير صاحبه من جملة مَنْ منهم إبراهيم عليه السَّلام مع شرفه.

﴿١٢٣﴾ **﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً﴾** أمر باتِّباعه في مناسك الحجِّ، كما علَّم جبريل عليه السَّلام إبراهيم عليه السَّلام.

﴿١٢٤﴾ **﴿إنما جُعِلَ السبت على الذين اختلفوا فيه﴾** وهم اليهود، أمروا أن يتفرَّغوا للعبادة

---

(١) الآية ١٤٦.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾ وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ

في يوم الجمعة، فقالوا لا نريده، ونريد اليوم الذي فرغ الله سبحانه فيه من الخلق، واختاروا السَّبْتَ، ومعنىٰ اختلفوا فيه، أَيْ: علىٰ نبيِّهم حيث لم يطيعوه في أخذ الجمعة، فجعل السَّبْتَ عليهم، أَيْ: غَلَّظَ وضيَّق الأمر فيه عليهم.

﴿١٢٥﴾ ﴿**ادع إلى سبيل ربك**﴾ دين ربِّك ﴿**بالحكمة**﴾ بالنُّبوَّة ﴿**والموعظة الحسنة**﴾ يعني: مواعظ القرآن ﴿**وجادلهم**﴾ افتلهم عمَّا هم عليه ﴿**بالتي هي أحسن**﴾ بالكلمة اللَّيِّنة، وكان هذا قبل الأمر بالقتال. ﴿**إن ربك هو أعلم...**﴾ الآية. يقول: هو أعلم بالفريقين، فهو يأمرك فيهما بما هو الصَّلاح.

﴿١٢٦﴾ ﴿**وإن عاقبتم...**﴾ الآية. نزلت حين نظر النبيُّ ﷺ إلى حمزة وقد مُثِّل به، فقال: واللّهِ لأُمَثِّلنَّ بسبعين منهم مكانك، فنزل جبريل عليه السَّلام بهذه الآيات، فصبر النبيُّ ﷺ وكفَّر عن يمينه، وأمسك عمَّا أراد(١). وقوله سبحانه: ﴿**ولئن صبرتم**﴾ أَيْ: عن المجازاة بالمثلة ﴿**لهو**﴾ أَيْ: الصَّبر ﴿**خير للصابرين**﴾ ثمَّ أمره بالصَّبر عزماً، فقال:

﴿١٢٧﴾ ﴿**واصبر وما صبرك إلاَّ بالله**﴾ أَيْ: بتوفيقه ومعونته ﴿**ولا تحزن عليهم**﴾ علىٰ

---

(١) أخرجه المؤلف في أسباب النزول ص ٣٢٩ بسنده إلى ابن عباس، وفيه يحيىٰ بن عبد الحميد الحماني، اتهم بسرقة الحديث، وأخرجه البزار، وفيه صالح بن بشير المري، وهو ضعيف. انظر تفسير ابن كثير ٢/٥١٢.

وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾

المشركين بإعراضهم عنك ﴿ولاتك في ضيق مما يمكرون﴾ لا يضيق صدرك من مكرهم.

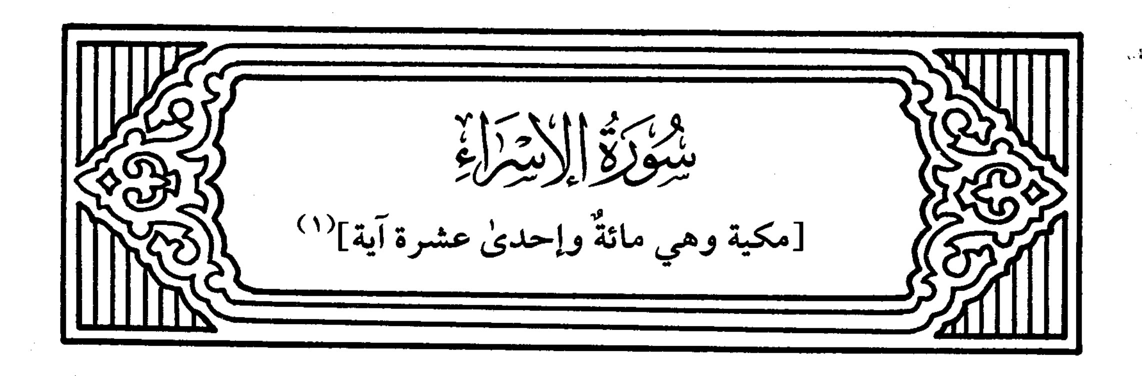
﴿١٢٨﴾ ﴿إنَّ الله مع الذين اتقوا﴾ الفواحش والكبائر ﴿والذين هم محسنون﴾ في العمل بالنَّصرة والمعونة.

• • •

انتهى المجلد الأول

ويليه المجلد الثاني وفي بدايته تفسير

سورة الإسراء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾

الجزء الخامس عشر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿سبحان الذي﴾ براءةٌ له من السُّوء ﴿أسرىٰ بعبده﴾ سيَّر محمَّداً عليه السَّلام ﴿من المسجد الحرام﴾ يعني: مكَّة، ومكَّةُ كلُّها مسجد ﴿إلىٰ المسجد الأقصىٰ﴾ وهو بيت المقدس، وقيل له الأقصىٰ لبعد المسافة بينه وبين المسجد الحرام ﴿الذي باركنا حوله﴾ بالثِّمار والأنهار ﴿لنريه من آياتنا﴾ وهو ما أُري في تلك اللَّيلة من الآيات التي تدلُّ على قدرة الله سبحانه. ثمَّ ذكر أنَّه سبحانه أكرم موسىٰ عليه السَّلام أيضاً قبله بالكتاب، فقال:

(٢) ﴿وآتينا موسىٰ الكتاب﴾ التَّوراة ﴿وجعلناه هدىً لبني إسرائيل﴾ دللناهم به على الهدىٰ ﴿ألا تتخذوا﴾ فقلنا: لا تتخذوا، و «أن» زائدة، والمعنىٰ: لا تتوكَّلوا علىٰ غيري ولا تتَّخذوا من دوني ربّاً.

---

(١) زيادة من ظا.

ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَاءِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ

﴿٣﴾ ﴿ذرية﴾ يا ذريَّةَ ﴿مَنْ حملنا مع نوح﴾ يعني: بني إسرائيل، وكانوا ذريَّةَ مَنْ كان في سفينة نوح عليه السَّلام، وفي هذا تذكيرٌ بالنِّعمة إذْ أنجىٰ آباءهم من الغرق، ثمَّ أثنىٰ على نوحٍ، فقال: ﴿إنَّه كان عبداً شكوراً﴾ كان إذا أكل حمد الله، وإذا لبس ثوباً حمد الله.

﴿٤﴾ ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل﴾ أوحينا إليهم وأعلمناهم في كتابهم ﴿لتفسدنَّ في الأرض مرتين﴾ بالمعاصي وخلاف أحكام التَّوراة ﴿ولتعلن علواً كبيراً﴾ لتتعظمنَّ ولتبغُنَّ.

﴿٥﴾ ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ يعني: أوَّل مرَّة في الفساد ﴿بعثنا عليكم﴾ أرسلنا عليكم وسلَّطنا ﴿عباداً لنا﴾ يعني: جالوت وقومه ﴿أولي بأسٍ شديد﴾ ذوي قوَّةٍ شديدةٍ ﴿فجاسوا خلال الديار﴾ تردَّدوا وطافوا وسط منازلهم ليطلبوا مَنْ يقتلونهم ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ قضاءً قضاه الله تعالىٰ عليهم.

﴿٦﴾ ﴿ثمَّ رددنا لكم الكرَّة عليهم﴾ نصرناكم، ورددنا الدَّولة لكم عليهم بقتل جالوت ﴿وأمددناكم بأموالٍ وبنين﴾ حتىٰ عاد أمركم كما كان ﴿وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ أكثر عدداً من عدوِّكم.

﴿٧﴾ ﴿إن أحسنتم﴾ أَيْ: وقلنا: إن أحسنتم ﴿أحسنتم لأنفسكم﴾ إن أطعتم الله فيما بقي عفا عنكم المساوىء ﴿وإنْ أسأتم﴾ بالفساد وعصيان الأنبياء وقتلهم ﴿فلها﴾ فعليها يقع الوبال. ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ المرَّة الأخيرة من إفسادكم وجواب «إذا» محذوف علىٰ تقدير: بعثناهم ﴿لِيَسُوْءُوْا وجوهكم﴾ وهو أنَّه بعث عليهم بختنصر،

وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ

فسبىٰ وقتل وخرب، ومعنىٰ لِيَسُوْءُوْا وجوهكم: ليخزوكم خزياً يظهر أثره في وجوهكم، كسبي ذراريكم وإخراب مساجدكم ﴿**وليتبروا ما علوا**﴾ وليدمِّروا ويُخرِّبوا ما غلبوا عليه.

﴿٨﴾ ﴿**عسىٰ ربكم**﴾ وهذا أيضاً ممَّا أُخبروا به في كتابهم، والمعنىٰ: لعلَّ ربكم ﴿**أن يرحمكم**﴾ ويعفو عنكم بعد انتقامه منكم يا بني إسرائيل. ﴿**وإن عدتم**﴾ بالمعصية ﴿**عدنا**﴾ بالعقوبة، هذا في الدُّنيا، وأمَّا في الآخرة فقد ﴿**جعلنا جهنم للكافرين حصيراً**﴾ أيْ: سجناً ومحبساً.

﴿٩﴾ ﴿**إنَّ هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**﴾ يرشد إلى الحالة التي هي أعدل وأصوب، وهي توحيد الله تعالىٰ والإيمان برسله ﴿**ويبشر المؤمنين**﴾ بأنَّ ﴿**لهم أجراً كبيراً**﴾ وأنَّ أعداءهم معذَّبون في الآخرة.

﴿١١﴾ ﴿**ويدعو الإنسان...**﴾ الآية. ربَّما يدعو الإنسان على نفسه عند الغضب والضَّجر، وعلى ولده وأهله بما لا يحبُّ أن يستجاب له، كما يدعو لنفسه بالخير ﴿**وكان الإنسان عجولاً**﴾ يعجل في الدُّعاء بالشَّرِّ كعجلته في الدُّعاء بالخير.

﴿١٢﴾ ﴿**وجعلنا الليل والنهار آيتين**﴾ علامتين تدلَّان على قدرة خالقهما ﴿**فمحونا**﴾ طمسنا ﴿**آية الليل**﴾ نورها بما جعلنا فيها من السَّواد ﴿**وجعلنا آية النهار مبصرة**﴾ مُضيئةً يُبصر فيها ﴿**لتبتغوا فضلاً من ربكم**﴾ لتبصروا كيف تتصرَّفون في أعمالكم ﴿**ولتعلموا عدد السنين والحساب**﴾ بمحو آية اللَّيل، ولولا ذلك ما كان يُعرف

وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ

اللَّيل من النَّهار، وكان لا يتبيَّن العدد. ﴿وكل شيء﴾ ممَّا يُحتاج إليه ﴿فصلناه تفصيلاً﴾ بيَّناه تبييناً لا يلتبس معه بغيره.

﴿١٣﴾ ﴿وكلَّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه﴾ كتبنا عليه ما يعمل من خيرٍ وشرٍّ ﴿ونخرج له﴾ ونُظهر له ﴿يوم القيامة﴾ صحيفة عمله منشورةً.

﴿١٤﴾ ﴿اقرأ كتابك﴾ أَيْ: يُقال له: اقرأ كتابك ﴿كفىٰ بنفسك اليوم عليك حسيباً﴾ مُحاسباً يقول: كفيتَ أنت في محاسبة نفسك.

﴿١٥﴾ ﴿من اهتدىٰ فإنما يهتدي لنفسه﴾ ثواب اهتدائه لنفسه ﴿ومن ضلَّ فإنما يضلُّ عليها﴾ على نفسه عقوبة ضلاله. ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرىٰ﴾ وذلك أنَّ الوليد بن المغيرة، قال: اتَّبعوني وأنا أحمل أوزاركم، فقال الله تعالىٰ: ﴿ولا تزر وازرةٌ وزر أخرىٰ﴾ أي: لا تحمل نفسٌ ذنب غيرها ﴿وما كنا معذبين﴾ أحداً ﴿حتىٰ نبعث رسولاً﴾ يُبيِّن له ما يجب عليه إقامةً للحجَّة.

﴿١٦﴾ ﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها﴾ أمرناهم على لسان رسولٍ بالطَّاعة، وعنىٰ بالمترفين: الجبَّارين والمُسلَّطين والملوك، وخصَّهم بالأمر لأنَّ غيرهم تبعٌ لهم. ﴿ففسقوا فيها﴾ أَيْ: تمرَّدوا في كفرهم، والفسق في الكفر: الخروج إلىٰ أفحشه ﴿فحقَّ عليها القول﴾ وجب عليها العذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أهلكناها إهلاك استئصال.

﴿١٨﴾ ﴿من كان يريد العاجلة﴾ بعمله وطاعته وإسلامه الدُّنيا ﴿عجلنا له فيها ما نشاء﴾

لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْـَٔاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا

القدر الذي نشاء ﴿لمن نريد﴾ أن نعجِّل له شيئاً، ثمَّ يدخل النَّار في الآخرة ﴿مذموماً﴾ ملوماً ﴿مدحوراً﴾ مطروداً لأنَّه لم يرد الله سبحانه بعمله.

(١٩) ﴿ومن أراد الآخرة﴾ الجنَّة ﴿وسعىٰ لها سعيها﴾ عمل بفرائض الله ﴿وهو مؤمن﴾ لأنَّ الله سبحانه لا يقبل حسنةً إلاَّ من مؤمنٍ ﴿فأولئك كان سعيهم مشكوراً﴾ تُضاعف لهم الحسنات.

(٢٠) ﴿كلاًّ﴾ من الفريقين ﴿نمدُّ﴾ نزيد، ثمَّ ذكرهما فقال: ﴿هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك﴾ يعني: الدُّنيا، وهي مقسومةٌ بين البرِّ والفاجر ﴿وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ ممنوعاً في الدُّنيا من المؤمنين والكافرين، ثمَّ يختصُّ المؤمنين في الآخرة.

(٢١) ﴿انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض﴾ في الرِّزق، فمن مُقلٍّ ومُكثرٍ ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ من الدُّنيا؛ لأنَّ درجات الجنَّة يقتسمونها على قدر أعمالهم.

(٢٢) ﴿لا تجعل﴾ أيُّها الإنسان المخاطب ﴿مع الله إلَهاً آخر فتقعد مذموماً﴾ ملوماً ﴿مخذولاً﴾ لا ناصر لك.

(٢٣) ﴿وقضىٰ﴾ وأمر ﴿ربك أن لا تعبدوا إلاَّ إيَّاه وبالوالدين إحساناً﴾ وأمرَ إحساناً بالوالدين ﴿إمَّا يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما﴾ يقول: إن عاش أحد

فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾

والديك حتىٰ يشيب ويكبر، أو هما جميعاً ﴿**فلا تقل لهما أف**﴾ [لا تقل لهما][(١)] رديئاً من الكلام، ولا تستثقلنَّ شيئاً من أمرهما ﴿**ولا تنهرهما**﴾ لا تُواجِهْهُما بكلامٍ تزجرهما به ﴿**وقل لهما قولاً كريماً**﴾ ليِّناً لطيفاً.

﴿٢٤﴾ ﴿**واخفض لهما جناح الذل**﴾ ألن لهما جانبك واخضع لهما ﴿**من الرحمة**﴾ أيْ: من رقَّتك عليهما وشفقتك ﴿**وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني**﴾ مثل رحمتهما إيَّاي في صغري حتىٰ ربَّياني ﴿**صغيراً**﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿**ربكم أعلم بما في نفوسكم**﴾ بما تُضمرون من البِرِّ والعقوق ﴿**إن تكونوا صالحين**﴾ طائعين لله ﴿**فإنَّه كان للأوابين**﴾ الرَّاجعين عن معاصي الله تعالىٰ ﴿**غفوراً**﴾ يغفر لهم ما بدر منهم، وهذا فيمن بدرت منه بادرةٌ وهو لا يُضمر عقوقاً، فإذا رجع عن ذلك غفر الله له، ثمَّ أنزل في برِّ الأقارب وصلة أرحامهم بالإِحسان إليهم قوله:

﴿٢٦﴾ ﴿**وآت ذا القربىٰ حقه والمسكين وابن السبيل**﴾ ممَّا جعل الله لهما من الحقِّ في المال ﴿**ولا تبذر تبذيراً**﴾ يقول: لا تنفق في غير الحقِّ.

﴿٢٧﴾ ﴿**إنَّ المبذرين**﴾ المنفقين في غير طاعة الله ﴿**كانوا إخوان الشياطين**﴾ لأنَّهم يُوافقونهم فيما يأمرونهم به، ثمَّ ذمَّ الشَّيطان بقوله: ﴿**وكان الشيطان لربه كفوراً**﴾ جاحداً لنعم الله، وهذا يتضمَّن أنَّ المُنفق في السَّرف كفور.

---

(١) ما بين [ ] من عا وظا.

وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾

﴿٢٨﴾ **﴿وإمَّا تعرضنَّ عنهم. . .﴾** الآية. كان النبيُّ ﷺ إذا سأله فقراء الصَّحابة ولم يكن عنده ما يعطيهم أعرض عنهم حياءً منهم، وسكت، وهو قوله: **﴿وإمَّا تعرضنَّ عنهم ابتغاء رحمة من ربك﴾** انتظار الرِّزق من الله تعالىٰ يأتيك **﴿فقل لهم قولاً ميسوراً﴾** ليِّناً سهلاً، وكان إذا سُئل ولم يكن عنده ما يُعطي قال: يرزقنا الله وإيَّاكم من فضله[١].

﴿٢٩﴾ **﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾** لا تُمسكها عن البذل كلَّ الإمساك حتىٰ كأنَّها مقبوضة إلى عنقك لا تنبسط بخيرٍ **﴿ولا تبسطها كلَّ البسط﴾** في النَّفقة والعطيَّة **﴿فتقعد ملوماً﴾** تلوم نفسك وتُلام **﴿محسوراً﴾** ليس عندك شيء، من قولهم: حسرتُ الرَّجل بالمسألة: إذا أفنيتَ جميع ما عنده. نزلت هذه الآية حين وهب رسول الله ﷺ قميصه، ولم يجد ما يلبسه للخروج، فبقي في البيت[٢].

﴿٣٠﴾ **﴿إنَّ ربك يبسط الرزق لمَنْ يشاء ويقدر﴾** يُوسِّع علىٰ مَنْ يشاء، ويُضيِّق علىٰ مَنْ يشاء **﴿إنَّه كان بعباده خبيراً بصيراً﴾** حيث أجرىٰ رزقهم علىٰ ما علم فيه صلاحهم.

﴿٣١﴾ **﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم﴾** سبق تفسيره في سورة الأنعام[٣]. وقوله: **﴿خِطْئاً﴾** أَيْ: إثماً.

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٥/ ٧٥ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

(٢) أخرجه المؤلف في الأسباب ص ٣٣٢ عن عبد الله بن مسعود، وفيه سليمان بن سفيان، وهو ضعيف، وقيس بن الربيع، صدوقٌ تغيَّر لما كبر، وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدَّث به. انظر: تقريب التهذيب ص ٢٥١ وص ٤٥٧.

(٣) انظر ص ٣٨١ ــ ٣٨٢.

وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾

﴿٣٣﴾ **﴿ولا تقتلوا النفس التي حرَّم الله إلاَّ بالحق﴾** بكفرٍ بعد إسلام، أو زنا بعد إحصانٍ، أو قتل نفسٍ بتعمُّدٍ **﴿ومَنْ قتل مظلوماً﴾** أَيْ: بغير إحدىٰ هذه الخصال **﴿فقد جعلنا لوليه﴾** وارثه **﴿سلطاناً﴾** حجَّةً في قتل القاتل إن شاء، أو أخذ الدِّية، أو العفو **﴿فلا يسرف في القتل﴾** فلا يتجاوز ما حدَّ له، وهو أن يقتل بالواحد اثنين، أو غير القاتل ممَّنْ هو من قبيلة القاتل، كفعل العرب في الجاهليَّة. **﴿إنَّه﴾** إنَّ الوليَّ **﴿كان منصوراً﴾** بقتل قاتل وليِّه والاقتصاص منه. وقيل: **﴿إنَّه﴾** إنَّ المقتول ظلماً **﴿كان منصوراً﴾** في الدُّنيا بقتل قاتله، وفي الآخرة بالثَّواب.

﴿٣٤﴾ **﴿ولا تقربوا مال اليتيم إلاَّ بالتي هي أحسن﴾** يعني: الأكل بالمعروف، وذكرنا هذا في سورة الأنعام[1]. **﴿وأوفوا بالعهد﴾** وهو كلُّ ما أمر به ونهىٰ عنه **﴿إنَّ العهد كان مسؤولاً﴾** عنه.

﴿٣٥﴾ **﴿وأوفوا الكيل﴾** أتمُّوه **﴿إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾** بأقوم الموازين **﴿ذلك خيرٌ﴾** أقرب إلى الله تعالىٰ **﴿وأحسن تأويلاً﴾** عاقبةً.

﴿٣٦﴾ **﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾** لا تقولنَّ في شيءٍ بما لا تعلم **﴿إنَّ السمع والبصر والفؤاد كلُّ أولئك كان عنه مسؤولاً﴾** أَيْ: يسأل الله العباد فيم استعملوا هذه الحواس.

---

(١) انظر ص ٣٨٢.

وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤١﴾ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ

﴿٣٧﴾ **﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾** أَيْ: بالكبر والفخر **﴿إنَّك لن تخرق الأرض﴾** لن تثقبها حتىٰ تبلغ آخرها، ولا تطاول الجبال، والمعنىٰ: إنَّ قدرتك لا تبلغ هذا المبلغ، فيكون ذلك وصلةً إلى الاختيال. يريد: إنَّه ليس ينبغي للعاجز أن يبذخ ويستكبر.

﴿٣٨﴾ **﴿كلُّ ذلك﴾** إشارةٌ إلى جميع ما تقدَّم ذكره ممَّا أمر به ونهىٰ عنه **﴿كان سَيِّئُهُ﴾** وهو ما حرَّم الله سبحانه ونهىٰ عنه.

﴿٣٩﴾ **﴿ذلك﴾** يعني: ما تقدَّم ذكره **﴿ممَّا أوحىٰ إليك ربك من الحكمة﴾** من القرآن ومواعظه وباقي الآية مفسَّر في هذه السُّورة. ثمَّ نزل فيمن قال من المشركين: الملائكة بنات الله:

﴿٤٠﴾ **﴿أفأصفاكم ربكم بالبنين﴾** أَيْ: آثركم وأخلص لكم البنين دونه، وجعل لنفسه البنات **﴿إنكم لتقولون قولاً عظيماً﴾**.

﴿٤١﴾ **﴿ولقد صرَّفنا﴾** بيَّنَّا **﴿في هذا القرآن من كلِّ مثل﴾** يوجب الاعتبار به، والتَّفكُّر فيه **﴿ليذكروا﴾** ليتَّعظوا ويتدبَّروا **﴿وما يزيدهم﴾** ذلك البيان والتَّصريف **﴿إلاَّ نفوراً﴾** من الحقِّ، وذلك أنَّهم اعتقدوا أنَّها شُبَهٌ وحيلٌ، فنفروا منها أشدَّ النُّفور.

﴿٤٢﴾ **﴿قل﴾** للمشركين: **﴿لو كان معه﴾** مع الله **﴿آلهة كما يقولون إذاً لابْتَغَوْا إلىٰ ذي العرش سبيلاً﴾** إذاً لابتغت الآلهة أن تزيل ملك صاحب العرش.

﴿٤٤﴾ **﴿تسبح له السموات. . .﴾** الآية. المراد بالتَّسبيح في هذه الآية الدَّلالة علىٰ أنَّ الله

وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾

سبحانه خالقٌ حكيمٌ مبرَّأٌ من الأسواء، والمخلوقون والمخلوقاتُ كلُّها تدلُّ على هذا. وقوله: ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ مخاطبة للكفَّار؛ لأنَّهم لا يستدلُّون ولا يعتبرون.

﴿٤٥﴾ ﴿وإذا قرأت القرآن...﴾ الآية. نزلت في قومٍ كانوا يُؤذون النَّبيَّ ﷺ إذا قرأ القرآن، فحجبه الله تعالىٰ عن أعينهم عند قراءة القرآن، حتىٰ كانوا يمرُّون به ولا يرونه[1]. وقوله: ﴿مستوراً﴾ معناه: ساتراً.

﴿٤٦﴾ ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنة﴾ سبق تفسيره في سورة الأنعام[2]. ﴿وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده﴾ قلت: لا إلَـه إلَّا الله وأنت تتلو القرآن ﴿ولوا علىٰ أدبارهم نفوراً﴾ أعرضوا عنك نافرين.

﴿٤٧﴾ ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ نزلت حين دعا عليٌّ رضي الله عنه أشراف قريش إلىٰ طعام اتَّخذه لهم، ودخل عليهم النَّبيُّ ﷺ، وقرأ عليهم القرآن، ودعاهم إلىٰ الله سبحانه، وهم يقولون فيما بينهم متناجين: هو ساحرٌ، وهو مسحورٌ، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به﴾ أيْ: يستمعونه. أخبر الله سبحانه أنَّه عالمٌ بتلك الحال، وبذلك الذين كان يستمعونه ﴿إذ يستمعون﴾ إلى الرَّسول ﴿وإذ هم نجوىٰ﴾ يتناجون بينهم بالتَّكذيب والاستهزاء ﴿إذ يقول الظالمون﴾ المشركون: ﴿إن تتبعون﴾ ما تتبعون ﴿إلَّا رجلاً مسحوراً﴾ مخدوعاً أن اتَّبعتموه.

---

(١) وهذا قول ابن شهاب الزهري. أخرجه ابن إسحاق وابن المنذر. الدرُّ المنثور ٥/٢٩٧.
(٢) انظر ص ٣٤٨ ـ ٣٤٩.

ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٤٨﴾ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُل كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ

﴿٤٨﴾ ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾ بيَّنوا لك الأشباه حين شبَّهوك بالسَّاحر والكاهن والشَّاعر ﴿فضلوا﴾ بذلك عن طريق الحقِّ ﴿فلا يستطيعون سبيلاً﴾ مخرجاً.

﴿٤٩﴾ ﴿وقالوا أإذا كنا عظاماً﴾ بعد الموت ﴿ورفاتاً﴾ وتراباً، أَنُبعث ونخلق خلقاً جديداً؟

﴿٥٠﴾ ﴿قل كونوا حجارة أو حديداً...﴾ الآية. معناها يقول: قدِّروا أنَّكم لو خُلقتم من حجارةٍ أو حديدٍ، أو كنتم الموت الذي هو أكبر الأشياء في صدوركم لأماتكم الله، ثمَّ أحياكم؛ لأنَّ القدرة التي بها أنشأكم بها يُعيدكم، وهذا معنىٰ قوله: ﴿فسيقولون من يُعيدنا قل الذي فطركم﴾ خلقكم ﴿أول مرَّة فسينغضون إليك رؤوسهم﴾ يُحرِّكونها تكذيباً لهذا القول ﴿ويقولون متىٰ هو﴾؟ أي: الإعادة والبعث ﴿قل عسىٰ أن يكون قريباً﴾ يعني: هو قريب.

﴿٥٢﴾ ﴿يوم يدعوكم﴾ بالنداء الذي يُسمعكم، وهو النَّفخة الأخيرة ﴿فتستجيبون﴾ تجيبون ﴿بحمده﴾ وهو أنَّهم يخرجون من القبور يقولون: سبحانك وبحمدك، حمدوا حين لا ينفعهم الحمد ﴿وتظنون إن لبثتم إلاَّ قليلاً﴾ استقصروا مدَّة لبثهم في الدُّنيا، أو في البرزخ مع ما يعلمون من طول لبثهم في الآخرة.

﴿٥٣﴾ ﴿وقل لعبادي﴾ المؤمنين: ﴿يقولوا التي هي أحسن﴾ نزلت حين شكا أصحاب النَّبيِّ ﷺ إليه أذىٰ المشركين، واستأذنوه في قتالهم، فقيل له: قل لهم: يقولوا

إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْۚ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿٥٤﴾ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّۦنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ

للكفَّار الكلمة التي هي أحسن[1]، وهو أن يقولوا: يهديكم الله. ﴿إن الشيطان﴾ هو الذي يفسد بينهم.

﴿٥٤﴾ ﴿ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم﴾ يُوفِّقكم فتؤمنوا ﴿أو إن يشأ يعذبكم﴾ بأن يميتكم على الكفر ﴿وما أرسلناك عليهم وكيلاً﴾ ما وكل إليك إيمانهم، فليس عليك إلَّا التَّبليغ.

﴿٥٥﴾ ﴿وربك أعلم بمَنْ في السموات والأرض﴾ لأنَّه هو خالقهم ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾ عن علمٍ بشأنهم، ومعنىٰ تفضيل بعضهم على بعض: تخصيصُ كلٍّ واحد منهم بفضيلة دون الآخر ﴿وآتينا داود زبوراً﴾ أَيْ: فلا تنكروا تفضيل محمد عليه السَّلام، وإعطاءه القرآن، فقد جرت سنَّتنا بهذا في النَّبيين.

﴿٥٦﴾ ﴿قل ادعوا الذين زعمتم...﴾ الآية. ابتلىٰ الله سبحانه قريشاً بالقحط سنين، فشكوا ذلك إلى النبيِّ ﷺ، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿قل ادعوا الذين زعمتم﴾ ادَّعيتم أنَّهم آلهةٌ ﴿من دونه﴾ ثمَّ أخبر عن الآلهة فقال: ﴿فلا يملكون كشف الضر﴾ يعني: البؤس والشِّدة ﴿عنكم ولا تحويلاً﴾ من السَّقم والفقر إلى الصَّحة والغنىٰ. ثمَّ ذكر أولياءَه فقال:

﴿٥٧﴾ ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾[2] يتضرَّعون إلى الله تعالىٰ في

---

(١) وهذا قول الكلبي، في الأسباب ص ٣٣٣.

(٢) عن ابن مسعود في الآية قال: كان نفرٌ من الإنس يعبدون نفراً من الجن، فأسلم النفر من الجن، فاستمسك الآخرون بعبادتهم، فنزلت: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة﴾. أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/٣٩٨؛ ومسلم في التفسير برقم ٣٠٣٠.

أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴿٥٨﴾ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْءَايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى

طلب الجنَّة ﴿أيُّهم﴾ هو ﴿أقرب﴾ إلى رحمة الله سبحانه يبتغي الوسيلة إليه بصالح الأعمال.

﴿٥٨﴾ ﴿وإن من قرية...﴾ الآية. أيْ: وما من أهل قريةٍ إلاَّ ستهلك؛ إمَّا بموت؛ وإمَّا بعذاب يستأصلهم، أمَّا الصَّالحة فبالموت، وأمَّا الطَّالحة فبالعذاب. **﴿كان ذلك في الكتاب مسطوراً﴾** مكتوباً في اللَّوح المحفوظ.

﴿٥٩﴾ **﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾** لمَّا سأل المشركون النبيَّ ﷺ أن يُوسِّع لهم مكَّة، ويجعل الصَّفا ذهباً أتاه جبريل عليه السَّلام فقال: إن شئت كان ما سألوا، ولكنَّهم إن لم يؤمنوا لم يُنظروا، وإن شئت استأنيت بهم، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية(١)، ومعناها: أنَّا لم نرسل بالآيات لئلا يُكذِّب بها هؤلاء، كما كذَّب الذين من قبلهم فيستحقُّوا المعاجلة بالعقوبة. **﴿وآتينا ثمود الناقة مبصرة﴾** آيةً مُضيئةً بيِّنةً **﴿فظلموا بها﴾** جحدوا أنَّها من الله سبحانه **﴿وما نرسل بالآيات﴾** أي: العبر والدِّلالات **﴿إلاَّ تخويفاً﴾** للعباد لعلَّهم يخافون القادر علىٰ ما يشاء.

﴿٦٠﴾ **﴿وإذْ قلنا لك إنَّ ربك أحاط بالناس﴾** أيْ: فهم في قبضته وقدرته، يمنعك منهم حتىٰ تبلِّغ الرِّسالة، ويحول بينك وبينهم أن يقتلوك. **﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك﴾** يعني: ما أُري ليلة أُسري به، وكانت رؤيا يقظة. **﴿والشجرة الملعونة في**

---

(١) وهذا قول ابن عباس، أخرجه النسائي في تفسيره ١/ ٦٥٥ بسند صحيح؛ وأحمد ١/٢٥٨؛ وابن جرير ١٥/١٠٨؛ والواحدي في الأسباب ص ٣٣٣؛ والحاكم ٢/ ٣٦٠.

ٱلْقُرْءَانِۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْۚ

القرآن﴾ وهي شجرة الزَّقوم **﴿إلاَّ فتنةً للناس﴾** فكانت الفتنة في الرُّؤيا أنَّ بعضهم ارتدَّ حين أعلمهم بقصَّة الإسراء، وازداد الكفَّار تكذيباً، وكانت الفتنة في الزَّقوم أنَّهم قالوا: إنَّ محمداً يزعم أنَّ في النار شجراً، والنَّار تأكل الشَّجر، وقالوا: لا نعلم الزَّقوم إلاَّ التَّمر والزُّبد، فأنزل الله تعالىٰ في ذلك: **﴿إنَّا جعلناها فتنةً للظَّالمين﴾**[1] الآيات **﴿ونخوفهم﴾** بالزَّقوم فما يزدادون إلاَّ كبراً وعتوّاً.

﴿٦٢﴾ **﴿قال﴾** يعني: إبليس **﴿أرأيتك﴾** أَيْ: أرأيت، والكاف توكيدٌ للمخاطبة **﴿هذا الذي كرَّمت عليّ﴾** فضَّلته. يعني: آدم عليه السَّلام **﴿لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأَحتنكنَّ ذريته﴾** لأستأصلنَّهم بالإغواء ولأستولينَّ عليهم **﴿إلاَّ قليلاً﴾** يعني: ممَّن عصمه الله تعالىٰ.

﴿٦٣﴾ **﴿قال﴾** الله: **﴿اذهب﴾** إنِّي أنظرتك إلى يوم القيامة **﴿فمن تبعك﴾** أطاعك **﴿منهم﴾** من ذُرِّيَّتِهِ **﴿فإنَّ جهنم جزاؤكم جزاءً موفوراً﴾** وافراً.

﴿٦٤﴾ **﴿واستفزز من استطعت منهم﴾** أَيْ: أزعجه واستخفَّه إلىٰ إجابتك **﴿بصوتك﴾** وهو الغناء والمزامير **﴿وأجلب عليهم﴾** وصحْ **﴿بخيلك ورجلك﴾** واحثثهم عليهم بالإغواء، وخيلُه: كلُّ راكبٍ في معصية الله سبحانه وتعالىٰ، ورَجِلُه: كلُّ ماشٍ على رجليه في معصية الله تعالىٰ **﴿وشاركهم في الأموال﴾** وهو كلُّ ما أُخذ بغير حقٍّ **﴿والأولاد﴾** وهو كلُّ ولد زنا **﴿وعدهم﴾** أن لا جنَّة ولا نار، ولا بعث ولا

(١) سورة الصافات: الآية ٦٣، وأخرج هذا ابن جرير ١٥/ ١١٤ عن قتادة.

وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ۚ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَّبُّكُمُ ٱلَّذِى يُزْجِى لَكُمُ ٱلْفُلْكَ فِى ٱلْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٦﴾ وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ ٱلْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ وَكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ۙ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴿٦٩﴾

حساب، وهذه الأنواع من الأمر كلُّها أمر تهديد. قال الله تعالىٰ: **﴿وما يعدهم الشيطان إلاَّ غروراً﴾**.

﴿٦٥﴾ **﴿إنَّ عبادي﴾** يعني: المؤمنين **﴿ليس لك عليهم سلطانٌ﴾** حجَّةٌ في الشِّرك **﴿وكفىٰ بربك وكيلاً﴾** لأوليائه يعصمهم من القبول مِن إبليس.

﴿٦٦﴾ **﴿ربكم الذي يزجي﴾** يسيِّر **﴿لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله﴾** في طلب التِّجارة **﴿إنه كان بكم﴾** بالمؤمنين **﴿رحيماً﴾**.

﴿٦٧﴾ **﴿وإذا مسَّكم الضرُّ﴾** خوف الغرق **﴿في البحر ضلَّ﴾** زال وبطل **﴿من تدعون﴾** من الآلهة **﴿إلاَّ إياه﴾** إلاَّ الله **﴿فلما نجاكم﴾** من الغرق وأخرجكم **﴿إلى البر أعرضتم﴾** عن الإِيمان والتَّوحيد **﴿وكان الإِنسان﴾** الكافر لربِّه **﴿كفوراً﴾** لنعمة ربِّه جاحداً، ثمَّ بيَّن أنَّه قادر أن يهلكهم في البرِّ، فقال:

﴿٦٨﴾ **﴿أفأمنتم﴾** يريد: حيث أعرضتم حين سلمتم من هول البحر **﴿أن يخسف بكم﴾** يُغيِّبكم ويذهبكم في **﴿جانب البرِّ﴾** وهو الأرض **﴿أو يرسل عليكم حاصباً﴾** عذاباً يحصبهم، أَيْ: يرميهم بحجارةٍ **﴿ثمَّ لا تجدوا لكم وكيلاً﴾** مانعاً ولا ناصراً.

﴿٦٩﴾ **﴿أم أمنتم أن يعيدكم﴾** في البحر **﴿تارةً﴾** مرةً **﴿أخرى فيرسل عليكم قاصفاً﴾** ريحاً شديدةً تقصف الفلك وتكسره **﴿فيغرقكم بما كفرتم﴾** بكفركم حيث سلمتم المرة الأولىٰ **﴿ثمَّ لا تجدوا لكم علينا به تبيعاً﴾** ثائراً ولا ناصراً، والمعنىٰ: لا تجدوا مَنْ يتَّبعنا بإنكار ما نزل بكم.

۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا۟

﴿٧٠﴾ ﴿ولقد كرَّمنا﴾ فضَّلنا ﴿بني آدم﴾ بالعقل والنُّطق والتَّمييز ﴿وحملناهم في البر﴾ علىٰ الإبل والخيل والبغال والحمير ﴿ و ﴾ في ﴿البحر﴾ على السُّفن ﴿ورزقناهم من الطيبات﴾ الثِّمار والحبوب والمواشي والسَّمن والزُّبد والحلاوى ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا﴾ يعني: البهائم والدَّوابَّ والوحوش.

﴿٧١﴾ ﴿يوم ندعو﴾ يعني: يوم القيامة ﴿كلَّ أناسٍ بإمامهم﴾ بنبيِّهم، وهو أن يقال: هاتوا مُتَّبعي إبراهيم عليه السَّلام، هاتوا مُتَّبعي موسىٰ عليه السَّلام، هاتوا مُتَّبعي محمد عليه السَّلام، فيقوم أهل الحقِّ فيأخذون كتبهم بأيمانهم، ثمَّ يقال: هاتوا مُتَّبعي الشَّيطان، هاتوا مُتَّبعي رؤساء الضَّلالة، وهذا معنىٰ قول ابن عباس: إمام هدىً وإمام ضلالة ﴿ولا يظلمون﴾ ولا ينقصون ﴿فتيلاً﴾ من الثَّواب، وهي القشرة التي في شقِّ النَّواة.

﴿٧٢﴾ ﴿ومَنْ كان في هذه أعمىٰ﴾ في الدُّنيا أعمىٰ القلب عمَّا يرىٰ من قدرتي في خلق السَّماء والأرض والشَّمس والقمر وغيرهما ﴿فهو في الآخرة﴾ في أمر الآخرة ممَّا يغيب عنه ﴿أعمىٰ﴾ أشدُّ عمىً ﴿وأضلُّ سبيلاً﴾ وأبعد حجَّةً.

﴿٧٣﴾ ﴿وإن كادوا...﴾ الآية. نزلت في وفد ثقيف[1] أتوا رسول الله ﷺ وقالوا: متِّعنا باللَّات سنةً، وحرِّمْ وادينا كما حرَّمت مكَّة؛ فإنَّا نحبُّ أن تعرف العربُ فضلنا عليهم، فإنْ خشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا فقل: الله أمرني بذلك،

---

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن الجارود في المنتقى ص ١٠١ ورجاله ثقات؛ وابن جرير ١٥/ ١٣٠؛ والمؤلف في الأسباب ص ٣٣٥.

لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ وَإِن كَادُوا۟ لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾

وأقبلوا يلحُّون علىٰ النَّبيِّ ﷺ، فأمسك رسول الله ﷺ عنهم وقد همَّ أَنْ يعطيهم ذلك، فأنزل الله: ﴿وإن كادوا﴾ همُّوا وقاربوا ﴿ليفتنونك﴾ ليستزلُّونك ﴿عن الذي أوحينا إليك﴾ يعني: القرآن، والمعنىٰ: عن حكمه، وذلك أنَّ في إعطائهم ما سألوا مخالفةً لحكم القرآن ﴿لتفتري علينا غيره﴾ أَيْ: لتختلق علينا أشياء غير ما أوحينا إليك، وهو قولهم: قل الله أمرني بذلك. ﴿وإذاً﴾ لو فعلت ما أرادوا ﴿لاتخذوك خليلاً﴾.

﴿٧٤﴾ ﴿ولولا أن ثبتناك﴾ على الحقِّ بعصمتنا إيَّاك ﴿لقد كدت تركن﴾ تميل ﴿إليهم شيئاً﴾ ركوناً ﴿قليلاً﴾، ثمَّ توعَّد على ذلك لو فعله فقال:

﴿٧٥﴾ ﴿إذاً لأذقناك ضعف الحياة﴾ ضِعْفَ عذاب الدُّنيا ﴿وضعف الممات﴾ وضعف عذاب الآخرة. يعني: ضعف ما يعذَّب به غيره.

﴿٧٦﴾ ﴿وإن كادوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ﴾ يعني: اليهود. قالوا للنبيِّ ﷺ[1]: إنَّ الأنبياء بُعثوا بالشَّام، فإنْ كنت نبيّاً فالحق بها، فإنَّك إنْ خرجتَ إليها آمنَّا بك، فوقع ذلك في قلبه لحبِّ إيمانهم، فأنزل الله سبحانه وتعالىٰ هذه الآية، ومعنىٰ ليستفزونك: ليزعجونك ﴿من الأرض﴾ يعني: المدينة ﴿وإذا لا يلبثون خلافك إلاَّ قليلاً﴾ أعلم الله سبحانه أنَّهم لو فعلوا ذلك لم يلبثوا حتىٰ يستأصلوا، كسنَّتنا فيمن قبلهم، وهو قوله:

(١) أخرجه المؤلف في الأسباب ص ٣٣٦ عن ابن عباس؛ وابن جرير في التفسير ١٥/ ١٣٢ عن حضرمي؛ والبيهقي في دلائل النبوة ٥/ ٢٥٤ عن عبد الرحمن بن غنم.

سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي

﴿٧٧﴾ ﴿سنة من قد أرسلنا قبلك...﴾ الآية. يقول: لم نرسل قبلك رسولاً فأخرجه قومه إلَّا أهلكوا. ﴿ولا تجد لسنتنا تحويلاً﴾ لا خُلف لسنَّتي، ولا يقدر أحدٌ أن يقلبها.

﴿٧٨﴾ ﴿أقم الصلاة﴾ أَيْ: أدمها ﴿لدلوك الشمس﴾ من وقت زوالها ﴿إلىٰ غسق الليل﴾ إقباله بظلامه، فيدخل في هذا صلاة الظُّهر والعصر والعشاءين ﴿وقرآن الفجر﴾ يعني: صلاة الفجر، سمَّاها قرآناً لأنَّ الصَّلاة لا تصحُّ إلَّا بقراءة القرآن. ﴿إنَّ قرآن الفجر كان مشهوداً﴾ تشهده ملائكة اللَّيل وملائكة النَّهار.

﴿٧٩﴾ ﴿ومن الليل فتهجد﴾ فصلِّ ﴿به﴾ بالقرآن ﴿نافلة لك﴾ زيادةً لك في الدَّرجات؛ لأنه غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، فما عمل من عملٍ سوىٰ المكتوبة فهو نافلةٌ له، من أجل أنَّه لا يعمل ذلك في كفَّارة الذُّنوب ﴿عسىٰ أن يبعثك ربك﴾ «عسىٰ» من الله واجبٌ، ومعنىٰ يبعثك ربُّك: يقيمك ربُّك في مقامٍ محمودٍ، وهو مقام الشَّفاعة[1] يحمده فيه الخلق.

﴿٨٠﴾ ﴿وقل ربِّ أدخلني﴾ لمَّا أُمر النَّبيُّ ﷺ بالهجرة أُنزلت عليه هذه الآية[2]،

---

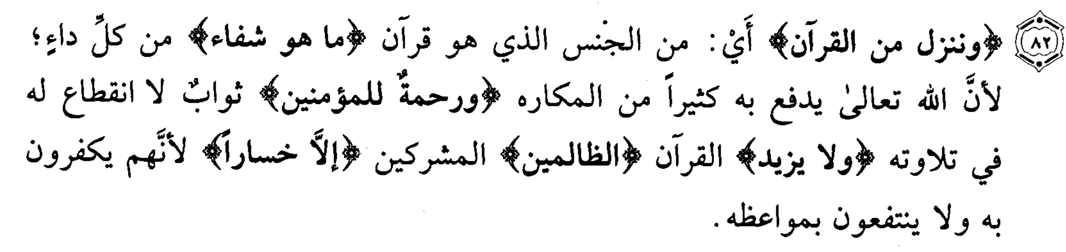
(١) عن ابن عمر قال: إنَّ الناس يصيرون يوم القيامة جثىً، كلُّ أمةٍ تتبع نبيَّها، يقولون: يا فلان اشفع، حتىٰ تنتهي الشفاعة إلى النبيِّ ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود.
أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/ ٣٩٩.

(٢) عن ابن عباس قال: كان النبيُّ ﷺ بمكَّة أُمِرَ بالهجرة، فنزلت عليه: ﴿وقل: ربِّ أدخلني مدخل صدق، وأخرجني مخرج صدق، واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾. أخرجه الترمذي في التفسير، برقم ٣١٣٨، وقال: حسن صحيح، وأحمد في المسند ١/ ٢٢٣، وفي سنده قابوس بن أبي ظبيان، قال ابن حجر في التقريب ص ٤٤٩: ليِّن، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٢٥٥.

مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ ۖ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ﴿٨٣﴾

ومعناها: أدخلني المدينة إدخال صدق، أَيْ: إدخالاً حسناً لا أرىٰ فيه ما أكره ﴿**وأخرجني**﴾ من مكة إخراج صدق لا ألتفت إليها بقلبي ﴿**واجعل لي من لَدُنْكَ سلطاناً نصيراً**﴾ قوّة القدرة والحجّة حتىٰ أُقيم بهما دينك.

﴿٨١﴾ ﴿**وقل جاء الحق**﴾ الإسلام ﴿**وزهق الباطل**﴾ واضمحلَّ الشِّرك ﴿**إن الباطل**﴾ الشِّرك ﴿**كان زهوقاً**﴾ مضمحلاً زائلاً. أُمر النبيُّ ﷺ أن يقول هذا عند دخول مكّة يوم الفتح[1].



﴿٨٢﴾ ﴿**وننزل من القرآن**﴾ أَيْ: من الجنس الذي هو قرآن ﴿**ما هو شفاء**﴾ من كلِّ داءٍ؛ لأنَّ الله تعالىٰ يدفع به كثيراً من المكاره ﴿**ورحمةٌ للمؤمنين**﴾ ثوابٌ لا انقطاع له في تلاوته ﴿**ولا يزيد**﴾ القرآن ﴿**الظالمين**﴾ المشركين ﴿**إلاَّ خساراً**﴾ لأنَّهم يكفرون به ولا ينتفعون بمواعظه.

﴿٨٣﴾ ﴿**وإذا أنعمنا على الإنسان**﴾ يريد: الوليد بن المغيرة ﴿**أعرض**﴾ عن الدُّعاء والابتهال، فلا يبتهل كابتهاله في البلاء والمحنة ﴿**ونأىٰ بجانبه**﴾ بَعُد بنفسه عن القيام بحقوق نعم الله تعالىٰ ﴿**وإذا مسه الشر**﴾ أصابه المرض والفقر ﴿**كان يؤساً**﴾ يائساً عن الخير ومن رحمة الله سبحانه؛ لأنَّه لا يثق بفضل الله تعالىٰ علىٰ عباده.

---

(١) عن عبد الله بن مسعود قال: دخل النبيُّ ﷺ مكّة، وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُب، فجعل يطعنها بعودٍ في يده، ويقول: «جاء الحقُّ وزهق الباطل إنَّ الباطل كان زهوقاً». «جاء الحقُّ وما يبدىء الباطل وما يعيد». أخرجه البخاري في التفسير. فتح الباري ٨/ ٤٠٠، ومسلم في الجهاد والسير برقم ١٧٨١، والنسائي في التفسير ١/ ٤٠١.

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾

﴿٨٤﴾ **﴿قل كلٌّ يعمل على شاكلته﴾** على مذهبه وطريقته، فالكافر يعمل ما يشبه طريقته من الإعراض عند الإنعام، واليأس عند الشدَّة، والمؤمن يفعل ما يشبه طريقته من الشكر عند الرَّخاء، والصَّبر والاحتساب عند البلاء، ألا ترىٰ أنَّه قال: **﴿فربكم أعلم بمن هو أهدىٰ سبيلاً﴾** أَيْ: بالمؤمن الذي لا يُعرض عند النِّعمة ولا ييئس عند المحنة.

﴿٨٥﴾ **﴿ويسألونك﴾** يعني: اليهود[1] **﴿عن الروح﴾** والرُّوح: ما يحيا به البدن، سألوه عن ذلك وحقيقته وكيفيَّته، وموضعه من البدن، وذلك ما لم يُخبر الله سبحانه به أحداً، ولم يُعط علمه أحداً من عبادِه، فقال: **﴿قل الروح من أمر ربي﴾** أَيْ: من علم ربِّي، أَيْ: إنَّكم لا تعلمونه. وقيل: من خلق ربِّي، أَيْ: إنَّه مخلوقٌ له. **﴿وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلاً﴾** وكانت اليهود تدَّعي علم كلِّ شيء بما في كتابهم، فقيل لهم: وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلاً بالإضافة إلى علم الله تعالىٰ.

﴿٨٦﴾ **﴿ولئن شئنا لنذهبنَّ بالذي أوحينا إليك﴾** لنمحونَّه من القلوب ومن الكتب حتىٰ لا يوجد له أثر **﴿ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً﴾** لا تجد مَنْ تتوكَّلُ عليه في ردِّ شيءٍ منه.

(١) عن ابن مسعود قال: بينا أنا مع رسول الله ﷺ ـ وهو يتوكأ على عسيبٍ ـ مرَّ بِنَفَرٍ من اليهود، فقال بعضهم: سلوه عن الرُّوح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يسمعكم ما تكرهون، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم حدِّثنا عن الروح، فقام ساعةً ينظر، فعرفتُ أنَّه يوحىٰ إليه فتأخَّرت حتىٰ صعد الوحي، ثم قال: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلاَّ قليلاً﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٨/٤٠١، ومسلم في صفات المنافقين برقم ٢٧٩٤، والنسائي في التفسير ١/ ٦٧٠.

إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ إِنَّ فَضۡلَهُۥ كَانَ عَلَيۡكَ كَبِيرٗا ﴿٨٧﴾ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾ وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ

﴿٨٧﴾ **﴿إلَّا رحمة من ربك﴾** لكنَّ الله رحمك فأثبت ذلك في قلبك وقلوب المؤمنين **﴿إن فضله كان عليك كبيراً﴾** حيث جعلك سيِّد وَلدِ آدم، وأعطاك المقام المحمود.

﴿٨٨﴾ **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن...﴾** الآية. لمَّا تحدَّاهم رسول الله ﷺ بالقرآن وعجزوا عن معارضته أنزل الله: ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن﴾ في نظمه وبلاغته **﴿لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾** مُعيناً مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعرٍ فيقيمونه.

﴿٨٩﴾ **﴿ولقد صرَّفنا﴾** بيَّنَّا **﴿للناس في هذا القرآن﴾** لأهل مكَّة **﴿من كلِّ مثل﴾** من الأمثال التي يجب بها الاعتبار **﴿فأبىٰ أكثر الناس﴾** أكثر أهل مكَّة **﴿إلَّا كفوراً﴾** جحوداً للحقِّ، واقترحوا من الآيات ما ليس لهم، وهو قوله تعالىٰ:

﴿٩٠﴾ **﴿وقالوا لن نؤمن لك﴾** لن نصدِّقك **﴿حتىٰ تفجر﴾** تشقق **﴿لنا من الأرض ينبوعاً﴾** عيناً من الماء، وذلك أنَّهم سألوه أن يجريَ لهم نهراً كأنهار الشَّام والعراق.

﴿٩١﴾ **﴿أو تكون لك جنَّة...﴾** الآية. هذا أيضاً كان فيما اقترحوا عليه.

﴿٩٢﴾ **﴿أو تسقط السماء كما زعمت﴾** أنَّ ربَّك إن شاء فعل ذلك **﴿كسفاً﴾** أَيْ: قطعاً **﴿أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً﴾** تأتي بهم حتىٰ نراهم مقابلةً وعياناً.

﴿٩٣﴾ **﴿أو يكون لك بيتٌ من زخرف﴾** من ذهبٍ، فكان فيما اقترحوا عليه أن يكون له جنَّاتٌ وكنوزٌ وقصورٌ من ذهبٍ **﴿أو ترقىٰ في السماء﴾** وذلك أنَّ عبد الله بن

وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

أبـي أُميَّة قال: لا أؤمن بك يا محمَّد أبداً حتىٰ تتَّخذ سلماً إلى السماء، ثمَّ ترقىٰ فيه وأنا أنظر حتىٰ تأتيها، وتأتي بنسخةٍ منشورةٍ معك، ونفر من الملائكة يشهدون لك أنَّك كما تقول، فقال الله سبحانه: **﴿قل سبحان ربـي هل كنت إلاَّ بشراً رسولاً﴾** أَيْ: إنَّ هذه الأشياء ليس في قوىٰ البشر.

﴿٩٤﴾ **﴿وما منع الناس﴾** يعني: أهل مكَّة **﴿أن يؤمنوا﴾** أَيْ: الإيمان **﴿إذ جاءهم الهدىٰ﴾** البيان، وهو القرآن **﴿إلاَّ أن قالوا﴾** إلاَّ قولهم في التَّعجب والإنكار: **﴿أبعث الله بشراً رسولاً﴾** أَيْ: هلاَّ بعث مَلَكاً، فقال الله تعالىٰ:

﴿٩٥﴾ **﴿قل لو كان في الأرض﴾** بدل الآدميين **﴿ملائكة يمشون مطمئنين﴾** مستوطنين الأرض **﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾** يريد: إنَّ الأبلغ في الأداء إليهم بشرٌ مثلهم، وقوله تعالىٰ:

﴿٩٧﴾ **﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً﴾** يمشيهم الله سبحانه علىٰ وجوههم عُمياً لا يرون شيئاً يسرُّهم **﴿وبكماً﴾**[1] لا ينطقون بحجَّةٍ **﴿وصماً﴾** لا يسمعون شيئاً يسرُّهم **﴿كلما خبت﴾** أَيْ: سكن لهبها **﴿زدناهم سعيراً﴾** ناراً تتسعر.

---

(١) في المخطوطات كلها تقديم «وصماً» على قوله: «وبكماً».

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ

﴿٩٨﴾ ﴿ذلك جزاؤهم﴾ هذه الآية مفسَّرة في هذه السُّورة[1].

﴿٩٩﴾ ﴿أوَلَمْ يروا﴾ أوَلَمْ يعلموا ﴿أنَّ الله الذي خلق السموات والأرض قادرٌ علىٰ أن يخلق مثلهم﴾ أيْ: يخلقهم ثانياً، وأراد بـ ﴿مثلهم﴾ إيَّاهم، وتمَّ الكلام، ثمَّ قال: ﴿وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه﴾ يعني: أجل الموت وأجل القيامة ﴿فأبىٰ الظالمون﴾ المشركون ﴿إلاَّ كفوراً﴾ جحوداً بذلك الأجل، وهو البعث والقيامة.

﴿١٠٠﴾ ﴿قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربي﴾ خزائن الرِّزق ﴿إذاً لأمسكتم﴾ لبخلتم ﴿خشية الإِنفاق﴾ أن تنفقوا فتفتقروا ﴿وكان الإِنسان قتوراً﴾ بخيلاً، ثمَّ ذكر قصَّة موسىٰ عليه السَّلام وما آتاه من الآيات وإنكار فرعون ذلك، فقال:

﴿١٠١﴾ ﴿ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات﴾ وهي العصا واليد، وفلق البحر، والطمسة، وهي قوله: ﴿ربَّنا اطمسْ على أموالِهم﴾[2]، والطُّوفان، والجراد، والقُمَّل، والضفادع، والدَّم ﴿فاسأل﴾ يا محمد ﴿بني إسرائيل﴾ المؤمنين من قريظة والنَّضير ﴿إذ جاءهم﴾ يعني: جاء آباءَهم، وهذا سؤال استشهاد ليعرف اليهود صحَّة ما يقول محمَّد عليه السَّلام بقول علمائهم ﴿فقال له فرعون: إني لأظنُّك يا موسىٰ مسحوراً﴾ ساحراً فقال موسىٰ عليه السَّلام:

﴿١٠٢﴾ ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء﴾ الآيات ﴿إلاَّ رب السموات والأرض بصائر﴾ عبراً

---

(١) انظر ص ٦٣٧.

(٢) سورة يونس: الآية ٨٨.

وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾

ودلائل ﴿وإني لأظنك﴾ لأعلمك ﴿يا فرعون مثبوراً﴾ ملعوناً مطروداً.

﴿١٠٣﴾ ﴿فأراد﴾ فرعون ﴿أن يستفزهم﴾ يخرجهم، يعني: موسىٰ وقومه ﴿من الأرض﴾ أرض مصر. وقوله:

﴿١٠٤﴾ ﴿فإذا جاء وعد الآخرة﴾ يريد: يوم القيامة. ﴿جئنا بكم لفيفاً﴾ مُجتمعين مُختلطين.

﴿١٠٥﴾ ﴿وبالحق أنزلناه﴾ أَيْ: أنزلنا القرآن بالدِّين القائم، والأمر الثَّابت ﴿وبالحق نزل﴾ وبمحمَّد نزل القرآن، أَيْ: عليه نزل، كما تقول: نزلتُ بزيدٍ.

﴿١٠٦﴾ ﴿وقرآناً فرقناه﴾ قطعناه آيةً آيةً، وسورةً سورةً في عشرين سنة ﴿لتقرأه على الناس على مكث﴾ تُؤَدةٍ وَتَرسُّلٍ ليفهموه ﴿ونَزَّلْناهُ تنزيلاً﴾ نجوماً بعد نجومٍ وشيئاً بعد شيءٍ.

﴿١٠٧﴾ ﴿قل﴾ لأهل مكَّة: ﴿آمنوا﴾ بالقرآن ﴿أو لا تؤمنوا﴾ به، وهذا تهديد، أَيْ: فقد أنذر الله، وبلَّغ رسوله. ﴿إنَّ الذين أوتوا العلم من قبله﴾ من قبل القرآن. يعني: ناساً من أهل الكتاب حين سمعوا ما أنزل على النبيِّ ﷺ خرُّوا سُجَّداً. وقوله:

﴿١٠٨﴾ ﴿إن كان وعد ربنا لمفعولاً﴾ أَيْ: وعده بإنزال القرآن وبعث محمَّد عليه السَّلام لمفعولاً.

﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ (١٠٩) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا (١١٠) وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا ﴾

(١٠٩) **﴿ويخرون للأذقان يبكون﴾** كرَّر القول لتكرُّر الفعل منهم **﴿ويزيدهم﴾** القرآن **﴿خشوعاً﴾**.

(١١٠) **﴿قل ادعوا الله...﴾** الآية. كان رسول الله ﷺ يقول: يا الله، يا رحمان، فسمع ذلك أبو جهل فقال: إنَّ محمداً ينهاناً أن نعبد إلّهين، وهو يدعو إلّهاً آخر مع الله يقال له: الرَّحمن[١]، فأنزل الله سبحانه: **﴿قل﴾** يا محمد **﴿ادعوا الله﴾** يا معشر المؤمنين **﴿أو ادعوا الرحمن﴾** إن شئتم قولوا: يا الله وإن شئتم قولوا: يا رحمان. **﴿أياً ما تدعوا﴾** أيَّ أسماءِ اللَّهِ تدعوا **﴿فله الأسماء الحسنىٰ﴾**. **﴿ولا تجهر بصلاتك﴾**[٢] بقراءتك فيسمعها المشركون فيسبُّوا القرآن **﴿ولا تخافت بها﴾** ولا تُخفها عن أصحابك فلا تسمعهم **﴿وابتغِ بين ذلك سبيلاً﴾** اسلك طريقاً بين الجهر والمخافتة، وقوله:

---

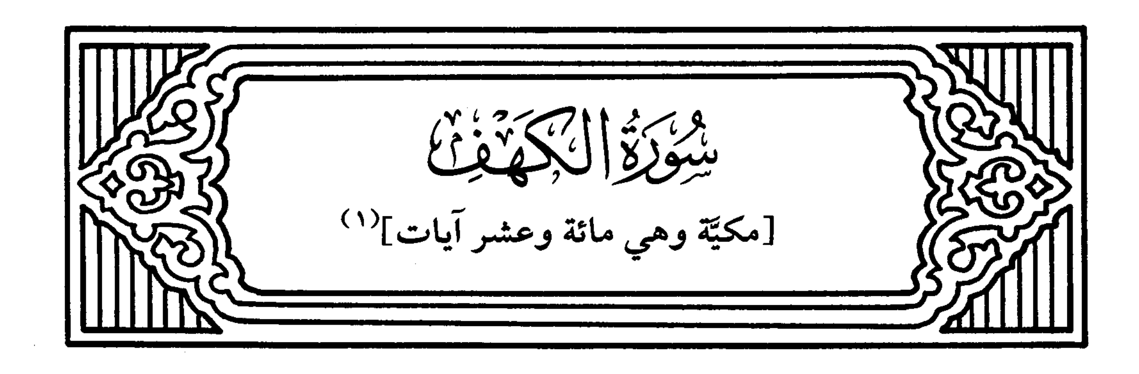
(١) وهذا قول ابن عباس، أخرجه ابن جرير ١٥/ ١٨٢، وفيه محمد بن كثير، وهو صدوق لكنه كثير الغلط. انظر تقريب التهذيب ص ٥٠٤، وذكره المؤلف في الأسباب ص ٣٤١ عن ابن عباس، دون سندٍ.

(٢) عن ابن عباس في الآية قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكَّة، كان إذا صلَّىٰ بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبُّوا القرآن ومَنْ أنزله ومَنْ جاء به، فقال الله تعالىٰ لنبيِّه: ﴿ولا تجهر بصلاتك﴾ أيْ: بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٤٠٤، ومسلم في الصلاة برقم ٤٤٦، والنسائي في التفسير ١/ ٦٧٢، والترمذي في التفسير برقم ٣١٤٥.

وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴿١١١﴾

﴿١١١﴾ ﴿ولم يكن له وليٌّ من الذل﴾ لم يكن له وليٌّ ينصره ممَّن استذلَّه من البشر ﴿وكبره تكبيراً﴾ عظمه عظمةً تامَّةً.

• • •



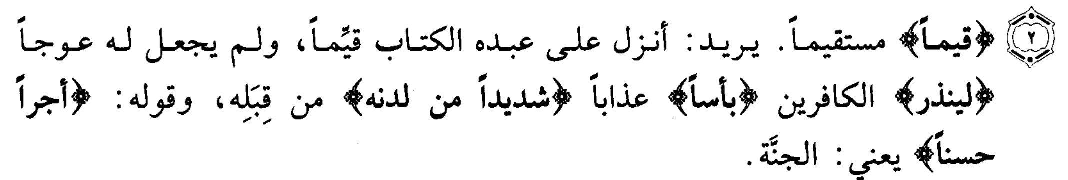
سُورَةُ الكَهْفِ

[مكيّة وهي مائة وعشر آيات](١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾



(١) ﴿**الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً**﴾ اختلافاً والتباساً.

(٢) ﴿**قيماً**﴾ مستقيماً. يريد: أنزل على عبده الكتاب قيِّماً، ولم يجعل له عوجاً ﴿**لينذر**﴾ الكافرين ﴿**بأساً**﴾ عذاباً ﴿**شديداً من لدنه**﴾ من قِبَلِه، وقوله: ﴿**أجراً حسناً**﴾ يعني: الجنَّة.

(٣) ﴿**وينذر**﴾ بعذابِ الله ﴿**الذين قالوا اتخذ الله ولداً**﴾ وهم اليهود والنَّصارىٰ.

(٤) ﴿**ما لهم به**﴾ بذلك القول ﴿**من علم**﴾ لأنَّهم قالوه جهلاً وافتراءً على الله ﴿**ولا لآبائهم**﴾ الذين قالوا ذلك. ﴿**كبرت كلمة**﴾ مقالتهم تلك كلمةً.

(٦) ﴿**فلعلك باخع نفسك**﴾ قاتلها ﴿**علىٰ آثارهم**﴾ على أثر تولِّيهم وإعراضهم عنك

---

(١) زيادة من ظا.

إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

لشدَّة حرصك علىٰ إيمانهم ﴿**إن لم يؤمنوا بهذا الحديث**﴾ يعني: القرآن ﴿**أسفاً**﴾ غيظاً وحزناً.

﴿٧﴾ ﴿**إنا جعلنا ما علىٰ الأرض**﴾ يعني: ما خلق في الدُّنيا من الأشجار والنَّبات والماء وكلِّ ذي روح على الأرض ﴿**زينة لها**﴾ زيَّناها بما خلقنا فيها ﴿**لنبلوهم أيهم أحسن عملاً**﴾ أزهد فيها، وأترك لها، ثمَّ أعلم أنَّه يُفني ذلك كلَّه، فقال:

﴿٨﴾ ﴿**وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً**﴾ بلاقع ليس فيها نبات.

﴿٩﴾ ﴿**أم حسبت**﴾ بل أحسبت ﴿**أنَّ أصحاب الكهف**﴾ وهو المغارة في الجبل ﴿**والرقيم**﴾ وهو اللَّوح الذي كُتبت فيه أسماؤهم وأنسابهم ﴿**كانوا من آياتنا عجباً**﴾ أَيْ: لم يكونوا بأعجب آياتنا، ولم يكونوا العجب من آياتنا فقط؛ فإنَّ آياتنا كلَّها عجب، وكانت قريش سألوا محمداً ﷺ عن خبر فتيةٍ فُقدوا في الزمان الأوَّل بتلقين اليهود قريشاً ذلك، فأنزل الله سبحانه على نبيِّه عليه السَّلام خبرهم، فقال:

﴿١٠﴾ ﴿**إذ أوىٰ**﴾ اذكر إذ أوىٰ ﴿**الفتية إلى الكهف**﴾ هربوا إليه ممَّن يطلبهم، فاشتغلوا بالدُّعاء والتَّضرُّع ﴿**فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة**﴾ أعطنا من عندك مغفرةً ورزقاً ﴿**وهيِّىء**﴾ أصلح ﴿**لنا من أمرنا رشداً**﴾ أَيْ: أرشدنا إلىٰ ما يُقرِّب منك.

﴿١١﴾ ﴿**فضربنا على آذانهم**﴾ سددنا آذانهم بالنَّوم ﴿**في الكهف سنين عدداً**﴾ معدودةً.

﴿١٢﴾ ﴿**ثم بعثناهم**﴾ ايقظناهم من نومهم ﴿**لنعلم**﴾ لنرىٰ ﴿**أيّ الحزبين**﴾ من المؤمنين والكافرين ﴿**أحصى**﴾ أعدُّ ﴿**لما لبثوا**﴾ للبثهم في الكهف نائمين ﴿**أمداً**﴾ غايةً،

نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾ وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعۡتَزَلۡتُمُوهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأۡوُۥٓاْ إِلَى ٱلۡكَهۡفِ يَنشُرۡ لَكُمۡ رَبُّكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَيُهَيِّئۡ لَكُم مِّنۡ أَمۡرِكُم مِّرۡفَقٗا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ ذَاتَ ٱلۡيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقۡرِضُهُمۡ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ

وكان وقع اختلافٌ بين فريقين من المؤمنين والكافرين في قدر مدَّة فقدهم، ومنذ كم فقدوهم، فبعثهم الله سبحانه من نومهم ليتبيَّن ذلك.

﴿١٣﴾ ﴿**نحن نقصُّ عليك نبأهم**﴾ خبرهم ﴿**بالحق**﴾ بالصِّدق ﴿**إنهم فتية**﴾ شُبَّانٌ وأحداثٌ ﴿**آمنوا بربهم وزدناهم هدىٰ**﴾ ثبَّتناهم على ذلك.

﴿١٤﴾ ﴿**وربطنا على قلوبهم**﴾ ثبتناها بالصَّبر واليقين ﴿**إذ قاموا**﴾ بين يديّ ملكهم الذي كان يفتن أهل الأديان عن دينهم ﴿**فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعو من دونه إلَٰهاً لقد قلنا إذاً شططاً**﴾ كذباً وجوراً إنْ دعونا غيره.

﴿١٥﴾ ﴿**هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة**﴾ يعنون: الذين عبدوا الأصنام في زمانهم ﴿**لولا**﴾ هلاَّ ﴿**يأتون عليهم**﴾ على عبادتهم ﴿**بسلطانٍ بيِّن**﴾ بحجَّةٍ بيِّنةٍ ﴿**فمن أظلم ممن افترىٰ علىٰ الله كذباً**﴾ فزعم أنَّ معه إلَٰهاً، فقال لهم تمليخا ــ وهو رئيسهم ــ:

﴿١٦﴾ ﴿**وإذ اعتزلتموهم**﴾ فارقتموهم ﴿**وما يعبدون**﴾ من الأصنام ﴿**إلاَّ الله**﴾ فإنكم لن تتركوا عبادته ﴿**فأووا إلى الكهف**﴾ صيروا إليه ﴿**ينشر لكم ربكم من رحمته**﴾ يبسطها عليكم ﴿**ويهيِّىء لكم من أمركم مرفقاً**﴾ يُسهِّل لكم غذاءً تأكلونه.

﴿١٧﴾ ﴿**وترىٰ الشمس إذا طلعت تزاور**﴾ تميل عن كهفهم ﴿**ذات اليمين**﴾ في ناحية اليمين ﴿**وإذا غربت تقرضهم**﴾ تتركهم وتتجاوز عنهم ﴿**ذات الشمال**﴾ في ناحية الشِّمال، فلا تصيبهم الشَّمس ألبتةَ؛ لأنَّها تميل عنهم طالعةً غاربةً، فتكون صورهم

وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ

محفوظة، ﴿وهم في فجوة منه﴾ مُتَّسعٍ من الكهف ينالهم برد الرِّيح ونسيم الهواء. ﴿ذلك﴾ التَّزاور والقرض ﴿من آيات الله﴾ دلائل قدرته ولطفه بأصحاب الكهف. ﴿من يهد الله فهو المهتد﴾ أشار إلىٰ أنَّه هو الذي تولَّىٰ هدايتهم، ولولا ذلك لم يهتدوا.

﴿١٨﴾ ﴿وتحسبهم أيقاظاً﴾ لأنَّ أعينهم مُفتَّحة ﴿وهم رقود﴾ نيامٌ ﴿ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال﴾ لئلا تأكل الأرض لحومهم ﴿وكلبهم باسط ذراعيه﴾ يديه ﴿بالوصيد﴾ بفناء الكهف ﴿لو اطلعت﴾ أشرفت ﴿عليهم لوليت﴾ أعرضت ﴿منهم فراراً ولملئت منهم رعباً﴾ خوفاً وذلك أنَّ الله تعالىٰ منعهم بالرُّعب لئلا يراهم أحد.

﴿١٩﴾ ﴿وكذلك﴾ وكما فعلنا بهم هذه الأشياء ﴿بعثناهم﴾ أيقظناهم من تلك النَّومة التي تشبه الموت ﴿ليتساءلوا بينهم﴾ ليكون بينهم تساؤلٌ عن مدَّة لبثهم ﴿قال قائل منهم كم لبثتم﴾ كم مرَّ علينا منذ دخلنا الكهف؟ ﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ وذلك أنَّهم دخلوا الكهف غدوةً، وبعثهم الله في آخر النَّهار، لذلك قالوا: يوماً، فلمَّا رأوا الشمس قالوا: أو بعض يوم، وكان قد بقيت من النَّهار بقيةٌ، فقال تمليخا: ﴿ربكم أعلم بما لبثتم﴾ ردَّ علم ذلك إلى الله سبحانه ﴿فابعثوا أحدكم بورقكم﴾ بدراهمكم ﴿هذه إلى المدينة فلينظر أيها﴾ أيُّ أهلها ﴿أزكىٰ طعاماً﴾ أحلّ من جهةِ أنَّه ذبيحةُ مؤمن، أو من جهة أنَّه غير مغصوب، وقوله: ﴿وليتلطف﴾ في دخول

وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ

المدينة وشراء الطَّعام حتىٰ لا يَطَّلع عليه أحدٌ ﴿ولا يشعرنَّ بكم﴾ ولا يخبرنَّ بكم ولا بمكانكم ﴿أحداً﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿إنهم إن يظهروا عليكم﴾ يطَّلعوا ويُشرفوا عليكم ﴿يرجموكم﴾ يقتلوكم ﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ يردُّوكم إلى دينهم ﴿ولن تفلحوا إذاً أبداً﴾ لن تسعدوا في الدُّنيا ولا في الآخرة إن رجعتم إلى دينهم.

﴿٢١﴾ ﴿وكذلك﴾ وكما بعثناهم وأنمناهم ﴿أعْثرنا﴾ أطلعنا ﴿عليهم ليعلموا﴾ ليعلم القوم الذين كانوا في ذلك الوقت ﴿أنَّ وعد الله﴾ بالثَّواب والعقاب ﴿حقٌّ وأنَّ الساعة﴾ القيامة ﴿لا ريب فيها﴾ لا شكَّ فيها، وذلك أنَّهم يستدلُّون بقصَّتهم على صحَّة أمر البعث ﴿إذ يتنازعون﴾ أَي: اذكر يا محمد إذ يتنازع أهلُ ذلك الزَّمان أمرَ أصحاب الكهف ﴿بينهم﴾ وذلك أنَّهم كانوا يختلفون في مدَّة مكثهم وفي عددهم. وقيل: تنازعوا فقال المؤمنون: نبني عندهم مسجداً، وقال الكافرون: نُحوِّط عليهم حائطاً. يدلُّ علىٰ هذا قوله: ﴿ابنوا عليهم بنياناً﴾ استروهم عن النَّاس ببناءٍ حولهم، وقوله: ﴿ربُّهم أعلم بهم﴾ يدلُّ على أنَّه وقع تنازعٌ في عدَّتهم. ﴿قال الذين غلبوا على أمرهم﴾ وهم المؤمنون، وكانوا غالبين في ذلك الوقت. ﴿لنتخذنَّ عليهم مسجداً﴾ فذكر في القصَّة أنّه جعل على باب الكهف مسجد يصلَّىٰ فيه.

﴿٢٢﴾ ﴿سيقولون ثلاثة...﴾ الآية. أخبر الله تعالىٰ عن تنازعٍ يجري في عدَّة أصحاب الكهف، فجرىٰ ذلك بالمدينة حين قدم وفد نصارىٰ نجران، فجرىٰ ذكر أصحاب

قُل رَّبِّىٓ أَعۡلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعۡلَمُهُمۡ إِلَّا قَلِيلٞۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمۡ إِلَّا مِرَآءٗ ظَٰهِرٗا وَلَا تَسۡتَفۡتِ فِيهِم مِّنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيۡءٍ إِنِّي فَاعِلٞ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَهۡدِيَنِ رَبِّي لِأَقۡرَبَ مِنۡ هَٰذَا رَشَدٗا ﴿٢٤﴾ وَلَبِثُواْ فِي كَهۡفِهِمۡ ثَلَٰثَ مِاْئَةٖ سِنِينَ وَٱزۡدَادُواْ تِسۡعٗا ﴿٢٥﴾

الكهف، فقالت اليعقوبيَّة منهم: كانوا ثلاثةً رابعُهم كلبهم، وقالت النِّسطورية: كانوا خمسةً سادسهم كلبهم، وقال المسلمون: كانوا سبعةً وثامنهم كلبهم، فقال الله تعالىٰ: ﴿**قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلاَّ قليل**﴾ من النَّاس. قال ابن عباس[1]: أنا من ذلك القليل، ثمَّ ذكرهم بأسمائهم فذكر سبعة. ﴿**فلا تمار**﴾ فلا تجادل في أصحاب الكهف ﴿**إلاَّ مراءً ظاهراً**﴾ بما أنزل عليك، أَيْ: أفتِ في قصَّتهم بالظَّاهر الذي أنزل إليك، وقل: لا يعلمهم إلاَّ قليل كما أنزل الله: ﴿**ما يعلمهم إلاَّ قليل**﴾، ﴿**ولا تستفت فيهم**﴾ في أصحاب الكهف ﴿**منهم**﴾ من أهل الكتاب ﴿**أحداً**﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿**ولا تقولنَّ لشيء إني فاعل ذلك غداً**﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿**إلاَّ أن يشاء الله**﴾ هذا تأديبٌ من الله سبحانه لنبيِّه ﷺ، وأمرٌ له بالاستثناء بمشيئة الله سبحانه فيما يعزم. يقول: إذا قلت لشيءٍ: إني فاعله غداً فقل: إن شاء الله. ﴿**واذكر ربك إذا نسيت**﴾ أراد: إذا نسيت الاستثناء بمشيئة الله سبحانه فاذكره وقله إذا تذكَّرت ﴿**وقل عسىٰ أن يهديني ربي**﴾ أَيْ: يعطيني ربِّي من الآيات والدّلالات على النُّبوَّة ما يكون أقرب في الرُّشد، وأدلَّ من صحَّة قصَّة أصحاب الكهف، ثمَّ فعل الله به ذلك حيث أتاه علم غيوب المرسلين وخبرهم، ثمَّ أخبر عن قدر مدَّة لبثهم في الكهف بقوله:

﴿٢٥﴾ ﴿**ولبثوا في كهفهم**﴾ منذ دخلوه إلىٰ أن بعثهم الله ﴿**ثلثمائةٍ سنين وازدادوا**﴾ بعدها تسع سنين.

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٥/٢٢٦؛ وفيه سماك، وقد تقدَّم الكلام عليه.

قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّـٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ

﴿٢٦﴾ **﴿قل﴾** يا محمد: **﴿الله أعلم بما لبثوا﴾** ممَّن يختلف في ذلك **﴿له غيبُ السموات والأرض﴾** علم ما غاب فيهما عن العباد **﴿أبصر به وأسمع﴾** ما أبصرَ الله تعالىٰ بكلِّ موجودٍ، وأسمعَه تعالىٰ لكلِّ مسموعٍ **﴿ما لهم﴾** لأهل السَّموات والأرض **﴿من﴾** دون الله **﴿من ولي﴾** ناصرٍ **﴿ولا يشرك﴾** الله **﴿في حكمه أحداً﴾** فليس لأحدٍ أن يحكم بحكمٍ لم يحكمْ به الله.

﴿٢٧﴾ **﴿واتل ما أوحي إليك من كتاب ربك﴾** اتَّبع القرآن **﴿لا مبدِّل لكلماته﴾** لا مغيِّر للقرآن **﴿ولن تجد من دونه ملتحداً﴾** أيْ: ملجأ.

﴿٢٨﴾ **﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي﴾** مفسَّر في سورة الأنعام[1] إلى قوله: **﴿ولا تعدُ عيناك عنهم﴾** أيْ: لا تصرف بصرك إلى غيرهم من ذوي الهيئات والرُّتبة **﴿تريد زينة الحياة الدنيا﴾** تريد مجالسة الأشراف **﴿ولا تطع﴾** في تنحية الفقراء عنك **﴿من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾** جعلناه غافلاً. **﴿وكان أمره فرطاً﴾** أَيْ: ضَياعاً هلاكاً؛ لأنَّه ترك الإِيمان والاستدلال بآيات الله تعالىٰ واتَّبع هواه.

﴿٢٩﴾ **﴿وقل﴾** يا محمَّد لمن جاءك من النَّاس: **﴿الحق من ربكم﴾** يعني: ما آتيتكم به من الإِسلام والقرآن **﴿فمن شاء فليؤمن ومَنْ شاء فليكفر﴾** تخييرٌ معناه التَّهديد. **﴿إنا أعتدنا﴾** هيَّأنا **﴿للظالمين﴾** الذين عبدوا غير الله تعالىٰ **﴿ناراً أحاط بهم**

---

(١) انظر ص ٣٥٥.

سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾

سرادقها﴾ وهو دخان يحيط بالكفَّار يوم القيامة. **﴿وإن يستغيثوا﴾** ممَّا هم فيه من العذاب والعطش **﴿يُغاثوا بماءٍ كالمهل﴾** كمذاب الحديد والرَّصاص في الحرارة **﴿يشوي الوجوه﴾** حتىٰ يسقط لحمها، ثمَّ ذمَّه فقال: **﴿بئس الشراب﴾** هو **﴿وساءت﴾** النَّار **﴿مرتفقاً﴾** منزلاً، ثمَّ ذكر ما وعد المؤمنين فقال:

﴿٣٠﴾ **﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر مَنْ أحسن عملاً...﴾**. وقوله:

﴿٣١﴾ **﴿يحلون فيها من أساور من ذهب﴾** يُحلَّىٰ كلُّ مؤمنٍ واحدٍ بسوارين من ذهبٍ، وكانت الأساورة من زينة الملوك في الدُّنيا، وقوله: **﴿ويلبسون ثياباً خضراً من سندسٍ وإستبرق﴾** وهما نوعان من الحرير، والسُّندس: ما رقَّ، والاستبرق: ما غلظَ **﴿متكئين فيها على الأرائك﴾** وهي السُّرر في الحجال **﴿نعم الثواب﴾** طاب ثوابهم **﴿وحسنت﴾** الأرائك **﴿مرتفقاً﴾** موضع ارتفاق، أَيْ: اتِّكاءً علىٰ المرفق فيه.

﴿٣٢﴾ **﴿واضرب لهم مثلاً رجلين﴾** يعني: ابني ملكٍ كان في بني إسرائيل تُوفِّي وتركهما، فاتخذ أحدهما القصور والأجنَّة، والآخر كان زاهداً في الدُّنيا، راغباً في الآخرة، فكان إذا عمل أخوه شيئاً من زينة الدُّنيا، أخذ الزَّاهد مثل ذلك، فقدَّمه لآخرته، واتَّخذ به عند الله الأجنة والقصور حتىٰ نفد ماله، فضربهما الله مثلاً للمؤمن والكافر الذي أبطرته النِّعمة، وهو قوله: **﴿جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب وحففناهما بنخل﴾** وجعلنا النَّخل مُطبقاً بهما **﴿وجعلنا بينهما﴾** بين الجنتين **﴿زرعاً﴾**.

كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ

﴿٣٣﴾ ﴿**كلتا الجنتين آتت أكلها**﴾ أدَّت ريعها تامّاً ﴿**ولم تظلم منه شيئاً**﴾ لم تنقص. ﴿**وفجرنا خلالهما**﴾ أخرجنا وسط الجنتين ﴿**نهراً**﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿**وكان له ثمر**﴾ وكان للأخ الكافر أموال كثيرة ﴿**فقال لصاحبه**﴾ لأخيه ﴿**وهو يحاوره**﴾ يراجعه في الكلام ويُجاذبه، وذلك أنَّه سأله عن ماله فيما أنفقه؟ فقال: قدَّمته بين يدي لأقدم عليه، فقال: ﴿**أنا أكثر منك مالاً وأعزُّ نفراً**﴾ رهطاً وعشيرةً.

﴿٣٥﴾ ﴿**ودخل جنته**﴾ وذلك أنَّه أخذ بيد أخيه المسلم فأدخله جنَّته يطوف به فيها، وقوله: ﴿**وهو ظالم لنفسه**﴾ أَيْ: بالكفر بالله تعالىٰ ﴿**قال: ما أظنُّ أن تبيد**﴾ تهلك ﴿**هذه أبداً**﴾ أنكر أنَّ الله سبحانه يفني الدُّنيا، وأنَّ القيامة تقوم فقال: ﴿**وما أظن الساعة قائمة، ولئن رددت إلى ربي**﴾ يريد: إن كان البعث حقّاً ﴿**لأجدنَّ خيراً منها منقلباً**﴾ كما أعطاني هذا في الدُّنيا سيعطيني في الآخرة أفضل منه، فقال له أخوه المسلم:

﴿٣٧﴾ ﴿**أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة**﴾ في رحم أُمِّك ﴿**ثم سوَّاك رجلاً**﴾ جعلك معتدل الخلق والقامة.

﴿٣٨﴾ ﴿**لكنا**﴾ لكن أنا ﴿**هو الله ربي...**﴾ الآية.

﴿٣٩﴾ ﴿**ولولا**﴾ وهلاَّ ﴿**إذْ دخلت جنتك قلت ما شاء الله**﴾ أي: الأمر ما شاء الله، أَيْ: بمشيئة الله تعالىٰ: ﴿**لا قوة إلاَّ بالله**﴾ لا يقوىٰ أحدٌ علىٰ ما في يديه من ملكٍ ونعمةٍ إلاَّ بالله، وهذا توبيخٌ من المسلم للكافر على مقالته، وتعليمٌ له ما يجب أن يقول،

إِن تَرَنِ أَنَاْ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّيٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ

ثم رجع إلى نفسه فقال:

﴿**إن ترن أنا أقلَّ منك مالاً وولداً**﴾.

﴿٤٠﴾ ﴿**فعسىٰ ربي أن يؤتين**﴾ في الآخرة، أو في الدُّنيا ﴿**خيراً من جنتك أو يرسل عليها**﴾ على جنَّتك ﴿**حسباناً من السماء**﴾ عذاباً يرميها به من بَرَدٍ أو صاعقةٍ ﴿**فتصبح صعيداً زلقاً**﴾ أرضاً لا نبات فيها.

﴿٤١﴾ ﴿**أو يصبح ماؤها**﴾ يعني: النَّهر خلالهما ﴿**غوراً**﴾ غائراً ذاهباً في الأرض ﴿**فلن تستطيع**﴾ لا تقوىٰ ﴿**له طلباً**﴾ لا يبقىٰ له أثرٌ تطلبه.

﴿٤٢﴾ ﴿**وأحيط بثمره**﴾ وأُهلكت أشجاره المثمرة ﴿**فأصبح يقلب كفيه**﴾ يضرب يديه واحدةً على الأخرىٰ ندامةً ﴿**على ما أنفق فيها وهي خاوية**﴾ ساقطةٌ ﴿**على عروشها**﴾ سقوفها وما عرش للكروم ﴿**ويقول يا ليتني لم أشرك بربي أحداً**﴾ تمنَّىٰ أنَّه كان مُوحِّداً غير مشركٍ حين لم ينفعه التَّمني.

﴿٤٣﴾ ﴿**ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله**﴾ لم ينصره النَّفر الذين افتخر بهم حين قال: ﴿وأعزُّ نفراً﴾. ﴿**وما كان منتصراً**﴾ بأن يستردَّ بدل ما ذهب منه، ثمَّ عاد الكلام إلى ما قبل القصة فقال:

﴿٤٤﴾ ﴿**هنالك**﴾ عند ذلك، يعني: يوم القيامة ﴿**الولاية لله الحق**﴾ يتولَّون الله ويؤمنون به، ويتبرَّؤون ممَّا كانوا يعبدون ﴿**هو خير ثواباً**﴾ أفضل ثواباً ممَّن يُرجىٰ ثوابه ﴿**وخير عقباً**﴾ أَيْ: عاقبةُ طاعته خيرٌ من عاقبة طاعة غيره.

﴿٤٥﴾ ﴿**واضرب لهم**﴾ لقومك ﴿**مثل الحياة الدنيا كماء**﴾ أَيْ: هو كماءٍ ﴿**أنزلناه من**﴾

ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾

السماء فاختلط به نبات الأرض﴾ أيْ: شرب منه فبدا فيه الرِّيّ **﴿فأصبح﴾** أي: النَّبات **﴿هشيماً﴾** كسيراً مُتفتّتاً **﴿تذروه الرياح﴾** تحمله وتفرِّقه، وهذه الآية مختصرةٌ من قوله تعالىٰ: **﴿إنما مثل الحياة الدنيا...﴾**[1] الآية. **﴿وكان الله على كلِّ شيء﴾** من الإنشاء والإفناء **﴿مقتدراً﴾** قادراً، أنشأ النَّبات ولم يكن، ثمَّ أفناه.

﴿٤٦﴾ **﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾** هذا ردٌّ علىٰ الرُّؤساء الذين كانوا يفتخرون بالمال والأبناء، أخبر الله سبحانه أنَّ ذلك ممَّا يُتزيَّن به في الحياة الدُّنيا، ولا ينفع في الآخرة **﴿والباقيات الصالحات﴾** ما يأتي به سلمان وصهيب وفقراء المسلمين من الصَّلوات والأذكار والأعمال الصَّالحة **﴿خير عند ربك ثواباً﴾** أفضل ثواباً، وأفضل أملاً من المال والبنين.

﴿٤٧﴾ **﴿ويوم﴾** واذكر يوم **﴿نسيّر الجبال﴾** عن وجه الأرض كما نُسيِّر السَّحاب **﴿وترىٰ الأرض بارزة﴾** ظاهرةً ليس عليها شيءٌ **﴿وحشرناهم﴾** المؤمنين والكافرين **﴿فلم نغادر﴾** نترك **﴿منهم أحداً﴾**.

﴿٤٨﴾ **﴿وعرضوا على ربك﴾** يعني: المحشورين **﴿صفاً﴾** مصفوفين، كلُّ زمرةٍ وأمَّةٍ صفٌّ، ويقال لهم: **﴿لقد جئتمونا كما خلقناكم أوَّل مرة﴾** حُفاةً عُراةً فرادىٰ **﴿بل زعمتم﴾** خطابٌ لمنكري البعث **﴿أن لن نجعل لكم موعداً﴾** للبعث والجزاء.

---

(١) الآية: ﴿إنَّما مَثَلُ الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ممَّا يأكل الناس والأنعام حتىٰ إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظنَّ أهلها أنَّهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً، فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس، كذلك نفصِّل الآيات لقومٍ يتفكَّرون﴾ [يونس: ٢٤].

وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾

﴿٤٩﴾ ﴿ووضع الكتاب﴾ وُضع كتاب كلِّ امرئٍ في يمينه أو شماله ﴿فترى المجرمين﴾ المشركين ﴿مشفقين ممَّا فيه﴾ خائفين ممَّا فيه من الأعمال السيئة ﴿ويقولون﴾ لوقوعهم في الهلكة: ﴿يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر﴾ لا يترك ﴿صغيرة﴾ من أعمالنا ﴿ولا كبيرة إلاَّ أحصاها﴾ أثبتها وكتبها ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾ في الكتاب مكتوباً ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾ لا يعاقب أحداً بغير جرمٍ، ثمَّ أمر نبيَّه عليه السَّلام أن يذكر لهؤلاء المُتكبِّرين عن مجالسة الفقراء قصَّة إبليس، وما أورثه الكبر، فقال:

﴿٥٠﴾ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلاَّ إبليس كان من الجن﴾ أيْ: من قبيلٍ من الملائكة يُقال لهم: الجنُّ[1] ﴿ففسق﴾ خرج ﴿عن أمر ربه﴾ إلى معصيته في ترك السُّجود ﴿أفتتخذونه وذريته﴾ أولاده، وهم الشَّياطين ﴿أولياء من دوني﴾ تطيعونهم في معصيتي ﴿وهم لكم عدوٌّ﴾ كما كان لأبيكم عدواً ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ بئس ما استبدلوا بعبادة الرَّحمن طاعة الشَّيطان.

﴿٥١﴾ ﴿ما أشهدتهم﴾ ما أحضرتهم، يعني: إبليس وذريَّته ﴿خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ أخبر عن كمال قدرته، واستغنائه عن الأنصار والأعوان فيما خلق ﴿وما كنت متخذ المضلين عضداً﴾ أنصاراً وأعواناً لاستغنائي بقدرتي عن الأنصار.

---

(١) وهذا ضعيف، فالجن خلقت من نار، والملائكة خلقت من نور.

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا۟ هُزُوًا ﴿٥٦﴾

﴿٥٢﴾ **﴿ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم...﴾** الآية. يقول الله تعالىٰ يوم القيامة: ادعوا الذين أشركتم بي ليمنعوكم من عذابي **﴿فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم﴾** بين المشركين وأهل لا إلٰه إلاَّ الله **﴿موبقاً﴾** حاجزاً.

﴿٥٣﴾ **﴿ورأىٰ المجرمون﴾** المشركون **﴿النار فظنوا﴾** أيقنوا **﴿أنهم مواقعوها﴾** واردوها وداخلوها **﴿ولم يجدوا عنها مصرفاً﴾** مهرباً لإحاطتها بهم من كلِّ جانبٍ. وقوله:

﴿٥٤﴾ **﴿وكان الإنسان﴾** الكافر **﴿أكثر شيء جدلاً﴾** قيل: هو أُبـيُّ بن خلف، وقيل: النَّضر بن الحارث[1].

﴿٥٥﴾ **﴿وما منع الناس﴾** أهل مكَّة **﴿أن يؤمنوا﴾** الإيمان **﴿إذ جاءهم الهدىٰ﴾** يعني: محمداً ﷺ والقرآن **﴿إلاَّ أن تأتيهم سنة الأولين﴾** العذاب. يعني: إنَّ الله تعالىٰ قدَّر عليهم العذاب، فذلك الذي منعهم من الإيمان **﴿أو يأتيهم العذاب قبلاً﴾** عياناً. يعني: القتل يوم بدرٍ. وقوله:

﴿٥٦﴾ **﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل﴾** يريد المُستهزئين والمقتسمين[2] جادلوا في القرآن **﴿ليدحضوا﴾** ليبطلوا **﴿به﴾** بجدالهم **﴿الحق﴾** القرآن **﴿واتخذوا آياتي﴾** القرآن **﴿وما أنذروا﴾** به من النَّار **﴿هزواً﴾**.

---

(١) انظر: غرر التبيان ص ٢١٦.

(٢) تقدَّمت أسماؤهم في تفسير سورة الحجر ص ٥٩٨.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًاۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾

﴿٥٧﴾ **﴿ومن أظلم ممن ذكّر﴾** وُعظ **﴿بآيات ربه فأعرض عنها﴾** فتهاون بها **﴿ونسي ما قدَّمت يداه﴾** ما سلف من ذنوبه، وباقي الآية سبق تفسيره. وقوله:

﴿٥٨﴾ **﴿بل لهم موعد﴾** يعني: البعث والحساب **﴿لن يجدوا من دونه مَوْئِلاً﴾** ملجأ.

﴿٥٩﴾ **﴿وتلك القرىٰ﴾** يريد: القرىٰ التي أهلكها بالعذاب **﴿أهلكناهم﴾** أهلكنا أهلها **﴿لما ظلموا﴾** أشركوا وكذَّبوا الرُّسل **﴿وجعلنا لمهلكهم﴾** لإهلاكهم **﴿موعداً﴾**.

﴿٦٠﴾ **﴿وإذ قال موسىٰ﴾** واذكر إذ قال موسىٰ، لما في قصَّته من العبرة **﴿لفتاه﴾** يوشع بن نون: **﴿لا أبرح﴾** لا أزال أسير **﴿حتىٰ أبلغ مجمع البحرين﴾** حيث يلتقي بحر الروم وبحر فارس **﴿أو أمضي﴾** إلىٰ أن أمضي **﴿حقباً﴾** دهراً طويلاً، وذلك أنَّ رجلاً أتىٰ إلى موسىٰ عليه السَّلام، فقال: هل تعلم أحداً أعلم منك[1]؟ فقال: لا، فأوحىٰ الله تعالىٰ إليه: بلىٰ عبدنا خضر، فسأل موسىٰ عليه السَّلام السبيل إلى لُقيِّه، فجعل الله تعالىٰ له الحوت آيةً، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنَّك ستلقاه، فانطلق هو وفتاه حتىٰ أتيا الصَّخرة التي عند مجمع البحرين، فقال لفتاه: امكث حتىٰ آتيك، وانطلق موسىٰ لحاجته، فجرىٰ الحوت حتىٰ وقع في البحر، فقال فتاه: إذا جاء نبيُّ الله حدَّثته، فأنساه الشَّيطان، فذلك قوله:

---

(١) حديث الخضر هذا أخرجه البخاري مطوَّلاً في التفسير ٤٠٩/٨؛ ومسلم في الفضائل برقم ٢٣٨٠؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٤٨؛ والنسائي في التفسير ٨/٢؛ وأبو داود برقم ٤٧٠٥.

فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾

﴿٦١﴾ **﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حُوتَهُما﴾** أراد: نسي أحدهما، وهو يوشع ابن نون **﴿فاتخذ سبيله﴾** اتَّخذ الحوت سبيله **﴿في البحر سرباً﴾** ذهاباً، والمعنىٰ: سرب سرباً، والآية على التَّقديم والتَّأخير؛ لأنَّ ذهاب الحوت كان قد تقدَّم على النِّسيان.

﴿٦٢﴾ **﴿فلما جاوزا﴾** ذلك المكان الذي ذهب الحوت عنه **﴿قال لفتاه آتنا غداءنا﴾** ما نأكله بالغداة **﴿لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً﴾** عناءً وتعباً، ولم يجد النَّصب في جميع سفره حتىٰ جاوز الموضع الذي يريده، فقال الفتىٰ:

﴿٦٣﴾ **﴿أرأيت إذْ أوينا إلى الصخرة﴾** يعني: حيث نزلا **﴿فإني نسيت الحوت﴾** نسيت قصَّة الحوت أن أُحدِّثكها، ثمَّ اعتذر بإنساء الشَّيطان إيَّاه؛ لأنَّه لو ذكر ذلك لموسىٰ عليه السَّلام ما جاوز ذلك الموضع، وما ناله النَّصب، ثمَّ ذكر قصَّته فقال: **﴿واتخذ سبيله في البحر عجباً﴾** أَي: أعجب عجباً، أخبر عن تعجُّبه من ذلك، فقال موسىٰ عليه السَّلام:

﴿٦٤﴾ **﴿ذلك ما كنا نبغي﴾** نطلب ونريد من العلامة **﴿فارتدا على آثارهما﴾** رجعا من حيث جاءا **﴿قصصاً﴾** يقصَّان آثارهما حتىٰ انتهيا إلى الصَّخرة التي فعل الحوت عندها ما فعل.

﴿٦٥﴾ **﴿فوجدا عبداً من عبادنا﴾** يعني: الخضر عليه السَّلام **﴿آتيناه رحمة من عندنا﴾** نبوَّة **﴿وعلمناه من لدنا علماً﴾** أعطيناه علماً من علم الغيب. وقوله:

﴿٦٦﴾ **﴿رشداً﴾** أَيْ: علماً ذا رشدٍ، والتَّقدير: علىٰ أن تعلِّمني علماً ذا رشدٍ ممَّا عُلِّمته.

قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِي ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا

﴿٦٧﴾ ﴿**قال إنك لن تستطيع معي صبراً**﴾ لن تصبر على صنيعي؛ لأنِّي عُلِّمت غيب ربِّي، ثمَّ أعلمه العلَّة في ترك الصَّبر، فقال:

﴿٦٨﴾ ﴿**وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً**﴾ أَيْ: علىٰ ما لم تعلمه من أمرٍ ظاهره منكرٌ.

﴿٦٩﴾ ﴿**قال**﴾ له موسىٰ: ﴿**ستجدني إن شاء الله صابراً**﴾ لا أسألك عن شيءٍ حتىٰ تكون أنت تحدِّثني به ﴿**ولا أعصي لك أمراً**﴾ ولا أخالفك في شيء.

﴿٧٠﴾ ﴿**قال**﴾ له الخضر عليه السَّلام: ﴿**فإن اتبعتني**﴾ صحبتني ﴿**فلا تسألني عن شيء**﴾ ممَّا أفعله ﴿**حتىٰ أحدث لك منه ذكراً**﴾ حتىٰ أكون أنا الذي أُفسِّره لك.

﴿٧١﴾ ﴿**فانطلقا**﴾ ذهبا يمشيان ﴿**حتىٰ إذا ركبا**﴾ البحر ﴿**في السفينة خرقها**﴾ شقَّها الخضر وقلع لوحين ممَّا يلي الماء، فـ ﴿**قال**﴾ موسىٰ منكراً عليه: ﴿**أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً**﴾ أَيْ: عظيماً منكراً،

﴿٧٢﴾ فـ ﴿**قال**﴾ الخضر: ﴿**ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً**﴾! فقال موسىٰ:

﴿٧٣﴾ ﴿**لا تؤاخذني بما نسيت**﴾ أَيْ: تركت من وصيتك ﴿**ولا ترهقني من أمري عسراً**﴾ لا تضيِّق عليَّ الأمر في صحبتي إيَّاك.

﴿٧٤﴾ [﴿**فانطلقا حتىٰ إذا لقيا غلاماً فقتله**﴾ أَيْ: ضربه فقضىٰ عليه،][1] وقوله: ﴿**نفساً**

---

(١) ما بين [ ] زيادة من نسخة الأصل، وليس هو في باقي المخطوطات.

زَكِيَّةًۢ بِغَيۡرِ نَفۡسٖ لَّقَدۡ جِئۡتَ شَيۡـٔٗا نُّكۡرٗا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلۡتُكَ عَن شَيۡءِۭ بَعۡدَهَا فَلَا تُصَٰحِبۡنِيۖ قَدۡ بَلَغۡتَ مِن لَّدُنِّي عُذۡرٗا ﴿٧٦﴾ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥۖ قَالَ لَوۡ شِئۡتَ لَتَّخَذۡتَ عَلَيۡهِ أَجۡرٗا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا ﴿٧٨﴾ أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ﴿٧٩﴾ وَأَمَّا ٱلۡغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤۡمِنَيۡنِ فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا

زاكية﴾[1] أَيْ: طاهرةً لم تبلغ حدَّ التَّكليف ﴿بغير نفس﴾ بغير قودٍ. وقوله:

الجزء السادس عشر:

﴿٧٦﴾ ﴿**إن سألتك**﴾ سؤال توبيخٍ وإنكارٍ ﴿**عن شيء بعدها**﴾ بعد النَّفس المقتولة ﴿**فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذراً**﴾ أعذرت فيما بيني وبينك حيث أخبرتني أنِّي لا أستطيع معك صبراً.

﴿٧٧﴾ ﴿**فانطلقا حتىٰ إذا أتيا أهل قرية**﴾ وهي أنطاكية ﴿**استطعما أهلها**﴾ سألاهم الطَّعام ﴿**فأبوا أن يضيفوهما**﴾ فلم يطعموهما ﴿**فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض**﴾ قَرُبَ أَن يسقط لميلانه ﴿**فأقامه**﴾ فسوَّاه، فقال موسىٰ: ﴿**لو شئت لاتخذت**﴾ علىٰ إقامته ﴿**أجراً**﴾ جُعلاً حيث أبوا أن يطعمونا.

﴿٧٨﴾ ﴿**قال**﴾ الخضر: ﴿**هذا**﴾ وقت ﴿**فراق بيني وبينك**﴾ إنِّي لا أصحبك بعد هذا، وأخبرك بتفسير ما لم تصبر عليه وأنكرته عليَّ.

﴿٧٩﴾ ﴿**أمَّا السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها**﴾ أجعلها ذات عيب ﴿**وكان وراءهم**﴾ أمامهم ﴿**ملك يأخذ كلَّ سفينة**﴾ صالحةٍ ﴿**غصباً**﴾.

﴿٨٠﴾ ﴿**وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا**﴾ فكرهنا ﴿**أن يرهقهما**﴾ يُكلِّفهما ﴿**طغياناً**

(١) قرأ «زاكية» نافعٌ، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ورويس عن يعقوب، وقرأ الباقون «زكيّة». الإتحاف ص ٢٩٣.

وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ

وكفراً﴾ ويحملهما حبُّه علىٰ أن يتَّبعاه، ويدينا بدينه، وكان الغلام كافراً[1].

﴿٨١﴾ ﴿**فأردنا أن يبدلهما ربهما خيراً منه زكاة**﴾ صلاحاً ﴿**وأقرب رحماً**﴾ وأبرَّ بوالديه وأوصل للرَّحم.

﴿٨٢﴾ ﴿**وأمَّا الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة**﴾ يعني: في تلك القرية ﴿**وكان تحته كنز لهما**﴾ من ذهبٍ وفضَّةٍ، ولو سقط الجدار أُخذ الكنز ﴿**فأراد ربك أن يبلغا أشدهما**﴾ أراد الله سبحانه أن يبقىٰ ذلك الكنز إلى بلوغ الغلامين حتىٰ يستخرجاه. ﴿**وما فعلته عن أمري**﴾ أي: انكشف لي من الله سبحانه علمٌ فعملت به، ولم أعمل من عند نفسي.

﴿٨٣﴾ ﴿**ويسألونك**﴾ يعني: اليهود، وذلك أنَّهم سألوه عن رجلٍ طوَّافٍ بلغ شرق الأرض وغربها.

﴿٨٤﴾ ﴿**إنا مكنا له في الأرض**﴾ سهَّلنا عليه السَّير فيها، وذلَّلنا له طرقها ﴿**وآتيناه من كلِّ شيء**﴾ يحتاج إليه ﴿**سبباً**﴾ علماً يتسبَّب به إلى ما يريد.

﴿٨٥﴾ ﴿**فأتبع سبباً**﴾ طريقاً يوصله إلى مغيب الشَّمس.

﴿٨٦﴾ ﴿**حتىٰ إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة**﴾ ذات حمأةٍ، وهو

(١) أخرج مسلم في حديث الخضر السابق عن النبي ﷺ قال: الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً.

وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾

الطِّين الأسود ﴿ووجد عندها﴾ عند العين ﴿قوماً قلنا: يا ذا القرنين إما أن تعذب﴾ إمَّا أن تقتلهم إن أبوا ما تدعوهم إليه ﴿وإمَّا أن تتخذ فيهم حسناً﴾ تأسرهم فتعلِّمهم الهدىٰ، خيَّره الله تعالىٰ بين القتل والأسر، فقال:

﴿٨٧﴾ ﴿أما من ظلم﴾ أشرك ﴿فسوف نعذبه﴾ نقتله إذا لم يرجع عن الشِّرك ﴿ثم يرد إلى ربه﴾ بعد القتل ﴿فيعذبه عذاباً نكراً﴾ يعني: في النَّار.

﴿٨٨﴾ ﴿وأمَّا مَنْ آمن وعمل صالحاً فله جزاءً الحسنىٰ﴾ الجنَّة ﴿وسنقول له من أمرنا يسراً﴾ نقول له قولاً جميلاً.

﴿٨٩﴾ ﴿ثم أتبع سبباً﴾ سلك طريقاً آخر يوصله إلى المشرق.

﴿٩٠﴾ ﴿حتىٰ إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم﴾ عُراةٍ ﴿لم نجعل لهم من دون الشمس﴾ ﴿ستراً﴾ سقفاً ولا لباساً.

﴿٩١﴾ ﴿كذلك﴾ القبيل الذين كانوا عند مغرب الشَّمس في الكفر ﴿وقد أحطنا بما لديه﴾ من الجنود والعدَّة ﴿خبراً﴾ علماً؛ لأنَّا أعطيناه ذلك.

﴿٩٢﴾ ﴿ثم أتبع سبباً﴾ ثالثاً يُبلِّغه قطراً من أقطار الأرض.

﴿٩٣﴾ ﴿حتىٰ إذا بلغ بين السدين﴾ وهما جبلان سدَّ بينهما ذو القرنين ﴿وجد من دونهما﴾ عندهما ﴿قوماً لا يكادون يفقهون قولاً﴾ لا يفهمون كلاماً، فاشتكوا إليه فساد يأجوج ومأجوج، وأذاهم إيَّاهم، وهو قوله:

قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّى فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِى بَعْضٍ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾

﴿٩٤﴾ **﴿إنَّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض﴾** بالنَّهب والبغي **﴿فهل نجعل لك خرجاً﴾** جعلاً **﴿علىٰ أن تجعل بيننا وبينهم سدّاً﴾**.

﴿٩٥﴾ **﴿قال: ما مكني فيه ربي خيرٌ﴾** أَي: الذي أعطاني وملكني أفضل من عطيتكم **﴿فأعينوني بقوة﴾** بعملٍ تعملون معي **﴿أجعل بينكم وبينهم ردماً﴾** سدّاً حاجزاً.

﴿٩٦﴾ **﴿آتوني﴾** أعطوني **﴿زبر﴾** قطع **﴿الحديد﴾** فأتوه بها فبناه **﴿حتىٰ إذا ساوىٰ بين الصدفين﴾** جانبي الجبلين **﴿قال انفخوا﴾** على زُبر الحديد، قطع الحديد بالكير والنَّار **﴿حتىٰ إذا جعله ناراً﴾** جعل الحديد ناراً، أَيْ: كنارٍ **﴿قال آتوني﴾** قطراً: وهو النُّحاس الذَّائب **﴿أفرغ عليه﴾** أصبُّ عليه، فأفرغ النُّحاس المذاب على الحديد المحمىٰ حتىٰ التصق بعضه ببعض.

﴿٩٧﴾ **﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾** ما قدروا أن يعلوا عليه لارتفاعه وملاسته **﴿وما استطاعوا﴾** أن ينقبوه من أسفله لصلابته.

﴿٩٨﴾ **﴿قال﴾** ذو القرنين لمَّا فرغ منه: **﴿هذا رحمة من ربي﴾** يعني: التَّمكين من ذلك البناء والتَّقوية عليه **﴿فإذا جاء وعد ربي﴾** أجل ربي بخروج يأجوج ومأجوج **﴿جعله دكاً﴾** كِسَراً **﴿وكان وعد ربي﴾** بخروجهم **﴿حقاً﴾** كائناً.

﴿٩٩﴾ **﴿وتركنا بعضهم﴾** يعني: الخلق من الإنس والجنِّ **﴿يومئذ﴾** يوم القيامة **﴿يموج في بعض﴾** يدخل ويختلط. **﴿ونفخ في الصور﴾** وهو القرن الذي يُنفخ فيه للبعث **﴿فجمعناهم﴾** في صعيدٍ واحدٍ.

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾

---

(١٠٠) ﴿وعرضنا﴾ أظهرنا ﴿جهنم يومئذ للكافرين عرضاً﴾.

(١٠١) ﴿الذين كانت أعينهم في غطاء﴾ في غشاوةٍ ﴿عن ذكري﴾ أَيْ: كانوا لا يعتبرون بآياتي فيذكرونني بالتَّوحيد ﴿وكانوا لا يستطيعون سمعاً﴾ لعداوتهم النبيّ ﷺ لا يقدرون أن يسمعوا ما يتلو عليهم.

(١٠٢) ﴿أفحسب﴾ أفظنّ ﴿الذين كفروا أن يتخذوا عبادي﴾ الشَّياطين ﴿من دوني أولياء﴾ نفعهم ذلك ودفعوا عنهم، كلا ﴿إنا أعتدنا جهنم للكافرين نزلاً﴾ منزلاً.

(١٠٣) ﴿قل هل ننبئكم﴾ نخبركم ﴿بالأخسرين أعمالاً﴾ بالذين هم أشدُّ الخلق وأعظمهم خسراناً فيما عملوا.

(١٠٤) ﴿الذين ضل سعيهم﴾ حبط عملهم ﴿في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾ يظنُّون أنَّهم بعملهم مُطيعون، ثمَّ بيَّن مَنْ هم[١]، فقال:

(١٠٥) ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾ بدلائل توحيده من القرآن وغيره ﴿ولقائه﴾ يعني: البعث ﴿فحبطت أعمالهم﴾ بطل اجتهادهم ﴿فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً﴾ أَيْ: نهينهم بعذاب النَّار، ولا نعبأ بهم شيئاً. وقوله:

---

(١) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص، قال: سألتُ أبي عن قوله تعالىٰ: ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً﴾ هم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود والنصارىٰ، أمَّا اليهود فكذَّبوا محمداً ﷺ، وأمَّا النصارىٰ كفروا بالجنَّة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية: الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وكان سعد يسميهم الفاسقين.
أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٤٢٥؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٢٦؛ والحاكم ٢/ ٣٧٠.

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

﴿١٠٧﴾ **﴿جنات الفردوس﴾** وهو وسط الجنَّة وأعلاها درجةً. وقوله:

﴿١٠٨﴾ **﴿لا يبغون عنها حولاً﴾** لا يريدون أن يتحوَّلوا عنها.

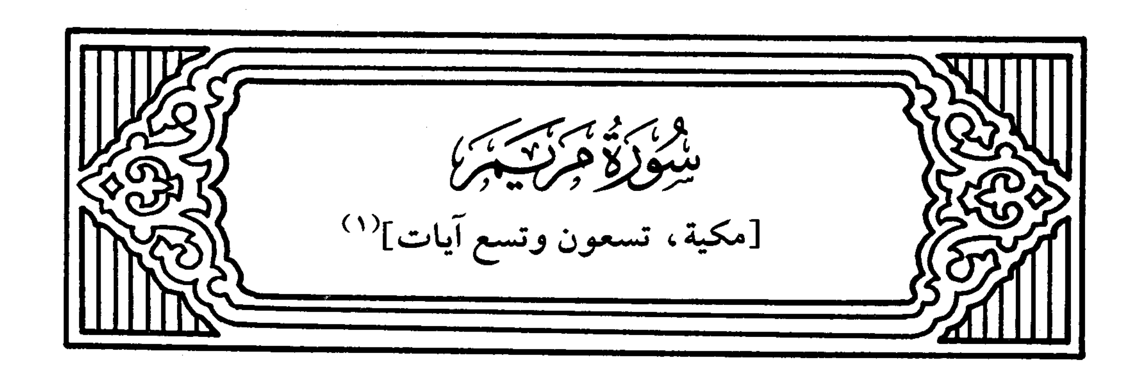
﴿١٠٩﴾ **﴿قل لو كان البحر مداداً﴾** وهو ما يكتب به **﴿لكلمات ربي﴾** أَيْ: لكتابتها، وهي حِكَمُه وعجائبه، والكلمات: هي العبارات عنها **﴿لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله﴾** بمثل البحر **﴿مدداً﴾** زيادة على البحر.

﴿١١٠﴾ **﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾** آدميٌّ مثلكم **﴿يوحىٰ إليَّ أنما إلٰهكم إلٰه واحدٌ فمن كان يرجو لقاء ربه﴾** ثواب ربه **﴿فليعمل عملاً صالحاً﴾** خالصاً **﴿ولا يشرك﴾** ولا يراءِ **﴿بعبادة ربه أحداً﴾** نزلت هذه الآية في النَّهي عن الرِّياء بالأعمال[1].

• • •

---

(١) أخرج ابن جرير ١٦/ ٤٠ عن طاوس، قال: جاء رجلٌ فقال: يا نبيَّ الله، إني أحبُّ الجهاد في سبيل الله، وأحبُّ أن يرىٰ موطني ويرىٰ مكاني، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربِّه أحداً﴾. وهذا حديث مرسل.
وذكره المؤلف في الأسباب ص ٣٤٦؛ وابن كثير ٣/ ٩٦ ونسبه لابن أبـي حاتم.



سورة مريم

[مكية، تسعون وتسع آيات][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿كهيعص﴾ معناه: الله كافٍ لخلقه[2]، هادٍ لعباده، يده فوق أيديهم، عالمٌ ببريَّته، صادقٌ في وعده.

(٢) ﴿ذكر﴾ هذا ذكر ﴿رحمة ربك عبده زكريا﴾ أَيْ: هذا القول الذي أنزلت عليك ذكر رحمة الله سبحانه عبده بإجابة دعائه لمَّا دعاه، وهو قوله:

(٣) ﴿إذ نادىٰ ربه﴾ دعا ربَّه ﴿نداءاً خفياً﴾ سرّاً لم يطَّلعْ عليه غير الله

(٤) ﴿قال رب إني وهن﴾ ضعف ﴿العظم مني﴾ أَيْ: عظمي ﴿واشتعل الرأس شيباً﴾ وكثر شيب رأسي جداً ﴿ولم أكن بدعائك﴾ بدعائي إيَّاك ﴿ربي شقياً﴾ أَيْ: كنت مستجاب الدَّعوة قد عوَّدتني الإجابة.

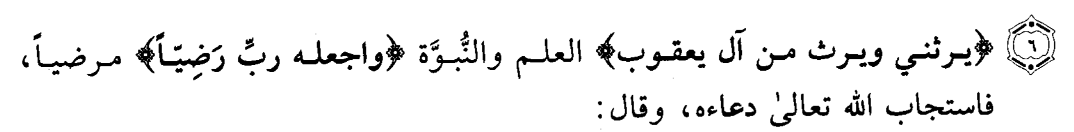
---

(١) زيادة من ظا.

(٢) أخرج ابن جرير ١٦/٤١، عن سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم في الآية قالا: كافْ: كافٍ. وأخرج أيضاً ١٦/٤٢ عن ابن عباس قال: الهاء من كهيعص: هادٍ، وعنه أيضاً: عين من عالم. وصاد: صادق.

وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾

﴿٥﴾ **﴿وإني خفت الموالي﴾** الأقارب وبني العمِّ والعصبة **﴿من ورائي﴾** من بعدي ألاَّ يحسنوا الخلافة لي في دينك **﴿وكانت امرأتي﴾** فيما مضىٰ من الزَّمان **﴿عاقراً﴾** لم تلد **﴿فهب لي من لدنك ولياً﴾** ابناً صالحاً.



﴿٦﴾ **﴿يرثني ويرث من آل يعقوب﴾** العلم والنُّبوَّة **﴿واجعله ربِّ رَضِيّاً﴾** مرضياً، فاستجاب الله تعالىٰ دعاءه، وقال:

﴿٧﴾ **﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام﴾** ولدٍ ذكرٍ **﴿اسمه يحيىٰ﴾** لأنَّه يحيا بالعلم والطَّاعة **﴿لم نجعل له من قبل سمياً﴾** لم يُسمَّ أحدٌ قبله بهذا الاسم، فأحبَّ زكريا أن يعلم من أيِّ جهةٍ يكون له الولد، ومثلُ امرأته لا تلد، ومثله لا يولد له فقال: **﴿رب أنّىٰ يكون لي غلام﴾** ولدٌ.

﴿٨﴾ **﴿وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغتُ من الكبر عتياً﴾** أَيْ: يُبوساً وانتهاءً في السِّنِّ.

﴿٩﴾ **﴿قال﴾** جبريل عليه السَّلام: **﴿كذلك﴾** أَيْ: الأمر كما قيل لك. **﴿قال ربك هو عليَّ هيِّنٌ﴾** أردُّ عليك قوَّتك حتىٰ تقوىٰ على الجماع، وأفتق رحم امرأتك بالولد **﴿وقد خلقتك من قبل﴾** يعني: من قبل يحيىٰ **﴿ولم تك شيئاً﴾**.

﴿١٠﴾ **﴿قال رب اجعل لي آية﴾** على حمل امرأتي **﴿قال آيتُكَ أن لا تكلم الناس ثلاث ليالٍ سوياً﴾** أَيْ: تمنع الكلام وأنت سويٌّ صحيحٌ سليمٌ، فتعلم بذلك أنَّ الله قد وهب لك الولد.

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾

﴿١١﴾ ﴿فخرج على قومه﴾ وذلك أنَّهم كانوا ينتظرونه، فخرج عليهم ولم يقدر أن يتكلَّم ﴿فأوحىٰ إليهم﴾ أشار إليهم ﴿أن سبحوا﴾ صلُّوا لله تعالىٰ ﴿بكرة وعشياً﴾ فوهبنا له يحيىٰ، وقلنا:

﴿١٢﴾ ﴿يا يحيىٰ خذ الكتاب﴾ التَّوراة ﴿بقوة﴾ أعطيتكها وقوَّيتك على حفظها والعمل بما فيها ﴿وآتيناه الحكم صبياً﴾ النُّبوَّة في صباه.

﴿١٣﴾ ﴿وحناناً﴾ وآتيناه حناناً: رحمةً ﴿من لدنا وزكاةً﴾ تطهيراً. وقوله:

﴿١٤﴾ ﴿جباراً﴾ أي قتَّالاً مُتكبِّراً ﴿عصياً﴾ عاصياً لربِّه.

﴿١٥﴾ ﴿وسلامٌ عليه﴾ سلامةٌ له منَّا في الأحوال التي ذكرها، يريد أنَّ الله سبحانه سلَّمه في هذه الأحوال.

﴿١٦﴾ ﴿واذكر﴾ يا محمَّد ﴿في الكتاب مريم إذِ انتبذت﴾ تنحَّت من أهلها ﴿مكاناً شرقياً﴾ من جانب الشَّرق، وذلك أنَّها أرادت الغسل من الحيض فاعتزلت في ناحيةٍ شرقيةٍ من الدَّار.

﴿١٧﴾ ﴿فاتخذت من دونهم حجاباً﴾ تتستَّر به عنهم ﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ جبريل عليه السَّلام ﴿فتمثَّل﴾ فتصوَّر ﴿لها بشراً﴾ آدمياً ﴿سويّاً﴾ تامَّ الخلق.

﴿١٨﴾ ﴿قالت إني أعوذ بالرحمن منك﴾ أيُّها البشر ﴿إن كنت تقيّاً﴾ مُؤمناً مُطيعاً فستنتهي عني بتعوُّذي بالله سبحانه منك.

قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾

﴿١٩﴾ ﴿**قال**﴾ جبريل عليه السَّلام: ﴿**إنَّما أنا رسول ربِّك لأهب لك غلاماً زكياً**﴾ ولداً صالحاً نبيّاً.

﴿٢٠﴾ ﴿**قالت أنّىٰ يكون لي غلام ولم يمسسني بشر**﴾ ليس لي زوجٌ ﴿**ولم أك بغياً**﴾ ولست بزانيةٍ.

﴿٢١﴾ ﴿**قال كذلك**﴾ أَيْ: الأمر كما وصفت لك. ﴿**قال ربك هو عليَّ هيِّن**﴾ أن أهب لكِ غلاماً من غير أبٍ ﴿**ولنجعله آية**﴾ علامةً للنَّاس على قدرة الله تعالىٰ ﴿**ورحمةً منا**﴾ لمَنْ تبعه على دينه ﴿**وكان**﴾ ذلك ﴿**أمراً مقضيّاً**﴾ قضيت به في سابق علمي، فرفع جبريل عليه السَّلام جانب درعها، فنفخ في جيبها[1]، فحملت بعيسىٰ عليه السَّلام، وذلك قوله سبحانه:

﴿٢٢﴾ ﴿**فحملته فانتبذت به**﴾ تباعدت بالحمل ﴿**مكاناً قصياً**﴾ بعيداً من أهلها في أقصىٰ وادي بيت لحم، وذلك أنَّها لمَّا أحسَّت بالحمل، هربت من قومها مخافة اللائمة.

﴿٢٣﴾ ﴿**فَأَجاءَها المخاض**﴾ وجع الولادة ﴿**إلى جذع النخلة**﴾ وذلك أنَّها حين أخذها الطَّلق صعدت أكمة، فإذا عليها جذع نخلةٍ، وهو ساقها ولم يكن لها سعفٌ، فسارت إليها وقالت جزعاً ممَّا أصابها: ﴿**يا ليتني مت قبل هذا**﴾ اليوم وهذا الأمر ﴿**وكنت نسياً منسياً**﴾ شيئاً متروكاً لا يُعرف ولا يُذكر، فلمَّا رأىٰ جبريل عليه السَّلام وسمع جزعها ناداها من تحت الأكمة، وهو قوله:

(١) وهذا قول ابن جريج. أخرجه ابن جرير الطبري ١٦/٦٣.

فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ قَالُواْ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ

﴿٢٤﴾ ﴿فناداها من تحتها ألاَّ تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً﴾ نهر ماءٍ جارٍ، وكان تحت الأكمة نهرٌ قد انقطع الماء منه، فأرسل الله سبحانه الماء فيه لمريم.

﴿٢٥﴾ ﴿وهزي﴾ وحرِّكي ﴿إليك﴾ إلىٰ نفسك ﴿بجذع النخلة تُسَاقط﴾ النَّخلة ﴿عليك رطباً جنياً﴾ غضّاً ساعةَ جُني، وذلك أنَّ الله تعالىٰ أحيا لها تلك النَّخلة بعد يبسها، فأورقت وأثمرت وأرطبت.

﴿٢٦﴾ ﴿فكلي﴾ من الرُّطب ﴿واشربي﴾ من الماء السَّري ﴿وقري عيناً﴾ بولدك ﴿فإمَّا ترينَّ من البشر أحداً﴾ فسألك عن ولدك، ولامَك عليه ﴿فقولي: إني نذرت للرحمن صوماً﴾ صمتاً، أيْ: قولي له: إني أوجبت علىٰ نفسي لله سبحانه أن لا أتكلَّم، وذلك أنَّ الله تعالىٰ أراد أن يظهر براءتها من جهة عيسىٰ عليه السَّلام يتكلَّم ببراءة أمِّه وهو في المهد، فذلك قوله: ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿فأتت به﴾ بعيسىٰ بعد ما طهرت من نفاسها ﴿قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً﴾ عظيماً منكراً، ولداً من غير أبٍ!

﴿٢٨﴾ ﴿يا أخت هارون﴾ كان لها أخٌ صالحٌ من جهة أبيها يسمَّىٰ هارون. وقيل[1]: هارون رجلٌ صالحٌ كان من أمثل بني إسرائيل، فقيل لمريم: يا شبيهته في العفاف ﴿ما كان أبوك﴾ عمران ﴿امْرَأَ سوء﴾ زانٍ ﴿وما كانت أمك﴾ حنَّة ﴿بغياً﴾ زانيةً، فمن أين لك هذا الولد من غير زوجٍ؟

﴿٢٩﴾ ﴿فأشارت﴾ إلى عيسىٰ بأن يجعلوا الكلام معه، فتعجَّبوا من ذلك وقالوا: ﴿كيف

---

(١) وهذا قول قتادة. أخرجه ابن جرير الطبري ١٦/ ٧٧.

نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ

نكلم من كان في المهد صبياً﴾ يعني: رضيعاً في الحِجْر.

﴿٣٠﴾ **﴿قال﴾** عيسىٰ عند ذلك: **﴿إني عبد الله﴾** أقرَّ على نفسه بالعبوديَّة لله سبحانه **﴿آتاني الكتاب﴾** علَّمني التَّوراة. وقيل: الخطَّ.

﴿٣١﴾ **﴿وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً﴾** معلِّماً للخير أدعو إلىٰ الله تعالىٰ **﴿أينما كنت وأوصاني بالصلاة﴾** أمرني بالصلاة **﴿والزَّكاة﴾** الطَّهارة **﴿ما دمت حيّاً﴾**.

﴿٣٢﴾ **﴿وبرّاً﴾** لطيفاً **﴿بوالدتي﴾**.

﴿٣٣﴾ **﴿والسلام عليَّ يوم ولدت. . .﴾** الآية. أَيْ: السَّلامة عليَّ من الله تعالىٰ في هذه الأحوال.

﴿٣٤﴾ **﴿ذلك عيسىٰ ابنُ مريم﴾** أَيْ: الذي قال: **﴿إني عبد الله آتاني الكتاب. . .﴾** الآية، هو عيسىٰ ابن مريم لا ما يقول النَّصارىٰ مِنْ أنَّه إله، وأنَّه ابن الله. **﴿قول الحق﴾** أَيْ: هذا الكلام قول الحقِّ، والحقُّ: هو الله سبحانه. وقيل: معنىٰ قول الحقِّ: أنَّه كلمةُ الله **﴿الذي فيه يمترون﴾** يشكُّون. يعني: اليهود، يقولون: إنَّه لِزَنيةٍ، وإنَّه كذَّاب ساحر، ويقول النَّصارى: إنَّه ابن الله.

﴿٣٥﴾ **﴿ما كان لله﴾** ما ينبغي له سبحانه **﴿أن يتخذ من ولد﴾** أَيْ: ولداً **﴿سبحانه﴾** تنزيهاً له عن ذلك **﴿إذا قضىٰ أمراً﴾** أراد كونه **﴿فإنَّما يقول له كن فيكون﴾** كما قال لعيسىٰ: كن فكان من غير أبٍ.

﴿٣٦﴾ **﴿وإنَّ الله ربي وربكم﴾** هذا راجعٌ إلى قوله تعالىٰ: **﴿وأوصاني بالصَّلاة﴾**

فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٣٦﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلۡيَوۡمَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٩﴾

وأوصاني بأنَّ الله ربِّي وربُّكم ﴿**فاعبدوه**﴾ ﴿**هذا**﴾ الذي ذكرت ﴿**صراط مستقيم**﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿**فاختلف الأحزاب**﴾ يعني: فرق النَّصارىٰ ﴿**من بينهم**﴾ فيما بينهم، وهم النّسطورية واليعقوبيّة والملكانية ﴿**فويلٌ للذين كفروا من مشهد يوم عظيم**﴾ يريد: مشهدهم يوم القيامة.

﴿٣٨﴾ ﴿**أسمع بهم وأبصر**﴾ ما أبصرهم بالهدىٰ يوم القيامة وأطوعهم أنَّ عيسىٰ ليس الله، ولا ابن الله، سبحانه، ولا ثالث ثلاثة، ولكن لا ينفعهم ذلك مع ضلالتهم في الدُّنيا، وهو قوله: ﴿**لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين**﴾ من أمر عيسىٰ والقول فيه.

﴿٣٩﴾ ﴿**وأنذرهم**﴾ خوِّفهم يا محمَّد ﴿**يوم الحسرة**﴾ يوم القيامة حين يُذبح الموت[1] بين الفريقين ﴿**إذْ قضي الأمر**﴾ أُحكم وفرغ منه ﴿**وهم في غفلة**﴾ في الدُّنيا من ذلك اليوم ﴿**وهم لا يؤمنون**﴾ لا يُصدِّقون به.

---

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١٦/٨٨. وورد عن أبي هريرة عن النبي ﷺ في هذه الآية: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾ قال: «يُنادىٰ يا أهل الجنة، فيشرئبون فينظرون، ويُنادىٰ: يا أهل النار، فَيَشْرَئبون فينظرون، فيقال: هل تعرفون الموت؟ فيقولون: نعم، فيجاء بالموت في صورة كبشٍ أملح، فيقال: هذا الموت، فيقدَّم فيذبح، قال: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويقال: يا أهل النار خلودٌ فلا موت» قال: ثم قرأ: ﴿وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر﴾.

أخرجه البخاري في التفسير ٨/٤٢٨؛ و النسائي في تفسيره ٢/٣١ بسندٍ صحيح؛ وابن جرير أيضاً ١٦/٨٨؛ وأحمد ٢/٢٦١؛ وابن ماجه برقم ٤٣٢٧.

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِيٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ

﴿٤٠﴾ ﴿إنا نحن نرث الأرض﴾ لأنَّا نُميت سُكَّانها، ﴿و﴾ نرث ﴿مَنْ عليها﴾ لأنَّا نميتهم ﴿وإلينا يرجعون﴾ للثَّواب والعقاب.

﴿٤١﴾ ﴿واذكر﴾ لقومك ﴿في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً﴾ مؤمناً مُوقناً ﴿نبياً﴾ رسولاً رفيعاً.

﴿٤٢﴾ ﴿إذ قال لأبيه: يا أبتِ لم تعبد ما لا يسمع﴾ الدُّعاء ﴿ولا يبصر﴾ العبادة ﴿ولا يغني﴾ ولا يدفع ﴿عنك﴾ من عذاب الله ﴿شيئاً﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾ لا تُطعه ﴿إنَّ الشيطان كان للرحمن عصياً﴾ عاصياً.

﴿٤٥﴾ ﴿يا أبت إني أخاف﴾ إن متَّ علىٰ ما أنت عليه أن يصيبك ﴿عذابٌ من الرحمن فتكون للشيطان ولياً﴾ قريناً في النَّار.

﴿٤٦﴾ ﴿قال﴾ أبوه مُجيباً له: ﴿أراغب أنت عن آلهتي﴾ أزاهدٌ فيها وتارك لعبادتها؟! ﴿لئن لم تنته﴾ لئن لم ترجع عن مقالتك في عيبها ﴿لأرجمنك﴾ لأشتمنَّك ﴿واهجرني ملياً﴾ زماناً طويلاً من الدَّهر.

﴿٤٧﴾ ﴿قال﴾ إبراهيم: ﴿سلام عليك﴾ أيْ: سلمتَ مني لا أصيبك بمكروه، وهذا جواب الجاهل، كقوله: ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً﴾[1]. ﴿سأستغفر

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾

لك ربي﴾ كان هذا قبل أن نُهي عن استغفاره، وعده ذلك رجاء أن يُجاب فيه **﴿إنه كان بي حفياً﴾** بارّاً لطيفاً.

﴿٤٨﴾ **﴿وأعتزلكم وما تدعون﴾** أُفارقكم وأُفارق ما تعبدون من أصنامكم **﴿وأدعو ربي﴾** أعبده **﴿عسىٰ أن لا أكون بدعاء ربي﴾** بعبادته **﴿شقياً﴾** كما شقيتم أنتم بعبادة الأصنام. يريد: إنَّه يتقبَّل عبادتي ويُثيبني عليها.

﴿٤٩﴾ **﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾** وذهب مهاجراً إلى الشَّام **﴿وهبنا له﴾** بعد الهجرة **﴿إسحق ويعقوب وكلاً﴾** منهما **﴿جعلنا﴾**ه **﴿نبياً﴾**.

﴿٥٠﴾ **﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾** يعني: النُّبوَّة والكتاب **﴿وجعلنا لهم لسان صدق علياً﴾** ثناءً حسناً رفيعاً في كلِّ أهل الأديان.

﴿٥١﴾ **﴿واذكر في الكتاب موسىٰ إنه كان مخلصاً﴾** مُوحِّداً قد أخلص دينه لله.

﴿٥٢﴾ **﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾** حيث أقبل من مدين يريد مصر، فنودي من الشَّجرة، وكانت في جانب الجبل على يمين موسىٰ **﴿وقرَّبناه نجيّاً﴾** قرَّبه الله تعالىٰ من السَّموات للمناجاة، حتىٰ سمع صرير القلم يكتب له في الألواح.

﴿٥٣﴾ **﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾** من نعمتنا عليه **﴿أخاه هارون نبيَّاً﴾** حين سأل ذلك ربَّه فقال: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي * هارون أخي...﴾[1] الآية.

(١) سورة طه: الآيتان ٢٩ ــ ٣٠.

وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٥٦﴾ وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا ﴿٥٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾

﴿٥٤﴾ **﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنَّه كان صادق الوعد﴾** إذا وعد وفَىٰ، وانتظر إنساناً في مكانٍ وعده عنده حتىٰ حال الحول عليه[(١)]. **﴿وكان رسولاً نبيّاً﴾** قد بُعث إلى جرهم.

﴿٥٥﴾ **﴿وكان يأمر أهله﴾** يعني: قومه **﴿بالصلاة والزكاة﴾** المفروضة عليهم **﴿وكان عند ربِّه مرضياً﴾** لأنَّه قام بطاعته.

﴿٥٦﴾ **﴿واذكر في الكتاب﴾** القرآن **﴿إدريس﴾** وقصَّته **﴿إنَّه كان صديقاً نبيّاً﴾**.

﴿٥٧﴾ **﴿ورفعناه مكاناً علياً﴾** رُفع إلى السَّماء الرَّابعة. وقيل: إلىٰ الجنَّة.

﴿٥٨﴾ **﴿أولئك الذين﴾** يعني: الذين ذكرهم من الأنبياء كانوا **﴿من ذريَّة آدم وممن حملنا مع نوح﴾** ومن ذريَّة مَنْ حملنا مع نوح في سفينته **﴿ومن ذرية إبراهيم﴾** يعني: إسحاق وإسماعيل ويعقوب **﴿وإسرائيل﴾** يعني: موسىٰ وهارون **﴿وممَّن هدينا﴾** أرشدنا **﴿واجتبينا﴾** اصطفينا **﴿إذا تتلىٰ عليهم آيات الرحمن خرُّوا سجداً وبكياً﴾** [جمع باكٍ][(٢)] أخبر الله سبحانه أنَّ هؤلاء الأنبياء كانوا إذا سمعوا بآيات الله سبحانه سجدوا وبكوا من خشية الله تعالىٰ.

---

(١) نسب هذا القول لسفيان الثوري ابن كثير في تفسيره ٣/ ٦٢٠، وهو مستبعدٌ. ونسبه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٩١٦ لابن أبي حاتم.
وأخرج ابن جرير ١٦/ ٩٥ عن سهل بن عقيل أنَّ إسماعيل عليه السَّلام وعد رجلاً مكاناً أن يأتيه، فجاء ونسي الرَّجل، فظلَّ به إسماعيل، وبات حتىٰ جاء الرجل من الغد، فقال: ما برحتَ من ها هنا؟ قال: لا. قال: إني نسيتُ. قال: لم أكن لأبرح حتىٰ تأتي، فبذلك كان صادقاً.

(٢) زيادة من ظا.

۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾ تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا ﴿٦٣﴾ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ

﴿٥٩﴾ **﴿فَخَلَفَ من بعدهم﴾** قفا بعد هؤلاء **﴿خلف﴾** قوم سوء، يعني: اليهود والنَّصارىٰ والمجوس **﴿أضاعوا الصلاة﴾** تركوا الصَّلاة المفروضة **﴿واتبعوا الشهوات﴾** اللَّذات من شرب الخمر والزِّنا **﴿فسوف يلقون غياً﴾** وهو وادٍ في جهنم(١).

﴿٦٠﴾ **﴿إلَّا من تاب﴾** من الشِّرك **﴿وآمن﴾** وصدَّق النَّبيِّين **﴿وعمل صالحاً﴾** أدَّى الفرائض **﴿فأولئك يدخلون الجنَّة ولا يظلمون شيئاً﴾** لا يُنقصون من ثواب أعمالهم شيئاً.

﴿٦١﴾ **﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾** بالمغيب عنهم ولم يروها **﴿إنَّه كان وعده مأتياً﴾** يؤتي ما وعده لا محالة، تأتيه أنت كما يأتيك هو.

﴿٦٢﴾ **﴿لا يسمعون فيها لغواً﴾** قبيحاً من القول **﴿إلَّا﴾** لكن **﴿سلاماً﴾** قولاً حسناً يسلمون منه، والسَّلام: اسمٌ جامعٌ للخير **﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشياً﴾** على قدر ما يعرفون في الدُّنيا من الغداء والعشاء.

﴿٦٣﴾ **﴿تلك الجنة التي نورث﴾** نُعطي ونُنزل **﴿من عبادنا مَنْ كان تقياً﴾** يتَّقي الله بطاعته واجتناب معاصيه.

﴿٦٤﴾ **﴿وما نتنزل﴾** كان جبريل عليه السَّلام قد احتبس عن النبيِّ ﷺ أيَّاماً، فلمَّا نزل قال له: ألاَّ زرتنا(٢)، فأنزل الله سبحانه: **﴿وما نتنزل إلَّا بأمر ربك له ما بين**

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٦/ ١٠٠ عن عبد الله بن مسعود، والطبراني بأسانيد، ورجال بعضها ثقات، وفيه: أبو عبيدة بن عبد الله بن مسعود، وهو لم يسمع من أبيه. انظر مجمع الزوائد ٧/ ٥٨.

(٢) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٤٢٨؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٣٤؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٥٨.

أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾

أيدينا﴾ من أمر الآخرة [**﴿وما خلفنا﴾** ما مضىٰ من أمر الدُّنيا][1] **﴿وما بين ذلك﴾** ما يكون من هذا الوقت إلى قيام السَّاعة. وقيل: **﴿له ما بين أيدينا﴾**: يعني: الدُّنيا، **﴿وما خلفنا﴾** يعني: السَّموات، **﴿وما بين ذلك﴾**: الهواء. **﴿وما كان ربك نسياً﴾** تاركاً لك منذ أبطأ عنك الوحي. وقوله:

﴿٦٥﴾ **﴿هل تعلم له سمياً﴾** هل تعلم أحداً يُسمَّىٰ الله غيره؟

﴿٦٦﴾ **﴿ويقول الإنسان﴾** يعني: أُبـيَّ بن خلف **﴿أإذا ما متُّ لسوف أخرج حياً﴾** يقول هذا استهزاءً وتكذيباً بالبعث، يقول: لسوف أخرج حيًّا من قبري بعد ما متُّ!؟

﴿٦٧﴾ **﴿أوَلاَ يذكر﴾** يتذكَّر ويتفكَّر هذا **﴿الإنسان أنَّا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾** فيعلم أنَّ مَنْ قدر على الابتداء قدر على الإعادة، ثمَّ أقسم بنفسه أنَّه يبعثهم فقال:

﴿٦٨﴾ **﴿فوربك لنحشرنَّهم﴾** يعني: منكري البعث **﴿والشياطين﴾** قرناءهم الذين أضلُّوهم **﴿ثمَّ لنحضرنَّهم حول جهنم جثياً﴾** جماعات، جمع: جُثوة[2].

﴿٦٩﴾ **﴿ثم لننزعنَّ﴾** لنخرجنَّ **﴿من كلِّ شيعة﴾** أُمَّةٍ وفرقةٍ **﴿أيُّهم أشدُّ على الرحمن عتياً﴾** الأعتىٰ فالأعتىٰ منهم، وذلك أنَّه يبدأ في التعذيب بأشدهم عتيًّا، ثمَّ الذي يليه.

---

(١) ما بين [ ] ليس في الأصل، وهو ثابت في باقي المخطوطات.

(٢) وفي هامش ظ: قوله تعالىٰ: ﴿حول جهنم جثياً﴾، الجثي: جمع الجاثي، وهو الذي يجثو علىٰ الرُّكب. اهـ.
وتفسيره بأنه جمع جثوة؛ هو قول مقاتل حيث قال: ﴿جثياً﴾ جمعاً جمعاً.
قال القرطبي: وهو على هذا التأويل جمع جثوة مثلث الجيم، وهي الحجارة والتراب المجموع، فأهل الخمر علىٰ حدة، وأهل الزنىٰ على حدة، وهكذا. تفسير القرطبي ١١/ ١٣٣.
قلت: وتفسيرها بأنَّها جمع جاثٍ هو الأشهر، وعليه الجمهور.

ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا ﴿٧٤﴾ قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا ۚ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾

﴿٧٠﴾ ﴿ثم لنحن أعلم بالذين هم أولىٰ بها صلياً﴾ أحقُّ بدخول النَّار.

﴿٧١﴾ ﴿وإنْ منكم﴾ وما منكم من أحدٍ ﴿إلاَّ واردُها﴾ إلاَّ وهو يرد النَّار ﴿كان علىٰ ربك﴾ كان الورود على ربِّك ﴿حتماً مقضياً﴾ حتم بذلك وقضىٰ.

﴿٧٢﴾ ﴿ثمَّ نُنجِّي﴾ من النَّار ﴿الذين اتقوا﴾ الشِّرك ﴿ونذر الظالمين﴾ المشركين ﴿فيها جثياً﴾ [أيْ]: جميعاً.

﴿٧٣﴾ ﴿وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا بيِّناتٍ﴾ يعني: القرآن وما بيَّن الله فيه ﴿قال الذين كفروا﴾ يعني: مشركي قريش ﴿للذين آمنوا أيُّ الفريقين﴾ منَّا ومنكم ﴿خيرٌ مقاماً﴾ منزلاً ومسكناً ﴿وأحسن ندياً﴾ مجلساً، وذلك أنَّهم كانوا أصحاب مالٍ وزينةٍ من الدُّنيا، وكان المؤمنون أصحاب فقرٍ ورثَّاثة، فقالوا لهم: نحن أعظم شأناً، وأعزُّ مجلساً، وأكرم منزلاً أم أنتم؟ فقال الله تعالىٰ:

﴿٧٤﴾ ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً﴾ متاعاً ﴿ورئياً﴾ منظراً من هؤلاء الكفَّار، فلم يُغن ذلك عنهم شيئاً.

﴿٧٥﴾ ﴿قل مَنْ كان في الضلالة﴾ الشِّرك والجهالة ﴿فليمدد له الرحمن مدّاً﴾ فإنَّ الله تعالىٰ يمدُّ له فيها ويمهله في كفره، وهذا لفظ أمرٍ معناه الخبر ﴿حتىٰ إذا رأوا ما يوعدون إمَّا العذاب﴾ في الدُّنيا ﴿وإما الساعة فسيعلمون مَنْ هو شرٌّ مكاناً وأضعف جنداً﴾ أهم أم المؤمنون؟ وذلك أنَّهم إن قُتلوا ونُصر المؤمنون عليهم علموا أنَّهم أضعف جنداً، وإن ماتوا فدخلوا النَّار علموا أنَّهم شرٌّ مكاناً.

وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًىۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ﴿٧٦﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾

﴿٧٦﴾ **﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدىً﴾** يزيدهم في يقينهم ورشدهم **﴿والباقيات الصالحات﴾** الأعمال الصَّالحة **﴿خيرٌ عند ربك ثواباً﴾** ممَّا يملك الكفَّار من المال **﴿وخيرٌ مردّاً﴾** أيْ: في المردِّ، وهو الآخرة.

﴿٧٧﴾ **﴿أفرأيت الذي كفر بآياتنا﴾** يعني: العاص بن وائل[1] **﴿وقال لأوتين مالاً وولداً﴾** وذلك أنَّ خبَّاباً اقتضىٰ ديناً له عليه، فقال: ألستم تزعمون أنَّ في الجنَّة ذهباً وفضَّةً؟ ولئن كان ما تقولون حقّاً فإنِّي لأفضلُ نصيباً منك، فأخِّرني حتىٰ أقضيك في الجنَّة، استهزاءً، فذلك قوله: **﴿لأوتين مالاً وولداً﴾** يعني: في الجنَّة، فقال الله تعالىٰ:

﴿٧٨﴾ **﴿أطلع الغيب﴾** أعلمَ علم الغيب حتىٰ عرف أنَّه في الجنَّة **﴿أم اتخذ عند الرحمن عهداً﴾** أم قال: لا إلّه إلاَّ الله حتىٰ يستحقَّ دخول الجنَّة؟

﴿٧٩﴾ **﴿كلا﴾** ليس الأمر كما يقول: **﴿سنكتب ما يقول﴾** سيحفظ عليه ما يقول من الكفر والاستهزاء لنجازيه به **﴿ونمدُّ له من العذاب مدّاً﴾** نزيده عذاباً فوق العذاب.

﴿٨٠﴾ **﴿ونرثه ما يقول﴾** من أنَّ في الجنَّة ذهباً وفضةً، فنجعله لغيره من المسلمين **﴿ويأتينا فرداً﴾** خالياً من ماله وولده وخدمه.

﴿٨١﴾ **﴿واتخذوا من دون الله﴾** يعني: أهل مكَّة **﴿آلهة﴾** وهي الأصنام **﴿ليكونوا لهم عزّاً﴾** أعواناً يمنعونهم مني.

---

(١) حديث العاص مع خباب أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٤٢٩، وفي البيوع، ومسلم في صفات المنافقين برقم ٢٧٩٥، والنسائي في تفسيره ٢/ ٣٧، والترمذي في التفسير برقم ٣١٦٢، وابن جرير ١٦/ ١٢٠.

كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا ﴿٨٣﴾ فَلَا تَعۡجَلۡ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمۡ عَدّٗا ﴿٨٤﴾ يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرۡدٗا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمۡلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحۡمَٰنِ عَهۡدٗا ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ﴿٨٨﴾ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ﴿٨٩﴾

﴿٨٢﴾ **﴿كلا﴾** ليس الأمر علىٰ ما ظنُّوا **﴿سيكفرون بعبادتهم﴾** لأنَّهم كانوا جماداً لم يعرفوا أنَّهم يُعبدون **﴿ويكونون عليهم ضداً﴾** أعواناً، وذلك أنَّ الله تعالىٰ يحشر آلهتهم فينطقهم، ويركِّب فيهم العقول فتقول: يا ربِّ عذِّب هؤلاء الذين عبدونا من دونك.

﴿٨٣﴾ **﴿ألم تر﴾** يا محمَّد **﴿أنَّا أرسلنا الشياطين على الكافرين﴾** سلَّطناهم عليهم بالإغواء **﴿تؤزهم أزّاً﴾** تُزعجهم من الطَّاعة إلى المعصية.

﴿٨٤﴾ **﴿فلا تعجل عليهم﴾** بالعذاب **﴿إنما نعدُّ لهم﴾** الأيَّام واللَّيالي والأنفاس **﴿عدّاً﴾** إلى انتهاء أجل العذاب.

﴿٨٥﴾ **﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾** ركباناً مُكرمين.

﴿٨٦﴾ **﴿ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً﴾** عطاشاً.

﴿٨٧﴾ **﴿لا يملكون الشفاعة إلَّا من اتَّخذ﴾** لكم **﴿عند الرحمن عهداً﴾** اعتقد التَّوحيد وقال: لا إلّه إلَّا الله[1]؛ فإنه يملك الشَّفاعة، والمعنىٰ: لا يشفع إلَّا مَنْ شهد أن لا إله إلَّا الله.

﴿٨٨﴾ **﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً﴾** يعني: اليهود والنَّصارىٰ، ومَنْ زعم أنَّ الملائكة بنات الله.

﴿٨٩﴾ **﴿لقد جئتم شيئاً إدّاً﴾** عظيماً فظيعاً.

---

(١) أخرجه ابن جرير ١٦/١٢٨ عن ابن عباس من طريق علي بن أبي طلحة.

تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ وَمَا يَنبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًۢا ﴿٩٨﴾

﴿٩٠﴾ **﴿تكاد السموات﴾** تقرب من أن **﴿يتفطرن﴾** يتشقَّقْن **﴿منه﴾** من هذا القول **﴿وتخرُّ﴾** وتسقط **﴿الجبال هدّاً﴾** سقوطاً.

﴿٩١﴾ **﴿أن دعوا﴾** لأنْ دعوا **﴿للرحمن ولداً﴾**.

﴿٩٢﴾ **﴿وما ينبغي للرحمن أن يتَّخذ ولداً﴾** لأنَّه لا يليق به الولد، ولا مجانسة بينه وبين أحد.

﴿٩٣﴾ **﴿إن كلُّ﴾** ما كلُّ **﴿من في السموات والأرض إلاَّ﴾** وهو يأتي الله سبحانه يوم القيامة مُقرّاً له بالعبوديَّة.

﴿٩٤﴾ **﴿لقد أحصاهم وعدَّهم عدّاً﴾** أَيْ: علمهم كلَّهم، فلا يخفىٰ عليه أحدٌ ولا يفوته.

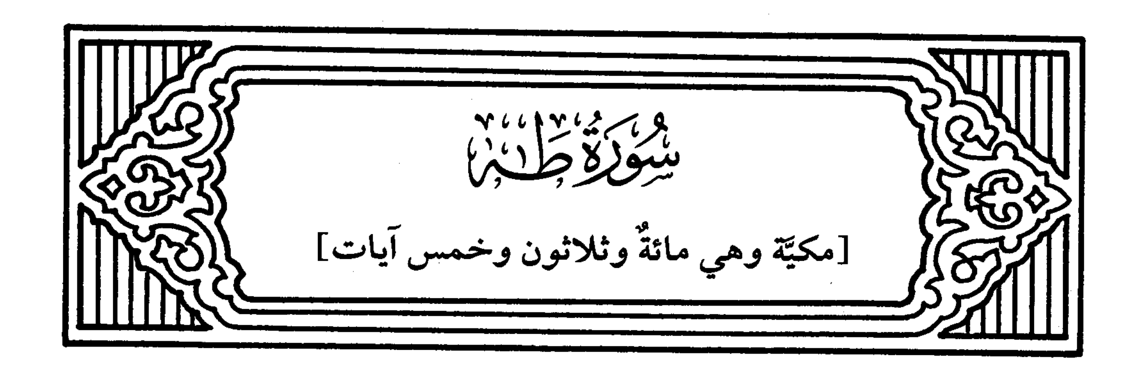
﴿٩٥﴾ **﴿وكلهم آتيهِ يوم القيامة فرداً﴾** من ماله وولده ليس معه أحدٌ.

﴿٩٦﴾ **﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن وداً﴾** محبَّةً في قلوب المؤمنين، قيل: نزلت في عليّ بن أبي طالب. وقيل: في عبد الرَّحمن بن عوف.

﴿٩٧﴾ **﴿فإنما يسرناه﴾** سهَّلنا القرآن **﴿بلسانك﴾** بلغتك **﴿لتبشر به المتقين﴾** الذين صدَّقوا وتركوا الشِّرك **﴿وتنذر به قوماً لداً﴾** شداد الخصومة.

﴿٩٨﴾ **﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾** قبل قومك **﴿من قرن﴾** جماعةٍ **﴿هل تحس﴾** تجد **﴿منهم من أحدٍ أو تسمع لهم رِكْزاً﴾** صوتاً.

• • •



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿طه﴾ يا رجل[1].

﴿٢﴾ **﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقىٰ﴾** لتتعب بكثرة الجهد، وذلك أنَّه كان يُصلِّي اللَّيل كلَّه بمكَّة حتىٰ تورَّمت قدماه، وقال له الكفَّار: إنَّك لتشقىٰ بترك ديننا، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[2].

﴿٣﴾ **﴿إلَّا تذكرة﴾** أي: ما أنزلناه إلَّا تذكرةً، موعظةً **﴿لمن يخشىٰ﴾** يخاف الله عزَّ وجلَّ.

﴿٤﴾ **﴿تنزيلاً ممَّن خلق الأرض والسموات العلىٰ﴾** جمع العليا.

﴿٥﴾ **﴿الرحمن على العرش﴾** مع أنَّه أعظم المخلوقات **﴿استوىٰ﴾** [أي: أقبل علىٰ خلقه، كقوله: ﴿ثم استوىٰ إلى السماء﴾[3] مع أنه أعظم المخلوقات][4]، أي: استولىٰ. وقوله:

---

(١) عن ابن عباس قال: طه بالنبطية يا رجل. أخرجه ابن جرير ١٦/ ١٣٥.

(٢) وهذا قول مقاتل، ذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٣٥١.

(٣) سورة فصلت: الآية ١١.

(٤) ما بين [ ] زيادة من ظ وظا.

لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذۡ رَءَا نَارٗا فَقَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِقَبَسٍ أَوۡ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدٗى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ

﴿٦﴾ **﴿وما تحت الثرىٰ﴾** ما تحت الأرض، والثَّرىٰ: التُّراب النَّدي.

﴿٧﴾ **﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر﴾** وهو ما أسررت في نفسك **﴿وأخفىٰ﴾** وهو ما ستحدِّث به نفسك ممَّا لم يكن بعد، والمعنىٰ: إنَّه يعلم هذا، فكيف ما جُهِرَ به؟

﴿٩﴾ **﴿وهل أتاك﴾** يا محمَّد. **﴿حديث موسىٰ﴾** خبره وقصَّته.

﴿١٠﴾ **﴿إذ رأىٰ ناراً﴾** في طريقه إلى مصر لمَّا أخذ امرأته الطَّلْقُ **﴿فقال لأهله﴾** لامرأته: **﴿امكثوا﴾** أقيموا مكانكم. **﴿إني آنست﴾** أبصرت **﴿ناراً لعلي آتيكم منها بقبس﴾** شعلة نارٍ **﴿أو أجد على النار هدى﴾** مَنْ يهديني ويدلُّني على الطَّريق، وكان قد ضلَّ عن الطَّريق.

﴿١١﴾ **﴿فلما أتاها﴾** أي: النَّار.

﴿١٢﴾ **﴿نودي يا موسىٰ * إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾** وكانتا من جلد حمارٍ ميِّتٍ غيرِ مدبوغٍ، لذلك أُمر بخلعها **﴿إنك بالواد المقدس﴾** المُطهَّر **﴿طوى﴾** اسم ذلك الوادي.

﴿١٣﴾ **﴿وأنا اخترتك﴾** اصطفيتك للنُّبوَّة **﴿فاستمع لما يوحىٰ﴾** إليك مني.

﴿١٤﴾ **﴿وأقم الصلاة لذكري﴾** لتذكرني فيها.

﴿١٥﴾ **﴿إنَّ الساعة﴾** القيامة **﴿آتية أكاد أخفيها﴾** أسترها للتَّهويل والتَّعظيم، و «أكادُ»

أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيۡهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلۡقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٞ تَسۡعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذۡهَا وَلَا تَخَفۡۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلۡأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضۡمُمۡ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخۡرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنۡ ءَايَٰتِنَا ٱلۡكُبۡرَى ﴿٢٣﴾ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾

صلةٌ. ﴿لتجزىٰ﴾ في ذلك اليوم ﴿كل نفس بما تسعىٰ﴾ تعمل.

﴿١٦﴾ ﴿فلا يصدنك﴾ يمنعنَّك ﴿عنها﴾ عن الإيمان بالسَّاعة ﴿مَنْ لا يؤمن بها واتبع هواه﴾ مراده ﴿فتردىٰ﴾ فتهلك.

﴿١٧﴾ ﴿وما تلك﴾ وما التي ﴿بيمينك﴾ في يدك اليمنىٰ؟ ﴿قال هي عصاي أتوكأ عليها﴾ أتحامل عليها عند المشي والإعياء ﴿وأهش﴾ أخبط الورق عن الشَّجر ﴿بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرىٰ﴾ حاجاتٌ أخرىٰ سوىٰ التَّوَكُّؤِ والهشِّ. وقوله:

﴿٢١﴾ ﴿سنعيدها سيرتها الأولىٰ﴾ أَيْ: نردُّها عصاً كما كانت.

﴿٢٢﴾ ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾ جناح الإنسان: عضده إلى أصل إبطه، يريد: أدخلها تحت جناحك ﴿تخرج بيضاء من غير سوء﴾ برصٍ أو داءٍ ﴿آية أخرىٰ﴾ لك سوىٰ العصا.

﴿٢٣﴾ ﴿لنريك من آياتنا الكبرىٰ﴾ وكانت يده أكبر آياته.

﴿٢٤﴾ ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغىٰ﴾ كفر بأنعمي، وتكبَّر عن عبادتي، فعند ذلك.

﴿٢٥﴾ ﴿قال﴾ موسىٰ: ﴿رب اشرح لي صدري﴾ وسِّعْ ولَيِّنْ لي قلبي بالإيمان والنُّبوَّة.

﴿٢٦﴾ ﴿ويسّر لي أمري﴾ وسهِّلْ عليَّ ما أمرتني به من تبليغ الرِّسالة.

وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي ﴿٣٢﴾ كَيۡ نُسَبِّحَكَ كَثِيرٗا ﴿٣٣﴾ وَنَذۡكُرَكَ كَثِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرٗا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ مَنَنَّا عَلَيۡكَ مَرَّةً أُخۡرَىٰٓ ﴿٣٧﴾ إِذۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلتَّابُوتِ فَٱقۡذِفِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ

﴿٢٧﴾ ﴿واحلل﴾ افتح ﴿عقدة من لساني﴾ وكانت في لسانه رُتّة[1] للجمرة التي وضعها على لسانه في صباه.

﴿٢٨﴾ ﴿يفقهوا قولي﴾ كي يفهموا كلامي.

﴿٢٩﴾ ﴿واجعل لي وزيراً﴾ معيناً ﴿من أهلي﴾ وهو،

﴿٣٠﴾ ﴿هارون﴾.

﴿٣١﴾ ﴿اشدد به أزري﴾ قوِّ به ظهري.

﴿٣٢﴾ ﴿وأشركه في أمري﴾ اجعل ما أمرتني به من النُّبوَّة بيني وبينه.

﴿٣٣﴾ ﴿كي نسبحك﴾ نصلِّي لك ﴿كثيراً﴾.

﴿٣٤﴾ ﴿ونذكرك كثيراً﴾ باللسان على كلِّ حالٍ.

﴿٣٥﴾ ﴿إنك كنت بنا بصيراً﴾ عالماً، فاستجاب الله له، وقال تعالىٰ:

﴿٣٦﴾ ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسىٰ﴾ أُعطيت مرادك، ثمَّ ذكر منَّته السالفة عليه بقوله تعالىٰ:

﴿٣٧﴾ ﴿ولقد مننا عليك مرَّة أخرىٰ﴾ قبل هذه، وهي: ﴿إذ أوحينا إلىٰ أمك ما يوحىٰ﴾ أَيْ: ألهمناها ما يلهم الإنسان من الصَّواب، وهو إلهام الله تعالىٰ إيَّاها:

﴿٣٩﴾ ﴿أن اقذفيه﴾ اجعليه ﴿في التابوت فاقذفيه﴾ فاطرحيه ﴿في اليم﴾ يعني: نهر النِّيل

(١) الرُّتَة: العجمة في الكلام.

فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴿٤١﴾ ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ﴿٤٢﴾ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾

﴿فليلقه اليمُّ بالساحل﴾ فيردُّه الماء إلى الشَّطِّ ﴿يأخذه عدوٌّ لي وعدوٌّ له﴾ وهو فرعون ﴿وألقيت عليك محبة مني﴾ حتىٰ لم يقتلك عدوُّك الذي أخذك من الماء، وهو أنَّه حبَّبه إلى الخلق كلِّهم، فلا يراه مؤمنٌ ولا كافرٌ إلَّا أحبَّه. ﴿ولتصنع﴾ ولتربىٰ وتغذَّىٰ ﴿على عيني﴾ على محبَّتي ومرادي. يعني: إذ ردَّه إلى أُمِّه حتىٰ غذته، وهو قوله:

﴿٤٠﴾ ﴿إذ تمشي أختك﴾ مُتعرِّفةً خبرك وما يكون من أمرك بعد الطَّرح في الماء ﴿فتقول﴾ لكم: ﴿هل أدلُّكم علىٰ مَنْ يكفله﴾ يرضعه ويضمُّه إليه، وذلك حين أبىٰ موسىٰ عليه السَّلام أن يقبل ثدي امرأةٍ، فلمَّا قالت لهم ذلك قالوا: نعم، فجاءت بالأُمِّ، فَدُفع إليها، فذلك قوله: ﴿فرجعناك إلى أمك كي تقرَّ عينها﴾ بلقائك وبقائك ﴿ولا تحزن﴾ على فقدك ﴿وقتلت نفساً﴾ يعني: القبطي الذي قتله ﴿فنجيناك من الغم﴾ من غمٍّ أن تُقتل به ﴿وفتناك فتوناً﴾ اختبرناك اختباراً بأشياء قبل النُّبوَّة ﴿فلبثت﴾ مكثت ﴿سنين في أهل مدين﴾ عشر سنين في منزل شعيب ﴿ثم جئت على قدر﴾ على رأس أربعين سنة. وهو القدر الذي يوحىٰ فيه إلىٰ الأنبياء عليهم السَّلام.

﴿٤١﴾ ﴿واصطنعتك لنفسي﴾ اخترتك بالرِّسالة لكي تحبَّني وتقوم بأمري.

﴿٤٢﴾ ﴿اذهب أنت وأخوك بآياتي﴾ يعني: بما أعطاهما من المعجزة ﴿ولا تنيا﴾ لا تَفتُرا.

﴿٤٣﴾ ﴿اذهبا إلى فرعون إنَّه طغىٰ﴾ علا وتكبَّر.

فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبْهُمْ ۖ قَدْ جِئْنَٰكَ بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكَ ۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

﴿٤٤﴾ ﴿فقولا له قولاً ليّناً﴾ كنّياه وعِداه على الإيمان نعيماً وعمراً طويلاً في صحّة، ومصيراً إلى الجنَّة ﴿لعله يتذكر﴾ يتَّعظ ﴿أو يخشىٰ﴾ يخاف الله تعالىٰ، ومعنىٰ «لعلَّ» ها هنا يعود إلى حال موسىٰ وهارون. أي: اذهبا أنتما على رجائكما وطمعكما، وقد علم الله تعالىٰ ما يكون منه.

﴿٤٥﴾ ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ [يعجل علينا](١) بالقتل والعقوبة ﴿أو أن يطغىٰ﴾ يتكبَّر ويستعصي.

﴿٤٦﴾ ﴿قال لا تخافا إنني معكما﴾ بالعون والنُّصرة ﴿أسمع﴾ ما يقول ﴿وأرىٰ﴾ ما يفعل. وقوله:

﴿٤٧﴾ ﴿فأرسل معنا بني إسرائيل﴾ أَيْ: خلِّ عنهم ولا تستسخرهم ﴿ولا تعذبهم﴾ ولا تتعبهم في العمل. ﴿قد جئناك بآية من ربك﴾ يعني: اليد البيضاء [والعصا](٢) ﴿والسلام علىٰ من اتبع الهدىٰ﴾ سَلِمَ مَنْ أسلم.

﴿٤٨﴾ ﴿إنا قد أوحي إلينا أنَّ العذاب علىٰ مَنْ كذَّب﴾ أنبياء الله ﴿وتولىٰ﴾ أعرض عن الإيمان. وقوله:

﴿٥٠﴾ ﴿ربنا الذي أعطىٰ كلَّ شيء خلقه﴾ أَيْ: أتقن كلَّ شيءٍ ممَّا خلق، وخلقه على الهيئة التي بها يُنتفع، والتي هي أصلح وأحكم لما يُراد منه ﴿ثم هدىٰ﴾ أي: هداه لمعيشته، ثمَّ سأله فرعون عن أعمال الأمم الماضية، وهو قوله:

(١) ما بين [ ] ليس في الأصل.
(٢) زيادة من ظ.

قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾ ۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾

﴿٥١﴾ **﴿فما بال القرون الأولىٰ﴾** الماضية؟ فأجابه موسىٰ عليه السَّلام بأنَّ أعمالهم محفوظةٌ عند الله يُجازون بها، وهو قوله:

﴿٥٢﴾ **﴿علمها عند ربي في كتاب﴾** وهو اللَّوح المحفوظ **﴿لا يضل ربي﴾** لا يخطىء، ومعناه: لا يترك مَنْ كفر به حتىٰ ينتقم منه **﴿ولا ينسىٰ﴾** مَنْ وحَّده حتىٰ يجازيه.

﴿٥٣﴾ **﴿الذي جعل لكم الأرض مهاداً﴾**[1] فراشاً **﴿وسلك لكم فيها سبلاً﴾** وسهَّل لكم فيها طُرُقاً **﴿وأنزل من السماء ماء﴾** يريد: المطر، وتمَّ ها هنا جواب موسىٰ، ثمَّ تلوَّن الخطاب، وقال الله تعالىٰ: **﴿فأخرجنا به أزواجاً﴾** أصنافاً **﴿من نبات شتى﴾** مختلفة الألوان والطُّعوم.

﴿٥٤﴾ **﴿كلوا﴾** منها **﴿وارعوا أنعامكم﴾** فيها، أَيْ: أسيموها واسرحوها في نبات الأرض **﴿إنَّ في ذلك﴾** الذي ذكرت **﴿لآيات﴾** لعبرة **﴿لأولي النهىٰ﴾** لذوي العقول.

﴿٥٥﴾ **﴿منها خلقناكم﴾** يعني: آدم عليه السَّلام **﴿وفيها نعيدكم﴾** عند الموت **﴿ومنها نخرجكم﴾** عند البعث **﴿تارة﴾** مرَّةً **﴿أخرىٰ﴾**.

﴿٥٦﴾ **﴿ولقد أريناه﴾** يعني: فرعون **﴿آياتنا كلَّها﴾** الآيات التِّسع **﴿فكذَّب﴾** بها، وزعم أنَّها سحرٌ **﴿وأبىٰ﴾** أن يُسلم.

﴿٥٧﴾ **﴿قال﴾** لموسىٰ: **﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾** من أرض مصر.

---

(١) قرأ «مهاداً» نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأ الباقون «مهداً». الإتحاف ص ٣٠٣.

فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾

﴿٥٨﴾ **﴿بسحرك يا موسىٰ * فلنأتينَّك بسحر مثله﴾** فلنعارضنَّ سحرك بسحرٍ مثله **﴿فاجعل بيننا وبينك موعداً﴾** لمعارضتنا إيَّاك، لا نُخلف ذلك الموعد **﴿نحن ولا أنت﴾** وأراد بالموعد ها هنا موضعاً يتواعدون للاجتماع هناك، وهو قوله: **﴿مكاناً سوى﴾** أَيْ: يكون النَّصف فيما بيننا وبينك.

﴿٥٩﴾ **﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾** أَيْ: وقتُ موعدكم يوم الزِّينة، وهو يوم عيدٍ كان لهم **﴿وأن يحشر الناس ضحى﴾** يريد: يجمع أهل مصر في ذلك اليوم نهاراً، أراد موسىٰ صلوات الله عليه أن يكون أبلغ في الحجَّة، وأشهر ذكراً في الجمع.

﴿٦٠﴾ **﴿فتولىٰ﴾** فأدبر **﴿فرعون فجمع كيده﴾** حِيَله وسحرته **﴿ثم أتىٰ﴾** الميعاد.

﴿٦١﴾ **﴿قال لهم موسىٰ﴾** للسَّحرة: **﴿لا تفتروا على الله كذباً﴾** لا تشركوا مع الله أحداً **﴿فيسحتكم﴾** فيستأصلكم **﴿بعذاب وقد خاب من افترىٰ﴾** خسر مَن ادَّعىٰ مع الله تعالىٰ إلَهاً آخر.

﴿٦٢﴾ **﴿فتنازعوا أمرهم بينهم﴾** فتشاوروا بينهم، يعني: السَّحرة **﴿وأسروا النجوىٰ﴾** تكلَّموا فيما بينهم سرَّاً من فرعون، فقالوا: إنْ غلَبَنا موسىٰ اتَّبعناه.

﴿٦٣﴾ **﴿قالوا إنَّ هذين[1] لساحران﴾** يعنون: موسىٰ وهارون عليهما السَّلام **﴿يريدان أن يخرجاكم من أرضكم﴾** من مصر ويغلبا عليها **﴿بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلىٰ﴾** بجماعتكم الأشراف، أَيْ: يصرفا وجوههم إليهما.

---

(١) هذه قراءة أبي عمرو بن العلاء.

فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي

---

(٦٤) ﴿فأجمعوا كيدكم﴾ أي: اعزموا على الكيد من غير اختلافٍ بينكم فيه ﴿ثم ائتوا صفاً﴾ مُجتمعين مصطفِّين؛ ليكون أشدَّ لهيبتكم ﴿وقد أفلح اليوم من استعلىٰ﴾ أَيْ: قد سعد اليوم مَنْ غلب.

(٦٥) ﴿قالوا يا موسىٰ إمَّا أن تلقي﴾ عصاك من يدك إلى الأرض ﴿وإمَّا أن نكون أوَّل من ألقىٰ﴾.

(٦٦) ﴿قال بل ألقوا﴾ أنتم، فألقوا ﴿فإذا حبالهم وعصيهم﴾ جمع العصا ﴿يخيل إليه﴾ يُشبَّه لموسىٰ ﴿أنها تسعىٰ﴾ وذلك أنَّها تحرَّكت بنوع حيلةٍ وتمويهٍ، وظن موسىٰ أنَّها تسعىٰ نحوه.

(٦٧) ﴿فأوجس﴾ فأضمر ﴿في نفسه خيفة﴾ خوفاً، خاف أن لا يفوز ولا يغلب فلا يُصدَّق، حتىٰ قال الله تعالىٰ له:

(٦٨) ﴿لا تخف إنك أنت الأعلىٰ﴾ الغالب.

(٦٩) ﴿وألق ما في يمينك تلقف﴾ تبتلع ﴿ما صنعوا إنّ ما صنعوا﴾ أي: الذي صنعوه ﴿كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتىٰ﴾ ولا يسعد السَّاحر حيث ما كان. فألقىٰ موسىٰ عصاه فتلقَّفت كلَّ الذي صنعوه، وعند ذلك أُلقي

(٧٠) ﴿السحرة سجداً﴾ خرُّوا ساجدين لله تعالىٰ ﴿قالوا آمنا برب هارون وموسىٰ﴾.

(٧١) ﴿قال آمنتم له﴾ صدّقتموه ﴿قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم﴾ معلّمكم ﴿الذي

عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ

علمكم السحر فلأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف﴾ اليد اليمنىٰ والرِّجل اليسرىٰ **﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾** على رؤوس النَّخل **﴿ولتعلمن أينا أشد عذاباً﴾** أنا أو ربُّ موسىٰ **﴿وأبقىٰ﴾** وأدوم.

﴿٧٢﴾ **﴿قالوا لن نؤثرك﴾** لن نختار دينك **﴿علىٰ ما جاءنا من البينات﴾** اليقين والهدىٰ **﴿والذي فطرنا﴾** ولا نختارك على الذي خلقنا **﴿فاقض ما أنت قاض﴾** فاصنع ما أنت صانعٌ من القطع والصَّلب **﴿إنما تقضي هذه الحياة الدنيا﴾** إنَّما سلطانك وملكك في هذه الحياة الدُّنيا.

﴿٧٣﴾ **﴿إنَّا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا﴾** الشِّرك الذي كنَّا فيه **﴿وما أكرهتنا عليه من السحر﴾** وإكراهك إيانا على تعلُّم السِّحر **﴿والله خير﴾** لنا منك **﴿وأبقىٰ﴾** لأنَّك فانٍ هالكٌ.

﴿٧٤﴾ **﴿إنَّه مَنْ يأت ربَّه مجرماً﴾** مات على الشِّرك **﴿فإنَّ له جهنم لا يموت فيها﴾** فيستريح بالموت **﴿ولا يحيا﴾** حياةً تنفعه.

﴿٧٥﴾ **﴿ومَنْ يأته مؤمناً﴾** مات على الإِيمان **﴿قد عمل الصالحات﴾** قد أدَّىٰ الفرائض **﴿فأولئك لهم الدرجات العلىٰ﴾** في الجنَّة. وقوله:

﴿٧٦﴾ **﴿جزاء من تزكى﴾** تطهَّر من الشِّرك بقول: لا إلٰه إلاَّ الله.

﴿٧٧﴾ **﴿ولقد أوحينا إلى موسىٰ أن أسر بعبادي﴾** سِرْ بهم ليلاً من أرض مصر **﴿فاضرب**

لَهُمْ طَرِيقًا فِي ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ﴿٧٩﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾ وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

﴿لهم﴾ بعصاك **﴿طريقاً في البحر يبساً﴾** يابساً **﴿لا تخاف دركاً﴾** من فرعون خلفك **﴿ولا تخشىٰ﴾** غرقاً في البحر.

﴿٧٨﴾ **﴿فأتبعهم﴾** فلحقهم **﴿فرعون بجنوده فغشيهم من اليم﴾** فعلاهم من البحر **﴿ما غشيهم﴾** ما غرَّقهم.

﴿٧٩﴾ **﴿وأضل فرعون قومه وما هدىٰ﴾** ردَّ عليه حيث قال: **﴿وما أهديكم إلَّا سبيل الرشاد﴾**[1]، ثمَّ ذكر مِنته على بني إسرائيل فقال:

﴿٨٠﴾ **﴿قد أنجيناكم من عدوكم﴾** فرعون **﴿وواعدناكم﴾** لإيتاء الكتاب **﴿جانب الطور الأيمن﴾** وذلك أنَّ الله سبحانه وعد موسىٰ أن يأتي هذا المكان، فيؤتيه كتاباً فيه الحلال والحرام والأحكام، ووعدهم موسىٰ أن يأتي هذا المكان عند ذهابه عنهم. **﴿ونزلنا عليكم المنَّ والسلوىٰ﴾** يعني: في التِّيه.

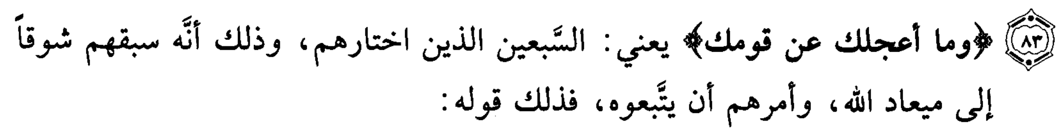
﴿٨١﴾ **﴿كلوا﴾** أَيْ: وقلنا لهم: كلوا **﴿من طيبات﴾** حلالات **﴿ما رزقناكم ولا تطغوا﴾** ولا تكفروا النِّعمة **﴿فيه فيحلَّ﴾** فيجب **﴿عليكم غضبي ومن يحلل﴾** [يجب][2] **﴿عليه غضبي فقد هوىٰ﴾** هلك وصار إلى الهاوية.

﴿٨٢﴾ **﴿وإني لغفار لمن تاب﴾** من الشِّرك **﴿وآمن﴾** وصدَّق بالله **﴿وعمل صالحاً﴾** بطاعة الله **﴿ثمَّ اهتدىٰ﴾** أقام على ذلك حتىٰ مات عليه.

---

(١) سورة غافر: الآية ٢٩.　(٢) زيادة من ظ وطا.

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ قَالَ فَإِنَّا قَدۡ فَتَنَّا قَوۡمَكَ مِنۢ بَعۡدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾ فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ﴿٨٦﴾ قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾



﴿٨٣﴾ **﴿وما أعجلك عن قومك﴾** يعني: السَّبعين الذين اختارهم، وذلك أنَّه سبقهم شوقاً إلى ميعاد الله، وأمرهم أن يتَّبعوه، فذلك قوله:

﴿٨٤﴾ **﴿قال: هم أولاء على أثري﴾** يجيئون بعدي **﴿وعجلت إليك﴾** بسبقي إيَّاهم **﴿لترضىٰ﴾** لتزداد عني رضىً.

﴿٨٥﴾ **﴿قال فإنا قد فتنا قومك﴾** أَيْ: ألقيناهم في الفتنة واختبرناهم **﴿من بعدك﴾** من بعد خروجك من بينهم **﴿وأضلهم السامريُّ﴾** بدعائهم إلى عبادة العجل.

﴿٨٦﴾ **﴿فرجع موسىٰ إلى قومه غضبان أسفاً﴾** شديد الحزن. **﴿قال: يا قوم ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً﴾** أنَّه يعطيكم التَّوراة [صدقاً][1] لذلك الموعد. **﴿أفطال عليكم العهد﴾** مدَّة مفارقتي إيَّاكم **﴿أم أردتم أن يحل﴾** أن يجب **﴿عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي﴾** باتِّخاذ العجل ولم تنظروا رجوعي إليكم.

﴿٨٧﴾ **﴿قالوا: ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾** [باختيارنا][2] ونحن نملك من أمرنا شيئاً، ولكنَّ السَّامريَّ استغوانا وهو معنىٰ قوله: **﴿ولكنا حملنا أوزاراً﴾** أثقالاً **﴿من زينة القوم﴾** من حُلي آل فرعون **﴿فقذفناها﴾** ألقيناها في النَّار بأمر السَّامِرِيِّ، وذلك أنَّه قال: اجمعوها وألقوها في النَّار ليرجع موسىٰ، فيرىٰ فيها رأيه **﴿فكذلك ألقى السامري﴾** ما معه من الحُلِّي في النَّار، وهو قوله: **﴿فكذلك ألقى السامري﴾** ثمَّ صاغ لهم عجلاً، وهو قوله:

(١) زيادة من ظ.
(٢) زيادة من ظ.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَٰذَا إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِي ﴿٩٠﴾ قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾ قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾ أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ ۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

﴿٨٨﴾ **﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً﴾** لحماً ودماً **﴿له خوار﴾** صوت، فسجدوا له، وافتتنوا به، وقالوا: **﴿هذا إلٰهكم وإلٰه موسىٰ فنسي﴾** فتركه ها هنا وخرج يطلبه. قال الله تعالىٰ احتجاجاً عليهم:

﴿٨٩﴾ **﴿أفلا يرون ألا يرجع﴾** أنَّه لا يرجع **﴿إليهم قولاً﴾** لا يُكلِّمهم العجل ولا يجيبهم **﴿ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً﴾**.

﴿٩٠﴾ **﴿ولقد قال لهم هارون من قبل﴾** من قبل رجوع موسىٰ: **﴿يا قوم إنما فتنتم به﴾** ابتليتم بالعجل **﴿وإنَّ ربكم الرحمن﴾** لا العجل **﴿فاتبعوني﴾** على ديني **﴿وأطيعوا أمري﴾**.

﴿٩١﴾ **﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾** على عبادته مقيمين **﴿حتىٰ يرجع إلينا موسىٰ﴾** فلمَّا رجع موسىٰ

﴿٩٢﴾ **﴿قال يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا﴾** أخطأوا الطَّريق بعبادة العجل **﴿أن لا تتبعني﴾** أن تتبعني وتلحق بي وتخبرني؟ **﴿أفعصيت أمري﴾** حيث أقمتَ فيما بينهم وهم يعبدون غير الله!؟ ثمَّ أخذ شعر رأسه بيمينه ولحيته بشماله غضباً وإنكاراً عليه، فقال:

﴿٩٤﴾ **﴿يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرَّقت بين بني إسرائيل﴾** خشيت إن فارقتهم واتَّبعتك أن يصيروا حزبين يقتل بعضهم بعضاً، فتقول: أوقعتَ الفرقة فيما بينهم **﴿ولم ترقب قولي﴾** لم تحفظ وصيتي في حسن

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا۟ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

الخلافة عليهم، ثمَّ أقبل موسىٰ على السَّامريِّ فقال:

﴿٩٥﴾ ﴿فما خطبك﴾ فما قصَّتك وما الذي تخاطب به فيما صنعت؟

﴿٩٦﴾ ﴿قال: بصرت بما لم يبصروا به﴾ علمت ما لم يعلمه بنو إسرائيل. قال موسىٰ: وما ذلك؟ قال: رأيت جبريل عليه السَّلام على فرس الحياة، فأُلقي في نفسي أن أقبض من أثرها، فما ألقيته على شيءٍ إلاَّ صار له روحٌ ولحمٌ ودمٌ[١]، فحين رأيتُ قومك سألوك أن تجعل لهم إلٰهاً زيَّنت لي نفسي ذلك، فذلك قوله: ﴿فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها﴾ طرحتها في العجل ﴿وكذلك سوَّلت لي نفسي﴾ حدَّثتني نفسي.

﴿٩٧﴾ ﴿قال﴾ له موسىٰ صلوات الله عليه: ﴿فاذهب فإنَّ لك في الحياة﴾ يعني: ما دمت حيّاً ﴿أن تقول لا مساس﴾ لا تخالط أحداً ولا يخالطك، وأمر موسىٰ بني إسرائيل ألا يخالطوه، وصار السَّامريُّ بحيث لو مسَّه أحدٌ أو مسَّ هو أحداً حُمَّ كلاهما ﴿وإن لك موعداً﴾ لعذابك ﴿لن تخلفه﴾ لن يُخلفكه الله ﴿وانظر إلى إلٰهك﴾ معبودك ﴿الذي ظلت عليه عاكفاً﴾ دمتَ عليه مقيماً تعبده ﴿لنحرقنَّه﴾ بالنَّار ﴿ثمَّ لننسفنَّه﴾ لنذرينَّه في البحر.

﴿٩٨﴾ ﴿إنما إلٰهكم الله الذي لا إلٰه إلاَّ هو﴾ لا العجل ﴿وسع كلَّ شيء علماً﴾ علم كلَّ شيء علماً.

---

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١٦/ ٢٠٥.

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾

---

(٩٩) **﴿كذلك﴾** كما قصصنا عليك هذه القصَّة **﴿نقص عليك من أنباءِ ما قد سبق﴾** من الأمور **﴿وقد آتيناك من لدنا ذكراً﴾** يعني: القرآن.

(١٠٠) **﴿من أعرض عنه﴾** فلم يؤمن به **﴿فإنه يحمل يوم القيامة وزراً﴾** حملاً ثقيلاً من الكفر.

(١٠١) **﴿خالدين فيه﴾** لا يغفر ربك لهم ذلك، ولا يكفِّر عنهم شيء **﴿وساء لهم يوم القيامة حملاً﴾** بئس ما حملوا على أنفسهم من المآثم كفراً بالقرآن.

(١٠٢) **﴿يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين﴾** الذين اتَّخذوا مع الله إلَهاً آخر **﴿يومئذ زرقاً﴾** زرق العيون سود الوجوه.

(١٠٣) **﴿يتخافتون﴾** يتساررون **﴿بينهم إن لبثتم﴾** ما لبثتم في قبوركم إلاَّ عشر ليالٍ. يريدون: ما بين النَّفختين، وهو أربعون سنة يُرفع العذاب في تلك المدَّة عن الكفَّار، فيستقصرون تلك المدَّة إذا عاينوا هول القيامة. قال الله تعالىٰ:

(١٠٤) **﴿نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة﴾** أعدلهم قولاً **﴿إن لبثتم إلاَّ يوماً﴾**.

(١٠٥) **﴿ويسألونك عن الجبال﴾** سألوا النبيَّ ﷺ كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ **﴿فقل ينسفها ربي نسفاً﴾** يصيِّرها كالهباء المنثور حتىٰ تستوي مع الأرض، وهو قوله:

(١٠٦) **﴿فيذرها قاعاً صفصفاً﴾** مكاناً مستوياً،

(١٠٧) **﴿لا ترىٰ فيها عوجاً ولا أمتاً﴾** انخفاضاً وارتفاعاً.

يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾ ۞ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴿١١٣﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ

﴿١٠٨﴾ **﴿يومئذ يتبعون الداعي﴾** الذي يدعوهم إلى موقف القيامة، ولا يقدرون ألا يتَّبعوا **﴿وخشعت﴾** سكنت **﴿الأصوات للرحمن فلا تسمع إلاَّ همساً﴾** وَطْءَ الأقدام في نقلها إلى المحشر.

﴿١٠٩﴾ **﴿يومئذ﴾** يوم القيامة **﴿لا تنفع الشفاعة﴾** أحداً **﴿إلاَّ مَنْ أذن له الرحمن﴾** في أن يُشفَع له، وهم المسلمون الذين رضي الله قولهم؛ لأنَّهم قالوا: لا إِلَه إلاَّ الله، وهذا معنى قوله: **﴿ورضي له قولاً﴾**.

﴿١١٠﴾ **﴿يعلم ما بين أيديهم﴾** من أمر الآخرة **﴿وما خلفهم﴾** من أمر الدُّنيا. وقيل: ما قدَّموا وما خلَّفوا من خيرٍ وشرٍّ **﴿ولا يحيطون به علماً﴾** وهم لا يعلمون ذلك.

﴿١١١﴾ **﴿وعنت الوجوه﴾** خضعت وذلَّت **﴿للحيِّ القيوم وقد خاب مَنْ حمل ظلماً﴾** خسر مَنْ أشرك بالله.

﴿١١٢﴾ **﴿ومَنْ يعمل من الصالحات﴾** الطَّاعات لله **﴿وهو مؤمن﴾** مصدِّق بما جاء به محمد ﷺ **﴿فلا يخاف ظلماً ولا هضماً﴾** لا يخاف أن يزاد في سيئاته، ولا ينقص من حسناته.

﴿١١٣﴾ **﴿وكذلك﴾** وهكذا **﴿أنزلناه قرآناً عربياً وصرَّفنا﴾** بيَّنا **﴿فيه من الوعيد لعلَّهم يتقون أو يحدث لهم﴾** القرآن **﴿ذكراً﴾** وموعظة.

﴿١١٤﴾ **﴿ولا تعجل بالقرآن﴾** كان إذا نزل جبريل عليه السَّلام بالوحي يقرؤه مع جبريل عليه السَّلام مخافة النِّسيان، فأنزل الله سبحانه: **﴿ولا تعجل بالقرآن﴾** أَيْ: بقراءته

مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾

﴿من قبل أن يقضىٰ إليك وحيه﴾ من قبل أن يفرغ جبريل ممَّا يريد من التِّلاوة ﴿وقل رب زدني علماً﴾ بالقرآن، وكان كلما نزل عليه شيء من القرآن ازداد به علماً.

﴿١١٥﴾ ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾ أمرناه وأوصينا إليه ﴿من قبل﴾ هؤلاء الذين تركوا أمري، ونقضوا عهدي في تكذيبك ﴿فنسي﴾ فترك ما أمر به ﴿ولم نجد له عزماً﴾ حفظاً لما أُمر به. وقوله:

﴿١١٩﴾ ﴿ولا تضحىٰ﴾ أَيْ: لا يؤذيك حرُّ الشَّمس. وقوله:

﴿١٢٠﴾ ﴿شجرة الخلد﴾ يعني: مَنْ أكل منها لم يمت. وقوله:

﴿١٢١﴾ ﴿فغوىٰ﴾ فأخطأ ولم ينل مراده ممَّا أكل. ويقال: لم يرشد.

﴿١٢٢﴾ ﴿ثم اجتباه﴾ اختاره ﴿ربه فتاب عليه﴾ عاد عليه بالرَّحمة والمغفرة ﴿وهدىٰ﴾ أي: هداه إلىٰ التَّوبة. وقوله:

﴿١٢٤﴾ ﴿من أعرض عن ذكري﴾ موعظتي، وهي القرآن ﴿فإنَّ له معيشة ضنكاً﴾ ضيقىٰ. يعني: في جهنَّم. وقيل: يعني عذاب القبر. ﴿ونحشره يوم القيامة أعمىٰ﴾ البصر.

﴿١٢٥﴾ ﴿قال ربِّ لم حشرتني أعمىٰ وقد كنت بصيراً﴾.

قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلنُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾

﴿١٢٦﴾ **﴿قال كذلك أتتك آياتنا﴾** يقول: كما أتتك آياتي **﴿فنسيتها﴾** فتركتها ولم تؤمن بها **﴿وكذلك اليوم تنسىٰ﴾** تُترك في جهنَّم.

﴿١٢٧﴾ **﴿وكذلك﴾** وكما نجزي مَنْ أعرض عن القرآن **﴿نجزي مَنْ أسرف﴾** أشرك. **﴿ولعذاب الآخرة أشدُّ﴾** ممَّا يُعذِّبهم به في الدُّنيا والقبر **﴿وأبقىٰ﴾** وأدوم.

﴿١٢٨﴾ **﴿أفلم يهد لهم﴾** أفلم يتبيَّن لهم بياناً يهتدون به **﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون يمشون﴾** هؤلاء إذا سافروا في مساكن أولئك الذين أهلكناهم بتكذيب الأنبياء **﴿إنَّ في ذلك لآيات﴾** لعبراً **﴿لأولي النهىٰ﴾** لذوي العقول.

﴿١٢٩﴾ **﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾** في تأخير العذاب عنهم **﴿لكان لزاماً﴾** لكان العذاب لازماً لهم في الدُّنيا **﴿وأجل مسمى﴾** وهو القيامة. وقوله:

﴿١٣٠﴾ **﴿وسبح بحمد ربك﴾** صلِّ لربِّك **﴿قبل طلوع الشمس﴾** صلاة الفجر **﴿وقبل غروبها﴾** صلاة العصر **﴿ومن آناء الليل فسبح﴾** فصلِّ المغرب والعشاء الآخرة **﴿وأطراف النهار﴾** صلِّ صلاة الظُّهر في طرف النِّصف الثاني، وسمَّىٰ الواحد باسم الجمع **﴿لعلك ترضىٰ﴾** لكي ترضىٰ من الثَّواب في المعاد.

﴿١٣١﴾ **﴿ولا تمدنَّ عينيك﴾** مُفسَّر في سورة الحجر[1]. وقوله: **﴿زهرة الحياة الدنيا﴾** أي: زينتها وبهجتها **﴿لنفتنهم فيه﴾** لنجعل ذلك فتنةً لهم **﴿ورزق ربك﴾** لك في المعاد **﴿خير وأبقىٰ﴾** أكثر وأدوم.

---

(١) انظر ص ٥٩٧.

وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾ وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾ وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾ قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾

---

(١٣٢) ﴿**وأمر أهلك بالصلاة**﴾ يعني: قريشاً. وقيل: أهل بيته ﴿**لا نسألك رزقاً**﴾ لخلقنا ولا لنفسك ﴿**نحن نرزقك والعاقبة**﴾ الجنَّة ﴿**للتقوىٰ**﴾ لأهل التَّقوىٰ. يعني: لك ولمن صدَّقك، ونزلت هذه الآيات لمَّا استسلف رسول الله ﷺ من يهوديٍّ وأبىٰ أن يعطيه إلَّا برهنٍ، وحزن لذلك رسول الله ﷺ(١).

(١٣٣) ﴿**وقالوا**﴾ يعني: المشركين ﴿**لولا**﴾ هلَّا ﴿**يأتينا**﴾ محمَّد عليه السَّلام ﴿**بآية من ربه**﴾ ممَّا كانوا يقترحون من الآيات. قال الله: ﴿**أَوَلَمْ تأتهم بيِّنة**﴾ بيان ﴿**ما في الصحف الأولىٰ**﴾ يعني: في القرآن بيان ما في التَّوراة والإنجيل والزَّبور.

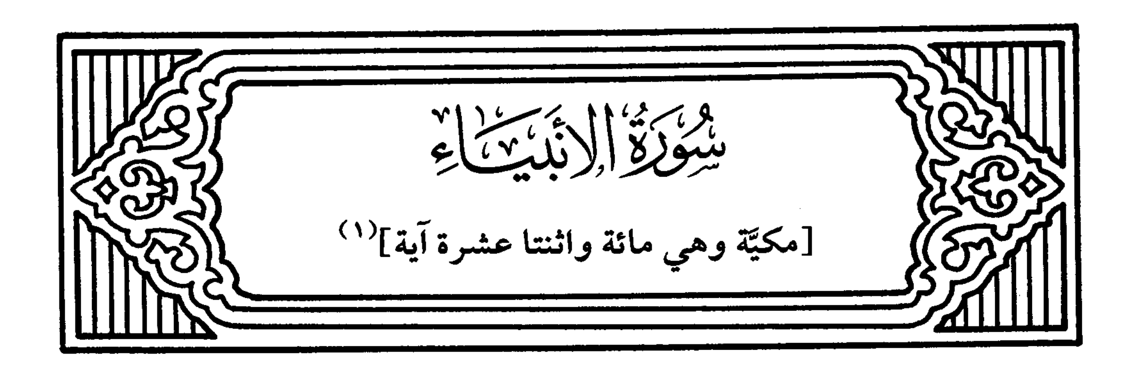
(١٣٤) ﴿**ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله**﴾ من قبل نزول القرآن. وقوله: ﴿**من قبل أن نذل**﴾ بالعذاب ﴿**ونخزىٰ**﴾ في جهنَّم.

(١٣٥) ﴿**قل**﴾ يا محمَّد لهم: ﴿**كلٌّ متربص**﴾ منتظرٌ دوائر الزَّمان، ولمَنْ يكون النَّصر ﴿**فتربصوا فستعلمون**﴾ في القيامة ﴿**من أصحاب الصراط السويّ**﴾ المستقيم ﴿**ومن اهتدىٰ**﴾ من الضَّلالة نحن أم أنتم.

• • •

---

(١) الحديث عن أبي رافع مولىٰ رسول الله ﷺ، قال: أرسلني رسول الله ﷺ إلى يهودي يستسلفه، فأبىٰ أن يعطيه إلَّا برهنٍ، فحزن رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿ولا تمدنَّ عينيك إلىٰ ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا﴾. أخرجه ابن جرير ١٦/ ٢٣٥؛ والمؤلف في الأسباب ص ٣٥٢؛ وأبو بكر بن أبي شيبة. وفيه موسىٰ بن عبيدة الربذي، وهو منكر الحديث، وقال أحمد بن حنبل: لا تحل الرواية عنه. وانظر: اللباب ١/ ٤٥٨؛ وتهذيب التهذيب ١٠/ ٣٥٦؛ والمطالب العالية ٣/ ٣٥٢.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾

الجزء السابع عشر

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿اقترب للناس﴾ يعني: أهل مكّة ﴿حسابهم﴾ وقت محاسبة الله إيَّاهم علىٰ أعمالهم. يعني: القيامة ﴿وهم في غفلة﴾ عن التَّأهُّب لذلك ﴿معرضون﴾ عن الإيمان.

﴿٢﴾ ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾ يعني: ما يحدث الله تعالىٰ من تنزيل شيءٍ من القرآن يُذكِّرهم ويعظهم به ﴿إلَّا استمعوه وهم يلعبون﴾ يستهزئون به.

﴿٣﴾ ﴿لاهية﴾ غافلةً ﴿قلوبهم وأسروا النجوىٰ﴾ قالوا سرّاً فيما بينهم ﴿الذين ظلموا﴾ أشركوا، وهو أنَّهم قالوا: ﴿هل هذا﴾ يعنون محمَّداً ﴿إلَّا بشرٌ مثلكم﴾ لحمٌ ودمٌ ﴿أفتأتون السحر﴾ يريدون: إنَّ القرآن سحرٌ ﴿وأنتم تبصرون﴾ أنَّه سحر، فلمَّا أطلع الله سبحانه نبيَّه ﷺ على هذا السِّرِّ الذي قالوه، أخبر أنَّه يعلم القول في السَّماء والأرض بقوله:

---

(١) زيادة من ظا.

قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوٓاْ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾ مَآ ءَامَنَتْ قَبْلَهُم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِيٓ إِلَيْهِمْ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَٰهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ﴿٨﴾

﴿٤﴾ **﴿قل[1] ربي يعلم القول﴾** أَيْ: ما يقال **﴿في السماء والأرض وهو السميع﴾** للأقوال **﴿العليم﴾** بالأفعال، ثمَّ أخبر أنَّ المشركين اقتسموا القول في القرآن، وأخذوا ينقضون أقوالهم بعضها ببعضٍ، فيقولون مرَّةً:

﴿٥﴾ **﴿أضغاث أحلام﴾** أَيْ: أباطيلها. يعنون أنَّه يرىٰ ما يأتي به في النَّوم رؤيا باطلة، ومرَّةً هو مفترىً، ومرَّةً هو شعرٌ، ومحمَّد شاعرٌ **﴿فليأتنا بآية كما أرسل الأولون﴾** بالآيات، مثل: النَّاقة، والعصا، واليد، فاقترحوا الآيات التي لا يقع معها إمهالٌ إذا كُذِّب بها، فقال الله تعالىٰ:

﴿٦﴾ **﴿ما آمنت قبلهم من قرية أهلكناها﴾** بالآيات التي اقترحوها **﴿أفهم يؤمنون﴾** يريد: إنَّ اقتراح الآيات كان سبباً للعذاب والاستئصال للقرون الماضية، وكذلك يكون لهؤلاء.

﴿٧﴾ **﴿وما أرسلنا قبلك إلَّا رجالاً نوحي إليهم﴾** ردّاً لقولهم **﴿هل هذا إلَّا بشر مثلكم﴾**. **﴿فاسألوا﴾** يا أهل مكَّة **﴿أهل الذكر﴾** مَنْ آمن من أهل الكتاب **﴿إن كنتم لا تعلمون﴾** أنَّ الرُّسل بشر.

﴿٨﴾ **﴿وما جعلناهم﴾** أي: الرُّسل **﴿جسداً﴾** أَيْ: أجساداً **﴿لا يأكلون الطعام﴾** وهذا ردٌّ لقولهم: ﴿ما لهذا الرسول يأكل الطعام﴾[2] فأُعلموا أنَّ الرُّسل جميعاً كانوا يأكلون الطَّعام، وأنَّهم يموتون، وهو قوله: **﴿وما كانوا خالدين﴾**.

---

(١) قرأ «قل» نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب. الإتحاف ٢/٢٦١.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧.

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنجَيْنَاهُمْ وَمَن نَّشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾ لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٥﴾

﴿٩﴾ **﴿ثم صدقناهم الوعد﴾** ما وعدناهم من عذاب مَنْ كفر بهم، وإنجائهم مع مَنْ تابعهم، وهو قوله: **﴿فأنجيناهم ومَنْ نشاء وأهلكنا المسرفين﴾** المشركين.

﴿١٠﴾ **﴿لقد أنزلنا إليكم﴾** يا معشر قريش **﴿كتاباً فيه ذكركم﴾** شرفكم **﴿أفلا تعقلون﴾** ما فضَّلتكم به على غيركم؟!

﴿١١﴾ **﴿وكم قصمنا﴾** أهلكنا **﴿من قرية كانت ظالمة﴾** يعني: إنَّ أهلها كانوا كفَّاراً **﴿وأنشأنا﴾** أحدثنا **﴿بعدها﴾** بعد إهلاك أهلها **﴿قوماً آخرين﴾** نزلت في أهل قرىً باليمن كذَّبوا نبيَّهم وقتلوه، فسلَّط الله سبحانه عليهم بختنصَّر حتىٰ أهلكهم بالسَّيف، فذلك قوله:

﴿١٢﴾ **﴿فلما أحسوا بأسنا﴾** رأوا عذابنا **﴿إذا هم منها﴾** من قريتهم **﴿يركضون﴾** يسرعون هاربين. وتقول لهم الملائكة:

﴿١٣﴾ **﴿لا تركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه﴾** نَعِمْتُم فيه **﴿لعلكم تسألون﴾** من دنياكم شيئاً. قالت الملائكة لهم هذا على سبيل الاستهزاء بهم، كأنَّهم قيل لهم: ارجعوا إلى ما كنتم فيه من المال والنِّعمة لعلكم تُسألون، فإنَّكم أغنياء تملكون المال، فلمَّا رأوا ذلك أقرُّوا على أنفسهم حيث لم ينفعهم، فقالوا:

﴿١٤﴾ **﴿يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾** لأنفسنا بتكذيب الرُّسل.

﴿١٥﴾ **﴿فما زالت﴾** هذه المقالة **﴿دعواهم﴾** يدعون بها، ويقولون: يا ويلنا **﴿حتىٰ جعلناهم حصيداً﴾** بالسُّيوف كما يحصد الزَّرع **﴿خامدين﴾** ميِّتين.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ ۖ

﴿١٦﴾ ﴿**وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين**﴾ عبثاً وباطلاً، أَيْ: ما خلقتهما إلاَّ لأُجازي أوليائي، وأُعذِّب أعدائي.

﴿١٧﴾ ﴿**لو أردنا أن نتخذ لهواً**﴾ امرأةً. وقيل: ولداً ﴿**لاتخذناه من لدنا**﴾ بحيث لا يظهر لكم، ولا تطَّلعون عليه ﴿**إن كنا فاعلين**﴾ ما كنَّا فاعلين، ولسنا ممَّن يفعله.

﴿١٨﴾ ﴿**بل نقذف بالحق على الباطل**﴾ نُلقي القرآن على باطلهم ﴿**فيدمغه**﴾ فيذهبه ويكسره ﴿**فإذا هو زاهقٌ**﴾ ذاهبٌ ﴿**ولكم الويل**﴾ يا معشر الكفَّار ﴿**مما تصفون**﴾ الله تعالىٰ بما لا يليق به.

﴿١٩﴾ ﴿**وله من في السموات والأرض**﴾ عبيداً وملكاً ﴿**ومَنْ عنده**﴾ يعني: الملائكة ﴿**لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون**﴾ لا يملُّون ولا يعيون.

﴿٢٠﴾ ﴿**يسبحون الليل والنهار لا يفترون**﴾ لا يضعفون.

﴿٢١﴾ ﴿**أم اتخذوا آلهةً من الأرض**﴾ يعني: الأصنام ﴿**هم ينشرون**﴾ يحيون الأموات، والمعنىٰ: أتنشر آلهتهم التي اتَّخذوها؟

﴿٢٢﴾ ﴿**لو كان فيهما**﴾ في السَّماء والأرض ﴿**آلهةٌ إلاَّ اللَّهُ**﴾ غير الله ﴿**لفسدتا**﴾ لخربتا وهلك مَنْ فيهما بوقوع التَّنازع بين الآلهة.

﴿٢٣﴾ ﴿**لا يُسأل عما يفعل**﴾ عن حكمه في عباده ﴿**وهم يُسألون**﴾ عمَّا عملوا سؤال توبيخ.

﴿٢٤﴾ ﴿**أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم**﴾ حجَّتكم علىٰ أنَّ مع الله تعالىٰ معبوداً

هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِىَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِى ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٤﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا

غيره. ﴿**هذا ذكر مَنْ معي**﴾ يعني: القرآن ﴿**وذكر مَنْ قبلي**﴾ يعني: التَّوراة والإِنجيل، فهل في واحدٍ من هذه الكتب إلَّا توحيد الله سبحانه وتعالى؟ ﴿**بل أكثرهم لا يعلمون الحق**﴾ فلا يتأمَّلون حجَّة التَّوحيد، وهو قوله: ﴿**فهم معرضون**﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ...**﴾ الآية. يريد: لم يُبعثْ رسولٌ إلَّا بتوحيد الله سبحانه، ولم يأتِ رسولٌ أُمَّته بأنَّ لهم إلَٰهاً غير الله.

﴿٢٦﴾ ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولداً**﴾ يعني: الذين قالوا: الملائكة بنات الله، والمعنىٰ: وقالوا: اتَّخذ الرحمن ولداً من الملائكة ﴿**سبحانه**﴾ ثمَّ نزَّه نفسه عمَّا يقولون ﴿**بل**﴾ هم ﴿**عباد مكرمون**﴾ يعني: الملائكة مكرمون بإكرام الله إيَّاهم.

﴿٢٧﴾ ﴿**لا يسبقونه بالقول**﴾ لا يتكلَّمون إلَّا بما يأمرهم به ﴿**وهم بأمره يعملون**﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**﴾ ما عملوا، وما هم عاملون ﴿**ولا يشفعون إلَّا لمن ارتضىٰ**﴾ لمن قال: لا إلَٰه إلَّا الله ﴿**وهم من خشيته مشفقون**﴾ خائفون؛ لأنَّهم لا يأمنون مكر الله.

﴿٢٩﴾ ﴿**ومَنْ يقل منهم**﴾ من الملائكة ﴿**إني إلَٰهٌ من دونه**﴾ من دون الله تعالىٰ ﴿**فذلك نجزيه جهنم**﴾ يعني: إبليس حيث ادَّعىٰ الشِّركة في العبادة، ودعا إلىٰ عبادة نفسه ﴿**كذلك نجزي الظالمين**﴾ المشركين الذين يعبدون غير الله تعالىٰ.

﴿٣٠﴾ ﴿**أَوَلَمْ يرَ**﴾ أولم يعلم ﴿**الذين كفروا أنَّ السموات والأرض كانتا رتقاً**﴾ مسدودةً

فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِي۟ن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى يَذْكُرُ ءَالِهَتَكُمْ وَهُم بِذِكْرِ

﴿**ففتقناهما**﴾ بالماء والنَّبات، كانت السَّماء لا تُمطر، والأرض لا تُنبت، ففتحهما الله سبحانه بالمطر والنَّبات ﴿**وجعلنا من الماء**﴾ وخلقنا من الماء ﴿**كلَّ شيء حي**﴾ يعني: إنَّ جميع الحيوانات مخلوقةٌ من الماء، كقوله تعالىٰ: ﴿والله خلق كلَّ دابَّةٍ من ماءٍ﴾[1] ثمَّ بكَّتهم على ترك الإِيمان، فقال: ﴿**أفلا يؤمنون**﴾. وقوله:

﴿٣١﴾ ﴿**وجعلنا فيها**﴾ في الرَّواسي ﴿**فجاجاً سبلاً**﴾ طرقاً مسلوكةً حتىٰ يهتدوا.

﴿٣٢﴾ ﴿**وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً**﴾ بالنُّجوم من الشَّياطين ﴿**وهم عن آياتها**﴾ شمسها وقمرها ونجومها ﴿**معرضون**﴾ لا يتفكَّرون فيها. وقوله:

﴿٣٣﴾ ﴿**كلٌّ في فلك يسبحون**﴾ يجرون ويسيرون، والفَلَكُ: مدار النُّجوم.

﴿٣٤﴾ ﴿**وما جَعَلْنا لبشر من قبلك الخلد**﴾ دوام البقاء ﴿**أفإن مت فهم الخالدون**﴾ نزل حين قالوا: ﴿نتربَّصُ به ريَب المنون﴾[2]. وقوله:

﴿٣٥﴾ ﴿**ونبلوكم**﴾ نختبركم ﴿**بالشر**﴾ بالبلايا والفقر ﴿**والخير**﴾ المال والصِّحة ﴿**فتنة**﴾ ابتلاءً لننظر كيف شكركم وصبركم.

﴿٣٦﴾ ﴿**وإذا رآك الذين كفروا**﴾ يعني: المستهزئين ﴿**إن يتخذونك**﴾ ما يتَّخذونك ﴿**إلاَّ هزواً**﴾ مهزوءاً به، قالوا: ﴿**أهذا الذي يذكر آلهتكم**﴾ يعيب أصنامكم ﴿**وهم بذكر**

(١) سورة النور: الآية ٤٥.
(٢) سورة الطور: الآية ٣٠.

ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٦﴾ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلۡ تَأۡتِيهِم بَغۡتَةٗ فَتَبۡهَتُهُمۡ فَلَا يَسۡتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنۡهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤١﴾ قُلۡ مَن يَكۡلَؤُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحۡمَٰنِۚ بَلۡ هُمۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٢﴾ أَمۡ لَهُمۡ ءَالِهَةٞ تَمۡنَعُهُم مِّن دُونِنَاۚ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَ أَنفُسِهِمۡ وَلَا هُم مِّنَّا يُصۡحَبُونَ ﴿٤٣﴾ بَلۡ مَتَّعۡنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَنَّا نَأۡتِي ٱلۡأَرۡضَ

الرحمن هم كافرون﴾ جاحدون إلٰهيَّته، يريد أنَّهم يعيبون مَنْ جحد إلٰهيَّة أصنامهم وهم جاحدون إلٰهية الرَّحمن، وهذا غاية الجهل.

﴿٣٧﴾ **﴿خلق الإنسانُ من عجل﴾** يريد: إنَّ خلقته على العجلة، وعليها طُبع **﴿سأُرِيكم آياتي﴾** يعني: ما توعدون به من العذاب **﴿فلا تستعجلون﴾**.

﴿٣٨﴾ **﴿ويقولون متىٰ هذا الوعد﴾** وعد القيامة.

﴿٣٩﴾ **﴿لو يعلم الذين كفروا...﴾** الآية. وجواب «لو» محذوف، على تقدير: لآمنوا ولما أقاموا على الكفر.

﴿٤٠﴾ **﴿بل تأتيهم﴾** القيامة **﴿بغتة﴾** فجأةً **﴿فتبهتهم﴾** تُحيِّرهم.

﴿٤٢﴾ **﴿قل مَنْ يَكْلَؤُكُمْ﴾** يحفظكم **﴿بالليل والنهار من الرحمن﴾** إن أنزل بكم عذابه **﴿بل هم عن ذكر ربهم﴾** كتاب ربِّهم **﴿معرضون﴾**.

﴿٤٣﴾ **﴿أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا لا يستطيعون نصر أنفسهم﴾** فكيف تنصرهم وتمنعهم؟! **﴿ولا هم منا يصحبون﴾** لا يُجارون من عذابنا.

﴿٤٤﴾ **﴿بل متَّعنا هؤلاء﴾** الكفَّار **﴿وآباءهم حتىٰ طال عليهم العمر﴾** أَيْ: متَّعناهم بما أعطيناهم من الدُّنيا زماناً طويلاً، فقست قلوبهم **﴿أفلا يرون أنا نأتي الأرض**

نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾

نقصها من أطرافها﴾ بالفتح على محمد ﷺ **﴿أفهم الغالبون﴾** أم النبيُّ ﷺ وأصحابه؟.

﴿٤٥﴾ **﴿قل إنما أنذركم﴾** أُخوِّفكم **﴿بالوحي﴾** بالقرآن الذي أوحي إليَّ، وأُمرت فيه بإنذاركم **﴿ولا يسمع الصم الدُّعاءَ إذا ما ينذرون﴾** كذلك أنتم يا معشر المشركين.

﴿٤٦﴾ **﴿ولئن مستهم﴾** أصابتهم **﴿نفحة من عذاب ربك﴾** قليلٌ وأدنىٰ شيءٍ لأقرّوا على أنفسهم بسوء صنيعهم، وهو قوله: **﴿ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين﴾**.

﴿٤٧﴾ **﴿ونضع الموازين القسط﴾** ذوات القسط، أي: العدل **﴿فلا تظلم نفسٌ شيئاً﴾** لا يزاد على سيئاته ولا ينقص من ثواب حسناته **﴿وإن كان﴾** ذلك الشَّيء **﴿مثقال حبة﴾** وزن حبَّةٍ **﴿من خردل أتينا بها﴾** جئنا بها **﴿وكفىٰ بنا حاسبين﴾** مُجازين، وفي هذا تهديد.

﴿٤٨﴾ **﴿ولقد آتينا موسىٰ وهارون الفرقان﴾** البرهان الذي فرَّق به [بين] حقّه وباطل فرعون. **﴿وضياء﴾** يعني: التَّوراة الذي كان ضياءً، يُضيء هدى ونوراً **﴿وذكراً﴾** وعِظَةً **﴿للمتقين﴾** من قومه.

﴿٤٩﴾ **﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾** يخافونه ولم يروه.

﴿٥٠﴾ **﴿وهذا ذكر مبارك﴾** يعني: القرآن **﴿أفأنتم له منكرون﴾** جاحدون.

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّواْ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾

﴿٥١﴾ ﴿**ولقد آتينا إبراهيم رشده**﴾ هُداه وتوفيقه ﴿**من قبل**﴾ من قبل موسىٰ وهارون ﴿**وكنا به عالمين**﴾ أنَّه أهلٌ لما آتيناه.

﴿٥٢﴾ ﴿**إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل**﴾ الأصنام ﴿**التي أنتم لها عاكفون**﴾ على عبادتها مقيمون!.

﴿٥٣﴾ ﴿**قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين**﴾ فاقتدينا بهم.

﴿٥٥﴾ ﴿**قالوا أجئتنا بالحق**﴾ يعنون: أَجادٌّ أنت فيما تقول أم لاعبٌ؟

﴿٥٦﴾ ﴿**قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهنَّ وأنا على ذلكم من الشاهدين**﴾ أي: أشهد على أنَّه خالقها.

﴿٥٧﴾ ﴿**وتالله لأكيدنَّ أصنامكم**﴾ لأمكرنَّ بها ﴿**بعد أن تولوا مدبرين**﴾ قال ذلك في يوم عيدٍ لهم، وهم يذهبون إلى الموضع الذي يجتمعون فيه.

﴿٥٨﴾ ﴿**فجعلهم جذاذاً**﴾ حطاماً ودقاقاً ﴿**إلاَّ كبيراً لهم**﴾ عظيم الآلهة فإنَّه لم يكسره ﴿**لعلهم إليه**﴾ إلى إبراهيم ودينه ﴿**يرجعون**﴾ إذا قامت الحُجَّة عليهم، فلمَّا انصرفوا

﴿٥٩﴾ ﴿**قالوا من فعل هذا بآلهتنا...**﴾ الآية. قال الذين سمعوا قوله: ﴿**لأكيدن أصنامكم**﴾:

قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾

﴿٦٠﴾ ﴿**سمعنا فتى يذكرهم**﴾ يعيبهم ﴿**يقال له إبراهيم**﴾.

﴿٦١﴾ ﴿**قالوا فأتوا به على أعين الناس**﴾ على رؤوس النَّاس بمرأىً منهم ﴿**لعلَّهم يشهدون**﴾ عليه أنَّه الذي فعل ذلك، وكرهوا أن يأخذوه بغير بيِّنةٍ، فلمَّا أتوا به،

﴿٦٢﴾ ﴿**قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم**﴾؟

﴿٦٣﴾ ﴿**قال بل فعله كبيرهم هذا**﴾ غضب من أن يعبدوا معه الصِّغار، وأراد إقامة الحجَّة عليهم ﴿**فاسألوهم**﴾ مَنْ فعل بهم هذا ﴿**إن كانوا ينطقون**﴾ إن قدروا على النُّطق.

﴿٦٤﴾ ﴿**فرجعوا إلى أنفسهم**﴾ تفكَّروا ورجعوا إلى عقولهم ﴿**فقالوا إنكم أنتم الظالمون**﴾ هذا الرجل بسؤالكم إيَّاه، وهذه آلهتكم حاضرةٌ فاسألوها.

﴿٦٥﴾ ﴿**ثم نكسوا على رؤوسهم**﴾ أطرقوا لما لحقهم من الخجل، وأقرُّوا بالحجَّة عليهم فقالوا: ﴿**لقد علمت ما هؤلاء ينطقون**﴾ فلمَّا اتَّجهت الحجَّة عليهم قال إبراهيم:

﴿٦٦﴾ ﴿**أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم**﴾.

﴿٦٧﴾ ﴿**أفٍ لكم**﴾ أيْ: نتناً لكم، فلمَّا عجزوا عن الجواب

﴿٦٨﴾ ﴿**قالوا حرّقوه**﴾ بالنَّار ﴿**وانصروا آلهتكم**﴾ بإهلاك مَنْ يعيبها ﴿**إن كنتم فاعلين**﴾ أمراً في إهلاكه، فلمَّا ألقوه في النَّار

﴿٦٩﴾ ﴿**قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم**﴾ ذات بردٍ وسلامةٍ، لا يكون فيها بردٌ مضرٌّ، ولا حرٌّ مُؤذٍ.

وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَٰلِحِينَ ﴿٧٢﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ﴿٧٤﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

﴿٧٠﴾ **﴿وأرادوا به﴾** بإبراهيم **﴿كيداً﴾** مكراً في إهلاكه **﴿فجعلناهم الأخسرين﴾** حين لم يرتفع مرادهم في الدُّنيا، ووقعوا في العذاب في الآخرة.

﴿٧١﴾ **﴿ونجيناه﴾** من نمروذ وقومه **﴿ولوطاً﴾** ابن أخيه **﴿إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين﴾** وهي الشَّام، وذلك أنَّه خرج مهاجراً من أرض العراق إلى الشَّام.

﴿٧٢﴾ **﴿ووهبنا له إسحاقَ﴾** ولداً لصلبه **﴿ويعقوب نافلة﴾** ولد الولد **﴿وكلاً جعلنا صالحين﴾** يعني: هؤلاء الثَّلاثة.

﴿٧٣﴾ **﴿وجعلناهم أئمة﴾** يُقتدى بهم في الخير **﴿يهدون﴾** يدعون النَّاس إلى ديننا **﴿بأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات﴾** أن يفعلوا الطَّاعات، ويقيموا الصَّلاة، ويؤتوا الزَّكاة.

﴿٧٤﴾ **﴿ولوطاً آتيناه حكماً﴾** فصلاً بين الخصوم بالحقِّ **﴿ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث﴾** يعني: أهلها، كانوا يأتون الذُّكران في أدبارهم.

﴿٧٦﴾ **﴿ونوحاً إذ نادىٰ من قبل﴾** من قبل إبراهيم **﴿فنجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾** الغمِّ الذي كان فيه من أذىٰ قومه.

﴿٧٧﴾ **﴿ونصرناه﴾** منعناه من أن يصلوا إليه بسوءٍ. وقوله:

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمًا وَعِلۡمًاۚ وَسَخَّرۡنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلۡجِبَالَ يُسَبِّحۡنَ وَٱلطَّيۡرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ لِتُحۡصِنَكُم مِّنۢ بَأۡسِكُمۡۖ فَهَلۡ أَنتُمۡ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

﴿٧٨﴾ ﴿**إذ يحكمان في الحرث**﴾ قيل: كان ذلك زرعاً. وقيل: كان كرماً ﴿**إذ نفشت**﴾ رعت ليلاً ﴿**فيه غنم القوم**﴾ [بلا راعٍ][1] ﴿**وكنا لحكمهم شاهدين**﴾ لم يغبْ عن علمنا.

﴿٧٩﴾ ﴿**ففهمناها سليمان**﴾ ففهمنا القضيَّة سليمان دون داود عليهما السَّلام، وذلك أنَّ داود حكم لأهل الحرث برقاب الغنم، وحكم سليمان بمنافعها إلىٰ أن يعود الحرث كما كان. ﴿**وسخرنا مع داود الجبال يسبحن**﴾ يجاوبنه بالتَّسبيح ﴿**و**﴾ كذلك ﴿**الطير وكنا فاعلين**﴾ ذلك.

﴿٨٠﴾ ﴿**وعلمناه صنعة لبوس لكم**﴾ عمل ما يلبسونه من الدُّروع ﴿**لتحصنكم**﴾ لتحرزكم ﴿**من بأسكم**﴾ من حربكم ﴿**فهل أنتم شاكرون**﴾ نعمتنا عليكم؟.

﴿٨١﴾ ﴿**ولسليمان الريح**﴾ وسخَّرنا له الرِّيح ﴿**عاصفة**﴾ شديدة الهبوب ﴿**تجري بأمره إلىٰ الأرض التي باركنا فيها**﴾ يعني: الشَّام، وكان منزل سليمان عليه السَّلام بها.

﴿٨٢﴾ ﴿**ومن الشياطين**﴾ وسخَّرنا له من الشَّياطين ﴿**من يغوصون له**﴾ يدخلون تحت الماء لاستخراج جواهر البحر ﴿**ويعملون عملاً دون ذلك**﴾ سوىٰ الغوص ﴿**وكنا لهم حافظين**﴾ من أن يُفسدوا ما عملوا، وليصيروا تحت أمره.

---

(١) زيادة من عا و ظ.

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِي رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟

---

(٨٣) ﴿وأيوب إذ نادىٰ ربه﴾ دعا ربَّه ﴿أني مسني الضرُّ﴾ أصابني الجهد. وقوله:

(٨٤) ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ وهو أنَّ الله تعالىٰ أحيا مَنْ أمات من بنيه وبناته، ورزقه مثلهم من الولد ﴿رحمة﴾ نعمةً ﴿من عندنا وذكرى للعابدين﴾ عظةً لهم ليعلموا بذلك كمال قدرتنا. وقوله:

(٨٥) ﴿وذا الكفل﴾ هو رجلٌ من بني إسرائيل تكفَّل بخلافة نبيٍّ في أُمَّته، فقام بذلك.

(٨٧) ﴿وذا النون﴾ واذكر صاحب الحوت، وهو يونس عليه السَّلام ﴿إذ ذهب﴾ من بين قومه ﴿مغاضباً﴾ لهم قبل أمرنا له بذلك ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ أن لن نقضي عليه ما قضينا من حبسه في بطن الحوت ﴿فنادىٰ في الظلمات﴾ ظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر، وظلمة اللَّيل ﴿أن لا إلّه إلاَّ أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ حيث غاضبت قومي وخرجت من بينهم قبل الإذن.

(٨٨) ﴿وكذلك﴾ وكما نجيناه ﴿ننجي المؤمنين﴾ من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا. وقوله:

(٨٩) ﴿لا تذرني فرداً﴾ أيْ: وحيداً لا ولد لي ولا عقب، ﴿وأنت خير الوارثين﴾ خير من يبقىٰ بعد مَنْ يموت. وقوله:

(٩٠) ﴿وأصلحنا له زوجه﴾ بأن جعلناها ولوداً بعد أن صارت عقيماً ﴿إنهم كانوا

يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾ وَٱلَّتِيٓ أَحۡصَنَتۡ فَرۡجَهَا فَنَفَخۡنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلۡنَٰهَا وَٱبۡنَهَآ ءَايَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآ أَنَّهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾

﴿يسارعون في الخيرات﴾ يُبادرون في عمل الطَّاعات **﴿ويدعوننا رغباً﴾** في رحمتنا **﴿ورهباً﴾** من عذابنا **﴿وكانوا لنا خاشعين﴾** عابدين في تواضع.

(٩١) **﴿والتي أحصنت﴾** واذكر التي منعت **﴿فرجها﴾** من الحرام **﴿فنفخنا فيها من روحنا﴾** أمرنا جبريل عليه السَّلام حتىٰ نفخ في جيب درعها، والمعنىٰ: أجرينا فيها روح المسيح المخلوقة لنا **﴿وجعلناها وابنها آية للعالمين﴾** دلالةً لهم على كمال قدرتنا، وكانت الآيةُ فيهما جميعاً واحدةً، لذلك وُحِّدت.

(٩٢) **﴿إنَّ هذه أمتكم﴾** دينكم وملَّتكم **﴿أمة واحدة﴾** ملَّة واحدة وهي الإسلام.

(٩٣) **﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾** اختلفوا في الدِّين فصاروا فرقاً **﴿كلٌّ إلينا راجعون﴾** فنجزيهم بأعمالهم.

(٩٤) **﴿فمن يعمل من الصالحات﴾** الطَّاعات **﴿وهو مؤمنٌ﴾** مصدِّق بمحمَّدٍ عليه السَّلام **﴿فلا كفران لسعيه﴾** لا نُبطل عمله بل نُثيبه **﴿وإنا له كاتبون﴾** ما عمل حتىٰ نجازيه.

(٩٥) **﴿وحرام على قرية﴾** يعني: قريةً كافرةً **﴿أهلكناها﴾** أهلكناها بعذاب الاستئصال أن يرجعوا إلى الدُّنيا، و«لا» زائدةٌ في الآية، ومعنىٰ «حرامٌ» عليهم أنَّهم ممنوعون من ذلك؛ لأنَّ الله تعالىٰ قضىٰ على مَنْ أُهلك أن يبقىٰ في البرزخ إلى يوم القيامة.

(٩٦) **﴿حتىٰ إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾** من سدِّها **﴿وهم من كلِّ حدب﴾** نَشَز وتلٍّ **﴿ينسلون﴾** ينزلون مسرعين.

وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

﴿٩٧﴾ **﴿واقترب الوعد الحق﴾** يعني: القيامة، والواو زائدة؛ لأنَّ «اقترب» جواب «حتىٰ». **﴿فإذا هي شاخصة﴾** ذاهبةٌ لا تكاد تطرف من هول ذلك اليوم. يقولون: **﴿يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا﴾** في الدُّنيا عن هذا اليوم **﴿بل كنا ظالمين﴾** بالشِّرك وتكذيب الرُّسل.

﴿٩٨﴾ **﴿إنكم﴾** أيُّها المشركون **﴿وما تعبدون من دون الله﴾** يعني: الأصنام **﴿حصب جهنم﴾** وقودها **﴿أنتم لها واردون﴾** فيها داخلون.

﴿٩٩﴾ **﴿لو كان هؤلاء﴾** الأصنام **﴿آلهة﴾** على الحقيقة ما دخلوا النَّار **﴿وكلٌّ﴾** من العابدين والمعبودين في النَّار **﴿خالدون﴾**.

﴿١٠٠﴾ **﴿إنَّ الذين سبقت لهم منا الحسنىٰ﴾** السَّعادة والرَّحمة **﴿أولئك عنها﴾** عن النَّار **﴿مبعدون﴾**.

﴿١٠٢﴾ **﴿لا يسمعون حسيسها﴾** صوتها.

﴿١٠٣﴾ **﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾** يعني: الإطباق على النَّار. وقيل: ذبح الموت بمرأىً من الفريقين **﴿وتتلقاهم الملائكة﴾** تستقبلهم، فيقولون لهم: **﴿هذا يومكم الذي كنتم توعدون﴾** للثَّواب ودخول الجنَّة.

يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥۚ وَعْدًا عَلَيْنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوْمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍۖ وَإِنْ

﴿١٠٤﴾ ﴿**يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب**﴾ وهو مَلَكٌ[1] يطوي كتب بني آدم. وقيل: السِّجلُّ: الصَّحيفة، والمعنىٰ: كطيِّ السِّجل على ما فيه من المكتوب. ﴿**كما بدأنا أوَّل خلق نعيده**﴾ كما خلقناكم ابتداءً حُفاةً عُراةً غُرلاً، كذلك نُعيدكم يوم القيامة ﴿**وعداً علينا**﴾ أَيْ: وعدناه وعداً ﴿**إنا كنَّا فاعلين**﴾ يعني: الإعادة والبعث.

﴿١٠٥﴾ ﴿**ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر**﴾ قيل: في الكتب المنزلة بعد التَّوراة. وقيل: أراد بالذِّكر اللَّوح المحفوظ. ﴿**أنَّ الأرض**﴾ يعني: أرض الجنَّة ﴿**يرثها عبادي الصالحون**﴾ وقيل: أرض الدُّنيا تصير للمؤمنين من أُمَّة محمَّدٍ ﷺ.

﴿١٠٦﴾ ﴿**إنَّ في هذا**﴾ القرآن ﴿**لبلاغاً**﴾ لوصولاً إلى البغية ﴿**لقوم عابدين**﴾ مُطيعين لله تعالىٰ.

﴿١٠٧﴾ ﴿**وما أرسلناك إلاَّ رحمة للعالمين**﴾ للبرِّ والفاجر، فمن أطاعه عُجِّلت له الرَّحمة، ومَنْ عصاه وكذَّبه لم يلحقه العذاب في الدُّنيا، كما لحق الأمم المكذِّبة.

﴿١٠٩﴾ ﴿**فإن تولوا**﴾ عن الإسلام ﴿**فقل آذنتكم على سواءٍ**﴾ أعلمتكم بما يوحىٰ إليَّ على سواءٍ لتستووا في ذلك، يريد: لم أُظهر لبعضكم شيئاً كتمته عن غيره. ﴿**وإن**

(١) أخرج ابن جرير ١٧/٩٩ عن ابن عمر قال: السِّجل: مَلَكٌ، فإذا صعد بالاستغفار قال: اكتبها نوراً. وفيه يحيىٰ بن يمان العجلي، صدوقٌ عابدٌ، يخطىءُ كثيراً، وقد تغيَّر. تقريب التهذيب ص ٥٩٨.

أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾

أدري﴾ ما أعلم ﴿أقريب أم بعيد ما توعدون﴾ يعني: القيامة.

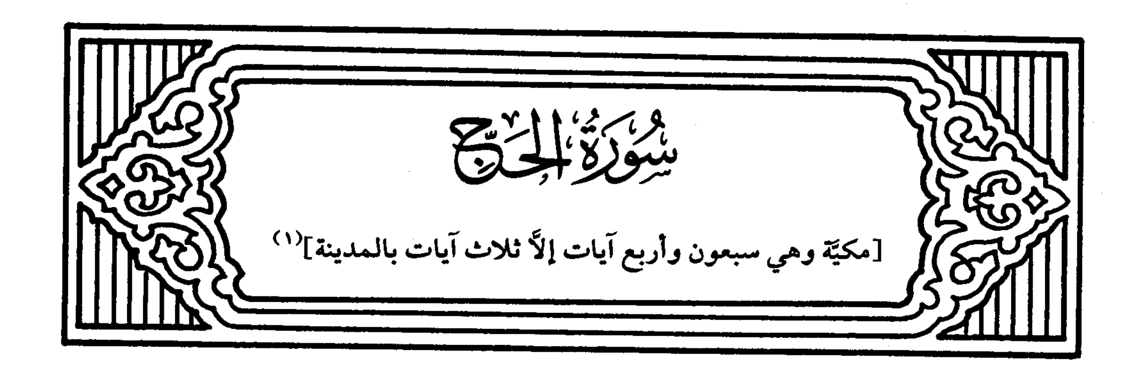
﴿١١١﴾ ﴿وإن أدري لعله﴾ لعلَّ تأخير العذاب عنكم ﴿فتنة﴾ اختبارٌ لكم ﴿ومتاعٌ إلى حين﴾ إلى حين الموت.

﴿١١٢﴾ ﴿قال رب احكم بالحق﴾ اقض بيني وبين أهل مكّة بالحقِّ، أُمر أن يقول كما قالت الرُّسل قبله من قولهم: ﴿ربَّنا افتحْ بيننا وبينَ قومِنا بالحقِّ﴾[1]. ﴿وربنا﴾ أَيْ: وقل ربُّنا ﴿الرحمن المستعان على ما تصفون﴾ من كذبكم وباطلكم.

• • •

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٩.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿يا أيها الناس﴾ يا أهل مكَّة ﴿اتقوا ربّكم﴾ أطيعوه ﴿إن زلزلة الساعة شيء عظيم﴾ وهي زلزلةٌ يكون بعدها طلوع الشَّمس من مغربها.

(٢) ﴿يوم ترونها﴾ يعني: الزَّلزلة ﴿تذهل كلُّ مرضعة عمَّا أرضعت﴾ تترك كلُّ امرأةٍ تُرضع ولدها الرَّضيع اشتغالاً بنفسها وخوفاً ﴿وتَضَعُ كلُّ ذات حملٍ حملها﴾ تُسقط ولدها من هول ذلك اليوم ﴿وترىٰ الناس سكارىٰ﴾ من شدَّة الخوف ﴿وما هم بسكارىٰ﴾ من الشَّراب ﴿ولكنَّ عذاب الله شديد﴾ فهم يخافونه.

(٣) ﴿ومن الناس مَن يجادل في الله بغير علم﴾ نزلت في النَّضر بن الحارث[٢] وجماعةٍ من قريش كانوا يُنكرون البعث، ويقولون: القرآن أساطير الأولين، ويجادلون النبيَّ ﷺ ﴿ويتبع﴾ في جداله ذلك ﴿كلَّ شيطان مريد﴾ متمرِّدٍ عاتٍ.

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) انظر غرر التبيان ص ٢٥٤.

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ

﴿٤﴾ **﴿كُتب عليه﴾** قُضي على الشَّيطان **﴿أنَّه مَنْ تولاَّه﴾** اتَّبعه **﴿فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير﴾** يدعوه إلى النَّار بما يُزيِّن له من الباطل.

﴿٥﴾ **﴿يا أيها الناس﴾** يعني: كفار مكَّة **﴿إن كنتم في ريب من البعث﴾** شكٍّ من الإِعادة **﴿فإنا خلقناكم﴾** خلقنا أباكم الذي هو أصل البشر **﴿من تراب ثمَّ﴾** خلقنا ذريَّته **﴿من نطفة ثمَّ من علقة﴾** وهي الدَّم الجامد **﴿ثمَّ من مضغة﴾** وهي لحمةٌ قليلةٌ قدر ما يُمضغ **﴿مُخَلَّقَةٍ﴾** مصوَّرةٍ تامَّة الخلق **﴿وغير مخلقة﴾** وهي ما تمجُّه الأرحام دماً، يعني: السِّقط **﴿لنبيِّن لكم﴾** كمال قدرتنا بتصريفنا أطوار خلقكم **﴿ونقرُّ في الأرحام ما نشاء﴾** ننزل فيها ما لا يكون سقطاً **﴿إلىٰ أجل مسمى﴾** إلى وقت خروجه **﴿ثم نخرجكم﴾** من بطون الأمهات **﴿طفلاً﴾** صغاراً **﴿ثمَّ لتبلغوا أشدكم﴾** عقولكم ونهاية قوَّتكم **﴿ومنكم من يُتوفَّىٰ﴾** يموت قبل بلوغ الأشدِّ **﴿ومنكم مَنْ يردُّ إلى أرذل العمر﴾** وهو الهرم والخرف حتىٰ لا يعقل شيئاً، وهو قوله: **﴿لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً﴾** ثمَّ ذكر دلالةً أخرىٰ على البعث فقال: **﴿وترىٰ الأرض هامدة﴾** جافَّةً ذات ترابٍ **﴿فإذا أنزلنا عليها الماء﴾** المطر **﴿اهتزت﴾** تحرَّكت بالنَّبات **﴿وربت﴾** زادت **﴿وأنبتت من كلِّ زوج بهيج﴾** من كلِّ صنفٍ حسنٍ من النَّبات.

﴿٦﴾ **﴿ذلك﴾** الذي تقدَّم ذكره من اختلاف أحوال خلق الإِنسان، وإحياء الأرض بالمطر **﴿بأنَّ الله هو الحق﴾** الدَّائم الثَّابت الموجود **﴿وأنه يحيـي الموتىٰ وأنه على كل

شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ۝٧ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ۝٩ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝١٠ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١١ يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ۝١٢ يَدْعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ لَبِئْسَ

شيء قدير﴾.

(٨) ﴿ومَن الناس من يجادل في الله بغير علم﴾ نزلت في أبي جهلٍ ﴿ولا هدىً﴾ ليس معه من ربِّه رشادٌ ولا بيانٌ ﴿ولا كتابٍ﴾ له نورٌ.

(٩) ﴿ثاني عطفه﴾ لاوي عنقه تكبُّراً ﴿ليضل﴾ الناس عن طاعة الله سبحانه باتِّباع محمَّد عليه السَّلام ﴿له في الدنيا خزي﴾ يعني: القتل ببدرٍ.

(١٠) ﴿ذلك بما قدَّمت يداك﴾ هذا العذاب بما كسبْتَ ﴿وأنَّ الله ليس بظلام للعبيد﴾ لا يعاقب بغير جرمٍ.

(١١) ﴿ومن الناس مَن يعبد الله على حرف﴾ على جانبٍ لا يدخل فيه دخول مُتمكِّنٍ ﴿فإن أصابه خير﴾ خِصبٌ وكثرةُ مالٍ ﴿اطمأنَّ به﴾ في الدِّين بذلك الخصب ﴿وإن أصابته فتنة﴾ اختبارٌ بجدبٍ وقلَّة مالٍ ﴿انقلب على وجهه﴾ رجع عن دينه إلى الكفر.

(١٢) ﴿يدعو من دون الله ما لا يضرُّه﴾ إن عصاه ﴿ولا ينفعه﴾ إن أطاعه ﴿ذلك هو الضلال البعيد﴾ الذَّهاب عن الحقِّ.

(١٣) ﴿يدعو لمَنْ ضرُّه أقرب من نفعه﴾ ضرره بعبادته أقرب من نفعه، ولا نفع عنده، والعرب تقول لما لا يكون: هو بعيدٌ، والمعنىٰ في هذا أنَّه يضرُّ ولا ينفع ﴿لبئس

ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَـٰهُ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾

المولىٰ﴾ الناصر **﴿ولبئس العشير﴾** الصَّاحب والخليط.

﴿١٥﴾ **﴿مَنْ كان يظن أن لن ينصره الله﴾** لن ينصر الله محمَّداً ﷺ حتىٰ يُظهره على الدِّين كلِّه فليمت غيظاً، وهو تفسير قوله: **﴿فليمدد بسبب إلى السماء﴾** أَيْ: فليشدد حبلاً في سقفه **﴿ثمَّ ليقطع﴾** أَيْ: ليَمُدَّ الحبل حتىٰ ينقطع فيموت مختنقاً **﴿فلينظر هل يُذْهِبَنَّ كيده ما يغيظ﴾** غيظه، وقوله:

﴿١٧﴾ **﴿إنَّ الله يفصل بينهم يوم القيامة﴾** أَيْ: يحكم ويقضي، بأن يدخل المؤمنين الجنَّة، وغيرهم من هؤلاء الفرق النَّار. **﴿إنَّ الله على كلِّ شيء شهيد﴾** يريد: إنَّ اللَّهَ عالمٌ بما في قلوبهم.

﴿١٨﴾ **﴿ألم تر أنَّ الله يسجد له﴾** يذلُّ له، وينقاد له **﴿من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حقَّ عليه العذاب﴾** وذلك أنَّ كلَّ شيءٍ منقادٌ لله عزَّ وجلَّ على ما خلقه، وعلىٰ ما رزقه، وعلىٰ ما أصحَّه وعلى ما أسقمه، فالبرُّ والفاجر، والمؤمن والكافر في هذا سواءٌ **﴿ومَنْ يهن الله﴾** يذلَّه بالكفر **﴿فما له من مكرم﴾** أحدٌ يكرمه **﴿إنَّ الله يفعل ما يشاء﴾** يُهين من يشاء بالكفر، ويكرم مَنْ يشاء بالإيمان.

۞ هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾ وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾

﴿١٩﴾ **﴿هذا خصمان﴾** يعني: المؤمنين والكافرين[١] **﴿اختصموا في ربهم﴾** في دينه **﴿فالذين كفروا قطعت لهم ثيابٌ من نار﴾** يلبسون مقطَّعات النِّيران **﴿ويصبُّ من فوق رؤوسهم الحميم﴾** ماءٌ حارٌّ، لو سقطت منه نقطٌ على جبال الدُّنيا أذابتها.

﴿٢٠﴾ **﴿يصهر﴾** يُذاب **﴿به﴾** بذلك الماء **﴿ما في بطونهم﴾** من الأمعاء **﴿والجلود﴾** وتنشوي جلودهم فتسَّاقط.

﴿٢١﴾ **﴿ولهم مقامع﴾** سياطٌ **﴿من حديد﴾**.

﴿٢٢﴾ **﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها﴾** من جهنَّم **﴿من غمّ﴾** يصيبهم **﴿أعيدوا فيها﴾** ردُّوا إليها بالمقامع، **﴿و﴾** تقول لهم الخزنة: **﴿ذوقوا عذاب الحريق﴾** النَّار، وقال في الخصم الذين هم المؤمنون:

﴿٢٣﴾ **﴿إنَّ الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات...﴾** الآية، وهي مفسَّرةٌ في سورة الكهف[٢].

﴿٢٤﴾ **﴿وهدوا﴾** أُرشدوا في الدُّنيا **﴿إلىٰ الطيب من القول﴾** وهو شهادة أن لا إله إلا الله **﴿وهدوا إلى صراط الحميد﴾** دين اللَّهِ المحمود في أفعاله.

---

(١) عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أنَّه كان يُقسم فيها قسماً: إنَّ هذه الآية ﴿هذان خصمان اختصموا في ربِّهم﴾ نزلت في حمزة وصاحبيه، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر. أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٤٤٣.

(٢) انظر ص ٦٦٠.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنْهَا

﴿٢٥﴾ **﴿إنَّ الذين كفروا ويصدُّون عن سبيل الله﴾** يمنعون عن طاعة الله تعالىٰ. **﴿والمسجد الحرام﴾** يمنعون المؤمنين عنه **﴿الذي جعلناه للناس﴾** خلقناه وبنيناه للنَّاس كلِّهم لم نخصَّ به بعضاً دون بعض **﴿سواءً العاكف فيه والباد﴾** سواءٌ في تعظيم حرمته وقضاء النُّسك به الحاضر، والذي يأتيه من البلاد، فليس أهل مكَّة بأحقَّ به من النَّازع إليه **﴿ومَن يرد فيه بإلحادٍ بظلمٍ﴾** أَيْ: إلحاداً بظلمٍ، وهو أن يميل إلى الظُّلم، ومعناه: صيد حمامه وقطع شجره، ودخوله غير مُحرِمٍ، وجميع المعاصي؛ لأنَّ السَّيئات تُضاعف بمكَّة كما تُضاعف الحسنات.

﴿٢٦﴾ **﴿وإذْ بوَّأنا لإبراهيم مكان البيت﴾** بيَّنا له أين يُبنىٰ **﴿أن لا تشرك﴾** يعني: وأمرناه أن لا تشرك **﴿بي شيئاً وطهر بيتي﴾** مفسَّرٌ في سورة البقرة[1].

﴿٢٧﴾ **﴿وأذن في الناس﴾** نادِ فيهم **﴿بالحج يأتوك رجالاً﴾** مُشاةً على أرجلهم، **﴿و﴾** ركباناً **﴿على كلّ ضامر﴾** وهو البعير المهزول **﴿يأتين من كلِّ فج عميق﴾** طريق بعيدٍ.

﴿٢٨﴾ **﴿ليشهدوا﴾** ليحضروا **﴿منافع لهم﴾** من أمر الدُّنيا والآخرة **﴿ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام﴾** يعني: التَّسمية على ما ينحر في يوم النَّحر وأيَّامِ التَّشريق **﴿فكلوا منها﴾** أمر إباحةٍ، وكان أهل الجاهليَّة لا يأكلون

---

(١) راجع ص ١٣١.

وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾

من نَسائكهم، فأمر المسلمون أن يأكلوا ﴿**وأطعموا البائس الفقير**﴾ الشَّديد الفقر.

﴿٢٩﴾ ﴿**ثم ليقضوا تفثهم**﴾ يعني: ما يخرجون به من الإحرام، وهو أخذ الشَّارب، وتقليم الظُّفر، وحلق العانة، ولبس الثَّوب ﴿**وليوفوا نذورهم**﴾ يعني: ما نذروه من برٍّ وهدي في أيَّام الحجِّ ﴿**وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾ القديم. وقيل: المُعتق من أن يتسلَّط عليه جبَّار. يعني: الكعبة.

﴿٣٠﴾ ﴿**ذلك**﴾ أَيْ: الأمر ذلك الذي ذكرت ﴿**ومن يعظم حرمات الله**﴾ فرائض الله وسننه. ﴿**وأحلت لكم الأنعام**﴾ أن تأكلوها ﴿**إلاَّ ما يتلىٰ عليكم**﴾ في قوله: ﴿حُرِّمت عليكم الميتة...﴾[1] الآية. ومعنىٰ هذا النَّهي تحريمُ ما حرَّمه أهل الجاهليَّة من البحيرة والسَّائبة وغير ذلك ﴿**فاجتنبوا الرجس من الأوثان**﴾ يعني: عبادتها ﴿**واجتنبوا قول الزور**﴾ يعني: الشِّرك بالله.

﴿٣١﴾ ﴿**حنفاء لله**﴾ مسلمين عادلين عن كلِّ دينٍ سواه. ﴿**ومن يشرك بالله فكأنما خرَّ**﴾ سقط ﴿**من السماء**﴾ فاختطفته الطَّير من الهواء، أو ألقته الرِّيح في ﴿**مكان سحيق**﴾ بعيدٍ. يعني: إنَّ مَنْ أشرك فقد هلك وبَعُدَ عن الحقِّ.

﴿٣٢﴾ ﴿**ذلك ومن يعظم شعائر الله**﴾ يستسمن البُدن ﴿**فإنَّ ذلك من**﴾ علامات التَّقوىٰ.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣.

لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ

﴿٣٣﴾ ﴿**لكم فيها منافع**﴾ الرُّكوب والدَّرُّ والنَّسل ﴿**إلى أجل مسمى**﴾ وهو أن يُسمِّيها هدياً ﴿**ثمَّ محلها**﴾ حيث يحلُّ نحرها عند ﴿**البيت العتيق**﴾ يعني: الحرم كلَّه.

﴿٣٤﴾ ﴿**ولكلِّ أمة**﴾ جماعةٍ سلفت قبلكم ﴿**جعلنا منسكاً**﴾ ذبحاً للقرابين ﴿**ليذكروا اسم الله**﴾ عند الذَّبح ﴿**على ما رزقهم من بهيمة الأنعام**﴾ يعني: الأنعام. ﴿**فإلَهكم إله واحد**﴾ أَيْ: لا تذكروا على ذبائحكم إلاَّ الله وحده ﴿**فله أسلموا**﴾ أخلصوا العبادة ﴿**وبشر المخبتين**﴾ المتواضعين.

﴿٣٦﴾ ﴿**والبدن**﴾ الإبل والبقر ﴿**جعلناها لكم من شعائر الله**﴾ أعلام دينه ﴿**لكم فيها خيرٌ**﴾ النَّفع في الدُّنيا، والأجر في العقبىٰ ﴿**فاذكروا اسم الله**﴾ وهو أن يقول عند نحرها: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر[1] ﴿**صواف**﴾ قائمةً معقولة اليد اليسرىٰ ﴿**فإذا وجبت جنوبها**﴾ سقطت على الأرض ﴿**فكلوا منها وأطعموا القانع**﴾ الذي يسألك ﴿**والمعتر**﴾ الذي يتعرَّض لك ولا يسألك. ﴿**كذلك**﴾ الذي وصفنا ﴿**سخرناها لكم**﴾ يعني: البدن ﴿**لعلَّكم تشكرون**﴾ لكي تطيعوني.

﴿٣٧﴾ ﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها**﴾ كان المشركون يُلطِّخون جدار الكعبة بدماء القرابين، فقال الله تعالىٰ: ﴿**لن ينال الله لحومها ولا دماؤها**﴾ أَيْ: لن يصل إلى الله لحومها ولا دماؤها ﴿**ولكن يناله التقوىٰ منكم**﴾ أَيْ: النِّيَّةُ والإخلاص وما أريد

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١٧/ ١٦٥.

كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ

به وجه الله تعالىٰ. ﴿لتكبروا الله على ما هداكم﴾ إلى معالم دينه ﴿وبشر المحسنين﴾ المُوحِّدين.

﴿٣٨﴾ ﴿إن الله يدفع﴾[1] غائلة المشركين عن المؤمنين ﴿إنَّ الله لا يحب كل خوَّانٍ﴾ في أمانته ﴿كفور﴾ لنعمته، وهم الذين تقرَّبوا إلى الأصنام بذبائحهم.

﴿٣٩﴾ ﴿أذِنَ للذين يقاتلون﴾ يعني: المؤمنين، وهذه أوَّلُ آيةٍ نزلت في الجهاد. والمعنى: أُذن لهم أن يُقاتلوا ﴿بأنهم ظلموا﴾ بظلم الكافرين إيَّاهم ﴿وإنَّ الله على نصرهم لقدير﴾ وعدٌ من الله تعالىٰ بالنَّصر.

﴿٤٠﴾ ﴿الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق﴾ يعني: المهاجرين ﴿إلَّا أن يقولوا ربنا الله﴾ أَيْ: لم يُخرجوا إلَّا بأن وحَّدوا الله تعالىٰ ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض﴾ لولا أن دفع الله بعض النَّاس ببعض ﴿لهدِّمت صوامع وبيعٌ﴾ في زمان عيسىٰ عليه السَّلام ﴿وصلوات﴾ في أيَّام شريعة موسىٰ عليه السَّلام، يعني: كنائسهم وهي بالعبرانيَّة صلوتا ﴿ومساجد﴾ في أيام شريعة محمَّد ﷺ ﴿ولينصرنَّ الله من ينصره﴾ يعني: مَنْ نصر دين الله نصره الله على ذلك ﴿إن الله لقوي﴾ على خلقه ﴿عزيز﴾ منيعٌ في سلطانه.

﴿٤١﴾ ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾ يعني: هذه الأمَّة إذا فتح الله عليهم الأرض

---

(١) قرأ «يدفع» ابن كثير، وأبو عمرو، ويعقوب، وقرأ الباقون «يدافع». الإتحاف ص ٣١٥.

أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ

﴿أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾ أَيْ: آخر أمور الخلق ومصيرهم إليه، ثمَّ عزَّىٰ نبيَّه فقال:

﴿٤٢﴾ **﴿وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعادٌ وثمود﴾**.

﴿٤٣﴾ **﴿وقوم إبراهيم وقوم لوط﴾**.

﴿٤٤﴾ **﴿وأصحاب مدين وكُذِّب موسىٰ فأمليت للكافرين﴾** أَيْ: أمهلتهم **﴿ثم أخذتهم﴾** عاقبتهم **﴿فكيف كان نكير﴾** إنكاري عليهم ما فعلوا بالعذاب.

﴿٤٥﴾ **﴿فكأين من قرية﴾** وكم من قريةٍ **﴿أهلكناها وهي ظالمة﴾** بالكفر **﴿فهي خاوية﴾** ساقطةٌ **﴿على عروشها﴾** سقوفها **﴿وبئر مُعَطَّلَةٍ﴾** متروكةٍ بموت أهلها **﴿وقصر مشيد﴾** رفيعٍ طويلٍ.

﴿٤٦﴾ **﴿أفلم يسيروا في الأرض﴾** يعني: كفَّار مكَّة **﴿فينظروا﴾** إلى مصارع الأمم المكذبة، وهو قوله: **﴿فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها﴾** فيتفكَّروا ويعتبروا. ثم ذكر أن الأبصار لا تعمىٰ عن رؤية الآيات، ولكن القلوب تعمىٰ، فلا يتفكروا ولا يعتبروا.

﴿٤٧﴾ **﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾** كانوا يقولون له: **﴿فَأْتِنا بما وعدتنا إن كنت من الصَّادقين﴾**[1]. فقال الله تعالىٰ: **﴿ولن يخلف الله وعده﴾** الذي وعدك من نصرك

(١) سورة الأحقاف: الآية ٢٢.

وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ

وإهلاكهم، ثمَّ ذكر أنَّ لهم مع عذاب الدُّنيا في الآخرة عذاباً طويلاً، وهو قوله تعالىٰ: ﴿وإنَّ يوماً عند ربك﴾ أيْ: من أيَّام عذابهم ﴿كألف سنة مما تعدون﴾ وذلك أن يوماً من أيَّام الآخرة كألفِ سنةٍ في الدُّنيا، ثمَّ ذكر سبحانه أنَّه قد أخذ قوماً بعد الإمهال فقال:

﴿٤٨﴾ **﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمةٌ ثمَّ أخذتها وإليَّ المصير﴾**.

﴿٥١﴾ **﴿والذين سعوا في آياتنا﴾** عملوا في إبطالها **﴿معاجزين﴾** مُقدِّرين أنَّهم يُعجزوننا ويفوتوننا.

﴿٥٢﴾ **﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول﴾** وهو الذي يأتيه جبريل عليه السَّلام بالوحي عياناً **﴿ولا نبيّ﴾** وهو الذي تكون نبوَّته إلهاماً ومناماً **﴿إلَّا إذا تمنىٰ﴾** قرأ **﴿ألقىٰ الشيطان﴾** في قراءته ما ليس ممَّا يقرأ، يعني: ما جرىٰ على لسان النبيِّ ﷺ حين قرأ سورة «والنجم» في مجلس من قريش، فلما بلغ قوله تعالىٰ: ﴿ومناة الثَّالثة الأخرىٰ﴾ جرىٰ على لسانه: تلك الغرانيق العلىٰ، وإنَّ شفاعتهنَّ لترتجىٰ ثمَّ نبَّهه جبريل عليه السَّلام على ذلك[1]، فرجع وأخبرهم أنَّ ذلك كان من جهة الشَّيطان،

---

(١) حديث الغرانيق أخرجه البزار في كشف الأستار ٣/ ٧٢؛ والضياء في المختارة بسندٍ رجاله ثقاتٌ عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير، وأخرجه الطبراني مرسلاً، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقال الهيثمي: ولا يحتمل هذا من ابن لهيعة. وأخرجه ابن جرير الطبري ١٧/ ١٧٦ مرسلاً عن محمد بن كعب القرظي، ومحمد بن قيس والنحاس في ناسخه ص ٢٢٥، وقال: هذا حديثٌ منقطع.

=

فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٥٢﴾ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٤﴾ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرۡيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

فذلك قوله: **﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثمَّ يحكم الله آياته﴾** يُبيِّنها حتىٰ لا يجد أحدٌ سبيلاً إلى إبطالها **﴿والله عليم﴾** بما أوحىٰ إلى نبيِّه محمد ﷺ **﴿حكيم﴾** في خلقه، ثمَّ ذكر أنَّ ذلك ليفتن الله به قوماً، فقال:

﴿٥٣﴾ **﴿ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة﴾** ضلالةً **﴿للذين في قلوبهم مرض﴾** وهم أهل النِّفاق **﴿والقاسية قلوبهم﴾** المشركين **﴿وإنَّ الظالمين﴾** الكافرين **﴿لفي شقاق بعيد﴾** خلافٍ طويلٍ مع النبيِّ ﷺ والمؤمنين.

﴿٥٤﴾ **﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾** التَّوحيد والقرآن **﴿أنه الحق﴾** أَيْ: الذي أحكم الله سبحانه من آيات القرآن، وهو الحقُّ **﴿فتخبت له قلوبهم﴾** فتخشع.

﴿٥٥﴾ **﴿ولا يزال الذين كفروا في مرية﴾** في شكٍّ **﴿منه﴾** ممَّا أُلقي على لسان الرَّسول ﷺ **﴿حتىٰ تأتيهم الساعة﴾** القيامة **﴿بغتة﴾** فجأة **﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾** يعني: يوم بدرٍ، وكان عقيماً عن أن يكون للكافرين فيه فرحٌ أو راحةٌ، والعقيم معناه: التي لا تلد.

= وقال ابن حجر: وكلُّها سوىٰ طريق سعيد بن جبير إمَّا ضعيفٌ أو منقطع، لكن كثرة الطرق تدلُّ على أن للقصة أصلاً. فتح الباري ٨/ ٤٣٩؛ وردَّ هذا الحديث كثير من العلماء، منهم أبو بكر ابن العربي في أحكام القرآن ٣/ ٢٩٩؛ والقاضي عياض في الشفاء ٢/ ١٣١؛ والقرطبي في تفسيره ١٢/ ٨٠؛ والهراسي في أحكام القرآن ٤/ ٢٨٣؛ والرازي في تفسيره ٢٣/ ٥١؛ وأبو حيان في البحر المحيط ٦/ ٣٨١؛ والبقاعي في نظم الدرر ١٣/ ٧١؛ وسئل عنها ابن إسحاق جامع السيرة النبوية، فقال: هذا من وضع الزنادقة، وصنف في ذلك كتاباً.

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ۞ ذَٰلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾

﴿٥٦﴾ ﴿**الملك يومئذ**﴾ يعني: يوم القيامة ﴿**لله**﴾ وحده من غير مُنازِع ولا مُدَّعٍ ﴿**يحكم بينهم**﴾ ثمَّ بيَّن حكمه فقال: ﴿**فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم**﴾.

﴿٥٧﴾ ﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين**﴾.

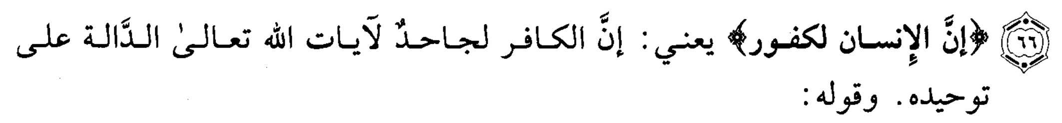
﴿٥٨﴾ ﴿**والذين هاجروا**﴾ فارقوا أوطانهم وعشائرهم ﴿**في سبيل الله**﴾ في طاعة الله ﴿**ثمَّ قتلوا أو ماتوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ الله رزقاً حسناً**﴾ في الجنَّة.

﴿٥٩﴾ ﴿**لَيُدْخِلَنَّهُمْ مدخلاً**﴾ أَيْ: إدخالاً وموضعاً ﴿**يرضونه**﴾ وهو الجنة.

﴿٦٠﴾ ﴿**ذلك**﴾ أَيْ: الأمر ذلك الذي قصصنا عليك ﴿**ومَنْ عاقب بمثل ما عوقب به**﴾ أَيْ: جازىٰ العقوبة بمثلها ﴿**ثم بغي عليه**﴾ ظُلم ﴿**لينصرنَّه الله**﴾ يعني: المظلوم.

﴿٦١﴾ ﴿**ذلك**﴾ أَيْ: ذلك النَّصر للمظلوم بأنَّه القادر على ما يشاء، فمن قدرته أنَّه ﴿**يولج الليل في النهار**﴾ يزيد من هذا في ذلك، ومن ذلك في هذا، والباقي ظاهرٌ إلى قوله:

وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾ لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَـٰزِعُنَّكَ فِى ٱلْأَمْرِ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾ وَإِن جَـٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَـٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ



﴿٦٦﴾ ﴿إنَّ الإنسان لكفور﴾ يعني: إنَّ الكافر لجاحدٌ لآيات الله تعالىٰ الدَّالة على توحيده. وقوله:

﴿٦٧﴾ ﴿لكلّ أمة جعلنا منسكاً هم ناسكوه﴾ شريعةٌ هم عاملون بها ﴿فلا يُنازِعُنَّكَ﴾ يُجادِلُنَّكَ ﴿في الأمر﴾ نزلت في الذين جادلوا المؤمنين فقالوا: ما لكم تأكلون ما تقتلون، ولا تأكلون ممَّا قتله الله؟

﴿٦٨﴾ ﴿وإن جادلوك﴾ بباطلهم مِراءً وتعنُّتاً فادفعهم بقولك: ﴿الله أعلم بما تعملون﴾ من التّكذيب والكفر.

﴿٧٠﴾ ﴿ألم تعلم أنَّ الله يعلم ما في السماء والأرض إنَّ ذلك﴾ كلّه ﴿في كتاب﴾ يعني: اللَّوح المحفوظ ﴿إن ذلك﴾ يعني: علمه بجميع ذلك ﴿على الله يسير﴾.

﴿٧١﴾ ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به﴾ بعبادته ﴿سلطاناً﴾ حجَّةً وبرهاناً ﴿وما ليس لهم به علم﴾ لم يأتهم به كتابٌ ولا نبيٌّ ﴿وما للظالمين﴾ المشركين ﴿من نصير﴾ مانعٍ من عذاب الله تعالىٰ.

﴿٧٢﴾ ﴿وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا بينات﴾ يعني: القرآن ﴿تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر﴾ الإنكار بالعبوس والكراهة ﴿يكادون يسطون﴾ يقعون ويبطشون ﴿بالذين

يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾

يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم بِشَرٍّ لكم وأكره إليكم من هذا القرآن الذي تسمعون ﴿**النار**﴾ أيْ: هي النَّار.

﴿٧٣﴾ ﴿**يا أيها الناس**﴾ يعني: يا أهل مكَّة ﴿**ضرب مثل**﴾ بُيِّن لكم ولمعبودكم شَبَهٌ ﴿**فاستمعوا له إنَّ الذين تدعون من دون الله**﴾ من الأصنام ﴿**لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا**﴾ كلُّهم لخلقه ﴿**وإن يسلبهم الذباب شيئاً**﴾ ممَّا عليهم من الطِّيب ﴿**لا يستنقذوه منه**﴾ لا يستردُّوه منه لعجزهم ﴿**ضعف الطالبُ والمطلوب**﴾ يعني: العابد والمعبود، والطَّالب: الذُّباب يطلب من الصَّنم ما لطِّخ به من الزَّعفران والطِّيب، وهو مَثَلٌ لعابده يطلب منه الشَّفاعة والنُّصرة، والمطلوب: الصنم.

﴿٧٤﴾ ﴿**ما قدروا الله حق قدره**﴾ ما عظَّموه حقَّ تعظيمه إذ أشركوا به ما لا يمتنع من الذُّباب ولا ينتصر منه.

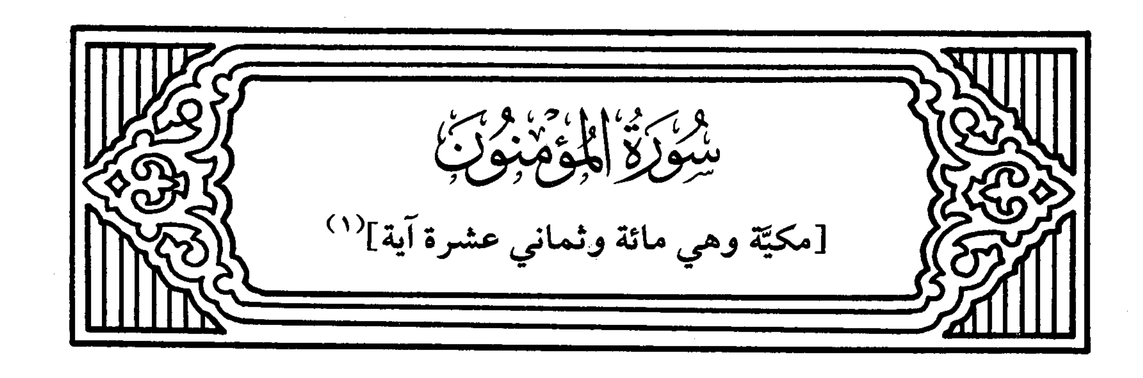
﴿٧٥﴾ ﴿**الله يصطفي من الملائكة رسلاً**﴾ مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السَّلام ﴿**ومن الناس**﴾ يعني: النبيِّين عليهم السَّلام ﴿**إنَّ الله سميع**﴾ لقول عباده ﴿**بصير**﴾ بمَنْ يختاره.

﴿٧٦﴾ ﴿**يعلم ما بين أيديهم**﴾ ما عملوه ﴿**وما خلفهم**﴾ وما هم عاملون ممَّا لم يعلموه.

وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

﴿٧٨﴾ ﴿**وجاهدوا في الله**﴾ في سبيل الله ﴿**حق جهاده**﴾ بنيَّةٍ صادقةٍ ﴿**هو اجتباكم**﴾ اختاركم لدينه ﴿**وما جعل عليكم في الدين من حرج**﴾ ضيقٍ؛ لأنَّه سهَّل الشَّريعة بالتَّرخيص ﴿**ملَّة أبيكم**﴾ اتبعوا ملَّة أبيكم ﴿**إبراهيم**﴾ كان هو في الحرمة كالأب صلىٰ الله عليه وسلم، ولذلك جُعل أبا المسلمين ﴿**هو سماكم**﴾ أَيْ: الله تعالىٰ سمَّاكم ﴿**المسلمين من قبل**﴾ [أي: من قبل القرآن] في سائر الكتب ﴿**وفي هذا**﴾ يعني: القرآن ﴿**ليكون الرسول شهيداً عليكم**﴾ وذلك أنَّه يشهد لمَنْ صدَّقه، وعلىٰ مَنْ كذَّبه ﴿**وتكونوا شهداء على الناس**﴾ تشهدون عليهم أنَّ رسلهم قد بلَّغتهم، وقوله: ﴿**واعتصموا بالله**﴾ أَيْ: تمسَّكوا بدينه ﴿**هو مولاكم**﴾ ناصركم ومتولي أموركم ﴿**فنعم المولى ونعم النصير**﴾.

• • •



بسم الله الرحمن الرحيم

قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ سعد المصدِّقون، ونالوا البقاء في الجنَّة.

(٢) ﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ ساكنون لا يرفعون أبصارهم عن مواضع سجودهم.

(٣) ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾ عن كلِّ ما لا يجمل في الشَّرع من قولٍ وفعلٍ.

(٤) ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾ للصَّدقة الواجبة مُؤدُّون.

(٥) ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ يحفظونها عن المعاصي.

(٦) ﴿إلَّا علىٰ أزواجهم﴾ من زوجاتهم ﴿أو ما ملكت أيمانهم﴾ من الإماء ﴿فإنهم غير ملومين﴾ لا يلامون في وطئهنَّ.

(٧) ﴿فمن ابتغىٰ﴾ طلب ما ﴿وراء ذلك﴾ ما بعد الزَّوجة والأَمَة ﴿فأولئك هم العادون﴾ المتعدُّون عن الحلال إلى الحرام.

---

(١) زيادة من ظا.

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

﴿٨﴾ **﴿والذين هم لأماناتهم﴾** ما ائتمنوا عليه من أمر الدِّين والدُّنيا **﴿وعهدهم راعون﴾** وحلفهم الذي يُوجد عليهم راعون، يرعون ذلك ويقومون بإتمامه.

﴿٩﴾ **﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾** بأدائها في مواقيتها.

﴿١٠﴾ **﴿أولئك هم الوارثون﴾** ثمَّ ذكر ما يرثون فقال:

﴿١١﴾ **﴿الذين يرثون الفردوس﴾** وذلك أنَّ الله تعالىٰ جعل لكلِّ امرىءٍ بيتاً في الجنَّة، فمَنْ عمل عمل أهل الجنَّة ورث بيته في الجنَّة، والفردوس خير الجنان.

﴿١٢﴾ **﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾** ابن آدم **﴿من سلالة﴾** من ماءٍ سُلَّ واستُخرِجَ من ظهر آدم، وكان آدم عليه السَّلام خُلق من طينٍ.

﴿١٣﴾ **﴿ثمَّ جعلناه﴾** جعلنا الإنسان **﴿نطفة﴾** في أوَّل بُدوِّ خلقه **﴿في قرار مكين﴾** يعني: الرَّحم. وقوله:

﴿١٤﴾ **﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر﴾** قيل: يريد الذُّكورية والأُنوثيَّة. وقيل: يعني: نفخ الرُّوح. وقيل: نبات الشَّعر والأسنان **﴿فتبارك الله﴾** استحقَّ التَّعظيم والثَّناء بدوام بقائه **﴿أحسن الخالقين﴾** المُصوِّرين والمُقدِّرين.

﴿١٧﴾ **﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾** سبع سمواتٍ، كلُّ سماءٍ طريقةٌ **﴿وما كنَّا عن الخلق غافلين﴾** عمَّن خلقنا من الخلق كلِّهم.

وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾

﴿١٨﴾ ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾ بمقدارٍ معلومٍ عند الله تعالىٰ ﴿فأسكناه﴾ أثبتناه ﴿في الأرض﴾ قيل: هو النِّيل ودجلة، والفرات، وسيحان وجيحان. وقيل: هو جميع المياه في الأرض ﴿وإنا على ذهابٍ به لقادرون﴾ حتىٰ تهلكوا أنتم ومواشيكم عطشاً. وقوله:

﴿٢٠﴾ ﴿وشجرة تخرج﴾ يعني: الزَّيتون ﴿من طور سيناء﴾ يعني: جبلاً معروفاً، أوَّل ما ينبت الزَّيتون ينبت هناك ﴿تنبت بالدهن﴾ لأنَّه يتَّخذ الدُّهن من الزَّيتون ﴿وصبغ﴾ إدامٍ ﴿للآكلين﴾. وقوله:

﴿٢٤﴾ ﴿يريد أن يتفضل عليكم﴾ يتشرَّف عليكم، فيكون أفضل منكم بأن يكون متبوعاً، وتكونوا له تبعاً ﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾ تُبلِّغنا عنه ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي يدعو إليه نوحٌ ﴿في آبائنا الأولين﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿إن هو﴾ ما هو ﴿إلاَّ رجلٌ به جنة﴾ جنونٌ ﴿فتربصوا به حتىٰ حين﴾ انتظروا موته حتىٰ يموت.

﴿٢٦﴾ ﴿قال رب انصرني﴾ بإهلاكهم ﴿بما كذَّبون﴾ بتكذيبهم إيَّاي. وقوله:

فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾

﴿٢٧﴾ ﴿فأوحينا إليه. . .﴾ الآية. مُفسَّرة في سورة هود[1]. ﴿فاسلك فيها﴾ أَيْ: أُدخل في السَّفينة، والباقي مفسَّر في سورة هود.

﴿٢٨﴾ ﴿فإذا استويت﴾ اعتدلت في السَّفينة راكباً. الآية.

﴿٢٩﴾ ﴿وقل رب أنزلني﴾ منها ﴿منزلاً﴾ إنزالاً ﴿مباركاً﴾ فاستجاب الله تعالىٰ دعاءَه حيث قال: ﴿اهبط بسلام منا وبركات عليك﴾[2] وبارك فيهم بعد إنزالهم من السَّفينة، حتىٰ كان جميع الخلق من نسل نوحٍ [ومَنْ كان معه في السَّفينة][3].

﴿٣٠﴾ ﴿إنَّ في ذلك﴾ الذي ذكرت ﴿لآيات﴾ لدلالاتٍ على قدرتنا ﴿وإن كنا لمبتلين﴾ مُختبرين طاعتهم بإرسال نوحٍ إليهم.

﴿٣١﴾ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم﴾ أحدثنا ﴿قرناً آخرين﴾ يعني: عاداً.

﴿٣٢﴾ ﴿فأرسلنا فيهم رسولاً منهم﴾ وهو هود. وقوله:

﴿٣٣﴾ ﴿وأترفناهم﴾ أَيْ: نعَّمناهم ووسَّعنا عليهم. وقوله:

---

(١) انظر ص ٥٢٠.

(٢) سورة هود: الآية ٤٨.

(٣) زيادة من ظا.

أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَىٰ ۖ كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾

﴿٣٥﴾ ﴿أنكم مخرجون﴾ أيْ: من قبوركم أحياء.

﴿٣٦﴾ ﴿هيهات هيهات﴾ بُعْداً ﴿لما توعدون﴾ من البعث.

﴿٣٧﴾ ﴿إن هي﴾ ما هي ﴿إلاَّ حياتنا الدنيا﴾ يعني: الحياة الدَّانية في هذه الدَّار ﴿نموت ونحيا﴾ يموت الآباء، ويحيا الأولاد.

﴿٣٩﴾ ﴿قال رب انصرني﴾ عليهم ﴿بما كذبون﴾ بتكذيبهم إيَّاي.

﴿٤٠﴾ ﴿قال عمَّا قليل﴾ عن قريبٍ ﴿ليصبحنَّ نادمين﴾ يندمون إذا نزل بهم العذاب على التَّكذيب.

﴿٤١﴾ ﴿فأخذتهم الصيحة﴾ صيحة العذاب ﴿بالحق﴾ بالأمر من الله تعالىٰ ﴿فجعلناهم غثاء﴾ هلكىٰ هامدين كغثاء السَّيل، وهو ما يحمله من بالي الشَّجر ﴿فبعداً﴾ فهلاكاً ﴿للقوم الظالمين﴾ المشركين.

﴿٤٣﴾ ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾ لا تموت قبل أجلها ﴿وما يستأخرون﴾ بعد الأجل طرفة عين. وقوله:

﴿٤٤﴾ ﴿تترا﴾ أيْ: متتابعةً ﴿وجعلناهم أحاديث﴾ أيْ: لمَنْ بعدهم يتحدَّثون بهم. وقوله:

﴿٤٦﴾ ﴿وكانوا قوماً عالين﴾ مستكبرين قاهرين غيرهم بالظُّلم.

فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلۡنَا ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيۡنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبۡوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴿٥٣﴾

﴿٤٧﴾ ﴿**وقومهما لنا عابدون**﴾ أَيْ: مُطيعون مُتذلِّلون.

﴿٤٩﴾ ﴿**ولقد آتينا موسىٰ الكتاب لعلهم يهتدون**﴾ لكي يهتدي به قومه.

﴿٥٠﴾ ﴿**وجعلنا ابن مريم وأُمَّه آية**﴾ دلالةً على قدرتنا ﴿**وآويناهما إلى ربوة**﴾ يعني: بيت المقدس، وهو أقرب الأرض إلى السَّماء ﴿**ذات قرار**﴾ أرضٍ مستويةٍ، وساحةٍ واسعةٍ ﴿**ومعين**﴾ ماءٍ ظاهرٍ. وقيل: هي دمشق[1].

﴿٥١﴾ ﴿**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات**﴾ هذا خطابٌ للنبـيِّ ﷺ، والمراد به أنَّ الله تبارك وتعالىٰ كأنه أخبر أنَّه قد قال لجميع الرُّسل قبله هذا القول، وأمرهم بهذا، والمعنىٰ: كلوا من الحلال.

﴿٥٢﴾ ﴿**وإنَّ هذه أمتكم أمة واحدة**﴾ أَيْ: ملَّتكم أيُّها الرُّسل ملَّةٌ واحدةٌ، وهي الإسلام ﴿**وأنا ربكم**﴾ شرعتها لكم [وبيَّنتها لكم][2] ﴿**فاتقون** ﴾ فخافون.

﴿٥٣﴾ ﴿**فتقطعوا أمرهم بينهم**﴾ يعني: المشركين واليهود والنَّصارىٰ ﴿**زبراً**﴾ فرقاً ﴿**كلُّ حزب**﴾ جماعةٍ ﴿**بما لديهم**﴾ بما عندهم من الدِّين ﴿**فرحون**﴾ مُعجبون مسرورون.

---

(١) هذا قول مجاهد وابن عباس وابن المسيب. أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٦/٤٠٩ عن ابن المسيب، وابن عساكر بسندٍ صحيح. وانظر: غرر التبيان ص ٢٦٦.

(٢) زيادة من عا.

فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَٰبٌ يَنطِقُ بِٱلْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ

﴿٥٤﴾ ﴿فذرهم في غمرتهم﴾ حيرتهم وضلالتهم ﴿حتىٰ حين﴾ [يريد: حتىٰ حينِ][1] الهلاكِ بالسَّيف أو الموت.

﴿٥٥﴾ ﴿أيحسبون أنما نمدُّهم به﴾ ما نبسط عليهم ﴿من مال وبنين﴾ من المال والأولاد في هذه الدُّنيا.

﴿٥٦﴾ ﴿نسارع لهم في الخيرات﴾ نُعطيهم ذلك ثواباً لهم ﴿بل لا يشعرون﴾ أنَّ ذلك استدراجٌ، ثمَّ رجع إلى ذكر أوليائه فقال:

﴿٥٧﴾ ﴿إنَّ الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾ خائفون عذابه ومكره.

﴿٦٠﴾ ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾ يُعطون ما يُعطون ﴿وقلوبهم وجلة﴾ خائفةٌ أنَّ ذلك لا يُقبل منهم، وقد أيقنوا أنَّهم إلىٰ ربِّهم صائرون بالموت. وقوله:

﴿٦١﴾ ﴿وهم لها سابقون﴾ أَيْ: إليها، ثمَّ ذكر أنَّه لم يُكلِّف العبد إلاَّ ما يسعه، فقال:

﴿٦٢﴾ ﴿ولا نكلف نفساً إلاَّ وسعها﴾ فمَنْ لم يستطع أن يصلي قائماً فليصلِّ جالساً ﴿ولدينا كتاب﴾ يعني: اللَّوح المحفوظ ﴿ينطق بالحق﴾ يُبيِّن بالصِّدق ﴿وهم لا يظلمون﴾ لا يُنقصون من ثواب أعمالهم، ثمَّ عاد إلى ذكر المشركين فقال:

﴿٦٣﴾ ﴿بل قلوبهم في غمرة﴾ في جهالةٍ وغفلةٍ ﴿من هذا﴾ الكتاب الذي ينطق بالحقِّ ﴿ولهم أعمال من دون ذلك﴾ وللمشركين أعمالٌ خبيثةٌ دون أعمال المؤمنين الذين

---

(١) زيادة من ظا.

هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ﴿٦٥﴾ قَدۡ كَانَتۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسۡتَكۡبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرٗا تَهۡجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمۡ لَمۡ يَعۡرِفُواْ رَسُولَهُمۡ فَهُمۡ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةُۢۚ بَلۡ جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ وَأَكۡثَرُهُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾

ذكرهم ﴿**هم لها عاملون**﴾.

﴿٦٤﴾ ﴿**حتىٰ إذا أخذنا مترفيهم**﴾ رؤساءَهم وأغنياءَهم ﴿**بالعذاب**﴾ بالقحط والجوع سبع سنين ﴿**إذا هم يجأرون**﴾ يضجُّون ويجزعون، ونقول لهم:

﴿٦٥﴾ ﴿**لا تجأروا اليوم إنكم منا لا تنصرون**﴾ لا تُمنعون، ولا ينفعكم جزعكم.

﴿٦٦﴾ ﴿**قد كانت آياتي تتلىٰ عليكم**﴾ يعني: القرآن ﴿**فكنتم على أعقابكم**﴾ على أدباركم ﴿**تنكصون**﴾ ترجعون القهقرىٰ مُكذِّبين به.

﴿٦٧﴾ ﴿**مستكبرين به**﴾، أي: بالحرم، تقولون: لا يظهر علينا أحدٌ؛ لأنَّا أهل الحرم ﴿**سامراً**﴾ سُمَّاراً باللَّيل ﴿**تُهْجِرُون**﴾[1] تهذون وتقولون الهُجر من سبِّ النبيِّ ﷺ.

﴿٦٨﴾ ﴿**أفلم يدبروا القول**﴾ يتدبَّروا القرآن، فيقفوا على صدقك ﴿**أم جاءهم**﴾ بل أجاءهم ﴿**ما لم يأت آباءهم الأولين**﴾ يريد: إنَّ إنزال الكتاب قد كان قبل هذا، فليس إنزال الكتاب عليك ببديعٍ ينكرونه.

﴿٦٩﴾ ﴿**أم لم يعرفوا رسولهم**﴾ الذي نشأ فيما بينهم وعرفوه بالصِّدق.

﴿٧٠﴾ ﴿**أم يقولون**﴾ بل أيقولون ﴿**به جنة**﴾ جنونٌ ﴿**بل جاءهم**﴾ ليس الأمر كما يقولون، بل جاءهم الرَّسول ﴿**بالحق**﴾ بالقرآن من عند الله.

---

(١) قرأ «تُهجرون» بضم التاء وكسر الجيم نافع، مِنْ: أهجر إهجاراً، أَيْ: أفحش في منطقه، والباقون «تهجرون» بفتح التاء وضم الجيم؛ إمَّا من الهَجْر بسكون الجيم، وهو القطع والصدُّ؛ أو الهَجَر بفتحها، وهو الهذيان. الإتحاف ص ٣١٩.

وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٧﴾

﴿٧١﴾ ﴿ولو اتبع الحق﴾ القرآن الذي يدعو إلىٰ المحاسن ﴿أهواءَهم﴾ التي تدعو إلى المقابح، أي: لو كان التَّنزيل بما يُحبُّون ﴿لفسدت السموات والأرض﴾ وذلك أنَّها خُلقت دلالةً على توحيد الله، فلو كان القرآن على مرادهم لكان يدعو إلى الشِّرك، وذلك يُؤدِّي إلى إفساد أدلة التَّوحيد، وقوله: ﴿ومَنْ فيهنَّ﴾ لأنَّهم حينئذٍ يُشركون بالله تعالىٰ. ﴿بل أتيناهم بذكرهم﴾ بشرفهم في الدُّنيا والآخرة.

﴿٧٢﴾ ﴿أم تسألهم﴾ أنت يا محمَّد على ما جئت به ﴿خرجاً﴾ جُعلاً وأجراً ﴿فخراجُ ربك﴾ فعطاء ربِّك وثوابه ﴿خير﴾. وقوله:

﴿٧٤﴾ ﴿لناكبون﴾ أَيْ: عادلون مائلون.

﴿٧٥﴾ ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم من ضرّ﴾ جدبٍ وقحطٍ ﴿للجوا﴾ لتمادوا ﴿في طغيانهم يعمهون﴾ نزلت هذه الآية حين شكوا إلى النبيِّ ﷺ وقالوا: قتلْتَ الآباء بالسَّيف، والأبناء بالجوع[1].

﴿٧٦﴾ ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾ بالجوع ﴿فما استكانوا لربهم﴾ ما تواضعوا.

﴿٧٧﴾ ﴿حتىٰ إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ يوم بدرٍ. وقيل: عذاب الآخرة ﴿إذا هم فيه مبلسون﴾ آيسون من كلِّ خيرٍ. وقوله:

---

(١) ذكر المؤلف في أسباب النزول ص ٣٦٣ هذا السبب في نزول قوله تعالىٰ: ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا لربهم وما يتضرعون﴾ عن ابن عباس، فليعلم هذا.

وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي ذَرَأَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخۡتِلَٰفُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلۡ قَالُواْ مِثۡلَ مَا قَالَ ٱلۡأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓاْ أَءِذَا مِتۡنَا وَكُنَّا تُرَابٗا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ مَا

﴿٨٠﴾ **﴿وله اختلاف الليل والنهار﴾** أي: هو الذي جعلهما مختلفين. وقوله:

﴿٨٨﴾ **﴿ملكوت كل شيء﴾** أيْ: ملكه. يعني: مَنْ يملك كلَّ شيء؟ **﴿وهو يجير﴾** يُؤمن من يشاء **﴿ولا يجار عليه﴾** لا يُؤمَنُ مَنْ أخافه. وقوله:

﴿٨٩﴾ **﴿فأنىٰ تسحرون﴾** تُخدعون وتُصرفون عن توحيده وطاعته.

﴿٩٠﴾ **﴿بل أتيناهم بالحق﴾** يعني: القرآن **﴿وإنهم لكاذبون﴾** أنَّ الملائكة بنات الله.

﴿٩١﴾ **﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إلـه إذاً لذهب كل إلـه بما خلق﴾** ينفرد بمخلوقاته فيمنع الإلـه الآخر عن الاستيلاء عليها **﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾** بالقهر والمزاحمة كالعادة بين الملوك **﴿سبحان الله﴾** تنزيهاً له **﴿عما يصفون﴾** من الكذب.

﴿٩٣﴾ **﴿قل رب إما تريني ما يوعدون﴾** ما يُوعَدُ المشركون من العذاب.

﴿٩٤﴾ **﴿فلا تجعلني﴾** معهم أيْ: إنْ أنزلت بهم النِّقمة فاجعلني خارجاً منهم.

نَعِدُهُمْ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

﴿٩٦﴾ ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ من الحلم والصَّفح ﴿السيئة﴾ التي تأتيك منهم من الأذىٰ والمكروه ﴿نحن أعلم بما يصفون﴾ فنجازيهم به، وهذا كان قبل الأمر بالقتال.

﴿٩٧﴾ ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾ نزغاتها ووساوسها.

﴿٩٨﴾ ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾ في شيءٍ من أموري. وقوله:

﴿٩٩﴾ ﴿رب ارجعون﴾ أي: اردني إلى الدُّنيا.

﴿١٠٠﴾ ﴿لعلي أعمل صالحاً﴾ أَيْ: أشهد بالتَّوحيد ﴿فيما تركت﴾ حين كنت في الدُّنيا ﴿كلا﴾ لا يرجع إلى الدُّنيا ﴿إنها كلمة هو قائلها﴾ عند الموت، ولا يُجاب إلى ذلك، ﴿ومن ورائهم﴾ أمامهم ﴿برزخ﴾ حاجزٌ بينهم وبين الرُّجوع إلى الدُّنيا.

﴿١٠١﴾ ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ النَّفخة الأخيرة ﴿فلا أنساب بينهم يومئذ﴾ لا يفتخرون بالأنساب ﴿ولا يتساءلون﴾ كما يتساءلون في الدُّنيا من أيِّ قبيلةٍ ونَسبٍ أنت.

﴿١٠٤﴾ ﴿تلفح﴾ تحرق. ﴿وهم فيها كالحون﴾ عابسون لتقلُّص شفاههم بالانشواء[1]، فيقال لهم:

(١) أخرج الترمذي في التفسير برقم ٣١٧٥؛ والحاكم ٢/٣٩٥؛ وأحمد في المسند ٣/٨٨ عن أبي سعيد الخدري عن النبيِّ ﷺ في ﴿وهم فيها كالحون﴾ قال: تشويه النَّار، فتقلَّص شفته العليا حتىٰ تبلغ وسط رأسه، وتسترخي شفته السفلىٰ حتىٰ تضرب سرته. وقال الترمذي: حسنٌ غريب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد. اهـ. وفي سنده أبو السمح يرويه عن أبي الهيثم، وروايته عنه ضُعِّفت.

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّى جَزَيْتُهُمُ ٱلْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿١١١﴾ قَٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾

﴿١٠٥﴾ **﴿ألم تكن آياتي تتلىٰ عليكم فكنتم بها تكذبون﴾**.

﴿١٠٦﴾ **﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾** التي قضيتَ علينا **﴿وكنا قوماً ضالين﴾** أقرُّوا على أنفسهم بالضَّلال، وقوله:

﴿١٠٨﴾ **﴿اخسؤوا﴾** أي: تباعدوا تباعد سخطٍ عليكم. وقوله:

﴿١١٠﴾ **﴿فاتخذتموهم سخرياً﴾** أَيْ: سخرتم منهم، واستهزأتم **﴿حتىٰ أنسوكم ذكري﴾** لاشتغالكم بالاستهزاء منهم.

﴿١١١﴾ **﴿إني جزيتهم اليوم﴾** قابلتُ عملهم بما يستحقُّون من الثَّواب **﴿بما صبروا﴾** على أذاكم **﴿أنهم هم الفائزون﴾** النَّاجون من العذاب والنَّار.

﴿١١٢﴾ **﴿قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين﴾** قال الله تعالىٰ لمنكري البعث إذا بعثهم من قبورهم: كم لبثتم في قبوركم؟ وهذا سؤال توبيخٍ لهم؛ لأنَّهم كانوا يُنكرون أن يُبعثوا من قبورهم.

﴿١١٣﴾ **﴿قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾** وذلك أنَّ العذاب رُفع عنهم فيما بين النَّفختين، ونسوا ما كانوا فيه من العذاب، فاستقصروا مدَّة لبثهم، فلذلك قالوا: **﴿لبثنا يوماً أوبعض يوم فاسأل العادين﴾** أي: فاسأل الملائكة الذين يحفظون عدد ما لبثنا.

﴿١١٤﴾ **﴿قال إن لبثتم﴾** ما لبثتم **﴿إلاَّ قليلاً﴾** وإن طال لبثكم؛ في طول لبثكم في النَّار **﴿لو أنكم كنتم تعلمون﴾** مقدار لبثكم في القبر، وذلك أنَّهم لم يعلموا ذلك حيث

أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

قالوا: ﴿لبثنا يوماً أو بعض يوم﴾ فقيل لهم: لو كنتم تعلمون ذلك كان قليلاً عند طول لبثكم في النَّار.

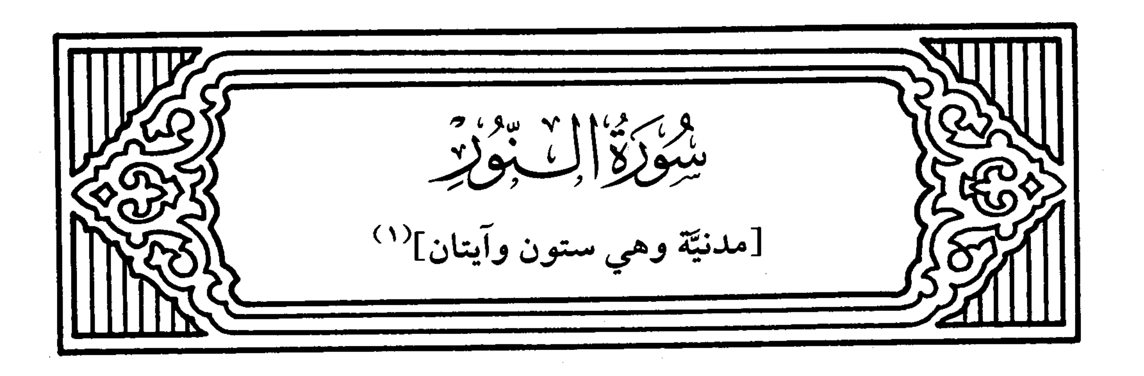
﴿١١٥﴾ ﴿**أفحسبتم أنَّما خلقناكم عبثاً**﴾ أَيْ: للعبث لا لحكمة من ثوابٍ للمطيع، وعقابٍ للعاصي. وقيل: عبثاً للعبث، حتىٰ تعبثوا وتغفلوا وتلهوا.

﴿١١٦﴾ ﴿**رب العرش الكريم**﴾ أي: السَّرير الحسن.

﴿١١٧﴾ ﴿**ومن يدع مع الله إلَهاً آخر لا برهان له به**﴾ لا حجَّة له بما يفعل من عبادته غير الله ﴿**فإنما حسابه عند ربه**﴾ جزاؤه عند الله تعالىٰ، فهو يجازيه بما يستحقُّه ﴿**إنه لا يفلح الكافرون**﴾ لا يسعد المُكذِّبون، ثمَّ أمر رسوله أن يستغفر للمؤمنين، ويسأل لهم الرَّحمة فقال:

﴿١١٨﴾ ﴿**وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين**﴾.

● ● ●



سُورَةُ النُّورِ

[مدنيّة وهي ستون وآيتان][(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿سورة أنزلناها﴾ أَيْ: هذه سُورةٌ أنزلناها ﴿وفرضناها﴾ ألزمنا العمل بما فُرض فيها.

﴿٢﴾ ﴿الزانية والزاني﴾ إذا كانا حُرَّين بالغين غير محصنين ﴿فاجلدوا كلَّ واحدٍ منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة﴾ رقَّةٌ ورحمةٌ فَتُعطِّلوا الحدود، وتخفِّفوا الضَّرب حتَّىٰ لا يُؤلم، وقوله: ﴿في دين الله﴾ أَيْ: في حكم الله. ﴿وليشهد﴾ وليحضر ﴿عذابهما﴾ جلدهما ﴿طائفة﴾ نفرٌ ﴿من المؤمنين﴾.

﴿٣﴾ ﴿الزاني لا ينكح إلاَّ زانية...﴾ الآية. نزلت في قومٍ من فقراء المهاجرين همُّوا أن يتزوَّجوا بغايا كنَّ بالمدينة لِعَيْلَتِهم، فأنزل الله تعالىٰ تحريم ذلك[(٢)]؛ لأنهنَّ كنَّ

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) انظر: أسباب النزول ص ٣٦٤؛ وتفسير الطبري ١٨/ ٧٠.

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾

زانياتٍ مشركاتٍ، وبيَّن أنَّه لا يتزوَّج بهنَّ إلاَّ زانٍ أو مشركٌ، وأنَّ ذلك حرامٌ على المؤمنين.

﴿٤﴾ ﴿**والذين يرمون**﴾ بالزِّنا ﴿**المحصنات**﴾ الحرائر العفائف ﴿**ثمَّ لم يأتوا**﴾ على ما رموهنَّ به ﴿**بأربعة شهداء**﴾ أَيْ: يشهدون عليهنَّ بذلك ﴿**فاجلدوهم**﴾ أي: الرَّامين ﴿**ثمانين جلدة**﴾ يعني: كلَّ واحدٍ منهم ﴿**ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً**﴾ لا تُقبل شهادتهم إذا شهدوا؛ لأنَّهم فسقوا برمي المحصنات إلاَّ أن يرجعوا ويُكذِّبوا أنفسهم ويتركوا القذف، فحينئذٍ تُقبل شهادتهم لقوله تعالىٰ:

﴿٥﴾ ﴿**إلاَّ الذين تابوا من بعد ذلك**﴾.

﴿٦﴾ ﴿**والذين يرمون أزواجهم**﴾ يقذفونهنَّ بالزِّنا ﴿**ولم يكن لهم شهداء إلاَّ أنفسهم**﴾ يشهدون على صحَّة ما قالوا [إلاَّ هم][1] ﴿**فشهادة أحدهم أربع شَهاداتٍ بالله**﴾ أربع مرات أنَّه صادقٌ فيما قذفها به، يُسقط عنه الحدَّ، ثم يقول في الخامسة: لعنةُ الله عليه إنْ كان من الكاذبين، فإذا فعل الزَّوج هذا وجب الحدُّ على المرأة، ويسقط ذلك عنها بأن تقول: أشهد بالله إنَّه لمن الكاذبين فيما قذفني به، أربع مرات، وذلك قوله تعالىٰ:

﴿٨﴾ ﴿**ويدرأ عنها العذاب**﴾ أَيْ: يدفع عنها عقوبة الحدِّ، والخامسة تقول: عليَّ غضب الله إنْ كان من الصَّادقين.

---

(١) زيادة من ظا و ظ.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

---

(١٠) ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته**﴾ جواب «لولا» محذوفٌ، على تقدير: لفضحكم بارتكاب الفاحشة، ولعاجلكم بالعقوبة، ولكنَّه ﴿**توابٌ**﴾ يقبل التَّوبة، ويرحم مَنْ رجع عن السَّيئة [﴿**حكيم**﴾ فيما فرض من الحدود](١).

(١١) ﴿**إنَّ الذين جاؤوا بالإفك**﴾ بالكذب على عائشة رضوان الله عليها وصفوان ﴿**عصبة**﴾ جماعة ﴿**منكم**﴾ يعني: حسَّان بن ثابت، ومسطحاً، وعبد الله ابن أُبـيّ المنافق، وحمنة بنت جحش ﴿**لا تحسبوه**﴾ لا تحسبوا ذلك الإفك ﴿**شرّاً لكم بل هو خيرٌ لكم**﴾ لأنَّ الله تعالىٰ يأجركم علىٰ ذلك، ويُظهر براءتكم ﴿**لكلِّ امرىء منهم ما اكتسب من الإثم**﴾ جزاء ما اجترح من الذَّنب ﴿**والذي تولَّىٰ كبره**﴾ تحمَّل معظمه فبدأ بالخوض فيه، وهو عبد الله ابن أُبـيّ(٢).

(١٢) ﴿**لولا**﴾ هلاَّ ﴿**إذ سمعتموه**﴾ يعني: الإفك ﴿**ظنَّ المؤمنون والمؤمنات**﴾ رجع من الخطاب إلى الخبر، والمعنىٰ: ظننتم أيُّها المؤمنون بالذين هم كأنفسهم ﴿**خيراً**﴾ والمؤمنون كلُّهم كالنَّفس الواحدة، وقلتم: ﴿**هذا إفك مبين**﴾ كذبٌ ظاهرٌ.

(١٤) ﴿**ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسَّكم**﴾ لأصابكم ﴿**فيما أفضتم**﴾ خضتم ﴿**فيه**﴾ من الإفك ﴿**عذاب عظيم**﴾.

---

(١) زيادة من ظا و ظ.

(٢) وهذا قول عائشة، أخرجه البخاري في التفسير، فتح الباري ٨/ ٤٥١.

إِذۡ تَلَقَّوۡنَهُۥ بِأَلۡسِنَتِكُمۡ وَتَقُولُونَ بِأَفۡوَاهِكُم مَّا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ وَتَحۡسَبُونَهُۥ هَيِّنٗا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٞ ﴿١٥﴾ وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿٢٠﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢١﴾

﴿١٥﴾ **﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾** تأخذونه ويرويه بعضكم عن بعض **﴿وتحسبونه هيناً﴾** وتظنُّونه سهلاً، وهو كبيرٌ عند الله سبحانه.

﴿١٦﴾ **﴿ولولا﴾** هلاَّ **﴿إذ سمعتموه﴾** سمعتم هذا الكذب **﴿قلتم ما يكون لنا أن نتكلَّم بهذا سبحانك﴾** تعجُّباً من هذا الكذب **﴿هذا بهتان﴾** كذبٌ نتحيَّر من عظمه، والمعنىٰ: هلا أنكرتموه وصنتم ألسنتكم عن الخوض فيه؟.

﴿١٧﴾ **﴿يعظكم الله أن تعودوا﴾** كراهة أن تعودوا لمثل هذا الإفك أبداً.

﴿١٨﴾ **﴿إنَّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة﴾** يفشوَ الزِّنا **﴿في الذين آمنوا لهم عذاب أليمٌ﴾** وهم المنافقون كانوا يشيعون هذا الكذب، ويطلبون العيب للمؤمنين، وأن يكثر فيهم الزِّنا.

﴿٢٠﴾ **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته﴾** لعجَّل لكم الذي تستحقُّونه من العقوبة.

﴿٢١﴾ **﴿ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكىٰ﴾** ما صلح وطهر من هذا الذَّنب أحد **﴿منكم﴾** يعني: من الذين خاضوا فيه **﴿ولكنَّ الله يزكي مَنْ يشاء﴾** يُطهِّر مَنْ يشاء من الإثم والذَّنب بالرَّحمة والمغفرة.

وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ

﴿٢٢﴾ **﴿ولا يأتل﴾** ولا يحلف **﴿أولو الفضل منكم والسعة﴾** يعني أبا بكر الصديق[(١)] رضي الله عنه **﴿أن يؤتوا أولي القربىٰ والمساكين والمهاجرين في سبيل الله﴾** يعني: مسطحاً، وكان مسكيناً مهاجراً وكان ابن خالة أبي بكر، وكان قد حلف أن لا ينفق عليه ولا يُؤتيه شيئاً. **﴿وليعفوا وليصفحوا﴾** عنهم لخوضهم في حديث عائشة **﴿ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾** فلمّا نزلت هذه الآية قال أبو بكر الصديق: بلىٰ، أنا أحبُّ أن يغفر الله لي، ورَجَع إلى مسطح بنفقته التي كان ينفق عليه.

﴿٢٣﴾ **﴿إنَّ الذين يرمون المحصنات الغافلات﴾** عن الفواحش، كغفلة عائشة رضي الله عنها عمَّا قذفت به **﴿لعنوا﴾** عُذِّبوا **﴿في الدنيا﴾** بالجلد **﴿و﴾** في **﴿الآخرة﴾** بالنّار.

﴿٢٤﴾ **﴿يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون﴾**. وقوله:

﴿٢٥﴾ **﴿يوفيهم الله دينهم الحق﴾** أي: جزاءهم الواجب **﴿ويعلمون أنَّ الله هو الحق المبين﴾** لأنَّه قد بيَّن لهم حقيقة ما كان يعدهم به في الدُّنيا.

﴿٢٦﴾ **﴿الخبيثات﴾** من القول. وقيل: من النِّساء **﴿للخبيثين﴾** من الرِّجال **﴿والخبيثون﴾** من النَّاس **﴿للخبيثات﴾** من القول. وقيل: من النِّساء. **﴿والطيبات﴾** من القول.

---

(١) حديث أبي بكر ونفقته على مسطح. أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٤٥٥؛ ومسلم في التوبة برقم ٢٧٧٠؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٧٩؛ والنسائي في الطهارة، باب بدء التيمم ١/ ١٦٣.

لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُواْ فَٱرْجِعُواْۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ

وقيل: من النِّساء ﴿**للطيبين**﴾ من النَّاس ﴿**والطيبون**﴾ من النَّاس ﴿**للطيبات**﴾ من القول. وقيل: من النَّاس. ﴿**أولئك**﴾ يعني: عائشة وصفوان ﴿**مبرَّؤون مما يقولون**﴾ يقوله أهل الخبث والقاذفون.

﴿٢٧﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتىٰ تستأنسوا**﴾ تستأذنوا ﴿**وتسلموا على أهلها**﴾ وهو أن يقول: السَّلام عليكم، أأدخلُ؟

﴿٢٨﴾ ﴿**فإن لم تجدوا فيها**﴾ في البيوت ﴿**أحداً**﴾ يأذن لكم في دخولها ﴿**فلا تدخلوها حتىٰ يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا**﴾ انصرفوا ﴿**فارجعوا**﴾ ولا تقفوا على أبوابهم ﴿**هو**﴾ أي: الرُّجوع ﴿**أزكىٰ لكم**﴾ أطهر لكم وأصلح، فلمَّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمساكن في الطَّريق ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله سبحانه:

﴿٢٩﴾ ﴿**ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتاً غير مسكونة**﴾ بغير استئذانٍ ﴿**فيها متاع**﴾ منفعةٌ ﴿**لكم**﴾ في قضاء حاجةٍ، أو نزولٍ وغيره.

﴿٣٠﴾ ﴿**قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم**﴾ يكفُّوها عن النَّظر إلىٰ ما لا يحلُّ ﴿**ويحفظوا فروجهم**﴾ عن مَنْ لا يحلُّ. وقيل: يستروها حتىٰ لا تظهر. وقوله:

﴿٣١﴾ ﴿**ولا يبدين زينتهنَّ**﴾ يعني: الخلخالين، والقُرطين، والقلائد، والدَّماليج،

إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

ونحوها ممَّا يخفىٰ **﴿إلاَّ ما ظهر منها﴾** وهو الثِّياب، والكحل، والخاتم، والخضاب، والسِّوار، فلا يجوز للمرأة أن تظهر إلاَّ وجهها ويديها إلى نصف الذِّراع **﴿وليضربن بخمرهنَّ﴾** وليلقين مقانعهنَّ **﴿على جيوبهنَّ﴾** ليسترن بذلك شعورهنَّ وقرطهنَّ وأعناقهنَّ[1] **﴿ولا يبدين زينتهن﴾** يعني: الزِّينة الخفيَّة لا الظَّاهرة **﴿إلاَّ لبعولتهن﴾** أزواجهنَّ. وقوله: **﴿أو نسائهنَّ﴾** يعني: النِّساء المؤمنات، فلا يحلُّ لامرأةٍ مسلمةٍ أن تتجرَّد بين يدي امرأةٍ مشركةٍ إلاَّ إذا كانت المشركة مملوكةً لها، وهو قوله: **﴿أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال﴾** يعني: الذين يتَّبعون النِّساء يخدمونهنَّ ليصيبوا شيئاً، ولا حاجة لهم فيهنَّ، كالخصيِّ والخنثىٰ، والشَّيخ الهَرِم، والأحمق العنِّين **﴿أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء﴾** لم يقووا عليها **﴿ولا يضربن بأرجلهنَّ ليعلم ما يخفين من زينتهنَّ﴾** أيْ: لا يضربن بإحدىٰ الرِّجلين على الأخرىٰ ليصيب الخلخالُ الخلخالَ فيعلم أنَّ عليها خلخالين، فإنَّ ذلك يحرِّك من الشَّهوة **﴿وتوبوا إلى الله جميعاً﴾** راجعوا طاعة الله سبحانه فيما أمركم ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السُّورة.

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأُوَل، لما أنزل: ﴿وليضربن بخمرهنَّ على جيوبهنَّ﴾ شققن مروطهنَّ، فاختمرن بها. أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٤٨٩؛ وأبو داود في اللباس برقم ٤١٠٢؛ والنسائي في التفسير ٢/ ١٢١.

وَأَنكِحُواْ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ

(٣٢) **﴿وأنكحوا الأيامىٰ منكم﴾** الذين لا أزواج لهم من الرِّجال والنِّساء **﴿والصالحين من عبادكم﴾** عبيدكم **﴿وإمائكم﴾** جواريكم **﴿إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله﴾** هذا وعدٌ من الله تعالىٰ بالغنىٰ على النِّكاح، وإعلامٌ أنَّه سببٌ لنفي الفقر.

(٣٣) **﴿وليستعفف﴾** وليعفَّ عن الحرام مَنْ لا يقدر على تزوُّج امرأةٍ، بأن لا يملك المهر والنَّفقة **﴿حتىٰ يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون﴾** يطلبون **﴿الكتاب﴾** المكاتبة **﴿مما ملكت أيمانكم﴾** من عبيدكم، وهو أن يطلب من مولاه أن يبيعه منه بمالٍ معلومٍ يُؤدِّيه إليه في مدَّةٍ معلومةٍ، فإذا أدَّىٰ ذلك عتق **﴿فكاتبوهم﴾** فأعطوهم ما يطلبون من الكتابة **﴿إن علمتم فيهم خيراً﴾** اكتساباً للمال، يقدرون على أداء مال الكتابة **﴿وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾** يعني: حطُّوا عنهم من المال الذي كاتبتموهم عليه، ويستحبُّ ذلك للسيِّد، وهو أن يحطَّ عنه ربع المال. وقيل: المراد بهذا أن يُؤتوا سهمهم من الزَّكاة. **﴿ولا تكرهوا فتياتكم﴾** إماءكم **﴿على البغاء﴾** الزِّنا. نزلت في عبد الله ابن أُبيٍّ، وكانت له جوارٍ يكرههنَّ على الزِّنا[1]،

---

(١) عن جابر بن عبد الله قال: كان عبد الله بن أبيّ ابن سلول يقول لجاريةٍ له: اذهبي فابغينا شيئاً. قال: فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء...﴾ الآية.

وفي رواية: أنَّ جاريةً لعبد الله ابن أبيّ يقال لها: مسيكة، وأخرىٰ يقال لها: أميمة، كان يريدهما علىٰ الزنا، فشكتا ذلك إلى رسول الله ﷺ، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء...﴾ الآية. أخرجه مسلم في التفسير برقم ٣٠٢٩؛ وأبو داود في الطلاق برقم ٢٣١١.

إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ۞ اللَّهُ نُورُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ

ويأخذ منهنَّ أجراً معلوماً ﴿**إن أردن تحصناً**﴾ قيل: إنَّ هذا راجعٌ إلى قوله: ﴿وأنكحوا الأيامىٰ منكم والصَّالحين من عبادكم وإمائكم﴾[1] إن أردن تحصُّناً. وقيل: «إنْ» بمعنىٰ: «إذ»، والمعنىٰ: لا تكرهوهنَّ على الزِّنا إذ أردن التَّعفُّف عنه ﴿**لتبتغوا عرض الحياة الدنيا**﴾ يعني: ما يؤخذ من أجورهنَّ ﴿**ومن يكرههنَّ**﴾ على الزِّنا ﴿**فإنَّ الله من بعد إكراههنَّ**﴾ لهنَّ ﴿**غفور رحيم**﴾ والوزر على المُكْرِه.

﴿٣٤﴾ ﴿**ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات**﴾ يعني: القرآن ﴿**ومثلاً**﴾ وخبراً وعبرةً ﴿**من الذين خلَوا**﴾ مضوا ﴿**من قبلكم**﴾ يعني: ما ذُكر من قصص القرون الماضية.

﴿٣٥﴾ ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ أَيْ: بنوره وهداه يَهتدي من في السموات والأرض، ثمَّ ضرب مثلاً لذلك النُّور الذي يقذفه في قلب المؤمن حتىٰ يهتدي به فقال: ﴿**مثل نوره كمشكاة**﴾ وهي الكوَّة غير النَّافذة، والمراد بها ها هنا الذي وسط القنديل كالكوَّة يُوضع فيها الذُّبالة، وهو قوله: ﴿**فيها مصباح**﴾ يعني: السِّراج ﴿**المصباح في زجاجة**﴾ لأنَّ النُّور في الزُّجاج، وضوء النَّار أبين منه في كلِّ شيءٍ. ﴿**الزجاجة كأنها كوكب**﴾ لبياضه وصفائه ﴿**دريّ**﴾ منسوبٌ إلى أنَّه كالدُّرِّ ﴿**توقدُ**﴾[2] أي: الزُّجاجة، والمعنىٰ للمصباح، ولكنه حذف المضاف، مَنْ قرأ بالياء أراد: يُوقد المصباح ﴿**من شجرة**﴾ أَيْ: من زيت شجرةٍ ﴿**مباركة زيتونة لا شرقية**﴾ ليست ممَّا يطلع عليها الشَّمس في وقت شروقها فقط ﴿**ولا غربية**﴾

---

(١) الآية ٣٢ من هذه السورة.

(٢) قرأ «تُوْقَدُ» أبو بكر وحمزة والكسائي وخلف، وقرأ «يُوقَدُ» نافع وابن عامر وحفص. انظر: الإتحاف ص ٣٢٥.

يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾

أو عند الغروب، والمعنىٰ: ليس يسترها عن الشَّمس في وقتٍ من النَّهار شيءٌ، فهو أنضر لها، وأجود لزيتها ﴿**يكاد زيتها يضيء**﴾ لصفائه دون السِّراج، وهو قوله: ﴿**ولو لم تمسسه نار، نورٌ على نور**﴾ يعني: نور السِّراج ونور الزَّيت، ثمَّ قال عزَّ مِنْ قائلٍ: ﴿**يهدي الله لنوره مَنْ يشاء...**﴾ الآية.

﴿٣٦﴾ ﴿**في بيوت**﴾ أي: المصباح يوقد في بيوتٍ، يعني: المساجد ﴿**أذن الله أن ترفع**﴾ تبنىٰ. وقوله تعالىٰ:

﴿٣٧﴾ ﴿**تتقلب فيه القلوب**﴾ بين الطَّمع في النَّجاة، والحذر من الهلاك ﴿**والأبصار**﴾ تتقلَّب في أيِّ ناحيةٍ يُؤخذ بهم، أذات اليمين أم ذات الشِّمال؟ ومن أيِّ جهةٍ يُؤتون كُتبهم من جهة اليمين أم من جهة الشِّمال؟

﴿٣٨﴾ ﴿**ليجزيهم الله أحسن**﴾ بأحسن ﴿**ما عملوا ويزيدهم من فضله**﴾ ما لم يستحقُّوه بأعمالهم، ثمَّ ضرب مثلاً لأعمال الكافرين، فقال:

﴿٣٩﴾ ﴿**والذين كفروا أعمالهم كسراب**﴾ وهو ما يرىٰ في الفلوات عند شدَّة الحرِّ، كأنَّه ماءٌ ﴿**بقيعة**﴾ جمع قاعٍ، وهو المنبسط من الأرض ﴿**يحسبه الظمآن**﴾ يظنُّه العطشان ﴿**ماءً حتىٰ إذا جاءه**﴾ جاء موضعه ﴿**لم يجده شيئاً**﴾ كذلك الكافر يحسب أنَّ عمله مُغنٍ عنه أو نافعه شيئاً، فإذا أتاه الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنىٰ عنه شيئاً ﴿**ووجد الله عنده**﴾ ووجد الله بالمرصاد عند ذلك ﴿**فوفَّاه حسابه**﴾ تحمَّل جزاء عمله.

أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ

﴿٤٠﴾ ﴿**أو كظلمات**﴾ وهذا مثلٌ آخرُ ضربه الله لأعمال الكافر ﴿**في بحر لجيٍّ**﴾ وهو البعيد القعر الكثير الماء ﴿**يغشاه**﴾ يعلوه ﴿**موجٌ**﴾ وهو ما ارتفع من الماء ﴿**من فوقه موج**﴾ متراكمٌ بعضه على بعض ﴿**مِن**﴾ فوق الموج ﴿**سحاب**﴾ وهذه كلُّها ﴿**ظلمات بعضها فوق بعض**﴾ ظلمة السَّحاب، وظلمة الموج، وظلمة البحر. ﴿**إذا أخرج**﴾ النَّاظر ﴿**يده**﴾ بين هذه الظُّلمات ﴿**لم يكد يراها**﴾ لم يرها لشدَّة الظُّلمة، وأراد بالظُّلمات أعمال الكفار، وبالبحر اللُّجيِّ قلبه، وبالموج من فوق الموج ما يغشىٰ قلبه من الجهل والشَّكِّ والحيرة، وبالسَّحاب الرَّين والختم على قلبه، ثمَّ قال: ﴿**ومَنْ لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**﴾ أَيْ: مَنْ لم يهده الله للإِسلام لم يهتد.

﴿٤١﴾ ﴿**ألم تر أنَّ الله يسبح له**﴾ يصلّي له ﴿**من في السموات والأرض**﴾ المطيع يُسبِّح له، والعاصي يذلُّ أيضاً بخلق الله تعالىٰ إيَّاه على ما يشاء، علىٰ أنَّ الله بريءٌ من السُّوء ﴿**والطير صافات**﴾ أجنحتهنَّ في الهواء تسبِّح الله. ﴿**كلٌّ قد علم صلاته**﴾ وهي لبني آدم ﴿**وتسبيحه**﴾ وهو عامٌّ لغيرهم من الخلق.

﴿٤٣﴾ ﴿**ألم تر أنَّ الله يزجي**﴾ يسوق ﴿**سحاباً**﴾ إلى حيث يريد ﴿**ثمَّ يؤلف بينه**﴾ يجمع بين قطع ذلك السَّحاب ﴿**ثم يجعله ركاماً**﴾ بعضه فوق بعض ﴿**فترىٰ الودق**﴾ المطر ﴿**يخرج من خلاله**﴾ فُرَجِه ﴿**وينزل من السماء من جبالٍ**﴾ في السَّماء ﴿**من بَردٍ فيصيب**﴾ بذلك البرد ﴿**مَنْ يشاء ويصرفه عَنْ مَنْ يشاء يكاد سنا برقه**﴾ ضوء

يَذْهَبُ بِالْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾

برق السَّحاب ﴿يذهب بالأبصار﴾ من شدَّة توقُّده.

﴿٤٤﴾ ﴿يقلب الله الليل والنهار﴾ يُصرِّفهما في اختلافهما وتعاقبهما ﴿إنَّ في ذلك﴾ الذي ذكرت من هذه الأشياء ﴿لعبرة لأولي الأبصار﴾ لذوي العقول.

﴿٤٥﴾ ﴿والله خلق كلَّ دابة من ماء﴾ أيْ: من نطفةٍ ﴿فمنهم من يمشي على بطنه﴾ كالحيَّات والحيتان ﴿ومنهم من يمشي على رجلين﴾ كالإنس والجنِّ والطَّير ﴿ومنهم مَنْ يمشي على أربع﴾ كالبقر والجمال وغيرهما.

﴿٤٧﴾ ﴿ويقولون آمنا بالله﴾ يعني: المنافقين ﴿ثمَّ يتولىٰ﴾ يعرض عن قبول حكم الرَّسول ﷺ ﴿فريق منهم من بعد ذلك﴾ الإقرار ﴿وما أولئك بالمؤمنين﴾.

﴿٤٨﴾ ﴿وإذا دعوا إلى الله﴾ إلى كتاب الله ﴿ورسوله ليحكم بينهم﴾ نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهوديِّ[1]، كان اليهوديُّ يجرُّه إلى رسول الله ﷺ ليحكم بينهما، وجعل المنافق يجرُّه إلى كعب بن الأشرف، وهذا إذا كان الحقُّ على المنافقين أعرضوا عن حكم رسول الله ﷺ؛ لأنَّه كان لا يقبل الرُّشا، وإن كان لهم الحقُّ على غيرهم أسرعوا إلى حكمه، وهو قوله تعالىٰ:

﴿٤٩﴾ ﴿وإن يكن لهم الحقُّ يأتوا إليه مذعنين﴾ مُطيعين مُنقادين. قال الله تعالىٰ:

---

(١) انظر: أسباب النزول ص ٣٧٨؛ وقد مرَّت هذه القصة في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت﴾ الآية ٦٠ من سورة النساء، وانظر ص ٢٧١.

أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِنۡ أَمَرۡتَهُمۡ لَيَخۡرُجُنَّۖ قُل لَّا تُقۡسِمُواْۖ طَاعَةٞ مَّعۡرُوفَةٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٥٣﴾ قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا عَلَيۡهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيۡكُم مَّا حُمِّلۡتُمۡۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ

﴿٥٠﴾ ﴿أفي قلوبهم مرض﴾ فجاء بلفظ التَّوبيخ ليكون أبلغ في ذمِّهم ﴿أم ارتابوا﴾ شكُّوا ﴿أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله﴾ أي: يظلم ﴿بل أولئك هم الظالمون﴾ لأنفسهم بكفرهم ونفاقهم.

﴿٥٣﴾ ﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجنَّ﴾ وذلك أنَّ المنافقين حلفوا أنَّهم يخرجون إلى حيث يأمرهم الرَّسول ﷺ للغزو والجهاد، فقال الله تعالىٰ: ﴿قل لا تقسموا طاعة معروفة﴾ خيرٌ وأمثلُ من يمينٍ تحنثون فيها.

﴿٥٤﴾ ﴿قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمِّل﴾ من تبليغ الرِّسالة ﴿وعليكم ما حملتم﴾ من طاعته. الآية.

﴿٥٥﴾ ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنَّهم في الأرض﴾ ليورثنَّهم أرض[1] الكفَّار من العرب والعجم ﴿كما استخلف الذين من قبلهم﴾ يعني: بني إسرائيل ﴿وليمكنَّن لهم دينهم الذي ارتضىٰ لهم﴾ حتىٰ يتمكَّنوا منه من غير خوفٍ

---

(١) عن أبيِّ بن كعب قال: لمَّا قدم النَّبيُّ ﷺ وأصحابه المدينةَ، وآوتهم الأنصار، رمتهم العرب عن قوسٍ واحدةٍ، فنزلت: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ في الأرض﴾. أخرجه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات. انظر: مجمع الزوائد ٧/ ٨٦.

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا۟ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَـٰثَ مَرَّٰتٍۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِۚ ثَلَـٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّۚ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

﴿**وليبدلنَّهم من بعد خوفهم**﴾ من العدوِّ ﴿**أمناً**﴾ لا يخافون معه العدوَّ ﴿**ومن كفر**﴾ بهذه النِّعمة فعصىٰ الله ورسوله، وسفك الدِّماء ﴿**فأولئك هم الفاسقون**﴾ فكان أوَّل [مَنْ كفر] بهذه النِّعمة بعد ما أنجز الله وعده الذين قتلوا عثمان بن عفان رضي الله عنه، فعادوا في الخوف، وظهر الشَّرُّ والخلاف.

﴿٥٨﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم**﴾ من العبيد والإماء ﴿**والذين لم يبلغوا الحلم منكم**﴾ من الأحرار ﴿**ثلاث مرَّات**﴾ ثمَّ بيَّنهنَّ فقال: ﴿**من قبل صلاة الفجر**﴾ وهو حين يخرج الإنسان من ثياب النَّوم ﴿**وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة**﴾ للقائلة ﴿**ومن بعد صلاة العشاء**﴾ الآخرة ﴿**ثلاث عورات لكم**﴾ يعني: هذه الأوقات؛ لأنَّها أوقات التَّجرُّد وظهور العورة. ﴿**ليس عليكم ولا عليهم جناح**﴾ ألا يستأذنوا بعد هذه الأوقات ﴿**طوافون**﴾ أيْ: هم طوَّافون ﴿**عليكم**﴾ يريد أنَّهم خدمكم، فلا بأس عليهم أن يدخلوا في غير هذه الأوقات الثَّلاثة بغير إذنٍ، وهذه الآية منسوخةٌ عند قومٍ، وعند قومٍ لم تُنسخ، ويجب العمل بها[1].

---

(١) قال أبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٣٣: للعلماء في هذه الآية ستة أقوال:
- فمنهم مَنْ قال: هي منسوخة.
- ومنهم مَنْ قال: هي ندبٌ غير واجبة.
- ومنهم مَنْ قال: هي في النساء دون الرِّجال.
- ومنهم مَنْ قال: هي في الرجال دون النساء.

=

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِى لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ

---

(٥٩) ﴿**وإذا بلغ الأطفال منكم**﴾ من أحراركم ﴿**الحلم فليستأذنوا**﴾ في كلِّ وقتٍ ﴿**كما استأذن الذين من قبلهم**﴾ يعني: الكبار من الأحرار.

(٦٠) ﴿**والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً**﴾ يعني: العجائز اللاتي أيسن من البعولة ﴿**فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن**﴾ جلابيبهنَّ ﴿**غير متبرجات بزينة**﴾ غير مُظهراتٍ زينتهنَّ، وهو أن لا تريد بوضع الجلباب أن تُري زينتها ﴿**وأن يستعففن**﴾ فلا يضعن الجلباب ﴿**خيرٌ لهن**﴾.

(٦١) ﴿**ليس على الأعمىٰ حرج...**﴾ الآية. كان المسلمون يخرجون للغزو، ويدفعون مفاتيح بيوتهنَّ إلى الزَّمنىٰ الذين لا يخرجون، ويقولون لهم: قد أحللنا لكم أن تأكلوا ممَّا فيها، فكانوا يتوقَّون ذلك حتىٰ نزلت هذه الآية[1]. وقوله: ﴿**ولا على**

= ـ ومنهم مَنْ قال: كان العمل بها واجباً؛ لأنَّ القوم لم يكن لهم أغلاقٌ ولا ستور.
ـ ومنهم مَنْ قال: هي محكمة، واجبٌ على المسلمين أن يعملوا بها. اهـ.
ـ وقد روي عن ابن عباس أنَّه قال: ثلاثُ آياتٍ من كتاب الله لا أرىٰ أحداً من الناس يعمل بهنَّ:
ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم﴾ الآية ٥٨ من سورة النور.
ـ ﴿وإذا حضر القسمة أولوا القربىٰ واليتامىٰ والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولاً معروفاً﴾ [النساء: ٨].
ـ ﴿إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣].
انظر: الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٣٦٨.

(١) وهذا قول عائشة. أخرجه البزار بسندٍ صحيح. انظر: مجمع الزوائد ٧/ ٨٦؛ وأخرجه ابن جرير ١٨/ ٦٩ عن مجاهد؛ وانظر: أسباب النزول ص ٣٨٢.

أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

أنفسكم﴾ أراد: ولا عليكم أنفسكم **﴿أن تأكلوا من بيوتكم﴾** أَيْ: بيوت أولادكم، فجعل بيوت أولادهم بيوتهم؛ لأنَّ ولد الرَّجل من كسبه، ومالَه كمالِه، وقوله: **﴿أو ما ملكتم مفاتحه﴾** يريد: الزَّمنىٰ الذين كانوا يخزنون للغزاة **﴿ليس عليكم جناح أن تأكلوا﴾** من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا ولم يعلموا من غير أن يحملوا، وهذه رخصةٌ من الله تعالىٰ لطفاً بعباده، ورغبة بهم عن دناءة الأخلاق وضيق النَّظر، وقوله: **﴿أو صديقكم﴾** يجوز للرَّجل أن يدخل بيت صديقه فيتحرَّم بطعامه من غير استئذانٍ بهذه الآية، وقوله: **﴿أن تأكلوا جميعاً أو أشتاتاً﴾** يقول: لا جناح عليكم إن اجتمعتم في الأكل، أو أكلتم فرادىٰ، وإن اختلفتم فكان فيكم الزَّهيد والرغيب، والعليل والصَّحيح، وذلك أنَّ المسلمين تركوا مؤاكلة المرضىٰ والزَّمنىٰ بعد نزول قوله تعالىٰ: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾[(١)]، فقالوا: إنَّهم لا يستوفون من الأكل، فلا تحلُّ لنا مؤاكلتهم، فنزلت الرُّخصة في هذه الآية[(٢)]. **﴿فإذا دخلتم بيوتاً فسلموا على أنفسكم﴾** فليسلِّم بعضكم على بعض. وقيل: إذا دخلتم بيوتاً خاليةً فليقل الدَّاخل: السَّلام علينا وعلى عباد الله الصَّالحين. وقوله تعالىٰ:

---

(١) سورة النساء: الآية ٢٩.

(٢) وهذا قول ابن عباس، ذكره المؤلف في الأسباب ص ٣٨١؛ وأخرجه ابن جرير عنه ١٨/١٦٨ من طريق علي بن أبي طلحة.

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

﴿٦٢﴾ ﴿**وإذا كانوا معه على أمر جامع**﴾ يجمعهم في حربٍ حضرت، أو صلاةٍ في جمعةٍ، أو تشاورٍ في أمرٍ ﴿**لم يذهبوا**﴾ لم يتفرقوا عن النبيِّ ﷺ ﴿**حتىٰ يستأذنوه**﴾ نزلت في حفر الخندق(١)، كان المنافقون ينصرفون بغير أمر رسول الله ﷺ، وقوله:

﴿٦٣﴾ ﴿**لا تجعلوا دعاءَ الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً**﴾ أَيْ: لا تقولوا إذا دعوتموه: يا محمد، كما يقول أحدكم لصاحبه، ولكن قولوا: يا رسول الله، يا نبيَّ الله ﴿**قد يعلم الله الذين يتسللون**﴾ يخرجون في خُفيةٍ من بين النَّاس ﴿**لواذاً**﴾ يستتر بغيره فيخرج مُختفياً ﴿**فليحذر الذين يخالفون عن أمره**﴾ أَيْ: يخالفون أمر الرَّسول ﷺ، وينصرفون بغير إذنه ﴿**أن تصيبهم فتنة**﴾ بليَّةٌ تُظهر نفاقهم ﴿**أو يصيبهم عذاب أليم**﴾ عاجلٌ في الدُّنيا.

﴿٦٤﴾ ﴿**ألا إنَّ لله ما في السموات والأرض**﴾ عبيداً وملكاً وخلقاً.

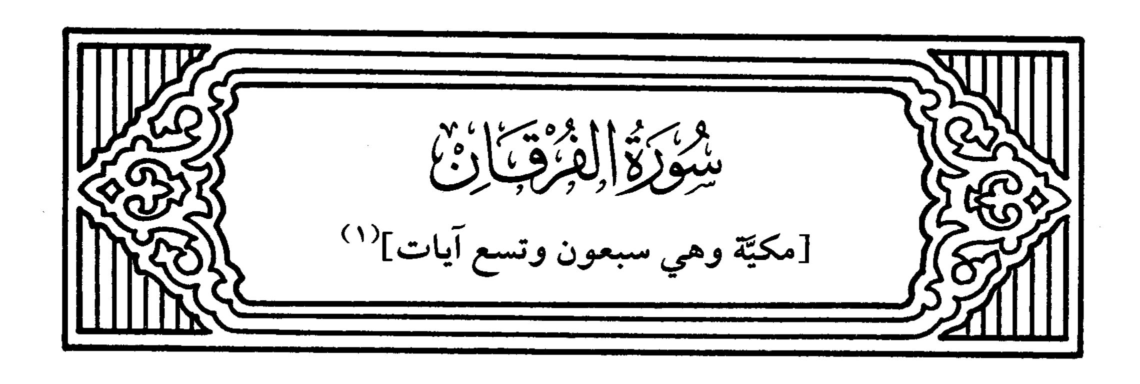
[اللهم يسر علينا كلَّ عسير](٢)

● ● ●

---

(١) وهذا قول عروة بن الزبير، ومحمد بن كعب القرظي. أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٤٠٩؛ وابن إسحاق وابن المنذر؛ وانظر: الدر المنثور ٦/ ٢٢٩.

(٢) زيادة من عا.



سُورَةُ الفُرْقَانِ

[مكيّة وهي سبعون وتسع آيات][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿تبارك﴾ ثبت ودام ﴿الذي نزل الفرقان﴾ القرآن الذي فرق بين الحقّ والباطل ﴿على عبده﴾ محمّد ﷺ ﴿ليكون للعالمين﴾ الجنّ والإنس ﴿نذيراً﴾ مخوِّفاً من العذاب.

﴿٢﴾ ﴿وخلق كلَّ شيء﴾ ممّا يُطلق في صفة المخلوق ﴿فقدَّره تقديراً﴾ جعله على مقدارٍ. وقوله:

﴿٣﴾ ﴿نشوراً﴾ أيْ: حياةً بعد الموت.

﴿٤﴾ ﴿وقال الذين كفروا إن هذا﴾ ما هذا القرآن ﴿إلاّ إفك﴾ كذبٌ ﴿افتراه﴾ اختلقه

---

(١) زيادة من ظا.

وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾

﴿**وأعانه عليه قوم آخرون**﴾ يعنون: اليهود ﴿**فقد جاؤوا**﴾ بهذا القول ﴿**ظلماً وزوراً**﴾ كذباً.

﴿٥﴾ ﴿**وقالوا أساطير الأولين**﴾ أيْ: هو ما سطره الأوَّلون ﴿**اكتتبها**﴾ كتبها ﴿**فهي تملىٰ عليه بكرة وأصيلاً**﴾ يعنون أنَّه يختلف إلى مَنْ يعلِّمه بالغداة والعشيِّ.

﴿٦﴾ ﴿**قل**﴾ يا محمد لهم: ﴿**أنزله**﴾ أنزل القرآن ﴿**الذي يعلم السر في السموات والأرض**﴾ يعلم بواطن الأمور، فقد أنزله على ما يقتضيه علمه.

﴿٧﴾ ﴿**وقالوا ما لهذا الرسول**﴾ يعنون محمداً عليه السَّلام ﴿**يأكل الطعام**﴾ أنكروا أن يكون الرَّسول بصفة البشر ﴿**ويمشي في الأسواق**﴾ طلباً للمعاش، يعنون أنَّه ليس بمَلِكٍ ولا مَلَكٍ ﴿**لولا**﴾ هلاَّ ﴿**أنزل إليه ملك**﴾ يُصدِّقه ﴿**فيكون معه نذيراً**﴾ داعياً إلى الله يشاركه في النُّبوَّة.

﴿٨﴾ ﴿**أو يلقىٰ إليه كنز**﴾ يستغني به عن طلب المعاش ﴿**وقال الظالمون**﴾ المشركون: ﴿**إن تتبعون**﴾ ما تتبعون ﴿**إلاَّ رجلاً مسحوراً**﴾ مخدوعاً.

﴿٩﴾ ﴿**انظر**﴾ يا محمَّد ﴿**كيف ضربوا لك الأمثال**﴾ إذ مثَّلوك بالمسحور والفقير الذي لا يصلح أن يكون رسولاً، والناقص عن القيام بالأمور إذ طلبوا أن يكون معك مَلَك ﴿**فضلوا**﴾ بهذا القول عن الدِّين والإيمان ﴿**فلا يستطيعون سبيلاً**﴾ إلى الهدىٰ ومخرجاً من ضلالتهم.

تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًۢا ﴿١٠﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَـٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ

﴿١٠﴾ **﴿تبارك الذي إن شاء جعل لك خيراً من ذلك﴾** الذي قالوه من إلقاء الكنز، وجعل الجنَّة، ثمَّ بيَّن ذلك فقال: **﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾** يعني: في الدُّنيا؛ لأنَّه قد شاء أن يعطيه ذلك في الآخرة. وقوله:

﴿١١﴾ **﴿سمعوا لها تغيظاً﴾** أيْ: صوتاً بغيظٍ، وهو التَّغضُّب **﴿وزفيراً﴾** صوتاً شديداً.

﴿١٣﴾ **﴿وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً﴾** وذلك أنَّهم يُدفعون في النَّار كما يُدفع الوتد في الحائط **﴿مقرَّنين﴾** مقرونين مع الشَّياطين **﴿دعوا هنالك ثبوراً﴾** ويلاً وهلاكاً، فيقال لهم:

﴿١٤﴾ **﴿لا تدعوا اليوم ثُبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾**.

﴿١٥﴾ **﴿قل أذلك﴾** الذي ذكرتُ من موضع أهل النَّار ومصيرهم **﴿خيرٌ أم جنة الخلد...﴾** الآية. وقوله:

﴿١٦﴾ **﴿وعداً مسؤولاً﴾** لأنَّ الملائكة سألت ذلك لهم في قوله تعالىٰ: ﴿ربَّنا وأَدْخِلْهم جنَّاتِ عدنٍ التي وَعَدْتَهُم ومَنْ صلَحَ من آبائِهم وأزواجِهم وذُرِّيَّاتهم﴾[1].

﴿١٧﴾ **﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله﴾** الأصنام، والملائكة، والمسيح، وعزيراً

---

(١) سورة غافر: الآية ٨.

فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

﴿**فيقول أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء**﴾ هذا توبيخ للكفَّار، كقوله لعيسىٰ عليه السَّلام: ﴿أأنتَ قُلْتَ للنَّاس اتَّخذوني وأُمِّي إلٰهين من دُونِ الله﴾[1]؟!

﴿١٨﴾ ﴿**قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا أن نتَّخذ من دونك من أولياء**﴾ أن نوالي أعداءك، وفي هذا براءةُ معبوديهم منهم ﴿**ولكن متعتهم وآباءهم**﴾ في الدُّنيا بالصِّحة والنِّعمة ﴿**حتىٰ نسوا الذكر**﴾ تركوا ما وُعظوا به ﴿**وكانوا قوماً بوراً**﴾ هلكىٰ بكفرهم.

﴿١٩﴾ ﴿**فقد كذبوكم بما تقولون**﴾ بقولكم: إنَّهم كانوا آلهةً ﴿**فما تستطيعون**﴾ يعني: الآلهة ﴿**صرفاً**﴾ للعذاب عنكم ﴿**ولا نصراً**﴾ لكم ﴿**ومن يظلم**﴾ أَيْ: يشرك ﴿**منكم نذقه عذاباً كبيراً**﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿**وما أرسلنا قبلك...**﴾ الآية. هذا جوابٌ لقولهم: ﴿ما لهذا الرسول...﴾ الآية. أخبر الله سبحانه أنَّ كلَّ مَنْ خلا من الرُّسل كان بهذه الصِّفة ﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة**﴾ الصَّحيح للمريض، والغنيّ للفقير فيقول الفقير: لو شاء الله لأغناني كما أغنىٰ فلاناً، ويقول المريض: لو شاء الله لعافاني كما عافىٰ فلاناً، وكذلك كلُّ النَّاس مبتلى بعضهم ببعض، فقال الله تعالى: ﴿**أتصبرون**﴾ على البلاء؟ فقد عرفتم ما وُعد الصَّابرون ﴿**وكان ربك بصيراً**﴾ بمَنْ يصبر، وبمَنْ يجزع.

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦.

۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾

الجزء التاسع عشر:

(٢١) ﴿وقال الذين لا يرجون لقاءنا﴾ لا يخافون البعث: ﴿لولا﴾ هلاَّ ﴿أنزل علينا الملائكة﴾ فتخبرنا أنَّ محمداً صادقٌ ﴿أو نرىٰ ربنا﴾ فيخبرنا بذلك ﴿لقد استكبروا في أنفسهم﴾ حين طلبوا من الآيات ما لم يطلبه أُمَّة ﴿وعتوا عتوّاً كبيراً﴾ وغلوا في كفرهم أشدَّ الغلوِّ.

(٢٢) ﴿يوم يرون الملائكة﴾ يعني: إنَّ ذلك اليوم الذي يرون فيه الملائكة هو يوم القيامة، وإنَّ الله سبحانه حرمهم البشرىٰ في ذلك اليوم، وتقول لهم الملائكة: ﴿حجراً محجوراً﴾ أَيْ: حراماً محرَّماً عليهم البشرىٰ.

(٢٣) ﴿وقدمنا﴾ وقصدنا ﴿إلى ما عملوا من عمل﴾ ممَّاكانوا يقصدون به التقرُّب إلىٰ الله سبحانه ﴿فجعلناه هباءً منثوراً﴾ باطلاً لا ثواب له؛ لأنَّهم عملوه للشَّيطان، والهباء: دقاق التُّراب، والمنثور: المتفرِّق.

(٢٤) ﴿أصحاب الجنة يومئذ خيرٌ مستقراً﴾ موضع قرار ﴿وأحسن مقيلاً﴾ موضع قيلولة.

(٢٥) ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام﴾ عن الغمام، وهو السَّحاب الأبيض الرَّقيق ﴿ونزل الملائكة تنزيلاً﴾ لإكرام المؤمنين.

(٢٦) ﴿الملك يومئذ الحق﴾ أَيْ: الملك الذي هو الملك حقّاً ملك الرَّحمن يومئذ.

وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِي ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

﴿٢٧﴾ **﴿ويوم يعض الظالم﴾** الكافر، يعني: عُقبة بن أبـي مُعَيط[1] كان قد آمن ثمَّ ارتدَّ لرضىٰ أُبـيّ بن خلف **﴿على يديه﴾** ندماً وتحسُّراً **﴿يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً﴾** طريقاً إلى الجنة بالإسلام.

﴿٢٨﴾ **﴿يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً﴾** يعني: أُبيّاً **﴿خليلاً﴾**.

﴿٢٩﴾ **﴿لقد أضلني عن الذكر﴾** القرآن **﴿بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾** عند البلاء. يعني: إنَّ قبوله قول أُبـيٍّ بن خلف في الكفر كان من عمل الشيطان.

﴿٣٠﴾ **﴿وقال الرسول﴾** في ذلك اليوم: يا **﴿ربِّ إنَّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾** متروكاً أعرضوا عنه.

﴿٣١﴾ **﴿وكذلك﴾** وكما جعلنا لك أعداءً من المشركين **﴿جعلنا لكلِّ نبـيٍّ عدوّاً من المجرمين وكفىٰ بربك هادياً﴾** يهديك وينصرك، فلا تُبالِ بمَنْ يعاديك.

﴿٣٢﴾ **﴿وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملةً واحدة﴾** أيْ: لم نزل عليه متفرِّقاً؟ وهلاَّ كان دفعةً واحدةً كالتَّوراة والإنجيل؟ قال الله تعالىٰ: **﴿كذلك﴾** فرَّقنا تنزيله **﴿لنثبت به فؤادك﴾** لِنُقَوِّيَ به قلبك، وذلك أنَّه كلَّما نزل عليه وحيٌ جديدٌ ازداد هو قوَّة قلبٍ **﴿ورتلناه ترتيلاً﴾** بيَّناه تبييناً في تثبُّتٍ ومهلةٍ.

---

(١) عن ابن عباس في الآية قال: الظالم عقبة بن أبـي معيط، يقول: ﴿يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾ يعني: أمية بن خلف، وقيل: أُبـي.
أخرجه الطبري ١٩/٨ وفيه عطاء الخراساني، وهو صدوقٌ يهم كثيراً، وابن جريج ثقة لكنه يدلس ويرسل.

وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ﴿٣٩﴾

﴿٣٣﴾ ﴿ولا يأتونك﴾ يعني: المشركين ﴿بمثل﴾ يضربونه في إبطال أمرك ﴿إلاَّ جئناك بالحق﴾ بما يردُّ ما جاؤوا به من المثل ﴿وأحسن تفسيراً﴾ بياناً وتفصيلاً ممَّا ذكروا.

﴿٣٤﴾ ﴿الذين﴾ أيْ: هم الذين ﴿يحشرون على وجوههم﴾ يُمشيهم الله عليها، فهم يُساقون على وجوههم ﴿إلى جهنم أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ سبيلاً﴾ من كلِّ أحدٍ.

﴿٣٥﴾ ﴿ولقد آتينا موسىٰ الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ أيْ: مُعيناً وملجأً.

﴿٣٦﴾ ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذَّبوا بآياتنا﴾ وهم القبط، فكذَّبوهما ﴿فدمَّرناهم تدميراً﴾ أهلكناهم إهلاكاً.

﴿٣٧﴾ ﴿وقوم نوحٍ لمَّا كذَّبوا الرسل﴾ مَنْ كذَّب نبيَّاً فقد كذَّب الرُّسل كلَّهم؛ لأنَّهم لا يفرِّقون بينهم في الإِيمان بهم. ﴿أغرقناهم وجعلناهم للناس آية﴾ عبرةً ﴿وأعتدنا للظالمين﴾ في الآخرة ﴿عذاباً أليماً﴾ سوىٰ ما ينزل بهم من عاجل العذاب. وقوله:

﴿٣٨﴾ ﴿وأصحاب الرَّسِّ﴾ كانوا أهل بئرٍ قعودٍ عليها، وأصحاب مواشٍ يعبدون الأصنام، فأُهلكوا بتكذيب نبيِّهم ﴿وقروناً﴾ وجماعاتٍ ﴿بين ذلك﴾ الذين ذكرناهم ﴿كثيراً﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿وكلاً ضربنا له الأمثال﴾ بيَّنا لهم الأشباه في إقامة الحجَّة عليهم ﴿وكلاًّ تبرنا تتبيراً﴾ أهلكنا إهلاكاً.

وَلَقَدْ أَتَوْا۟ عَلَى ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِىٓ أُمْطِرَتْ مَطَرَ ٱلسَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا۟ يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ

﴿٤٠﴾ ﴿**ولقد أتوا**﴾ يعني: مشركي مكَّة ﴿**على القرية التي أمطرت مطر السوء**﴾ يعني: الحجارة، وهي قرية قوم لوطٍ ﴿**أفلم يكونوا يرونها**﴾ إذا مرُّوا بها مسافرين فيعتبروا ﴿**بل كانوا لا يرجون نشوراً**﴾ لا يخافون بعثاً.

﴿٤١﴾ ﴿**وإذا رأوك إن يتخذونك إلَّا هزواً**﴾ ما يتَّخذونك إلَّا مهزوءاً به، ويقولون: ﴿**أهذا الذي بعث الله رسولاً**﴾ إلينا؟

﴿٤٢﴾ ﴿**إن كاد**﴾ إنَّه كاد ﴿**ليضلنا عن آلهتنا**﴾ فيصدُّنا عن عبادتها ﴿**لولا أن صبرنا عليها**﴾ لصرفنا عنها.

﴿٤٣﴾ ﴿**أرأيت من اتخذ إلّهه هواه**﴾ وهو أنَّهم كانوا يعبدون شيئاً حجراً، أو ما كان، فإذا رأوا حجراً أحسن طرحوا الأوَّل وعبدوا الأحسن، فهم يعبدون ما تهواه أنفسهم ﴿**أفأنت تكون عليه وكيلاً**﴾ حفيظاً حتىٰ تردَّه إلى الإيمان، أَيْ: ليس عليك إلَّا التبليغ. وقيل: إنَّ هذا ممَّا نسخته آية السَّيف.

﴿٤٤﴾ ﴿**أم تحسب أنَّ أكثرهم يسمعون**﴾ سماع تفهيم ﴿**أو يعقلون**﴾ بقلوبهم ما تقول لهم: ﴿**إن هم**﴾ ما هم ﴿**إلَّا كالأنعام**﴾ في جهل الآيات وما جعل لهم من الدَّليل ﴿**بل هم أضلُّ سبيلاً**﴾ لأنَّ النَّعم تنقاد لمن يتعهده، وهم لا يطيعون مولاهم الذي أنعم عليهم.

﴿٤٥﴾ ﴿**ألم ترَ**﴾ ألم تعلم ﴿**إلى ربك كيف مدَّ الظلَّ**﴾ وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشَّمس ﴿**ولو شاء لجعله**﴾ لجعل الظلَّ ﴿**ساكناً**﴾ ثابتاً دائماً ﴿**ثمَّ جعلنا الشمس**

عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا وَنُسْقِيَهُ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾

عليه دليلاً﴾ لأنَّ بالشَّمس يُعرف الظِّلُّ.

﴿٤٦﴾ **﴿ثم قبضناه﴾** قبضنا الظِّلَّ إلينا بارتفاع الشَّمس **﴿قبضاً يسيراً﴾** قيل: خفيًّا. وقيل: سهلاً.

﴿٤٧﴾ **﴿وهو الذي جعل لكم الليل لباساً﴾** يستركم **﴿والنوم سباتاً﴾** راحةً لأبدانكم **﴿وجعل النهار نشوراً﴾** حياة تنتشرون فيه من النَّوم. وقوله:

﴿٤٨﴾ **﴿طهوراً﴾** هو الطَّاهر المُطهِّر.

﴿٤٩﴾ **﴿لنحيي به﴾** بالماء الذي أنزلناه من السَّماء **﴿بلدة ميتاً﴾** بالجدوبة **﴿ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسيَّ كثيراً﴾** جمع إنسيٍّ، وهم الذين سقيناهم المطر.

﴿٥٠﴾ **﴿ولقد صرفناه﴾** أَيْ: المطر **﴿بينهم﴾** بأنواعه وابلاً، وطشًّا، ورِهَاماً[1]، ورذاذاً **﴿ليذكروا﴾** ليتذكَّروا به نعمة الله تعالىٰ **﴿فأبىٰ أكثر الناس إلَّا كفوراً﴾** جُحوداً حين قالوا: سُقينا بِنَوء كذا.

﴿٥١﴾ **﴿ولو شِئنا لبعثنا في كلِّ قرية نذيراً﴾** لنخفِّف عليك أعباء النبوَّة، ولكن لم نفعل ذلك ليعظم أجرك.

﴿٥٢﴾ **﴿فلا تطع الكافرين﴾** في هواهم ولا تداهنهم **﴿وجاهدهم به﴾** وجاهد بالقرآن **﴿جهاداً كبيراً﴾** لا يُخالطه فتورٌ.

---

(١) الطشُّ: المطر الضعيف، وهو فوق الرُّذاذ، والرُّهام: المطر الضعيف الدائم.

۞ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٥٦﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ﴿٦٠﴾

﴿٥٣﴾ ﴿**وهو الذي مرج البحرين**﴾ خلطهما ﴿**هذا عذب فرات**﴾ شديد العذوبة ﴿**وهذا ملحٌ أجاج**﴾ شديد الملوحة ﴿**وجعل بينهما**﴾ بين العذب والمالح ﴿**برزخاً**﴾ حاجزاً من قدرته حتىٰ لا يختلط أحدهما بالآخر ﴿**وحجراً محجوراً**﴾ حراماً محرَّماً أن يغلب أحدهما صاحبه.

﴿٥٤﴾ ﴿**وهو الذي خلق من الماء**﴾ النُّطفة ﴿**بشراً**﴾ آدمياً ﴿**فجعله نسباً**﴾ لا يحلُّ تزوُّجه ﴿**وصهراً**﴾ يحلُّ تزوُّجه، كابنة العمِّ والخال، وابنهما ﴿**وكان ربك قديراً**﴾ قادراً على ما يشاء. وقوله:

﴿٥٥﴾ ﴿**وكان الكافر على ربه ظهيراً**﴾ معيناً للشَّيطان على معصية الله سبحانه.

﴿٥٧﴾ ﴿**قل ما أسألكم عليه**﴾ على تبليغ الرِّسالة والوحي ﴿**من أجرْ**﴾ فيقولون: إنَّه يطلب أموالنا ﴿**إلاَّ من شاء**﴾ لكن مَنْ شاء ﴿**أن يتخذ إلى ربه سبيلاً**﴾ بإنفاق ماله، وقوله:

﴿٥٩﴾ ﴿**فاسأل به خبيراً**﴾ فاسأل أيُّها الإنسان الذي لا تعلم صفته خبيراً يخبرك بصفاته.

﴿٦٠﴾ ﴿**وإذا قيل لهم**﴾ لهؤلاء المشركين: ﴿**اسجدوا للرحمن**﴾ وهو اسم الله سبحانه، كانوا لا يعرفونه لذلك قالوا: ﴿**وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا**﴾ أنت يا محمد ﴿**وزادهم**﴾ قول القائل لهم: اسجدوا للرَّحمن ﴿**نفوراً**﴾ عن الإيمان.

تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾

﴿٦١﴾ ﴿تبارك الذي جعل في السماء بروجاً﴾ أيْ: منازل الكواكب السَّبعة ﴿وجعل فيها سراجاً﴾ وهو الشَّمس.

﴿٦٢﴾ ﴿وهو الذي جعل الليل والنهار خِلْفَةً﴾ إذا ذهب هذا أتىٰ هذا، فأحدهما يخلف الآخر، فمَنْ فاته عملٌ بالليل فله مُسْتَدْرَكٌ بالنَّهار، وهو قوله: ﴿لمن أراد أن يذكَّر﴾ يذكر الله بصلاةٍ وتسبيحٍ وقراءةٍ ﴿أو أراد شكوراً﴾ شكراً لنعمته وطاعته.

﴿٦٣﴾ ﴿وعباد الرحمن﴾ يعني: خواصَّ عباده ﴿الذين يمشون على الأرض هوناً﴾ بالسَّكينة والوقار ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون﴾ بما يكرهونه ﴿قالوا سلاماً﴾ سداداً من القول يسلمون فيه من الإثم، وقوله:

﴿٦٥﴾ ﴿غراماً﴾ أيْ: شرّاً لازماً.

﴿٦٧﴾ ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾ لم يكن إنفاقهم في معصية الله تعالىٰ ﴿ولم يقتروا﴾ لم يمنعوا حقَّ الله سبحانه ﴿وكان﴾ إنفاقهم بين الإسراف والإقتار ﴿قواماً﴾ قائماً، قوله:

﴿٦٨﴾ ﴿يلق أثاماً﴾ أيْ: عقوبةً. وقيل: جزاء الآثام. وقوله:

إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾

---

(٧٠) **﴿يبدّل الله سيئاتهم حسنات﴾** يُبدِّلهم الله بقبائح أعمالهم في الشِّرك محاسن الأعمال في الإسلام، بالشِّرك إيماناً، وبالزِّنا عفَّة وإحصاناً، وبقتل المؤمنين قتل المشركين.

(٧١) **﴿ومن تاب﴾** أَيْ: عزم على التَّوبة **﴿فإنه يتوب إلى الله متاباً﴾** فينبغي أن يبادر إليها ويتوجَّه بها إلىٰ الله.

(٧٢) **﴿والذين لا يشهدون الزور﴾** لا يشهدون بالكذب **﴿وإذا مرُّوا باللغو مروا كراماً﴾** سمعوا من الكفار الشَّتم والأذىٰ صفحوا وأعرضوا، وهو منسوخ[١] بالقتال على هذا التَّفسير.

(٧٣) **﴿والذين إذا ذكروا﴾** وُعظوا **﴿بآيات ربهم﴾** بالقرآن **﴿لم يخروا عليها صماً وعمياناً﴾** لم يتغافلوا عنها كأنَّهم صمٌّ لم يسمعوها، وعميٌ لم يروها.

(٧٤) **﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين﴾** بأَنْ نراهم مطيعين لك صالحين **﴿واجعلنا للمتقين إماماً﴾** أَيْ: اجعلنا ممَّن يهتدي به المُتَّقون، ويهتدي بالمتَّقين.

---

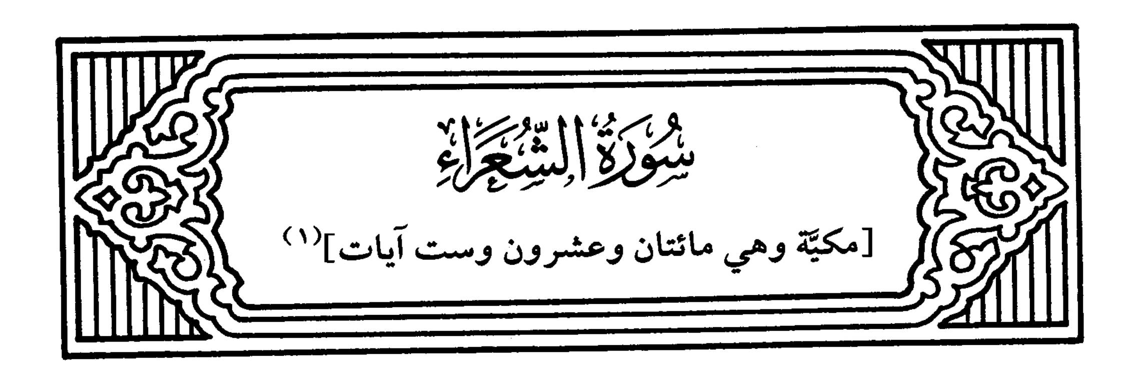
(١) أخرج ابن جرير ١٩/ ٥٠ عن السدي قال في: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ قال: هي مكية، وإنَّما عنىٰ السُّدِّي بقوله هذا ـ إن شاء الله ـ أنَّ الله نسخ ذلك بأمره المؤمنين بقتال المشركين، بقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾.

أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٧٦﴾ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴿٧٧﴾

﴿٧٥﴾ ﴿**أولئك يجزون**﴾ يثابون ﴿**الغرفة**﴾ الدرجة في الجنة ﴿**بما صبروا**﴾ على طاعة الله سبحانه ﴿**ويلقون**﴾ ويُستقبلون ﴿**فيها**﴾ في الغرفة بالتَّحيَّة والسَّلام.

﴿٧٧﴾ ﴿**قل ما يعبأ بكم**﴾ أَيْ: ما يفعل ويصنع، وأيُّ وزنٍ لكم عنده ﴿**لولا دعاؤكم**﴾ توحيدكم وعبادتكم إياه ﴿**فقد كذبتم**﴾ يا أهل مكَّة، فخرجتم عن أن يكون لكم عنده مقدار ﴿**فسوف يكون**﴾ العذاب لازماً لكم.

• • •



بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ﴿٢﴾ لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٣﴾ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةٗ فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴿٤﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ مُحۡدَثٍ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهُ مُعۡرِضِينَ ﴿٥﴾ فَقَدۡ كَذَّبُواْ فَسَيَأۡتِيهِمۡ أَنۢبَٰٓؤُاْ مَا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿طسم﴾ أقسم الله بطَوله وسنائه وملكه.

﴿٢﴾ ﴿تلك﴾ هذه ﴿آيات الكتاب المبين﴾ يعني: القرآن.

﴿٣﴾ ﴿لعلَّك باخعٌ نفسك﴾ قاتلٌ نفسك ﴿ألا يكونوا مؤمنين﴾ لتركهم الإيمان، وذلك أنَّه لما كذَّبه أهل مكَّة شقَّ عليه ذلك، فأعلمه الله سبحانه أنَّه لو شاء لاضطرهم إلىٰ الإيمان، فقال:

﴿٤﴾ ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين﴾ يذلُّون بها، فلا يلوي أحدٌ منهم عنقه إلى معصية الله تعالىٰ.

﴿٥﴾ ﴿وما يأتيهم من ذكرٍ﴾ من وعظٍ ﴿من الرحمن محدث﴾ في الوحي والتَّنزيل.

﴿٦﴾ ﴿فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾ فسيعلمون نبأ ذلك، وهو وعيدٌ لهم. وقوله:

---

(١) زيادة من ظا.

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنْبٌ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾

﴿٧﴾ ﴿كم أنبتنا فيها من كلِّ زوج كريم﴾ من كلِّ نوع محمودٍ ممَّا يحتاج إليه النَّاس.

﴿٨﴾ ﴿إنَّ في ذلك لآية﴾ لدلالةً على توحيد الله سبحانه وقدرته ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ لما سبق في علمي وقضائي فيهم.

﴿١٠﴾ ﴿و﴾ اذكر يا محمَّدُ ﴿إذ نادىٰ ربك موسىٰ﴾ ليلة رأىٰ الشَّجرة والنَّار ﴿أن ائت القوم الظالمين﴾ لأنفسهم بالكفر.

﴿١١﴾ ﴿قوم فرعون ألا يتقون﴾ ألا يخافون الله سبحانه فيؤمنوا به.

﴿١٣﴾ ﴿ويضيق صدري﴾ من تكذيبهم إيَّاي ﴿ولا ينطلق لساني﴾ بأداء الرِّسالة للعقدة التي في فيه ﴿فأرسل إلى هارون﴾ ليظاهرني على التَّبليغ.

﴿١٤﴾ ﴿ولهم عليَّ ذنب﴾ بقتل القبطيِّ.

﴿١٥﴾ ﴿قال كلا﴾ لا يقتلونك ﴿إنَّا معكم﴾ بالنُّصرة ﴿مستمعون﴾ نسمع ما تقول ويقال لك.

﴿١٦﴾ ﴿فأتيا فرعون فقولا إنا رسول﴾ ذوا رسالة ﴿ربِّ العالمين﴾.

﴿١٧﴾ ﴿أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ مفسَّرٌ في سورة طه[1]، فلمَّا أتاه بالرِّسالة عرفه فرعون، فقال:

---

(١) انظر ص ٦٩٦

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾

﴿١٨﴾ ﴿**ألم نُربِّك فينا وليداً**﴾ صبيّاً ﴿**ولبثت فينا من عمرك سنين**﴾ ثلاثين سنةً.

﴿١٩﴾ ﴿**وفعلت فعلتك التي فعلت**﴾ يعني: قتل القبطيِّ ﴿**وأنت من الكافرين**﴾ الجاحدين لنعمتي عليك.

﴿٢٠﴾ ﴿**قال**﴾ موسىٰ: ﴿**فعلتها إذاً وأنا من الضالين**﴾ الجاهلين، لم يأتني من الله شيءٌ.

﴿٢٢﴾ ﴿**وتلك نعمة تمنُّها عليَّ**﴾ أقرَّ بإنعامه عليه، فقال: هي نعمةٌ إذ ربَّيتني ولم تستعبدني كاستعبادك بني إسرائيل. و ﴿**عبَّدت**﴾ معناه: اتَّخذت عبيداً.

﴿٢٣﴾ ﴿**قال فرعون وما ربُّ العالمين**﴾ أيُّ شيءٍ ربُّ العالمين الذي تزعم أنَّك رسوله؟

﴿٢٤﴾ ﴿**قال ربُّ السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين**﴾ أنَّه خالقهما.

﴿٢٥﴾ ﴿**قال**﴾ فرعون ﴿**لمن حوله**﴾ من أشراف قومه مُعجِّباً لهم: ﴿**ألا تستمعون**﴾ إلى ما يقوله: موسىٰ؟! فقال موسىٰ:

﴿٢٦﴾ ﴿**ربكم وربُّ آبائكم الأولين**﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿**قال**﴾ فرعون: ﴿**إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون**﴾ يتكلَّم بكلام لا تعرف صحَّته.

﴿٢٨﴾ ﴿**قال**﴾ موسىٰ: ﴿**ربُّ المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون**﴾ فقال فرعون حين لزمته الحجَّة:

قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَىْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ قَالُوٓا۟ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴿٣٧﴾ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنتُم مُّجْتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُوا۟ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا۟ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا۟ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا۟ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُوا۟ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾

﴿٢٩﴾ ﴿لئن اتخذت إلٰهاً غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ من المحبوسين في السِّجن.

﴿٣٠﴾ ﴿قال﴾ موسىٰ: ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بشيء مبين﴾ يعني: أَوَتَفْعَلُ ذلك وإن أتيتُك على ما أقول بحجَّةٍ بيِّنةٍ؟

﴿٣١﴾ ﴿قال فأت به﴾ مفسَّر أكثره إلى قوله تعالىٰ:

﴿٥٠﴾ ﴿قالوا لا ضير﴾ لا ضرر ﴿إنا إلى ربنا منقلبون﴾ راجعون إلى ثوابٍ.

﴿٥١﴾ ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أنْ كنا﴾ لأَنْ كنَّا ﴿أول المؤمنين﴾ من هذه الأُمَّة.

﴿٥٢﴾ ﴿وأوحينا إلى موسىٰ أن أسرِ بعبادي إنكم متبعون﴾ يتَّبعكم فرعون وقومه.

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَآئِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾

﴿٥٣﴾ ﴿فأرسل فرعون في المدائن حاشرين﴾ يعني: الشُّرَط ليجمعوا له الجيش، وقال لهم:

﴿٥٤﴾ ﴿إنَّ هؤلاء﴾ يعني بني إسرائيل ﴿لشرذمة﴾ عصبةٌ ﴿قليلون﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾ مُغضبون بمخالفتهم إيَّانا.

﴿٥٦﴾ ﴿وإنا لجميع حاذرون﴾ مُستعدّون للحرب بأخذ أداتها و ﴿حذرون﴾[1] متيقِّظون.

﴿٥٧﴾ ﴿فأخرجناهم من جنات﴾ يعني: حين خرجوا من مصر ليلحقوا موسىٰ وقومه.

﴿٥٨﴾ ﴿ومقام كريم﴾ مجلسٍ حسنٍ.

﴿٥٩﴾ ﴿كذلك﴾ كما وصفنا ﴿وأورثناها﴾ بهلاكهم ﴿بني إسرائيل﴾.

﴿٦٠﴾ ﴿فأتبعوهم﴾ لحقوهم ﴿مشرقين﴾ في وقت شروق الشَّمس.

﴿٦١﴾ ﴿فلما تراءىٰ الجمعان﴾ رأىٰ كلُّ واحدٍ الآخر ﴿قال أصحاب موسىٰ إنا لمدركون﴾ أيْ: سيدركنا جمع فرعون.

﴿٦٢﴾ ﴿قال: كلا﴾ لن يدركونا ﴿إنَّ معي ربي﴾ بالنُّصرة ﴿سيهدين﴾ طريق النَّجاة.

﴿٦٣﴾ ﴿فكان كلُّ فرق﴾ قطعةٍ من الماء ﴿كالطود العظيم﴾ كالجبل.

﴿٦٤﴾ ﴿وأزلفنا ثمَّ الآخرين﴾ قرَّبنا قوم فرعون إلى الهلاك، وقدَّمناهم إلى البحر.

---

(١) قرأ «حذرون»: نافع، وابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وهشام بخلفه.

وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾

﴿٦٧﴾ ﴿وما كان أكثرهم مؤمنين﴾ لم يؤمن من أهل مصر إلَّا رجلٌ وامرأتان. وقوله:

﴿٧٧﴾ ﴿فإنَّهم عدوٌّ لي﴾ أَيْ: هذه الآلهة التي تعبدونها عدوٌّ لي، أعاديهم أنا ولا أعبدهم ﴿إلَّا ربَّ العالمين﴾ لكن ربَّ العالمين أعبده.

﴿٧٨﴾ ﴿الذي خلقني﴾ ظاهرٌ إلى قوله:

﴿٨٤﴾ ﴿لسان صدقٍ في الآخرين﴾ أَيْ: ذكراً جميلاً، وثناءً حسناً في الأمم التي تجيء بعدي.

﴿٨٥﴾ ﴿واجعلني﴾ ممَّن يرث الجنَّة بفضلك ورحمتك. وقوله:

﴿٨٩﴾ ﴿إلَّا مَنْ أتىٰ الله بقلب سليم﴾ سلم من الشِّرك.

﴿٩٠﴾ ﴿وأزلفت الجنة﴾ قرِّبت ﴿للمتقين﴾.

﴿٩١﴾ ﴿وبرزت﴾ وأُظهرت ﴿الجحيم للغاوين﴾ للكافرين.

فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾ ۞ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾

﴿٩٤﴾ ﴿فكبكبوا فيها﴾ طُرح بعضهم على بعض في الجحيم ﴿هم والغاوون﴾ يعني: الشَّياطين.

﴿٩٥﴾ ﴿وجنود إبليس﴾ أتباعه من الجنِّ والإنس.

﴿٩٦﴾ ﴿قالوا﴾ للشَّياطين والمعبودين:

﴿٩٧﴾ ﴿تالله إن كنا لفي ضلال مبين﴾.

﴿٩٨﴾ ﴿إذ نسويكم﴾ نَعْدِلُكُمْ ﴿بربِّ العالمين﴾ في العبادة.

﴿٩٩﴾ ﴿وما أضلّنا﴾ وما دعانا إلى الضَّلال ﴿إلاَّ المجرمون﴾ أوَّلونا الذين اقتدينا بهم

﴿١٠٠﴾ ﴿فما لنا من شافعين﴾.

﴿١٠١﴾ ﴿ولا صديق حميم﴾ قريبٍ يشفع.

﴿١٠٢﴾ ﴿فلو أنَّ لنا كرَّة﴾ رجعةً إلى الدُّنيا، تمنَّوا أن يرجعوا إلىٰ الدُّنيا فيؤمنوا. وقوله:

﴿١٠٣﴾ ﴿إني لكم رسول أمين﴾ على الوحي والرِّسالة؛ لأنَّكم عرفتموني قبل هذا بالأمانة. وقوله:

﴿١١١﴾ ﴿واتبعك الأرذلون﴾ يعني: السَّفلة والحاكة. وقوله:

قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾

﴿١١٦﴾ ﴿من المرجومين﴾ أَيْ: من المشتومين. وقيل: من المقتولين.

﴿١١٩﴾ و ﴿الفلك المشحون﴾ المملوء. وقوله:

﴿١٢٨﴾ ﴿أتبنون بكلّ ريع﴾ أَيْ: شَرَفٍ ومكانٍ مرتفعٍ ﴿آية﴾ علماً ﴿تعبثون﴾ تلعبون: يعني: أبنية الحمام وبروجها.

﴿١٢٩﴾ ﴿وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون﴾ أَيْ: تتخذون مباني وقصوراً للخلود، لا تُفكِّرون في الموت.

﴿١٣٠﴾ ﴿وإذا بطشتم بَطَشْتُمْ جبارين﴾ إذا ضربتم بالسَّوط، و [إذا عاقبتم][1] قتلتم فعل الجبَّارين الذين يقتلون على الغضب بغير حقٍّ. وقوله:

﴿١٣٧﴾ ﴿إن هذا﴾ ما هذا الذي تدعونا إليه ﴿إلا خَلْق الأوّلين﴾[2] كذبهم وافتراؤهم. ومَنْ قرأ ﴿خُلق الأولين﴾[3] فمعناه: عادة الأوَّلين، أَيْ: الذي نحن فيه عادة

---

(١) زيادة من عا.

(٢) قرأ «خَلْق» ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ويعقوب، وأبو جعفر. الإتحاف ص ٣٣٣.

(٣) وهم نافع، وابن عامر، وعاصم، وحمزة، وخلف. الإتحاف ص ٣٣٣.

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِهِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ هَٰذِهِ نَاقَةٌ لَّهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥٦﴾ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾

الأوَّلين يعيشون ما عاشوا، ثمَّ يموتون ولا بعثٌ ولا حسابٌ. وقوله:

﴿١٤٦﴾ ﴿أتتركون في ما ها هنا﴾ أَيْ: في الدُّنيا ﴿آمنين﴾ من الموت والعذاب. وقوله:

﴿١٤٨﴾ ﴿ونخل طلعها﴾ أَيْ: ثمرها. ﴿هضيم﴾ أَيْ: [الليِّنُ][1] نضيجٌ.

﴿١٤٩﴾ ﴿وتنحتون من الجبال بيوتاً فارهين﴾[2] حاذقين بنحتها، و ﴿فرهين﴾ أشرين بطرين، وكانوا مُعمَّرين لا يبقىٰ البناء مع عمرهم، فنحتوا في الجبال بيوتاً. وقوله:

﴿١٥٣﴾ ﴿إنما أنت من المسحرين﴾ أَيْ: من الذين سُحروا مرَّةً بعد أخرىٰ: وقيل: ممَّن له سَحر، وهو الرِّئة، أَيْ: إنَّما أنت بشرٌ مثلنا. وقوله:

﴿١٥٥﴾ ﴿لها شربٌ﴾ أَيْ: حظٌّ ونصيبٌ من الماء.

﴿١٥٦﴾ ﴿لا تمسوها بسوء﴾ بعقرٍ. وقوله:

---

(١) زيادة من عا و ظا.

(٢) قرأ «فارهين»: ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف. الإتحاف ٢/٣١٩.

فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٤﴾ أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾ قَالُوا لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَاءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾ كَذَّبَ أَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾ ۞ أَوْفُوا ٱلْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾

﴿١٦٥﴾ **﴿أتأتون الذكران من العالمين﴾** يريد: ما كان من فعل قوم لوطٍ مِنْ إتيان الرِّجال في أدبارهم.

﴿١٦٦﴾ **﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾** وتدعون أن تأتوا نسائكم **﴿بل أنتم قوم عادون﴾** ظالمون غاية الظُّلم.

﴿١٦٧﴾ **﴿قالوا: لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾** عن بلدنا.

﴿١٦٨﴾ **﴿قال: إني لعملكم﴾** يعني: اللِّواط **﴿من القالين﴾** من المُبْغِضين. وقوله:

﴿١٧١﴾ **﴿إلَّا عجوزاً﴾** يعني: امرأته **﴿في الغابرين﴾** في الباقين في العذاب.

﴿١٧٢﴾ **﴿ثمَّ دمرنا﴾** أهلكنا.

﴿١٧٦﴾ **﴿كذَّب أصحاب الأيكة﴾** وهي الغيضة، وهم قوم شعيب.

﴿١٨١﴾ **﴿أوفوا الكيل﴾** أتمُّوه **﴿ولا تكونوا من المخسرين﴾** النَّاقصين للكيل والوزن. وقوله:

وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُواْ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّيٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾

﴿١٨٤﴾ **﴿والجبلَّة الأولين﴾** أيْ: الخليقة السَّابقين.

﴿١٧٨﴾ **﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾** أيْ: قطعةً.

﴿١٨٨﴾ **﴿قال ربي أعلم بما تعملون﴾** فيجازيكم به، وما عليَّ إلاَّ الدَّعوة.

﴿١٨٩﴾ **﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾** وذلك أنَّ الحرَّ أخذهم، فلم ينفعهم ماءٌ ولا كَنٌّ، فخرجوا إلى البرِّيَّة، وأظلَّتهم سحابةٌ وجدوا لها برداً، واجتمعوا تحتها، فأمطرت عليهم ناراً فاحترقوا به[1]. وقوله:

﴿١٩٢﴾ **﴿وإنه﴾** يعني: القرآن **﴿لتنزيل رب العالمين﴾**.

﴿١٩٣﴾ **﴿نزل به الروح الأمين﴾** جبريل عليه السَّلام.

﴿١٩٤﴾ **﴿على قلبك﴾** حتىٰ وعيته.

﴿١٩٦﴾ **﴿وإنه﴾** وإنَّ ذكر محمَّدٍ ﷺ **﴿لفي زبر الأولين﴾** لفي كتب الأوَّلين.

﴿١٩٧﴾ **﴿أو لم تكن[2] لهم﴾** للمشركين **﴿آية﴾** دلالةً على صدقه **﴿أن يعلمه علماء بني إسرائيل﴾** يعلمون محمداً ﷺ بالنُّبوَّة والرِّسالة.

---

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ١٩/ ١١٠.

(٢) قرأ «تكن» ابن عامر. الإتحاف ٢/ ٣٢٠.

وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾ فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

---

(١٩٨) **﴿ولو نزلناه﴾** يعني: القرآن **﴿على بعض الأعجمين﴾** جمع الأعجم، وهو الذي لا يحسن العربيَّة.

(١٩٩) **﴿فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين﴾** أنفةً من اتِّباعه.

(٢٠٠) **﴿كذلك سلكناه﴾** أدخلنا التَّكذيب **﴿في قلوب المجرمين﴾** فذلك الذي منعهم عن الإيمان.

(١٩١) **﴿لا يؤمنون به حتىٰ يروا العذاب الأليم﴾**.

(٢٠٢) **﴿فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون﴾**.

(٢٠٣) **﴿فيقولوا هل نحن منظرون﴾** فلمَّا نزلت هذه الآيات قالوا: إلىٰ متىٰ توعدنا بالعذاب؟ فأنزل الله سبحانه:

(٢٠٤) **﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾**.

(٢٠٥) **﴿أفرأيت إن متعناهم﴾** بالدُّنيا وأبقيناهم فيها **﴿سنين﴾**.

(٢٠٦) **﴿ثمَّ جاءهم﴾** العذاب لم ينفعهم إمتاعهم بالدُّنيا فيما قبل.

(٢٠٨) **﴿وما أهلكنا من قرية إلَّا لها منذرون﴾** رسلٌ ينذرونهم.

(٢٠٩) **﴿ذكرىٰ﴾** إنذاراً للموعظة **﴿وما كنا ظالمين﴾** في إهلاكهم بعد قيام الحُجَّة عليهم.

(٢١٠) **﴿وما تَنَزَّلَتْ به﴾** بالقرآن **﴿الشياطين﴾**.

(٢١١) **﴿وما ينبغي لهم﴾** ذلك **﴿وما يستطيعون﴾** ذلك.

(٢١٢) **﴿إنَّهم﴾** عن استراق السَّمع من السَّماء. **﴿لمعزولون﴾** بالشُّهب.

فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِى كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

﴿٢١٤﴾ **﴿وأنذر﴾** خوِّف **﴿عشيرتك الأقربين﴾** أدنىٰ أهلك وأقاربك.

﴿٢١٥﴾ **﴿واخفض جناحك﴾** ليِّن جانبك. وقوله تعالى:

﴿٢١٨﴾ **﴿الذي يراك حين تقوم﴾** أيْ: إلىٰ صلاتك.

﴿٢١٩﴾ **﴿وتقلبك﴾** تصرُّفك في أركان الصَّلاة قائماً وقاعداً، وراكعاً، وساجداً **﴿في الساجدين﴾** في المُصلِّين.

﴿٢٢١﴾ **﴿هل أنبئكم﴾** أخبركم **﴿علىٰ مَنْ تنزل الشياطين﴾**.

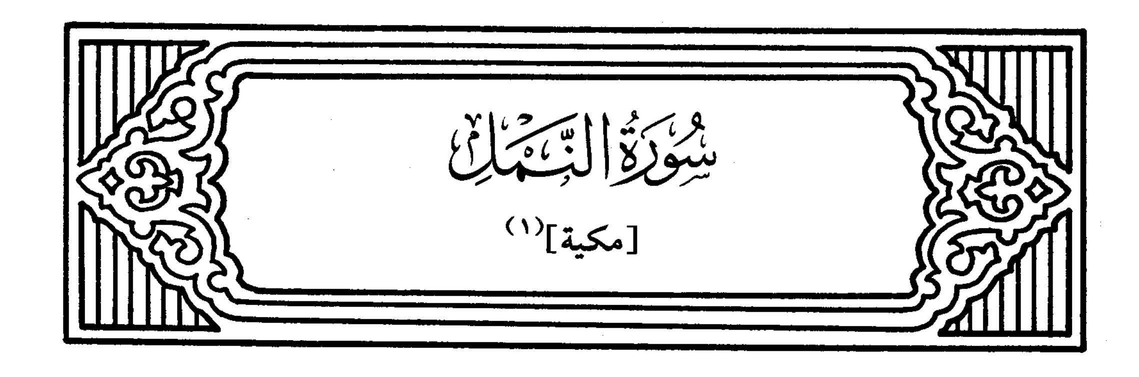
﴿٢٢٢﴾ **﴿تنزَّل على كلِّ أفاك﴾** كذَّاب **﴿أثيم﴾** فاجرٍ، مثل مسيلمة وغيره من الكهنة.

﴿٢٢٣﴾ **﴿يلقون﴾** إليهم ما سمعوا ويخلطون بذلك كذباً كثيراً، وهذا كان قبل أن حجبوا عن السَّماء.

﴿٢٢٤﴾ **﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾** يعني: شعراء الكفَّار، كانوا يهجون رسول الله ﷺ، فيتَّبعهم الكفَّار.

﴿٢٢٥﴾ **﴿ألم ترَ أنهم في كلِّ وادٍ يهيمون﴾** في كلِّ لغوٍ يخوضون، يمدحون بباطلٍ، ويشتمون بباطلٍ، ثمَّ استثنىٰ شعراء المؤمنين فقال:

﴿٢٢٧﴾ **﴿إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا﴾** ردُّوا علىٰ مَنْ هجا رسول الله ﷺ والمسلمين **﴿وسيعلم الذين ظلموا أيَّ منقلب ينقلبون﴾** أيَّ مرجعٍ يرجعون إليه بعد مماتهم.



سورة النمل

[مكية][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿طس تلك آيات القرآن﴾ هذه الآيات التي وُعدتم بها، وذلك أنَّهم وُعدوا بالقرآن في كتبهم ﴿وكتاب﴾ أَيْ: وآياتِ كتابٍ ﴿مبين﴾.

(٢) ﴿هدىً﴾ أَيْ: هو هدىً ﴿وبشرىٰ للمؤمنين﴾.

(٣) ﴿إنَّ الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم﴾ جعلنا جزاءهم على كفرهم أن زيَّنا لهم أعمالهم القبيحة حتىٰ رأوها حسنةً ﴿فهم يعمهون﴾ يتحيَّرون.

(٤) ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾ في الدُّنيا القتل ببدرٍ، ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ بحرمان النَّجاة، والمنع من الجنان.

(٥) ﴿وإنك لتلقىٰ القرآن...﴾ الآية. أَيْ: يلقىٰ إليك القرآن وحياً من الله سبحانه.

---

(١) زيادة من ظ.

﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِي تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾

---

(٧) ﴿إذ قال موسىٰ﴾ اذكر يا محمَّد قصَّة موسىٰ حين قال ﴿لأهله﴾ في مسيره من مدين إلى مصر، وقد ضلَّ الطَّريق، وأصلد[١] زنده: ﴿إني آنست ناراً﴾ أبصرتها من بعيد ﴿سآتيكم منها بخبر﴾ عن الطَّريق أين هو ﴿أو آتيكم بشهاب قبسٍ﴾ شعلة نار أقتبسها لكم ﴿لعلكم تصطلون﴾ تستدفئون من البرد.

(٨) ﴿فلمَّا جاءها نودي أن بورك مَنْ في النار﴾ أَيْ: مَنْ في طلب النَّار وقصدها، والمعنىٰ: بورك فيك يا موسىٰ. يقال: بورك فلانٌ، وبورك له، وبورك فيه ﴿ومَنْ حولها﴾ وفيمن حولها من الملائكة، وهذا تحيَّةٌ من الله سبحانه لموسىٰ وتكرمةٌ له ﴿وسبحان الله ربِّ العالمين﴾ تنزيهاً لله من السُّوء. وقوله:

(١٠) ﴿تهتزُّ﴾ أَيْ: تتحرَّك ﴿كأنَّها جانّ﴾ حيَّةٌ خفيفةٌ ﴿ولىٰ مدبراً ولم يعقب﴾ ولم يرجع ولم يلتفت قلنا: ﴿يا موسىٰ لا تخف﴾.

(١١) ﴿إلاَّ مَنْ ظلم﴾ لكن مَنْ ظلم نفسه ﴿ثمَّ بدَّل حسناً بعد سوء﴾ أَيْ: تاب ﴿فإني غفورٌ رحيم﴾. وقوله:

(١٢) ﴿في تسع آيات﴾ أَيْ: من تسع آيات أنت مرسلٌ بها. ﴿إلىٰ فرعون وقومه﴾. وقوله:

(١٣) ﴿مبصرة﴾ أَيْ: مضيئةً واضحةً.

---

(١) أي: لم يُورِ.

وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِىَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾

﴿١٤﴾ ﴿**وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم...**﴾ الآية. معناها: وجحدوا بها ظلماً وترفُّعاً عن أن يؤمنوا بما جاء به موسىٰ وهم يعلمون أنَّها من عند الله عزَّ وجلَّ.

﴿١٦﴾ ﴿**وورث سليمان داود**﴾ نبوَّته وعلمه دون سائر أولاده ﴿**وقال: يا أيُّها الناس علِّمنا منطق الطير**﴾ فهمنا ما يقوله الطَّير.

﴿١٧﴾ ﴿**وحشر**﴾ وجُمع ﴿**لسليمان جنوده**﴾ في مسيرٍ له ﴿**فهم يوزعون**﴾ يُحبس أوَّلهم على آخرهم حتىٰ يجتمعوا.

﴿١٨﴾ ﴿**حتىٰ إذا أتوا على وادي النمل**﴾ كان هذا الوادي بالشَّام، وكانت نمله كأمثال الذُّباب ﴿**لا يحطمنَّكم سليمان وجنوده**﴾ لا يكسرنَّكم بأن يطؤوكم.

﴿١٩﴾ ﴿**فتبسَّم**﴾ سليمان عليه السلام لمَّا سمع قولها، وتذكَّر ما أنعم الله به عليه فقال: ﴿**ربِّ أوزعني**﴾ ألهمني ﴿**أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلىٰ والديَّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين**﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿**وتفقد الطير**﴾ طلبها وبحث عنها ﴿**فقال: ما لي لا أرىٰ الهدهد أم كان**﴾ بل أكان ﴿**من الغائبين**﴾ لذلك لم يره.

لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾

﴿٢١﴾ **﴿لأعذبنه عذاباً شديداً﴾** لأنتفنَّ ريشه وألقينَّه في الشَّمس **﴿أو ليأتيني بسلطان مبين﴾** حجَّةٍ واضحةٍ في غيبته.

﴿٢٢﴾ **﴿فمكث غير بعيدٍ﴾** لم يطل الوقت حتىٰ جاء الهدهد، وقال لسليمان: **﴿أحطتُ بما لم تحط به﴾** علمتُ ما لم تعلمه **﴿وجئتك من سبأ﴾** وهي مدينةٌ باليمن **﴿بنبأ يقين﴾** بخبرٍ لا شكَّ فيه. وقوله:

﴿٢٣﴾ **﴿وأوتيت من كلِّ شيء﴾** أَيْ: ممَّا يُعطىٰ الملوك **﴿ولها عرش﴾** سريرٌ **﴿عظيم﴾**. وقوله:

﴿٢٥﴾ **﴿ألا يسجدوا﴾** أَيْ: لأنْ لا يسجدوا لله **﴿الذي يخرج الخبء في السموات والأرض﴾** القطر من السَّماء، والنَّبات من الأرض. وقوله:

﴿٢٨﴾ **﴿ثمَّ تولَّ عنهم﴾** أَيْ: استأخر غير بعيدٍ **﴿فانظر ماذا يرجعون﴾** ما يردُّون من الجواب، فمضىٰ الهدهد، وألقىٰ إليها الكتاب، فـ

﴿٢٩﴾ **﴿قالت يا أيها الملأ إني ألقي إليَّ كتاب كريم﴾** حسنٌ ما فيه، ثمَّ بيَّنت ما فيه فقالت:

﴿٣٠﴾ **﴿إنَّه من سليمان وإنَّه بسم الله الرحمن الرحيم﴾**.

أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم ۚ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾

﴿٣١﴾ ﴿**ألا تعلو عليَّ**﴾ أَيْ: لا تترفَّعوا عليَّ وإن كنتم ملوكاً ﴿**وأتوني مسلمين**﴾ طائعين مُنقادين.

﴿٣٢﴾ ﴿**قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري**﴾ بيِّنوا لي ما أعمل ﴿**ما كنت قاطعة**﴾ قاضيةً وفاصلةً ﴿**أمراً حتىٰ تشهدون**﴾ حتىٰ تحضرون، أَيْ: لا أقطع أمراً دونكم.

﴿٣٣﴾ ﴿**قالوا**﴾ مُجيبين لها: ﴿**نحن أولو قوَّة**﴾ في القتال ﴿**وأولو بأس شديد**﴾ عند الحرب ﴿**والأمر إليك**﴾ أيَّتها الملكة ﴿**فانظري ماذا تأمرين**﴾ نُطِعْك.

﴿٣٤﴾ ﴿**قالت: إنَّ الملوك إذا دخلوا قرية**﴾ عنوةً وغلبةً ﴿**أفسدوها**﴾ خرَّبوها ﴿**وجعلوا أعزَّة أهلها أذلة**﴾ أهانوا أشرافها بها؛ ليستقيم لهم الأمر، أشارت إلىٰ أنَّها لو جاءت سليمان محاربةً احتاجت إلى التَّخريب والإفساد، وصدَّقها الله سبحانه في قولها فقال: ﴿**وكذلك يفعلون**﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿**وإني مرسلة إليهم بهدية**﴾ أُصانعه بها، وأختبره أملكٌ هو أم نبيٌّ؟ فإن كان ملكاً قبلها، وإن كان نبياً لم يقبلها ﴿**فناظرة بِمَ**﴾ بأيِّ شيءٍ ﴿**يرجع المرسلون**﴾ من عنده.

﴿٣٦﴾ ﴿**فلما جاء**﴾ البريد أو الرَّسول ﴿**سليمان قال أتمدونني بمالٍ فما آتاني الله**﴾ من الدِّين والنُّبوَّة والحكمة ﴿**خيرٌ مما آتاكم**﴾ من الدُّنيا ﴿**بل أنتم بهديتكم تفرحون**﴾ لأنَّهم أهل مكاثرة بالدُّنيا، ثمَّ قال للرَّسول:

﴿٣٧﴾ ﴿**ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم**﴾ لا طاقة لهم ﴿**بها ولنخرجنَّهم منها**﴾ من أرضهم ﴿**أذلة**﴾، فجاءها الرَّسول وأخبرها بما رأىٰ وشاهد، فتجهَّزت للمسير إلى سليمان، فلمَّا علم سليمان عليه السَّلام بمسيرها إليه.

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾

﴿٣٨﴾ **﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها﴾** سريرها **﴿قبل أن يأتوني مسلمين﴾** لأنَّه حينئذٍ لا يحلُّ أخذ ما في أيديهم.

﴿٣٩﴾ **﴿قال عفريت من الجن﴾** وهو المارد القويُّ: **﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾** من مجلسك الذي جلستَ فيه للحكم **﴿وإني عليه﴾** علىٰ حمله **﴿لقويٌّ أمين﴾** على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان عليه السَّلام: أريد أسرع من هذا، فـ

﴿٤٠﴾ **﴿قال الذي عنده علم من الكتاب﴾** وهو آصف بن برخيا، وكان قد قرأ كتب الله سبحانه **﴿أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك﴾** قبل أن يرجع إليك الشَّخص من منتهىٰ طرفك **﴿فلما رآه﴾** رأىٰ سليمان عليه السَّلام العرش **﴿مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر﴾** نعمته **﴿أم أكفر﴾** ها **﴿ومَنْ شكر فإنما يشكر لنفسه﴾** لأنَّ نفع ذلك يعود إليه، حيث يستوجب المزيد **﴿ومَنْ كفر فإنَّ ربي غنيٌّ﴾** عن شكره **﴿كريم﴾** بالإفضال علىٰ مَنْ يكفر النِّعمة.

﴿٤١﴾ **﴿قال نكروا﴾** غيِّروا لها **﴿عرشها﴾** بتغيير صورته **﴿ننظر أتهتدي﴾** أتعلم أنَّه عرشها فتعرفه.

﴿٤٢﴾ **﴿فلما جاءت قيل: أهكذا عرشك قالت كأنَّه هو﴾** شبَّهته به؛ لأنَّه كان مُغيَّراً، وأراد سليمان أن يختبر عقلها؛ لأنَّه قيل له: إنَّ في عقلها شيئاً، ثمَّ قالت: **﴿وأوتينا العلم﴾** بصحَّة نبوَّة سليمان **﴿من قبلها﴾** من قبل هذه الآية التي رأيتُها في إحضار العرش **﴿وكنا مسلمين﴾** منقادين له قبل مجيئنا.

وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾

﴿٤٣﴾ **﴿وصدَّها﴾** ومنعها [عن] الإيمان **﴿ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين﴾** فنشأت فيهم، ولم تعرف إلاَّ قوماً يعبدون الشَّمس.

﴿٤٤﴾ **﴿قيل لها ادخلي الصرح﴾** وذلك أنَّه قيل لسليمان عليه السَّلام: إنَّ قدميها كحافر الحمار[1]، فأراد سليمان أن يرىٰ قدميها، فاتَّخذ له ساحةً من زجاجٍ تحته الماء والسَّمك، وجلس سليمان في صدر الصَّرح، وقيل لها: ادخلي الصَّرح **﴿فلما رأته حسبته لجة﴾** ماءً، وهي معظمه **﴿وكشفت عن ساقيها﴾** لدخول الماء، فرأىٰ سليمان قدمها وإذا هي أحسن النَّاس ساقاً وقدماً، و **﴿قال﴾** لها: **﴿إنَّه صرح ممرَّد﴾** أملس **﴿من قوارير﴾**، ثمَّ إنَّ سليمان عليه السَّلام دعاها إلىٰ الإسلام فأجابت و **﴿قالت: رب إني ظلمت نفسي﴾** بالكفر **﴿وأسلمت مع سليمان لله ربِّ العالمين﴾**. وقوله:

﴿٤٥﴾ **﴿فإذا هم فريقان﴾** فإذا قوم صالحٍ فريقان مؤمنٌ وكافرٌ **﴿يختصمون﴾** يقول كلُّ فريقٍ: الحقُّ معي، وطلبت الفرقة الكافرة على تصديق صالح عليه السَّلام العذاب، فقال:

﴿٤٦﴾ **﴿يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة﴾** أي: لمَ قلتم: إنْ كان ما أتيت به حقاً فأتنا بالعذاب **﴿لولا﴾** هلاَّ **﴿تستغفرون الله﴾** بالتَّوبة من الكفر **﴿لعلكم ترحمون﴾** لكي ترحموا.

---

(١) وهذا قول محمد بن كعب القرظي، ومجاهد. ابن جرير ١٩/ ١٦٩.

قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَـٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾ وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَـٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾

﴿٤٧﴾ **﴿قالوا اطيرنا بك﴾** تشاءمنا بك **﴿وبمن معك﴾** وذلك أنَّهم قُحطوا بتكذيبهم، فقالوا: أصابنا القحط بشؤمك وشؤم أصحابك، فقال صالح عليه السَّلام: **﴿طائركم عند الله﴾** أَيْ: ما أصابكم من خيرٍ وشرٍّ فمن الله **﴿بل أنتم قوم تفتنون﴾** تختبرون بالخير والشرِّ.

﴿٤٨﴾ **﴿وكان في المدينة﴾** مدينة ثمود **﴿تسعة رهط﴾** كانو عتاةَ قومِ صالحٍ.

﴿٤٩﴾ **﴿قالوا: تقاسموا﴾** احلفوا **﴿بالله لنبيتنَّه وأهله﴾** لنأتينَّ صالحاً ليلاً، ولنقتلنَّه وأهله **﴿ثم لنقولنَّ﴾** لوليِّ دمه: **﴿ما شهدنا مهلك أهله﴾** ما حضرنا إهلاكهم **﴿وإنا لصادقون﴾** في قولنا.

﴿٥٠﴾ **﴿ومكروا مكراً﴾** لتبييت صالحٍ **﴿ومكرنا مكراً﴾** جازيناهم على ذلك. وقوله:

﴿٥١﴾ **﴿أنَّا دمرناهم﴾** وذلك أنَّهم لمَّا خرجوا ليلاً لإِهلاك صالحٍ دَمَغتهم الملائكة بالحجارة من حيث لا يرونهم فقتلوهم، وقوله: **﴿وقومهم أجمعين﴾** إهلاك قوم ثمود بالصَّيحة.

﴿٥٢﴾ **﴿فتلك بيوتهم﴾** مساكنهم **﴿خاوية﴾** ساقطةً خاليةً **﴿بما ظلموا﴾** بكفرهم بالله سبحانه، وقوله:

﴿٥٤﴾ **﴿أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون﴾** تعلمون أنَّها فاحشة، فهو أعظم لذنوبكم. وقوله:

أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ ۞ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًاۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ

الجزء العشرون:

﴿٥٦﴾ **﴿إنَّهم أناس يتطهرون﴾** يتنزَّهون عن أدبار الرِّجال، يقولونه استهزاءً. وقوله:

﴿٥٧﴾ **﴿قدرناها من الغابرين﴾** أَيْ: قضينا عليها أنَّها من الباقين في العذاب.

﴿٥٨﴾ **﴿وأمطرنا عليهم﴾** على شُذَّاذهم ومَنْ كان منهم في الأسفار **﴿مطراً﴾** وهو الحجارة.

﴿٥٩﴾ **﴿قل﴾** لهم يا محمد: **﴿الحمد لله﴾** أَيْ: على إهلاك الكفَّار من الأمم الخالية **﴿وسلامٌ علىٰ عباده الذين اصطفىٰ﴾** اصطفاهم لرسالته **﴿آلله خير أم ما يشركون﴾** به من الأصنام. وقوله:

﴿٦٠﴾ **﴿حدائق ذات بهجة﴾** أَيْ: بساتين ذات حسنٍ **﴿ما كان لكم أن تنبتوا شجرها﴾** أَيْ: ما قدرتم عليه **﴿بل هم قومٌ يعدلون﴾** يشركون.

﴿٦١﴾ **﴿أم من جعل الأرض قراراً﴾** لا تتحرَّك **﴿وجعل خلالها أنهاراً﴾** وسطها أنهاراً جاريةً **﴿وجعل لها رواسي﴾** جبالاً ثوابت **﴿وجعل بين البحرين﴾** العذب والمالح **﴿حاجزاً﴾** مانعاً من قدرته حتىٰ لا يختلطا.

﴿٦٢﴾ **﴿أم من يجيب المضطر﴾** المجهود ذا الضرورة **﴿ويكشف السوء﴾** الضُّرَّ

وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا وَءَابَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾

﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ سكَّانها بإهلاك مَنْ قبلكم.

﴿٦٤﴾ **﴿ومن يرزقكم من السماء﴾** المطر **﴿و﴾** من **﴿الأرض﴾** النَّبات. وقوله:

﴿٦٦﴾ **﴿بل أدرك علمهم في الآخرة﴾**(١) أَيْ: لحقهم علمهم بأنَّ السَّاعة والبعث حقٌّ في الآخرة حين لا ينفعهم ذلك، ومَنْ قرأ: **﴿ادَّارك﴾** فمعناه: تدارك، أَيْ: تكامل علمهم يوم القيامة؛ لأنَّهم يبعثون ويشاهدون ما وعدوا. **﴿بل هم في شك منها﴾** في الدُّنيا **﴿بل هم منها﴾** من علمها **﴿عمون﴾** جاهلون. وقوله:

﴿٧٠﴾ **﴿ولا تحزن عليهم﴾** أَيْ: على تكذيبهم وإعراضهم عنك **﴿ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾** ولا تضيِّق قلبك بمكرهم.

﴿٧١﴾ **﴿ويقولون متىٰ هذا الوعد﴾** أَيْ: وعد العذاب **﴿إن كنتم صادقين﴾** أنَّ العذاب نازلٌ بالمكذِّب.

﴿٧٢﴾ **﴿قل عسىٰ أن يكون ردف لكم﴾** أي: ردفكم، والمعنىٰ: تبعكم ودنا منكم **﴿بعض الذي تستعجلون﴾** من العذاب، وكان ذلك يوم بدرٍ.

---

(١) قرأ «أَدْرَكَ» ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأ الباقون «ادَّارَكَ». الإتحاف ص ٣٣٩.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٨﴾ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ

﴿٧٥﴾ ﴿**وما من غائبة**﴾ أَيْ: جملةٍ غائبةٍ عن الخلق ﴿**إلاَّ في كتاب مبين**﴾ وهو اللَّوح المحفوظ.

﴿٧٦﴾ ﴿**إنَّ هذا القرآن يقصُّ على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون**﴾ وذلك أنَّ بني إسرائيل اختلفوا حتىٰ لعن بعضهم بعضاً، فقال الله سبحانه: إنَّ هذا القرآن ليقصُّ عليهم الهدىٰ ممَّا اختلفوا فيه لو أخذوا به.

﴿٧٨﴾ ﴿**إنَّ ربك يقضي بينهم**﴾ بين المختلفين في الدِّين ﴿**بحكمه**﴾ يوم القيامة ﴿**وهو العزيز**﴾ القويُّ فلا يردُّ له أمرٌ ﴿**العليم**﴾ بأحوالهم.

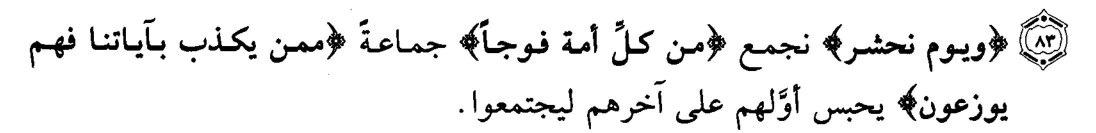
﴿٨٠﴾ ﴿**إنك لا تسمع الموتىٰ**﴾ الكفَّار ﴿**ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين**﴾ يعني: الكفَّار الذين هم بمنزلة الصُّمِّ لا يسمعون النِّداء إذا أعرضوا.

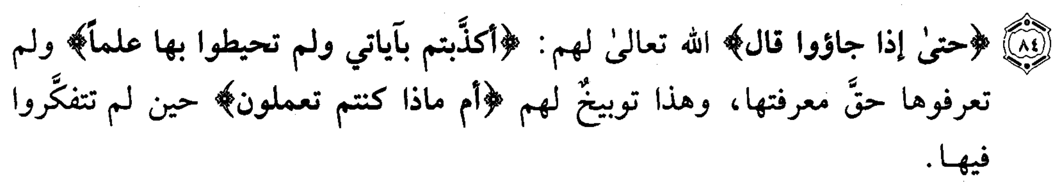
﴿٨١﴾ ﴿**وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم**﴾ يريد: إنَّه أعماهم حتىٰ لا يهتدوا، فكيف يهدي النبيُّ ﷺ عن ضلالتهم قوماً عمياً. ﴿**إن تُسمع**﴾ ما تُسمع سماع إفهام ﴿**إلاَّ مَنْ يؤمن بآياتنا**﴾ بأدلَّتنا ﴿**فهم مسلمون**﴾ في علم الله سبحانه.

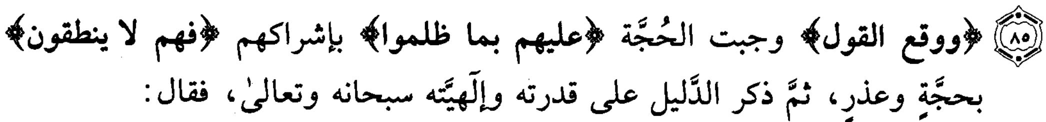
﴿٨٢﴾ ﴿**وإذا وقع القول عليهم**﴾ وجب العذاب والسُّخط عليهم، وذلك حين لا يقبل الله سبحانه من كافرٍ إيمانه، ولم يبق إلاَّ مَنْ يموت كافراً في علم الله سبحانه ﴿**أخرجنا لهم دابة من الأرض**﴾ وخروجها من أوَّل أشراط القيامة ﴿**تكلمهم**﴾ تُحدِّثهم بما

أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾

يسوءهم[١] ﴿أَنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون﴾ تخبر الدَّابَّة مَنْ رآها أنَّ أهل مكَّة كانوا بمحمد ﷺ وبالقرآن لا يوقنون، ومَنْ كسر: ﴿إِنَّ النَّاس﴾[٢] كان المعنىٰ: تقول لهم: إنَّ النَّاس.


﴿٨٣﴾ ﴿ويوم نحشر﴾ نجمع ﴿من كلِّ أمة فوجاً﴾ جماعةً ﴿ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾ يحبس أوَّلهم على آخرهم ليجتمعوا.


﴿٨٤﴾ ﴿حتىٰ إذا جاؤوا قال﴾ الله تعالىٰ لهم: ﴿أكذَّبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً﴾ ولم تعرفوها حقَّ معرفتها، وهذا توبيخٌ لهم ﴿أم ماذا كنتم تعملون﴾ حين لم تتفكَّروا فيهـا.


﴿٨٥﴾ ﴿ووقع القول﴾ وجبت الحُجَّة ﴿عليهم بما ظلموا﴾ بإشراكهم ﴿فهم لا ينطقون﴾ بحجَّةٍ وعذرٍ، ثمَّ ذكر الدَّليل على قدرته وإلٰهيَّته سبحانه وتعالىٰ، فقال:

﴿٨٦﴾ ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل ليسكنوا فيه والنهار مبصراً إنَّ في ذلك لآيات لقوم يؤمنون﴾ وقوله:

---

(١) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج الدَّابَّة ومعها خاتم سليمان، وعصا موسىٰ، فتجلو وجه المؤمن، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتىٰ إنَّ أهل الخِوان ليجتمعون علىٰ خوانهم، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر». أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣١٨٦، وحسَّنه، والطبري ١٩/ ١٥، وفيه علي بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، وأخرجه أحمد ٢/ ٢٩٥.

(٢) قرأ «إِنَّ» بكسر الهمزة نافعٌ، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر. الإتحاف ص ٤٤٠.

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيْءٍۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾

﴿٨٧﴾ **﴿إلاَّ مَنْ شاء الله﴾** يعني: الشُّهداء **﴿وكلٌّ أتوه﴾** يأتون الله سبحانه **﴿داخرين﴾** صاغرين.

﴿٨٨﴾ **﴿وترىٰ الجبال تحسبها جامدة﴾** واقفةً مُستقرَّةً **﴿وهي تمرُّ مرَّ السحاب﴾** وذلك أنَّ كلَّ شيءٍ عظيمٌ، وكلَّ جمعٍ كثيرٌ يقصر عنه الطَّرف لكثرته فهو في حسبان النَّاظر واقفٌ وهو يسير **﴿صنع الله﴾** أيْ: صنع الله ذلك صنعه **﴿الذي أتقن﴾** أحكم **﴿كلَّ شيء﴾**.

﴿٨٩﴾ **﴿من جاء بالحسنة﴾** وهي كلمة لا إلَه إلاَّ الله **﴿فله خيرٌ منها﴾** فمنها يصل إليه الخير **﴿ومَنْ جاء بالسيئة﴾** الشِّرك **﴿فكُبَّت﴾** أُلقيت وطُرحت **﴿وجوههم في النار﴾** وقيل لهم: **﴿هل تجزون إلاَّ ما كنتم﴾** بما كنتم **﴿تعملون﴾**.

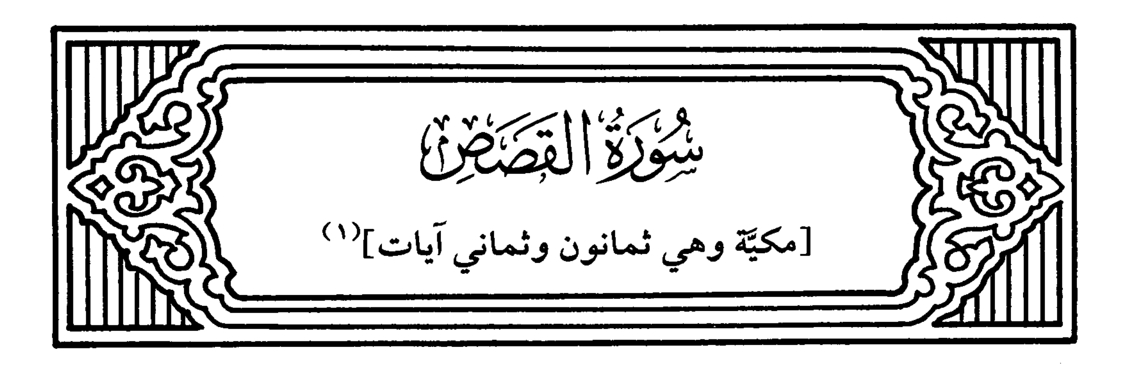
﴿٩٠﴾ قل يا محمَّد: **﴿إنما أمرت أن أعبد ربَّ هذه البلدة﴾** يعني: مكَّة **﴿الذي حرَّمها﴾** جعلها حرماً آمناً **﴿وله كلُّ شيء﴾** مِلكاً وخلقاً. وقوله:

﴿٩٢﴾ **﴿ومن ضلَّ فقل إنما أنا من المنذرين﴾** أيْ: ليس عليَّ إلاَّ البلاغ.

﴿٩٣﴾ **﴿وقل الحمد لله سيريكم آياته﴾** أيُّها المشركون. يعني: يوم بدر **﴿فتعرفونها وما ربك بغافل بما تعملون﴾**.

[اللهم يسر علينا كلَّ عسير]

● ● ●



سُورَةُ القَصَص

[مكيّة وهي ثمانون وثماني آيات](1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿طسم﴾.

(٢) ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ يعني: القرآن، وهو مبينٌ للأحكام.

(٣) ﴿نتلو﴾ نقصُّ ﴿عليك من نبأ موسىٰ﴾ خبر موسىٰ ﴿وفرعون بالحق﴾ بالصِّدق الذي لا شكَّ فيه ﴿لقوم يؤمنون﴾ يُصدِّقون أنَّ ما يأتيهم به صدقٌ.

(٤) ﴿إنَّ فرعون علا﴾ استكبر وتعظَّم ﴿في الأرض﴾ أرض مصر ﴿وجعل أهلها شيعاً﴾ فرقاً تتبع بعض تلك الفرق بعضاً في خدمته ﴿يستضعف طائفة منهم﴾ وهم بنو إسرائيل.

(٥) ﴿ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض﴾ ننعم على بني إسرائيل

---

(١) زيادة من ظا.

وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن

﴿ونجعلهم أئمّة﴾ قادةً في الخير ﴿ونجعلهم الوارثين﴾ يرثون ملك فرعون وقومه. وقوله:

﴿٦﴾ ﴿ونمكن لهم في الأرض﴾ أرض مصر والشَّام حتىٰ يغلبوا عليها من غير مُنازعٍ ﴿ونُرِيَ فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ وذلك أنَّهم كانوا قد أُخبروا أنَّ هلاكهم على يدي رجل من بني إسرائيل، فكانوا على وجلٍ منهم.

﴿٧﴾ ﴿وأوحينا إلى أم موسىٰ﴾ قيل: إنَّه وحي إلهام. وقيل: وحي إعلام.

﴿٨﴾ ﴿فالتقطه﴾ أخذه ﴿آل فرعون﴾ عن الماء ﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ أَيْ: ليصير الأمر إلى ذلك ﴿إنَّ فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ أَيْ: عاصين آثمين.

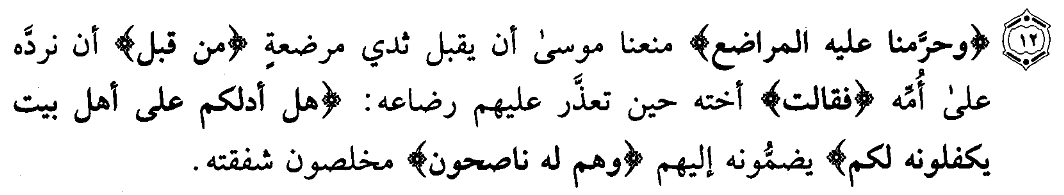
﴿٩﴾ ﴿وقالت امرأة فرعون قرة عين﴾ أَيْ: هو قرَّة عين لي ﴿ولك لا تقتلوه﴾ فإنَّه أتانا به الماء من أرضٍ أخرىٰ، وليس هو من بني إسرائيل ﴿وهم لا يشعرون﴾ بما هو كائنٌ من أمرهم وأمره.

﴿١٠﴾ ﴿وأصبح فؤاد أم موسىٰ فارغاً﴾ خالياً عن كلِّ شيء إلاَّ عن ذكر موسىٰ وهمِّه ﴿إن كادت لتبدي به﴾ بأنَّه ابنها ﴿لولا أن ربطنا على قلبها﴾ قوَّينا قلبها وألهمناها الصَّبر ﴿لتكون من المؤمنين﴾ المُصدِّقين بوعد الله سبحانه.

﴿١١﴾ ﴿وقالت لأخته﴾ لأخت موسىٰ ﴿قصيه﴾ اتَّبعي أثره، فاتَّبعته ﴿فبصرت به عن

جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾

جنب﴾ أبصرته من بعيدٍ ﴿وهم لا يشعرون﴾ أنَّها أخته.



﴿١٢﴾ ﴿وحرَّمنا عليه المراضع﴾ منعنا موسىٰ أن يقبل ثدي مرضعةٍ ﴿من قبل﴾ أن نردَّه علىٰ أُمِّه ﴿فقالت﴾ أخته حين تعذَّر عليهم رضاعه: ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم﴾ يضمُّونه إليهم ﴿وهم له ناصحون﴾ مخلصون شفقته.

﴿١٣﴾ ﴿فرددناه إلى أمه﴾ وذلك أنَّها دلَّتهم على أمِّ موسىٰ، فَدُفِعَ إليها تُربِّيه لهم. وقوله: ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ آل فرعون كانوا لا يعلمون أنَّ الله وعدها ردَّه عليها.

﴿١٤﴾ ﴿ولما بلغ أشدَّه﴾ منتهىٰ قوَّته، وهو ما فوق الثَّلاثين ﴿واستوىٰ﴾ وبلغ أربعين سنةً ﴿آتيناه حكماً﴾ عقلاً وفهماً ﴿وعلماً﴾ قبل النُّبوَّة.

﴿١٥﴾ ﴿ودخل المدينة﴾ يعني: مدينةً بأرض مصر ﴿علىٰ حين غفلة من أهلها﴾ فيما بين المغرب والعشاء ﴿فوجد فيها رجلين يقتتلان﴾ أحدهما إسرائيليٌّ، وهو الذي من شيعته، والآخر قبطيٌّ، وهو الذي من عدوه ﴿فاستغاثه﴾ الإسرائيلي على الفرعونيِّ ﴿فوكزه موسىٰ﴾ ضربه بجميع كفِّه ﴿فقضىٰ عليه﴾ فقتله ولم يتعمَّد قتله، فندم على ذلك لأنَّه لم يُؤمر بقتله فـ ﴿قال هذا من عمل الشيطان إنَّه عدوٌّ مضلٌّ مبين﴾ ثمَّ استغفر فقال:

﴿١٦﴾ ﴿ربِّ إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم﴾.

قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِي ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾

﴿١٧﴾ **﴿قال رب بما أنعمت عليَّ﴾** بالمغفرة **﴿فلن أكون ظهيراً للمجرمين﴾** لن أُعين بعدها على خطيئة.

﴿١٨﴾ **﴿فأصبح في﴾** تلك **﴿المدينة خائفاً﴾** من قتله القبطيَّ **﴿يترقب﴾** ينتظر الأخبار **﴿فإذا﴾** الإسرائيليُّ **﴿الذي استنصره بالأمس يستصرخه﴾** يستغيثه. **﴿قال له موسىٰ: إنك لغويٌّ مبين﴾** ظاهر الغواية، قد قتلتُ بك بالأمس رجلاً، وتدعوني إلى آخر، وأقبل إليهما، [**﴿فلما أن أراد أن يبطش بالذي هو عدوٌّ لهما﴾** أيْ: بالقبطيِّ][1]، فظنَّ الذي من شيعته أنَّه يريده، فقال:

﴿١٩﴾ **﴿أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض﴾** تقتل ظلماً، فلمَّا قال الإسرائيلي هذا علم القبطيُّ أنَّه قاتل القبطيِّ بالأمس، فأتىٰ فرعون فأخبره بذلك، فأمر فرعون بقتل موسىٰ، فأتاه رجلٌ فأخبره بذلك، وهو قوله:

﴿٢٠﴾ **﴿وجاء رجل من أقصىٰ المدينة يسعىٰ﴾** وهو مؤمن آل فرعون **﴿قال يا موسىٰ إنَّ الملأ يأتمرون بك﴾** يأمر بعضهم بعضاً ويتشاورون **﴿ليقتلوك فاخرج﴾** من هذه المدينة **﴿إني لك من الناصحين﴾**.

﴿٢١﴾ **﴿فخرج منها خائفاً يترقب﴾** ينتظر الطَّلب **﴿قال: ربّ نجني من القوم الظالمين﴾** قوم فرعون.

---

(١) زيادة من ظا.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾

﴿٢٢﴾ **﴿ولما توجَّه﴾** قصد بوجهه **﴿تلقاء مدين﴾** نحوها **﴿قال عسىٰ ربي أن يهديني سواء السبيل﴾** قصد الطَّريق، وذلك أنَّه لم يكن يعرف الطَّريق.

﴿٢٣﴾ **﴿ولما ورد ماء مدين﴾** وهو بئرٌ كانت لهم **﴿وجد عليه أمة﴾** جماعةً **﴿من الناس يسقون﴾** مواشيهم **﴿ووجد من دُونهِمُ امرأتين تذودان﴾** تحبسان غنمهما عن الماء حتىٰ يصدر مواشي النَّاس **﴿قال﴾** موسىٰ لهما: **﴿ما خطبكما﴾**؟ ما شأنكما لا تسقيان مع النَّاس؟ **﴿قالتا لا نسقي﴾** مواشينا **﴿حتىٰ يصدر الرعاء﴾** عن الماء، لأنا لا نطيق أن نستقي وأن نُزاحم الرِّجال، فإذا صدروا سقينا من فضل مواشيهم **﴿وأبونا شيخ كبير﴾** لا يمكنه أن يرد وأن يستقي.

﴿٢٤﴾ **﴿فسقىٰ لهما﴾** أغنامهما من بئرٍ أخرىٰ رفع عنها حجراً كان لا يرفعه إلَّا عشرة أنفس **﴿ثمَّ تولىٰ إلى الظلّ﴾** أيْ: إلى ظلِّ شجرةٍ **﴿فقال ربِّ إني لما أنزلت إليَّ من خير﴾** طعامٍ **﴿فقير﴾** محتاجٌ، وكان قد جاع فسأل الله تعالىٰ ما يأكل، فلما رجعتا إلى أبيهما أخبرتاه بما فعل موسىٰ، فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه، فذلك قوله:

﴿٢٥﴾ **﴿فجاءته إحداهما﴾** أخذت **﴿تمشي على استحياء﴾** مُستترةً بكُمِّ درعها **﴿قالت: إنَّ أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقصَّ عليه القصص﴾** أخبره بأمره والسَّبب الذي أخرجه من أرضه **﴿قال: لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾** يعني: من فرعون وقومه؛ فإنَّه لا سلطان له بأرضنا.

قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَىَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِى ثَمَٰنِىَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

﴿٢٦﴾ ﴿**قالت إحداهما يا أبت استأجره**﴾ ليرعىٰ أغنامنا ﴿**إنَّ خير من استأجرت القويُّ الأمين**﴾ وإنَّما قالت ذلك لأنَّها عرفت قوَّته برفع الحجر من رأس البئر، وأمانته بأنَّ موسىٰ قال لها لمَّا دعته إلىٰ أبيها: امشي خلفي، فإنَّا بني يعقوب لا ننظر إلى أعجاز النِّساء.

﴿٢٧﴾ ﴿**قال**﴾ عند ذلك الشَّيخ لموسىٰ: ﴿**إني أريد أن أنكحك**﴾ أزوِّجك ﴿**إحدىٰ ابنتيَّ هاتين على أن تأجرني**﴾ تكون أجيراً لي ﴿**ثماني حجج**﴾ سنين ﴿**فإن أتممت عشراً فمن عندك**﴾ وليس بواجبٍ عليك ﴿**وما أريد أن أشقَّ عليك**﴾ بأن أشترط العشر ﴿**ستجدني إن شاء الله من الصالحين**﴾ الوافين بالعهد.

﴿٢٨﴾ ﴿**قال**﴾ موسىٰ: ﴿**ذلك**﴾ الذي وصفت ﴿**بيني وبينك**﴾ أَيْ: لك ما شرطتَ عليَّ ولي ما شرطتُ من تزويج إحداهما. ﴿**أيما الأجلين قضيت فلا عدوان عليَّ**﴾ لا ظلم عليَّ بأن أُطالب بأكثر منه[1] ﴿**والله على ما نقول وكيل**﴾ والله شاهدنا على ما عقدنا.

---

(١) عن سعيد بن جبير قال: سألني يهوديٌّ من أهل الحيرة: أيَّ الأجلين قضىٰ موسىٰ عليه السَّلام؟ قلت: لا أدري، حتىٰ أقدم على حبر العرب فأسأله، فقدمت فسألت ابن عباس، فقال: قضىٰ أكثرهما وأطيبهما، إنَّ رسول الله إذا قال فعل. أخرجه البخاري في الشهادات، باب من أمر بإنجاز الوعد ٥/٢١٣.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًاۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا

﴿٢٩﴾ ﴿فلما قضىٰ موسى الأجل﴾ مفسَّر فيما مضىٰ إلىٰ قوله: ﴿أو جذوة من النار﴾ قطعةٍ وشعلةٍ من النّار.

﴿٣٠﴾ ﴿فلما أتاها نودي من شاطىء﴾ جانب ﴿الوادي الأيمن﴾ من يمين موسىٰ ﴿في البقعة﴾ في القطعة من الأرض ﴿المباركة﴾ بتكليم الله سبحانه فيها موسىٰ عليه السَّلام، وإتيانه النُّبوّة ﴿من الشجرة﴾ من جانب الشَّجرة ﴿أن يا موسىٰ إني أنا الله ربُّ العالمين﴾ والباقي مفسَّرٌ فيما سبق[1] إلى قوله:

﴿٣٢﴾ ﴿واضمم إليك جناحك﴾ أيْ: يدك ﴿من الرهب﴾ من الخوف، والمعنىٰ: سكِّن روعك واخفض عليك جنبيك، وذلك أنه كان يرتعد خوفاً ﴿فذانك﴾ اليد والعصا ﴿برهانان من ربك...﴾ الآية. وقوله:

﴿٣٤﴾ ﴿ردءاً﴾ أيْ: مُعيناً.

﴿٣٥﴾ ﴿قال: سنشدُّ عضدك﴾ أيْ: نُقوِّيك ﴿بأخيك ونجعل لكما سلطاناً﴾ حُجَّةً بيِّنة

---

(١) انظر ص ٤٠٦.

فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

﴿فلا يصلون إليكما﴾ بسوءٍ، ﴿بآياتنا﴾ العصا واليد، وسائر ما أُعطيا.

﴿٣٧﴾ ﴿وقال موسىٰ﴾ لمَّا كُذِّب ونُسب إلى السِّحر: ﴿ربي أعلم بمن جاء بالهدىٰ من عنده﴾ يعني: نفسه، أَيْ: ربِّي أعلم بي أنَّ الذي جئتُ به من عنده ﴿ومن تكون له عاقبة الدار﴾ أَيْ: العقبىٰ المحمودة في الدَّار الآخرة. وقوله:

﴿٣٨﴾ ﴿فأوقد لي يا هامان على الطين﴾ أَيْ: اطبخ لي الآجر ﴿فاجعل لي صرحاً﴾ بناء طويلاً مشرفاً ﴿لعلي أطلع إلىٰ إلٓه موسىٰ﴾ أنظر إليه وأقف عليه. وقوله:

﴿٤١﴾ ﴿وجعلناهم أئمة﴾ قادةً ورؤساء ﴿يدعون إلى النار﴾ أَيْ: إلىٰ الضَّلالة التي عاقبتها النَّار.

﴿٤٢﴾ ﴿وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنةً﴾ وذلك أنَّهم لمَّا هلكوا لُعنوا، فهم يُعرضون على النار غدوةً وعشيةً إلى يوم القيامة ﴿ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾ الممقوتين المهلكين.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ

﴿٤٣﴾ **﴿ولقد آتينا موسىٰ الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولىٰ بصائر للناس﴾** أيْ: مبيِّناً لهم.

﴿٤٤﴾ **﴿وما كنت بجانب الغربيّ﴾** أيْ: الجبل الغربيّ الذي هو في جانب الغرب **﴿إذ قضينا إلى موسىٰ الأمر﴾** أحكمناه معه، وعهدنا إليه بأمرنا ونهينا **﴿وما كنت من الشاهدين﴾** الحاضرين هناك.

﴿٤٥﴾ **﴿ولكنا أنشأنا﴾** أحدثنا وخلقنا **﴿قروناً﴾** أمماً **﴿فتطاول عليهم العمر﴾** فنسوا عهد الله وتركوا أمره. **﴿وما كنت ثاوياً﴾** مُقيماً **﴿في أهل مدين تتلو عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين﴾** أرسلناك رسولاً وأنزلنا عليك هذه الأخبار، ولولا ذلك ما علمتها.

﴿٤٦﴾ **﴿وما كنت بجانب الطور إذ نادينا﴾** موسىٰ **﴿ولكن﴾** أوحينا إليك هذه القصص **﴿رحمة من ربك﴾**.

﴿٤٧﴾ **﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾** عقوبةٌ ونقمةٌ **﴿بما قدَّمت أيديهم﴾** وجواب «لولا» محذوف، تقديره: لعاجلناهم بالعقوبة.

﴿٤٨﴾ **﴿فلما جاءهم الحق﴾** محمد ﷺ **﴿من عندنا قالوا: لولا أوتي﴾** محمد **﴿مثل ما أوتي موسىٰ﴾** كتاباً جملةً واحدةً **﴿أَوَلَمْ يكفروا بما أوتي موسىٰ من قبل﴾** أيْ:

قَالُواْ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ۞ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾

فقد كفروا بآيات موسىٰ كما كفروا بآيات محمَّد ﷺ و **﴿قالوا ساحران تظاهرا﴾**[1] وذلك حين سألوا اليهود عنه فأخبروهم أنَّهم يجدونه في كتابهم بنعته وصفته، وقالوا: ساحران تظاهرا. يعنون: موسىٰ ومحمداً عليهما السَّلام تعاونا على السِّحر **﴿وقالوا إنَّا بكلٍّ﴾** من موسىٰ ومحمدٍ عليهما السَّلام **﴿كافرون﴾**.

﴿٤٩﴾ **﴿قل﴾** لهم: **﴿فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدىٰ منهما﴾** من كتابيهما **﴿أتبعه إن كنتم صادقين﴾** أنَّهما كانا ساحرين.

﴿٥٠﴾ **﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾** أيْ: لم يجيبوك إلىٰ الإتيان بالكتاب **﴿فاعلم أنَّما يتبعون أهواءهم﴾** أيْ: يُؤثرون هواهم علىٰ الدِّين.

﴿٥١﴾ **﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾** أنزلنا القرآن يتبع بعضه بعضاً **﴿لعلهم يتذكرون﴾** يتَّعظون ويعتبرون.

﴿٥٢﴾ **﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾** من قبل محمد ﷺ **﴿هم به يؤمنون﴾** يعني: مؤمني أهل الكتاب.

﴿٥٣﴾ **﴿وإذا يُتلىٰ عليهم﴾** القرآن **﴿قالوا آمنا به﴾** صدَّقنا به **﴿إنَّه الحقُّ من ربنا﴾** وذلك أنَّهم عرفوا بما ذُكر في كتبهم من نعت النبيِّ ﷺ وكتابه **﴿إنَّا كنا من قبله﴾** من قبل القرآن، أو من قبل محمد ﷺ **﴿مسلمين﴾** لأنَّا كنَّا نؤمن به وبكتابه.

---

(١) قرأ «ساحران»: نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وأبو جعفر، ويعقوب، وقرأ الباقون «سحران». الإتحاف ص ٣٤٣.

أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ

﴿٥٤﴾ ﴿**أولئك يؤتون أجرهم مرتين**﴾ مرَّةً بإيمانهم بكتابهم، ومرَّةً بإيمانهم بالقرآن ﴿**بما صبروا**﴾ بصبرهم على ما أُوذوا ﴿**ويدرؤون بالحسنة السيئةَ**﴾ ويدفعون بما يعملون من الحسنات ما تقدَّم لهم من السَّيئات ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ يتصدَّقون.

﴿٥٥﴾ ﴿**وإذا سمعوا اللغو**﴾ القبيح من القول ﴿**أعرضوا عنه**﴾ لم يلتفتوا إليه. يعني: إذا شتمهم الكفَّار لم يشتغلوا بمعارضتهم بالشَّتم. ﴿**وقالوا: لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم**﴾ ليس هذا تسليم التحيَّة، وإنَّما هو تسليم المُتاركة، أَيْ: بيننا وبينكم المتاركة والتَّسليم، وهذا قبل أن يُؤمر المسلمون بالقتال ﴿**لا نبتغي الجاهلين**﴾ لا نصحبهم.

﴿٥٦﴾ ﴿**إنك لا تهدي مَنْ أحببت**﴾ نزلت حين حرص النبيُّ ﷺ علىٰ إيمان عمِّه عند موته، فلم يؤمن، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[1]، والمعنىٰ: لا تهدي مَنْ أحببت هدايته ﴿**ولكنَّ الله يهدي من يشاء**﴾ هدايته ﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾ بمن يهتدي في معلومه.

﴿٥٧﴾ ﴿**وقالوا**﴾ يعني: مشركي مكَّة: ﴿**إن نتبع الهدىٰ معك**﴾ بالإيمان بك ﴿**نُتخطف**﴾ نُسلب ونُوخذ ﴿**من أرضنا**﴾ لإجماع العرب على خلافنا، فقال الله تعالىٰ: ﴿**أَوَلَمْ نمكن لهم حرماً آمناً**﴾ أخبر سبحانه أنَّه آمنهم بحرمة البيت، ومنع منهم العدوَّ، فكيف يخافون أن تستحلَّ العرب قتالهم فيه؟ ﴿**يجبىٰ**﴾ يُجمع. ﴿**ولكن أكثرهم**

---

(١) الحديث أخرجه مسلم في الإيمان برقم ٢٥؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٨٧؛ وأخرجه البخاري في التفسير ٥٠٦/٨ مطوَّلاً.

لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾ وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا ۖ تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ

لا يعلمون﴾ أنَّ ذلك ممَّا تفضَّل الله به سبحانه عليهم.

﴿٥٨﴾ **﴿وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها﴾** عاشوا في البطر وكفران النِّعمة **﴿فتلك مساكنهم﴾** خاويةً **﴿لم تسكن من بعدهم إلاَّ قليلاً﴾** لا يسكنها إلاَّ المسافر والمارُّ يوماً أو ساعةً.

﴿٥٩﴾ **﴿وما كان ربك مهلك القرى حتىٰ يبعث في أمها﴾** أعظمها، الآية.

﴿٦١﴾ **﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً﴾** يعني: الجنَّة **﴿فهو لاقيه﴾** مُدركه ومُصيبه **﴿كمَنْ متعناه متاع الحياة الدنيا ثمَّ هو يوم القيامة من المحضرين﴾** في النَّار. نزلت في رسول الله ﷺ وأبي جهل.

﴿٦٢﴾ **﴿ويوم يناديهم﴾** أيْ: المشركين **﴿فيقول: أين شركائي الذين كنتم تزعمون﴾** في الدُّنيا أنَّهم شركائي.

﴿٦٣﴾ **﴿قال الذين حقَّ عليهم القول﴾** وجب عليهم العذاب يعني: الشَّياطين **﴿ربنا هؤلاء الذين أغوينا أغويناهم كما غوينا تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾** كعادة الشَّيطان في التَّبرُّؤ ممَّن يطيعه إذا أورده الهلكة.

﴿٦٤﴾ **﴿وقيل﴾** للكفَّار: **﴿ادعوا شركاءَكم﴾** مَنْ كنتم تعبدون من دون الله **﴿فدعوهم فلم**

يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا

يستجيبوا لهم﴾ لم يجيبوهم بشيءٍ ينفعهم **﴿ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون﴾** لما اتَّبعوهم ولما رأوا العذاب.

﴿٦٥﴾ **﴿ويوم يناديهم فيقول: ماذا أجبتم المرسلين﴾**.

﴿٦٦﴾ **﴿فعميت عليهم الأنباء﴾** عميت عليهم الحجج؛ لأنَّ الله تعالىٰ قد أعذر إليهم في الدُّنيا، فلا تكون لهم حُجَّةٌ يومئذٍ، فسكتوا فذلك قوله: **﴿فهم لا يتساءلون﴾** أَيْ: لا يسأل بعضهم بعضاً عمَّا يحتجُّون به.

﴿٦٧﴾ **﴿وربك يخلق ما يشاء﴾** كما يشاء **﴿ويختار﴾** ممَّا يشاء ما يشاء، فاختار من كلِّ ما خلق شيئاً **﴿ما كان لهم الخيرة﴾** ليس لهم أن يختاروا على الله تعالىٰ، وليس لهم الاختيار، والمعنىٰ: لا يرسل الرُّسل إليهم على اختيارهم، والباقي ظاهرٌ إلىٰ قوله:

﴿٧٥﴾ **﴿ونزعنا من كلِّ أمة﴾** أَيْ: أخرجنا **﴿شهيداً﴾** يعني: رسولهم الذي أُرسل إليهم

فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ

﴿فقلنا هاتوا برهانكم﴾ أَيْ: ما اعتقدتم به أنّه برهانٌ لكم في أنّكم كنتم على الحقِّ ﴿فعلموا أنَّ الحق لله﴾ أنَّ الحقَّ ما دعا إليه الله سبحانه، وأتاهم به الرّسول ﷺ ﴿وضلَّ عنهم ما كانوا يفترون﴾ لم ينتفعوا بما عبدوه من دون الله سبحانه.

﴿٧٦﴾ ﴿إنَّ قارون كان من قوم موسىٰ﴾ كان ابن عمِّه. ﴿فبغىٰ عليهم﴾ بالكبر والتجبُّر، والبذخ وكثرة المال ﴿وآتيناه من الكنوز ما إنَّ مفاتحه﴾ جمع المفتح، وهو ما يُفتح به ﴿لتنوء بالعصبة﴾ تُثقل الجماعة ﴿أولي القوة﴾ ﴿إذ قال له قومه: لا تفرح﴾ بكثرة المال ولا تأشر ﴿إنَّ الله لا يحبُّ الفرحين﴾ الأشرين البطرين.

﴿٧٧﴾ ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ أَيْ: اطلبها بإنفاق مالك في رضا الله تعالىٰ ﴿ولا تنس نصيبك من الدنيا﴾ لا تترك أن تعمل في دنياك لآخرتك ﴿وأحسن﴾ إلى الناس ﴿كما أحسن الله إليك ولا تبغِ الفساد في الأرض﴾ العمل بالمعاصي.

﴿٧٨﴾ ﴿قال إنما أوتيته على علمٍ عندي﴾ على فضل علمٍ عندي، وكنت بذلك العلم مُستحقّاً لفضل المال، وكان أقرأ بني إسرائيل للتّوراة. قال الله تعالىٰ: ﴿أو لم يعلم أنَّ الله قد أهلك من قبله من القرون مَنْ هو أشدُّ منه قوة وأكثر جمعاً﴾ للمال منه ﴿ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾ لأنّهم يدخلون النّار بغير حسابٍ.

﴿٧٩﴾ ﴿فخرج على قومه في زينته﴾ في ثيابٍ حمرٍ عليه وعلىٰ دوابّه، والرُّكبان الذين معه

قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾

﴿**قال الذين يريدون الحياة الدنيا**﴾ ظاهرٌ إلى قوله:

﴿٨٠﴾ ﴿**ولا يلقاها**﴾ أيْ: ولا يُلقَّن ولا يُوفَّق لهذه الكلمة ﴿**إلَّا الصابرون**﴾ عن زينة الدُّنيا.

﴿٨٢﴾ ﴿**وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس**﴾ صار الذين كانوا يقولون: «يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون» ﴿**يقولون: ويكأنَّ الله**﴾ ألم تر ألم تعلم أن ﴿**الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**﴾ يُوسِّع لمن يشاء ويُضيِّق ﴿**لولا أنْ منَّ الله علينا**﴾ عصمنا عن مثل ما كان عليه قارون من البطر والبغي ﴿**لخسف بنا**﴾ كما خُسف به.

﴿٨٣﴾ ﴿**تلك الدار الآخرة**﴾ يعني: الجنَّة ﴿**نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض**﴾ تكبُّراً وتجبُّراً فيها ﴿**ولا فساداً**﴾ عملاً بالمعاصي وأخذاً للمال بغير حقٍّ ﴿**والعاقبة**﴾ المحمودة ﴿**للمتقين**﴾.

﴿٨٥﴾ ﴿**إن الذي فرض عليك القرآن**﴾ أنزله. وقيل: فرض عليك العمل بما في القرآن ﴿**لرادُّك إلى معاد**﴾ إلى مكَّة[1] ظاهراً عليها، وذلك حين اشتاق رسول الله ﷺ إلى مولده.

---

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٥١٠؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ١٤٧.

وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾

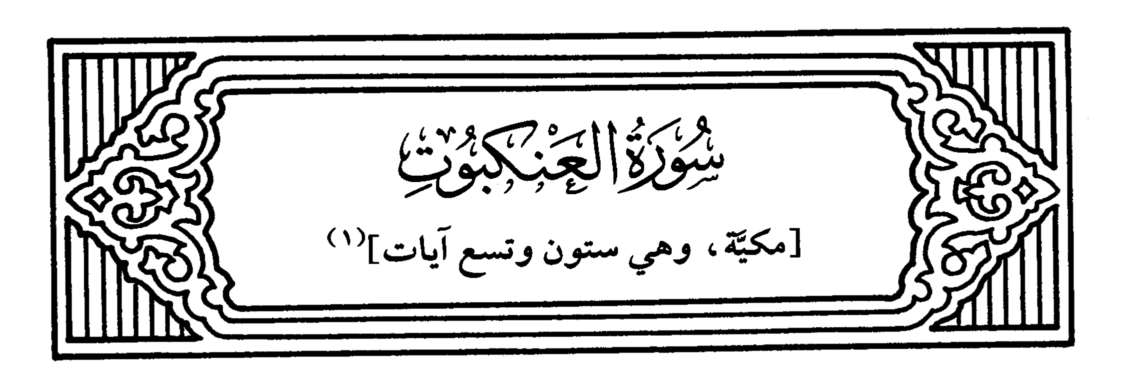
---

(٨٦) ﴿وما كنت ترجو أن يلقىٰ إليك الكتاب إلاَّ رحمة من ربك﴾ لكن رحمك ربُّك، فاختارك للنُّبوَّة، وأنزل عليك الوحي.

(٨٧) ﴿ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك﴾ وهذا حين دُعي إلىٰ دين آبائه. وقوله:

(٨٨) ﴿كل شيء هالك إلاَّ وجهه﴾ أَيْ: إلاَّ إيَّاه ﴿له الحكم﴾ يحكم بما يريد ﴿وإليه ترجعون﴾.

• • •



بسم الله الرحمن الرحيم

الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿الم﴾.

﴿٢﴾ ﴿أحسب الناس أن يتركوا...﴾ الآية. نزلت في الذين جزعوا من أصحاب النبيِّ ﷺ من أذى المشركين[٢]. معناه: أحسبوا أن يُقنع منهم بأن يقولوا: إنَّا مؤمنون فقط، ولا يُمتحنون بما يُبيِّن حقيقة إيمانهم.

﴿٣﴾ ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ اختبرنا وابتلينا ﴿فليعلمنَّ الله﴾ صِدقَ ﴿الذين صدقوا﴾ في قولهم: آمنَّا، بوقوعه منهم، وهو الصَّبر على البلاء ﴿وليعلمنَّ﴾ كذب ﴿الكاذبين﴾ في قولهم: آمنَّا، بارتدادهم إلى الكفر عن الدِّين عند البلاء، ومعنى العلم ها هنا العلم به موجوداً كائناً.

﴿٤﴾ ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾ الشِّرك ﴿أن يسبقونا﴾ يفوتونا ﴿ساء ما يحكمون﴾ بئس حكماً يحكمون لأنفسهم بهذا الظَّنِّ.

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) أسباب النزول ص ٣٩٣.

مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِى ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٩﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ

﴿٥﴾ ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾ يخشىٰ البعث ﴿فإنَّ أجل الله﴾ وعده بالثَّواب والعقاب ﴿لآتٍ﴾ لكائن. وقوله:

﴿٧﴾ ﴿ولنجزينَّهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ أَيْ: بأحسن أعمالهم، وهو الطَّاعة.

﴿٨﴾ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسناً﴾ أمرناه أن يُحسن إليهما ﴿وإن جاهداك﴾ اجتهدا عليك ﴿لتشرك بي ما ليس لك به علم﴾ أنَّه لي شريك ﴿فلا تطعهما﴾ أُنزلت في سعد بن أبي وقَّاص لمَّا أسلم[1]، حلفت أمُّه أن لا تأكل ولا تشرب، ولا يظلُّها سقف بيت حتىٰ يكفر بمحمد ﷺ، ويرجع إلى ما كان عليه، فأُمر أن يترضَّاها ويُحسن إليها، ولا يُطيعها في الشِّرك. وقوله:

﴿٩﴾ ﴿لندخلنَّهم في الصالحين﴾ أَيْ: في زمرتهم وجملتهم، ومعناه: لنحشرنَّهم معهم. وقوله:

﴿١٠﴾ ﴿جعل فتنة الناس﴾ أَيْ: أذاهم وعذابهم ﴿كعذاب الله﴾ جزع من ذلك كما يجزع من عذاب الله، ولا يصبر على الأذيَّة في الله. ﴿ولئن جاء﴾ المؤمنين ﴿نصرٌ من ربك ليقولنَّ﴾ هؤلاء الذين ارتدُّوا حين أُوذوا: ﴿إنا كنَّا معكم﴾ وهم كاذبون،

---

(١) وهذا قول قتادة. أخرجه: ابن جرير ٢٠/ ١٣١، والمؤلف في الأسباب ص ٣٩٥، وأخرجه مسلم في صحيحه عن سعدٍ ٧/ ١٢٥.

أَوَ لَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾

فقال الله تعالىٰ: ﴿أوليس الله بأعلم بما في صدور العالمين﴾ يعني: إنَّه عالمٌ بإيمان المؤمن وكفر الكافر.

﴿١١﴾ ﴿وليعلمنَّ الله الذين آمنوا وليعلمنَّ المنافقين﴾ هذا إخبارٌ عن الله تعالىٰ أنَّه يعلم إيمان المؤمن ونفاق المنافق.

﴿١٢﴾ ﴿وقال الذين كفروا﴾ من أهل مكَّة ﴿للذين آمنوا: اتبعوا سبيلنا﴾ الطَّريق الذي نسلكه في ديننا ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ أَيْ: إن كان فيه إثمٌ فنحن نحمله، قال الله تعالىٰ: ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ يخفِّف عنهم العذاب ﴿إنهم لكاذبون﴾ في قولهم؛ لأنَّهم في القيامة لا يحملون عنهم خطاياهم، ثمَّ أعلم الله عزَّ وجلَّ أنَّهم يحملون أوزار أنفسهم، وأثقالاً أخرىٰ بسبب إضلالهم مع أثقال أنفسهم؛ لأنَّ مَنْ دعا إلى ضلالةٍ فاتُّبع فعليه مثل أوزار الذين اتَّبعوه، ثمَّ ذكر أنَّه يُوبِّخهم على ما قالوا فقال: ﴿وليسألنَّ يوم القيامة عما كانوا يفترون﴾ أَيْ: سؤال توبيخٍ. وقوله:

﴿١٧﴾ ﴿وتخلقون إفكاً﴾ أَيْ: تقولون كذباً: إنَّ الأوثان شركاء الله. وقوله:

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يَئِسُوا۟ مِن رَّحْمَتِى وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾ وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

﴿١٩﴾ **﴿أو لم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده﴾** كما بدأ، وليس المعنىٰ: علىٰ أو لم يروا كيف يعيده؛ لأنَّهم لم يروا الإعادة.

﴿٢٠﴾ **﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾** يعني: الأمم الماضية، كيف قدر الله سبحانه على خلقهم ابتداءً **﴿ثمَّ الله ينشىء النشأة الآخرة﴾** أيْ: يبعثهم ثانية بإنشائه إيَّاهم.

﴿٢٢﴾ **﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء﴾** لو كنتم فيها، ثمَّ عاد الكلام إلىٰ قصَّة إبراهيم عليه السَّلام فقال:

﴿٢٤﴾ **﴿فما كان جواب قومه﴾** حين دعاهم إلى الله سبحانه **﴿إلاَّ أن قالوا اقتلوه أو حرّقوه. . .﴾** الآية.

﴿٢٥﴾ **﴿وقال﴾** لهم إبراهيم: **﴿إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم﴾** أيْ: ليتوادُّوا بها، فهي مودَّة بينكم ما دمتم في هذه الدُّنيا، ثمَّ تنقطع ولا تنفع في الآخرة، وهو قوله تعالىٰ: **﴿ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض﴾** تتبرَّأُ الأوثان من عابديها. وقوله تعالىٰ:

۞ فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٦﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَجۡرَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ وَلُوطًا إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِۦٓ إِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنَ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَآ إِبۡرَٰهِيمَ بِٱلۡبُشۡرَىٰ قَالُوٓاْ إِنَّا مُهۡلِكُوٓاْ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِۖ إِنَّ أَهۡلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطٗاۚ قَالُواْ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥٓ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّآ أَن جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالُواْ لَا تَخَفۡ وَلَا تَحۡزَنۡ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهۡلَكَ إِلَّا ٱمۡرَأَتَكَ كَانَتۡ مِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهۡلِ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾

﴿٢٦﴾ **﴿فآمن له لوط﴾** هو أوَّل مَنْ آمن بإبراهيم عليه السَّلام **﴿وقال إني مهاجر إلى ربي﴾** هاجر من سواد الكوفة إلى الشَّام.

﴿٢٧﴾ **﴿وآتيناه أجره في الدنيا﴾** قيل: هو الذِّكر الحسن. وقيل: هو الولد الصَّالح.

﴿٢٩﴾ **﴿وتقطعون السبيل﴾** أيْ: سبيل الولد. وقيل: يأخذون النَّاس من الطُّرق لطلب الفاحشة **﴿وتأتون في ناديكم﴾** مجلسكم **﴿المنكر﴾** كان بعضهم يُجامع بعضاً في مجالسهم **﴿فما كان جواب قومه إلاَّ أن قالوا ائتنا بعذاب الله إن كنت من الصَّادقين﴾** أنَّه نازلٌ بنا، وقوله:

﴿٣٥﴾ **﴿ولقد تركنا منها﴾** من قرية قوم لوط **﴿آية بينة﴾** عبرةً ظاهرةً، وهي خرابها وآثارها. وقوله:

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾ ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ

﴿٣٨﴾ **﴿وكانوا مستبصرين﴾** أَيْ: في ضلالتهم معجبين بها. وقيل: حسبوا أنَّهم على الهدىٰ، وهم على الباطل. وقيل: أتوا ما أتوه وقد بيِّن لهم أنَّ عاقبته العذاب.

﴿٤٠﴾ **﴿فكلاً﴾** من الكفَّار **﴿أخذنا﴾** عاقبنا **﴿بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً﴾** وهم قوم لوط **﴿ومنهم من أخذته الصيحة﴾** قوم ثمود **﴿ومنهم مَنْ خسفنا به الأرض﴾** قارون وقومه **﴿ومنهم من أغرقنا﴾** قوم نوح وفرعون **﴿وما كان الله ليظلمهم﴾** لأنَّه قد بيَّن لهم بإرسال الرَّسول **﴿ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾** بكفرهم.

﴿٤١﴾ **﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾** يعني: الأصنام في قلَّة غنائها عنهم **﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً﴾** لا يدفع عنها حراً ولا برداً **﴿وإنَّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾** وذلك أنَّه لا بيت أضعف منه فيما يتَّخذه الهوامُّ. **﴿لو كانوا يعلمون﴾** موضعَه عند قوله: مثلُ الذين اتخذوا من دونه أولياء لو كانوا يعلمون كمثل العنكبوت، فهو مؤخَّر معناه التَّقديم. وقوله:

إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾

﴿٤٥﴾ **﴿إنَّ الصلاة تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر﴾** يعني: إنَّ في الصَّلاة منهاةً ومزدجراً عن معاصي الله تعالىٰ، فمن لم تنهه صلاته عن المنكر فليست صلاته بصلاةٍ **﴿ولذكر الله أكبر﴾** من كلِّ شيء في الدُّنيا وأفضل.

الجزء الحادي والعشرون:

﴿٤٦﴾ **﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلاَّ بالتي هي أحسن﴾** وهو الجميل من القول بالدُّعاء إلىٰ الله عزَّ وجلَّ، والتَّنبيه على الحجج **﴿إلاَّ الذين ظلموا منهم﴾** أيْ: إلاَّ الذين ظلموكم بالقتال ومنع الجزية.

﴿٤٧﴾ **﴿وكذلك﴾** أيْ: وكما آتيناهم الكتاب **﴿أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به﴾** بمحمد ﷺ. يعني: مَنْ كانوا قبل عصره كانوا يؤمنون به لما يجدونه من نعته في كتابهم **﴿ومن هؤلاء﴾** الذين هو بين ظهرانيهم **﴿مَنْ يؤمن به﴾**.

﴿٤٨﴾ **﴿وما كنت تتلو من قبله﴾** من قبل هذا الكتاب الذي أنزلناه إليك **﴿من كتابٍ ولا تخطُّه﴾** ولا تكتبه **﴿بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾** لشكُّوا فيك واتَّهموك لو كنت تكتب. وأراد بالمبطلين كفَّار قريش، يعني: لقالوا: إنَّه كتبه وتعلَّمه من كتاب.

﴿٤٩﴾ **﴿بل هو﴾** يعني: محمداً ﷺ والعلم بأنَّه أُمِّيٌّ **﴿آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾** من أهل الكتاب، قرؤوها من التَّوراة وحفظوها.

وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُواْ بِٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

---

(٥٠) ﴿**وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربِّه**﴾ كما أُنزل علىٰ مَنْ قبله من الأنبياء ﴿**قل إنما الآيات عند الله**﴾ إذا شاء أرسلها، وليست بيدي.

(٥١) ﴿**قل كفىٰ بالله بيني وبينكم شهيداً**﴾ يشهد على صدقي وعلى تكذيبكم. وقوله:

(٥٥) ﴿**ويقول: ذوقوا ما كنتم تعملون**﴾ أَيْ: جزاءه من العذاب.

(٥٦) ﴿**يا عبادي الذين آمنوا إنَّ أرضي واسعة**﴾ نزلت في حثِّ مَنْ كانوا بمكَّة لا يقدرون على إظهار دينهم على الهجرة.

(٥٧) ﴿**كلُّ نفس ذائقة الموت**﴾ أينما كانت، فلا تُقيموا بدار الشِّرك. وقوله:

(٥٨) ﴿**لنُبَوِّئَنَّهُمْ من الجنة غرفاً**﴾ أَيْ: ولننزلنَّهم منها قصوراً.

(٦٠) ﴿**وكأين**﴾ وكم ﴿**من دابَّة لا تحمل رزقها**﴾ فتخبئه لغدٍ ﴿**الله يرزقها**﴾ يوماً بيوم ﴿**وإياكم**﴾ وذلك أنَّ الذين كانوا بمكَّة من المؤمنين إذا قيل لهم اخرجوا إلىٰ

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾ وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾

المدينة قالوا: فمَنْ يُطعمنا بها، ولا مال لنا هناك، فأنزل الله تعالىٰ: **﴿الله يرزقها وإياكم﴾**.

﴿٦٣﴾ **﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولنَّ الله قل الحمد لله﴾** على إنزاله الماء لإحياء الأرض **﴿بل أكثرهم لا يعقلون﴾** العقل الذي يعرفون به الحقَّ من الباطل.

﴿٦٤﴾ **﴿وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب﴾** لنفادها عن قريب **﴿وإنَّ الدار الآخرة لهي الحيوان﴾** الحياة الدَّائمة **﴿لو كانوا يعلمون﴾** أنَّها كذلك، ولكنَّهم لا يعلمون.

﴿٦٥﴾ **﴿فإذا ركبوا في الفلك﴾** وخافوا الغرق **﴿دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾**.

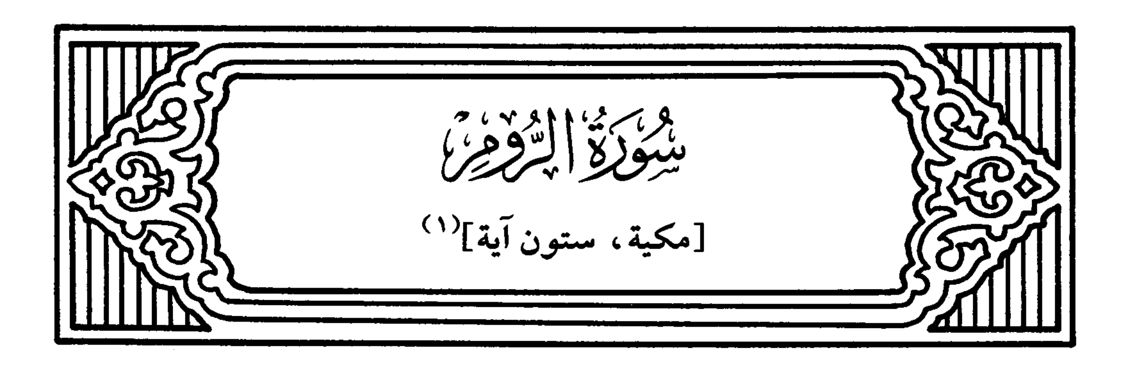
﴿٦٦﴾ **﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾** أيْ: ليجحدوا بما أنعمنا عليهم من إنجائهم، والظَّاهر أنَّ هذا لام الأمر، أمر التَّهديد، ويدلُّ عليه قوله تعالىٰ: **﴿وليتمتعوا فسوف يعلمون﴾**.

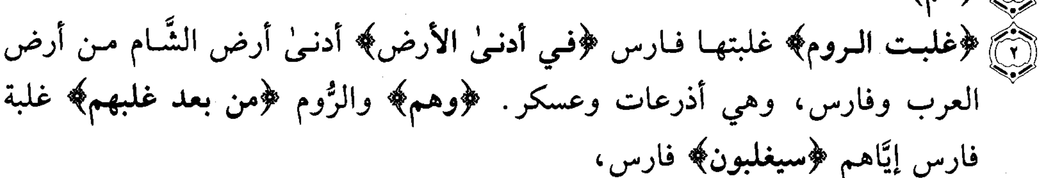
﴿٦٧﴾ **﴿أَوَلَمْ يروا﴾** يعني: أهل مكَّة **﴿أنا جعلنا حرماً آمناً﴾** ذا أمنٍ لا يُغار علىٰ أهله **﴿ويتخطف الناس من حولهم﴾** بالقتل والنَّهب والسَّبي **﴿أفبالباطل يؤمنون﴾** يعني: الأصنام **﴿وبنعمة الله﴾** يعني: محمداً ﷺ والقرآن **﴿يكفرون﴾**.

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾

﴿٦٩﴾ ﴿**والذين جاهدوا فينا**﴾ أعداء الدِّين والكفَّار ﴿**لنهدينَّهم سبلنا**﴾ سبل الشَّهادة والمغفرة. وقيل: من اجتهد في عملٍ لله زاده الله تعالىٰ هدىً على هدايته ﴿**وإنَّ الله لمع المحسنين**﴾ بنصره إيَّاهم.

• • •





﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿الم﴾.

(٢) ﴿غلبت الروم﴾ غلبتها فارس ﴿في أدنىٰ الأرض﴾ أدنىٰ أرض الشَّام من أرض العرب وفارس، وهي أذرعات وعسكر. ﴿وهم﴾ والرُّوم ﴿من بعد غلبهم﴾ غلبة فارس إيَّاهم ﴿سيغلبون﴾ فارس،

(٣) ﴿في بضع سنين﴾ البضع: ما بين الثَّلاث إلى التِّسع. ﴿لله الأمر من قبل﴾ من قبل أن تغلب الرُّوم ﴿ومن بعد﴾ ما غلبت. ﴿ويومئذٍ يفرح المؤمنون﴾ يوم تغلب الرُّومُ فارسَ يفرح المؤمنون ﴿بنصر اللَّهِ﴾ الرُّوم؛ لأنَّهم أهل كتاب، فهم أقرب إلى المؤمنين، وفارس مجوس فكانوا أقرب إلى المشركين، فالمؤمنون يفرحون بنصر الله الرُّوم على فارس، والمشركون يحزنون لذلك(٢).

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) عن أبي سعيد الخدريِّ قال: لما كان يوم بدرٍ ظهرت الرُّوم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت ﴿الم * غلبت الروم في أدنىٰ الأرض، وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين، لله الأمر من قبل ومن بعد، ويومئذٍ يفرح المؤمنون﴾ ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس. أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣١٩٠؛ وفيه عطية العوفي، وهو صدوقٌ يخطىء كثيراً.

فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾

﴿٦﴾ ﴿وعد الله﴾ وعد ذلك وعداً ﴿ولكنَّ أكثر الناس﴾ يعني: مشركي مكّة ﴿لا يعلمون﴾ ذلك، ثمَّ بيَّن مقدار ما يعلمون فقال:

﴿٧﴾ ﴿يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا﴾ يعني: أمر معاشهم، وذلك أنَّهم كانوا أهل تجارة وتكسُّب بها.

﴿٨﴾ ﴿أو لم يتفكروا في أنفسهم﴾ فيعلموا ﴿ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلاَّ بالحق﴾ أيْ: للحقِّ، وهو الدّلالة على توحيده وقدرته ﴿وأجل مسمى﴾ ووقتٍ معلومٍ تفنىٰ عنده. يعني: يوم القيامة. وقوله:

﴿٩﴾ ﴿وأثاروا الأرض﴾ أيْ: قلبوها للزِّراعة ﴿وعمروها أكثر مما عمروها﴾ يعني: إنَّ الذين أُهلكوا من الأمم الخالية كانوا أكثر حرثاً وعمارةً من أهل مكَّة.

﴿١٠﴾ ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا﴾ أشركوا ﴿السوأىٰ﴾ النَّار ﴿أن كذَّبوا﴾ بأن كذَّبوا. وقوله:

﴿١٢﴾ ﴿يبلس المجرمون﴾ أيْ: يسكتون لانقطاع حجَّتهم، وليأسهم من الرَّحمة.

وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآئِ ٱلْـَٔاخِرَةِ فَأُوْلَـٰٓئِكَ فِى ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾

---

(١٣) **﴿ولم يكن لهم من شركائهم﴾** أوثانهم التي عبدوها رجاء الشَّفاعة **﴿شفعاء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾** قالوا: ما عبدتمونا. وقوله:

(١٤) **﴿يومئذ يتفرَّقون﴾** يعني: المؤمنين والكافرين، ثمَّ بيَّن كيف ذلك التَّفرُّق فقال:

(١٥) **﴿فأمَّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون﴾** أي: يسمعون في الجنَّة.

(١٧) **﴿فسبحان الله﴾** فصلُّوا لله سبحانه **﴿حين تمسون﴾** يعني: صلاة المغرب والعشاء الآخرة **﴿وحين تصبحون﴾** صلاة الفجر **﴿وعشياً﴾** يعني: صلاة العصر **﴿وحين تظهرون﴾** يعني: صلاة الظُّهر.

(٢٠) **﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾** يعني: أباكم آدم **﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾** يعني: ذريته.

(٢١) **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم﴾** من جنسكم **﴿أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾** يعني: الأُلفة بين الزَّوجين.

(٢٢) **﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾** وأنتم بنو رجلٍ واحدٍ، وامرأةٍ واحدةٍ.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ

(٢٣) ﴿ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله﴾ أي: اللَّيل لتناموا فيه، والنَّهار لتبتغوا فيه من فضله.



(٢٤) ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً﴾ للمسافر ﴿وطمعاً﴾ للحاضر. وقوله:

(٢٥) ﴿ثمَّ إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾ ثم إذا دعاكم دعوة، إذا أنتم تخرجون من الأرض، هكذا تقدير الآية على التَّقديم والتأخير. وقوله:

(٢٦) ﴿كلٌّ له قانتون﴾ أيْ: مُطيعون، لا طاعة العبادة ولكن طاعة الإرادة، خلقهم على ما أراد فكانوا على ما أراد، لا يقدر أحدٌ أن يتغيَّر عمَّا خُلق عليه. وقوله:

(٢٧) ﴿وهو أهون عليه﴾ أَيْ: هيِّنٌ عليه. وقيل: هو أهون عليه عندكم وفيما بينكم؛ لأنَّ الإعادة عندنا أيسر من الابتداء ﴿وله المثل الأعلىٰ﴾ الصِّفة العليا، وهو أنَّه لا إلَه إلاَّ هو ولا ربَّ غيره.

(٢٨) ﴿ضرب لكم مثلاً﴾ بيَّن لكم شبهاً في اتِّخاذكم الأصنام شركاء مع الله سبحانه ﴿من أنفسكم﴾ ثمَّ بيَّن ذلك فقال: ﴿هل لكم ممَّا ملكت أيمانكم﴾ من العبيد والإماء ﴿من شركاء فيما رزقناكم﴾ من المال والولد، أَيْ: هل يشاركونكم فيما أعطاكم الله سبحانه حتىٰ تكونوا أنتم وهم ﴿فيه سواء تخافونهم﴾ أن يرثوكم، كما يخاف بعضكم بعضاً أن يرثه ماله، والمعنىٰ: كما لا يكون هذا فكيف يكون ما هو

كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبٍۭ

مخلوقٌ لله تعالىٰ مثلَه حتىٰ يُعبد كعبادته؟ فلمَّا لزمتهم الحجَّة بهذا ذكر أنَّهم يعبدونها باتِّباع الهوىٰ فقال: ﴿**بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم**﴾ في عبادة الأصنام.

﴿٣٠﴾ ﴿**فأقم وجهك للدين حنيفاً**﴾ أَيْ: أقبل عليه ولا تُعرض عنه. ﴿**فطرة الله**﴾ أي: اتَّبع فطرة الله، أَيْ: خِلقة الله التي خلق النَّاس عليها، وذلك أنَّ كلَّ مولودٍ يُولد علىٰ ما فطره الله عليه من أنَّه لا ربَّ له غيره[1]، كما أقرَّ له لمَّا أُخرج من ظهر آدم عليه السَّلام ﴿**لا تبديل لخلق الله**﴾ لم يبدِّلِ الله سبحانه دينه، فدينُه أنَّه لا ربَّ غيره. ﴿**ذلك الدين القيم**﴾ المستقيم.

﴿٣١﴾ ﴿**منيبين إليه**﴾ راجعين إلى ما أمر به، وهو حالٌ من قوله: ﴿**فأقم وجهك**﴾، والمعنىٰ: فأقيموا وجوهكم؛ لأنَّ أمره أمرٌ لأمته. وقوله:

﴿٣٢﴾ ﴿**من الذين فارقوا[2] دينهم وكانوا شيعاً**﴾ مُفسَّرٌ في سورة الأنعام[3] ﴿**كلُّ حزب**﴾

(١) وفي الحديث: «ما من مولودٍ إلَّا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصِّرانه أو يمجِّسانه، كما تُنتَج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسُّون فيها من جدعاء؟ ثم يقول: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٨/٥١٢؛ ومسلم في القدر برقم ٢٦٥٨.

(٢) قرأ «فارقوا»: حمزة، والكسائي. الإتحاف ٢/٣٥٧.

(٣) انظر ص ٣٨٤.

بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾

كلُّ جماعةٍ من الذين فارقوا دينهم ﴿بما لديهم فرحون﴾ أَيْ: يظنون أنَّهم على الهدىٰ، ثمَّ ذكر أنَّهم مع شركهم لا يلتجئون في الشَّدائد إلى الأصنام، فقال:

﴿٣٣﴾ **﴿وإذا مسَّ الناس ضرٌّ دعوا ربهم منيبين إليه...﴾** الآية. وقوله:

﴿٣٤﴾ **﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾** مفسَّرٌ في سورة العنكبوت(١) إلى قوله:

﴿٣٥﴾ **﴿أم أنزلنا﴾** أَيْ: أَأنزلنا **﴿عليهم سلطاناً﴾** كتاباً **﴿فهو يتكلَّم بما كانوا به يشركون﴾** ينطق بعذرهم في الإشراك.

﴿٣٦﴾ **﴿وإذا أذقْنا الناس رحمة فرحوا بها...﴾** الآية. هذا من صفة الكافر يبطر عند النِّعمة، ويقنط عند الشِّدَّة، لا يشكر في الأُولىٰ، ولا يحتسب في الثَّانية.

﴿٣٩﴾ **﴿وما آتيتم من رباً ليربوَ في أموال الناس﴾** يعني: ما يعطونه من الهدية ليأخذوا أكثر منها، وهو من الرِّبا الحلال **﴿فلا يربو عند الله﴾** لأنَّكم لم تريدوا بذلك وجه الله، وقوله: **﴿فأولئك هم المضعفون﴾** أصحاب الإضعاف، يُضَاعِفُ لهم بالواحدة عشراً.

---

(١) انظر ص ٨٣٦.

ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا

﴿٤١﴾ **﴿ظهر الفساد﴾** القحط وذهاب البركة **﴿في البر﴾** القفار **﴿والبحر﴾** القرىٰ والرِّيف **﴿بما كسبت أيدي الناس﴾** بشؤم ذنوبهم **﴿ليذيقهم بعض الذي عملوا﴾** كان ذلك لِيُذَاقوا الشِّدَّة بذنوبهم في العاجل.

﴿٤٣﴾ **﴿فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتي يومٌ﴾** القيامةُ، فلا ينفع نفساً إيمانها **﴿يومئذٍ يصدَّعون﴾** يتفرَّقون؛ فريقٌ في الجنَّة، وفريقٌ في السَّعير.

﴿٤٤﴾ **﴿مَنْ كفر فعليه كفره﴾** أي: وبال كفره وعذابه **﴿ومَنْ عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون﴾** يفرشون ويُسَوُّون المضاجع، والمعنىٰ: لأنفسهم يبغون الخير.

﴿٤٥﴾ **﴿ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات﴾** بالمطر **﴿وليذيقكم من رحمته﴾** نعمته بالمطر يُرسلها **﴿ولتجري الفلك بأمره﴾** وذلك أنَّها تجري بالرِّياح **﴿ولتبتغوا من فضله﴾** بالتِّجارة في البحر. وقوله:

﴿٤٧﴾ **﴿فانتقمنا من الذين أجرموا﴾** أَيْ: عاقبنا الذين أشركوا **﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾** في العاقبة، وكذلك ننصرك في العاقبة على مَنْ عاداك.

﴿٤٨﴾ **﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً﴾** تُزعجها وتُخرجها من أماكنها **﴿فيبسطه﴾** الله **﴿في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً﴾** قطعاً. يريد أنَّه مرَّةً يبسطه، ومرَّةً يقطعه

فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟

﴿**فترىٰ الودق**﴾ المطر ﴿**يخرج من خلاله**﴾ وسطه وشقوقه ﴿**فإذا أصاب به**﴾ بالودق ﴿**من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون**﴾ يفرحون.

﴿٤٩﴾ ﴿**وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم**﴾ المطر ﴿**من قبله**﴾ كرَّر «من قبل» للتَّأكيد ﴿**لمبلسين**﴾ آيسين.

﴿٥٠﴾ ﴿**فانظر إلى آثار رحمة الله**﴾ يعني: آثار المطر الذي هو رحمة الله تعالىٰ ﴿**كيف يحيـي الأرض**﴾ جعلها تنبت ﴿**بعد موتها**﴾ [يُبسها] ﴿**إنَّ ذلك**﴾ الذي فعل ذلك، وهو الله عزَّ وجلَّ ﴿**لمحيـي الموتىٰ**﴾.

﴿٥١﴾ ﴿**ولئن أرسلنا ريحاً فرأوه مصفراً**﴾ رأوا النَّبت قد اصفرَّ وجفَّ ﴿**لظلُّوا من بعده يكفرون**﴾ يريد: إنَّ الكفَّار يستبشرون بالغيث، فإذا جفَّ النَّبت ولم يحتاجوا إلىٰ الغيث ظلُّوا يكفرون بنعمة الله عزَّ وجلَّ فلم يؤمنوا، ولم يشكروا إنعامه بالمطر.

﴿٥٢﴾ ﴿**فإنك لا تسمع الموتىٰ**﴾ مضت الآية في سورة الأنبياء، والتي بعدها في سورة النمل.

﴿٥٤﴾ ﴿**الله الذي خلقكم من ضعف**﴾ من نطفةٍ. الآية.

﴿٥٥﴾ ﴿**ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون**﴾ يحلف الكافرون ﴿**ما لبثوا**﴾ في قبورهم

غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾

﴿غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون﴾ أَيْ: كذَّبوا في هذا الوقت كما كانوا يُكذِّبون في الدُّنيا.

﴿٥٦﴾ **﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله﴾** أَيْ: فيما بيَّن في كتابه، وهو اللَّوح المحفوظ **﴿إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون﴾** أنَّه يكون. وقوله:

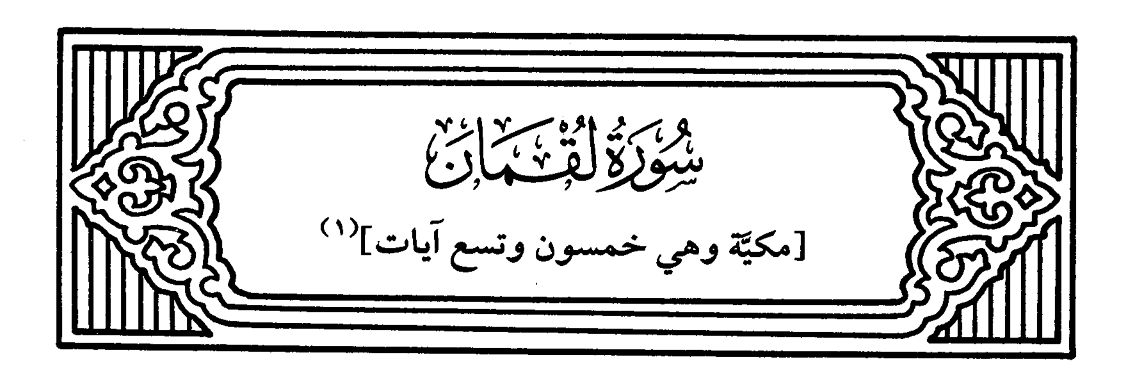
﴿٥٧﴾ **﴿ولا هم يستعتبون﴾** أَيْ: لا يُطلب منهم أن يرجعوا إلىٰ ما يُرضي الله سبحانه.

﴿٥٨﴾ **﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كلِّ مثل﴾** بيَّنا لهم الأمثال للاعتبار **﴿ولئن جئتهم بآية﴾** لهم فيها بيانٌ واعتبارٌ **﴿ليقولنَّ الذين كفروا إن أنتم إلَّا مبطلون﴾** ما أنتم إلَّا أصحاب الأباطيل.

﴿٥٩﴾ **﴿كذلك﴾** كما طبع الله على قلوبهم حتىٰ لم يفهموا **﴿يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون﴾** أدلَّة التَّوحيد.

﴿٦٠﴾ **﴿فاصبر إنَّ وعد الله﴾** في نصرك وتمكينك **﴿حق ولا يستخفنَّك﴾** لا يستفزنَّك عن دينك **﴿الذين لا يوقنون﴾** أي: الضُّلال الشَّاكُّون.

• • •



سُورَةُ لُقْمَانَ

[مكيّة وهي خمسون وتسع آيات][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

هذه السورة مفسَّرة فيما مضى[2] إلى قوله:

﴿٦﴾ ﴿**ومن الناس من يشتري لهو الحديث**﴾ يعني: النَّضر بن الحارث، كان يخرج تاجراً إلى فارس، فيشتري أخبار الأعاجم، ثمَّ يأتي بها فيقرؤها في أندية قريش، فيستملحونها ويتركون استماع القرآن، وقوله: ﴿**ويتخذها هزواً**﴾ أيْ: يتَّخذ آيات الكتاب هزواً. وقوله:

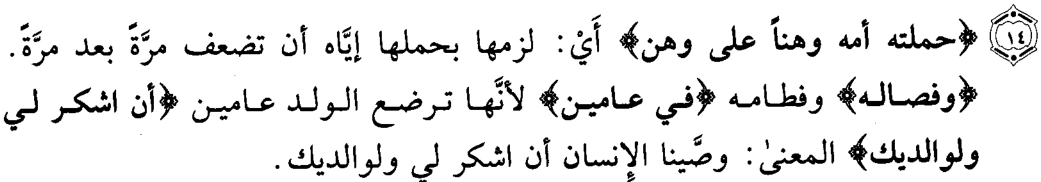
---

(١) زيادة من ظا.

(٢) انظر ص ٧٩٨.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ


﴿١٢﴾ **﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله﴾** أَيْ: وقلنا له: أن اشكر لله. وقوله:


﴿١٤﴾ **﴿حملته أمه وهناً على وهن﴾** أَيْ: لزمها بحملها إيَّاه أن تضعف مرَّةً بعد مرَّةٍ. **﴿وفصاله﴾** وفطامه **﴿في عامين﴾** لأنَّها ترضع الولد عامين **﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾** المعنىٰ: وصَّينا الإنسان أن اشكر لي ولوالديك.

﴿١٥﴾ **﴿وإن جاهداك﴾** مُفسَّرٌ فيما مضىٰ، وقوله: **﴿وصاحبهما في الدنيا معروفاً﴾** أَيْ: مُصَاحَباً معروفاً، وهو المستحسن **﴿واتبع سبيل من أناب﴾** رجع **﴿إليَّ﴾** يعني: اسلك سبيل محمد ﷺ وأصحابه، نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد مرَّ[1].

﴿١٦﴾ **﴿يا بني إنها إن تك مثقال﴾** رُوي أنَّ ابنه قال له: إنْ عملتُ بالخطيئة حيث لا يراني أحدٌ كيف يعلمها الله عزَّ وجلَّ؟ فقال: **﴿إنها﴾** أي: الخطيئة **﴿إن تك مثقال حبة من خردل﴾** أو: السَّيِّئة، ثمَّ كانت **﴿في صخرة﴾** أَيْ: في أخفىٰ مكان **﴿أو في السموات أو في الأرض﴾** أينما كانت أتىٰ الله بها ولن تخفىٰ عليه، ومعنىٰ **﴿يأت بها الله﴾** أَيْ: للجزاء عليها **﴿إنَّ الله لطيف﴾** باستخراجها **﴿خبير﴾** بمكانها.

وقوله:

---

(١) انظر ص ٨٣٠.

إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾

﴿١٧﴾ **﴿إنَّ ذلك من عزم الأمور﴾** أي: الأمور الواجبة.

﴿١٨﴾ **﴿ولا تصعر خدَّك للناس﴾** لا تُعرض عنهم تكبُّراً **﴿ولا تمش في الأرض مرحاً﴾** مُتَبختراً مختالاً.

﴿١٩﴾ **﴿واقصد في مشيك﴾** ليكن مشيك قصداً، لا بِخُيلاء ولا بإسراع **﴿واغضض﴾** واخفض **﴿من صوتك إنَّ أنكر الأصوات﴾** أقبحها **﴿لصوت الحمير﴾**.

﴿٢٠﴾ **﴿ألم تروا أنَّ الله سخر لكم ما في السموات﴾** من الشَّمس والقمر والنُّجوم لتنتفعوا بها **﴿وما في الأرض﴾** من البحار والأنهار والدَّوابِّ **﴿وأسبغ﴾** وأوسع وأتمَّ **﴿عليكم نعمه ظاهرة﴾** وهي حسن الصُّورة وامتداد القامة **﴿وباطنة﴾** وهي المعرفة، والباقي قد مضىٰ تفسيره[1]. إلى قوله تعالىٰ:

﴿٢١﴾ **﴿أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير﴾** أَيْ: موجباته، فيتَّبعونه.

﴿٢٢﴾ **﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾** يُقبل على طاعته وأوامره **﴿وهو محسن﴾** مؤمنٌ موحِّدٌ **﴿فقد استمسك بالعروة الوثقىٰ﴾** بالطَّرفِ الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه **﴿وإلى الله عاقبة الأمور﴾** مرجعها.

---

(١) انظر ص ٧٢٨.

نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ ۗ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾

﴿٢٤﴾ **﴿نمتعهم قليلاً﴾** بالدُّنيا **﴿ثمَّ نضطرهم﴾** نُلجئهم **﴿إلى عذاب غليظ﴾**.

﴿٢٥﴾ **﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله﴾** الذي خلقها **﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾** إذ أشركوا به بعد إقرارهم بأنَّه خالقها.

﴿٢٧﴾ **﴿ولو أنَّ ما في الأرض من شجرة أقلام. . .﴾** الآية. وذلك أنَّ المشركين قالوا في القرآن: هذا كلامٌ سينفد وينقطع، فأعلم الله سبحانه أنَّ كلامَهُ لا ينفد **﴿والبحر يمده﴾** أيْ: يزيد فيه، ثمَّ كتبت به كلمات الله **﴿ما نفدت﴾**.

﴿٢٨﴾ **﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلاَّ كنفس واحدة﴾** أَيْ: كخلق وكبعث نفسٍ واحدةٍ؛ لأنَّ قدرة الله سبحانه على بعث الخلق كقدرته على بعث نفسٍ واحدةٍ. وقوله:

﴿٢٩﴾ **﴿ألم تر أنَّ الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كلٌّ يجري إلى أجل مسمىً وأنَّ الله بما تعملون خبير﴾**.

﴿٣٠﴾ **﴿ذلك﴾** أَيْ: فعل الله ذلك لتعلموا **﴿بأن الله هو الحق﴾** الذي لا إله غيره. وقوله:

﴿٣١﴾ **﴿إنَّ في ذلك لآيات لكلّ صبار شكور﴾** أَيْ: لكلِّ مؤمنٍ بهذه الصِّفة.

وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾

---

(٣٢) ﴿وإذا غشيهم﴾ علاهم ﴿موج كالظلل﴾ كالجبال. وقيل: كالسَّحاب. وقوله: ﴿فمنهم مقتصد﴾ أَيْ: مؤمنٌ مُوفٍ بما عاهد الله في البحر. وقوله: ﴿كلُّ ختار﴾ غدَّارٍ ﴿كفور﴾ جحودٍ. وقوله:

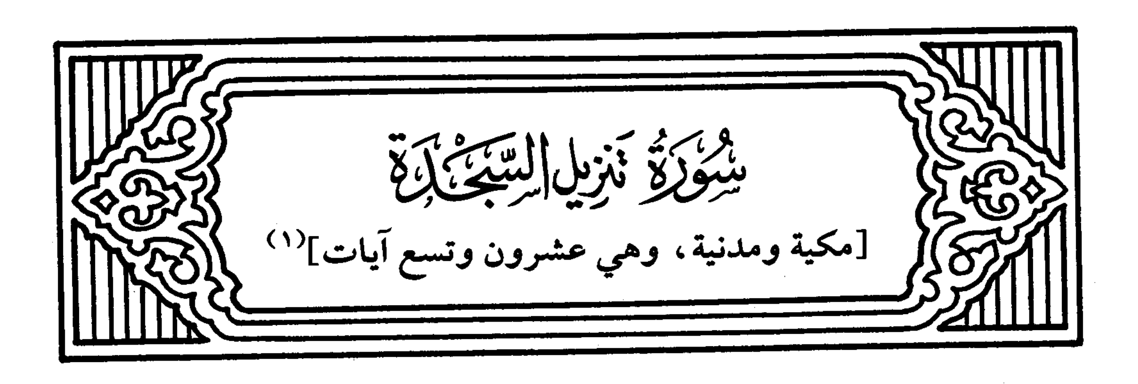
(٣٣) ﴿لا يجزي والد عن ولده﴾ لا يكفي ولا يُغني عنه شيئاً، و ﴿الغَرُور﴾ الشَّيطان.

(٣٤) ﴿إنَّ الله عنده علم الساعة﴾ متىٰ تقوم ﴿وينزل الغيث﴾ المطر ﴿ويعلم ما في الأرحام﴾ ذكراً أو أنثىٰ[١].

• • •

---

(١) عن ابن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: مفاتيح الغيب خمسٌ، ثمَّ قرأ: ﴿إنَّ الله عنده علم الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرض، وما تدري نفس ماذا تكسب غداً، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت، إنَّ الله عليمٌ خبيرٌ﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٨/٥١٣.



سُورَةُ تَنزِيلِ السَّجْدَةِ

[مكية ومدنية، وهي عشرون وتسع آيات][(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله:

﴿٥﴾ ﴿**يدبر الأمر من السماء إلى الأرض**﴾ يعني: القضاء من السَّماء فينزله إلىٰ الأرض مدَّة أيام الدُّنيا ﴿**ثمَّ يعرج إليه**﴾ أَيْ: يرجع الأمر والتَّدبير إلى السَّماء، ويعود إليه بعد انقضاء الدُّنيا وفنائها ﴿**في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون**﴾ وهو يوم القيامة، وذلك اليوم يطول على قومٍ ويشتدُّ حتىٰ يكون كخمسين ألف سنة، ويقصر على قوم، فلا آخر له معلوم. وقوله:

---

(١) زيادة من ظا.

ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلًا مَّا تَشۡكُرُونَ ﴿٩﴾ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَأٓتَيۡنَا كُلَّ نَفۡسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ مِنِّى لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا

﴿٧﴾ ﴿**الذي أحسن كلَّ شيء خلقه**﴾ أَيْ: أتقنه وأحكمه ﴿**وبدأ خلق الإِنسان من طين**﴾ آدم عليه السَّلام.

﴿٨﴾ ﴿**ثم جعل نسله**﴾ ذريَّته ﴿**من سلالةٍ**﴾ نطفةٍ ﴿**من ماء مهين**﴾ ضعيفٍ حقيرٍ.

﴿٩﴾ ﴿**وقالوا**﴾ يعني: منكري البعث ﴿**أإذا ضللنا في الأرض**﴾ صرنا تراباً وبطلنا ﴿**أإنا لفي خلق جديد**﴾ نُخلق بعد ذلك خلقاً جديداً.

﴿١١﴾ ﴿**قل يتوفاكم**﴾ يقبض أرواحكم.

﴿١٢﴾ ﴿**ولو ترىٰ**﴾ يا محمد ﴿**إذ المجرمون**﴾ المشركون ﴿**ناكسو رؤوسهم**﴾ مُطأطئوها حياءً من ربِّهم عزَّ وجلَّ، ويقولون: ﴿**ربنا أبصرنا**﴾ ما كنا به مُكذِّبين ﴿**وسمعنا**﴾ منك صدق ما أتت به الرُّسل ﴿**فارجعنا**﴾ فارددنا إلى الدُّنيا ﴿**نعمل صالحاً**﴾.

﴿١٣﴾ ﴿**ولو شئنا لآتينا كلَّ نفس هداها**﴾ رشدها. الآية. ويقال لأهل النَّار:

﴿١٤﴾ ﴿**فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا**﴾ أَيْ: تركتم الإِيمان به ﴿**إنا نسيناكم**﴾ تركناكم في النَّار.

﴿١٥﴾ ﴿**إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها**﴾ أي: وُعظوا ﴿**خرُّوا سجداً**﴾ لله سبحانه

وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾

خوفاً منه ﴿**وسبحوا بحمد ربهم**﴾ نزَّهوا الله تعالى بالحمد لله ﴿**وهم لا يستكبرون**﴾ عن الإِيمان به والسُّجود له.

﴿١٦﴾ ﴿**تتجافىٰ جنوبهم**﴾ ترتفع أضلاعهم ﴿**عن المضاجع**﴾ الفرش ومواضع النَّوم[1] ﴿**يدعون ربهم خوفاً**﴾ من النَّار ﴿**وطمعاً**﴾ في الجنَّة ﴿**ومما رزقناهم ينفقون**﴾ يصَّدَّقون.

﴿١٧﴾ ﴿**فلا تعلم نفس**﴾ من هؤلاء ﴿**ما أخفي لهم**﴾ ما أُعدَّ لهم ﴿**من قرة أعين**﴾ ممَّا تقرُّ به عينه إذ رآه.

﴿١٨﴾ ﴿**أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً**﴾ نزلت[2] في أمير المؤمنين عليّ بن أبـي طالب رضي الله عنه، والوليد بن عقبة بن أبـي معيط.

---

(١) عن أنس بن مالك في الآية قال: نزلت في انتظار الصلاة التي تدعىٰ العتمة.
أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣١٩٤؛ وقال: حسن صحيح، وابن جرير ٢١/١٠١.
وفي رواية لأبـي داود قال: كانوا يتنفَّلون ما بين المغرب والعشاء ويصلون.
أخرجه في الصلاة برقم ١٣٢١؛ وابن جرير ٢١/١٠٠؛ وابن أبـي شيبة في المصنف ٢/١٥ بسندٍ جيد.

(٢) أخرجه المؤلف في الأسباب ص ٤٠٥ بسنده إلى ابن عباس؛ وأخرجه ابن جرير ٢١/١٠٧ عن عطاء بن يسار.

وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾ أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

---

(٢١) **﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنىٰ﴾** قيل: المصيبات في الدُّنيا. وقيل: القتل ببدر. وقيل: عذاب القبر. وقيل: الجوع سبع سنين، والأَولىٰ المُصيبات والجوع لقوله: **﴿لعلهم يرجعون﴾**. وقوله:

(٢٣) **﴿فلا تكن في مرية من لقائه﴾** أَيْ: من لقاء موسىٰ عليه السَّلام ليلة المعراج، وعده الله تعالىٰ أن يريه موسىٰ عليه السَّلام ليلة الإِسراء به.

(٢٤) **﴿وجعلنا منهم﴾** من بني إسرائيل **﴿أئمة﴾** قادة **﴿يهدون﴾** يدعون الخلق **﴿بأمرنا لما صبروا﴾** حين صبروا على الحقِّ.

(٢٥) **﴿إنَّ ربك هو يفصل﴾** يحكم **﴿بينهم يوم القيامة﴾** بين المُكذِّبين بك **﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾** من أمرك.

(٢٦) **﴿أو لم يهد لهم﴾** يتبيَّن لهم صدقك **﴿كم أهلكنا﴾** إهلاكنا مَنْ كذَّب الرُّسل منهم وهم **﴿يمشون في مساكنهم﴾** إذا سافروا، فيرون خرابَ منازلهم **﴿إنَّ في ذلك لآيات أفلا يسمعون﴾** آيات الله وعظاته.

(٢٧) **﴿أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾** الغليظة التي لا نبات فيها **﴿فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾** هذا فيعلموا أنَّا نقدر على إعادتهم.

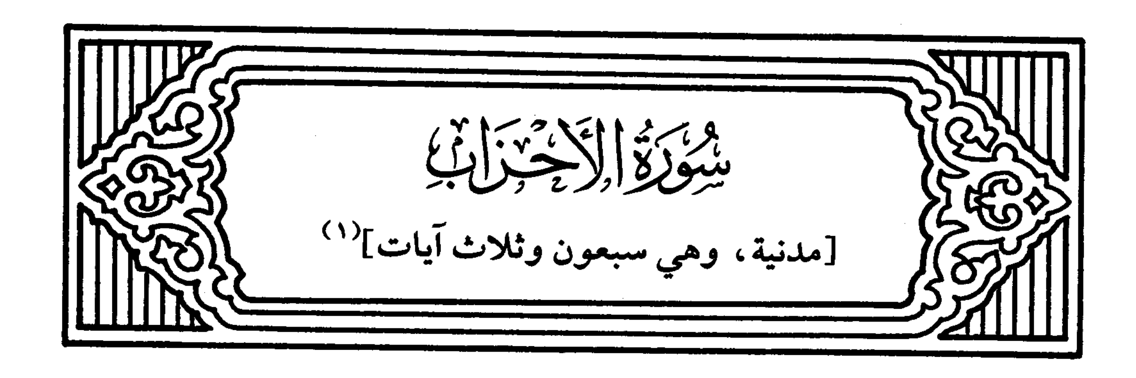
وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

﴿٢٨﴾ **﴿ويقولون متىٰ هذا الفتح إن كنتم صادقين﴾** وذلك أنَّ المؤمنين قالوا للكفَّار: إنَّ لنا يوماً يحكم الله بيننا وبينكم فيه، يريدون يوم القيامة، فقالوا: متىٰ هذا الفتح؟ فقال الله تعالىٰ: **﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾** يُمهلون للتَّوبة.

﴿٣٠﴾ **﴿فأعرض عنهم﴾** منسوخٌ بآية السَّيف[1] **﴿وانتظر﴾** عذابهم **﴿إنهم منتظرون﴾** هلاكك [في زعمهم الكاذب].

• • •

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٤٤٢، وقال: نسختها آية السيف في براءة، لقوله عزَّ وجلَّ: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾.
وانظر: الإيضاح ص ٣٨١.



سورة الأحزاب

[مدنية، وهي سبعون وثلاث آيات][(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ اثبت على تقوىٰ الله، ودُمْ عليه ﴿ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ وذلك أنَّ الكافرين قالوا له: ارفض ذكر آلهتنا، وقل: إنَّ لها شفاعةً ومنفعةً لمن عبدها، ووازرَهم المنافقون على ذلك ﴿إنَّ الله كان عليماً﴾ بما يكون قبل كونه ﴿حكيماً﴾ فيما يخلق.

(٤) ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ هذا تكذيبٌ لبعض مَنْ قال من الكافرين: إنَّ لي قلبين أفهم بكلِّ واحدٍ منهما أكثر ممَّا يفهم محمد[(٢)]، فأكذبه الله تعالىٰ. قيل: إنَّه ابن خطل ﴿وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم﴾ لم يجعل نساءكم اللائي تقولون: هنَّ علينا كظهور أمهاتنا في الحرام كما تقولون،

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) وهذا قول مجاهد في تفسيره ص ٥١٣، والقائل هو جميل بن معمر الفهري، وذكره الكلبي في جمهرة النسب ص ٩٨؛ والمؤلف في الأسباب ص ٤٠٧.

وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ

وكان هذا من طلاق الجاهليَّة، فجعل الله في ذلك كفَّارة ﴿**وما جعل أدعياءكم**﴾ مَنْ تبنَّيتموه ﴿**أبناءكم**﴾ في الحقيقة كما تقولون ﴿**ذلكم قولكم بأفواهكم**﴾ قولٌ بالفم لا حقيقة له ﴿**والله يقول الحق**﴾ وهو أنَّ غير الابن لا يكون ابناً ﴿**وهو يهدي السبيل**﴾ أَيْ: السَّبيل المستقيم.

﴿٥﴾ ﴿**ادعوهم لآبائهم**﴾ أَيْ: انسبوهم إلى الذين ولدوهم[١] ﴿**هو أقسط عند الله**﴾ أعدل عند الله ﴿**فإن لم تعلموا آباءهم**﴾ مَنْ هم ﴿**فإخوانكم في الدين**﴾ أَيْ: فهم إخوانكم في الدِّين ﴿**ومواليكم**﴾ وبنو عمِّكم. وقيل: أولياؤكم في الدِّين ﴿**وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به**﴾ وهو أن يقول لغير ابنه: يا بنيَّ من غير تَعَمُّدٍ أن يجريه مجرىٰ الولد في الميراث، وهو قوله: ﴿**ولكن ما تعمَّدت قلوبكم**﴾ يعني: ولكنَّ الجُناح في الذي تعمَّدت قلوبكم.

﴿٦﴾ ﴿**النبيُّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم**﴾ إذا دعاهم النبيُّ ﷺ إلى شيءٍ، ودعتهم أنفسهم إلى شيءٍ كانت طاعة النبيِّ ﷺ أولىٰ[٢]. ﴿**وأزواجه أمهاتهم**﴾ في حرمة

---

(١) عن عبد الله بن عمر قال: إنَّ زيد بن حارثة مولىٰ رسول ﷺ ما كنَّا ندعوه إلَّا زيد ابن محمد، حتى نزل القرآن: ﴿ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٨/٥١٧؛ ومسلم في فضائل الصحابة برقم ٢٤٢٥؛ والترمذي برقم ٣٢٠٧ في التفسير؛ والنسائي في تفسيره ٢/١٦١، والنحاس في ناسخه ص ٢٤٤.

(٢) عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: ما من مؤمنٍ إلَّا وأنا أولىٰ الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿النَّبيُّ أولىٰ بالمؤمنين من أنفسهم﴾، فأيُّما مؤمنٍ ترك مالاً فليرثه عصبته مَنْ كانوا، فإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني، فأنا مولاه. أخرجه البخاري في التفسير ٨/٥١٧؛ ومسلم في الفرائض برقم ١٦١٩.

وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَن تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ﴿٦﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾ لِّيَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ

نكاحهنَّ عليهم ﴿**وأولوا الأرحام**﴾ والأقارب ﴿**بعضهم أولىٰ ببعض**﴾ في الميراث ﴿**في كتاب الله**﴾ في حكمه ﴿**من المؤمنين والمهاجرين**﴾ وذلك أنَّهم كانوا في ابتداء الإسلام يرثون بالإيمان والهجرة ﴿**إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً**﴾ لكن إن يوصوا لهم بشيءٍ من الثُّلث فهو جائزٌ ﴿**كان ذلك في الكتاب مسطوراً**﴾ كان هذا الحكم في اللَّوح المحفوظ مكتوباً.

﴿٧﴾ ﴿**وإذ أخذنا**﴾ واذكر إذ أخذنا ﴿**من النبيّين ميثاقهم**﴾ على الوفاء بما حملوا، وأن يُصدِّق بعضهم بعضاً.

﴿٨﴾ ﴿**ليسأل الصادقين عن صدقهم**﴾ المُبلِّغين من الرُّسل عن تبليغهم، وفي تلك المسألة تبكيتٌ للكفَّار ﴿**وأعدَّ للكافرين**﴾ بالرُّسل ﴿**عذاباً أليماً**﴾.

﴿٩﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود**﴾ يعني: الأحزاب، وهم قريش وغطفان وقُريظة والنَّضير، حاصروا المسلمين أيَّام الخندق ﴿**فأرسلنا عليهم ريحاً**﴾ [وهي الصَّبا] كفأت قدورهم، وقلعت فساطيطهم ﴿**وجنوداً لم تروها**﴾ وهم الملائكة ﴿**وكان الله بما يعملون**﴾[1] من حفر الخندق ﴿**بصيراً**﴾.

﴿١٠﴾ ﴿**إذ جاؤوكم من فوقكم**﴾ من قبل المشرق، يعني: قُريظة والنَّضير، ﴿**ومن أسفل منكم**﴾ قريشٌ من ناحية مكَّة ﴿**وإذ زاغت الأبصار**﴾ مالت وشخصت، وتحيَّرت

(١) قرأ «يعملون» بالياء أبو عمرو البصري.

وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾ وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَءَاتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا۟ بِهَآ إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ

لشدَّة الأمر وصعوبته عليكم ﴿**وبلغت القلوب الحناجر**﴾ ارتفعت إلى الحلوق لشدَّة الخوف ﴿**وتظنون به الظنونا**﴾ ظنَّ المنافقون أنَّ محمداً ﷺ وأصحابه يُستأصلون، وأيقن المؤمنون بنصر اللَّهِ.

﴿١١﴾ ﴿**هنالك**﴾ في تلك الحال ﴿**ابتلي المؤمنون**﴾ اختبروا ليتبيَّن المخلص من المنافق ﴿**وزلزلوا**﴾ وحرِّكوا وخُوِّفوا.

﴿١٢﴾ ﴿**وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض**﴾ شكٌّ ونفاقٌ: ﴿**ما وعدنا الله ورسوله إلاَّ غروراً**﴾ إذْ وعدنا أنَّ فارس والرُّوم يُفتحان علينا.

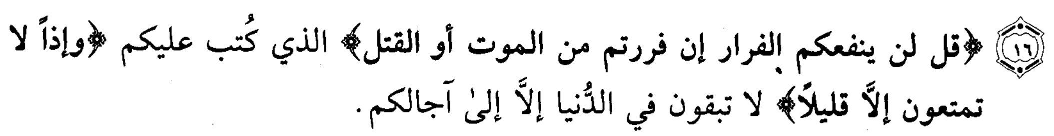
﴿١٣﴾ ﴿**وإذ قالت طائفة منهم**﴾ من المنافقين: ﴿**يا أهل يثرب**﴾ يعني: المدينة ﴿**لا مقام لكم**﴾ لا مكان لكم تُقيمون فيه ﴿**فارجعوا**﴾ إلى منازلكم بالمدينة، أمروهم بترك رسول الله ﷺ وخذلانه، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ كان قد خرج من المدينة إلى سلع لقتال القوم ﴿**ويستأذن فريقٌ منهم**﴾ من المنافقين ﴿**النبيَّ**﴾ في الرُّجوع إلى منازلهم ﴿**يقولون: إنَّ بيوتنا عورة**﴾ ليست بحصينةٍ، نخاف عليها العدوَّ. قال الله تعالىٰ: ﴿**وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً**﴾ من القتال.

﴿١٤﴾ ﴿**ولو دخلت عليهم**﴾ لو دخل عليهم هؤلاء الذين يريدون قتالهم المدينة ﴿**من أقطارها**﴾ جوانبها ﴿**ثمَّ سئلوا الفتنة**﴾ سألتهم الشِّرك بالله ﴿**لأتوها**﴾ لأعطوا مرادهم ﴿**وما تلبثوا بها إلاَّ يسيراً**﴾ وما احتبسوا عن الشِّرك إلا يسيراً، أَيْ: لأسرعوا الإِجابة إليه.

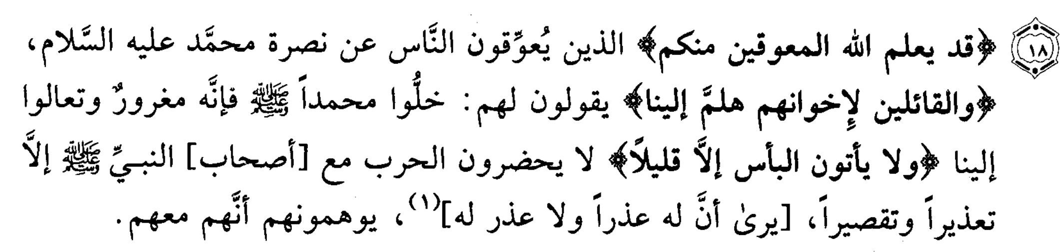
﴿١٥﴾ ﴿**ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل**﴾ عاهدوا رسول الله ﷺ قبل غزوة الخندق

لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ ۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا۟ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ ٱلْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا۟ ۖ

﴿لا يولون الأدبار﴾ لا ينهزمون عن العدوِّ ﴿وكان عهد الله مسؤولاً﴾ والله تعالىٰ يسألهم عن ذلك العهد يوم القيامة.



﴿١٦﴾ ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ الذي كُتب عليكم ﴿وإذاً لا تمتعون إلاَّ قليلاً﴾ لا تبقون في الدُّنيا إلاَّ إلىٰ آجالكم.



﴿١٨﴾ ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم﴾ الذين يُعوِّقون النَّاس عن نصرة محمَّد عليه السَّلام، ﴿والقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا﴾ يقولون لهم: خلُّوا محمداً ﷺ فإنَّه مغرورٌ وتعالوا إلينا ﴿ولا يأتون البأس إلاَّ قليلاً﴾ لا يحضرون الحرب مع [أصحاب] النبيِّ ﷺ إلاَّ تعذيراً وتقصيراً، [يرىٰ أنَّ له عذراً ولا عذر له][1]، يوهمونهم أنَّهم معهم.

﴿١٩﴾ ﴿أشحة عليكم﴾ بخلاء عليكم بالخير والنَّفقة ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم﴾ في رؤوسهم من الخوف كدوران عين الذي ﴿يُغشى عليه من الموت﴾ قَرُبَ أن يموت فانقلبت عيناه ﴿فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد﴾ آذوكم بالكلام وجادلوكم في الغنيمة ﴿أشحة﴾ بخلاء ﴿على الخير﴾ الغنيمة.

﴿٢٠﴾ ﴿يحسبون الأحزاب لم يذهبوا﴾ لجبنهم وشدَّة خوفهم يظنون أنَّهم بعد انهزامهم

---

(١) ما بين [ ] زيادة من الأصل.

وَإِن يَأْتِ ٱلْأَحْزَابُ يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ يَسْـَٔلُونَ عَنْ أَنۢبَآئِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا۟ فِيكُم مَّا قَـٰتَلُوٓا۟ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَـٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَـٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ

لم ينصرفوا بعد **﴿وإن يأت الأحزاب﴾** يرجعوا كرَّةً ثانيةً **﴿يودوا لو أنَّهم بادون في الأعراب﴾** خارجون من المدينة إلى البادية في الأعراب **﴿يسألون عن أنبائكم﴾** أَيْ: يودوا لو أنَّهم غائبون عنكم يسمعون أخباركم بسؤالهم عنها من غير مشاهدة. قال الله تعالىٰ: **﴿ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلَّا قليلاً﴾** رياءً من غير حِسْبَةٍ، ولمَّا وصف الله تعالىٰ حال المنافقين في الحرب وصف حال المؤمنين فقال:

﴿٢١﴾ **﴿لقد كان لكم﴾** أيُّها المؤمنون **﴿في رسول الله أسوة حسنة﴾** سنَّةٌ صالحةٌ، واقتداءٌ حسنٌ حيث لم يخذلوه ولم يتولَّوا عنه، كما فعل هو ﷺ يوم أُحدٍ شُجَّ حاجبه، وكُسرت رباعيته، فوقف ﷺ ولم ينهزم، ثمَّ بيَّن لِمَنْ كان هذا الاقتداء برسول الله ﷺ فقال: **﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾** أَيْ: يخافهما.

﴿٢٢﴾ **﴿ولما رأىٰ المؤمنون الأحزاب قالوا﴾** تصديقاً لوعد الله تعالىٰ: **﴿هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله﴾** ووعدُ الله تعالىٰ إيَّاهم في قوله: **﴿أَمْ حسبْتُم أن تدخلوا الجنَّة ولمَّا يأتكم مثَلُ الذين خلوا مِنْ قبلِكم مسَّتهم البأساءُ والضَّراء وزُلزلوا حتَّىٰ يقولَ الرَّسول والذين آمنوا معه: متىٰ نصر الله؟ ألا إِنَّ نصر الله قريبٌ﴾**[1]. فعلموا بهذه الآية أنَّهم يُبتلون، فلمَّا ابتلوا بالأحزاب علموا أنَّ الجنَّة والنَّصر قد وجبا لهم إن سلَّموا وصبروا، وذلك قوله: **﴿وما زادهم إلَّا إيماناً﴾** وتصديقاً بالله ورسوله **﴿وتسليماً﴾** لله أمره.

﴿٢٣﴾ **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله﴾** كانوا صادقين في عهودهم بنصرة

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١٤.

عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾

النبيِّ ﷺ[1] ﴿فمنهم من قضىٰ نحبه﴾ فرغ من نذره واستُشهد. يعني: الذين قُتلوا بأُحدٍ ﴿ومنهم مَنْ ينتظر﴾ أن يقتل شهيداً ﴿وما بدلوا تبديلاً﴾ عهدهم، ثمَّ ذكر جزاء الفريقين فقال:

﴿٢٤﴾ ﴿ليجزي الله الصادقين بصدقهم. . .﴾ الآية.

﴿٢٥﴾ ﴿وردَّ الله الذين كفروا﴾ قريشاً والأحزاب ﴿بغيظهم﴾ على ما فيهم من الغيظ ﴿لم ينالوا خيراً﴾ لم يظفروا بالمسلمين ﴿وكفىٰ الله المؤمنين القتال﴾ بالرِّيح والملائكة.

﴿٢٦﴾ ﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب﴾ الذين عاونوا الأحزاب من قريظة ﴿من صياصيهم﴾ حصونهم، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ حاصرهم، واشتدَّ ذلك عليهم حتىٰ نزلوا على حكمه، وذلك قوله تعالىٰ: ﴿وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون﴾ يعني: الرِّجال ﴿وتأسرون فريقاً﴾ يعني: النِّساء والذُّريَّة. وقوله:

﴿٢٧﴾ ﴿وأرضاً لم تطؤوها﴾ يعني: خيبر، ولم يكونوا نالوها، فوعدهم الله تعالىٰ إيَّاها.

---

(١) عن أنس بن مالك قال: نرىٰ هذه الآية نزلت في عمي أنس بن النضر. ﴿من المؤمنين رجالٌ صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾.
أخرجه البخاري في التفسير ٨/٥١٨؛ ومسلم في الإمارة برقم ١٩٠٣؛ والترمذي في التفسير برقم ٣١٩٨؛ والنسائي في تفسيره ٢/١٦٧ ذكره مطوَّلاً.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾

﴿٢٨﴾ **﴿يا أيها النبيُّ قل لأزواجك. . .﴾** الآية. نزلت حين سألت نساء رسول الله ﷺ شيئاً من عرض الدُّنيا، وآذينَهُ بزيادة النَّفقة، فأنزل الله سبحانه هذه الآيات، وأمره أن يُخيِّرهنَّ بين الإِقامة معه على طلب ما عند الله، أو السَّراح إن أردْنَ الدُّنيا، وهو قوله: **﴿إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكنَّ﴾**[1] متعة الطَّلاق، فقرأ عليهنَّ رسول الله ﷺ هذه الآيات، فاخترن الآخرة على الدُّنيا، والجنَّة على الزِّينة، فرفع الله سبحانه درجتهنَّ على سائر النِّساء بقوله:

﴿٣٠﴾ **﴿يا نساء النبيّ مَنْ يأت منكنَّ بفاحشة مبيِّنة﴾** بمعصيةٍ ظاهرةٍ **﴿يضاعف لها العذاب ضعفين﴾** ضعفي عذاب غيرها من النِّساء.

الجزء الثاني والعشرون:

﴿٣١﴾ **﴿ومن يقنت﴾** يطع **﴿نؤتها أجرها مرَّتين﴾** مثلي ثواب غيرها من النِّساء **﴿وأعتدنا لها رزقاً كريماً﴾** يعني: الجنَّة. وقوله:

﴿٣٢﴾ **﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض﴾** أيْ: لا تقلن قولاً يجد منافقٌ به سبيلاً إلىٰ أن يطمع في موافقتكنَّ له. وقوله: **﴿وقلن قولاً معروفاً﴾** أيْ: قلن بما يوجبه الدِّين والإِسلام بغير خضوعٍ فيه بل بتصريحٍ.

---

(١) حديث تخيير النبي أزواجه، أخرجه البخاري في التفسير ٨/٥١٩؛ ومسلم في الطلاق برقم ١٤٧٥.

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ

﴿٣٣﴾ **﴿وقرن في بيوتكن﴾** أمرٌ لهنَّ من الوقار والقرار جميعاً **﴿ولا تبرجن﴾** ولا تُظهرن المحاسن كما كان يفعله أهل الجاهليَّة، وهو ما بين عيسىٰ ومحمد صلوات الله عليهما. **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾** وهو كلُّ مُستنكرٍ ومُستقذَرٍ من عملٍ **﴿أهل البيت﴾** يعني: نساء النبيِّ ﷺ ورجال أهل بيته.

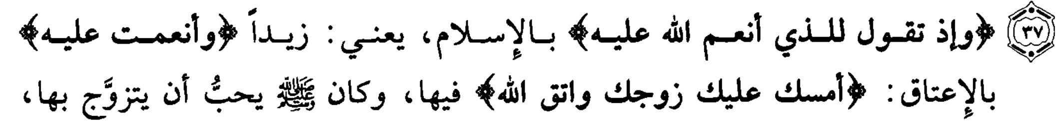
﴿٣٤﴾ **﴿واذكرن ما يتلىٰ في بيوتكنَّ من آيات الله﴾** يعني: القرآن **﴿والحكمة﴾** يعني: السُّنَّة.

﴿٣٥﴾ **﴿إنَّ المسلمين والمسلمات...﴾** الآية. قالت النِّساء: ذكر الله تعالىٰ الرِّجال بخيرٍ في القرآن، ولم يذكر النِّساء بخيرٍ، فما فينا خيرٌ يُذكر، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية[1].

﴿٣٦﴾ **﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة...﴾** الآية. نزلت في عبد الله بن جحش وأخته

---

(١) عن أم سلمة أنَّها قالت للنبيِّ ﷺ: يا نبيَّ الله، مالي أسمع الرجال يذكرون في القرآن، والنساء لا يُذكرن؟ فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿إنَّ المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات﴾.
أخرجه أحمد ٦/ ٣٠١؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ١٦٩؛ والحاكم ٢/ ٤١٦؛ وصححه وأقرَّه الذهبي؛ والطبراني في الكبير ٢٣/ ٢٩٣؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٠٩ عن أم عمارة الأنصارية.



زينب، خطبها رسول الله ﷺ علىٰ مولاه زيد بن حارثة، وظنَّت أنَّه خطبها لنفسه، فلمَّا علمت أنَّه يريدها لزيدٍ كرهت ذلك، فأنزل الله تعالى[(١)]: **﴿وما كان لمؤمن﴾** يعني: عبد الله بن جحش **﴿ولا مؤمنة﴾** يعني: أخته زينب **﴿إذا قضىٰ الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾** أيْ: الاختيار، فأعلم أنَّه لا اختيار على ما قضاه الله ورسوله، وزوَّجها من زيدٍ، ومكثت عنده حيناً، ثمَّ إن رسول الله ﷺ أتىٰ زيداً ذات يومٍ لحاجة، فأبصرها قائمةً في درعٍ وخمارٍ، فأعجبته وكأنَّها وقعت في نفسه[(٢)]، وقال: سبحان الله مُقلِّب القلوب، فلمَّا جاء زيدٌ أخبرته بذلك، وأُلقي في نفس زيدٍ كراهتها، فأراد فراقها، فأتىٰ رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أفارق صاحبتي؛ فإنَّها تؤذيني بلسانها، فذلك قوله:

(٣٧) **﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه﴾** بالإسلام، يعني: زيداً **﴿وأنعمت عليه﴾** بالإعتاق: **﴿أمسك عليك زوجك واتق الله﴾** فيها، وكان ﷺ يحبُّ أن يتزوَّج بها،

---

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ٢٢/١١، وابن أبي حاتم. وانظر فتح الباري ٨/٥٢٣.

(٢) ذكر هذا القول ابن جرير عن عبد الرحمن بن زيد ٢٢/١٣؛ وهو ضعيف، وابن أبي حاتم.
قال ابن حجر في فتح الباري ٨/٥٢٤: وقد وردت آثار أخرىٰ أخرجها ابن أبي حاتم والطبري، ونقلها كثيرٌ من المفسرين لا ينبغي التشاغل بها.
قلتُ: يشير إلى ما ذكره المؤلف هُهنا.
وذكر القاضي ابن العربي في أحكام القرآن ٣/١٥٤١ قول الواحدي هذا، ثم قال: هذه الروايات كلُّها ساقطة الأسانيد، وقولهم: إنَّ النبيَّ رآها فوقعت في قلبه، فباطلٌ؛ فإنَّه كان معها في كلِّ وقتٍ وموضعٍ، ولم يكن حينئذٍ حجابٌ، فكيف تنشأ معه وينشأ معها، ويلحظها في كلِّ ساعةٍ، ولا تقع في قلبه إلاَّ إذا كان لها زوجٌ، وقد وهبته نفسها وكرهت غيره، فلم تخطر بباله، فكيف يتجدَّد له هوىً لم يكن، حاشىٰ لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة. وأطنب القول في هذا.

وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾ مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ

إلا أنَّه آثر ما يجب من الأمر بالمعروف، وقوله: **﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾** أن لو فارقَها تزوَّجتها، وذلك أنَّ الله تعالىٰ كان قد قضىٰ ذلك، وأعلمه أنَّها ستكون من أزواجه، وأنَّ زيداً يُطلِّقها **﴿وتخشىٰ الناس﴾** تكره قالة النَّاس لو قلت: طَلِّقْها، فيقال أمر رجلاً بطلاق امرأته، ثمَّ تزوَّجها **﴿والله أحقُّ أن تخشاه﴾** في كلِّ الأحوال، ليس أنَّه لم يَخْشَ الله في شيءٍ من هذه القضيَّة، ولكن ذكر الكلام ها هنا على الجملة. وقيل والله أحقُّ أن تستحيي منه، فلا تأمر زيداً بإمساك زوجته بعد إعلام الله سبحانه إياك أنها ستكون زوجتك، وأنت تستحيي من النَّاس وتقول: أمسك عليك زوجك. **﴿فلما قضىٰ زيد منها وطراً﴾** حاجته من نكاحها **﴿زوجناكها لكي لا يكون علىٰ المؤمنين حرج. . .﴾** الآية. لكيلا يظنَّ ظانٌّ أنَّ امرأة المتبنَّىٰ لا تحلُّ للمتبنِّي، وكانت العرب تظنُّ ذلك، وقوله: **﴿وكان أمر الله مفعولاً﴾** كائناً لا محالة، وكان قد قضىٰ في زينب أن يتزوَّجها رسول الله ﷺ.

﴿٣٨﴾ **﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له﴾** فيما أحلَّ له من النِّساء **﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾** يقول: هذه السُّنَّة قد مضت أيضاً لغيرك. يعني: كثرة أزواج داود وسليمان عليهما السَّلام، والمعنىٰ: سنَّ الله له سنَّةً واسعةً لا حرج عليه فيها **﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾** قضاءً مقضياً.

﴿٣٩﴾ **﴿الذين يبلغون رسالات الله﴾** «الذين»[1] نعت[2] قوله: **﴿في الذين خلوا من**

(١) في المخطوطات «من» والصحيح ما أثبتناه.

(٢) انظر معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤/ ٢٣٠؛ وإعراب القرآن للنحاس ٢/ ٦٣٨.

وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾

قبل﴾. ﴿ويخشونه ولا يخشون أحداً إلَّا الله﴾ لا يخشون قالة النَّاس ولائمتهم فيما أحلَّ الله لهم ﴿وكفىٰ بالله حسيباً﴾ حافظاً لأعمال خلقه.

﴿٤٠﴾ ﴿**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**﴾ فتقولوا: إنَّه تزوَّج امرأة ابنه، يعني: زيداً ليس له بابنٍ وإن كان قد تبنَّاه ﴿**ولكن**﴾ كان ﴿**رسول الله وخاتم النبيين**﴾ لا نبيَّ بعده.

﴿٤١﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً**﴾ وهو أن لا يُنسىٰ على حالٍ.

﴿٤٢﴾ ﴿**وسبحوه**﴾ صلُّوا له ﴿**بكرة**﴾ صلاة الفجر ﴿**وأصيلاً**﴾ صلاة العصر والعشاءين.

﴿٤٣﴾ ﴿**هو الذي يصلي عليكم**﴾ يغفر لكم ويرحمكم ﴿**وملائكته**﴾ يستغفرون لكم ﴿**ليخرجكم من الظلمات إلى النور**﴾ من ظلمات الجهل والكفر إلى نور اليقين والإسلام.

﴿٤٤﴾ ﴿**تحيتهم**﴾ تحيَّةُ الله للمؤمنين ﴿**يوم يلقونه**﴾ يرونه ﴿**سلام**﴾ يسلِّم عليهم ﴿**وأعدَّ لهم أجراً كريماً**﴾ وهو الجنَّة.

﴿٤٥﴾ ﴿**يا أيها النبيُّ إنا أرسلناك شاهداً**﴾ على أُمَّتك بإبلاغ الرِّسالة.

﴿٤٦﴾ ﴿**وداعياً إلى الله**﴾ إلى ما يُقرِّب منه من الطَّاعة والتَّوحيد ﴿**بإذنه**﴾ بأمره، أيْ: إنَّه أمرك بهذا لا أنَّك تفعله من قبلك ﴿**وسراجاً منيراً**﴾ يُستضاء به من ظلمات الكفر. وقوله:

وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً

﴿٤٨﴾ ﴿ودع أذاهم﴾ لا تُجازهم عليه إلىٰ أن تُؤمر فيهم بأمرنا.

﴿٤٩﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات﴾ تزوجتموهنَّ ﴿ثمَّ طلقتموهنَّ من قبل أن تمسوهنَّ﴾ تجامعوهنَّ ﴿فمالكم عليهن من عدَّة تعتدونها﴾ تحصونها عليهنَّ بالأقراء والأشهر؛ لأنَّ المُطلَّقة قبل الجماع لا عدَّة عليها ﴿فمتعوهنَّ﴾ أعطوهنَّ ما يستمتعن به، وهذا أمر ندب؛ لأنَّ الواجب لها نصف الصَّداق ﴿وسرحوهن سَراحاً جميلاً﴾ بالمعروف كما أمر الله تعالىٰ، ثمَّ ذكر ما يحلُّ من النِّساء للنبيِّ ﷺ فقال:

﴿٥٠﴾ ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ مهورهنَّ ﴿وما ملكت يمينك﴾ من الإماء ﴿ممَّا أفاء الله عليك﴾ جعلهنَّ غنيمة تُسبىٰ وتُسترقُّ بحكم الشَّرع ﴿وبنات عمك وبنات عماتك﴾ أن يتزوجهنَّ، يعني: نساء بني عبد المطلب ﴿وبنات خالك وبنات خالاتك﴾ يعني: نساء بني زُهرة ﴿اللاتي هاجرن معك﴾ فمن لم يهاجر منهنَّ لم يحلَّ له نكاحها[1] ﴿وامرأة﴾ وأحللنا لك

(١) عن أم هانىء قالت: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرتُ إليه فعذرني، ثمَّ أنزل الله: ﴿إنَّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهنَّ، وما ملكت يمينك ممَّا أفاء الله عليك، وبنات عمِّك وبنات عماتك، وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك﴾. فلم أكن لأحلَّ له؛ لأني لمَّا هاجرتُ كنتُ من الطلقاء.
أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٢١١؛ وفي سنده أبو صالح مولىٰ أم هانىء وهو مدلس؛ وأخرجه الحاكم ٢/ ٤٢٠ وصححه، ووافقه الذهبي.

مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٠﴾ ۞ تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَآ ءَاتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾

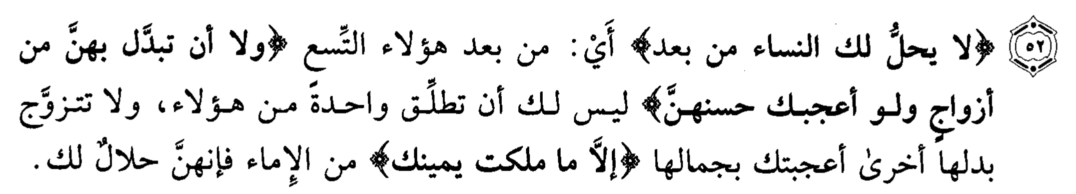
امرأةً ﴿مؤمنة إن وهبت نفسها للنبيِّ إن أراد النبيُّ أن يستنكحها﴾ فله ذلك ﴿خالصة لك من دون المؤمنين﴾ فليس لغير النبيِّ ﷺ أن يستبيح وطء امرأةٍ بلفظ الهبة من غير وليٍّ، ولا مهرٍ، ولا شاهدٍ، ﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم﴾ وهو أن لا نكاح إلَّا بوليٍّ وشاهدين ﴿وما ملكت أيمانهم﴾ يريد أنَّه لا يحلُّ لغير النبيِّ ﷺ إلَّا أربع بوليٍّ وشاهدين، وإلا ملك اليمين، والنبيُّ ﷺ يحلُّ له ما ذكر في هذه الآية ﴿لكيلا يكون عليك حرج﴾ في النِّكاح.

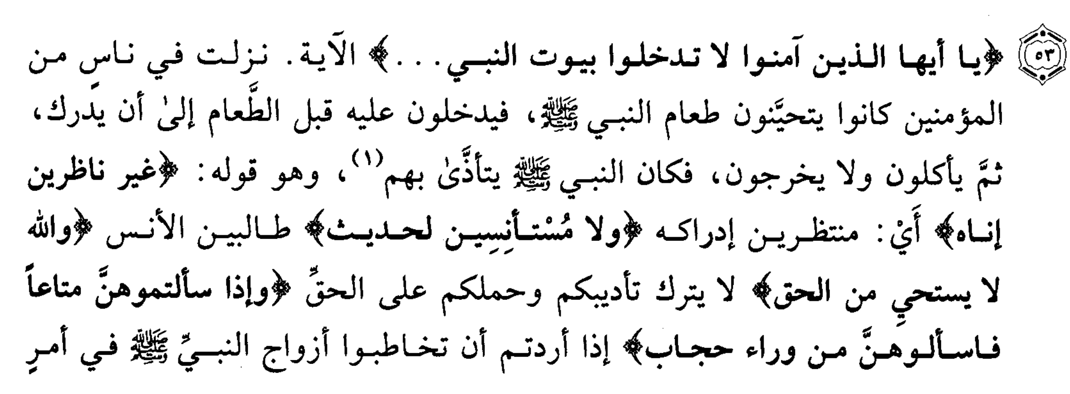
﴿٥١﴾ ﴿ترجي من تشاء منهن﴾ تُؤخِّر ﴿وتؤوي﴾ وتضمُّ ﴿إليك مَنْ تشاء﴾ أباح الله سبحانه له أن يترك القسمة والتَّسوية بين أزواجه، حتىٰ إنَّه ليؤخِّر مَنْ شاء منهنَّ عن وقت نوبتها، ويطأ مَنْ يشاء من غير نوبتها، ويكون الاختيار في ذلك إليه يفعل فيه ما يشاء، وهذا من خصائصه[1] ﴿ومن ابتغيت﴾ طلبتَ وأردتَ إصابتها ﴿ممن عزلت﴾ هجرتَ وأخَّرت نوبتها ﴿فلا جناح عليك﴾ في ذلك كلِّه ﴿ذلك أدنىٰ أن تقرَّ أعينهنَّ...﴾ الآية. إذا كانت هذه الرُّخصة مُنزَّلة من الله سبحانه عليك كان أقرب إلىٰ أن ﴿يرضين بما آتيتهن كلهنَّ والله يعلم ما في قلوبكم﴾ من أمر النِّساء والميل إلى بعضهنَّ، ولمَّا خيَّر النبيُّ ﷺ نساءه فاخترنه ورضين به،

(١) عن عائشة قالت: كنتُ أغار على اللاتي وهبن أنفسهنَّ للنبيِّ ﷺ، فأقول: أو تهبُ المرأة نفسها، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ترجي مَنْ تشاء منهنَّ وتُؤوي إليك مَنْ تشاء﴾ قلتُ: واللَّهِ ما أرىٰ ربَّك إلَّا يسارع في هواك. أخرجه البخاري في التفسير ٨/٥٢٥؛ ومسلم في الرضاع برقم ١٤٦٤؛ والنسائي في تفسيره ٢/١٨٢.

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ﴾

قصره الله سبحانه عليهنَّ، وحرَّم عليه طلاقهنَّ والتَّزوُّج بسواهنَّ، وجعلهنَّ أُمَّهات المؤمنين، وهو قوله:


(٥٢) ﴿لا يحلُّ لك النساء من بعد﴾ أَيْ: من بعد هؤلاء التِّسع ﴿ولا أن تبدَّل بهنَّ من أزواجٍ ولو أعجبك حسنهنَّ﴾ ليس لك أن تطلِّق واحدةً من هؤلاء، ولا تتزوَّج بدلها أخرىٰ أعجبتك بجمالها ﴿إلَّا ما ملكت يمينك﴾ من الإِماء فإنهنَّ حلالٌ لك.

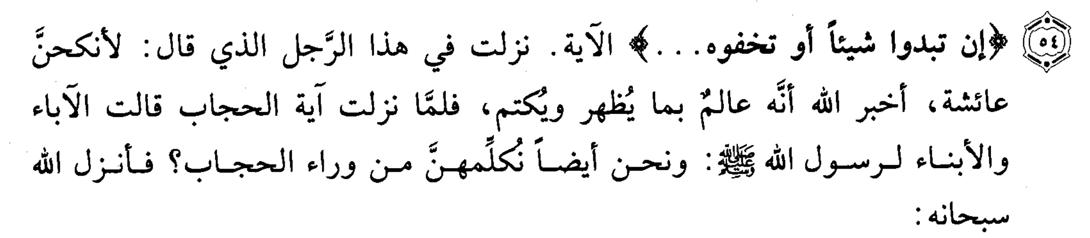

(٥٣) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي...﴾ الآية. نزلت في ناسٍ من المؤمنين كانوا يتحيَّنون طعام النبي ﷺ، فيدخلون عليه قبل الطَّعام إلىٰ أن يدرك، ثمَّ يأكلون ولا يخرجون، فكان النبي ﷺ يتأذَّىٰ بهم[1]، وهو قوله: ﴿غير ناظرين إناه﴾ أَيْ: منتظرين إدراكه ﴿ولا مُسْتأنِسين لحديث﴾ طالبين الأنس ﴿والله لا يستحيِي من الحق﴾ لا يترك تأديبكم وحملكم على الحقِّ ﴿وإذا سألتموهنَّ متاعاً فاسألوهنَّ من وراء حجاب﴾ إذا أردتم أن تخاطبوا أزواج النبيِّ ﷺ في أمرٍ

---

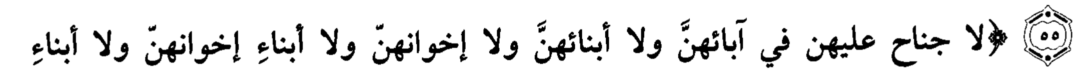
(١) قال أنس بن مالك: لمَّا تزوَّج رسول الله ﷺ زينب بنت جحشٍ دعا القوم فطعموا، ثمَّ جلسوا يتحدَّثون، وإذا هو يتأهَّب للقيام فلم يقوموا، فلمَّا رأىٰ ذلك قام، فلمَّا قام قام مَنْ قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النَّبيُّ ﷺ ليدخل فإذا القوم جلوس، ثمَّ إنَّهم قاموا، فانطلقتُ فجئتُ فأخبرتُ النَّبيَّ ﷺ أنَّهم قد انطلقوا، فجاء حتىٰ دخل، فذهبت أدخل فألقىٰ الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النَّبيِّ...﴾ الآية.
أخرجه البخاري في التفسير ٨/٥٢٧؛ والنسائي في الفسير ٢/١٨٦؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢١٩.

ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ۚ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا ۚ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءِ

فخاطبوهنَّ من وراء حجابٍ، وكانت النِّساء قبل نزول هذه الآية يبرزن للرِّجال، فلمَّا نزلت هذه الآية ضرب عليهنَّ الحجاب، فكانت هذه آية الحجاب بينهنَّ وبين الرِّجال ﴿**ذلكم**﴾ أَيْ: الحجاب ﴿**أطهر لقلوبكم وقلوبهن**﴾ فإنَّ كلَّ واحدٍ من الرَّجل والمرأة إذا لم ير [الآخر] لم يقع في قلبه ﴿**وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله**﴾ أَيْ: ما كان لكم أذاه في شيءٍ من الأشياء ﴿**ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً**﴾ وذلك أنَّ رجلاً[1] من أصحاب النبيِّ ﷺ قال: لئن قبض رسول الله ﷺ لأنكحنَّ عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، فأعلم الله سبحانه أنَّ ذلك محرَّمٌ بقوله: ﴿**إن ذلكم كان عند الله عظيماً**﴾ أَيْ: ذنباً عظيماً.



﴿٥٤﴾ ﴿**إن تبدوا شيئاً أو تخفوه...**﴾ الآية. نزلت في هذا الرَّجل الذي قال: لأنكحنَّ عائشة، أخبر الله أنَّه عالمٌ بما يُظهر ويُكتم، فلمَّا نزلت آية الحجاب قالت الآباء والأبناء لرسول الله ﷺ: ونحن أيضاً نُكلِّمهنَّ من وراء الحجاب؟ فأنزل الله سبحانه:



﴿٥٥﴾ ﴿**لا جناح عليهن في آبائهنَّ ولا أبنائهنَّ ولا إخوانهنّ ولا أبناءِ إخوانهنّ ولا أبناءِ**

---

(١) هو طلحة بن عبيد الله، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي، وعبد الرزاق في تفسيره عن قتادة ٢/ ١٢٢. وعبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضاً، وابن سعد، عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. والبيهقي في السنن ٧/ ٦٩ عن ابن عباس، ولم يسمِّ الرَّجل، وكذا ابن جرير ٢٢/ ٤٠ عن عبد الرحمن بن زيد. قال السيوطي في الحاوي ٢/ ٩٧: وقد كنتُ في وقفةٍ شديدةٍ من صحَّة هذا الخبر؛ لأنَّ طلحة أحد العشرة أجلُّ مقاماً مِنْ أن يصدر منه، حتىٰ رأيتُ بعد ذلك أنَّه رجلٌ آخر شاركه في اسمه واسم أبيه. اهـ. وانظر: الإصابة ٢/ ٢٣٠؛ ولباب النقول ص ١٧٨.

إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ

أخواتهنّ ولا نسائهنّ ولا ما ملكت أيمانهن﴾ أَيْ: في ترك الاحتجاب من هؤلاء.

﴿٥٦﴾ **﴿إنَّ الله وملائكته يصلُّون علىٰ النبيِّ﴾** الله تعالىٰ يثني على النبيِّ ويرحمه، والملائكة يدعون له **﴿يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾** قولوا: اللهم صلِّ على محمدٍ وسلِّمْ.

﴿٥٧﴾ **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾** يعني: اليهود والنَّصارىٰ والمشركين في قولهم: ﴿يد الله مغلولةٌ﴾(١) و ﴿إنَّ الله فقيرٌ﴾(٢) و ﴿المسيحُ ابنُ الله﴾(٣) والملائكة بنات الله، وشجُّوا وجه رسول الله ﷺ وقالوا له: ساحرٌ وشاعرٌ.

﴿٥٨﴾ **﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا﴾** يرمونهم بغير ما عملوا.

﴿٥٩﴾ **﴿يا أيها النبي قل لأزواجك...﴾** الآية. كان قومٌ من الزُّناة يتَّبعون النِّساء إذا خرجن ليلاً، ولم يكونوا يطلبون إلاَّ الإماء، ولم يكن يومئذٍ تُعرفُ الحرَّة من الأمة؛ لأنَّ زِيَّهُنَّ كان واحداً، إنَّما يخرجن في درعٍ وخمارٍ، فنهىٰ الله سبحانه الحرائر أن يتشبَّهنَّ بالإماء، وأنزل قوله تعالىٰ: **﴿يدنين عليهنَّ من جلابيبهنَّ﴾** أَيْ:

(١) سورة المائدة: الآية ٦٤.
(٢) الآية: ﴿لقد سمع الله قول الذين قالوا: إنَّ الله فقيرٌ ونحن أغنياء﴾ [آل عمران: ١٨١].
(٣) الآية: ﴿وقالت النصارىٰ: المسيح ابن الله﴾. [التوبة: ٣٠].

ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾ ۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

يرخين أرديتهنَّ وملاحفهنَّ؛ ليعلم أنهنَّ حرائر فلا يتعرض لهنَّ[1]، وهو قوله: ﴿ذلك أدنىٰ أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً﴾ لما سلف من ترك السِّتر ﴿رحيماً﴾ بهنَّ إذ يسترهنَّ.

﴿٦٠﴾ ﴿لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض﴾ يعني: الزُّناة ﴿والمرجفون في المدينة﴾ الذين يوقعون أخبار السَّرايا بأنهم هُزموا بالكذب والباطل ﴿لنغرينَّك بهم﴾ لنسلطنَّك عليهم ﴿ثم لا يجاورونك فيها﴾ لا يساكنونك في المدينة ﴿إلَّا قليلاً﴾ حتىٰ يخرجوا منها.

﴿٦١﴾ ﴿ملعونين﴾ مطرودين ﴿أينما ثقفوا﴾ وُجدوا ﴿أخذوا وقتلوا تقتيلاً﴾.

﴿٦٢﴾ ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل﴾ سنَّ الله في الذين ينافقون الأنبياء ويرجفون بهم أن يُقتلوا حيث ما ثقفوا. وقوله:

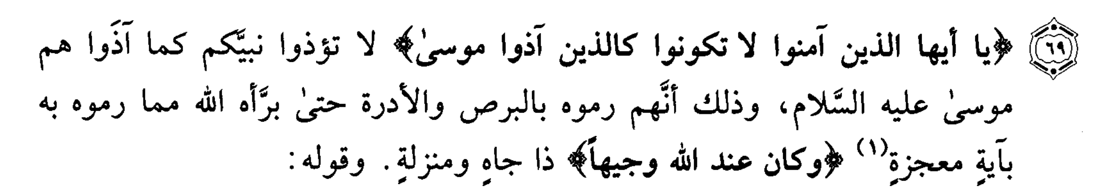
﴿٦٧﴾ ﴿إنا أطعنا سادتنا﴾ أيْ: قادتنا ورؤساءنا في الشِّرك والضَّلالة.

﴿٦٨﴾ ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾ مثلي عذابنا.

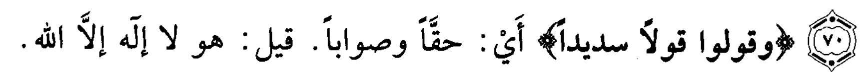
---

(١) أخرجه ابن جرير ٢٢/٤٩ عن أبي صالح، والمؤلف في الأسباب ص ٤٢٠ عن أبي مالك والسُّدي.

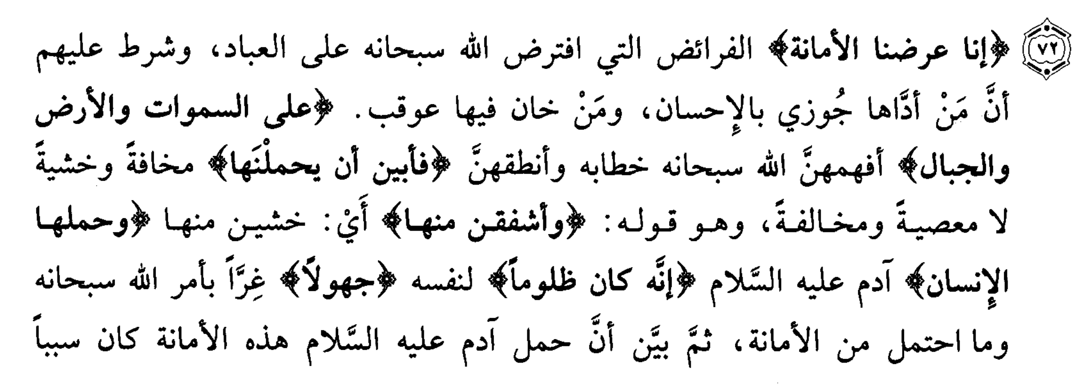
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ﴿٧٠﴾ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ﴿٧٢﴾



﴿٦٩﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسىٰ﴾** لا تؤذوا نبيَّكم كما آذَوا هم موسىٰ عليه السَّلام، وذلك أنَّهم رموه بالبرص والأدرة حتىٰ برَّأه الله مما رموه به بآيةٍ معجزةٍ[1] **﴿وكان عند الله وجيهاً﴾** ذا جاهٍ ومنزلةٍ. وقوله:



﴿٧٠﴾ **﴿وقولوا قولاً سديداً﴾** أَيْ: حقّاً وصواباً. قيل: هو لا إلَه إلَّا الله.



﴿٧٢﴾ **﴿إنا عرضنا الأمانة﴾** الفرائض التي افترض الله سبحانه على العباد، وشرط عليهم أنَّ مَنْ أدَّاها جُوزي بالإحسان، ومَنْ خان فيها عوقب. **﴿على السموات والأرض والجبال﴾** أفهمهنَّ الله سبحانه خطابه وأنطقهنَّ **﴿فأبين أن يحملْنها﴾** مخافةً وخشيةً لا معصيةً ومخالفةً، وهو قوله: **﴿وأشفقن منها﴾** أَيْ: خشين منها **﴿وحملها الإنسان﴾** آدم عليه السَّلام **﴿إنَّه كان ظلوماً﴾** لنفسه **﴿جهولاً﴾** غِرّاً بأمر الله سبحانه وما احتمل من الأمانة، ثمَّ بيَّن أنَّ حمل آدم عليه السَّلام هذه الأمانة كان سبباً

---

(١) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: كان موسىٰ حَيِيّاً سِتِّيراً لا يُرىٰ من جلده شيء استحياءً، فآذاه بعض بني إسرائيل فقالوا: ما استتر هذا الستر إلَّا من شيءٍ بجلده؛ إمَّا برصٌ؛ وإمَّا أُدْرَةٌ؛ أو آفة، فدخل ليغتسل ووضع ثيابه على الحجر، فعدا الحجر بثيابه فخرج يشتدُّ في أثره، فرآه بنو إسرائيل أحسن الناس خلقاً، وأبرأه ممَّا يقولون، فذلك قوله عزَّ وجلَّ: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسىٰ﴾.

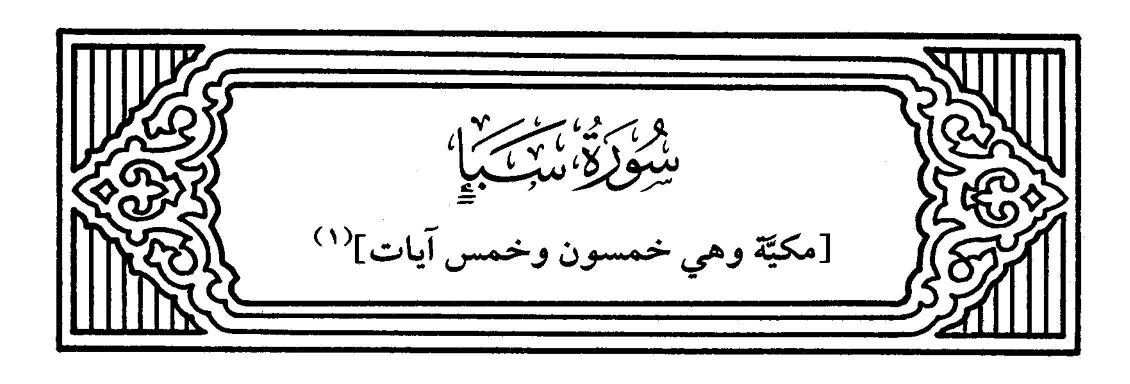
أخرجه البخاري في كتاب الأنبياء ٦/ ٤٣٦؛ والغسل ١/ ٣٨٥؛ ومسلم في الحيض برقم ٣٣٩؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ١٩٦؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٢١. وقوله: أُدْرَة، أَيْ: انتفاخ الخِصْية.

لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

لتعذيب المنافقين والمشركين في قوله:

(٧٣) **﴿ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات﴾** يعني: إذا خانوا في الأمانة بمعصية أمر الله سبحانه تاب عليهم بفضله **﴿وكان الله غفوراً رحيماً﴾**.

● ● ●



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿الحمد لله﴾ على جهة التَّعظيم ﴿الذي له ما في السموات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة﴾ لأنَّ أهل الجنَّة يحمدونه.

(٢) ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ يدخل فيها من الماء والأموات ﴿وما يخرج منها﴾ من النَّبات ﴿وما ينزل من السماء﴾ من الأمطار ﴿وما يعرج﴾ يصعد ﴿فيها﴾ من الملائكة.

(٣) ﴿وقال الذين كفروا﴾ يعني: منكري البعث: ﴿لا تأتينا الساعة﴾ أيْ: لا نبعث ﴿قل﴾ لهم يا محمَّدُ: ﴿بلىٰ وربي لتأتينَّكم عالمِ الغيب﴾ بالخفض من نعت

---

(١) زيادة من ظا. قال البقاعي في مصاعد النظر ٢/٣٧٦: وآيها خمسون وخمس آيات في الشامي، وأربعٌ في عدد الباقين، اختلافها آيةُ: ﴿عن يمينٍ وشمال﴾ عدَّها الشامي، ولم يعدَّها الباقون.

لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾ لِّيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾

قوله: ﴿وربي﴾، وبالرَّفع[1] على معنىٰ: هو عالم الغيب، وقوله: ﴿لا يعزب﴾ مفسَّرٌ في سورة يونس[2]. وقوله:

﴿٤﴾ ﴿ليجزي﴾ يعود إلى قوله: ﴿لتأتينكم﴾ معناه: لتأتينَّكم السَّاعة ﴿ليجزي الذين آمنوا...﴾ الآية.

﴿٥﴾ ﴿والذين سعوا في آياتنا﴾ مفسَّر في سورة الحج[3].

﴿٦﴾ ﴿ويرىٰ الذين أوتوا العلم﴾ يعني: مؤمني أهل الكتاب ﴿الذي أنزل إليك من ربك﴾ وهو القرآن ﴿هو الحقَّ ويهدي إلىٰ صراط العزيز﴾ القرآن.

﴿٧﴾ ﴿وقال الذين كفروا﴾ إنكاراً للبعث وتعجُّباً منه: ﴿هل ندلكم على رجل﴾ وهو محمَّد ﷺ ﴿ينبئكم إذا مزقتم كلَّ ممزق﴾ أَيْ: فُرِّقتم وصرتم رُفاتاً ﴿إنكم لفي خلق جديد﴾ أَيْ: تُبعثون.

﴿٨﴾ ﴿أفترىٰ على الله كذباً﴾ فيما يُخبر به من البعث ﴿أم به جنة﴾ حالةُ جنونٍ. قال الله تعالىٰ: ﴿بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد﴾.

---

(١) قرأ ﴿عالمُ الغيب﴾ بالرَّفع نافعٌ، وابن عامر، وأبو جعفر، وورش. انظر الإتحاف ص ٣٥٧.

(٢) انظر ص ٥٠٢.

(٣) انظر ص ٧٣٧.

أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ۖ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا

﴿٩﴾ **﴿أفلم يروا إلىٰ ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض﴾** يقول: أما يعلمون أنَّهم حيث ما كانوا فهم يرون ما بين أيديهم من الأرض والسَّماء مثل الذي خلفهم، وأنَّهم لا يخرجون منها، فكيف يأمنون؟! **﴿إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء﴾** عذاباً **﴿إنَّ في ذلك لآية لكلِّ عبدٍ منيب﴾** لعلامةً تدلُّ على قدرة الله سبحانه علىٰ إحياء الموتىٰ لكلِّ مَنْ أناب إلى الله تعالىٰ، وتأمَّل ما خلق الله سُبحانه.

﴿١٠﴾ **﴿ولقد آتينا داود منَّا فضلاً﴾** ثمَّ بيَّن ذلك فقال: **﴿يا جبال﴾** أيْ: قلنا يا جبال **﴿أوِّبي معه﴾** سبِّحي معه **﴿والطير﴾** كان إذا سبَّح جاوبته الجبال بالتَّسبيح، وعكفت عليه الطَّير من فوقه تسعده على ذلك **﴿وألنا له الحديد﴾** جعلناه ليِّناً في يده، كالطِّين المبلول والعجين، وقلنا له:

﴿١١﴾ **﴿أن اعمل سابغات﴾** دروعاً كوامل **﴿وقدِّر في السرد﴾** لا تجعل مسمار الدِّرع دقيقاً فيفلق، ولا غليظاً فيفصم الحلق. اجعله على قدر الحاجة، والسَّرْد: نسج الدُّروع **﴿واعملوا﴾** يعني: داود وآله **﴿صالحاً﴾** عملاً صالحاً من طاعة الله تعالىٰ.

﴿١٢﴾ **﴿ولسليمان الرِّيح﴾** وسخَّرنا له الرِّيح **﴿غدوها شهر﴾** مسيرها إلىٰ انتصاف النَّهار مسيرة شهر، ومن انتصاف النَّهار إلى اللَّيل مسيرة شهر، وهو قوله: **﴿ورواحها شهر وأسلنا له عين القطر﴾** أذبنا له عين النُّحاس، فسالت له كما يسيل الماء **﴿ومن الجنِّ﴾** أيْ: سخَّرنا له من الجنِّ **﴿مَنْ يعمل بين يديه بإذن ربه﴾** بأمر ربه **﴿ومَنْ يزغ﴾** يمل ويعدل **﴿منهم عن أمرنا﴾** الذي أمرناه به من طاعة سليمان

نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ

﴿نذقه من عذاب السعير﴾ وذلك أنَّ الله تعالىٰ وكَّل بهم ملكاً بيده سوطٌ من نار، فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربةً أحرقته.

﴿١٣﴾ ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب﴾ مجالس ومساكن ومساجد ﴿وتماثيل﴾ صور الأنبياء؛ إذ كانت تصوَّر في المساجد ليراها النَّاس، ويزدادوا عبادة ﴿وجفانٍ﴾ قصاعٍ كبارٍ ﴿كالجوابِ﴾ كالحياض التي تجمع الماء ﴿وقدور راسيات﴾ ثوابت لا تحرَّكن عن مكانها لعظمها، وقلنا: ﴿اعملوا﴾ بطاعة الله يا ﴿آل داود شكراً﴾ له على نعمه.

﴿١٤﴾ ﴿فلما قضينا عليه الموت ما دلَّهم...﴾ الآية. كان سليمان عليه السَّلام يقول: اللَّهم عمِّ علىٰ الجنِّ موتي؛ ليعلم الإنس أنَّ الجنَّ لا يعلمون الغيب، فمات سليمان عليه السَّلام مُتوكِّئاً على عصاه سنةً، ولم تعلم الجنُّ ذلك حتىٰ أكلت الأرضةُ عصاه، فسقط ميِّتاً[1]، وهو قوله: ﴿ما دلَّهم على موته إلَّا دابَّةُ الأرض

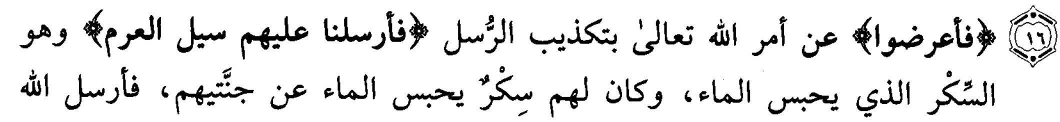
(١) عن ابن عباس عن النَّبيِّ ﷺ قال: كان سليمان نبيُّ الله إذا صلَّىٰ رأىٰ شجرةً نابتةً بين يديه، فيقول لها: ما اسمك؟ فتقول: كذا، فيقول: لأيِّ شيءٍ أنتِ، فإن كانت تُغرس غُرست، وإن كانت لدواءٍ كتبت، فبينما هو يُصلِّي ذات يومٍ إذ رأىٰ شجرةً بين يديه، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: الخرُّوب. قال: لأيِّ شيءٍ أنت؟ قالت: لخراب هذا البيت، فقال سليمان: اللَّهمَّ عمِّ على الجنِّ موتي حتىٰ تعلم الإنسُ أنَّ الجنَّ لا يعلمون الغيب، فَنَحَتَها عصاً فتوكَّأ عليها حولاً ميتاً، والجنُّ تعمل، فأكلتها الأرضة، فسقط، فتبيَّنت «الإنس أن الجنَّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين». قال: وكان ابن عباسٍ يقرؤها كذلك. قال: فشكرت الجنُّ للأرضة، فكانت تأتيها بالماء.

أخرجه ابن جرير ٢٢/٧٤، وفيه عطاء بن السَّائب، وهو صدوقٌ اختلط. تقريب التهذيب =

تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ

تأكل منسأته﴾ عصاه **﴿فلما خرَّ﴾** سقط **﴿تبينت الجن﴾** علمت **﴿أنْ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا﴾** بعد موت سليمان **﴿في العذاب المهين﴾** فيما سخَّرهم فيه سليمان عليه السَّلام واستعملهم.

﴿١٥﴾ **﴿لقد كان لسبأ﴾** وهو اسم قبيلةٍ **﴿في مساكنهم﴾**[1] باليمن **﴿آية﴾** دلالةٌ علىٰ قدرتنا **﴿جنتان﴾** أَيْ: هي جنَّتان **﴿عن يمين وشمال﴾** بستانٌ يمنةً، وبستانٌ يسرةً، وقيل لهم: **﴿كلوا من رزق ربكم واشكروا له﴾** علىٰ ما أنعم عليكم **﴿بلدة طيبة﴾** أَيْ: بلدتكم بلدةٌ طيِّبةٌ ليست بسبخةٍ **﴿و﴾** الله **﴿ربٌّ غفور﴾** والمعنىٰ: تمتَّعوا ببلدتكم الطَّيِّبة واعبدوا ربَّاً يغفر ذنوبكم.



﴿١٦﴾ **﴿فأعرضوا﴾** عن أمر الله تعالىٰ بتكذيب الرُّسل **﴿فأرسلنا عليهم سيل العرم﴾** وهو السِّكْر الذي يحبس الماء، وكان لهم سِكْرٌ يحبس الماء عن جنَّتيهم، فأرسل الله

= ص ٣٩١ وإبراهيم بن طهمان، وهو ثقة، وكان يغلو في الإرجاء، وأخرج له البخاري ومسلم، ووثقه ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار ص١٩٦ وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ١/ ١٠٧؛ وضعفه العقيلي في الضعفاء الكبير ١/ ٥٦. وفيه: موسىٰ بن مسعود النهدي، صدوق سيِّىء الحفظ، وكان يصحِّف. وهو أحد شيوخ البخاري، روى له في المتابعات في العتق وغيره. وضعَّفه العقيلي ١/ ١٦٧.

والحديث أخرجه ابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني، وابن السُّني في الطب النبوي، والبزار، وابن مردويه، وانظر: الدر المنثور ٦/ ٦٨٣.

وقال ابن كثير ٣/ ٤٥١: وقد ورد ذلك في حديثٍ مرفوعٍ غريب، وفي صحته نظر. ثم قال: والأقرب أن يكون موقوفاً.

(١) قرأ ﴿مساكنهم﴾ بالجمع نافعٌ، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وشعبة، وأبو جعفر، ويعقوب. الإتحاف ص ٣٥٨.

وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾

تعالىٰ فيه جرذاناً ثقبته، فانبثق الماء عليهم، فغرق جنَّاتهم ﴿**وبدلناهم بجنَّتيهم جنتين ذواتي أكل خمط**﴾ أَيْ: ثمرٍ مُرٍّ ﴿**وأثل**﴾ وهو الطَّرفاء ﴿**وشيء من سدر قليل**﴾ وذلك أنَّ الله تعالىٰ أهلك أشجارهم المثمرة، وأنبت بدلها الأراك والطَّرفاء والسِّدر.

﴿١٧﴾ ﴿**ذلك جزيناهم بما كفروا**﴾ أَيْ: جزيناهم ذلك الجزاء بكفرهم ﴿**وهل نجازي إلاَّ الكفور**﴾ بسوء عمله، وذلك أنَّ المؤمن تُكفَّر عنه سيئاته، والكافر يُجازىٰ بكلِّ سوءٍ يعمله.

﴿١٨﴾ ﴿**وجعلنا بينهم وبين القرىٰ التي باركنا فيها**﴾ يعني: قرىٰ الشَّام، ﴿**قرىٰ ظاهرة**﴾ متواصلةً، يُرىٰ من هذه القرية القرية الأخرىٰ، فكانوا يخرجون من سبأ إلى الشَّام، فيمرُّون على القرىٰ العامرة ﴿**وقدرنا فيها السير**﴾ جعلنا سيرَهم بمقدارٍ، إذا غدا أحدهم من قريةٍ قال في أخرىٰ، وإذا راح من قريةٍ أوىٰ إلىٰ أخرىٰ، وقلنا لهم: ﴿**سيروا فيها**﴾ في تلك القرىٰ ﴿**ليالي وأياماً**﴾ أيَّ وقت شئتم من ليلٍ أو نهارٍ ﴿**آمنين**﴾ لا تخافون عدوَّاً ولا جوعاً ولا عطشاً.

﴿١٩﴾ ﴿**فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا**﴾ وذلك أنَّهم سئموا الرَّاحة، وبطروا النِّعمة فتمنَّوا أن تتباعد قراهم ليبعد سفرهم بينها ﴿**وظلموا أنفسهم**﴾ بالكفر والبطر ﴿**فجعلناهم أحاديث**﴾ لمَنْ بعدهم يتحدَّثون بقصَّتهم ﴿**ومزَّقناهم كلَّ ممزق**﴾ وفرَّقناهم في البلاد، فصاروا يُتمثَّل بهم في الفُرقة، وذلك أنَّهم ارتحلوا عن أماكنهم وتفرَّقوا في البلاد ﴿**إنَّ في ذلك**﴾ الذي فعلنا ﴿**لآيات لكلّ صبار شكور**﴾ أَيْ: لكلِّ مؤمنٍ؛ لأنَّ المؤمن هو الذي إذا ابتُليَ صبر، وإذا أُعطيَ شكر.

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾

﴿٢٠﴾ ﴿**ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنَّه**﴾ الذي ظنَّ بهم من إغوائهم ﴿**فاتبعوه إلاَّ فريقاً من المؤمنين**﴾ أَيْ: وجدهم كما ظنَّ بهم إلاَّ المؤمنين.

﴿٢١﴾ ﴿**وما كان له عليهم من سلطان**﴾ من حجَّةٍ يستتبعهم بها ﴿**إلاَّ لنعلم**﴾ المعنىٰ: لكن امتحانهم بإبليس لنعلم ﴿**مَنْ يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك**﴾ عُلِمَ وقوعه منه.

﴿٢٢﴾ ﴿**قل**﴾ يا محمد لمشركي قومك: ﴿**ادعوا الذين زعمتم**﴾ أنَّهم آلهةٌ ﴿**من دون الله**﴾ وهذا أمرُ تهديدٍ، ثمَّ وصفهم فقال: ﴿**لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما**﴾ في السَّموات ولا في الأرض ﴿**من شرك**﴾ شركةٍ ﴿**وما له**﴾ لله ﴿**منهم من ظهير**﴾ عونٍ. يريد: لم يُعِنِ اللَّهَ على خلق السَّموات والأرض آلهتُهم، فكيف يكونون شركاء له؟ ثمَّ أبطل قولهم أنَّهم شفعاؤنا عند الله فقال:

﴿٢٣﴾ ﴿**ولا تنفع الشفاعة عنده إلاَّ لمن أذن له**﴾ أَيْ: أذن الله له أن يشفع ﴿**حتىٰ إذا فزّع**﴾ أذهب الفزع ﴿**عن قلوبهم**﴾ يعني: كشف الفزع عن قلوب المشركين بعد الموت إقامةً للحجَّة عليهم وتقول لهم الملائكة: ﴿**ماذا قال ربكم**﴾؟ فيما أوحىٰ إلىٰ أنبيائه[1] ﴿**قالوا الحق**﴾ فأقرُّوا حين لا ينفعهم الإقرار.

---

(١) عن أبي هريرة قال: إنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: إذا قضىٰ الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله: كأنَّه سلسلةٌ على صفوان، فإذا فزِّع عن قلوبهم قالوا: «ماذا قال ربكم»؟ قالوا للذي قال: الحق، وهو العليُّ الكبير، فيسمعها مسترق السمع، فيسمع الكلمة فيلقيها إلىٰ مَنْ تحته، ثمَّ يلقيها الآخر إلىٰ مَنْ تحته، حتىٰ يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، =

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

﴿٢٤﴾ ﴿**قل من يرزقكم من السموات**﴾ المطر ﴿ و ﴾ من ﴿**الأرض**﴾ النَّبات، ثمَّ أمره أن يخبرهم فقال: ﴿**قل الله**﴾ أَيْ: الذي يفعل ذلك الله، وهذا احتجاجٌ عليهم، ثمَّ أمره بعد إقامة الحجَّة عليهم أن يُعرِّض بكونهم على الضَّلال فقال: ﴿**وإنا أو إياكم لعلىٰ هدىً أو في ضلال مبين**﴾ أَيْ: نحن أو أنتم إمَّا على هدىً أو ضلالٍ، والمعنىٰ: أنتم الضَّالون حيث أشركتم بالذي يرزقكم من السَّماء والأرض، وهذا كما تقول لصاحبك إذا كذب: أحدنا كاذبٌ، وتعنيه، ثمَّ بيَّن براءته منهم ومن أعمالهم فقال:

﴿٢٥﴾ ﴿**قل لا تسألون عما أجرمنا...**﴾ الآية. وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿لكم دينكم ولي دين﴾[1] ثمَّ أخبر أنَّه يجمعهم في القيامة، ثمَّ يحكم بينهم، وهو قوله تعالىٰ:

﴿٢٦﴾ ﴿**قل يجمع بيننا ربنا ثمَّ يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم**﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿**قل أروني الذين ألحقتم به شركاء**﴾ ألحقتموهم بالله تعالىٰ في العبادة، يعني: الأصنام، أَيْ: أرونيهم هل خلقوا شيئاً، وهذه الآية مختصرةٌ. تفسيرها قوله تعالىٰ: ﴿قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دُونِ اللَّهِ أروني ماذا خلقوا من الأرضِ أَمْ لهم شِركٌ في السَّموات﴾[2]. ثمَّ قال: ﴿**كلا**﴾ أَيْ: ليس الأمر على ما يزعمون ﴿**بل هو الله العزيز الحكيم**﴾.

= فربَّما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربَّما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا وكذا، فيصدَّق بتلك الكلمة التي سمع من السماء.
أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٥٣٧؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٢١.

(١) سورة الكافرون: الآية ٦.

(٢) سورة فاطر: الآية ٤٠.

وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا

﴿٢٨﴾ **﴿وما أرسلناك إلَّا كافَّة للناس﴾** جامعاً لهم كلِّهم بالإنذار والتَّبشير **﴿ولكنَّ أكثر الناس لا يعلمون﴾** ذلك. وقوله تعالى:

﴿٣١﴾ **﴿ولا بالذي بين يديه﴾** أَيْ: من الكتب المُتقدِّمة، وقوله: **﴿يرجع بعضهم إلىٰ بعض القول﴾** أَيْ: في التَّلاوم، ثمَّ ذكر إيش يرجعون فقال: **﴿يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾**.

﴿٣٢﴾ **﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا: أنحن صددناكم عن الهدىٰ بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين﴾**.

﴿٣٣﴾ **﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا: بل مكر الليل والنهار﴾** أَيْ: مكركم بنا فيهما **﴿إذ تأمروننا أن نكفر بالله﴾** **﴿وأسروا﴾**: وأظهروا.

﴿٣٤﴾ **﴿وما أرسلنا في قرية من نذير﴾** نبيٍّ يُنذرهم **﴿إلَّا قال مترفوها﴾** رؤساؤها وأغنياؤها **﴿إنَّا بما أُرسلتم به كافرون﴾**.

﴿٣٥﴾ **﴿وقالوا﴾** للرُّسل: **﴿نحن أكثر أموالاً وأولاداً﴾** منكم. يعنون أنَّ الله سبحانه رضي

وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

منَّا حيث أعطانا المال ﴿**وما نحن بمعذبين**﴾ كما تقولون.

﴿٣٦﴾ ﴿**قل إنَّ ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر**﴾ وليس ذلك ممَّا يدلُّ على العواقب ﴿**ولكن أكثر الناس لا يعلمون**﴾ ذلك.

﴿٣٧﴾ ﴿**وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفىٰ**﴾ أَيْ: قُربىٰ. يعني: تقريباً ﴿**إلاَّ من آمن**﴾ لكنْ مَنْ آمن ﴿**وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف**﴾ من الثَّواب بالواحد عشرة ﴿**وهم في الغرفات آمنون**﴾ قصور الجنَّة.

﴿٣٩﴾ ﴿**وما أنفقتم من شيء**﴾ ما تصدَّقتم من صدقةٍ ﴿**فهو يخلفه**﴾ يعطي خلفه؛ إمَّا عاجلاً في الدُّنيا؛ وإمَّا آجلاً في الآخرة.

﴿٤٠﴾ ﴿**ويوم نحشرهم جميعاً**﴾[1] العابدين والمعبودين ﴿**ثم نقول للملائكة**﴾ توبيخاً للكفَّار: ﴿**أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون**﴾.

﴿٤١﴾ ﴿**قالوا سبحانك**﴾ تنزيهاً لك ﴿**أنت ولينا**﴾ الذي نتولاَّه ويتولاَّنا ﴿**من دونهم بل كانوا يعبدون الجن**﴾ يُطيعون إبليس وأعوانه ﴿**أكثرهم بهم مؤمنون**﴾ مُصدِّقون ما يمنُّونهم ويعدونهم. وقوله تعالىٰ:

---

(١) قرأ «نحشرهم» و «نقول» بالنون: جميع القرَّاء إلاَّ حفصاً ويعقوب. الإتحاف ٢/٣٨٨.

فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ ۞ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾

---

(٤٤) **﴿وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير﴾** يعني: مشركي مكَّة لم يكونوا أهل كتابٍ، ولا بُعث إليهم نبيٌّ قبل محمد ﷺ.

(٤٥) **﴿وكذب الذين من قبلهم﴾** من الأمم **﴿وما بلغوا﴾** يعني: مشركي مكَّة **﴿معشار﴾** عشر **﴿ما آتيناهم﴾** من القُوَّة والنِّعمة **﴿فكذبوا رسلي فكيف كان نكيرِ﴾** إنكاري عليهم ما فعلوا بالإِهلاك والعقوبة؟

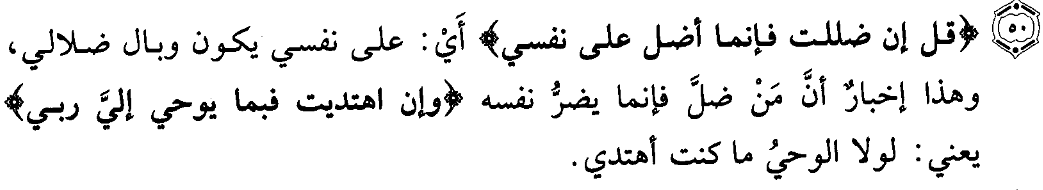
(٤٦) **﴿قل إنما أعظكم بواحدة﴾** بخصلةٍ واحدةٍ، وهي الطَّاعة لله تعالىٰ **﴿أن تقوموا﴾** لأن تقوموا **﴿لله مثنىٰ وفرادىٰ﴾** مُجتمعين ومُنفردين **﴿ثم تتفكروا﴾** فتعلموا **﴿ما بصاحبكم﴾** محمَّد **﴿من جنةٍ﴾** من جنونٍ **﴿إنْ هو إلاَّ نذير لكم﴾** ما هو إلاَّ نذيرٌ لكم **﴿بين يدي عذاب شديد﴾** إنْ عصيتموه.

(٤٧) **﴿قل ما سألتكم من أجر﴾** على تبليغ الرِّسالة **﴿فهو لكم إن أجري إلاَّ على الله﴾** يعني: إنَّما أطلب الثَّواب من الله لا عَرضاً من الدُّنيا.

(٤٨) **﴿قل إنَّ ربي يقذف بالحق﴾** يُلقيه إلىٰ أنبيائه.

(٤٩) **﴿قل جاء الحق﴾** جاء أمر الله الذي هو الحقُّ **﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾** أيْ: ما يخلق إبليس أحداً ولا يبعثه، إنَّما يفعل ذلك الله تعالىٰ.

قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ ﴿٥٠﴾ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾



﴿٥٠﴾ ﴿قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي﴾ أَيْ: على نفسي يكون وبال ضلالي، وهذا إخبارٌ أنَّ مَنْ ضلَّ فإنما يضرُّ نفسه ﴿وإن اهتديت فبما يوحي إليَّ ربي﴾ يعني: لولا الوحيُ ما كنت أهتدي.

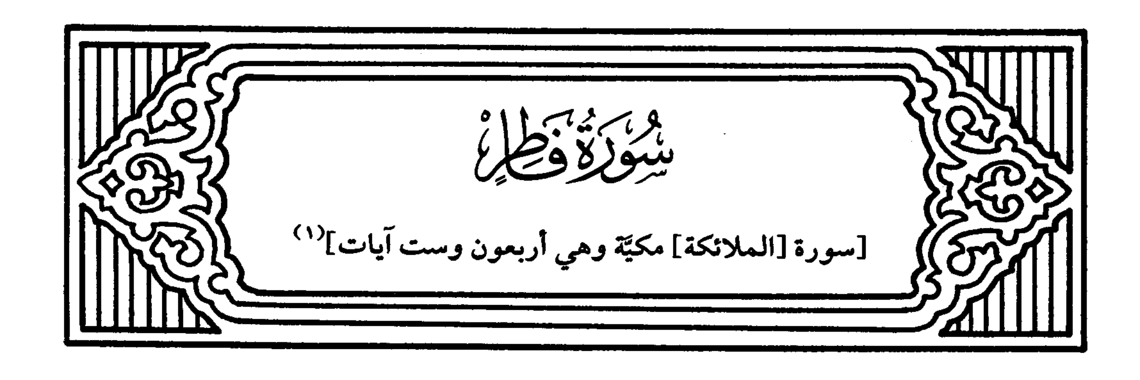
﴿٥١﴾ ﴿ولو ترىٰ﴾ يا مُحمّد ﴿إذ فزعوا﴾ عن البعث ﴿فلا فوت﴾ لهم منَّا ﴿وأخذوا من مكان قريب﴾ على الله وهو القبور.

﴿٥٢﴾ ﴿وقالوا﴾ حين عاينوا العذاب ﴿آمنا به﴾ بالله ﴿وأنىٰ لهم التناوش﴾ أَيْ: كيف يتناولون التَّوبة. وقيل: الرَّجعة، وقد بعدت عنهم، يريد: إنَّ التَّوبة كانت تُقبل عنهم في الدُّنيا، وقد ذهبت الدُّنيا وبعدت عن الآخرة.

﴿٥٣﴾ ﴿وقد كفروا به﴾ بمحمد ﷺ والقرآن ﴿من قبل﴾ أَيْ: في الدُّنيا ﴿ويقذفون بالغيب﴾ يرمون محمداً ﷺ بالكذب والبهتان ظنّاً لا يقيناً ﴿من مكان بعيد﴾ وهو أنَّ الله تعالىٰ أبعدهم قبل أن يعلموا صدق محمد ﷺ.

﴿٥٤﴾ ﴿وحيل بينهم﴾ مُنعوا ممَّا يشتهون من التَّوبة والإيمان والرُّجوع إلىٰ الدنيا ﴿كما فُعل بأشياعهم﴾ ممَّن كانوا على مثل دأبهم من تكذيب الرُّسل قبلهم حين لم يقبل منهم الإيمان والتَّوبة ﴿إنهم كانوا في شك﴾ من أمر الرُّسل والبعث ﴿مريب﴾ موقعٍ للرِّيبة والتُّهمة.

• • •



بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿الحمد لله فاطر السموات والأرض﴾ خالقهما على ابتداء ﴿جاعل الملائكة رسلاً أولي﴾ أصحاب ﴿أجنحة مثنىٰ وثلاث ورباع يزيد في الخلق﴾ في خلق الملائكة وأجنحتها﴿ما يشاء﴾.

(٢) ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة﴾ رزقٍ ومطرٍ، فلا يقدر أحدٌ أن يمسكه، والذي يمسك لا يرسله أحد.

(٣) ﴿يا أيها الناس﴾ خطاب أهل مكّة ﴿اذكروا نعمة الله عليكم﴾ بالرِّزق والمطر وسائر ذلك. ﴿هل من خالق غير الله﴾ هل يخلق أحدٌ سواه، ثُمَّ ﴿يرزقكم من

---

(١) زيادة من ظا، وهي في مصحفنا المطبوع ٤٥ آية. وقال البقاعي في مصاعد النظر ٢/ ٣٨٣: وآيُها أربعون وستُّ آياتٍ في المدني الأخير والشامي، وخمسٌ في عدد الباقين.

ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا ۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

السماء﴾ المطر ﴿و﴾ من ﴿الأرض﴾ النَّبات ﴿لا إله إلا هو فأنىٰ تؤفكون﴾ من أين يقع لكم الإفك والكذب بتوحيد الله؟! ثمَّ عزَّىٰ نبيَّه عليه السَّلام بقوله:

﴿٤﴾ ﴿وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور﴾.

﴿٨﴾ ﴿أفمن زين له سوء عمله﴾ بإضلال الله تعالىٰ إيَّاه، فرأىٰ قبيح ما يعمله حسناً ﴿فإنَّ الله يضلُّ مَنْ يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات﴾ لا تغتمَّ لكفرهم ولا تتحسَّر على تركهم الإيمان.

﴿١٠﴾ ﴿مَنْ كان يريد العزة﴾ أَيْ: عِلْمَ العزَّةِ لمَنْ هي ﴿فللَّه العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب﴾ إليه يصل الكلام الذي هو توحيده، وهو قول لا إله إلا الله ﴿والعمل الصالح﴾ يرفع ذلك الكلم الطَّيِّب، والكلم الطَّيِّب: ذكر الله تعالىٰ. والعمل الصَّالح: أداء فرائضه، فمن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل، ومعنىٰ الرَّفع رفعه إلى محل القبول ﴿والذين يمكرون السيئات﴾ يعني: الذين مكروا برسول الله ﷺ في دار النَّدوة. ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ أي: يفسد ويبطل. وقوله تعالىٰ:

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ

---

(١١) ﴿وما يعمَّر من معمَّر﴾ أَيْ: ما يُطوَّل عُمر أحدٍ ﴿ولا ينقص من عمره﴾ ولا يكون أحدٌ ناقص العمر إلاَّ وهو مُحصىً في الكتاب. يعني: عدد عمر الطَّويل العمر، وعمر القصير العمر.

(١٢) ﴿وما يستوي البحران هذا عَذْبٌ فرات﴾ شديد العذوبة ﴿وهذا ملح أجاج﴾ شديد المرارة ﴿ومن كلٍّ﴾ من الملح والعذب ﴿تأكلون لحماً طرياً﴾ من السَّمك ﴿وتستخرجون﴾ منه من الملح ﴿حلية تلبسونها﴾ يعني: المرجان، وإنَّما ذكر هذا للدَّلالة على قدرته. وقوله:

(١٣) ﴿من قطمير﴾ يعني: لفافة النَّواة.

(١٤) ﴿ويوم القيامة يكفرون بشرككم﴾ أَيْ: يقولون: ما كنتم إيَّانا تعبدون ﴿ولا ينبئك مثل خبير﴾ وهو الله عزَّ وجلَّ. وقوله:

(١٨) ﴿ولا تــزرُ وازِرَةٌ﴾ أَيْ: لا تحمل نفسٌ حاملةٌ ﴿وِزْرَ أخرىٰ﴾ حِمل نفسٍ أخرىٰ ﴿وإن تدع مثقلة﴾ نفسٌ مُثقَلةٌ بالذُّنوب ﴿إلى حملها﴾ ذنوبها ﴿لا يحمل منه شيء

وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ

﴿ولو كان﴾ المدعو **﴿ذا قربىٰ﴾** مثل الأب والابن **﴿إنما تنذر الذين يخشون ربَّهم بالغيب﴾** إنَّما ينفع إنذارك الذين يخافون الله تعالىٰ، ولم يروه **﴿ومَنْ تزكَّىٰ﴾** عمل خيراً.

﴿١٩﴾ **﴿وما يستوي الأعمىٰ﴾** عن الحقِّ، وهو الكافر **﴿والبصير﴾** الذي يبصر رشده، وهو المؤمن.

﴿٢٠﴾ **﴿ولا الظلمات ولا النور﴾** يعني: الكفر والإِيمان.

﴿٢١﴾ **﴿ولا الظل ولا الحرور﴾** يعني: الجنَّة التي فيها ظلٌّ دائمٌ، والنَّار التي لها حرارةٌ شديدةٌ.

﴿٢٢﴾ **﴿وما يستوي الأحياء ولا الأموات﴾** يعني: المؤمنين والكفَّار **﴿إنَّ الله يُسمع من يشاء﴾** فينتفع بذلك **﴿وما أنت بمسمع مَنْ في القبور﴾** يعني: الكفَّار، شبَّههم بالأموات، أَيْ: كما لا يسمع أصحاب القبور كذلك لا يسمع الكفَّار. وقوله:

﴿٢٧﴾ **﴿ومن الجبال جدد بيض وحمر﴾** أَيْ: طرائق تكون في الجبال كالعروق بيض وحمر، **﴿وغرابيب سود﴾** وهي الجبال ذات الصُّخور السُّود.

﴿٢٨﴾ **﴿ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك﴾** أَيْ: كاختلاف الجبال

إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾

والثَّمرات في اختلاف الألوان. ﴿**إنما يخشىٰ الله من عباده العلماء**﴾ أَيْ: مَنْ كان عالماً بالله اشتدَّت خشيته. وقوله:

﴿٢٩﴾ ﴿**يرجون تجارة لن تبور**﴾ يعني: لن تكسد ولن تفسد.

﴿٣٠﴾ ﴿**إنه غفور**﴾ لذنوبهم ﴿**شكور**﴾ لحسناتهم.

﴿٣٢﴾ ﴿**ثمَّ أورثنا**﴾ أعطينا بعد هلاك الأمم ﴿**الكتاب**﴾ القرآن لـ ﴿**الذين اصطفينا من عبادنا**﴾ وهم أمَّة محمد ﷺ، ثمَّ ذكر أصنافهم[1] فقال: ﴿**فمنهم ظالم لنفسه**﴾ وهو الذي زادت سيئاته على حسناته ﴿**ومنهم مقتصد**﴾ وهو الذي استوت حسناته وسيِّئاته ﴿**ومنهم سابق بالخيرات**﴾ وهو الذي رجحت حسناته ﴿**بإذن الله**﴾ بقضائه وإرادته. ﴿**ذلك هو الفضل الكبير**﴾ يعني: إيتاء الكتاب. وقوله تعالىٰ:

---

(١) عن أبي سعيد الخدري أنَّ النبيَّ ﷺ قال في هذه الآية: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالمٌ لنفسه، ومنهم مقتصدٌ، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله﴾ قال: هؤلاء كلُّهم بمنزلةٍ واحدة، وكلُّهم في الجنة. أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٢٢٣، وقال: حديث غريبٌ حسن، وأخرجه الطيالسي في مسنده ٢/٢٢.

وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾

---

(٣٤) ﴿**الحمد لله الذي أذهب عنا الحَزَنَ**﴾ يعني: كلَّ ما يحزن له الإنسان من أمر المعاش والمعاد.

(٣٥) ﴿**الذي أحلنا**﴾ أنزلنا ﴿**دار المقامة**﴾ دار الخلود ﴿**من فضله**﴾ أَيْ: ذلك بتفضُّله لا بأعمالنا ﴿**لا يمسنا فيها نصب**﴾ تعبٌ ﴿**ولا يمسنا فيها لغوب**﴾ إعياءٌ.

(٣٦) ﴿**والذين كفروا لهم نار جهنم لا يقضىٰ عليهم فيموتوا**﴾.

(٣٧) ﴿**وهم يصطرخون**﴾ يستغيثون. وقوله: ﴿**أولم نعمركم ما يتذكَّر فيه مَنْ تذكَّر**﴾ أَيْ: العمر الذي يتَّعظ فيه، ويرجع فيه إلى الله مَنْ يتَّعظ، وهو ستون سنةً ﴿**وجاءكم النذير**﴾ يعني: الرَّسول. وقيل: الشَّيب.

(٣٩) ﴿**هو الذي جعلكم خلائف في الأرض**﴾ أَيْ: جعلكم أُمَّةً خلفت مَنْ قبلها من الأمم.

(٤٠) ﴿**قل أرأيتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله أروني**﴾ أخبروني عنهم ﴿**ماذا خلقوا من الأرض**﴾. أَيْ: بأيِّ شيءٍ أوجبتم لهم الشِّركة مع الله، أَلخلقٍ خلقوه من الأرض ﴿**أم لهم شرك في**﴾ خلق ﴿**السموات أم آتيناهم**﴾ أعطينا المشركين ﴿**كتاباً**﴾ بما يدَّعونه من الشِّرك ﴿**فهم على بيِّنةٍ**﴾ من ذلك الكتاب ﴿**بل إن يعد الظالمون**﴾ ما يعد بعض الظالمين بعضاً ﴿**إلَّا غروراً**﴾ أباطيل.

إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾

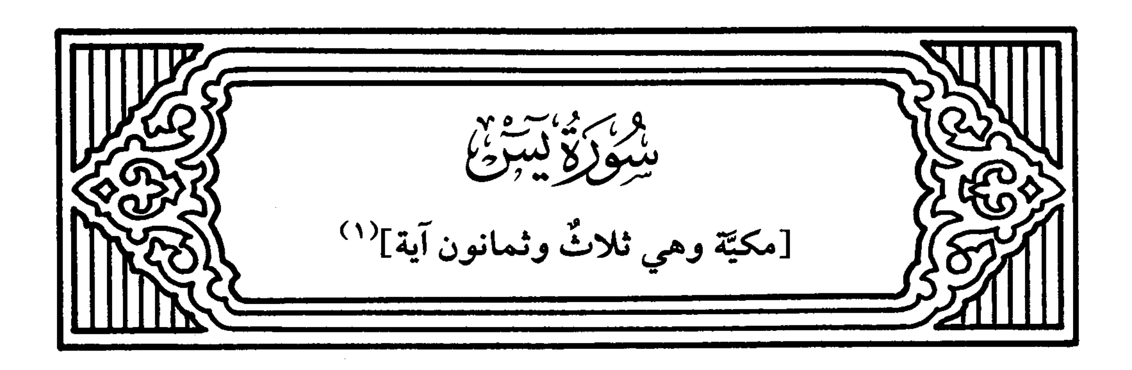
﴿٤١﴾ **﴿إنَّ الله يمسك السموات والأرض أن تزولا﴾** لئلا تزولا وتتحرَّكا **﴿ولئن زالتا﴾** ولو زالتا **﴿إن أمسكهما﴾** ما أمسكهما **﴿من أحدٍ من بعده﴾** سوىٰ الله تعالىٰ.

﴿٤٢﴾ **﴿وأقسموا بالله جهد أيمانهم﴾** يعني: المشركين، كانوا يقولون قبل بعثة محمد ﷺ لئن أتانا رسولٌ **﴿ليكونن أهدىٰ من إحدىٰ الأمم﴾** أَيْ: من اليهود والنَّصارىٰ والمجوس **﴿فلما جاءهم نذير﴾** هو النبيُّ ﷺ **﴿ما زادهم﴾** مجيئه **﴿إلَّا نفوراً﴾** عن الحقِّ.

﴿٤٣﴾ **﴿استكباراً في الأرض﴾** أَيْ: استكبروا عن الإيمان استكباراً، **﴿ومكر السَّيِّىء﴾** ومكروا المكر السَّيِّىءَ، وهو مكرهم بالنبيّ ﷺ ليقتلوه **﴿ولا يحيق﴾** أَيْ: يحيط **﴿المكرُ السيِّىء إلَّا بأهله﴾** فحاق بهم مكرهم يوم بدرٍ. **﴿فهل ينظرون﴾** بعد تكذيبك **﴿إلَّا سنة الأولين﴾** يعني: العذاب.

﴿٤٥﴾ **﴿ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا﴾** من الجرائم **﴿ما ترك على ظهرها﴾** على ظهر الأرض **﴿من دابة﴾** من الإنس والجنِّ وكلِّ ما يعقل **﴿ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمًّىً فإذا جاء أجلهم فإنَّ الله كان بعباده بصيراً﴾**.

• • •



سورة يس

[مكيّة وهي ثلاث وثمانون آية][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

يس ﴿١﴾ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿يس﴾ يا إنسان[2].

(٢) ﴿والقرآن الحكيم﴾ أقسم الله تعالىٰ بالقرآن المحكم أنَّ محمداً ﷺ من المرسلين، وهو قوله:

(٣) ﴿إنك لمن المرسلين﴾.

(٤) ﴿على صراط مستقيم﴾ على طريق الأنبياء الذين تقدَّموك.

(٥) ﴿تنزيل﴾ أَيْ: القرآن تنزيل ﴿العزيز الرحيم﴾.

(٦) ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم﴾ في الفترة ﴿فهم غافلون﴾ عن الإيمان والرُّشد.

(٧) ﴿لقد حقَّ القول﴾ وجبت عليهم كلمة العذاب ﴿فهم لا يؤمنون﴾ ثمَّ بيَّن سبب تركهم الإيمان فقال:

---

(١) زيادة من ظ و ظا.

(٢) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ٢٢/١٤٨.

إِنَّا جَعَلْنَا فِيٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾

﴿٨﴾ **﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً﴾** أراد: في أعناقهم وأيديهم؛ لأنَّ الغلَّ لا يكون في العنق دون اليد **﴿فهي إلى الأذقان﴾** أيْ: فأيديهم مجموعةٌ إلى أذقانهم؛ لأنَّ الغلَّ يجعل في اليد ممَّا يلي الذقن **﴿فهم مقمحون﴾** رافعو رؤوسهم لا يستطيعون الإطراق؛ لأنَّ مَنْ غُلَّت يده إلى ذقنه ارتفع رأسه، وهذا مَثَلٌ. معناه: أمسكنا أيديهم عن النَّفقة في سبيل الله بموانعَ كالأغلال.

﴿٩﴾ **﴿وجعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سداً﴾** هذا وصف إضلال الله تعالىٰ إيَّاهم، فهم بمنزلة مَنْ سُدَّ طريقه من بين يديه ومن خلفه. يريد: إنَّهم لا يستطيعون أن يخرجوا من ضلالهم **﴿فأغشيناهم﴾** فأعميناهم عن الهدىٰ **﴿فهم لا يُبصرونـ﴾**ـه ثم ذكر أنَّ هؤلاء لا ينفعهم الإنذار، فقال:

﴿١٠﴾ **﴿وسواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾**.

﴿١١﴾ **﴿إنما تنذر من اتبع الذكر﴾** إنما ينفع إنذارك من اتَّبع القرآن فعمل به **﴿وخشي الرحمن بالغيب﴾** خاف الله تعالىٰ ولم يره.

﴿١٢﴾ **﴿إنا نحن نُحْيِ الموتىٰ﴾** عند البعث **﴿ونكتب ما قدَّموا﴾** من الأعمال **﴿وآثارهم﴾** ما استُنَّ به بعدهم. وقيل: خطاهم إلى المساجد. **﴿وكلَّ شيء أحصيناه﴾** عددناه وبيَّناه **﴿في إمام مبين﴾** وهو اللَّوح المحفوظ.

﴿١٣﴾ **﴿واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية﴾** وهي أنطاكية **﴿إذ جاءها المرسلون﴾** رسل عيسىٰ عليه السَّلام.

إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا۟ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾

﴿١٤﴾ ﴿إذْ أرسلنا إليهم اثنين﴾ من الحواريِّن ﴿فكذبوهما فعَزَّزْنا بثالث﴾ قوّينا الرِّسالة برسولٍ ثالثٍ. وقوله:

﴿١٨﴾ ﴿إنّا تطيرنا بكم﴾ أيْ: تشاءمنا، وذلك أنَّهم حُبس عنهم المطر، فقالوا: هذا بشؤمكم. ﴿لئن لم تنتهوا لنَرْجُمَنّكم﴾ لنقتلنّكم رجماً بالحجارة.

﴿١٩﴾ ﴿قالوا طائركم معكم﴾ شؤمكم معكم بكفركم ﴿أإنْ ذكرتم﴾ وُعظتم وخُوِّفتم تطيَّرتم ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ مُجاوزون الحدّ بشرككم.

﴿٢٠﴾ ﴿وجاء من أقصىٰ المدينة رجل﴾ وهو حبيب النَّجار، كان قد آمن بالرُّسل، وكان منزله في أقصىٰ البلد، فلمَّا سمع أنَّ القوم كذَّبوهم وهمُّوا بقتلهم أتاهم يأمرهم بالإِيمان، فقال: ﴿يا قوم اتبعوا المرسلين﴾.

﴿٢١﴾ ﴿اتبعوا مَنْ لا يسألكم أَجْراً﴾ على أداء النُّصح وتبليغ الرِّسالة ﴿وهم مهتدون﴾ يعني: الرُّسل، فقيل له: أنت على دين هؤلاء؟ فقال:

﴿٢٢﴾ ﴿ومالي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾.

﴿٢٣﴾ ﴿أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغنِ عني شفاعتهم شيئاً ولا ينقذون﴾.

﴿٢٤﴾ ﴿إني إذاً لفي ضلال مبين﴾.

إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلّٞ لَّمَّا جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٣٢﴾ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ﴿٣٣﴾

﴿٢٥﴾ **﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾** فلمَّا قال ذلك وثبوا إليه فقتلوه، فأدخله الله تعالىٰ الجنَّة، فذلك قوله تعالىٰ:

﴿٢٦﴾ **﴿قيل ادخل الجنَّة﴾** فلمَّا شاهدها قال: **﴿يا ليت قومي يعلمون﴾**.

﴿٢٧﴾ **﴿بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين﴾** أَيْ: بمغفرة ربِّي.

الجزء الثالث والعشرون:

﴿٢٨﴾ **﴿وما أنزلنا على قومه﴾** يعني: على قوم حبيب **﴿من جند من السماء﴾** لنصرة الرُّسل الذين كذَّبوهم. يريد: لم نحتج في إهلاكهم إلى إرسال جند.

﴿٢٩﴾ **﴿إن كانت﴾** ما كانت عقوبتهم **﴿إلاَّ صيحة واحدة﴾** صاح بهم جبريل عليه السَّلام، فماتوا عن آخرهم، وهو قوله: **﴿فإذا هم خامدون﴾** ساكنون قد ماتوا.

﴿٣٠﴾ **﴿يا حسرة على العباد﴾** يعني: هؤلاء حين استهزؤوا بالرُّسل، فتحسَّروا عند العقوبة.

﴿٣١﴾ **﴿ألم يروا﴾** يعني: أهل مكَّة **﴿كم أهلكنا قبلهم من القرون أنَّهم إليهم لا يرجعون﴾** يعني: ألم يروا أنَّ الذين أهلكناهم قبلهم لا يرجعون إليهم.

﴿٣٢﴾ **﴿وإن كل﴾** وما كلُّ مَنْ خُلق مِن الخلق إلاَّ **﴿جميع لدينا محضرون﴾** عند البعث يوم القيامة يحضرهم ليقفوا على ما عملوا.

﴿٣٣﴾ **﴿وآية لهم﴾** على البعث **﴿الأرض الميتة أحييناها﴾**. وقوله:

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾

﴿٣٥﴾ **﴿وما عملته أيديهم﴾** أَيْ: لم تعمله ولا صنع لهم في ذلك.

﴿٣٦﴾ **﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها﴾** أَيْ: الأجناس من النَّبات والحيوان **﴿وممَّا لا يعلمون﴾** ممَّا خلق الله سبحانه من جميع الأنواع والأشباه.

﴿٣٧﴾ **﴿وآية لهم﴾** ودلالةٌ لهم على توحيد الله سبحانه وقدرته **﴿الليل نسلخ﴾** نُخرج **﴿منه النهار﴾** إخراجاً لا يبقىٰ معه شيء من ضوء النَّهار، والمعنىٰ: ننزع النَّهار فنذهب به، ونأتي باللَّيل **﴿فإذا هم مظلمون﴾** داخلون في الظَّلام.

﴿٣٨﴾ **﴿والشمس﴾** أَيْ: وآيةٌ لهم الشَّمس **﴿تجري لمستقرٍ لها﴾** عند انقضاء الدُّنيا.

﴿٣٩﴾ **﴿والقمر قدرناه منازل﴾** ذا منازلٍ **﴿حتىٰ عاد﴾** في آخر منزله **﴿كالعرجون القديم﴾** وهو عود الشِّمراخ إذا يبس اعوجَّ.

﴿٤٠﴾ **﴿لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر﴾** فيجتمعا معاً **﴿ولا الليل سابق النهار﴾** يسبقه فيأتي قبل انقضاء النَّهار **﴿وكلٌّ﴾** من الشَّمس والقمر والنُّجوم **﴿في فلك يسبحون﴾**. [يسيرون][1].

﴿٤١﴾ **﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم﴾** أباهم **﴿في الفلك المشحون﴾** يعني: سفينة نوحٍ عليه السَّلام.

---

(١) ليس في عا.

وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾

﴿٤٢﴾ **﴿وخلقنا لهم من مثله﴾** من مثل جنس سفينة نوح **﴿ما يركبون﴾** في البحر.

﴿٤٣﴾ **﴿وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم﴾** فلا مُغيث لهم **﴿ولا هم يُنقذون﴾** يُنجون.

﴿٤٤﴾ **﴿إلاَّ رحمةً منا ومتاعاً إلى حين﴾** أيْ: إلا أن نَرحمهم ونُمتِّعهم إلى انقضاء آجالهم.

﴿٤٥﴾ **﴿وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم﴾** العذاب الذي عُذِّب به الأمم قبلكم **﴿وما خلفكم﴾** يعني: عذاب الآخرة **﴿لعلكم ترحمون﴾** لكي تكونوا على رجاء الرَّحمة، وجواب **﴿إذا﴾** محذوف تقديره: وإذا قيل لهم هذا أعرضوا، ودلَّ على هذا قوله تعالىٰ:

﴿٤٦﴾ **﴿وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلاَّ كانوا عنها معرضين﴾**.

﴿٤٧﴾ **﴿وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾** كان فقراء أصحاب رسول الله ﷺ يقولون للمشركين: أعطونا من أموالكم ما زعمتم أنَّها لله تعالىٰ، فكانوا يقولون استهزاءً: **﴿أنطعم مَن لو يشاء الله أطعمه﴾** فقال الله تعالى: **﴿إن أنتم إلاَّ في ضلال مبين﴾**.

﴿٤٨﴾ **﴿ويقولون متىٰ هذا الوعد إن كنتم صادقين﴾** أنَّا نُبعث.

﴿٤٩﴾ **﴿ما ينظرون﴾** ما ينتظرون **﴿إلاَّ صيحة واحدة﴾** وهي نفخة إسرافيل **﴿تأخذهم وهم يخصمون﴾** يختصمون، يُخاصم بعضهم بعضاً. يعني: يوم تقوم الساعة وهم في غفلةٍ عنها.

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَـٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَـٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَـٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَـٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾

---

(٥٠) ﴿**فلا يستطيعون**﴾ بعد ذلك أن يُوصوا في أمورهم بشيءٍ ﴿**ولا إلى أهلهم يرجعون**﴾ لا ينقلبون إلى أهليهم من الأسواق، ويموتون في مكانهم.

(٥١) ﴿**ونفخ في الصور**﴾ يعني: نفخة البعث ﴿**فإذا هم من الأجداث**﴾ القبور ﴿**إلى ربهم ينسلون**﴾ يخرجون بسرعة.

(٥٢) ﴿**قالوا: يا ويلنا مَنْ بعثنا من مرقدنا**﴾ أَيْ: منامنا، وذلك أنَّهم كانوا قد رُفع عنهم العذاب فيما بين النَّفختين، فيرقدون ثم يقولون: ﴿**هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون**﴾ أقرُّوا حين لم ينفعهم.

(٥٣) ﴿**إن كانت إلاَّ صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون**﴾ يريد: إنَّ بعثهم وإحياءهم كان بصيحة تُصاح بهم، وهو قول إسرافيل عليه السَّلام: أَيَّتها العظام البالية.

(٥٥) ﴿**إن أصحاب الجنة اليوم في شغل**﴾ بافتضاض الأبكار ﴿**فاكهون**﴾ ناعمون فرحون مُعجبون.

(٥٧) ﴿**ولهم ما يدعون**﴾ يتمنَّون.

(٥٨) ﴿**سلام**﴾ أَيْ: لهم سلامٌ ﴿**قولاً**﴾ يقوله الله عزَّ وجلَّ قولاً.

(٥٩) ﴿**وامتازوا اليوم أيها المجرمون**﴾ أَيْ: انفردوا عن المؤمنين.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

﴿٦٠﴾ **﴿ألم أعهد إليكم﴾** ألم آمركم **﴿يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنَّه لكم عدوٌّ مبين﴾**.

﴿٦٢﴾ **﴿ولقد أضل منكم جبلاً﴾** خلقاً **﴿كثيراً أفلم تكونوا تعقلون﴾** عدوانه وإضلاله.

﴿٦٤﴾ **﴿اصلوها اليوم﴾** اُدخلوها وقاسوا حرَّها **﴿بما كنتم تكفرون﴾** بكفركم.

﴿٦٦﴾ **﴿ولو نشاء لطمسنا على أعينهم﴾** لأعميناهم وأذهبنا أبصارهم **﴿فاستبقوا الصراط﴾** فتبادروا إلى الطَّريق **﴿فأنىٰ﴾** يبصرون حينئذٍ وقد طمسنا أعينهم؟

﴿٦٧﴾ **﴿ولو نشاء لمسخناهم﴾** حجارةً وقردةً وخنازير **﴿على مكانتهم﴾** في منازلهم **﴿فما استطاعوا مُضياً ولا يرجعون﴾** أَيْ: لم يقدروا على ذهابٍ ولا مجيءٍ.

﴿٦٨﴾ **﴿ومَنْ نعمره ننكسه في الخلق﴾** مَنْ أطلنا عمره نكَّسنا خلقه، فصار بدل القوَّة ضعفاً، وبدل الشَّباب هرماً **﴿أفلا تعقلون﴾** أنَّا نفعل ذلك.

﴿٦٩﴾ **﴿وما علمناه الشعر﴾** لم نعلِّمْ محمداً ﷺ قول الشِّعر **﴿وما ينبغي له﴾** وما يتسهَّل له ذلك **﴿إن هو﴾** أَيْ: ليس الذي أتىٰ به **﴿إلَّا ذكرٌ وقرآن مبين﴾**.

﴿٧٠﴾ **﴿لينذر مَنْ كان حيّاً﴾** عاقلاً، فلا يغفل ما يُخاطب به؛ لأنَّ الكافر كالميِّت **﴿ويحق القول على الكافرين﴾** تجب الحُجَّة عليهم.

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾

﴿٧١﴾ **﴿أَوَلَمْ يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً﴾** أَيْ: عملناه من غير واسطةٍ ولا توكيلٍ، ولا شريكٍ أعاننا **﴿أنعاماً فهم لها مالكون﴾** ضابطون.

﴿٧٢﴾ **﴿وذللناها﴾** سخَّرناها **﴿لهم فمنها ركوبهم﴾** ما يركبون.

﴿٧٤﴾ **﴿واتخذوا من دون الله آلهة لعلهم ينصرون﴾** يُمنعون من عذاب الله تعالىٰ.

﴿٧٥﴾ **﴿لا يستطيعون نصرهم﴾** لا تنصرهم آلهتهم **﴿وهم لهم جند محضرون﴾**. في النار؛ لأنَّ أوثانهم معهم فيها.

﴿٧٦﴾ **﴿فلا يحزنك قولهم﴾** فيك بالسُّوء والقبيح. **﴿إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون﴾** فنجازيهم بذلك.

﴿٧٧﴾ **﴿أَوَلَمْ ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة﴾** يعني: العاص بن وائل[1]. وقيل: أُبيّ بن خلف[2] **﴿فإذا هو خصيم مبين﴾** جَدِلٌ بالباطل، خاصم النبيَّ ﷺ في إنكار البعث، وهو قوله:

﴿٧٨﴾ **﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه﴾** وهو أنَّه قال: متىٰ يُحيي الله العظم البالي المتفتِّت؟ ونسي ابتداء خلقه؛ لأنَّه لو علم ذلك ما أنكر الإعادة، وهذا معنىٰ قوله: **﴿قال: مَنْ يُحْيِ العظام وهي رميم﴾** أَيْ: باليةٌ.

---

(١) أخرجه ابن جرير ٢٣/ ٣٠ عن سعيد بن جبير.

(٢) وهو قول مجاهد في تفسيره ص ٥٣٧، وأخرجه ابن جرير ٢٣/ ٣٠ عن سعيد بن جبير.

قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿٧٩﴾ ﴿قل: يحييها الذي أنشأها﴾ خلقها ﴿أول مرة وهو بكلّ خلق﴾ من الابتداء والإِعادة ﴿عليم﴾.

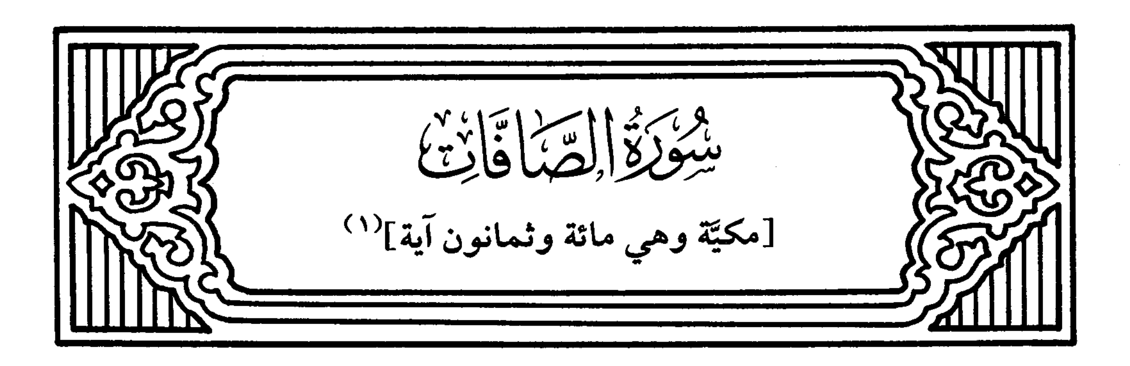
﴿٨٠﴾ ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ يعني: المرخ والعفار، ومنهما زنود الأعراب ﴿فإذا أنتم منه توقدون﴾ تورون النَّار، ثمَّ احتجَّ عليهم بخلق السَّموات والأرض، فقال:

﴿٨١﴾ ﴿أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علىٰ أن يخلق مثلهم بلىٰ وهو الخلاق العليم﴾ ثمَّ ذكر كمال قدرته فقال:

﴿٨٢﴾ ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً﴾ أَيْ: خلق شيءٍ ﴿أن يقول له كن فيكون﴾ ذلك الشَّيء.

﴿٨٣﴾ ﴿فسبحان﴾ تنزيهاً لله سبحانه من أن يُوصف بغير القدرة على الإِعادة ﴿الذي بيده ملكوت كلِّ شيء﴾ أَيْ: القدرة على كلِّ شيء ﴿وإليه ترجعون﴾ تُردُّون في الآخرة.

• • •



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَآءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿والصافات صفاً﴾ يعني: صفوف الملائكة في السَّماء.

(٢) ﴿فالزاجرات زجراً﴾ يعني: الملائكة تزجر السَّحاب وتسوقه.

(٣) ﴿فالتاليات ذكراً﴾ جماعة قرَّاء القرآن.

(٤) ﴿إن إلَٰهكم لواحد﴾ أقسم الله سبحانه بهؤلاء أنَّ إلَٰهكم لواحد.

(٥) ﴿وربّ المشارق﴾ مطالع الشمس.

(٦) ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ بضوئها، ﴿و﴾ حفظناها

(٧) ﴿حفظاً من كلِّ شيطان مارد﴾ متمرِّدٍ خبيثٍ.

---

(١) ما بين [ ] زيادة من ظ و ظا.
وآياتها في المصحف ١٨٢ آية، وقال البقاعي في مصاعد النظر ٤٠٨/٢: وآيها مائةٌ وثمانون آيةً في البصري، وآيتان في عدد الباقين.

لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا۟ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

---

(٨) ﴿لا يَسَّمَّعون إلى الملأ الأعلىٰ﴾ يعني: الملائكة. ﴿ويقذفون من كلّ جانب﴾ ويُرمون.

(٩) ﴿دحوراً﴾ يُدحرون دحوراً، أيْ: يُباعدون ﴿ولهم عذاب واصب﴾ دائم.

(١٠) ﴿إلاَّ من خطف الخطفة﴾ سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعةٍ ﴿فأتبعه﴾ لحقه ﴿شهاب ثاقب﴾ كوكبٌ مضيءٌ.

(١١) ﴿فاستفتهم﴾ فسلهم. يعني: أهل مكَّة ﴿أهم أشد خلقاً أم من خلقنا﴾ من الأمم السَّالفة قبلهم، وغيرهم من السَّموات والأرض. ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ لاصقٍ لازمٍ.

(١٢) ﴿بل عجبت﴾ يا محمَّد من تكذيبهم إيَّاك ﴿ و ﴾ هم ﴿يسخرون﴾ من تعجُّبك.

(١٤) ﴿وإذا رأوا آية﴾ معجزةً سخروا.

(١٥) ﴿وقالوا إن هذا إلاَّ سحر مبين﴾.

(١٨) ﴿قل: نعم﴾ تبعثون ﴿وأنتم داخرون﴾ صاغرون أذلاَّء.

(١٩) ﴿فإنما هي﴾ يعني: القيامة﴿زجرة﴾ صيحةٌ ﴿واحدة فإذا هم﴾ أحياءٌ ﴿ينظرون﴾ سوء أعمالهم. وقيل: ما كذَّبوا به.

(٢٠) ﴿وقالوا: يا ويلنا هذا يوم الدين﴾ يوم نُجازىٰ فيه بما عملنا.

(٢١) ﴿هذا يوم الفصل﴾ بين الحقِّ والباطل. ﴿الذي كنتم به تكذبون﴾.

۞ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُواْ بَل لَّمۡ تَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭۖ بَلۡ كُنتُمۡ قَوۡمٗا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيۡنَا قَوۡلُ رَبِّنَآۖ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغۡوَيۡنَٰكُمۡ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمۡ يَوۡمَئِذٖ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ بَلۡ جَآءَ بِٱلۡحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمۡ لَذَآئِقُواْ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ رِزۡقٞ مَّعۡلُومٞ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُۖ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾

﴿٢٢﴾ **﴿احشروا الذين ظلموا﴾** كفروا **﴿أزواجهم﴾** قرناءهم من الشَّياطين وأوثانهم.

﴿٢٣﴾ **﴿فاهدوهم﴾** دلُّوهم إلى النار.

﴿٢٤﴾ **﴿وقفوهم﴾** احبسوهم **﴿إنهم مسؤولون﴾** عن أقوالهم وأفعالهم.

﴿٢٥﴾ **﴿مالكم لا تناصرون﴾** لا ينصر بعضكم بعضاً.

﴿٢٦﴾ **﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾** مُنقادون.

﴿٢٧﴾ **﴿وأقبل بعضهم على بعض﴾** يعني: الأتباع والرُّؤساء **﴿يتساءلون﴾** يتخاصمون.

﴿٢٨﴾ **﴿قالوا﴾** يعني: الأتباع للرُّؤساء **﴿إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾** تقهروننا بالقوَّة من قبل الدِّين، فتضلُّوننا عنه.

﴿٢٩﴾ **﴿قالوا بل لم تكونوا مؤمنين﴾** أَيْ: إنَّما الكفر من قِبَلِكم.

﴿٣١﴾ **﴿فحق علينا﴾** جميعاً **﴿قول ربنا﴾** كلمة العذاب.

﴿٤٠﴾ **﴿إلَّا عباد الله المخلصين﴾** المؤمنين لكن عباد الله المخلصين.

﴿٤١﴾ **﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾** بكرةً وعشياً.

يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾

﴿٤٥﴾ **﴿بكأس من معين﴾** خمرٍ تجري على وجه الأرض.

﴿٤٦﴾ **﴿بيضاء لذة للشَّاربين﴾** ذات لذَّةٍ.

﴿٤٧﴾ **﴿لا فيها غولٌ﴾** داءٌ ولا وجعٌ **﴿ولا هم عنها ينزفون﴾** لا تذهب بعقولهم.

﴿٤٨﴾ **﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾** نساء لا ينظرن إلى غير أزواجهنَّ **﴿عين﴾** نُجْل العيون.

﴿٤٩﴾ **﴿كأنهن بيض﴾** في صفاء لونها **﴿مكنون﴾** يستره ريش النَّعام.

﴿٥٠﴾ **﴿فأقبل بعضهم﴾** يعني: أهل الجنَّة **﴿على بعض يتساءلون﴾** عمَّا مرَّ بهم.

﴿٥١﴾ **﴿قال قائل منهم إني كان لي قرين﴾** يعني: الذين قصَّ الله خبرهما في سورة الكهف[1]، كان يقول له قرينه:

﴿٥٢﴾ **﴿أإنّك لمن المصدقين﴾** ممَّن يصدِّق بالبعث والجزاء؟ وقوله:

﴿٥٣﴾ **﴿أإنَّا لمدينون﴾** أَيْ: مجزيون.

﴿٥٤﴾ **﴿قال﴾** الله سبحانه لأهل الجنَّة: **﴿هل أنتم مطلعون﴾** إلى النَّار.

﴿٥٥﴾ **﴿فاطلع﴾** المسلم فرأىٰ قرينه الكافر **﴿في سواء الجحيم﴾** وسطه، فقال له:

﴿٥٦﴾ **﴿تالله إن كدت لَتُرْدِيْنَ﴾** تهلكني وتضلُّني.

---

(١) في قوله تعالىٰ: ﴿واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين﴾ الآيات في سورة الكهف.

وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

﴿٥٧﴾ **﴿ولولا نعمة ربي﴾** عصمته ورحمته **﴿لكنت من المحضرين﴾** في النَّار.

﴿٥٨﴾ **﴿أفما نحن بميتين﴾**. **﴿إلاَّ موتتنا الأولى﴾** يقوله أهل الجنَّة للملائكة حين يُذبح الموت، فتقول الملائكة: لا، فيقولون: **﴿إنَّ هذا لهو الفوز العظيم﴾**. **﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾**.

﴿٦٢﴾ **﴿أذلك﴾** الذي ذكرتُ من نعيم أهل الجنَّة **﴿خيرٌ نُزُلاً أم شجرة الزقوم﴾**.

﴿٦٣﴾ **﴿إنا جعلناها فتنة للظالمين﴾** افتتنوا بها، وكذَّبوا بكونها فصارت فتنةً لهم، وذلك أنَّهم أنكروا أن يكون في النَّار شجرة. قال الله تعالىٰ:

﴿٦٤﴾ **﴿إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم﴾** أصلها في قعر جهنَّم.

﴿٦٥﴾ **﴿طلعها﴾** ثمرها **﴿كأنَّه رؤوس الشياطين﴾** في القبح وكراهية المنظر.

﴿٦٧﴾ **﴿ثمَّ إنَّ لهم عليها﴾** على شجرة الزَّقوم **﴿لشوباً﴾** خلطاً ومزاجاً **﴿من حميم﴾** ماءٍ حارٍ.

﴿٦٨﴾ **﴿ثم إنَّ مرجعهم﴾** مرجع الكفَّار **﴿لإلىٰ الجحيم﴾** الذي يجمع هذه الأشياء. وقوله:

﴿٧٠﴾ **﴿يهرعون﴾** أيْ: يزعجون إلى أتباعهم.

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾

﴿٧٥﴾ **﴿ولقد نادانا نوح﴾** يعني: قوله: **﴿أنِّي مغلوبٌ فانتصر﴾**[1] **﴿فلنعم المجيبون﴾** نحن.

﴿٧٦﴾ **﴿ونجيناه وأهله من الكرب العظيم﴾** يعني: الغرق.

﴿٧٧﴾ **﴿وجعلنا ذريته هم الباقين﴾** لأنَّ الخلق كلَّهم أُهلكوا إلَّا مَنْ كان معه في سفينته، وكانوا من ذرِّيَّته.

﴿٧٨﴾ **﴿وتركنا عليه في الآخرين﴾** فيمن يأتي بعده ثناءً حسناً، وهو أن يُصلَّىٰ عليه ويُسلَّم، وهو معنىٰ قوله: **﴿سلام على نوح في العالمين﴾**.

﴿٨٣﴾ **﴿وإن من شيعته﴾** أهل دينه وملَّته **﴿لإبراهيم﴾**.

﴿٨٤﴾ **﴿إذ جاء ربه بقلب سليم﴾** من الشِّرك.

﴿٨٧﴾ **﴿فما ظنكم برب العالمين﴾** قال إبراهيم عليه السَّلام لقومه وهم يعبدون الأصنام: أيُّ شيءٍ ظنُّكم بربِّ العالمين وأنتم تعبدون غيره؟

﴿٨٨﴾ **﴿فنظر نظرة في النجوم﴾** وذلك أنَّه كان لقومه من الغد عيدٌ يخرجون إليه، ويضعون أطعمتهم بين يدي أصنامهم لتبرُّك عليها زعموا، فقالوا لإبراهيم: ألا تخرج معنا إلى عيدنا؟ فنظر إلى نجم وقال:

---

(١) سورة القمر: الآية ١٠.

فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾ وَقَالَ إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ

﴿٨٩﴾ ﴿إني سقيم﴾ وكانوا يتعاطون علم النُّجوم، فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه، واعتلَّ في التَّخلُّف عن عيدهم بأنَّه يعتلُّ، وتأوَّل في قوله: ﴿سقيم﴾ سأسقم.

﴿٩٠﴾ ﴿فتولوا عنه مدبرين﴾ أدبروا عنه إلى عيدهم وتركوه.

﴿٩١﴾ ﴿فراغ﴾ فمال ﴿إلىٰ آلهتهم فقال﴾ إظهاراً لضعفها وعجزها: ﴿ألا تأكلون﴾ من هذه الأطعمة.

﴿٩٣﴾ ﴿فراغ﴾ فمال ﴿عليهم﴾ يضربهم ﴿ضرباً باليمين﴾ بيده اليمنىٰ.

﴿٩٤﴾ ﴿فأقبلوا إليه﴾ من عيدهم ﴿يزفون﴾ يسرعون. فقال لهم إبراهيم محتجاً:

﴿٩٥﴾ ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾. ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ من نحتكم وجميع أعمالكم.

﴿٩٧﴾ ﴿قالوا ابنوا له بنياناً﴾ حظيرة واملؤوه ناراً، وألقوا إبراهيم في تلك النَّار.

﴿٩٨﴾ ﴿فأرادوا به كيداً﴾ حين قصدوا إحراقه بالنَّار ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ المقهورين، لأنَّه علاهم بالحجَّة والنُّصرة.

﴿٩٩﴾ ﴿وقال إني ذاهب إلى ربي﴾ إلى المكان الذي أمرني بالهجرة إليه ﴿سيهدين﴾ يثبتني على الهدىٰ.

﴿١٠٠﴾ ﴿رب هب لي﴾ ولداً ﴿من الصالحين﴾.

﴿١٠١﴾ ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ سيِّدٍ يُوصف بالحلم.

﴿١٠٢﴾ ﴿فلما بلغ﴾ ذلك الغلام ﴿معه السعي﴾ أَيْ: أدرك معه العمل ﴿قال: يا بنيَّ إني

أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾

أرىٰ في المنام أني أذبحك﴾ وذلك أنَّه أُمر في المنام بذبح ولده **﴿فانظر ماذا ترىٰ﴾** ما الذي تراه فيما أقول لك، هل تستسلم له؟ فاستسلم الغلام و **﴿قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾**.

﴿١٠٣﴾ **﴿فلما أسلما﴾** انقادا لأمر الله **﴿وتلَّه للجبين﴾** صرعه على أحد جنبيه.

﴿١٠٤﴾ **﴿وناديناه أن يا إبراهيم﴾**. **﴿قد صدَّقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين﴾**.

﴿١٠٦﴾ **﴿إنّ هذا لهو البلاء المبين﴾** الاختيار الظاهر. يعني: حين اختبره بذبح ولده، فانقاد وأطاع.

﴿١٠٧﴾ **﴿وفديناه بذبحٍ﴾** بكبشٍ **﴿عظيم﴾** لأنَّه رعىٰ في الجنَّة أربعين خريفاً، وكان الكبش الذي تُقبِّل من ابن آدم عليه السَّلام.

﴿١١٤﴾ **﴿ولقد مننا على موسىٰ وهارون﴾** بالنُّبوَّة.

﴿١١٥﴾ **﴿ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم﴾** يعني: الغرق. وقوله:

أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾

﴿١٢٥﴾ ﴿**أتدعون بعلاً**﴾ يعني: صنماً كان لهم.

﴿١٢٧﴾ ﴿**فكذبوه فإنهم لمحضرون**﴾ في النَّار.

﴿١٢٨﴾ ﴿**إلاَّ عباد الله المخلصين**﴾ من قومه.

﴿١٣٠﴾ ﴿**سلام على إلْ ياسين**﴾ يعني: إلياس عليه السَّلام. وقيل: يعني قومه ممَّن ينتسب إلى اتِّباعه.

﴿١٤٠﴾ ﴿**إذ أبق**﴾ هرب ﴿**إلى الفلك المشحون**﴾ السَّفينة المملوءة حين ذهب مُغاضباً، فوقفت السَّفينة ولم تجرِ، فقارعه أهل السَّفينة فخرجت القرعة عليه، فخرج منها وألقىٰ نفسه في البحر، فذلك قوله:

﴿١٤١﴾ ﴿**فساهم**﴾ فقارع ﴿**فكان من المدحضين**﴾ المغلوبين بالقرعة.

﴿١٤٢﴾ ﴿**فالتقمه**﴾ فابتلعه ﴿**الحوت وهو مليم**﴾ أتىٰ بما يُلام عليه.

﴿١٤٣﴾ ﴿**فلولا أنَّه كان من المسبحين**﴾ من المُصلِّين قبل ذلك.

﴿١٤٤﴾ ﴿**للبث في بطنه**﴾ في بطن الحوت إلى يوم القيامة.

﴿١٤٥﴾ ﴿**فنبذناه**﴾ طرحناه ﴿**بالعراء**﴾ وجه الأرض ﴿**وهو سقيم**﴾ عليلٌ كالفرخ

وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةً مِّن يَقۡطِينٖ ﴿١٤٦﴾ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿١٤٨﴾ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُواْ بَيۡنَهُۥ وَبَيۡنَ ٱلۡجِنَّةِ نَسَبٗاۚ وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ إِنَّهُمۡ لَمُحۡضَرُونَ ﴿١٥٨﴾

الممعَّط(١).

﴿١٤٦﴾ **﴿وأنبتنا عليه﴾** عنده **﴿شجرة من يقطين﴾** وهو القرع ليستظلَّ بها.

﴿١٤٧﴾ **﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾** بل يزيدون.

﴿١٤٨﴾ **﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾** إلى انقضاء آجالهم.

﴿١٤٩﴾ **﴿فاستفتهم﴾** فسل يا محمَّد أهلَ مكَّة **﴿ألربك البنات ولهم البنون﴾** وذلك أنَّهم كانوا يزعمون أنَّ الملائكة بنات الله.

﴿١٥٠﴾ **﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون﴾** حاضرون خلقنا إيَّاهم.

﴿١٥٣﴾ **﴿أَصْطفىٰ البنات على البنين﴾** أتَّخذ البنات دون البنين فاصطفاها، وجعل لكم البنين؟ كقوله: ﴿أفأصفاكم ربُّكم بالبنين واتَّخذَ من الملائكة إناثاً﴾(٢).

﴿١٥٦﴾ **﴿أم لكم سلطان﴾** برهانٌ **﴿مبين﴾** على أنَّ لله ولداً.

﴿١٥٧﴾ **﴿فأتوا بكتابكم﴾** الذي فيه حُجَّتكم **﴿إن كنتم صادقين﴾**.

﴿١٥٨﴾ **﴿وجعلوا بينه وبين الجنة﴾** يعني: الملائكة **﴿نسباً﴾** حين قالوا: إنَّهم بنات الله. **﴿ولقد علمت الجنة﴾** الملائكة **﴿إنهم لمحضرون﴾** أنَّ الذين قالوا هذا القول محضرون في النَّار.

---

(١) المنتوف ريشه. (٢) سورة الإسراء: الآية ٤٠.

سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾

﴿١٦٠﴾ **﴿إلاَّ عباد الله المخلصين﴾** فإنهم ناجون من النَّار.

﴿١٦١﴾ **﴿فإنكم وما تعبدون﴾** من الأصنام.

﴿١٦٢﴾ **﴿وما أنتم عليه بفاتنين﴾** لا تفتنون أحداً علىٰ ما يعبدون ولا تضلونه.

﴿١٦٣﴾ **﴿إلاَّ مَنْ هو صال الجحيم﴾** أَيْ: إلا مَنْ هو في معلوم الله أنَّه يدخل النَّار.

﴿١٦٤﴾ **﴿وما منا إلاَّ له﴾** هذا من قول الملائكة، والمعنىٰ: ما منَّا مَلَكٌ إلاَّ له **﴿مقام معلوم﴾** من السَّماء يعبد الله سبحانه هناك.

﴿١٦٥﴾ **﴿وإنا لنحن الصافون﴾** في الصَّلاة.

﴿١٦٦﴾ **﴿وإنا لنحن المسبحون﴾** المُصلُّون.

﴿١٦٧﴾ **﴿وإن كانوا ليقولون﴾** كان كفار مكَّة يقولون: لو جاءنا كتابٌ كما جاء غيرنا من الأوَّلين لأخلصنا عبادة الله سبحانه، فلمَّا جاءهم كفروا به.

﴿١٧٠﴾ **﴿فسوف يعلمون﴾** عاقبة كفرهم.

﴿١٧١﴾ **﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾**.

﴿١٧٢﴾ **﴿إنهم لهم المنصورون﴾**.

﴿١٧٣﴾ **﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾** أَيْ: تقدَّم الوعد بنصرتهم، وهو قوله: **﴿كَتَبَ اللَّهُ لأغلبنَّ أنا ورسلي﴾**[١].

---

(١) سورة المجادلة: الآية ٢١.

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿١٧٤﴾ **﴿فتولَّ عنهم حتىٰ حين﴾** حتىٰ تنقضي المدة التي أُمهلوا فيها.

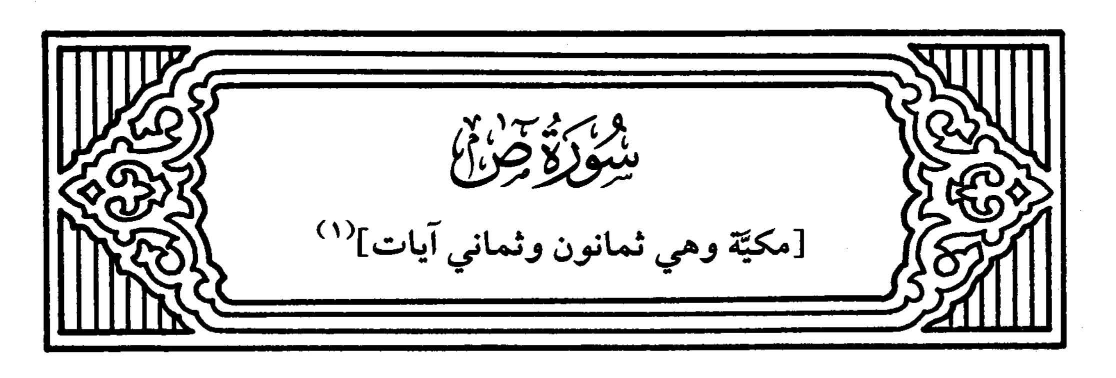
﴿١٧٥﴾ **﴿وأَبْصِرْهم﴾** انظر إليهم إذا عذِّبوا **﴿فسوف يبصرون﴾** ما أنكروا.

﴿١٧٦﴾ **﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾** وذلك أنَّهم كانوا يقولون: متىٰ هذا الوعد؟

﴿١٧٧﴾ **﴿فإذا نزل﴾** العذاب. **﴿بساحتهم﴾** بِفنائهم **﴿فَسَاءَ صباح المنذرين﴾**.

﴿١٧٩﴾ **﴿وأبصر﴾** انظر فبئس ما يصبحون عند ذلك.

• • •



سورة ص

[مكيّة وهي ثمانون وثماني آيات][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾ وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿ص﴾ صدق الله[2] ﴿والقرآن ذي الذكر﴾ ذي الشَّرف.



(٢) ﴿بل الذين كفروا في عزَّة﴾ امتناعٍ من الدِّين ﴿وشقاق﴾ خلافٍ وعداوةٍ.

(٣) ﴿كم أهلكنا﴾ هذا جواب القسم، واعترض بينهما قوله: ﴿بل الذين كفروا﴾. ﴿فنادوا﴾ بالاستغاثة عند الهلاك ﴿ولات حين مناص﴾ وليس حين منجىً وفوت.

(٤) ﴿وعجبوا﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ محمَّد ﷺ.

(٥) ﴿أجعل الآلهة إلّهاً واحداً﴾ وذلك أنَّهم اجتمعوا عند أبي طالب يشكون إليه

---

(١) زيادة من ظ و ظا.

(٢) أخرجه ابن جرير ١١٨/٢٣ عن الضحاك.

إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ۝٥ وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧ أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝٨ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝٩

النبيَّ ﷺ، فقال النبيُّ ﷺ: إني أدعوكم إلى كلمة التَّوحيد لا إلٰه إلَّا الله[1]، فقالوا: كيف يسع الخلق كلَّهم إلٰهٌ واحد؟ ﴿إنَّ هذا﴾ الذي يقوله ﴿لشيء عجاب﴾ عجيب.

(٦) ﴿وانطلق الملأ منهم﴾ نهضوا من مجلسهم ذلك، يقول بعضهم لبعض: ﴿امشوا واصبروا على آلهتكم إنَّ هذا﴾ الذي يقوله محمَّد ﴿لشيءٌ يراد﴾ أَيْ: لأمرٌ يُراد بنا، ومكرٌ يمكر علينا.

(٧) ﴿ما سمعنا بهذا﴾ الذي يقوله ﴿في الملَّة الآخرة﴾ فيما أدركنا عليه آباءنا ﴿إن هذا إلَّا اختلاق﴾ زورٌ وكذب.

(٨) ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾ كيف خُصَّ بالوحي من جملتنا؟ قالوا هذا حسداً له على النُّبوَّة. قال الله تعالىٰ: ﴿بل هم في شك من ذكري﴾ أَيْ: وَحْيِي [أَيْ: حين قالوا: اختلاق][2] ﴿بل لما يذوقوا عذاب﴾ ولو ذاقوه لأيقنوا وصدَّقوا.

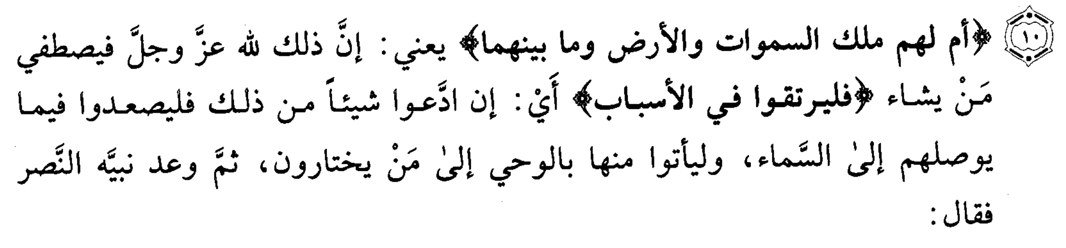
(٩) ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾ أَيْ: مفاتيح النُّبوَّة حتىٰ يعطوا النُّبوَّة مَن اختاروا.

---

(١) عن ابن عباس قال: مرض أبو طالب، فأتته قريش، وأتاه رسول الله ﷺ يعوده، وعند رأسه مقعد رجل، فجاء أبو جهلٍ فقعد فيه، ثمَّ قال: ألا ترىٰ إلى ابن أخيك يقع في آلهتنا، فقال: ابنَ أخي، ما لقومك يشكونك؟ قال: أريدهم على كلمةٍ تدين لهم بها العرب، وتؤدِّي إليهم العجم الجزية، فقال: وما هي؟ قال: لا إلٰه إلَّا الله، فقالوا: ﴿أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً﴾ فنزلت: ﴿صٓ...﴾ فقرأ حتىٰ بلغ ﴿... عجاب﴾.
أخرجه النسائي في تفسيره ٢/٢١٦؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٣٠؛ والحاكم ٢/٤٣٢، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

(٢) زيادة من ظ.

أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾



﴿١٠﴾ ﴿أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما﴾ يعني: إنَّ ذلك لله عزَّ وجلَّ فيصطفي مَنْ يشاء ﴿فليرتقوا في الأسباب﴾ أَيْ: إن ادَّعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا فيما يوصلهم إلىٰ السَّماء، وليأتوا منها بالوحي إلىٰ مَنْ يختارون، ثمَّ وعد نبيَّه النَّصر فقال:

﴿١١﴾ ﴿جند ما هنالك﴾ أَيْ: هم جندٌ هنالك ﴿مهزوم﴾ مغلوبٌ ﴿من الأحزاب﴾ كالقرون الماضية الذين قُهروا وأُهلكوا، وهذا إخبارٌ عن هزيمتهم ببدرٍ، ثمَّ عزَّىٰ نبيَّه عليه السَّلام فقال:

﴿١٣﴾ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح وعادٌ وفرعون ذو الأوتاد﴾ ذو الملك الشَّديد.

﴿١٤﴾ ﴿إنْ كلٌّ﴾ ما كلٌّ من هؤلاء ﴿إلَّا كذَّب الرسل فحقَّ﴾ فوجب ﴿عقاب﴾.

﴿١٥﴾ ﴿وما ينظر هؤلاء﴾ أَيْ: ما ينتظر هؤلاء كفار مكَّة ﴿إلَّا صيحة واحدة﴾ وهي نفخة القيامة ﴿ما لها من فواق﴾ رجوعٌ ومردٌّ.

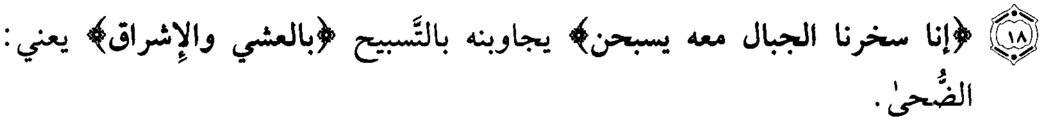
﴿١٦﴾ ﴿وقالوا ربنا عجِّلْ لنا قطنا﴾ كتابنا وصحيفة أعمالنا ﴿قبل يوم الحساب﴾ وذلك لمَّا نزل قوله: ﴿فأمَّا مَنْ أوتي كتابه بيمينه﴾(١)، ﴿وأمَّا مَنْ أوتي كتابه بشماله﴾(٢) سألوا ذلك، فنزلت هذه الآية. وقوله:

﴿١٧﴾ ﴿داود ذا الأيد﴾ أي: ذا القوَّة في العبادة ﴿إنَّه أوَّابٌ﴾ رجَّاع إلى الله سبحانه.

---

(١) سورة الحاقة: الآية ١٩. (٢) سورة الحاقة: الآية ٢٣.

إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾



﴿١٨﴾ **﴿إنا سخرنا الجبال معه يسبحن﴾** يجاوبنه بالتَّسبيح **﴿بالعشي والإشراق﴾** يعني: الضُّحىٰ.

﴿١٩﴾ **﴿والطير﴾** أَيْ: وسخَّرنا الطَّير **﴿محشورة﴾** مجموعةً **﴿كلٌّ له﴾** لداود **﴿أواب﴾** مطيعٌ يأتيه ويسبِّح معه.

﴿٢٠﴾ **﴿وشددنا ملكه﴾** بالحرس، وكانوا ثلاثةً وثلاثين ألف رجلٍ يحرسون كلَّ ليلةٍ محرابه. **﴿وآتيناه الحكمة﴾** الإصابة في الأمور **﴿وفصل الخطاب﴾** بيان الكلام، والبصر في القضاء، وهو الفصل بين الحقِّ والباطل.

﴿٢١﴾ **﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾** يعني: الملكين اللذين تصوَّرا في صورة خصمين من بني آدم **﴿إذ تسوروا المحراب﴾** علوا غرفة داود عليه السَّلام.

﴿٢٢﴾ **﴿إذ دخلوا على داود ففزع منهم﴾** لأنَّهما دخلا بغير إذنٍ في غير وقت دخول الخصوم **﴿قالوا لا تخف خصمان﴾** أَيْ: نحن خصمان **﴿بغىٰ بعضنا على بعض﴾** أَيْ: ظلم بعضنا بعضاً **﴿فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط﴾** ولا تَجُرْ **﴿واهدنا إلىٰ سواء الصراط﴾** إلى طريق الحقِّ.

﴿٢٣﴾ **﴿إنَّ هذا أخي له تسعٌ وتسعون نعجة﴾** يعني: امرأةً[1] **﴿ولي نعجة واحدة﴾** أَي: امرأةٌ **﴿فقال: أكفلنيها﴾** أَي: انزل عنها واجعلني أنا أكفلها **﴿وعزَّني في الخطاب﴾** غلبني في الاحتجاج لأنَّه أقوىٰ مني. وأقدر على النُّطق، وهذا القول

(١) الصحيح أنها نعجة حقيقية لظاهر اللفظ، ولقوله بعدها: ﴿وإنَّ كثيراً من الخلطاء﴾.

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ

من الملكين على التّمثيل لا على التّحقيق، كأنَّ القائل منهما قال: نحن كخصمين هذه حالهما، فلمَّا قال هذا أحد الخصمين اعترف له الآخر.

﴿٢٤﴾ ﴿قال﴾ داود عليه السَّلام: ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك﴾ أيْ: بسؤاله إيَّاك نعجتك: امرأتك أن يضمَّها ﴿إلىٰ نعاجه، وإن كثيراً من الخلطاء﴾ الشُّركاء ﴿ليبغي بعضهم على بعض إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليلٌ ما هم﴾ [وقليلٌ هم][1] ﴿وظنَّ داود﴾ علم عند ذلك ﴿أنّما فتناه﴾ ابتليناه بتلك المرأة التي أحبَّ أن يتزوَّجها، ثمَّ تزوَّجها بعد قتل زوجها[2] ﴿فاستغفر ربه﴾ ممَّا فعل، وهو محبَّته أن يتزوَّج امرأةَ مَنْ له امرأةٌ واحدةٌ، وله تسع وتسعون امرأةً ﴿وخرَّ راكعاً﴾ سقط للسُّجود بعد ما كان راكعاً ﴿وأناب﴾ رجع إلى الله سبحانه بالتَّوبة.

﴿٢٥﴾ ﴿فغفرنا له ذلك وإنَّ له عندنا﴾ بعد المغفرة ﴿لزلفىٰ﴾ قربةً ﴿وحسن مآب﴾ مرجع.

﴿٢٦﴾ ﴿يا داود إنَّا جعلناك خليفة في الأرض﴾ أيْ: عَنْ مَنْ قبلك من الأنبياء. وقوله:

---

(١) زيادة من عاو ظا.

(٢) وهذا من الإسرائيليات، وقال ابن كثير في تفسيره ٤/ ٣٠: قد ذكر المفسرون ههنا قصَّةً، أكثرها مأخوذٌ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديثٌ يجب اتِّباعه، ولكن روىٰ ابن أبـي حاتم هنا حديثاً لا يصح سنده؛ لأنَّه من رواية الرقاشي عن أنس.
ويزيدُ ــ وإن كان من الصالحين ــ لكنَّه ضعيف الحديث عند الأئمة، فالأولىٰ أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصَّة، وأن يردَّ علمها إلى الله عزَّ وجلَّ، فإنَّ القرآن حقٌّ، وما تضمَّن فهو حقٌّ أيضاً.

بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾

﴿بما نسوا يوم الحساب﴾ أَيْ: تركوا الإيمان به والعمل له.

﴿٢٧﴾ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلاً﴾ إلَّا لأمرٍ صحيحٍ، وهو الدَّلالة علىٰ قدرة خالقهما وتوحيده وعبادته. وقوله:

﴿٣١﴾ ﴿الصافناتُ الجياد﴾ أي: الخيل القائمة.

﴿٣٢﴾ ﴿فقال: إني أحببت حبَّ الخير عن ذكر ربي﴾ آثرت حبَّ الخير، أي: الخيل، علىٰ ذكر الله حتىٰ فاتني في وقته ﴿حتىٰ توارت﴾ الشَّمس ﴿بالحجاب﴾ أَيْ: غربت. وقوله:

﴿٣٣﴾ ﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾ أَيْ: أقبل يقطع سوقها وأعناقها، ولم يفعل ذلك إلَّا لإِباحة الله عزَّ وجلَّ له ذلك. وقوله:

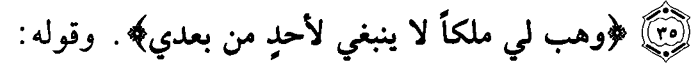
﴿٣٤﴾ ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ ابتليناه ﴿وألقينا علىٰ كرسيِّه جسداً﴾ شيطاناً تصوَّر في صورته، وذلك أنَّه تزوَّج امرأةً وهويها، وعبدت الصَّنم في داره بغير علمه[1]،

---

(١) حكاه الماوردي في تفسيره ٣/ ٤٤٧ عن شهر بن حوشب، وهو صدوقٌ كثير الإرسال والأوهام. وضعَّف هذا القول ابن جزي في تفسيره ٣/ ١٨٥؛ ووردت فيه آثارٌ ضعيفة، ذكر بعضها ابن جرير في التفسير ٢٣/ ١٥٨. وذكر البخاري في صحيحه قال: ﴿جسداً﴾: شيطاناً. فتح الباري، كتاب الأنبياء ٦/ ٤٥٧؛ وذكره مجاهد في تفسيره ص ٥٤٩.

قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾

فنزع الله ملكه أيّاماً، وسلَّط شيطاناً على مملكته، ثمَّ تاب سليمان وأعاد الله عليه ملكه، فسأل الله أن يهب له ملكاً يدلُّ علىٰ أنَّه غفر له، وردَّ عليه ما نزع منه، وهو قوله:


﴿٣٥﴾ ﴿**وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحدٍ من بعدي**﴾. وقوله:

﴿٣٦﴾ ﴿**رخاءً**﴾ أي: ليِّنةً مُطيعةً سريعةً ﴿**حيث أصاب**﴾ أراد وقصد سليمان عليه السَّلام.

﴿٣٧﴾ ﴿**والشياطين**﴾ أَيْ: وسخَّرنا له ﴿**كلَّ بناء**﴾ من الشَّياطين مَنْ يبنون له ﴿**وغوَّاص**﴾ يغوصون في البحر، فيستخرجون ما يريد.

﴿٣٨﴾ ﴿**وآخرين مقرنين في الأصفاد**﴾ وسخَّرنا له مردة الشَّياطين حتىٰ قرنهم في السَّلاسل من الحديد، وقلنا له:

﴿٣٩﴾ ﴿**هذا**﴾ الذي أعطيناك ﴿**عطاؤنا فامنن**﴾ أَيْ: أعطِ ﴿**أو أمسك بغير حساب**﴾ عليك في إعطائه ولا إمساكه، وهذا مما خصَّ به. وقوله:

﴿٤١﴾ ﴿**بنصب**﴾ أَيْ: بتعبٍ ومشقَّةٍ في بدني ﴿**وعذاب**﴾ في أهلي ومالي، فقلنا له:

﴿٤٢﴾ ﴿**اركض برجلك**﴾ أَيْ: دُسْ وحرِّك برجلك في الأرض، فداس فنبعت عين ماءٍ، فاغتسل به حتىٰ ذهب الدَّاء من ظاهره، ثمَّ شرب منه فذهب الدَّاء من باطنه.

﴿٤٣﴾ ﴿**ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرىٰ لأولي الألباب**﴾ مُفسَّرةٌ في سورة الأنبياء عليهم السَّلام.

وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾

﴿٤٤﴾ **﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾** حزمةً من الحشيش **﴿فاضرب به﴾** امرأتك **﴿ولا تحنث﴾** في يمينك. وقوله:

﴿٤٥﴾ **﴿أولي الأيدي﴾** أَيْ: ذوي القوّة في العبادة **﴿والأبصار﴾** البصائر في الدِّين.

﴿٤٦﴾ **﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرىٰ الدار﴾** أَيْ: جعلناهم يُكثرون ذكر الدّار الآخرة والرُّجوع إلى الله تعالىٰ. وقوله:

﴿٤٨﴾ **﴿من الأخيار﴾** جمع خيِّر.

﴿٤٩﴾ **﴿هذا ذكر﴾** شرفٌ وذكرٌ جميلٌ يُذكرون به أبداً **﴿وإنَّ للمتقين﴾** مع ذلك **﴿لحسن مآب﴾** مرجعٍ في الآخرة، ثمَّ بيَّن ذلك المرجع فقال:

﴿٥٠﴾ **﴿جنات عدن﴾** وقوله:

﴿٥٢﴾ **﴿أتراب﴾** [أقرانٌ وأمثالٌ][1] أسنانهنَّ واحدةٌ.

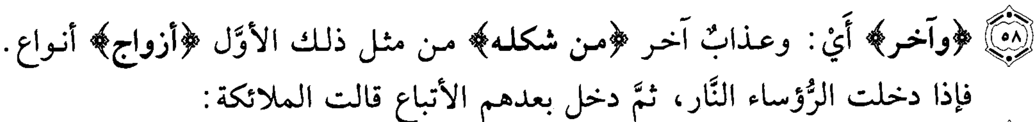
﴿٥٥﴾ **﴿هذا وإنَّ للطاغين﴾** أي: الأمر هذا الذي ذكرت. وقوله:

﴿٥٧﴾ **﴿هذا فليذوقوه حميمٌ وغساق﴾** أَيْ: هذا حميمٌ وغسّاقٌ فليذوقوه، والغسّاق: ما سال من جلود أهل النّار.

---

(١) زيادة من الأصل، ليست في البواقي.

وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِى ٱلنَّارِ ﴿٦١﴾ وَقَالُوا۟ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾



﴿٥٨﴾ **﴿وآخر﴾** أَيْ: وعذابٌ آخر **﴿من شكله﴾** من مثل ذلك الأوَّل **﴿أزواج﴾** أنواع. فإذا دخلت الرُّؤساء النَّار، ثمَّ دخل بعدهم الأتباع قالت الملائكة:

﴿٥٩﴾ **﴿هذا فوج﴾** جماعةٌ **﴿مقتحمٌ معكم﴾** داخلو النَّار، فقال الرُّؤساء: **﴿لا مرحباً بهم إنهم صالـو النار﴾** كما صليناها، فقال الأتباع:

﴿٦٠﴾ **﴿بل أنتم لا مرحباً بكم أنتم قدَّمتموه لنا﴾** شرعتم وسننتم الكفر لنا **﴿فبئس القرار﴾** قرارنا وقراركم.

﴿٦١﴾ **﴿قالوا﴾** أي: الأتباع **﴿ربنا مَنْ قدَّم لنا هذا﴾** شرعه وسنَّه **﴿فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾** كقوله: ﴿ربنا آتهم ضعفين من العذاب﴾(١).

﴿٦٢﴾ **﴿وقالوا﴾** يعني: صناديد قريش: **﴿ما لنا لا نرىٰ رجالاً كنَّا نعدُّهم من الأشرار﴾** أي: فقراء المسلمين.

﴿٦٣﴾ **﴿أتخذناهم سخرياً﴾** كنَّا نسخر بهم في الدُّنيا، أَمفقودون هم؟ **﴿أم زاغت عنهم الأبصار﴾** فلا نراهم ها هنا.

﴿٦٤﴾ **﴿إن ذلك﴾** الذي ذكرنا عن أهل النَّار **﴿لحق﴾** ثمَّ بيَّن ما هو فقال: **﴿تخاصم أهل النار﴾**.

﴿٦٧﴾ **﴿قل هو نبأٌ عظيم﴾** أَي: القرآن الذي أنبأتكم به وجئتكم فيه بما لا يُعلم إلاَّ بوحي وهو قوله:

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٦٨.

أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

﴿٦٩﴾ ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلىٰ﴾ وهم الملائكة ﴿إذ يختصمون﴾ في شأن آدم عليه السَّلام. يعني: قولهم: ﴿أتجعل فيها مَنْ يفسد فيها...﴾[1] الآية. وقوله:

﴿٧٥﴾ ﴿لما خلقت بيدي﴾ أَيْ: تولَّيت خلقه، وهذا اللَّفظ ذُكر تخصيصاً وتشريفاً لآدم عليه السَّلام، وإن كان كلُّ شيءٍ يتولَّىٰ الله خلقه دون غيره. وقوله:

﴿٨٤﴾ ﴿قال فالحقُّ والحقَّ أقول﴾ أَيْ: فبالحقِّ أقول، وأقول الحقَّ [قَسمٌ جوابه][2]: ﴿لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾.

﴿٨٦﴾ ﴿قل ما أسألكم عليه﴾ على تبليغ الرِّسالة ﴿من أجر وما أنا من المتكلفين﴾ المُتقوِّلين للقرآن من تلقاء نفسي.

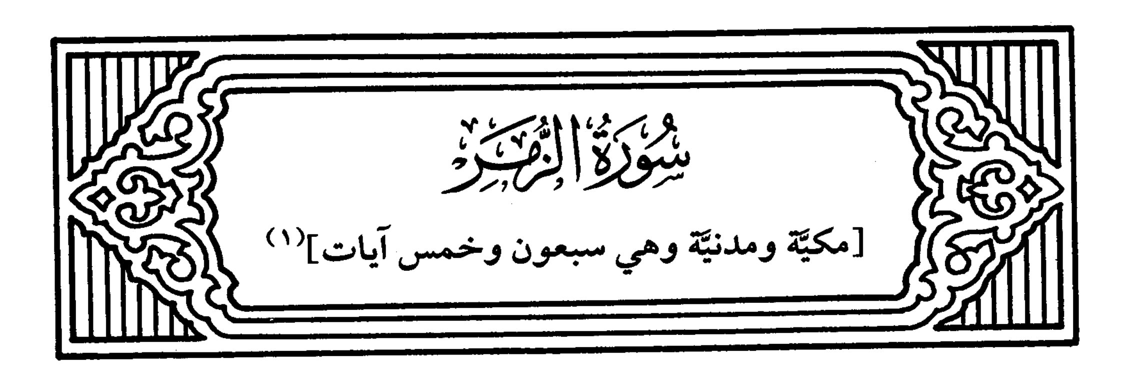
﴿٨٧﴾ ﴿إن هو﴾ ليس القرآن ﴿إلاَّ ذكر﴾ عظةٌ ﴿للعالمين﴾.

﴿٨٨﴾ ﴿ولتعلمنَّ﴾ أنتم أيُّها المشركون ﴿نبأه﴾ ما أخبرتكم فيه من البعث والقيامة ﴿بعد حين﴾ بعد الموت.

• • •

---

(١) سورة البقرة: الآية ٣٠.
(٢) زيادة من ظ.



سورة الزمر

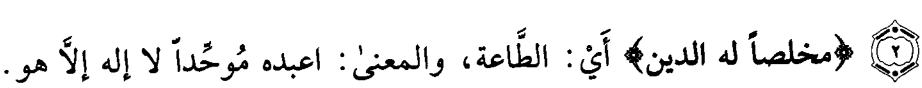
[مكيّة ومدنيّة وهي سبعون وخمس آيات][(١)]

بسم الله الرحمن الرحيم

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿تنزيل الكتاب﴾ ابتداءٌ، وخبرُه قوله: ﴿من الله العزيز الحكيم﴾. وقوله:



(٢) ﴿مخلصاً له الدين﴾ أيْ: الطَّاعة، والمعنىٰ: اعبده مُوحِّداً لا إله إلاَّ هو.

(٣) ﴿ألا لله الدين الخالص﴾ أيْ: الطَّاعة لا يستحقُّها إلاَّ الله تعالىٰ، ثمَّ ذكر الذين يعبدون غيره فقال: ﴿والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم﴾ أيْ: ويقولون: ﴿ما نعبدهم إلاَّ ليُقرِّبونا إلى الله زلفىٰ﴾ أيْ: قربىٰ ﴿إنَّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون﴾ من أمر الدِّين، ثمَّ ذكر أنَّه لا يهدي هؤلاء، فقال ﴿إنَّ الله لا يهدي

---

(١) زيادة من ظا، وفي ظ: [اثنان وسبعون آية]. وهي في المصحف ٧٥ آية.
قال في مقاصد النظر ٢/٤٢٢: وآيها خمس وسبعون في الكوفي، وثلاثٌ في الشامي، واثنتان في عدد الباقين.

مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾

مَنْ هو كاذب﴾ في إضافة الولد إلى الله تعالىٰ ﴿كفار﴾ يكفر نعمته بعبادة غيره، ثمَّ ذكر براءته عن الولد فقال:

﴿٤﴾ ﴿لو أراد الله أن يتخذ ولداً﴾ كما يزعم هؤلاء ﴿لاصطفىٰ﴾ لاختار ﴿ممَّا يخلق ما يشاء، سبحانه﴾ تنزيهاً له عن الولد. وقوله:

﴿٥﴾ ﴿يكور الليل على النهار﴾ أيْ: يدخل أحدهما على الآخر.

﴿٦﴾ ﴿خلقكم من نفس واحدة﴾ يعني: آدم عليه السَّلام ﴿ثمَّ جعل منها زوجها﴾ حوَّاء ﴿وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج﴾ مشروحٌ في سورة الأنعام[1]، وقوله: ﴿خلقاً من بعد خلق﴾ أيْ: نطفةً، ثمَّ علقةً، ثمَّ مضغةً ﴿في ظلمات ثلاث﴾ ظلمة البطن، وظلمة الرَّحم، وظلمة المشيمة. ﴿فأنىٰ تُصرفون﴾[2] عن عبادته إلى عبادة غيره بعد هذا البيان! وقوله:

﴿٧﴾ ﴿ولا يرضىٰ لعباده الكفر﴾ أيْ: المؤمنين المخلصين منهم، كقوله: ﴿عيناً يشرب بها عباد الله﴾. ﴿وإن تشكروا﴾ أيْ: إن تطيعوا ربَّكم ﴿يرضه لكم﴾ يرض الشُّكر لكم ويُثبكم عليه.

---

(١) في آية ص ٣٧٩.

(٢) في الأصول: «فأنىٰ تؤفكون» وهو خطأ.

۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾

﴿٨﴾ **﴿وإذا مسَّ الإنسان﴾** يعني: الكافر **﴿ضرٌّ دعا ربَّه منيباً إليه﴾** راجعاً **﴿ثمَّ إذا خوَّلَهُ﴾** أعطاه **﴿نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل﴾** نسي الله الذي كان يتضرَّع إليه من قبل النِّعمة، وترك عبادته **﴿قل﴾** يا محمَّد عليه السَّلام لمن يفعل ذلك: **﴿تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار﴾**. وهذا تهديدٌ.

﴿٩﴾ **﴿أم مَنْ هو قانت﴾** قائمٌ مطيعٌ لله **﴿آناء الليل﴾** أوقاته **﴿يحذر﴾** عذاب **﴿الآخرة﴾** كمَنْ هو عاصٍ؟ ثمَّ ضرب لهما مثلاً فقال: **﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾** أَيْ: هل يستوي العالم والجاهل؟ كذلك لا يستوي المطيع والعاصي. **﴿إنما يتذكر أولوا الألباب﴾** إنَّما يتَّعظ بوعظ الله ذوو العقول. وقوله:

﴿١٠﴾ **﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾** وحَّدوا الله تعالىٰ وعملوا بطاعته **﴿حسنة﴾** وهي الجنَّة **﴿وأرض الله واسعة﴾** فهاجروا فيها، واخرجوا من بين الكفَّار **﴿إنما يوفىٰ الصابرون﴾** على طاعة الله تعالىٰ وما يبتليهم به **﴿أَجْرَهُمْ بغير حساب﴾** بغير مكيالٍ ولا ميزان.

﴿١١﴾ **﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له الدين﴾** أَيْ: مُوحِّداً.

﴿١٢﴾ **﴿وأمرت لأن أكون أول المسلمين﴾** من هذه الأُمَّة.

﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾ لَـٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾

---

(١٥) ﴿**قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم**﴾ بالتَّخليد في النَّار ﴿**وأهليهم**﴾ لأنَّهم لم يدخلوا مدخلِ المؤمنين الذين لهم أهل في الجنَّة.

(١٦) ﴿**لهم من فوقهم ظللٌ**﴾ هذا كقوله ﴿يوم يغشاهم العذاب من فوقهم...﴾[1] الآية، وكقوله: ﴿لهم من جهنَّم مهادٌ ومن فوقهم غواشٍ﴾[2] ﴿**ذلك**﴾ الذي وصفت من العذاب ﴿**يخوِّف الله به عباده**﴾.

(١٧) ﴿**والذين اجتنبوا الطاغوت**﴾ أَيْ: الأوثان ﴿**أن يعبدوها وأنابوا إلى الله**﴾ رجعوا إليه بالطَّاعة ﴿**لهم البشرىٰ**﴾ بالجنَّة ﴿**فبشر عباد**﴾.

(١٨) ﴿**الذين يستمعون القول**﴾ القرآن وغيره ﴿**فيتبعون أحسنه**﴾ وهو القرآن.

(١٩) ﴿**أفمن حقَّ عليه كلمةُ العذاب أفأنت**﴾ يا محمَّدُ ﴿**تنقذ**﴾ه، أَيْ: تُخرجه من النَّار، أَيْ: إنَّه لا يقدر على هدايته. وقوله:

(٢٠) ﴿**لهم غرفٌ من فوقها غرفٌ مبنية**﴾ أَيْ: لهم منازل في الجنَّة رفيعةٌ، وفوقها منازل أرفع منها.

(٢١) ﴿**ألم تر أنَّ الله أنزل من السماء ماءً فسلكه**﴾ أدخل ذلك الماء ﴿**ينابيع في الأرض**﴾

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٥٥. (٢) سورة الأعراف: الآية ٤١.

ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾ أَفَمَن يَتَّقِى بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

وهي المواضع التي ينبع منها الماء، وكلُّ ماءٍ في الأرض فمن السَّماء نزل. **﴿ثم يخرج به﴾** بذلك الماء **﴿زرعاً مختلفاً ألوانه﴾** خضرةً، وحمرةً، وصفرةً **﴿ثمَّ يهيج﴾** ييبس **﴿فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً﴾** دُقاقاً فتاتاً **﴿إنَّ في ذلك لذكرىٰ لأولي الألباب﴾** يذكرون ما لهم من الدَّلالة في هذا على توحيد الله تعالىٰ وقدرته.

﴿٢٢﴾ **﴿أفمن شرح الله صدره﴾** وسَّعه **﴿للإسلام فهو على نور من ربه﴾** أَيْ: فاهتدىٰ إلى دين الإسلام، كمَنْ طبع على قلبه، ويدل على هذا المحذوف قوله: **﴿فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله﴾**.

﴿٢٣﴾ **﴿الله نزل أحسن الحديث﴾** أي: القرآن **﴿كتاباً متشابهاً﴾** يشبه بعضه بعضاً من غير اختلافٍ ولا تناقضٍ **﴿مثاني﴾** يثني فيه الأخبار والقصص، وذكر الثَّوْاب والعقاب **﴿تقشعر﴾** تضطرب وتتحرَّك بالخوف **﴿منه جلود الذين يخشون ربهم﴾** يعني: عند ذكر آية العذاب **﴿ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله﴾** أَيْ: من آية الرَّحمة **﴿ذلك هدىٰ الله﴾** أَيْ: ذلك الخشية من العذاب ورجاء الرَّحمة هدىٰ الله.

﴿٢٤﴾ **﴿أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب﴾** وهو الكافر يُلقىٰ في النَّار مغلولاً، فلا يتهيَّأ له أن يتَّقي النَّار إلاَّ بوجهه، ومعنىٰ الآية: أَفَمن هذه حاله كمَن يدخل الجنَّة؟ وقوله:

قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾

﴿٢٨﴾ ﴿غير ذي عوج﴾ أَيْ: ليس فيه اختلافٌ وتضادٌّ، ثمَّ ضرب مثلاً للموحِّد والمشرك فقال:

﴿٢٩﴾ ﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون﴾ متنازعون سيِّئةٌ أخلاقهم، وكلُّ واحدٍ يستخدمه بقدر نصيبه، وهذا مَثَلُ المشرك الذي يعبد آلهةً شتىٰ ﴿ورجلاً سالماً﴾ خالصاً لرجل وهو الذي يعبد الله وحده ﴿هل يستويان مثلاً﴾ أَيْ: هل يستوي مَثَل الموحِّد ومَثَل المشرك؟ ﴿الحمد لله﴾ وحده دون غيره من المعبودين ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ مفسَّر في سورة النَّحل[١]. ثمَّ ذكر أنهم يموتون ويرجعون إلى الله فيختصمون عنده، فقال:

﴿٣٠﴾ ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ﴿ثمَّ إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾ يعني: المؤمن والكافر، والمظلوم والظَّالم.

الجزء الرابع والعشرون:

﴿٣٢﴾ ﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾ وزعم أنَّ له ولداً وشريكاً ﴿وكذَّب بالصدق﴾ بالقرآن ﴿إذ جاءه﴾ على لسان الرَّسول. ﴿أليس في جهنَّم مثوى﴾ مقامٌ ومنزلٌ لهؤلاء.

﴿٣٣﴾ ﴿والذي جاء بالصدق﴾ يعني: محمداً ﷺ جاء بالقرآن ﴿وصدَّق﴾ أبو بكر رضي الله عنه ثمَّ المؤمنون بعده[٢]. وقوله:

(١) انظر ص ٦١٤.

(١) أخرجه ابن جرير ٣/٢٤ عن عليٍّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ

﴿٣٦﴾ ﴿أليس الله بكافٍ عبده﴾ يعني: محمداً صلوات الله عليه، ينصره ويكفيه أمر مَنْ يُعاديه ﴿ويخوفونك بالذين من دونه﴾ أَيْ: يُخوِّفونك بأوثانهم، يقولون: إنَّك لتعيبها، وإنَّها لتصيبنَّك بسوء، ثمَّ بيَّن أنَّهم مع عبادتهم الأوثان يُقرُّون بأنَّ الخالق هو الله، فقال:

﴿٣٨﴾ ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولنَّ الله قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله﴾ الأوثان. ﴿إن أرادني الله بضرٍّ﴾ بلاءٍ وشدَّةٍ. هل يكشفْنَ ذلك عني ﴿أو أرادني برحمة﴾ نعمةٍ. هل يمسكن ذلك عني؟ وهذا بيان أنَّها لا تنفع ولا تدفع.

﴿٤٢﴾ ﴿الله يتوفىٰ الأنفس﴾ يقبض الأرواح ﴿حين﴾ عند ﴿موتها والتي لم تمت﴾ أَيْ: ويقبض روح التي لم تمت ﴿في منامها فيمسك التي قضىٰ عليها الموت﴾ أَيْ: يمسك أنفس الأموات عنده، ﴿ويرسل الأخرىٰ﴾ أنفس الأحياء [إذا انتبهوا من

إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوۡ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفۡتَدَوۡاْ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ ٱلۡإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلۡنَٰهُ نِعۡمَةٗ مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمِۭۚ

منامهم يردُّ عليهم أرواحهم][1] ﴿إلىٰ أجل مسمى﴾ وهو أجل الموت.

﴿٤٣﴾ ﴿أم اتخذوا من دون الله شفعاء﴾ أَيْ: الأوثان التي عبدوها لتشفع لهم. ﴿قل أَوَلَوْ كانوا لا يملكون شيئاً﴾ من الشَّفاعة ﴿ولا يعقلون﴾ أنَّهم يعبدونهم لا يتركون عبادتهم.

﴿٤٤﴾ ﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ فليس يشفع أحدٌ إلاَّ بإذنه.

﴿٤٥﴾ ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾ كان المشركون إذا سمعوا قول لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له نفروا من ذلك، وإذا ذكر الأوثان فرحوا، و ﴿اشمأزَّت﴾: نفرت. وقوله:

﴿٤٧﴾ ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ في الدُّنيا أنَّه نازلٌ بهم في الآخرة. وقوله:

﴿٤٩﴾ ﴿إنما أوتيته على علمٍ﴾ أُعطيته على شرفٍ وفضلٍ، وكنت علمتُ أنِّي سأُعطىٰ هذا

---

(١) ما بين [ ] زيادة من ظ.

بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾

باستحقاقي ﴿**بل هي فتنة**﴾ أَيْ: تلك العطيّة فتنةٌ من الله تعالىٰ يبتلي به العبد ليشكر أو يكفر.

﴿٥٠﴾ ﴿**قد قالها الذين من قبلهم**﴾ يعني: قارون حين قال: ﴿**إنَّما أُوتيته على علمٍ عندي**﴾[1].

﴿٥٣﴾ ﴿**قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم**﴾ بارتكاب الكبائر والفواحش. نزلت[2] في قومٍ من أهل مكَّة همُّوا بالإسلام، ثمَّ قالوا: إنَّ محمداً يقول: إنَّ مَنْ عبد الأوثان، واتَّخذ مع الله آلهةً، وقتل النَّفس لا يُغفر له، وقد فعلنا كلَّ هذا، فأعلم الله تعالىٰ أنَّ مَنْ تاب وآمن غفر الله له كلَّ ذنب، فقال: ﴿**لا تقنطوا من رحمة الله. . .**﴾ الآية.

﴿٥٤﴾ ﴿**وأنيبوا إلى ربكم**﴾ أَيْ: ارجعوا إليه بالطَّاعة ﴿**وأسلموا**﴾ وأطيعوا ﴿**له**﴾.

﴿٥٥﴾ ﴿**واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم**﴾ أَيْ: القرآن، كقوله: ﴿**اللَّهُ نزَّل أَحسنَ الحَديثِ**﴾. وقوله:

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٨.

(٢) وهذا قول ابن عباس، أخرجه ابن جرير ٢٤/ ١٤، وذكره المؤلف في الأسباب ص ٤٢٧.

أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ

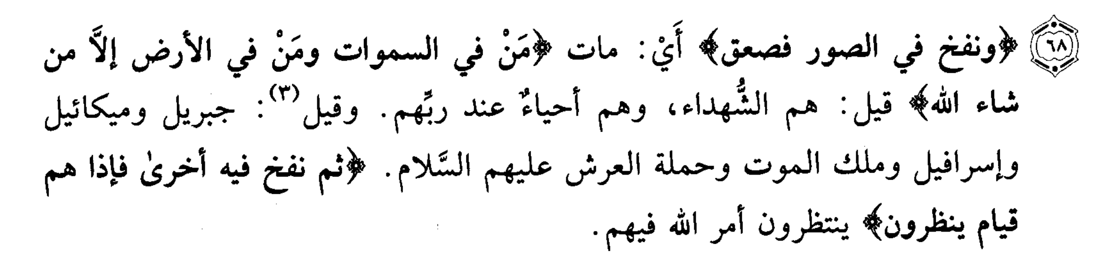
﴿٥٦﴾ ﴿**أن تقول نفس يا حسرتىٰ**﴾ أَيْ: افعلوا ما أمرتكم به من الإنابة واتِّباع القرآن خوفَ أن تصيروا إلى حالةٍ تقولون فيها هذا القول. وقوله: ﴿**علىٰ ما فرطت في جنب الله**﴾ أَيْ: قصَّرت في طاعة الله، وسلوك طريقه ﴿**وإن كنت لمن الساخرين**﴾ أَيْ: ما كنت إلاَّ من المستهزئين بدين الله تعالىٰ وكتابه.

﴿٦١﴾ ﴿**وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم**﴾ بمنجاتهم من العذاب، والمفازة ها هنا بمعنىٰ الفوز. وقوله:

﴿٦٣﴾ ﴿**له مقاليد السموات والأرض**﴾ أَيْ: مفاتيح خزائنها، فكلُّ شيء في السموات والأرض؛ اللَّهُ فاتحُ بابه.

﴿٦٤﴾ ﴿**قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون**﴾ هذا جواب الذين دعوه إلى دين آبائه. وقوله:

﴿٦٧﴾ ﴿**والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة**﴾ أَيْ: ملكه من غير منازعٍ، كما يقال: هو في



قبضة فلان: إذا ملك التَّصرُّف فيه وإن لم يقبض عليه بيده[١]، ﴿والسموات مطويات﴾ كقوله: ﴿يوم نطوي السَّماء﴾[٢] ﴿بيمينه﴾ أَيْ: بقوَّته. وقيل: بقسمه؛ لأنَّه حلف أنَّه يطويها.

(٦٨) ﴿ونفخ في الصور فصعق﴾ أَيْ: مات ﴿مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض إلاَّ من شاء الله﴾ قيل: هم الشُّهداء، وهم أحياءٌ عند ربِّهم. وقيل[٣]: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت وحملة العرش عليهم السَّلام. ﴿ثم نفخ فيه أخرىٰ فإذا هم قيام ينظرون﴾ ينتظرون أمر الله فيهم.

---

(١) عن عبد الله بن مسعود قال: جاء حبرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنَّا نجدُ أنَّ الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرىٰ على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النَّبي ﷺ حتىٰ بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثمَّ قرأ: ﴿وما قدروا الله حقَّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة، والسموات مطويات بيمينه، سبحانه وتعالىٰ عما يشركون﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٥٥١؛ ومسلم في صفة القيامة برقم ٢٧٨٦؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٢٣٦؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٣٩. ونجد المؤلف قد مال إلى تأويل النص على خلاف ظاهره، والتسليم أسلم.

(٢) الآية: ﴿يوم نطوي السَّماءَ كطي السِّجل للكتب﴾ [سورة الأنبياء: الآية ١٠٤].

(٣) عن أنس بن مالك قال: «قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ونفخ في الصور فصعق مَنْ في السموات ومَنْ في الأرض إلاَّ مَنْ شاء الله﴾ فقيل: مَنْ هؤلاء الذين استثنىٰ اللَّهُ يا رسول الله؟ قال: جبريل وميكائيل وملك الموت. . .» الحديث. أخرجه ابن جرير ٢٤/ ٢٩؛ وفيه يزيد بن أبان الرقاشي، وهو ضعيف والفضل بن عيسى منكر الحديث. تقريب التهذيب ص ٤٤٦.

وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿٦٩﴾ ﴿وأشرقت الأرض﴾ أُلبست الإشراق عَرَصَاتُ القيامة ﴿بنور ربها﴾ وهو نورٌ يخلقه الله في القيامة يلبسه وجه الأرض. ﴿ووضع الكتاب﴾ أَيْ: الكتب التي فيها أعمال بني آدم ﴿وجيء بالنبيين والشهداء﴾ الذين يشهدون للرُّسل بالتَّبليغ.

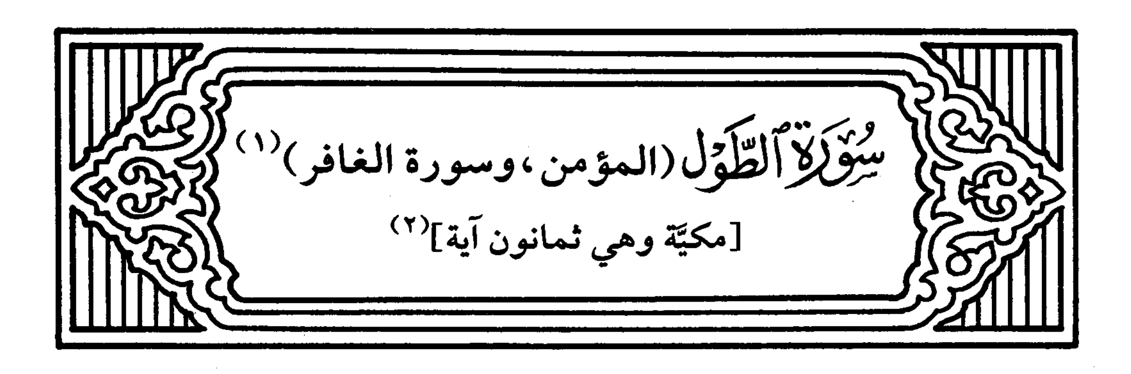
﴿٧١﴾ ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً﴾ جماعاتٍ وأفواجاً. وقوله:

﴿٧٣﴾ ﴿طبتم﴾ أَيْ: كنتم طيِّبين في الدُّنيا. وقوله:

﴿٧٤﴾ ﴿وأورثنا الأرض﴾ أَيْ: أرض الجنَّةَ ﴿نتبوَّأ من الجنة﴾ نتَّخذ منها منازل ﴿حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ ثواب المطيعين.

﴿٧٥﴾ ﴿وترىٰ الملائكة حافين من حول العرش﴾ محيطين به ﴿وقضي بينهم﴾ أَيْ: حُكم بين أهل الجنَّة والنَّار. ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾.

• • •



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغۡرُرۡكَ تَقَلُّبُهُمۡ فِي ٱلۡبِلَٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتۡ قَبۡلَهُمۡ قَوۡمُ نُوحٖ وَٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۖ وَهَمَّتۡ كُلُّ أُمَّةِۭ بِرَسُولِهِمۡ لِيَأۡخُذُوهُۖ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿حمٓ﴾ قُضي ما هو كائن.

(٢) ﴿تنزيل الكتاب﴾ ابتداءٌ، وخبره: ﴿من الله العزيز العليم﴾.

(٣) ﴿غافر الذنب﴾ لمن قال لا إلّه إلاَّ الله ﴿وقابل التوب﴾ ممن قال: لا إلّه إلاَّ الله ﴿شديد العقاب﴾ لمَنْ لم يقل لا إلّه إلاَّ الله. ﴿ذي الطول﴾ الغنىٰ والسَّعة.

(٤) ﴿ما يجادل في آيات الله﴾ أَيْ: في دفعها وإبطالها. ﴿فلا يغررك تقلبهم﴾ تصرُّفهم ﴿في البلاد﴾ للتِّجارات، أَيْ: سلامتهم بعد كفرهم حتىٰ إنَّهم يتصرَّفون حيث شاؤوا؛ فإنَّ عاقبتهم كعاقبة مَنْ قبلهم من الكفَّار، وهو قوله:

(٥) ﴿كذبت قبلهم قوم نوحٍ والأحزاب من بعدهم﴾ أي: الذين تحزَّبوا على أنبيائهم

---

(١) ما بين [ ] من عا.

(٢) زيادة من ظ.

وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ

بالمخالفة والعداوة كعادٍ وثمود ﴿وهمَّت كلُّ أمة برسولهم ليأخذوه﴾ أَيْ: قصدت كلُّ أمة رسولها ليتمكَّنوا منه فيقتلوه ﴿وجادلوا﴾ بباطلهم ﴿ليدحضوا﴾ ليدفعوا ﴿به الحق فأخذتهم﴾ فعاقبتهم ﴿فكيف كان عقاب﴾ استفهام تقرير.

﴿٦﴾ ﴿وكذلك﴾ ومثل ما ذكرنا ﴿حقت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾[1] يعني: قوله: ﴿لأملأنَّ جهنم منك وممن تبعك...﴾[1] الآية. ثمَّ أخبر بفضل المؤمنين وأنَّ الملائكة يستغفرون لهم فقال:

﴿٧﴾ ﴿الذين يحملون العرش ومَنْ حوله﴾ من الملائكة، وقوله: ﴿ربنا وسعت كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً﴾ أَيْ: وسعت رحمتك كلَّ شيء، وعلمتَ كلَّ شيء.

﴿١٠﴾ ﴿إن الذين كفروا ينادون﴾ وهم في النَّار وقد مقتوا أنفسهم حين وقعوا في العذاب: ﴿لمقت الله﴾ إيَّاكم في الدُّنيا إذ تُدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبرُ من مقتكم أنفسكم.

﴿١١﴾ ﴿قالوا ربنا أمتَّنا اثنتين وأحييتنا اثنتين﴾ وذلك أنَّهم كانوا أمواتاً نُطفاً، فأُحيوا ثمَّ

(١) سورة صَ: الآية ٨٥.

وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ

أُميتوا في الدُّنيا، ثمّ أُحيوا للبعث ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾ أي: أريتنا من الآيات ما أوجب علينا الإقرار بذنوبنا ﴿فهل إلى خروج﴾ من الدُّنيا ﴿من سبيل﴾؟ فقيل لهم:

﴿١٢﴾ ﴿ذلكم﴾ العذاب ﴿بأنَّه إذا دعي الله وحده كفرتم﴾ [نكرتم وحدانيته][1] ﴿وإن يشرك به تؤمنوا﴾ تُصدِّقوا ذلك الشِّرك ﴿فالحكم لله﴾ في إنزال العذاب بكم لا يمنعه عن ذلك مانع.

﴿١٣﴾ ﴿هو الذي يريكم آياته﴾ دلائل توحيده ﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾ بالمطر ﴿وما يتذكر﴾ وما يتَّعظ بآيات الله ﴿إلاَّ مَنْ ينيب﴾ يرجع إلى الله بالإيمان.

﴿١٤﴾ ﴿فادعوا الله مخلصين له الدين﴾ الطَّاعة.

﴿١٥﴾ ﴿رفيع الدرجات﴾ رافعها لأهل الثَّواب في الجنَّة ﴿ذو العرش﴾ مالكه وخالقه ﴿يلقي الروح﴾ الوحي الذي تحيا به القلوب من موت الكفر ﴿من أمره﴾ من قوله ﴿على مَنْ يشاء من عباده﴾ علىٰ مَنْ يختصه بالرِّسالة ﴿لينذر يوم التلاق﴾ ليخوِّف الخلق يوم يلتقي أهل الأرض وأهل السَّماء، أَيْ: يوم القيامة.

﴿١٦﴾ ﴿يوم هم بارزون﴾ خارجون من قبورهم ﴿لا يخفىٰ على الله﴾ من أعمالهم وأموالهم ﴿شيء﴾ يقول الله في ذلك اليوم: ﴿لمن الملك اليوم﴾ ثمَّ يجيب نفسه

(١) زيادة من ظ.

لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾

﴿**لله الواحد القهار**﴾.

﴿١٨﴾ ﴿**وأنذرهم يوم الآزفة**﴾ خوِّفهم بيوم القيامة، والآزفة: القريبة. ﴿**إذ القلوب لدى الحناجر**﴾ وذلك أنَّ القلوب ترتفع من الفزع إلى الحناجر ﴿**كاظمين**﴾ ممتلئين غمّاً وخوفاً وحزناً ﴿**ما للظالمين**﴾ أي: الكافرين ﴿**من حميم**﴾ قريبٍ ﴿**ولا شفيع يطاع**﴾ فيشفع فيهم.

﴿١٩﴾ ﴿**يعلم خائنة الأعين**﴾ خيانة الأعين، وهي مسارقتها النَّظر إلى ما لا يحلُّ.

﴿٢٣﴾ ﴿**ولقد أرسلنا موسىٰ بآياتنا**﴾ بعلاماتنا التي تدلُّ على صحة نبوّته ﴿**وسلطان مبين**﴾ أَيْ: حجَّةٍ ظاهرةٍ.

﴿٢٥﴾ ﴿**فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه**﴾ وذلك أَنَّ فرعون أمر بإعادة القتل على الذُّكور من أولاد بني إسرائيل لمَّا أتاه موسىٰ عليه السَّلام؛ ليصدَّهم بذلك عن متابعة موسىٰ. ﴿**وما كيد الكافرين**﴾ مكر فرعون وسوء صنيعه ﴿**إلاَّ في ضلال**﴾ زوالٍ وبطلانٍ وذهابٍ.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾

﴿٢٦﴾ **﴿وقال فرعون﴾** لملَئِه: **﴿ذروني أقتل موسىٰ وليدع ربه﴾** الذي أرسله إلينا، فيمنعه **﴿إني أخاف أن يبدل دينكم﴾** الذي أنتم عليه ويبطله **﴿أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾** أو يفسد عليكم دينكم إن لم يبطله، فلمَّا توعَّده بالقتل قال موسىٰ:

﴿٢٧﴾ **﴿إني عذت بربي وربكم من كلِّ متكبر لا يؤمن بيوم الحساب﴾**. وقوله:

﴿٢٨﴾ **﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾** قيل: كلُّ الذي يعدكم.

﴿٢٩﴾ **﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض﴾** هذا من قول مؤمن آل فرعون؛ أعلمهم أنَّ لهم الملك ظاهرين عالين على بني إسرائيل في أرض مصر، ثمَّ أعلمهم أنَّ عذاب الله لا يدفعه دافع فقال: **﴿فمن ينصرنا من بأس الله﴾** أيْ: مَنْ يمنعنا من عذابه **﴿إن جاءنا﴾**؟ فـ **﴿قال فرعون﴾** حين منع من قتله: **﴿ما أُريكُمْ﴾** من الرَّأي والنَّصيحة **﴿إلاَّ ما أرىٰ﴾** لنفسي.

﴿٣٠﴾ **﴿وقال الذي آمن﴾** يعني: مؤمن آل فرعون: **﴿يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب﴾** ثمَّ فسَّر ذلك فقال:

﴿٣١﴾ **﴿مثل دأب قوم نوح وعادٍ وثمود والذين من بعدهم﴾** خوَّفهم إن أقاموا على كفرهم مثل حال هؤلاء حين عذِّبوا، ثمَّ خوَّفهم بيوم القيامة، وهو قوله:

وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًاۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًاۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ

﴿٣٢﴾ ﴿إني أخاف عليكم يوم التناد﴾ وذلك أنَّه يكثر النِّداء في ذلك اليوم، يُنادىٰ بالسَّعادة والشَّقاوة، ويُنادىٰ فيُدعىٰ كلُّ أناسٍ بإمامهم.

﴿٣٣﴾ ﴿يوم تولون مدبرين﴾ مُنصرفين عن موقف الحساب إلى النَّار ﴿ما لكم من الله﴾ [من عذاب الله][1] ﴿من عاصم﴾ مانعٍ يمنعكم من عذاب الله.

﴿٣٤﴾ ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل﴾ أَيْ: من قبل موسىٰ ﴿بالبينات﴾ بالآيات المعجزات ﴿كذلك﴾ مثل ذلك الضَّلال ﴿يضل الله مَنْ هو مسرف﴾ مشركٌ ﴿مرتاب﴾ شاكٌّ فيما أتىٰ به الأنبياء.

﴿٣٥﴾ ﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾ أَيْ: في إبطالها ودفعها ﴿بغير سلطان﴾ أَيْ: حُجَّةٍ ﴿أتاهم كبر﴾ ذلك الجدال ﴿مقتاً﴾ بغضاً.

﴿٣٦﴾ ﴿وقال فرعون: يا هامان ابن لي صرحاً﴾ قصراً طويلاً ﴿لعلي أبلغ الأسباب﴾ أبواب السَّموات وأطرافها التي تُوصلني إليها.

﴿٣٧﴾ ﴿وإني لأظنه كاذباً﴾ في ادِّعائه إلَهاً دوني. ﴿وكذلك﴾ مثل ما وصفنا ﴿زين

---

(١) زيادة من عا و ظا.

لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾ تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾ فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ ۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

لفرعون سوء عمله وصدَّ عن السبيل﴾ ومُنع عن الإيمان ﴿وما كيد فرعون إلاَّ في تباب﴾ خسارٍ. يريد: أنه خسر كيده ولم ينفعه ذلك.

﴿٣٨﴾ ﴿وقال الذي آمن﴾ من قوم فرعون: ﴿يا قوم اتَّبِعُون أهدكم سبيل الرشاد﴾ طريق الصَّواب.

﴿٣٩﴾ ﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾ متعةٌ ينتفعون بها مدَّة ولا تبقى. وقوله:

﴿٤٢﴾ ﴿وأشرك به ما ليس لي به علم﴾ أَيْ: أشرك بالله شيئاً لا علم لي به أنَّه شريك له.

﴿٤٣﴾ ﴿لا جرم﴾ حقاً ﴿أنَّ ما تدعونني إليه ليس له دعوة﴾ إجابة دعوة، أَيْ: لا يستجيب لأحدٍ ﴿في الدنيا ولا في الآخرة وأنَّ مردَّنا﴾ مرجعنا ﴿إلى الله﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿فستذكرون﴾ إذا عاينتم العذاب ﴿ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله﴾ وذلك أنَّهم تَوعَّدُوه لمخالفته دينهم.

﴿٤٦﴾ ﴿النار يعرضون عليها غدوّاً وعشياً﴾ وذلك أنَّهم يُعرضون على النَّار صباحاً

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ

ومساءً، ويقال لهم: هذه منازلكم إذا بعثتم.

﴿٤٩﴾ **﴿وقال الذين في النار لخزنة جهنم: ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب﴾**.

﴿٥٠﴾ **﴿قالوا: أَوَلَمْ تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا: بلىٰ، قالوا: فادعوا﴾** أَيْ: فادعوا أنتم إذاً، فإنَّا لن ندعو الله لكم **﴿وما دعاء الكافرين إلاَّ في ضلال﴾** هلاكٍ وبطلانٍ؛ لأنَّه لا ينفعهم.

﴿٥١﴾ **﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾** بظهور حجتهم، والانتصار ممَّن عاداهم بالعذاب في الدُّنيا والآخرة **﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾** الملائكةُ الذين يكتبون أعمال بني آدم.

﴿٥٥﴾ **﴿فاصبر﴾** يا محمَّدُ **﴿إنَّ وعد الله﴾** في نصرتك وإهلاك أعدائك **﴿حق وسبِّح بحمد ربك﴾** صلِّ بالشُّكر منك لربِّك **﴿بالعشي والإِبكار﴾** أَيْ: طرفي النَّهار. وقوله:

﴿٥٦﴾ **﴿إن في صدورهم إلاَّ كبر ما هم ببالغيه﴾** أَيْ: تكبُّرٌ وطمعٌ أن يعلوا علىٰ محمدٍ

فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ

عليه السلام، وما هم ببالغي ذلك ﴿فاستعذ بالله﴾ أي: فامتنع بالله من شرِّهم.

﴿٥٧﴾ ﴿لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس﴾ أَيْ: أعظم في القدرة من إعادة النَّاس للبعث.

﴿٦٠﴾ ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ اعبدوني أُثبكم وأغفر لكم، وقوله: ﴿داخرين﴾ أي: صاغرين. وقوله:

﴿٦٣﴾ ﴿كذلك يؤفك﴾ أَيْ: كما صُرفتم عن الحقِّ مع قيام الدلائل يُصرف عن الحقِّ ﴿الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾. وقوله:

وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

﴿٦٧﴾ ﴿**ولتبلغوا أجلاً مسمّى**﴾ أَيْ: وقتاً محدوداً لا تجاوزونه ﴿**ولعلكم تعقلون**﴾ ولكي تعقلوا أنَّ الذي فعل ذلك لا إله غيره.

﴿٦٩﴾ ﴿**ألم تر إلى الذين يجادلون في آيات الله**﴾ أَيْ: في دفعها وإبطالها ﴿**أنىٰ يصرفون**﴾ عن الحقِّ. وقوله:

﴿٧١﴾ ﴿**والسلاسل يسحبون**﴾ يُجَرُّون.

﴿٧٢﴾ ﴿**في الحميم ثم في النار يسجرون**﴾ يُصيَّرون وقوداً للنَّار.

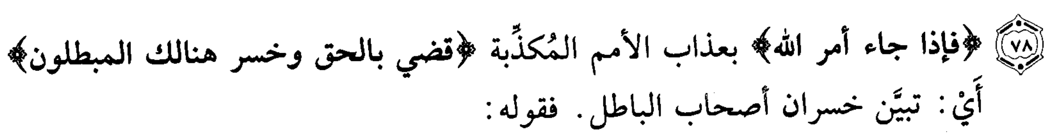
﴿٧٣﴾ ﴿**ثم قيل لهم أين ما كنتم تشركون**﴾.

﴿٧٤﴾ ﴿**من دون الله**﴾ أي: الأصنام. ﴿**قالوا ضلوا عنا**﴾ زالوا عنَّا وبطلوا، فلا نراهم ﴿**بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً**﴾ أَيْ: ضاعت عبادتنا، فلم تكن تصنع شيئاً ﴿**كذلك**﴾ كما أضلَّهم ﴿**يضل الله الكافرين**﴾.

﴿٧٥﴾ ﴿**ذلكم**﴾ العذاب الذي نزل بكم ﴿**بما كنتم تفرحون**﴾ بالباطل وتبطرون.

﴿٧٧﴾ ﴿**فإمّا نرينك بعض الذي نعدهم**﴾ من العذاب في حياتك ﴿**أو نتوفينك**﴾ قبل أن ينزل بهم ذلك ﴿**فإلينا يرجعون**﴾. وقوله:

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ فَإِذَا جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ قُضِيَ بِٱلْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾



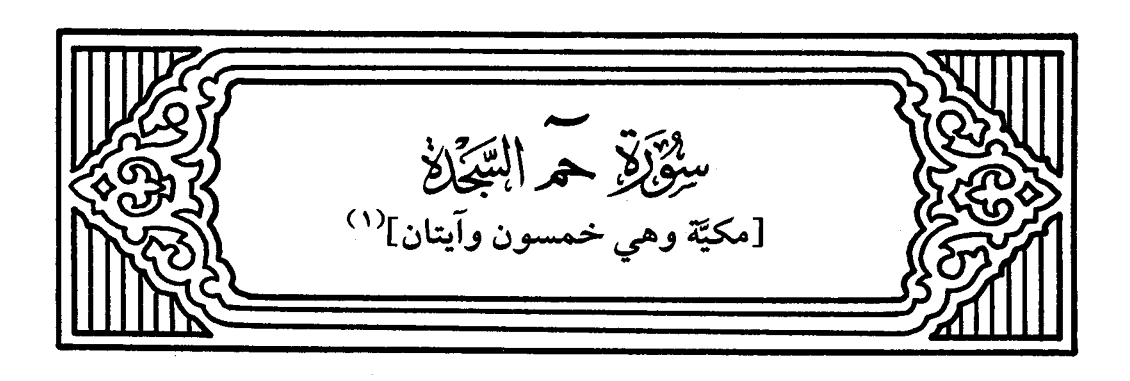
﴿٧٨﴾ ﴿**فإذا جاء أمر الله**﴾ بعذاب الأمم المُكذِّبة ﴿**قضي بالحق وخسر هنالك المبطلون**﴾ أَيْ: تبيَّن خسران أصحاب الباطل. فقوله:

﴿٨٠﴾ ﴿**ولكم فيها منافع**﴾ من الصُّوف والوبر، والدَّرِّ والنَّسل ﴿**ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم**﴾ من حمل أثقالكم إلى البلاد. وقوله:

﴿٨٣﴾ ﴿**فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم**﴾ رضوا بما عندهم من العلم، وقالوا: نحن أعلم منهم لن نُبعث ولن نعذَّب. وقوله:

﴿٨٥﴾ ﴿**سنة الله**﴾ أَيْ: سنَّ الله هذه السُّنَّةَ في الأمم كلِّها أن لا ينفعهم الإيمان إذا رأوا العذاب ﴿**وخسر هنالك الكافرون**﴾ تبيَّن لهم الخسران.

• • •



بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿حمٓ﴾.

(٢) ﴿تنزيلٌ من الرحمن الرحيم﴾ ابتداءٌ وخبره [قوله][٢]:

(٣) ﴿كتابٌ فصلت آياته﴾ بُيِّنت. ﴿لقوم يعلمون﴾ لمَنْ يعلم ذلك ممَّن يعلم العربيَّة.

(٥) ﴿وقالوا قلوبنا في أكنَّة﴾ أغطيةٍ. ﴿وفي آذاننا وقر﴾ صممٌ، أَيْ: نحن في ترك القبول منك بمنزلة مَن لا يفقه ولا يسمع. ﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ خلافٌ في

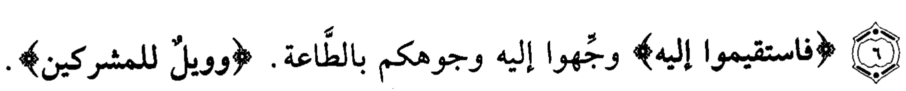
---

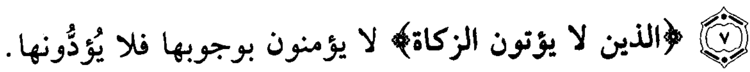
(١) ما بين [ ] من ظا، وفي ظ: [خمسون آية]. قلتُ: وهي في المصحف ٥٤ آية، وهو يوافق عدد الكوفيين. قال البقاعي في مصاعد النظر ٢/٤٤٢: وآيها خمسون وآيتان في البصري والشامي، وثلاث في المدنيين والمكي، وأربعٌ في الكوفي.

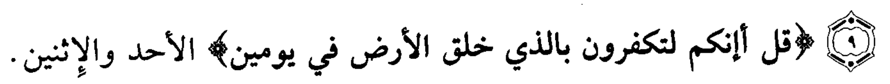
(٢) زيادة ليست في الأصل.

فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ ﴿٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا

الدِّين فلا نجتمع معك ولا نوافقك ﴿فاعمل﴾ على دينك فـ ﴿إننا عاملون﴾ على ديننا. وقوله:


﴿٦﴾ ﴿فاستقيموا إليه﴾ وجِّهوا إليه وجوهكم بالطَّاعة. ﴿وويلٌ للمشركين﴾.


﴿٧﴾ ﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ لا يؤمنون بوجوبها فلا يُؤدُّونها.


﴿٩﴾ ﴿قل أإنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين﴾ الأحد والإثنين.

﴿١٠﴾ ﴿وبارك فيها﴾ بما خلق فيها من المنافع ﴿وقدَّر فيها أقواتها﴾ أرزاق أهلها وما يصلح لمعاشهم من البحار والأنهار، والأشجار والدَّوابِّ ﴿في أربعة أيام﴾ في تتمة أربعة أيَّامٍ وهو يوم الثلاثاء والأربعاء، فصارت الجملة أربعة أيَّام خلق الله الأرض وما فيها من سبب الأقوات والمنافع والتجارات، فتمَّ أمرها في أربعة أيَّام ﴿سواء﴾ أيْ: استوت استواء، وسواءً ﴿للسائلين﴾ عن ذلك، أيْ: لمَنْ سأل في كم خُلقت السَّموات والأرض؟ فيقال: في أربعة أيام.

﴿١١﴾ ﴿ثم استوىٰ﴾ قصد وعمد ﴿إلىٰ﴾ خلق ﴿السماء وهي دخان﴾ بخارٌ مرتفعٌ عن الماء ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ بما خلقت فيكما من المنافع، وأَخْرِجاها لمنافع خلقي. قال للسَّموات: أطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وقال للأرض: أخرجي ماءك وثمارك طائعةً أو كارهةً، ففعلتا ما أمرهما طوعاً، وهو

قَالَتَآ أَتَيۡنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ فَقُلۡ أَنذَرۡتُكُمۡ صَٰعِقَةٗ مِّثۡلَ صَٰعِقَةِ عَادٖ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذۡ جَآءَتۡهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوۡ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةٗ فَإِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ

قوله[1]: ﴿قالتا أتينا طائعين﴾.

﴿١٢﴾ ﴿فقضاهن﴾ صنعهنَّ وأحكمهنَّ ﴿سبع سموات في يومين وأوحىٰ في كلِّ سماءٍ أمرها﴾ أوحىٰ في أهل كلِّ سماءٍ بما أراد من الأمر والنَّهي. وقوله: ﴿وحفظاً﴾ أَيْ: حفظناها من استماع الشَّياطين بالكواكب حفظاً.

﴿١٣﴾ ﴿فإن أعرضوا﴾ عن الإيمان بعد هذا البيان ﴿فقل أنذرتكم﴾ خوَّفتكم ﴿صاعقة﴾ مهلكةً تنزل بكم كما نزلت بمن قبلكم ﴿إذ جاءتهم الرسل من بين أيديهم﴾ أتت الرُّسل إيَّاهم ومَنْ كان قبلهم ﴿ومن خلفهم﴾ ومن بعد الرُّسل الذين أُرسلوا إلى آبائهم جاءتهم الرُّسل أنفسهم. وقوله:

﴿١٦﴾ ﴿ريحاً صرصراً﴾ أَيْ: لها صوتٌ شديدٌ ﴿في أيام نحسات﴾ مشؤوماتٍ عليهم. وقوله:

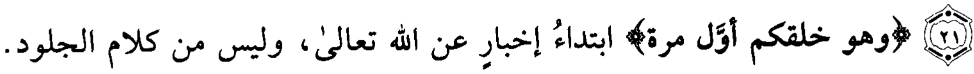
﴿١٧﴾ ﴿وأما ثمود فهديناهم﴾ دعوناهم ودللناهم ﴿فاستحبوا العمىٰ على الهدىٰ﴾

---

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه ابن جرير ٩٨/٢٤؛ وفيه سليمان بن موسىٰ، صدوقٌ فقيه، وفي حديثه بعض لينٍ، وخولط قبل موته بقليل. تقريب التهذيب ص ٢٥٥.

فَأَخَذَتْهُمْ صَـٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَـٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَـٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ

فاختاروا الكفر على الإيمان ﴿فأخذتهم صاعقة﴾ مهلكةُ ﴿العذاب﴾ ذي ﴿الهون﴾ وهو الهوان، أي: العذاب الذي يُهينهم. وقوله:



﴿٢١﴾ ﴿**وهو خلقكم أوّل مرة**﴾ ابتداءُ إخبارٍ عن الله تعالىٰ، وليس من كلام الجلود.

﴿٢٢﴾ ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم**﴾ [أَيْ مِنْ أن يشهد عليكم سمعكم][1] أي: لم تكونوا تخافون أن يشهد عليكم جوارحكم، فتستتروا منها ﴿**ولكن ظننتم أنَّ الله**﴾ أي: ظننتم أنَّ ما تُخفون ﴿**لا يعلم**﴾ اللَّهُ ذلك ولا يطَّلع عليه، وذلك الظَّنُّ منكم بربّكم.

﴿٢٣﴾ ﴿**أرداكم**﴾ أهلككم.

﴿٢٤﴾ ﴿**فإن يصبروا**﴾ في جهنَّم ﴿**فالنار مثوىً لهم**﴾ أي: مقامهم لا يخرجون منها ﴿**وإن يستعتبوا**﴾ يطلبوا الصلح ﴿**فما هم من المعتبين**﴾ أَيْ: ممَّن يُصالح ويرضىٰ.

﴿٢٥﴾ ﴿**وقيضنا لهم**﴾ أَيْ: سبَّبنا لهم ﴿**قرناء**﴾ من الشَّياطين ﴿**فزينوا لهم ما بين أيديهم**﴾ من أمر الدُّنيا حتىٰ آثروه ﴿**وما خلفهم**﴾ من أمر الآخرة، فدعوهم إلى التَّكذيب

---

(١) زيادة ليست في الأصل.

وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾

به، وأن لا جنَّة ولا نار، ولا بعث ولا حساب. ﴿**وحقَّ عليهم القول في أمم**﴾ مع أممٍ بالخسران والهلاك. وقوله:

﴿٢٦﴾ ﴿**والغوا فيه**﴾ أَيْ: عارضوه بكلامٍ لا يُفهم من المُكاء، والصَّفير، وباطل الكلام ﴿**لعلكم تغلبونـ**﴾ـه على قراءته فيترك القراءة. وقوله:

﴿٢٩﴾ ﴿**ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس**﴾ يعنون: إبليس وقابيل؛ لأنَّهما أوَّل مَنْ سنَّ الضَّلالة ﴿**نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا**﴾ في الدَّرك الأسفل من النَّار.

﴿٣٠﴾ ﴿**إنَّ الذين قالوا ربنا الله**﴾ أَيْ: وحَّدوه ﴿**ثمَّ استقاموا**﴾ على التَّوحيد، فلم يشركوا به شيئاً ﴿**تتنزل عليهم الملائكة**﴾ عند الموت ﴿**ألا تخافوا**﴾ ذنوبكم ﴿**ولا تحزنوا**﴾ عليها؛ فإنَّ الله يغفرها لكم.

﴿٣١﴾ ﴿**نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة**﴾ أَيْ: أنصاركم وأحباؤكم، وهم قرناؤهم الذين كانوا معهم في الدُّنيا من الحفظة، يقولون لهم: لن نُفارقكم [في القيامة][1] حتىٰ ندخلكم الجنَّة. ﴿**ولكم فيها ما تدَّعون**﴾ تتمنَّون وتسألون.

---

(١) زيادة ليست في الأصل.

نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾

﴿٣٢﴾ **﴿نزلاً﴾** أَيْ: جعل الله ذلك رزقاً لهم مُهيَّأً.

﴿٣٣﴾ **﴿ومَنْ أحسن قولاً ممن دعا إلى الله. . .﴾** الآية. قيل: هو رسول الله ﷺ؛ لأنَّه دعا إلى توحيد الله. وقيل: إنَّها نزلت في المُؤَذِّنين.

﴿٣٤﴾ **﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾** «لا» زائدة. **﴿ادفع﴾** السَّيئة **﴿بالتي هي أحسن﴾** كالغضب يُدفع بالصَّبر، والجهل بالحلم، والإساءة بالعفو **﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة﴾** يصير لك كأنَّه صديقٌ قريبٌ إذا فعلت ذلك.

﴿٣٥﴾ **﴿وما يلقاها﴾** أَيْ: ما يُلقَّىٰ هذه الخصلة **﴿إلاَّ الذين صبروا﴾** بكظم الغيظ واحتمال الأذىٰ **﴿وما يلقَّاها إلاَّ ذو حظ عظيم﴾** وهو الجنَّة.

﴿٣٦﴾ **﴿وإمَّا ينزغنك من الشيطان نزغ﴾** أَيْ: إنْ صرفك عن الاحتمال نَزْغُ الشَّيطان **﴿فاستعذ بالله﴾** من شرِّه وامض على حلمك.

﴿٣٧﴾ **﴿ومن آياته﴾** علاماته التي تدلُّ على أنَّه واحدٌ **﴿الليل والنهار والشمس والقمر. . .﴾** الآية.

﴿٣٨﴾ **﴿فإن استكبروا﴾** أي: الكفَّار. يقول: إن استكبروا عن السُّجود لله **﴿فالذين عند ربك﴾** وهم الملائكة **﴿يسبحون له﴾** يُصلُّون له **﴿بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾** لا يملُّون.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ

---

(٣٩) ﴿ومن آياته أنك ترىٰ الأرض خاشعة﴾ مُغبَّرةً لا نبات فيها ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزَّت﴾ تحرَّكت بالنَّبات ﴿وربت﴾ انتفخت وعلت، ثمَّ تصدَّعت عن النَّبات.

(٤٠) ﴿إنَّ الذين يلحدون في آياتنا﴾ يجعلون الكلام فيها على غير جهته، بأن ينسبوها إلى الكذب والسِّحر ﴿لا يخفون علينا﴾ بل نعلمهم ونجازيهم بذلك.

(٤١) ﴿إنَّ الذين كفروا بالذكر﴾ أَيْ: بالقرآن ﴿لما جاءهم وإنَّه لكتاب عزيز﴾ منيعٌ من الشَّيطان والباطل.

(٤٢) ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ أي: الكتُب التي تقدَّمت لا تبطله، ولا يأتي كتابٌ بعده يبطله. وقيل: إنَّه محفوظٌ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه، أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه.

(٤٣) ﴿ما يقال لك إلاَّ ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ أَيْ: إنْ كذَّبك قومك فقد كذَّب الذين من قبلك.

(٤٤) ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً﴾ لا بلسان العرب ﴿لقالوا: لولا فصلت﴾ بُيِّنت ﴿آياته﴾ بلغتنا حتىٰ نعرفها ﴿أأعجمي وعربي﴾ أي: القرآنُ أعجميٌّ، ونبيٌّ عربيٌّ ﴿قل هو﴾ أي: القرآن ﴿للذين آمنوا هدى﴾ من الضَّلالة ﴿وشفاء﴾ من الجهل ﴿والذين لا يؤمنون﴾ في ترك قبوله بمنزلة مَنْ ﴿في آذانهم وقرٌ وهو﴾ أي: القرآن ﴿عليهم﴾

عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكّٖ مِّنْهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾

ذو ﴿عمى﴾ لأنَّهم لا يفقهونه ﴿أولئك ينادون من مكان بعيد﴾ أَيْ: كأنهم لقلَّة استماعهم وانتفاعهم يُنادون إلى الإيمان بالقرآن من حيث لا يسمعونه لبعد المسافة.

﴿٤٥﴾ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾ بالتَّكذيب والتَّصديق، والإيمان به والكفر كما فعل قومك ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ بتأخير العذاب عن قومك ﴿لقضي بينهم﴾ لفرغ من هلاكهم ﴿وإنهم لفي شك منه﴾ من القرآن ﴿مريب﴾.

الجزء الخامس والعشرون:

﴿٤٧﴾ ﴿إليه يردُّ علم الساعة﴾ لأنَّه لا يعلمه غيره ﴿وما تخرج من ثمرة[1] من أكمامها﴾ أوعيتها ﴿ويوم يناديهم أين شركائي﴾ الذين كنتم تزعمون ﴿قالوا آذناك﴾ أعلمناك ﴿ما منا من شهيد﴾ شاهدٍ أنَّ لك شريكاً، لمَّا عاينوا القيامة تبرَّؤوا من معبوديهم.

﴿٤٨﴾ ﴿وضلَّ عنهم﴾ زال وبطل ﴿ما كانوا يدعون من قبل﴾ [يثقون به][2] ويعبدونه قبل يوم القيامة ﴿وظنوا﴾ علموا ﴿ما لهم من محيص﴾ من مهربٍ.

﴿٤٩﴾ ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ لا يَمَلُّ الكافر من الدُّعاء بالصحَّة والمال ﴿وإن مسَّه الشرُّ﴾ الفقر والضرُّ ﴿فيؤوس﴾ من روح الله ﴿قنوط﴾ من رحمته. وقوله:

---

(١) قرأ «ثمرة»: ابن كثير، وأبو عمرو، وشعبة، وحمزة، والكسائي، ويعقوب، وخلف.

(٢) زيادة من الأصل.

وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

﴿٥٠﴾ ﴿ليقولنَّ هذا لي﴾ أَيْ: هذا واجبٌ لي بعملي استحققته ﴿وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربي إنَّ لي عنده للحسنىٰ﴾ أَيْ: لستُ أوقن بالبعث وقيام السَّاعة، فإن كان الأمر على ذلك إنَّ لي عنده لثواباً.

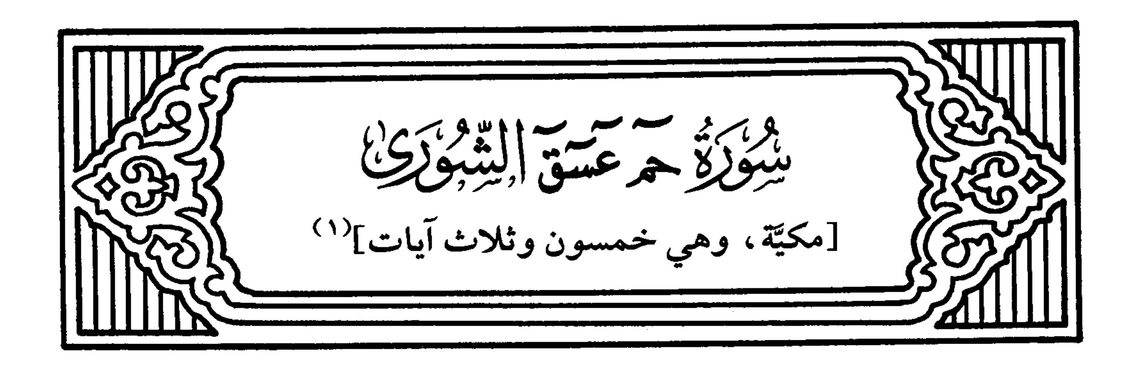
﴿٥١﴾ ﴿وإذا أنعمنا على الإنسان...﴾ الآية. يقول: إذا كان الكافر في نعمةٍ تباعد عن ذكر الله، وإذا مسَّته الحاجة أكثر الدُّعاء.

﴿٥٢﴾ ﴿قل أرأيتم إن كان﴾ القرآن ﴿من عند الله ثم كفرتم به من أضلُّ﴾ منكم، لأنَّهم في ﴿شقاق بعيد﴾ أَيْ: في خلافٍ بعيدٍ عن الحقّ بكفرهم بالقرآن.

﴿٥٣﴾ ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾ ما يفتح على محمَّد ﷺ من القرىٰ ﴿وفي أنفسهم﴾ فتح مكة ﴿حتىٰ يتبين لهم﴾ أنَّ القرآن حقٌّ وصدقٌ منزلٌ من عند الله تعالىٰ. ﴿أَوَلَمْ يكف بربك أنَّه على كل شيء شهيد﴾ وهو يشهد لمحمَّد عليه السَّلام ولكتابه بالصِّدق.

﴿٥٤﴾ ﴿ألا إنهم في مرية﴾ شكٌّ ﴿من لقاء ربهم﴾ من البعث والمصير إليه ﴿ألا إنَّه بكلِّ شيء محيط﴾ عالمٌ.

• • •



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿حم﴾ ح: حكم(٢) الله، م: مجده.

(٢) ﴿عسق﴾ ع: علمه، س: سناؤه، ق: قدرته. أقسم الله تعالىٰ بها.

(٣) ﴿كذلك يوحي إليك﴾ ما من نبيٍّ صاحب كتابٍ إلَّا وقد أوحى الله إليه: حم عسق، فهو معنىٰ قوله: ﴿كذلك يوحي إليك وإلىٰ الذين من قبلك﴾.

(٥) ﴿تكاد السموات يتفطرن من فوقهن﴾ تكاد كلُّ واحدة منها تتفطَّر فوق التي تليها من قول المشركين: اتَّخذ الله ولداً. ﴿والملائكة يسبحون بحمد ربهم﴾ يُنزِّهون الله تعالىٰ عن السُّوء ﴿ويستغفرون﴾ اللَّهَ ﴿لمن في الأرض﴾ من المؤمنين.

---

(١) زيادة من ظا، وهذا يوافق ما في المصحف، وفي ظ: خمسون آية، وهو يوافق الجميع عدا الكوفي في العدد.

(٢) في عا: حلم الله.

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيۡهِمۡ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٖ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَتُنذِرَ يَوۡمَ ٱلۡجَمۡعِ لَا رَيۡبَ فِيهِۚ فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡوَلِيُّ وَهُوَ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَمِنَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ أَزۡوَٰجٗاۖ يَذۡرَؤُكُمۡ فِيهِۚ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٢﴾

---

(٦) ﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء**﴾ أَيْ: آلهةً. ﴿**الله حفيظ عليهم**﴾ يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها ﴿**وما أنت عليهم بوكيل**﴾ لم تُوكَّل عليهم، وما عليك إلاَّ البلاغ.

(٧) ﴿**وكذلك**﴾ وهكذا ﴿**أوحينا إليك قرآناً عربياً**﴾ بلفظ العرب ﴿**لتنذر أمَّ القرىٰ**﴾ أهل مكَّة ﴿**ومَنْ حولها**﴾ سائر النَّاس ﴿**وتنذر يوم الجمع**﴾ تخوِّفهم بيوم القيامة الذي يجمع فيه الخلق ﴿**لا ريب فيه**﴾ كما يرتاب الكافرون. ﴿**فريق في الجنة وفريق في السعير**﴾ إخبارٌ عن اختلاف حال النَّاس في ذلك اليوم.

(٨) ﴿**ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة**﴾ لجعل الفريقين فريقاً واحداً ﴿**ولكن يدخل مَنْ يشاء في رحمته**﴾ بيَّن أنَّه إنَّما يُدخل الجنة مَنْ يشاء، فهو فضلٌ منه ﴿**والظالمون**﴾ والكافرون ﴿**ما لهم من وليٍّ ولا نصير**﴾ ناصرٍ يمنعهم من العذاب.

(٩) ﴿**أم اتخذوا**﴾ بل اتَّخذوا ﴿**من دونه أولياء فاللَّهُ هو الوليُّ**﴾ لا ما اتَّخذوه من دونه.

(١٠) ﴿**وما اختلفتم فيه من شيء**﴾ من أمر الدِّين ﴿**فحكمه إلىٰ الله**﴾ لا إليكم، وقد حكم أنَّ الدِّين هو الإسلام لا غيره. وقوله:

(١١) ﴿**جعل لكم من أنفسكم أزواجاً**﴾ حلائل ﴿**ومن الأنعام أزواجاً**﴾ أَيْ: خلق الذَّكر والأنثىٰ ﴿**يذرؤكم فيه**﴾ أَيْ: يُكثِّركم بجعله لكم حلائل؛ لأنهنَّ سبب النَّسل، و «فيه» بمعنىٰ «به» ﴿**ليس كمثله شيء**﴾ الكافُ زائدةٌ، أَيْ: ليس مثله شيء.

۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

﴿١٣﴾ **﴿شرع لكم﴾** بيَّن وأظهر لكم **﴿من الدين ما وصَّىٰ به﴾** أمر **﴿نوحاً﴾** ثمَّ بيَّن ذلك فقال: **﴿أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾** والله يبعث الأنبياء كلَّهم بإقامة الدِّين وترك الفرقة. **﴿كبر﴾** عَظُمَ وشقَّ **﴿على المشركين ما تدعوهم إليه﴾** من التَّوحيد وترك الأوثان. **﴿الله يجتبي إليه مَنْ يشاء﴾** يصطفي مَنْ يشاء لدينه، فيهديه إليه.

﴿١٤﴾ **﴿وما تفرَّقوا إلَّا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم﴾** ما تفرَّق أهل الكتاب إلَّا عن علمٍ بأنَّ الفرقة ضلالةٌ، ولكنَّهم فعلوا ذلك للبغي **﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربك﴾** في تأخيرهم إلى السَّاعة **﴿لقضي بينهم﴾** لجوزوا بأعمالهم **﴿وإنَّ الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾** يعني: هذه الأمَّة، أعطوا الكتاب من بعد اليهود والنَّصارىٰ **﴿لفي شك منه مريب﴾** يعني: كفَّار هذه الأمَّة ومشركيها.

﴿١٥﴾ **﴿فلذلك فادع﴾** أَيْ: إلىٰ ذلك. يعني: إلىٰ إقامة الدِّين فادع النَّاس **﴿واستقم كما أمرت﴾** اثبت على الدِّين الذي أُمرتَ به **﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾** أَيْ: بجميع كتب الله المنزلة **﴿وأمرت لأعدل بينكم﴾** لأسوِّي بينكم في الإيمان بكتبكم. وقيل: لأعدل بينكم في القضية. وقوله: **﴿لا حجة﴾** أَيْ: لا خصومة **﴿بيننا وبينكم﴾** وهذا منسوخٌ بآية القتال[1].

---

(١) وهذا قول ابن عباس. أخرجه النحاس في ناسخه ص ٢٥٣ وقال: هذا مخاطبةٌ لليهود. وفي =

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٌ وَلَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ وَٱلۡمِيزَانَۗ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسۡتَعۡجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهَاۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مُشۡفِقُونَ مِنۡهَا وَيَعۡلَمُونَ أَنَّهَا ٱلۡحَقُّۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلِۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِىُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾

﴿١٦﴾ ﴿**والذين يحاجون في الله**﴾ يُخاصمون في دين الله نبيَّه عليه السَّلام ﴿**من بعد ما استجيب له**﴾ أُجيبَ النبيُّ عليه السَّلام إلىٰ الدِّين، فأسلموا ودخلوا في دينه ﴿**حجتهم داحضةٌ عند ربهم**﴾ أَيْ: باطلةٌ زائلةٌ؛ لأنَّهم يخاصمون صادقاً في خبره قد ظهرت معجزته.

﴿١٧﴾ ﴿**الله الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان**﴾ أَيْ: العدل، والمعنىٰ: إنَّ الله تعالىٰ أمر أن يقتدىٰ بكتابه في أوامره ونواهيه، وأن يعامل بالنَّصفة والسَّويَّة، وآلةُ ذلك الميزان، ثمَّ قال: ﴿**وما يدريك لعلَّ الساعة قريب**﴾ أَيْ: فاعمل بالعدل والكتاب، فلعلَّ السَّاعة قد قربت منك وأنت لا تدري.

﴿١٨﴾ ﴿**يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها**﴾ ظنّاً منهم أنَّها غير كائنة، ﴿**والذين آمنوا مشفقون**﴾ خائفون منها، لأنَّهم يعلمون أنَّهم مبعوثون ومحاسبون. ﴿**ألا إنَّ الذين يمارون**﴾ تدخلهم المِرية والشَّكُّ ﴿**في الساعة لفي ضلال بعيد**﴾ لأنَّهم لو فكَّروا لعلموا أنَّ الذي أنشأهم أوَّلاً قادرٌ على إعادتهم.

﴿١٩﴾ ﴿**الله لطيف بعباده**﴾ حفيٌّ بارٌّ بهم، برِّهم وفاجِرهم حيث لم يقْتلهم جُوعاً بمعاصيهم.

= سنده جويبر راوي التفسير، وهو ضعيف جداً. تقريب التهذيب ص ١٤٣ وقيل: إنها غير منسوخة، أَيْ: لا حجة بيننا وبينكم؛ لأنَّ البراهين قد ظهرت، والحجة قد قامت.

مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ

---

(٢٠) ﴿مَنْ كان يريد حرث الآخرة﴾ من أراد بعمله الآخرة ﴿نزد له في حرثه﴾ أَيْ: كسبه بالتَّضعيف بالواحدة عشراً. ﴿ومَنْ كان يريد حرث الدنيا﴾ بعمله الدُّنيا ﴿نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾ أَيْ: مَنْ آثر دنياه على آخرته لم نجعل له نصيباً في الآخرة.

(٢١) ﴿أم لهم﴾ بل أَلهم ﴿شركاء﴾ آلهةٌ ﴿شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل﴾ أَيْ: القَدَر السَّابق بأنَّ القضاء والجزاء يوم القيامة ﴿لقضي بينهم﴾ في الدُّنيا.

(٢٢) ﴿ترىٰ الظالمين﴾ المشركين يوم القيامة ﴿مشفقين﴾ خائفين ﴿ممَّا كسبوا﴾ أَيْ: من جزائه ﴿وهو واقع بهم﴾ لا محالة. وقوله:

(٢٣) ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً﴾ أَيْ: على تبليغ الرِّسالة ﴿أجراً إلاَّ المودَّة في القربىٰ﴾ أَيْ: إلاَّ أن تحفظوا قرابتي وتَوَدُّوني، وتصلوا رحمي، وذلك أنَّه لم يكن حيٌّ من قريشٍ إلاَّ وللنبي ﷺ فيهم قرابةٌ، فكأنَّه يقول: إذا لم تؤمنوا بي فاحفظوا قرابتي ولا تُؤذوني[١]. وقيل: معناه: إلاَّ أَنْ تتودَّدُوا إلىٰ الله عزَّ وجلَّ بما يُقرِّبكم

---

(١) عن ابن عباس أنَّه سئل عن قوله تعالىٰ: ﴿إلاَّ المودَّة في القربىٰ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربىٰ آل محمد، فقال ابن عباس: عجلتَ، إنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن بطنٌ من قريش إلاَّ كان له فيهم قرابة، فقال: إلاَّ أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة.
أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٨٦٤، والنسائي في تفسيره ٢/ ٢٦٦، والترمذي في التفسير برقم ٣٢٥١.

وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾

منه، وقوله: ﴿إلاَّ المودة﴾ استثناءٌ ليس من الأوَّل. ﴿ومن يقترف﴾ يعمل ﴿حسنة نزدْ له فيها حسناً﴾ نضاعفها له.

﴿٢٤﴾ ﴿أم يقولون﴾ بل أيقولون، يعني: أهل مكَّة ﴿افترىٰ على الله كذباً﴾ تقوَّل القرآن من قبل نفسه ﴿فإنْ يشأ اللَّهُ يختم على قلبك﴾ يربط على قلبك بالصَّبر على أذاهم، ثمَّ ابتدأ فقال ﴿ويمحو الله الباطل﴾ أَيْ: الشِّرك ﴿ويحق الحق بكلماته﴾ بما أنزله من كتابه على لسان نبيِّه عليه السَّلام [وهو القرآن](1).

﴿٢٥﴾ ﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ إذا رجع العبد عن معصية الله تعالىٰ إلى طاعته قَبِلَ ذلك الرُّجوع، وعفا عنه ما سلف، وهو قوله: ﴿ويعفو عن السيئات﴾.

﴿٢٦﴾ ﴿ويستجيب الذين آمنوا﴾ أَيْ: يُجيبهم إلىٰ ما يسألون.

﴿٢٧﴾ ﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾ أَيْ: وسَّع عليهم الرِّزق ﴿لبغوا في الأرض﴾ لطغوا وعصوا ﴿ولكن ينزِّل بقدر ما يشاء﴾ فيجعل واحداً فقيراً، وآخر غنيّاً ﴿إنَّه بعباده خبيرٌ بصير﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾ المطر ﴿من بعد ما قنطوا﴾ من بعدِ يأسِ العباد من نزوله ﴿وينشر رحمته﴾ ويبسط مطره.

---

(١) زيادة من ظا.

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٢٩﴾ **﴿ومن آياته﴾** دلائل قدرته **﴿خلق السموات والأرض وما بثَّ﴾** فرَّق ونشر **﴿فيهما من دابة وهو على جمعهم﴾** للحشر **﴿إذا يشاء قدير﴾**.

﴿٣٠﴾ **﴿وما أصابكم من مصيبة﴾** بليَّةٍ وشدَّةٍ **﴿فبما كسبت أيديكم﴾** فهي جزاء ما اكتسبتم من الإِجرام **﴿ويعفو عن كثير﴾** فلا يُجازي عليه.

﴿٣١﴾ **﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾** هرباً، أَيْ: إِنْ هربتم لم تعجزوا الله في أخذكم.

﴿٣٢﴾ **﴿ومن آياته الجوار﴾** السُّفن التي تجري **﴿في البحر كالأعلام﴾** كالجبال في العظم.

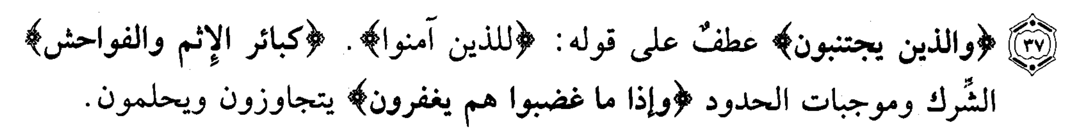
﴿٣٣﴾ **﴿إن يشأ يسكن الريح فيظللن﴾** فيصرن **﴿رواكد﴾** ثوابت على ظهر البحر لا تجري **﴿إنَّ في ذلك لآيات لكلِّ صبار شكور﴾** لكلِّ مؤمنٍ.

﴿٣٤﴾ **﴿أو يوبقهن﴾** يُهلكهنَّ، يعني: أهلها **﴿بما كسبوا﴾** من الذُّنوب **﴿ويعف عن كثير﴾** فلا يعاقب عليها.

﴿٣٥﴾ **﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾** أَيْ: في دفعها وإبطالها **﴿ما لهم من محيص﴾** مهربٍ من عذاب الله.

﴿٣٦﴾ **﴿فما أوتيتم من شيء﴾** من أثاثِ الدُّنيا **﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾** يتمتَّع به في هذه الدَّار **﴿وما عند الله﴾** من الثَّواب **﴿خير وأبقىٰ للذين آمنوا﴾** نزلت في أبـي بكر الصِّديق رضي الله عنه حين أنفق جميع ماله وتصدَّق به، فلامه النَّاس.

وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾



﴿٣٧﴾ ﴿والذين يجتنبون﴾ عطفٌ على قوله: ﴿للذين آمنوا﴾. ﴿كبائر الإثم والفواحش﴾ الشِّرك وموجبات الحدود ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ يتجاوزون ويحلمون.

﴿٣٨﴾ ﴿والذين استجابوا لربهم﴾ أجابوه بالإيمان والطَّاعة. ﴿وأمرهم شورىٰ بينهم﴾ لا ينفردون برأيهم بل يتشاورون.

﴿٣٩﴾ ﴿والذين إذا أصابهم البغي﴾ الظُّلم ﴿هم ينتصرون﴾ ينتقمون ممَّن ظلمهم، ثمَّ بيَّن حدَّ الانتصار فقال:

﴿٤٠﴾ ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾ أَيْ: إنما يُجازىٰ السُّوء بمثله، فيقتصُّ من الجاني بمقدار جنايته ﴿فمن عفا﴾ ترك الانتقام ﴿وأصلح﴾ بينه وبين الظَّالم عليه بالعفو ﴿فأجره على الله﴾ أَيْ: إنَّ الله يأجره على ذلك ﴿إنَّه لا يحب الظالمين﴾ الذين يبدؤون بالظُّلم.

﴿٤١﴾ ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ أَيْ: بعد أَنْ ظُلم ﴿فأولئك ما عليهم من سبيل﴾ [باللَّوم ولا القصاص، لأنَّه آخذٌ حقَّه][1].

﴿٤٣﴾ ﴿ولمن صبر﴾ على الأذىٰ ﴿وغفر﴾ ولم يكافىء ﴿إن ذلك﴾ أَيْ: الصَّبر والغفران ﴿لمن عزم الأمور﴾ لأنَّه يوجب الثَّواب، فهو أتمُّ عزمٍ. وقوله:

---

(١) زيادة من ظ.

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا

﴿٤٥﴾ ﴿**وتراهم يعرضون عليها**﴾ على النَّار ﴿**خاشعين من الذل**﴾ مُتواضعين ساكنين. ﴿**ينظرون**﴾ إلى النَّار ﴿**من طرف خفي**﴾ مُسارقةً.

﴿٤٧﴾ ﴿**استجيبوا لربكم**﴾ بالإيمان والطَّاعة ﴿**من قبل أن يأتي يومٌ لا مردَّ له من الله**﴾ أَيْ: إنَّ الله تعالىٰ إذا أتىٰ به لم يردَّه ﴿**مالكم من ملجأ يومئذٍ**﴾ مهربٍ من العذاب ﴿**وما لكم من نكير**﴾ إنكارٌ علىٰ ما ينزل بكم من العذاب، لا تقدرون أن تنكروه فتغيِّروه. وقوله:

﴿٥٠﴾ ﴿**أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً**﴾ أَيْ: يجعل ما يهب من الولد بعضه ذكوراً، وبعضه إناثاً ﴿**ويجعل من يشاء عقيماً**﴾ لا يُولد له.

﴿٥١﴾ ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاَّ وحياً**﴾ بأن يوحي إليه في منامه ﴿**أو من وراء حجاب**﴾ كما كلَّم موسىٰ عليه السَّلام ﴿**أو يرسل رسولاً**﴾ مَلَكاً ﴿**فيوحيَ بإذنه ما يشاء**﴾ فيكلِّمه عنه بما يشاء.

﴿٥٢﴾ ﴿**وكذلك**﴾ وكما أوحينا إلى سائر الرُّسل ﴿**أوحينا إليك روحاً**﴾ ما يحيا به الخلق،

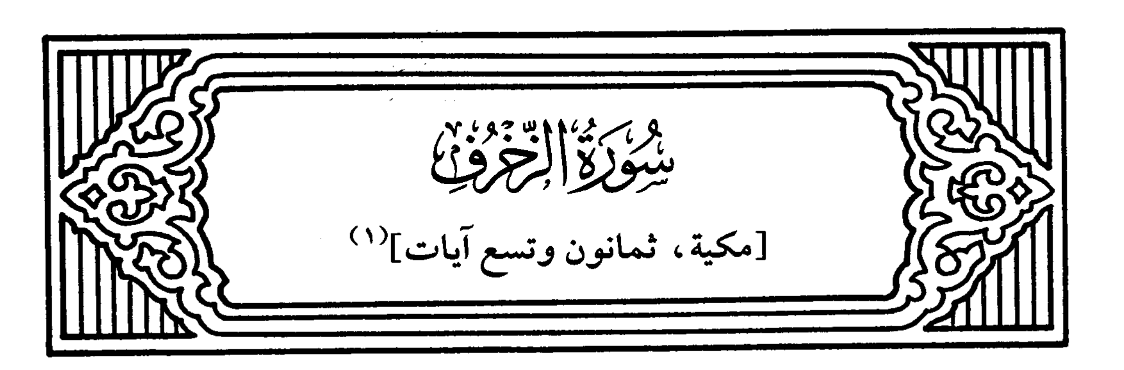
مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

أَيْ: يهتدون به، وهو القرآن ﴿**من أمرنا**﴾ أَيْ: فِعْلِنا في الوحي إليك. ﴿**ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان**﴾ قبل الوحي. ويعني بالإيمان شرائعه ومعالمه ﴿**ولكن جعلناه**﴾ جعلنا الكتاب ﴿**نوراً**﴾. وقوله: ﴿**وإنك لتهدي**﴾ بوحينا إليك ﴿**إلى صراط مستقيم**﴾. [يعني الإسلام][1].

● ● ●

---

(١) زيادة من ظ.



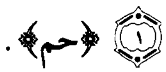
سُورَةُ الزُّخْرُفِ

[مكية، ثمانون وتسع آيات][(1)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

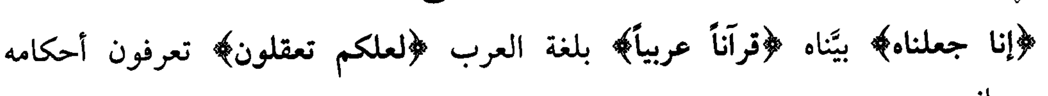
حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾



(١) ﴿حم﴾.

(٢) ﴿والكتاب المبين﴾ الذي أبان الهدىٰ وما تحتاج إليه الأُمَّة.



﴿إنا جعلناه﴾ بيَّناه ﴿قرآناً عربياً﴾ بلغة العرب ﴿لعلكم تعقلون﴾ تعرفون أحكامه ومعانيه.

(٤) ﴿وإنه﴾ أَيْ: القرآن ﴿في أمِّ الكتاب﴾ أَيْ: اللَّوح المحفوظ ﴿لدينا لعليٌّ حكيم﴾ يريد: إنَّه مثبتٌ عند الله تعالىٰ في اللَّوح المحفوظ بهذه الصِّفة.

(٥) ﴿أفنضرب عنكم الذكر صفحاً﴾ أَفنمسك عن إنزال القرآن ونتركه من أجل أنَّكم لا تؤمنون به، وهو قوله: ﴿أن كنتم قوماً مسرفين﴾ أَيْ: لأن كنتم قوماً مُشركين

---

(١) زيادة من ظ، وهذا يوافق ما في المصحف. وفي ظا: وهي ثمانون وثمان آيات، وهو بعدُّ الشامي.

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾

مُجاوزين أمر الله. قال قتادة[١] رضي الله عنه: واللّهِ لو أنَّ هذا القرآنَ رُفع حين ردَّه أوائل هذه الأمّة لهلكوا.

﴿٨﴾ ﴿فأهلكنا أشد منهم﴾ من قومك ﴿بطشاً﴾ قوّة ﴿ومضىٰ مثل الأولين﴾ سنّتهم في العقوبة.

﴿١١﴾ ﴿والذي نزل من السماء ماءً بقدر﴾ بمقدارٍ معلومٍ عند الله ﴿فأنشرنا﴾ فأحيينا ﴿به﴾ بذلك الماء ﴿بلدة ميتاً كذلك تخرجون﴾ من قبوركم أحياء.

﴿١٢﴾ ﴿والذي خلق الأزواج﴾ الأصناف ﴿كلها﴾. وقوله:

﴿١٣﴾ ﴿وما كنّا له مقرنين﴾ أَيْ: مُطيقين.

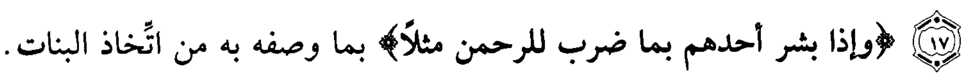
﴿١٥﴾ ﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ أَيْ: الذين جعلوا الملاكة بنات الله.

﴿١٦﴾ ﴿أم اتخذ ممّا يخلق بنات وأصفاكم﴾ أخلصكم وخصَّكم ﴿بالبنين﴾ كقوله: ﴿أفأصفاكم ربُّكم بالبنين...﴾[٢] الآية.

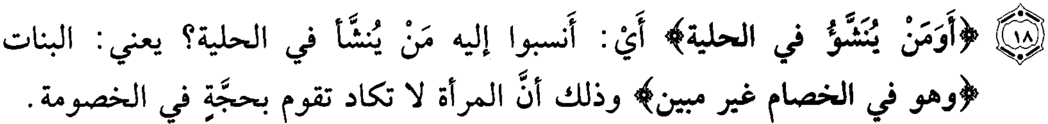
---

(١) أخرجه ابن جرير ٢٥/ ٤٩.   (٢) سورة الإسراء: الآية ٤٠.

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾



(١٧) ﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلاً﴾ بما وصفه به من اتِّخاذ البنات.



(١٨) ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّؤُ في الحلية﴾ أَيْ: أَنسبوا إليه مَنْ يُنشَّأ في الحلية؟ يعني: البنات ﴿وهو في الخصام غير مبين﴾ وذلك أنَّ المرأة لا تكاد تقوم بحجَّةٍ في الخصومة.

(١٩) ﴿وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً﴾ أَيْ: حكموا بأنَّهم إناثٌ حين قالوا: إنَّهم بنات الله. ﴿أشهدوا﴾ أَحضروا ﴿خلقهم﴾ حين خُلقوا؟ ﴿ستكتب شهادتهم﴾ على الملائكة بأنَّهم بنات الله ﴿ويسألون﴾ عنها.

(٢٠) ﴿وقالوا: لو شاء الرحمن ما عبدناهم﴾ أَيْ: الملائكة، وذلك أنَّهم قالوا: لو لم يرض منَّا بعبادتنا إيَّاها لعجَّل عقوبتنا. ﴿ما لهم بذلك من علم﴾ ما لهم بقولهم: الملائكة بناتُ الله من علمٍ. ﴿إن هم إلاَّ يخرصون﴾ يكذبون.

(٢١) ﴿أم آتيناهم كتاباً من قبله﴾ من قبل القرآن فيه عبادة غير الله ﴿فهم به مستمسكون﴾ بذلك الكتاب، ثمَّ بيَّن أنَّهم اتَّبعوا ضلالة آبائهم، فقال:

(٢٢) ﴿بل قالوا: إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾ دينٍ.

(٢٤) ﴿قال أو لو جئتكم بأهدىٰ﴾ بدينٍ أهدىٰ ﴿ممَّا وجدتم عليه آباءكم﴾ أَتتبعونهم؟ ﴿قالوا﴾ أَيْ: الأمم للرُّسل: ﴿إنا بما أرسلتم به كافرون﴾.

فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ

(٢٥) ﴿فانتقمنا منهم﴾ بالعقوبة.

(٢٦) ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه: إنني براء﴾ أيْ: بريءٌ.

(٢٨) ﴿وجعلها كلمة﴾ أيْ: كلمة التَّوحيد ﴿باقية في عقبه﴾ عقب إبراهيم عليه السَّلام، لا يزال من ولده مَنْ يوحِّدُ الله عزَّ وجلَّ ﴿لعلهم يرجعون﴾ كي يرجعوا بها من الكفر إلىٰ الإيمان.

(٢٩) ﴿بل متعتُ هؤلاء وآباءهم﴾ في الدُّنيا ولم أهلكهم ﴿حتىٰ جاءهم الحق﴾ القرآن.

(٣١) ﴿وقالوا: لولا نزل هذا القرآن على رجل من﴾ [إحدىٰ][1] ﴿القريتين﴾ مكَّة والطَّائف ﴿عظيم﴾ أيْ: الوليد بن المغيرة من أهل مكَّة، وعروة بن مسعود الثقفيِّ من الطَّائف، قال الله تعالىٰ:

(٣٢) ﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ نبوَّته وكرامته، فيجعلونها لمن يشاؤون؟ ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ فجعلنا بعضهم غنيّاً وبعضهم فقيراً ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾ بالمال ﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾ ليُسخِّر الأغنياء بأموالهم الفقراء ويستخدموهم، فيكون بعضهم لبعض سببَ المعاش في الدُّنيا، هذا بماله، وهذا بأعماله، فكما قسمنا هذه القسمة كذلك اصطفينا للرِّسالة مَنْ نشاء، ثمَّ بيَّن أنَّ الآخرة أفضل من الدُّنيا فقال: ﴿ورحمة

(١) زيادة ليست في الأصل.

رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾

ربك﴾ أَيْ: الجنَّة ﴿خيرٌ ممَّا يجمعون﴾ في الدُّنيا، ثمَّ ذكر قلَّة خطر[1] الدُّنيا عنده فقال:

﴿٣٣﴾ ﴿ولولا أن يكون الناس أمة واحدة﴾ مجتمعين على الكفر. وقوله: ﴿ومعارج﴾: مراقي ﴿عليها يظهرون﴾ يعلون ويصعدون.

﴿٣٤﴾ ﴿ولبيوتهم أبواباً وسرراً﴾ من فضَّةٍ ﴿عليها يتكئون﴾.

﴿٣٥﴾ ﴿وزخرفاً﴾ أَيْ: ومن زخرفٍ، وهو الذَّهب ﴿وإن كلُّ ذلك لما متاع الحياة الدنيا﴾ [لمتاع الحياة الدُّنيا][2].

﴿٣٦﴾ ﴿ومَنْ يعش﴾ يُعرض ﴿عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً﴾ نسبِّب له شيطاناً ﴿فهو له قرين﴾ لا يُفارقه.

﴿٣٧﴾ ﴿وإنهم﴾ أَيْ: الشَّياطين ﴿ليصدونهم﴾ يمنعون الكافرين ﴿ويحسبون﴾ الكفَّار ﴿أنهم مهتدون﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿حتىٰ إذا جاءنا﴾ يعني: الكافر ﴿قال﴾ لقرينه: ﴿يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين﴾ أَيْ: بُعد ما بين المشرق والمغرب ﴿فبئس القرين﴾ أنت؛ ثم لا يفارقه حتىٰ يصيرا إلى النار، وقال الله تعالى:

---

(١) أي: رفعة.

(٢) ما بين [ ] زيادة من نسخة الأصل.

وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

﴿٣٩﴾ **﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم﴾** أشركتم في الدُّنيا **﴿أنكم في العذاب مشتركون﴾** اشتراككم في العذاب لأنَّ لكلٍّ واحدٍ نصيبَه الأوفرَ منه.

﴿٤١﴾ **﴿فإمَّا نذهبنَّ بك﴾** نُميتك قبل أن نعذِّبهم **﴿فإنا منهم منتقمون﴾** بعد موتك.

﴿٤٢﴾ **﴿أو نرينك﴾** في حياتك **﴿الذي وعدناهم﴾** من العذاب.

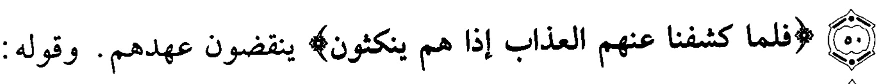
﴿٤٤﴾ **﴿وإنه﴾** أَيْ: القرآن **﴿لذكر﴾** لَشرفٌ **﴿لك ولقومك﴾** إذ نزل بلغتهم، ونزل عليك وأنت منهم **﴿وسوف تسألون﴾** عن شكر ما جعلنا لكم من الشَّرف.

﴿٤٥﴾ **﴿واسأل من أرسلنا﴾** أَيْ: أمم مَنْ أرسلنا **﴿من قبلك﴾** يعني: أهل الكتابين، هل في كتاب أحدِ الأمرُ بعبادة غير الله تعالىٰ؟ ومعنىٰ هذا السُّؤال التَّقرير لعبدة الأوثان أنَّهم على الباطل.

﴿٤٨﴾ **﴿وما نريهم من آية إلاَّ هي أكبرُ من أختها﴾** قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها **﴿وأخذناهم بالعذاب﴾** بالسِّنين والطُّوفان والجراد **﴿لعلهم يرجعون﴾** عن كفرهم.

﴿٤٩﴾ **﴿وقالوا يا أيها الساحر﴾** خاطبوه بما تقدَّم له عندهم من التَّسمية بالسَّاحر: **﴿ادع لنا ربك بما عهد عندك﴾** فيمن آمن به مِنْ كشف العذاب عنه **﴿إننا لمهتدون﴾** أَيْ: مؤمنون.

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا



﴿٥٠﴾ **﴿فلما كشفنا عنهم العذاب إذا هم ينكثون﴾** ينقضون عهدهم. وقوله:

﴿٥١﴾ **﴿وهذه الأنهار تجري من تحتي﴾** بأمري. وقيل: من تحت قصوري.

﴿٥٢﴾ **﴿أم أنا﴾** بل أنا **﴿خير من هذا الذي هو مهين﴾** حقيرٌ ضعيفٌ، يعني: موسىٰ. **﴿ولا يكاد يبين﴾** يُفصح بكلامه لِعِيِّه.

﴿٥٣﴾ **﴿فلولا﴾** فهلَّا **﴿ألقي عليه أسورة من ذهب﴾** حليٌّ بأساور الذَّهب إن كان رئيساً مُطاعاً؟ والطَّوق والسِّوار من الذَّهب كان من علامة الرِّئاسة عندهم. **﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾** مُتتابعين يشهدون له.

﴿٥٤﴾ **﴿فاستخف قومه﴾** وجد قومه القبط جُهَّالاً.

﴿٥٥﴾ **﴿فلما آسفونا﴾** أغضبونا بكفرهم. **﴿انتقمنا منهم﴾**.

﴿٥٦﴾ **﴿فجعلناهم سلفاً﴾** مُتقدِّمين في الهلاك [ليتَّعظ][1] بهم مَنْ بعدهم **﴿ومثلاً للآخرين﴾** عبرةً لمَنْ يجيء بعدهم.

﴿٥٧﴾ **﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً﴾** نزلت هذه الآية حين خاصمه الكفَّار[2] لما نزل قوله تعالىٰ: **﴿إنَّكم وما تعبدون من دُونِ الله...﴾**[3] الآية. فقالوا: رضينا أن تكون

(١) زيادة من ظ و ظا.

(٢) وهذا قول ابن عباس أخرجه ابن جرير ٢٥/٨٦، والمؤلف في الأسباب ص ٤٣٥.

(٣) وتمامها: ﴿حصبُ جهنم أنتم لها واردون﴾ [الأنبياء: ٩٨].

إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى

آلهتنا بمنزلة عيسىٰ، فجعلوا عيسىٰ عليه السَّلام مثلاً لآلهتهم، فقال الله تعالىٰ: **﴿ولما ضرب ابن مريم مثلاً إذا قومك منه يَصِدُّون﴾** أيْ: يضجُّون، وذلك أنَّ المسلمين ضجُّوا من هذا حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: **﴿إنَّ الذين سَبقَتْ لهم منا الحُسنىٰ أولئك عنها مُبعدون﴾**[1]، وذكر الله تعالىٰ في هذه السُّورة تلك القصَّة، وهو قوله:

﴿٥٨﴾ **﴿وقالوا أآلهتنا خيرٌ أم هو﴾** يعني: عيسىٰ عليه السَّلام. **﴿ما ضربوه لك إلاَّ جدلاً﴾** أَيْ: إلاَّ الإرادة للمجادلة؛ لأنَّهم علموا أنَّ المراد بحصب جهنم ما اتَّخذوه من الموات. **﴿بل هم قوم خصمون﴾** يجادلون بالباطل، ثمَّ بيَّن حال عيسىٰ عليه السَّلام فقال:

﴿٥٩﴾ **﴿إن هو إلاَّ عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾** آيةً تدلُّ على قدرة الله.

﴿٦٠﴾ **﴿ولو نشاء لجعلنا منكم﴾** بدلكم **﴿ملائكة في الأرض يخلفون﴾** بأن نهلككم ونأتي بهم بدلاً منكم يكونون خلفاء منكم.

﴿٦١﴾ **﴿وإنه﴾** أَيْ: وإنَّ عيسى **﴿لعلم للساعة﴾** بنزوله يُعلم قيام السَّاعة **﴿فلا تمترنَّ بها﴾** لا تشكُّوا فيها.

﴿٦٣﴾ **﴿ولما جاء عيسىٰ﴾** إلى بني إسرائيل **﴿بالبينات﴾** بالآيات التي يعجز عنها المخلوقون **﴿قال: قد جئتكم بالحكمة﴾** أيْ: الإنجيل **﴿ولأبين لكم بعض الذي**

(١) سورة الأنبياء: الآية ١٠١.

تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾

تختلفون فيه﴾ أَيْ: كلّه.

﴿٦٥﴾ **﴿فاختلف الأحزاب...﴾** الآية مفسَّرةٌ في سورة مريم[1].

﴿٦٦﴾ **﴿هل ينظرون﴾** أَيْ: يجب ألا ينتظروا بعد تكذيبك **﴿إلَّا﴾** أن يَفْجَأَهُمْ قيام **﴿السَّاعة﴾**، ثمَّ ذكر أنَّ مخالَّتهم في الدُّنيا تبطل في ذلك اليوم، وتنقلب عداوة، فقال:

﴿٦٧﴾ **﴿الأخلاء يومئذٍ بعضهم لبعض عدو إلَّا المتقين﴾** وهم المؤمنون. وقوله:

﴿٧٠﴾ **﴿تحبرون﴾** تُكرمون وتسرُّون.

﴿٧١﴾ **﴿يطاف عليهم بصحاف﴾** بقصاعٍ وأكوابٍ، وهي الأواني التي لا عُرىً لها. **﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾** أَيْ: تستلذُّ، وهذا وصفٌ لجميع ما في الجنَّة من الطِّيِّبات. وقوله:

﴿٧٥﴾ **﴿لا يفتر عنهم﴾** أَيْ: لا يخفَّف عنهم العذاب **﴿وهم فيه مبلسون﴾** ساكتون سكوت يأس.

---

(١) انظر ص ٦٨١.

وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

﴿٧٧﴾ **﴿ونادوا يا مالك ليقضِ علينا ربك﴾** ليمتنا فنستريح **﴿قال: إنكم ماكثون﴾** مُقيمون في العذاب.

﴿٧٩﴾ **﴿أم أبرموا أمراً﴾** أحكموا الأمر في المكر بمحمَّد عليه السَّلام **﴿فإنا مبرمون﴾** مُحكمون أمراً في مجازاتهم.

﴿٨١﴾ **﴿قل: إن كان للرحمن ولد...﴾** الآية معناها: إنْ كنتم تزعمون أنَّ للرحمن ولداً فأنا أوَّل الموحِّدين؛ لأنَّ مَنْ عبد الله واعترف بأنَّه إلٰهه فقد دفع أن يكون له ولد. وقيل: **﴿فأنا أول العابدين﴾** الآنفين من هذا القول.

﴿٨٤﴾ **﴿وهو الذي في السماء إلٰه﴾** يُعبد **﴿وفي الأرض إلٰه﴾** يُعبد، أيْ: هو المعبود فيهما **﴿وهو الحكيم﴾** في تدبير خلقه **﴿العليم﴾** بصلاحهم.

﴿٨٦﴾ **﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة﴾** أَيْ: الأوثان لا يشفعون لعابديها. **﴿إلَّا مَنْ شهد بالحق﴾** يعني: عيسىٰ وعزيراً والملائكة، [فلهم الشَّفاعة في المؤمنين لا في الكفَّار][1]، وهم يشهدون بالحقِّ بالوحدانيَّة لله **﴿وهم يعلمون﴾** حقيقة ما شهدوا به.

---

(١) ما بين [ ] زيادة من ظا.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

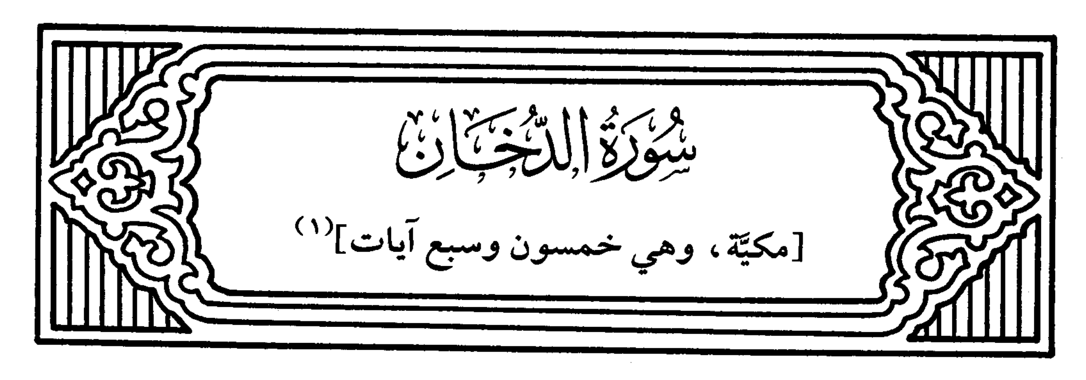
﴿٨٨﴾ ﴿وقيله﴾ أَيْ: ويسمع قول محمَّد عليه السَّلام شاكياً إلى ربِّه، وهو راجعٌ إلىٰ قوله: ﴿أنا لا نسمع سرَّهم ونجواهم﴾.

﴿٨٩﴾ ﴿فاصفح عنهم﴾ أَيْ: أعرض عنهم، وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم[1] ﴿وقل سلام﴾ أَيْ: سلامةٌ لنا منكم ﴿فسوف تعلمون﴾[2] تهديدٌ لهم.

• • •

(١) أخرج النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٥٦ عن ابن عباس: ﴿فاصفح عنهم﴾ أَيْ: فأعرض عنهم، ﴿قل: سلامٌ﴾ أَيْ: معروفٌ، أَيْ: قل لمشركي أهل مكة. ﴿فسوف يعلمون﴾، ثمَّ نسخ هذا في سورة براءة بقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم...﴾ الآية.

(٢) وهي قراءة نافع، وابن عامر، وأبـي جعفر. الإتحاف ٢/ ٤٦١.



سُورَةُ الدُّخَانِ

[مكيّة، وهي خمسون وسبع آيات][(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿حم﴾.

(٢) ﴿والكتاب المبين﴾.

(٣) ﴿إنا أنزلناه﴾ أيْ: القرآن ﴿في ليلة مباركة﴾ قيل: هي ليلة القدر في رمضان، أنزل الله القرآن فيها من أمِّ الكتاب إلى سماء الدُّنيا، ثمَّ أنزله علىٰ نبيِّه عليه السَّلام نجوماً. وقيل: ليلة النِّصف من شعبان[(٢)] ﴿إنا كنا منذرين﴾ مُحذِّرين عبادنا العقوبة بإنزال الكتاب.

(٤) ﴿فيها يفرق﴾ يُفصل ﴿كلُّ أمر حكيم﴾ مُحكمٍ من أرزاق العباد وآجالهم، وذلك أنَّه يُدبِّر في تلك الليلة أمر السَّنة.

(٥) ﴿أمراً من عندنا﴾ معناه: يُفْرق كلُّ أمرٍ حكيم فرقاً من عندنا، فوضع الأمر موضع الفرق؛ لأنَّه أمرٌ. ﴿إنا كنا مرسلين﴾ محمَّداً إلى قومه.

---

(١) ما بين [ ] من ظا.
وهي في المصحف ٥٩ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ٢/ ٤٧٠: وآيُها خمسون وتسعٌ في الكوفي، وسبعٌ في البصري، وستٌّ فيما عداهما.

(٢) قال ابن جرير في تفسيره ٢٥/ ١٠٩: وأولىٰ القولين في ذلك بالصواب قولُ مَنْ قال: ذلك ليلة القدر.

رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

﴿٦﴾ ﴿رحمةً﴾ أَيْ: للرَّحمة، وقوله:

﴿٧﴾ ﴿إن كنتم موقنين﴾ أَيْ: إن أيقنتم بأنَّه ربُّ السَّموات والأرض، فأيقنوا أنَّ محمداً رسوله؛ لأنَّه أرسله.

﴿٩﴾ ﴿بل هم في شك﴾ من البعث والنَّشر ﴿يلعبون﴾ مُشتغلين بالدُّنيا.

﴿١٠﴾ ﴿فارتقب﴾ فانتظر ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ وذلك حين دعا رسول الله ﷺ على قومه بالقحط، فمنع القطر، وأجدبت الأرض، وانجرَّت الآفاق، وصار بين السَّماء والأرض كالدُّخان[1].

﴿١١﴾ ﴿يغشىٰ الناس﴾ ذلك الدخان[2] وهم يقولون: ﴿هذا عذاب أليم﴾.

﴿١٢﴾ ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ مُصدِّقون بنبيِّك. قال الله تعالىٰ:

﴿١٣﴾ ﴿أنىٰ لهم الذكرىٰ﴾ من أين لهم التَّذكُّر والاتِّعاظ، ﴿و﴾ حالهم أنَّهم ﴿قد جاءهم رسول مبين﴾ يبيِّن لهم أحكام الدِّين. يعني: محمَّداً ﷺ.

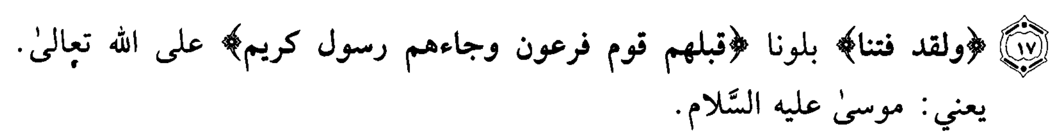
﴿١٤﴾ ﴿ثمَّ تولوا﴾ أعرضوا ﴿عنه وقالوا معلَّم﴾ أَيْ: إنَّه معلَّم يُعلِّمه ما يأتي به بشر.

﴿١٥﴾ ﴿إنا كاشفو العذاب قليلاً﴾ أَيْ: يكشف عنكم عذاب الجوع في الدُّنيا، ثمَّ تعودون في العذاب، وهو قوله: ﴿إنكم عائدون﴾.

﴿١٦﴾ ﴿يوم نبطش البطشة الكبرىٰ﴾ أَيْ: يوم القيامة. وقيل: يوم بدرٍ[3].

---

(١) و (٢) و (٣) عن عبد الله بن مسعود قال: إنَّما كان هذا؛ لأنَّ قريشاً لمَّا استعصوا على =



(١٧) ﴿ولقد فتنا﴾ بلونا ﴿قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم﴾ على الله تعالىٰ. يعني: موسىٰ عليه السَّلام.

(١٨) ﴿أن أدوا إليَّ عباد الله﴾ أَيْ: سلِّموهم إليَّ ولا تُعذِّبوهم، يعني: بني إسرائيل، كما قال: ﴿فأرسل معي بني إسرائيل﴾(١) ﴿إني لكم رسول أمين﴾ علىٰ وحي الله عزَّ وجلَّ.

(١٩) ﴿وأن لا تعلوا على الله﴾ لا تعصوه ولا تخالفوا أمره ﴿إني آتيكم بسلطان مبين﴾ بحجَّةٍ واضحةٍ تدلُّ علىٰ أنَّني نبيٌّ.

(٢٠) ﴿وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون﴾ أن تقتلون، وذلك أنَّهم توعَّدوه بالقتل.

(٢١) ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ أَيْ: لا تكونوا عليَّ [ولا لي](٢)، وخلُّوا عني.

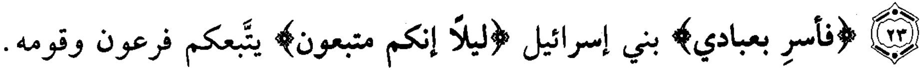
(٢٢) ﴿فدعا ربَّه أنَّ﴾ أَيْ: بأنَّ ﴿هؤلاء﴾ [أَيْ: يا ربِّ هؤلاء](٣) ﴿قوم مجرمون﴾ مُشركون، فقال الله تعالىٰ:

= النبيَّ ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحطٌ وجهدٌ حتىٰ أكلوا العظام، فجعل الرَّجل ينظر إلى السماء، فيرىٰ ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿فارتقبْ يوم تأتي السماء بدخانٍ مبين * يغشىٰ الناس هذا عذاب أليم﴾ قال فأُتي رسول الله ﷺ فقيل له: يا رسول الله، استسقِ لمضر؛ فإنها قد هلكت. قال: لمضر؟ إنَّك لجريءٌ، فاستقىٰ فَسُقُوا، فنزلت: ﴿إنكم عائدون﴾ فلمَّا أصابتهم الرَّفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرَّفاهية، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿يوم نبطش البطشة الكبرىٰ إنَّا منتقمون﴾، قال: يعني: يوم بدر. أخرجه البخاري في التفسير ٨/٥٧١؛ ومسلم في صفات المنافقين، برقم ٢٧٩٨؛ والنسائي في التفسير ٢/٢٧٨؛ والترمذي في التفسير رقم ٣٢٥٤.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٠٥.

(٢) و (٣) زيادة من ظا.

فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾



(٢٣) ﴿فأسرِ بعبادي﴾ بني إسرائيل ﴿ليلاً إنكم متبعون﴾ يتَّبعكم فرعون وقومه.

(٢٤) ﴿واترك البحر رهواً﴾ خلْفه وراءك ساكناً غير مضطربٍ، وذلك أنّ الماء وقف له كالطود العظيم حين جاوز البحر ﴿إنهم جندٌ مغرقون﴾ نغرقهم في ذلك البحر الذي تجاوزوه رهواً.

(٢٥) ﴿كم تركوا﴾ بعد هلاكهم ﴿من جنات وعُيُون. . .﴾ الآية، مُفسَّرةٌ في سورة الشُّعراء(١).

(٢٨) ﴿كذلك﴾ أيْ: الأمر كما وصفنا ﴿وأورثناها﴾ أعطيناها ﴿قوماً آخرين﴾ يعني: بني إسرائيل.

(٢٩) ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾ لأنَّهم ماتوا كفَّاراً، والمؤمن يبكي عليه مصعد عمله، ومُصلَّاه من الأرض. ﴿وما كانوا منظرين﴾ مؤخَّرين حين أخذناهم بالعذاب.

(٣٠) ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل﴾ بإهلاك فرعون وقومه ﴿من العذاب المهين﴾ يعني: قتل الأبناء واستخدام النِّساء.

(٣١) ﴿من فرعون إنه كان عالياً﴾ مستكبراً مُتعظِّماً ﴿من المسرفين﴾ الكافرين المُتجاوزين حدَّهم.

(١) انظر ص ٧٩٠.

وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾

﴿٣٢﴾ ﴿**ولقد اخترناهم**﴾ بني إسرائيل ﴿**على علمٍ**﴾ منَّا بهم ﴿**على العالمين**﴾ عالمي زمانهم.

﴿٣٣﴾ ﴿**وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين**﴾ نعمةٌ ظاهرةٌ من فلق البحر، وإنزال المنِّ والسَّلوىٰ.

﴿٣٤﴾ ﴿**إنَّ هؤلاء**﴾ أَيْ: مشركي مكَّة ﴿**ليقولون**﴾:

﴿٣٥﴾ **إن هي إلاَّ موتتنا الأولىٰ**﴾ أَيْ: ليس إلاَّ الموت ولا نشر بعده، وهو قوله: ﴿**وما نحن بمنشرين**﴾.

﴿٣٦﴾ ﴿**فأتوا بآبائنا**﴾ الذين ماتوا ﴿**إن كنتم صادقين**﴾ أنَّا نُبعث بعد الموت.

﴿٣٧﴾ ﴿**أهم خير**﴾ أَيْ: أقوىٰ وأشدُّ ﴿**أم قوم تبع**﴾ الحِميريِّ ﴿**والذين من قبلهم**﴾ من الكفَّار ﴿**أهلكناهم**﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿**وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين**﴾ ونحن نلعب في خلقهما، أَيْ: إنَّما خلقناهما لأمرٍ عظيمٍ، وهو قوله: ﴿**ما خلقناهما إلاَّ بالحق**﴾ أَيْ: لإقامة الحقِّ وإظهاره من توحيد الله وإلزام طاعته.

﴿٤٠﴾ ﴿**إنَّ يوم الفصل**﴾ وهو يوم القيامة، يفصل الله تعالىٰ فيه بين العباد ﴿**ميقاتهم**﴾ الذي وقَّتنا لعذابهم ﴿**أجمعين**﴾.

﴿٤١﴾ ﴿**يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً**﴾ قريبٌ عن قريبٍ. ﴿**ولا هم ينصرون**﴾ يُمنعون من عذاب الله.

إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا۟ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ

﴿٤٢﴾ ﴿إلاَّ من رحم﴾ لكن مَنْ رحم الله فإنَّه يُنصر.

﴿٤٣﴾ ﴿إنَّ شجرة الزَّقوم﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿طعام الأثيم﴾ أَيْ: صاحب الإثم، وهو أبو جهل.

﴿٤٥﴾ ﴿كالمهل﴾ أَيْ: كالذَّائب من الفضَّة والنُّحاس في الحرارة. ﴿يَغلي في البطون﴾ في بطون آكليه.

﴿٤٦﴾ ﴿كغلي الحميم﴾ وهو الماء الحارُّ.

﴿٤٧﴾ ﴿خذوه﴾ يعني: الأثيم ﴿فاعتلوه﴾ سوقوه [سوقاً][1] بالعنف ﴿إلى سواء الجحيم﴾ وسط الجحيم.

﴿٤٨﴾ ﴿ثمَّ صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾ كما قال: ﴿يصبُّ من فوقِ رؤوسهم الحميم﴾[2] ويقال له:

﴿٤٩﴾ ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾ بزعمك وعلى قولك، وذلك أنَّه قال: ما بين جبليها أعزُّ ولا أكرم مني.

﴿٥٠﴾ ﴿إنَّ هذا﴾ الذي ترون من العذاب ﴿ما كنتم به تمترون﴾ فيه تشكُّون.

﴿٥١﴾ ﴿إنَّ المتقين في مقام أمين﴾ أمنوا فيه من الغير.

﴿٥٣﴾ ﴿يلبسون من سندس﴾ وهو ما رقَّ من الثّياب ﴿وإستبرق﴾ وهو ما غلظ منه

---

(١) زيادة من ظ و ظا. (٢) سورة الحج: الآية ١٩.

مُتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾

﴿متقابلين﴾ مُتواجهين.

﴿٥٤﴾ ﴿كذلك﴾ كما وصفنا ﴿وزوجناهم بحور﴾ وهنَّ النِّساء النَّقيات البياض ﴿عين﴾ واسعة الأعين.

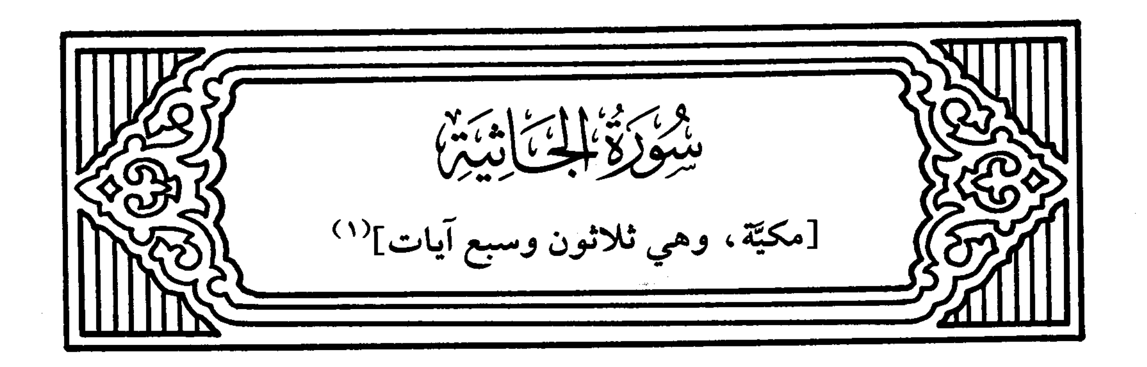
﴿٥٥﴾ ﴿يدعون فيها بكلِّ فاكهة آمنين﴾ من الموت.

﴿٥٦﴾ ﴿لا يذوقون فيها الموت إلَّا﴾ سوىٰ ﴿الموتة الأولىٰ﴾ الموتة التي ذاقوها في الدُّنيا.

﴿٥٨﴾ ﴿فإنما يسرناه﴾ سهَّلنا القرآن ﴿بلسانك لعلهم يتذكرون﴾ يتَّعظون.

﴿٥٩﴾ ﴿فارتقب﴾ فانتظر الفتح والنَّصر ﴿إنهم مرتقبون﴾ مُنتظرون قهرك وهلاكك.

● ● ●



سورة الجاثية

[مكيّة، وهي ثلاثون وسبع آيات][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَـٰحِ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿حم﴾.

﴿٢﴾ ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾.

﴿٣﴾ ﴿إنَّ في السموات والأرض﴾ أَيْ: إنَّ في خلقهما ﴿لآيات﴾ لدلالاتٍ على قدرة الله وتوحيده. وقوله:

﴿٦﴾ ﴿فبأيِّ حديث بعد الله﴾ أَيْ: بعد حديث الله وكتابه ﴿يؤمنون﴾.

﴿٧﴾ ﴿ويلٌ لكلِّ أفاك أثيم﴾ كذَّاب صاحب إثمٍ.

﴿٨﴾ ﴿يسمع آيات الله تتلىٰ عليه ثمَّ يصرُّ﴾ يُقيم على كفره ﴿مستكبراً﴾ مُتعظِّماً عن الإِيمان به.

---

(١) ما بين [ ] من ظا. وعددها هذا يُوافق ما في المصحف.

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ ۖ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

﴿٩﴾ **﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً﴾** استهزأ بها.

﴿١٠﴾ **﴿من ورائهم﴾** أمامهم **﴿جهنم ولا يغني عنهم ما كسبوا﴾** من الأموال **﴿شيئاً﴾**.

﴿١١﴾ **﴿هذا هدى﴾** أَيْ: هذا القرآن هدىً. **﴿والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذابٌ من رجز أليم﴾** مُؤلمٌ مُوجعٌ. وقوله:

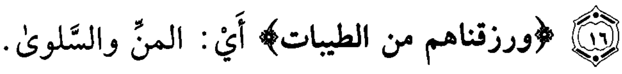
﴿١٣﴾ **﴿جميعاً منه﴾** أَيْ: كلُّ ذلك تفضُّلٌ منه وإحسانٌ.

﴿١٤﴾ **﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾** نزلت قبل الأمر بالقتال[1]. يقول: قل لهم يصفحوا عن المشركين الذين لا يخافون عقوبة الله وعذابه **﴿ليجزي قوماً﴾** أَيْ: ليجزيهم **﴿بما كانوا يكسبون﴾** من سوء أعمالهم. وقوله:

---

(١) أخرج النَّحاس في النَّاسخ والمنسوخ ص ٢٥٦ عن ابن عبَّاس في الآية قال: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، شتمه رجلٌ من المشركين بمكَّة قبل الهجرة، فأراد أن يبطش به، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿قل للذين آمنوا﴾ يعني: عمر بن الخطاب ﴿يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾ يتجاوزوا عنهم. ﴿ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون﴾ ثمَّ نُسخ هذا في براءة بقوله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾. وفي سنده جويبر الأزدي، وهو ضعيف جداً. والقول بأنَّها منسوخةٌ مرويٌّ عن ابن عباس من غير هذا الطريق، ومجاهد، وقتادة والضحاك، وأبي صالح. ذكره ابن جرير ٢٥/ ١٤٤ ـ ١٤٥.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾



﴿١٦﴾ ﴿**ورزقناهم من الطيبات**﴾ أَيْ: المنِّ والسَّلوىٰ.

﴿١٧﴾ ﴿**وآتيناهم بينات من الأمر**﴾ يعني: أحكام التَّوراة، وبيان أمر النبيِّ عليه السَّلام ﴿**فما اختلفوا**﴾ في نبوَّته ﴿**إلَّا من بعد ما جاءهم العلم**﴾ يعني: ما علموه من شأنه. ﴿**بغياً بينهم**﴾ حسداً منهم له.

﴿١٨﴾ ﴿**ثم جعلناك على شريعة**﴾ مذهبٍ وملَّةٍ ﴿**من الأمر**﴾ من الدِّين ﴿**فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون**﴾ مراد الكافرين.

﴿١٩﴾ ﴿**إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً**﴾ لن يدفعوا عنك عذاب الله إن اتَّبعت أهواءهم.

﴿٢٠﴾ ﴿**هـذا**﴾ إشـارةٌ إلـى القرآن ﴿**بصـائر**﴾ معـالـم ﴿**للناس**﴾ فـي الحـدود والأحكـام يبصرون بها.

﴿٢١﴾ ﴿**أم حسب الذين اجترحوا السيئات**﴾ اكتسبوا الكفر والمعاصي ﴿**أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم**﴾ مُستوياً حياتهم وموتهم، أَيْ: المؤمنُ مؤمنٌ حياً وميتاً، والكافر كافرٌ حياً وميتاً، فلا يستويان ﴿**ساء ما يحكمون**﴾ بئس ما يقضون إذ حسبوا أنَّهم كالمؤمنين. نزلت هذه الآية حين قال المشركون: لئن كان ما تقولون حقاً لنفضلنَّ عليكم في الآخرة، كما فضلنا عليكم في الدُّنيا.

وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾

﴿٢٣﴾ **﴿أفرأيت من اتخذ إلّهه هواه﴾** أَيْ: الكافر اتَّخذ دينه ما يهواه، فلا يهوىٰ شيئاً إلاَّ ركبه. **﴿وأضله الله على علم﴾** علىٰ ما سبق في علمه قبل أن يخلقه [أنَّه ضالٌّ][1]. وباقي الآية مُفسَّر في أوَّل سورة البقرة[2].

﴿٢٤﴾ **﴿وقالوا﴾** يعني: منكري البعث: **﴿ما هي إلاَّ حياتنا الدنيا﴾** أَيْ: ما الحياة إلاَّ هذه الحياة في دار الدُّنيا **﴿نموت﴾** نحن **﴿ونحيا﴾** أولادنا **﴿وما يهلكنا إلاَّ الدهر﴾** أَيْ: ما يفنينا إلاَّ مرُّ الزَّمان[3]. **﴿وما لهم بذلك من علم﴾** أَيْ: الذين يقولون. **﴿إن هم إلاَّ يظنون﴾** ما هم إلاَّ ظانِّين ما يقولون.

﴿٢٥﴾ **﴿وإذا تتلىٰ عليهم آياتنا﴾** أدلَّتنا في قدرتنا على البعث **﴿بينات﴾** واضحاتٍ **﴿ما كان حجَّتهم إلاَّ أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين﴾** أنَّا نُبعث بعد الموت. وقوله:

---

(١) زيادة من عا و ظا.

(٢) انظر ص ٩١.

(٣) أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله عزَّ وجلَّ: «يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أُقلِّب الليل والنهار».
فتح الباري ٨/ ٥٧٤؛ وصحيح مسلم كتاب الأدب برقم ٢٢٤٦؛ وأخرجه أيضاً النسائي في تفسيره ٢/ ٢٨٣.
وأخرجه ابن جرير ٢٥/ ١٥٢ بهذا الإسناد عن النبيِّ ﷺ قال: كان أهل الجاهلية يقولون: إنَّما يهلكنا اللَّيل والنهار، وهو الذي يهلكنا ويميتنا ويحيينا، فقال الله في كتابه: ﴿وقالوا ما هي إلاَّ حياتنا الدنيا نموتُ ونحيا وما يهلكنا إلاَّ الدهر﴾ قال فيسبون الدهر، فقال الله تبارك تعالىٰ: «يؤذيني ابن آدم يسبُّ الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أُقلِّب الليل والنهار».

قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

---

(٢٦) ﴿ثمَّ يجمعكم إلى يوم القيامة﴾ أَيْ: مع ذلك اليوم.

(٢٨) ﴿وترىٰ كلَّ أمة﴾ كلَّ أهلِ دينٍ ﴿جاثية﴾ مُجتمعةً للحساب. وقيل: جالسةً على الرُّكَب من هول ذلك اليوم.

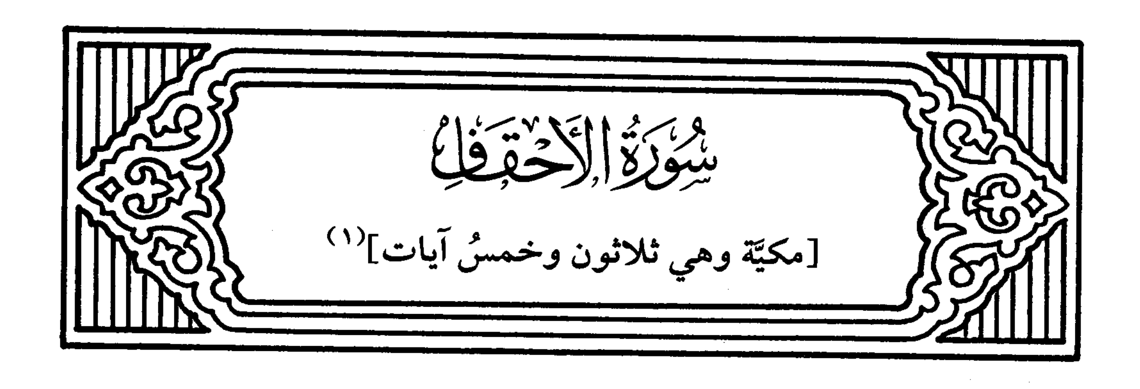
(٢٩) ﴿هذا كتابنا ينطق﴾ أَيْ: ديوان الحفظة ﴿إنا كنا نَستنسِخُ﴾ نأمر بنسخ ﴿ما كنتم تعملون﴾.

(٣٤) ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾ نترككم في العذاب كما تركتم الإيمان والعمل ليومكم هذا. وقوله:

(٣٥) ﴿ولا هم يستعتبون﴾ أَيْ: لا يُلتمس منهم عمل ولا طاعة.

(٣٧) ﴿وله الكبرياء﴾ العظمة ﴿في السموات والأرض﴾ أَيْ: إنَّه يُعظَّم بالعبادة في السموات والأرض ﴿وهو العزيز الحكيم﴾.

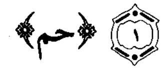
● ● ●

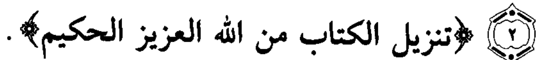


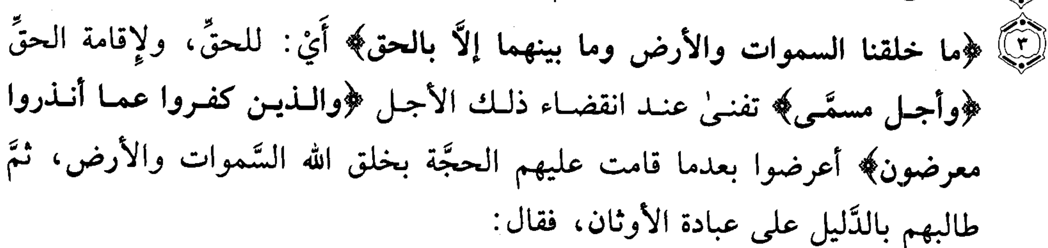
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ۖ ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾


(١) ﴿حم﴾


(٢) ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾.


(٣) ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلاَّ بالحق﴾ أيْ: للحقِّ، ولإقامة الحقِّ ﴿وأجل مسمَّى﴾ تفنىٰ عند انقضاء ذلك الأجل ﴿والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ أعرضوا بعدما قامت عليهم الحجَّة بخلق الله السَّموات والأرض، ثمَّ طالبهم بالدَّليل على عبادة الأوثان، فقال:

(٤) ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات﴾ أيْ: مشاركةٌ مع الله في خلقهما لذلك أشركتموهم في عبادته ﴿إيتوني بكتاب من قبل هذا﴾ [أيْ: من قَبْلِ](2) القرآن فيه بيان ما تقولون ﴿أو أثارة من

---

(١) زيادة من ظا، وهي مُوافقةٌ لما في المصحف.

(٢) زيادة من ظا.

أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

علم﴾ روايةٍ عن الأنبياء أنَّهم أَمروا بعبادة غير الله، فلمَّا قامت عليهم الحجَّة جعلهم أضلَّ الخلق، فقال:

﴿٥﴾ **﴿ومَنْ أضلُّ ممن يدعو من دون الله مَنْ لا يستجيب له إلى يوم القيامة...﴾** أيْ: أبداً. الآية.

﴿٦﴾ **﴿وإذا حشر الناس كانوا لهم أعداءً﴾** عادوا معبوديهم؛ لأنَّهم بسببهم وقعوا في الهلكة، وجحد المعبودون عبادتهم، وهو قوله: **﴿وكانوا بعبادتهم كافرين﴾** كقوله: ﴿تبرَّأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون﴾[1]. وقوله:

﴿٨﴾ **﴿قل إن افتريته فلا تملكون لي من الله شيئاً﴾** أيْ: إنْ عذَّبني على افترائي لم تملكوا دفعه، وإذا كنتم كذلك لم أفتر على الله من أجلكم **﴿هو أعلم بما تفيضون فيه﴾** تخوضون فيه من الإفك. **﴿وهو الغفور﴾** لمَنْ تاب **﴿الرحيم﴾** به.

﴿٩﴾ **﴿قل ما كنت بدعاً﴾** بديعاً **﴿من الرسل﴾** أيْ: لستُ بأوَّل مرسل فتنكروا نبوَّتي، **﴿وما أدري ما يفعل بي﴾** إلى إيش يصير أمري معكم، أتقتلونني أم تخرجونني **﴿ولا بكم﴾** أتُعذَّبون بالخسف أم الحجارة، والمعنىٰ: ما أدري إلى ماذا يصير أمري وأمركم في الدُّنيا.

(١) سورة القصص: الآية ٦٣.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ

﴿١٠﴾ ﴿قل أرأيتم إن كان﴾ القرآن ﴿من عند الله وكفرتم به وشهد شاهدٌ من بني إسرائيل﴾ يعني: عبد الله بن سلام ﴿على مثله﴾ على مثل ما شهد عليه القرآن من تصديق محمَّد عليه السَّلام ﴿فآمن﴾ ذلك الرَّجل ﴿واستكبرتم﴾ عن الإيمان.

﴿١١﴾ ﴿وقال الذين كفروا﴾ من اليهود: ﴿لو كان﴾ دين محمَّدٍ ﴿خيراً ما سبقونا إليه﴾ يعنون: عبد الله بن سلام وأصحابه ﴿وإذ لم يهتدوا به﴾ بالقرآن كما اهتدىٰ به أهل الإيمان ﴿فسيقولون هذا إفكٌ قديم﴾ كما قالوا: أساطير الأوَّلين.

﴿١٢﴾ ﴿ومن قبله﴾ ومن قبل القرآن ﴿كتاب موسىٰ﴾ التَّوراة ﴿إماماً ورحمة وهذا كتاب﴾ أَيْ: القرآن ﴿مصدق﴾ أَيْ: مصدِّقٌ لما بين يديه لما تقدَّم من الكتب ﴿لساناً عربياً﴾ نصب على الحال. وقوله:

﴿١٥﴾ ﴿حملته أمه كرهاً﴾ على مشقَّةٍ ﴿ووضعته كرهاً﴾ أَيْ: على مشقَّةٍ ﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾ أقلُّ الحمل ستة أشهر، والفِصال: الفِطام، ويكون ذلك بعد حولين ﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ غاية شبابه، وهي ثلاثٌ وثلاثون سنةً ﴿وبلغ أربعين سنةً قال: ربِّ أوزعني...﴾ الآية. نزلت في أبي بكر رضي الله عنه، وذلك أنَّه لمَّا بلغ أربعين سنةً آمن بالنبيِّ ﷺ، وآمن أبواه، فذلك قوله: ﴿أن أشكر نعمتك التي

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

أنعمت عليَّ وعلي والدي﴾ أَيْ: بالإِيمان **﴿وأصلح لي في ذريتي﴾** بأن تجعلهم مؤمنين، فاستجاب الله له في أولاده فأسلموا، ولم يكن أحدٌ من الصَّحابة أسلم هو وأبواه وبنوه وبناته إلاَّ أبو بكر رضي الله عنه.

(١٧) **﴿والذي قال لوالديه﴾** نزلت في كافرٍ عاقٍّ قال لوالديه: **﴿أَتَعِدانني أن أخرج﴾** من قبري حيّاً **﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾** فلم يُبعث منهم أحدٌ **﴿وهما يستغيثان الله﴾** يعني: والديه يستغيثان بالله على إيمان ولدهما، ويقولان له: **﴿ويلك آمن إنَّ وعد الله حق فيقول: ما هذا﴾** الذي تدعونني إليه **﴿إلاَّ أساطير الأولين﴾**.

(١٨) **﴿أولئك الذين﴾** أَيْ: مَنْ كان بهذه الصِّفة فهم الذين **﴿حق عليهم القول﴾** وجب عليهم العذاب **﴿في أمم﴾** كافرةٍ. **﴿من الجن والإِنس﴾**.

(١٩) **﴿ولكلٍّ﴾** من المؤمنين والكافرين **﴿درجات﴾** منازل ومراتب من الثَّواب والعقاب **﴿ممَّا عملوا﴾**.

(٢٠) **﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾** فيقال لهم: **﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾** وذلك أنَّهم يفعلون ما يشتهون، لا يَتَوَقَّوْن حراماً، ولا يجتنبون مأثماً **﴿فاليوم تجزون عذاب الهون﴾** الهوان. الآية.

۞ وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾

﴿٢١﴾ **﴿واذكر أخا عاد﴾** يعني: هوداً **﴿إذ أنذر قومه بالأحقاف﴾** أَيْ: منازلهم **﴿وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه﴾** أَيْ: قد أُنذروا بالعذاب أنْ عَبَدوا غيرَ الله قبل إنذار هود وبعده.

﴿٢٢﴾ **﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾** لتصرفنا **﴿عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا﴾** من العذاب **﴿إن كنت من الصادقين﴾**.

﴿٢٣﴾ **﴿قال: إنما العلم عند الله﴾** هو يعلم متىٰ يأتيكم العذاب، **﴿و﴾** إنما أنا مُبلِّغٌ **﴿أبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾** مراشدكم حين أدلُّكم على الرَّشاد وأنتم تُعرضون.

﴿٢٤﴾ **﴿فلما رأوه﴾** أَيْ: السَّحاب **﴿عارضاً﴾** قد عرض في السماء **﴿مستقبل أوديتهم﴾** يأتي من قبلها. **﴿قالوا هذا عارض ممطرنا﴾** سحابٌ يمطر علينا. قال الله تعالىٰ: **﴿بل هو ما استعجلتم به﴾** من العذاب.

﴿٢٥﴾ **﴿تدمّر﴾** تُهلك **﴿كلَّ شيء﴾** مرَّت به من الرِّجال والدَّوابِّ. **﴿فأصبحوا لا يُرىٰ﴾** أشخاصهم **﴿إلَّا مساكنهم﴾** لأنَّ الرِّيح أهلكتهم وفرَّقتهم، وبقيت مساكنهم خالية.

﴿٢٦﴾ **﴿ولقد مكّناهم﴾** من القوَّة والعمر والمال **﴿فيما إن مكّناكم فيه﴾** في الذي ما مكَّنَّاكم فيه.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَـٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَـٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَـٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾

﴿٢٧﴾ ﴿ولقد أهلكنا ما حولكم﴾ يا أهل مكَّة ﴿من القرىٰ﴾ كحجر ثمود وقرىٰ قوم لوط ﴿وصرَّفنا الآيات﴾ بيَّنا الدِّلالات ﴿لعلهم يرجعون﴾ عن كفرهم. يعني: الأمم المهلكة.

﴿٢٨﴾ ﴿فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهةً﴾ يعني: أوثانهم الذين اتَّخذوها آلهةً يتقرَّبون بها إلى الله. ﴿بل ضلوا عنهم﴾ بطلوا عند نزول العذاب ﴿وذلك إفكهم﴾ أيْ: كذبهم وكفرهم. يعني: قولهم: إنَّها تُقرِّبنا إلى الله.

الجزء السادس والعشرون:

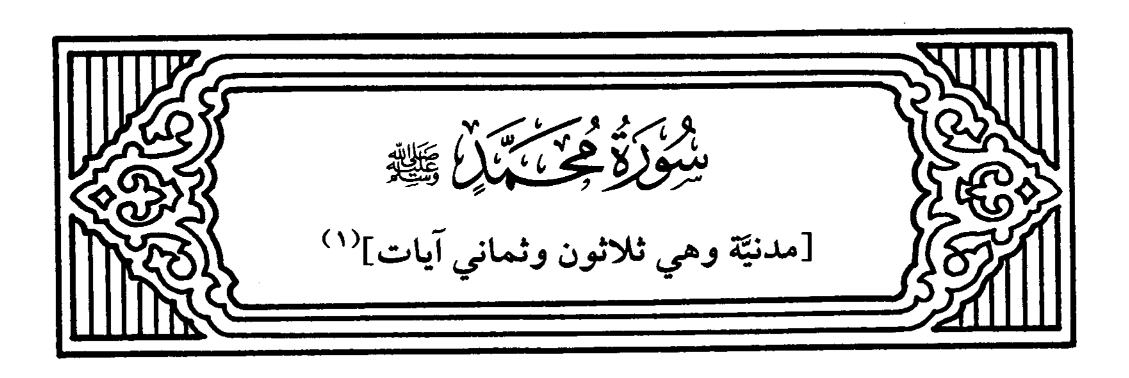
﴿٢٩﴾ ﴿وإذْ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾ كانوا تسعة نفرٍ من الجنِّ من نينوىٰ من أرض الموصل، وذلك أنَّه عليه السَّلام أُمر أن يُنذر الجنَّ، فصرف إليه نفرٌ منهم ليتسمعوا ويبلِّغوا قومهم. ﴿فلما حضروه﴾ قال بعضهم لبعض: ﴿أنصتوا﴾ أيْ: اسكتوا ﴿فلما قضي﴾ أيْ: فرغ من تلاوة القرآن رجعوا ﴿إلى قومهم منذرين﴾؛ وقالوا لهم ما قصَّ الله في كتابه. وقوله:

﴿٣٣﴾ ﴿ولم يعي بخلقهن﴾ أيْ: لم يضعف عن إبداعهنَّ.

فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسۡتَعۡجِل لَّهُمۡۚ كَأَنَّهُمۡ يَوۡمَ يَرَوۡنَ مَا يُوعَدُونَ لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارِۭۚ بَلَٰغٞۚ فَهَلۡ يُهۡلَكُ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿٣٥﴾ **﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾** أَيْ: ذوو الرَّأي والجدِّ، وكلّهم أولو العزم إلَّا يونس. وقيل: هم أصحاب الشَّرائع نوح، وإبراهيم، وموسىٰ، وعيسىٰ، ومحمد منهم صلى الله عليهم أجمعين. **﴿ولا تستعجل لهم﴾** العذاب **﴿كأنهم يوم يرون ما يوعدون﴾** من العذاب في الآخرة **﴿لم يلبثوا﴾** في الدُّنيا **﴿إلَّا ساعة من نهار﴾** لهولِ ما عاينوا، ونسوا قدر مكثهم في الدُّنيا. **﴿بلاغ﴾** أَيْ: هذا القرآن بلاغٌ، أَيْ: تبْليغٌ من الله تعالىٰ إليكم على لسان محمَّد عليه السَّلام **﴿فهل يهلك إلَّا القوم الفاسقون﴾** أَيْ: لا يُهلك مع رحمة الله وتفضُّله إلَّا الكافرون.

• • •



سورة محمد ﷺ

[مدنيّة وهي ثلاثون وثماني آيات](١)

بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿الذين كفروا﴾ أهل مكّة ﴿وصدوا عن سبيل الله﴾ ومنعوا النّاس عن الإيمان بمحمَّدٍ ﷺ ﴿أضلَّ أعمالهم﴾ أحبطها، فلا يرون في الآخرة لها جزاءً. وقوله:

﴿٢﴾ ﴿كفَّر عنهم سيئاتهم﴾ أَيْ: سترها وغفرها لهم ﴿وأصلح بالهم﴾ أمرهم وحالهم.

﴿٣﴾ ﴿ذلك﴾ الإضلال والتّكفير لاتّباع الكافرين الباطل، وهو الشّيطان، واتّباع المؤمنين الحقَّ، وهو القرآن. ﴿كذلك يضرب الله للناس أمثالهم﴾ أَيْ: كالبيان الذي ذُكر يُبيِّن الله للنَّاس أمثال سيئات الكافرين وحسنات المؤمنين.

﴿٤﴾ ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾ فاضربوا رقابهم، أَيْ: فاقتلوهم ﴿حتىٰ إذا أثخنتموهم﴾ أكثرتم فيهم القتل ﴿فشدوا﴾ وثاق الأسارىٰ حتىٰ لا يفلتوا منكم

---

(١) زيادة من ظا، وهي توافق ما في المصحف.

ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ۞ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟

﴿فإمَّا منّاً بعد﴾ أَيْ: بعد أن تأسروهم؛ إمَّا مننتم عليهم فأطلقتموهم؛ وإمَّا أن تُفادوهم بمالٍ ﴿حتىٰ تَضعَ الحرب أوزارها﴾ أَيْ: اقتلوهم وأسروهم حتىٰ لا يبقىٰ كافرٌ يقاتلكم، فتسكن الحرب وتنقطع، وهو معنىٰ قوله: ﴿تضع الحرب أوزارها﴾ أَيْ: يضع أهلها آلة الحرب من السِّلاح وغيره، ويدخلوا في الإِسلام أو الذِّمَّة. ﴿ذلك﴾ أَيْ: افعلوا ذلك الذي ذكرت ﴿ولو يشاء الله لانتصر منهم﴾ أهلكهم بغير قتالٍ ﴿ولكن ليبلو بعضكم ببعض﴾ يمحِّص المؤمنين بالجهاد، ويمحق الكافرين ﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾ وهم أهل الجهاد.

﴿٥﴾ ﴿سيهديهم﴾ في الدُّنيا إلى الطَّاعات، وفي الآخرة إلى الدَّرجات ﴿ويصلح بالهم﴾ أمر معاشهم.

﴿٦﴾ ﴿ويدخلهم الجنة عرَّفها لهم﴾ بيَّن لهم مساكنهم فيها، وعرَّفهم منازلهم.

﴿٧﴾ ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله﴾ أَيْ: رسوله ودينه ﴿ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ في مواطن القتال.

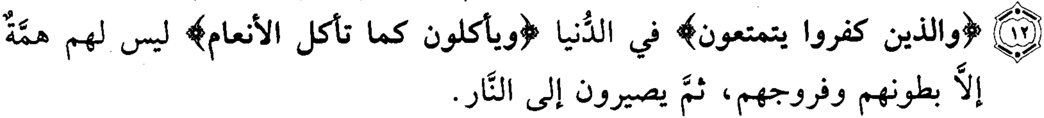
﴿٨﴾ ﴿والذين كفروا فتعساً لهم﴾ أَيْ: سقوطاً وهلاكاً ﴿وأضلَّ أعمالهم﴾ أبطلها؛ لأنَّها كانت للشَّيطان، ثمَّ توعَّدهم فقال:

﴿١٠﴾ ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمَّر الله عليهم وللكافرين أمثالها﴾ أَيْ: أمثال تلك العاقبة التي كانت لمَنْ قبلهم.

﴿١١﴾ ﴿ذلك﴾ أَيْ: ذلك النَّصر للمؤمنين والهلاك للكافرين ﴿بأنَّ الله مولىٰ الذين آمنوا﴾

وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴿١١﴾ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ كَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾

وليُّهم وناصرهم ﴿وأن الكافرين لا مولىٰ لهم﴾ لا وليَّ لهم ينصرهم من الله.



﴿١٢﴾ **﴿والذين كفروا يتمتعون﴾** في الدُّنيا **﴿ويأكلون كما تأكل الأنعام﴾** ليس لهم همَّةٌ إلَّا بطونهم وفروجهم، ثمَّ يصيرون إلى النَّار.

﴿١٣﴾ **﴿وكأين من قرية هي أشدُّ قوة من قريتك التي أخرجتك﴾** يعني: مكَّة، أخرجك أهلها **﴿أهلكناهم﴾** بتكذيبهم الرُّسل **﴿فلا ناصر لهم﴾**.

﴿١٤﴾ **﴿أفمن كان علىٰ بينة من ربه﴾** وهم النبيُّ ﷺ والمؤمنون **﴿كَمَنْ زين له سوء عمله واتبعوا أهواءهم﴾** وهم أبو جهل والكفَّار.

﴿١٥﴾ **﴿مثل﴾** صفة **﴿الجنَّة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماءٍ غير آسن﴾** غير متغيِّرِ الرَّائحة **﴿وأنهار من خمر لذة للشاربين﴾** لذيذة.

﴿١٦﴾ **﴿ومنهم مَنْ يستمع إليك﴾** يعني: المنافقين **﴿حتىٰ إذا خرجوا من عندك﴾** كانوا يستمعون خطبة رسول الله ﷺ، وإذا خرجوا سألوا أصحاب رسول الله ﷺ استهزاءً وإعلاماً أنَّهم لم يلتفتوا إلى ما قال، يقولون: **﴿ماذا قال آنفاً﴾** أيْ: الآن. وقوله:

﴿١٧﴾ **﴿وآتاهم تقواهم﴾** أيْ: ثواب تقواهم، ويجوز أن يكون المعنىٰ: وألهمهم تقواهم ووفَّقهم لها.

فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾

﴿١٨﴾ **﴿فهل ينظرون﴾** ينتظرون **﴿إلاَّ الساعة﴾** القيامة **﴿أن تأتيهم بغتة﴾** أَيْ: هم في الحقيقة كذلك؛ لأنَّه ليس الأمر إلاَّ أن تقوم عليهم السَّاعة بغتةً **﴿فقد جاء أشراطها﴾** علاماتها من بعث محمد ﷺ وغيره **﴿فأنىٰ لهم إذا جاءتهم﴾** السَّاعة **﴿ذكراهم﴾** أَيْ: فمن أين لهم أن يتذكَّروا أو يتوبوا بعد مجيء السَّاعة.

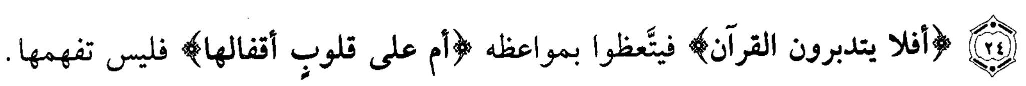
﴿١٩﴾ **﴿فاعلم أنه لا إله إلاَّ الله﴾** أَيْ: فاثبت على ذلك من علمك. **﴿والله يعلم متقلبكم﴾** مُتصرَّفكم في أعمالكم وأشغالكم. وقيل: مُتقلَّبكم من الأصلاب إلى الأرحام. **﴿ومثواكم﴾** مرجعكم في الدُّنيا والآخرة.

﴿٢٠﴾ **﴿ويقول الذين آمنوا﴾** حرصاً منهم على الوحي إذا استبطؤوه: **﴿لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة﴾** غير منسوخةٍ **﴿وذكر فيها﴾** فُرِضَ **﴿القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض﴾** أَيْ: المنافقين **﴿ينظرون إليك﴾** شزراً **﴿نظر المغشي عليه من الموت﴾** كنظر مَنْ وقع في سكرات الموت، كراهة منهم للقتال. **﴿فأولىٰ لهم﴾**.

﴿٢١﴾ **﴿طاعة وقول معروف﴾** أَيْ: لو أطاعوا وقالوا لك قولاً حسناً كان ذلك أولىٰ. **﴿فإذا عزم الأمر﴾** أَيْ: جدَّ الأمرُ ولزم فرض القتال **﴿فلو صدقوا الله﴾** في الإيمان والطَّاعة **﴿لكان خيراً لهم﴾**.

﴿٢٢﴾ **﴿فهل عسيتم إن توليتم﴾** أَيْ: لعلَّكم إن أعرضتم عمَّا جاء به محمد عليه السَّلام أن تعودوا إلى أمر الجاهليَّة، فيقتل بعضكم بعضاً، وهو قوله: **﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾** أَيْ: بالبغي والظُّلم والقتل.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾



(٢٤) ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ فيتَّعظوا بمواعظه ﴿**أم على قلوبٍ أقفالها**﴾ فليس تفهمها.

(٢٥) ﴿**إنَّ الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدىٰ**﴾ يعني: كفَّار أهل الكتاب كفروا بمحمدٍ ﷺ وهم يعرفونه ﴿**الشيطان سوَّل لهم**﴾ زيَّن لهم ﴿**وأملىٰ لهم**﴾ أطال لهم الأمل.

(٢٦) ﴿**ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزَّل الله**﴾ يعني: المشركين ﴿**سنطيعكم في بعض الأمر**﴾ في التَّظاهر على عداوة محمَّد ﷺ.

(٢٧) ﴿**فكيف**﴾ أَيْ: فكيف يكون حالهم ﴿**إذا توفتهم الملائكة**﴾.

(٢٩) ﴿**أم حسب الذين في قلوبهم مرض**﴾ وهم المنافقون ﴿**أن لن يخرج الله أضغانهم**﴾ لن يظهر الله أحقادهم علىٰ النبيِّ ﷺ والمؤمنين.

(٣٠) ﴿**ولو نشاء لأريناكهم**﴾ لعرَّفناكهم ﴿**فلعرفتهم بسيماهم**﴾ بعلامتهم ﴿**ولتعرفنهم في لحن القول**﴾ في معنىٰ كلامهم إذا تكلَّموا معك.

(٣١) ﴿**ولنبلونكم**﴾ بالجهاد ﴿**حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**﴾ العلم الذي يقع به الجزاء ﴿**ونبلو أخباركم**﴾ أَيْ: ونكشف ما تُسرُّون.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٣٢﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٞ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ وَإِن تُؤۡمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤۡتِكُمۡ أُجُورَكُمۡ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ﴿٣٦﴾ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُ

﴿٣٢﴾ ﴿إنَّ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله...﴾ الآية. يعني: المُطعمين من أصحاب بدرٍ[1]. وقوله:

﴿٣٣﴾ ﴿ولا تبطلوا أعمالكم﴾ أَيْ: بالمنِّ على رسول الله ﷺ بإسلامكم.

﴿٣٥﴾ ﴿وتدعوا إلى السلم﴾ أَيْ: لا توادعوهم ولا تتركوا قتالهم حتىٰ يُسلموا؛ لأنَّكم الأعلون، ولا ضعف بكم فتدعوا إلى الصُّلح ﴿والله معكم﴾ بالنُّصرة ﴿ولن يتركم أعمالكم﴾ لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم. وقوله:

﴿٣٦﴾ ﴿ولا يسألكم أموالكم﴾ أَيْ: لا يسألكم محمَّد عليه السَّلام أموالكم أجراً على تبليغ الرِّسالة.

﴿٣٧﴾ ﴿إن يسألكموها فيحفكم﴾ يجهدكم بالمسألة ﴿تبخلوا ويخرج أضغانكم﴾ ويظهر عداوتكم؛ لأنَّ في مسألة المال ظهور العداوة والحقد.

﴿٣٨﴾ ﴿ها أنتم هؤلاء﴾ يا هؤلاء ﴿تدعون لتنفقوا في سبيل الله فمنكم مَنْ يبخل﴾

---

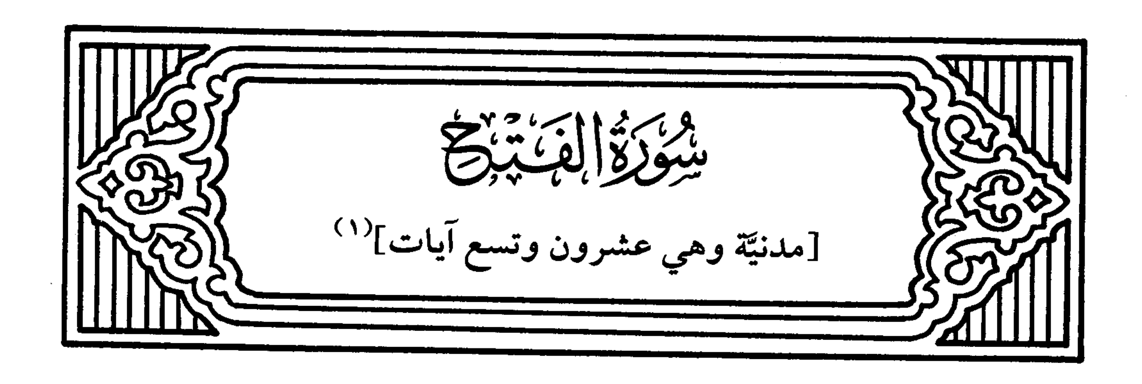
(١) وهم أبو جهل نحر عشراً، وأميَّة بن خلف نحر تسعاً، وسهيل بن عمرو نحر عشراً، وشيبة بن ربيعة نحر تسعاً، وعتبة بن ربيعة نحر عشراً، ومُنبِّه ونبيه ابنا الحجاج نحرا عشراً، والعباس بن عبد المطلب نحر عشراً، وأبو البختري نحر عشراً. المحبَّر لابن حبيب ص ١٦١ ــ ١٦٢.

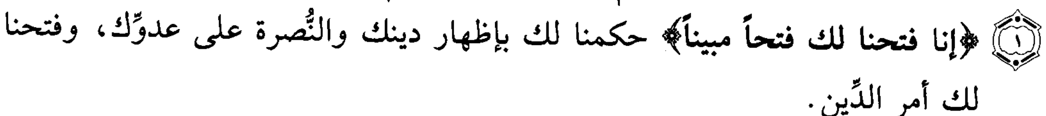
وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾

بالصَّدقة ﴿ومَنْ يبخل فإنما يبخل عن نفسه﴾ لأنَّ له ثواب ما أعطي، فإذا لم يعط لم يستحقَّ الثَّواب ﴿والله الغنيُّ﴾ عن صدقاتكم ﴿وأنتم الفقراء﴾ إليها في الآخرة ﴿وإن تتولوا﴾ عن الرَّسول ﴿يستبدل قوماً غيركم﴾ أطوع منكم، وهم فارس ﴿ثم لا يكونوا﴾ في الطَّاعة ﴿أمثالكم﴾ بل يكونوا أطوع منكم، وهذا الخطاب للعرب.

[اللهم يسّر علينا كلَّ عسير]

• • •





﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً﴾ حكمنا لك بإظهار دينك والنُّصرة على عدوِّك، وفتحنا لك أمر الدِّين.

(٢) ﴿ليغفر لك الله ما تقدَّم من ذنبك﴾ ما عملت في الجاهليَّة ﴿وما تأخَّر﴾ ممَّا لم تعمله(٢) وقيل: ما تقدَّم من ذنبك، يعني: ذنب أبويك آدم وحوَّاء ببركتك، وما تأخَّر من ذنوب أُمَّتك بدعوتك. ﴿ويتم نعمته عليك﴾ بالنُّبوَّة والحكمة ﴿ويهديك صراطاً مستقيماً﴾ أَيْ: يُثبِّتك عليه.

(٣) ﴿وينصرك الله نصراً عزيزاً﴾ ذا عزٍّ لا يقع معه ذلٌّ.

---

(١) زيادة من ظا، وهي توافق ما في المصحف.

(٢) عن المغيرة بن شعبة قال: قام النَّبيُّ ﷺ حتىٰ تورَّمت قدماه، فقيل له: غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر. قال: أفلا أكون عبداً شكوراً. أخرجه البخاري في التفسير ٨/٥٨٤؛ ومسلم في كتاب المنافقين، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة برقم ٢٨١٩؛ والنسائي في تفسيره ٢/٣٠٣.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ

﴿٤﴾ **﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾** اليقين والطُّمأنينة **﴿ليزدادوا إيماناً﴾** بشرائع الدِّين **﴿مع إيمانهم﴾** تصديقهم بالله وبرسوله. وقوله:

﴿٦﴾ **﴿الظانين بالله ظنَّ السوء﴾** يظنُّون أن لن ينصر الله محمَّداً والمؤمنين **﴿عليهم دائرة السوء﴾** بالذُّلِّ والعذاب، أَيْ: عليهم يدور الهلاك والخزي.

﴿٨﴾ **﴿إنَّا أرسلناك شاهداً﴾** على أُمَّتك يوم القيامة **﴿ومبشراً﴾** بالجنَّة مَنْ عمل خيراً **﴿ونذيراً﴾** منذراً بالنَّار مَنْ عمل سوءً.

﴿٩﴾ **﴿وتعزروه﴾** أَيْ: تنصروه **﴿وتوقروه﴾** وتعظِّموه.

﴿١٠﴾ **﴿إنَّ الذين يبايعونك﴾** بالحديبية **﴿إنما يبايعون الله﴾** أَيْ: أخذك عليهم البيعة عقدُ الله عليهم. **﴿يد الله فوق أيديهم﴾** نعمة الله عليهم فوق ما صنعوا من البيعة. **﴿فمن نكث﴾** نقض البيعة **﴿فإنما ينكث على نفسه﴾** فإنما يضرُّ نفسه بذلك النَّكث.

﴿١١﴾ **﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب...﴾** الآية. لمَّا أراد رسول الله ﷺ المسير إلى مكَّة عام الحديبية استنفر مَنْ حول المدينة من الأعراب حذراً من قريش أن

شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ

يعرضوا له بحرب، فتثاقلوا عنه وخافوا قريشاً على رسول الله ﷺ وعلى أنفسهم، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿**سيقول لك المخلفون**﴾ الذين خلَّفهم الله عن صحبتك إذا انصرفت إليهم فعاتبتهم عن التَّخلُّف: ﴿**شغلتنا**﴾ عن الخروج معك ﴿**أموالنا وأهلونا**﴾ أَيْ: ليس لنا مَنْ يقوم فيها إذا خرجنا ﴿**فاستغفر لنا**﴾ تركنا الخروج معك، ثمَّ كذَّبهم الله تعالىٰ في ذلك العذر، فقال: ﴿**يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم...**﴾ الآية.

﴿١٢﴾ ﴿**بل ظننتم أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً**﴾ وذلك أنَّهم قالوا: إنَّ محمداً وأصحابه أكلة رأس [أَيْ: قليلو العدد][1]، وأنَّهم لا يرجعون من هذا الوجه أبداً، فقال الله تعالىٰ: ﴿**وظننتم ظنَّ السوء وكنتم قوماً بُوْراً**﴾ هالكين عند الله تعالىٰ بهذا الظَّنِّ.

﴿١٥﴾ ﴿**سيقول المخلفون**﴾ يعني: هؤلاء: ﴿**إذا انطلقتم إلى مغانم**﴾ يعني: غنائم خيبر ﴿**ذرونا نتبعكم**﴾ إلى خيبر فنشهد معكم. ﴿**يريدون أن يبدلوا كلام الله**﴾ يغيِّروا وعد الله الذي وعد أهل الحديبية، وذلك أنَّ الله تعالىٰ حكم لهم بغنائم خيبر دون غيرهم. ﴿**قل لن تتبعونا**﴾ إلى خيبر ﴿**كذلكم قال الله من قبل**﴾ [أَيْ: من قبل][2]

---

(١) زيادة من عا. (٢) زيادة من ظا.

فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾

مرجعنا إليكم، إنَّ غنيمة خيبر لِمَنْ شهد الحديبية دون غيرهم **﴿فسيقولون بل تحسدوننا﴾** أن نصيب معكم من الغنائم.

(١٦) **﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم﴾** إلى قتال قوم **﴿أولي بأس شديد﴾** وهم فارس والرُّوم. وقيل: بنو حنيفة أصحاب اليمامة. **﴿تقاتلونهم أو يسلمون﴾** يعني: أو هم يسلمون [أصحاب مسيلمة الكذاب][1] فيترك قتالهم **﴿فإن تطيعوا﴾** مَنْ دعاكم إلى قتالهم **﴿يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل﴾** عام الحديبية، يعني: نافقتم وتركتم الجهاد **﴿يعذِّبكم عذاباً أليماً﴾**. ثم ذكر أهل العُذر في التَّخلُّف عن الجهاد فقال:

(١٧) **﴿ليس على الأعمىٰ حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج...﴾** الآية. ثمَّ ذكر خبر مَنْ أخلص نيَّته فقال:

(١٨) **﴿لقد رضي الله عن المؤمنين﴾** وكانوا ألفاً وأربعمائة **﴿إذ يبايعونك﴾** بالحديبية علىٰ أن يناجزوا قريشاً ولا يفرُّوا **﴿تحت الشجرة﴾** يعني: سمرة كانت هنالك، وهذه البيعة تسمَّىٰ بيعة الرِّضوان. **﴿فعلم ما في قلوبهم﴾** من الإخلاص والوفاء **﴿فأنزل﴾** الله **﴿السكينة عليهم﴾** وهي الطُّمأنينة وثلج الصدر بالنُّصرة من الله تعالىٰ لرسوله **﴿وأثابهم فتحاً قريباً﴾** أيْ: فتح خيبر.

---

(١) زيادة من عا و ظا.

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

---

(١٩) ﴿**ومغانم كثيرة يأخذونها**﴾ يعني: عقار خيبر وأموالها.

(٢٠) ﴿**وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها**﴾ وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة، ﴿**فعجَّل لكم هذه**﴾ يعني: خيبر ﴿**وكفَّ أيدي الناس عنكم**﴾ لما خرجوا وخلفوا عيالهم بالمدينة حفظ الله عليهم عيالهم، وقد همَّت اليهود بهم، فقذف الله في قلوبهم الرُّعب، فانصرفوا ﴿**ولتكون**﴾ هزيمتهم وسلامتكم ﴿**آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيماً**﴾ يعني: طريق التَّوكُّل وتفويض الأمر إلى الله سبحانه في كلِّ شيء.

(٢١) ﴿**وأخرىٰ**﴾ أيْ: ومغانم أخرىٰ ﴿**لم تقدروا عليها**﴾ يعني: فارس والرُّوم ﴿**قد أحاط الله بها**﴾ علم أنَّه يفتحها لكم.

(٢٢) ﴿**ولو قاتلكم الذين كفروا**﴾ أيْ: أهل مكَّة لو قاتلوكم عام الحديبية ﴿**لولوا الأدبار**﴾ لانهزموا عنك، ولنصرت عليهم.

(٢٣) ﴿**سنة الله**﴾ كسنَّة الله في النُّصرة لأوليائه.

(٢٤) ﴿**وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة**﴾ مَنَّ الله سبحانه على المؤمنين بما أوقع من صلح الحديبية، فكفَّهم عن القتال بمكَّة، وذكر حُسن عاقبة ذلك في الآية الثَّانية. وقوله: ﴿**من بعد أن أظفركم عليهم**﴾ وذلك أنَّ رجالاً من قريش طافوا بعسكر رسول الله ﷺ ذلك العام ليصيبوا منهم، فأُخذوا وأُتي بهم رسول الله ﷺ فعفا عنهم وخلَّىٰ سبيلهم، وكان ذلك سبب الصُّلح بينهم.

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ

---

(٢٥) **﴿هم الذين كفروا﴾** يعني: أهل مكَّة **﴿وصدوكم عن المسجد الحرام﴾** منعوكم من زيارة البيت **﴿والهدي﴾** ومنعوا الهدي **﴿معكوفاً﴾** محبوساً **﴿أن يبلغ محله﴾** منحره، وكانت سبعين بدنةً. **﴿ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات﴾** بمكَّة **﴿لم تعلموهم أن تطؤوهم﴾** أَيْ: لولا أن تطؤوهم في القتال؛ لأنَّكم لم تعلموهم مؤمنين، وهو قوله: **﴿بغير علم﴾**. **﴿فتصيبكم منهم معرَّة﴾** [كفَّارةٌ و][1] عارٌ وعيبٌ من الكافرين. يقولون: قتلوا أهل دينهم **﴿ليدخل الله في رحمته﴾** دينه الإسلام **﴿مَنْ يشاء﴾** من أهل مكَّة قبل أن يدخلوها **﴿لو تزيلوا﴾** تميَّز عنهم هؤلاء المؤمنون **﴿لعذَّبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً﴾** لأنزلنا بهم ما يكون عذاباً لهم أليماً بأيديكم.

(٢٦) **﴿إذْ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حَمِيَّةَ الجاهلية﴾** حين صدُّوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت **﴿فأنزل الله سكينته على رسوله وعلىٰ المؤمنين﴾** أَيْ: الوقار حين صالحوهم، ولم تأخذهم من الحمية ما أخذهم فيلجُّوا ويقاتلوا. **﴿وألزمهم كلمة التقوىٰ﴾** توحيد الله والإيمان به وبرسوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وقيل: يعني: بسم الله الرحمن الرحيم، أبىٰ المشركون أن يقبلوا هذا لمَّا أراد رسول الله ﷺ أن يكتب كتاب الصُّلح بينهم، وقالوا: اكتب باسمك

---

(١) زيادة من ظ و ظا.

وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهۡلَهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٢٦﴾ لَّقَدۡ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءۡيَا بِٱلۡحَقِّۖ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمۡ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَۖ فَعَلِمَ مَا لَمۡ تَعۡلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴿٢٨﴾

اللَّهم[١]، فقال الله تعالىٰ: **﴿وكانوا أحقَّ بها وأهلها﴾** أَيْ: المؤمنون؛ لأنَّ الله اختارهم للإيمان، وكانوا أحقَّ بكلمة التَّقوىٰ من غيرهم.

﴿٢٧﴾ **﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق...﴾** الآية. كان رسول الله ﷺ رأىٰ في منامه قبل خروجه عام الحديبية كأنَّه وأصحابه يدخلون مكَّة مُحلِّقين ومُقصِّرين غير خائفين، فلمَّا خرج عام الحديبية كانوا قد وطنوا أنفسهم على دخول مكَّة لرؤيا رسول الله ﷺ، فلمَّا صدُّوا عن البيت راب بعضهم ذلك، فأخبر الله تعالىٰ أنَّ تلك الرُّؤيا صادقةٌ، وأنَّهم يدخلونها إن شاء الله آمنين[٢]. وقوله: **﴿فعلم ما لم تعلموا﴾** علم الله تعالىٰ أنَّ الصَّلاح كان في ذاك الصُّلح، ولم تعلموا ذلك. **﴿فجعل من دون ذلك﴾** أَيْ: من دون دخولكم المسجد **﴿فتحاً قريباً﴾** وهو صلح الحديبية، ولم يكن فتحٌ في الإسلام كان أعظم من ذلك؛ لأنَّه دخل في الإسلام في تلك السِّنين مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر. وقيل: يعني: فتح خيبر.

﴿٢٨﴾ **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾** ليجعل دين الحقِّ ظاهراً على سائر الأديان عالياً عليها **﴿وكفىٰ بالله شهيداً﴾** أنَّك مرسلٌ بالحقِّ، ثمَّ حقَّق الله تلك الشَّهادة وبيَّنها، فقال:

---

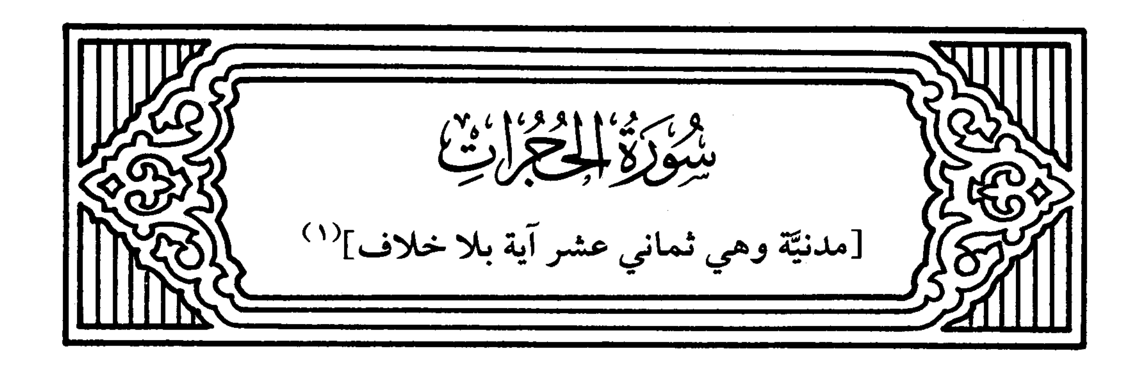
(١) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٧/ ٣٨٥؛ والبخاري في الشروط؛ فتح الباري ٥/ ٣٣١؛ ومسلم برقم ١٧٨٣.

(٢) الحديث أخرجه ابن جرير ٢٦/ ١٠٧ عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن النبي ﷺ مرسلاً. وعبد الرحمن ضعيف.

مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾

﴿٢٩﴾ ﴿**محمد رسول الله والذين معه**﴾ من المؤمنين ﴿**أشداء**﴾ غلاظٌ ﴿**على الكفار رحماء بينهم**﴾ متوادُّون متعاطفون ﴿**تراهم ركعاً سجداً**﴾ في صلواتهم ﴿**يبتغون فضلاً من الله**﴾ أن يدخلهم الجنَّة ﴿**ورضواناً**﴾ أن يرضىٰ عنهم ﴿**سيماهم**﴾ علامتهم ﴿**في وجوههم من أثر السجود**﴾ يعني: نوراً وبياضاً في وجوههم يوم القيامة، يُعرفون بذلك النُّور أنَّهم سجدوا في دار الدُّنيا لله تعالىٰ. ﴿**ذلك مثلهم**﴾ صفة محمَّد ﷺ وأصحابه ﴿**في التوراة، ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه**﴾ فراخه ونباته ﴿**فآزره**﴾ قوَّاه وأعانه، أَيْ: قوَّىٰ الشَّطأ الزَّرع، كما قوَّىٰ أمر محمَّد وأصحابه، والمعنىٰ: أنَّهم يكونون قليلاً ثمَّ يكثرون، وهذا مثل ضربه الله تعالىٰ لنبيِّه عليه السَّلام إذ خرج وحده، فأيَّده بأصحابه كما قوَّىٰ الطَّاقة من الزرع بما ينبت حوله ﴿**فاستغلظ**﴾ فغَلُظَ وقوِيَ. ﴿**فاستوىٰ**﴾ ثمَّ تلاحق نباته وقام على ﴿**سوقه**﴾ جمع ساق ﴿**يعجب الزراع**﴾ بحسن نباته واستوائه ﴿**ليغيظ بهم الكفار**﴾ فعل الله تعالىٰ ذلك بمحمَّد وأصحابه ليغيظ بهم أهل الكفر. ﴿**وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم**﴾ أَيْ: من أصحاب محمد عليه السَّلام ﴿**مغفرة وأجراً عظيماً**﴾.

• • •



سورة الحجرات

[مدنيّة وهي ثماني عشر آية بلا خلاف](١)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ

﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾

(١) ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾ أَيْ: لا تُقدِّموا(٢) خلاف الكتاب والسُّنَّة. وقيل: لا تذبحوا قبل أن يذبح النبيُّ عليه السَّلام في الأضحىٰ. وقيل: لا تصوموا قبل صومه. نزلت في النَّهي عن صوم يوم الشَّكِّ، والمعنىٰ: لا تسبقوا رسول الله ﷺ بشيءٍ حتىٰ يكون هو الذي يأمركم به ﴿**واتقوا الله**﴾ في مخالفة أمره ﴿**إنَّ الله سميع**﴾ لأقوالكم ﴿**عليم**﴾ بأحوالكم.

(٢) ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبيّ**﴾ نزلت في ثابت ابن قيس بن شماس(٣)، وكان جهوريَّ الصَّوت، وربَّما كان يُكلِّم رسول الله ﷺ فينادي بصوته، فأُمروا بغضِّ الصَّوت عند مخاطبته ﴿**ولا تجهروا له بالقول كجهر**

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) هذه عبارة الأصل، وفي البواقي: لا تقولوا.

(٣) أخرج هذا البخاري في التفسير ٨/ ٥٩٠؛ ومسلم في الإيمان برقم ١١٩؛ والنسائي في التفسير ٢/ ٣١٦؛ وابن جرير ٢٦/ ١١٨.

بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ

بعضكم لبعض﴾ لا تُنزِّلوه منزلة بعضكم من بعضٍ، فتقولوا: يا محمد، ولكن خاطبوه بالنبوَّة والسَّكينة والإعظام **﴿أن تحبط أعمالكم﴾** كي لا تبطل حسناتكم **﴿وأنتم لا تشعرون﴾** أنَّ خطابه بالجهر ورفع الصَّوت فوق صوته يُحبط العمل، فلمَّا نزلت هذه الآية خفض أبو بكر وعمر رضي الله عنهما صوتهما، فما كلَّما النبيَّ ﷺ إلاَّ كأخي السِّرار، فأنزل الله تعالىٰ:

﴿٣﴾ **﴿إنَّ الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوىٰ﴾** أَيْ: اختبرها وأخلصها للتَّقوىٰ.

﴿٤﴾ **﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات﴾** نزلت في وفد تميم[١] أتوا رسول الله ﷺ ليفاخروه، فنادوا على الباب: يا محمَّد، اخرج إلينا؛ فإنَّ مدحنا زينٌ وإنَّ ذمنا شينٌ، فقال الله تعالىٰ: **﴿أكثرهم لا يعقلون﴾** أَيْ: إنَّهم جهَّال، ولو عقلوا لما فاخروا رسول الله ﷺ.

﴿٥﴾ **﴿ولو أنَّهم صبروا حتىٰ تخرج إليهم لكان خيراً لهم﴾** من إيذائهم إيَّاك بالنِّداء على بابك **﴿والله غفورٌ رحيم﴾** لِمَنْ تاب منهم.

﴿٦﴾ **﴿يا أيُّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ﴾** نزلت في الوليد بن عقبة[٢] بعثه

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٥٩٠؛ والنسائي في تفسيره ٢/٣١٨؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٦٦؛ وابن جرير ٢٦/ ١٢٢.

(٢) وهذا قول مجاهد في تفسيره ص ٦٠٦؛ وأخرجه أحمد ٤/ ٢٧٩ بسندٍ جيد، وذكره المؤلف في الأسباب ص ٤٥٠؛ وأخرجه ابن جرير ٢٦/ ١٢٣ عن أمِّ سلمة.

فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ

رسول الله ﷺ مُصَدِّقاً إلى قومٍ كانت بينه وبينهم تِرةٌ[1] في الجاهليّة، فخاف أن يأتيهم، وانصرف من الطَّريق إلىٰ رسول الله ﷺ، وقال: إنَّهم منعوا الصَّدقة، وقصدوا قتلي، فذلك قوله: ﴿إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا﴾ أيْ: فاعلموا صدقه من كذبه ﴿أن تصيبوا﴾ لئلا تصيبوا ﴿قوماً بجهالة﴾ وذلك أنَّ رسول الله ﷺ همَّ أن يغزوهم حتىٰ تبيَّن له طاعتهم.

﴿٧﴾ ﴿واعلموا أنَّ فيكم رسول الله﴾ فلا تقولوا الباطل؛ فإنَّ الله يخبره ﴿لو يطيعكم في كثير من الأمر﴾ لو أطاع مثل هذا المخبر الذي أخبره بما لا أصل له ﴿لعنتم﴾ لأثمتم ولهلكتم ﴿ولكنَّ الله حبب إليكم الإيمان﴾ فأنتم تطيعون الله ورسوله، فلا تقعون في العنت، يعني بهذا: المؤمنين المخلصين، ثمَّ أثنى عليهم فقال: ﴿أولئك هم الراشدون﴾.

﴿٨﴾ ﴿فضلاً من الله﴾ أيْ: الفضل من الله عليهم.

﴿٩﴾ ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ نزلت في جمعين من الأنصار كان بينهما قتالٌ بالأيدي والنِّعال ﴿فأصلحوا بينهما﴾ بالدُّعاءِ إلى حكم كتاب الله. فإن بغت إحداهما على الأخرىٰ [أيْ: تعدَّت إحداهما على الأخرى][2] وعدلت عن الحقِّ ﴿فقاتلوا﴾ الباغية حتىٰ ترجع إلى أمر الله في كتابه. ﴿فإن فاءت﴾ رجعت إلى الحقِّ ﴿فأصلحوا بينهما﴾ بحملهما على الإنصاف ﴿وأقسطوا﴾ واعدلوا ﴿إنَّ الله

(١) التِّرة: الثأر.

(٢) زيادة من ظ و ظا.

يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٩ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ

يحب المقسطين﴾.

(١٠) **﴿إنما المؤمنون إخوة﴾** في الدين والولاية **﴿فأصلحوا بين أخويكم﴾** إذا اختلفا واقتتلا **﴿واتقوا الله﴾** في إصلاح ذات البين **﴿لعلكم ترحمون﴾** كي ترحموا به.

(١١) **﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم...﴾** الآية. نهىٰ الله تعالىٰ المؤمنين والمؤمنات أن يسخر بعضهم من بعض **﴿عسىٰ أن يكونوا﴾** أيْ: المسخور منه **﴿خيراً منهم﴾** من السَّاخر، ومعنى السُّخرية ها هنا الازدراء والاحتقار. **﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾** لا يعب بعضكم بعضاً **﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾** وهو أن يُدعىٰ الرَّجل بلقبٍ يكرهه، نهى الله تعالىٰ عن ذلك[١]. **﴿بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾** يعني: إنَّ السُّخرية واللَّمز والتَّنابز فسوقٌ بالمؤمنين، وبئس ذلك بعد الإيمان.

(١٢) **﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إنَّ بعض الظن إثم﴾** وهو أنْ يظنَّ السُّوء

---

(١) عن أبـي جبيرة بن الضَّحاك ــ وهو صحابـي ــ قال: فينا نزلت هذه الآية، بني سلمة. قال: قدم علينا رسول الله ﷺ وليس منَّا رجلٌ إلَّا وله اسمان أو ثلاثة، فجعل رسول الله ﷺ يقول: يا فلان، فيقولون: مَهْ، يا رسول الله، إنَّه يغضب من هذا الاسم، فأنزلت هذه الآية: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾. أخرجه أبو داود في الأدب برقم ٤٩٦٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٦٤، وقال: حسنٌ صحيحٌ، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٣ وصححه ووافقه الذهبـي؛ وأحمد ٥/ ٣٨٠.

وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ

بأهل الخير، وبمن لا يُعلم منه فسقٌ. ﴿**ولا تجسسوا**﴾ لا تطلبوا عورات المسلمين، ولا تبحثوا عن معايبهم ﴿**ولا يغتب بعضكم بعضاً**﴾ لا تذكروا أحدكم بشيءٍ يكرهه وإن كان فيه ذلك الشَّيء. ﴿**أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً**﴾ يعني: إنَّ ذكرك أخاك على غيبةٍ بسوءٍ كأكل لحمه وهو ميِّت، لا يحسُّ بذلك. ﴿**فكرهتموه**﴾ إنْ كرهتم أكل لحمه ميتاً فاكرهوا ذكره بسوءٍ.

﴿١٣﴾ ﴿**يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى**﴾ أَيْ: كلُّكم بنو أبٍ واحدٍ وأمٍّ واحدةٍ، فلا تفاضل بينكم في النَّسب ﴿**وجعلناكم شعوباً**﴾ وهي رؤوس القبائل، كربيعة ومضر ﴿**وقبائل**﴾ وهي دون الشُّعوب كبكر من ربيعة، وتميم من مضر ﴿**لتعارفوا**﴾ ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النَّسب وبعده لا لتتفاخروا بها، ثمَّ أعلم أنَّ أرفعهم عنده منزلةً أتقاهم، فقال: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم...**﴾ الآية.

﴿١٤﴾ ﴿**قالت الأعراب آمنا**﴾ نزلت في نفرٍ من بني أسدٍ قدموا المدينة في سنةٍ جدبةٍ بذراريِّهم، وأظهروا كلمة الشَّهادة، ولم يكونوا مؤمنين في السِّرِّ، فقال الله تعالىٰ: ﴿**قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا**﴾ أَيْ: لم تُصدِّقوا الله ورسوله بقلوبكم، ولكن أظهرتم الطَّاعة مخافة القتل والسَّبي ﴿**ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله**﴾ ظاهراً وباطناً ﴿**لا يلتكم**﴾ لا ينقصكم ﴿**من**﴾ ثواب ﴿**أعمالكم شيئاً...**﴾ الآية. ثمَّ بيَّن حقيقة الإيمان والمؤمن، فقال:

﴿١٥﴾ ﴿**إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم**

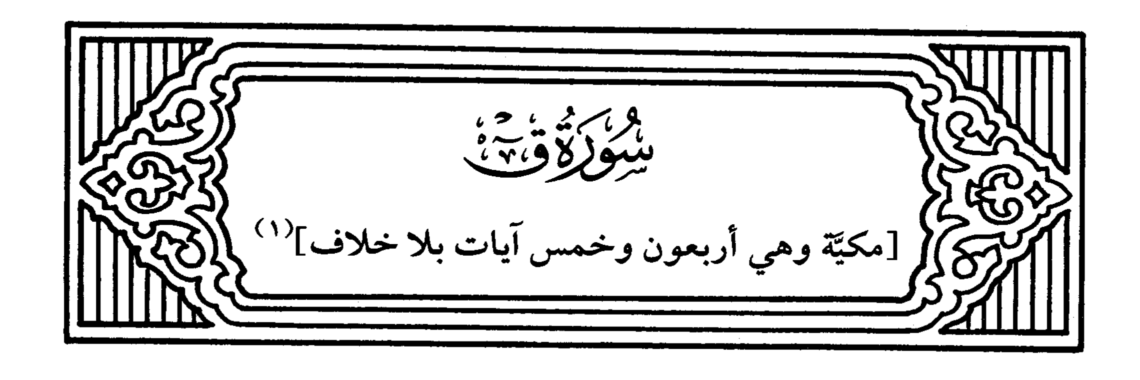
فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسْلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾. أَيْ: هؤلاء هم الذين صدقوا في إيمانهم، لا مَنْ أسلم خوف السَّيف، ورجاء المنفعة، فلمَّا نزلت الآيتان جاءت الأعراب رسول الله ﷺ، وحلفوا بالله أنَّهم مؤمنون، وعلم الله غير ذلك منهم، فأنزل الله تعالىٰ:

﴿١٦﴾ **﴿قل أتعلمون الله بدينكم...﴾** الآية. أَيْ: أَتُعَلِّمونه بما أنتم عليه وهو يعلم ذلك.

﴿١٧﴾ **﴿يمنون عليك أن أسلموا﴾** وذلك أنَّهم كانوا يقولون لنبيِّ الله ﷺ: أتيناك بالعيال والأثقال طوعاً، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلانٍ فأعطنا، فقال الله تعالىٰ: **﴿قل لا تمنوا عليَّ﴾** وقوله: **﴿إن كنتم صادقين﴾** أنَّكم مؤمنون، أَيْ: لله المنَّةُ إن صدقتم في إيمانكم لا لكم.

• • •



سورة ق

[مكيّة وهي أربعون وخمس آيات بلا خلاف][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿ق﴾ قُضي ما هو كائنٌ [إلى يوم القيامة][2] ﴿والقرآن المجيد﴾ [الكبير القدر و][3] الكثير الخير.

(٢) ﴿بل عجبوا﴾ يعني: كفَّار مكَّة ﴿أن جاءهم منذر منهم﴾ محمدٌ عليه السَّلام، وهم يعرفون نسبه وأمانته ﴿فقال الكافرون هذا شيء عجيب﴾ يعني: هذا الإِنذار الذي ينذرنا.

(٣) ﴿أإذا متنا وكنا تراباً﴾ نُبعث؟ وهذا استفهامُ إنكارٍ، وجوابه محذوفٌ، ثمَّ أنكروا ذلك أصلاً، فقالوا: ﴿ذلك﴾ أَيْ: البعث ﴿رجع بعيد﴾ ردٌّ لا يكون. قال الله تعالىٰ:

(٤) ﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم﴾ ما تأكل من لحومهم ﴿وعندنا كتاب حفيظ﴾ أَيْ: اللَّوح المحفوظ من أن يدرس ويتغيَّر، وفيه جميع الأشياء المقدَّرة.

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) ما بين [ ] من نسخة الأصل، وليس في البواقي.

(٣) زيادة من ظا.

بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ ۚ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ

﴿٥﴾ ﴿بل كذَّبوا بالحق﴾ أَيْ: بالقرآن ﴿لما جاءهم فهم في أمرٍ مريج﴾ مُلتبس عليهم، مرَّةً يقولون للنبيِّ ﷺ: ساحرٌ، ومرَّةً: شاعرٌ ومرَّةً: مُعلَّمٌ، ثمَّ دلَّهم على قدرته فقال:

﴿٦﴾ ﴿أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها ومالها من فروج﴾ شقوق. وقوله:

﴿٧﴾ ﴿من كلِّ زوج بهيج﴾ أَيْ: من كلِّ لونٍ حسنٍ.

﴿٨﴾ ﴿تبصرة﴾ فعلنا ذلك تبصيراً وتذكيراً ودلالةً على قدرتنا ﴿لكلِّ عبد منيب﴾ يرجع إلى الله تعالىٰ، فيتفكَّر في قدرته. وقوله:

﴿٩﴾ ﴿وحبَّ الحصيد﴾ أَيْ: ما يُقتات من الحبوب.

﴿١٠﴾ ﴿والنخل باسقات﴾ طوالاً ﴿لها طلع نضيد﴾ ثمرٌ متراكبٌ.

﴿١١﴾ ﴿رزقاً للعباد﴾ أَيْ: آتينا هذه الأشياء للرِّزق ﴿وأحيينا به﴾ بذلك الماء ﴿بلدة ميتاً كذلك الخروج﴾ من القبور. وقوله:

﴿١٤﴾ ﴿وقوم تبع﴾ وهو ملكٌ كان باليمن أسلم، ودعا قومه إلى الإسلام فكذَّبوه، وقوله: ﴿فحقَّ وعيد﴾ وجب عليهم العذاب.

﴿١٥﴾ ﴿أفعيينا بالخلق الأول﴾ أَيْ: أَعجزنا عنه حتىٰ نعيىٰ بالإعادة ﴿بل هم في لبس﴾

مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾

شكٍّ ﴿من خلق جديد﴾ أَيْ: البعث.

﴿١٦﴾ ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ يحدثه قلبه ﴿ونحن أقرب إليه﴾ بالعلم ﴿من حبل الوريد﴾ وهو عرقٌ في العنق.

﴿١٧﴾ ﴿إذ يتلقىٰ المتلقيان﴾ أَيْ: المَلكان الحافظان يتلقَّيان ويأخذان ما يعمله الإنسان، فيثبتانه. ﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾ قاعدان على جانبيه.

﴿١٨﴾ ﴿ما يلفظ﴾ يتكلَّم ﴿من قول إلَّا لديه رقيب﴾ حافظٌ ﴿عتيد﴾ حاضر.

﴿١٩﴾ ﴿وجاءت سكرة الموت﴾ أَيْ: غمرته وشدَّته ﴿بالحق﴾ أَيْ: من أمر الآخرة حتىٰ يراه الإنسان عياناً. ﴿ذلك ما كنت منه تحيد﴾ أَيْ: تهرب وتروغ. يعني: الموت.

﴿٢٠﴾ ﴿ونفخ في الصور﴾ أَيْ: نفخة البعث. ﴿ذلك يوم الوعيد﴾ الذي يُوعد الله به الكفَّار.

﴿٢١﴾ ﴿وجاءت كلُّ نفس﴾ إلى المحشر ﴿معها سائق﴾ من الملائكة يسوقها ﴿وشهيد﴾ شاهدٌ عليها بعملها، وهو الأيدي والأرجل، فيقول الله تعالىٰ:

﴿٢٢﴾ ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾ اليوم ﴿فكشفنا عنك غطاءك﴾ فخلينا عنك سترك حتىٰ عاينته ﴿فبصرك اليوم حديد﴾ فعلمك بما أنت فيه نافذٌ.

﴿٢٣﴾ ﴿وقال قرينه﴾ أَيْ: المَلك الموكَّل به: ﴿هذا ما لديَّ عتيد﴾ هذا الذي وكَّلتني به قد أحضرته، فأحضرت ديوان أعماله، فيقول الله للملَكين الموكَّلين بالإنسان:

﴿٢٤﴾ ﴿ألقيا في جهنم كلَّ كفار عنيد﴾ عاصٍ مُعرضٍ عن الحقِّ.

مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾

﴿٢٥﴾ ﴿**مناع للخير**﴾ للزَّكاة المفروضة وكلِّ حقٍّ في ماله ﴿**معتد**﴾ ظالمٍ ﴿**مريب**﴾ شاكٍّ.

﴿٢٧﴾ ﴿**قال قرينه**﴾ من الشَّياطين: ﴿**ربنا ما أطغيته**﴾ ما أضللته ﴿**ولكن كان في ضلال بعيد**﴾ أيْ: إنَّما طغىٰ هو بضلاله، وإنَّما دعوته فاستجاب لي، كما قال في الإخبار عن الشَّيطان: ﴿إلاَّ أنْ دعوتُكم فاستجبتُمْ لي﴾[1] فحينئذٍ يقول الله:

﴿٢٨﴾ ﴿**لا تختصموا لدي وقد قدَّمت إليكم بالوعيد**﴾ حذَّرتكم العقوبة في الدُّنيا علىٰ لسان الرُّسل.

﴿٢٩﴾ ﴿**ما يبدل القول لدي**﴾ لا تبديل لقولي ولا خلف لوعدي ﴿**وما أنا بظلام للعبيد**﴾ فأعاقب بغير جرم.

﴿٣٠﴾ ﴿**يوم نقول لجهنم هل امتلأت**﴾ وهذا استفهامُ تحقيقٍ، وذلك أنَّ الله عزَّ وجلَّ وعدها أن يملأها، فلمَّا ملأها قال لها: ﴿**هل امتلأت وتقول هل من مزيد**﴾ أيْ: هل بقي فيَّ موضعٌ لم يمتلىء، أيْ: قد امتلأت.

﴿٣١﴾ ﴿**وأزلفت الجنة**﴾ أُدنيت الجنَّة ﴿**للمتقين**﴾ حتىٰ يروها ﴿**غير بعيد**﴾ منهم، ويقال لهم:

﴿٣٢﴾ ﴿**هذا ما توعدون لكلِّ أوَّاب**﴾ رجَّاعٍ إلى الله بالطَّاعة ﴿**حفيظ**﴾ حافظ لأمر الله.

﴿٣٣﴾ ﴿**من خشي الرحمن بالغيب**﴾ خاف الله ولم يره ﴿**وجاء بقلب منيب**﴾ مقبلٍ إلى طاعة الله. يقال لهم:

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٢٢.

ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ وَكَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّن قَرۡنٍ هُمۡ أَشَدُّ مِنۡهُم بَطۡشٗا فَنَقَّبُواْ فِي ٱلۡبِلَٰدِ هَلۡ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٖ ﴿٣٨﴾ فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ

﴿٣٤﴾ **﴿ادخلوها بسلام﴾** بسلامةٍ من العذاب **﴿ذلك يوم الخلود﴾** لأهل الجنَّة فيها.

﴿٣٥﴾ **﴿لهم ما يشاؤون فيها ولدينا مزيد﴾** زيادةٌ ممَّا لم يخطر ببالهم. وقيل هو الرُّؤية.

﴿٣٦﴾ **﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾** قبل أهل مكَّة **﴿من قرنٍ﴾** جماعةٍ من النَّاس **﴿هم أشدُّ منهم بطشاً فنقَّبوا﴾** طوَّفوا في البلاد وفتَّشوا، فلم يروا محيصاً من الموت.

﴿٣٧﴾ **﴿إن في ذلك﴾** الذي ذكرت **﴿لذكرىٰ﴾** لعظةً وتذكيراً **﴿لمن كان له قلب﴾** أَيْ: عقلٌ **﴿أو ألقى السمع﴾** أَيْ: استمع القرآن **﴿وهو شهيد﴾** حاضر القلب. وقوله:

﴿٣٨﴾ **﴿وما مسنا من لغوب﴾** أَيْ: وما أصابنا تعبٌ وإعياءٌ، وهذا ردٌّ على اليهود في قولهم: إنَّ الله تعالىٰ استراح يوم السَّبت.

﴿٣٩﴾ **﴿فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك﴾** صلِّ لله **﴿قبل طلوع الشمس﴾** أَيْ: صلاة الفجر **﴿وقبل الغروب﴾** صلاة الظهر والعصر.

﴿٤٠﴾ **﴿ومن الليل فسبحه﴾** أَيْ: صلاتي العشاء **﴿وأدبار السجود﴾** أَيْ: الرَّكعتين بعد المغرب.

﴿٤١﴾ **﴿واستمع﴾** يا محمد **﴿يوم ينادي المنادي﴾** وهو إسرافيل عليه السَّلام يقول: أيَّتها العظام البالية، واللُّحوم المُتمزِّقة، إنَّ الله يأمركنَّ أن تجتمعن لفصل القضاء[1]

(١) أخرجه ابن جرير الطبري ٢٦/١٨٣ عن كعب الأحبار.

مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

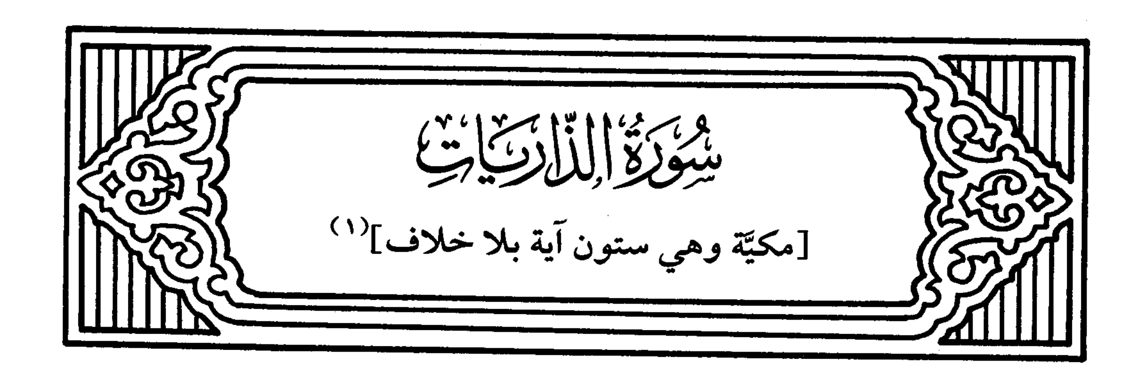
﴿من مكان قريب﴾ من السَّماء، وهو صخرة بيت المقدس أقرب موضعٍ من الأرض إلى السَّماء.

﴿٤٢﴾ **﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق﴾** أَيْ: نفخة البعث **﴿ذلك يوم الخروج﴾** من القبور.

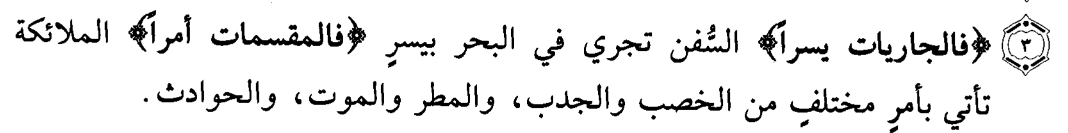
﴿٤٤﴾ **﴿يوم تشقق الأرض عنهم﴾** فيخرجون **﴿سراعاً﴾**.

﴿٥٥﴾ **﴿وما أنت عليهم بجبار﴾** بمسلَّطٍ يجبرهم على الإسلام، وهذا قبل أن يؤمر بالقتال **﴿فذكِّر﴾** فعظ **﴿بالقرآن مَنْ يخاف وعيد﴾**.

• • •



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) **﴿والذاريات ذرواً﴾** أي: الرِّياح التي تذرو التُّراب.

(٢) **﴿فالحاملات وقراً﴾** وهي السَّحاب تحمل الماء.

(٣) **﴿فالجاريات يسراً﴾** السُّفن تجري في البحر بيسرٍ **﴿فالمقسمات أمراً﴾** الملائكة تأتي بأمرٍ مختلفٍ من الخصب والجدب، والمطر والموت، والحوادث.

(٥) **﴿إن ما توعدون﴾** من الخير والشَّرِّ، والثَّواب والعقاب **﴿لصادق﴾**. أقسم الله بهذه الأشياء على صدق وعده.

(٦) **﴿وإنَّ الدين﴾** الجزاء على الأعمال **﴿لواقع﴾** لكائنٌ.

(٧) **﴿والسماء ذات الحبك﴾** الخَلْق الحسن.

(٨) **﴿إنكم﴾** يا أهل مكَّة **﴿لفي قول مختلف﴾** في أمر النبيِّ ﷺ.

---

(١) زيادة من ظا.

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ

﴿٩﴾ ﴿**يؤفك عنه**﴾ يُصرف عن الإيمان به ﴿**مَنْ أفك**﴾ صُرف عن الخير.

﴿١٠﴾ ﴿**قتل الخراصون**﴾ لُعن الكذَّابون، يعني: المُقتسمين.

﴿١١﴾ ﴿**الذين هم في غمرة**﴾ غفلةٍ ﴿**ساهون**﴾ لاهون.

﴿١٢﴾ ﴿**يسألون أيان يوم الدين**﴾ متىٰ يوم الجزاء؟ استهزاءً منهم. قال الله تعالىٰ:

﴿١٣﴾ ﴿**يوم هم على النار يفتنون**﴾ أي: يقع الجزاء يوم هم على النَّار يُفتنون يُحرَّقون ويُعذَّبون، وتقول لهم الخزنة:

﴿١٤﴾ ﴿**ذوقوا فتنتكم**﴾ عذابكم ﴿**هذا الذي كنتم به تستعجلون**﴾ في الدُّنيا.

﴿١٥﴾ ﴿**إنَّ المتقين في جنات وعيون**﴾.

﴿١٦﴾ ﴿**آخذين ما آتاهم ربهم**﴾ من الثَّواب والكرامة ﴿**إنهم كانوا قبل ذلك**﴾ قبل دخولهم الجنَّة ﴿**محسنين**﴾.

﴿١٧﴾ ﴿**كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون**﴾ كانوا ينامون قليلاً من اللَّيل.

﴿١٩﴾ ﴿**وفي أموالهم حق للسائل والمحروم**﴾ وهو الذي لا يسأل النَّاس ولا يكتسب.

﴿٢٠﴾ ﴿**وفي الأرض آيات**﴾ دلالاتٌ على قدرة الله تعالىٰ ووحدانيته ﴿**للموقنين**﴾.

﴿٢١﴾ ﴿**وفي أنفسكم**﴾ أيضاً آياتٌ من تركيب الخلق، وعجائب ما في الآدمي من خلقه ﴿**أفلا تبصرون**﴾ ذلك.

﴿٢٢﴾ ﴿**وفي السماء رزقكم**﴾ أي: الثَّلج والمطر الذي هو سبب الرِّزق والنَّبات من

وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

الأرض ﴿وما توعدون﴾ «ما» ابتداءٌ، وخبره محذوفٌ على تقدير: وما توعدون من البعث والثَّواب والعقاب حقٌّ، ودلَّ على هذا المحذوف قوله:

﴿٢٣﴾ ﴿فوربِّ السماء والأرض إنَّه لحقٌّ مثل ما أنكم تنطقون﴾ أَيْ: كما أنَّكم تتكلَّمون، أي: إنَّه معلومٌ بالدَّليل كما إنَّ كلامكم إذا تكلَّمتم معلومٌ لكم ضرورةً أنَّكم تتكلَّمون، و «مثلُ» رفع[1] لأنَّه صفةٌ لقوله: «لحق»، ومَنْ نصب أراد: إنَّه لحقّ حقاً مثلَ ما أنَّكم تنطقون.

﴿٢٤﴾ ﴿هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين﴾ بأن خدمهم بنفسه.

﴿٢٥﴾ ﴿إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً﴾ سلَّموا سلاماً ﴿قال سلامٌ﴾ عليكم ﴿قوم منكرون﴾ أي: أنتم قوم لا نعرفكم.

﴿٢٦﴾ ﴿فراغ﴾ فعدل ومال ﴿إلى أهله﴾. وقوله:

﴿٢٧﴾ ﴿فأوجس منهم خيفة﴾ أَيْ: وقع في نفسه الخوف منهم، وقوله:

﴿٢٩﴾ ﴿فأقبلت امرأته في صرَّة﴾ أَيْ: أخذت تصيح بشدَّةٍ ﴿فَصَكَّتْ﴾ لطمت ﴿وجهها وقالت﴾: أنا ﴿عجوز عقيم﴾ فكيف ألد؟

﴿٣٠﴾ ﴿قالوا كذلك﴾ كما أخبرناك ﴿قال ربك﴾ أي: نخبرك عن الله لا عن أنفسنا ﴿إنَّه هو الحكيم العليم﴾ يقدر أن يجعل العقيم ولوداً، فلمَّا قالوا ذلك علم إبراهيم أنَّهم رسلٌ، وأنَّهم ملائكة [صلوات الله عليهم].

---

(١) قرأ «مثلُ» بالرفع أبو بكر ابن عياش، وحمزة، والكسائي، وخلف، والباقون بالنصب. الإتحاف ص ٣٩٩.

۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾

الجزء السابع والعشرون:

﴿٣١﴾ **﴿قال: فما خطبكم﴾** أي: ما شأنكم وفيمَ أُرسلتم؟

﴿٣٢﴾ **﴿قالوا إنا أُرسلنا إلى قومٍ مجرمين﴾** يعنون قوم لوط.

﴿٣٣﴾ **﴿لنرسل عليهم حجارة من طين﴾** يعني: السِّجيل.

﴿٣٤﴾ **﴿مسوَّمة عند ربك للمسرفين﴾** مُعلَّمة علىٰ كلِّ حجرٍ منها اسم مَنْ يهلك به.

﴿٣٥﴾ **﴿فأخرجنا مَنْ كان فيها﴾** يعني: من قرىٰ قوم لوطٍ **﴿من المؤمنين﴾**.

﴿٣٦﴾ **﴿فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾** يعني: بيت لوطٍ عليه السَّلام.

﴿٣٧﴾ **﴿وتركنا فيها﴾** بإهلاكهم **﴿آية﴾** علامةً للخائفين تدلُّ علىٰ أنَّ الله أهلكهم.

﴿٣٨﴾ **﴿وفي موسىٰ﴾** عطفٌ على قوله: «وفي الأرض». **﴿إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين﴾** بحجَّةٍ واضحةٍ.

﴿٣٩﴾ **﴿فتولىٰ﴾** فأعرض عن الإيمان **﴿بركنه﴾** مع جنوده وما كان يتقوَّىٰ به. وقوله:

﴿٤٠﴾ **﴿وهو مليم﴾** أيْ: أتىٰ ما يُلام عليه.

﴿٤١﴾ **﴿وفي عاد﴾** أيضاً آيةٌ **﴿إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾** وهي التي لا بركة فيها، ولا تأتي بخيرٍ.

﴿٤٢﴾ **﴿ما تذر من شيء أتت عليه إلاَّ جعلته كالرميم﴾** كالنَّبت الذي قد تحطَّم.

وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾

﴿٤٣﴾ **﴿وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتىٰ حين﴾** إلى فناء آجالكم.

﴿٤٤﴾ **﴿فعتوا عن أمر ربهم﴾** عصوه **﴿فأخذتهم الصاعقة﴾** العذاب المهلك.

﴿٤٥﴾ **﴿فما استطاعوا من قيام﴾** أي: أن يقوموا بعذاب الله **﴿وما كانوا منتصرين﴾** أي: لم ينصرهم أحدٌ علينا.

﴿٤٦﴾ **﴿وقوم نوح﴾** وأهلكنا قوم نوحٍ قبل هؤلاء.

﴿٤٧﴾ **﴿والسماء بنيناها بأيدٍ﴾** بقوّةٍ **﴿وإنا لموسعون﴾** لقادرون. وقيل: جاعلون بين السّماء والأرض سعةً.

﴿٤٨﴾ **﴿والأرض فرشناها﴾** مهّدناها لكم **﴿فنعم الماهدون﴾** نحن.

﴿٤٩﴾ **﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾** صنفين كالذّكر والأنثىٰ، والحلو والحامض، والنّور والظّلمة **﴿لعلكم تذكرون﴾** فتعلموا أنّ خالق الأزواج فردٌ.

﴿٥٠﴾ **﴿ففروا﴾** من عذاب الله إلى طاعته.

﴿٥٢﴾ **﴿كذلك﴾** كما أخبرناك **﴿ما أتىٰ الذين من قبلهم﴾** من قبل أهل مكّة **﴿من رسول إلاّ قالوا ساحرٌ أو مجنون﴾**.

﴿٥٣﴾ **﴿أتواصوا به﴾** أوصىٰ بعضهم بعضاً بالتّكذيب، والألف للتّوبيخ. **﴿بل هم قوم طاغون﴾** عاصون.

﴿٥٤﴾ **﴿فتولّ عنهم فما أنت بملوم﴾** لأنّك بلغت الرّسالة.

وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

﴿٥٥﴾ **﴿وذكر﴾** ذكِّرهم بأيَّام الله **﴿فإنَّ الذكرىٰ تنفع المؤمنين﴾**.

﴿٥٦﴾ **﴿وما خلقت الجن والإنس إلاَّ ليعبدون﴾** أي: إلاَّ لآمرهم بعبادتي وأدعوهم إليها. وقيل: أراد المؤمنين منهم، وكذا هو في قراءة ابن عباس: «وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين إلاَّ ليعبدون»[١]. **﴿ما أريد منهم من رزق﴾** أن يرزقوا أنفسهم أو أحداً من عبادي **﴿وما أريد أن يطعمون﴾** لأنِّي أنا الرَّزَّاق والمُطعم. وقوله:

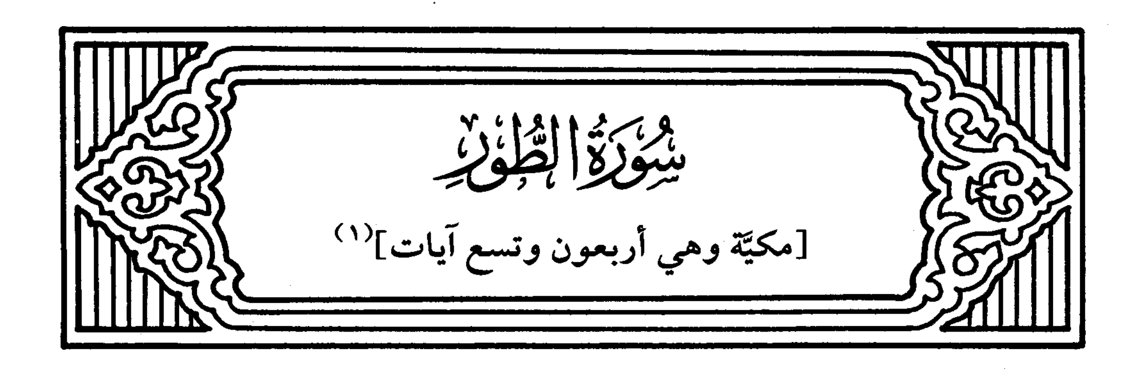
﴿٥٨﴾ **﴿المتين﴾** أي: المُبالغ في القُوَّة.

﴿٥٩﴾ **﴿فإنَّ للذين ظلموا﴾** أَيْ: أهل مكَّة **﴿ذنوباً﴾** نصيباً من العذاب **﴿مثل ذنوب﴾** نصيب **﴿أصحابهم﴾** الذين أُهلكوا **﴿فلا يستعجلون﴾** إنْ أَخَّرتهم إلى يوم القيامة.

﴿٦٠﴾ **﴿فويلٌ للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون﴾** من يوم القيامة.

• • •

(١) وهي قراءة شاذة.



سورة الطور

[مكيّة وهي أربعون وتسع آيات][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿والطور﴾ أقسم الله تعالىٰ بالجبل الذي كلَّم عليه موسىٰ، وهو جبلٌ بمدين اسمه زبير.

(٢) ﴿وكتاب مسطور﴾ مكتوبٍ.

(٣) ﴿في رقّ﴾ وهو الجلد الذي يكتب فيه ﴿منشور﴾ مبسوطٍ. أَيْ: دواوين الحفظة التي أثبتت فيها أعمال بني آدم.

(٤) ﴿والبيت المعمور﴾ وهو بيتٌ في السَّماء بإزاء الكعبة تزوره الملائكة[2].

(٥) ﴿والسقف المرفوع﴾ أي: السَّماء.

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) عن مالك بن صعصعة قال: قال نبيُّ الله ﷺ، رُفع إليَّ البيت المعمور، فقلتُ: يا جبريل، ما هذا؟ قال: البيت المعمور، يدخله كلَّ يومٍ سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا آخر ما عليهم. أخرجه البخاري عن أبي هريرة في بدء الخلق ٦/٢١٩، وأخرجه ابن جرير ٢٧/١٦.

وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ

﴿٦﴾ ﴿**والبحر المسجور**﴾ المملوء.

﴿٧﴾ ﴿**إنَّ عذاب ربك لواقع**﴾ لنازلٌ كائنٌ.

﴿٩﴾ ﴿**يوم تمور السماء موراً**﴾ تتحرَّك وتضطرب وتدور. يعني: يوم القيامة.

﴿١٢﴾ ﴿**الذين هم في خوض**﴾ باطلٍ ﴿**يلعبون**﴾ أي: تشاغلهم بكفرهم.

﴿١٣﴾ ﴿**يوم يدعون إلى نار جهنم دعاً**﴾ يُدفعون إليها دفعاً عنيفاً، ويقال لهم:

﴿١٤﴾ ﴿**هذه النار التي كنتم بها تكذبون**﴾.

﴿١٥﴾ ﴿**أفسحر هذا**﴾ الذي ترون ﴿**أم أنتم لا تبصرون**﴾؟ وهذا توبيخٌ لهم، والمعنىٰ: أتصدِّقون الآن عذاب الله. وقوله:

﴿١٨﴾ ﴿**فاكهين بما آتاهم ربهم**﴾ أَيْ: مُعجبين به.

﴿٢١﴾ ﴿**والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم**﴾ يريد: أنَّه يلحق الأولاد بدرجة الآباء في الجنَّة إذا كانوا على مراتب، وكذلك الآباء بدرجة الأبناء لتقرَّ بذلك أعينهم، فيلحق بعضهم بعضاً إذا اجتمعوا في الإيمان، من غير أن ينقص من أجر مَنْ هو أحسن عملاً شيئاً بزيادته في درجة الأنقص عملاً، وهو قوله: ﴿**وما ألتناهم**﴾ أَيْ: وما نقصناهم ﴿**من عملهم من شيء كلُّ امرىء بما كسب**﴾

رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾

بما عمل من خيرٍ أو شرٍّ ﴿**رهين**﴾ مرهونٌ يُؤخذ به.

﴿٢٢﴾ ﴿**وأمددناهم بفاكهة ولحم**﴾ أَيْ: زدناهم.

﴿٢٣﴾ ﴿**يتنازعون**﴾ يتناولون ويأخذ بعضهم من بعض ﴿**فيها كأساً لا لغوٌ فيها ولا تأثيم**﴾ لا يجري بينهم فيها باطلٌ ولا إثمٌ كما يجري بين شَرَبة الخمر في الدُّنيا.

﴿٢٤﴾ ﴿**ويطوف عليهم**﴾ بالخدمة ﴿**غلمان لهم كأنهم**﴾ في بياضهم وصفائهم ﴿**لؤلؤ مكنون**﴾ مخزونٌ مصونٌ.

﴿٢٥﴾ ﴿**وأقبل بعضهم على بعض**﴾ في الجنَّة ﴿**يتساءلون**﴾ عن أحوالهم التي كانت في الدُّنيا.

﴿٢٦﴾ ﴿**قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين**﴾ خائفين من عذاب الله.

﴿٢٧﴾ ﴿**فمنَّ الله علينا**﴾ بالجنَّة ﴿**ووقانا عذاب السموم**﴾ عذاب سموم جهنم، وهو نارها وحرارتها.

﴿٢٩﴾ ﴿**فذكر**﴾ فذكِّرهم يا محمَّد الجنَّة والنَّار ﴿**فما أنت بنعمة ربك**﴾ برحمة ربِّك وإكرامه إيَّاك بالنُّبوَّة ﴿**بكاهنٍ**﴾ تخبر بما في غدٍ من غير وحيٍ ﴿**ولا مجنون**﴾ كما تقولون.

﴿٣٠﴾ ﴿**أم يقولون**﴾ بل أيقولون: هو ﴿**شاعرٌ نتربَّص به ريب المنون**﴾ ننتظر به الموت فيهلك.

قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ ۖ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾

﴿٣١﴾ **﴿قل تربصوا فإني معكم من المتربصين﴾** حتىٰ يأتي أمر الله فيكم.

﴿٣٢﴾ **﴿أم تأمرهم أحلامهم﴾** عقولهم **﴿بهذا﴾** أَيْ: بترك قبول الحقِّ من صاحب المعجزة **﴿أم هم قوم طاغون﴾** أَيْ: أم يكفرون طغياناً بعد ظهور الحقِّ.

﴿٣٣﴾ **﴿أم يقولون تقوَّله﴾** أَي: القرآن من قبل نفسه، ليس كما يقولون **﴿بل لا يؤمنون﴾** استكباراً.

﴿٣٤﴾ **﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾** أنَّ محمداً يقوله من قبل نفسه.

﴿٣٥﴾ **﴿أم خلقوا من غير شيء﴾** أَيْ: لغير شيءٍ. يعني: أَخُلقوا عبثاً وسُدىً **﴿أم هم الخالقون﴾** أنفسهم.

﴿٣٧﴾ **﴿أم عندهم خزائن ربك﴾** ما في خزائن ربِّك من العلم بما يكون في غدٍ **﴿أم هم المسيطرون﴾** المُسلَّطون الجبَّارون.

﴿٣٨﴾ **﴿أم لهم سلَّم﴾** مرقىً إلى السَّماء **﴿يستمعون فيه﴾** أنَّ الذي هم عليه حقٌّ **﴿فليأت مستمعهم﴾** إن ادَّعوا ذلك **﴿بسلطانٍ مبين﴾** بحجَّةٍ واضحةٍ، ثمَّ سفَّه أحلامهم في جعلهم البنات لله، فقال:

﴿٣٩﴾ **﴿أم له البنات ولكم البنون﴾**.

﴿٤٠﴾ **﴿أم تسألهم أجراً﴾** على ما جئتهم به **﴿فهم من مغرم﴾** غُرمٍ **﴿مثقلون﴾** مجهودون، والمعنىٰ: إنَّ الحجَّة واجبةٌ عليهم من كلِّ جهةٍ.

أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَـٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿٤١﴾ ﴿**أم عندهم الغيب**﴾ علم ما يؤول إليه أمر محمد ﷺ ﴿**فهم يكتبون**﴾ يحكمون بأنَّه يموت فتستريح منه.

﴿٤٢﴾ ﴿**أم يريدون كيداً**﴾ مكراً بك في دار النَّدوة ﴿**فالذين كفروا هم المكيدون**﴾ المجزيون بكيدهم؛ لأنَّ الله تعالى حفظ نبيَّه عليه السَّلام من مكرهم، وقُتلوا هم ببدرٍ.

﴿٤٤﴾ ﴿**وإن يروا كسفاً**﴾ قطعاً ﴿**من السماء ساقطاً يقولوا**﴾ لعنادهم وفرط شقاوتهم: ﴿**سحاب مركوم**﴾ بعضه على بعض. وهذا جوابٌ لقولهم: ﴿فأسقط علينا كسفاً من السماء﴾[1]. أخبر الله تعالىٰ أنَّه لو فعل ذلك لم يؤمنوا.

﴿٤٥﴾ ﴿**فذرهم حتىٰ يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون**﴾ يموتون، ثمَّ أخبر أنَّه يعجِّل لهم العذاب في الدُّنيا، فقال:

﴿٤٧﴾ ﴿**وإنَّ للذين ظلموا**﴾ كفروا ﴿**عذاباً دون ذلك**﴾ قبل موتهم، وهو الجوع والقحط سبع سنين، ثمَّ أمره بالصَّبر فقال:

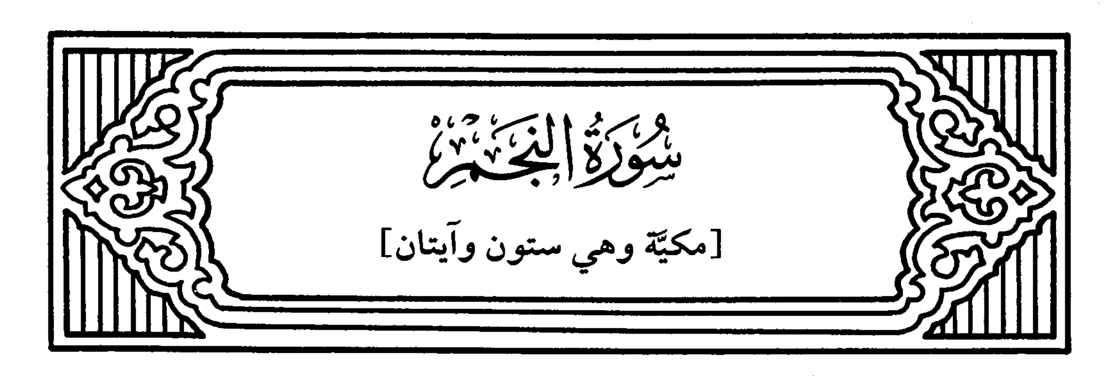
﴿٤٨﴾ ﴿**واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا**﴾ بحيث نراك ونحفظك ونرعاك ﴿**وسبح بحمد ربك حين تقوم**﴾ من مجلسك قل: سبحانك اللهم وبحمدك.

﴿٤٩﴾ ﴿**ومن الليل**﴾ فسبحه، أَيْ: صلِّ له صلاتي العشاء ﴿**وإدبار النجوم**﴾ أَيْ: ركعتي الفجر.

● ● ●

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١٨٧.



بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿والنجم إذا هوىٰ﴾ أي: والثُّريا إذا سقطت. وقيل: القرآن إذا نزل مُتفرِّقاً نجوماً.

﴿٢﴾ ﴿ما ضلَّ صاحبكم﴾ محمد عليه السَّلام ﴿وما غوىٰ﴾.

﴿٣﴾ ﴿وما ينطق عن الهوىٰ﴾ ما الذي يتكلَّم به ممَّا قاله بهواه.

﴿٤﴾ ﴿إن هو﴾ ما هو ﴿إلاَّ وحيٌ يوحىٰ﴾ إليه.

﴿٥﴾ ﴿علمه شديد القوىٰ﴾ أَيْ: جبريل عليه السَّلام.

﴿٦﴾ ﴿ذو مرَّة﴾ قوَّةٍ شديدةٍ ﴿فاستوىٰ﴾ جبريل عليه السَّلام في صورته التي خلقه الله عزَّ وجلَّ عليها.

﴿٧﴾ ﴿وهو بالأفق الأعلىٰ﴾ وذلك أنَّ رسول الله ﷺ سأله أن يريه نفسه على صورته، فواعده ذلك بحراء، فطلع له جبريل عليه السَّلام من المشرق، فسدَّ الأفق إلى المغرب.

﴿٨﴾ ﴿ثم دنا فتدلىٰ﴾ هذا من المقلوب، أَيْ: ثمَّ تدلىٰ أَيْ: نزل من السَّماء، فدنا من محمَّد عليه السَّلام.

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾

﴿٩﴾ ﴿فكان﴾ منه في القرب على قدر ﴿قوسين أو أدنىٰ﴾ والمعنىٰ: أنَّه بعد ما رأىٰ رسول الله ﷺ من عظمه، وهاله ذلك ردَّه الله تعالىٰ إلى صورة آدميٍّ حتىٰ قرب من النبيِّ ﷺ للوحي، وذلك قوله:

﴿١٠﴾ ﴿فأوحىٰ إلى عبده﴾ محمد ﷺ ﴿ما أوحىٰ﴾ الله عزَّ وجلَّ إلى جبريل عليه السَّلام.

﴿١١﴾ ﴿ما كذب الفؤاد ما رأىٰ﴾ أَيْ: لم يكذب قلب محمَّد عليه السَّلام فيما رأىٰ ليلة المعراج، وذلك أنَّ الله جعل بصره في فؤاده حتىٰ رآه، وحقَّق الله تعالىٰ تلك الرُّؤية وقال: إنها كانت رؤية حقيقية ولم تكن كذباً.

﴿١٢﴾ ﴿أفتمارونه على ما يرىٰ﴾ أفتجادلونه في أنه رأىٰ الله عزَّ وجلَّ.

﴿١٣﴾ ﴿ولقد رآه﴾ ربَّه. وقيل: رأىٰ جبريل على صورته التي خلق عليها ﴿نزلة أخرىٰ﴾ مرَّة أخرىٰ.

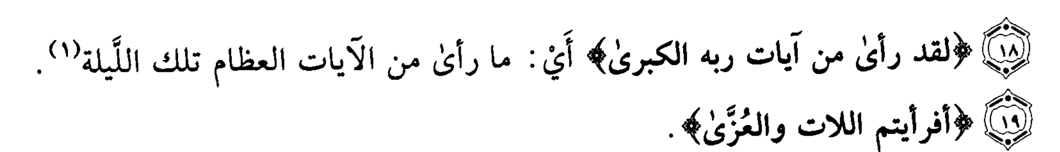
﴿١٤﴾ ﴿عند سدرة المنتهىٰ﴾ وهي شجرةٌ إليها ينتهي علم الخلق، وما وراءها غيبٌ لا يعلمه إلَّا الله عزَّ وجلَّ.

﴿١٥﴾ ﴿عندها جنة المأوىٰ﴾ وهي جنَّةٌ تصير إليها أرواح الشُّهداء.

﴿١٦﴾ ﴿إذ يغشى السدرة ما يغشىٰ﴾ قيل: يغشاها فراش من ذهب. وقيل: الملائكة أمثال الغربان.

﴿١٧﴾ ﴿ما زاغ البصر وما طغىٰ﴾ هذا وصفُ أدبِ النبيِّ ﷺ ليلة المعراج، أَيْ: لم يمل بصره عمَّا قصد له، ولا جاوز إلىٰ ما أُمر به.

لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾



﴿١٨﴾ ﴿لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ﴾ أيْ: ما رأىٰ من الآيات العظام تلك اللَّيلة[1].

﴿١٩﴾ ﴿أفرأيتم اللات والعُزَّىٰ﴾.

﴿٢٠﴾ ﴿ومناة الثالثة الأخرىٰ﴾ هذه أصنامٌ من حجارةٍ كانت في جوف الكعبة[2]. والمعنىٰ أخبرونا عن هذه الإناث التي تعبدونها، وتزعمون أنَّها بنات الله، أَللّهِ هي، وأنتم تختارون الذُّكران، وذلك قوله:

﴿٢١﴾ ﴿ألكم الذكر وله الأنثى﴾.

﴿٢٢﴾ ﴿تلك إذاً قسمة ضيزىٰ﴾ جائرةٌ ناقصةٌ.

﴿٢٣﴾ ﴿إن هي﴾ ما هذه الأوثان ﴿إلاّ أسماء﴾ لا حقيقة لها ﴿سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها﴾ بعبادتها ﴿من سلطان﴾ حجَّةٍ وبرهانٍ. ﴿إن يتبعون﴾ ما يتَّبعون في عبادتها وأنَّها شفعاء لهم ﴿إلاَّ الظن وما تهوىٰ الأنفس﴾ يعني: إنَّ ذلك شيء ظنُّوه، وأمرٌ سوَّلت لهم أنفسهم ﴿ولقد جاءهم من ربهم الهدىٰ﴾ البيان على لسان محمَّد ﷺ.

﴿٢٤﴾ ﴿أم للإنسان ما تمنىٰ﴾ أيظنُّون أنَّ لهم ما تمنَّوا من شفاعة الأصنام؟ ليس كما تمنَّوا. بل

---

(١) عن عبد الله بن مسعود في: ﴿لقد رأىٰ من آيات ربه الكبرىٰ﴾، قال: رأىٰ رفرفاً أخضر قد سدَّ الأفق. أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٦١١؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٣٥٢.

(٢) عن ابن عباس في الآية قال: كان اللاتُ رجلاً يلتُّ سويق الحاج. أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٦١١.

فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ

(٢٥) ﴿فللّه الآخرة والأولىٰ﴾ فلا يجري في الدَّارين إلاَّ ما يريد.

(٢٦) ﴿وكم من ملك في السموات﴾ هو أكرم على الله من هذه الأصنام ﴿لا تغني شفاعتهم﴾ عن أحدٍ ﴿شيئاً إلاَّ من بعد أن يأذن الله﴾ لهم في ذلك ﴿لمن يشاء ويرضىٰ﴾ كقوله[1]: ﴿ولا يشفعون إلاَّ لمن ارتضىٰ﴾.

(٢٧) ﴿إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون الملائكة تسمية الأنثىٰ﴾ يقولون: إنَّهم بنات الله.

(٢٨) ﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلاَّ الظن وإنَّ الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ إنَّ ظنَّهم لا يدفع عنهم من العذاب شيئاً.

(٢٩) ﴿فأعرض﴾ يا محمَّد ﴿عن من تولَّىٰ عن ذكرنا﴾ أعرضَ عن القرآن ﴿ولم يرد إلاَّ الحياة الدنيا﴾.

(٣٠) ﴿ذلك مبلغهم من العلم﴾ يقول: ذلك نهاية علمهم أَنْ آثروا الدُّنيا على الآخرة. وقوله:

(٣٢) ﴿إلاَّ اللمم﴾ يعني: صغار الذُّنوب، كالنَّظرة والقُبلة، وقوله: ﴿إذ أنشأكم من

(١) سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾

الأرض﴾ يعني: خلق أباكم من التُّراب **﴿وإذ أنتم أجنَّة﴾** جمع جنين. **﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾** لا تمدحوها **﴿هو أعلم بمن اتقىٰ﴾** عمل حسنةً.

﴿٣٣﴾ **﴿أفرأيت الذي تولىٰ﴾** أعرض عن الإيمان، يعني: الوليد بن المغيرة، وكان قد اتَّبع رسول الله ﷺ فعيَّره بعض المشركين على ذلك فقال: إنِّي أخشى عذاب الله، فضمن له إن هو أعطاه شيئاً من ماله ورجع إلى شركه أنْ يتحمَّل عنه عذاب الله، فرجع في الشِّرك وأعطىٰ صاحبه الضَّامن من بعض ما كان ضمن له، ومنعه الباقي[1]، وذلك قوله:

﴿٣٤﴾ **﴿وأعطىٰ قليلاً وأكدىٰ﴾** أَيْ: قطع ذلك ومنعه.

﴿٣٥﴾ **﴿أعنده علم الغيب فهو يرىٰ﴾** ما غاب عنه من أمر الآخرة، حتىٰ علم أنَّ غيره يحمل عنه العذاب.

﴿٣٦﴾ **﴿أم لم ينبأ بما في صحف موسىٰ﴾** أسفار التَّوراة.

﴿٣٧﴾ **﴿و﴾** صحف. **﴿إبراهيم الذي وفَّىٰ﴾** أكمل ما أُمر به وأتمَّه، ثمَّ بيَّن ذلك فقال:

﴿٣٨﴾ **﴿ألا تزر وازرةٌ وزر أخرىٰ﴾** أَيْ: لا تؤخذ نفسٌ بمأثم غيرها.

﴿٣٩﴾ **﴿وأن ليس للإنسان إلاَّ ما سعىٰ﴾** عمل لآخرته.

﴿٤٠﴾ **﴿وأنَّ سعيه﴾** عمله **﴿سوف يرىٰ﴾** في ميزانه من خيرٍ وشرٍّ.

---

(١) وهذا قول مجاهد وعبد الرحمن بن زيد. أخرجه ابن جرير ٢٧/ ٧٠؛ وذكره المؤلف في الأسباب ص ٤٦١.

ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى ﴿٤٥﴾ مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَى ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَى ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَى ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى ﴿٥٥﴾ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى ﴿٥٦﴾

﴿٤١﴾ ﴿ثم يجزاه﴾ يجزىٰ عليه ﴿الجزاء الأوفىٰ﴾ الأتمَّ.

﴿٤٢﴾ ﴿وأنَّ إلى ربك المنتهىٰ﴾ المصير والمرجع.

﴿٤٣﴾ ﴿وأنه هو أضحك﴾ مَنْ شاء من خلقه ﴿وأبكى﴾ مَنْ شاء منهم.

﴿٤٤﴾ ﴿وأنه هو أمات﴾ في الدُّنيا ﴿وأحيا﴾ للبعث. وقوله:

﴿٤٦﴾ ﴿إذا تمنىٰ﴾ أيْ: تصبُّ في الرَّحم.

﴿٤٧﴾ ﴿وأنَّ عليه النشأة الأخرىٰ﴾ الخلق الآخر بعد الموت.

﴿٤٨﴾ ﴿وأنه هو أغنىٰ﴾ بالمال ﴿وأقنىٰ﴾ أرضىٰ بما أعطىٰ. وقيل: أقنىٰ: أعطىٰ أصول الأموال وما يتَّخذ فيه قنيةً.

﴿٤٩﴾ ﴿وأنَّه هو رب الشعرىٰ﴾ وهي كوكبٌ خلف الجوزاء كانت تُعبد في الجاهليَّة.

﴿٥٠﴾ ﴿وأنه أهلك عاداً الأولىٰ﴾ قوم هود.

﴿٥٣﴾ ﴿والمؤتفكة﴾ قرىٰ قوم لوط ﴿أهوىٰ﴾ أسقطها إلى الأرض بعد رفعها.

﴿٥٤﴾ ﴿فغشَّاها ما غشَّىٰ﴾ ألبسها العذاب والحجارة.

﴿٥٥﴾ ﴿فبأيِّ آلاء ربك تتمارىٰ﴾ بأيِّ نِعَم ربِّك التي تدلُّ على توحيده وقدرته تتشكَّكُ أيُّها الإِنسان؟

﴿٥٦﴾ ﴿هذا﴾ محمَّدٌ ﴿نذير من النذر الأولىٰ﴾ أيْ: هو رسولٌ أُرسل إليكم كما أُرسل مَنْ قبله من الرُّسل.

أَزِفَتِ ٱلْأَزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾

﴿٥٧﴾ ﴿**أزفت الآزفة**﴾ قربت القيامة.

﴿٥٨﴾ ﴿**ليس لها من دون الله كاشفة**﴾ لا يكشف عنها إلاَّ الله تعالىٰ، كقوله: ﴿لا يجلِّيها لوقتها إلى هو﴾[1]

﴿٥٩﴾ ﴿**أفمن هذا الحديث**﴾ أي: القرآن ﴿**تعجبون**﴾.

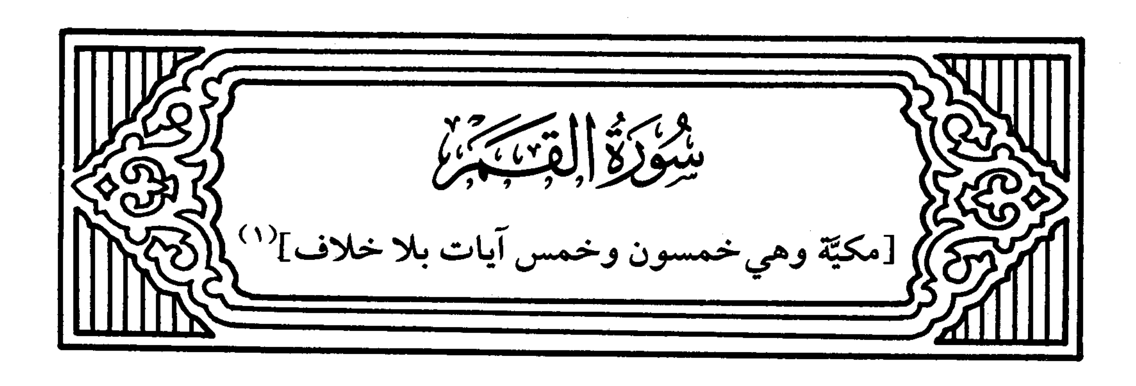
﴿٦٠﴾ ﴿**وتضحكون ولا تبكون**﴾.

﴿٦١﴾ ﴿**وأنتم سامدون**﴾ لاهون غافلون.

﴿٦٢﴾ ﴿**فاسجدوا لله واعبدوا**﴾ معناه: فاسجدوا لله واعبدوا الذي خلق السَّموات والأرض، ولا تسجدوا للأصنام التي ذكرت في هذه السُّورة.

• • •

(١) سورة الأعراف: الآية ١٨٧.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿اقتربت الساعة﴾ دنت القيامة ﴿وانشقَّ القمر﴾ انفلق بنصفين على عهد رسول الله ﷺ، وذلك أنَّ أهل مكَّة سألوه آيةً، فأراهم القمر فلقتين حتىٰ رأوا حراءَ بينهما(٢)، فأخبر الله تعالىٰ أنَّ ذلك من علامات قرب السَّاعة.

(٢) ﴿وإن يروا﴾ يعني: أهل مكَّة ﴿آية﴾ تدلُّ على صدق محمد ﷺ ﴿يعرضوا ويقولوا سحرٌ مستمر﴾ ذاهب باطلٌ يذهب. وقيل: محكمٌ شديدٌ. وقوله:

(٣) ﴿وكلُّ أمر مستقر﴾ أَيْ: يستقرُّ قرار تكذيبهم، وقرار تصديق المؤمنين. يعني: عند ظهور الثَّواب والعقاب.

(٤) ﴿ولقد جاءهم﴾ جاء أهل مكَّة ﴿من الأنباء﴾ أخبار إهلاك الأمم المُكذِّبة ﴿ما فيه

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) أخرجه مسلم عن أنسٍ في صفات المنافقين برقم ٢٨٠٢؛ والنسائي في تفسيره ٢/٣٦٦؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٨٦.

مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ۞ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ

مزدجر﴾ متناهى ومنتهىٰ.

﴿٥﴾ **﴿حكمة بالغة﴾** أَيْ: ما أتاهم من أخبار مَنْ قبلهم حكمةٌ بالغةٌ تامَّةٌ، ليس فيها نقصانٌ، أي: القرآن، وذلك أنَّ تلك الأخبار قُصَّت عليهم في القرآن **﴿فما تغني النذر﴾** جمع نذير، أَيْ: فليست تغني عن التَّكذيب.

﴿٦﴾ **﴿فتولَّ عنهم﴾**، وتمَّ الكلام، ثمَّ قال: **﴿يوم يدع الداعي إلى شيء نكر﴾** مُنكرٍ، وهو النَّار.

﴿٧﴾ **﴿خشعاً﴾** ذليلةً **﴿أبصارهم يخرجون من الأجداث﴾** القبور **﴿كأنهم جراد منتشر﴾** كقوله: **﴿كالفراش المبثوث﴾**[(١)].

﴿٨﴾ **﴿مهطعين﴾** مُقبلين ناظرين **﴿إلى الداعي﴾** إلى مَنْ يدعوهم إلى المحشر **﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾** شديدٌ.

﴿٩﴾ **﴿كذبت قبلهم﴾** قبل أهل مكَّة **﴿قوم نوح فكذَّبوا عبدنا﴾** نوحاً **﴿وقالوا: مجنون وازدجر﴾** زُجر [ونُهِرَ][(٢)] ونُهي عن دعوته ومقالته.

﴿١٠﴾ **﴿فدعا ربَّه أني مغلوب﴾** مقهورٌ **﴿فانتصر﴾** فانتقم لي منهم.

﴿١١﴾ **﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر﴾** سائلٍ.

﴿١٢﴾ **﴿وفجرنا الأرض عيوناً﴾** فتحناها بعيون الماء **﴿فالتقىٰ الماء﴾** ماءُ السَّماء وماءُ

---

(١) سورة القارعة: الآية ٤.

(٢) زيادة من ظا.

عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾

الأرض ﴿على أمر قد قدر﴾ قُضي عليهم في أمِّ الكتاب.

﴿١٣﴾ ﴿وحملناه﴾ أَيْ: نوحاً ﴿على ذات ألواح﴾ وهي السَّفينة ﴿ودسر﴾ يعني: ما تُشدُّ به السَّفينة من المسامير والشُّرُط[1].

﴿١٤﴾ ﴿تجري بأعيننا﴾ بمرأىً منا وحفظٍ ﴿جزاءً لمن كان كفر﴾ يعني: نوحاً، أَيْ: فعلنا ذلك ثواباً له إذ كُفر به وكُذِّب.

﴿١٥﴾ ﴿ولقد تركناها آية﴾ تركنا تلك القِصَّة آيةً: علامةً؛ ليُعتبر بها ﴿فهل من مدَّكر﴾ مُتَّعظٍ بها.

﴿١٦﴾ ﴿فكيف كان عذابي﴾ استفهام معناه التَّقرير ﴿ونذر﴾ أي: إنذاري.

﴿١٧﴾ ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ سهَّلناه للحفظ، فليس يحفظ كتابٌ من كتب الله ظاهراً إلاَّ القرآن ﴿فهل من مدكر﴾ مُتَّعظ بمواعظه.

﴿١٩﴾ ﴿إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ شديدةً ذات صوتٍ ﴿في يوم نحس﴾ شؤمٍ ﴿مستمر﴾ دائم الشُّؤم.

﴿٢٠﴾ ﴿تنزع الناس﴾ تقلعهم من مواضعهم ﴿كأنهم أعجاز نخل﴾ أصول نخلٍ ﴿منقعر﴾ مُنقطعٍ ساقطٍ، شُبِّهوا وقد كبَّتهم الرِّيح على وجوههم بنخيل سقطت على الأرض.

﴿٢٣﴾ ﴿كذبت ثمود بالنذر﴾ جمع نذير. وقوله:

---

(١) وهي جمع شريط.

فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٗا مِّنَّا وَٰحِدٗا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلۡقِيَ ٱلذِّكۡرُ عَلَيۡهِ مِنۢ بَيۡنِنَا بَلۡ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٞ ﴿٢٥﴾ سَيَعۡلَمُونَ غَدٗا مَّنِ ٱلۡكَذَّابُ ٱلۡأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرۡسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتۡنَةٗ لَّهُمۡ فَٱرۡتَقِبۡهُمۡ وَٱصۡطَبِرۡ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئۡهُمۡ أَنَّ ٱلۡمَآءَ قِسۡمَةُۢ بَيۡنَهُمۡۖ كُلُّ شِرۡبٖ مُّحۡتَضَرٞ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلۡمُحۡتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتۡ قَوۡمُ لُوطِۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٖۖ نَّجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ ﴿٣٤﴾

﴿٢٤﴾ ﴿إنا إذاً لفي ضلال﴾ ذهابٍ عن الصَّواب ﴿وسعر﴾ جنون.

﴿٢٥﴾ ﴿أألقي الذكر عليه من بيننا﴾ أنكروا أن يكون مخصوصاً بالوحي من بينهم. ﴿بل هو كذَّاب أشر﴾ بَطِرٌ يريد أن يتعظَّم علينا. قال الله تعالىٰ:

﴿٢٦﴾ ﴿سيعلمون غداً﴾ عند نزول العذاب بهم ﴿من الكذاب الأشر﴾.

﴿٢٧﴾ ﴿إنا مرسلو الناقة﴾ مخرجوها من الهضبة كما سألوا ﴿فتنة لهم﴾ محنةً لهم لنختبرهم ﴿فارتقبهم﴾ انتظر ما هم صانعون ﴿واصطبر﴾.

﴿٢٨﴾ ﴿ونبئهم أنَّ الماء قسمة بينهم﴾ بين ثمود والناقة غِبّاً؛ لهم يومٌ، ولها يومٌ ﴿كلُّ شرب﴾ نصيبٍ من الماء ﴿محتضر﴾ يحضره القوم يوماً، والنَّاقة يوماً.

﴿٢٩﴾ ﴿فنادوا صاحبهم﴾ قُدَاراً عاقر الناقة ﴿فتعاطىٰ﴾ تناول النَّاقة بالعقر فعقرها. وقوله:

﴿٣١﴾ ﴿كهشيم المحتظر﴾ هو الرَّجل يجعل لغنمه حظيرةً بالشَّجر والشَّوك دون السِّباع، مما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيمُ. وقوله:

﴿٣٤﴾ ﴿إلاَّ آل لوط﴾ أَيْ: أتباعه على دينه من أهله وأُمَّته. ﴿نجيناهم﴾ من العذاب ﴿بسحر﴾ من الأسحار، كقوله: ﴿فأسر بأهلك...﴾[1] الآية.

(١) سورة هود: الآية ٨١.

نِّعۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدۡ أَنذَرَهُم بَطۡشَتَنَا فَتَمَارَوۡاْ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدۡ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيۡفِهِۦ فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدۡ صَبَّحَهُم بُكۡرَةً عَذَابٞ مُّسۡتَقِرّٞ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُواْ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمۡ خَيۡرٞ مِّنۡ أُوْلَٰٓئِكُمۡ أَمۡ لَكُم بَرَآءَةٞ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمۡ يَقُولُونَ نَحۡنُ جَمِيعٞ مُّنتَصِرٞ ﴿٤٤﴾ سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾

﴿٣٥﴾ ﴿نعمة من عندنا﴾ عليهم بالإنجاء ﴿كذلك﴾ كما جزينا لوطاً وآله ﴿نجزي مَنْ شكر﴾ آمن بالله وأطاعه.

﴿٣٦﴾ ﴿ولقد أنذرهم﴾ خوَّفهم لوط ﴿بطشتنا﴾ أخذنا إيَّاهم بالعقوبة ﴿فتماروا بالنذر﴾ كذَّبوا بإنكاره شكّاً منهم.

﴿٣٧﴾ ﴿ولقد راودوه عن ضيفه﴾ سألوه أن يُخلِّي بينهم وبين القوم الذين أتوه في صورة الأضياف، وكانوا ملائكةً ﴿فطمسنا أعينهم﴾ أعميناها، وصيّرناها كسائر الوجه، وقلنا لهم: ﴿فذوقوا عذابي ونذر﴾.

﴿٣٨﴾ ﴿ولقد صبحهم بكرةً﴾ جاءهم صباحاً ﴿عذابٌ مستقر﴾ ثابتٌ؛ لأنَّه أفضىٰ بهم إلى عذاب الآخرة.

﴿٤١﴾ ﴿ولقد جاء آل فرعون النذر﴾ الإنذار على لسان موسىٰ وهارون عليهما السَّلام.

﴿٤٢﴾ ﴿كذبوا بآياتنا﴾ التِّسع ﴿كلها فأخذناهم﴾ بالعذاب ﴿أخذ عزيز﴾ قويٍّ ﴿مقتدر﴾ قادرٍ لا يعجزه شيء. ثمَّ خاطب العرب فقال:

﴿٤٣﴾ ﴿أكفاركم خيرٌ من أولئكم﴾ الذين ذكرنا قصَّتهم ﴿أم لكم براءة﴾ من العذاب ﴿في الزبر﴾ الكتب تأمنون بها من العذاب.

﴿٤٤﴾ ﴿أم يقولون﴾ كفَّار مكَّة: ﴿نحن جميع منتصر﴾ جماعةٌ منصورون.

﴿٤٥﴾ ﴿سيهزم الجمع﴾ أي: جمعهم ﴿ويولون الدبر﴾ ينهزمون فيرجعون على أدبارهم، وكان هذا يوم بدرٍ.

بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَـٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾

﴿٤٦﴾ ﴿بل الساعة موعدهم﴾ للعذاب ﴿والساعة أدهىٰ وأمر﴾ أشدُّ أمراً وأشدُّ مرارةً ممَّا يلحقهم في الدُّنيا.

﴿٤٧﴾ ﴿إنَّ المجرمين في ضلال﴾ في الدُّنيا ﴿وسعر﴾ نارٍ في الآخرة.

﴿٤٨﴾ ﴿يوم يسحبون﴾ يجرُّون ﴿في النار على وجوههم﴾ ويقال لهم: ﴿ذوقوا مسَّ سقر﴾ إصابة جهنَّم إيَّاكم بالعذاب.

﴿٤٩﴾ ﴿إنا كلَّ شيء خلقناه بقدر﴾ أيْ: كلُّ ما خلقناه فمقدورٌ مكتوبٌ في اللَّوح المحفوظ، وهذه الآيات نزلت في القدرية الذين يُكذِّبون بالقدر[1].

﴿٥٠﴾ ﴿وما أمرنا﴾ لشيءٍ إذا أردنا تكوينه ﴿إلاَّ واحدة﴾ كلمةٌ واحدةٌ، وهي «كن» ﴿كلمح بالبصر﴾ في السُّرعة كخطفة البصر.

﴿٥١﴾ ﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾ أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية.

﴿٥٢﴾ ﴿وكل شيء فعلوه في الزبر﴾ في كتب الحفظة.

﴿٥٣﴾ ﴿وكلُّ صغير وكبير﴾ من أعمالهم ﴿مستطر﴾ مكتوبٌ.

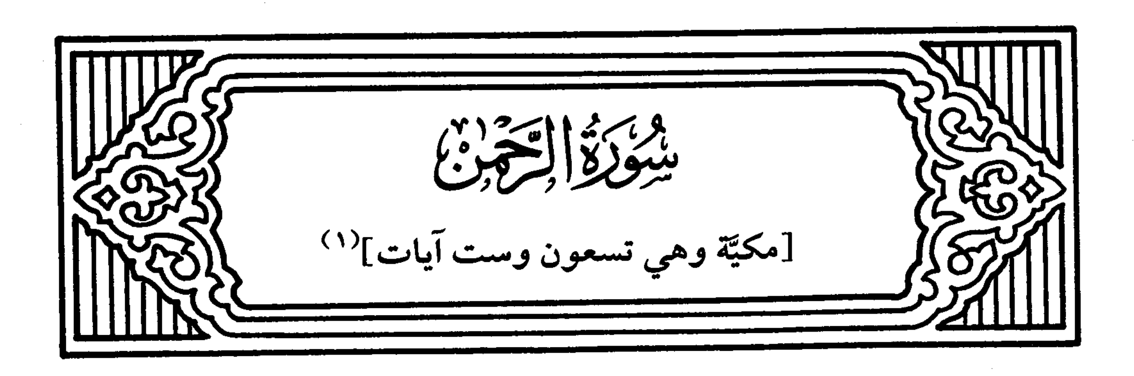
(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء مشركو قريشٍ يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فنزلت: ﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مسَّ سقر * إنَّا كلَّ شيءٍ خلقناه بقدر﴾. أخرجه مسلم في القدر برقم ٢٦٥٦؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٢٨٦.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾

﴿٥٤﴾ ﴿إنَّ المتقين في جنات ونهر﴾ ضياءٍ وسعةٍ. وقيل: أراد أنهاراً، فوحَّد لوفاق الفواصل.

﴿٥٥﴾ ﴿في مقعد صدق﴾ في مجلس حقٍّ لا لغوٌ فيه ولا تأثيمٌ ﴿عند مليك مقتدر﴾ وهو الله تعالىٰ. و «عند» إشارةٌ إلى الرُّتبة والقربة من فضل الله ورحمته.

● ● ●



بسم الله الرحمن الرحيم

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿الرحمن﴾.

﴿٢﴾ ﴿علم القرآن﴾ علَّم نبيَّه عليه السَّلام القرآن، ليس كما يقول المشركون: «إنَّما يُعلِّمه بَشرٌ»[2]. وقيل: معناه: يسَّر القرآن لأَنْ يُذكر، فعلَّمه هذه الأُمَّة حتىٰ حفظوه.

﴿٣﴾ ﴿خلق الإنسان﴾ يعني: النبيَّ ﷺ.

﴿٤﴾ ﴿علَّمه البيان﴾ القرآن الذي فيه بيان كلِّ شيءٍ. وقيل: ﴿خلق الإنسان﴾ يعني: ابن آدم، فعلَّمه النُّطق وفضَّله به على سائر الحيوان.

﴿٥﴾ ﴿الشمس والقمر﴾ يجريان ﴿بحسبان﴾ بحسابٍ لا يجاوزانه.

---

(١) ما بين [ ] من ظا. وآياتها في المصحف ٧٨ آية. قال في مصاعد النظر ٣/ ٤٤: وآيُها سبعون وستٌّ في البصري، وسبع في المدنيين والمكي، وثمان في الكوفي والشامي.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٣.

وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾

﴿٦﴾ **﴿والنجم﴾** كلُّ نبتٍ لا يقوم على ساق، ولا يبقىٰ على الشِّتاء. **﴿والشجر يسجدان﴾** يخضعان لله تعالىٰ بما يريد منهما.

﴿٧﴾ **﴿والسماء رفعها﴾** فوق الأرض **﴿ووضع الميزان﴾** العدل والإنصاف.

﴿٨﴾ **﴿أن لا﴾** لئلا **﴿تطغوا﴾** تجاوزوا القدر **﴿في الميزان﴾**.

﴿٩﴾ **﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾** بالعدل **﴿ولا تخسروا الميزان﴾** لا تنقصوا الوزن.

﴿١٠﴾ **﴿والأرض وضعها للأنام﴾** للجنِّ والإنس.

﴿١١﴾ **﴿فيها فاكهة﴾** أنواع الفواكه **﴿والنخل ذات الأكمام﴾** أوعية الثَّمر.

﴿١٢﴾ **﴿والحب ذو العصف﴾** أَيْ: ورق الزَّرع. وقيل: هو التِّبن **﴿والريحان﴾** الرِّزق، ثمَّ خاطب الجن والإنس فقال:

﴿١٣﴾ **﴿فبأي آلاء﴾** نِعَم **﴿ربكما﴾** من هذه الأشياء التي ذكرها **﴿تكذبان﴾** لأنَّها كلَّها مُنعَمٌ بها عليكُم في دلالتها إيَّاكم على وحدانيَّة الله سبحانه، ثمَّ كرر في هذه السُّورة هذه الآية توكيداً وتذكيراً لنعمه.

﴿١٤﴾ **﴿خلق الإنسان﴾** آدم **﴿من صلصال﴾** طينٍ يابسٍ يُسمع له صلصلةٌ **﴿كالفخار﴾** وهو ما طبخ من الطِّين.

﴿١٥﴾ **﴿وخلق الجان﴾** أَيْ: أبا الجن **﴿من مارج﴾** من لهب النَّار الخالص.

﴿١٧﴾ **﴿رب المشرقين ورب المغربين﴾** مشرق الصَّيف ومشرق الشِّتاء، وكذلك المغربان.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾

---

(١٩) ﴿**مرج البحرين**﴾ خلط البحر العذب والبحر المالح ﴿**يلتقيان**﴾ يجتمعان، وذلك أنَّ البحر المالح فيه عيون ماءٍ عذبٍ.

(٢٠) ﴿**بينهما برزخ**﴾ حاجزٌ من قدرة الله ﴿**لا يبغيان**﴾ لا يختلطان ولا يُجاوزان ما قدَّر الله لهما، فلا الملح يختلط بالعذب، ولا العذب يختلط بالملح.

(٢٢) ﴿**يخرج منهما**﴾ أراد: من أحدهما، وهو الملح ﴿**اللؤلؤ**﴾ وهو الحبُّ الذي يخرج من البحر ﴿**والمرجان**﴾ صغار اللؤلؤ.

(٢٤) ﴿**وله الجوار**﴾ السُّفن ﴿**المنشئات**﴾ المرفوعات. ﴿**كالأعلام**﴾ كالجبال في العظم.

(٢٦) ﴿**كلُّ مَنْ عليها**﴾ على الأرض من حيوانٍ ﴿**فانٍ**﴾ هالكٌ.

(٢٧) ﴿**ويبقىٰ وجه ربك**﴾ وهو السَّيِّد ﴿**ذو الجلال**﴾ العظمة ﴿**والإكرام**﴾ لأنبيائه وأوليائه.

(٢٩) ﴿**يسأله من في السموات والأرض**﴾ من مَلَكٍ وإنس وجنٍّ الرِّزقَ والمغفرة وما يحتاجون إليه ﴿**كلَّ يوم هو في شأن**﴾ من إظهار أفعاله، وإحداث ما يريد من إحياءٍ وإماتةٍ، وخفضٍ ورفعٍ، وقبضٍ وبسطٍ.

(٣١) ﴿**سنفرغ لكم**﴾ سنقصد لحسابكم بعد الإمهال ﴿**أيها الثقلان**﴾ يعني: الجنَّ والإنس.

يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾

﴿٣٣﴾ ﴿**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا**﴾ تخرجوا ﴿**من أقطار السموات والأرض**﴾ نواحيها هاربين من الموت ﴿**فانفذوا**﴾ فاخرجوا ﴿**لا تنفذون إلَّا بسلطان**﴾ أَيْ: حيث ما كنتم شاهدتم حجَّة الله وسلطاناً يدلُّ على أنَّه واحد.

﴿٣٥﴾ ﴿**يرسل عليكما شواظٌ من نار**﴾ وهو اللَّهب الذي لا دخان له ﴿**ونحاس**﴾ وهو الدخان [الذي لا لَهب له][1]أَيْ: **يُرسل** هذا مرَّةً، وهذا مرَّةً، وهو في يوم القيامة يُحاط على الخلق بلسانٍ من نارٍ ﴿**فلا تنتصران**﴾ أَيْ: تمتنعان.

﴿٣٧﴾ ﴿**فإذا انشقت السماء**﴾ انفرجت أبواباً لنزول الملائكة ﴿**فكانت وردة**﴾ في اختلاف ألوانها كالدُّهن واختلاف ألوانه.

﴿٣٩﴾ ﴿**فيومئذٍ لا يسأل عن ذنبه**﴾ سؤالَ استفهامٍ، ولكن يُسألون سؤالَ تقريعٍ وتوبيخٍ.

﴿٤١﴾ ﴿**يعرف المجرمون بسيماهم**﴾ بعلامتهم، وهي سواد الوجوه، وزرقة العيون ﴿**فيؤخذ بالنواصي والأقدام**﴾ تضمُّ نواصيهم إلى أقدامهم، ويُلقون في النَّار، والنَّواصي: جمع النَّاصية، وهو شعر الجبهة، ثم يقال لهم:

﴿٤٣﴾ ﴿**هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون**﴾.

---

(١) زيادة من عا.

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾

﴿٤٤﴾ **﴿يطوفون بينها وبين حميم آن﴾** وهو الذي قد انتهىٰ في الحرارة، والمعنىٰ أنَّهم إذا استغاثوا من النَّار جُعل غياثهم الحميم الآني، فيُطاف بهم مرَّةً إلى الحميم، ومرَّةً إلى النَّار.

﴿٤٦﴾ **﴿ولمن خاف مقام ربه﴾** قيامه بين يدي الله تعالىٰ للحساب، فترك المعصية **﴿جنتان﴾**.

﴿٤٨﴾ **﴿ذواتا أفنان﴾** أغصانٍ.

﴿٥٠﴾ **﴿فيهما عينان تجريان﴾** إحداهما بالماء الزُّلال، والأخرىٰ بالخمر.

﴿٥٢﴾ **﴿فيهما من كلِّ فاكهة زوجان﴾** نوعان كلاهما حلو.

﴿٥٤﴾ **﴿متكئين على فرش﴾** جمع فراش **﴿بطائنها﴾** ما بطن منها، وهو ضدُّ الظَّاهر **﴿من إستبرق﴾** وهو ما غلظ من الدِّيباج **﴿وجنىٰ الجنتين﴾** ثمرهما **﴿دان﴾** قريبٌ يناله القاعد والقائم.

﴿٥٦﴾ **﴿فيهن قاصرات الطرف﴾** حابسات الأعين إلَّا على أزواجهنَّ، ولا ينظرن إلى غيرهم **﴿لم يَطْمِثْهُنَّ﴾** لم يُجامعهنَّ **﴿إنس قبلهم﴾** قبل أزواجهن **﴿ولا جانٌّ﴾**.

﴿٥٨﴾ **﴿كأنهنَّ الياقوت﴾** في الصَّفاء **﴿والمرجان﴾** في البياض.

﴿٦٠﴾ **﴿هل جزاء الإحسان إلَّا الإحسان﴾** ما جزاء مَنْ أحسن في الدُّنيا بطاعة الله تعالىٰ إلَّا الإحسان إليه في الآخر بالجنَّة ونعيمها.

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

﴿٦٢﴾ ﴿ومن دونهما﴾ وسوىٰ الجنتين الأُولَيَيْنِ[(١)] ﴿جنتان﴾ أُخريان.

﴿٦٤﴾ ﴿مدهامتان﴾ سوداوان لشدَّة الخضرة.

﴿٧٠﴾ ﴿فيهن خيرات﴾ نساء فاضلات الأخلاق ﴿حسان﴾ الوجوه.

﴿٧٢﴾ ﴿حور﴾ سود الأحداق ﴿مقصورات﴾ محبوساتٌ ﴿في الخيام﴾ من الدُّرِّ المُجوَّفة[(٢)].

﴿٧٦﴾ ﴿متكئين على رفرف﴾ وهو ما فضل من الفرش والبسط. وقيل: الوسائد. ﴿وعبقري﴾ أَيْ: الزَّرابي والطَّنافس ﴿حسان﴾ ثمَّ ختم السورة بما ينبغي أن يُمجَّد به ويُعظَّم، فقال:

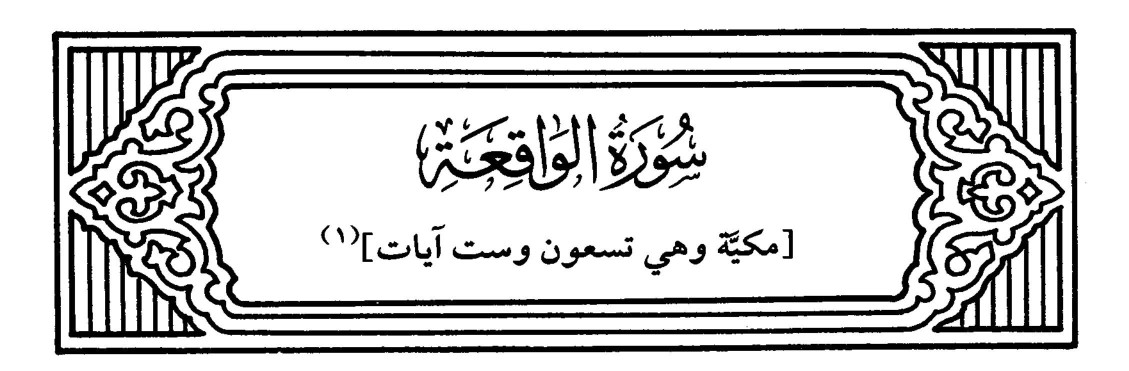
﴿٧٨﴾ ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾.

● ● ●

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في باب «ومن دونهما جنَّتان» عن عبد الله بن قيس أن رسول الله ﷺ قال: جنتان من فضة آنيتُهما وما فيهما، وجنتان من ذهبٍ آنيتهما، وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربِّهم إلَّا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن. فتح الباري ٦٢٤/٨.

(٢) عن عبد الله بن قيس في قوله تعالىٰ: ﴿حورٌ مقصورات في الخيام﴾ أنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ في الجنَّة خيمةً من لؤلؤةٍ مجوَّفةٍ عرضها ستون ميلاً، في كلِّ زاوية منها أهلٌ ما يرون الآخرين، يطوف عليهم المؤمنون. أخرجه البخاري في التفسير ٦٢٤/٨؛ ومسلم في صفة الجنة برقم ٢٨٣٨؛ والنسائي في تفسيره ٣٧٧/٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٢٥٢٨.



سُورَةُ الوَاقِعَةِ

[مكيّة وهي تسعون وست آيات](1)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿إذا وقعت الواقعة﴾ جاءت القيامة.

(٢) ﴿ليس لوقعتها﴾ لمجيئها ﴿كاذبة﴾ كذبٌ.

(٣) ﴿خافضة رافعة﴾ تخفض قوماً إلى النَّار، وترفع آخرين إلى الجنَّة.

(٤) ﴿إذا رجّت الأرض رجّاً﴾ حُرِّكت الأرض حركةً شديدةً.

(٥) ﴿وبست الجبال بسّاً﴾ فتّت فتّاً.

(٦) ﴿فكانت هباء منبثاً﴾ غُباراً متفرِّقاً.

(٧) ﴿وكنتم﴾ في ذلك اليوم ﴿أزواجاً﴾ أصنافاً ﴿ثلاثة﴾ ثمَّ بيَّن الأصناف، فقال:

(٨) ﴿فأصحاب الميمنة﴾ وهم الذين يُؤتون كتبهم بأيمانهم. وقيل: الذين كانوا على

---

(١) زيادة من ظا.

مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ وَكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنۡهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحۡمِ طَيۡرٖ مِّمَّا يَشۡتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٞ ﴿٢٢﴾

يمين آدم عليه السَّلام حين أخرج الذُّرِّيَّة من ظهره ﴿**ما أصحاب الميمنة**﴾ أيُّ شيءٍ هم؟ علىٰ التَّعظيم لشأنهم.

﴿٩﴾ ﴿**وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة**﴾ أَيْ: الشِّمال. تفسيرها على ضدِّ تفسير التي قبلها.

﴿١٠﴾ ﴿**والسابقون**﴾ إلى الإيمان[1] من كلِّ أمَّةٍ ﴿**السابقون**﴾ إلى رحمة الله وجنَّته.

﴿١١﴾ ﴿**أولئك المقربون**﴾ إلى كرامة الله.

﴿١٣﴾ ﴿**ثلة من الأولين**﴾ جماعةٌ من الأمم الماضية.

﴿١٤﴾ ﴿**وقليل من الآخرين**﴾ من هذه الأُمَّة. يريد: من سابقي الأمم وسابقي هذه الأُمَّة.

﴿١٥﴾ ﴿**على سرر موضونة**﴾ منسوجةٍ بقضبان الذَّهب والجواهر.

﴿١٧﴾ ﴿**ولدان مخلدون**﴾ غلمانٌ لا يموتون ولا يهرمون.

﴿١٨﴾ ﴿**بأكواب**﴾ بأقداحٍ لا عُرىٰ لها ﴿**وأباريق**﴾ التي لها عُرىٰ وخراطيم ﴿**وكأس**﴾ إناءٍ ﴿**من معين**﴾ من خمرٍ جاريةٍ.

﴿١٩﴾ ﴿**لا يصدعون عنها**﴾ لا ينالهم الصُّداع عن شربها ﴿**ولا ينزفون**﴾ ولا يسكرون.

﴿٢٠﴾ ﴿**وفاكهة مما يتخيرون**﴾ يختارون.

﴿٢٢﴾ ﴿**وحور**﴾ جوارٍ وغلمانٌ شديدات سواد الأعين وبياضها ﴿**عين**﴾ ضخام العيون.

(١) وفي عا و ظا: إلىٰ طاعة الله.

كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُوِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾

(٢٣) **﴿كأمثال﴾** كأشباه **﴿اللؤلؤ المكنون﴾** في صفاء اللَّون، والمكنون: المستور في كِنِّه، وهو الصَّدَف.

(٢٥) **﴿لا يسمعون فيها﴾** في الجنَّات **﴿لغواً﴾** كاملاً فاحشاً **﴿ولا تأثيماً﴾** ولا ما يوقع في الإثم.

(٢٦) **﴿إلاَّ قيلاً﴾** قولاً **﴿سلاماً سلاماً﴾** ما يسلمون فيه من اللَّغو والإثم، ثمَّ ذكر منازل أصحاب الميمنة، فقال:

(٢٨) **﴿في سدر﴾** وهو نوعٌ من الشَّجر **﴿مخضود﴾** مقطوعِ الشَّوك، لا كسدر الدُّنيا.

(٢٩) **﴿وطلح﴾** وهو شجر الموز **﴿منضود﴾** نُضِدَ بالحمل من أوَّله إلى آخره، فليست له سوقٌ بارزةٌ.

(٣٠) **﴿وظل ممدود﴾** دائمٍ ثابت[1].

(٣١) **﴿وماء مسكوب﴾** جارٍ غير منقطع.

(٣٢) **﴿وفاكهة كثيرة﴾**.

(٣٣) **﴿لا مقطوعة﴾** بالأزمان **﴿ولا ممنوعة﴾** بالأثمان.

(٣٤) **﴿وفرش مرفوعة﴾** على السُّرر.

---

(١) عن أبي هريرة أن النَّبيَّ ﷺ قال: إنَّ في الجنَّة شجرةً يسير الرَّاكب في ظلِّها مائة عامٍ لا يقطعها، واقرؤوا إن شئتم: ﴿وظلٍّ ممدود﴾. أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٦٢٧؛ ومسلم في كتاب الجنة برقم ٢٨٢٦؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٣٨٠؛ والترمذي في صفة الجنة برقم ٢٥٢٣.

إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ

﴿٣٥﴾ ﴿**إنا أنشأهن**﴾ خلقناهنَّ، أَيْ: الحور العين ﴿**إنشاء**﴾ خلقاً من غير ولادةٍ.

﴿٣٦﴾ ﴿**فجعلناهنَّ أبكاراً**﴾ عذارىٰ.

﴿٣٧﴾ ﴿**عُرباً**﴾ مُتحبِّبات إلى الأزواج، عواشق لهم ﴿**أتراباً**﴾ مُستوياتٍ في السنِّ.

﴿٣٨﴾ ﴿**لأصحاب اليمين**﴾.

﴿٣٩﴾ ﴿**ثلة من الأولين**﴾ من الأمم الماضية.

﴿٤٠﴾ ﴿**وثلة من الآخرين**﴾ من هذه الأُمَّة. يعني: إنَّ أصحاب الجنَّة نصفان: نصفٌ من الأمم الماضية، ونصفٌ من هذه الأمَّة، ثمَّ ذكر منازل أصحاب الشِّمال، فقال:

﴿٤٢﴾ ﴿**في سموم**﴾ ريحٍ حارَّةٍ ﴿**وحميم**﴾.

﴿٤٣﴾ ﴿**وظلٍّ من يحموم**﴾ دخانٍ شديد السَّواد ﴿**لا بارد**﴾ المنزل ﴿**ولا كريم**﴾ المنظر.

﴿٤٤﴾ ﴿**إنهم كانوا قبل ذلك**﴾ في الدُّنيا ﴿**مترفين**﴾ مُنعَّمين لا يتعبون في طاعة الله.

﴿٤٥﴾ ﴿**وكانوا يصرون على الحنث العظيم**﴾ يُقيمون على الذَّنب العظيم، وهو الشِّرك، وكانوا يُنكرون البعث. ﴿**وكانوا يقولون أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون**﴾. فقال الله تعالىٰ:

﴿٤٩﴾ ﴿**قل إنَّ الأولين والآخرين**﴾. ﴿**لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم**﴾ وهو يوم القيامة ومعنىٰ ﴿**إلى ميقات**﴾ لميقات يوم. وقوله:

ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَـٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَـٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَـٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَـٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَـٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَـٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَـٰهُ حُطَـٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾

﴿٥٥﴾ ﴿**شرب الهيم**﴾ أيْ: الإبل العطاش.

﴿٥٦﴾ ﴿**هذا نزلهم**﴾ ما أعدَّ لهم من الرِّزق ﴿**يوم الدين**﴾ المجازاة.

﴿٥٧﴾ ﴿**نحن خلقناكم**﴾ ابتداءً ﴿**فلولا**﴾ فهلَّا ﴿**تصدّقون**﴾ بالخلق الثَّاني، وهو البعث.

﴿٥٨﴾ ﴿**أفرأيتم ما تمنون**﴾ تصبُّون في الأرحام من المنيّ.

﴿٥٩﴾ ﴿**أأنتم تخلقونه**﴾ بشراً ﴿**أم نحن الخالقون**﴾.

﴿٦٠﴾ ﴿**نحن قدَّرنا**﴾ قضينا ﴿**بينكم الموت وما نحن بمسبوقين**﴾.

﴿٦١﴾ ﴿**علىٰ أن نبدِّل أمثالكم**﴾ أيْ: إن أردنا أن نخلق خلقاً غيركم لم نُسبق، ولا فاتنا ذلك ﴿**وننشئكم**﴾ نخلقكم ﴿**فيما لا تعلمون**﴾ من الصُّور، أيْ: نجعلكم قردةً وخنازير، والمعنىٰ: لسنا عاجزين عن خلق أمثالكم بدلاً منكم، ومسخكم من صوركم إلى غيرها.

﴿٦٢﴾ ﴿**ولقد علمتم النشأة الأولى**﴾ الخلقة الأولىٰ، أيْ: أقررتم بأنَّ الله خلقكم في بطون أُمَّهاتكم ﴿**فلولا تذكرون**﴾ أنّي قادرٌ على إعادتكم.

﴿٦٣﴾ ﴿**أفرأيتم ما تحرثون**﴾ تقلبون من الأرض وتلقون فيه من البذر.

﴿٦٤﴾ ﴿**أأنتم تزرعونه**﴾ تنبتونه ﴿**أم نحن الزارعون**﴾.

﴿٦٥﴾ ﴿**لو نشاء لجعلناه حطاماً**﴾ تبناً يابساً لا حَبَّ فيه ﴿**فظلتم تفكهون**﴾ تعجبون وتندمون ممَّا نزل بكم، وممَّا علمتم من الحرث، وتقولون:

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾

﴿٦٦﴾ ﴿إنا لمغرمون﴾ صار ما أنفقنا على الحرث غُرْماً علينا.

﴿٦٧﴾ ﴿بل نحن محرومون﴾ ممنوعون مُنعنا رزقنا. وقوله:

﴿٧٠﴾ ﴿أجاجاً﴾ أَيْ: مِلحاً لا يمكن شربه.

﴿٧١﴾ ﴿أفرأيتم النار التي تورون﴾ تقدحون.

﴿٧٢﴾ ﴿أأنتم أنشأتم﴾ خلقتم ﴿شجرتها﴾ التي تخرج منها.

﴿٧٣﴾ ﴿نحن جعلناها تذكرة﴾ يتذكَّر بها نار جهنَّم ﴿ومتاعاً﴾ ومنفعةً ﴿للمقوين﴾ للمسافرين.

﴿٧٤﴾ ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ أَيْ: نَزِّه الله ممَّا يقول المشركون.

﴿٧٥﴾ ﴿فلا أقسم﴾ «لا» زائدة ﴿بمواقع النجوم﴾ مساقطها ومغاربها. وقيل: أراد نجوم القرآن(١).

﴿٧٧﴾ ﴿إنه لقرآن كريم﴾ حسنٌ عزيزٌ.

﴿٧٨﴾ ﴿في كتاب مكنون﴾ مصونٍ عند الله.

---

(١) ويؤيده ما جاء عن ابن عباس أنَّه قال: نزل القرآن جميعاً في ليلة القدر إلى السماء الدنيا، ثمّ فُصِّل فنزل في السنين، وذلك قوله: ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم﴾. أخرجه النسائي في تفسيره ٢/ ٣٨١؛ والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٧٧؛ وصححه ووافقه الذهبي.

لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾

﴿٧٩﴾ **﴿لا يمسه﴾** باليد، أَيْ: المصحف **﴿إلاَّ المطهرون﴾** من الجنابات والأحداث.

﴿٨٠﴾ **﴿تنزيل من رب العالمين﴾**.

﴿٨١﴾ **﴿أفبهذا الحديث﴾** أَيْ: القرآن **﴿أنتم مدهنون﴾** مُكذِّبون.

﴿٨٢﴾ **﴿وتجعلون رزقكم﴾** شكر رزقكم، فحذف الشُّكر **﴿أنكم تكذبون﴾** بسقيا الله إذا مُطرتم، وتقولون: مطرنا بنوء كذا.

﴿٨٣﴾ **﴿فلولا﴾** فهلاَّ **﴿إذا بلغت﴾** الرُّوح **﴿الحلقوم﴾**.

﴿٨٤﴾ **﴿وأنتم﴾** يا أصحاب الميت **﴿حينئذٍ تنظرون﴾** إليه وهو في النَّزع.

﴿٨٥﴾ **﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾** بالعلم والقدرة **﴿ولكن لا تبصرون﴾** لا تعلمون ذلك.

﴿٨٦﴾ **﴿فلولا إن كنتم غير مَدِينين﴾** مملوكين ومجزيين.

﴿٨٧﴾ **﴿ترجعونها﴾** أَيْ: تردُّون الرُّوح إلى الميِّت **﴿إن كنتم صادقين﴾** أنَّكم غير مملوكين وغير مُدْبِرين. وقوله: ﴿ترجعونها﴾ جوابٌ واحدٌ لشيئين، قوله: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ وقوله: ﴿فلولا إن كنتم﴾ ثمَّ ذكر مآل الخلق بعد الموت فقال:

﴿٨٨﴾ **﴿فأمَّا إن كان المقربين﴾**. **﴿فروح﴾** فلهم روحٌ، أَيْ: استراحةٌ وبردٌ **﴿وريحان﴾** ورزقٌ حسنٌ.

﴿٨٩﴾ **﴿وأمَّا إن كان من أصحاب اليمين﴾**. **﴿فسلام لك من أصحاب اليمين﴾** أَيْ: إنَّك ترىٰ فيهم ما تحبُّ من السَّلامة وقد علمت ما أعدَّ لهم من الجزاء، لأنَّه قد بيَّن لك في قوله: ﴿في سدر مخضود...﴾ الآيات.

فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

﴿٩٢﴾ **﴿وأمّا إن كان من المكذبين الضالين﴾** وهم أصحاب المشأمة.

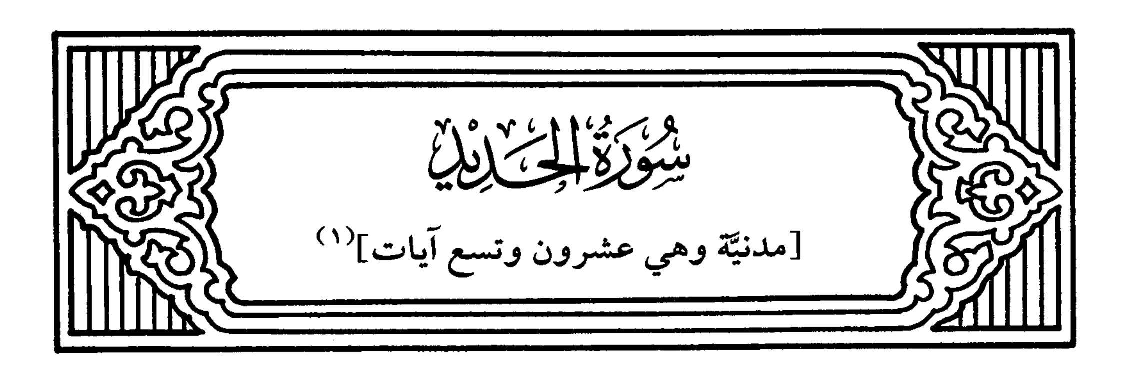
﴿٩٣﴾ **﴿فنزل من حميم﴾** فلهم نزلٌ أعدَّ لهم من شراب جهنَّم.

﴿٩٤﴾ **﴿وتصلية جحيم﴾** إدخال النَّار.

﴿٩٥﴾ **﴿إنَّ هذا﴾** الذي ذكرت **﴿لهو حق اليقين﴾**.

﴿٩٦﴾ **﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾** أيْ: نزِّه الله من السُّوء.

• • •



سُورَةُ الحَدِيدِ

[مدنيّة وهي عشرون وتسع آيات][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ يُحْيِۦ وَيُمِيتُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم﴾ ذُكر تفسيرها في قوله: ﴿وإنْ مِنْ شيءٍ إلاَّ يُسَبِّحُ بحمده﴾[2].

﴿٣﴾ ﴿هو الأوّل﴾ قبل كلِّ شيءٍ، فكلُّ شيءٍ دونه ﴿والباطن﴾ العالم بكلِّ شيءٍ.

﴿٤﴾ ﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ ما يدخل فيها من مطرٍ وغيره ﴿وما يخرج منها﴾ من نباتٍ وشجرٍ ﴿وما ينزل من السماء﴾ من رزقٍ ومطرٍ، ومَلَكٍ وأمرٍ ﴿وما يعرج فيها﴾ يصعد إليها من عملٍ ﴿وهو معكم﴾ بالعلم والقدرة ﴿أينما كنتم﴾.

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٤٤.
وانظر ص ٦٣٥.

بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَأَنفَقُواْ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۙ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم

﴿٧﴾ ﴿آمنوا بالله ورسوله﴾ صدِّقوا بأنَّ الله تعالىٰ واحدٌ، وأنَّ محمداً رسول الله ﴿وأنفقوا﴾ من المال الذي ﴿جعلكم مستخلفين فيه﴾ أَيْ: كان لغيركم فملكتموه[1]. وقوله:

﴿٨﴾ ﴿وقد أخذ ميثاقكم﴾ أَيْ: حين أخرجكم من ظهر آدم عليه السَّلام بأنَّ الله ربُّكم لا إلٰه لكم سواه ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ أي: إن كنتم علىٰ أن تؤمنوا يوماً من الأيام.

﴿١٠﴾ ﴿وما لكم أنْ لا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض﴾ أَيْ: أَيُّ شيءٍ لكم في ترك الإنفاق في طاعة الله وأنتم ميِّتون تاركون أموالكم، ثمَّ بيَّن فضل السَّابقين في الإنفاق والجهاد، فقال: ﴿لا يستوي منكم مَنْ أنفق من قبل الفتح﴾ يعني: فتح مكَّة ﴿وقاتل﴾ جاهد مع رسول الله ﷺ أعداء الله. ﴿أولئك أعظم درجة﴾ [يعني: عند الله][2] ﴿من الذين أنفقوا من بعد﴾ الفتح ﴿وقاتلوا وكلاًّ﴾ من الفريقين ﴿وعد الله الحسنىٰ﴾ الجنَّة.

﴿١١﴾ ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً﴾ ذُكر تفسيره في سورة البقرة[3].

﴿١٢﴾ ﴿يوم ترىٰ المؤمنين والمؤمنات﴾ وهو يوم القيامة ﴿يسعىٰ نورهم﴾ على الصِّراط

---

(١) في عا وظا: فملَّكَكُمُوه.
(٢) ما بين [ ] زيادة ليست في الأصل ع.
(٣) انظر ص ١٧٨.

بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ

﴿بين أيديهم وبأيمانهم﴾ وتقول لهم الملائكة: **﴿بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم﴾**.

(١٣) **﴿يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم﴾** انتظرونا وقفوا لنا نستضيء بنوركم **﴿قيل﴾** لهم **﴿ارجعوا وراءكم﴾** من حيث جئتم **﴿فالتمسوا نوراً﴾** فلا نور لكم عندنا **﴿فضرب بينهم﴾** بين المؤمنين والمنافقين **﴿بسور﴾** وهو حاجزٌ بين الجنَّة والنَّار. قيل: هو سور الأعراف **﴿له باب﴾** في ذلك السُّور بابٌ **﴿باطنه فيه الرحمة﴾** لأنَّ ذلك الباب يُفضي إلى الجنَّة **﴿وظاهره من قبله﴾** أَيْ: من قبل ذلك الظَّاهر **﴿العذاب﴾** وهو النَّار.

(١٤) **﴿ينادونهم﴾** ينادي المنافقون المؤمنين: **﴿ألم نكن معكم﴾** في الدُّنيا نناكحكم ونوارثكم **﴿قالوا بلىٰ ولكنكم فتنتم أنفسكم﴾** آثمتموها بالنِّفاق **﴿وتربصتم﴾** بمحمَّد عليه السَّلام الموت **﴿وارتبتم﴾** شككتم في الإِيمان **﴿وغرَّتكم الأمانيّ﴾** ما كنتم تمنَّون من نزول الدَّوابر بالمؤمنين **﴿حتىٰ جاء أمر الله﴾** الموت **﴿وغرَّكم بالله﴾** أَيْ: بحلمه وإمهاله **﴿الغرور﴾** الشَّيطان.

(١٥) **﴿فاليوم لا يؤخذ منكم فدية﴾** بدلٌ **﴿ولا من الذين كفروا﴾** وهم المشركون **﴿مأواكم النار﴾** منزلكم النَّار **﴿هي مولاكم﴾** أولىٰ بكم **﴿وبئس المصير﴾** هي.

(١٦) **﴿ألم يأن للذين آمنوا﴾** ألم يحن **﴿أن تخشع قلوبهم﴾** ترقَّ وتلين **﴿لذكر الله وما نزل من الحق﴾** وهو القرآن، وهذا حثٌّ من الله تعالىٰ لقومٍ من المؤمنين على الرِّقة

وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَـٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ

والخشوع ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل﴾ أي: اليهود والنَّصارى ﴿فطال عليهم الأمد﴾ الزَّمان بينهم وبين أنبيائهم ﴿فقست قلوبهم﴾ لم تَلِنْ لذكر الله، ونسوا ما عهد الله سبحانه إليهم في كتابهم ﴿وكثير منهم فاسقون﴾ وهم الذين تركوا الإِيمان بمحمد ﷺ.

﴿١٧﴾ ﴿اعلموا أنَّ الله يحيي الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات﴾ أَيْ: إنَّ إحياء الأرض بعد موتها دليلٌ على توحيد الله تعالىٰ وقدرته.

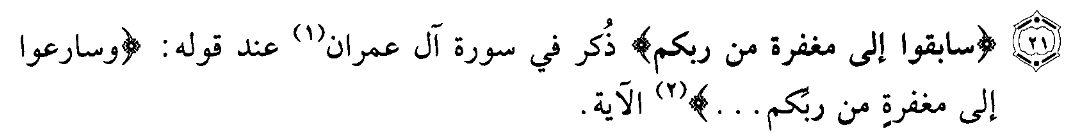
﴿١٨﴾ ﴿إنَّ المصدِّقين والمصدقات﴾ الذين يتصدَّقون وينفقون في سبيل الله ﴿وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ بالنَّفقة في سبيله ﴿يضاعف لهم﴾ ما عملوا ﴿ولهم أجرٌ كريم﴾ وهو الجنَّة.

﴿١٩﴾ ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ المُبالغون في الصِّدق ﴿والشهداء عند ربهم﴾ أي: الأنبياء عليهم السَّلام ﴿لهم أجرهم ونورهم﴾ في ظلمة القبر. وقيل: هم جميع المؤمنين.

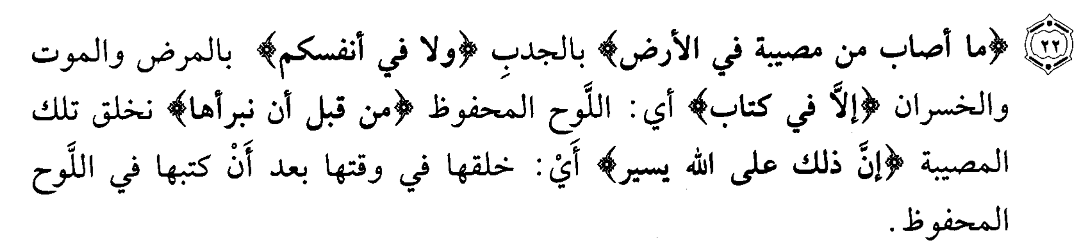
﴿٢٠﴾ ﴿اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو﴾ في انقضائها وقلَّة حاصلها ﴿وزينة﴾ يتزيَّنون بها ﴿وتفاخرٌ بينكم﴾ يفخر بها بعضكم على بعض ﴿وتكاثر في الأموال والأولاد﴾ مباهاةٌ بكثرتها، ثمَّ ضرب لها مثلاً فقال: ﴿كمثل غيث﴾ مطرٍ ﴿أعجب الكفار﴾ أَي: الزُّراع ﴿نباتُه﴾ ما أنبته ذلك الغيث، ﴿ثم يهيج﴾ ييبس ﴿فتراه

مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾

مصفراً﴾ بعد يبسه ﴿ثمَّ يكون حطاماً﴾ هشيماً مُتفتِّتاً، كذلك الإنسان يهرم ثمَّ يموت ويبلىٰ. ﴿وفي الآخرة عذاب شديد﴾ للكفَّار ﴿ومغفرة من الله ورضوان﴾ لأوليائه.



﴿٢١﴾ ﴿سابقوا إلى مغفرة من ربكم﴾ ذُكر في سورة آل عمران[1] عند قوله: ﴿وسارعوا إلى مغفرةٍ من ربكم. . .﴾[2] الآية.



﴿٢٢﴾ ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض﴾ بالجدبِ ﴿ولا في أنفسكم﴾ بالمرض والموت والخسران ﴿إلاَّ في كتاب﴾ أي: اللَّوح المحفوظ ﴿من قبل أن نبرأها﴾ نخلق تلك المصيبة ﴿إنَّ ذلك على الله يسير﴾ أَيْ: خلقها في وقتها بعد أَنْ كتبها في اللَّوح المحفوظ.

﴿٢٣﴾ ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم﴾ من الدُّنيا ﴿ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ أعطاكم منها، أَيْ: لكيلا تحزنوا حزناً يُطغيكم، ولا تبطروا بالفرح بعد أَنْ علمتم أنَّ ما يصيبكم من خيرٍ وشرٍّ فمكتوب لا يخطئكم. ﴿والله لا يحب كلَّ مختال﴾ مُتكبِّرٍ بما أُوتي من الدُّنيا ﴿فخور﴾ به على النَّاس.

---

(١) انظر ص ٢٣٢.

(٢) الآية ١٣٣.

ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَنزَلۡنَا ٱلۡحَدِيدَ فِيهِ بَأۡسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيۡنَا بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَۖ وَجَعَلۡنَا فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأۡفَةٗ وَرَحۡمَةٗۚ وَرَهۡبَانِيَّةً ٱبۡتَدَعُوهَا مَا كَتَبۡنَٰهَا عَلَيۡهِمۡ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ رِضۡوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوۡهَا حَقَّ رِعَايَتِهَاۖ

﴿٢٤﴾ **﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل﴾** ذُكر في سورة النِّساء[1].

﴿٢٥﴾ **﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات﴾** بالدّلالات الواضحات **﴿وأنزلنا معهم الكتاب والميزان﴾** العدل **﴿ليقوم الناس بالقسط﴾** ليتعامل النَّاس بينهم بالعدل **﴿وأنزلنا الحديد﴾** وذلك أنَّ آدم عليه السَّلام نزل إلى الأرض بالعلاة[2] والمطرقة وآلة الحدَّادين[3] **﴿فيه بأس شديد﴾** قوَّةٌ وشدَّةٌ يُمتنع بها ويُحارب **﴿ومنافع للناس﴾** يستعملونه في أدواتهم **﴿وليعلم الله﴾** أَيْ: أرسلنا الرُّسل ومعهم هذه الأشياء ليتعامل النَّاس بالحقِّ، وليرىٰ الله مَنْ ينصر دينه **﴿ورسله بالغيب﴾** في الدُّنيا.

وقوله:

﴿٢٧﴾ **﴿ورهبانية ابتدعوها﴾** أي: ابتدعوا من قبل أنفسهم رهبانيَّةً، أَي: التَّرهُّب في الصَّوامع **﴿ما كتبناها عليهم﴾** ما أمرناهم بها **﴿إلَّا ابتغاء رضوان الله﴾** لكنَّهم ابتغوا بتلك الرَّهبانيَّة رضوان الله **﴿فما رعوها حق رعايتها﴾** أَيْ: قصَّروا في تلك

---

(١) انظر ص ٢٦٤.

(٢) العلاة: السِّنْدان.

(٣) عن ابن عباس قال: نزلت مع آدم صلوات الله عليه: السِّنْدان، والكلبتان، والميقعة، والمطرقة.
أخرجه ابن جرير ٢٧/ ٢٣٧. والمِيقَعة: المِسَنُّ الطويل.

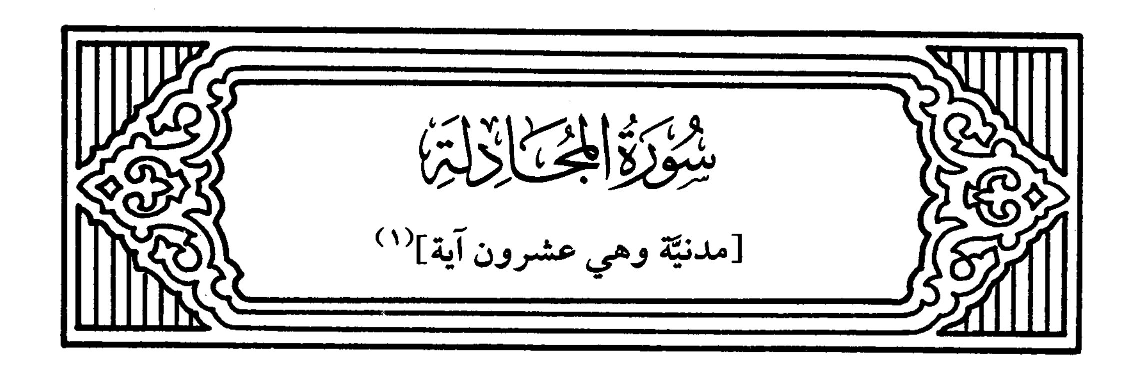
فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

الرَّهبانيَّة حين لم يؤمنوا بمحمد عليه السَّلام، ﴿**فآتينا الذين آمنوا منهم**﴾ بمحمَّدٍ عليه السَّلام ﴿**أجرهم وكثير منهم فاسقون**﴾ وهم الذين لم يؤمنوا به.

﴿٢٨﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ بالتَّوراة والإنجيل ﴿**اتقوا الله وآمنوا برسوله**﴾ محمد عليه السَّلام ﴿**يؤتكم كفلين**﴾ نصيبين ﴿**من رحمته**﴾ نصيباً بإيمانكم الأوَّل، ونصيباً بإيمانكم بمحمَّد عليه السَّلام وكتابه ﴿**ويجعل لكم نوراً تمشون به**﴾ في الآخرة على الصِّراط ﴿**ويغفر لكم**﴾ وعدهم الله هذه الأشياء كلَّها على الإيمان بمحمد عليه السَّلام، ثمَّ قال:

﴿٢٩﴾ ﴿**لئلا يعلم**﴾ أي: ليعلم، و «لا» زائدة ﴿**أهل الكتاب**﴾ اليهود والنَّصارىٰ ﴿**ألا يقدرون على شيء**﴾ أنَّهم لا يقدرون على شيءٍ ﴿**من فضل الله**﴾ يعني: إنْ لم يؤمنوا لم يُؤتهم الله شيئاً ممَّا ذُكر ﴿**وأنَّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم**﴾.

• • •



سورة المجادلة

[مدنيّة وهي عشرون آية](١)

بسم الله الرحمن الرحيم

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها﴾ نزلت في سبب خولة بنت ثعلبة(٢) وزوجها أوس بن الصَّامت، ظاهر منها وكان ذلك أوّل ظهارٍ في الإِسلام، وكان الظِّهار من طلاق الجاهليَّة، فأتت رسول الله ﷺ وذكرت أنَّ زوجها ظاهر منها، فقال رسول الله ﷺ: حَرُمْتِ عليه، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووحدتي وصبيةً صغاراً، وجعلت تُراجع رسول الله ﷺ فإذا قال لها: حَرُمْتِ عليه هتفت وشكت إلىٰ الله، وقوله: ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ أيْ: تخاطبكما ومراجعتكما الكلام، ثمَّ ذمَّ الظِّهار فقال:

---

(١) ما بين [ ] من ظا.
وهي في المصحف ٢٢ آية. وقال البقاعي في مصاعد النظر ٣/ ٦٧: وآيُها إحدىٰ وعشرون في المدني الأخير، واثنتان في عدد الباقين.

(٢) وحديثها ذكره البخاري تعليقاً في كتاب التوحيد، باب: وكان الله سميعاً بصيراً. فتح الباري ١٣/ ٣٧٢؛ وأخرجه النسائي موصولاً في السنن ٦/ ١٦٨؛ وأحمد في المسند ٦/ ٤٦؛ والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨١ وصححه هو والذهبي.

ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔي وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ

﴿٢﴾ ﴿**الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هنَّ أمهاتهم**﴾ أَيْ: ما اللواتي يجعلن من الزَّوجات كالأمهات بأمهاتٍ. ﴿**إن أمهاتهم إلاَّ اللائي ولدنهم**﴾ ما أُمهاتهم إلاَّ الوالدات ﴿**وإنهم ليقولون**﴾ بلفظ الظِّهار ﴿**منكراً من القول**﴾ لا تُعرف صحَّته ﴿**وزوراً**﴾ وكذباً؛ فإنَّ المرأة لا تكون كالأمِّ ﴿**وإنَّ الله لعفو غفور**﴾ عفا وغفر للمُظاهِر بجعل الكفَّارة عليه، ثمَّ ذكر حكم الظِّهار، فقال:

﴿٣﴾ ﴿**والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا**﴾ في الآية تقديمٌ وتأخيرٌ، تقديرها: والذين يُظاهرون من نسائهم فتحرير رقبةٍ لما قالوا، ثمَّ يعودون، أَيْ: على المُظاهر عتق رقبةٍ لقوله لامرأته: أنتِ عليَّ كظهر أُمِّي، ثمَّ يعود إلى استباحة الوطء، ولا تحلُّ له قبل الكفَّارة، وهو قوله: ﴿**من قبل أن يتماسا**﴾ أي: يَجَّامعا ﴿**ذلكم توعظون به**﴾ أي: ذلك التَّغليظ في الكفَّارة وعظٌ لكم كي تنزجروا به عن الظِّهار فلا تُظاهروا.

﴿٤﴾ ﴿**فمن لم يجد**﴾ الرَّقبة لفقره ﴿**فصيام شهرين متتابعين**﴾ لو أفطر فيما بين ذلك بطل التَّتابع، ويجب عليه الاستئناف ﴿**فمن لم يستطع**﴾ ذلك لمرضٍ أو لخوفِ مشقَّةٍ عظيمةٍ ﴿**فإطعام ستين مسكيناً**﴾ لكلِّ مسكينٍ مدٌّ من غالب القوت. ﴿**ذلك**﴾ أي: الفرض الذي وصفنا ﴿**لتؤمنوا بالله ورسوله**﴾ لتصدقوا ما أتىٰ به الرَّسول عليه السَّلام، وتُصدِّقوا أنَّ الله تعالىٰ به أمر ﴿**وتلك حدود الله**﴾ يعني: ما وصف في الظِّهار والكفَّارة ﴿**وللكافرين**﴾ لمن لم يُصدِّق به ﴿**عذاب أليم**﴾.

﴿٥﴾ ﴿**إنَّ الذين يحادون الله**﴾ يُخالفون الله ﴿**ورسوله كُبِتوا**﴾ أُذِلُّوا وأُخزوا ﴿**كما كُبِتَ**

ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِۖ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ

الذين من قبلهم﴾ ممَّن خالف الله ورسوله **﴿وقد أنزلنا آيات بينات وللكافرين﴾** بها **﴿عذاب مهين﴾**.

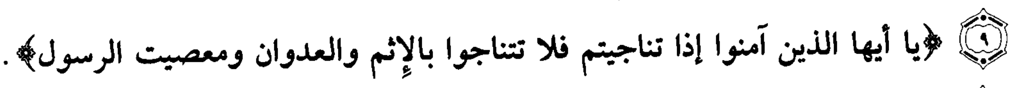
﴿٦﴾ **﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا﴾** يخبرهم بذلك ليعلموا وجوب الحجَّة عليهم **﴿أحصاه الله﴾** علمه الله وأحاط بعدده **﴿ونسوه﴾** هم. وقوله:

﴿٧﴾ **﴿ما يكون من نجوى ثلاثة﴾** أَيْ: مناجاة ثلاثةٍ، وإن شئت قلتَ: من متناجين ثلاثة **﴿إلَّا هو رابعهم﴾** بالعلم، يسمع نجواهم.

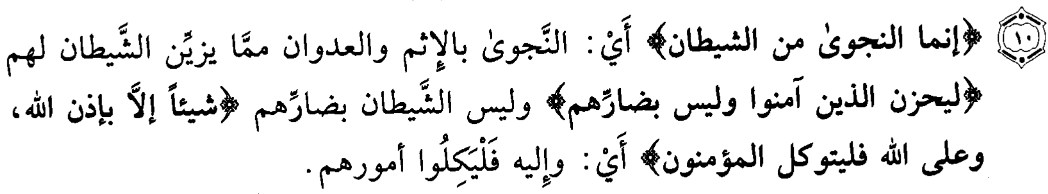
﴿٨﴾ **﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوىٰ﴾** نزلت في المنافقين واليهود، كانوا يتناجون فيما بينهم دون المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ليُواقعوا في قلوبهم ريبةً وتهمةً، ويظنُّون أنَّ ذلك لشيءٍ بلغهم ممَّا يهمُّهم، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنهاهم عن ذلك، فعادوا لما نُهوا عنه، فأنزل الله: **﴿ألم تر إلى الذين نُهوا عن النجوىٰ ثم يعودون لما﴾** أَي: إلىٰ **﴿ما نُهوا عنه ويتناجون بالإِثم والعدوان ومعصية الرسول﴾** أي: يُوصي بعضهم بعضاً سرّاً بالظُّلم والإِثم، وترك طاعة الرَّسول عليه السَّلام. **﴿وإذا جاؤوك حيوك بما لم يُحَيِّكَ به الله﴾** يعني: قولهم: السَّام عليك **﴿ويقولون في أنفسهم: لولا يعذِّبنا الله بما نقول﴾** وذلك أنَّهم قالوا: لو كان نبيّاً لعذَّبنا

حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝٨ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۝٩ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝١٠ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ

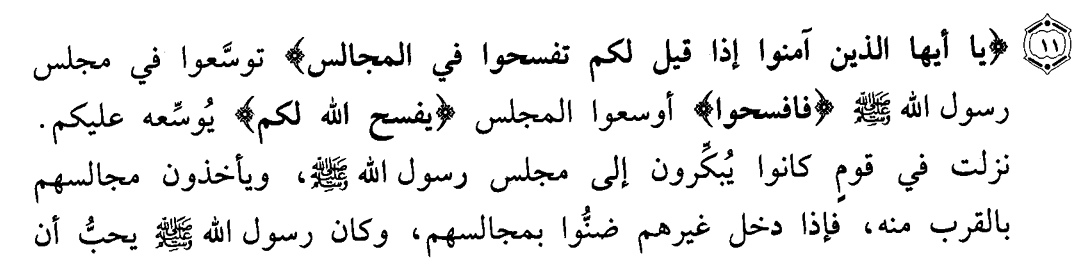
بهذا[1]، قال الله: ﴿حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير﴾. ثمَّ نهىٰ المؤمنين عن مثل ذلك، فقال:



(٩) ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصيت الرسول﴾.



(١٠) ﴿إنما النجوىٰ من الشيطان﴾ أَيْ: النَّجوىٰ بالإثم والعدوان ممَّا يزيِّن الشَّيطان لهم ﴿ليحزن الذين آمنوا وليس بضارِّهم﴾ وليس الشَّيطان بضارِّهم ﴿شيئاً إلَّا بإذن الله، وعلى الله فليتوكل المؤمنون﴾ أَيْ: وإليه فَلْيَكِلُوا أمورهم.



(١١) ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس﴾ توسَّعوا في مجلس رسول الله ﷺ ﴿فافسحوا﴾ أوسعوا المجلس ﴿يفسح الله لكم﴾ يُوسِّعه عليكم. نزلت في قومٍ كانوا يُبكِّرون إلى مجلس رسول الله ﷺ، ويأخذون مجالسهم بالقرب منه، فإذا دخل غيرهم ضنُّوا بمجالسهم، وكان رسول الله ﷺ يحبُّ أن

(١) عن عائشة قالت: دخل يهوديٌّ على النَّبيِّ ﷺ فقال: السَّامُ عليك، فقال النبيُّ ﷺ: وعليك، فقالت عائشة: وعليك السَّامُ وغضب الله، فخرج اليهودي فقال النبيُّ ﷺ: يا عائشة، إنَّ الله لا يحب الفاحش المتفحش. قالت: يا رسول الله، أما تدري ما قال؟ قال: وما قال؟ قالت: السَّامُ عليك، فهو قوله: ﴿وإذا جاؤوك حيَّوك بما لم يحيك به الله﴾. قال: فخرج اليهودي وهو يقول بينه وبين نفسه، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿ويقولون في أنفسهم: لولا يعذِّبنا الله بما نقول، حسبهم جهنَّمُ يصلونها فبئس المصير﴾.

أخرجه مسلم في السلام برقم ٢١٦٥؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٣٩٢؛ وابن ماجه في الأدب رقم ٣٦٩٨.

وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾

يُكرم أهل بدرٍ، فدخلوا يوماً فقاموا بين يديه ولم يجدوا عنده مجلساً، ولم يقم لهم أحدٌ من هؤلاء الذين أخذوا مجالسهم، فكره النبيُّ عليه السَّلام ذلك، فنزلت هذه الآية، وأمرهم أن يُوسِّعوا في المجلس لمن أراد النَّبيُّ ﷺ. **﴿وإذا قيل انشزوا فانشزوا﴾** وإذا قيل لكم: قوموا إلى صلاةٍ أو جهادٍ، أو عمل خيرٍ فانهضوا **﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم﴾** بطاعة الرَّسول **﴿والذين أوتوا العلم درجات﴾** في الجنَّة.

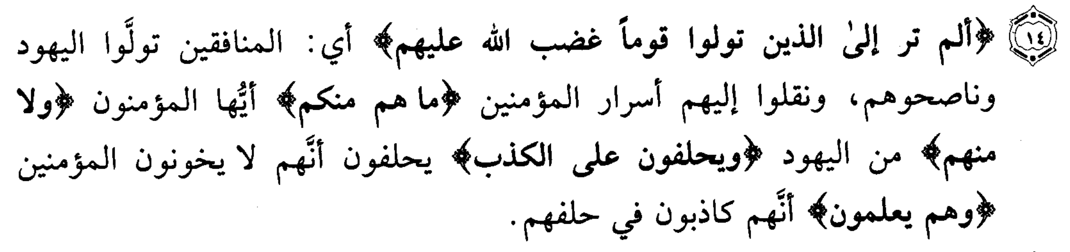
﴿١٢﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدموا بين يدي نجواكم﴾** أمام مناجاتكم **﴿صدقة﴾**. نزلت حين غلب أهلُ الجدة الفقراءَ على مجالسة رسول الله ﷺ ومناجاته، فكره الرَّسول ذلك فأمرهم الله بالصَّدقة عند المناجاة، ووضع ذلك عن الفقراء فقال: **﴿فإن لم تجدوا فإنَّ الله غفور رحيم﴾** ثمَّ نسخ الله[1] ذلك، فقال:

﴿١٣﴾ **﴿أأشفقتم﴾** بخلتم وخفتم بالصَّدقة الفقر **﴿فإذْ لم تفعلوا وتاب الله عليكم﴾** عاد عليكم بالتَّخفيف **﴿فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾** المفروضة.

---

(١) عن عليٍّ بن أبي طالب قال: لمَّا نزلت: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول فقدِّموا بين يدي نجواكم صدقة﴾، قال لي رسول الله ﷺ: ما ترىٰ، دينارٌ؟ قلتُ: لا يطيقونه. قال: فنصف دينار؟ قلتُ: لا يطيقونه. قال: فكم؟ قلتُ: شعيرة. قال: إنك لزهيد. قال: فنزلت: ﴿أأشفقتم أن تقدِّموا بين يدي نجواكم صدقات﴾ قال: فبـي خفَّف الله عن هذه الأمة. أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٢٩٧ وحسَّنه؛ والنَّحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٧٠؛ وأبو يعلىٰ في المسند ١/٢٢٣؛ وابن جرير ٢٨/٢١؛ وفيه علي بن علقمة الأنماري مقبول. تقريب التهذيب ص ٤٠٤، وقال العقيلي في الضعفاء الكبير ٣/٢٤٢: كوفي في حديثه نظر، وذكر هذا الحديث.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟



﴿١٤﴾ **﴿ألم تر إلىٰ الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم﴾** أي: المنافقين تولَّوا اليهود وناصحوهم، ونقلوا إليهم أسرار المؤمنين **﴿ما هم منكم﴾** أيُّها المؤمنون **﴿ولا منهم﴾** من اليهود **﴿ويحلفون على الكذب﴾** يحلفون أنَّهم لا يخونون المؤمنين **﴿وهم يعلمون﴾** أنَّهم كاذبون في حلفهم.

﴿١٦﴾ **﴿اتخذوا أيمانهم﴾** الكاذبة **﴿جنة﴾** يستجنُّون بها من القتل.

﴿١٨﴾ **﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له﴾** كاذبين ما كانوا مشركين **﴿كما يحلفون لكم﴾** كاذبين **﴿ويحسبون أنهم على شيء﴾** من نفاقهم، يأتونكم بوجهٍ، ويأتون الكفَّار بوجهٍ، ويظنُّون أنَّهم يسلمون فيما بينكم وبينهم **﴿ألا إنهم هم الكاذبون﴾**.

﴿١٩﴾ **﴿استحوذ عليهم الشيطان﴾** أي: استولىٰ عليهم.

﴿٢٠﴾ **﴿إنَّ الذين يحادون الله ورسوله﴾** يخالفونهما. **﴿أولئك في الأذلين﴾** المغلوبين.

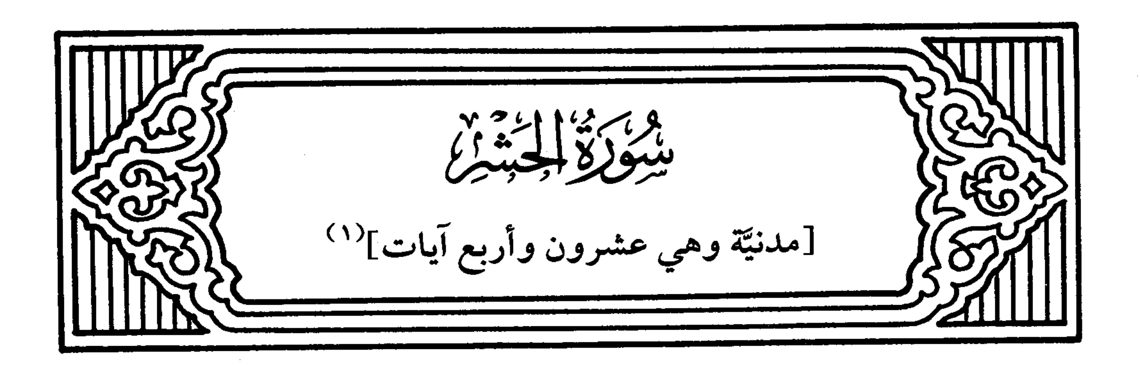
﴿٢١﴾ **﴿كتب الله﴾** قضىٰ الله **﴿لأغلبنَّ أنا ورسلي﴾** إمَّا بالظَّفر والقهر، وإمَّا بظهور الحجَّة.

﴿٢٢﴾ **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حادَّ الله ورسوله. . .﴾** الآية. أخبر الله في هذه الآية أنَّ المؤمن لا يوالي الكافر وإنْ كان أباه، أو أخاه،

ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾

أو قريبه، وذلك أنَّ المؤمنين عادوا آباءَهم الكفَّار وعشائرهم وأقاربهم، فمدحهم الله على ذلك فقال: **﴿أولئك كتب في قلوبهم الإيمان﴾** أَيْ: أثبته **﴿وأيديهم بروحٍ منه﴾** أي: بنور الإيمان. وقيل: بالقرآن، ثمَّ وعدهم الإدخال في الجنَّة فقال: **﴿ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألآ إنَّ حزب الله هم المفلحون﴾**.

• • •



سُورَةُ الحَشْرِ

[مدنيّة وهي عشرون وأربع آيات](١)

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿سبح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾.

﴿٢﴾ ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ يعني: بني النَّضير ﴿من ديارهم﴾ مساكنهم بالمدينة، وذلك أنَّهم نقضوا العهد بينهم وبين رسول الله ﷺ، فأمر رسول الله ﷺ بقتل كعب بن الأشرف سيِّدهم، فقتل غيلةً، وحاصر بني النَّضير ثمَّ صالحهم علىٰ أن يخرجوا إلىٰ الشَّام، فخرجوا وتركوا رباعهم وضياعهم، وقوله: ﴿لأوَّل الحشر﴾ كانوا أوَّل مَنْ حُشر إلى الشَّام من اليهود من جزيرة العرب. وقيل: إنَّه كان أوَّل حشرٍ إلى الشَّام، والحشر الثَّاني حشر القيامة، والشَّام أرض المحشر. ﴿ما ظننتم﴾ أيُّها المؤمنون ﴿أن يخرجوا﴾ لعدَّتهم ومنَعتهم ﴿وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله﴾ وذلك أنَّهم كانوا أهل حلقةٍ وحصونٍ، فظنُّوا أنَّها تحفظهم من ظهور المسلمين عليهم ﴿فأتاهم الله﴾ أي: أمر الله ﴿من حيث

---

(١) زيادة من ظا.

لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوۡلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعۡتُم مِّن لِّينَةٍ أَوۡ تَرَكۡتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيُخۡزِيَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ

لم يحتسبوا﴾ من جهة المؤمنين، وما كانوا يحسبون أنَّهم يغلبونهم ويظهرون عليهم **﴿وقذف في قلوبهم الرعب﴾** ألقىٰ في قلوبهم الخوف بقتل سيِّدهم **﴿يخربون بيوتهم بأيديهم﴾** وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ صالحهم علىٰ أنَّ لهم ما أقلَّت الإبل، وكانوا ينظرون إلى الخشبة والشَّيء في منازلهم ممَّا يستحسنونه، فيقلعونه وينتزعونه ويهدمون البيوت لأجله، فذلك إخرابهم بأيديهم، ويخرِّب المؤمنون باقيها، وهو قوله: **﴿وأيدي المؤمنين﴾** وأضاف الإخراب بأيدي المؤمنين إليهم؛ لأنَّهم عرَّضوا منازلهم للخراب بنقض العهد. **﴿فاعتبروا﴾** فاتَّعظوا **﴿يا أولي الأبصار﴾** يا ذوي العقول، فلا تفعلوا فعل بني النَّضير فينزل بكم ما نزل بهم.

﴿٣﴾ **﴿ولولا أن كتب الله﴾** قضى الله **﴿عليهم الجلاء﴾** الخروج عن الوطن **﴿لعذَّبهم في الدنيا﴾** بالقتل والسَّبي كما فعل بقريظة.

﴿٥﴾ **﴿ما قطعتم من لينة﴾** من نخلةٍ من نخيلهم **﴿أو تركتموها قائمة﴾** فلم تقطعوها **﴿فبإذن الله﴾** أي: إنَّه أذن في ذلك، إنْ شئتم قطعتم وإنْ شئتم تركتم، وذلك أنَّهم لمَّا تحصَّنوا بحصونهم أمر رسول الله ﷺ بقطع نخيلهم وإحراقها فجزعوا من ذلك، وقالوا: من أين لك يا محمَّد عقر الشَّجر المثمر؟ واختلف المسلمون في ذلك، فمنهم مَنْ قطع غيظاً لهم، ومنهم من ترك القطع وقالوا: هو مالنا: أفاء الله علينا به، فأخبر الله أنَّ كلَّ ذلك من القطع والتَّرك بإذنه **﴿وليخزي الفاسقين﴾** وليذلَّ اليهود وليغيظهم.

﴿٦﴾ **﴿وما أفاء الله على رسوله﴾** ردَّ الله على رسوله ورجع إليه **﴿منهم﴾** من بني النَّضير

فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾

من الأموال **﴿فما أوجفتم عليه من خيل ولا ركاب﴾** أَيْ: ما حملتم خيلكم ولا إبلكم على الوجيف إليه، وهو السَّير السَّريع، والمعنىٰ: لم تركبوا إليه خيلاً ولا إبلاً، ولا قطعتم إليه شُقَّة، فهو خالصٌ لرسول الله ﷺ يعمل فيه ما أحبَّ[1]، وليس كالغنيمة التي تكون للغانمين، وهذا معنىٰ قوله: **﴿ولكنَّ الله يسلط رسله على مَنْ يشاء. . .﴾** الآية.

﴿٧﴾ **﴿ما أفاء الله علىٰ رسوله من أهل القرىٰ﴾** من أموال أهل القرىٰ الكافرة **﴿فللَّه وللرسول ولذي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل﴾** وكان الفيء يُخَمَّس خمسةَ أخماسٍ، فكانت أربعةُ أخماسه لرسول الله ﷺ يفعل فيها ما يشاء، والخمس الباقي للمذكورين في هذه الآية، وأمَّا اليوم فما كان للنبيِّ ﷺ من الفيء يُصرف إلى أهل الثُّغور المُترصِّدين للقتال في أحد قولي الشَّافعي رحمه الله، والفيء: كلُّ مالٍ رجع إلى المسلمين من أيدي الكفَّار عفواً من غير قتال، مثل: مال الصُّلح والجزية والخراج، أو هربوا فتركوا ديارهم وأموالهم، كفعل بني النَّضير، وقوله: **﴿كيلا يكون﴾** يعني: الفيء **﴿دولة﴾** متداولاً **﴿بين الأغنياء﴾** الرُّؤساء والأقوياء **﴿منكم وما آتاكم الرسول﴾** أعطاكم من الفيء **﴿فخذوه وما نهاكم عنه﴾** عن أخذه **﴿فانتهوا﴾**.

---

(١) عن عمر رضي الله عنه، قال: كانت أموال بني النضير ممَّا أفاء الله على رسوله ﷺ ممَّا لم يُوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركابٍ، فكانت لرسول الله ﷺ خاصَّةً، ينفق على أهله منها نفقة سنته، ثمَّ يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدَّة في سبيل الله. أخرجه البخاري في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿ما أفاء الله على رسوله﴾ فتح الباري ٨/ ٦٢٩؛ ومسلم في الجهاد برقم ١٧٥٧؛ وأبو داود في الخراج والإمارة برقم ٢٩٦٣.

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

﴿٨﴾ ﴿**للفقراء المهاجرين**﴾ يعني: خمس الفيء للذين هاجروا إلى المدينة وتركوا ديارهم وأموالهم حُبّاً لله ولرسوله، ونصرةً لدينه، وهو قوله: ﴿**وينصرون الله**﴾ أي: دينه ﴿**ورسوله أولئك هم الصادقون**﴾ في إيمانهم.

﴿٩﴾ ﴿**والذين تبوَّؤا الدار والإيمان**﴾ نزلوا المدينة وقبلوا الإيمان ﴿**من قبلهم**﴾ من قبل المهاجرين وهم الأنصار ﴿**يحبون من هاجر إليهم**﴾ من المسلمين ﴿**ولا يجدون في صدورهم حاجة**﴾ غيظاً وحسداً ﴿**مما أوتوا**﴾ ممَّا أُوتي المهاجرون من الفيء، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ قسم أموال بني النَّضير بين المهاجرين، ولم يعط الأنصار منها شيئاً إلاَّ ثلاثة نفرٍ، كانت بهم حاجة فطابت أنفس الأنصار بذلك، فذلك قوله: ﴿**ويؤثرون على أنفسهم**﴾ أي: يختارون إخوانهم المهاجرين بالمال على أنفسهم ﴿**ولو كانت بهم خصاصة**﴾ حاجةٌ وفاقةٌ إلى المال ﴿**ومَنْ يوق شح نفسه**﴾ مَنْ حُفظ من الحرص المهلك على المال، وهو حرصٌ يحمله علىٰ إمساك المال عن الحقوق والحسد ﴿**فأولئك هم المفلحون**﴾.

﴿١٠﴾ ﴿**والذين جاؤوا من بعدهم**﴾ أي: والذين يَجيئون من بعد المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة ﴿**يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان**﴾ أي: المهاجرين والأنصار ﴿**ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ**﴾ حقداً ﴿**للذين آمنوا...**﴾ الآية. فمن ترحَّم على أصحاب رسول الله ﷺ ولم يكن في قلبه غِلٌّ لهم فهو من أهل هذه الآية، ومَنْ يشتم واحداً منهم ولم يترحَّم عليه لم يكن له حظٌّ في الفيء،

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟ يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا۟ لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾

وكان خارجاً من جملة أقسام المؤمنين، وهم ثلاثةٌ: المهاجرون والأنصار، والذين جاؤوا من بعدهم بهذه الصِّفة التي ذكرها الله تعالىٰ.

﴿١١﴾ **﴿ألم تر إلى الذين نافقوا...﴾** الآية. وذلك أنَّ المنافقين ذهبوا إلىٰ بني النَّضير لمَّا حاصرهم رسول الله ﷺ، وقالوا: لا تخرجوا من دياركم، فإن قاتلكم محمدٌ كنَّا معكم، وإن أخرجكم خرجنا معكم، وذلك قوله: **﴿لئن أخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً﴾** سألنا خذلانكم **﴿أبداً﴾** فكذَّبهم الله تعالىٰ فيما قالوا بقوله: **﴿والله يشهد إنهم لكاذبون﴾** والآية الثَّانية، وذكر أنَّهم إن نصروهم انهزموا ولم ينتصروا، وهو قوله:

﴿١٢﴾ **﴿ولئن نصروهم ليولنَّ الأدبار ثمَّ لا ينصرون﴾**.

﴿١٣﴾ **﴿لأنتم﴾** أيُّها المؤمنون **﴿أشد رهبة في صدورهم﴾** صدور المنافقين من الله، يقول: أنتم أهيبُ في صدورهم من الله تعالىٰ؛ لأنَّهم يُخفون منكم موافقة اليهود خوفاً منكم، ولا يخافون الله فيتركون ذلك.

﴿١٤﴾ **﴿لا يقاتلونكم جميعاً﴾** أي: اليهود **﴿إلاَّ في قرىً محصنة أو من وراء جدر﴾** أي: لِمَا ألقى الله في قلوبهم من الرعب لا يقاتلونكم إلاَّ مُتحصِّنين بالقرىٰ والجدران، ولا يبرزون لقتالكم. **﴿بأسهم بينهم شديد﴾** خلافهم بينهم عظيم **﴿تحسبهم جميعاً﴾** مُجتمعين مُتَّفقين **﴿وقلوبهم شتىٰ﴾** مُختلفةٌ مُتفرِّقةٌ، و **﴿ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾** عن الله أمره.

كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

---

(١٥) **﴿كمثل الذين من قبلهم﴾** أي: المشركين، يقول: هم في تركهم الإيمان وغفلتهم عن عذاب الله كالذين من قبلهم **﴿قريباً ذاقوا وبال أمرهم﴾**. يعني: أهل بدرٍ ذاقوا العذاب بمدَّةٍ قليلةٍ من قبل ما حلَّ بالنَّضير من الجلاء والنَّفي، وكان ذلك بعد مرجعه من أُحدٍ، وقوله:

(١٦) **﴿كمثل الشيطان﴾** يعني: إنَّ المنافقين في نصرتهم لليهود كمثل الشَّيطان **﴿إذ قال للإنسان أكفر﴾** يعني: عابداً في بني إسرائيل فتنه الشَّيطان حتىٰ كفر، ثمَّ خذله، كذلك المنافقون منَّوا بني النَّضير نصرتهم ثمَّ خذلوهم وتبرَّؤوا منهم.

(١٧) **﴿فكان عاقبتهما﴾** عاقبة الشَّيطان والكافر **﴿أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين﴾**.

(١٨) **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله﴾** بأداء فرائضه واجتناب معاصيه **﴿ولتنظر نفسٌ ما قدَّمت لغد﴾** يوم القيامة من طاعةٍ وعملٍ صالحٍ.

(١٩) **﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله﴾** تركوا طاعة اللّٰه وأمره **﴿فأنساهم أنفسهم﴾** حظَّ أنفسهم أن يُقدِّموا لها خيراً.

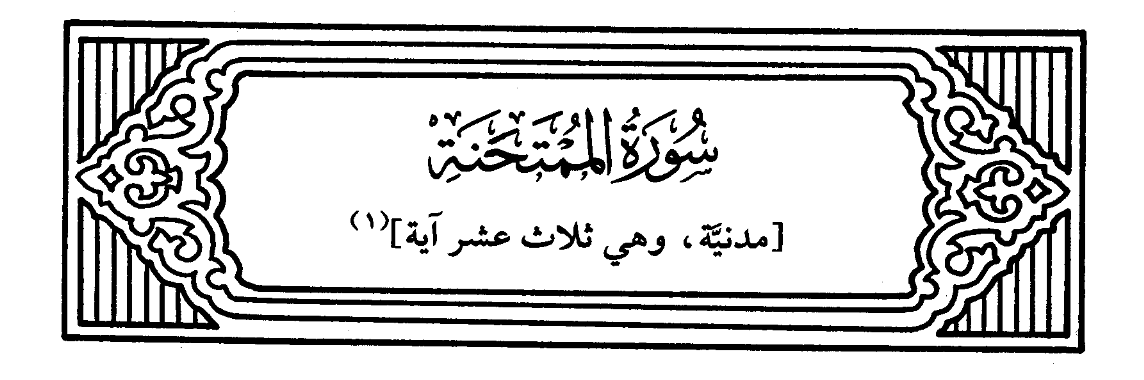
(٢١) **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾** أخبر الله تعالىٰ أنَّ من شأن القرآن وعظمته أنَّه لو جُعل في الجبل تمييزٌ ـ كما جعل في الإنسان ـ وأُنزل عليه القرآن لخشع وتصدَّع، أَيْ: تشقَّق من خشية الله. قوله:

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾

﴿٢٢﴾ **﴿عالم الغيب والشهادة﴾** السِّرِّ والعلانيَة. وقوله:

﴿٢٣﴾ **﴿الملك﴾**: ذو الملك **﴿القدوس﴾** الطَّاهر عمَّا لا يليق به **﴿السلام﴾** ذو السَّلامة من الآفات والنَّقائص **﴿المؤمن﴾** المُصدِّق رسله بخلق المعجزة لهم. وقيل: الذي آمن خلقه من ظلمه **﴿المهيمن﴾** الشَّهيد **﴿العزيز﴾** القويُّ **﴿الجبار﴾** الذي جبر الخلق على ما أراد من أمره **﴿المتكبر﴾** عمَّا لا يليق به.

• • •



سُورَةُ المُمتَحنَة

[مدنيّة، وهي ثلاث عشر آية](١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء﴾ نزلت في حاطب ابن أبي بلتعة لمَّا كتب إلى مشركي مكَّة يُنذرهم برسول الله ﷺ حين أراد الخروج إليهم(٢) ﴿تلقون إليهم بالمودة﴾ أَيْ: تُلقون إليهم أخبار النَّبيِّ ﷺ وسرَّه بالمودة التي بينكم وبينهم ﴿وقد كفروا﴾ أي: وحالهم أنَّهم كافرون ﴿بما جاءكم من الحق﴾ دين الإسلام والقرآن ﴿يخرجون الرسول وإياكم﴾ أيُّها المؤمنون من مكَّة ﴿أن تؤمنوا﴾ لأن آمنتم ﴿بالله ربكم إن كنتم خرجتم﴾ من مكَّة ﴿جهاداً﴾ للجهاد ﴿في سبيلي وابتغاء مرضاتي﴾ وجواب هذا الشَّرط متقدِّم وهو قوله: ﴿لا تتخذوا عدوي﴾ أي: لا تتَّخذوهم أولياء إن كنتم تبتغون مرضاتي، وقوله: ﴿تسرون إليهم

---

(١) ما بين [ ] من ظا.

(٢) وحديث حاطب هذا أخرجه البخاري في الجهاد، وفي التفسير ٨/ ٦٣٣؛ ومسلم في فضائل الصحابة برقم ٢٤٩٤؛ وأبو داود في الجهاد برقم ٢٦٥٠؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٤١٤؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣٠٥.

بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ

بالمودة﴾ كقوله: ﴿تُلقون إليهم بالمودَّة﴾ **﴿وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم﴾** وذلك أنَّ الله أطلع نبيَّه عليه السَّلام على مكاتبة حاطبٍ للمشركين حتىٰ استردَّ الكتاب ممَّن دفعه إليه ليوصله إليهم **﴿ومن يفعله منكم﴾** أي: الإسرار إليهم **﴿فقد ضلَّ سواء السبيل﴾** أخطأ طريق الدِّين، ثمَّ أعلم أنَّه ليس ينفعهم ذلك عند المشركين، فقال:

﴿٢﴾ **﴿إن يثقفوكم﴾** أيْ: يلقوكم ويظفروا بكم **﴿يكونوا لكم أعداءً ويبسطوا إليكم أيديهم﴾** بالضَّرب والقتل **﴿وألسنتهم بالسّوء﴾** أي: الشَّتم **﴿وودوا لو تكفرون﴾** فلا تُناصِحوهم، فإنَّهم معكم على هذه الحالة، ثمَّ أخبر أنَّ أهلهم وأولادهم الذين لأجلهم يُناصحون المشركين لا ينفعونهم شيئاً في القيامة، فقال:

﴿٣﴾ **﴿لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم﴾** المشركون **﴿يوم القيامة يفصل بينكم﴾** فيدخل المؤمنون الجنَّة، والكافرون النَّار، ثمَّ أمرَ أصحاب رسول الله ﷺ بالاقتداء بأصحاب إبراهيم عليه السَّلام، فقال:

﴿٤﴾ **﴿قد كانت لكم أسوة حسنة﴾** ائتمامٌ واقتداءٌ [وطريقةٌ حسنةٌ][1] **﴿في إبراهيم والذين معه﴾** من أصحابه إذ تبرَّؤوا من قومهم الكفَّار وعادوهم، وقالوا لهم: **﴿كفرنا بكم﴾** أيْ: أنكرناكم وقطعنا محبتكم. وقوله: **﴿إلَّا قول إبراهيم لأبيه﴾** أيْ: كانت لكم أسوةٌ فيهم ما خلا هذا، فإنَّه لا يجوز الاستغفار للمشركين، ثمَّ

(١) زيادة من ظا.

لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ۞ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ

أخبر أنَّهم قالوا يعني قوم إبراهيم: ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾.

﴿٥﴾ ﴿ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا﴾ أيْ: لا تُظهرهم علينا فيظنوا أنَّهم على حقٍّ، فيفتتنوا بذلك.

﴿٦﴾ ﴿لقد كان لكم فيهم﴾ في إبراهيم والذين معه ﴿أسوة حسنة﴾ تقتدون بهم، فتفعلون من البراءة من الكفَّار كما فعلوا، وتقولون كما قالوا ممَّا أخبر عنهم، ثمَّ بيَّن أنَّ هذا الاقتداء بهم ﴿لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ ﴿ومن يتول﴾ عن الحقِّ ووالىٰ الكفَّار ﴿فإنَّ الله هو الغني الحميد﴾.

﴿٧﴾ ﴿عسىٰ الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم﴾ من مشركي مكَّة ﴿مودَّة﴾ بأن يهديهم للدِّين، فيصيروا لكم أولياء وإخواناً، ثمَّ فعل ذلك بعد فتح مكَّة، فتزوَّج رسول الله ﷺ أمَّ حبيبة بنت أبي سفيان، ولان أبو سفيان للمؤمنين وترك ما كان عليه من العداوة، ثمَّ رخص في صلة الذين لم يقاتلوهم من الكفَّار، فقال:

﴿٨﴾ ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم﴾ أيْ: لا ينهاكم عن برِّ هؤلاء ﴿وتقسطوا إليهم﴾ أيْ: تعدلوا فيهم بالإحسان، ثمَّ ذكر أنَّه إنَّما ينهاهم عن أن يتولَّوا مشركي مكَّة الذين قاتلوهم، فقال:

﴿٩﴾ ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على

إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَلَا تُمْسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ

إخراجكم أن تولوهم﴾.

(١٠) **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات...﴾** الآية. نزلت بعد صلح الحديبية، وكان الصُّلح قد وقع على أن يردَّ إلى أهل مكّة مَنْ جاء من المؤمنين منهم، فأنزل الله في النِّساء إذا جئن مهاجراتٍ أَنْ يُمتحنَّ، وهو قوله: **﴿فامتحنوهن﴾** وهو أَنْ تُستحلف ما خرجت بُغضاً لزوجها، ولا عشقاً لرجلٍ من المسلمين، وما خرجت إلاَّ رغبةً في الإِسلام، فإذا حلفت لم تردَّ إلى الكفَّار، وهو قوله: **﴿فإن علمتموهنَّ مؤمنات فلا ترجعوهنَّ إلى الكفار﴾** لأنَّ المسلمةَ لا تحلُّ للكافر، وقوله: **﴿وآتوهم﴾** يعني: أزواجهم الكفَّار ما أنفقوا عليهنَّ من المهر **﴿ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهنَّ أجورهنَّ﴾** أي: مهورهنَّ وإن كان لهنَّ أزواجٌ كفَّارٌ، [في دار الإِسلام][(١)]، لأنَّ الإِسلام أبطل تلك الزَّوجية، **﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾** أَيْ: لا تمسكوا بنكاحهنَّ؛ فإنَّ العصمة لا تبقىٰ بين المشركة والمؤمن، والمعنىٰ: إن لحقت بالمشركين واحدةٌ من نسائكم فلا تتمسكوا بنكاحها **﴿واسألوا ما أنفقتم﴾** عليهنَّ من المهر مَنْ يتزوجهنَّ من الكفَّار **﴿وليسألوا﴾** يعني: المشركين **﴿ما أنفقوا﴾** من المهر، فلمَّا نزلت هذه الآية أدَّىٰ المؤمنون ما أُمروا به من نفقات المشركين على نسائهم، وأبىٰ المشركون ذلك، فنزلت:

 **﴿وإن فاتكم شيء من أزواجكم إلى الكفار﴾** أَيْ: إنْ لحقتْ واحدةٌ من نسائكم

(١) ما بين [ ] زيادة من عا و ظا.

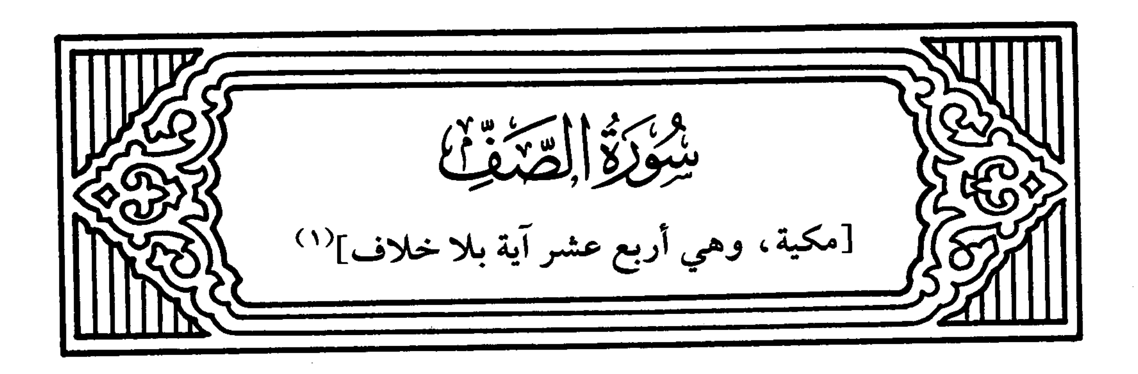
فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

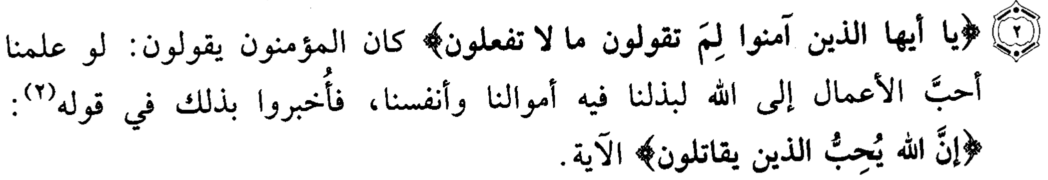
مرتدَّةً بالكفَّار ﴿**فعاقبتم**﴾ فغزوتموهم وكانت العقبىٰ لكم ﴿**فآتوا الذين ذهبت أزواجهم**﴾ إلى الكفَّار ﴿**مثل ما أنفقوا**﴾ عليهنَّ من الغنائم، ثمَّ نزل في بيعة النِّساء:

﴿١٢﴾ ﴿**يا أيها النبيُّ إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهنَّ ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن**﴾ أَيْ: لا يأتين بولدٍ ينسبنه إلى الزَّوج؛ فإن ذلك بهتانٌ وفِريةٌ ﴿**ولا يعصينك في معروف**﴾ أَيْ: فيما وافق طاعة الله تعالىٰ ﴿**فبايعهنَّ**﴾ أمره أنْ يُبايعهنَّ على الشَّرائط التي ذكرها في هذه الآية، ثمَّ نهىٰ المؤمنين عن موالاة اليهود، فقال:

﴿١٣﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة**﴾ أن يكون لهم فيها ثوابٌ ﴿**كما يئس الكفار**﴾ الذين لا يوقنون بالبعث ﴿**من أصحاب القبور**﴾ أن يُبعثوا. وقيل: كما يئس الكفَّار الذين في القبور مَنْ أَنْ يكون لهم في الآخرة خيرٌ.

• • •





﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿سبّح لله ما في السموات وما في الأرض وهو العزيز الحكيم﴾.

(٢) ﴿يا أيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون﴾ كان المؤمنون يقولون: لو علمنا أحبَّ الأعمال إلى الله لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا، فأُخبروا بذلك في قوله[٢]: ﴿إنَّ الله يُحِبُّ الذين يقاتلون﴾ الآية.

(٣) وقوله: ﴿كَبُر مقتاً عند الله﴾ أيْ: عَظُم ذلك في البغض ﴿أن تقولوا ما لا تفعلون﴾. وقوله:

(٤) ﴿إنَّ الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً﴾ وأُعلموا أنَّ أحب الأعمال إلى الله الجهاد، فلم يَفوا بما قالوا وانهزموا يوم أُحدٍ، فعُيِّروا بهذه الآية. وقوله: ﴿كأنهم

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) أخرج هذا أحمد في المسند ٥/٤٥٢، والترمذي في التفسير برقم ٣٣٠٦ عن عبد الله بن سلَّام؛ والحاكم ٢/٤٨٧؛ وصححه.

بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ

بنيان مرصوص﴾ لاصقٌ بعضه ببعض لا يزولون عن أماكنهم.

﴿٥﴾ **﴿وإذ قال موسىٰ﴾** أَيْ: اذكر يا محمَّد لقومك قصَّة موسىٰ إذ قال لقومه: **﴿يا قوم لم تؤذونني﴾** وذلك حين رموه بالأُدْرَة **﴿وقد تعلمون أني رسول الله إليكم﴾** والرَّسول يُعظَّم ولا يُؤذىٰ **﴿فلما زاغوا﴾** عدلوا عن الحقِّ **﴿أزاغ الله قلوبهم﴾** أضلَّهم الله وصرف قلوبهم عن الحقِّ **﴿والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾** أَيْ: مَنْ سبق في علمه أنَّه فاسقٌ. وقوله:

﴿١٣﴾ **﴿وأخرىٰ تحبونها﴾** أَيْ: ولكم أخرىٰ تحبُّونها في العاجل مع ثواب الآجل، ثمَّ بيَّن ما هي، فقال: **﴿نصرٌ من الله وفتح قريب﴾**.

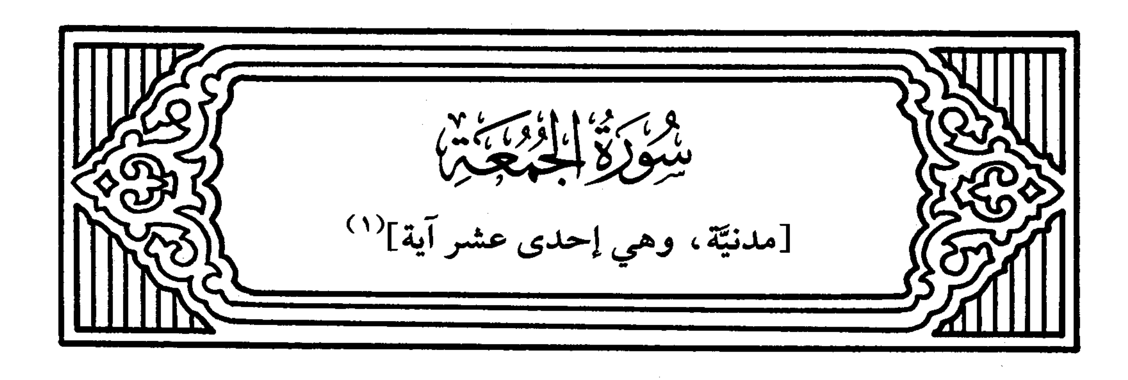
﴿١٤﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله﴾** أعواناً بالسَّيف على أعدائه **﴿كما قال عيسىٰ ابن مريم للحواريين مَنْ أنصاري إلى الله﴾** أَيْ: مع الله **﴿قال الحواريون نحن**

ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

أنصار الله، ﴿فآمنت طائفة من بني إسرائيل﴾ بعيسىٰ ﴿وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا﴾ [قوّيناهم][1] ﴿على عدوهم فأصبحوا ظاهرين﴾ غالبين.

● ● ●

(١) ما بين [ ] ليس في الأصل ع.



سُورَةُ الجُمُعَةِ

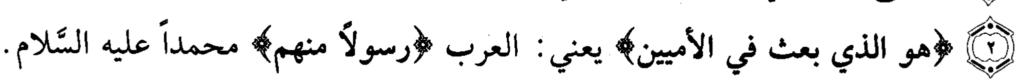
[مدنيّة، وهي إحدى عشر آية][1]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾.



(٢) ﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ يعني: العرب ﴿رسولاً منهم﴾ محمداً عليه السَّلام.

(٣) ﴿وآخرين منهم﴾ أَيْ: وفي آخرين منهم ﴿لما يلحقوا بهم﴾[2] وهم التَّابعون وجميعُ مَنْ يدخل في الإِسلام، والنبيُّ ﷺ مبعوثٌ إلى كلِّ مَنْ شاهده، وإلىٰ كلِّ مَنْ كان بعدهم من العرب والعجم.

(٥) ﴿مثل الذين حملوا التوراة﴾ كُلِّفوا العمل بها ﴿ثمَّ لم يحملوها﴾ لم يعملوا بما فيها

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) وفي هامش ظ زيادة: قوله: ﴿لمّا يلحقوا﴾ أي: لم يلحقوا بهم. أي: في الفضل والمسابقة؛ لأنّ التابعين لم يدركوا شأو الصحابة.

كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْا۟ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُوا۟ ٱلْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

﴿كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾ كتباً. أَيْ: اليهود، شبَّههم في قلَّة انتفاعهم بما في أيديهم من التَّوراة إذ لم يؤمنوا بمحمد عليه السَّلام بالحمار يحمل كتباً، ثمَّ قال: **﴿بئس مثلُ القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين﴾**.

﴿٦﴾ **﴿قل يا أيها الذين هادوا إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾** فسِّر في سورة البقرة[1] عند قوله: **﴿قل إنْ كانت لكم الدَّارُ الآخرةُ...﴾**[2] الآية.

﴿٨﴾ **﴿قل إنَّ الموت الذي تفِرُّون منه﴾** وذلك أَنَّهم علموا أَنَّ عاقبتهم النَّار بتكذيب محمد عليه السَّلام، فكرهوا الموت، قال الله: **﴿فإنَّه ملاقيكم﴾** أَيْ: لا بدَّ لكم منه يلقاكم وتلقونه.

﴿٩﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾** أَيْ: اعملوا على المشي إليه **﴿وذروا البيع﴾** اتركوه بعد النِّداء.

﴿١٠﴾ **﴿فإذا قضيت الصَّلاة﴾** فُرِغ منها **﴿فانتشروا في الأرض﴾** أَمرُ إباحةٍ **﴿وابتغوا من فضل الله﴾** الرِّزق.

---

(١) انظر ص ١١٩.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩٤.

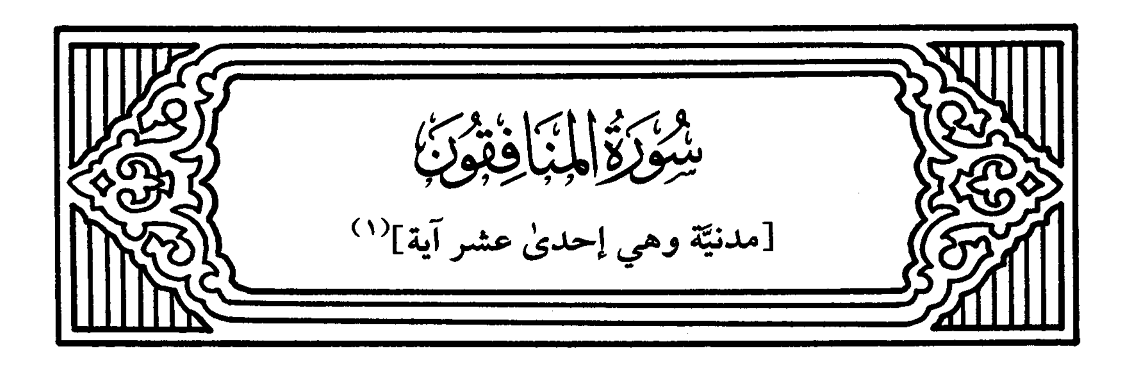
وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗاۚ قُلۡ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِۚ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

 ﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها﴾ أَيْ: تفرَّقوا عنك إلى التِّجارة، وكان النبـيُّ ﷺ في خطبته يوم الجمعة، فقدمت عيرٌ وضرب لقدومها الطبل، وكان ذلك في زمان غلاءٍ بالمدينة، فتفرَّق النَّاس عن النبـيّ ﷺ إلى التِّجارة وصوت الطبل، ولم يبق معه إلاَّ اثنا عشر[١] نفساً. وقوله: ﴿وتركوك قائماً﴾ أَيْ: في الخطبة. ﴿قل ما عند الله﴾ [للمؤمنين][٢] ﴿خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ فإيَّاه فاسألوا، ولا تنفضُّوا عن الرَّسول ﷺ لطلب الرِّزق.

● ● ●

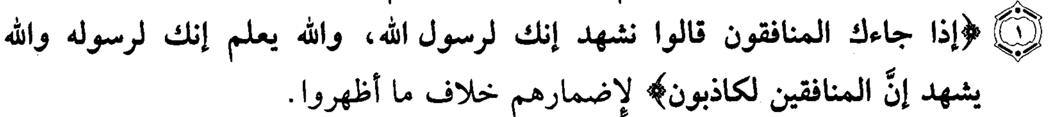
(١) أخرج هذا البخاري عن جابر بن عبد الله في التفسير ٨/ ٦٤٣؛ ومسلم في الجمعة برقم ٨٦٣؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٤٣٠؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣٠٨.

(٢) زيادة ليست في الأصل ع.



سورة المنافقون

[مدنيّة وهي إحدىٰ عشر آية][1]



إِذَا جَاءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله، والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إنَّ المنافقين لكاذبون﴾ لإضمارهم خلاف ما أظهروا.

(٢) ﴿اتخذوا أيمانهم﴾ جمع يمينٍ ﴿جنَّة﴾ سترةً يستترون بها من القتل. يعني: قولهم: ﴿ويحلفون بالله إنَّهم لمنكم﴾[2] وقوله: ﴿يحلفون بالله ما قالوا﴾[3]. ﴿فصدوا عن سبيل الله﴾ منعوا النَّاس عن الإيمان بمحمَّد ﷺ ﴿إنهم ساء ما كانوا يعملون﴾ بئس [العملُ][4] عملهم.

(٣) ﴿ذلك بأنهم آمنوا﴾ في الظَّاهر ﴿ثمَّ كفروا﴾ بالاعتقاد.

(٤) ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾ في طولها واستواء خلقها، وكان عبد الله ابن أبيّ

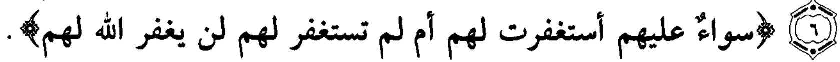
---

(١) زيادة من ظا.
(٢) سورة التوبة: الآية ٥٦.
(٣) سورة التوبة: الآية ٧٤.
(٤) زيادة من ظا.

وَإِن يَقُولُواْ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْاْ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ

جسيماً صبيحاً فصيحاً، إذا تكلَّم يَسمع النبيُّ ﷺ قوله، وهو قوله: ﴿**وإن يقولوا تسمع لقولهم**﴾ ثمَّ أعلم أنَّهم في ترك التَّفهُّم بمنزلة الخشب، فقال: ﴿**كأنهم خشب مسندة**﴾ أَيْ: ممالةٌ إلى الجدار ﴿**يحسبون**﴾ من جُبنهم وسوء ظنِّهم ﴿**كلَّ صيحة عليهم**﴾ أَيْ: إنْ نادىٰ منادٍ في العسكر، أو ارتفع صوتٌ، ظنُّوا أنَّهم يُرادون بذلك لما في قلوبهم من الرُّعب ﴿**هم العدو**﴾ وإن كانوا معك ﴿**فاحذرهم**﴾ ولا تأمنهم ﴿**قاتلهم الله**﴾ لعنهم الله ﴿**أنىٰ يؤفكون**﴾ من أين يُصرفون عن الحقِّ بالباطل؟!.

﴿٥﴾ ﴿**وإذا قيل لهم تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم**﴾ وذلك أنَّه لمَّا نزلت هذه الآيات قيل لعبد الله بن أبيّ: لقد نزلت فيك آيٌ شدادٌ، فاذهب إلى رسول الله ﷺ يستغفر لك، فلوىٰ رأسه وأعرض بوجهه إظهاراً للكراهة[1] ﴿**ورأيتهم يصدون**﴾ يُعرضون عمَّا دُعوا إليه ﴿**وهم مستكبرون**﴾ لا يستغفرون، ثمَّ أخبر أنَّ استغفار الرَّسول عليه السَّلام لا ينفعهم لفسقهم وكفرهم فقال:


﴿٦﴾ ﴿**سواءٌ عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم**﴾.

﴿٧﴾ ﴿**هم الذين يقولون: لا تنفقوا علىٰ من عند رسول الله**﴾ وذلك أَنَّ عبد الله ابن أبيّ قال لقومه وذويه: لا تنفقوا على أصحاب محمَّد ـ ﷺ ورضي عنهم ـ حتىٰ

(١) أخرجه ابن جرير ٢٨/ ١١٠ عن قتادة، ومجاهد في تفسيره ص ٦٧٧.

وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ

ينفضُّوا، أَيْ: يتفرَّقوا ﴿**ولله خزائن السموات والأرض**﴾ أَيْ: إِنَّه يرزق الخلق كلَّهم، وهو يرزق المؤمنين والمنافقين جميعاً.

﴿٨﴾ ﴿**يقولون لئن رجعنا إلى المدينة**﴾ يعني: عبد الله ابن أبيّ، وكان قد خرج مع رسول الله ﷺ إلى غزوة بني المصطلق، وجرىٰ بينه وبين واحدٍ من المؤمنين جدال، فأفرط عليه المؤمن فقال عبد الله بن أبيّ: ﴿**لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعزُّ منها الأذل**﴾[1] يعني: بالأعزِّ نفسه، وبالأذلِّ رسول الله ﷺ، فقال الله تعالىٰ: ﴿**ولله العزَّة**﴾ القوَّة والغلبة ﴿**ولرسوله**﴾ بعلوِّ كلمته وإظهار دينه ﴿**وللمؤمنين**﴾ بنصر الله إيَّاهم علىٰ مَنْ ناوأهم.

﴿٩﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم**﴾ لا تشغلكم ﴿**أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله**﴾ أَيْ: الصَّلوات الخمس ﴿**ومَنْ يفعل ذلك**﴾ يشتغل بشيءٍ عن الصَّلوات ﴿**فأولئك هم الخاسرون**﴾.

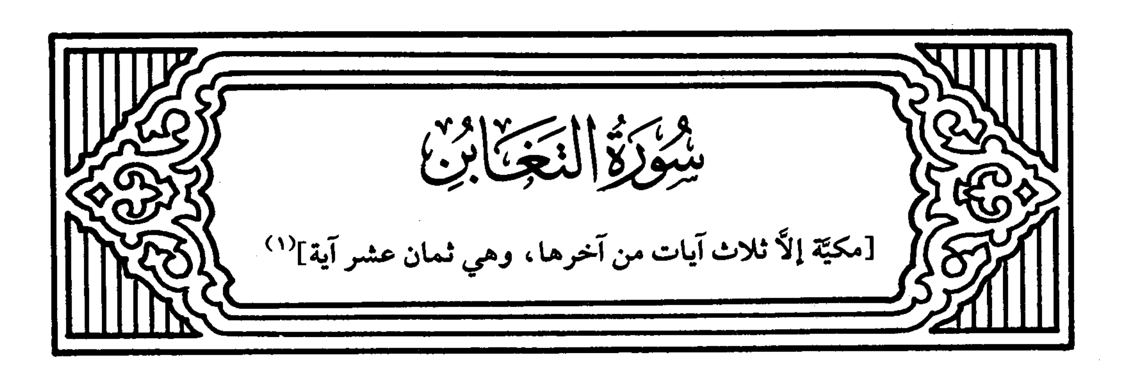
﴿١٠﴾ ﴿**وأنفقوا مما رزقناكم**﴾ يعني: أَدُّوا الزَّكاة ﴿**من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول: ربِّ لولا أخرتني إلىٰ أجل قريب**﴾ هلَّا أخرتني إلى أجلٍ قريبٍ، يسأل

(١) أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٦٥٢؛ ومسلم في صفات المنافقين برقم ٢٧٧٢؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٤٣٤؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣١٤؛ وابن جرير ٢٨/ ١١٣.

فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾

الرجعة، وما قصَّر أحدٌ في الزَّكاة والحجِّ إلاَّ سأل الرَّجعة عند الموت ﴿**فأصدَّق**﴾ أَيْ: أتصدَّق وأُزكِّي ﴿**وأكن من الصالحين**﴾ أَيْ: أحج. قال الله تعالىٰ: ﴿١١﴾ ﴿**ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبيرٌ بما تعملون**﴾.

• • •



سُورَةُ التَّغَابُنِ

[مكيّة إلاّ ثلاث آيات من آخرها، وهي ثمان عشر آية](١)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) **﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير﴾.**

(٢) **﴿هو الذي خلقكم﴾** أَيْ: في بطون أمهاتكم **﴿فمنكم كافر ومنكم مؤمن﴾** أَيْ: خلقكم كُفّاراً ومؤمنين. وقوله:

(٣) **﴿فأحسن صوركم﴾** أَيْ: خلقكم أحسن الحيوان.

---

(١) زيادة من ظا.

وقال ابن عباس: مكيّة إلاّ ثلاثَ آياتٍ منها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي، شكا إلى النّبيّ ﷺ جفاء أهله وولده، فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيُّها الذين آمنوا إنَّ مِنْ أزواجكم وأولادكم عدوّاً لكم فاحذروهم...﴾ إلى آخر الآيات الثلاث. أخرجه النحاس في ناسخه ص ٢٨٩.

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ۝٦ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٨ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٩ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ۝١٠ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝١١

(٥) ﴿ألم يأتكم﴾ يا أهلَ مكَّة ﴿نبأ الذين كفروا من قبل﴾ أيْ: خبر الأمم الكافرة قبلكم ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ ذاقوا في الدُّنيا العقوبة بكفرهم ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾.

(٦) ﴿ذلك﴾ أيْ: ذلك الذي نزل بهم ﴿بأنَّه كانت تأتيهم رسلهم بالبينات فقالوا: أبشرٌ يهدوننا﴾ استبعدوا أن يكون الدَّاعي إلى الحقِّ بشراً، والمراد بالبشر هٰهنا الجمع، لذلك قال: ﴿يهدوننا، فكفروا وتولوا﴾ عن الإيمان ﴿واستغنىٰ الله﴾ أيْ: عن إيمانهم ﴿والله غنيٌّ﴾ عن خلقه ﴿حميد﴾ في أفعاله. وقوله:

(٩) ﴿يوم التغابن﴾ يغبن فيه أهلُ الجنَّة أهلَ النَّار بأخذ منازلهم التي كانت لهم في الجنَّة لو آمنوا، ويغبن مَنْ ارتفعت منزلته في الجنَّة مَنْ كان دون منزلته، فيظهر في ذلك اليوم غبن كلِّ كافرٍ بترك الإيمان، وغبن كلِّ مؤمنٍ بتقصيره.

(١١) ﴿ما أصاب من مصيبة إلاَّ بإذن الله﴾ بعلمه وإرادته ﴿ومَنْ يؤمن بالله﴾ يُصدِّق بأنَّه لا تصيبه مصيبةٌ إلاَّ بإذن الله ﴿يهد قلبه﴾ يجعله مهتدياً حتىٰ يشكر عند النِّعمة، ويصبر عند الشدَّة[١].

---

(١) عن علقمة بن قيس قال: شهدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وعَرَض المصاحف، فأتىٰ =

وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ

﴿١٤﴾ ﴿**يا أيها الذين آمنوا إنَّ من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم**﴾ نزلت في قوم آمنوا، وأرادوا الهجرة فثبَّطهم أهلهم وأولادهم، وقالوا: لا نصبر على مفارقتكم، فأخبر الله تعالىٰ أنَّهم أعداءٌ لهم بحملهم إيَّاهم على المعصية وترك الطَّاعة ﴿**فاحذروهم**﴾ أن تقبلوا منهم ولا تطيعوهم، ثمَّ إذا هاجر هذا الذي ثبَّطه أهله عن الهجرة رأىٰ النَّاس قد تعلَّموا القرآن، وتفقَّهوا في الدِّين فيهمُّ أن يعاقب أهله، فقال الله تعالىٰ: ﴿**وإن تعفوا وتصفحوا فإن الله غفور رحيم**﴾.

﴿١٥﴾ ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ ابتلاءٌ واختبارٌ لكم، فمَنْ كسب الحرام لأجل الأولاد، ومنع ماله عن الحقوق، فهو مفتونٌ بالمال والولد ﴿**والله عنده أجر عظيم**﴾ لمن صبر عن الحرام، وأنفق المال في حقِّه.

﴿١٦﴾ ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾ يعني: إذا أمكنكم الجهاد والهجرة فلا يفتننكم الميل إلىٰ الأموال والأولاد عن ذلك. وهذه الاية ناسخةٌ لقوله تعالىٰ: ﴿اتَّقوا اللَّهَ حقَّ تُقاتِه﴾[1]. وقوله: ﴿**وأنفقوا خيراً لأنفسكم**﴾ أَيْ: قدِّموا خيراً لأنفسهم من

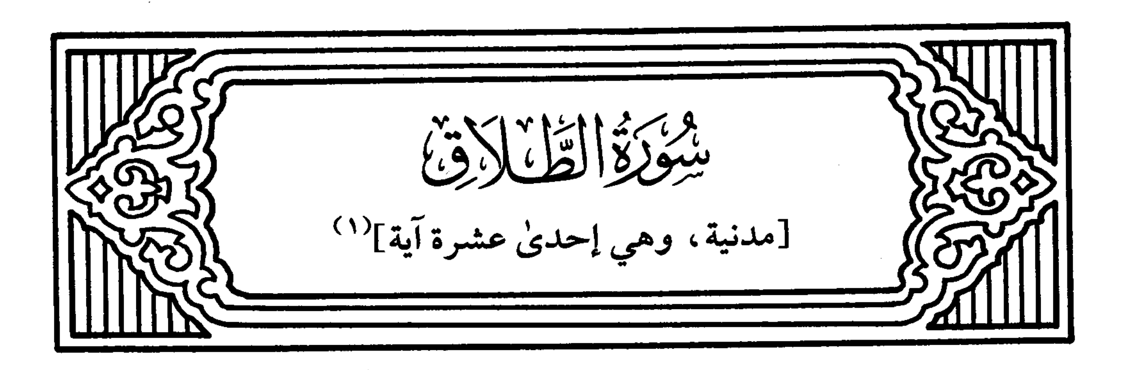
= على هذه الآية: ﴿ومَنْ يُؤمنْ باللَّهِ يهدِ قلبه﴾ قال: هي المصيبات تُصيب الرَّجل، فيعلم أنَّها من عند الله، فيسلِّم ويرضىٰ. ذكره البخاري في التفسير مُعلَّقاً، ٨/ ٦٥٢؛ وابن جرير ٢٨/ ١٢٣.

(١) الآية ١٠٢ من سورة آل عمران. وهذا قول ابن عباس ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ١٠٦، وقول الربيع بن أنس والسدي وابن زيد. قال مكي القيسي: وأكثر العلماء على أنَّه محكمٌ لا نسخ فيه؛ لأنَّ الأمر بالتقوىٰ لا ينسخ، والآيتان ترجعان إلى معنىٰ واحدٍ. الإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٢٠٣.

وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾

أموالكم ﴿ومَنْ يُوقَ شُحَّ نفسه﴾ بخلها وحرصها حتىٰ ينفق المال ﴿فأولئك هم المفلحون﴾ الفائزون بالخير.

• • •



سورة الطلاق

[مدنية، وهي إحدىٰ عشرة آية][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿يا أيها النبيُّ إذا طلقتم النساء﴾ هذا خطابٌ للنبيِّ ﷺ، والمؤمنون داخلون معه في الخطاب، ومعنىٰ قوله: ﴿إذا طلقتم﴾: إذا أردتم طلاق النِّساء ﴿فطلقوهنَّ لعدتهنَّ﴾ أيْ: لطهرهنَّ الذي يحصينه من عدتهنَّ، وهذا سنَّةُ الطَّلاق، ولا تُطلقوهنَّ لحيضتهنَّ التي لا يعتدون بها من زمان العِدَّة. ﴿وأحصوا العدة﴾ أَيْ: عدد أقرائها، واحفظوها لتعلموا وقت الرَّجعة إن أردتم أن تُراجعوهنَّ، وذلك أنَّ الرجعة إنَّما تجوز في زمان العِدَّة ﴿واتقوا الله ربكم﴾ وأطيعوه فيما يأمركم وينهاكم ﴿لا تخرجوهنَّ من بيوتهن﴾ حتى تنقضي عدَّتهنَّ ﴿ولا يخرجن﴾ من البيوت في زمان العِدَّة ﴿إلَّا أن يأتين بفاحشة مبينة﴾ وهي الزِّنا، فيخرجن حينئذٍ لإقامة الحدِّ عليهنَّ ﴿وتلك حدود الله﴾ يعني: ما ذكر من طلاق السُّنَّة ﴿ومَنْ يتعدَّ

---

(١) زيادة من ظا.

وهي في المصحف ١٢ آية، قال البقاعي في مصاعد النظر ٣/ ٩٤: وآيُها إحدىٰ عشرة آيةً في البصري، واثنتا عشرة في عدد الباقين.

حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ

حدود الله﴾ ما حدَّ الله له من الطَّلاق وغيره **﴿فقد ظلم نفسه لا تدري لعلَّ الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾** بعد الطَّلاق مراجعةً، وهذا يدلُّ على كراهية التَّطليق ثلاثاً بمرَّةٍ واحدةٍ؛ لأنَّ إحداث الرَّجعة لا يكون بعد الثَّلاث.

﴿٢﴾ **﴿فإذا بلغن أجلهنَّ﴾** قاربن انقضاء العدَّة **﴿فأمسكوهنَّ﴾** برجعةٍ تراجعونهنَّ بها **﴿بمعروف﴾** وهو أن لا يريد بالرَّجعة ضرارها **﴿أو فارقوهنَّ بمعروف﴾** أيْ: اتركوهنَّ حتىٰ تنقضي عدتهنَّ فتبين، ولا تضاروهنَّ بمراجعتهنَّ. **﴿وأشهدوا ذوي عدل منكم﴾** على الرَّجعة أو الفراق. **﴿ومَنْ يتَّقِ الله﴾** يُطعه فيما يأمره وينهاه **﴿يجعل له مخرجاً﴾** من الشدَّة إلى الرَّخاء، ومن الحرام إلى الحلال، ومن النَّار إلى الجنَّة. يعني: من صبر على الضِّيق، واتَّقىٰ الحرام جعل الله له مخرجاً من الضِّيق.

﴿٣﴾ **﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾** ويروىٰ أنَّ هذا نزل في عوف بن مالك الأشجعيِّ أتىٰ رسول الله ﷺ، فقال: إنَّ العدو أسر ابني، وشكا إليه الفاقة، فقال له رسول الله ﷺ: اتَّق الله واصبر، وأَكْثِرْ من قول: لا حول ولا قوة إلاَّ بالله، ففعل الرَّجل ذلك، فبينا هو في بيته إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، وأصابَ إبلاً لهم وغنماً، فساقها إلى أبيه[1]. **﴿ومَن يتوكل على الله﴾** ما أهمَّه يتوثق به ويسكن قلبه إليه **﴿فهو حسبه﴾** كافيه **﴿إنَّ الله بالغ أمره﴾** يبلغ أمره فيما يريد، وينفذه **﴿قد**

---

(١) حديث عوف بن مالك هذا ذكره المؤلف في أسباب النزول ص ٥٠٢؛ وأخرجه ابن جرير ١٣٨/٢٨ عن السدي.

جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسْنَ مِنَ ٱلْمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمْ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشْهُرٍ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمْرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعْظِمْ لَهُۥٓ أَجْرًا ﴿٥﴾ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا۟ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُوا۟ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾

جعل الله لكل شيء قدراً﴾ ميقاتاً وأجلاً.

﴿٤﴾ ﴿**والائي يئسن من المحيض من نسائكم**﴾ أَيْ: القواعد من النِّساء اللاتي قعدن عن الحيض ﴿**إن ارتبتم**﴾ إنْ شككتم في حكمهنَّ ولم تعلموا عدَّتهنَّ، وذلك أنَّهم سألوا فقالوا: قد عرفنا عدَّة التي تحيض، فما عِدَّة التي لا تحيض والتي لم تحض بعد؟ فبيَّن الله تعالىٰ ذلك فقال: ﴿**فعدتهنَّ ثلاثة أشهر واللائي لم يحضن**﴾ يعني: الصِّغار. ﴿**وأولات الأحمال**﴾ ذوات الحمل من النِّساء ﴿**أجلهنَّ**﴾ عدتهنَّ ﴿**أن يضعن حملهنَّ**﴾ فإذا وضعت الحامل انقضت عدَّتها مُطلَّقةً كانت، أو مُتوفًّىٰ عنها زوجها ﴿**ومن يتق الله**﴾ بطاعته في أوامره ونواهيه ﴿**يجعل له من أمره يسراً**﴾ أتاه باليسر في أموره.

﴿٥﴾ ﴿**ذلك**﴾ يعني: ما ذُكر من أحكام العِدَّة ﴿**أمر الله أنزله إليكم...**﴾ الآية.

﴿٦﴾ ﴿**أسكنوهنَّ**﴾ أَيْ: المطلَّقات ﴿**من حيث سكنتم**﴾ أَيْ: من منازلكم وبيوتكم ﴿**من وُجدكم**﴾: من سعتكم وطاقتكم ﴿**ولا تضاروهنَّ**﴾ لا تؤذوهن ﴿**لتضيقوا عليهن**﴾ مساكنهن فيحتجن إلى الخروج ﴿**وإن كنّ**﴾ أي المطلقات ﴿**أولات حَمْلٍ فأنفقوا عليهن حتىٰ يضعن حملهن فإن أرضعن لكم**﴾ أولادكم منهنَّ ﴿**فآتوهن أجورهنّ**﴾ على إرضاعهنَّ ﴿**وائتمروا بينكم بمعروف**﴾ أَيْ: ليقبل بعضكم من بعضٍ إذا أمره بمعروف ﴿**وإن تعاسرتم**﴾ تضايقتم ولم تتوافقوا على إرضاع الأمِّ ﴿**فسترضع**﴾ الصَّبيَّ [﴿**له**﴾ لوالده] مرضعةٌ أخرىٰ سوىٰ الأُمِّ، ولا تُكرَهُ الأمُّ على الإرضاع.

لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ

﴿٧﴾ **﴿لينفق ذو سعة من سعته﴾** أمر أهل التَّوسعة أن يُوسِّعوا على نسائهم المرضعات أولادهنَّ **﴿ومَنْ قدر عليه رزقه﴾** مَنْ كان رزقه بمقدار القوت **﴿فلينفق﴾** على قدر ذلك. **﴿لا يكلف الله نفساً إلاَّ ما آتاها﴾** أعطاها. **﴿سيجعل الله بعد عسرٍ يُسْراً﴾** أعلم الله تعالىٰ المؤمنين أنَّهم ـ وإن كانوا في حالٍ ضيقةٍ ـ سَيُوَسِّرهم ويفتح عليهم، وكان الغالب عليهم في ذلك الوقت الفقر والفاقة، ثمَّ فتح الله عليهم وجاءهم باليسر.

﴿٨﴾ **﴿وكأين﴾** وكم **﴿من قرية عتت عن أمر ربها ورسله﴾** عتا أهلها عمَّا أمر الله تعالىٰ به ورسله **﴿فحاسبناها﴾** في الآخرة **﴿حساباً شديداً وعذَّبناها عذاباً نكراً﴾** فظيعاً، يعني: عذاب النَّار.

﴿٩﴾ **﴿فذاقت وبال أمرها﴾** ثقل عاقبة أمرها **﴿وكان عاقبة أمرها خسراً﴾** خساراً وهلاكاً. وقوله:

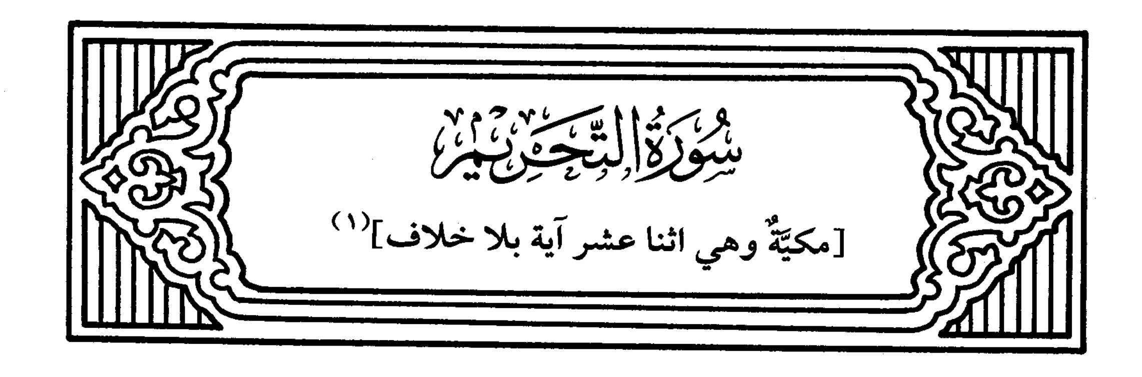
﴿١٠﴾ **﴿قد أنزل الله إليكم ذكراً﴾** أَيْ: القرآن.

﴿١١﴾ **﴿رسولاً﴾** أَيْ: وأرسل رسولاً. **﴿يتلو عليكم آياتِ الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾** من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان. وقوله: **﴿قد أحسن الله له رزقاً﴾** أَيْ: رزقهُ الجنَّة التي لا ينقطع نعيمُها. وقوله:

وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾

﴿١٢﴾ **﴿يتنزل الأمر بينهنَّ﴾** يعني: إنَّ في كلٍّ سماء وكلِّ أرض خلقاً من خلقه، وأمراً نافذاً من أمره **﴿لتعلموا﴾** أَيْ: أعلمكم ذلك وبيَّنه لتعلموا قدرته على كلّ شيء، وأنَّه علم كلَّ شيءٍ.

• • •



بسم الله الرحمن الرحيم

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿يا أيها النبيُّ لم تحرِّم ما أحلَّ الله لك﴾ رُوي أنَّ النبـيَّ ﷺ دخل علىٰ حفصة في يوم نوبتها، فخرجت هي لبعض شأنها، فأرسل رسول الله ﷺ إلى مارية جاريته، وأدخلها بيت حفصة وواقعها، فلمَّا رجعت حفصة علمت بذلك فغضبت وبكت، وقالت: أَما لي حرمةٌ عندك وحقٌّ؟! فقال رسول الله ﷺ: اسكتي فهي حرامٌ عليَّ، أبتغي بذلك رضاك، وحلف أن لا يقربها، وبشَّرها بأنَّ الخليفة من بعده أبوها وأبو عائشة رضي الله عنهم أجمعين ذكوراً وإناثاً، وقال لها: لا تخبري أحداً بما أسررتُ إليك من أمر الجارية وأمر الخلافة من بعدي، فلمَّا خرج رسول الله ﷺ من عندها أخبرت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها بذلك وقالت: قد أراحنا الله من مارية، فإنَّ رسول الله ﷺ حرَّمها على نفسه، وقصَّت عليها القصَّة، فنزل[٢]: ﴿لم تحرِّم ما أحل الله لك﴾ أَيْ: الجارية ﴿تبتغي﴾ بتحريمها ﴿مرضاة أزواجك والله غفور رحيم﴾ غفر لك ما فعلت من التَّحريم، ثمَّ أمره بأن يكفِّر عن يمينه فقال:

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) القصة هذه أخرجها النسائي في تفسيره ٢/٤٤٩ باختصار؛ والحاكم في المستدرك ٢/٤٤٩٣ وصححها؛ ووافقه الذهبـي؛ وابن جرير ٢٨/١٥٧ عن ابن عباس.

قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ ۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا ۖ قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾ إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾

﴿٢﴾ ﴿**قد فرض الله لكم**﴾ أَيْ: بيَّن الله لكم ﴿**تحلَّة أيمانكم**﴾ ما تستحلُّ به المحلوف عليه من الكفَّار. يعني: في سورة المائدة[1].

﴿٣﴾ ﴿**وإذ أسرَّ النبيُّ إلى بعض أزواجه**﴾ يعني: حفصة ﴿**حديثاً**﴾ تحريم الجارية وأمر الخلافة ﴿**فلما نبأت به**﴾ أخبرت به عائشة رضوان الله عليهما وعلى أبيهما ﴿**وأظهره الله عليه**﴾ أطلع نبيَّه عليه السَّلام علىٰ إفشائها السِّرَّ ﴿**عرَّف بعضه**﴾ أخبر حفصة ببعض ما قالت لعائشة ﴿**وأعرض عن بعض**﴾ فلم يُعرِّفها إيَّاه على وجه التَّكرُّم والإغضاء ﴿**فلما نبأها به**﴾ أخبر حفصة بما فعلت ﴿**قالت من أنبأك هذا**﴾ من أخبرك بما فعلت؟ ﴿**قال نبأني العليم الخبير**﴾.

﴿٤﴾ ﴿**إن تتوبا إلى الله**﴾ يعني: عائشة وحفصة ﴿**فقد صغت قلوبكما**﴾ عدلت وزاغت عن الحقِّ، وذلك أنَّهما أحبَّتا ما كره رسول الله ﷺ من اجتناب جاريته ﴿**وإن تظاهرا عليه**﴾ تتعاونا على أذىٰ رسول الله ﷺ ﴿**فإنَّ الله هو مولاه**﴾ وليُّه وحافظه فلا يضرُّه تظاهُرُكما عليه وقوله: ﴿**وصالح المؤمنين**﴾ قيل: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، وهو تفسير النبيِّ ﷺ[2] ﴿**والملائكة بعد ذلك ظهير**﴾ أَيْ: الملائكة بعد هؤلاء أعوانٌ.

---

(١) يعني: قوله تعالىٰ: ﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقَّدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾ [الآية: ٨٩].

(٢) عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ في قول الله: ﴿وصالح المؤمنين﴾ قال: صالح =

عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

﴿٥﴾ **﴿عسىٰ ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن﴾** هذا إخبارٌ عن قدرة الله تعالىٰ علىٰ أن يُبدِّله لو طلَّق أزواجه خيراً منهنَّ، وتخويفٌ لنسائه. وقوله: **﴿قانتات﴾** مطيعاتٍ **﴿سائحات﴾** صائماتٍ.

﴿٦﴾ **﴿يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسكم وأهليكم ناراً﴾** أَيْ: خذوا أنفسكم وأهليكم بما يُقرِّب من الله تعالىٰ، وجَنِّبوا أنفسكم وأهليكم المعاصي **﴿وقودها الناس والحجارة﴾** أَيْ: توقد بهذين الجنسين **﴿عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون﴾** يعني: خزنة جهنَّم. وقوله:

﴿٨﴾ **﴿توبة نصوحاً﴾** هي التَّوبة التي تنصح صاحبها حتىٰ لا يعود إلى ما تاب منه، ونصوحاً معناه بالغةً في النُّصح. وقوله: **﴿لا يخزي الله النبيَّ والذين آمنوا معه﴾** أَيْ: لا يفضحهم ولا يهلكهم. **﴿نورهم﴾** على الصِّراط **﴿يسعىٰ بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا﴾** إذا طُفِىء نور المنافقين دعوا الله وسألوه أن يتمَّ لهم النُّور، ثمَّ ضرب مثلاً للنِّساء الصَّالحات والطَّالحات، فقال:

= المؤمنين أبو بكر وعمر. أخرجه أبو نعيم في فضائل الصحابة، والطبراني في الأوسط، وابن مردويه.

وأخرجه ابن جرير ٢٨/ ١٦٢ عن مجاهد والضحاك، ولم يرفعاه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا

﴿١٠﴾ **﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما﴾** أَيْ: في الدِّين، فكانت امرأةُ نوحٍ تخبر قومه أنَّه مجنونٌ، وامرأة لوط دلَّت على أضيافه **﴿فلم يُغْنيا﴾** يعني: نوحاً ولوطاً **﴿عنهما من﴾** عذاب **﴿الله شيئاً﴾** من شيءٍ، وهذا تخويفٌ لعائشة وحفصة، وإخبار أنَّ الأنبياء لا يُغنون عن مَنْ عمل بالمعاصي شيئاً، وقطعٌ لطمع من ركب المعصية رجاء أن ينفعه صلاح غيره. وقوله:

﴿١١﴾ **﴿ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة﴾** قيل: إنَّ فرعون لما تبيَّن له إسلامها وَتَدَها على الأرض بأربعة أوتاد على يديها ورجليها، فقالت وهي تعذَّب: **﴿ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله﴾**[1] أَيْ: تعذيبه إيَّاي، وفي هذا بيانٌ أنَّها لم تمل إلى معصيته مع شدَّة ما قاست من العذاب، وكذا فليكن صوالح النِّساء، وأمرٌ لعائشة وحفصة أن يكونا كآسيةَ وكمريم بنت عمران. وقوله:

﴿١٢﴾ **﴿ومريم ابنة عمران﴾** هو عطفٌ على قوله: «امرأة فرعون» **﴿التي أحصنت فرجها﴾**

---

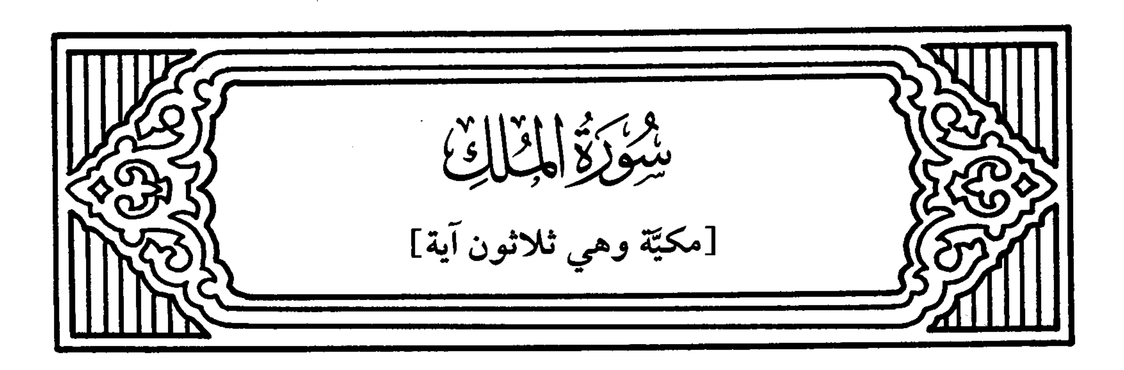
(١) عن أبي هريرة قال: إنَّ فرعون أوتد لامرأته أربعة أوتادٍ في أيديها ورجليها، فكان إذا تفرَّقوا عنها أطلقتها الملائكة، فقالت: ﴿ربِّ ابنِ لي عندك بيتاً في الجنة﴾ قال: فكشف لها عن بيتها في الجنة. أخرجه أبو يعلىٰ في مسنده ٦/٥٣؛ وهو صحيحٌ موقوف علىٰ أبي هريرة؛ وانظر المطالب العالية ٣/ ٣٩٠.

فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

أَيْ: عفَّت وحفظت ﴿فنفخنا فيه من﴾ جيب درعها من ﴿روحنا﴾. فُسِّر في سورة الأنبياء[1]، ﴿وصدَّقت بكلمات ربِّها وكتبه﴾ آمنت بما أنزل الله على الأنبياء ﴿وكانت من القانتين﴾ أَيْ: من القوم المُطيعين لله، أَيْ: إِنَّها أطاعت فدخلت في جملة المطيعين لله من الرِّجال والنِّساء.

• • •

(١) انظر ص ٧٢٣.



سورة الملك

[مكيّة وهي ثلاثون آية]

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿تبارك﴾ أَيْ: تعالىٰ وتعظَّم ﴿الذي بيده الملك﴾ يُؤتيه مَنْ يشاء وينزعه عمَّن يشاء.

﴿٢﴾ ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم﴾ في الحياة ﴿أيكم أحسن عملاً﴾ أَيْ: أطوع لله وأورع عن محارمه، ثمَّ يُجازيكم بعد الموت.

﴿٣﴾ ﴿الذي خلق سبع سموات طباقاً﴾ بعضها فوق بعضٍ ﴿ما ترىٰ في خلق الرحمن﴾ أَيْ: خلقه السَّماء ﴿من تفاوت﴾ اضطرابٍ واختلافٍ، بل هي مستويةٌ مستقيمةٌ ﴿فارجع البصر﴾ [أعد فيها النَّظر][1] ﴿هل ترىٰ من فطور﴾ صدوعٍ وشقوقٍ. ﴿ثم ارجع البصر﴾ [كرِّر النظر][2] ﴿كرَّتين﴾ مرَّتين.

﴿٤﴾ ﴿ينقلب إليك البصر﴾ ينصرف ويرجع ﴿خاسئاً﴾ صاغراً ذليلاً ﴿وهو حسير﴾ أَيْ: وقد أعيا من قبل أن يرىٰ في السَّماء خللاً.

---

(١) ما بين [ ] زيادة ليست في الأصل ع.

(٢) زيادة من ظ.

وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾

---

(٥) ﴿ولقد زيّنا السماء الدنيا﴾ التي تدنو منكم ﴿بمصابيح﴾ بكواكب ﴿وجعلناها رجوماً﴾ مرامي ﴿للشياطين﴾ إذا استرقوا السّمع ﴿وأعتدنا لهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب السعير﴾.

(٧) ﴿إذا ألقوا فيها سمعوا لها﴾ لجهنَّم ﴿شهيقاً﴾ صوتاً كصوت الحمار ﴿وهي تفور﴾ تغلي.

(٨) ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ تتقطَّع غضباً على الكفَّار ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها﴾ سؤال توبيخ: ﴿ألم يأتكم نذير﴾ رسولٌ في الدُّنيا ينذركم عذاب الله؟ فقالوا:

(١٠) ﴿لو كنا نسمع﴾ من الرُّسل سمع مَنْ يفهم ويتفكَّر ﴿أو نعقل﴾ عقل مَن ينظر ﴿ما كنا في أصحاب السعير﴾. وقوله:

(١١) ﴿فاعترفوا بذنبهم﴾ بتكذيب الرُّسل، ثمَّ اعترفوا بجهلهم ﴿فسحقاً لأصحاب السعير﴾ أَيْ: أسحقهم الله سحقاً، أَيْ: باعدهم من رحمته مُباعدةً.

(١٢) ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب﴾ قبل مُعاينة العذاب وأحكام الآخرة.

(١٣) ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به﴾ نزلت في المشركين الذين كانوا ينالون من رسول الله ﷺ بألسنتهم، فيخبره الله تعالىٰ، فقالوا: فيما بينهم: أَسرّوا قولكم كيلا يسمع إله محمَّد، فقال الله تعالىٰ:

أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

﴿١٤﴾ ﴿**ألا يعلم من خلق**﴾ أَيْ: ألا يعلم ما في صدوركم وما تُسرّون به مَنْ خلقكم؟

﴿١٥﴾ ﴿**هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً**﴾ سهلاً مُسخَّرةً ﴿**فامشوا في مناكبها**﴾ جوانبها ﴿**وإليه النشور**﴾ إليه يبعث الخلق.

﴿١٦﴾ ﴿**أأمنتم من في السماء**﴾ قدرته وسلطانه وعرشه ﴿**أن يخسف بكم الأرض**﴾ تغور بكم ﴿**فإذا هي تمور**﴾ تتحرَّك بكم وترتفع فوقكم. وقوله:

﴿١٧﴾ ﴿**فستعلمون**﴾ أَيْ: عند مُعاينة العذاب ﴿**كيف نذير**﴾ أَيْ: إنذاري بالعذاب.

﴿١٨﴾ ﴿**ولقد كذَّب الذين من قبلهم فكيف كان نكير**﴾ إنكاري إذ أهلكتهم.

﴿١٩﴾ ﴿**أو لم يروا إلىٰ الطير فوقهم صافات**﴾ باسطاتٍ أجنحتها ﴿**ويقبضن**﴾ يضربن بها جنوبهنَّ ﴿**ما يمسكهنَّ**﴾ في حال القبض والبسط ﴿**إلاَّ الرحمن**﴾ بقدرته.

﴿٢٠﴾ ﴿**أم مَنْ هذا الذي هو جند لكم ينصركم مِنْ دون الرحمن**﴾ يدفع عنكم عذابه.

﴿٢١﴾ ﴿**بل لجُّوا**﴾ تمادوا ﴿**في عتوّ**﴾ عصيانٍ وضلالٍ ﴿**ونفور**﴾ تباعدٍ عن الحقِّ.

﴿٢٢﴾ ﴿**أفمن يمشي مكباً على وجهه**﴾ أَيْ: الكافر يُحشر يوم القيامة وهو يمشي على وجهه. يقال: كبَبْتُ فلاناً على وجهه فأكبَّ هو. يقول: هذا ﴿**أهدىٰ أم من يمشي سوياً**﴾ مستوياً مستقيماً ﴿**على صراط مستقيم**﴾ وهو المؤمن.

قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

﴿٢٣﴾ ﴿قل هو الذي أنشأكم﴾ خلقكم ﴿وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ما تشكرون﴾ أيْ: لا تشكرون خالقكم وخالق هذه الأعضاء لكم إذ أشركتم به غيره.

﴿٢٤﴾ ﴿قل هو الذي ذرأكم﴾ خلقكم ﴿في الأرض وإليه تحشرون﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿ويقولون متىٰ هذا الوعد﴾ أيْ: وعد الحشر.

﴿٢٦﴾ ﴿قل إنما العلم﴾ بوقوعه ومجيئه ﴿عند الله وإنما أنا نذير﴾ مُخوِّفٌ ﴿مبين﴾ أُبيِّن لكم الشَّريعة.

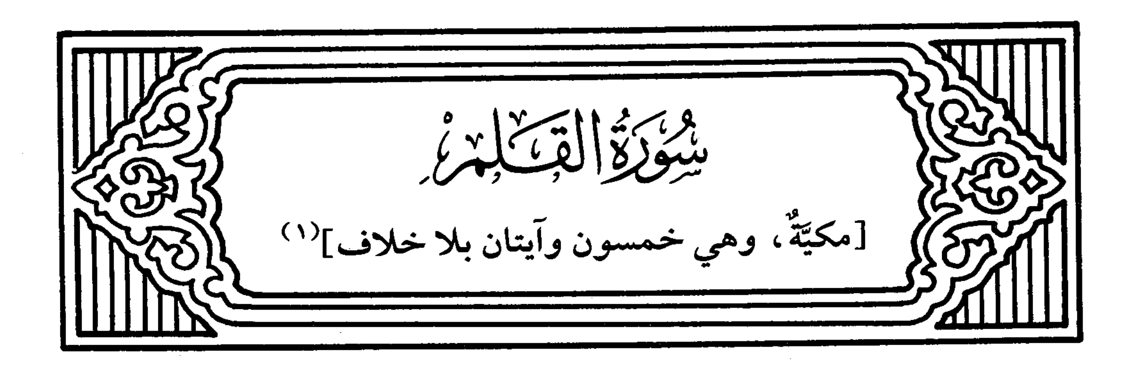
﴿٢٧﴾ ﴿فلمَّا رأوه﴾ أيْ: العذاب في الآخرة ﴿زلفة﴾ قريباً ﴿سيئت وجوه الذين كفروا﴾ تبيَّن في وجوههم السُّوء، وعلتها الكآبة ﴿وقيل هذا﴾ العذاب ﴿الذي كنتم به تَدَّعُون﴾ تفتعلون من الدُّعاء، أيْ: تدعون الله به إذ تقولون: ﴿اللَّهم إنْ كان هذا هو الحقَّ من عندك...﴾[1] الآية.

﴿٢٨﴾ ﴿قل أرأيتم إن أهلكني الله﴾ فعذَّبني ﴿ومَنْ معي أو رحمنا﴾ غفر لنا ﴿فمن يجير الكافرين من عذاب أليم﴾ يعني: نحن مع إيماننا خائفون نخاف عذاب الله ونرجو رحمته، فمن يمنعكم من عذابه وأنتم كافرون؟

﴿٣٠﴾ ﴿قُلْ أرأيتم إن أصبح ماؤكم غوراً﴾ غائراً ذاهباً في الأرض ﴿فمن يأتيكم بماء معين﴾ ظاهر تناله الأيدي والدِّلاء.

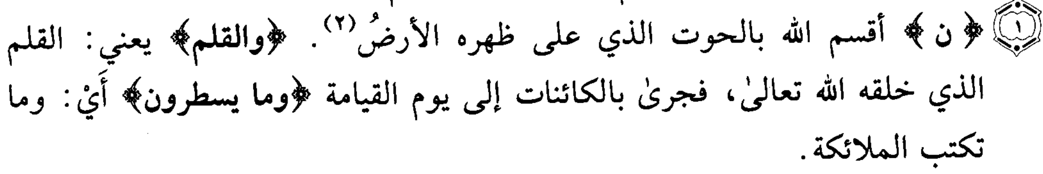
---

(١) سورة الأنفال: الآية ٣٢.



سورة القلم

[مكيَّةٌ، وهي خمسون وآيتان بلا خلاف][(١)]



بسم الله الرحمن الرحيم

ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ (١) مَا أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ (٢) وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ (٣)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿ ن ﴾ أقسم الله بالحوت الذي على ظهره الأرضُ[(٢)]. ﴿والقلم﴾ يعني: القلم الذي خلقه الله تعالىٰ، فجرىٰ بالكائنات إلى يوم القيامة ﴿وما يسطرون﴾ أيْ: وما تكتب الملائكة.

(٢) ﴿ما أنت بنعمة ربك﴾ بإنعامه عليك بالنُّبوَّة ﴿بمجنون﴾ أيْ: إنَّك لا تكون مجنوناً وقد أنعم الله عليك بالنُّبوَّة، وهذا جوابٌ لقولهم: ﴿وقالوا يا أيها الذي نُزِّل عليه الذِّكر إنَّك لمجنونٌ﴾[(٣)].

(٣) ﴿وإنَّ لك لأجراً غير ممنون﴾ غير مقطوعٍ ولا منقوصٍ.

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) ورد هذا في حديث ابن عباس قال: أوَّل ما خلق الله من شيءٍ القلم، فجرىٰ بما هو كائنٌ، ثمَّ رُفع بخار الماء فخلقت منه السموات، ثمَّ خُلق النون فبسطت الأرض على ظهر النون، فتحرَّكت الأرض فمادت، فأثبتت بالجبال، فإنَّ الجبال لتفخر على الأرض. قال: وقرأ: ﴿ن، والقلم وما يسطرون﴾. أخرجه ابن جرير ٢٩/ ١٤. وهذا ممَّا لا يصحُّ. والأصح في تفسيرها أنَّ ﴿ ن ﴾ من الحروف المقطَّعة.

(٣) سورة الحجر: الآية ٦.

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

﴿٤﴾ ﴿وإنك لعلىٰ خلق عظيم﴾ أَيْ: أنت على الخُلُقِ الذي أمرك الله به في القرآن.

﴿٥﴾ ﴿فستبصر﴾ يا محمد ﴿ويبصرون﴾ أَيْ: المشركون الذين رموه بالجنون.

﴿٦﴾ ﴿بأييكم المفتون﴾ الفتنة، أَبِكَ أم بهم.

﴿٨﴾ ﴿فلا تطع المكذبين﴾ فيما دعوك إليه من دينهم.

﴿٩﴾ ﴿وَدُّوا لو تدهن فيدهنون﴾ تلين فيلينون لك.

﴿١٠﴾ ﴿ولا تطع كلَّ حَلَّافٍ﴾ كثير الحلف بالباطل، أَيْ: الوليد بن المغيرة ﴿مهين﴾ حقير.

﴿١١﴾ ﴿همَّاز﴾ عيَّابٍ ﴿مشَّاء بنميم﴾ سَاعٍ بين النَّاسِ بالنَّميمة.

﴿١٢﴾ ﴿مناع للخير﴾ بخيلٍ بالمال عن الحقوق ﴿معتد﴾ مجاوزٍ في الظُّلم ﴿أثيم﴾ آثمٍ.

﴿١٣﴾ ﴿عتل﴾ جافٍ غليظٍ ﴿بعد ذلك﴾ مع ما ذكرنا من أوصافه ﴿زنيم﴾ مُلحَقٍ بقومه وليس منهم.

﴿١٤﴾ ﴿أن كان﴾ لأن كان ﴿ذا مال وبنين﴾ يُكذِّب بالقرآن. وهو قوله:

﴿١٥﴾ ﴿إذا تتلىٰ عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ والمعنىٰ: أَيجعل مُجازاة نعمة الله عليه بالمال والبنين الكفر بآياتنا؟

﴿١٦﴾ ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ سنجعل علىٰ أنفه علامةً باقيةً ما عاش، نخطم أنفه بالسَّيف يوم بدرٍ.

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾

﴿١٧﴾ **﴿إنا بلوناهم﴾** امتحنا أهل مكَّة بالقحط والجوع **﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾** كما امتحنَّا أصحاب البستان بإحراقها وذهاب قوتهم منها، وكانوا قوماً بناحية اليمن، وكان لهم أبٌ وله جنَّةٌ كان يتصدَّق فيها على المساكين، فلمَّا مات قال بنوه: نحن جماعةٌ، وإنْ فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر، فحلفوا ليقطعنَّ ثمرها بسدفةٍ من اللَّيل كيلا يشعر المساكين فيأتوهم، وهو قوله: **﴿إذْ أقسموا ليصرمنها مصبحين﴾**.

﴿١٨﴾ **﴿ولا يستثنون﴾** ولا يقولون إن شاء الله.

﴿١٩﴾ **﴿فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾** أَيْ: أنزل الله عليها ناراً أحرقتها.

﴿٢٠﴾ **﴿فأصبحت كالصريم﴾** كاللَّيل المُظلم سوداء.

﴿٢١﴾ **﴿فتنادوا مصبحين﴾** نادىٰ بعضهم بعضاً لمَّا أصبحوا ليخرجوا إلى الصِّرام، وهو قوله:

﴿٢٢﴾ **﴿أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين﴾** قاطعين الثَّمر.

﴿٢٣﴾ **﴿فانطلقوا﴾** ذهبوا إليها **﴿وهم يتخافتون﴾** يتسارُّون الكلام بينهم.

﴿٢٤﴾ بـ **﴿ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين﴾**.

﴿٢٥﴾ **﴿وغدوا على حرد﴾** قصدٍ وجدٍّ **﴿قادرين﴾** عند أنفسهم على ثمر الجنَّة.

﴿٢٦﴾ **﴿فلما رأوها﴾** سوداء محترقةً **﴿قالوا إنَّا لضالون﴾** مُخطئون طريقنا، وليست هذه جنَّتنا، ثمَّ علموا أنَّها عقوبةٌ من الله تعالىٰ فقالوا:

﴿٢٧﴾ **﴿بل نحن محرومون﴾** حُرمنا ثمر جنَّتنا بمنعنا المساكين.

قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ

---

(٢٨) ﴿قال أوسطهم﴾ أعدلهم وأفضلهم: ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ هلاَّ تستثنون، ومعنىٰ التَّسبيح ها هنا الاستثناء بإنْ شاء الله؛ لأنَّه تعظيمٌ لله، وكلُّ تعظيمٍ لله فهو تسبيحٌ له.

(٢٩) ﴿قالوا سبحان ربنا﴾ نزَّهوه عن أن يكون ظالماً، وأقرُّوا على أنفسهم بالظُّلم فقالوا: ﴿إنا كنا ظالمين﴾.

(٣٠) ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون﴾ يلوم بعضهم بعضاً بما فعلوا من الهرب من المساكين ومنع حقهم.

(٣١) ﴿قالوا يا ويلتنا إنا كنا طاغين﴾ بمنع حقِّ الفقراء وترك الاستثناء.

(٣٢) ﴿عسىٰ ربنا أن يُبْدِلَنا خيراً منها﴾ من هذه الجنَّة ﴿إنا إلىٰ ربنا راغبون﴾.

(٣٣) ﴿كذلك العذاب﴾ كما فعلنا بهم نفعل بمَنْ خالف أمرنا، ثمَّ بيَّن ما عند الله للمؤمنين فقال تعالىٰ:

(٣٤) ﴿إنَّ للمتقين عند ربهم جنات النعيم﴾ فلمَّا نزلت قال بعض قريش: إنْ كان ما تذكرون حقَّاً فإنَّ لنا في الآخرة أكثرَ ممَّا لكم، فنزل:

(٣٥) ﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾. ﴿ما لكم كيف تحكمون﴾.

(٣٧) ﴿أم لكم كتاب﴾ نزل من عند الله ﴿فيه﴾ ما تقولون ﴿تدرسون﴾ تُقرُّون ما فيه.

(٣٨) ﴿إنَّ لكم فيه﴾ في ذلك الكتاب ﴿لما تخيرون﴾ تختارون.

(٣٩) ﴿أم لكم أيمان﴾ عهودٌ ومواثيق ﴿علينا بالغة﴾ محكمةٌ لا ينقطع عهدها ﴿إلى يوم

ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَـٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَـٰشِعَةً أَبْصَـٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَـٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾

القيامة إنَّ لكم لما تحكمون﴾ تقضون. وكسرت «إنَّ» في الآيتين لمكان اللام في جوابها، وحقُّها الفتح لو لم تكن اللام.

﴿٤٠﴾ فـ ﴿**سلهم**﴾ يا محمد ﴿**أيهم بذلك**﴾ الذي يقولون من أنَّ لهم في الآخرة حظّاً ﴿**زعيم**﴾ كفيلٌ لهم.

﴿٤١﴾ ﴿**أم لهم شركاء**﴾ آلهةٌ تكفل لهم بما يقولون ﴿**فليأتوا بشركائهم**﴾ لتكفل لهم ﴿**إن كانوا صادقين**﴾ فيما يقولون.

﴿٤٢﴾ ﴿**يوم يكشف عن ساق**﴾ عن شدَّةٍ من الأمر، وهو يوم القيامة. قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنه: أشدُّ ساعةٍ في القيامة[1]، فصار كشف السَّاق عبارةً عن شدَّة الأمر ﴿**ويدعون إلى السجود**﴾ أيْ: الكافرون والمنافقون ﴿**فلا يستطيعون**﴾ يصير ظهرهم طبقاً واحداً كلَّما أراد أن يسجد واحدٌ منهم خرَّ على قفاه.

﴿٤٣﴾ ﴿**خاشعة أبصارهم**﴾ ذليلةً لا يرفعونها ﴿**ترهقهم**﴾ تغشاهم ﴿**ذلَّة وقد كانوا يدعون إلى السجود**﴾ في الدُّنيا ﴿**وهم سالمون**﴾ فيأبون ولا يسجدون لله.

﴿٤٤﴾ ﴿**فذرني ومَنْ يكذب بهذا الحديث**﴾ دعني والمُكذِّبين بهذا القرآن، أَيْ: كِلْهُمْ إليَّ ولا تشغل قلبك بهم، فإنِّي أكفيك أمرهم. ﴿**سنستدرجهم من حيث لا يعلمون**﴾ أَيْ: نأخذهم قليلاً قليلاً ولا نباغتهم.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٩ وصححه ووافقه الذهبي. وفي البخاري وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: يكشف ربُّنا عن ساقه، فيسجد له كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، ويبقىٰ مَنْ كان يسجد في الدنيا رياءً وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً. أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٦٦٤؛ ومسلم في الإيمان برقم ١٨٣؛ وأحمد ٣/ ١٦.

وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَا أَن تَدَارَكَهُ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِ لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِن يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٥٢﴾

﴿٤٥﴾ ﴿وأملي لهم﴾ أُمهلهم كي يزدادوا تمادياً في الشِّرك ﴿إنَّ كيدي متين﴾ شديدٌ لا يطاق.

﴿٤٦﴾ ﴿أم تسألهم﴾ بل أتسألهم على ما آتيتهم به من الرِّسالة ﴿أجراً فهم من مغرم﴾ ممَّا يعطونك ﴿مُثقلون﴾.

﴿٤٧﴾ ﴿أم عندهم الغيب﴾ علم ما في غدٍ ﴿فهم يكتبون﴾ يحكمون. وقوله:

﴿٤٨﴾ ﴿ولا تكن كصاحب الحوت﴾ كيونس في الضَّجر والعجلة ﴿إذ نادىٰ﴾ دعا ربَّه ﴿وهو مكظوم﴾ مملوءٌ غمّاً.

﴿٤٩﴾ ﴿لولا أن تداركه﴾ أدركه ﴿نعمة﴾ رحمةٌ ﴿من ربه لنبذ﴾ لطرح حين ألقاه الحوت ﴿بالعراء﴾ بالأرض الفضاء الواسعة؛ لأنَّها خاليةٌ من البناء والإنسان والأشجار ﴿وهو مذموم﴾ مجرم(١).

﴿٥٠﴾ ﴿فاجتباه ربه﴾ فاختاره ﴿فجعله من الصالحين﴾ بأن رحمه وتاب عليه.

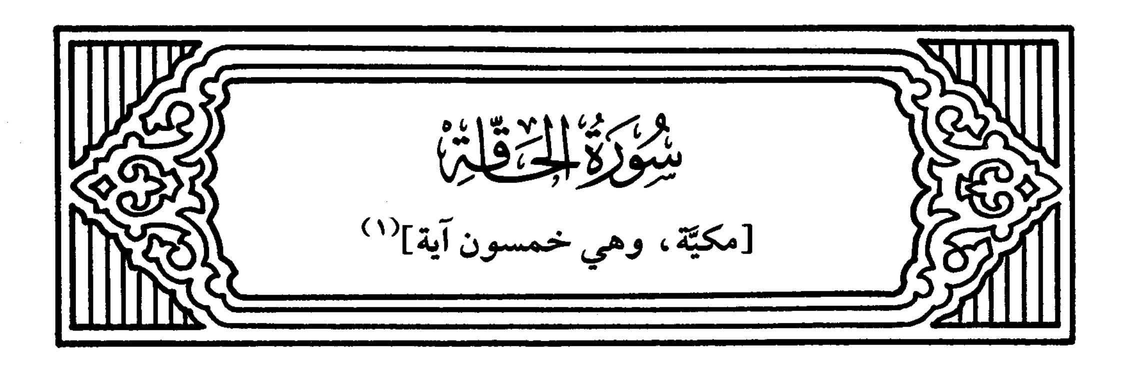
﴿٥١﴾ ﴿وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر﴾ أَيْ: إنَّهم لشدَّة إبغاضهم وعداوتهم لك إذا قرأت القرآن ينظرون إليك نظراً شديداً يكاد يصرعك ويسقطك عن مكانك ﴿ويقولون إنه لمجنون﴾.

﴿٥٢﴾ ﴿وما هو﴾ أَيْ: القرآن ﴿إلَّا ذكر﴾ عظةٌ ﴿للعالمين﴾.

● ● ●

---

(١) عبارة المؤلف فيها خشونة؟!.



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَآقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٞ فَأُهۡلِكُواْ بِرِيحٖ صَرۡصَرٍ عَاتِيَةٖ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿**الحاقة**﴾ أَيْ: القيامة؛ لأنَّها حقَّت فلا كاذبة لها.

﴿٢﴾ ﴿**ما الحاقة**﴾ استفهامٌ معناه التَّعظيم لشأنها، كقولك: زيدٌ ما هو؟

﴿٣﴾ ﴿**وما أدراك ما الحاقة**﴾ أَيُّ شيءٍ أعلمك ما ذلك اليوم؟ ثمَّ ذكر أمر مَنْ كذَّب بالقيامة، فقال:

﴿٤﴾ ﴿**كذبت ثمود وعادٌ بالقارعة**﴾ بالقيامة التي تقرع القلوب.

﴿٥﴾ ﴿**فأمَّا ثمود فأهلكوا بالطاغية**﴾ أَيْ: بالصَّيحة الطَّاغية، وهي التي جاوزت المقدار.

﴿٦﴾ ﴿**وأمَّا عادٌ فأهلكوا بريح صرصر عاتية**﴾ عتت على خُزَّانها فلم تُطعهم.

---

(١) زيادة من ظا.
وهي في المصحف ٥٢ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ٣/ ١١٥: وآيُها إحدىٰ وخمسون آيةً في البصري والشامي، واثنتان في عدد الباقين.

سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾ وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾

﴿٧﴾ ﴿سخرها عليهم﴾ استعملها عليهم كما شاء. وقوله: ﴿حسوماً﴾ أَيْ: دائمةً مُتتابعةً، والمعنىٰ: تحسمهم حسوماً، أَيْ: تذهبهم وتفنيهم ﴿فترىٰ القوم﴾ [أَيْ: أهل القرىٰ][1] ﴿فيها﴾ أَيْ: في تلك الأيَّام ﴿صرعىٰ﴾ جمع صريعٍ ﴿كأنهم أعجاز﴾ أصول ﴿نخل خاوية﴾ ساقطةٍ.

﴿٨﴾ ﴿فهل ترىٰ لهم من باقية﴾ أَيْ: هل ترىٰ منهم باقياً.

﴿٩﴾ ﴿وجاء فرعون ومِنْ قِبَلِه﴾ أَيْ: تُبَّاعه. ومَنْ قرأ: ﴿ومَنْ قَبْلَه﴾[2] فمعناه: مَنْ تقدَّمه من الأمم ﴿والمؤتفكات﴾ أَيْ: أهل قرىٰ قوم لوط ﴿بالخاطئة﴾ بالخطأ العظيم، وهو الكفر.

﴿١٠﴾ ﴿فعصوا رسول ربهم فأخذهم أخذة رابية﴾ زائدةً تزيد على الأخذات.

﴿١١﴾ ﴿إنَّا لما طغىٰ الماء﴾ جاوز حدَّه. يعني: أيَّام الطُّوفان ﴿حملناكم﴾ أَيْ: حملنا آباءكم ﴿في الجارية﴾ وهي السَّفينة.

﴿١٢﴾ ﴿لنجعلها﴾ لنجعلَ تلك الفعلة التي فعلنا من إغراق قوم نوحٍ وإنجاء مَنْ معه ﴿لكم تذكرة﴾ تتذكَّرونها فتتَّعظون بها ﴿وتعيها أذن واعية﴾ لتحفظها كلُّ أذنٍ تحفظ ما سمعت.

﴿١٣﴾ ﴿فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة﴾ أَيْ: النَّفخة الأولىٰ لقيام السَّاعة.

﴿١٤﴾ ﴿وحملت الأرض والجبال فدكتا﴾ كُسرتا ﴿دكَّة واحدة﴾ فصارت هباءً منبثاً.

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) وهي قراءة: نافع، وابن كثير وابن عامر، وحمزة، وأبو جعفر، وخلف.

فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾

﴿١٥﴾ **﴿فيومئذٍ وقعت الواقعة﴾** قامت القيامة.

﴿١٦﴾ **﴿وانشقت السماء فهي يومئذٍ واهية﴾** أَيْ: مُتَشَقِّقَةٌ.

﴿١٧﴾ **﴿والملك﴾** يعني: الملائكة **﴿على أرجائها﴾** نواحيها **﴿ويحمل عرش ربك فوقهم﴾** فوق الملائكة **﴿يومئذٍ ثمانية﴾** أملاك.

﴿١٨﴾ **﴿يومئذٍ تعرضون﴾** على ربّكم **﴿لا تخفىٰ منكم خافية﴾** كقوله: **﴿لا يخفىٰ على الله منهم شيءٌ﴾**[1].

﴿١٩﴾ **﴿فأمّا مَنْ أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤوا كتابيه﴾** خذوا فاقرؤوا كتابي، وذلك لما يرىٰ فيه من الحسنات.

﴿٢٠﴾ **﴿إني ظننت أني ملاق حسابيه﴾** أَيْ: أيقنت أنّي أُحاسب.

﴿٢١﴾ **﴿فهو في عيشة راضية﴾** ذات رضىً، أَيْ: يرضىٰ بها صاحبها.

﴿٢٣﴾ **﴿قطوفها دانية﴾** ثمارها قريبةٌ من مريدها علىٰ أيِّ حالٍ كان. يقال لهم:

﴿٢٤﴾ **﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم﴾** قدَّمتم لآخرتكم من الأعمال الصَّالحة **﴿في الأيام الخالية﴾** الماضية في الدُّنيا. وقوله:

﴿٢٧﴾ **﴿يا ليتها كانت القاضية﴾** يقول: ليت الموتة التي مُتها لم أَحْيَ بعدها.

---

(١) سورة غافر: الآية ١٦.

مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

﴿٢٩﴾ ﴿هلك عني سلطانيه﴾ ذهب عني حجَّتي، وزال عني ملكي وقوَّتي، فيقول الله لخزنة جهنَّم:

﴿٣٠﴾ ﴿خذوه فغلُّوه﴾. ﴿ثم الجحيم صلُّوه﴾ أدخلوه.

﴿٣٢﴾ ﴿ثمَّ في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه﴾ أَيْ: أدخلوه في تلك السِّلسة، فتدخل في دبره وتخرج من فيه، وهي سلسلةٌ لو جُمع حديد الدُّنيا ما وزن حلقةً منها.

﴿٣٤﴾ ﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ لا يأمر بالصَّدقة على الفقراء.

﴿٣٥﴾ ﴿فليس له اليوم ها هنا حميم﴾ قريبٌ ينفعه.

﴿٣٦﴾ ﴿ولا طعام إلَّا من غسلين﴾ وهو صديد أهل النَّار.

﴿٣٧﴾ ﴿لا يأكله إلَّا الخاطئون﴾ وهم الكافرون.

﴿٣٨﴾ ﴿فلا أقسم﴾ ﴿لا﴾ زائدة ﴿بما تبصرون﴾ ما ترون من المخلوقات.

﴿٣٩﴾ ﴿وما لا تبصرون﴾ ما لا ترون منها.

﴿٤٠﴾ ﴿إنه﴾ إنَّ القرآن ﴿لقول﴾ لتلاوةُ ﴿رسول كريم﴾ على الله. يعني: محمَّداً صلوات الله عليه.

﴿٤١﴾ ﴿وما هو بقول شاعر﴾ أَيْ: ليس هو شاعراً ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾ ﴿ما﴾ لغوٌ مؤكِّدة.

وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

﴿٤٢﴾ ﴿**ولا بقول كاهن**﴾ وهو الذي يُخبر عن المُغيَّبات من جهة النُّجوم كذباً وباطلاً، ثمَّ بيَّن أنَّ ما يتلوه تنزيلٌ من الله تعالىٰ، فقال:

﴿٤٣﴾ ﴿**تنزيل من رب العالمين**﴾.

﴿٤٤﴾ ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل**﴾ يعني: النبيَّ ﷺ لو قال ما لم يُؤمر به، وأتىٰ بشيءٍ مِنْ قِبَل نفسه. ﴿**لأخذنا منه باليمين**﴾ ﴿**مِنْ**﴾ صلةٌ، والمعنىٰ: لأخذناه بالقوَّة والقدرة.

﴿٤٦﴾ ﴿**ثمَّ لقطعنا منه الوتين**﴾ وهو نياط القلب، أَيْ: لأهلكناه.

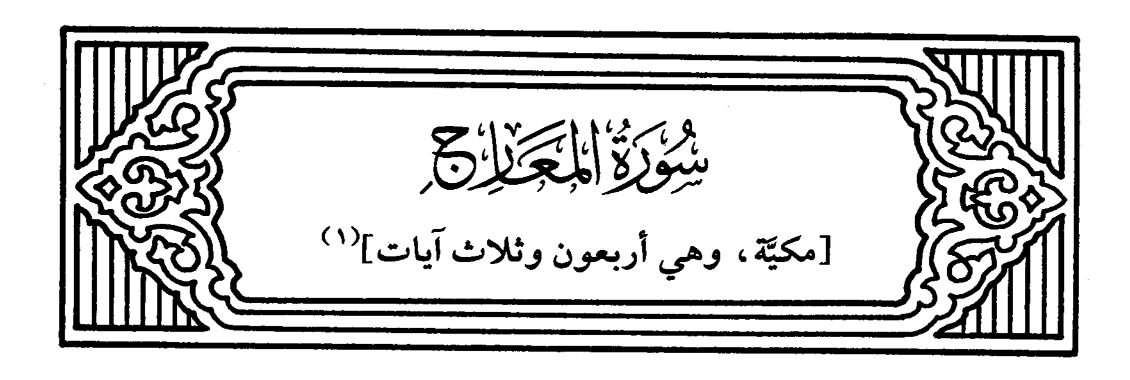
﴿٤٧﴾ ﴿**فما منكم من أحد عنه حاجزين**﴾ أَيْ: لم يحجزنا عنه أحدٌ منكم.

﴿٥٠﴾ ﴿**وإنَّه**﴾ أَيْ: القرآن ﴿**لحسرة على الكافرين**﴾ يوم القيامة إذا رأوا ثواب متابعيه.

﴿٥١﴾ ﴿**وإنه لحق اليقين**﴾ أَيْ: وإنَّه اليقين حقُّ اليقين.

﴿٥٢﴾ ﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾ نزِّهه عن السُّوء.

• • •



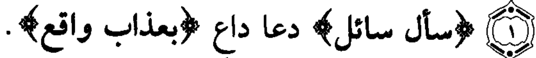
سُورَةُ المَعَارِج

[مكيّة، وهي أربعون وثلاث آيات](١)

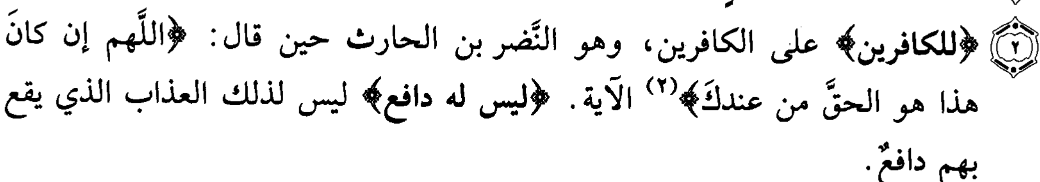
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلْكَٰفِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ

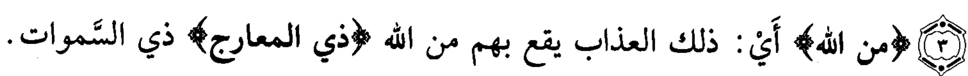
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾



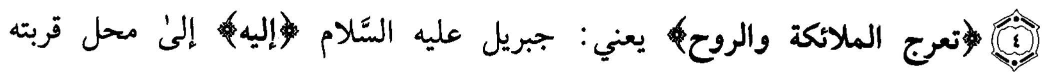
(١) ﴿سأل سائل﴾ دعا داعٍ ﴿بعذاب واقع﴾.



(٢) ﴿للكافرين﴾ على الكافرين، وهو النَّضر بن الحارث حين قال: ﴿اللَّهم إن كانَ هذا هو الحقَّ من عندكَ﴾(٢) الآية. ﴿ليس له دافع﴾ ليس لذلك العذاب الذي يقع بهم دافعٌ.



(٣) ﴿من الله﴾ أَيْ: ذلك العذاب يقع بهم من الله ﴿ذي المعارج﴾ ذي السَّموات.



(٤) ﴿تعرج الملائكة والروح﴾ يعني: جبريل عليه السَّلام ﴿إليه﴾ إلىٰ محل قربته

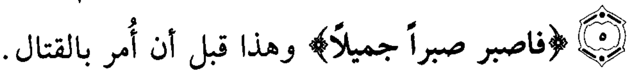
---

(١) زيادة من ظا. وهي في المصحف ٤٤ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ٣/١١٩: وآيُها أربعون وثلاث آياتٍ في الشَّامي، وأربعٌ في عدد الباقين.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٣٢. أخرج الحاكم في المستدرك ٢/٥٠٢؛ عن سعيد بن جبير في: ﴿سأل سائل﴾ قال: هو النَّضر بن الحارث بن كلدة قال: ﴿اللَّهم إنْ كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارةً من السماء﴾. وقال: حديثٌ صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرِّجاه، وأقرَّه الذَّهبي. وأخرجه النسائي في تفسيره ٢/٤٦٣ عن ابن عباس.

فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ﴿٦﴾ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾

وكرامته، وهو السَّماء ﴿في﴾ ﴿في يوم﴾ صلةُ «واقعٍ»، أَيْ: عذابٌ واقعٌ في يومٍ ﴿كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ وهو يوم القيامة.



(٥) ﴿فاصبر صبراً جميلاً﴾ وهذا قبل أن أُمر بالقتال.

(٦) ﴿إنهم﴾ يعني: المشركين ﴿يرونه﴾ يرون ذلك اليوم ﴿بعيداً﴾ مُحالاً لا يكون.

(٧) ﴿ونراه قريباً﴾ لأنَّ ما هو آتٍ قريبٌ، ثمَّ ذكر متىٰ يكون ذلك اليوم فقال:

(٨) ﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ كدرديِّ الزَّيت. وقيل: كالقار[1] المُذاب، وقد مَرَّ هذا.

(٩) ﴿وتكون الجبال﴾: [الجواهر. وقيل: الذَّهب والفضَّة والنُّحاس][2] ﴿كالعهن﴾ كالصُّوف المصبوغ.

(١٠) ﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ لا يسأل قريبٌ عن قريبٍ لاشتغاله بما هو فيه.

(١١) ﴿يبصرونهم﴾ يُعرَّف بعضهم بعضاً، أَيْ: إنَّ الحميم يرىٰ حميمه ويعرفه، ولا يسأل عن شأنه. ﴿يودُّ المجرم﴾ يتمنَّى الكافر ﴿لو يفتدي من عذاب يومئذٍ ببنيه﴾.

(١٢) ﴿وصاحبته﴾ وزوجته ﴿وأخيه﴾.

(١٣) ﴿وفصيلته﴾ عشيرته التي فُصِلَ منها ﴿التي تؤويه﴾ تضمُّه إليها في النَّسب.

---

(١) في ظ: كالفِلزِّ.

(٢) ما بين [ ] ساقط من ع، وقد أبعَد المفسر في هذه الأقوال، والأولىٰ الجبال على حقيقتها.

وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ ۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾ ۞ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَـٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَـٰنَـٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَـٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى جَنَّـٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾

---

(١٤) ﴿ومَنْ في الأرض جميعاً ثم ينجيه﴾ ذلك الافتداء.

(١٥) ﴿كلا﴾ ليس الأمر كذلك، لا ينجيه شيءٌ. ﴿إنها لظىٰ﴾ وهي من أسماء جهنَّم.

(١٦) ﴿نزاعة للشوىٰ﴾ يعني: جلود الرَّأس تقشرها عنه.

(١٧) ﴿تدعو﴾ الكافر باسمه والمنافق، فتقول: إليَّ إليَّ يا ﴿مَنْ أدبر﴾ عن الإيمان ﴿وتولىٰ﴾ أعرض.

(١٨) ﴿وجمع﴾ المال ﴿فأوعىٰ﴾ فأمسكه في وعائه، ولم يُؤدِّ حقَّ الله منه.

(١٩) ﴿إنَّ الإنسان خُلق هلوعاً﴾ وتفسير الهلوع ما ذكره في قوله: ﴿إذا مسَّه الشر جزوعاً﴾ يجزع من الشَّرِّ ولا يستمسك.

(٢١) ﴿وإذا مسَّه الخير منوعاً﴾ إذا أصاب المال منع حقَّ الله.

(٢٢) ﴿إلاَّ المصلين﴾ أيْ: المؤمنين.

(٢٣) ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ لا يلتفتون في الصَّلاة عن سمت القبلة.

(٣٣) ﴿والذين هم بشهاداتهم قائمون﴾ يقيمونها ولا يكتمونها.

(٣٦) ﴿فما للذين كفروا﴾ ما بالهم ﴿قبلك مهطعين﴾ يُديمون النَّظر إليك، ويتطلَّعون نحوك.

عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

﴿٣٧﴾ **﴿عن اليمين وعن الشمال﴾** عن جوانبك **﴿عزين﴾** جماعاتٍ حلقاً حلقاً، وذلك أنَّهم كانوا يجتمعون عنده، ويستهزئون به وبأصحابه، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنَّة فلندخلنَّها قبلهم. قال الله تعالىٰ:

﴿٣٨﴾ **﴿أيطمع كلُّ امرىءٍ منهم أن يدخل جنة نعيم * كلا﴾** لا يدخلونها. **﴿إنا خلقناهم مما يعلمون﴾** من ترابٍ ومن نطفةٍ، فلا يستوجب أحدٌ الجنة بشرفه وماله؛ لأنَّ الخلق كلَّهم من أصلٍ واحدٍ، بل يستوجبونها بالطَّاعة.

﴿٤٠﴾ **﴿فلا أقسم﴾** «لا» صلة. يعني: أُقسم. وقوله:

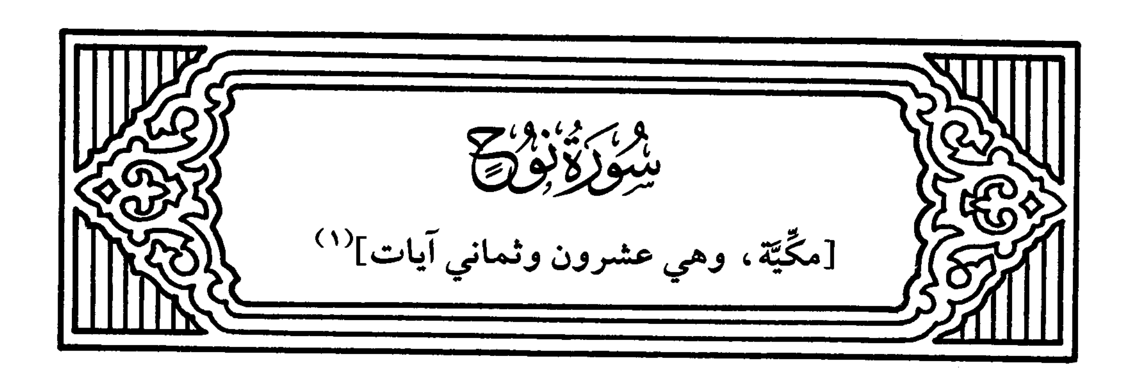
﴿٤١﴾ **﴿وما نحن بمسبوقين﴾** أيْ: بمغلوبين، نظيره قد تقدَّم في سورة الواقعة.

﴿٤٢﴾ **﴿فذرهم يخوضوا﴾** في باطلهم **﴿ويلعبوا﴾** في دنياهم **﴿حتىٰ يُلاقوا يومهم الذي يوعدون﴾** نسختها آية القتال.

﴿٤٣﴾ **﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾** القبور **﴿سراعاً كأنهم إلىٰ نصب﴾** إلىٰ شيءٍ منصوبٍ من علمٍ أو رايةٍ **﴿يوفضون﴾** يُسرعون.

﴿٤٤﴾ **﴿خاشعة أبصارهم﴾** ذليلةً خاضعةً لا يرفعونها لذلَّتهم **﴿ترهقهم ذلة﴾** يغشاهم هوان **﴿ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾**. يعني: يوم القيامة.

• • •



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) **﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك﴾** أَيْ: بأن خوِّفهم عذاب الله **﴿من قبل أن يأتيهم عذابٌ أليم﴾**.

(٢) **﴿قال يا قوم إني لكم نذير مبين﴾**. **﴿أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون﴾**.

(٤) **﴿يغفر لكم من ذنوبكم﴾** **﴿مِنْ﴾** صلة **﴿ويؤخركم﴾** عن العذاب **﴿إلى أجل مسمىً﴾** وهو أجل الموت، فتموتوا غيرَ ميتة مَنْ يهلك بالعذاب **﴿إنَّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر﴾** إذا جاء الأجل في الموت لا يُؤخَّر **﴿لو كنتم تعلمون﴾** ذلك.

وقوله:

(٦) **﴿إلّا فراراً﴾** أَيْ: نفاراً عن طاعتك وإدباراً عني.

---

(١) زيادة من ظا، وهي توافق ما في المصحف.

وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

---

(٧) **﴿وإني كلما دعوتهم﴾** إلىٰ الإيمان بك **﴿لتغفر لهم﴾** ما قد سلف من ذنوبهم **﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾** لئلا يسمعوا صوتي **﴿واستغشوا ثيابهم﴾** غطُّوا بها وجوههم مبالغةً في الإعراض عني كيلا يروني **﴿وأصروا﴾** أقاموا على كفرهم **﴿واستكبروا﴾** عن اتِّباعي **﴿استكباراً﴾** لأنَّهم قالوا: ﴿أنؤمنُ لك واتَّبعك الأَرْذَلون﴾[1].

(٨) **﴿ثم إني دعوتهم جهاراً﴾** أظهرتُ لهم الدَّعوة.

(٩) **﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾** أَيْ: خلطتُ دعاءَهم العلانية بدعاءِ السِّرِّ.

(١٠) **﴿فقلت استغفروا ربكم إنه غفاراً﴾**. **﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾**.

(١٢) **﴿ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً﴾** وذلك أنَّهم لما كذَّبوه حبس الله عنهم المطر وأعقم نساءَهم، فهلكت أموالهم ومواشيهم، فوعدهم نوحٌ إنْ آمنوا أَنْ يردَّ الله عليهم ذلك، فقال: ﴿يرسل السماء عليكم مدراراً﴾ كثيرة الدرِّ، أَيْ: كثيرة المطر، ﴿ويمددكم بأموالٍ وبنين﴾: يعطكم زينة الدُّنيا، وهي المال والبنون.

(١٣) **﴿ما لكم لا تَرْجُون لله وقاراً﴾** لا تخافون لله عظمةً.

(١٤) **﴿وقد خلقكم أطواراً﴾** حالاً بعد حالٍ. نطفةً، ثمَّ علقةً، ثمَّ مضغةً، إلى تمام الخلق.

---

(١) سورة الشعراء: الآية ١١١.

أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾

﴿١٥﴾ **﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً﴾** بعضها فوق بعض.

﴿١٦﴾ **﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾** أَيْ: في إحداهنَّ **﴿وجعل الشمس سراجاً﴾** تُضِيءُ لأهل الأرض.

﴿١٧﴾ **﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾** جعلكم تنبتون من الأرض نباتاً، وذلك أنَّه خلق آدم من الأرض وأولاده [أحياءً] منه.

﴿١٨﴾ **﴿ثم يعيدكم فيها﴾** أمواتاً **﴿ويخرجكم﴾** منها إخراجاً. وقوله:

﴿٢٠﴾ **﴿سبلاً فجاجاً﴾** أَيْ: طرقاً بيِّنةً. وقوله:

﴿٢١﴾ **﴿واتبعوا مَنْ لم يزده ماله وولده إلاَّ خساراً﴾** أَيْ: اتَّبعوا أشرافهم الذين لا يزيدون بإنعام الله تعالىٰ عليهم بالمال والولد إلاَّ طغياناً وكفراً.

﴿٢٢﴾ **﴿ومكروا مكراً كباراً﴾** أفسدوا في الأرض فساداً عظيماً بالكفر وتكذيب الرُّسل.

﴿٢٣﴾ **﴿وقالوا﴾** لسفلتهم: **﴿لا تذرنَّ آلهتكم ولا تَذَرُنَّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾** وهي أسماء أوثانهم.

﴿٢٤﴾ **﴿وقد أضلوا كثيراً﴾** أَيْ: ضلَّ كثيرٌ من النَّاس بسببها، كقوله: **﴿إنهنَّ أضللْنَ كثيراً من النَّاس﴾**(١). **﴿ولا تزد الظالمين إلاَّ ضلالاً﴾** دعاءٌ من نوحٍ عليهم بأن يزيدهم الله ضلالاً، وذلك أن الله تعالىٰ أخبره أنه لن يؤمن من قومه إلاَّ من قد آمن، فلما أيس نوح من إيمانهم دعا عليهم بالضَّلال والهلاك. قال الله تعالىٰ:

---

(١) سورة إبراهيم: الآية ٣٦.

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًۢا ﴿٢٨﴾

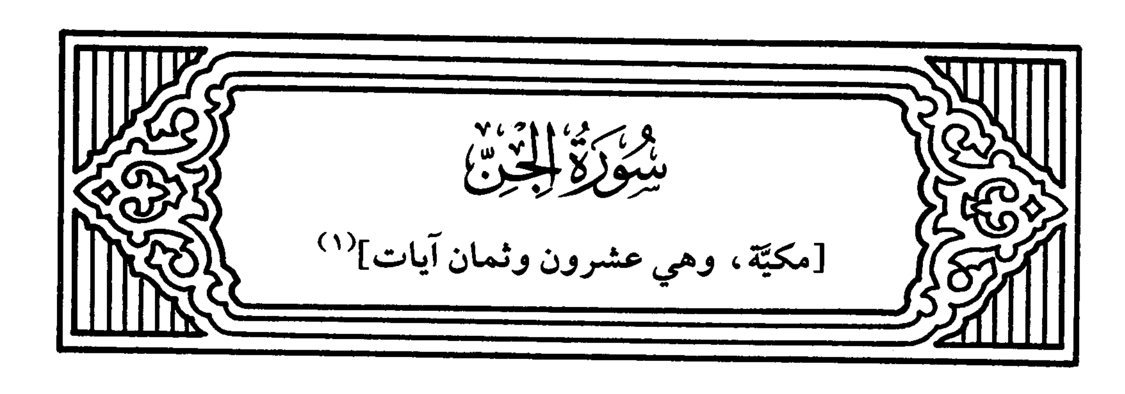
﴿٢٥﴾ ﴿مِمَّا خطيئاتهم﴾ ﴿ما﴾ صلة، أَيْ: مِن خطيئاتهم التي ارتكبوها ﴿أغرقوا﴾ بالطُّوفان ﴿فأدخلوا ناراً﴾ بعد الغرق، أَيْ: أُدخلوا جهنَّم ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ لم يجدوا مَنْ يمنعهم من عذاب الله.

﴿٢٦﴾ ﴿وقال نوحٌ ربِّ لا تذر على الأرض من الكافرين ديَّاراً﴾ أَيْ: نازل دار، أَيْ: أحداً.

﴿٢٧﴾ ﴿إنك إن تذرهم﴾ فلا تهلكهم ﴿يضلوا عبادك﴾ بدعوتهم إلى الضَّلال ﴿ولا يلدوا إلاَّ فاجراً كفاراً﴾ إلاَّ مَنْ يفجر ويكفر، وذلك أنَّ الله أخبره أنَّهم لا يلدون مؤمناً.

﴿٢٨﴾ ﴿ربِّ اغفر لي ولوالدي﴾ وكانا مؤمنين ﴿ولمن دخل بيتي﴾ مسجدي ﴿مؤمناً للمؤمنين والمؤمنات﴾ إلى يوم القيامة ﴿ولا تزد الظالمين إلاَّ تباراً﴾ هلاكاً ودماراً.

• • •



سورة الجن

[مكيّة، وهي عشرون وثمان آيات][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢) وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا (٣) وَأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى اللَّهِ شَطَطًا (٤) وَأَنَّا ظَنَنَّا أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (٥)﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿قل أوحي إليَّ﴾ أَيْ: أُخبرت بالوحي من الله إليَّ ﴿أنَّه استمع نفرٌ من الجن﴾ وذلك أنَّ الله تعالىٰ بعث نفراً من الجنِّ ليَستمعوا قراءة النبيِّ ﷺ وهو يُصلِّي الصُّبح ببطن نخلة، وهؤلاء الذين ذكرهم الله في سورة الأحقاف في قوله: ﴿وإذ صرفنا إليك نفراً...﴾[2] الآية. فلما رجعوا إلى قومهم قالوا: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ في فصاحته وبيانه وصدق إخباره.

(٣) ﴿وأنَّه تعالىٰ جدُّ ربنا﴾ أي: جلاله وعظمته عن أن يتَّخذ ولداً أو صاحبة.

(٤) ﴿وأنَّه كان يقول سفيهنا﴾ جاهلنا ﴿على الله شططاً﴾ غلوّاً في الكذب حتىٰ يصفه بالولد والصاحبة.

(٥) ﴿وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذباً﴾ أي: كنَّا نظنُّهم صادقين في

---

(١) زيادة من ظا، وهي توافق ما في المصحف.

(٢) الآية ٢٩.

وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴿٦﴾ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ﴿٧﴾ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾

أنَّ لله صاحبةً وولداً حتىٰ سمعنا القرآن، وكنَّا نظنُّ أنَّ أحداً لا يكذب على الله. انقطع ههٰنا قول الجن. قال الله تعالى:

﴿٦﴾ **﴿وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾** وذلك أنَّ الرَّجل في الجاهليَّة كان إذا سافر فأمسىٰ في الأرض القفر قال[1]: أعوذ بسيِّد هذا الوادي من شرِّ سفهاء قومه، أي: الجنِّ. يقول الله: **﴿فزادوهم رهقاً﴾** أَيْ: فزادوهم بهذا التَّعوُّذ طغياناً، وذلك أنَّهم قالوا: سُدْنا الجنَّ والإنس.

﴿٧﴾ **﴿وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً﴾** يقول: ظنَّ الجنُّ كما ظننتم أيُّها الإنس أن لا بعث يوم القيامة، وقالت الجنُّ:

﴿٨﴾ **﴿وأنا لمسنا السماء﴾** أَي: رُمْنَا استراق السَّمع فيها **﴿فوجدناها ملئت حرساً شديداً﴾** من الملائكة **﴿وشهباً﴾** من النُّجوم. يريدون: حُرست بالنُّجوم من استماعنا.

﴿٩﴾ **﴿وأنا كنَّا﴾** قبل ذلك **﴿نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً﴾** أَي: كواكب حفظةً تمنع من الاستماع.

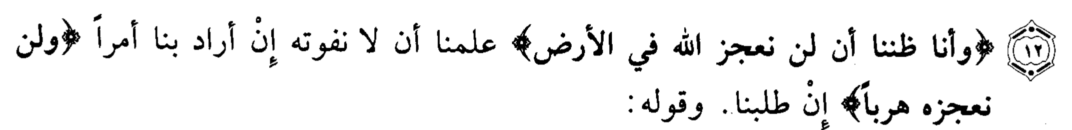
﴿١٠﴾ **﴿وأنَّا لا ندري أشرٌّ أريد بمن في الأرض﴾** بحدوث رجم الكواكب **﴿أم أراد بهم ربهم رشداً﴾** أَيْ: خيراً.

﴿١١﴾ **﴿وأنا منا الصالحون﴾** بعد استماع القرآن، أَيْ: بررةٌ أتقياءُ **﴿ومنا دون ذلك﴾** دون البررة **﴿كنا طرائق قدداً﴾** أَيْ: أصنافاً مختلفين.

---

(١) وهذا قول ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد، كما أخرجه ابن جرير ٢٩/١٠٨.

وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾



﴿١٢﴾ ﴿وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض﴾ علمنا أن لا نفوته إنْ أراد بنا أمراً ﴿ولن نعجزه هرباً﴾ إنْ طلبنا. وقوله:

﴿١٣﴾ ﴿فلا يخاف بَخْساً﴾ أَيْ: نقصاً ﴿ولا رهقاً﴾ أَيْ: ظلماً، والمعنىٰ: لا نخاف أن ينقص من حسناته، ولا أن يُزاد في سيئاته.

﴿١٤﴾ ﴿وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون﴾ الجائرون عن الحقّ ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً﴾ قصدوا طريق الحقّ. قال الله تعالىٰ:

﴿١٦﴾ ﴿وأن لو استقاموا على الطريقة﴾ لو آمنوا جميعاً، أَي: الخلق كلُّهم أجمعون الجنُّ والإنس ﴿لأسقيناهم ماءً غدقاً﴾ لوسَّعنا عليهم في الدُّنيا، وضرب المثل بالماء لأنَّ الخير كلَّه والرِّزق بالمطر، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿ولو أنَّ أهل القرىٰ آمنوا واتقوا. . .﴾[1] الآية.

﴿١٧﴾ ﴿لِنَفْتنهم فيه﴾ لنختبرهم فنرىٰ كيف شكرهم ﴿ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه﴾ يدخله ﴿عذاباً صعداً﴾ شاقاً.

﴿١٨﴾ ﴿وأنَّ المساجد لله﴾ يعني: المواضع التي يُصلَّىٰ فيها. وقيل: الأعضاء التي يسجد عليها. وقيل: يعني: إنَّ السَّجدات لله، جمع مسجد بمعنىٰ السُّجود ﴿فلا تدعوا مع الله أحداً﴾ أمرٌ بالتَّوحيد لله تعالىٰ في الصَّلاة.

(١) وتتمتها: ﴿لفتحنا عليهم بركاتٍ من السماء والأرض﴾ [سورة الأعراف: الآية ٩٦].

وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبۡدُ ٱللَّهِ يَدۡعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيۡهِ لِبَدٗا ﴿١٩﴾ قُلۡ إِنَّمَآ أَدۡعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشۡرِكُ بِهِۦٓ أَحَدٗا ﴿٢٠﴾ قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ﴿٢١﴾ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾ قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾

﴿١٩﴾ **﴿وأنه لما قام عبد الله يدعوه﴾** أي: النَّبيُّ ﷺ لمَّا قام ببطن نخلة يدعو الله **﴿كادوا يكونون عليه﴾** كاد الجنُّ يتراكبون ويزدحمون حرصاً على ما يسمعون، ورغبةً فيه. وقوله:

﴿٢٢﴾ **﴿ولن أجد من دونه ملتحداً﴾** أَيْ: ملجأً.

﴿٢٣﴾ **﴿إلَّا بلاغاً من الله ورسالاته﴾** لكن أُبلِّغ عن الله ما أُرسلت به، ولا أملك الكفر والإيمان، وهو قوله: **﴿لا أملك لكم ضرّاً ولا رشداً﴾**. وقوله:

﴿٢٤﴾ **﴿حتىٰ إذا رأوا﴾** أي: الكفَّار **﴿ما يوعدون﴾** من العذاب والنَّار **﴿فسيعلمون﴾** حينئذٍ **﴿مَنْ أضعف ناصراً﴾** أنا أو هم **﴿وأقل عدداً﴾**.

﴿٢٥﴾ **﴿قل إن أدري﴾** ما أدري **﴿أقريب ما توعدون﴾** من العذاب **﴿أم يجعل له ربي أمداً﴾** أجلاً وغايةً.

﴿٢٦﴾ **﴿عالم الغيب﴾** أي: هو عالم الغيب **﴿فلا يظهر﴾** فلا يُطلع على ما غيَّبه عن العباد **﴿أحداً﴾**.

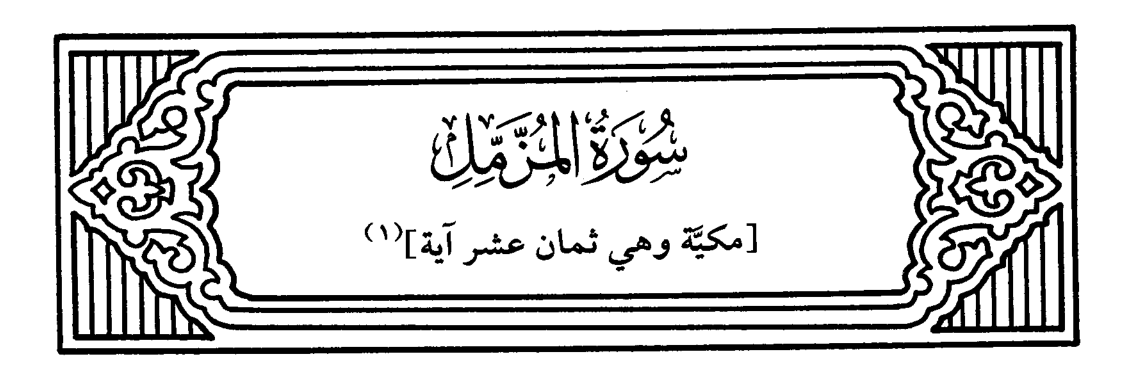
﴿٢٧﴾ **﴿إلَّا من ارتضى﴾** اصطفىٰ **﴿من رسول﴾** فإنَّه يُطلعه على ما يشاء من الغيب معجزةً له **﴿فإنَّه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً﴾** أي: يجعل من جميع جوانبه رصداً من الملائكة يحفظون الوحي من أن يسترقه الشَّياطين، فتلقيه إلى الكهنة، فيساوون الأنبياء.

لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾

﴿٢٨﴾ ﴿ليعلم﴾ الله ﴿أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ أي: ليُبلِّغوا رسالات ربِّهم، فإذا بلَّغوا علم الله ذلك، فصار كقوله: ﴿ولمَّا يعلمِ اللَّهُ الذين جاهدوا منكم﴾[1] أي: ولمَّا يجاهدوا. ﴿وأحاط بما لديهم﴾ علم الله ما عندهم ﴿وأحصىٰ كلَّ شيء عدداً﴾ أي: علم عدد كلِّ شيء فلم يخف عليه شيءٌ.

• • •

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٢.



سُورَةُ المُزَّمِّلِ

[مكيّة وهي ثمان عشر آية](١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿يا أيها المزمل﴾ أي: المُتَلَفِّف بثيابه. نزل هذا على النبيِّ ﷺ وهو مُتلَفِّفٌ بقطيفةٍ.

(٢) ﴿قم الليل إلاّ قليلاً﴾ أي: صلِّ [كلَّ](٢) اللَّيلِ إلاَّ شيئاً يسيراً تنام فيه، وهو الثُّلث، ثمَّ قال:

(٣) ﴿نصفه﴾ أَيْ: قم نصفه ﴿أو انقص منه﴾ من النِّصف ﴿قليلاً﴾ إلى الثُّلث.

(٤) ﴿أو زد عليه﴾ على النِّصف إلى الثُّلثين، جعل له سعةً في مدَّة قيامه في اللَّيل، فكأنَّه قال: قم ثلثي اللَّيل أو نصفه أو ثلثه، فلمَّا نزلت هذه الآية أخذ المسلمون أنفسهم بالقيام على هذه المقادير، وشقَّ ذلك عليهم؛ لأنَّهم لم يمكنهم أن يحفظوا هذه المقادير، وكانوا يقومون اللَّيل كلَّه حتىٰ انتفخت أقدامهم، ثمَّ خفَّف الله عنهم

---

(١) زيادة من ظا.

وهي في المصحف عشرون آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ٣/ ١٣١: وآيُها ثماني عشرة آية في المدني الأخير، وتسع عشرة في المكي والبصري، وعشرون عند الباقين.

(٢) زيادة من ظا.

وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾

بآخر هذه السُّورة، وهو قوله: ﴿إنَّ ربك يعلمُ أنَّك تقوم...﴾ الآية، ثمَّ نسخ قيام اللَّيل بالصَّلوات الخمس، وكان هذا في صدر الإسلام[1]. وقوله:

﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ أي: بيِّنه تبييناً بعضُه على إثر بعضٍ في تُؤَدةٍ.

﴿٥﴾ ﴿قولاً ثقيلاً﴾ رصيناً رزيناً، ليس بالسفساف والخفيف؛ لأنَّه كلام الله.

﴿٦﴾ ﴿إنَّ ناشئة الليل﴾ ساعاته ﴿هي أشد وطأً﴾ أثقلُ على المُصلِّين من ساعات النَّهار، ومَنْ قرأ: «وِطاء»[2] فمعناه: أشدُّ موافقةً بين القلب والسَّمع والبصر واللِّسان؛ لأنَّ اللَّيل تهدأ فيه الأصوات، وتنقطع الحركات، ولا تحول دون تسمُّعه وتفهُّمه شيءٌ. ﴿وأقوم قيلاً﴾ وأصوب قراءةً.

﴿٧﴾ ﴿إنَّ لك في النهار سبحاً طويلاً﴾ أَيْ: تصرُّفاً في حوائجك إقبالاً وإدباراً، وهذا حثٌّ على القيام باللَّيل لقراءة القرآن.

﴿٨﴾ ﴿واذكر اسم ربك﴾ بالتَّعظيم والتَّنزيه ﴿وتبتل إليه تبتيلاً﴾ وانقطع إليه في العبادة. وقوله:

﴿٩﴾ ﴿فاتخذه وكيلاً﴾ أَيْ: قيِّماً بأمورك مُفوَّضاً إليه.

﴿١٠﴾ ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً﴾ وهو أن لا تتعرَّض لهم ولا تشتغل بمكافآتهم، وهذه الآية نسختها آية القتال[3].

---

(١) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٩١ عن ابن عباس، وعائشة، وابن جرير ٢٩/ ١٢٥.

(٢) وهي قراءة أبي عمرو وابن عامر. إتحاف فضلاء البشر ص ٤٢٦.

(٣) أخرجه النحاس في ناسخه ص ٢٩٢ عن قتادة، وابن جرير ٢٩/ ١٣٤؛ وذكره مكي القيسي عنه أيضاً في الإيضاح ص ٤٤٤.

وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا ﴿١٧﴾ السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ ۚ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا ﴿١٩﴾ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ

﴿١١﴾ **﴿وذرني والمكذبين﴾** لا تهتمَّ لشأنهم فإني أكفيكهم، يعني: رؤساء المشركين، كقوله: ﴿فذرني ومَنْ يُكذِّب بهذا الحديث﴾[1] وقد مرَّ. **﴿أولي النعمة﴾** ذوي التَّنعُّم والتَّرفُّه **﴿ومهِّلهم قليلاً﴾** يعني: إلىٰ مدَّة آجالهم.

﴿١٢﴾ **﴿إنَّ لدينا﴾** يعني: في الآخرة **﴿أنكالاً﴾** قيوداً **﴿وجحيماً﴾** ناراً عظيمة.

﴿١٣﴾ **﴿وطعاماً ذا غُصَّةٍ﴾** يغصُّ في الحلوق ولا يسوغ، وهو الغِسلين والضَّريع والزَّقُّوم.

﴿١٤﴾ **﴿يوم ترجف الأرض والجبال﴾** تضطرب وتتحرَّك **﴿وكانت الجبال كثيباً مهيلاً﴾** رملاً سائلاً.

﴿١٥﴾ **﴿إنا أرسلنا إليكم رسولاً﴾** محمداً ﷺ **﴿شاهداً عليكم﴾** يشهد عليكم يوم القيامة بما فعلتم. وقوله:

﴿١٦﴾ **﴿فأخذناه أخذاً وبيلاً﴾** ثقيلاً غليظاً.

﴿١٧﴾ **﴿فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً﴾** أَيْ: فكيف تتحصَّنون من عذاب يومٍ يشيب الطِّفل لهوله وشدَّته إن كفرتم اليوم في الدُّنيا.

﴿١٨﴾ **﴿السماء منفطر به﴾** متشقِّق في ذلك اليوم.

﴿١٩﴾ **﴿إنَّ هذه﴾** الآيات **﴿تذكرة﴾** تذكيرٌ للخلق **﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾** بالطَّاعة والإِيمان.

﴿٢٠﴾ **﴿إنَّ ربك يعلم أنك تقوم﴾** للصَّلاة والقراءة **﴿أدنىٰ﴾** أقلَّ **﴿من ثلثي الليل ونصفه**

---

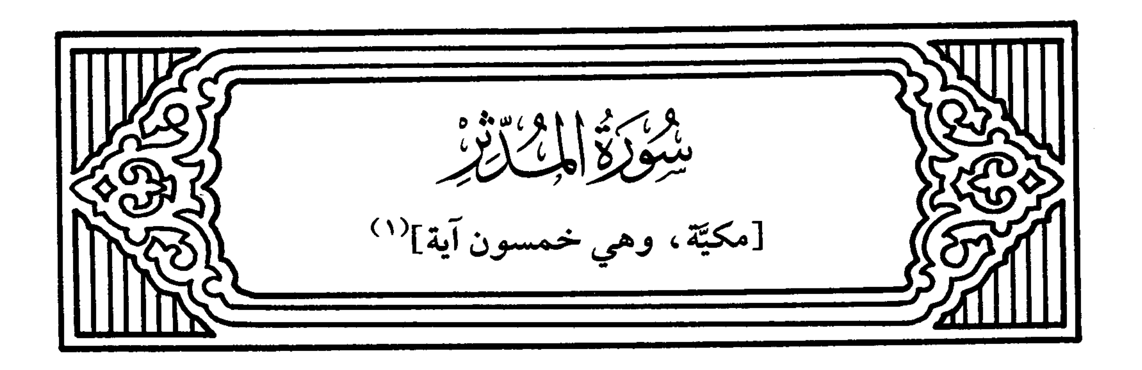
(١) سورة القلم، الآية ٤٥.

وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمُۢ ﴿٢٠﴾

وثلثه﴾ أي: وتقوم نصفه وثلثه **﴿وطائفة من الذين معك، والله يقدِّر الليل والنهار﴾** فيعلم مقادير أوقاتهما **﴿علم أن لن تحصوه﴾** لن تُطيقوا قيام اللَّيل **﴿فتاب عليكم﴾** رجع لكم إلى التَّخفيف **﴿فاقرؤوا ما تيسر من القرآن﴾** رخَّص لهم أن يقوموا، فيقرؤوا ما أمكن وخفَّ بغير مقدارٍ معلومٍ من القراءة والمُدَّة. **﴿علم أن سيكون منكم مرضىٰ﴾** فيثقل عليهم قيام اللَّيل، وكذلك المسافرون للتِّجارة والجهاد، وهو قوله: **﴿وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله﴾** يريد: أنَّه خفف قيام اللَّيل لما علم من ثقله على هؤلاء **﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾** قال المُفسِّرون: وكان هذا في صدر الإسلام، ثمَّ نُسخ بالصَّلوات الخمس، وقوله: **﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾** مما خلَّفتم وتركتم. **﴿واستغفروا الله إن الله غفور﴾** [للذنوب المؤمنين **﴿رحيم﴾** بهم][١].

• • •

(١) زيادة من ظ.



سُورَةُ المُدَّثِّر

[مكيّة، وهي خمسون آية](١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿يا أيها المدثر﴾ [أي: المتدثِّر](٢) في ثوبه.

﴿٢﴾ ﴿قم فأنذر﴾ النَّاس.

﴿٣﴾ ﴿وربك فكبر﴾ فصفه بالتَّعظيم.

﴿٤﴾ ﴿وثيابك فطهر﴾ لا تلبسها على معصيةٍ ولا علىٰ غدر؛ فإنَّ الغادر والفاجر يُسمَّىٰ دنس الثِّياب.

﴿٥﴾ ﴿والرجز فاهجر﴾ أي: الأوثان فاهجر [عبادتها](٣)، وكذلك كلَّ ما يؤدي إلى العذاب.

---

(١) زيادة من ظا، وهي في المصحف ٥٦ آية.
قال البقاعي في مصاعد النظر ٣/ ١٣٤: وآيُها خمسون وخمس آيات في المدني الأخير والمكي والشَّامي، وستٌّ في عدد الباقين.

(٢) ما بين [ ] ليس في الأصل ع.

(٣) زيادة من ظ و ظا.

وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾ فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّا ۖ إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾

﴿٦﴾ ﴿ولا تمنن تستكثر﴾ لا تُعطِ شيئاً لتأخذَ أكثر منه، وهذا خاصَّة للنبيِّ ﷺ لأنَّه مأمورٌ بأجلِّ الأخلاق، وأشرفِ الآداب.

﴿٧﴾ ﴿ولربك فاصبر﴾ اصبر لله على أوامره ونواهيه وما يمتحنك به حتىٰ يكون هو الذي يُثيبك عليها.

﴿٨﴾ ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ نُفخ في الصُّور. الآية. وقوله:

﴿١١﴾ ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ أَيْ: لا تهتمَّ لشأنه فإني أكفيك أمره، أَي: الوليد بن المغيرة، يقول: خلقته وحيداً لا ولد له ولا مال.

﴿١٢﴾ ﴿وجعلت له مالاً ممدوداً﴾ دائماً لا ينقطع عنه من الزَّرع والضَّرع والتّجارة.

﴿١٣﴾ ﴿وبنين شهوداً﴾ حضوراً معه بمكَّة، وكانوا عشرةً.

﴿١٤﴾ ﴿ومهدت له تمهيداً﴾ بسطت له في العيش والمال بسطاً.

﴿١٥﴾ ﴿ثم يطمع أن أزيد﴾ يرجو أن أزيده مالاً وولداً.

﴿١٦﴾ ﴿كلا﴾ قطعٌ لرجائه ﴿إنَّه كان لآياتنا عنيداً﴾ للقرآنِ معانداً غير مطيعٍ.

﴿١٧﴾ ﴿سأرهقه صعوداً﴾ سأغشيه مشقَّةً من العذاب.

﴿١٨﴾ ﴿إنَّه فكر وقدَّر﴾ وذلك أنَّ قريشاً سألته ما تقول في محمَّد؟ فتفكَّر في نفسه وقدَّر القول في محمَّد عليه السَّلام والقرآن ماذا يمكنه أن يقول فيهما.

﴿١٩﴾ ﴿فقتل﴾ لُعن وعُذِّب ﴿كيف قدَّر﴾؟ استفهامٌ على طريق التَّعجُّب.

﴿٢١﴾ ﴿ثم نظر﴾. ﴿ثم عبس وبسر﴾ كلح وجهه.

ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ

﴿٢٣﴾ ﴿ثمَّ أدبر واستكبر﴾ عن الإيمان.

﴿٢٤﴾ ﴿فقال إن هذا﴾ ما هذا الذي يقرؤه محمد ﴿إلاَّ سحرٌ يؤثر﴾ يُروىٰ عن السَّحرة.

﴿٢٥﴾ ﴿إن هذا إلاَّ قول البشر﴾ كما قالوا: ﴿إنَّما يُعلِّمه بشرٌ﴾(١). قال الله تعالىٰ:

﴿٢٦﴾ ﴿سأصليه سقر﴾ سأُدخله جهنَّم، ثمَّ أعلم عظم شأن سقر من العذاب، فقال:

﴿٢٧﴾ ﴿وما أدراك ما سقر﴾ ما أعلمك أيُّ شيءٍ سقر. !

﴿٢٩﴾ ﴿لواحة للبشر﴾ محرّقةٌ للجلد حتىٰ تُسوِّده.

﴿٣٠﴾ ﴿عليها تسعة عشر﴾ من الخزنة، الواحد منهم يدفع بالدَّفعة الواحدة في جهنَّم أكثر من ربيعة ومضر، فلمَّا نزلت هذه الآية قال بعض المشركين: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر، فاكفوني اثنين، فأنزل الله(٢):

﴿٣١﴾ ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلاَّ ملائكة﴾ لا رجالاً، فمن ذا يغلب الملائكة؟ ﴿وما جعلنا عدتهم﴾ عددهم في القلَّة ﴿إلاَّ فتنة للذين كفروا﴾ لأنَّهم قالوا: ما أعوان محمَّدٍ إلاَّ تسعة عشر ﴿ليستيقن الذين أوتوا الكتاب﴾ ليعلموا أنَّ ما أتىٰ به النبيُّ ﷺ موافقٌ لما في كتبهم ﴿ويزداد الذين آمنوا﴾ لأنَّهم يُصدِّقون بما أتىٰ به الرَّسول عليه السَّلام، وبعدد خزنة النَّار ﴿ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون﴾ أيْ: لا يشكُّون في أنَّ عددهم على ما أخبر به محمد عليه السَّلام

(١) سورة النحل: الآية ١٠٣.

(٢) القائل هو أبو الأشدين الجمحي، كما أخرجه ابن أبي حاتم عن السدي. انظر: الدر المنثور ٨/ ٣٣٣.

وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾

﴿**وليقول الذين في قلوبهم مرض**﴾ شكٌّ ﴿**والكافرون: ماذا أراد الله بهذا مثلاً**﴾ أيُّ شيءٍ أراد الله بهذا العدد وتخصيصه؟ ﴿**كذلك**﴾ كما أضلَّهم الله بتكذيبهم ﴿**يضلُّ الله مَنْ يشاء ويهدي من يشاء وما يعلم جنود ربك إلاَّ هو**﴾ هذا جوابٌ لقولهم: ما أعوانه إلاَّ تسعة عشر ﴿**وما هي**﴾ أي: النَّار ﴿**إلاَّ ذكرىٰ للبشر**﴾ أَيْ: إنَّها تُذكِّرهم في الدُّنيا النَّار في الآخرة.

﴿٣٢﴾ ﴿**كلا**﴾ ليس الأمر على ما ذكروا من التَّكذيب له ﴿**والقمرِ**﴾ قسمٌ.

﴿٣٣﴾ ﴿**والليل إذ أدبر**﴾ جاء بعد النَّهار.

﴿٣٤﴾ ﴿**والصبح إذا أسفر**﴾ أضاء.

﴿٣٥﴾ ﴿**إنها لإِحدىٰ الكبر**﴾ إنَّ سقر لإِحدى الأمور العظام.

﴿٣٦﴾ ﴿**نذيراً**﴾ إنذاراً ﴿**للبشر**﴾.

﴿٣٧﴾ ﴿**لمن شاء منكم أن يتقدَّم**﴾ فيما أُمِرَ به ﴿**أو يتأخر**﴾ عنه، فقد أُنذرتم.

﴿٣٨﴾ ﴿**كلُّ نفسٍ بما كسبت رهينةٌ**﴾ مأخوذةٌ بعملها.

﴿٣٩﴾ ﴿**إلاَّ أصحاب اليمين**﴾ يعني: أهل الجنَّة فهم لا يُرتهنون بذنوبهم، ولكنَّ الله يغفرها لهم. وقيل: أصحاب اليمين ها هنا أطفال المسلمين. وقوله:

﴿٤٢﴾ ﴿**ما سلككم في سقر**﴾ أَيْ: ما أدخلكم جهنَّم؟

﴿٤٥﴾ ﴿**وكنا نخوض مع الخائضين**﴾ ندخل الباطل مع مَنْ دخله.

وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَىٰ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

﴿٤٦﴾ **﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾** بيوم الجزاء.

﴿٤٧﴾ **﴿حتىٰ أتانا اليقين﴾** الموت.

﴿٤٨﴾ **﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾** ما لهم يُعرضون عن تذكيرك إيَّاهم.

﴿٥٠﴾ **﴿كأنَّهم حمر مستنفرة﴾** نافرةٌ مذعورةٌ.

﴿٥١﴾ **﴿فرَّت من قسورة﴾** أي: الأسد. وقيل: الرُّماة الصَّيَّادون.

﴿٥٢﴾ **﴿بل يريد كلُّ امرىء منهم أن يؤتىٰ صحفاً منشرة﴾** وذلك أنَّهم قالوا: إنْ سرَّك أن نتَّبعك فأت كلَّ واحدٍ منا بكتابٍ من ربِّ العالمين نؤمر فيه باتِّباعك، كما قالوا: ﴿لن نُؤمنَ لرقيِّك حتىٰ تنزِّلَ علينا كتاباً نقرؤه...﴾[1] الآية.

﴿٥٣﴾ **﴿كلا﴾** ردٌّ لما قالوا **﴿بل لا يخافون الآخرة﴾** حيث يقترحون أن يُؤتوا صحفاً منشرة.

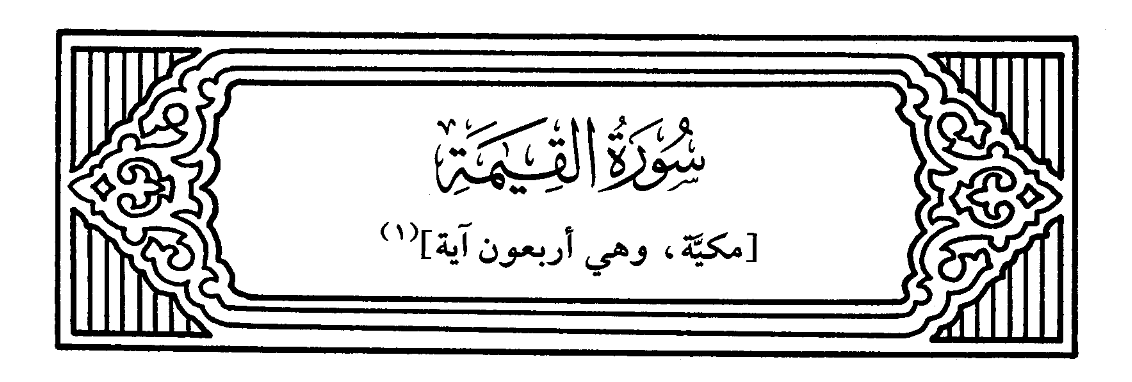
﴿٥٤﴾ **﴿كلا إنه تذكرة﴾** إنَّ القرآن تذكيرٌ للخلق، وليس بسحرٍ.

﴿٥٥﴾ **﴿فمن شاء ذكره﴾**.

﴿٥٦﴾ **﴿وما يذكرون إلاَّ أن يشاء الله هو أهل التقوىٰ﴾** أهلٌ أن يُتَّقىٰ عقابه **﴿وأهل المغفرة﴾** أهلٌ أنْ يعمل بما يُؤدِّي إلى مغفرته.

● ● ●

(١) سورة الإسراء: الآية ٩٣.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿١﴾ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿لا أقسم﴾ «لا» صلةٌ، معناه: أقسم، وقيل: «لا» ردٌّ لإنكار المشركين البعث، ثمّ قال: أقسم ﴿بيوم القيامة﴾.

﴿٢﴾ ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ وهي نفس ابن آدم تلومه يوم القيامة إنْ كان عمل شرّاً لِمَ عمله، وإنْ كان عمل خيراً لامته على ترك الاستكثار منه، وجواب هذا القسم مضمرٌ على تقدير: إنّكم مبعوثون، ودلَّ عليه ما بعده من الكلام، وهو قوله:

﴿٣﴾ ﴿أيحسب الإنسان﴾ أي: الكافر ﴿أن لن نجمع عظامه﴾ للبعث والإحياء بعد التّفرقة والبلىٰ!

﴿٤﴾ ﴿بلىٰ قادرين﴾ بلىٰ نقدر على جمعها و ﴿علىٰ أن نسوي بنانه﴾ نجعله كخفِّ البعير، فلا يمكنه أن يعمل بها شيئاً. وقيل: نُسوِّي بنانه على ما كانت وإنْ دقَّت عظامها وصغرت.

﴿٥﴾ ﴿بل يريد الإنسان ليفجر أمامه﴾ يُؤخِّر التّوبة ويمضي في معاصي الله تعالىٰ قُدُماً قُدُماً، فيقدّم الأعمال السّيِّئة. وقيل: معناه ليكفر بما قدّامه، يدلُّ علىٰ هذا قوله:

---

(١) زيادة من ظا، وهي توافق ما في المصحف.

يَسْئَلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾

﴿٦﴾ ﴿**يسأل أيان**﴾ متىٰ ﴿**يوم القيامة**﴾ تكذيباً به واستبعاداً لوقوعه.

﴿٧﴾ ﴿**فإذا برق البصر**﴾ فزع وتحيَّر.

﴿٨﴾ ﴿**وخسف القمر**﴾ أظلم وذهب ضوءه.

﴿٩﴾ ﴿**وجمع الشمس والقمر**﴾ أَيْ: جُمعا في ذهاب نورهما.

﴿١٠﴾ ﴿**يقول الإنسان يومئذٍ أين المفر**﴾ أي: الفرار؟

﴿١١﴾ ﴿**كلا**﴾ لا مفرَّ ذلك اليوم و ﴿**لا وزر**﴾ ولا ملجأ ولا حِرز.

﴿١٢﴾ ﴿**إلىٰ ربك يومئذٍ المستقر**﴾ المنتهىٰ والمصير.

﴿١٣﴾ ﴿**ينبأ الإنسان**﴾ يُخبر ﴿**بما قدَّم وأخر**﴾ بأوَّل عمله وآخره.

﴿١٤﴾ ﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة**﴾ أَيْ: شاهدٌ عليها بعملها، يشهد عليه جوارحه، وأُدخلت الهاء في البصيرة للمبالغة. وقيل: لأنَّه أراد بالإنسان الجوارح.

﴿١٥﴾ ﴿**ولو ألقىٰ معاذيره**﴾ ولو اعتذر وجادل فعليه من نفسه من يُكذِّب عذره. وقيل: معناه: ولو أرخىٰ السُّتور وأغلق الأبواب، والمِعذار: السِّتر بلغة اليمن.

﴿١٦﴾ ﴿**لا تحرّك به**﴾ بالوحي ﴿**لسانك لتعجل به**﴾ كان جبريل عليه السَّلام إذا نزل بالقرآن تلاه النبيُّ ﷺ قبل فراغ جبريل كراهيةَ أن ينفلت منه[1]، فأعلم الله تعالىٰ أنَّه لا يُنسيه إيَّاه، وأنَّه يجمعه في قلبه، فقال:

---

(١) سأل سعيدَ بن جبير موسىٰ بن أبي عائشة عن قوله تعالىٰ: ﴿لا تحرِّك به لسانك﴾، قال: قال ابن عباس: كان يحرِّك شفتيه إذا أنزل عليه، فقيل له: لا تحرِّك به لسانك ــ يخشىٰ أن ينفلت منه ــ ﴿إنَّ علينا جمعه﴾ في صدرك ﴿وقرآنه﴾ أن تقرأه، ﴿فإذا قرأناه﴾ يقول: أُنزل عليه =

إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْءَاخِرَةَ ﴿٢١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍۭ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾

﴿١٧﴾ **﴿إنَّ علينا جمعه وقرآنه﴾** قراءته عليك حتىٰ تعيه.

﴿١٨﴾ **﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه﴾** أي: لا تعجل بالتِّلاوة إلىٰ أن يقرأ عليك.

﴿١٩﴾ **﴿ثم إنَّ علينا بيانه﴾** أَيْ: علينا أن ننزِّله قرآناً فيه بيانٌ للنَّاس.

﴿٢٠﴾ **﴿كلا﴾** زجرٌ وتنبيهٌ. **﴿بل تحبون العاجلة﴾**.

﴿٢١﴾ **﴿وتذرون الآخرة﴾** أي: تختارون الدُّنيا على العقبىٰ.

﴿٢٢﴾ **﴿وجوهٌ يومئذٍ﴾** يوم القيامة **﴿ناضرة﴾** مُضِيئةٌ حسنةٌ.

﴿٢٣﴾ **﴿إلى ربها ناظرة﴾** تنظر إلى خالقها عياناً.

﴿٢٤﴾ **﴿ووجوه يومئذ باسرة﴾** كالحةٌ.

﴿٢٥﴾ **﴿تظن﴾** توقن **﴿أن يفعل بها فاقرة﴾** داهيةٌ عظيمةٌ من العذاب.

﴿٢٦﴾ **﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾** يعني: النَّفس. بلغت عظام الحلق.

﴿٢٧﴾ **﴿وقيل مَنْ راق﴾** قال مَنْ حضر ذلك الذي قارب الموت: هل من طبيبٍ يداويه، وراقٍ يرقيه فيشفىٰ برقيته؟

﴿٢٨﴾ **﴿وظن﴾** أيقن الذي نزل به الموت **﴿أنَّه الفراق﴾** من الدُّنيا والأهل والمال.

﴿٢٩﴾ **﴿والتفت الساق بالساق﴾** التفَّت ساقاه لشدَّة النَّزع. وقيل: تتابعت عليه الشَّدائد.

﴿فاتبع قرآنه * ثمَّ إنَّ علينا بيانه﴾ أن نبينه على لسانك. أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٨٦١؛ ونحوه في مسلم برقم ٤٤٨؛ والنسائي في التفسير ٢/ ٤٨٠.

إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

﴿٣٠﴾ **﴿إلى ربك يومئذ المساق﴾** المنتهىٰ والمرجع بسوق الملائكة الرُّوح إلى حيث أمر الله سبحانه.

﴿٣١﴾ **﴿فلا صدَّق ولا صلىٰ﴾** يعني: أبا جهلٍ لعنه الله.

﴿٣٢﴾ **﴿ولكن كذب وتولىٰ﴾** عن الإيمان.

﴿٣٣﴾ **﴿ثمَّ ذهب إلى أهله يتمطىٰ﴾** يتبختر.

﴿٣٤﴾ **﴿أولىٰ لك فأولىٰ﴾**. **﴿ثم أولىٰ لك فأولىٰ﴾** هذا تهديدٌ ووعيدٌ له، والمعنىٰ: وليك المكروه يا أبا جهل، [أي: لزمك المكروه].

﴿٣٦﴾ **﴿أيحسب الإنسان أن يترك سدىٰ﴾** مُهملاً غير مأمورٍ ولا منهيٍّ.

﴿٣٧﴾ **﴿ألم يك نطفة من مني يمنىٰ﴾** يصبُّ في الرَّحم.

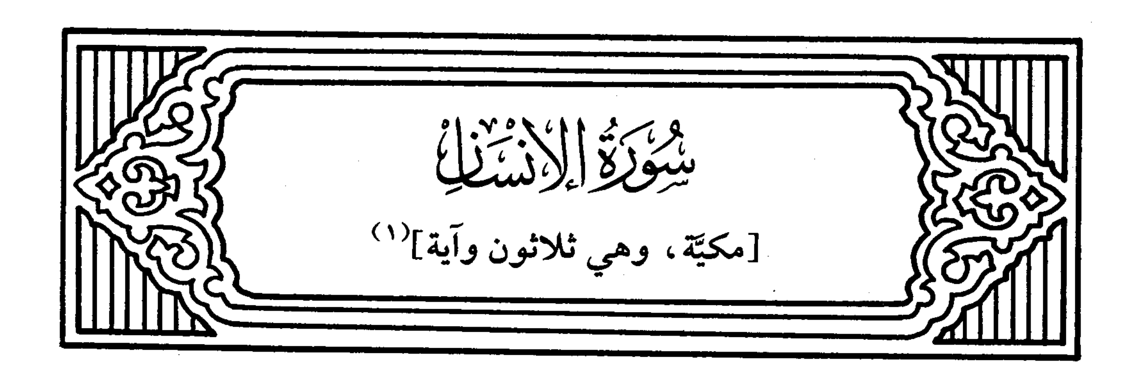
﴿٣٨﴾ **﴿ثمَّ كان علقة فخلق فسوىٰ﴾** فخلقه الله فسوَّىٰ خلقه، حتىٰ صار إنساناً بعد أن كان علقةً.

﴿٣٩﴾ **﴿فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى﴾** فخلق من الإنسان صنفين الرَّجل والمرأة.

﴿٤٠﴾ **﴿أليس ذلك﴾** الذي فعل هذا **﴿بقادر علىٰ أن يحيي الموتىٰ﴾**؟ [بلىٰ، وهو على كلِّ شيءٍ قدير][١].

• • •

(١) زيادة من ظا. وعن أبي هريرة قال: كان النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم إذا قرأ: ﴿أليس ذلك بقادرٍ على أن يحيي الموتىٰ﴾ قال: بلىٰ، وإذا قرأ: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ قال: بلىٰ. أخرجه الحاكم ٢/ ٥١٠ وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.



سُورَةُ الإنسَانِ

[مكيّة، وهي ثلاثون وآية][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿**هل أتىٰ على الإنسان**﴾ قد أتىٰ على آدم ﴿**حين من الدَّهر**﴾ أربعون سنةً ﴿**لم يكن شيئاً مذكوراً**﴾ لأنَّه كان جسداً مُصوَّراً من طينٍ، لا يُذكر ولا يُعرف، ويجوز أن يريد جميع النَّاس، لأنَّ كلَّ أحدٍ يكون عدماً إلىٰ أَنْ يصير شيئاً مذكوراً.

﴿٢﴾ ﴿**إنا خلقنا الإنسان**﴾ يعني: ابن آدم ﴿**من نطفة أمشاج**﴾ أخلاطٍ، يعني: ماء الرَّجل وماء المرأة واختلاف ألوانهما ﴿**نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً**﴾ أَيْ: خلقناه كذلك لنختبره بالتَّكليف والأمر والنَّهي.

﴿٣﴾ ﴿**إنَّا هديناه السبيل**﴾ بيَّنا له الطَّريق ﴿**إمَّا شاكراً وإمَّا كفوراً**﴾ إنْ شكر أو كفر، يعني: أعذرنا إليه في بيان الطَّريق ببعث الرَّسول آمن أو كفر.

﴿٤﴾ ﴿**إنَّ الأبرار**﴾ المُطيعين لربِّهم ﴿**يشربون من كأس**﴾ إناءٍ فيه شرابٌ ﴿**كان مزاجها**

---

(١) زيادة من ظا.

كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾

كافوراً﴾ يُمزج لهم بالكافور.

(٦) **﴿عيناً﴾** من عينٍ **﴿يشرب بها﴾** بتلك العين **﴿عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾** يقودونها حيث شاؤوا من منازلهم.

(٧) **﴿يوفون بالنذر﴾** إذا نذروا في طاعة الله وفوا به **﴿ويخافون يوماً كان شرُّه مستطيراً﴾** منتشراً فاشياً.

(٨) **﴿ويطعمون الطعام على حبّه﴾** علىٰ قلّته وحبِّهم إيَّاه **﴿مسكيناً﴾** فقيراً **﴿ويتيماً﴾** لا أب له **﴿وأسيراً﴾** أي: المملوك والمحبوس في حقٍّ من المسلمين، ويقولون لهم:

(٩) **﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾** لطلب ثواب الله **﴿لا نريد منكم﴾** بما نُطعمكم **﴿جزاءً﴾** مكافأةً منكم **﴿ولا شكوراً﴾** شكراً.

(١٠) **﴿إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً﴾** كريه المنظر لشدَّته **﴿قمطريراً﴾** صعباً شديداً طويل الشَّر.

(١١) **﴿فوقاهم الله شرَّ ذلك اليوم﴾** الذي يخافون **﴿ولقَّاهم نضرة﴾** [ضياءً] في وجوههم **﴿وسروراً﴾** في قلوبهم.

(١٢) **﴿وجزاهم بما صبروا﴾** على طاعة الله وعن معصيته **﴿جنة وحريراً﴾**.

(١٣) **﴿متكئين فيها على الأرائك لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾** حرّاً ولا برداً، صيفاً ولا شتاءً.

وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾ وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾ إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾

﴿١٤﴾ **﴿ودانية عليهم ظلالُها﴾** أَيْ: قريبةً منهم ظلال أشجارها **﴿وذللت قطوفها تذليلاً﴾** أُدنيت منهم ثمارها، فهم ينالونها قعوداً كانوا أو قياماً.

﴿١٥﴾ **﴿ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قواريرا﴾** أَيْ: لها بياض الفضَّة وصفاء القوارير وهو قوله:

﴿١٦﴾ **﴿قوارير من فضة قدروها تقديراً﴾** أي: جُعلت الأكواب على قدر رِيِّهِمْ، وهو ألذُّ الشَّراب.

﴿١٧﴾ **﴿ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً﴾** والزَّنجبيل: شيءٌ تستلذُّه العرب، فوعدهم الله ذلك في الجنَّة.

﴿١٨﴾ **﴿عيناً﴾** من عينٍ **﴿فيها﴾** في الجنَّة **﴿تسمىٰ﴾** تلك العين **﴿سلسبيلاً﴾**.

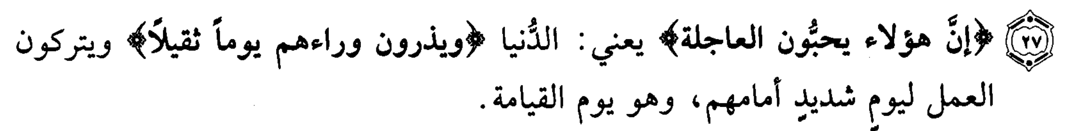
﴿١٩﴾ **﴿ويطوف عليهم ولدان﴾** أي: غلمانٌ **﴿مخلَّدون﴾** لا يشيبون **﴿إذا رأيتهم حسبتهم﴾** في بياضهم وصفاء ألوانهم **﴿لؤلؤاً منثوراً﴾**.

﴿٢٠﴾ **﴿وإذا رأيت ثمَّ﴾** إذا رميت ببصرك في الجنَّة **﴿رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾** وهو أنَّ أدناهم منزلاً ينظر في ملكه في مسيرة ألف عامٍ.

﴿٢١﴾ **﴿عاليهم﴾** فوقهم **﴿ثياب سندس﴾** أي: الحرير. وقوله: **﴿شراباً طهوراً﴾** طاهراً من الأقذاء والأقذار، ليس بنجس كخمر الدُّنيا. وقوله:

﴿٢٤﴾ **﴿ولا تطع منهم آثماً﴾** يعني: عتبة بن ربيعة **﴿أو كفوراً﴾** يعني: الوليد بن المغيرة، وذلك أنَّهما ضمنا للنبيِّ ﷺ المال والتَّزويج إنْ ترك دعوتهم إلى الإسلام.

وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾



(٢٧) **﴿إنَّ هؤلاء يحبُّون العاجلة﴾** يعني: الدُّنيا **﴿ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً﴾** ويتركون العمل ليومٍ شديدٍ أمامهم، وهو يوم القيامة.

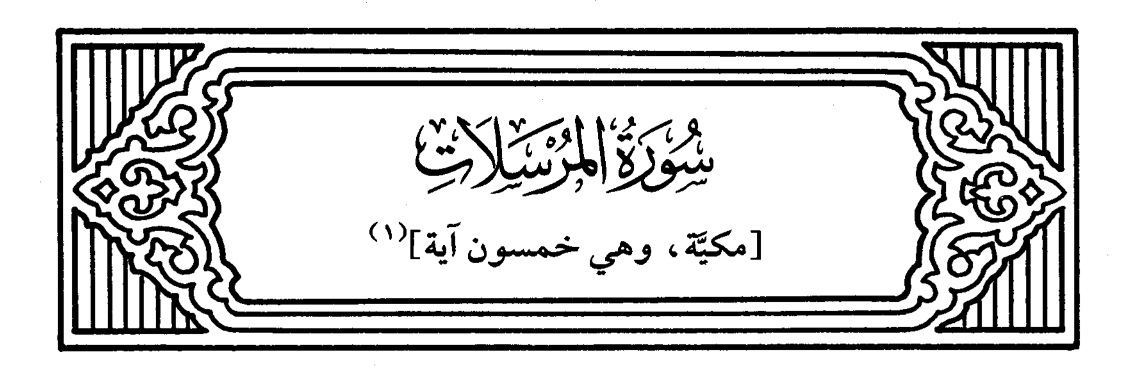
(٢٨) **﴿نحن خلقناهم وشددنا أسرهم﴾** خلقهم وخلق مفاصلهم.

(٢٩) **﴿إنَّ هذه﴾** السُّورة **﴿تذكرة﴾** تذكيرٌ للخلق **﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾** وسيلةً بالطَّاعة.

(٣٠) **﴿وما تشاؤون إلاَّ أن يشاء الله﴾** أَيْ: لستم تشاؤون شيئاً إلاَّ بمشيئة الله تعالىٰ؛ لأنَّ الأمر إليه.

(٣١) **﴿يدخل من يشاء في رحمته﴾** جنَّته، وهم المؤمنون **﴿والظالمين﴾** الكافرين الذين عبدوا غيره **﴿أعدَّ لهم عذاباً أليماً﴾**.

• • •



سُورَةُ المُرسَلاتِ

[مكيّة، وهي خمسون آية](١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ﴿١﴾ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ﴿٩﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) **﴿والمرسلات عرفاً﴾** أي: الرِّياح التي أُرسلت مُتتابعةً كعُرْف الفرس.

(٢) **﴿فالعاصفات عصفاً﴾** أي: الرِّياح الشَّديدة الهبوب.

(٣) **﴿والناشرات نشراً﴾** الرِّياح التي تأتي بالمطر.

(٤) **﴿فالفارقات فرقاً﴾** يعني: آي القرآن فرَّقت بين الحلال والحرام.

(٥) **﴿فالملقيات ذكراً﴾** أي: الملائكة التي تنزل بالوحي.

(٦) **﴿عذراً أو نذراً﴾** للإعذار والإنذار من الله تعالىٰ.

(٧) **﴿إنَّ ما توعدون﴾** من البعث والثَّواب والعقاب **﴿لواقع﴾**.

(٨) **﴿فإذا النجوم طمست﴾** مُحي نورها.

(٩) **﴿وإذا السماء فُرِجَتْ﴾** شُقَّت.

---

(١) زيادة من ظا.

وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ﴿١٢﴾ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ﴿١٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

﴿١٠﴾ ﴿**وإذا الجبال نسفت**﴾ قُلعت من أماكنها، فأُذهبت بسرعةٍ.

﴿١١﴾ ﴿**وإذا الرسل أقتت**﴾ جُمعت لوقتٍ، وهو يوم القيامة.

﴿١٢﴾ ﴿**لأيِّ يومٍ أجِّلت**﴾ أُخِّرت وأُمهلت.

﴿١٣﴾ ﴿**ليوم الفصل**﴾ القضاء بين النَّاس.

﴿١٤﴾ ﴿**وما أدراك ما يوم الفصل**﴾ على التَّعظيم لذلك اليوم. ﴿**ويلٌ يومئذٍ للمكذبين**﴾.

﴿١٦﴾ ﴿**ألم نهلك الأولين**﴾ من الأمم المكذِّبة.

﴿١٧﴾ ﴿**ثم نتبعهم الآخرين**﴾ ممَّن سلكوا سبيلهم في الكفر والتَّكذيب.

﴿١٨﴾ ﴿**كذلك**﴾ مثل الذي فعلنا بهم ﴿**نفعل بالمجرمين**﴾ بالمُكذِّبين من قومك.

﴿٢٠﴾ ﴿**ألم نخلقكم من ماء مهين**﴾ أي: النُّطفة.

﴿٢١﴾ ﴿**فجعلناه في قرار مكين**﴾ أي: الرَّحم.

﴿٢٢﴾ ﴿**إلى قدر معلوم**﴾ وهو وقت الولادة.

﴿٢٣﴾ ﴿**فقدرنا**﴾ أَيْ: قدَّرنا وقت الولادة ﴿**فنعم القادرون**﴾ فنعم المُقدِّرون نحن، وقُرئت بالتَّشديد والتَّخفيف[1]، لغتان بمعنىٰ واحدٍ.

(١) قرأ «فقدَّرنا» بالتشديد: نافع، والكسائي، وأبو جعفر، والباقون بالتخفيف. الإتحاف ص ٤٣٠.

أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ شَـٰمِخَـٰتٍ وَأَسْقَيْنَـٰكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَـٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَٱلْقَصْرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَـٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَـٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾

﴿٢٥﴾ **﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾** وعاءً. وقيل: ذات كفات، أَيْ: ضمٌّ وجمعٍ تكْفِتُ الخلق أحياءً على ظهرها، وأمواتاً في بطنها.

﴿٢٧﴾ **﴿وجعلنا فيها رواسي﴾** جبالاً ثوابت **﴿شامخات﴾** مرتفعاتٍ. **﴿وأسقيناكم ماءً فراتاً﴾** عذباً.

﴿٢٨﴾ **﴿ويل يومئذ للمكذبين﴾** ويُقال لهم ذلك اليوم:

﴿٢٩﴾ **﴿انطلقوا﴾** اذهبوا. **﴿إلى ما كنتم به تكذبون﴾** في الدُّنيا.

﴿٣٠﴾ **﴿انطلقوا إلى ظل﴾** إلىٰ دُخان جهنَّم **﴿ذي ثلاث شعب﴾** إذا ارتفع انْشَعَبَ ثلاث شُعَبٍ، فيقف على رؤوس الكافرين.

﴿٣١﴾ **﴿لا ظليل﴾** باردٍ **﴿ولا يغني من اللهب﴾** ولا يدفع من لهب النَّار شيئاً.

﴿٣٢﴾ **﴿إنها ترمي بشرر﴾** وهو ما يتطاير من النَّار **﴿كالقصر﴾** من البناء في العظم.

﴿٣٣﴾ **﴿كأنه جُمالاتٌ﴾**[1] جمع جمالٍ **﴿صفر﴾** سود.

﴿٣٥﴾ **﴿هذا يوم لا ينطقون﴾**.

﴿٣٦﴾ **﴿ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾** يعني: في بعض ساعات ذلك اليوم يُؤمرون بالسُّكوت.

---

(١) وهي قراءة رويس عن يعقوب، وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، وأبو عمرو، وشعبة عن عاصم، وروح عن يعقوب «جِمالات» بكسر الجيم، وهي جمع جَمَل، وقرأ حفص، وحمزة، والكسائي، وخلف «جِمالةٌ» بالإفراد. الإتحاف ص ٤٣١.

وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٣٧ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِۖ جَمَعۡنَٰكُمۡ وَٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ فَإِن كَانَ لَكُمۡ كَيۡدٞ فَكِيدُونِ ٣٩ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٠ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٥ كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجۡرِمُونَ ٤٦ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٧ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرۡكَعُواْ لَا يَرۡكَعُونَ ٤٨ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ٤٩ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَهُۥ يُؤۡمِنُونَ ٥٠

---

٣٨ ﴿هذا يوم الفصل﴾ بين أهل الجنَّة والنَّار ﴿جمعناكم والأولين﴾.

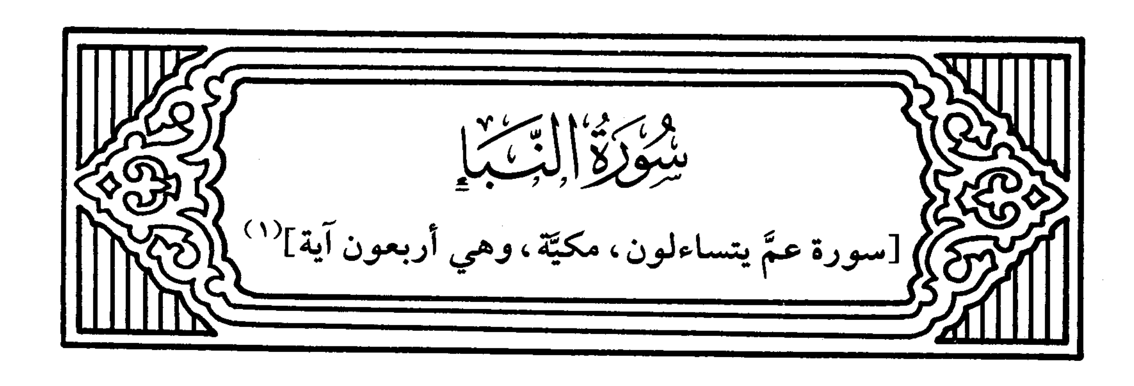
٣٩ ﴿فإن كان لكم كيدٌ فكيدون﴾ إنْ كان عندكم حيلةٌ فاحتالوا لأنفسكم.

٤٦ ﴿كلوا وتمتعوا﴾ في الدُّنيا ﴿قليلاً إنكم مجرمون﴾ مشركون.

٤٨ ﴿وإذا قيل لهم اركعوا﴾ صلُّوا ﴿لا يركعون﴾ لا يصلُّون.

٥٠ ﴿فبأيّ حديث بعده﴾ بعد القرآن الذي أتاهم فيه البيان ﴿يؤمنون﴾ إذا لم يؤمنوا به.

• • •



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿١﴾ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ﴿٢﴾ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ﴿٣﴾ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿عمَّ يتساءلون﴾ [عمّا يتساءلون] والمعنىٰ: عن أيِّ شيءٍ يتساءلون. يعني: قريشاً، وهذا لفظ استفهامٍ معناه تفخيم القصَّة، وذلك أنَّهم اختلفوا واختصموا فيما أتاهم به الرَّسول ﷺ فمن مصدِّق ومكذِّبٍ، ثمَّ بيَّن فقال:

(٢) ﴿عن النبأ العظيم﴾ [يعني: البعث](٢).

(٣) ﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ لا يُصدِّقون به.

(٤) ﴿كلا﴾ ليس الأمر على ما ذكروا من إنكارهم البعث ﴿سيعلمون﴾ حقيقة وقوعه.

(٥) ﴿ثم كلا سيعلمون﴾ تأكيدٌ وتحقيقٌ، ثمَّ دلَّهم على قدرته على البعث، فقال:

(٦) ﴿ألم نجعل الأرض مهاداً﴾ أيْ: فرشناها لكم حتىٰ سكنتموها.

(٨) ﴿وخلقناكم أزواجاً﴾ ذكوراً وإناثاً.

---

(١) زيادة من ظا، وهي توافق ما في المصحف.

(٢) ما بين [ ] ليس في الأصل.

وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾

﴿٩﴾ **﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾** راحةً لأبدانكم.

﴿١٠﴾ **﴿وجعلنا الليل لباساً﴾** يلبس كلَّ شيءٍ بسواده.

﴿١١﴾ **﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾** سبباً للمعاش.

﴿١٢﴾ **﴿وبنينا فوقكم سبعاً شداداً﴾** سبع سمواتٍ شدادٍ محكمةٍ.

﴿١٣﴾ **﴿وجعلنا سراجاً﴾** أي: الشَّمس **﴿وهَّاجاً﴾** وقَّاداً حارّاً.

﴿١٤﴾ **﴿وأنزلنا من المعصرات﴾** السَّحاب **﴿ماء ثجاجاً﴾** صبَّاباً.

﴿١٥﴾ **﴿لنخرج به حبَّاً﴾** ممَّا يأكله النَّاس **﴿ونباتاً﴾** ممَّا ترعاه النَّعم.

﴿١٦﴾ **﴿وجنات ألفافاً﴾** مُلتفَّةً مُجتمعةً.

﴿١٧﴾ **﴿إنَّ يوم الفصل كان ميقاتاً﴾** لما وعده الله من الجزاء والثَّواب.

﴿١٨﴾ **﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجاً﴾** زُمراً وجماعاتٍ.

﴿١٩﴾ **﴿وفتحت السماء﴾** شُقِّقت **﴿فكانت أبواباً﴾** حتىٰ يصير فيها أبواب.

﴿٢٠﴾ **﴿وسيِّرت الجبال﴾** عن وجه الأرض **﴿فكانت سراباً﴾** في خفَّة سيرها.

﴿٢١﴾ **﴿إنَّ جهنم كانت مرصاداً﴾** ترصد أهل الكفر، فلا يجاوزونها.

﴿٢٢﴾ **﴿للطاغين﴾** للكافرين **﴿مآباً﴾** مرجعاً.

﴿٢٣﴾ **﴿لابثين﴾** ماكثين **﴿فيها أحقاباً﴾** جمع حقب، وهو ثمانون سنة، كلُّ سنةٍ ثلثمائة وستون يوماً. كلُّ يومٍ كألف سنةٍ من أيَّام الدُّنيا، فإذا مضىٰ حقبٌ عاد حقبٌ إلىٰ ما لا يتناهىٰ.

لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَـٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾

﴿٢٤﴾ ﴿لا يذوقون فيها برداً﴾ نوماً وراحةً ﴿ولا شراباً﴾.

﴿٢٥﴾ ﴿إلَّا حميماً﴾ ماءً حارًّاً من حميم جهنَّم ﴿وغسَّاقاً﴾ وهو ما سال من جلود أهل النَّار.

﴿٢٦﴾ ﴿جزاءً وفاقاً﴾ أَيْ: جُوزوا وفق أعمالهم، فلا ذنب أعظم من الشِّرك، ولا عذاب أعظم من النَّار.

﴿٢٧﴾ ﴿إنهم كانوا لا يرجون حساباً﴾ لا يخافون أن يحاسبهم الله.

﴿٢٨﴾ ﴿وكذبوا بآياتنا كذاباً﴾ تكذيباً.

﴿٢٩﴾ ﴿وكلَّ شيء﴾ من أعمالهم ﴿أحصيناه﴾ كتبناه ﴿كتاباً﴾ لنحاسبهم عليه.

﴿٣١﴾ ﴿إنَّ للمتقين مفازاً﴾ فوزاً بالجنَّة ونجاةً من النَّار.

﴿٣٢﴾ ﴿وكواعب﴾ جواري قد تكعَّبت ثُدُيّهن. ﴿أتراباً﴾ مُستوياتٍ في السِّنِّ.

﴿٣٤﴾ ﴿وكأساً دهاقاً﴾ ممتلئةً.

﴿٣٦﴾ ﴿عطاءً حساباً﴾ كثيراً كافياً، وقوله:

﴿٣٧﴾ ﴿لا يملكون منه خطاباً﴾ أَيْ: لا يملكون أن يخاطبوه إلَّا بإذنه، كقوله تعالىٰ: ﴿لا تكلَّمُ نفسٌ إلَّا بإذنه﴾[1]، وقد فُسِّر هذا فيما قبل. وقوله:

---

(١) سورة هود: الآية ١٠٥.

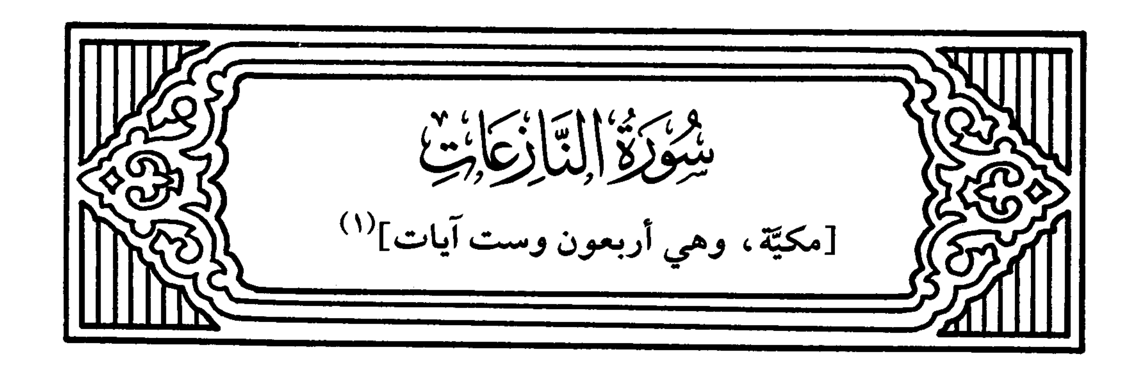
يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾

﴿٣٨﴾ ﴿يوم يقوم الروح﴾ قيل: هو جبريل عليه السَّلام. وقيل: هو مَلَكٌ يقوم صفاً. وقيل: الرُّوح جندٌ من جنود الله ليسوا من الملائكة ولا من النَّاس يقومون ﴿والملائكة صفاً﴾ صفوفاً. ﴿لا يتكلمون إلاَّ من أذن له الرحمن وقالوا صواباً﴾ حقاً في الدُّنيا. يعني: لا إله إلاَّ الله.

﴿٣٩﴾ ﴿ذلك اليوم الحقُّ فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ مرجعاً إلى طاعته.

﴿٤٠﴾ ﴿إنا أنذرناكم عذاباً قريباً﴾ يعني: يوم القيامة، ﴿يوم ينظر المرء ما قدَّمت يداه﴾ ما عمل من خيرٍ وشرٍّ ﴿ويقول الكافر﴾ في ذلك اليوم: ﴿يا ليتني كنت تراباً﴾ وذلك حين يقول الله تعالى للبهائم والوحوش: كوني تراباً، فيتمنَّىٰ الكافر أن لو كان تراباً فلا يُعذَّب.

• • •



بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿والنازعات﴾ أي: الملائكة التي تنزع أرواح الكفَّار ﴿غرقاً﴾ إغراقاً كما يُغرق النَّازع في القوس. يعني: المبالغة في النَّزع.

﴿٢﴾ ﴿والناشطات نشطاً﴾ يعني: الملائكة تقبض نفس المؤمن كما ينشط العقال من يد البعير، أَيْ: يُفتح.

﴿٣﴾ ﴿والسابحات سبحاً﴾ أي: النُّجوم تسبح في الفلك.

﴿٤﴾ ﴿فالسابقات سبقاً﴾ أرواح المؤمنين تسبق إلى الملائكة شوقاً إلى لقاء الله عزَّ وجلَّ. وقيل: النُّجوم يسبق بعضها بعضاً في السَّير.

﴿٥﴾ ﴿فالمدبرات أمراً﴾ يعني: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام، يُدبِّر أمر الدُّنيا هؤلاء الأربعة من الملائكة، وجواب هذه الأقسام مضمرٌ على تقدير: لَتُبْعَثُنَّ.

﴿٦﴾ ﴿يوم ترجف الراجفة﴾ تضطرب الأرض وتتحرَّك حركةً شديدةً.

---

(١) زيادة من ظا.

تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾

﴿٧﴾ **﴿تتبعها الرادفة﴾** يعني: نفخة البعث تأتي بعد الزَّلزلة.

﴿٨﴾ **﴿قلوب يومئذٍ واجفة﴾** قلقةٌ زائلةٌ عن أماكنها.

﴿٩﴾ **﴿أبصارها خاشعة﴾** ذليلةٌ.

﴿١٠﴾ **﴿يقولون﴾** يعني: منكري البعث: **﴿أإنا لمردودون في الحافرة﴾** أَيْ: إلىٰ أوَّل الأمر من الحياة بعد الموت، وهو قوله:

﴿١١﴾ **﴿أإذا كنا عظاماً نخرة﴾** أَيْ: باليةً.

﴿١٢﴾ **﴿قالوا تلك إذاً كرَّة خاسرة﴾** رجعةٌ يُخسر فيها، فأعلم الله تعالىٰ سهولة البعث عليه فقال:

﴿١٣﴾ **﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾** أي: صيحةٌ ونفخةٌ.

﴿١٤﴾ **﴿فإذا هم بالساهرة﴾** يعني: وجه الأرض بعد ما كانوا في بطنها.

﴿١٥﴾ **﴿هل أتاك﴾** يا محمَّد **﴿حديث موسىٰ﴾**.

﴿١٦﴾ **﴿إذ ناداه ربُّه بالوادي المقدس طوىٰ﴾** طوىٰ اسم ذلك الوادي.

﴿١٧﴾ **﴿اذهب إلى فرعون إنَّه طغىٰ﴾** جاوز الحدَّ في الكفر.

﴿١٨﴾ **﴿فقل هل لك إلىٰ أن تزكىٰ﴾** أترغب في أن تتطهَّر من كفرك بالإيمان.

﴿٢٠﴾ **﴿فأراه الآية الكبرىٰ﴾** اليد البيضاء.

﴿٢١﴾ **﴿فكذَّب﴾** فرعون موسىٰ **﴿وعصىٰ﴾** أمره.

ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ﴿٢٩﴾ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴿٣١﴾ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴿٣٢﴾ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ﴿٤٢﴾

﴿٢٢﴾ **﴿ثم أدبر﴾** أعرض عنه **﴿يسعىٰ﴾** في الأرض يعمل فيها بالفساد.

﴿٢٣﴾ **﴿فحشر﴾** فجمع السَّحرة وقومه **﴿فنادى﴾**.

﴿٢٤﴾ **﴿فقال أنا ربكم الأعلىٰ﴾** ليس ربٌّ فوقي.

﴿٢٥﴾ **﴿فأخذه الله نكال الآخرة والأولىٰ﴾** أيْ: نكَّل الله به في الآخرة بالعذاب في النَّار، وفي الدُّنيا بالغرق.

﴿٢٧﴾ **﴿أأنتم﴾** أيُّها المنكرون للبعث **﴿أشدُّ خلقاً أم السماء بناها﴾**.

﴿٢٨﴾ **﴿رفع سمكها﴾** سقفها **﴿فسوَّاها﴾** بلا شقوقٍ ولا فطورٍ.

﴿٢٩﴾ **﴿وأغطش﴾** أَظلم **﴿ليلها وأخرج ضحاها﴾** أظهر نورها بالشَّمس.

﴿٣٠﴾ **﴿والأرض بعد ذلك دحاها﴾** بسطها، وكانت مخلوقةً غير مدحوَّةٍ.

﴿٣١﴾ **﴿أخرج منها ماءها ومرعاها﴾** ما ترعاه النَّعم من الشَّجر والعشب.

﴿٣٢﴾ **﴿والجبال أرساها﴾**. **﴿متاعاً﴾** منفعةً **﴿لكم ولأنعامكم﴾**.

﴿٣٤﴾ **﴿فإذا جاءت الطامة الكبرىٰ﴾** يعني: صيحة القيامة.

﴿٤٢﴾ **﴿يسألونك عن الساعة﴾** يعني: القيامة. **﴿أيَّان مرساها﴾** متىٰ وقوعها وثبوتها؟ قال الله تعالىٰ:

فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

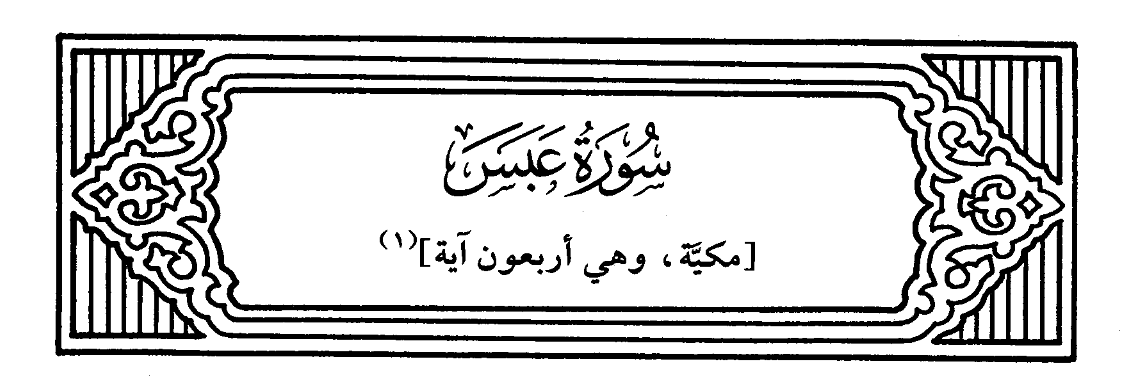
﴿٤٣﴾ **﴿فيم أنت﴾** يا محمد **﴿من ذكراها﴾** أي: ليس عندك علمها.

﴿٤٤﴾ **﴿إلىٰ ربك منتهاها﴾** منتهىٰ علمها.

﴿٤٥﴾ **﴿إنما أنت منذر مَنْ يخشاها﴾** إنَّما ينفع إنذارك من يخشاها.

﴿٤٦﴾ **﴿كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا﴾** في قبورهم **﴿إلاَّ عَشِيَّةً أو ضحاها﴾** أَيْ: نهارها. استقصروا مدَّة لبثهم في القبور لما عاينوا من الهول.

● ● ●



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿عبس﴾ كلح ﴿وتولّىٰ﴾ أعرض.

(٢) ﴿أن﴾ [لأنْ][٢]. ﴿جاءه الأعمىٰ﴾ وهو عبد الله بن أمِّ مكتوم أتىٰ النبيَّ ﷺ وهو يدعو أشراف قريش إلى الإسلام، فجعل يُناديه ويكرِّر النِّداء، ولا يدري أنَّه مشتغلٌ حتىٰ ظهرت الكراهية في وجه رسول الله ﷺ، فعبس وأعرض عنه، وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآيات[٣].

(٣) ﴿ومَا يدريك لعله﴾ لعلَّ الأعمىٰ ﴿يزكّىٰ﴾ يتطهَّر من ذنوبه بالإسلام، وذلك أنَّه أتاه يطلب الإسلام، ويقول له: علِّمني ممَّا علمك الله.

(٤) ﴿أو يذَّكَّر﴾ يتَّعظ ﴿فتنفعه الذكرىٰ﴾ الموعظة، ثمَّ عاتبه عزَّ وجلَّ فقال:

(٥) ﴿أمَّا من استغنىٰ﴾ أثرىٰ من المال.

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) زيادة من عا.

(٣) حديث الأعمىٰ هذا أخرجه مالك في الموطأ ١/٢٠٣ في القرآن عن عائشة؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣٢٨ والحاكم في المستدرك ٢/٥١٤ وصححه؛ وابن حبان برقم ١٧٦٩.

فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾

﴿٦﴾ **﴿فأنت له تصدَّىٰ﴾** تُقبِلُ عليه وتتعرَّض له.

﴿٧﴾ **﴿وما عليك ألا يزكَّىٰ﴾** أيُّ شيء عليك في أَنْ لا يُسلم؛ لأنَّه ليس عليك إسلامه، إنَّما عليك البلاغ.

﴿٨﴾ **﴿وأمَّا مَنْ جاءك يسعىٰ﴾** أي: الأعمىٰ.

﴿٩﴾ **﴿وهو يخشىٰ﴾** الله تعالىٰ.

﴿١٠﴾ **﴿فأنت عنه تلهىٰ﴾** تتشاغل.

﴿١١﴾ **﴿كلا﴾** ردعٌ وزجرٌ، أَيْ: لا تفعل مثل ما فعلت **﴿إنها﴾** إنَّ آيات القرآن **﴿تذكرة﴾** تذكيرٌ للخلق.

﴿١٢﴾ **﴿فمن شاء ذكره﴾** يعني: القرآن، ثمَّ أخبر بجلالته في اللَّوح المحفوظ عنده، [فقال]:

﴿١٣﴾ **﴿في صحف مكرمة﴾**.

﴿١٤﴾ **﴿مرفوعة﴾** رفيعة القدر **﴿مطهرة﴾** لا يمسُّها إلَّا المطهرون.

﴿١٥﴾ **﴿بأيدي سفرة﴾** كَتَبَةٍ، وهم الملائكة.

﴿١٦﴾ **﴿كرام بررة﴾** جمع بارٍّ.

﴿١٧﴾ **﴿قتل الإنسان﴾** لُعن الكافر. يعني: عُتبة بن أبـي لهب **﴿ما أكفره﴾** ما أشدَّ كفره.

﴿١٨﴾ **﴿من أي شيء خلقه﴾** استفهامٌ معناه التَّقرير، ثمَّ فسَّر فقال:

﴿١٩﴾ **﴿من نطفة خلقه فقدَّره﴾** أطواراً من علقةٍ ومضغةٍ إلىٰ أن خرج من بطن أُمِّه، وهو قوله:

ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾

---

(٢٠) ﴿ثم السبيل يسره﴾ أي: طريق خروجه من بطن أُمِّه.

(٢١) ﴿ثمَّ أماته﴾ قبض روحه ﴿فأقبره﴾ جعل له قبراً يُوارىٰ فيه، ولم يجعله ممَّن يُلقىٰ إلى السِّباع والطير.

(٢٢) ﴿ثمَّ إذا شاء أنشره﴾ أحياه بعد موته.

(٢٣) ﴿كلا﴾ حقاً [﴿لما﴾] لم ﴿يقض﴾ هذا الكافر ﴿ما أمره﴾ به ربُّه.

(٢٤) ﴿فلينظر الإنسان إلى طعامه﴾ كيف قدَّره ربُّه ودبَّره له.

(٢٥) ﴿أنَّا صببنا الماء صباً﴾ أي: المطر من السَّحاب.

(٢٦) ﴿ثم شققنا الأرض شقاً﴾ بالنَّبات.

(٢٧) ﴿فأنبتنا فيها حباً﴾. ﴿وعنباً وقضباً﴾ وهو القتُّ الرَّطب.

(٢٩) ﴿وحدائق غلباً﴾ بساتين كثيرة الأشجار.

(٣١) ﴿وفاكهة وأباً﴾ أي: الكلأ الذي ترعاه الماشية.

(٣٢) ﴿متاعاً﴾ منفعةً ﴿لكم ولأنعامكم﴾.

(٣٣) ﴿فإذا جاءت الصاخَّة﴾ صيحة القيامة.

(٣٤) ﴿يوم يفرُّ المرء من أخيه﴾. ﴿وأمه وأبيه﴾.

(٣٦) ﴿وصاحبته وبنيه﴾ لا يلتفت إلى واحدٍ منهم لشغله بنفسه، وهو قوله:

(٣٧) ﴿لكلِّ امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه﴾ يشغله عن شأن غيره.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

---

(٣٨) ﴿وجوهٌ يومئذٍ مسفرة﴾ مضيئةٌ.

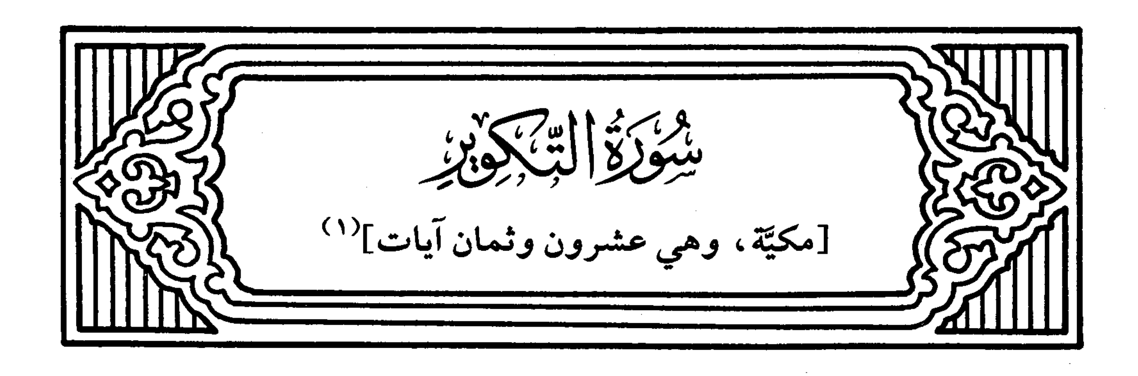
(٣٩) ﴿ضاحكة مستبشرة﴾ فرحةٌ.

(٤٠) ﴿ووجوه يومئذ عليها غبرة﴾ غبارٌ.

(٤١) ﴿ترهقها﴾ تغشاها ﴿قترة﴾ ظلمةٌ وسوادٌ.

(٤٢) ﴿أولئك﴾ أهل هذه الحال ﴿هم الكفرة الفجرة﴾.

• • •



سُورَةُ التَّكْوِيرِ

[مكيّة، وهي عشرون وثمان آيات](١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿إذا الشمس كورت﴾ ذهب ضوؤها.

(٢) ﴿وإذا النجوم انكدرت﴾ تساقطت وتناثرت.

(٣) ﴿وإذا الجبال سيرت﴾ عن وجه الأرض فصارت هباءً منبثاً.

(٤) ﴿وإذا العشار﴾ يعني: النُّوق الحوامل ﴿عطلت﴾ سُيِّبت وأُهملت، تركها أربابها، ولم يكن مالٌ أعجب إليهم منها، لإتيان ما يشغلهم عنها.

(٥) ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾ جُمعت للقصاص.

(٦) ﴿وإذا البحار سجرت﴾ أُوقدت فصارت ناراً [ويقال: تقذف الكواكب فيها ثم تضطرم فتصير ناراً](٢).

(٧) ﴿وإذا النفوس زوجت﴾ قُرن كلُّ أحدٍ بمَنْ يعمل عمله، فأُلحق الفاجر بالفاجر والصَّالح بالصَّالح. وقيل: قُرنت الأجساد بالأرواح.

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) زيادة من عا.

وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾

---

(٨) ﴿**وإذا المَوْؤُوْدَةُ**﴾ وهي الجارية تدفن حيَّةً. ﴿**سئلت**﴾.

(٩) ﴿**بأيِّ ذنب قتلت**﴾ وسؤالها سؤال توبيخٍ لوائدها؛ لأنها تقول: قتلت بغير ذنبٍ، وهذا كقوله تعالىٰ لعيسىٰ عليه السَّلام: ﴿أَأَنتَ قلتَ للنَّاسِ...﴾[1] الآية.

(١٠) ﴿**وإذا الصحف نشرت**﴾ كُتُب الأعمال.

(١١) ﴿**وإذا السماء كشطت**﴾ قُلعت كما يكشط الغطاء عن الشَّيء.

(١٢) ﴿**وإذا الجحيم سعِّرت**﴾ أُوقدت.

(١٣) ﴿**وإذا الجنة أزلفت**﴾ قرِّبت لأهلها حتىٰ يروها.

(١٤) ﴿**علمت نفس ما أحضرت**﴾ أي: إذا كانت هذه الأشياء التي تكون في القيامة علمت في ذلك الوقت كلُّ نفسٍ ما أحضرت من عملٍ.

(١٥) ﴿**فلا أقسم**﴾ «لا» زائدة. ﴿**بالخنس**﴾ وهي النُّجوم الخمس تخنس، أَيْ: ترجع في مجراها وراءها، وتكنس: تدخل في كناسها، أَيْ: تغيب في المواضع التي تغيب فيها، فهي الكنَّس، جمع كانسٍ.

(١٧) ﴿**والليل إذا عسعس**﴾ أقبل بظلامه، وقيل: أدبر.

(١٨) ﴿**والصبح إذا تنفس**﴾ امتدَّ حتىٰ يصير نهاراً بيِّناً.

(١٩) ﴿**إنه لقول رسول كريم**﴾ أي: القرآن لتنزيلُ جبريلٍ.

(٢٠) ﴿**ذي قوة**﴾ من صفة جبريل ﴿**عند ذي العرش مكين**﴾ ذي مكانةٍ ومنزلةٍ.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١١٦.

مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿٢١﴾ **﴿مطاع ثمَّ﴾** تطيعه الملائكة في السَّماء **﴿أمين﴾** على الوحي.

﴿٢٢﴾ **﴿وما صاحبكم﴾** محمد ﷺ **﴿بمجنون﴾** كما زعمتم.

﴿٢٣﴾ **﴿ولقد رآه﴾** رأىٰ جبريل عليه السَّلام في صورته **﴿بالأفق المبين﴾** وهو الأفق الأعلىٰ من ناحية المشرق.

﴿٢٤﴾ **﴿وما هو﴾** يعني محمداً ﷺ **﴿على الغيب﴾** أي: علىٰ الوحي وخبر السَّماء **﴿بظنين﴾**[1] بمتَّهم، أَيْ: هو الثِّقة بما يؤدِّيه عن الله تعالىٰ.

﴿٢٥﴾ **﴿وما هو﴾** يعني: القرآن **﴿بقول شيطان رجيم﴾**.

﴿٢٦﴾ **﴿فأين تذهبون﴾** فأيَّ طريقٍ تسلكون أبينَ من هذه الطَّريقة التي قد بُيِّنت لكم؟

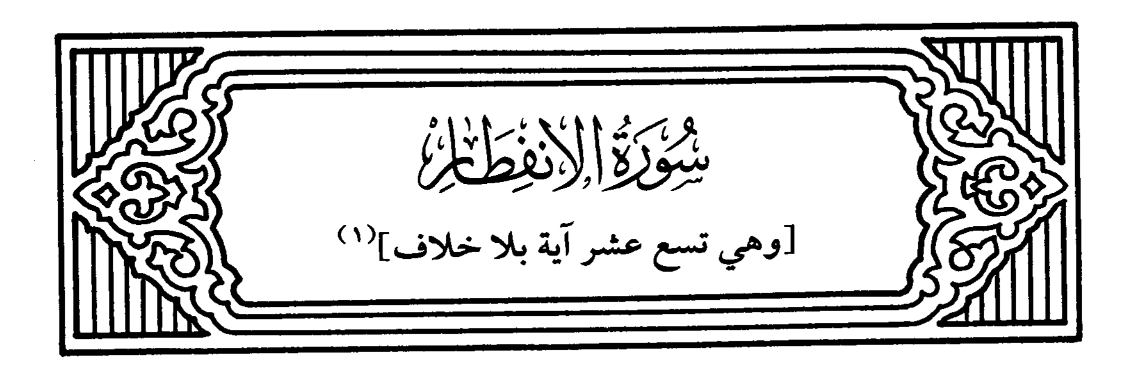
﴿٢٧﴾ **﴿إن هو إلَّا ذكر﴾** ليس القرآن إلَّا عظةٌ **﴿للعالمين﴾**.

﴿٢٨﴾ **﴿لمن شاء منكم أن يستقيم﴾** يتبع الحقَّ ويعمل به، ثمَّ أعلمهم أنَّهم لا يقدرون على ذلك إلَّا بمشيئة الله تعالىٰ، فقال:

﴿٢٩﴾ **﴿وما تشاؤون إلَّا أن يشاء الله رب العالمين﴾**.

• • •

(١) قرأ «بظنين» بالظاء: ابن كثير، وأبو عمرو، والكسائي، ورويس. الإتحاف ٢/ ٥٩٢.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿إذا السماء انفطرت﴾ انشقَّت.

(٢) ﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ تساقطت.

(٣) ﴿وإذا البحار فجِّرت﴾ فُتح بعضها في بعضٍ فصارت بحراً واحداً.

(٤) ﴿وإذا القبور بعثرت﴾ قُلب ترابها وبُعث الموتىٰ الذين فيها.

(٥) ﴿علمت نفسٌ ما قدَّمت﴾ من عملٍ أُمرت به ﴿و﴾ ما ﴿أخرت﴾ منه فلم تعمله.

(٦) ﴿يا أيها الإنسان ما غرَّك بربك الكريم﴾ أي: ما خدعك وسوَّل لك الباطل حتىٰ أضعت ما أوجب عليك.

(٧) ﴿الذي خلقك فسوَّاك﴾ جعلك مستوي الخلق ﴿فعدلك﴾ قوَّمك وجعلك معتدل الخلق والقامة.

---

(١) زيادة من ظا.

فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

﴿٨﴾ ﴿في أيِّ صورة ما شاء ركَّبك﴾ إمَّا طويلاً؛ وإمَّا قصيراً؛ وإمَّا حسناً؛ وإمَّا قبيحاً.

﴿٩﴾ ﴿كلا بل تكذبون بالدين﴾ بالمجازاة بالأعمال.

﴿١٠﴾ ﴿وإنَّ عليكم لحافظين﴾ يحفظون أعمالكم.

﴿١١﴾ ﴿كراماً﴾ على الله ﴿كاتبين﴾ يكتبون أقوالكم وأعمالكم.

﴿١٢﴾ ﴿يعلمون ما تفعلون﴾ لا يخفىٰ عليهم شيء من أعمالكم.

﴿١٣﴾ ﴿إنَّ الأبرار﴾ الصَّادقين في إيمانهم. ﴿لفي نعيم﴾.

﴿١٤﴾ ﴿وإنَّ الفجار﴾ الكفَّار. ﴿لفي جحيم﴾.

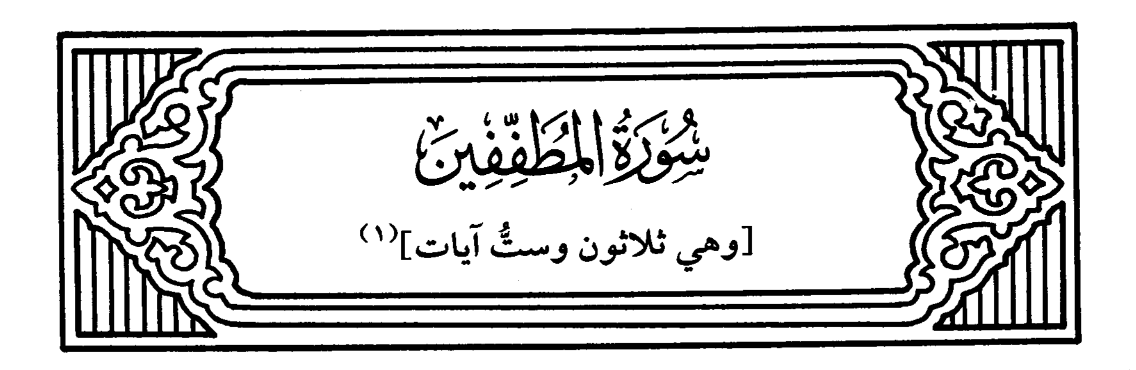
﴿١٥﴾ ﴿يصلونها﴾ يقاسون حرَّها. ﴿يوم الدين﴾.

﴿١٦﴾ ﴿وما هم عنها بغائبين﴾ بمخرجين، ثمَّ عظَّم شأن يوم القيامة، فقال:

﴿١٧﴾ ﴿وما أدراك ما يوم الدين﴾.

﴿١٩﴾ ﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾ لا تملك أن تُنجيها من العذاب، ﴿والأمر يومئذٍ لله﴾ وحده، لم يملك أحدٌ أمراً في ذلك اليوم كما ملك في الدُّنيا.

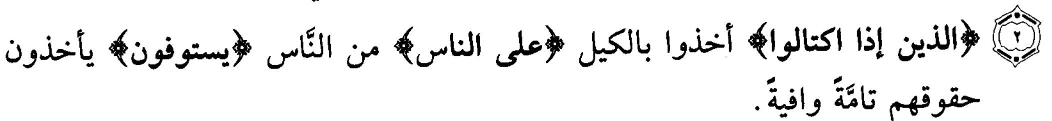
• • •



سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

[وهي ثلاثون وستُّ آيات][(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ



وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿ويل للمطففين﴾ يعني: الذين يبخسون حقوق النَّاس في الكيل والوزن.

(٢) ﴿الذين إذا اكتالوا﴾ أخذوا بالكيل ﴿على الناس﴾ من النَّاس ﴿يستوفون﴾ يأخذون حقوقهم تامَّةً وافيةً.

(٣) ﴿وإذا كالوهم﴾ كالوا لهم ﴿أو وزنوهم﴾ وزنوا لهم ﴿يخسرون﴾ ينقصون.

(٤) ﴿ألا يظن أولئك﴾ ألا يستيقن أولئك الذين يفعلون ذلك ﴿أنهم مبعوثون﴾.

(٥) ﴿ليوم عظيم﴾ يعني: يوم القيامة.

(٦) ﴿يوم يقوم الناس﴾ من قبورهم ﴿لربِّ العالمين﴾ والمعنىٰ أنَّهم لو أيقنوا بالبعث ما فعلوا ذلك.

(٧) ﴿كلا﴾ ردعٌ وزجرٌ، أيْ: ليس الأمر على ما هم عليه، فليرتدعوا ﴿إنَّ كتاب

---

(١) زيادة من ظا.

ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾

الفجار﴾ الذي فيه أعمالهم مرقومٌ مكتوبٌ مثبتٌ عليهم في **﴿سجين﴾** في أسفل سبع أرضين، وهو محل إبليس وجنده.

﴿٨﴾ **﴿وما أدراك ما سجين﴾** أي: ليس ذلك ممَّا كنتَ تعلمه أنت ولا قومُك. وقوله:

﴿٩﴾ **﴿كتاب مرقوم﴾** فمؤخَّرٌ معناه التَّقديم؛ لأنَّ التَّقدير كما ذكرنا: إنَّ كتاب الفجَّار كتابٌ مرقومٌ في سجِّين. وقوله:

﴿١٤﴾ **﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾** أي: غلب عليها حتىٰ غمرها وغشيها[1] **﴿ما كانوا يكسبون﴾** من المعاصي، وهو كالصَّدأ يغشىٰ القلب.

﴿١٥﴾ **﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾** يحجبون عن الله تعالىٰ فلا يرونه.

﴿١٦﴾ **﴿ثم إنهم لصالوا الجحيم﴾** لداخلو النَّار.

﴿١٧﴾ **﴿ثمَّ يقال هذا﴾** العذاب **﴿الذي كنتم به تكذِّبون﴾** في الدُّنيا.

﴿١٨﴾ **﴿كلا إنَّ كتاب الأبرار لفي عليين﴾** في السَّماء السَّابعة تحت العرش.

---

(١) عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئةً نُكتت في قلبه نكتةٌ، فإذا هو نزع واستغفر وتاب، صُقل قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتىٰ تعلو قلبه، وهو الرَّان الذي ذكره الله: ﴿كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾. أخرجه أحمد ٢/ ٢٩٧، وأخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٣٣١ وقال: حسن صحيح؛ وابن ماجه برقم ٤٢٤٤؛ والحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٧ وصححه ووافقه الذهبي.

وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾

﴿١٩﴾ **﴿وما أدراك﴾** وما الذي أعلمك يا محمد **﴿ما عليون﴾** كيف هي، وأيُّ شيءٍ صفتها.

﴿٢٠﴾ **﴿كتاب مرقوم﴾** يعني: كتاب الأبرار كتابٌ مرقومٌ.

﴿٢١﴾ **﴿يشهده المقربون﴾** تحضره الملائكة؛ لأنَّ عليين محلُّ الملائكة. وقوله:

﴿٢٣﴾ **﴿على الأرائك ينظرون﴾** أيْ: إلىٰ ما أعطاهم الله سبحانه من النَّعيم والكرامة.

﴿٢٤﴾ **﴿تعرف في وجوههم نَضْرَةَ النعيم﴾** أي: غضارته وبريقه.

﴿٢٥﴾ **﴿يسقون من رحيق﴾** وهو الخمر الصَّافية. **﴿مختوم﴾**.

﴿٢٦﴾ **﴿ختامه مسك﴾** يعني: إذا فني ما في الكأس وانقطع الشَّراب يختم ذلك الشَّراب برائحة المسك. **﴿وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾** فليرغب الرَّاغبون بالمبادرة إلى طاعة الله عزَّ وجلَّ.

﴿٢٧﴾ **﴿ومزاجه﴾** ومزاج ذلك الشَّراب **﴿من تسنيم﴾** وهو عينُ ماءٍ تجري في جنَّة عدنٍ، وهي أعلىٰ الجنَّات، ثمَّ فسَّره فقال:

﴿٢٨﴾ **﴿عيناً يشرب بها المقربون﴾** أيْ: يشربها المُقرَّبون.

﴿٢٩﴾ **﴿إنَّ الذين أجرموا﴾** أشركوا. يعني: أبا جهلٍ وأصحابه **﴿كانوا من الذين آمنوا﴾** من فقراء المؤمنين **﴿يضحكون﴾** استهزاءً بهم.

﴿٣٠﴾ **﴿وإذا مروا بهم يتغامزون﴾** يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون إليهم.

وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾

(٣١) **﴿وإذا انقلبوا﴾** رجعوا **﴿إلى أهلهم﴾** أصحابهم وذويهم **﴿انقلبوا فاكهين﴾**[(١)] مُعجبين بما هم فيه، يتفكَّهون بذكر المؤمنين.

(٣٢) **﴿وإذا رأوهم﴾** رأوا المؤمنين **﴿قالوا: إنَّ هؤلاء لضالون﴾**.

(٣٣) **﴿وما أرسلوا﴾** يعني: الكفَّار **﴿عليهم﴾** على المؤمنين **﴿حافظين﴾** لأعمالهم موكلين بأموالهم.

(٣٤) **﴿فاليوم﴾** يعني: يوم القيامة **﴿الذين آمنوا من الكفار يضحكون﴾** كما ضحكوا منهم في الدُّنيا.

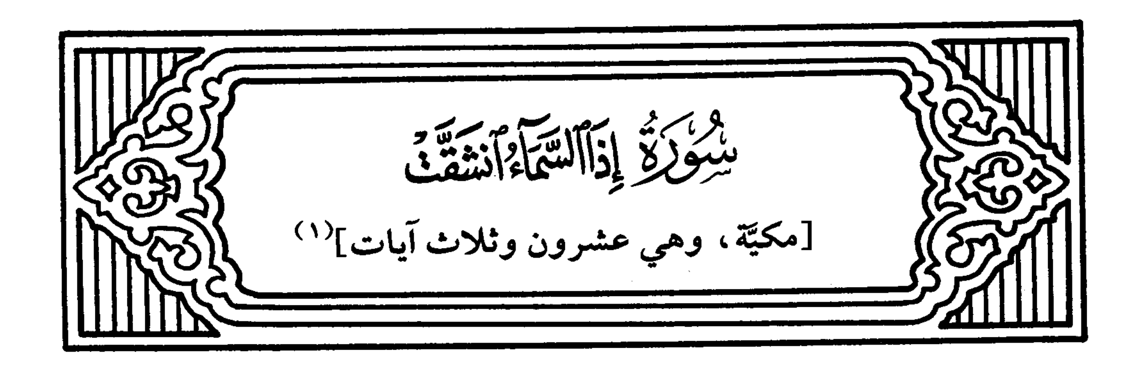
(٣٥) **﴿على الأرائك ينظرون﴾** إليهم كيف يُعذَّبون.

(٣٦) **﴿هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون﴾** أي: هل جُوزوا بسخريتهم بالمؤمنين في الدُّنيا؟

• • •

---

(١) قرأ «فاكهين» جميع القراء إلَّا حفصاً وأبا جعفر وابن عامر. الإتحاف ٢/ ٥٩٧.



بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿إذا السماء انشقت﴾ تنشقُّ السَّماء يوم القيامة.

﴿٢﴾ ﴿وأذنت لربها﴾ سمعت أمر ربِّها بالانشقاق ﴿وحقت﴾ وحقَّ لها أن تطيع.

﴿٣﴾ ﴿وإذا الأرض مدَّت﴾ من أطرافها فَزِيد فيها، كما يمدُّ الأديم.

﴿٤﴾ ﴿وألقت ما فيها﴾ ما في بطنها من الموتىٰ والكنوز ﴿وتخلَّت﴾ وخَلَتْ منها.

﴿٦﴾ ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً﴾ عاملٌ لربِّك عملاً ﴿فملاقيه﴾ فملاقٍ عملك، والمعنىٰ: إذا كان يوم القيامة لقي الإنسان عمله.

﴿٧﴾ ﴿فأمَّا مَنْ أوتي كتابه بيمينه﴾.

---

(١) زيادة من ظا. وهي في المصحف ٢٥ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ٣/ ١٧١: وآيُها عشرون وثلاثٌ في البصري والشامي، وخمسٌ في عدد الباقين.

فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾

---

(٨) ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ وهو العرض على الله عزَّ وجلَّ؛ لأنَّ مَنْ نُوقش الحساب عُذِّب[١].

(٩) ﴿وينقلب إلى أهله﴾ في الجنَّة ﴿مسروراً﴾.

(١٠) ﴿وأمَّا مَنْ أوتي كتابه وراء ظهره﴾ وذلك أنَّ يديه غُلَّتا إلى عنقه، فيُؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

(١١) ﴿فسوف يدعو ثبوراً﴾ فينادي بالهلاك على نفسه.

(١٢) ﴿ويصلىٰ سعيراً﴾ ويدخل النَّار.

(١٣) ﴿إنَّه كان في أهله﴾ في الدُّنيا ﴿مسروراً﴾ متابعاً لهواه.

(١٤) ﴿إنَّه ظنَّ أن لن يحور﴾ لن يرجع إلى ربِّه.

(١٥) ﴿بلىٰ﴾ أَيْ: ليس الأمر كما ظنَّ، يرجع إلى ربِّه.

(١٦) ﴿فلا أقسم﴾ معناه فأقسم ﴿بالشفق﴾ وهو الحمرة التي تُرىٰ بعد سقوط الشَّمس. وقيل: يعني: اللَّيل والنَّهار.

(١٧) ﴿والليل وما وسق﴾ جمع وحمل، وضمَّ وآوىٰ من الدَّوابِّ والحشرات، والهوام والسباع، وكلّ شيء دخل عليه اللَّيل.

---

(١) عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: مَنْ حوسب يوم القيامة عُذِّب. قالت: قلتُ: قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿فسوف يُحاسب حساباً يسيراً﴾ قال: ليس ذلك بالحساب، إنَّما ذلك العرض، مَنْ نُوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب. أخرجه البخاري في التفسير ٨/٦٩٧؛ ومسلم في كتاب الجنة برقم ٢٧٨٦؛ والنسائي في تفسيره ٢/٥٠٧؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣٣٧.

وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

﴿١٨﴾ ﴿والقمر إذا اتسق﴾ اجتمع واستوىٰ.

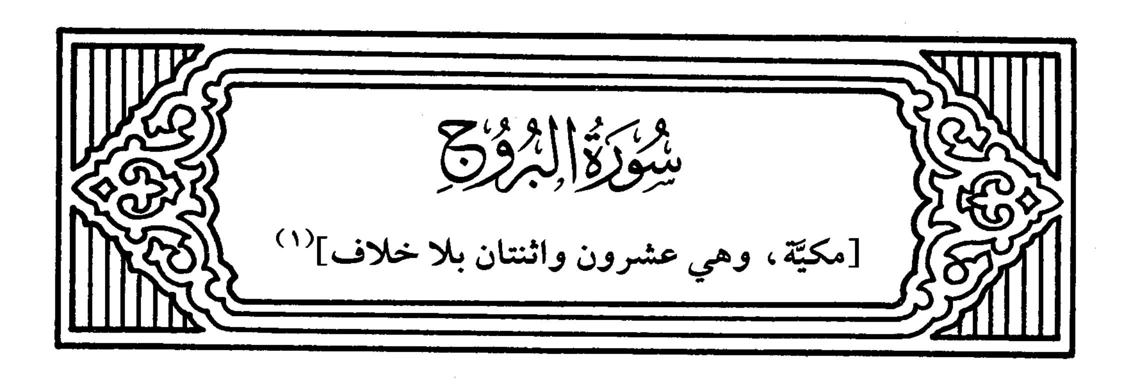
﴿١٩﴾ ﴿لتركبنَّ طبقاً عن طبق﴾ حالاً بعد حالٍ، من النُّطفة وإلىٰ العلقة، وإلىٰ الهرم والموت حتىٰ يصيروا إلى الله تعالىٰ. وقوله:

﴿٢٣﴾ ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ أي: يحملون في قلوبهم، ويُضمرون.

﴿٢٤﴾ ﴿فبشرهم﴾ أخبرهم ﴿بعذاب أليم﴾. وقوله:

﴿٢٥﴾ ﴿غير ممنون﴾ أي: غير منقوصٍ ولا مقطوعٍ.

• • •



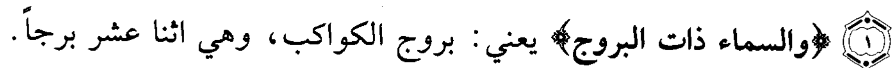
سُورَةُ البُرُوجِ

[مكيّة، وهي عشرون واثنتان بلا خلاف][1]

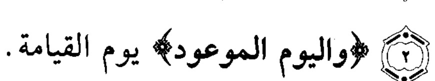
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾

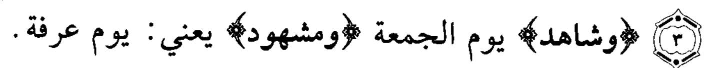
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾



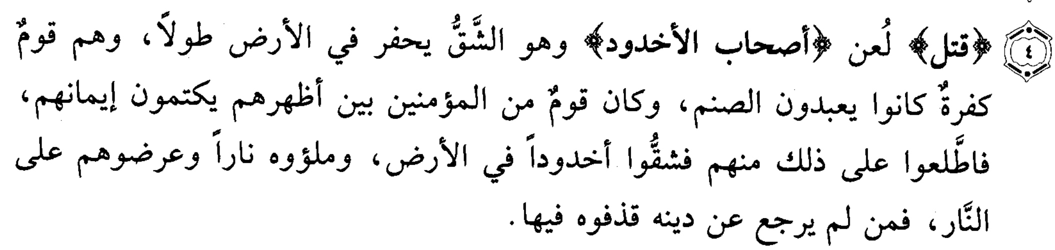
﴿١﴾ ﴿والسماء ذات البروج﴾ يعني: بروج الكواكب، وهي اثنا عشر برجاً.



﴿٢﴾ ﴿واليوم الموعود﴾ يوم القيامة.



﴿٣﴾ ﴿وشاهد﴾ يوم الجمعة ﴿ومشهود﴾ يعني: يوم عرفة.

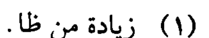


﴿٤﴾ ﴿قتل﴾ لُعن ﴿أصحاب الأخدود﴾ وهو الشَّقُّ يحفر في الأرض طولاً، وهم قومٌ كفرةٌ كانوا يعبدون الصنم، وكان قومٌ من المؤمنين بين أظهرهم يكتمون إيمانهم، فاطَّلعوا على ذلك منهم فشقُّوا أخدوداً في الأرض، وملؤوه ناراً وعرضوهم على النَّار، فمن لم يرجع عن دينه قذفوه فيها.



﴿٥﴾ ﴿النار ذات الوقود﴾ ذات الالتهاب.

﴿٦﴾ ﴿إذ هم عليها قعود﴾ وذلك أنَّهم قعدوا عند تلك النَّار.



(١) زيادة من ظا.

وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾

﴿٧﴾ **﴿وهم علىٰ ما يفعلون بالمؤمنين﴾** من التَّعذيب والصَّدِّ عن الإيمان **﴿شهود﴾** حاضرون. أخبر الله تعالىٰ عن قصَّة قومٍ بلغت بصيرتهم في إيمانهم إلىٰ أن صبروا على أَنْ أُحرقوا بالنَّار في الله.

﴿٨﴾ **﴿وما نقموا منهم إلاَّ أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾** أيْ: ما أنكروا عليهم ذنباً إلاَّ إيمانهم.

﴿١٠﴾ **﴿إنَّ الذين فتنوا﴾** أيْ: أحرقوا **﴿المؤمنين والمؤمنات ثمَّ لم يتوبوا﴾** لم يرجعوا عن كفرهم **﴿فلهم عذاب جهنم﴾** بكفرهم **﴿ولهم عذاب الحريق﴾** بما أحرقوا المؤمنين.

﴿١٢﴾ **﴿إنَّ بطش ربك﴾** أخذه بالعذاب **﴿لشديد﴾**.

﴿١٣﴾ **﴿إنَّه هو يبدىء﴾** الخلق، يخلقهم ابتداءً ثمَّ يُعيدهم عند البعث.

﴿١٤﴾ **﴿وهو الغفور الودود﴾** المحبُّ أولياءه.

﴿١٥﴾ **﴿ذو العرش﴾** خالقه ومالكه **﴿المجيد﴾** المستحقُّ لكمال صفات العلوِّ والمدح.

﴿١٧﴾ **﴿هل أتاك حديث الجنود﴾** خبر الجموع الكافرة، ثمَّ بيَّن مَنْ هم فقال:

﴿١٨﴾ **﴿فرعون وثمود﴾**.

﴿١٩﴾ **﴿بل الذين كفروا﴾** من قومك **﴿في تكذيب﴾** كذبٍ لك.

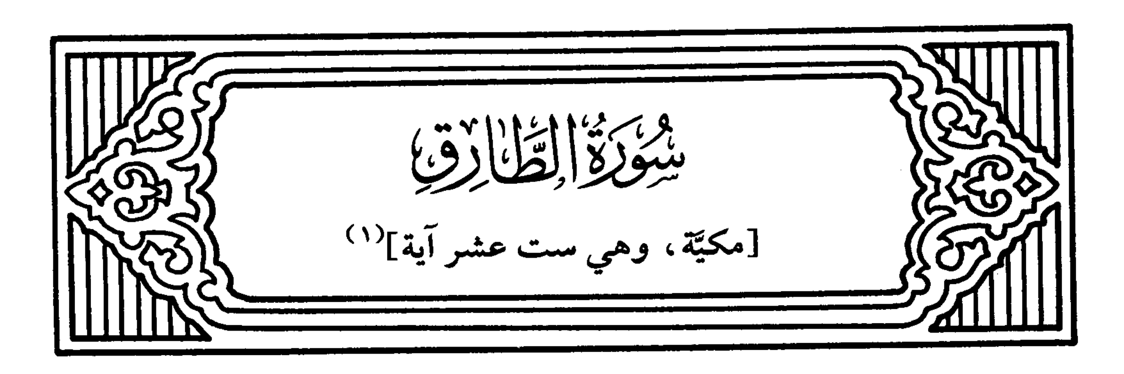
وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

﴿٢٠﴾ **﴿والله من ورائهم محيط﴾** قدرته مشتملةٌ عليهم فلا يعجزه منهم أحدٌ.

﴿٢١﴾ **﴿بل هو قرآن مجيد﴾** كثير الخير، وليس كما زعم المشركون.

﴿٢٢﴾ **﴿في لوح محفوظ﴾** من أن يبدَّل ما فيه أو يُغيَّر.

• • •



سُورَةُ الطَّارِقِ

[مكيّة، وهي ست عشر آية][(1)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿والسماء والطارق﴾ يعني: النُّجوم كلَّها؛ لأنَّ طلوعها باللَّيل، وكلُّ ما أتىٰ ليلاً فهو طارق، وقد فسَّر الله تعالىٰ ذلك بقوله:

﴿٢﴾ ﴿النجم الثاقب﴾ المضيء النَّيِّرُ.

﴿٤﴾ ﴿إن كلُّ نفسٍ لما عليها﴾ لَعَليها، و ﴿ما﴾ صلة ﴿حافظ﴾ من ربِّها يحفظ عملها.

﴿٥﴾ ﴿فَلْيَنْظُرِ الإنسان ممَّ خلق﴾ من أيِّ شيءٍ خلقه ربُّه، ثمَّ بيَّن فقال:

﴿٦﴾ ﴿خلق من ماءٍ دافق﴾ مدفوقٍ مصبوبٍ في الرَّحم. يعني: النُّطفة.

﴿٧﴾ ﴿يخرج من بين الصلب﴾ وهو ماء الرَّجل ﴿والترائب﴾ عظام الصَّدر، وهو ماء المرأة.

﴿٨﴾ ﴿إنَّه﴾ إنَّ الله ﴿على رجعه﴾ على بعث الإنسان وإعادته بعد الموت ﴿لقادر﴾.

---

(١) زيادة من ظا. وهي في المصحف ١٧ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ٣/١٧٨: وآيُها ست عشر في المدني الأوَّل، وسبعة عشر في عدد الباقين.

يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾

﴿٩﴾ **﴿يوم تبلىٰ السرائر﴾** يعني: يوم القيامة، وفي ذلك اليوم تختبر السَّرائر، وهي الفرائضُ التي هي سرائر بين العبد وربِّه، كالصَّلاة والصَّوم وغسل الجنابة، ولو شاء العبد أن يقول: فعلت ذلك ولم يفعله أمكنه، فهي سرائر عند العبد، وإنما تبين وتظهر صحَّتها وأمانة العبد فيها يوم القيامة.



﴿١٠﴾ **﴿فما له﴾** يعني: الإنسان الكافر **﴿من قوة ولا ناصر﴾**.

﴿١١﴾ **﴿والسماء ذات الرجع﴾** أَيْ: المطر.

﴿١٢﴾ **﴿والأرض ذات الصدع﴾** تتشقَّق عن النَّبات.

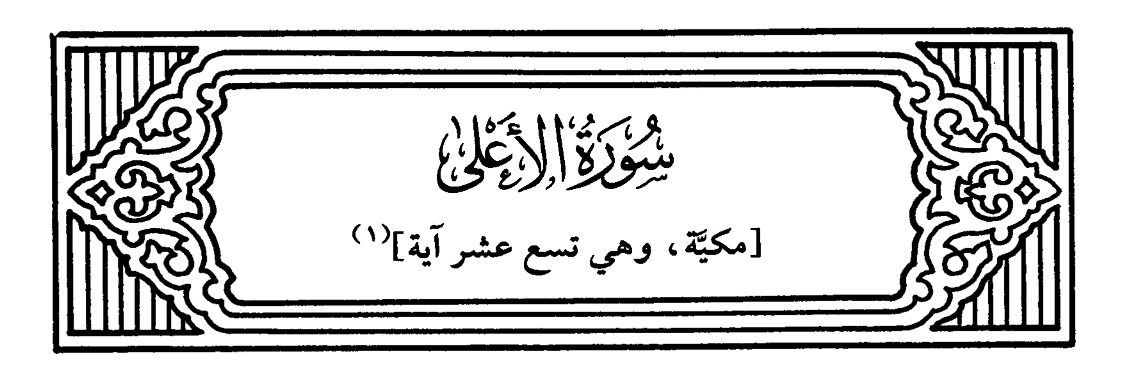
﴿١٣﴾ **﴿إنه﴾** أَيْ: القرآن **﴿لقول فصل﴾** يفصل بين الحقّ والباطل.

﴿١٤﴾ **﴿وما هو بالهزل﴾** أَيْ: باللَّعب والباطل.

﴿١٥﴾ **﴿إنهم﴾** يعني: مشركي مكَّة **﴿يكيدون كيداً﴾** يُظهرون للنبيِّ ﷺ على ما هم على خلافه.

﴿١٦﴾ **﴿وأكيد كيداً﴾** وهو استدراجُ الله تعالىٰ إيَّاهم من حيث لا يعلمون **﴿فمهِّل الكافرين أمهلهم رويداً﴾** يقول: أخِّرهم قليلاً؛ فإني آخذهم بالعذاب، فأُخذوا يوم بدرٍ، وذلك أنَّه كان يدعو الله تعالىٰ عليهم، فقال الله تعالىٰ: **﴿أمهلهم رويداً﴾**، أَيْ: قليلاً.

• • •



سورة الأعلىٰ

[مكيّة، وهي تسع عشر آية][(١)]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ﴿١﴾ ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿سبِّح اسم ربك الأعلىٰ﴾ نزِّه ذات ربِّك من السُّوء. وقيل: معناه: قل: سبحان ربِّـي الأعلىٰ.

﴿٢﴾ ﴿الذي خلق فسوَّىٰ﴾ خلق الإنسان مُستوي الخلق.

﴿٣﴾ ﴿والذي قدَّر فهدىٰ﴾ قدَّر الأرزاق ثمَّ هدىٰ لطلبها.

﴿٤﴾ ﴿والذي أخرج﴾ من الأرض ﴿المرعىٰ﴾ النَّبات.

﴿٥﴾ ﴿فجعله غثاء﴾ يابساً وهو ما يحمله السَّيل ممَّا يجف من النَّبات ﴿أحوىٰ﴾ أسود بالياً.

﴿٦﴾ ﴿سنقرئك﴾ سنجعلك قارئاً لما يأتيك به جبريل عليه السَّلام من الوحي ﴿فلا تنسىٰ﴾ شيئاً، وهذا وعدٌ من الله سبحانه لنبيِّه عليه السَّلام أن يحفظ عليه الوحي حتىٰ لا ينفلت منه شيءٌ.

---

(١) زيادة من ظا.

إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿١٦﴾ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

﴿٧﴾ ﴿إلاَّ ما شاء الله﴾ أن ينسخه. وقيل: إلاَّ ما شاء الله، وهو لا يشاء أن تنسىٰ ﴿إنَّه يعلم الجهر﴾ من القول والفعل ﴿وما يخفىٰ﴾.

﴿٨﴾ ﴿ونيسِّرك لليسرىٰ﴾ أَيْ: نُهوِّن عليك الشَّريعة اليسرىٰ، وهي الحنيفيَّة السَّمحة.

﴿٩﴾ ﴿فذكر﴾ فَعِظْ بالقرآن ﴿إن نفعت الذكرىٰ﴾ التَّذكير.

﴿١٠﴾ ﴿سيذكر﴾ سيتَّعظ ﴿من يخشىٰ﴾ الله.

﴿١١﴾ ﴿ويتجنبها﴾ ويتجنَّب الذِّكرى ويتباعد عنها ﴿الأشقىٰ﴾ في علم الله.

﴿١٢﴾ ﴿الذي يصلىٰ النار الكبرىٰ﴾ الذي يدخل جهنَّم.

﴿١٣﴾ ﴿ثمَّ لا يموت فيها ولا يحيـىٰ﴾ لا يموت فيها موتاً يستريح به من العذاب، ولا يحيا حياةً يجد فيها روح الحياة.

﴿١٤﴾ ﴿قد أفلح﴾ صادف البقاء في الجنَّة ﴿مَنْ تزكَّىٰ﴾ أكثر من العمل الصالح.

﴿١٥﴾ ﴿وذكر اسم ربه فصلىٰ﴾ أَيْ: الصَّلوات الخمس.

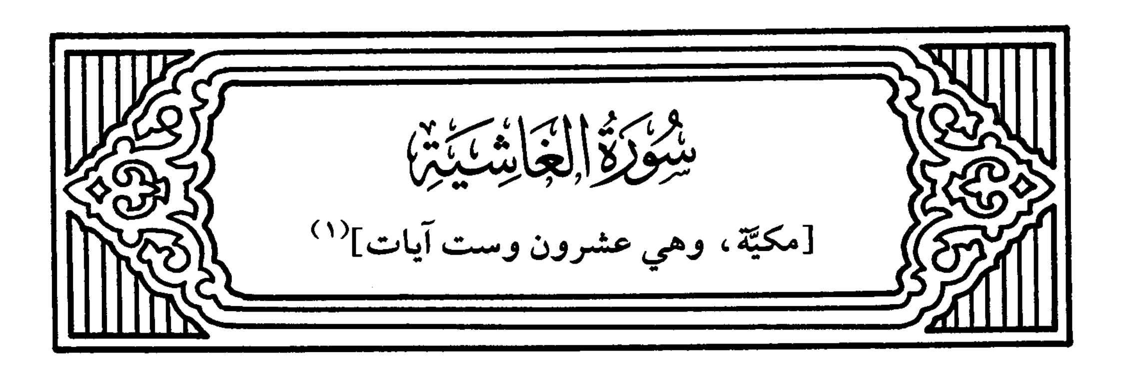
﴿١٦﴾ ﴿بل تؤثرون﴾ تختارون ﴿الحياة الدنيا﴾.

﴿١٧﴾ ﴿والآخرة خير وأبقىٰ﴾ من الدُّنيا.

﴿١٨﴾ ﴿إنَّ هذا﴾ الذي ذكرتُ من فلاح المُتزكِّي، وكون الآخرة خيراً من الدُّنيا ﴿لفي الصحف الأولىٰ﴾ مذكورٌ في الكتب المتقدِّمة.

﴿١٩﴾ ﴿صحف إبراهيم وموسىٰ﴾ يعني: ما أنزل الله عليهما من الكتب.

• • •



سُورَةُ الغَاشِيَةِ

[مكيّة، وهي عشرون وست آيات][(١)]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَـٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿**هل أتاك حديث الغاشية**﴾ يعني: القيامة؛ لأنَّها تغشىٰ الخلق، ومعنىٰ: ﴿**هل أتاك**﴾ أَيْ: إنَّ هذا لم يكن من علمك، ولا من علم قومك.

(٢) ﴿**وجوه يومئذٍ خاشعة**﴾ ذليلةٌ.

(٣) ﴿**عاملة**﴾ في النار تعالج حرَّها وعذابها ﴿**ناصبة**﴾ ذات نصبٍ وتعبٍ.

(٤) ﴿**تصلى ناراً**﴾ تقاسي حرَّها ﴿**حامية**﴾ حارَّةً.

(٥) ﴿**تسقىٰ من عين آنية**﴾ متناهيةٍ في الحرارة.

(٦) ﴿**ليس لهم**﴾ في جهنم ﴿**طعام إلاَّ من ضريع**﴾ وهو يبيس الشِّبْرِقِ، وهو نوعٌ من الشَّوك لا تقربه دابَّةٌ ولا ترعاه، وصفته ما ذكر الله: ﴿**لا يسمن ولا يغني من جوع**﴾.

---

(١) زيادة من ظا.

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾

﴿٨﴾ ﴿وجوهٌ يومئذٍ ناعمة﴾ حسنةٌ.

﴿٩﴾ ﴿لسعيها﴾ في الدُّنيا ﴿راضية﴾ حين أُعطيت الجنَّة بعملها.

﴿١٠﴾ ﴿في جنة عالية﴾.

﴿١١﴾ ﴿لا تسمع فيها لاغية﴾ لغواً ولا باطلاً. وقوله:

﴿١٥﴾ ﴿ونمارق مصفوفة﴾ أَيْ: وسائد بعضها بجنب بعضٍ.

﴿١٦﴾ ﴿وزرابيُّ﴾ وهي البسط والطَّنافس ﴿مبثوثة﴾ مفرَّقة في المجالس، ثمَّ نبَّههم على عظيمٍ من خلقه قد ذلَّله لصغير؛ ليدلَّهم، بذلك على توحيده، فقال:

﴿١٧﴾ ﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت﴾. وقوله:

﴿٢٠﴾ ﴿سطحت﴾ أَيْ: بُسطت.

﴿٢١﴾ ﴿فذكِّر إنما أنت مذكِّر﴾ ذكِّرهم نعم الله ودلائل توحيده، فإنَّك مبعوثٌ بذلك.

﴿٢٢﴾ ﴿لست عليهم بمسيطر﴾ بمسلَّط تُكرههم على الإيمان، وهذا قبل أَنْ أُمر بالحرب[١].

---

(١) قال ابن زيد: هو منسوخٌ بالأمر بقتالهم والشِّدَّة والغلظة عليهم. وقيل: هي محكمةٌ، والمعنىٰ: لست عليهم بجبَّار، أَيْ: لست تجبرهم في الباطن على الإسلام؛ لأنَّ قلوبهم ليست بيدك، إنما عليك أن تدعوهم إلى الله، وتبلِّغ ما أرسلت به إليهم. الإيضاح لناسخ القرآن ص ٤٤٦.

إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

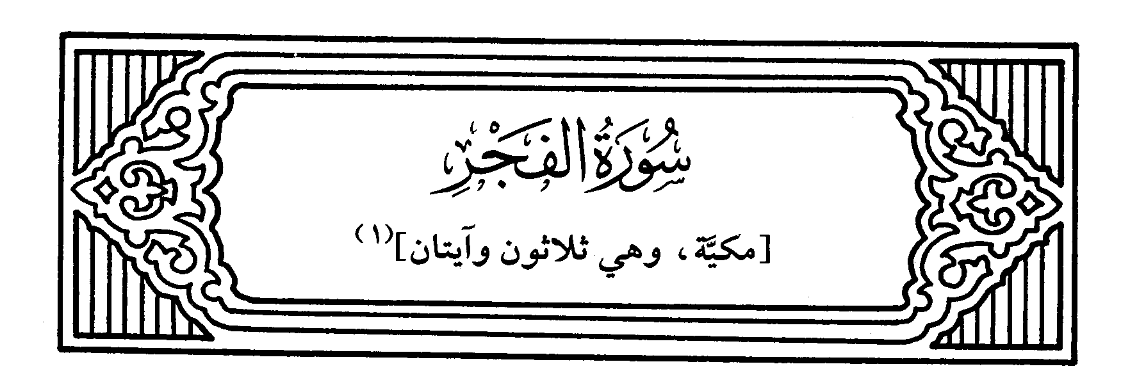
﴿٢٣﴾ **﴿إلَّا من تولىٰ﴾** لكنْ من تولَّىٰ عن الإيمان **﴿وكفر﴾**.

﴿٢٤﴾ **﴿فيعذِّبه الله العذاب الأكبر﴾** عذاب جهنم.

﴿٢٥﴾ **﴿إنَّ إلينا إيابهم﴾** رجوعهم.

﴿٢٦﴾ **﴿ثمَّ إنَّ علينا حسابهم﴾**.

• • •



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ﴿٥﴾ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿والفجر﴾ يعني: فجر كلِّ يومٍ.

(٢) ﴿وليالٍ عشر﴾ عشر ذي الحجَّة.

(٣) ﴿والشفع﴾ يعني: يوم النَّحر؛ لأنَّه يوم العاشر ﴿والوتر﴾ يوم عرفة؛ لأنَّه يوم التَّاسع.

(٤) ﴿والليل إذا يسر﴾ يعني: ليل المزدلفة إذا مضىٰ وذهب. وقيل: إذا جاء وأقبل.

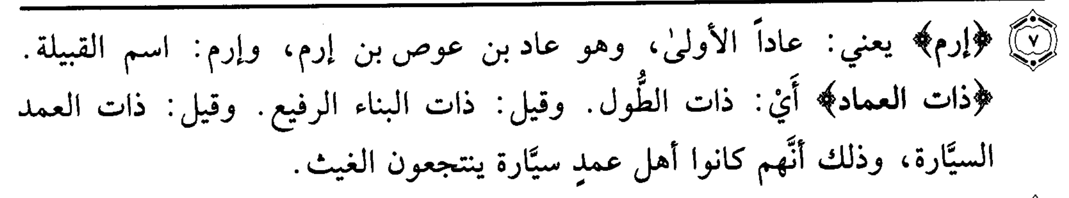
(٥) ﴿هل في ذلك﴾ الذي ذكرت ﴿قَسَمٌ لذي حجر﴾ أَيْ: مقنعٌ ومكتفىٰ في القسم لذي عقلٍ، ثمَّ ذكر الأمم التي كذَّبت الرُّسل كيف أهلكهم فقال:

(٦) ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾.

---

(١) زيادة من ظا، وهي في المصحف ٣٠ آية. قال البقاعي في مصاعد النظر ٣/ ١٨٩: وآيُها تسع وعشرون آيةً في البصري، وثلاثون آية في الكوفي والشَّامي، واثنتان وثلاثون في المدنيين والمكي.

إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلْإِنسَـٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَـٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾



(٧) ﴿إرم﴾ يعني: عاداً الأولىٰ، وهو عاد بن عوص بن إرم، وإرم: اسم القبيلة. ﴿ذات العماد﴾ أَيْ: ذات الطُّول. وقيل: ذات البناء الرفيع. وقيل: ذات العمد السيَّارة، وذلك أنَّهم كانوا أهل عمدٍ سيَّارة ينتجعون الغيث.

(٨) ﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ في بطشهم وقوَّتهم وطول قامتهم.

(٩) ﴿وثمود الذين جابوا﴾ قطعوا ﴿الصخر﴾ فاتَّخذوا منها البيوت ﴿بالواد﴾ يعني: وادي القرىٰ، وكانت مساكنهم هناك.

(١٠) ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ ذي الجنود والجموع الكثيرة، وكانت لهم مضارب كثيرةٌ يوتدونها في أسفارهم. وقوله:

(١٣) ﴿فصبَّ عليهم ربك سوط عذاب﴾ أَيْ: جعل سوطه الذي ضربهم به العذاب.

(١٤) ﴿إنَّ ربك﴾ جواب القسم الذي في أوَّل السُّورة ﴿لبالمرصاد﴾ بحيث يرىٰ ويسمع ويرصد أعمال بني آدم.

(١٥) ﴿فأمَّا الإنسان﴾ يعني: الكافر ﴿إذا ما ابتلاه ربُّه﴾ امتحنه بالنِّعمة والسَّعة ﴿فأكرمه﴾ بالمال ﴿ونعَّمه﴾ بما وسَّع عليه ﴿فيقول ربي أكرمنِ﴾ لا يرىٰ الكرامة من الله إلاَّ بكثرة الحظِّ من الدُّنيا.

(١٦) ﴿وأمَّا إذا ما ابتلاه فقدر﴾ فضيَّق ﴿عليه رزقه فيقول: ربي أهانن﴾ يرىٰ الهوان في قلَّة حظِّه من الدنيا، وهذا صفة الكافر، فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يُكرمه الله بطاعته، والهوان أن يُهينه بمعصيته، ثم رَدَّ هذا على الكافر، فقال:

(١٧) ﴿كلا﴾ أَيْ: ليس الأمر كما يظنُّ هذا الكافر. ﴿بل لا تكرمون اليتيم﴾ إخبارٌ عمَّا كانوا يفعلونه من ترك توريث اليتيم، وحرمانه ما يستحقُّ من الميراث.

وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾

﴿١٨﴾ ﴿**ولا تَحاضُّون على طعام المسكين**﴾ لا تأمرون به، ولا تُعينون عليه.

﴿١٩﴾ ﴿**وتأكلون التراث**﴾ يعني: ميراث اليتامىٰ ﴿**أكلاً لمّاً**﴾ شديداً، تجمعون المال كلَّه في الأكل، فلا تُعطون اليتيم نصيبه.

﴿٢٠﴾ ﴿**وتحبون المال حباً جماً**﴾ كثيراً.

﴿٢١﴾ ﴿**كلا**﴾ ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر ﴿**إذا دكت الأرض دكاً دكاً**﴾ إذا زُلزلت الأرض فكَسر بعضها بعضاً.

﴿٢٢﴾ ﴿**وجاء ربك**﴾ أَيْ: أمر ربِّك وقضاؤه ﴿**والملك**﴾ أَيْ: الملائكةُ ﴿**صفاً صفاً**﴾ صفوفاً.

﴿٢٣﴾ ﴿**وجيء يومئذٍ بجهنم**﴾ تُقاد بسبعين أَلْفِ زمامٍ، كلُّ زمامٍ بأيدي سبعين ألف مَلَكٍ[1] ﴿**يومئذٍ يتذكَّر الإنسان**﴾ يُظهر الكافر التَّوبة ﴿**وأنىٰ له الذكرىٰ**﴾ ومن أين له التَّوبة؟

﴿٢٤﴾ ﴿**يقول يا ليتني قدمت لحياتي**﴾ أَيْ: للدَّار الآخرة التي لا موت فيها.

﴿٢٥﴾ ﴿**فيومئذٍ لا يعذِّب عذابه أحد**﴾ لا يتولَّىٰ عذاب الله تعالىٰ يومئذٍ أحدٌ، والأمر يومئذ أمره، ولا أمر غيره.

﴿٢٦﴾ ﴿**ولا يوثق وثاقه**﴾ يعني بالوثاق الإِسار والسَّلاسل والأغلال، والمعنىٰ: لا يبلغ أحدٌ من الخلق كبلاغ الله سبحانه في التَّعذيب والإِيثاق.

---

(١) ورد هذا في حديث أخرجه مسلم في باب شدّة حَرِّ جهنَّم وبُعْد قعرها ٤/ ٢١٨٤.

يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾

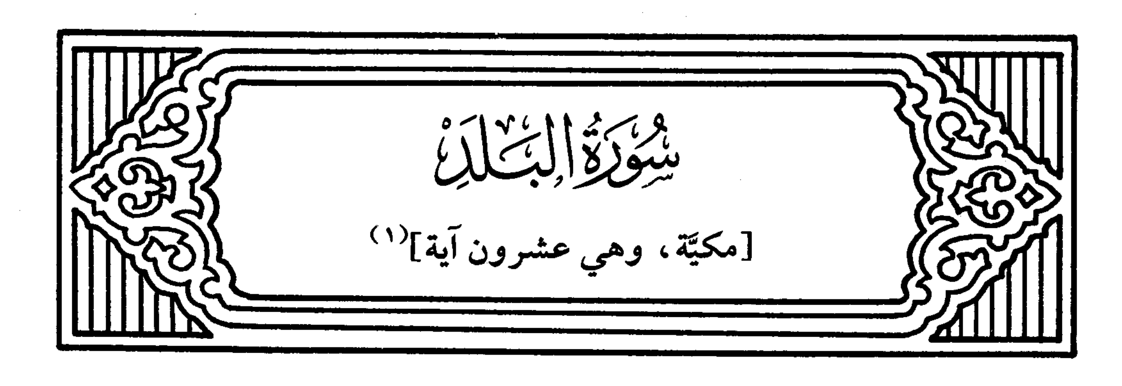
﴿٢٧﴾ ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ إلى ما وعد الله سبحانه المصدِّقة بذاك.

﴿٢٨﴾ ﴿ارجعي إلى ربك﴾ يقال لها ذلك عند الموت. ﴿راضية﴾ بما آتاها الله ﴿مرضية﴾ رضي عنها ربُّها. هذا عند خروجها من الدُّنيا، فإذا كان يوم القيامة قيل:

﴿٢٩﴾ ﴿فادخلي في عبادي﴾ أَيْ: في جملة عبادي الصَّالحين.

﴿٣٠﴾ ﴿وادخلي جنتي﴾.

• • •



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿لا أقسم﴾ المعنىٰ: أقسم، و ﴿لا﴾ توكيدٌ. ﴿بهذا البلد﴾ يعني: مكَّة.

﴿٢﴾ ﴿وأنت﴾ يا محمَّدُ ﴿حلٌّ بهذا البلد﴾ تصنع فيه ما تريد من القتل والأسر، أُحلَّت له مكَّةُ ساعةً من النَّهار يوم الفتح حتىٰ قاتل وقتل من شاء[٢].

﴿٣﴾ ﴿ووالدٍ﴾ أقسم بآدم عليه السَّلام ﴿وما ولد﴾ وولده، و ﴿ما﴾ بمعنىٰ «مَنْ».

﴿٤﴾ ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ أيْ: مشقَّةٍ يكابد أمر الدُّنيا والآخرة وشدائدهما. وقيل مُنتصباً معتدلاً.

﴿٥﴾ ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ نزلت في رجلٍ من بني جمح يُكنىٰ أبا الأشدين[٣]، كان يوصف بالقوَّة؛ فقال الله تعالىٰ: أيحسب بقوَّته أن لن يقدر عليه أحدٌ، والله قادر عليه.

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) ورد هذا في حديث أخرجه أحمد. ومسلم في الحج؛ باب تحريم مكة ٢/٩٨٦.

(٣) وهذا قول ابن جرير ١٩٨/٣٠.

يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾

﴿٦﴾ ﴿يقول أهلكت مالاً﴾ على عداوة محمد ﷺ ﴿لبداً﴾ كثيراً بعضه على بعض، وهو كاذبٌ في ذلك، قال الله تعالىٰ:

﴿٧﴾ ﴿أيحسب أن لم يره أحد﴾ في إنفاقه، فيعلم مقدار نفقته، ثمَّ ذكر ما يستدلُّ به علىٰ أنَّ الله تعالىٰ قادرٌ عليه، وأَنْ يحصي عليه ما يعمله، فقال:

﴿٨﴾ ﴿ألم نجعل له عينين﴾. ﴿ولساناً وشفتين﴾.

﴿١٠﴾ ﴿وهديناه النجدين﴾ يقول: ألم نُعرِّفه طريق الخير وطريق الشَّرِّ.

﴿١١﴾ ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ أَيْ: لم يدخل العقبة، وهذا مَثَلٌ ضربه الله تعالىٰ للمنفق في طاعة الله يحتاج أن يتحمَّل الكُلفة، كمَنْ يتكلَّف صعود العقبة. يقول: لم ينفق هذا الإنسان في طاعة الله شيئاً.

﴿١٢﴾ ﴿وما أدراك ما العقبة﴾ أَيْ: ما اقتحام العقبة، ثمَّ فسَّره فقال:

﴿١٣﴾ ﴿فك رقبة﴾ وهو إخراجها من الرِّقِّ بالعون في ثمنها.

﴿١٤﴾ ﴿أو إطعامٌ في يومٍ ذي مسغبة﴾ مجاعةٍ.

﴿١٥﴾ ﴿يتيماً ذا مقربة﴾ ذا قرابةٍ.

﴿١٦﴾ ﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ أَيْ: ذا فقرٍ قد لصق من فقره بالتُّراب.

﴿١٧﴾ ﴿ثم كان من الذين آمنوا﴾ أَيْ: كان مقتحم العقبة وفاكُّ الرَّقبة والمُطعم من الذين آمنوا؛ فإنَّه إِنْ لم يكن منهم لم ينفعه قربةٌ ﴿وتواصوا﴾ أوصىٰ بعضهم بعضاً ﴿بالصبر﴾ على طاعة الله تعالىٰ ﴿وتواصوا بالمرحمة﴾ بالرَّحمة على الخلق.

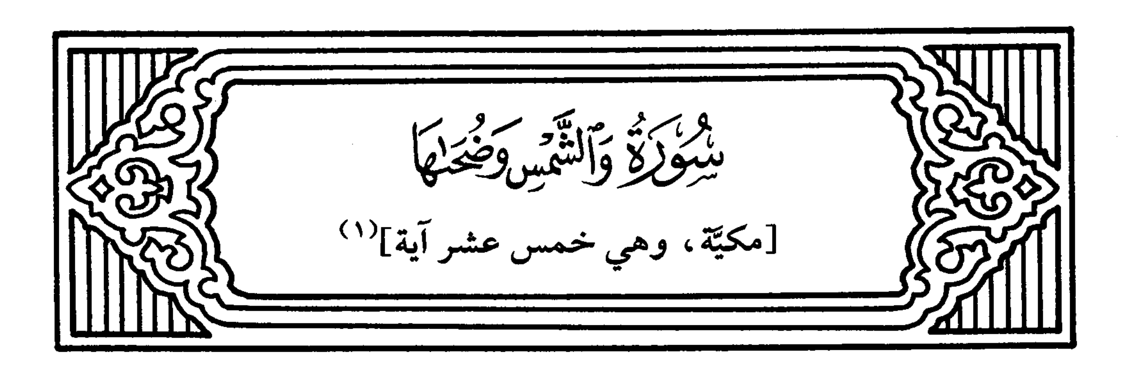
أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝١٨ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ ۝٢٠

(١٨) **﴿أولئك أصحاب الميمنة﴾** مَنْ كان بهذه الصفة فهو من جملة أصحاب اليمين.

(١٩) **﴿والذين كفروا بآياتنا هم أصحاب المشأمة﴾** أصحاب الشِّمال. وقيل في أصحاب اليمين: إنَّهم الميامين علىٰ أنفسهم، وفي أصحاب المشأمة: إنَّهم المشائيم على أنفسهم.

(٢٠) **﴿عليهم نار مؤصدة﴾** مُطبَقةٌ.

• • •



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿والشمس وضحاها﴾ وضيائها.

﴿٢﴾ ﴿والقمر إذا تلاها﴾ تبعها في الضِّياء والنُّور، وذلك في النِّصف الأوَّل من الشَّهر يخلف الشَّمسَ القمرُ في النُّور.

﴿٣﴾ ﴿والنهار إذا جلَّاها﴾ جلَّىٰ الظُّلمة وكشفها. وقيل: جلَّىٰ الشَّمس وبيَّنها؛ لأنها تبين إذا انبسط النَّهار.

﴿٤﴾ ﴿والليل إذا يغشاها﴾ يستر الشَّمس.

﴿٥﴾ ﴿والسماء وما بناها﴾ أَيْ: وبنائها.

﴿٦﴾ ﴿والأرض وما طحاها﴾ وطحوها، أَيْ: بسطها.

﴿٧﴾ ﴿ونفس وما سوَّاها﴾ وتسوية خلقها.

﴿٨﴾ ﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ علَّمها الطَّاعة والمعصية.

---

(١) زيادة من ظا.

قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

﴿٩﴾ ﴿قد أفلح﴾ سعد ﴿مَنْ زكاها﴾ أصلح الله نفسه وطهَّرها من الذُّنوب.

﴿١٠﴾ ﴿وقد خاب مَنْ دسَّاها﴾ جعلها الله ذليلةً خسيسةً حتىٰ عملت بالفجور، ومعْنىٰ دسَّاها: أخفىٰ محلها، ووضع منها وأحملها وخذلها.

﴿١١﴾ ﴿كذبت ثمود بطغواها﴾ بطغيانها كذَّبت الرُّسل.

﴿١٢﴾ ﴿إِذِ انبعث﴾ قام ﴿أشقاها﴾ عاقر النَّاقة.

﴿١٣﴾ ﴿فقال لهم رسول الله﴾ [صالحٌ][1]. ﴿ناقة الله﴾ ذَروا ناقة الله ﴿وسقياها﴾ وشربها في يومها.

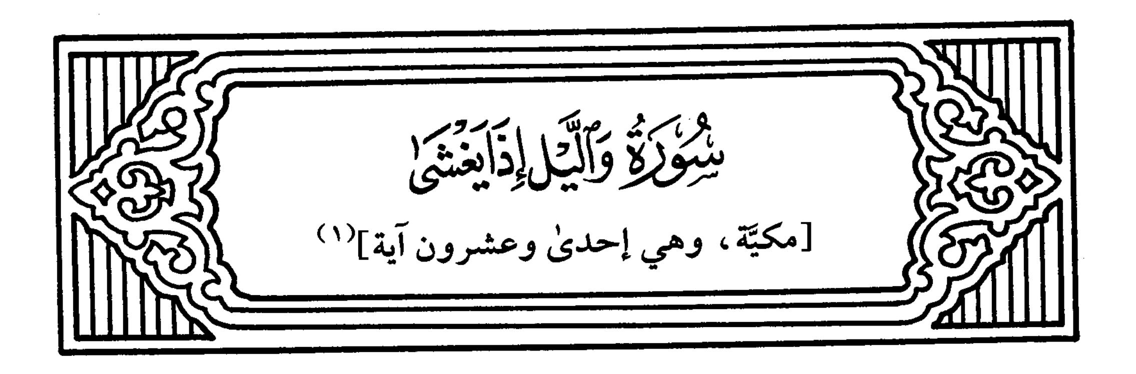
﴿١٤﴾ ﴿فكذَّبوه فعقروها﴾ فقتلوا النَّاقة ﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ أهلكهم هلاك استئصال ﴿بذنبهم فسوَّاها﴾ سوَّىٰ الدمدمة عليهم فعمَّهم بها. وقيل: سوَّىٰ ثمود بالهلاك، فأنزله بصغيرها وكبيرها.

﴿١٥﴾ ﴿ولا يخاف عقباها﴾ لا يخاف اللَّهُ من أحدٍ تبعةَ ما أنزل بهم. وقيل: لا يخاف أشقاها عاقبة جنايته.

• • •

---

(١) زيادة ليست في الأصل.



سورة والليل إذا يغشى

[مكيَّة، وهي إحدىٰ وعشرون آية](١)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿والليل إذا يغشىٰ﴾ أَيْ: يغشىٰ الأُفق بظلمته.

(٢) ﴿والنهار إذا تجلىٰ﴾ بان وظهر.

(٣) ﴿وما خلق﴾ ومَنْ خلق ﴿الذكر والأنثىٰ﴾ وهو الله تعالىٰ، [وجواب القسم وهو قوله:](٢).

(٤) ﴿إنَّ سعيكم لشتىٰ﴾ إنَّ عملكم لمختلفٌ. يريد: بينهما بُعدٌ يعني: عمل المؤمن وعمل الكافر. نزلت في أبي بكر الصِّديق وأبي سفيان بن حرب.

(٥) ﴿فأمَّا مَنْ أعطىٰ﴾ ماله ﴿واتقىٰ﴾ ربَّه واجتنب محارمه.

(٦) ﴿وصدَّق بالحسنىٰ﴾ أيقن بأنَّ الله سبحانه سيخلف عليه. وقيل: صدَّق بـ لا إلَه إلاَّ الله.

(٧) ﴿فسنيسره﴾ فسنهيِّئه ﴿لليسرىٰ﴾ للخلَّة اليسرىٰ، أي: الأمر السَّهل من العمل بما يُرضي الله تعالىٰ، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه اشترىٰ جماعةً يُعذِّبُهم

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) ما بين [ ] زيادة من ظ.

وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ﴿١٠﴾ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾

المشركون ليرتدُّوا عن الإسلام، فوصفه الله تعالىٰ بأنَّه أعطىٰ وصدَّق بالمُجازاة من الله له.

﴿٨﴾ ﴿وأمَّا مَنْ بخل﴾ بالنَّفقة في الخير ﴿واستغنىٰ﴾ عن الله، فلم يرغب في ثوابه.

﴿١٠﴾ ﴿فسنيسره للعسرىٰ﴾ أَيْ: نخذله حتىٰ يعمل بما يُؤدِّيه إلى العذاب والأمر العسير.

﴿١١﴾ ﴿وما يغني عنه ماله إذ تردَّىٰ﴾ أَيْ: مات وهلك. وقيل: سقط في جهنَّم.

﴿١٢﴾ ﴿إنَّ علينا للهدىٰ﴾ أي: إنَّ علينا أَنْ نبيِّن طريق الهدىٰ من طريق الضَّلال.

﴿١٣﴾ ﴿وإن لنا للآخرة والأولىٰ﴾ فمن طلبهما من غير مالكهما فقد أخطأ.

﴿١٤﴾ ﴿فأنذرتكم﴾ خوَّفتكم ﴿ناراً تلظى﴾ تتوقَّد.

﴿١٥﴾ ﴿لا يصلاها إلاَّ الأشقىٰ﴾ لا يدخلها إلاَّ الكافر. ﴿الذي كذَّب وتولَّىٰ﴾.

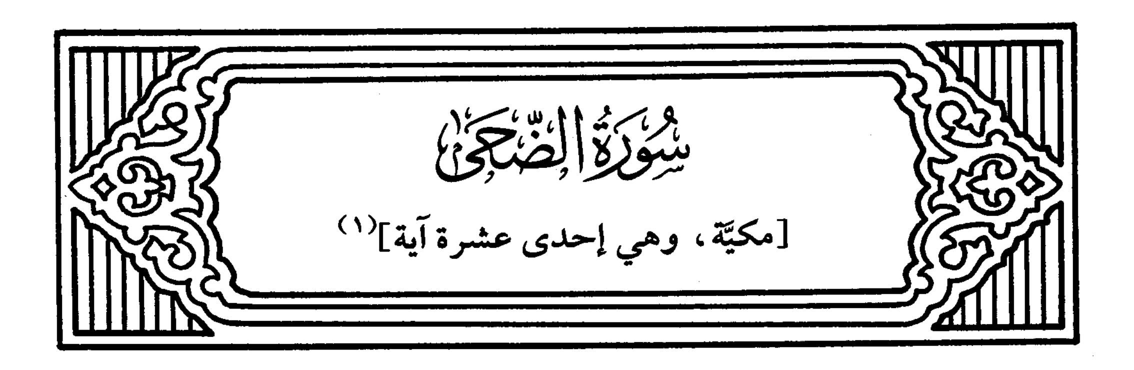
﴿١٧﴾ ﴿وسيجنبها﴾ أَيْ: يبعد منها ﴿الأتقىٰ﴾ يعني: أبا بكر رضوان الله عليه.

﴿١٨﴾ ﴿الذي يؤتي ماله يتزكى﴾ يطلب أن يكون عند الله زاكياً، ولا يطلب رياءً ولا سمعةً.

﴿١٩﴾ ﴿وما لأحدٍ عنده من نعمة تجزىٰ﴾ وذلك أَنَّ الكفَّار قالوا لمَّا اشترىٰ أبو بكر رضي الله عنه بلالاً فأعتقه: ما فعل أبو بكر ذلك إلاَّ ليدٍ كانت عنده لبلال، فقال الله تعالىٰ: وما لأحد عنده من نعمةٍ تُجزىٰ، أَيْ: لم يفعل ذلك مجازاة ليدٍ أُسديت إليه.

﴿٢٠﴾ ﴿إلاَّ ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ أي: لكن طلب ثواب الله.

﴿٢١﴾ ﴿ولسوف يرضىٰ﴾ سيدخل الجنَّة.



سورة الضحى

[مكيّة، وهي إحدى عشرة آية][1]

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿والضحىٰ﴾ أي: النّهارِ كلِّه.

(٢) ﴿والليل إذا سجىٰ﴾ سكن بالخلق واستقرَّ بظلامه.

(٣) ﴿ما ودَّعك ربك وما قلىٰ﴾ وما تركك منذ اختارك، وما أبغضك منذ أحبَّك، وهذا جواب القسم. وقد كان تأخَّر الوحي عن النبيِّ ﷺ خمسة عشر يوماً، فقال ناس: إنَّ محمداً ودَّعه ربُّه وقلاه، فأنزل الله هذه السورة[2].

(٤) ﴿وللآخرة خير لك من الأولىٰ﴾ لأنَّ الله يعطيك فيها الكرامات والدَّرجات.

(٥) ﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ في الآخرة من الثّواب، وفي مقام الشَّفاعة ﴿فترضىٰ﴾.

---

(١) زيادة من ظا.

(٢) عن جندب بن سفيان البجلي، قال: اشتكىٰ رسول الله ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فجاءته امرأةٌ فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث، فأنزل الله عزَّ وجلَّ: ﴿والضحىٰ والليل إذا سجىٰ، ما ودَّعك ربك وما قلىٰ﴾.
أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٧١١؛ ومسلم في الجهاد والسير برقم ١٧٩٧؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٥٣٢؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣٤٥.

أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾

يروىٰ أنَّه قال عليه السَّلام لمَّا نزلت هذه الآية: إذن لا أرضىٰ وواحدٌ من أُمَّتي في النَّار[١]. ثمَّ أخبر عن حاله قبل الوحي، وذكَّره نعمه عليه فقال:

﴿٦﴾ **﴿ألم يجدك يتيماً﴾** حين مات أبواك ولم يُخلِّفا لك مالاً ولا مأوىٰ **﴿فآوىٰ﴾** فآواك إلى عمِّك [أبي طالب][٢] وضمَّك إليه حتىٰ كفلك وربَّاك.

﴿٧﴾ **﴿ووجدك ضالاً﴾** عمَّا أنت عليه اليوم من معالم النُّبوَّة وأحكام القرآن والشَّريعة، فهداك إليها، كقوله: ﴿ما كنتَ تدري ما الكتابُ ولا الإيمانُ...﴾[٣] الآية.

﴿٨﴾ **﴿ووجدك عائلاً﴾** فقيراً لا مال لك، فأغناك بمال خديجة رضي الله عنه، ثمَّ بالغنائم.

﴿٩﴾ **﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾** على ماله، واذكر يُتمك.

﴿١٠﴾ **﴿وأما السائل فلا تنهر﴾** فلا تزجره، ولكن بذلٌ يسير، أو ردٌّ جميلٌ، واذكر فقرك.

﴿١١﴾ **﴿وأمَّا بنعمة ربك﴾** أي: النُّبوَّة والقرآن **﴿فحدِّث﴾** أخبر بها.

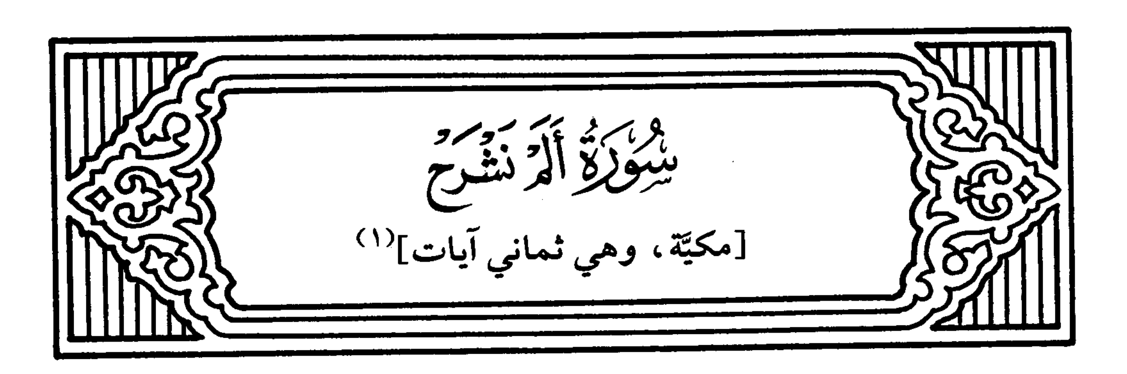
● ● ●

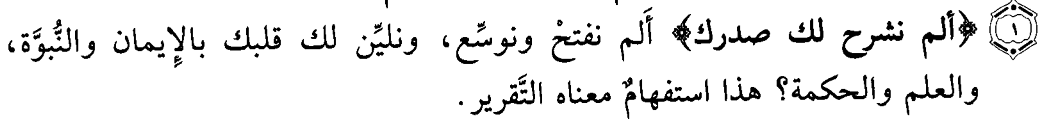
---

(١) عن ابن عباس في قوله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضىٰ﴾، قال: من رضا محمد ﷺ ألا يدخل أحدٌ من أهل بيته النار. أخرجه ابن جرير ٣٠/ ٢٣٢.

(٢) زيادة من ظا.

(٣) سورة الشورىٰ: الآية ٥٢.





﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ ألم نفتحْ ونوسِّع، ونليِّن لك قلبك بالإيمان والنُّبوَّة، والعلم والحكمة؟ هذا استفهامٌ معناه التَّقرير.

(٢) ﴿ووضعنا﴾ [حططنا](٢) ﴿عنك وزرك﴾ ما سلف منك في الجاهليَّة. وقيل: يعني: الخطأ والسَّهو. وقيل: معناه: خفَّفنا عليك أعباء النُّبوَّة، والوِزر في اللُّغة: الحِمل الثقيل.

(٣) ﴿الذي أنقض﴾ أثقل ﴿ظهرك﴾.

(٤) ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ أي: إذا ذُكرتُ ذكرتَ معي.

(٥) ﴿فإنَّ مع العسر يسراً﴾ أي: مع الشِّدَّة التي أنتَ فيها من مقاساة بلاء المشركين يُسراً، بإظهاري إيَّاك عليهم حتىٰ تغلبهم، وينقادوا لك طوعاً أو كرهاً.

(٦) ﴿إنَّ مع العسر يسراً﴾ تكرارٌ للتَّأكيد. وقيل: إنَّ هذا عامٌّ في كلِّ عسرٍ أصاب

---

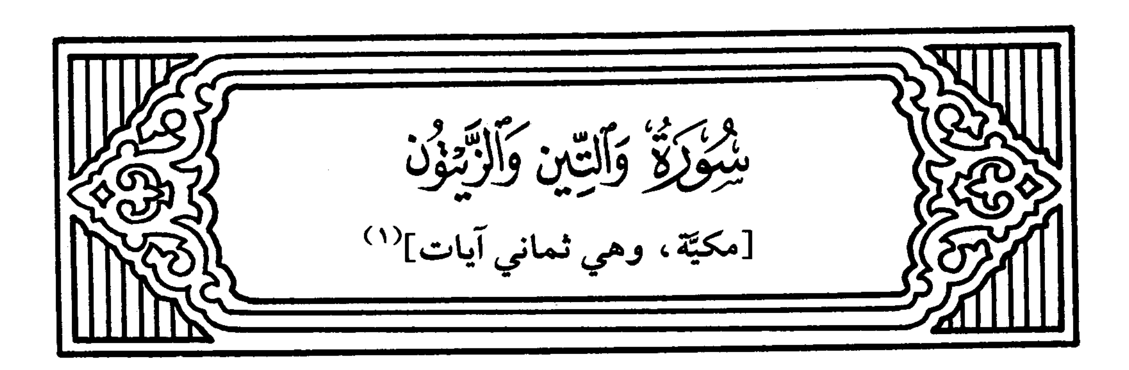
(١) زيادة من ظا.
(٢) زيادة من عا.

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾

المؤمن، وهو من الله تعالىٰ على وعد اليسر؛ إمَّا في الدُّنيا، وإمَّا في الآخرة، فالعسر واحدٌ، واليسر اثنان.

(٧) ﴿فإذا فرغت﴾ من صلاتك ﴿فانصب﴾ أَي: اتعب في الدُّعاء وسله حاجتك، وارغب إلى الله تعالىٰ به.

• • •



سُورَةُ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ

[مكيّة، وهي ثماني آيات][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿والتين والزيتون﴾ هما جبلان بالشَّام، طور تينا، وطور زيتا بالسِّريانية، سمِّيا بالتِّين والزَّيتون؛ لأنَّهما يُنبتانهما.

(٢) ﴿وطور سِينين﴾ جبل موسىٰ عليه السَّلام، وسينين: المبارك بالسِّريانية.

(٣) ﴿وهذا البلد الأمين﴾ [الآمن][2]. يعني: مكَّة، سمَّاه أميناً لأنه آمنٌ لا يُهاج أهله.

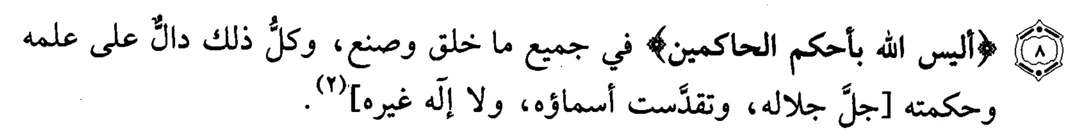
(٤) ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ صورةٍ؛ لأنَّه معتدل القامة، يتناول مأكوله بيده.

(٥) ﴿ثمَّ رددناه أسفل سافلين﴾ إلى أرذل العمر، والسَّافلون: هم الهرمىٰ والزَّمنىٰ والضَّعفىٰ.

(٦) ﴿إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجرٌ غير ممنون﴾ يعني: إنَّ المؤمن إذا

---

(١) زيادة من ظا. (٢) زيادة من عا.



ردَّ إلىٰ أرذل العمر كُتب له مثل أجره إذا كان يعمل[١]، بخلاف الكافر، فذلك قوله: ﴿فلهم أجرٌ غير ممنون﴾ أي: غير مقطوعٍ. وقيل: معنىٰ: ﴿ثم رددناه أسفل سافلين﴾: إلى النَّار، يعني: الكافر، ثمَّ استثنىٰ المؤمنين، فقال: ﴿إلاَّ الذين آمنوا﴾ وهذا القول أظهر، ثمَّ قال توبيخاً للكافر:

﴿٧﴾ ﴿**فما يكذبك**﴾ أيُّها الإنسان ﴿**بعد**﴾ هذه الحُجَّة ﴿**بالدين**﴾ بالحساب والجزاء، ومعنىٰ: ما **يُكذِّبك**: ما الذي يجعلك مكذِّباً بالدِّين. وقيل: إنَّ هذا خطابٌ للنبـيِّ ﷺ، فما الذي يكذِّبك يا محمد بعد ما تبيَّن من قدرتنا على خلق الإنسان، وظهر من حجَّتنا، كأنَّه قال: فمَنْ يقدر على تكذيبك بالثَّواب والعقاب.

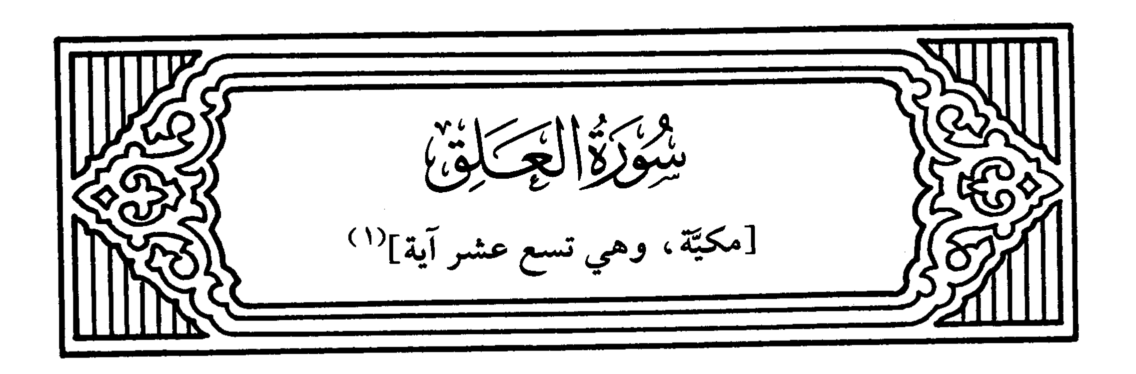
﴿٨﴾ ﴿**أليس الله بأحكم الحاكمين**﴾ في جميع ما خلق وصنع، وكلٌّ ذلك دالٌّ على علمه وحكمته [جلَّ جلاله، وتقدَّست أسماؤه، ولا إلَه غيره][٢].

• • •

---

(١) وهذا قول ابن عباس في الآية. أخرجه ابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور ٨/٥٥٨.

(٢) زيادة من ظا.



بسم الله الرحمن الرحيم

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) **﴿اقرأ باسم ربك﴾** يعني: اقرأ القرآن باسم ربك، وهو أن تذكر التّسمية في ابتداء كلِّ سورةٍ. **﴿الذي خلق﴾** الأشياء والمخلوقات.

(٢) **﴿خلق الإنسان﴾** يعني: ابن آدم **﴿من علق﴾** جمع عَلَقةٍ.

(٣) **﴿اقرأ وربك الأكرم﴾** يعني: الحليم عن جهل العباد، فلا يعجل عليهم بالعقوبة.

(٤) **﴿الذي علّم بالقلم﴾** ثمَّ بيّن ما علّم، فقال:

(٥) **﴿علّم الإنسان ما لم يعلم﴾** وهو الخطُّ والكتابة.

(٦) **﴿كلا﴾** حقّاً **﴿إنَّ الإنسان ليطغىٰ﴾** ليتجاوز حدّه ويستكبر على ربّه.

(٧) **﴿أن رآه﴾** رأىٰ نفسه **﴿استغنى﴾**.

(٨) **﴿إنَّ إلى ربك الرجعىٰ﴾** المرجع في الآخرة، فيجازي الطّاغي بما يستحقُّه.

---

(١) زيادة من ظا.

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾

﴿٩﴾ ﴿أرأيت الذي ينهىٰ﴾ يعني: أبا جهلٍ.

﴿١٠﴾ ﴿عبداً إذا صلىٰ﴾ وذلك أنَّه قال: لئن رأيتُ محمداً يصلي لأطأنَّ على رقبته، ومعنىٰ: أرأيتَ ها هنا تعجُّبٌ، وكذلك قوله:

﴿١١﴾ ﴿أرأيت إن كان على الهدىٰ﴾. ﴿أو أمر بالتقوىٰ﴾.

﴿١٣﴾ ﴿أرأيت إن كذب وتولىٰ﴾. والمعنىٰ: أرأيت الذي ينهىٰ عبداً إذا صلَّىٰ وهو على الهدىٰ آمرٌ بالتَّقوىٰ، والنَّاهي كاذبٌ مُتولٍّ عن الذِّكرىٰ، أَيْ: فما أعجب من ذا!

﴿١٤﴾ ﴿ألم يعلم﴾ أبو جهلٍ ﴿بأنَّ الله يرىٰ﴾ أَيْ: يراه ويعلم ما يفعله.

﴿١٥﴾ ﴿كلا﴾ ردعٌ وزجرٌ ﴿لئن لم ينته﴾ عمَّا هو عليه من الكفر ومعاداة النبيِّ ﷺ ﴿لنسفعن بالناصية﴾ لنجرَّن بناصيته إلى النَّار، ثمَّ وصف ناصيته، فقال:

﴿١٦﴾ ﴿ناصيةٍ كاذبة خاطئة﴾ وتأويلها: صاحبُها كاذبٌ خاطئٌ.

﴿١٧﴾ ﴿فليدع ناديه﴾ فليستعن بأهل مجلسه، وذلك أنَّه قال لرسول الله ﷺ: لأملأنَّ عليك هذا الوادي خيلاً جُرداً، ورجالاً مُرداً، فقال الله تعالىٰ: ﴿فليدع ناديه﴾.

﴿١٨﴾ ﴿سندع الزبانية﴾ وهم الملائكة الغلاظ الشِّداد. قال رسول الله ﷺ: لو دعا ناديه لأخذته الزَّبانية عياناً[1].

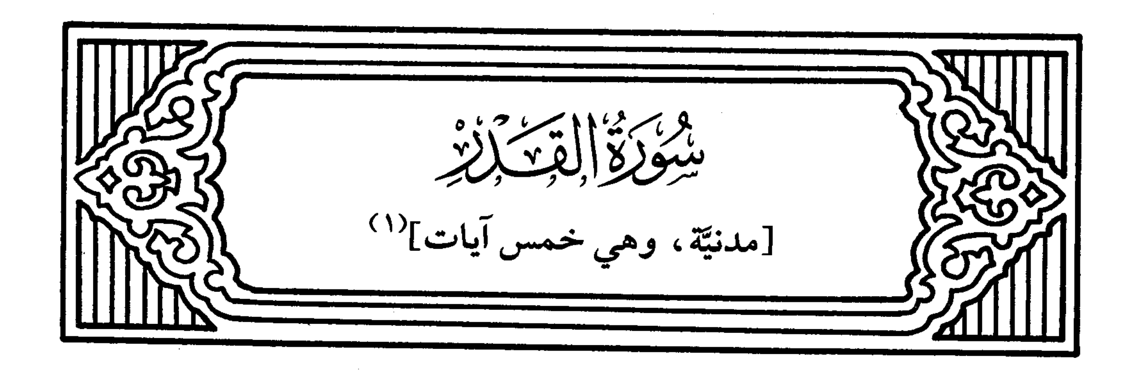
---

(١) عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاء أبو جهلٍ، فقال: ألم أنهك عن هذا؟ ألم أنهك عن هذا؟ فانصرف النبيُّ ﷺ فزبره، فقال أبو جهل: إنَّك لتعلمُ ما بها نادٍ أكثر مني، فأنزل الله تبارك وتعالىٰ: ﴿فليدع ناديه * سندع الزبانية﴾. قال ابن عباس: والله لو دعا ناديه لأخذته زبانية الله. أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٣٤٦؛ وقال: حسن غريب صحيح، وبمعناه أخرجه مسلم في صفات المنافقين برقم ٢٧٩٧.

كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

﴿١٩﴾ **﴿كلا﴾** ليس الأمر على ما عليه أبو جهلٍ **﴿لا تطعه واسجد﴾** وصلِّ **﴿واقترب﴾** تقرّب إلى ربِّك بطاعته.

• • •



سُورَةُ القَدْرِ

[مدنيّة، وهي خمس آيات][1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿إنا أنزلناه﴾ أي: أنزلنا القرآن ﴿في ليلة القدر﴾ ليلة الحكم والفصل، يقضي الله فيها قضاء السَّنة، والقَدْر: بمعنىٰ التَّقدير. أنزل الله تعالىٰ القرآن كلَّه في ليلة القدر جُملةً واحدةً من اللَّوح المحفوظ إلى سماء الدُّنيا، ثمَّ نزل به جبريل عليه السَّلام على النبيِّ ﷺ في عشرين سنةً.

(٢) ﴿وما أدراك﴾ يا محمَّد عليه السَّلام ﴿ما ليلة القدر﴾ علىٰ التَّعظيم لشأنها والتَّعجيب منها، ثمَّ أخبر عنها فقال:

(٣) ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ أي: من ألف شهرٍ ليس فيها ليلة القدر.

(٤) ﴿تنزل الملائكة والروح﴾ يعني: جبريل عليه السَّلام ﴿فيها﴾ في تلك اللَّيلة ﴿بإذن ربهم من كل أمر﴾ أي: بكلِّ أمرٍ قضاه الله تعالىٰ في تلك اللَّيلة للسَّنة، وتمَّ الكلام ها هنا، ثمَّ قال:

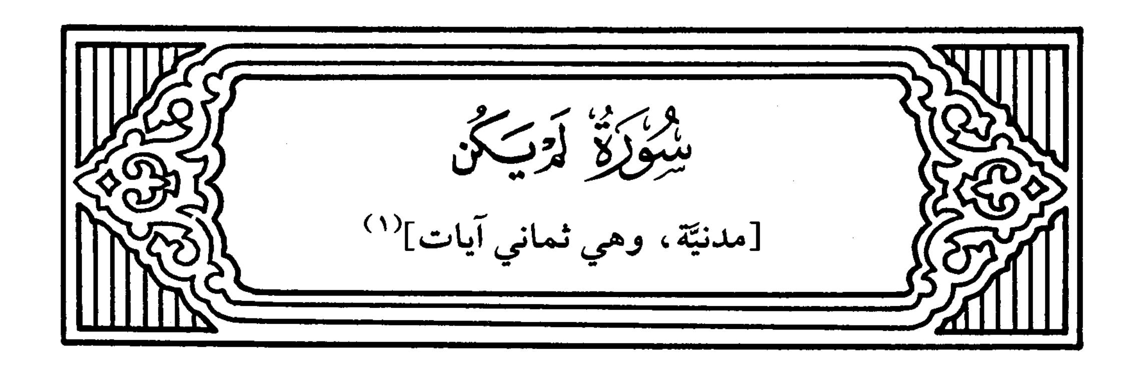
---

(١) زيادة من ظا.

سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

﴿٥﴾ ﴿سلام هي﴾ أَيْ: تلك اللَّيلة كلها سلامةٌ وخيرٌ لا داء فيها، ولا يستطيع الشَّيطان أن يصنع فيها شيئاً. وقيل: يعني: تسليم الملائكة في تلك اللَّيلة على أهل المساجد ﴿حتىٰ مطلع الفجر﴾ إلىٰ وقت طلوع الفجر.

• • •



بسم الله الرحمن الرحيم

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿لم يكن الذين كفروا﴾ بمحمَّدٍ ﷺ ﴿من أهل الكتاب﴾ أي: اليهود والنَّصارىٰ ﴿والمشركين﴾ يعني: كفَّار العرب ﴿منفكين﴾ مُنتهين زائلين عن كفرهم ﴿حتىٰ تأتيهم البينة﴾ يعني: أتتهم البينة، أَي: البيان والبصيرة، وهو محمد عليه السَّلام والقرآن. يقول: لم يتركوا كفرهم حتىٰ بُعث إليهم محمَّدٌ عليه السَّلام، وهذا فيمَنْ آمن من الفريقين، ثمَّ فسَّر البيِّنة فقال:

(٢) ﴿رسول من الله يتلو صحفاً﴾ كتباً ﴿مطهرة﴾ من الباطل.

(٣) ﴿فيها كتب﴾ أحكامٌ ﴿قيّمة﴾ مستقيمةٌ عادلةٌ، ثمَّ ذكر كفَّار أهل الكتاب، فقال:

(٤) ﴿وما تفرَّق الذين أوتوا الكتاب﴾ أي: ما اختلفوا في كون محمَّدٍ عليه السَّلام حقاً لما يجدون من نعته في كتابهم ﴿إلاَّ مِنْ بعد ما جاءتهم البينة﴾ إلاَّ من بعد ما بيَّنوا

---

(١) زيادة من ظا.

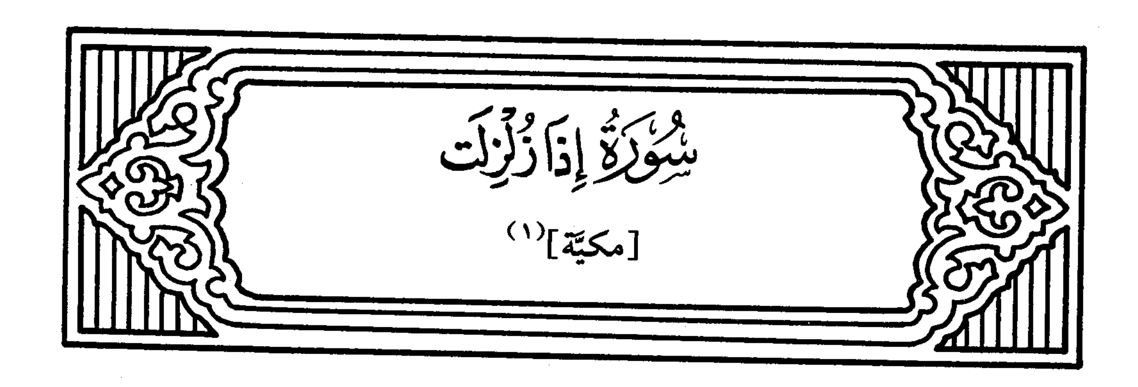
وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

أنَّه النبيُّ الذي وُعدوا به في التَّوراة والإِنجيل، يريد: أنَّهم كانوا مجتمعين على صحَّة نبوَّته، فلمَّا بُعث جحدوا نبوَّته وتفرَّقوا، فمنهم مَنْ كفر بغياً وحسداً، ومنهم مَنْ آمن، وهذا كقوله تعالىٰ: ﴿وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلاَّ من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم. . .﴾[1] الآية.

﴿٥﴾ ﴿**وما أمروا**﴾ يعني: كفَّار الذين أُوتوا الكتاب ﴿**إلاَّ ليعبدوا الله**﴾ إلاَّ أَنْ يعبدوا الله ﴿**مخلصين له الدين**﴾ الطَّاعة، أَيْ: مُوحِّدين له لا يعبدون معه غيره. ﴿**حنفاء**﴾ علىٰ دين إبراهيم عليه السَّلام ودين محمَّدٍ ﷺ. وقوله: ﴿**وذلك دين القيمة**﴾ أي: دين الملَّة القيِّمة، وهي المستقيمة، وباقي الآية ظاهرٌ.

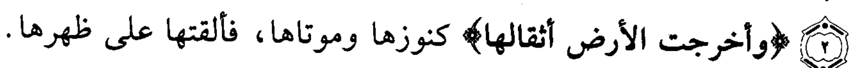
● ● ●

(١) سورة آل عمران: الآية ١٩.



سُورَةُ إِذَا زُلْزِلَتْ

[مكيّة](١)



إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ أي: حُرِّكت حركةً شديدةً لقيام السَّاعة.

﴿٢﴾ ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ كنوزها وموتاها، فألقتها على ظهرها.

﴿٣﴾ ﴿وقال الإنسان﴾ يعني: الكافر الذي لا يؤمن بالبعث: ﴿ما لها﴾ إنكاراً لتلك الحالةِ.

﴿٤﴾ ﴿يومئذ تحدّث أخبارها﴾ أيْ: تُخبر بما عُمل عليها من خيرٍ وشرٍّ.

﴿٥﴾ ﴿بأنَّ ربك أوحىٰ لها﴾ أي: أمرها بالكلام وأذن لها فيه(٢).

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) عن أبي هريرة، قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يومئذٍ تحدّث أخبارها﴾، قال: أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنَّ أخبارها أن تشهد علىٰ كلِّ عبدٍ أو أمةٍ بما عمل على ظهرها. تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا، فهذه أخبارها.
أخرجه الترمذي في التفسير برقم ٣٣٥٠؛ والحاكم ٢/ ٥٣٢ وصححه ووافقه الذهبي؛ وأحمد في المسند ٥/ ٥٣٢؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ٥٤٤.

يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾

﴿٦﴾ ﴿**يومئذ يصدر الناس**﴾ ينصرف النَّاس ﴿**أشتاتاً**﴾ متفرِّقين عن موقف الحساب، فآخذٌ ذات اليمين، وآخذٌ ذات الشِّمال ﴿**ليروا أعمالهم**﴾ أَيْ: ثوابها.

﴿٧﴾ ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره**﴾ يرىٰ المؤمن ثوابه في الآخرة، والكافر في الدُّنيا يراه في نفسه وأهله وماله.

﴿٨﴾ ﴿**ومَنْ يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾ جزاء المؤمن في الدُّنيا بالأحزان والمصائب، والكافر في الآخرة.

• • •



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡعَٰدِيَٰتِ ضَبۡحٗا ﴿١﴾ فَٱلۡمُورِيَٰتِ قَدۡحٗا ﴿٢﴾ فَٱلۡمُغِيرَٰتِ صُبۡحٗا ﴿٣﴾ فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا ﴿٤﴾ فَوَسَطۡنَ بِهِۦ جَمۡعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٞ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٞ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿والعاديات﴾ يعني: الخيل في الغزو ﴿ضبحاً﴾ تضبح ضبحاً، وهو صوت أجوافها إذا عدت.

﴿٢﴾ ﴿فالموريات﴾ وهي الخيل التي تُوري النَّار ﴿قدحاً﴾ بحوافرها إذا عدت في الأرض ذات الحجارة باللَّيل.

﴿٣﴾ ﴿فالمغيرات صبحاً﴾ يعني: الخيل تُغير على العدوِّ وقت الصبح، وإنما يُغير أصحابها ولكن جرىٰ الكلام على الخيل.

﴿٤﴾ ﴿فأثرن﴾ هيَّجن ﴿به﴾ بمكان عدوها ﴿نقعاً﴾ غباراً.

﴿٥﴾ ﴿فوسطن﴾ توسطن ﴿به﴾ بالمكان الذي هي به ﴿جمعاً﴾ من النَّاس أغارت عليهم، يريد: صارت في وسط قومٍ من العدوِّ تُغير عليهم.

﴿٦﴾ ﴿إن الإِنسان﴾ جواب القسم ﴿لربه لكنود﴾ لكفورٌ. يعني: الكافر يجحد نعم الله تعالىٰ.

﴿٧﴾ ﴿وإنه﴾ وإنَّ الله تعالىٰ ﴿علىٰ ذلك﴾ على كنوده ﴿لشهيد﴾.

وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾
إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾

﴿٨﴾ ﴿وإنّه لحب الخير﴾ لأجل حبِّ المال ﴿لشديد﴾ لبخيلٌ.

﴿٩﴾ ﴿أفلا يعلم﴾ هذا الإنسان ﴿إذا بعثر﴾ قُلب فأُثير ﴿ما في القبور﴾ يعني: إذا بُعث الموتىٰ.

﴿١٠﴾ ﴿وحصّل﴾ بيِّن وأُبرز ﴿ما في الصدور﴾ [من الكفر والإيمان.

﴿١١﴾ ﴿إنَّ ربهم بهم يومئذٍ لخبير﴾ عالمٌ فيجازيهم على كفرهم في ذلك اليوم، وإنَّما قال «بهم» لأنَّ الإنسان اسم الجنس][(١)].

• • •

(١) ما بين [ ] زياد من عا و ظ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿القارعة﴾ يعني: القيامة؛ لأنَّها تقرع القلوب بأهوالها.

(٢) ﴿ما القارعة﴾ تفخيمٌ لشأنها وتهويلٌ، كما قلنا في الحاقَّة[1].

(٤) ﴿يوم يكون الناس كالفراش﴾ كغوغاء الجراد لا يتَّجه إلى جهةٍ واحدةٍ، كذلك النَّاس إذا بُعثوا ماج بعضهم في بعضٍ للحيرة ﴿المبثوث﴾ المفرَّق.

(٥) ﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ كالصُّوف ﴿المنفوش﴾ المندوف، لخفَّة سيرها.

(٦) ﴿فأمَّا مَنْ ثقلت موازينه﴾ بالحسنات.

(٧) ﴿فهو في عيشة راضية﴾ يرضاها.

---

(١) انظر ص ١١٢٦.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾

﴿٨﴾ ﴿وأما من خفت موازينه﴾. ﴿فأمه هاوية﴾ فمسكنه النَّار.

﴿١٠﴾ ﴿وما أدراك ماهِيَهْ﴾ ثمَّ فسرها فقال:

﴿١١﴾ ﴿نار حامية﴾ شديدة الحرارة.

• • •



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿ألهاكم التكاثر﴾. ﴿حتىٰ زرتم المقابر﴾ شغلكم التَّكاثر بالأموال والأولاد والعدد عن طاعة الله تعالىٰ: ﴿حتىٰ زرتم المقابر﴾: حتى أدرككم الموت على تلك الحالة. نزلت في اليهود قالوا: نحن أكثرُ من بني فلانٍ، وبنو فلان أكثرُ من بني فلانٍ، ألهاهم ذلك حتىٰ ماتوا ضُلالاً.

(٣) ﴿كلا﴾ ليس الأمر الذي ينبغي أَنْ تكونوا عليه التَّكاثر ﴿سوف تعلمون﴾ عند النَّزع سوء عاقبة ما كنتم عليه.

(٤) ﴿ثمَّ كلا سوف تعلمون﴾ سوء عاقبة ما كنتم عليه في القبر، والتَّكرير لتأكيد التَّهديد.

(٥) [﴿كلا لو تعلمون عليم اليقين﴾ أيْ: لو علمتم الأمرَ حقَّ علمه لشغلكم ذلك عمَّا أنتم فيه، وجواب ﴿لو﴾ محذوف][1]، ثمَّ ابتدأ فقال:

---

(١) ما بين [ ] ليس في الأصل ع.

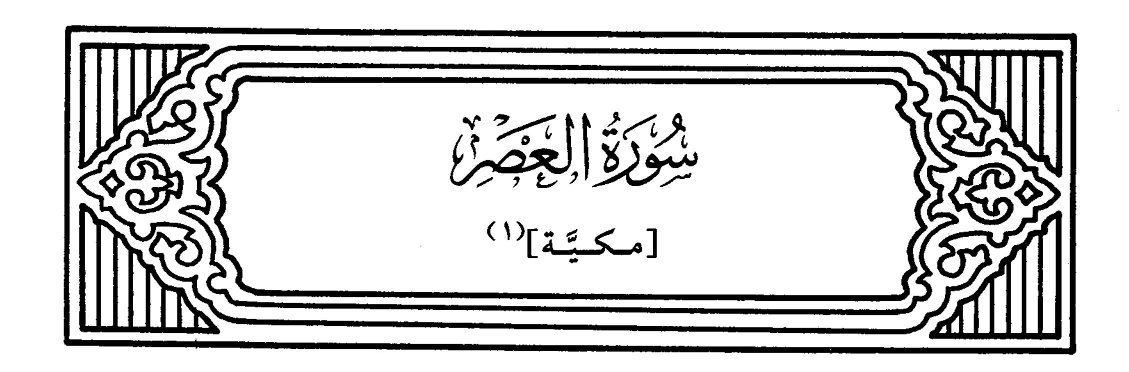
لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾

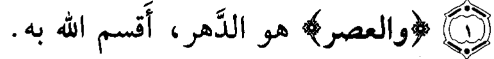
﴿٦﴾ ﴿**لترون الجحيم**﴾.

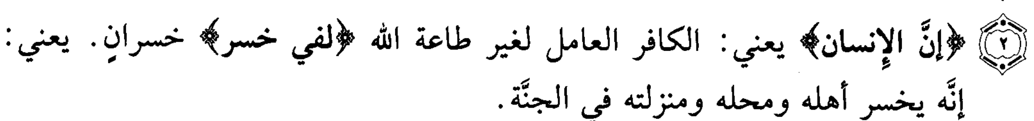
﴿٧﴾ ﴿**ثم لترونها**﴾ تأكيدٌ أيضاً ﴿**عَيْنَ اليقين**﴾ عياناً لستم عنها بغائبين.

﴿٨﴾ ﴿**ثمَّ لتسألنَّ يومئذ عن النعيم**﴾ عن الأمن والصَّحة فيما أفنيتموها.

• • •







﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿والعصر﴾ هو الدَّهر، أَقسم الله به.

(٢) ﴿إنَّ الإنسان﴾ يعني: الكافر العامل لغير طاعة الله ﴿لفي خسر﴾ خسرانٍ. يعني: إنَّه يخسر أهله ومحله ومنزلته في الجنَّة.

(٣) ﴿إلاَّ الذين آمنوا﴾ فإنَّهم ليسوا في خسرٍ. ﴿وتواصوا بالحق﴾ وصَّىٰ بعضهم بالإقامة على التَّوحيد والإِيمان ﴿وتواصوا بالصَّبر﴾ على طاعة الله والجهاد في سبيله. ويروىٰ [مرفوعاً](٣): ﴿إن الإنسان لفي خسرٍ﴾ يعني: أبا جهلٍ، ﴿إلاَّ الذين آمنوا﴾ يعني: أبا بكر ﴿وعملوا الصالحات﴾ يعني: عمر بن الخطاب. ﴿وتواصوا بالحقِّ﴾ يعني: عثمان. ﴿وتواصوا بالصَّبر﴾ يعني: علياً. رضي الله عنهم أجمعين.

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) الحديث ذكره القرطبي في تفسيره ٢٠/ ١٨٠؛ وذكره ابن جماعة في غرر التبيان ص ٥٤٨؛ ولم ينسبه للنبي وذكر نحوه ابن تيمية في مقدمته في أصول التفسير ص ٨٨؛ وعدَّه من الخرافات التي تتضمن تفسير اللفظ بما لا يدل عليه بحالٍ.



بسم الله الرحمن الرحيم

وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿ويلٌ لكلِّ همزة لمزة﴾ يعني: الإنسان الذي يغتاب النَّاس ويعيبهم. نزلت في أُميَّة بن خلف. وقيل: في الوليد بن المغيرة، كان يغتاب النبيَّ ﷺ.

(٢) ﴿الذي جمع مالاً وعدده﴾ أعدَّه للدَّهر، وقيل: أكثر عدده.

(٣) ﴿يحسب أنَّ ماله أخلده﴾ في الدُّنيا حتىٰ لا يموت.

(٤) ﴿كلا﴾ ليس الأمر على ما يحسب. ﴿لينبذنَّ في الحطمة﴾ ليطرحنَّ في النار. وقوله:

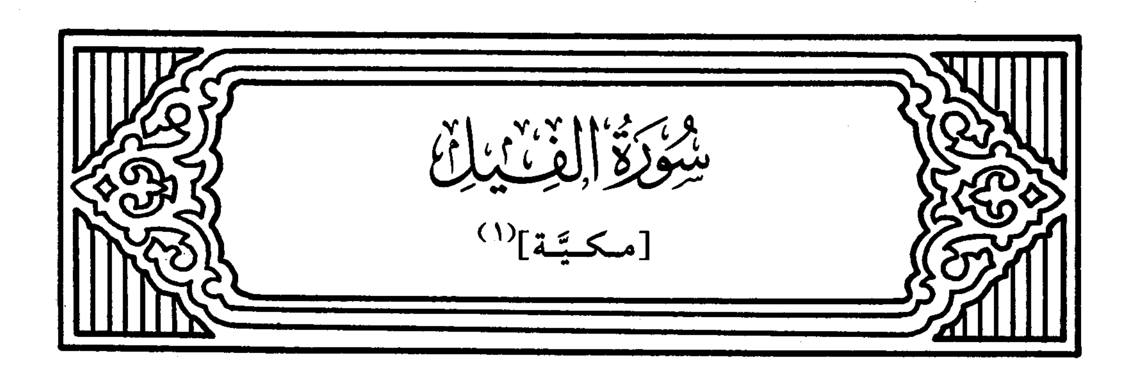
(٧) ﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ أيْ: يبلغ ألمها وإحراقها إلى الأفئدة.

(٨) ﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ مطبقةٌ.

(٩) ﴿في عمد﴾ جمع عمودٍ. ﴿ممددة﴾. قيل: يعني: أوتاد الأطباق التي تطبق عليهم، ومعنىٰ ﴿في عمدٍ﴾: بعمدٍ. وقيل: إنَّها عمدٌ يُعذَّبون بها في النَّار.

---

(١) زيادة من ظ.



سورة الفيل

[مكيَّة](1)

بسم الله الرحمن الرحيم

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿ألم ترَ﴾ ألم تعلم. وقيل: ألم تخبر ﴿كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾.

(٢) ﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ أضلَّ كيدهم عمَّا أرادوا من تخريب الكعبة.

(٣) ﴿وأرسل عليهم طيراً أبابيل﴾ جماعاتٍ جماعاتٍ.

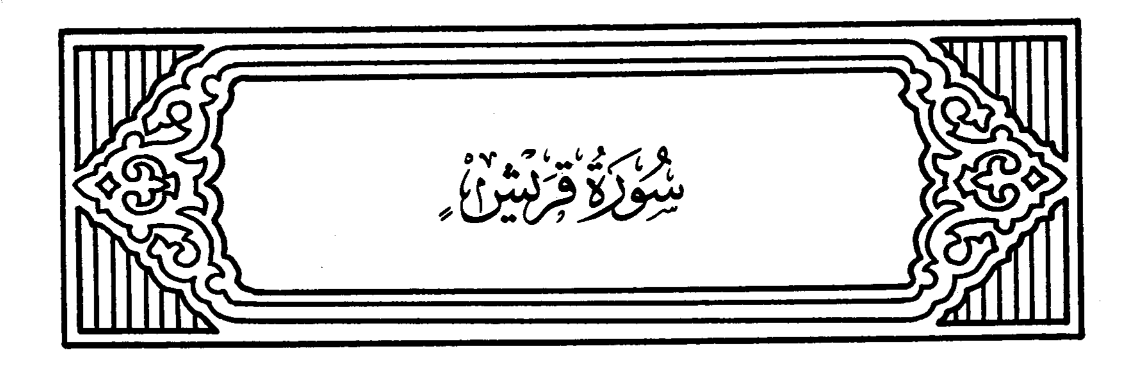
(٤) ﴿ترميهم بحجارة من سجيل﴾ من آجرٍ.

(٥) ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾ كزرعٍ أكلته الدَّوابُّ فداسته وفتَّتته. والعصف: ورق الزرع.

• • •

---

(١) زيادة من ظ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

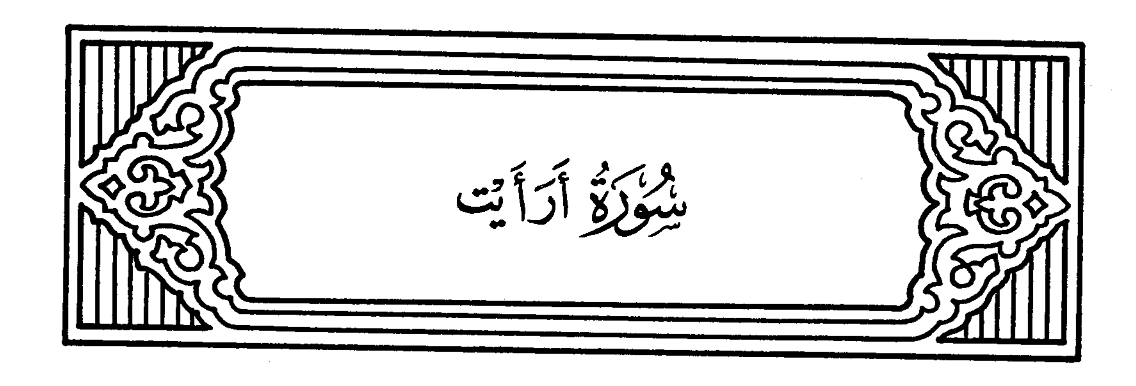
لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ﴿٤﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿لإيلاف قريش﴾ قيل: هذه اللام تتَّصل بما قبلها، على معنىٰ: أهلك الله أصحاب الفيل لتبقىٰ قريش وتألف رحلتيها. وقيل: معنىٰ اللام التَّأخير، على معنىٰ: فليعبدوا ربَّ هذا البيت ﴿لإيلاف قريش﴾ أَيْ: ليجعلوا عبادتهم شكراً لهذه النِّعم واعترافاً بها. يقال: ألف الشَّيء وآلفه بمعنىً واحد، والمعنىٰ: لإلف قريش رحلتيها، وذلك أنَّه كانت [لهم] رحلتان رحلةٌ في الشِّتاء إلى اليمن، و [رحلة] في الصَّيف إلى الشَّام، وبهما كانت تقوم معايشهم وتجاراتهم. وكان لا يتعرَّض لهم في تجارتهم أحدٌ. يقول: هم سكَّان حرم الله وولاة بيته، فمنَّ الله عليهم بذلك، وقال:

(٣) ﴿فليعبدوا ربَّ هذا البيت﴾. ﴿الذي أطعمهم من جوع﴾ أَيْ: بعد جوعٍ، وكانوا قد أصابتهم شدة حتى أكلوا الميتة والجيف، ثمَّ كشف الله ذلك عنهم ﴿وآمنهم من خوف﴾ فلا يخافون في الحرم الغارة، ولا يخافون في رحلتهم.

• • •



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

﴿١﴾ ﴿أرأيت الذي يكذب بالدين﴾ نزلت في العاص بن وائل. وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة. وقيل: في أبـي سفيان، وذلك أنَّه نحر جزوراً فأتاه يتيمٌ يسأله، فقرعه بعصاه[١]، فذلك قوله تعالىٰ: ﴿يدعُّ اليتيم﴾ أَيْ: يدفعه بجفوةٍ من حقِّه.

﴿٣﴾ ﴿ولا يحضُّ على طعام المسكين﴾ لا يُطعم المسكين ولا يأمر بإطعامه.

﴿٤﴾ ﴿فويل للمضلين﴾. ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ غافلون يُؤَخِّرونها عن وقتها.

﴿٦﴾ ﴿الذين هم يراؤون﴾ يعني: المنافقين يُصلُّون في العلانيَة، ويتركون الصَّلاة في السِّرِّ.

﴿٧﴾ ﴿ويمنعون الماعون﴾ الزَّكاة وما فيه منفعةٌ من الفأس والقِدر والماء والملح.

• • •

---

(١) هذا قول ابن جريج نسبه إليه المؤلف في أسباب النزول ص ٥٤٠.

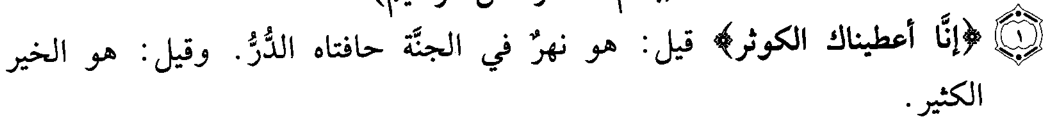


سورة الكوثر

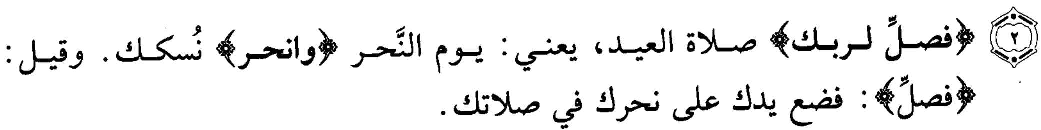
بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾



﴿١﴾ ﴿إنَّا أعطيناك الكوثر﴾ قيل: هو نهرٌ في الجنَّة حافتاه الدُّرُّ. وقيل: هو الخير الكثير.



﴿٢﴾ ﴿فصلِّ لربك﴾ صلاة العيد، يعني: يوم النَّحر ﴿وانحر﴾ نُسكك. وقيل: ﴿فصلِّ﴾: فضع يدك على نحرك في صلاتك.

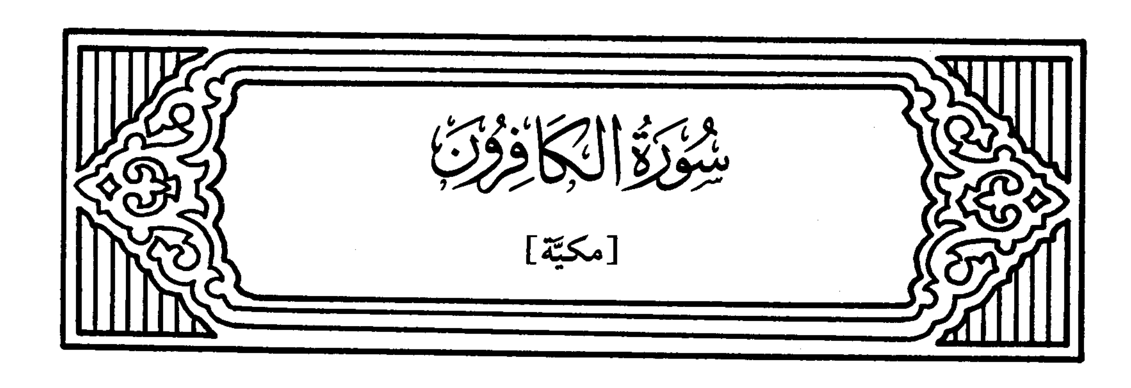
﴿٣﴾ ﴿إنَّ شانئك﴾ مُبغضك ﴿هو الأبتر﴾ المُنقطع العقب. [وقيل: المنقطع عن كلِّ خير. نزلت في العاص بن وائل(١) سمَّىٰ النبيَّ ﷺ أبتر عند موت ابنه القاسم](٢).

● ● ●

---

(١) الحديث أخرجه البيهقي في دلائل النبوة عن محمد بن علي ٢/ ٧٠؛ لكن ذكره عن عمرو بن العاص. ثم قال: هكذا روي بهذا الإسناد، وهو ضعيف، والمشهور أنَّها نزلت في العاص بن وائل. وأخرجه ابن عساكر من طريق ميمون بن مهران عن ابن عباس. الدر المنثور ٨/ ٦٥٢ وهو ثقةٌ كان يُرسل.

(٢) ما بين [ ] زيادة من ظا و ظ.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿قل يا أيها الكافرون﴾ نزلت في رهطٍ من قريشٍ قالوا للنبيِّ ﷺ تعبد آلهتنا سنةً، ونعبد إلٰهك سنةً[1]، فأنزل الله هذه السُّورة.

(٢) ﴿لا أعبد ما تعبدون﴾ في الحال.

(٣) ﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ في الحال ما أعبده.

(٤) ﴿ولا أنا عابد﴾ في الاستقبال ﴿ما عبدتم﴾.

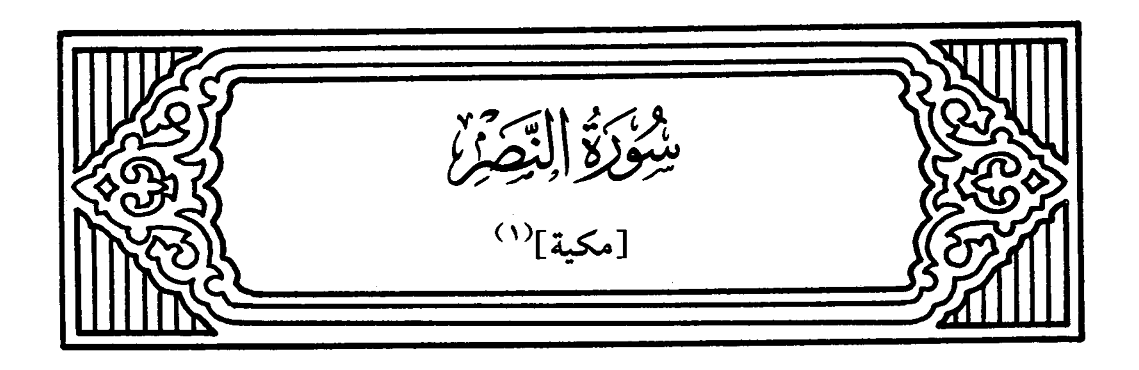
(٥) ﴿ولا أنتم عابدون﴾ في الاستقبال ﴿ما أعبد﴾ فنفىٰ عنهم عبادة الله في الحال، وفيما يستقبل، وهذا في قومٍ أعلمه الله أنَّهم لا يؤمنون، ونفىٰ أيضاً عن نفسه عبادة الأصنام في الحال وفيما يستقبل، ليئسوا عنه في ذلك.

(٦) ﴿لكم دينكم﴾ الشِّرك ﴿ولي ديني﴾ الإسلام، وهذا قبل أَنْ يُؤمر بالحرب.

● ● ●

---

(١) أخرجه ابن جرير ٣٠/ ٣٣١ عن ابن عباس، وذكره المؤلف في الأسباب ص ٥٤٣.



بسم الله الرحمن الرحيم

إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ﴿٢﴾ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ﴿٣﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿إذا جاء نصر الله﴾ إيّاك علىٰ مَنْ ناوأك من اليهود والعرب ﴿والفتح﴾ يعني: فتح مكة.

(٢) ﴿ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا﴾ جماعاتٍ جماعاتٍ بعد ما كان يدخل واحدٌ فواحدٌ. وكان رسول الله ﷺ لمَّا نزلت هذه السورة قال: قد نُعِيَتْ إليَّ نفسي(٢).

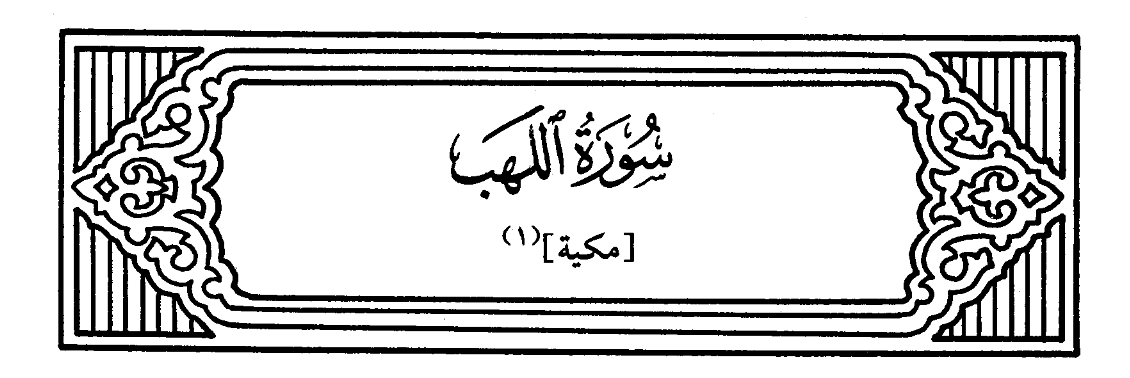
(٣) ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أمره الله عزَّ وجلَّ أن يُكثر التَّسبيح والاستغفار، ليختم له في آخر عمره بالزِّيادة في العمل الصّالح.

• • •

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند ١/ ٢١٧؛ وابن جرير ٣٠/ ٣٣٤، ورجاله ثقات.



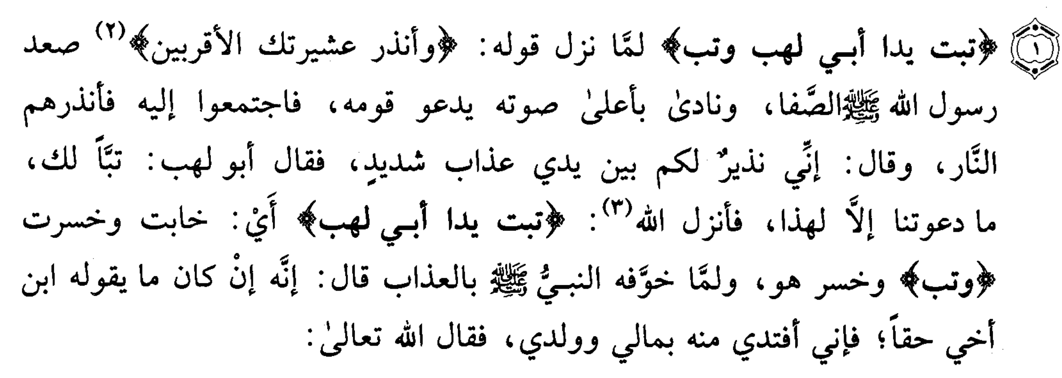
سورة اللهب

[مكية][١]

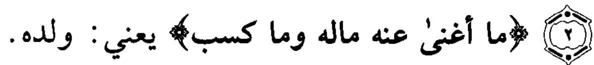
بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾



﴿١﴾ ﴿تبت يدا أبـي لهب وتب﴾ لمَّا نزل قوله: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾[٢] صعد رسول الله ﷺ الصَّفا، ونادىٰ بأعلىٰ صوته يدعو قومه، فاجتمعوا إليه فأنذرهم النَّار، وقال: إنِّي نذيرٌ لكم بين يدي عذاب شديدٍ، فقال أبو لهب: تبّاً لك، ما دعوتنا إلاَّ لهذا، فأنزل الله[٣]: ﴿تبت يدا أبـي لهب﴾ أيْ: خابت وخسرت ﴿وتب﴾ وخسر هو، ولمَّا خوَّفه النبـيُّ ﷺ بالعذاب قال: إنَّه إنْ كان ما يقوله ابن أخي حقاً؛ فإني أفتدي منه بمالي وولدي، فقال الله تعالىٰ:



﴿٢﴾ ﴿ما أغنىٰ عنه ماله وما كسب﴾ يعني: ولده.



﴿٣﴾ ﴿سيصلىٰ ناراً ذات لهب﴾.

---

(١) زيادة من ظ.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.

(٣) الحديث أخرجه البخاري في التفسير ٨/ ٧٣٧؛ ومسلم في الإيمان برقم ٢٠٨؛ والنسائي في تفسيره ٢/ ١٩٨؛ والترمذي في التفسير برقم ٣٣٦٣.

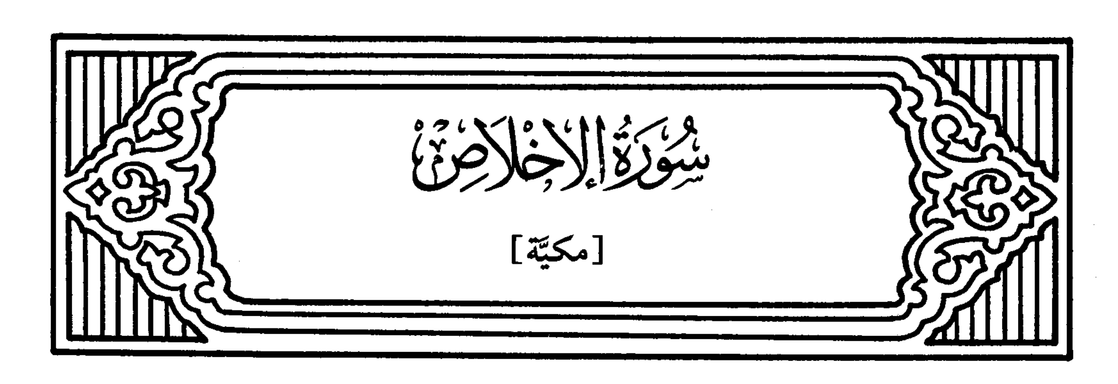
وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ﴿٤﴾ فِي جِيدِهَا حَبۡلٌ مِّن مَّسَدِۭ ﴿٥﴾

﴿٤﴾ ﴿وامرأته حَمّالةَ الحطب﴾ نقَّالة الحديث الماشية بالنَّميمة، وهي أمُّ جميلٍ أخت أبـي سفيان.

﴿٥﴾ ﴿في جيدها﴾ في عنقها ﴿حبل من مسد﴾ سلسلةٌ من حديدٍ ذرعها سبعون ذراعاً، تدخل في فيها وتخرج من دبرها[1]، ويلوىٰ سائرها في عنقها، والمسد: كلُّ ما أُحكم به الحبل.

• • •

(١) وهذا قول عروة بن الزبير، أخرجه ابن جرير ٣٠/ ٣٤٠.



بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

روي أنَّ قوماً من المشركين قال لرسول الله ﷺ: انسب لنا ربَّك، فأنزل الله عزَّ وجلَّ[1]:

(١) ﴿قل هو الله أحد﴾ أَيْ: الذي سألتم نسبته هو الله أحدٌ.

(٢) ﴿الله الصمد﴾ السَّيِّد الذي قد انتهىٰ إليه السُّؤدد. وقيل: الصَّمد: الذي لا جوف لَه، ولا يأكل ولا يشرب. وقيل: هو المقصود إليه في الرَّغائب.

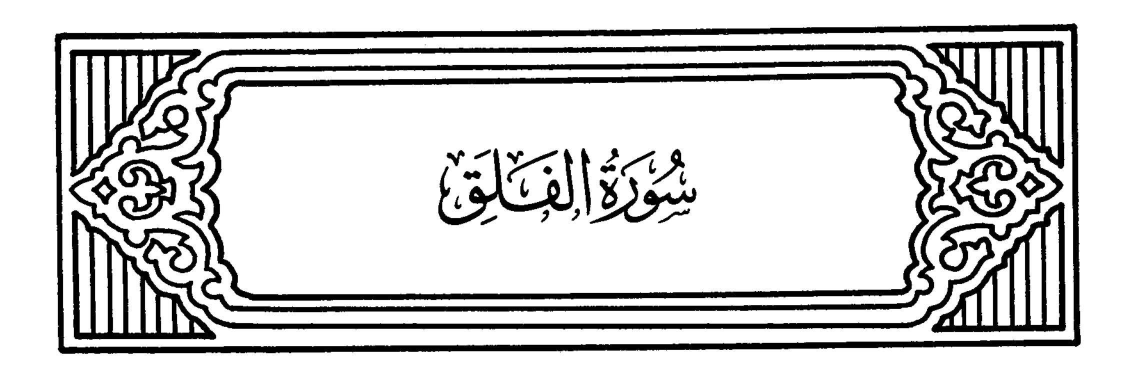
(٣) ﴿لم يلد ولم يولد﴾.

(٤) ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ لم يكن أحدٌ مثلاً له.

• • •

---

(١) سبب النزول هذا أخرجه الترمذي في التفسير عن أبي بن كعب، برقم ٣٣٦١؛ وأحمد في المسند ٥/ ١٣٤ وفيه أبو جعفر الرازي؛ وهو صدوق سيِّىء الحفظ؛ وأخرجه المؤلف في الأسباب ص ٥٤٩ بنفس الطريق؛ والحاكم ٢/ ٥٤٠ وصححه، ووافقه الذهبي.



بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(١) ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ نزلت هذه السُّورة والتي بعدها لمَّا سحر لبيدُ بن الأعصم اليهوديّ رسول الله ﷺ، فاشتكى شكوىٰ شديدةً، فأعلمه الله بما سحر به، وأين هو، فبعث مَنْ أتىٰ به، وكان وَتَراً فيه إحدىٰ عشرة عقدةً، فجعلوا كلما حلُّوا عقدةً وجد راحةً حتىٰ حلُّوا العقد[1] كلَّها، وأمره الله تعالىٰ أن يتعوَّذ بهاتين السُّورتين، وهما إحدىٰ عشرة آية على عدد العقد. قوله: ﴿برب الفلق﴾ يعني: الصُّبح.

(٣) ﴿ومن شر غاسق﴾ يعني: اللَّيل ﴿إذا وقب﴾ دخل.

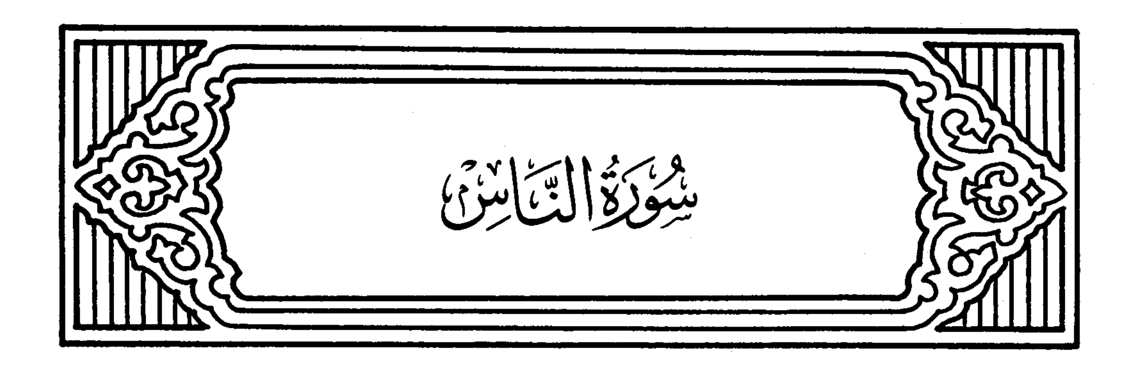
(٤) ﴿ومن شر النفاثات﴾ يعني: السَّواحر تنفث ﴿في العقد﴾ كأنَّها تنفخ فيها بشيءٍ تقرؤه.

(٥) ﴿ومن شرِّ حاسد إذا حسد﴾ يعني: لبيداً الذي سحره.

● ● ●

---

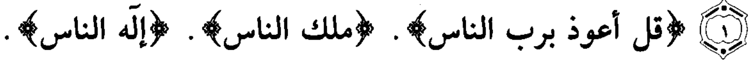
(١) الحديث أخرجه البخاري في الطب ١٠/ ٢٣٥؛ ومسلم في السحر والرقىٰ برقم ٢١٨٩؛ وأحمد ٦/ ٦٣.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

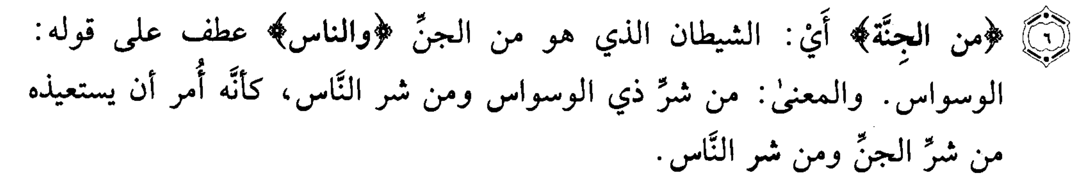
﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾



﴿١﴾ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾. ﴿ملك الناس﴾. ﴿إلٰه الناس﴾.

﴿٤﴾ ﴿من شرِّ الوسواس﴾ [يعني: ذا الوسواس][1] وهو الشيطان ﴿الخناس﴾ وهو الذي يخنس ويرجع إذا ذُكر الله، والشَّيطان جاثمٌ على قلب الإنسان، فإذا ذَكر الله تنحَّىٰ وخنس[2]، وإذا غفل التقم قلبه فحدَّثه ومنَّاه، وهو قوله:

﴿٥﴾ ﴿الذي يوسوس في صدور الناس﴾.



﴿٦﴾ ﴿من الجِنَّة﴾ أَيْ: الشيطان الذي هو من الجنِّ ﴿والناس﴾ عطف على قوله: الوسواس. والمعنىٰ: من شرِّ ذي الوسواس ومن شر النَّاس، كأنَّه أُمر أن يستعيذه من شرِّ الجنِّ ومن شر النَّاس.

---

(١) ما بين [ ] زيادة من عا و ظا.

(٢) الحديث ذكره البخاري في التفسير ٨/ ٧٤٢ من قول ابن عباس، وأخرجه ابن جرير ٣٠/ ٣٥٥ عنه؛ والحاكم ٢/ ٥٤١ وصححه، وأقرَّه الذهبي.

تـمَّ الكتـاب

[صـدق الله العظيم، وصـدق رسوله الكريم، والحمـد لله ربِّ العالمين.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله العليِّ العظيم،

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه أجمعين،

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

تــمَّ][١].

---

(١) ما بين [ ] من ظا.

الفهرس

• • •